

صوت المعلم ... أثر جديد لجبران

بقلم يعقوب فرام منصور

منذ سنين وانا اضيف الى مكتبتي بين الفينة والاخرى ، كتب جبران خليل جبران الانكليزية اصلا ، والمترجمة من العربية الى الانجليزية .

وقبل شهور وصلني كتاب « الاجنحة المتكسرة » مترجما الى الانكليزية بقلم صايم موسى نحماد ، ثم اعقبه اخر هو الاثر الجديد الذي انا بصدده ، وعنوانه « صوت المعلم »(1) لمترجمه انتوني رزق الله فرس (او فارس لا ادري بالضبط) . ان اسم المترجم ليس غريبا علي، فقد سبق ان عرفته مترجما لكتابي جبران «الارواح المتمردة» و « دمعة وابتسامة » اللذين وصلاني في فبراير سنة ١٩٤٩ ، وهما من منشورات المكتبة الفلسفية في نيويورك، والانطباع الذي حملته انذاك عن المترجم ، انه لم يحسن ترجمة دمعة وابتسامة اذ انه لم يكن امينا في نقل المعاني بدقة ، كما انه اسقط بعض الكلمات وحذف قطعا ومقالات بكاملها . اما ترجمة الارواح المتمردة فكانت امينة وجيدة فيما يخص القصص الثلاث التي احتواها الكتاب المترجم، فالقصة الرابعة (مضجع العروس) لم تدرج فيه .. وبعد شهور ، وصلتني ترجمتا حايم موسى نحماد للكتابين ذاتهما من منشورات « هاينمن » بلندن ، فوجدتهما افضل بكثير .

لذلك عندما وصلني الكتاب الجديد ، كاد ان يتطرق الى قلبي بعض اليأس والخيبة والشك ، لكنني دفعت كل هذه المخاوف دفعا ، واقبلت على الكتاب وغايتي الاولى هي تحسس روح جبران الحقيقية منبثة بين منعطفات الكتاب ، والثانية ادراكه واستيعابه والانتشاء بسلافته الروحانية . وبما ان النص العربي غير متوفر لدي ، استطيع القول ، وقد فرغت من الكتاب ، اني قد تذوقت نفس الخمرة السماوية التي اتذوقها عند مطالعتي اثار جبران ، تلك الخمرة التي هي مزيج من رحيق الفن وعصير المحبة واكسير الحكمة وكوثر عذب من الصوفية الناعمة المجنحة . وتحسست نفس جبران في كل كلمة قراتها .

لقد حاولت ان اعثر على أسم هذا الكتاب ، واجد له ذكرا في المصادر التي في حوزتي عن جبران ، فلم افلح لكنني عدت الى كتاب جميل جبر ، فوجدت في صفحة ٣٣ لمحة من نور ، قد تكون فيها ضالتي ، اذ يقول :

« فلازمها جبران متفائلا ـ يقصد امه ـ وقرأ لها بعض خواطر التمعت في ذهنه ، فدونها خميرة لكتاب نوى وضعه « ليصلح الكون » ، فأطرت سمو تفكيره ونصحت نه بأن يدع للزمان مجالا لتخثيره ، فانتصح وطوى الشذرات على غير نشور » . ثم يعلق الاستاذ جميل في الحاشية على هذا الكلام بقوله : (عن برباره يونغ ويوسف الحايك. لعلها بعض افكار بدائية انضجها في « النبي ») .

اني اميل الى الاعتقاد بأن (صوت المعلم) هو نواة « النبي » او انه « النبي » قبل ان ينضج نضوجا نهائيا في عقل وقلب جبران . وحجتي في ذلك تستند على نقطتين : اولاهما ان الكتاب لم يظهر في العربية خلال مرحلة حياة جبران الاولى ، عملا بنصيحة والدته المشار اليها في المرجع الذي ذكره جميل جبر، وثانيتهما التشابه العظيم الكائن بين افكار « النبي » واراء « صوت المعلم »، كما ان هناك تشابها كبيرا في النسق والاسلوب اللذين بهما جسم جبران افكاره واراءه . ففي « صوت المعلم » يتكلم المعلم عن الحب والزواج والحكمة والقانون والمساواة والطبيعة وغير ذلك ، مخصصا فصلا لكل موضوع كما في « النبي » . وفي « صوت المعلم » نزوح عن الوطن لبنان الى فينيسيا (البندقية) والمكوث فيها فترة قصيرة ثم عودة الى الوطن ، كما في « النبي » هجرة الى « اورفليس » واوبة الى جزيرة المنشأ بعد اثنتي عشرة سنة . الا ان « صوت المعلم » يختلف بان الواعظ ليس هو المعلم ذاته كالمصطفى ، بل هو تلميذ المعلم الذي سماه « المهتدى » .

هذا هو رايي الخاص ، وهو لا يعدو الترجيح والحدس بل ابغي من المترجم ، خدمة للحقيقة والادب ، ان يذكر لنا شيئا عن الاصل العربي لترجمته ، واين هي الان ، وكيف وقعت بين يديه ، وما هو السبب باعتقاده في عدم ظهور هذا الاثر كما وضعه جبران اصلا ، والاجابة

1. The Voice of the Master.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على كل تساؤل في هذا الصدد .

كما اني اطلب من المترجم ومحبي جبران الاسهام في اخراج هذا الاثر النفيس بنصه العربي . فانه لمن الحيف والمؤسف حقا الا يخرج هذا الكتاب بلغته الاصلية، اذ انا استبعد ان يكون هذا الاثر قد ظهر مؤخرا بطبعة عربية في المهجر .

ان هناك من يشبه كتاب جبران (السابق) بالنبي يوحنا المعمدان الذي سبق المسيح بالكرازة والتبشير والتعميد . اما الان وقد ظهر هذا الاثر الجديد ، فهذا الوشاح باعتقادي يجب ان يلقى على « صوت المعلم » ، فهو به اجدر وانسب . اذ ان التفاوت بين « النبي » و « السابق » اسلوبا وروحا ومغزى وغاية ، يبدوكبيرا جدا الى حد يجعل البون شاسعا بين يسوع ويوحنا ، وهذا غير صحيح .

يقع الكتاب في جزئين ، اولهما يشتمل على فصلين : رحلة المعلم الى البندقية ، ووفاة المعلم . في الفصل الاول تقع عين التلميذ « المهتدى » على المعلم وهو يقطع الحديقة ذهابا وايابا ، وقد لاحت علامات الكابة على ملامحه ، فيستفسره التلميذ عن دواعي كربته ، فيطلب المعلم من تلميذه الجلوس على الصخرة عند بركة السمك ، وهناك يقص المعلم حكايته ، يستهلها بقوله :

« انت تبغي مني ان اسرد لك المأساة التي تحتلها الذاكرة على مسرح قلبي صباح مساء . انت قلق لصمتي الطويل وسري المكتوم ، وانت مضطرب بسبب تنهداتي ونحيبي . وانت تقول لنفسك : ان لم يقدني المعلم الى معبد احزانه ، فانى لي أن انفذ الى بيت محبته ؟

« اصغ الى حكايتي ، ولا تشفق علي ، انما الشفقة من اجل الضعيف ، وانا ما زلت قويا في كربتي . »

ثم يمضي المعلم في سرد الحكاية ، ومجملها انه منذ صباه ، كان طيف امراة غريبة لا يبرحه يقظانا ونائما . ففي صمت الليل البهيم كان يسمع صوتها السماوي ، وعندما يطبق جفنيه ، يشعر لمس انامله على شفتيه . وكان هو نفسه يعجب لامره فيقول : « تراني هل انا انكمشت بنفسي عن المجتمع وبهرجة المدنية لاكون وحيدا مع من اهوى ؟ هل انا اغلقت سمعي وبصري دون مظاهر الحياة واشكالها ، مفضلا ان المحها واسمع صوتها العلوي؟ هل انا ممسوس ، مكتف بالوحدة ، يصيغ من اطياف عزلته رفيقا وقرينا لروحه ؟ »

حقا لقد كانت تلك المراة الخيالية قرينا له ، كثيرا ما تتردد عليه وهو في ضيق ومحنة ، فتبدد احزانه واضطرابه .

وكانه لمع في خاطر المعلم ان تلميذه سيسأله مستغربا كيف يستطيع الاكتفاء بمثل هذه الحياة ، وكيف لرجل مثله ، في ربيع الحياة ، ان يجد الغبطة في الاطياف والاحلام ! لكنه يجيب على هذا التساؤل الخفي : « لكنني اقول لك ان السنين التي انفقت على هذا المنوال ، لهي بمثابة حجر الزاوية لكل ما استوعبته من معرفتي للحياة والجمال والسعادة والسلام . »

ويستمر المعلم ، فيقول : « منذ عشرين عاما ارسلني محافظ جبل لبنان الى البندقية في مهمة تعليمية مع رسالة توصية الى امين المدينة الذي كان قد لقيه في الاستانة . وقبل ان يقلع المركب الى ايطاليا ، وعيت صوتا في داخلي يهمس : « عد ! لا تبرح ! عد الى الساحل قبل ان تهجر السفينة ! » . وفي المساء وجدتني في المركب وحيدا ، وعبثا حاولت العثور على قرينتي وامراة احلامي — المراة التي هام بها قلبي . ولما اسدل الليل سجوفه ، غدا كل من في المركب نياما سواي ، وقد تنازعني القلق والاضطراب . وعلى حين غرة ، بدت لي قرينة حياتي ، فقالت : « لماذا سلوتني ايها الحبيب؟ اين كنت ؟ كن ملازمي ولا تبرحني ثانية ! » . وعندما اويت الى مضجعي في المقصورة ، لاحت لي في الحلم شجرة تفاح كالصليب ، وقد تدلت منها كالمصلوبة رفيقة عمري رقطرات من دمها نزت من يديها وقدميها ، فوقعت على ازهار الشجرة المنثورة .. »

وبعد ابحار دام خمسة عشر يوما ، رست السفينة في ميناء فينيسيا وهبط منها الى الجندول الذي انساب به ما بين القنوات . ولما كان الوقت ليلا ، بدت له فينيسيا وقد انعكست انوارها واضواء نوافذها على صفحات القنوات ، كصورة فاتنة من الصور التي تفد على رؤى الشاعر . واذ هو عند مفترق قناتين ، بلغ سمعه قرع اجراس جنائزية . ولما قاده ملاح الجندول الى حيث قصر امين المدينة ، وقرع له الباب ، توارد اليه اصوات ولولة ونواح . وهناك سلم خادما مسنا الرسالة التي معه من محافظ لبنان ، فانفذها الى الداخل . وبعد هنيهة علم من خادم صغير ان ابنة صاحب القصر قد قضت نحبها في ذلك اليوم .

لكن الوالد المفجوع المكتئب ، احسن لقاء المعلم وضيافته ووعده ان يعمل بكل ما في طاقته لتحقيق مهمته . وبعد ان غادر المعزون ، هم المعلم بالانصراف ، لكن الوالد المحزون استوقفه والتمسه ان يمكث ضيفا ان هو استطاع احتمال الاسى معه . فلامست كلماته شغاف قلب المعلم ، واستجاب لرغبته ، ولقي منه احسن ما يلقى الضيف من اعتناء واهتمام .

في الليلة الاولى التي قضاها المعلم في القصر المنيف ، الذي جللته غمامة الاسى ، الفى نفسه في حال بين سكرة النوم وصحوة اليقظة ، واحس طيفا اثيريا يحوم فوقه ويناديه دونما دليل حسي . فمشى لا ارادياً ، كانه في حلم ، نحو القاعة حيث وجد في الوسط نعشا تحيطه شموع مرتعشة واكاليل زهور بيضاء . هناك ركع وتطلع في المتوفي ، فوجد ان الموت قد جلل وجها حبيبا الى

قلبه ـ وجه محبوبته ، رفيقة العمر التي عبدها ـ لاحت له في جمود الموت ، مسربلة بالبياض،محاطة بزهور بيضاء يحرسها صمت الاجيال .

وهنا يفرق المعلم في مناجاة روحية ، ربانية . ومما يقول فيها :

« يا رفاق وحدتي واغترابي : لقد شاء الرب ان اكرع كأس الحياة العلقمية ، فلتكن مشيئته . اننا لسنا سوى ذرات ضعيفة في فضاء الكون ، وليس في مقدورنا الا الاستسلام لمشيئة العناية . »

لقد اسهبت قليلا في ذكر هذه الصور الجبرانية البديعة لروعتها واهميتها . فجدير بالقارىء ـ عند هذا الحد ـ ان يدرك حقيقة هذه المراة التي يدعوها جبران « قرينة الحياة » و « امراة الاحلام » . فهل ادركت ايها القارىء ، من هي ؟ اخالك في غنى عن ان اجيب عنك: هي الحياة ـ اجل الحياة التي احبها جبران حبا جما ، فلم يكتف بالمكوث على (برها) والوقوف عند (ساحلها) ، بل شاء ان يقتحم (عبابها) ويتغلغل في (محيطاتها) .

ثم يخاطب المعلم تلميذه : « اني اذ احكي هذه الحكاية، لا اشكو ، لان من يشكو يشك في الحياة ، وانا قوي الايمان . اني اؤمن بقيمة المرارة الممتزجة بكل مغبة ارشفها من كأس الحياة . اني اؤمن بجمال الحزن المخترق مهجتي . انا اؤمن برحمة هذه الاصابع الفولاذية التي تهصر روحي فيما بعد . »

ويمضي المعلم في القول : « وبعد انصرام ثلاثة اسابيع برحت البندقية ، وكأني قد انفقت دهورا مديدة . اما طيفها ، فظل . ومع اني وجدتها ثانية في الموت فحسب، غير آن ظلها بقي حيا في . في ظله عملت وتعلمت . اما اعمالي ، فانت ـ ايها التلميذ ـ تعلمها جيدا . فقد سعيت ان اتي الى شعبي وحاكميه بما حصلت عليه من الحكمة والمعرفة ، وجلبت الى (الحارس) ، محافظ لبنان، صراخ المظلومين الذين كانوا تحت وطأة وعسف وتجني رجال الدولة والكنيسة .

لقد اسديته النصح بان يسلك نهج اسلافه ، ويسوس رعيته ـ كما فعلوا ـ بالرافة والمحبة والحصافة ، وقلت له : ان الشعب مجد مملكتنا ومصدر ثروتها. كما قلت: على الحاكم ان يقصي عن دولته : الغيظ والطمع والبهتان والشراسة .

وبسبب من تعاليمي هذه وغيرها ، عوقبت واقصيت وحرمت من الكنيسة . وحلت ليلة عندما داهم الاضطراب قلب (الحارس) ، فلم يغمض له فيها جفن . فوقف عند النافذة ، يتأمل الافلاك والكون والخالق ، متسائلا : من هو وما سبب وجوده هناك ! وتذكر اقصائي ، وندم على ما بدر منه نحوي . وللفور طلبني وسألني الغفران،وانعم علي ببزة رسمية ، واعلن للملأ باني مستشاره ، ووضع مفتاحا ذهبيا في يدي .

لست اسفا على الاعوام التي امضيتها في المنفى . فان من ينشد الحقيقة ويعلنها للبشر ، عليه ان يقاسي . ان اشجاني علمتني ان افهم احزان اخوتي في الانسانية . فلا الاضطهاد اطفأ الخيال الذي في ولا المنفى . »

وبعد ان ختم المعلم قصته ، شعر بالتعب ، فصرف تلميذه ، وقصد عزلته ليريح جسمه وروحه من متاعب الذكريات القديمة .

الى هذا القدر ينتهي الفصل الاول . اما الثاني فيستهل بهذا الكلام :

« انصرم اسبوعان ، ومرض المعلم . فتوافد نحو المنسك جمع من المعجبين ، يستفسرون عن صحته . وعندما بلغوا بوابة الحديقة ، رأوا قسيسا وراهبة وطبيبا والمهتدى خارجين من صومعة المعلم . واعلن التلميذ النجيب وفاة المعلم ، فشرع الجمع الغفير في النواح والندب . اما المهتدى ، فلم يسفح دمعا ولم ينطق كلمة. ومكث المهتدى فترة يتأمل في نفسه ، ثم وقف على الصخرة قرب بركة السمك ، وقال :

« اخواني وبني وطني : ها قد بلغكم نعي المعلم . لقد سلم (نبي) لبنان نفسه الى النوم الابدي ، وروحه المباركة ترفرف فوقنا في سموات الروح ، عاليا وبعيدا عن كل حزن واسى . لقد نبذت روحه عبودية الجسد ، وحمى هذه الحياة الدنيا واوزارها .

... لقد كانت حياته على هذه الارض سلسلة طويلة من الاعمال العظيمة . كانت حياة فكر مستمرة ، اذ ان المعلم لم يعرف الراحة في غير العمل . لقد احب العمل، فعرفه بانه الحب المجسم . »

ويمضي المهتدى في تأبين معلمه تأبينا بليغا مؤثرا رصينا ، ويناشد الحشد الا يبكي المعلم والا يحزن لفقده ان كان حقا يحبه ، فيقول :

« لا (تعطوا) الفذ ، بل (خذوا) منه . فهكذا فقط ستقدرونه . لا تنوحوا من اجله ، بل ابتهجوا وانهلوا من اعماق حكمته . فبهذا وحده ستسدونه الثناء الذي هو أهل له . »

وبعد ان استمع الحشد كلمات التلميذ ، آبوا الى بيوتهم ، والبسمات على شفاههم ، واغاني الشكران في افئدتهم .

وامسى المهتدى وحيدا ، لكن العزلة ما ملكت قلبه،لان صوت المعلم ظل يتجاوب في اذنيه ، حاثا اياه على المضي في عمله وبذر كلمات « النبي » في قلوب وعقول الذين يصغون اليه بملء اختيارهم . وبعد فترة اربعين يوما من التأمل ، غادر المهتدى عزلته ، وشرع في التجول بين المزارع والقرى والمدن في فينيقيا القديمة .

وذات يوم ، اذ كان يجتاز سوق مدينة بيروت ، تبعه جمع غفير ، فتوقف في ممشى عام حيث التف الزحام حوله ، وخاطبهم بصوت المعلم ، قائلا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« شجرة قلبي مثقلة بالثمر ،تعالوا ايها الجياع واقطفوا كلوا واكتفوا . تعالوا واجنوا من هبات قلبي ، وخففوا حملي . نفسي مرهقة بعبء الذهب والفضة . هلموا ايها الباحثون عن الكنوز واملأوا اكياسكم واريحوني من حملي.

قلبي يفيض بنبيذ العصور ، هلموا ايها العطاش واطفئوا ظمأكم .

بالامس لمحت ثريا واقفا عند باب المعبد ، مادا يديه المماوءتين بالاحجار الكريمة نحو عابري السبيل ، داعيا اياهم قائلا : اشفقوا علي ! خذوا من هذه الجواهر ، فقد جعلت نفسي مترفة وقلبي غليظا . ارافوا بي ، خذوها . واجعلوني خاويا من جديد ! لكن واحدا من عابري السبيل لم يستجب لتوسلاته . وتطلعت الى الرجل ، وقلت لنفسي : كان من الافضل له حتما ، لو انه جال شوارع بيروت متسولا ، مادا يدا مرتعشة ابتغاء الصدقة ، وعاد الى البيت مع هبوط المساء خاوي الوفاض .

وشاهدت شيخا ثريا معطاء من دمشق الشام ، يقيم خيامه في مجاهل الصحراء العربية وعند سفوح الجبال. في المساء ، كان يوقد عبيده لايقاف المسافرين وجلبهم الى خيامه حيث يكسون ويضافون . لكن الطرق الوعرة كانت مقفرة ، وما عاد الخدم اليه بضيف .

وفي لبنان ، رايت ابنة محافظ الجبل ، تستيقظ من نومها ، مسربلة بثوب نفيس . شعرها مضمخ بالمسك، وجسمها ممسوح بالطيب ، تمشي في حديقة قصر والدها تنشد محبا ، وكانت قطرات الندى على السندس المخملي ترطب حواشي تربها . ولكن واحسرتاه ! بين كل رعية والدها ، لم يكن من فرد هام بها .

وددت لو اني شجرة لا تزهر ولا تثمر . فالم الخصب افسى من الم العقم ، ووجع الغني السخي اشد وقعا من تعاسة المعدم .

« وددتني بئرا خاوية ، لعل الناس يرمون حجرا في اعماقي . اذ الاجدى ان اكون بئرا خالية ولا نبع ماء نقي لا تلمسه شفاه العطاش .

ليتني قصبة مرضوضة ، تسحقها اقدام الانسان، فذلك انفع من ان تكون قيثارة في بيت ، اصابع صاحبه عليها البثور واهله صم .

اصغوا الي ، انتم ابناء وبنات وطني . تمعنوا في هذه الكلمات المنطلقة نحوكم من خلال صوت « النبي » . افسحوا لها مجالا في قلوبكم ، ودعوا بذور الحكمة تزهر في جنائن ارواحكم . فهذه هي عطية الرب الثمينة . »

وذاعت شهرة المهتدى في جميع اطراف الارض ، وامه الناس من مختلف الاصقاع لتبجيله والاستماع الى كليم المعلم . فتهافت عليه الطبيعيون ورجال القانون والشعراء والفلاسفة باسئلتهم حيثما صادفوه : في الشوارع والكنيسة ، في الجامع والكنيس ، او اي موضع اخر يحتشد فيه الناس . فاغتنت عقولهم بكلماته الاخاذة التي تناقلتها الشفاه ، وتكلم لهم عن الحياة وحقيقة الحياة :

« ان الانسان كزبد البحر الطافي على صفحة الماء . عندما تهب الرياح ، يتبدد وكأنه ما كان . هكذا هي حيواتنا ، تزول بهبوب الموت . ان حقيقة الحياة هي الحياة ذاتها . اولها ليس في المهد ، واخرها ليس في اللحد . فليست الاعوام التي تنقضي سوى لحظة في انحياة الابدية ، وما عالم المادة وما فيه غير حلم اذا قورن باليقظة التي ندعوها رهبة الموت ... »

وقبل ان يصرف الحشد ، خاطبهم قائلا : « هناك صنفان في هذا العالم : اناس الامس ، واناس الغد . فالى اي منهما انتم تنتمون يا اخوتي ؟ تعالوا ... دعوني اتفرس فيكم لاعرف فيما اذا كنتم من اولئك الذين يفدون الى عالم النور ، ام من اولئك الذين ينطلقون نحو ارض الظلام . تعالوا واخبروني من وما انتم . »

وهنا يبلغ المهتدى ذروة في الابداع اذ هو يخاطب انجمهور فئة فئة ، متغلغلا الى نفوس السياسيين والتجار والمواطنين وزعماء الدين والصحفيين والمعلمين والحكام والكتاب والمفكرين والشعراء ، يعري بوصفه المزيفين من كل طبقة ، ويعرف الحقيقيين من كل صنف . ويؤسفني ان ضيق المجال لا يسمح بذكر كل ما نطق به المهتدى في هذا الصدد ، فاكتفي باختيار اليسير المقنع :

« هل انت حاكم ، تنظر من عل نحو اولئك الذين تحكم، ولا يعنيك سوى نهب جيوبهم واستغلالهم لمنفعتك الخاصة؟.

هل انت خادم مخلص يحب الشعب ، وساهر على شؤونهم دوما ، وغيور على نجاحهم ؟ ان كنت كذلك، فانت البركة الهاجعة في مخزن الغلال .

ام انت بعل ، يعتبر اخطاءه مشروعة ، وتلك التي تقترفها زوجته محرمة ؟ ان كنت كذلك ، فانت كوحوش مندرسة سكنت الكهوف ، وغطت عريها بالتخفي .

ام انت رفيق امين ، قرينته دوما بجانبه ، تقاسمه كل فكرة وفرصة وظفر ؟ ان كنت كذلك ، فانت كمن يسير في الفجر في مقدمة الشعب نحو سمت العدالة والعقل والحكمة العالي .

هل انت شاعر ملؤه جعجعة واصوات فارغة ؟ ان كنت كذلك ، فانك كواحد من اولئك المهرجين الذين اضحكوننا بينما هم يبكون ، ويبكوننا اذ هم يضحكون .

ام انك من الارواح الموهوبة ، وضع الاله في يديه قيثارة لتلطف الروح بموسيقى سماوية ، ويجتلب رفاقه في الانسانية الى حيث الحياة وجمال الحياة ؟ ان كنت كذلك ، فانت مشعل تنير لنا الطريق ، وشوق عذب في افئدتنا ، وتجلي السامي في احلامنا .

فهكذا البشر ، ينقسمون الى فريقين : الاول من عجزة محدودبين ، يدعمون انفسهم بعيدان معوجة ، وفيما هم يسيرون على دروب الحياة ، يلهثون كأنهم يصعدون نحو قمة الجبل ، بينما هم في الحقيقة ينحدرون نحو الهاوية.

والفريق الثاني مؤلف من شباب ، يعدو كأنه مجنـــح الاقدام ، ويشدو كان حناجره فضية الاوتار ، يتسلقون نحو قمة الطود ، كأن قوة سحرية لا تقاوم تجذبهم .

فالى اي من هذين الموكبين انتم تنتمون يا اخـــوتي ؟ أسألوا نفوسكم هذا السؤال عندما تنفردون بانفسكم في سكون المساء . »

ثم عاد المهتدى الى منسكه ، ومكث في عزلته يقـــرا ويتمعن فى كلمات المعلم الحكيمة . لقد استوعب الكثـير، لكنه وجد اشياء كثيرة لم يتعلمها ولم يسمعها قط مـن فم المعلم . لقد آلى على نفسه الا يبرح الصومعة الا وقد ادرك واتقن كل ما خلفه المعلم كيما يتسنى له تقديمـــه لمواطنيه ..

وعبثا حاول المعجبون الوصول اليه ، وقد تملكهم القلق عليه . حتى ان محافظ جبل لبنان عندمـا دعاه برجاء ان يخاطب رجال دولته ، لم يستجب وقال : « ساعود اليكم قريبا ، مع رسالة خاصة لكل الشعب » . وطلب محافـظ الجبل من المواطنين ان يحسنوا استقبال المهتدى يـــوم خروجه اليهم في كل موضع ومكان ، وان عليـــهم ان يصغوا اليه بوقار ، فصوته كان صوت « النبي »

لقد سمعت كلمات المهتدى في سائر ارجاء لبنـان ، رطبعت فيما بعد في سفر على شكل رسائل ، ووزعت في انحاء فينيقيا وبلاد العرب الاخرى . كـــانت بعض من قبل المعلم والتلميذ،من اسفار الحكمة والمعرفةالقديمة. الرسائل نفس كلمات المعلم ، والبعض الاخر كان منتقى،

الى هذا الحد ، ينتهي الجزء الاول من الكتاب . وقـد لاحظت منه ، كما لاحظ القارىء ، ان جبران قد اطلق فى اكثر من موضع كلمة « النبي » على المعلم ـ معلم المهتدى. وانا ادلل بهذا على دعم اعتقادي بان صوت المعلم هـــو احدى الولادات العربية لكتاب « النبي » والارجح انـــه اخرها .

الا ان الفارق بين كتاب (المصطفى) وسفر (المهتدى) هو ان المصطفى يخاطب الجمع اجابة على اسئلة النـاس من كل طبقة وفئة ، بينما المهتدى يخاطب الحشد بصورة عامة باقوال المعلم وحكمته ، معالجا كل ما يهم النـــاس معرفته من شؤون حياتهم واخرتهم ، مضيفا اليهما مـا استزاد من حكمة وعرفان خلال انقطاعه الى التأمـــل والتفكير في عزلته .

ومع ما في الكتابين من فوارق وتباين ، فانا اعتبرهما من معين واحد ، وكتوأمين من رحم واحد وصلب واحد: عقل المصطفى اوسع وروحه اعمق ونفسه اخصب ، اما معلم المهندس فخياله انشط وازهى . لكن قلب كل منهما كبير وكبير وفي الوسع نظير .

اما الجزء الثاني ، وهو الاهم ، فيكون ثلثي الكتـــاب حجما ، ويشتمل على عشرين فصلا ، كثـيرة الشبـــه بفصول « النبي » ، كل فصل يعالج ناحية او اكثر مـــن حياة الانسان وعواطفه وافكاره وفنونه : الحياة ، ضحايا شريعة الانسان ، الزواج ، العقل والمعرفة ، الموسيقى ، الحكمة ، الحب والمساواة ، الطبيعة والانسان ، الامـــل والمعـــاد .

فمما يخاطب به ضحايا شريعة الانسان : المسجونين ، الجنود المدفوعين الى ساحات القتال بدوافع طمع الحكام والنساء الجميلات اللواتي يسقطن فريسة لغلمة الاثرياء، الشعراء المنسيين من بني جلدتهم ، قوله : «.. فاطمئنوا ايها الضعفاء ، اذ هناك قوة كبيرة خلف هذا العالم المادي قوة كلها عدل ورحمة واشفاق ومحبة .

« انتم كشجرة عارية ، احنتها ثلوج الشتاء ، سيحـل الربيع ويكسوكم بحلته الخضراء ، وستزيح الحقيقة نقاب الدموع الذي يحجب ضحكاتكم . اني اخذكم نحوي يـا اخوتي المضطهدين ، اني احبكم وازدري ظالميكم . »

ومما يقول في الزواج : « هو اتحاد شيئين علويـين نيلد الثالث على الارض . انه اندماج روحين بحب عارم لازالة التباعد .. انه الحلقة الذهبية فى سلسلـة ، اولهـا نظرة واخرها الابدية . هو الغيث النقي من سماء طاهرة لتخصب وتبارك حقول الطبيعة القدسية .

فكما ان النظرة الاولى من عين الحبيب كبذرة تذر في القلب البشري ، والقبلة الاولى من شفتيها كزهرة عـلى شجرة الحياة ، فما اتحاد الحبيبين في الزيجة الاكالثمرة الاولى لاول زهرة من تلك البذرة . »

وقوله في ابدية الانسان : « مثل عمود من نور ، لمحت الانسان منتصبا وسط اطلال بابل ونينـوى والاهـــرام وبومبي ، وفي وقفته انشد نشيد الخلود :

« لتأخذ الارض ما لها

« فانا الانسان ، ليست لي نهاية . »

وعن العقل والمعرفة قال : « عندما ينطق العقل،اصغوا اليه ، تكونوا في امان . انتفعوا من منطقه ، تكونوا في درع . لان الله لم يمنحكم احسن من العقل دليـلا ، ولا اقوى من العقل حصنا .

ولكن اذكروا انه ولو كان العقل بجانبكم ، فهو غيـــر مجد من دون عون المعرفة . فمن دون شقيقته المعرفـة، يكون العقل كأملاق دون مأوى ، والمعرفة من غير العقل، كبيت بلا حارس . وحتى الخير والمحبة والعدالة قليلـة النفع اذا لم يكن ثمة عقل ايضا . »

وقد راقني منه بصورة خاصة فصل عنوانه«المدينتان»، فترجمته كاملا : « رفعتني الحياة على جناحيها واقلتني نحو قمة جبل الشباب ، ثم اومأت واشارت الى خلفها . تطلعت الى الوراء ، فلمحت مدينة غريبـة تصاعد منهـا دخان قاتم عديد الالوان ، ينتشر ببطء كأشباح . وكادت غمامة رقيقة تحجب المدينة عن ناظري .

وبعد هنيهة صمت ، هتفت : ما هذا الذي ارى ايتها الحياة ؟ فاجابت الحياة : هذه « مدينة الماضي » . انظر

الى الـــدواة

●

أمطري، يا دواة، في كلِّ أرض ، واسكبي رحمةً ولطفاً وحبا
أنت بحر الإلهام في جانب الطرس ، ــ ولله حين جاش وعبّا !
أنت أمُّ الغيوث ، بورك فيها ، لم تدع في جوانب الأرض جدبا
أنت حُقَّ الثذا » وفي كلِّ فجٍّ ناشقٌ يحمـد الذي منـك هبّا
أمطري في العقول ، ليس غمام ، أو حياض ، أعمَّ خيراً وخصبا
وأمدِّي الأحباب في لوعة البعد، وسيلي لهم حنينـاً وعتبـا
وابخلي ، يا دواة ، بالنُّقط السُّود ــ على كاتبٍ يسطِّر كذبا
وأفيضي مدادك الصفو للسِّلم ، ــ وغيضي لمن يخطِّـط حربا
واجعلي الناس في المداد سواءً ، وأقيمي لهم في البعـد قـربا

امين نخلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليها وتأمل ، ونظرت الى المشهد المـدهش ، ولاحظت اشياء ومشاهد عدة : قاعات مشيدة للعمل ، قائمة كالمردة تحت اجنحة النعاس ، معابد من الكلام ترفرف حولهـا ارواح تصرخ يائسة وتنشد اغاني الرجاء في آن معـا . رأيت كنائس شيدها الايمان وهدها الشك . تطلعت نحو منائر الفكر ترفع مشاهديها مثل اذرع السائلين الممدودة، وشاهدت شوارع الرغبة ممتدة كالانهار عبر الوديـان، ومخازن الاسرار يخفرها حراس الكتمان، وتسلبها لصوص الافشاء ، ابراج القوة اقامها البأس وهدمها الخـوف . مزارات الاحلام ، زخرفها الرقاد وحطمتها اليقظة . اكواخ مهملة يسكنها الضعف . جوامع الانفراد ونكران الذات ، معاهد العرفان مضاءة بالذكاء ، ومعتمة بالجهل ، وحانات الحب حيث العشاق سكارى وحيث الخواء يسخر منهم، ومسارح على الواحها مثلت الحياة مسرحيتهـا ، وحيث الموت يختتم مآسي الحياة .

هكذا هي مدنية الماضي ، قصية في الظاهر ، دانية في انواقع ، وتبدو ــ و لو بجهد ــ من خلال الدخان القاتم .

ثم استدارت نحوي الحياة وقالت : اتبعني ، لقد مكثنا هنا طويلا . فأجبتها : الى اين ايتها الحـياة ؟ اجـابت الحياة : اننا ذاهبان الى مدينة المستقبل فقلت : الا رفقا بي ايتها الحياة . فقد كللت ، وبليت قدماي وفـارقتني قـــوتي .

لكن الحياة ردت : سر قدما يا صديقي . فالوقـــوف جبن . انه لمن الخطل التطلع ابدا الى مدينة الماضي . ها انظر فمدينة المستقبل تومىء » .

هذا ما شئت وما هو بمقدوري تقديمه الى القـارىء العربي ضمن هذا المجال عن هذا الاثر الجبراني الجديد ، وهو بالنسبـة الي بعض واجب في عنـقي ، كالـواجب المفروض على التلميذ تجاه معلمه .

بغـداد **يعقوب فرام منصور**

جوليا طعمة دمشقية

بقلم نسيم نصر

•

عاشت حياتها مسترفدة قول الشاعرة الاميركية « املي دكنسون » : « ان الجندي الذي يعيش بعد المعركة لايدرك معنى الانتصار بقدر ما يدركه رفيقه الجريح ، وهو يعالج سكرات الموت ، ويسمع صوت البوق من بعيد ، ويعلم انه لن يعود الى آله وصحبه » .

وقد كانت ترى « ان لذة الحياة في الرغبة في العمل ، وان السعادة الحقيقية هي في الاجتهاد والعمل ، وفي رغبة القلب في بلوغ ما لا ينال » .

انها امرأة من البناءات القليلات اللواتي كن بحق انرائدات الى الغد النسوي الافضل . كان طلوعها على الحياة صبية تنهل من منابع المعرفة ، وتضج في ذاتها قوى انسانها المتحفز الى امر كبير . فاذا بها ، وهي في حدود العشرين ، توطىء المنابر للمراة في بلاد ، كانت انئذ ، فضيلة المراة الكبرى فيها الاستخفاء عن العيون والضن بالكلمة على الاسماع ، ولا سيما اسماع الرجال . ففي عام ١٩١٠ تعاقبت كلماتها باكورة خطابية معجبة ، على منابر في بيروت وطرابلس وبحمدون . اما الخطبة التي احدثت تأثيرا بالغا وخلقت في دنيا المراة ، في لبنان ، امرا بكرا ، فهي خطبتها في حفلة جمع التبرعات لاتمام بناء مصح للمصابين بداء السل ، تلك الخطبة التي تجلت فيها موهبة جوليا المنبرية رائعة ، وتألقت بين حروفها انسانية صاحبتها صافية خلابة .

ولقد جاء في اعقاب هذه الجراة الخطابية ، ان تعرف اليها بدر دمشقية سنة ١٩١٣ معجبا بخلقها وادبها ، فوصل حياتها بحياته بواصل الزواج ، فكان زواجهما ثورة على التقاليدوتمردا على واقعالتفريق بين مسلم ومسيحية.

وهاكم بعض ما قالته احسان دمشقية في هذا الزواج :

« اجل كانت جوليا في زواجها هذا ثائرة متمردة لانها ادركت ، ببصيرتها الحادة ، ان الاسرة المثالية ، التي تجمع بين الرجل والمراة ، تقوم على الحب والاعجاب والاحترام المتبادل ، وعلى الشعور بضرورة توريث ثقافتهما وعاداتهما الطيبة الى ابنائهما، وقد كان هذان المبدآن مفقودين في الاسرة اللبنانية ، حيث ينفتح العقل من جانب الرجل ولا ينبلج من جهة المراة لانعدام شخصيتها التام» . .

«فهمت جوليا انها المسؤولة عن حياتها ، وهذا يعني انها مدعوة الى ان تبنيها كما تريد هي ، لا كما يريد الرجل . وقد كانت ايجابية وجبارة في تمردها ، جبارة لانها احتجت باعتبارها انسانا على الحالة التي اناخها المجتمع اليها ، وايجابية لانها لم تثر لاجل الثورة فقط بل سلمت لبنات جنسها مشروعا تقويميا رسمت فيه الخطوط الاساسية لحياة زوجية شرعية » .

ومضت جوليا في النهوض باعباء الامومة نهوضا مضطلعا بمسؤوليات العائلة الى اقصى ما يكون الاضطلاع الفاضل الحصيف . ولكن معاني رسالتها الزاخرة في قرارة نفسها وصميم وجدانها ، لم تلبث ان خرجت الى دنيا المراة مهام اجتماعية واعمالا صحفية ومساهمات خيرية . فهنا التفاف في نخبة من النساء عرفت بـ « جامعة السيدات » ، وهناك مساهمة في اعمال خيرية ، وهنالك منابر صحفية تنشر فيها رسالتها عظيمة الاثر جليلةالقدر.

ففي عام ١٩٢١ انشأت جوليا دمشقية مجلة اسمتها « المراة الجديدة » جسدت فيها اراءها ونصائحها وتعاليمها حروفا وضاءة جعلت عنوانها : « الامة نسيج الامهات فعلموهن وهذبوهن لينهضن بكم الى اوج السعادة والمجد ». وعرفت القارئات في « المراة الجديدة » مدرسة تدخل البيوت بشكل مستحب وروح قوية ، وعرف القراء فيها صوتا مؤذنا بدخول المراة معركة الحياة دخولا واعيا حكيما. ومن اخذ بين يديه ، اي عدد من اعداد هذه المجلة وقع فيه على مادة صحفية بالمعنى الحديث لصحافة الفكر والاجتماع والتربية . والمقال الافتتاحي الذي كانت تكتبه جوليا « الى ابنة بلادها » ، في مراتها الجديدة ، كان دائما حقل اختبار ومعرفة يجني منه المطلعون عليه الثمار التي تحسب من صميم غذائهم ، ويعرفون فيه التوجيهالصحيح لنساء الغد ، الذي كانت الادبية الاجتماعية تدعو اليه . جعلت عنوان افتتاحيتها الدائم : « الى ابنة بلادي » ، واذا خرجت عن هذا العنوان فلكي تكتب الى ابن بلادها . ولعل خير ما نجتزئه في هذا الصدد ، هو بعض ما ورد في عدد تشرين الاول سنة ١٩٢٤ .

قالت بعد اخذ ورد : « انني متفقة كل الاتفاق في الرجل العصري والمراة العصرية ، واعتقد مثلك انه يلزمنا تغيير تدريجي في الاخلاق والعادات ، مع الاحتفاظ بكثير من القديم المفيد الذي لا غبار عليه ، ثم انني مثلك لا اريد الطفرة بل جل ما ابتغيه تحطيم القيود الجائرة التي قيدتني بها تقاليد الجهل لاتتمتع مثلك بحرية الوجود . واكتفي ان تحسبني روحا لا متاعا . اكتفي ان تعتبرني مخلوقة حساسة ناطقة لا بهيمة . اكتفي ان امشي واياك الى الحياة السعيدة مشي الشريك مع الشريك .

انا لا اريد ان انازعك الرئاسة . هي لك ولتبق لك،فان نصيبي من الواجبات ، في الحياة العائلية ، لا يسمح لي بالتفرغ لها ولشؤونها . ولكن دعني اشعر اني جزء منك واقنوم ثان لك ، لا متاع تتصرف به مستبدا كيف شئت ، ولا جارية لم اخلق الا للمطبخ والبيت والخدمة والامومة .

ان الامومة من اقدس واجباتي ، وخدمة عائلتي من اطيبها على قلبي ، ولكن دعني احس ان لذلك قيمة في عينيك ، وانك تقدر مجهودي الجسدي والعقلي قدرهما ،

وتدرك انهما لا يقلان عن مجهودك فى الشؤون الاخرى .

اطلب منك هذا . واطلب منك ان تتذكر ان لي عقلا لم يهبنيه الله عبثا ، ومن العدل ان يناله من التهذيب ما ينال عقلك ، وان يفكر ويدرك كما تفكر وتدرك .

انا اطلب منك أن تساويني بنفسك بقدر ما تسمح الطبيعة بذلك ، ولست طامعة قط بالتفوق عليك ، ولكن اذا وفقني الله الى ما يفضل فكرك او عملك او تدبيرك أرجو منك ان لا تبخس مجهودي حقه لمجرد صدوره عن امرأة ... » الى ان قالت :

« أن اقصى ما نطلبه ، نحن النساء ، هو مساواتنا بالرجل فى كل ما يؤهلنا له تكويننا العقلي والجسدي واعتبارنا نفوسا حية لا متاعا » .

ولكي تلم باكثر من ناحية لنشاط هذه المرأة الصحيحة النظرة الى الحياة ، السليمة القوى الادراكية للخوض فى مشاكل العائلة والمجتمع ، على الرغم من المرض الذي اقعدها طريحة الفراش مدى ربع قرن ، لا بد لنا من ان نورد لها مقتطفين من رسالتين : اولاهما الى ابنتها ، وقد بلغت الثامنة عشرة ، والثانية الى حفيدها ، وقد بلغ السابعة عشرة .

قالت تخاطب ابنتها بعد ان اوصتها بالحفاظ على حدود الاداب الجنسية فى شيء من التشدد والالتزام :

هذا لا يعني اني اريدك ان تبعدي عن معاشرة الرجال الادباء ومحادثتهم ، كلا ! بل بالعكس فاني اود من كل قلبي أن تنعمي بالحرية التامة ، وقد دخلت السن التي تؤهلك لذلك ، ونلت من التربية والتعليم قسطا يؤهلك لهذه الحرية . وتأكدي ، يا سلوى ، ان الروح القوية والنفس الابية لا يمكن الا ان تسطو على محدثها او من يقترب اليها ، فشعاع الاخلاص الممزوج بالادب والحشمة لا يمكن ان يختفي او يخفى حتى لدى العميان او الاشقياء .

علمي بنات جنسك ان الحرية الادبية المسلحة بالعفة لهي لذة الحياة كلها . لا تخافي ان تضعي يدك فى يد اي رجل حتى ولو كان شقيا ، فبقوة شخصيتك وسمو اخلاقك يجب ان ترفعيه الى السماء العليا ولو للحظة واحدة فى حياته » .

وقالت فى خطاب حفيدها : « انك ولا شك ، على علم ان نشاط الشباب كان وما يزال مغريا ، كما انه رجاء الكون ، ومطمح انظاره ، ولكن علينا بنفس الوقت الا يغيب عن اذهاننا ما يرافقه من اساليب اللهو والعبث ، والملذات الجسدية والمادية التي تطوح بالعدد الاكبر من شباب اليوم ، فتعمي ابصارهم لدرجة توهمهم بانهم ، هم وحدهم ، اسياد نفوسهم ومصيرهم ، وان لهم الحق للعب من جميع موارد الحياة ، غثها وسمينها دون رادع او رقيب ، وهم يحسبون ان الدنيا وما فيها وما عليها تحت اقدامهم . وهكذا تتضافر ، كما هو يجري اليوم ، جميع المغريات وما اخطرها ! لانتزاع الشباب ، من بيئته الصالحة ومما يكمن فى اعماقه من ميول صالحة الى مهاوي الغواية والفساد!!! »



جوليا طعمة دمشقية

•

ولعل خير ما نختم به تعريفنا بهذه الاديبة المصلحة مقتطفات مما قالته فيها كنتها الانكليزية قرينة الاستاذ نديم دمشقية :

« منذ اللحظة الاولى لالتقائنا بدأت علاقتنا وصداقتنا ، وتعلمت منها اثمن دروس حياتي ... فآمنت بالانسانية وبالمرأة وبالشرق ، لا كخرافة ، ولكن كحقيقة .

علمتني حماتي سر الشرق الاكبر ، وهو الايمان ، الذي تحرك الجبال حبة خردل منه . فان حماتي ، وهي فى السبعين من عمرها ، ومقعدة فى سريرها ، لا تزال شعلة من الحيوية والنشاط ، تقرأ وتكتب ، وتملي رسائلها ، وتتابع اخر الحوادث وترسل فى طلب احدث الكتب والمؤلفات .

وقد عرفت من حماتي ، ما لم يعرف ، عن قصة كفاح المرأة الشرقية وتضحياتها ... وبذلك عرفت ان كل نساء الشرق لسن مثل شهرزاد ، وان رجال الشرق ليسوا ايضا مثل شهريار » .

هذه امرأة من لبنان كانت مدرسة لجيل ورائدة لنهضة ، وقدوة زوجية وادعة الجانب رفيعة الصفات .

نسيم نصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مساء صوفي

كم احب الارتماء
بأساي المستفيق
عند شلال عميق
حينما يبكي الضياء
بدموع من لهيب
في جنازات المغيب

آه ما اقساك يا موت النهار
بين اكداس الصور
وتهاويل الرموز !
آه ما احلى الفرار
من كآبات الضجر
عندما يزحف في الشرق القمر
وسط امواج الضباب
كسلحفاة عجوز !
آه ما اشهى الفرار
عندما ينعق بوق الذكريات
كغراب
في كهوف الامنيات
جارحا قلبي ، وصمتي ، والمدى
بصدى عمر سدى!

قلق مستغلق يمتص اعصابي الفتية
فبقلبي مثل رعشات واهات العشيه
وهي تذوي كالورود
قلق يسأل عن معنى الوجود
عن اساطير الخلود
عن غيوم سربلتني بالجحيم
عن قيود كبلتني من قديم
منذ ان ضعت على هذا السديم

آه لو اني ضوء لا يزول
يحمل الدفء الى ثلج الحقول
والطمأنينة والفجر الى ليل العقول
آه لو اني روح ! آه لو اني فكرة
كالشذا ، كالشمس حره
ترتمي شوقا ، واياسا ، وطيبه
بين ارواح وافكار حبيبه
عند جزر ناضرات لا تعد
فوق بحر ابدي لا يحد
تحت افق فرحي ، كل لون فيه باسم
يتهادى بالنسيمات النواعم
حيث تحلو لي ، كطير البحر ، اجواء الشرود
حيث لا يأس ولا فقر ولا موت يرود
حيث شط الخلد ازرق
في رؤى الاحلام يغرق
ويعطر الفرحة البيضاء يعبق

عاجزا ما زلت امضي
واغني في السواد
ملصقا قلبي بأرضي
واناشيدي حداد .
عاجزا ، ما زلت اهوى الانقياد
للدجى ضلعا فضلعا
والنجوم الصفر تسعى
عبر مجهول الرماد
واحاسيسي صلاه
تشتهي
لو تنتهي
عند الاله .

دمشق

كمال فوزي الشرابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليوم الثالث

بقلم حليم بركات

* * *

الصمت في الشوارع الضيقة . ابواب الحوانيت والمتاجر تنغلق فتتجاوب اصواتها الحديدية الجافة الصدئة . موكب الموت سيمر بعد نصف ساعة في وسط دير البحر . لاول مرة يشاهد تسعة نعوش تحمل معا . الناس يتجمعون على الرصيف ليتفرجوا على الموت . هو مثلهم سيتفرج على الموت . كان نائما بعد مغامرته مع لمياء عندما كان اصدقاؤه يواجهون الموت ليلة امس بعد ذلك فكر ان يهرب . لقد لامست اصابع لمياء الوتر المجهول في نفسه . لم يعرف حتى الصباح ان تسعة منهم قد استشهدوا . الخشوع يملأ الوجوه . الرهبة تملا العيون. ويقف على الرصيف ينتظر موكب الموت . مثل بلاط الرصيف ينتظر ، مثل ذلك الطفل الذي يلعب هناك وكان شيئا لا يحدث في العالم. منذ برهة مرت في باله ناهدة .. فتمنى ان يصادفها هنا وان لا تكون ليليان قد سلمتها الرسالة . لماذا كتبها ؟ لماذا يقف على الرصيف ؟ ماذا يفعل ؟ ينتظر ليتفرج على الموت . تركهم يحملون الاسلحة في الجبال الوعرة وجاء باكرا الى دير البحر ليرى ناهدة .. يعيش مع جسد لمياء .. ليفكر بالهرب .

وسمع صوتا مبحوحا يصرخ بالناس ان يذهبوا لملاقاتهم في اول البلد . ويظل يحدق بمصدر الصوت عجوز يتجرجر على عصاه، سرواله العتيق يتجرجر معه كذلك . وجهه الاسمر المكتنز بالتجاعيد وشارباه الكثيفان المغبران . ان لدير البحر وجها . الجذور تغور في الارض . ويمشي مع الناس . في بحة صوته عالم غريب من الحنان والمحبة . ويحس كأنما جسده يتقلص ويرتجف ويبرد فينتصب شعر جسده . كأن تيارا حرك وجوده . لا شيء يفصله عن العالم الان. انه ملتصق بالرصيف والناس والموت وعصاة الرجل العجوز ووجهه المكتنز بالتجاعيد . جذور الوادي الجنوبي . ترتفع في اذنيه ضحكاته وهو يروي حادثة طريفة .

يسير مع جموع الناس المتدفقة بصمت نحو اول البلد . عبد الجليل مهموك يروح ويجيء . يريد كل انسان ان يراه . يقتربون من الموت يقتربون من البحر . الغيوم تتصاعد الى قلب السماء . غدا تمطر . هذه الوجوه غيرها في اي وقت اخر . انها هادئة شاحبة متأملة يغمرها الحزن المغسول بملح البحر الصاعد مع الغيم الى قلب السماء الهابط مع المطر الى جذور الارض . وجوه اغلقت فيها ابواب المحلات التجارية. المعاني تصخب فيها بهدوء . انها تلتصق بالضمائر . ترى يرى ناهدة فجأة بين هذه الجموع ؟ كيف يكون وجهها ؟ لا يود ان يراها . يود لو يراها . اصوات تتجاوب في هيكل صدره وفي وجوه الناس حوله . وعجب انها تؤثر به .. تمس شيئا مجهولا في ادغال وجوده ؟ لايستطيع ان يهرب من ثقافته . تعلم ان يحس بمسؤولية تجاه العالم ! لماذا ؟ هل يستحق ؟ كذلك تعلم ان يعيش بانحلال. ويرتفع صوت من اصوات المجاهدين يجلجل ثانية : صفوف الى جانبي الطريق .

وبدأ الناس يصطفون . فؤاد وعبد الجليل في الصف المقابل . عبد الجليل ما زال يحمل بندقيته يروح ويجيء . الصفوف تنمو وتمتد ويرتفع الصوت : لا تتركوا الصفوف حتى يمر الموكب .

وتبدو طلائع الموكب . فرقة من المجاهدين تتقدم بسلاحها الكامل . مازالوا في لباس المعركة . البنادق ترتفع بكبرياء والرصاص يلف الصدور نبضات قلبه تسرع . عيونهم تحدق في البعيد . لا شك في افاقها ، مؤمنة مصممة مقاتلة . لا يرى عيني نفسه . انها بلا ضجر على الاقل . تتطلعان بالموكب . اكاليل تتقدم خطوطا بعيدة . فرقة ثانية من المجاهدين تطل . البنادق ترتفع

هذا فصل من رواية بعنوان « ستة ايام » تصدر قريبا في بيروت . تتناول الرواية حياة بلدة رمزية اسماها المؤلف « دير البحر » تواجه عدوا من الخارج- انها تقف امام الموت والاستسلام - كل ذلك في جو من الرعب والتحدي والبطولة والضجر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتقام امرأة

قفي مـــا كفاك ، قفـــي
كـأن جبـــالا هـــوت
ألـم تعرفـي هـول مـا
نـزلت بكلتـا يديـك
فغلغـل فيـه السنـان
فـواهـا لـه نـازفـا
وواهـا لـه دافقـا
لقـد كنـت اولـى بـان
وان تـنصفي ان خـلا
ليهنيـك انـي انحنيت

رميـت ولـم تـأسفي
جـذاذا عـلى موقفي
جنيـت ، الـم تعرفـي
على القلب كـي تشتفـي
وكـف ، ولـم تكتفـي
علـى جنبـه المتلـف
بـاناته الـمـذرف
ترقـي وان تعطفـي
زمانـك مـن منصف
مـن الالـم المسرف

الاسكندرية

احمد محمود عرفه

بكبرياء والرصاص يلف الصدور . ايدي الناس مسبلة كالبنادق والعيون تبرق كالرصاص . اكاليل جديدة تتقدم خطوطا بعيدة . اطل النعش الاول يرتفع على الايدي . من هو؟ لا يدري . النعش الثاني . النعش الثالث .

رعشة في صدره . جسده يقشعر . شيء ما يخطو في قلبه.. في عروق صدره .. في حلقه . غيمة تتصاعد الى سماء عينيه. حلقه ينقبض. النعش الرابع يظهر. النعش الخامس فالسادس وتبرق الدموع في زوايا عينيه . تنحدر ببطء وهدوء. تنحدر بسرعة . يداه مسبلتان . جبهته تنحني . التراب بلون الغيوم. ويطل النعش السابع فالثامن فالتاسع .

تنهمر دموعه .. تلتصق بخديه وجفونه وولولة النساء على الشرفات ووجوه البعيد الدافىء . قلبه يهبط الى عالم سحيق عميق قاتم حالم نبيل في صدره . النعوش ترتفع نحو ولولة النساء .. تهبط ،ترتفع. تهبط ، وتميل الى اليمين .. تميل الى اليسار . ثم ترتفع الى الزهور المترامية من الشرفات والنوافذ والسطوح .. تهبط .

وتسير صفوف الناس خلف النعوش . رؤوس منحنية بصمت ، والاقدام تترامى على التراب بألم وبغير انتظام . يسير معهم بألم ويود لو يسير بانتظام .

انحاد الموكب نحو الهضبة الجنوبية يسار في الزقاق الضيق . توقف . وصلوا الى المقبرة . مكان جديد لم يقبر به احد من قبل . هذه التلة للشهداء فقط . العالم هادىء مثل سنابل القمح المليئة بالحبوب . ويغمض عينيه . ينفصل عن كل شيء يتحد بكل شيء .. ليته ..

ايها الشهداء .

والتفت الى حيث ارتفع النداء . فريد يقف على صخرة صغيرة تشرف على الناس والقبور . يحيط به عدد من وجهاء البلدة . بينهم عبد الجليل برهة من الصمت تمر قبل ان يرتفع الصوت ثانية متقطعا مخنوقا متوثبا، ايها المجاهدون ، ايتها البطولة التي انتصرت على الموت ، اننا هنا نحتفل بانتصاركم .

وينطلق الرصاص دراكا من رشاش : رصاصة . اثنتان . ثلاثة. اربع . خمس . ست . سبع . ثماني . تسع . فتجاوب اصداؤها الرهيبة في الوادي وصدور الناس. رهبة غريبة ترتفع في اعماقه وتتوثب فجأة بلهفة عندما ينطلق الرصاص رشا فينجرف فى تيار يرتفع به .. يهبط . وتتوقف الطلقات فيتتبع اصداءها البعيدة التي تخفت .. تخفت .. لا تتلاشى . انين مكتوم يقبل من فوق البحر .

ايها الشهداء .. انتم البرهان الاكيد على اننا نستطيع ان ننتصر. فينا من يعرف كيف يموت ببطولة. واسمى ما يمكن ان نعاهدكم عليه اننا سنخوض المعركة الاخيرة مهما كان الثمن

وينطلق الرصاص دراكا .. رصاصة .. اثنتان .. ثلاث .. اربع .. خمس .. ست.. سبع.. ثماني .. تسع . ثم رشا يجرفه في تيار يرتفع به .. يرتفع ويهبط فجأة عندما تتوقف الطلقات فيتتبع اصداءها البعيدة تخفت ..تخفت.. لا تتلاشى .

ويرتفع صوت فريد : انتم تعبير رائع عن الحرية .. فقد تحررتم من الانانية وانطلقتم الى قمة الانسان فينا ..

وادرك سهيل انه لم يكن يصغي. يلاحق افكاره المتشابكة ويجد انه بدأ يشق طريقه بهدوء بين كتل الناس. داس قدما حافية . صرخ :

ـ اسف .

لا يدري الى اين . يريد ان يبتعد فقط . لماذا يحس بالضياع كلما وجد نفسه يسمع خطابا . لما ينفر ؟ انه يكره ان يضيع في المجموع . واسرع عندما اخترق الكتل البشرية . لماذا يسرع ؟ الى اين ؟ لا يدري . يحس احيانا بشوق الى الفجر. لايستطيع ان يعيش بلا ضجر . لا يستطيع ان يعيش مع الضجر . الرصاص ينطلق دراكا فتتجاوب الاصداء في الوادي وهيكل صدره

يسرع لا يدري الى اين .

حليم بركات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



روحية القليني

صلاة قلب

●

ادعوك في جنح الدجى رباه ... والناس تنعم في سنا الاحلام
ادعوك ساهرة تسيل مدامعي ... فوق الوساد دعاء الاسترحام
ادعوك هل لي غير نورك هاديا؟ ... حار النهى وتعثرت اقدامي !
انت الذي الهمتني وهديتني ... فمشيت في دنياي بالالهام
كم ذا لجأت اليك اشكو حيرتي ... ومتاعبي من قسوة الايام
فبعثت نورك يا الهي راحما ... ومحوت بالنور الرحيم ظلامي
وبلمسة قدسية علوية ... انقذتني من حيرة الاوهام
هل يرحم الناس الضعيف كرحمة ... وسعت جميع الناس بالانعام ؟
هل يغفر الذنب الكبير سوى الذي ... خلق الحياة تطيف بالاجسام؟
هل لي ملاذ غير حصنك خالقي ... اسعى اليه بلهفة وهيام
اسعى اليه ولي رجاء ملهم ... وصلاة قلبي شافع وصيامي
وتبتلي لك وابتهالي في الدجى ... بدموع ايماني وهمس كلامي
اني لجأت اليك وحدك سيدي ... من لي سواك ابثه آلامي ؟!
ما الناس ؟! ان الناس وهم باطل ... انت الحقيقة ، ملجئي ومرامي
يا رب انهمو سراب خادع ... ما لي الوذ بهم وانت امامي ؟!
تقسو الحياة وليس غيرك راحما ... وتصون ماء الوجه في اكرام
واذا مرضت فقدرة علوية ... تشفي جراحاتي ومر سقامي
واذا عجزت عن المسير تمد لي ... يدك الرحيمة آخذا بزمامي
واذا تعقدت الامور تلهفت ... عيناي للنور البهي السامي
فلحظتني بعناية ورعاية ... واعدت لي صفوي وعذب وئامي

مصر الجديدة — روحية القليني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



وديـع فلسطين

وديـع فـلسطـين

بقلم انور الجندي

الاستاذ وديع فلسطين : كاتب خطب الانتاج ، موفور الثقافة ، عميق اوجه الفكر ، من ابناء تلك المدرسة الوسطى التي تجمع بين القديم والجديد وثقافة الشرق والغرب على هدى وبصيرة . وقلمه لا يتوقف عن الانتاج رلا يكف هو عن العمل في ميدان الفكر العربي باصالة وايمان وعمق . يكتب في الصحف العربية والافرنجية . ويؤلف الكتب . ويترجم الابحاث التي تحتاج اليها ثقافتنا العربية في هذه الفترة الدقيقة من حياتنا الفكرية التي تحتاج الى مزيد من جهود المفكرين والباحثين .

وقد صدر له اخيرا في القاهرة كتاب عن فن من فنون الصحافة لم يترجم فيه من قبل ، على كثرة ما ترجم عن فنون الصحافة المختلفة في الفترة الاخيرة . ذلك هو (استقاء الانباء فن) حيث يرسم الكتاب المبادىء العامة لاستقاء الانباء وروايتها وتحريرها ويضرب الامثلة العملية لتطبيق هذه المبادىء .

والكتاب يمتاز بانفراده بالبحث عن « فن الانباء . وصناعة الخبر » وهو ليس اول ما ترجم الكاتب ، الذي عني من قبل بترجمة عدد من الكتب في فنون مختلفة لعل ابرزها ترجمته لمسرحية « الاب » للكاتب السويدي اوجست سترندبرج كما ترجم عددا من القصص والفصول التي نشرتها الصحف خلال خمسة عشر عاما وان لم تجمع بعد في كتاب .

ووديع فلسطين « مفكر » منوع الخصائص ، متعدد الجوانب . وهو هنا مترجم بارع قد احاط باللغتين العربية والانجليزية احاطة دقيقة . قد اتيح له حظ وافر منهما يوحي بالاطمئنان الى قدرته وعمقه ودقته في نقل منطوق الاثار التي يترجمها مع المحافظة على روح كاتبها واتجاهاته . وهو واحد من مترجمينا المبرزين الذين استطاعوا ان يترجموا الى العربية ومنها في سهولة واضحة .

ويرجع هذا في الاغلب الى انه واحد من ابناء «مدرسة المقتطف » هذه المدرسة البعيدة الاثر في تاريخنا الادبي المعاصر ، والتي حملت لواء ترجمة العلوم والاثار الفكرية الى الادب العربي خلال ثمانين عاما . فقد اتصل منذ صدر شبابه بالاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير المقتطف ـ ومحرره مع عمه الدكتور يعقوب صروف ـ خلال اكثر من اربعين عاما . ولعل اتصاله في مطلع شبابه بمدرسة المقتطف هو الذي رسم مخطط حياته الفكرية الى اليوم والى امد طويل . ولعل هذا هو الذي كون له هذه الثقافة المنوعة الممتزجة القائمة على ذلك الاسلوب التقريري والتي تجمع بين الكتابة في الادب والاقتصاد والعلم ومسائل الفلسفة وعلم النفس .

واذا كنا الان في صدد كتاب وديع فلسطين المترجم فانه من الخير ان نعرض لمذهبه في الترجمة الى اللغة العربية كما رسمه في كتابه (قضايا الفكر في الادب المعاصر) ويتلخص في « ان باب الترجمة مفتوح على مصراعيه . ليس عليه حراس ولا عسس يلجه كل من شاء دون ادنى تجرح او تردد . والكتب الغربية الجديدة والقديمة محيط لا قرار له . وهي بمادتها السمينة تغري لا بالقراءة وحسب بل وبالترجمة ايضا » . ثم هاجم الترجمات الركيكة التي لا ترتفع الى المستوى الشافي شكلا وموضوعا . والتي تبدو عليها سمات العجمة وتشويه اخطاء في النحو والصرف مما يورث عدم الثقة في الكتاب المنقول . كما ندد باختصار الترجمات اختصارا يبعدها عن استيفاء شرائط الامانة الادبية مما يضطرب معه السياق وبذلك تكتنف الخلخلة جميع فصول الكتاب فضلا عن الاغلاط الخاصة بالاسماء والاشخاص والاماكن والمواقع .

ويرد ذلك كله الى فقر في الخبرة اذ انه لا يمكن تملك ناصية الترجمة الا بالمران الطويل سنوات عديدة شأنها في ذلك شأن غيرها من فنون الحياة لا يجيدها المرء الا بالمعاناة والمصابرة والمجالدة . وكذلك يرجع النقص في الترجمات الى افتقار الى الالمام باللغتين اللتين ينقل من احداهما الى الاخرى . وهو يرى في المترجم ان يكون بحرا في لغتين كي لا يتخبط في الفهم وبالتالي في الترجمة . فأول الترجمة فهم . ولا يسع احدا ان يترجم شيئا لا يفهمه فهما صحيحا . والفهم لا يتأتى الا باجادة اللغتين اللتين

يشتغل المترجم بهما . والاجادة لا بد ان تشمل القواعد والبلاغة والاداب واسرار اللغة بل شذوذها . لان لكل لغة شذوذا كما ان لها عبقرية . فالمؤلف الاعجمي حين يكتب مصنفا ، يستعين بالاستعارات والتشبيهات وبالاثار الادبية البارزة في لغته . وبالامثلة الشائعة على السنة بني قومه . وهو في ما يكتب يعكس ثقافات عصره واساليب التفكير فيه وطرائق التعبير الشائعة . وهو قد لايفصح في مواضع لاسباب يرتئيها هو فيلجأ الى الرمز . ويتكلم بعبارات تحتمل معاني متعددة . وكل هذا يجعل مهمة الترجمة مستعصية الا على الذين يجيدون اللغة المنقول عنها اجادة تامة ، والذين يجيدون اللغة المنقول اليها اجادة اتم ، فلا يقوى على الترجمة البليغة الا بليغ في لغته يتحكم فيها كما يتحكم الطبيب في مبضعه .

ويرى : ان عيب الترجمات الحديثة هو افتقار المشرفين عليها الى ما يمكن تسميته « بالضمير الادبي » فالمترجمون يبيحون لانفسهم حقا لا منازعة فيه في التصرف بالكتاب المنقول كيفما يطيب لهم . ومن ثم صارت اعمال الكتاب نهبا للعابثين من المترجمين الذين لا يرعون حرمة الضمير الادبي .

ويرى : « أن الترجمة المعتمدة هي الترجمة الكاملة الامينة التي تضيف الى المتن شيئا ولا تحذف منه شيئا. والتي يسمو بها المترجم اسلوبا ومنهجا وتعبيرا وتدقيقا، فيحكى الكتاب في لغته الام » .

ويرى انه من الضروري ان يقوم بالترجمة « من هم على درجة مماثلة في التخصص في هذا العلم او ذاك الفن. فكتب الهندسة تترك للمهندسين ومؤلفات الطب للاطباء وهكذا ... »

ويكتب وديع عن خبرته في الترجمة فيقول : « لكي يكون المترجم مجيدا يحسن ان تكون الترجمة هواية وعملا في آن . ويحسن كذلك ان يكون المترجم نفسه اديبا ذواقة يجري قلمه على الطرس لينا منصاعا ، له حصيلة كبيرة من مفردات اللغة ومترادفاتها وله حافظة تعينه على اختيار العبارات الملائمة في الموضع الملائم » . ويرى ان غاية ما يطلب في الترجمة هو ان يجيء العمل المنقول صنوا للعمل الاصيل وندا له وكفؤا . ويرى وديع : ان الاهتمام في الترجمة ينبغي ان ينصرف الى الكتب التي تعد مراجع ومصادر قبل الكتب التي تعد ترفا ذهنيا

ونستطيع نحن في ضوء هذه الاراء التي قدمها الكاتب وديع فلسطين ان نرجع الى كتابه المترجم فنجده قد حققها على احسن وجه ، وانه كان صادقا في تطبيق منهجه الذي رسمه للمترجم فقد سار على نفس المنهج الذي رسمه . بالنسبة للتخصص حين اختار وهو الصحفي ـ كتابا في فن من فنون الصحافة ـ وانه اختار موضوعا ليس له مراجع في اللغة العربية وقد توافر لكتابه الامانة الادبية وحقق مذهبه في الترجمة الذي يدعو الى ان يكون المؤلف والمترجم على درجة متماثلة في التخصص كما انه قد توافر له في الترجمة ما اشترط من المران الطويل وتملك ناصية اللغتين وفهم دقائقهما و « شذوذهما » .

* * *

ولا يمكن ان ننسى ونحن نتحدث عن «وديع فلسطين» المترجم الذي يعرف حاجات العصر ان نذكر الجانب الكبير من اثره الفكري ، وهو جانب « الكتابة » في ميدان النقد والانشاء والدراسة الادبية . فهو منذ اشتغاله بالصحافة منذ سنة ١٩٤٤ وهو دائب الانتاج والبحث . وقد نشرت له صحف مصر والمهجر وبيروت ودمشق والمملكة العربية السعودية والعراق وباكستان والاردن وفلسطين وتونس والمغرب والكويت والبحرين عديدا من الابحاث والمقالات والمراجعات ، وقد بلغت هذه الاثار الافا متعددة لا ندري متى سيسويها صديقنا كتبا ومؤلفات ينتفع بها من لم يتحقق له قراءتها في الصحف التي نشرت بها .

وربما كان وديع فلسطين يلقى من التقدير في دوائر الادب في هذه العواصم العربية اكثر مما يلقى في القاهرة نفسها ، ولعل سر هذا هو استعلائه عن مواصفات النقاد والكتاب وبعده عن مجالات الشهرة التي تسلط الاضواء على الكتاب الذين يعملون في الصحافة وهم ليسوا في الحقيقة اكثر الكتاب اصالة او اعمقهم اثرا .

وللاستاذ وديع جوانب متعددة لا بد من الاحاطة بها لكي تكتمل صورته الادبية ، فهو متصل منذ وقت بعيد باعلام الفكر العربي ورواده الاول وخاصة مدرسة الشام وكتابها المبرزين امثال خليل ثابت وخليل مطران ونقولا الحداد وفارس نمر ويوسف نحاس والامير مصطفى الشهابي . وله صداقات فكرية قامت بالمراسلة بينه وبين عديد من شعراء وكتاب المهجر العربي امثال الشاعر القروي وجورج صيدح .

ويمكن القول في هذا المجال انه لا يمكن ان يذكر كاتب او شاعر من اعلامنا الا وقد عقد معه صلة فكرية بالمراسلة او باللقاء ـ خلال رحلاته المتعددة الى العالم العربي وامريكا واوروبا ـ ونشأت بينهما صلات فكرية ودارت بينهما مناقشات وابحاث ، تكون عند كاتبنا ثروة فكرية من الرسائل والخطابات .

ولقد اشتغل وديع فلسطين بالصحافة فترة طويلة ولا زال متصلا بها ومع ذلك فان الصحافة لم تستطع ان تجرفه او تجعله ينحرف عن هدفه الاساسي ، كمفكر وباحث . وقد عمل في الصحافة على هذا الاساس ، فقد بدا عمله ربيع ١٩٤٥ كرئيس لقسم الاخبار الخارجية في جريدة المقطم . ثم لم يلبث ان كتب افتتاحية المقطم بدلا من خليل ثابت . واستطاع بقدرته الفكرية ومرونة اسلوبه ، وقراءاته المتصلة ، وعمق فهمه للتيارات السياسية والاجتماعية من ان يملأ هذا المركز الضخم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلدتي الحزينة

من قصيدة طويلة للشاعر لم تكتمل بعد

•

انعام الجندي

اعرف عن بلدتي الحزينة
قصتها ... رواية المأساة في جراحها الدفينة !

اعرف كيف كان في متاهها النسرين
يحكي لجفن الريح ما يخجل من بواحه السكون
والظل في غمغمة الدالية الخجول
يمد للشمس جناحا مترف الذهول
ويشرق الصفصاف بالسقسقة الشرود
تند عن آهة نبع هم بالتغريد

واعرف الثغاء في تأوه المساء
وقمرا يشهق من تنهد الضياء
وضفدعا يهذي وكلبا ضاحك العواء
ونجمة تهرق فوق مذبح السماء
غدائر الشعاع المرهق الافياء
وراعيا يشحذ نايا صابر الدعاء

خلال خمس سنوات كاملة (١٩٤٧ ـ ١٩٥٢) حين توقف المقطم عن الصدور ومع ضخامة هذا الجهد في كتابة الافتتاحية اليومية فانه لم يتوقف عن اعداد بحوث اخرى منوعة في الاجتماع والاقتصاد والادب .

وقد عمل وديع بالتدريس حيث اشتغل بتعليم الصحافة في الجامعة الاميركية ، وواظب على كتابة اسبوعيات جريدة الانذار سنوات متعددة . وكل هذا يدل على طاقات ضخمة في اعماق شخصية هذا الباحث المفكر ، فاذا راجعنا كتابه (قضايا الفكر في الادب المعاصر) وجدنا « الناقد الادبي » لحصاد انتاجنا المعاصر كله ، على نحو من الانصاف لعظمة امتنا وتطلع الى عمل عظيم يليق بمكانة اللغة العربية ، ولذلك فهو قد هاجم الاخطاء والانحرافات التي اصيب بها الادب العربي المعاصر ورسم تخطيطا شاملا لهذه الجوانب يمكن الانتفاع به الى اقصى حد في خلق « ادب عربي جديد » يتفق مع انتفاضتنا القومية الكبرى . وهو في مجموع ارائه معتدل بعيد عن الانحراف لا تجرفه تيارات اللامبالاة الادبية ولا مذاهب الشرق او الغرب ، وانما يصدر عن ايمان بشخصيتنا العربية القوية الملامح التي تفتح ابوابها للثقافات المختلفة لتأخذ منها ما يزيد هذه الشخصية قوة وحياة ويدفعها الى الامام .

فهو غيور جدا على اللغة العربية حريص على عربيتها ينحو باللائمة على التيارات التي تحاول ان تغلب العامية او الشعر الحر . مهاجما في عنف الذين يتساهلون في قواعد اللغة العربية او يزدرونها . وهو في استقامة فكره لا يلبث ان يهاجم الاتجاه الذي دعا الى اتخاذ الحروف اللاتينية وانحى باللائمة على ضعف النقد وانحراف رسالته وقد وصفه بالسطحية والتحيز . ودعا الى التوسع في الترجمة لتغطية القطاعات التي لا زالت في حاجة الى مراجع . وهو في نقده لا يأخذ اسلوب الهجوم اللفظي ، ولكنه يعمد الى موضوعه فيواجهه مواجهة موضوعية ولا يلبث بعد ان يصف الداء ان يرسم صور العلاج ووسائله على نحو يدل على خبرة ومراجعة واحترام للقارىء وعناية بقراءة كل ما كتب في موضوعه قبل ان يتعرض له .

واذا كانت اراء وديع فلسطين في هذا الكتاب لم تدرس على النحو الذي تستأهله الا انها ستظل «علامات الطريق» تهدي كل سائر في ميدان النقد للادب العربي المعاصر .

وبعد ، فهذه صورة سريعة لشخصية مفكر عربي ممتاز ، جمع بين التبريز في ميدان الصحافة والكتابة والنقد والترجمة ، وهي شخصية ضخمة وخصبة ، تحتاج الى مزيد من الدراسات ، وهي ما زالت تشق طريقها الى مكانها الحق ، وما زالت ترتجى منها اعمال ادبية اخرى كبيرة ، تكون بعيدة الاثر في ادبنا العربي المعاصر .

القاهرة **انور الجندي**

ثوب العيد

تمثيلية قصيرة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(حجرة فى منزل متواضع ، الاثاث بسيط ونظيف . الام مسترخية في مقعد مريح تداعب طفلتها الوحيدة البالغة من العمر سبع سنوات الطفلة رقيقة وجميلة وذات شعر ذهبي ، ووجه صبيح، تتألق به عينان بريئتان . وفجأة تبكي الطفلة، وتمسح الام دموعها بمنديلها ،وتضمها الى صدرها بشغف ، وتربت شعرها) .

الام : لماذا تبكين يا منى ؟

منى : (تتعالى جهشاتها،ولا تجيب).

الام : كفى بكاء يا روحي .

منى : (تحاول ان تكف عن البكاء ولكنها لا تستطيع) .

الام : لن احبك اذا لم تكفي عن البكاء.

منى : (تمسح دموعهابيديها ،وتحاول ان تكف عن البكاء) .

الام : هل ضربتك المعلمة يا حبيبتي اليوم ؟

منى : انها تحبني كثيرا لانني احفظ دائما درسي .

الام : اذن تخاصمت مع احدى رفيقاتك .

منى : ابدا يا ماما .

الام : ولكن ما سبب بكائك ؟

منى : (تحاول ان تبتسم) لم ابك يا ماما .

الام : ولكن دموعك لاتزال على وجهك.

منى : (تمسح دموعها بكمها ، وترسم ابتسامة باهتة على ثغرها) .

الام : اريد ان اعرف لماذا تبكين .

منى : انا اريد بدلة جديدة للعيد .

الام : ولكن عندك بدلة ..

منى : انها بدلة العيد الماضي ..وكل رفيقاتي اشترين بدلات جديدة . لماذا انا وحدي لا اشتري ؟

الام : ولكن ثوبك لا يزال جديدا .

منى : قلت لك انه قديم .. وساحبس نفسي فى البيت يوم العيد .

الام : المسألة بسيطة . سنشتري لك بدلة العيد .

منى : (تقفز فرحة ، وتطوق امها بذراعيها ، وتقبلها) صحيح ياماما.

الام : صحيح .

منى : سأتنزه مع رفيقاتي ، واذهب الى المراجيح .. واريد البدلة حمراء .. وكذلك حذاء احمر ..

الام : سيكون لك كل هذا .

منى : (ضاحكة) احبك كثيرا ياماما.

الام : سيعود ابوك قريبا الى البيت ليتناول الغداء . قولي لهليشتري لك هذه البدلة .

منى: (راجفة) لا.. يا ماما .

الام : كيف ؟

منى : لن اكلم بابا .. اريد البدلةمنك

الام : آن بابا هو الذي يشتري لنا كل شيء .

منى : وانا لن اكلم بابا ابدا ..

الام : لا يا منى .. ان بابا يحبك كثيرا

منى : انه لا يحبني .

الام : انت مخطئة .. انه يحبك كثيرا

منى : لن اطلب اليه شيئا .

الام : عندما يرتاح بابا فى غرفته قبليه يا منى ، وقولي له ان العيدقريب، واريد انتشتريلي بدلةجديدة.. وعندها سيشتري لك كل ماتبغين.

منى : اني اخاف منه يا ماما .

الام : وهل يخاف احد من ابيه ؟

منى : انا اخاف منه .

الام : بابا يحبك كثيرا ، ولن يرد لك طلبك .

منى : هل تذكرين يا ماما يوم دفعت اليه بكتاب مديرة المدرسة ليدفع لي القسط .. لقد صرخ بوجهي ، ومزق الكتاب ، وضربني . ولو لم تخلصيني منه ..

الام : بابا كان فى ذلك الوقت لا يملك مالا .

منى : وانت التي دفعت القسط ، فلماذا لا تشترين لي ثوب العيد؟

الام : لو كان عندي ثمنه لاشتريته لك

منى : ولكن كيف دفعت القسط ؟

الام : بعت ساعتي .

منى : بيعي الان شيئا اخر لتشتريه لي

الام : (حزينة) ما عندي الان شيء يباع ، ولهذا يجب ان تطلبيه من بابا .

منى : وهل يوجد مع والدي ثمنه ؟

الام : ابوك موظف كبير ، وعنده مال كثير .

منى : ولكن لماذا لا يشتري لي بدلة العيد ؟

الام : لانك لم تطلبيها منه .

منى : ولكن .. اين يصرف ابي ماله؟

الام : (ملتاعة) سليه .

(يدخل الاب . انه فى الاربعين من عمره . ترهل جسده ، ووخطه الشيب .. عابس الاسارير ،متجهم الهيئة يشذر زوجته وابنته بنظرة قاسية ، ويتهالك على اقرب كرسي)

الاب : ماذا طبخت لنا اليوم ؟

الام : بطاطا مسلوقة .

الاب : (فى غضب) وهل هذا غداء ؟ لماذا لم تطبخي لحما وخضاراوارزا؟

الام : لان الجزار رفض ان يعطيني لحما بالدين .

الاب : ولكن لماذا ؟

الام : لان له فى ذمتنا اكثر من مئة ليرة سورية .

الاب : (غاضبا) سأعرف كيف اربيه

الام : ولكن لماذا لا تدفع له دينه ؟

الاب : وما دخلك فى هذا ؟

الام : والبقال رفض ان يعطينا ارزا وسكرا لاننا مدينون له ايضا .

الاب : لعنة الله عليه .

الام : والخباز رفض ان يعطينا خبزا ايضا .

الاب : سأغلق فرنه .

الام : وكذلك بائع الفاكهة .. كلهم يرفضون ان يعطونا اي شيء .. واستطعت ان اقترض ليرة من جارتنا ام بكر ، واشتريت فيها كيلو خبز، وكيلو بطاطا لنستطيع ان نتبلغ بلقمة .

الاب : (متململا) كلهم يتآمرون علينا

الام : لماذا لا تدفع لهم ديونهم ؟
الاب وهل انا هارب ؟ سادفع لهم جميع حقوقهم عندما ييسرها الله
الام : اننا فى اول الشهر .. راتبك خمسماية ليرة .. اننا نستطيع ان نعيش فيها مثل الملوك .
الاب : لن ادفع شيئا هذا الشهر .
الام : هل نصوم هذا الشهر ؟
الاب : اخبريهم انني سادفع لهم كل شيء فى الشهر القادم .
الام : انهم يرفضون . وخير لك ان تدفع لهم اليوم .
الاب : انني بحاجة الى راتبي هذا الشهر
الام : هل استطيع ان اسألك لماذا انت بحاجة اليه ؟
الاب : هذا لا يعنيك .
الام : انه يخصني مثلك تماما .
الاب : (صارخا) يا الله .. اعود من العمل لارتاح ، فاجد الخصام والشر .. ارحميني ودعيني وشأني
الام : ادفع لي كل شهر مئة وخمسين ليرة .. ودع الباقي لك ..
الاب : صحيح انك مجنونة .
الام : تأكد انني لن انفق شيئا منها على نفسي .
الاب : لن ادفع لك ليرة واحدة .
الام : كيف تأكل ؟
الاب : تستدين ..
الام : لن تستطيع ان تستدين بعد اليوم .
الاب : سأجبرهم .
الام : لن تستطيع ..
الاب : انني موظف كبير ..
الام : انك تنسى ان هذه النغمة قد ماتت . لا قيمة اليوم لموظف الا باخلاصه وتفانيه فى خدمة الشعب

(تغادر الام الحجرة ، وتذهب الى المطبخ ، وتحضر صحن البطاطا ، وتضعه على المائدة مع بعض الارغفة) .

الاب : (يمسك احدى البطاطا ، ويقلبها بيده ، ثم يلقيها بعصبية على المائدة . ويصرخ :) لا استطيع ان امضغها . ان نفسي تتقزز منها

الام : هذا كل ما استطعت ان اعده . ولن تجد شيئا غدا .
الاب : يفرجها ربنا غدا .
الام : اعطني خمس ليرات لاشتري لك لحما وفاكهة ..
الاب : خمس ليرات دفعة واحدة .
الام : لقد تغيرت كثيرا يا ناجي .. اين الايام الماضية التي كنا نرتع فيها بالسعادة والبحبوحة .. يوم كنت تدفع لي كل راتبك ، وتعود من عملك لتجد المائدة حافلة بالاطايب . ما حدث لك يا ناجي حتى تغيرت ؟
الاب : لم اتغير ..
الام : منذ ستة اشهر وانت تضن علينا بالقليل من المال .. هل حدث لك شيء ؟
الاب : وماذا تريدين ان يحدث لي ؟
الام : من حقي ان اعرف السبب لاصون بيتنا من الخراب .
الاب : لا يزال بيتنا عامرا بوجودك .
الام : لا تتهكم بي . وثق انك تنحدر الى الهاوية وانت غافل .
الاب : انا حر فى تصرفاتي .

(يتناول الاب رغيفا ، ويأكل بطاطا ويكرع كوبا من الماء ، وينتصب وينهض عن المائدة ، ثم يعود اليها كانه تذكر شيئا) .

الاب : ولكن اين منى ؟
الام : فى سريرها .
الاب : لماذا ؟ هل هي مريضة ؟
الام : ابدا . والحمد لله .
الاب : هل تغدت قبلي ؟
الام : انها لا تحب البطاطا .
الاب : لماذا لم تجلبي لها شيئا اخر ؟
الام : عدنا الى النغمة القديمة .. الم تفهم بعد ؟
الاب : طيب . وماذا اكلت ؟
الام : لا شيء .
الاب : وهل يجوز هذا ؟
الام : قل لنفسك .

(يتجه الاب الى غرفة منى ، ويفتح الباب برفق ، ويصدم بمرآها في سريرها ، وهي تبكي) .

.. لماذا تبكين ؟

الاب : (يهزها برفق) منى .. حبيبتي
منى : (تتعالى جهشاتها) .
الاب : (ينهضها من سريرها ، ويطوقها بذراعيه ويقبلها) لماذا تبكين ؟ هل ضربتك المعلمة ؟ هل ضربتك ماما ؟ ردي علي يا حبيبتي .
منى : (تنظر اليه وجلة ، وتمسح دموعها) انت السبب يا بابا .
الاب : انا يا منى .. ماذا فعلت لك ؟
منى : العيد بعد ثلاثة ايام ..
الاب : نعم .
منى : كل رفيقاتي اشترين بدلات جديدة . الا انا .
الاب (يتحسس محفظته ، ويطرق واجما مفكرا) .
منى : اشتر لي بدلة جديدة كسائر البنات .
الاب : هل هذا ضروري يا منى ؟ ان ثوب العيد الماضي لا يزال جديدا .
منى : (تتملص من ذراعيه) انك لا تحبني .
الاب : لا احب احدا سواك .
منى : لو كان هذا صحيحا لاشتريت لي بدلتين وحذائين .. لا بدلة واحدة .

(يعصر الاب جبهته بيده ، ويتمشى فى الغرفة ، وعليه امارات التفكير ، ويخرج الى غرفته ، ويتناول الهاتف ، ويدير قرصه) .

الاب : الو .. من .. لولو .. كيف انت يا حبيبتي ؟.. الحمد لله .. اسمعي لن اشتري لك هذا الشهر الفساتين التي وعدتك بها . ماذا تقولين ؟.. ارجوك ان تفهميني .. فى الشهر القادم سأشتري لك كل ما تطلبين .. طبعا .. اقسم بالله انني سابر بوعدي .. انت تعلمين كم احبك .. ارجو ان تعذريني هذا الشهر .. لا تغضبي ، لا تثوري .. انك تصرين .. ان العيد بعد ثلاثة ايام .. طبعا ، لا يعنيك امر العيد .. ولكنني غارق في الديون .. وابنتي بحاجة الى ثياب العيد .. والحلوى .. ارجوك يا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لولو .. لا تشتميني .. ماذا انك تهددينني بالهجر .. اتوسل اليك .. استطيع ان انفحك بمئة ليرة .. طيب انت حرة .. صحيح انني مخدوع . الان فهمت انك تحبين مالي .. ماذا تقولين ؟ شعري الذي علاه الشيب .. يا راقصة يامستهترة .. ماذا ؟ لا تهتمين بعلاقتنا .. اسمعي .. وانا لا اهتم بها .. انك حشرة قذرة .. وانا نادم على الايام التي قضيتها معك .. انني احتقرك .. ان الله شفاني منك .

(الاب يلقي السماع بحركة عصبية، ويشعل سيجارة ، وينفث دخانها ، ويهرع الى غرفة ابنته ، ويحملها بين ذراعيه ويغمرها بقبلة) .

الاب : منى .. يا حبيبتي .. ساشتري لك خمسة اثواب للعيد ، وخمسة احذية .. وكل شيء .

منى : صحيح ، يا بابا .

الاب : مؤكد يا روحي . وفى كل شهر ساشتري لك ثوبا جديدا ، وكذلك لامك الحبيبة .

منى : (تقبل اباها) ماأحلاك يا بابا .

الاب : (يفتح محفظته ، ويعطيها خمسماية ليرة) اذهبي واعطيها لماما ، وقولي لها لتشتري لك كل ما تريدين .

(تنطلق منى مبتهجة الى امها ، وتدخل الام الى غرفة زوجها بعد هنيهات ، وقد اشرق وجهها) .

الام : ناجي ..

الاب : نعم يا حبيبتي سوسن .

الام : انا فى حلم .. ام فى حقيقة .

الاب : فى الحقيقة .

الام : يعني تعطيني راتبك لاتصرف به شأننا فى الماضي .

الاب : واية غرابة فى هذا ؟

الام : انك احسن زوج فى العالم .

الاب : وانت اطيب زوجة فى العالم .

منى : البابا قال لي انك ستشترين لي خمسة اثواب .

الام : سنشتري لك كل ما تريدين .

الاب : ادفعي ديوننا ، واشتري لها اللعب التي تريدها ، والحلوى التي تحبها ..

الام : سافعل ، وسيكون كل شيء على ما يرام .

الاب : انني اثق فى ذكائك ولباقتك .

الام : ولكن كيف تمت المعجزة ؟

الاب : انها صحوة ضمير ..

الام : ماذا تعني ؟

الاب : لا شيء .. كنت مريضا ، وشفيت . وتأكدي انني ساعطيك منذ اليوم كل راتبي ، ولا اريد اي مصروف سوى ثمن السجاير .. لقد تبت الى الله توبة صادقة .

الام : وتبت عن ماذا ؟

الاب : عن جنوني .

الام : واي جنون ؟

الاب : كنت مجنونا طوال الاشهر الستة الماضية .. والان ثاب الي رشدي بفضل منى .

الام : ولكن ما سبب هذا الجنون ؟

الاب : لا يوجد سبب .. وكل ما في الامر انني سعيد الان الى اقصى حد .. منى ..

منى : نعم يا بابا .

الاب : قبليني قبل ان انام .

(منى تقفز الى حضنه وتفتح ذراعيها وتقبله) .

الاب : انها اجمل قبلة ذقتها في حياتي .. انها ينبوع السعادة والطمانينة .. ما الذها يا منى .. بحياتي عليك .. قبليني مرة اخرى (وتغمره منى بقبلاتها) .

منى : ساقبلك كل يوم يا بابا .

الاب : انها احسن ترضية لي في الوجود . والان يا سوسن .. ارجوك ان تذهبي الى السوق واشتري لها كل ما تريد من الفساتين ، لا تبخلي عليها بشيء .

الام : امرك يا ناجي .

منى : هيا بنا الى السوق يا ماما .

الام : عن اذنك يا ناجي .

الاب : تفضلي مصحوبة بالسلامة .

الام : الى اللقاء يا ابا منى ..

الاب : (وهو يشيعهما بنظراته) ما اسعدني الان .. الحمد لله الذي انقذني من براثن لولو .. هذه اللعينة التي كادت تدمرني ، ماذا اعجبني فيها حتى كدت اخرب بيتي .. صحيح .. انني غبي .. والحمد لله انني تخلصت منها الى الابد ، وعدت الى زوجتي وابنتي الى الحب الصحيح الخالد .

حلب — **محمد حاج حسين**

قريتي

قريتي في ذرى الجبل ... حسنها مطلب الازل
يقسم الليل انها ... مهبط الحب والغزل
والمحبين والقبل
قريتي خمرة الزمن ... عشقت في دنانه
وهي احلى - بموطني - ... بسمة في كيانه
رافقته ولم تزل
قريتي ، رمز نهضة ... تصل الليل بالنهار
ارضها خير ثروة ... من ضبابات ونار
حي فيها على العمل
قريتي مطمع الغزاة ... من عصور القلاع
موضع الفخر انها ... ملتقى السيف والبراع
فارو عنها ولا تسل

محمد يوسف مقلد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيت جدتي

واذكر جنة بين الزهور ... ومدخنة على بيت صغير
يلوح كنعجة بيضاء تغفو ... على سجادة العشب النضير
وتحلم بالحقول وبالمراعي ... ويعكس ظلها صفو الغدير ..
هنالك بيت ناسكة تصلي ... بمغزلها مع النور الاخير ..

هنالك بيت جدتنا سكون ... وآمال تطل مع الشروق
وكانون تضيء به جمار ... مغردة بالوان العقيق
وهرتنا القريرة تحت دفء ... يداعبها ويحضنها شقيقي
وجدي ، في عباءته ، بقايا ... حكايات من الزمن العتيق

امان ريفنا ونقاء نفس ... وايمان ... ومهد للامانة
فلا خبث هناك ولا رياء ... ولا كذب هناك .. ولا خيانه
ومدرستي التي ربت خصالي ... تقوم هناك .. تحت السنديانه
وناديتا على صخر مطل ... هنالك ... تجهل الدنيا مكانه !

روابينا الجميلة لو تراها ... نجوم الزهر تلمع فى ثراها
فتفتننا بالوان زواه ... وتسكرنا بفيض من شذاها
وزهر اللوز فى نيسان ، يبدو ... قناديلا تشعشع فى سماها
وزهر المشمش الزاهي عقودا ... لآلئها تغرد من صفاها !

اسلخ عن محاسنها فتيا ... واحشر بين اسوار المدينة
واحرم نعمة الآفاق ظلما ... وايحاء يسلسل فى السكينه
لاحيا فى الضجيج .. وفى سباق ... على عيش اضيع العمر دونه
واقضي الليل قيثارا حزينا ... يقطر خلف غربته حنينه !

سارجع نحو تربتها .. واجثو ... لاشمها باهداب العيون
وانشق فوحها وارش زهرا ... ذوى بعدي ، بذوب من جفوني
واحيا العمر فى افق طليق ... على ذاك المطل ... بمرتفون
هناك تطيب ايامي وتحلو ... اغاريدي .. وانعم بالسكون

فؤاد الخشن
من اسرة الجبل الملهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسباب تأخر المسرح في أمريكا

بقلم عبد الوهاب عبدالله

من مميزات المسرح الامريكي المعاصر ، وخاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية انعزاليته عن الميدان الادبي وافتقاره الى القيم الجدية المثمرة .

ومما يسترعي الانتباه ان المؤلفين الذين يخصصون انتاجهم للمسرح الامريكي قلما يعتبرون انفسهم فنانين او ادباء يحق لهم المشاركة في المجال الادبي والمساهمة فيه .

ولو اننا استعرضنا ما انتجه المسرح الامريكي لاذهلنا افتقار المسرح بوجه عام الى القيم الاجتماعية الرفيعة ، واتضح لنا ايضا انعزال المسرح عن التيارات الواعية التى تنمو بين ندوة العاملين على رفع مستوى الانتاج الفني .

ولعل في هذه الدراسة التي نقدمها الان ما يرشدنا الى بعض الاسباب المسؤولة عن علل المسرح الامريكي المعاصر .

ان من الاسباب التي ادت الى ضعف المسرح الامريكي هو حداثة عهده وحرمانه من التقاليد الرفيعة التي تنعم بها المسارح في سائر الدول . فالمسرح في انكلترا مثلا تمتد جذوره الى عهد رائده القدير وليام شكسبير . والفرنسي بدأ على يد موليير في مطلع القرن السابع عشر . اما المسرح الروسي الحديث فقد نشأ في عهد الشاعر بوشكين وانتقل مباشرة الى المؤلف نيقولاي غوغول الذي توفي في عام ١٨٥٢ حيث خلفه على منصة المسرح مجموعة من الاسماء اللامعة امثال : ليون تولستوي وميخائيل تشيخوف .

* * *

اما من ناحية المسرح الامريكي المعاصر فانه يكاد يقارب المسرح الروسي في حداثته الا انه يختلف عنه في وجوه تطوره .

ان المسرح الامريكي منذ بدايته في مطلع القرن التاسع عشر حتى بعد نهاية الحرب العالمية الاولى اعتمد على المسارح الاوروبية وخاصة المسرح الانكليزي سواء في التمثيليات او في استخدام الفنانين الممثلين ، هؤلاء الذين طاب لجزء كبير منهم الهجرة والاقامة في امريكا .

لقد قام المسرح الامريكي على اكتاف هؤلاء المهاجرين ولم يكتسب صفة محلية حتى سنين الحرب العالمية الاولى ومنذ ذلك الحين بدأ يشق لنفسه طريقا مستقلا واخذ ينمي خصائص محلية تكشف عن صفات معينة مستمدة من محيطه ومن مجتمعه . ان تمثيلية « ما وراء الشفق » التي اخرجت لاول مرة على مسرح مغمور في عام ١٩١٥ تعتبر نقطة التحول في تطور المسرح الامريكي المعاصر . لقد كتب التمثيلية اوجين اونيل الذي توفي منذ عهد قريب وله تراث مسرحي هائل لايزال بعضه غير منشور حتى الان .

ان النقاد لا يزالون فى معركة جدلية حول جدارة اوجين اونيل ومؤلفاته ، ولكن مما لا شك فيه ان انتاج المؤلف قد طغى على المسرح الامريكي المعاصر وتعداه الى بعض المسارح الاوروبية .

لقد تعرض المؤلف فى صدر حياته الى شيء من النكران والمقاطعة في بلده ، ولكن شهرته حاليا غنية عن البيان ، وقد تم تقديم تمثيلياته سوى القليل الذي لا يزال عرضة للنزاع بين المنتجين وبين ارملته الغيورة على تراث زوجها الراحل . لعل من اشهر مؤلفاته تمثيلية « عودة بائع الثلج » وكذلك تمثيلية « اغتراب فى الظلام » .

ان مصادر الالهام لدى اونيل تمتد الى عهد المسرح الاغريقي القديم .

ولقد طبعت تجارب المؤلف وحياته الخاصة انتاجه المسرحي بسمة الحياة المريرة التي عاشها اونيل مع عائلته فى ضلال العوز والحرمان ، ويكشف لنا عن معرفته العميقة للطبيعة الانسانية حتى لتتفجر تمثيلياته احيانا بنداءات مبحوحة ضد التحكم والجور الاجتماعي ، ولكنها غالبا ما يلفها اليأس والسأم .

عرف عن المؤلف ولعه بالمسرح الياباني وعرف عنه شغفه بما يتصف به المسرح الشرقي من رمزية وغموض . ويفسر بعض النقاد هذا الانجذاب نحو المسرح الشرقي برغبة اونيل فى تحرير المسرح الامريكي من التأثيرات الاوروبية ، ولكن هذه المحاولة انتهت بكساء المسرح الامريكي ثيابا متناقضة ، ولعلها من الاسباب التي عاقت تقدمه .

* * *

ولعل من الاسباب الاخرى التي قد عاقت تطور المسرح الامريكي هي انتشار صناعة السينما ومن ثم التليفزيون فى مرحلة نشوء المسرح ومنذ بداية عهده . ولكن لو استعرضنا اثر هذه المزاحمة على المسارح الاوروبية وعلى المسرح الروسي لوجدنا ما يبرهن لنا على ان السينما والتلفزيون هما في الحقيقة امتداد شكلي للمسرح ومن طبيعة الامور ان يتآلفا مع تطور المسرح ومع اساليب العرض المتجددة ، وفي جميع هذا انتعاش نافع للفن التمثيلي بوجه عام . ويكشف لنا هذا التالف عن انطلاقات واسعة فى آفاق التجديد وكسب مثمر لميدان التأليف والاخراج المسرحي .

اما الدليل الاخر على ان المزاحمة بين المسرح والشاشة ليست الا اسطورة قد بالغ النقاد فى سردها ، فهو وجود عدد من المسارح في امريكا ذاتها يربو على عدد المسارح قبل انتشار صناعة السينما او التليفزيون .

ويقدر عدد دور المسارح في امريكا حاليا بما يزيد على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاثة الاف مسرح ، يضاف اليها نحو الفي مسرح تجريبي تحت اشراف الجامعات والمعاهد الفنية المتعددة(١)، وهذه المسارح ليست مسارح دائمة بل موسمية ، كما ان اغلب الدور المسرحية تفتقر الى الاستعداد الفني والالي الذي يؤهلها للقيام بدورها على وجه فعال، ولعل من اهم العناصر المسؤولة عن هذا الضعف هو العجز المالي الذي تعانيه اكثر المسارح في امريكا .

* * *

ويجوز القول ان ما يتصف به المسرح الامريكي من وهن وانعزالية مرده الى انعزالية المؤلفين انفسهم والى قلة جدارتهم او وعيهم مما ادى الى انغماسهم في انتاج متواضع او مشوه .

ومن المعروف عن معظم كتاب المسرح في امريكا هو انشغافهم المطلق فى فنهم المسرحي ، وتخصيص جميع قواهم له . ان هذا الاختصاص الضيق حتم عليهم الانعزال عن وجوه النشاط الادبي ، ويكاد يحرمهم من الاتصال النافع مع التيارات المتجددة بين مجموعة الفنانين من شعراء او ادباء او نقاد ، او حتى بين الافراد والنظارة

واذا قارنا على سبيل المثال المؤلفين المسرحيين في امريكا مع اقرانهم في اوروبا لوجدنا ان الاوروبيين يميلون بقوة الى ممارسة مختلف وجوه النشاط الفني والادبي ، كما انهم يسهمون فعليا في الحركات الفكرية والفنية الناهضة في مجتمعهم .

ومن قبيل ذلك جورج برنارد شو الذي تزعم حركة شبيهة بالحركة الاشتراكية منذ بداية عهده بالمسرح الانكليزي .

كما قاد المؤلف الالماني برتولت برخت حركة منفردة في سبيل ايجاد مسرح شعبي ويشبهه في هذا المجال الكاتب الروسي مكسيم غوركي . ولقد تبنى كل من المؤلفين جان بول سارتر والبير كامو حركة الوجودية في فرنسا. ومن المعروف عن المؤلف المسرحي الايرلندي المعاصر سين اوكاسي مقاومته العلنية للتعصب الديني في بلده .

اما فى امريكا (مع استثناء بعض الكتاب مثل ارثر ميللر) فاننا نجد ان من النادر ان يساهم الكاتب المسرحي فى امور خارج نطاق اختصاصه وفنه ، ولعل في هذا الانعزال عن الميدان الفني العام تكمن بعض الاسباب التي اوهنت المسرح واضعفت كيانه وتأثيره(٢) .

ولعل من العلل الغريبة التي يتصف بها المسرح الامريكي هو ان غالبية الادباء فى امريكا يكنون للمسرح بوجه عام عداء سافرا ويميل اكثرهم اما الى التنكر الصريح او الى الحياد التام تجاه مشاكل المسرح ومتاعبه .

ومن المؤلم حقا ان يقاطع الادباء والشعراء فى امريكا فيما عدا القليل منهم هذا الركن الجوهري فى البناء الفني.

* * *

ولكن مما يدعو الى التفاؤل هو ان هناك بارقة تبشر بنشاط متزايد من قبل كتاب القصة ومن الشعراء الذين خصصوا شيئا من انتاجهم الادبي الى المسرح . وقد قدم فعلا بعض هذا الانتاج .

ومن ابرز ما تم عرضه تمثيلية « قصة الراهبة » لمؤلفها ويليام فوكنر الذي اشتهر بانتاجه الواسع في ميدان القصة . وقدم ايضا « محنة يعقوب » وهي ملحمة شعرية في اطار ديني للشاعر ارشوبلد ماكليش وهذه بادرة انتاجه للمسرح . وكذلك تم عرض «مهرجان ثربر» وهي مقتطفات من انتاج الناقد الاجتماعي والرسام الهزلي المعاصر جيمس ثربر . وتعرض حاليا تمثيلية جديدة تم تبنيها للمسرح من انتاج المؤرخ الامريكي كارل ساندبرج ، وكل هذه البوادر قد لاقت نجاحا يبشر بخير .

لعل تردد الادباء والشعراء عن المساهمة في الانتاج المسرحي مرده الى تحكم وتعسف المنتجين المشرفين على دور المسارح . ومن المعروف عن المسارح انها مؤسسات تجارية خاصة تبغي الربح وتحرص على تفادي الاضرار المالية مما يدفع اصحابها الى الحذر والتشكك ، او الى التدخل السافر الذي يصل احيانا الى صميم التمثيلية وقيمها الجوهرية .

ويكفي على سبيل المثال الاشارة الى المذكرات الفاضحة التي نشرها اخيرا الشاعر والمؤلف المسرحي الناشيء ويليام جبسن الذي قال :

« ... لو ان مجلة ما طلبت مني تحريف قصائدي عندما كنت شاعرا مغمورا لكان ردي على هذا الطلب الشاذ هو الرفض المطلق ، حتى ولو ادى هذا الى الامتناع عن النشر ، ولكن الامور قد تغيرت الان عندما اصبحت مؤلفا مسرحيا . ان نجاحي لم يتم بلا ثمن . لقد فقدت تلك الحمى الروحية التي تميز بين الفن وبين التهريج، وفي هذا اكبر خسارة لي ، لقد بات الان من الضروري ان يكون المؤلف المسرحي فى بلدنا شخصا مرغوبا فيه وليس عليه ان يكون جادا ... »(٣)

وقد كتب المؤلف المسرحي تنيسي ويليامز عن المنتجين الذين يتاجرون بقيم المسرح الجوهرية ، يقول :

« ... ان تنصيب رجال الاعمال لتدبير وادارة شؤون المسرح عمل لا يقاربه في هوله الا توكيل حراسة المعابد الى قطيع من الثيران ... »(٤) .

* * *

ان متاعب المسرح الامريكي المعاصر لا تعني فشله التام،

(١) صحيفة نيويورك تايمس عدد ١٨ سبتمبر ١٩٦٠

(٢) راجع مقال الناقد روبرت بروستاين في مجلة هاربر عدد اكتوبر ١٩٥٩

(٣) راجع كتاب
The Seesaw Log, by William Gibson, P305

(٤) راجع مجلة هولي دي بتاريخ اكتوبر ١٩٥٩

كـــبريـــاء !...

●

سار وهو يضرب الارض بقدميه ،
يتصاعد الغبار ويعلوحتى يداني وجهه،
ثم يهبط حذو نعليـــه ...
فى عينيه استهزاء ، وفى نظراته
سخرية وازدراء ..
شفتاه تتحركان ، وكأنهما تتكرمان
وتجودان بالكلام .. وكأن هذا الكلام
نعمة تهبط الى الارض من العلياء
من مكانه هو، الى حيث بقية الناس..
كل ما يراه ويشاهده قذى فى عينيه ،
ادار راسه الثراء ، وبهر ناظريه ..
الناس لا قيمة لهم ، يطؤهم بنعليه ،
كلهم تحت يده ،كلهم يتوددون اليه..
نظرته مكرمة ، كلمته نعمة ،
وابتسامته فيض من كرم وعطاء

ليس له انتهاء !.
ليست بـــه حاجة للعطاء ولا للجود
الناس كلهم تحت يديه ،يتوددون اليه
وهو فى كل هذا لا يرى الغبار
المتطاير تحت اقدامه ذات اليميـــن
وذات اليسار ..
ذرات صغيرة لا تراها الاعين ،
تعلو الى فوق ،ثم تهبط الى الارض..
لا يفكر ، بأنه ذرة مثلها ،
مصيره كمصيرها ...
العلو ، ثم الانخفاض الى الارض ..
لقد انساه الكبريـــاء ،
انه لا بد ماض ،
الى الارض ... الى الغبراء !..

تونس **ناجيه ثامر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذ هناك بعض القوى الواعية العاملة على انعـاش المسرح وتحريره من قيود العجز والتأخر، والاخذ بيده الى رحاب المتسع الانساني . وفي طليعة هؤلاء المؤلف ارثر ميللـر الذي برهن في تمثيلياته العديدة عما للمسرح من امكانيات عزيزة وقدرة على الخلق والانتعاش . وهناك ايضا مؤلفون اخرون طال غيابهم عن المسرح ولكن انتاجهم السابق لايزال يرسم تباشير المستقبل ، امثال كليفورد اوديت، وتونتين وايلدر وبالمثل هناك كاتبات شاركن في هذا الميدان امثال السيدة ليليان هيلمان التي قدمت تمثيلية رائعة في هذا الموسم بعنوان « دمى في القبو » اشارة الى بعض التقاليد السقيمة التي لا تزال سائدة في المجتمع ، اما المؤلفـــة الاخرى فهي السيدة لودين هانزبري مـــن اصل زنجي ، وقد قدمت هذا الموسم تمثيليتها « عناقيد في الشمس» التي يدور موضوعها حول التمييز العنصري . وقد سبق الاشارة الى الملحمة الشعرية التي قدمها الشاعر مـــاك ليش والتي تعالج في اطار ديني منحة الانسانية واخطار الحرب الذرية .

وقد لاقت جميع هذه المسرحيا ت من التشجيع مـــا يتيح لنا القول بان ما حدث هذا الموسم لهو اكبر دليـل على ان المسرح الامريكي المعاصر في طريقه الى التحـــرر من عزلته ومواجهة مسؤولياته بامانة وتضحية ، كما ان هذه البوادر الموفقة تدل على انه لم يخسر رواده ممـن يبحثون عن القيم الجوهرية وعن حلول عادلة لمشاكـــل العهد الحاضر ومخاوفه .

نيويورك **عبد الوهاب عبدالله**

في مدينة بولونيا

في غربة لا اهل لي ... فيها ، وطال بها ـ مقامي
وحدي اعيش كسائح ... جواب آفاق جهام
لا زوجتي قربي ، ولا ... الاطفال ابصرهم امامي
وخيالهم ... لا شيء غير ... خيالهم يطفي اوامي
وسوى البريد اظل ارقبه بوجد المستهام
لاعيش بين سطوره ... مع من احب من الانام
وارى الوجوه الناضرات ... مشعة بالابتسام
ارض المفاتن هذه ... بلد المتاحف والفنون

بلد القصور الباذخات ... ومشرئبات الحصون
فيها الحسان الفاتنات ... وكل ناعسة الجفون
وبها الملاهي العامرات ... بكل انواع المجون
تبدي لعيني الجمال ... فلا تراه سوى عيوني
ويظل قلبي مغلقا ... عن كل انواع الفتون
ولموطني الحلو الجميل ... يظل يخفق بالحنين

وهنا ببولونيا الجميلة ... استعيد الابتسام
بين الحمام ـ وما احب ... الي اسراب الحمام ! ـ
رمز السلام على يدي ... توحي لروحي بالسلام
وتروح تنقر عن يدي ... قريرة بعض الطعام
انست الي كما انست ... لها ، وطاب لها المقام
وتزاحمت اخواتها ... حولي ـ وما احلى الزحام ! ـ
فكانما كانت ترحب ... بي وتهديني السلام

مرآك يا رمز البراءة ... زاد في شوقي اشتدادا
جعل الحنين لقلبي النائي ... بالاوطان زاد
فأنا احب ، كما تحبين ، التآلف والودادا
واود ان القى احبائي واخواني البعادا
هاتي اعيريني الجناح ... لكي يبلغني المرادا
فأطير نحو احبتي ... القاهم ، وارى البلادا
ويعود سربي ، مثل سربك ، لا افتراق ولا ابتعادا !

الى ريمون المفتى

كنت وحيدا ، وكآبة عميقة تغمر نفسي ،والدنيا سوداء سوداء فى عيني. وفجأةوجدت الصديقة الاردنية الانسة ريمون المفتي فى الفندق نفسه الذي اقيم فيه ، على غير علم منها او مني . فكانت هدية عظيمة ارسلتهاالي السماء ، فرأيت فيها اهلي واحبائي وبلادي ، واحسست وانا اصافحها بانني اصافحهم جميعا .

لقياك ردت الى روحي بشاشتها ... فغاض قلبي سرورا عند مرآك
طلعت فى غربتي شمسا ، وما عرفت ... روحي الضياء بهذي الارض لولاك
وكنت لي ههنا كنزا اتيه به ... وابصر الاهل قربي فى محياك
فأنت اهل واخوان احبهمو ... لقيتهم كلهم حولي بلقياك
وانت اردني المحبوب ، قد عبقت ... رياه فى الصدر مع انفاس رياك

ريمون ! يا اختكم انعشت بي أملا ... ما استطاع ينعشه فى النفس الاك
الان احببت « ميلانو » ، وكنت بها ... من قبل فى وحشة او صمت نساك
لنا برومة ايام محببة ... ـ لله ما كان ابهاها وابهاك ! ـ
سعدت فيها بأهل من احبتنا ... واليوم اسعد فى لقياي اياك

فليت رفقتنا يا اخت باقية ... فلا يفارقني انسي برؤياك
غدا تفرقنا الايام معجلة ... لكن سيبقى بقلبي طيب ذكراك
سترجعين الى الاردن هانئة ... ـ عودا سعيدا،وعين الله ترعاك ـ
وقد تنسيك لقيا الاهل رفقتنا ... لكنني لست ، يا ريمون ، انساك !

يوم الوداع

... وبعد اربعة ايام غادرت ريمون ميلانو الى فيينا ، قبل عودتها الى الاردن ، وودعتها فى المحطة ، ثم عدت وحيدا كما كنت من قبل ، لا صديق ولا رفيق .

لقاؤنا كان قصير المدى ... وفرحة اللقيا مضت كالسراب
كأنها ما سلمت اذ اتت
واشرقت فى وحشتي فرقدا ... الا لكي تفجعني بالايباب

من قبل كم عانيت من وحدتي ، ... من سأمي ، من لهفتي للصديق
حتى اذا الفيتها فجاة
زالت كآبتي ، انتهت وحشتي ... واستغرقت روحي بحلم عمبق

رايت فى طلعتها الزاهية ... اهلي ، واردني احب البلاد
وحينما صافحتها والتقت
اعيننا فى فرحة طاغية ... صافحت ، بل عانقت اهلي البعاد

والان زال الحلم ، اضحى سراب ... ووحدتي عادت الى عهدها
قطارها اذ راح يطوي المدى
ابقى لي الحيرة والاكتئاب ... والسأم الفتاك من بعدها

ريمون ! ذاك الحلم ما اروعه : ... لقاؤنا فى الغربة النائية !
منحتني السلوان ، حتى اذا
ودعتني سلبته مسرعة ... فلم تطل رفقتنا الهانيه

اقسى على نفسي هذا الوداع ... من وحدتي الطويلة القاسيه
لو كنت استطيع جعلت القطار
قلبي الذي عاد حليف الضياع ... وكنت قد منحته العافيه

سنلتقي يا اخت فى ارضنا ... سنلتقي ، و الحاضر المؤلم
يصبح ذكرى حينما نلتقي
نروي حكاياها الى اهلنا ... ونغرنا فى غبطة يبسم !

ميلانو ... **عيسى الناعوري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمام الموت

بقلم جورج سالم

لست ادري كيف قادني حسب الاستطلاع ، صباح هذا اليوم من ايام العطلة ، لاقرأ تلك الورقة ذات الاطار الاسود ، اذ ليس من عادتي ان اقف امام هذه الاوراق التي تحمل نعي الموتى الى معارفهم في المدينة ، اعتقادا مني بانني اجهل معظم ابناء مدينتي، اما اقربائي واصدقائي فان اخبارهم ـ حسنة كانت ام سيئة ـ ستصلني بسرعة لا شك .

الا انني مع ذلك كله ، رأيتني اتريث امام هذه الورقة المشئومة باطارها الاسود وحروفها المختلفة الحجوم ، واوشكت ان اتجاوزها على عادتي ، ولا سيما في يوم جميل كهذا اليوم عقدت العزم فيه ان اتجول في الحديقة الندية برهة ثم اجلس في المقهى الصيفي المطل عليها اطالع بعض صفحات من رواية كنت شرعت بقراءتها .

وهكذا وقفت اقرأ . انه اسم اعرفه لا شك ، ولم استطع للوهلة الاولى ان اربط بين هذا الاسم وبين صاحبه . كيف جمد ذهني الى هذا الحد ؟ من المؤكد انني اعرف هذا الاسم ، وليست هذه هي المرة الاولى التي اسمع به . وفجأة التمعت صورة المدير في ذهني . نعم انه مدير المدرسة التي اعلم فيها . ورحت اقرأ الورقة من جديد . اهناك خطأ ؟ وادركت ان ليس في الامر من خطأ . فلم ألتفت الى الورقة وتابعت السير مطاطىء الراس .

اذن فقد مات مدير مدرستنا ذو الجسم المتين الصلب والعينين الحادتين . من كان يظن انه سيموت . وهو يتمتع بتلك الصحة والحيوية والعنفوان ؟!

واحسست بشيء يشبه الرضى والارتياح ، ورحت افكر بزملائي من المدرسين . أتراهم سمعوا بهذا النبأ؟ وما عسى ان يكون وقعه في نفوسهم؟ ومضيت اتخيلهم . اغلب الظن انهم سيشعرون بسرور فائق . بل هذا هو الواقع . انهم سيبتهجون جميعا بلا استثناء بهذا الخبر . لقد اتيح لهم اخيرا ان يتخلصوا من هذا العبء الذي يجثم على صدورهم ، وانزل عنهم كابوس رهيب ، وتخيلتهم يتنفسون الصعداء كما افعل انا الان .

والحق ان مديرنا كان انسانا فظا قاسيا لا يحتمل . فقد بسط رهبته علينا جميعا، ولم نكن نستطيع ان نجد الى مقاومته سبيلا . فمنذ خمسة اعوام وهو يعامل الجميع بقسوة شديدة . كان يرى في كل منا خصما له . كان يرصد حركاتنا وسكناتنا ، فاذا ما تأخر واحدنا او تغيب ، جاءه التوبيخ والانذار بسرعة . ولم يكن راتب اي منا ينجو من حسم اخر الشهر . كان من عادته ان يأتي صباح كل يوم قبل حين الدوام ، ويقف امام الباب ممسكا ساعته ينتظر منا تأخرا او هفوة ايا كان نوعها ، وكنا كثيرا ما نتذمر فيما بيننا ، ولكن لم يكن باستطاعة احد منا ان يتجرأ على فتح فمه امامه . وكانت سيطرته تتعدانا الى الطلاب والاذان ايضا ، فالجميع يهابون بطشه ويفرون منه . اما هو فكان يسير دائما في الباحة او في ممر الردهات مقطب الجبين، عابس الوجه، منتفخ الاوداج غيظا ، وان لم يكن هناك من سبب للغيظ .

وكان مما يضايقنا ، رغبته في ان يضيع لنا اكبر قدر من اوقاتنا . كان يكلفنا بالاعمال المرهقة ، من اشراف على لجان الطلاب ، واهتمام بجداول العلامات ، ونسخها على جلاءات الطلاب ، وعلى سجل المدرسة الرسمي في كل اسبوع . وكنا ننظر الى هذا العمل بكثير من الكره والازدراء ، ونشعر ونحن نقوم به بكثير من الحنق والغيظ ، لانه عمل لا معنى له في نظرنا . وما اكثر ما كنا نخطىء ونمحو ما سجلنا ، ثم نعيد الكتابة لنقع في الخطأ من جديد . وكثيرا ما اخذنا هذا العمل الى منازلنا نتمه فيها في اوقات راحتنا . وكم تمنينا لو يتاح لنا ، أن ننجو ذات يوم من جو هذه المدرسة ومن سلطان مديرها . ولقد اتيح فعلا لبعض السعداء منا ان يهربوا الى مكان اخر . اما الذين بقوا ، فلم تكن لهم مؤهلات علمية او شهادات رسمية تتيح لهم ان يتركوا هذه الصخرة التي قيدوا عليها ، براتبها الضحل وعملها المرهق . ولقد مضى المدير الى ابعد من ذلك حين حظر علينا اعطاء اي درس خاص . والواقع ان تلك الدروس الخاصة كانت تدر علينا شيئا من المال يتيح لنا حياة اوسع قليلا ، ذلك بان راتبنا الذي نتقاضاه من المدرسة لا يكاد يكفينا .

لذلك فانا اجزم بان جميع المدرسين سيشعرون اليوم بما اشعر به الان من سرور بذهاب هذا المدير بظله المرهق الى غير ما رجعة . سيكون لنا مدير جديد لا شك ومهما يكن هذا سيئا فسوف يكون افضل من الاول ، لان خيالنا لم يكن ليتصور انسانا اعنف منه واقسى ، ولا اميل منه الى ظلم المدرسين وارهقهم .

وانتهى بي المطاف الى المقهى الذي اعتدت الجلوس فيه . لمحت من بعيد رفقائي من المدرسين فقصدتهم . وقبل ان افتح فمي لاحمل اليهم ذاك النبأ الضخم ، ابتدروني قائلين ، وابتسامة ماكرة تشع من عيونهم :

ـ لقد مات اخيرا !

فاجبتهم ضاحكا :

ـ بهذه السرعة ؟ لم نكن نظن انه سيموت !



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال احد الاساتذة :

ـ ترى من يخلفه في تقطيع شرايينا؟

قلت له : ليس لهذا المدير من ضو في الارض ، فلتبحث الهيئة العليا للمدرسة عن مثيل له اذا استطاعت.

وقال استاذ ثان :

ـ بشراكم ، لقد قل العمل على نحو آلي . سنتغيب عن المدرسة بالتتالي، كل بدوره .

وفرك احدهم يديه وقال :

ـ لقد طلب الي ثلاثة طلاب عددا من الدروس الاضافية ، فرفضت بالامس طلبهم ، اما اليوم فسامر بهم لاخبرهم باستعدادي . ستون ليرة في الشهر ، وليرحمك الله يا حضرة المدير !

وسألتهم : ولكن كيف مات ؟

ـ بالسكتة القلبية ، كان جالسا الى الطاولة ، ثم انطفأ بكل يسر .

ـ واين هو الان ؟

فقال احدهم :

ـ ما يزال في المستشفى .

ـ في المستشفى ؟

ـ نعم ، لم يشيعوا جثمانه بعد.

وسألنا احد الزملاء :

ـ افي نيتكم ان تحضروا حفلة الدفن ؟

ـ نعم لنتأكد انه مات .

ونهضت مودعا .

ـ الى اين ؟

ـ سأذهب الى المستشفى لاراه .

فصاح احد الاساتذة بعد ان خطوت عدة خطوات :

ـ هل تعود لتخبرنا بما رأيت ؟

ـ حتما ساعود بسرعة .

ومضيت وحدي ...

المستشفى بعيد ، والطريق اليه جميلة ، لا سيما وان الربيع ينبت في الارض ، ويتسلق اغصان الاشجار ويصفي السماء من كل شائبة ، ويرسل نسيما طريا يبعث في النفس البهجة ، فيشعر الانسان بانه قد تخفف من كثير من الاعباء ، وان باستطاعته ان يطير .

اقتربت من المستشفى ورغبة شديدة تجتاحني لارى المدير لاخر مرة ، بعد ان مات واراحنا ، ومن يدري فقد يكون خوفي منه اثناء حياته ، وعجزي عن مقاومته قد دفعاني الى رؤيته الان والتشفي منه. يقولون ان ليس في الموت شماتة . ولكنني لا اعتقد ذلك ، انني مرتاح لموت هذا الانسان ، ولست الوحيد الذي يشعر هذا الشعور ، بل انه شعور عشرات من الموظفين والمستخدمين غيري .

ودخلت غرفة كان المدير مسجى فيها على سرير ابيض ، وقد غطي بغطاء ابيض شمل كل جسمه ، والى جانبه جلس اخوه مطرقا ، الا انني لم اعرف ماذا يجول في نفسه ، وما مقدار المه ، لانه كان جامد الوجه اصم التعابير . وكانت بجانب السرير شمعة بيضاء طويلة تضيء وجها ابيضا شاحبا . وبعد ان رددت الجمل المتعارف عليها في مثل هذا الموقف ، جلست غير بعيد عن جثة المدير ورحت اتفرس فيه .

الا انني وجدته لا يبادلني النظر ، فعيناه اضحتا خاليتين من كل معنى وتخيلت انني انظر اليه مثل هذه النظرة قبل يومين او ثلاثة ، وادركت انني كنت عاجزا عن ان اصوب اليه مثل هذه النظرة ، كان من شأنه ان يجعلني اخفض بصري اذا ما حدقت اليه على نحو ما افعل الان .

اتراه اضحى هادئا مستسلما ؟ لم ار اي فرق بينه وبين السرير الحديدي الابيض الذي مدد فوقه ، او الجدار الذي وراءه او الطاولة التي الى يمينه . لقد غدا شيئا من الاشياء .

لقد مات آذن . وهذا الذي امامي ليس الا جثة ، قطع من اللحم الرخو مصيرها الانتان ، فوق عظام لن تلبث ان تتفتت . اتراني اشعر الان نحوها بشيء ما ؟ وادركت انني عاجز عن كرهها او حبها فلم اعد احفل بها .

وتساءلت في نفسي لماذا اتيت ؟ الكي اعزي اخاه عن موته ، وانا لا اكاد اعرفه ، ام لارى المدير ؟ واين المدير ؟ ولم اشأ ان اصدق ان المدير امامي ، المدير الذي عرفته حق المعرفة . لقد استحال الجبين الدائم التقطيب الى صفحة ملساء بيضاء . وانقلبت العين التي كانت تسدد نظراتها دائما ، الى عين جامدة بلهاء، تشتهي ان تأكلها ، اما اوداجه المضطرمة دائما فقد هدأت الى الابد.

وتساءلت لماذا اتيت ، وماذا انا فاعل ههنا؟ لم يعد هذا الوجه يذكرني باي شيء . وتوارت عن مخيلتي الايام السود التي قضيتها في المدرسة ، وبرزت في ذهني صورة اول لقاء كان بيني وبين المدير حين صافحني وقال:

ـ نحن هنا نحترم الواجب ، ونؤمن بالمسؤولية .

وشعرت بشيء من الرهبة والندم على ما كان مني نحوه ، لقد سقط حنقي وغضبي فجأة كانهما ورقة صغيرة صفراء ، في يوم خريف عاصف ، وتسلل الى نفسي شعور حزين ناعم ، لقد كان هنا انسان عرفته ذات يوم وربطت المدرسة بيني وبينه . كان قلبه الذي يشبه قلبي كل الشبه ، يخفق منذ ساعات، ذلك القلب الذي لم يتح لي ان اعرفه عن كثب، فقد اقيمت بيننا وبينه حواجز وجدر ، ومن يدري فقد نكون نحن المسؤولين عن ذلك ، وقد تكون مصلحتنا الذاتية هي التي املت علينا مشاعرنا تلك .

وافتر فمي عن ابتسامة صغيرة، لماذا اتيت الى هنا ؟ وما معنى النظر اليه الان ، وقد تقطعت كل الاواصر التي تربطني به وانفصمت عراها ، واصبحت عاجزا عن ان اكرهه او احبه . سيشيعون هذه الجثة بعد الظهر وسيسلمونها الى الارض تفتتها.

وعدت من حيث اتيت ، الا انني لم اشأ ان أعرج على المقهى الذي يضم رفقائي !

حلب — جورج سالم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حدثتني الايام ... قالت :

بقلم عيسى ميخائيل سابا

في هجعة الليل وقبل ان ينسم الفجر عن وجه النهار ، افقت من رقاد حالم على نسمات حنونة، واذا الفكر يعود بي القهقرى الى مواكب الايام المتعاقبة ليلا ونهارا ، وراء حجب العصور، واذا فتى بهي الطلعة لم تؤثر به حوادث الزمن ، ولم تضف على مفرقه غبار وقائع الدهر اكليلها الابيض ، وكأن الف سنة وقد مرت عليه ، كمثل امس الذي عبر ، نظر الي وقال : هي الايام تتكلم فاصغيت اليه . قال : الانسان العوبة الدهر ، قوي يأكل ضعيفا ، وضعيف يجر نفسه ذليلا ، يتمثل القوة فتتراءى له حلما باسما ، فتجري على لسانه كلاما ، يفاخر بالماضي البعيد ، وما هو هذا الماضي البعيد ؟!

هو كأس وانثى وعود ، قوي يستمد من حاضره بأسا ، ومن ماضيه حلما ، يستنطق الارض فتلبيه ، ويسأل الصخر فيجيبه . يحلق في اعالي الاجواء ويمخر عباب اليم ويمشي جبلا فوق جبل ، والبسمة تعلو ثغره ، والعظمة تكتنفه ، ينظر اليه المطمئن المفاخر بالماضي ، الماضي البعيد ، ووجهه سيف ورمح ودماء ، فيصفق له ، ويستعين بمنتجات فكره على الحياة ، فيستكين الى الراحة متمرغا بالمستحدثات الجديدة ، ويتناسى العلقة التي يسلطها عليه القوي الساهر، فتمتص دمه قطرة قطرة ، ولا يستفيق حتى تكون قواه قد تراخت وحيانه قد اوشكت على الغروب وزال شبابه، وهو يتغنى بالماضي البعيد .

والماضي البعيد ، كأس وانثى ودف ، في القصور وفي البيوتات الكبيرة ، قوته بلسانه وقد بحث في الدفاتر العتيقة فرأى ماذا ؟

رأى وقرأ اقاصيص نمقها الرواة او تزلف بها الكتبة تقربا ، اما تقية واما تكسبا ، فيبسم لها ويتغنى بها مخمورا بخمرة سورتها ، ارادة مطاعة ودم مهراق وقوى مستنفدة.

واما الايام فقد حدثتني ، قالت :

اقطاعية في عصر الذرة ، في السهل والجبل ، ونفخة صدر في الجرود والصرود ، جهل يستعلي ومعرفة تضمحل وعلم يذل ، خطب تتعالى وايد تصفق ، وموائد تنشر ، وعميان يأكلون ويصفقون ، واقطاعي يتعالى وينتفخ ومن حوله عصابة مسترزقة تعمل لخيرها وتجر المغنم متنقمة، وناس يصفقون ويبسمون .

ما هو الماضي ؟

ناس يكدحون سحابة نهارهم ، ثم يبيتون على الطوى ، وقد قدموا الزرع والضرع للغارق بين سراريه وغلمانه ، بين كأسه وطاسه . والايام قالت: ثلاث لا يشبعن والرابعة لا تقول كفى ، الانسان الظالم . والرحم العقيمة . والجاهل المتسلط .

واما المعتاد على الرشوة فلا يقول كفى ،

رأيت فتى الايام يستعرض الماضي ويلقي موعظة وينادي بأعلى صوته : اني لاعجب ممن يرون الموت امامهم ولا يستعدون له ، ويبصرون الظلمة التي تكتنفهم ولا يستصبحون .

واعجب العجب ممن يرى جاره قد اعد العدة وسعى للحياة المقبلة واما هو فما زال يتغنى بالماضي ، مخمورا بخطبة منمقة وموائد تنشر وايد تصفق ، يتقدم نحو المستقبل المظلم وليس لديه ما يستصبح به .

حدثتني الايام قالت :

رب جيل طاهر في عيني نفسه وهو لم يتنق من قذره ، والمرء الذي لا يتناسى الكأس والانثى والدف ، ويطوي المجد القديم ، ليعيش في مجد جديد من نسج يده وصنع يمينه. تميته الايام ويقضي عليه الزمن ، ويصبح خبرا في ضمير الابد ، وخيالا تراءى في نور الشمس ثم اضمحل . وتنفس الفجر عن صبح تنيره شمس واحدة تضيء الشرق والغرب معا .

نهضت من سريري كبني قومي ووجهي نحو الشرق واما ظهري فأدرته نحو الغرب لاتلقى الصفعة ، احسها ولا ارى اليد التي صفعتني ، واجوز النهار ، كادحا ، وآوي الى سريري تعبا .

ويأتي الليل واحلم بالماضي ، والماضي في القصور ، انثى وكأس وبربط ، فأصفق واقول كنا وكنا ، نحن بناة المجد ، نحن مرآة الزمن، دان لنا الغرب قديما، وابتسم لنا الشرق، ورحم الله من كان ، فقد طواهم الماضي ولنا الحاضر ، ومن نحن ؟ ريشة في مهب الريح ، وجعجعة ولا طحن .

نحن خطباء ، شعراء ، منمقو كلام ، ننعم بدماغ الغرب ونترفه بمخترعاته ، ونقول نحن ، ونحن ، ومن نحن ؟.. ، ان الزمان كاهله واهله كما ترى ، فابك يا عين واخفق يا قلب على ماض فيه آلام وفيه بسمة ، بسمة قوي ظالم ما رأى غير الانثى والكأس والدف . ومن عاش في الماضي فقد مستقبله

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي انت فيها

عيسى ميخائيل سابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● « الثقافة الروسية واثرها فى الادب العربي الحديث » عنوان دراسة علمية طريفة وضعها البحاثة يوسف اسعد داغر لمؤتمر المستشرقين الدولي الاخير الذي عقد فى موسكو ، وقد حالت اسباب صحية دون سفره والمشاركة فيه . وننشر فيما يلي الفصل الاول من هذه الدراسة التي اعدهـا الكـاتب للطبع .

رحلة ابن فضلان الى روسيا والبلغار

بقلم يوسف اسعد داغر

عني المؤرخون الروس بالمصادر العربية الاولى التي جيء فيها على ذكر الروس او تناولت جانبا من تاريخ روسيا او تاريخ الشعوب التي هي اليوم فى آسيا الوسطى جزء من جمهوريات الاتحاد السوفياتي ، وذلك فى الدراسات الدقيقة التي عقدوها على مراحل التاريخ الروسي القديم ، وفـي الابحاث المستفيضة التي قاموا بها فى تـاريخ الشعوب والقوميات التي تتألف منها اليوم بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي مما يقع فى اواسط آسيا كاوزبكستان واذربيجان. فقد ترجموا الى الروسية ، طائفة من النصوص العربية القديمة مما جاء فى كتب الرحلات التي وضعها الرحالـة العرب والجغرافيون والمصنفون فى الاقاليم والتقـاسيم والمسالك والممالك ، كالكندي ، وابن خرداذبه ، وقدامة بن جعفر ، واليعقوبي ، وابن الفقيه الهمذاني ، وابن رسته ، وابن حوقل ، والاصطخري ، والبكري ، وياقوت الحموي وغيرهم كثيرون ممن تقرأ اخبارهم فى كتاب : « الرحـالة المسلمون فى العصور الوسطى » تأليف الدكتور زكي محمد حسن ، وكتاب : «رواد الشرق العربي فى العصور الوسطى» للدكتور نقولا زيادة ــ القاهرة ١٩٤٣ .

فقد رأى بعض هؤلاء المؤلفين رأي العين وعاش وشاهد ما كتب وما وصف ، وكان على المام بما يرى وعلى علم بمـا يقص ويصف . وكانت هذه الرحلات يقوم باكثرها التجار. وذكر المقدسي أن المسلمين كانوا يجلبون كثيراً من السلع من جنوبي روسيا والبلاد الاوروبية الشمالية : كالجلـود والفراء والشمع والقلانس والعسل والسيوف . وكـانت السلطات والحكومات العربية والاسلامية تبعث بوفودها الى الاقطار والممالك، وتحملها مهمات تقوم بها فى شتى الاغراض. ومن هذه الوفود بعثة برية ارسلها الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧ ــ ٢٣٢ هـ) الى سد يأجوج ومأجوج .

ولعل من اقدم هذه النصوص ومن اشدها اتصالا بتاريخ روسيا القديم ، الرحلة التي قام بها ، فى مطلع القرن الرابع الهجري ، العاشر للميلاد ، احمد بن عباس بن اسد بـن فضلان الذي انفذه الخليفة العبـاسي المقتـدر الـذي بويع بالخلافة سنة ٢٩٥هـ وكان عمره اذ ذاك ١٣ سنـة ، وذلك سنة ٣٠٩ هـ ، الى ملك الصقالبة بمهمة . فوضع فى رحلته هذه رسالة عرفت باسمه وصف فيها ما شاهده منذ ان انفصل عن بغداد الى ان عاد اليها ، وفيها وصـف مملكة الصقالبة وعاداتهم وغير ذلك وقد عني المستشرق الالماني فريهن بنشر هذه الرحلة مع ترجمة المانية ونشرها فى بطرسبرغ عام ١٨٢٣ فى ٨١+٢٨١ صفحة .

رحلة ابن فضلان الى بلاد البلغار وروسيا

رحلة ابن فضلان الى روسيا والرسالة التي وضعها عن هذه الرحلة ، مصدر هام من مصادر تاريخ روسيا القديم فى العهد الذي تمت فيه الرحلة ، اي فى القرن العاشر للميلاد، اذ انها تصف بلاد الروس والبلغار والاتراك فى ذلك العهد ، وصفا لا يكاد يقع الا فى هذا المصدر . فلا عجب ان يجعله الروس فى عداد مصادرهم الثمينة كمرجع اساسي لا غنى عنه ، ولا يزالون ، منذ سنين عديدة ، يعودون اليه فـي مقالات وفى دراسات ليزدادوا به فهما ومعرفة ، كما يقـول صديقنا الدكتور سامي الدهان الذي نشر هذه الرسالة من عهد قريب جدا ، وعنه اخذنا بعض التفاصيل المتعلقـة بهـذه الرحلة .

الوفد والرحلة ــ تمت الرحلة التي قام بها الوفد العربي تلبية لطلب ملك البلغار ، احدى قبائل الصقالبة من سكان الشمال فى اوروبا ، على اطراف نهر الفولغا وعاصمتهم على مقربة من مدينة قازان اليوم ، على خط مواز لمدينـة موسكو . وقد طلب مليكهم الى الخليفة المقتدر العباسي ، ان يرسل اليه بعثة من قبله ، تفقهه فى الدين وتعرفه شرائع الاسلام وتبني له مسجدا وتنصب له منبرا يقيم عليـه الدعوة للخليفة فى جميع ممتلكاته . وسأله ان يبني لـه حصنا يتحصن فيه من الملوك المخالفين له ، وهم ملـوك الخزر وكانوا من اليهود ، وكانوا يعتدون على قومـه ويفرضون عليهم الضرائب يؤدونها عن كل بيت فى المملكة جلـد سمور .

فقبل الخليفة ، ووزيره اذ ذاك حامد بن العباس الـذي وزر له بعد ابي الحسن علي بن الفرات وعلي بن عيسى بن الجراح ، فارسل الى ملك الصقالبة وفدا من اربعـة

اشخاص برئاسة ابن فضلان ومعهم دليل هو رسول الصقالبة : عبد الله بن باشنو الخزري ، لمعرفته اللغة العربية او لثقتهم به وبحسن اسلامه ، وزوده هو ووزيره برسائل الى ملك الصقالبة . وقد ارفق الوفد باشخاص ثانويين ذكرهم ابن فضلان باوصافهم المفردة ، بينهم الفقيه والمعلم والغلمان ، والرسالة على قصرها وايجازها تحدد تاريخ الرحلة وايامها وخططها وسيرها وتتيح لنا ان نرسم الطريق الذي مرت فيه والاوقات التي قضتها في كل مدينة وقرية ، وعند كل نهر ومفازة .

وصف الرحلة ـ رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ الموافق ٢١ حزيران ٩٢١ ، وظل يصعد شرقا وشمالا ، مارا بهمذان والري وعبر نهر جيحون ، فبلغ بخارى ثم اوغل في البراري والبوادي حتى وصل الى فولغا عند ملك الصقالبة يوم الاحد في ١٢ محرم ٣١٠ هـ الموافق ١١ ايار ٩٢٢ ، فاستغرقت الرحلة ١١ شهرا في الذهاب ، لاقى خلالها الوفد مصاعب كثيرة واهوالا مذهلة .

وينوه المستشرق الالماني فريهن حين قدم لدراسة بن فضلان منذ مائة وسبع وثلاثين سنة ، بفضل العرب والرحالة العرب على تاريخ روسيا ، اذ القوا بكتاباتهم ورحلاتهم والاوصاف الدقيقة لما شاهدوا وعاينوا وسمعوا، انوار كثيرة . ويشيد بفضل ابن فضلان للمعلومات النافعة التي ادلى بها عن البلغار وروسيا في عهدها البعيد . وقد صور في اخبار رحلته هذه العادات والتقاليد والحياة والاخلاق في ذلك العصر في مختلف المناطق التي مر بها او ضرب فيها . فلم يغفل كثيرا عن وصف ما لاحظ من شؤون القوم ومظاهر حيواتهم ، وكان دقيق الملاحظة ، يسجل اكثر ما يرى السائح . والمهم في الامر انه خص بلاد البلغار والروس بوصف محيط دقيق .

ويجب الاشارة هنا لفضل هذه الرسالة على الجغرافيين والمؤرخين العرب ، فهم كلما تحدثوا عن هذه الاصقاع نقلوا عن ابن فضلان من غير ان يذكروا غالبا اسمه ، اللهم الا ياقوت الحموي . فقد نقل عن ابن فضلان صفحات كثيرة ، وكان يثبت اسمه في كل موضع نقله عنه من مواضع معجم البلدان . والرسالة مرجع مهم من المراجع للبلاد التي زارها، وخاصة بلاد البلغار والروس .

ولم يعرض الجغرافيون العرب الذين نقلوا عنه اسمه ولم يعرضوا له في مصادرهم التي اخذوا منها . فقد قرا الرسالة منذ القرن الرابع وبعده الاصطخري وابن رسته والمسعودي ولكنهم لم يثبتوا في كتبهم انهم نقلوا عنه. وفي القرن السابع ، كان ياقوت اول من اشار الى فضله واختار فصولا من الرسالة جعلها في كتابه : « معجم البلدان » .

فهو قد اثبت قرابة عشرين صفحة منها وترك خمس عشرة صفحة ، فكأنه نقل ثلثيها ، وبقي ثلث واحد على الاقل مجهولا لم يظهر في مصدر او كتاب . وقد تعددت نسخ الرسالة المذكورة في عهد ياقوت في القرن السابع الهجري ، عرفها الناس وتداولوها ، ولا شك في ان ياقوت راى بعض هذه النسخ خلال رحلاته واسفاره في بلاد العجم والترك ، فنقل منها فصولا عدة وجعلها في كتبه مادة يستنير منها ويستشهد على الاقاليم والبلدان التي اراد ان يصفها على عادته . ومن الفصول التي نقلها ما هو خاص بـ : خوارزم ـ وباشغرد ـ وبلغار ـ واتل ـ وروس ـ وخزر .

اهتمام المستشرقين برسالة ابن فضلان ـ والمستشرقون هم اول من تنبه الى خطر هذه الرسالة ، فبحثوا عنها في المراجع العربية ورأوا ان فصولا منها اثبتها ياقوت وحده مشيرا الى صاحبها . فراحوا منذ القرن التاسع عشر يعنون بها درسا وتعليقا وترجمة . فنشر بعضهم سنة ١٨٠٠ ما قاله الجغرافيون العرب عن الروس ، وفيهم الادريسي والمسعودي وابن فضلان .

وفي سنة ١٨١٤ ، جمع المستشرق راسموسن ، مقاطع من هذه الفصول وترجمها الى الروسية . وفي سنة ١٨١٩ راح المستشرق الالماني فريهن يجمع مخطوطات ياقوت ليستخرج منها ما نقله عن ابن فضلان وينشرها تباعا . فنشر سنة ١٨٢٢ ، الفصل الخاص بالخزر الى اللاتينية ومعه ما قاله بن حوقل فيهم . وفي سنة ١٨٢٣ ، نشر الفصل الخاص بالروس الى اللغة الالمانية مع شيء كثير من التفصيلات والتعليقات ، فكان مؤلفا ضخما وقع في ٢٦٨ صفحة من القطع الكبيرة مع العلم بان الفصل الخاص بالروس في الرسالة لا يتجاوز احدى عشرة صفحة، ترجمها في ١١ صفحة مقابلة بالالمانية ، وعلق عليها بـ ١١٥ صفحة زخرت بالنقول عن اليونانية والفرنسية والانكليزية والعربية ، واتمها بالفهارس والملاحق على نفقة المجمع القيصري وعنوانه بالالمانية : « رسالة ابن فضلان والجغرافيين العرب الاخرين عن الروس من اقدم الازمان. نص وترجمة ، مع نقد لغوي وملاحظات وثلاثة ملاحق ، بطرسبرغ ١٨٢٣ . »

وفي سنة ١٨٣٢ ، نشر فريهن نفسه الفصل الخاص بالبلغار ونهر الفولغا ، (اتل) في منشورات الجمعية الاسيوية بسينفراد اليوم . وهكذا نشر الرجل اكثر فصول الرسالة عن ياقوت وتمنى ان يحصل على مخطوطة الرسالة كاملة . الا انه قضى قبل ان يصل الى ضالته .

وفي سنة ١٨٦٣ ، نشر وستنفيلد عن الرحلات عند ياقوت ومنها رحلة ابن فضلان دراسة بالالمانية. وفي سنة ١٨٩١ ، نشر فستبرغ دراسة كذلك عن ابن فضلان .

وفي سنة ١٩٠٢ ، نشر المستشرق الروسي فون روزن مقالا بالروسية عن ابن فضلان واوصافه لاتل وخوارزم والروسيا وذلك في مجلة ز.ب.ا مجلد ١٥:٣٩ـ٧٢ .

وفي سنة ١٩١١ ، كتب المستشرق التشيكي فورجاك دراسة عن رحلة ابن فضلان ، نشرها في براغ ، وبعد ذلك بعامين نشر المستشرق الروسي برتولد بالروسية دراسة عن موضوع الرحلات الى روسيا عند العرب . وذلك في مجلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ر. ب. ا. الروسية مجلد ٢١ (١٩١٣) فيها عن الاصطخري وابن رسته والبكري .

وفى سنة ١٩٢٤ ، اصدر ماركوارت دراسة عن الرحلة المشار اليها ، فى ليبسيك . وفى هذه السنة بالذات ، وقع حدث خطير اذ تسلم المعهد الاسيوي للاستشراق في بطرسبرغ ورقتين مصورتين من النسخة الخطية التي اكتشفت فى مدينة مشهد «طوس» من ايران . ووصلت بقية الاوراق مصوره بعد ١٠ سنوات الى هذا المعهد، فتغير سير الدراسات عن الرحلة بعد الحصول على النسخة الكاملة للرسالة .

وفى سنة ١٩٢٤ ، نشر فى مجلة ب. ا. هـ (مجلد ٦ ٢٣٧–٢٣٨) مقالا بالروسية فى التعريف بهذه النسخة الخطية التي اكتشفت فى خزانة المخطوطات بمشهد . ومنذ ظهور المخطوطة توجه المستشرقون الى دراستها والتعريف بها . فنهض العالم التركي زكي وليدي طوغان الى تحقيقها والتعليق عليها وترجمتها ، فاكمل ما فيها وقابلها على ياقوت وغيره ، وتبعها بنصوص من الجغرافيين العرب ، ونشرها بالحروف العربية والترجمة الالمانية ، وطبعها سنة ١٩٣٩ ، ونشر هو نفسه ، قبل ذلك ، مقالا بين فيه اهمية الرسالة وفائدة هذا الكشف .

وقد علق على هذه الترجمة ونشر رسالة ابن فضلان كثيرون بينهم :

١ – تعليقات المستشرق الالماني ريتر فى مجلة المستشرقين الالمان ليبسيك ١٩٤٢ ، جزء ٩٦ : ١٩٨–١٢٦

٢ – تعليقات المستشرقين الاميركيين بلاك وفراي في مجلة بيزنطينيا ١٩٤٩ فى ٣٧ صفحة .

٣ – تعليقات المستشرق الانكليزي دنلوب فى المجلة الالمانية: دنيا الشرق – شتوتغارت من صفحة ٣٠٧–٣١٢

٤ – تعليقات المستشرق تشاكلاري فى المجلة المجرية ، فى بودابست ، عام ١٩٥١ من الصفحة ٢١٧–٢٤٣ مع الصور الشمسية لرسالة ابن فضلان .

وفى السنة نفسها صدرت دراسة بالروسية برعاية المستشرق الروسي الكبير كراتشفوفسكي فى مدينة موسكو . وقد جاءت مقدمتها الروسية فى دراسة الرحلة وصاحبها فى ٥١ صفحة ثم تلتها ترجمة الرسالة الى الروسية فى ١٢٠ صفحة ورقة فورقة ، فى ملاحظات قيمة ثمينة جدا واعقبتها الملاحق والفهارس ، وفى اخر هذه الدراسة نشرت صورة شمسية للرسالة كلها عن مخطوطة مشهد بحجم كبير . وهذه الدراسة هي ادق ما صدر عن ابن فضلان ورسالته ، وفيها اصح التعليقات واقربها لفهم النص، خاصة فى ما يلم بالبلغار وروسيا . فهي تعتمد على المقالات والدراسات التي نشرت قبلها وترجع الى المصادر الحديثة الواسعة على قوة فى الملاحظة ووقوف على العربية واسرارها ولكنها جعلت المستشرقين عامة والروس خاصة، وقد ظهرت الدراسة المذكورة فى عداد منشورات المجمع العلمي بالاتحاد السوفياتي بعنوان : » رحلة ابن فضلان الى البلغار ، مع مقدمة للمستشرق الاكاديمي اغناطيوس كراتشفوفسكي فى موسكو ١٩٣٩ ، فى ١٩٣ صفحة و ٣٣ صورة شمسية » .

الا انها لم تعن بطبع النص العربي محققا ومصححا بحروف الطباعة العربية كما فعل زكي وليدي ، وانما اكتفت بالصور يصحح رواياتها القارىء الروسي من التعليقات .

واخر دراسة عن ابن فضلان قام بها مستشرق التي صدرت فى مدينة خاركوف فى روسيا سنة ١٩٥٧ ، بعناية المستشرق الروسي كوفالسكي فى ٣٠٩ صفحات بحجم الربع، مع ٣٣ صفحة للنص العربي فى صورة المخطوطة وفيها شروح وتعليقات بالروسية .

فرسالة ابن فضلان طبعت مرة واحدة بالحروف العربية على يد الاستاذ زكي وليدي طوغان مع الترجمة الى الالمانية والتعليق عليها . ونشرت صورها الشمسية مرات وصدرت عنها دراسات ومقالات فى الالمانية والروسية والانكليزية. وهذه الطبعة والدراسات هي فى الغالب مفقودة من خزائننا العربية لا تكاد تملك منها طبعة او دراسة . فكان الرسالة لم تنشر وكانها بقيت مخطوطة . وبذلك اصاب ابن فضلان ظلم كثير فى الاقطار العربية ، اذ لم ينهض له ناشر او محقق يجمع شتات التعليقات والمقالات .

الدكتور سامي الدهان ونشر رسالة ابن فضلان – واحدث طبعة واتقنها واشرفها حرفا واخراجا لرسالة ابن فضلان هي الطبعة التي نشرها منذ بضعة اشهر صديقنا الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بدمشق فى ٢٠٦ صفحات من القطع الكبير او قطع الثمن . وقد اتبع النص والتحقيقات المذهلة التي علقها عليها بخمسة فهارس عامة كسرها على : ١ – فهرس الاعلام والقبائل والطوائف – ٢ – فهرس المواضع والاماكن – ٣ – فهرس الحضارة واللغة – ٤ – فهرس الكتب والمراجع – ٥ – فهرس محتويات الطبعة الجديدة . وقد صدرت الطبعة فى عداد منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق فجاءت طبعة مخدومة حافلة بالعناية والتدقيق والتتبع المضني كما عودنا على ذلك الناشر الكريم . وبذلك أعاد ناطق بالضاد وباحث عربي مشهود له بالتحقيق العلمي هو الدكتور سامي الدهان ، الاعتبار الى ابن فضلان صاحب هذه الرسالة ورئيس الوفادة التي ارسلها المقتدر العباسي الى بلغار عام ٣٠٩ هـ ، فازاح بذلك الحيف والظلم اللذين نزلا طويلا بابن فضلان ، اذ تمكن من نشر رسالته فى جمهور المثقفين المتشوقين الى تراثنا العربي الخالد وخاصة فى هذه الايام بالذات . ليعرف العرب اي يد كريمة كانت لهم منذ القرن العاشر للميلاد ، فى نصرة البلغار على الخزر اليهود ، هذه الدولة اليهودية التي طفت على هذه الامة وهددت كيانها وسلبت نساءها واذلتها فى عقر دارها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهب العرب من بغداد لنجدة القوم المستضعفين . وهكذا تم للدكتور سامي الدهان ان ينشر بين ظهرانينا وثيقة سياسية تاريخية حضارية هامة عني بها الغربيون من جانبهم وبقي على العرب ان يعنوا بها وهم اصحاب الفضل واليد .

اما نص الرسالة فقسمه الناشر الكريم بعد فاتحة الكتاب الى : العجم والترك ـ الصقالبة ـ الخزر .

الكشف عن العلاقات التاريخية الاخرى

قام المستشرق الروسي كولسن بترجمة ما ورد في « الاعلاق النفيسة » لابن رسته عن الروس والصقالبة وشعوب البلقان الى الروسية ، كما ترجم الكثير من المقاطع والمعلومات التي وردت في تاريخ اليعقوبي وفي « فتوح البلدان » للبلاذري عن تاريخ اذربيجان ، ومقاطع اخرى عن تاريخ التركمان وتركمانيا وبعض ما يتعلق بتاريخ الداغستان والقفقاس في القرن العاشر للميلاد . ونشر اكثر هذه الدراسات معهد الدراسات الشرقية التابع لاكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفياتي .

ويقول الاكاديمي كراتشقوفسكي : من المعروف ان العرب مدينون الى الكثيرين من مواطنينا كالادباء الذائعي الصيت في اذربيجان واسيا الوسطى منهم الفارابي وابن سينا والخوارزمي والبيروني وسواهم . ومما هو جدير بالذكر هنا انه قد ثبت لمجمع العلوم في اذربيجان واوزباكستان اثناء تحريهم العلمي عن منشأ الادب في بلادهما انه ليس من اصل عربي بل من اصل اذربيجاني اذ انه كان قائما في البلدين قبل الفتح العربي بكثير .

وقد وضع الاستاذ المستعرب بيليف كتابا قيما عن تاريخ الادب العربي في بخارى نحيل اليه من يرغب من الباحثين في الاستفاضة بهذا الموضوع .

ونشطت على التوالي ، منذ القديم الاتصالات بين شعوب الامبراطورية العربية الاسلامية وروسيا . فثمة عدد من شعوب الاتحاد السوفياتي في اسيا الوسطى والقفقاس ربطتها بالشعوب العربية الاسلامية ، منذ اقدم العصور روابط ثقافية وتاريخية وثيقة . وبقي من هذه الروابط كثير من الكتابات والمخطوطات . وتوصل العلماء السوفيات نتيجة لدراستهم اللهجات العربية ، فى اكتشاف لهجات عربية جديدة في اسيا الوسطى لم تكن معروفة سابقا .

ويعيش الان في مقاطعة بخارى وفاشقاداريا ، في اسيا الوسطى اكثر من خمسة الاف عربي يتكلمون العربية ولا يستطاع الجزم في ما اذا كان هؤلاء الاقوام العرب ، ابناء اولئك العرب الذين تغلغلوا في آسيا الوسطى تحت الوية الاسلام في عصر الفتوحات الكبرى ، او انهم قد استوطنوا هذه المناطق في القرن الخامس عشر بعد ان نقلهم تيمورلنك من سوريا والعراق الى هذه الاقطار . ولكن مهما يكن من امر فان كون بعض عرب اسيا الوسطى ظلوا محتفظين بلغتهم العربية طيلة هذه القرون ، منذ نزوحهم الى تلك البلاد ، هو واقع ذو اهمية كبيرة جدا.

ودلت البحوث على ان اللغة العربية المستعملة في اسيا الوسطى هي لهجة مستقلة كالمالطية ، وتشغل مكانا خاصا بين اللهجات الاخرى على الرغم من انها تظهر لها في بعض نواحيها صلة باللهجة العراقية ، وفي نواحيها الاخرى بلهجات البدو في اواسط شبه الجزيرة العربية، كما يؤكد ذلك الاستاذ تسيريتللي الذي نأخذ عنه هذه الملاحظة .

وقد بقي من هذه الروابط كثير من الكتابات والمخطوطات والمحفوظات وغير ذلك من الاثار الباقية ، تظهر للنور، مع نشاط البحث العلمي في عدد من اللغات كالعربية وغيرها من اللغات واللهجات المحكية من قبل في هذه البلدان .

واقدم هذه الاثار يعود الى القرن الاول الهجري ، منها مثلا رسالة على الرق ارسلها صاحب صغد في طاجيكستان ديواشتي ، الى القائد العربي الامير الجراح بن عبدالله سنة ٩٩ـ١٠٠ هـ

وساهم عدد كبير من ممثلي شعوب اسيا الوسطى والقفقاس في القرون الوسطى العليا مساهمة كبيرة في انشاء الحضارة العربية الاسلامية القائمة على اللغة العربية منهم مثلا مفكرون كبار كالخوارزمي والبيروني والبخاري وابن سينا وغيرهم كثيرون .

وفي القرن التاسع والعاشر للميلاد تنصرت اقوام الصقالبة في عهد امرائهم الاول وذلك على يد رسولي الصقالبة متوديوس واخيه كيرليس اللذين كرزا بالمسيحية بين الخزر وسكان مورافيا ، ومنها استمدت تلك الاقوام الابجدية الكيرلسية . وزاد الاقبال على اعتناق النصرانية بين القبائل السلافية بعد ان ترجمت الاسفار المقدسة الى الصقلبية القديمة في عهد ملكهم الاول فلاديمير الكبير ، المعروف بالقديس .

ومنذ ذلك الحين نرى بعض الروس يفدون الى الاماكن المقدسة في فلسطين للتبرك بزيارتها ، ابتداء من القرن الحادي عشر . وقد زادت رغبتهم اثر فتح الصليبيين للاراضي المقدسة في اواخر القرن الحادي عشر للميلاد (١٠٩٩) ، وانشائهم مملكة اورشليم . فقصد على التوالي عدد منهم كان يزداد على مر السنين مزارات فلسطين وفي طليعتهم الاكليروس القانوني والعلماني يتجشمون المخاطر والاهوال . فيندفع كثيرون من افراد الشعب ينحون منحاهم وينسجون على منوالهم غير هيابين ولا مبالين .

اما الطريق التي كان الحجاج الروس ينهجونها اذ ذاك من روسيا الى الشرق وفلسطين فكانت عادة مدينة كييف ، عاصمتهم الدينية الكبرى ، ثم يركبون منها سفنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نهرية خفيفة يقطعون بها نهر الدينيبر ، فيسير بعضهم على الاقدام الى بلغاريا ومنها الى القسطنطينية حيث يستأجرون سفنا شراعية يبحرون بها الى يافا عبر البوسفور ، وبحر مرمرا ومضايق الدردانيل وجزر بحر ايجيه ثم الى بحر الشام ، سائرين قريبا من سواحل الاناضول وسوريا ، يتمونون من مدنها عند فقدان الزاد او تناقصه .

ومع كثرة الروس الذين تكلفوا زيارة الاماكن المقدسة نقد قل بينهم من كتبوا وصفا لهذه الاماكن كما راوها او ظهرت لهم احوالها واحوال السكان الذين اتصلوا بهم او تعاملوا معهم . ولا غرو في ذلك اذ كان معظم هؤلاء الحجاج من عامة الناس ، مع قلة انتشار العلم والتعليم في زمانهم .

ولعل خير الرحلات التي قام بها الروس في هذه الحقبة الرحلة التاريخية التي قام بها الرحالة الروسي دانيال في القرن الثاني عشر التي قضى فيها ١٦ شهرا متجولا في انحاء فلسطين وسوريا ولبنان فكانت اول اثر من جنسها لكاتب روسي ، هي موضوع البحث التالي :

الرحالة دانيال

من مشاهير الرحالة الروس الى الشرق العربي المسيحي ، ومن اقدمهم عهدا ممن حفظ لنا التاريخ اسمهم ، الرحالة دانيال الذي طوف في فلسطين وسوريا في مطلع القرن الثاني عشر للميلاد . فقد سافر الى الاماكن المقدسة ، من قبل الامير سفياتوبوسك ، حفيد الامير باوسلاف ابن الامير فلاديمير امير كييف ، اول الامراء المتنصرين في البلاد السوفياتية . وقد استمددنا بعض اخبار هذه الرحلة من محاضرة لالكسي بوفوليولبسكي القاها في نادي مدرسة الاباء اللعازريين في دمشق سنة ١٩٢٤ ، نشرت نتفا منها مجلة المشرق الغراء (مجلد ٢٤ : ٦٤١) .

كان صاحب هذه الرحلة على ما يظهر رئيسا على بعض الاديرة في وطنه روسيا . ويلوح من كلامه انه كان دمث الاخلاق ، عريقا في التقى ، متمسكا بوطنه عالقا بحبه الشديد . ويفيد انه ولد في روسيا الجنوبية وان رحلته الى القدس تمت سنة ١١٠٦ ، كما يستدل من اخباره عن الصليبيين واحوالهم ، بعد فتحهم للقدس بزمن قليل .

وكانت روسيا في زمانه على وضع كثرت فيه القلاقل واستفحل الشر وعمت الفوضى . قضى في زيارته هذه ١٦ شهرا فوصف طريقه من القسطنطينية الى اورشليم بحرا . مدونا المسافات التي قطعها من مكان الى اخر على المقاييس الروسية في زمانه . فاذا ما مر بمكان ذكر اثاره المسيحية ومن اشتهر في تلك الامكنة من الرسل والقديسين والشهداء ، وينقل ما يسمعه من الاهلين عن اخبارهم ويذكر ما لتلك الامكنة من الخواص التاريخية والتجارية ففي افستسي يشير الى رسالة القديس يوحنا الحبيب والى المجمع المسكوني الثالث فيها ضد نسطوريوس ، سنة ٤٣١ ، كما يذكر معلومات جد مفيدة عن جزر الارخبيل وقبرص وينوه ان فيها ٢٠ اسقفا .

وبعد اسابيع بلغ الانبا دانيال سيناء ويافا ومنها الى القدس ماراً باللد حيث قام بزيارة كنيسة الشهيد القديس جيورجيوس ، ونزل سائحا ضيفا في دير القديس سابا واقام فيه بضعة عشر شهرا متنقلا منه الى كل الاماكن التي ورد ذكرها في الاسفار المقدسة . وكان رحالتنا دانيال ذا مال وافر صرفه في سبيل اقتناء الذخائر التقوية . فبعد ان زار القدس واثارها المسيحية زار ضواحي القدس كجبل الزيتون وحديقة جتسمانية ومكان صعود المسيح ، وبركة سلوان وقبر العذراء مريم ونشط في وصف سبت النور وفيضان النار المقدسة .

ثم زار بحيرة لوط ونهر الاردن وتبطن الوادي العميق الذي اطل عليه دير مار سابا وزار بيت لحم وقصد مدينة حبرون وسنديانة ممرا حيث جلس ابرهيم ومغارة مكفيلة حيث دفن . ثم اخذ بزيارة الاماكن المقدسة الباقية كالسامرة وعمواص وارصوف وقيصرية ، وزار بئر يعقوب وشبسطية وطاف جهات الجليل ووصف الناصرة وكنيستها الكبرى وانتقل منها الى يافا والى قانا الجليل ، وجاء كفرناحوم وصيدا والجليل وصعد منه الى ينابيع الاردن ، كما زار جرش وبيسان والمدن العشرة .

ودخل حيفا ومدينة عكا ورقي جبل الكرمل ، ثم جاء بيروت وزار لبنان ووصف ثلوجه . ثم انتقل راجعا الى بلاده عن طريق البحر من يافا الى القسطنطينية ووقع في طريق عودته بيد القرصان من المسلمين وسلبت محتوياته .

وقد توالت رحلات الروس بعد رحلة دانيال الى الشرق . ويذكر التاريخ كقصة غير مثبوتة يتداولها الروس سفر بعض افراد العائلة المالكة في روسيا الى زيارة الاماكن المقدسة . وذلك سنة ١١٧٣ بشخص الاميرة فروسينا مع اخيها الامير داود واحدى صديقاتها ابراسيا .

من تلك الرحلات رحلة قام بها الشماس ايفناتي سمولنسكي في القرن الرابع عشر ، والراهب روسيما والتاجر فاسيلي في القرن الخامس عشر ، وف بوزيناكوف والتاجر اغوارا في القرن السادس عشر . وزار مصر في نهاية القرن الخامس عشر ميخائيل غريغورييف خازن الامير الروسي الكبير واحد كبار المتعلمين في عصره ، واقام في مدينة القاهرة اربعين يوما . وفي القرن الخامس عشر جاب الرحالة الروسي المستكشف للهند افاناسي نيكيتي ، بلادا عديدة في الشرق الاوسط وترك لنا وصفا مدهشا للبلاد العربية في اخبار الرحلة المثيرة التي وضعها .

وثمة رحالة روسي مجهول جاب تركيا والبلاد العربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خلود

قد اغني ، والليل اصداء قلب ... صامت ، يرقب الصباح الجديدا
واغني ، والاه شوق ، وروحي ... رجع ناي .. يمضي وئيدا وئيدا

قد اغني ، والنجم يعكس اصداء غنا ... ئي في عالم علوي
وتظل اللحون قدسية الضوء ... تصب الخلود في الابدي

لا تسلني عن سر صوتي وما ... معنى انخطاف الضياء من عينيا
فانا لا اعي ، دروبي سراديب ... يظل المسير فيها عصيا

كل ما استطيع ارعش اوتاري ... وافني في الاغنيات الحيارى
قد يموت النهار ، والناي في ... كفي ، حنونا ، حتى يفيق السكارى

وانا لا ازال في قمة التل انا ... دي المفاوز التائهات
يا رياحا يموت في صوتها الصوت ... وتذري منابع الكلمات

قد يمل الزمان ، تفنى الحوا ... كير ، يحل الخريف في كل حقل
وتفيض المياه من مهجة النبع ... تجف الحياة من عرق طفل

وانا لا ازال اصدح باللحن ... وتمضي شبابتي ، في الغناء
كلما اوغل الغروب .. وغاب الضوء ... عني ، في شاسع الاجواء

قدر ان يظل عودي .. يشاجي ... الصخر والماء .. والفضاء النائي
قيمة اللحن .. في الخلود .. لتصغي ... اذن الدهر ايما اصغاء

اربد ـ الاردن

احمد حسن ابو عرقوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكتب عن الامبراطورية التركية واصفا لها وصفا يعتبر من احسن المصادر الصحيحة لدراسة البلاد العربية انذاك. أما في القرن الثامن عشر فقد زار البلاد العربية الرحالة الروسي غريغوروفتش بارسلي كما زار بلاد الغرب .

ومن هذه الرحلات وغيرها الكثيرة كان الروس يقتبسون المعلومات عن البلاد العربية ويصححون الاوهام والمعلومات العدائية التي كانت تبثها الكتابات البيزنطية والاداب الاوروبية في القرون الوسطى عن الشرق الاسلامي والعربي . وقد قدم العرب الذين اتوا روسيا من رجال العلم والدين معلومات قيمة عن البلاد العربية في عهد البطريرك يواكيم ، بطريرك انطاكية في القرن السادس عشر ، والبطريرك مكاريوس الحلبي وابنه بولس الكسي في القرن السابع عشر .

وقد تكاثر عدد الرحالة والمستكشفين الروس الذين زاروا البلاد العربية في القرن التاسع عشر وتركوا عن رحلاتهم هذه مؤلفات ثمينة تفيض بالمعلومات الدقيقة امثال : بازيلي ونوروف ومورافييف ورافالوفيتش وتزينكوفسكي وكوفالسكي .

فقد كانت رحلاتهم الى بلدان الشرق واتصالهم المباشر بشعوب الشرق العربي وبمعالم الحضارة العربية الاسلامية ، معينا صافيا من المعلومات والفوائد العلمية التي عرفت الروس بهذا الجزء الهام من العالم الذي ربطتهم به وببعض سكانه وشائج وثيقة مشتركة من وحدة العقيدة والايمان ونزعات ومطالب تمثلت في اهداف سياسة روسيا الخارجية وانبساطها نحو الشرق .

يوسف اسعد داغر

مددت يدي الى جيب سترتي ابحث عن علبة الثقاب لاشعل سيجارة .. فاذا انامل تعثر على شيء لم تكن تبحث عنه .. بضع زهرات من الياسمين الجافة اليابسة .. اخذتها في كفي ورحت أنظر اليها باستغراب كثير .. وكنت كمن جابه منظرا شديد الفزع ، منظر ميت دفن منذ القديم ، ثم هب المدفون فجأة من قبره وجعل يتحدى الموت ويعيدقصة البعث وقصة الحياة من جديد ..

ظللت اسير في طريقي بالشارع ، والسيجارة المطفأة تتأرجح بين شفتي .. وكفي المرتعشة تطبق على زهرات الياسمين اليابسة بوله .. ورحت ابحث في زوايا الامس عن ذكرى عزيزة رائعة وقفت امامي تجابه الواقع في تحد وكبرياء .

كانت « سعاد »تحب الياسمين .. وقلما وجدتها يوما وهي تتخلى عن زينتها المفضلة .. زهرات الياسمين تضفر منها عقدا تجعله في عنقها الناصع البياض والذي يزاحم الياسمين نعومة وبياضا وعطرا .

كانت مغرمة بالياسمين الى حد عجيب .. وكانت تتفنن به فتجعل منه عقدا مرة ، او اقراط وضفائر مرات اخرى .

وكل منا في الحياة يحب شيئا معينا يفضله على غيره .. اما«سعاد» فكان الياسمين كل شيء في حياتها.

وعندما التقيت بها ، لاول مرة ، في حفل كبير .. كانت مميزة على جميع المدعوات باناقتها الساحرة وجمالها الاخاذ ، وبياسمينات بيض ضفرت منها عقدا زينت به جيدها العاجي في بياضه وصفائه .

وذكرني صديقي ، صاحب الحفلة، بغرام «سعاد»المشبوب بالياسمين .. فكان اول حديثي معها ان اثنيت على الياسمين ثناء جميلا .. ومدحته على انه اجمل الزهور جميعا .. ولو لم تكن هي نفسها ذات ذوق مرهف لما اولعت بالياسمين تاج الزهور وعنوان الامل البسام . وطربت كثيرا عندما سمعتني اقول لها :

ـ كأنك ياسمينة معطارة كبيرة تجسدت فيك النصاعة والعطر وجعلت منك اروع صورة رأيتها .

وضحكت في طرب .. وبانت اسنانها في بياض الياسمين .

وتلك المقابلة كانت بداية تعارفنا وبداية حبنا العظيم ..

لقد كنت دوما ابحث دون جدوى في خيالي البعيد وعاطفتي المدفونة عن لهيب الحب الذي يعصف بحياتي متمثلا في حسناء رائعة الجمال صافية القلب .. واتمثل هذا الحب المستعر يهب عاصفا يجتاح الكومات اليابسة من العشب ويحيلها بين يوم ويوم الى كتلة من نار تشتعل وتلتهب .

زهرة الياسمين

بقلم عدنان الداعوق

ونحن هكذا دوما في الحب .. نتمناه ونحلم به ، ولكننا نريده كذلك ان يعصف شديدا ويهب محرقا مجتاحا.. وما لذة الحياة الا بالحب، وما لذة الحب الا عاصفا قويا . واذا انا فجأة اقابل « سعاد » من غير ميعاد .. فالمح في عينيها نداء عميقا للحب الذي نشدته سنوات طوال ، واتوسم في ابتسامتها السعادة والامن والرغبات الصادقة .

ووجدت نفسي رويدا ابحث عنها بعد تلك المقابلة الاولى .. وسألت صديقي ، صاحب الدعوة ، عنها .. ورجوته في توسل ان يجمعني بها .

وكنت جادا فيما ارجوه واتمناه من رؤيتها ثانية لانني تنبأت بان مصيري يرتبط بمصير صاحبة الياسمين .

وقابلتها للمرة الثانية يوم جاءت لمعرض الرسم الذي كنت قد اشتركت فيه بعدة لوحات .. جاءت للمعرض ومعها فتاة اخرى قدمتني اليها وقدمتها الي على انها اختها « حسناء » وتأكد لدي من جديد ان « سعاد » خلقت من اجلي لوحدي.. وان مصيري في الوجود لن يرتبط الا بها.

وكانت ابهى لحظات عمري ساعة اخذت يدها بيدي وكأني املك الدنيا وما فيها .. وجعلنا نطوف ارجاء المعرض ونستعرض اللوحات العديدة بمختلف مدارسها ومذاهبها .. وكنت اسمع بين اللحظة والاخرى الى تعليق او انتقاد توجهه « سعاد » فتقف في انتقادها امام اللوحات موقف الفنان المرهف الحس الدقيق المشاعر .. تنظر بعمق وتفكير .. وتسأل في تمهل .. وتجيب في روية تدل دلالة واضحة على انها فنانة .

وكانت الفتاة الاخرى شقيقة سعاد تسير الى جانبنا تشاركنا في الكثير من آرائنا ونظراتنا ولكن الميزة الواضحة فيها اغراقها الشديد بالهدوء الذي يحيطها بهالة سامية .

وكان من جملة اللوحات التي اشتركت بها لوحة بعنوان « زهرة الياسمين » وهي لوحة تمثل فتاة رائعة الحسن فتانة التقاطيع شبيه الى حد كبير بسعاد .. ولا غرو في ذلك لانها هي نفسها كانت الوحي فيما رسمت خلال ايام طويلة امتدت منذ اللقاء الاول حتى يوم المعرض .

ووقفت سعاد امام اللوحة موقف المشدوه .. واستمرت تنظر اليها طويلا ، حتى ان شقيقتها حسناء قالت:ما اشبه هذه اللوحة بسعاد

قلت:في الواقع لم يكن في نيتي ان ارسم شخصا معينا .. الا ان رائحة خاصة وربما هي رائحة الياسمين كانت تسيطر على اجواء نفسي فحركت هذه الرائحة ريشتي فجاءت كما هي الان ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وضحكت الشقيقتان ، وارضيت رغبة مرتعشة فى جوانحي .

وبعد ان انتهى المعرض بايام بعثت لها بلوحة « زهرة الياسمين » ، وقد حاولت جاهدا لابقائها ، مع كلمة اهداء واعجاب ..

وفى عشية اليوم نفسه سمعت صوتها بالتلفون يدعوني لزيارتها .

كان علي ان اقبل دعوتها متلهفا متشوقا ، فقد حلمت العمر ان القاها وان اجلس قربها وانعم برائحة الياسمين عن قرب بعد ان عشت واياه معا فى خيالاتي الوحيدة .. ورفضت دعوتها بمنتهى البساطة وتعللت لها بسبب واه لا صحة له .. واعتقدت ان اعتذاري عن تلبية الدعوة سيزيد فى نفسها الرغبة ويقوي رابط المحبة بيننا

وبالفعل صدقت ظنوني .. فلم يمض اليوم نفسه حتى جاءتني في اليوم التالي منذ الصباح تعلن الي عتابها الحلو بعدم تلبيتي دعوتها .

ولمحت وهي تقول لي عتابها اللهفة والعاطفة المكبوتة التي ظلت تجاهد فى سبيل كتمانها الا انها كانت تظهر في رجفة الصوت ورقة العبارة .

وشكرتني على الهدية بقولها :

ـ انها اجمل هدية لاروع فنان ..

وتعانقت عيوننا .. ورفرف حولنا شعورنا باننا سعداء اجتمعت امانينا وتحققت غاياتنا وجمعنا الحب الصادق الامين .

وتلاقينا مرات اخرى، كانت تأتيني الى المرسم وتمكث الى جانبي الساعات الطوال .. تراقبني وتعيش معي فى الجو الذي اخترته لنفسي .. وكأنها وهي تجلس صامتة ، الى جانبي لوحة بالغة الروعة والبهاء .. ومن صنع الخالق وتكوين السماء .

وجلست سعاد بعد ذلك امامي اياما طويلة رسمت لها فيها ابدع لوحة فى حياتي ..

ولم تخل لوحة سعاد الجديدة من لون الطبيعة وروعة الزهور .. والياسمين بصورة خاصة .. الياسمين الذي لم يكن له اي مكان فى حياتي قبل التعرف بسعاد .

وعصفت رياح الحب بحياتي عصفا هائلا .. فاذا انا اهمس الى نفسي بالحب السامي الذي اكنه لسعاد .. وانها الانسانة الوحيدة التي يمكنها ان تغير مجرى حياتي .. وهي وحدها التي تستطيع ان تهبني السعادة بنظرة منها .. او تمنحني الشقاء اذا ما اغمضت جفنها الساحر عني .

وكان علينا ان نكلل حبنا بضفيرة من الياسمين تجمعنا فى بيت واحد .. نعيش معا ونسعد فى الحب والحياة .

ولكن حدث ان مرضت سعاد .. فلازمت الفراش فترة من الزمن كنت خلال ذلك اذهب اليها كل يوم .. واجلس بجانبها على السرير لحظات تطول وتطول ، احادثها واسمع صوتها ينساب الي وكأنني اسمعه يأتيني من اعماق الوجود .. ونظل نبني الآمال ونمهد فى طريق الحب الذي جمعنا معا .. ونرش على طول الدرب ازهار الياسمين ...

كان مرضها فى بادىء الامر بسيطا علله الاطباء كحالة من حالات التعب والارهاق .. ولكن زاد التعب ، واشتد عليها الامر واصبح الفراش مكانها الوحيد .

وابتدات اعراض المرض تتوضح شيئا فشيئا .. حتى ظهر فى النهاية، وما كاد المرض يسمى حتى صعقت وانتابتني حالة من الذهول المطبق كنت لا اصحو منها الا حين تبعث سعاد فى طلبي .

واشتد المرض ، وقويت العلة .. وسمعت الطبيب يهمس لوالدها يوما فى خشية والم :

ـ انها مريضة بالسل بالدور الاخير .. وقد يخشى من عدم شفائها ...

وحين لمحت الدمعة الساكتة فى عيني الوالد المسكين لم استطع الصبر.. فتوجهت الى المرسم وهناك اطلقت لعيني الدموع .. وظللت ابكي حتى الصباح .

هل من الممكن ان تموت سعاد .. ولماذا سوف تتركني ما دمت احبها ؟ .. اليس بالحب يحيا الانسان .. وما دمنا نملك الحب فلماذا لانعيش فى امن من المرض وفى رخاء من شرور الدنيا وآثام الحياة ..؟

وصورت لي خيالاتي تلك الليلة صورا رهيبة مفزعة ظللت ارتعش منها طويلا . ولم تكد تطلع اولى بشائر الصباح حتى كنت اقطع الطريق لرؤية الحبيبة ولاطمئن على صحتها.

كان الطريق مقفرا .. والناس ما تزال نائمة فى بيوتها وانا اسير لوحدي ولا اسمع الا صوت حذائي يردد اغنية اليمة الوقع محزنة الترتيل .

وشممت رائحة عبقة تملأ الاجواء .. وعطرا سحريا سماويا يهب فجأة على الوجود فيحيل الكون كله الى مبخرة تفوح منها رائحة حبيبة الى نفسي قريبة من قلبي رائحة الياسمين .

لم ادر كم من الوقت مر علي وانا مسمر القدمين عند باب غرفة سعاد التي رقدت فيها .. كنت انظر نحو السرير والمح بين الدموع العالقة فى جفني عقدا من زهرها الحبيب وقد نام فى هدأة على صدرها الذي سكن وخفت منه الحركة .

وشعرت بيد حزينة تربت على كتفي ..

كانت يد حسناء التي قادتني خارج الغرفة ، وصوتها الباكي يقول :

ـ تعال نخرج .. ولندع سعاد نائمة فانها تريد ان تستريح .

كنت ما ازال اسير فى الشارع والسيجارة بين شفتي .. وكفى المرتعشة تطبق على زهرات الياسمين التي بعثت فى نفسي كل هذه الذكرى.

واعدت الزهرات اليابسة الى جيبي .. فى حنان مشوق ولهفة حرى .. وظللت امضع السيجارة المطفأة دون ان اشعلها كقلبي الذي انطفأ يوم خبا نور الحياة فى عيني سعاد .

حمص — عدنان الداعوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العاشقة والنهر

⊙

مرت على النهر وقد عربدت ... في صدره امواجه الثائره
تسأل عن عاشقها المجتبى ... وعن ليالي حبه العاطره
ودمعها يفصح عن لهفة ... عارمة ، وصبوة ثائره
والفجر كالرسام في غرفة ... تغار منها الليلة الكافره
تخط في الافاق لوح السنى ... ريشته المبدعة الساحره
والطير تلغو ، والشذى بركة ... تسبح فيه النحلة الطائره

* * *

قالت له يا ناسكا لم يزل ... يتلو صلاة الخصب للزارعين
ويا سماء لم تزل ثرة ... تهل بالري على الظامئين
ويا بساطا للندامى اذا ... جفت كؤوس في يد الشاربين
هل اطربت سمعك يا كاهني ... انغام صب مستهام حزين
او عانقت روحك في صفوها ... روح تشيع البشر في العالمين
اني هنا حائرة لم ازل ... استاف من جرحي عبير الحنين

* * *

قال لها النهر وقد غمغمت ... امواجه الصاخبة الهائله
قد مر بي امس فتى ثائر ... كأنه العاصفة الذابله
تنم عن اشجانه دمعة ... مطلولة وآهة قاتله
في كفه قيثارة لحنها ... يشجى فؤاد المراة الثاكله
قلت له مالك يا شاعري ... وما جرى بالامس للسائله
اجاب يا نهر اذا اقبلت ... فقل لها ، سارت به القافله

* * *

وانطلقت مجهشة باكية ... تذيع سر الحب للداليه
والريح في الافاق مجنونة ... كأنها الصاعقة الداويه
والشمس جرح في حواشي السما ... نمت عليها الحمرة القانيه
تبث للدرب الذي ضمها ... ولفها اشجانها الداميه
يا ليتني اصبحت يا شاعري ... ريحانة تزهو بها الانيه
او كنت منديلا اذا عطرت ... كفيك انفاسي تلهت نيه

بغداد — عبد القادر الناصري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مكتبة الاديب

جبهـــة الغيـــب

احدوثة شرقيـــة في خمس مراحل ـ تـاليف الدكتور بشر فـــارس ـ الرسوم للفنان القاهري صلاح طاهر ـ ١١٦ صفحة حجم كبير ـ منشورات دار مجلة شعر ببيروت ـ مطابع دار مجلة شعر ببيروت

●

اسلوب الدكتور بشر فارس ، والاسلـوب هـو الرجـل حسب اشارة لونجينوس ، تعبئة كثيفة ، حشود من الصور ، والتجارب ، تنوء بحملها الكلمة ، ويحملها الجو . هذا الجو هو في الاصل للشعر ، للصوفية . لكن الوجودية التي شملت بزخمها ، وتماديها آفاق العصر ، تعـرض الجدائل المنفتلة في ساعديها ، وعنقها ، وانسحابة ادناها ، وهي تصيح بلسان الارادة التي اطلقها شوبنهور ، انا قادرة على كل شيء ، انـا جماع الفكر البشري ، ثم تعود تعوي وتئن ، ولكنني هل قدرت على شيء؟ كلمة الدكتور بشر ، محصنة بمقدار ما هي منفتحة ، لها دسم وحدها ، ولها فوران بركاني في التعبير ، معاقدها مشحونة بالطاقة ، تنهمر على الذهن صورا والوانا ، وعوالم .

قد يحتاج المدماك البشري الى دعائم متعددة ، لكنه ما ان يرصف لك عدة مشارف ، حتى يتركك تكمل انت العمارة ، كي تلحق به ، فان لـم تستطيع فهذا ليس من شانه ، انه يذكرك فقـط ، وبابتسامة الساخر ، العطوف ، المستوحش ، بقولة : لابي تمام ، ادع لك ايضا ان تذكرها ...

معرض المسرحيـــة :

ـ الزاويـة ، اهل الزاوية ، ما هي ، من هم ؟

ـ الارض ، النـــاس .

ـ والجبـــل ؟

ـ المصيـــر

ثم هذا الكسيح ، وذلك المكفوف ، ماذا يصنعان بين اهل الزاويـة وعنـد التصعيـد في الجبـل ؟

هما كل شيء ، بل هما يمثلان اهل الزاوية ، يمثلان الصعود ، حركة دائبة في الزمان ، وقابلية متطورة في المكان ، الكسيح هو العقـل ، المكفوف هو الارادة ، وهنا يظهر لنا كم ان المؤلف ماخوذ بمؤلف شوبنهور العالم « كارادة وفكرة » .

بيد ان الدكتور فارس ، لم يجعل للكسيح والمكفوف مجالا في المسرحية يطلان منه في معظم انكشافاتها .

بين الكفيف والكسيح ، يصدر عمود يفترعهما ، يجتاز شاوهما ، وحده هو القادر على تكييف المادة ، والامساك بتلابيب الزمان ، انـم البطل ، البطل الذي يستطيع مصارعة الاقدار والتغلب عليها .

يسلبه المصير شكله ، يتغلب على المصير ، ببقاء لهاثه الذي هـــو اعلان دائم عن نشوب المعركة .

بين العقل والارادة ، حيث هما متلازمان ، تقـوم حيـــاة البشر ذات الوتـــر الرتيـب .

البطل ، الفنان ، العبقري بخط عام ، يجمح بخياله ، بعاطفتـه ، ثم يصـــل بحنينـه الى ابعد البعيد .

بذلك الحنين يصبح احد الالهة .

وبذلك الحنين الذي يربطه خيـط وهمي بالعاطفة يعود فيسقط .

عندما ينطلق الى العالم الذي ترسمه عيناه على حدود المشارف القصية ، يشعر انـــه خلص من نداء الارض ، من تهمة التـراب ، لكن سرعان ما يصرخ به ذلك التراب عـــد ، لتموت عند قدمي .

الامام هو ذلك التراب ، المتجمد ، الـذي يجرجره الزمان فلا يتجرجر الا بما يشبـــه ضجيج صنوج تنهار من جبل ، وكما تتهدر عظام تترامى من خشخاشة .

« اسخر من السهل ما شئت . هاه ! اعلم ان جهاته الاربع مقسمة على احسن نظام ، محددة . لكي نحيط بها لا نحتاج ان نهيم مع فلتـات الهذيان ، هذيانك : يهرول ، يجمجع ولا يجدي . اما نحن فنمشي ، ولا نتسكع ، الى غاية مبيتها اسفل الجبل » .

يتخذ المؤلف من(زينه) محور العشق الارضي اما ، اختا ، صديقة ،ولكنه ساعة يرقصها فترفض ، ساعة يريدها لامر ، يظهر لنا كيف يواكب التسلط على الحروف لتخلق جوا لم ينغمر « بخنسكي » بأعمق منه ، وكيـف يعقد بين الفن والطبيعة مشاركة وجودية حميمة .

« كيف ؟ تحجمين عن الرقص ؟ في هذا العيد الفريد ؟ الان انت ، انت البرق ، ينتزى فيه زع غيم اليأس ، قبل ان يدب على جباهنا ضباب سنـة كاملة . ايه ، رشيقة ، صاولي الرياح ، فتترنح معك صبابات لنا زائلة .. ها هوذا الخلاء ، ديوان الخطرات الشوارد ، سلطي انامل هفهافة تترسل فيه ، عسى ان تنقل من ملح اللمح رهافات المسرة ... وهذا الصعيـد ، تراب الدماء ، دمي جلبة البدن تقرعه . وعلى وجه الحقـــل تصوري فاقذفي زفراتنا » .

وعندما يرتل « هادي » في سمعها نغمة عن الليل ، يخيل اليـك ان الصورة لا تستاين الا لكبار ادباء العصر .

على ان « فدا » يفتح في المسرحية آفاقا لحرية الروح ، لانعتاق الخيال ، فيعمى وجه الامام من غبار الاجنحة المنساحة الى فوق . حيث يصـل البطل الى الايمان بنفسه وحده . وهنا ترى ان المسرحية تمشي في اجواء الوجودية المطلقة ، تلك التي ندرك التماعاتها عند سارتر وكامو ، مبتسمة بشيء من الخيبة لتخلف كلوديل ، ومارسيل . ثم اننا نجد في جبهـة الغيب الافق النيتشي والشوبنهوري متلازمين كانهما اشتقا مـن نبعة واحدة مع تباين منازعهما .. في الظاهر ...

« مساء بعد مساء ، سالقي اليكم عند شجر البرتقال بحجر ابيـض ينبئكم بسلامتـي » .

« تلتفون علي وتسالونني ان افتك بهذا الكسيح ، وبهذا الاعمى ، لانهما فتشا وقلبهما خلو من اليقظة » .

كما يظهر اثر الانجيلية في صور المسرحية ، لذلك تلتمع صـور اخرى مستعارة من مشارف الشعر الغربي . « نحن بشر ، حركاتنا هي المزلق الى سرداب الموت ، اما الحب فحابس الدهر الدائر في دوامة الجد » .

اما « هنا » فهي تمثل حب الفطرة ، الابله ، النقي ، الحب للحب ، ويصعد بها حبها الى ان تفنى فيمن تحب .

انها تمثل الجانب المقابل في الحب ، « لزينه » وهي من الطف وجوه المسرحية ، ومعاطفها .

« زينه » لا تدرك مثل « هناء » ، ان الوصول يقتضي الشوق الموصول ، فهل اخذت امثولة من « فدا » لتواكبه في شوطه البعيد ؟

« الليلة قلبي على سره انطوى
حق لؤلؤة ما غمزها ثاقب
يرمقها لمح رفيـــق
هوى من كـوى محاجرك

ايـــن انـــا منـــك ؟
انسها لك ، تطوعت لكفاح الافق بجناح الجوى .
ولي الثرى ، من هنا اليك يقفز حنان الرجا فيشرف على نهمات شططك .
لـــح رفيـــق
فوح من لهف فيك ، ولد في غاب الغرابـــة
طار في اثير يرهقني
انـــت مشغـــول بالكمال
وانا ظلك الصبور ، اجر جيشا من الجراح لم ينفر من حصن الضمير نواحـــي الصامت حداء همـــك الكبير »

غير ان « زينة » نفسها وقد عرفها « فدا » لا تحب في حبه الا نفسها، يراها ولا يكاد يصدق انها تستعلي شيئا فشيئا ، ولكنها لا تزال تغـالب اشواق الارض ، في ترديد بصرها بين الاعلى وبين الادنى ، وبدأ «هادي» يحبها ، وادركت بعد مراس انها لم تعد شيئا آخر يختلف عن «هادي» .

« ما احراني الان بان اناديك : يا حبيبتي . هذا موعد الفراق . لحظة ينزع حس من حس تتهالك الالفاظ عند حنجرة تتشرم . فلا يحق الا للفظ قدسي ان يغلب حاجزا من دماء .. اني قاصد الى حيث تسبح تراتيل لا تنفصل ابيانها ولا تتمهل . في تلك المناسك اغوص على نغم نجا مـــن التشتت ، تمد رجعه في انفاسنا هنا كلمة الحب . اليوم لي ان اقول الكلمة ــ يا حبيبتي ــ لاني قريب الانعقاد بالقوة الراسخة ... آه كـم يضحكني الناس حتى النساء متى رددوا ، في نـــبرة جازمة ، عبارات تقتبس من حمو العواطف . ربما صفت نياتهم حين يذكرون الحـب ، لكنهم يحفونه باصوات يقتطعونها من طنطنة الصبوات . فسرعان ما تحرف اشارات الضمير . شفة ترقص الحديث ، والزمان الماكر يرهقها بمهماز هلع ، تتهاوى الحروف ثمارا فجة ... نحن بشر ، حركاتنا هي المزلق الـــى سرداب الموت ، اما الحب فحابس الدهر الدائر في دوامة وجد » .

واذا وصلنا الى « القوال » نواجه الشاعر بذاته ، الذي يستطيـع ان يوازي البطل . فهو مثله يعاني مرارة الكفاح للخلاص ، ولذلك يسأله ان يخبره ، ان ينقله او يساعده على التحول ، وهل يستطيع ان يتحول بغير الخيال الذي هو الجسر بين عالم الشقاء وبين عالم الغبطة ؟
وما هذا الدوار الذي يصيب المصعد الا القاق بسبب الواقع ، الـــذي هو كوة على الموت ، وتيار للكآبـــة .

« تلك المقاطع كانت دفقات من عيث الحب ، احيتك اما هي ففصت بها ... يا ريح النشيد وصل فيضه باعجاز مشيك هنالك : ودع الوادي مجنونا بك ، مسك ، استخفك ، اترفك ، حتى هزأت بمرارة تربتنـــا وانكرت اهلهـــا » .

جبهة الغيب ، ابعاد عقلية ، وفنية ، لا ينغمر فيها من لم يعان تجربة الفكر البشري على مداه ، ومطارح آفاقه .
من لم يقم بتلك الرحلات الخلاقة ، التي تجتاز شاوا الصلاة ، الى نعيم الموسيقى ، وحرمات الظلال والاضواء والاشكال والالوان .
من لم يعش تجربة المسرح الحديث ، شاعرا ، ممثلا ، كي يفهم ان هذين الاثنين يلزمهما قياس واحد ، حيث لا يجب ان يزيد واحد منهما عن الاخر بالعبقرية ، والا فاتت الغاية ، وبعد المقصود .

« مهلا ، هادي ! انه لا يزال فيها . اليه يحدقون ولن يكفوا . يا له من نمر ! ما حسبتهم يبلغونه ... نصر عابر ، نعم . هل للبشر ان يفلحـوا في قطع الحبال تشد سواعدهم الى ذبذبة الجين؟ ارخاء الحبال برهة بعد برهة ذلك كسب عظيم . هب استاذك ، ثقب صور المحظور ، الا ان كره البشر للاعجاز لن يبطىء ان يلحم الثغرة . اما هو فلن يغيب عن البصائر ابدا : الباقي سر ما ذهب ... ان يترك المرء الارض عن رضى ذلك سبيله الى الدوام : يترك الاشياء كلها ، حتى الحب ، تمجيد للحب . يقبل على حسه ينزه مداره فيحتفي بمنح غمضت ، او مضت ، من كنوز الهـــام منيع . يستصغر الحياة فيخاطر باللظى عزف على العضل ورنم في اللحم . يخاطر وهو يخف الى حيث الريح عربدت فاضمرت اعصارا عصفاته قد فات خناجر . هذا الذي يحدقون اليه ، يا هادي : نجوم دارت على قطب الحق ، كلوم حول جيد النور .. يا لشظايا قلب كبره جبروت الزوال » .

اذا كان لكل سمفونية معقد تنفلت منه النبرة الاخيرة ، فلا احلى من ان ننقل الرجة التي تلتفت الى آخر لهثات السراج ، ساعة ينفث القوال كلمته التي لا ينساها مدى ، لانها هي بذاتها ليست من عالم النسيان ، انها رعشة الوصال ، واستفاقة الكمال
« هل خرجنا من اسطورة الزمن؟ » .
نعم ، الى فترة ،
ولا ، حتى يحين الموعد .

علـي شلق

دار المعارف لبنان

بناية السبلي ساحة رياض الصلح ص.ب. ٢٦٧٦

تقدم القصة التاريخية التي تصور حوادث الثورة الفرنسية ، قصة رجل من النبلاء كافح وناضل مع الشعب ضد الطغيان وحكم النبلاء الفاسد

سكارموش

قصة رائعة بالمغامرات والمغامرات والبطولة

تأليف الكاتب الشهير رفائيل ساباتيني



الثمن ١٠٠ ق.ل. أو ما يعادلها

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظهر حديثاً

● قصة الفن الحديث ـ الجزء الاول ـ الانطباعية واعلامها ـ تأليف الدكتور سلمان قطاية ـ الغلاف بريشة محمود حماد ـ ٦٠ صفحة ـ مع عدة صور ـ حجم كبير ـ مطبعة الشرق (؟)

● كلمات لا تموت ـ مجموعة شعرية ـ لعبد الوهاب البياتي ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● نشوء الكون ـ تأليف جورج جاموف ـ ترجمة وتقديم اسماعيل مظهر ـ مصمم الغلاف مهندس الديكور محي الدين ابو ذكرى ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● دستور الام : طفلك حتى الحادية عشرة ـ الجزء الثاني ـ تأليف الدكتور بنجامين سبوك ـ ترجمة محمد المعلم ـ مراجعة الدكتور محمد نظيف ـ ٢٨٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● اعرف مشكلاتك ـ تأليف هـ. هـ. ريمرز وسي. ج. هاكيت ـ ترجمة الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل الاستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة عين شمس ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة بهيئة اليونسكو ـ ١٢٤ صفحة ـ الكتاب ٣٨ من سلسلة دراسات سيكولوجية ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● مساعدة الاطفال على حل مشكلاتهم ـ تأليف روث سترانج ـ ترجمة صلاح الدين لطفي رئيس قسم بادارة التدريب بمعاهد المعلمين ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١٢٤ صفحة ـ الكتاب ٣٩ من سلسلة دراسات سيكولوجية ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● كيف تستمتع بوقت الفراغ ـ تأليف وليم منتجر ـ ترجمة الدكتور محمد احمد الغنام المدرس بكلية التربية بجامعة عين شمس ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ الكتاب ٤٠ من سلسلة دراسات سيكولوجية ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● فلسفة الحياة العامة ـ تأليف والتر ليبمان ـ ترجمة عثمان نويه ـ تقديم مريت غالي ـ مصمم الغلاف المهندس محي الدين وهبة ـ ٢٥٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل وفي انحاء العراق تليها كلمات كردية وهندية ـ تأليف الفقيد الدكتور داود الجلبي الموصلي العضو المراسل بالمجامع العلمية في بغداد والقاهرة ودمشق ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره ـ مطبعة العاني في بغداد .

● الخائن ـ مجموعة قصص ـ تأليف الدكتور عبدالسلام العجيلي ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الطليعة بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق ـ تأليف صلاح الدين البيطار ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كنت طبيبة في اليمن ـ تأليف كلودي فايان ـ ترجمة محسن العيني ـ ٢٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مدخل الى علم الاجتماع ـ تأليف ارمان كوفيليه ـ ترجمة نبيه صقر ـ اشراف وتقديم الدكتور كمال يوسف الحاج ـ ٢٦٤ صفحة ـ الكتاب رقم ٤ من سلسلة المكتبة الفلسفية ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة فضول ببيروت .

● تاريخ المسرح ـ تأليف ليون شانصوريل ـ ترجمة خليل شرف الدين استاذ ادب عربي ونعمان اباظة استاذ ادب فرنسي ـ ٢٢٤ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة كرم ببيروت .

● ادبيات لبنانيات ـ تأليف املي فارس ابراهيم ـ ٢٣٢ صفحة ـ مع عدة صور ـ منشورات دار الريحاني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● **Neither Five Nor Three — by Helen MacInnes — 240 pages — Special Student Edition — Published by Popular Library, Inc. New York — Printed in U.S.A.**

● **Banners at Shenandoah — by Bruce Catton — the text of this book has been specially prepared for the beginning reader— adapted by Herze Fife — 128 pages — Ladder Edition published by Pyramid Books, Inc., New York — Printed in U.S.A.**

● **The Umbrella Garden — A Nivel of Modern China — by Maria Yen — the text of this book has been specially prepared for the beginning reader — adapted by Angela Paratore — 128 pages — Ladder Edition published by Ballantine Books, New York — Printed in U.S.A.**

● **Doctors to the World — by Murray Morgan for the beginning reader — adapted by Cryssie Ann for the beginning reader — adapted by Cryssie Ann Hotchkiss — 128 pages — Ladder Edition published by Pyramid Books, New York — Printed in U.S.A.**

● **Transformation — The Story of Modern Puerto Rico a colony that became free — by Earl Parker Hanson — the text of this book has been specially prepared for the beginning reader — adapted by Robert Lado — 128 pages — Ladder Edition published by Popular Library, Inc., New York — Printed in U.S.A.**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الذكرى المئوية الحادية عشرة لجامعة القرويين

بقلم رينيه ماهيه
نائب مدير عام منظمة اليونسكو

●

انه لشرف عظيم لي ان انقل الى جامعة القرويين آيات تقدير منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة . وانني الى جانب الشرف الذي توليني اياه هذه المهمة الجليلة ، لاشعر بسعادة شخصية عظيمة بداعي الذكريات التي تربطني بهذه المدينة الفريدة التي يزيدها مرور السنين قيمة وجلالا .

ان جامعة القرويين ومدينة فاس لم تعرفا منذ اكثر من الف عام الا حياة مشتركة واحدة ، ومن النادر حقا ان نشهد ارتباطا متينا كهذا بين جامعة ومجتمع ، او بين جامعة وشكل من اشكال الحضارة الانسانية . وتظهر معالم هذه الرابطة الوثيقة في كل شيء يحيط بنا اليوم ، فهي تطل علينا من علياء المكان الذي نجتمع فيه الان ، متمثلة بفنه المعماري وبالذكريات التي يثيرها في النفوس .

ولعل السبب في ذلك هو ان هذا المكان كان في الاصل دارا للصلاة والعبادة ، فامتزجت فيه فيما بعد عقائد الايمان واليقين بالمظاهر الثقافية . ومما يجدر ذكره انه منذ ان امر نبي الاسلام ، عليه الصلاة والسلام ، ببناء « الصفة » في المدينة المنورة وجعلها مقرا للدراسة والمناقشة اخذت كافة المساجد والجوامع تسعى طوال اربعة عشر قرنا الى السير على الدرب نفسه كي تصبح اماكن للتعليم والتحصيل بجوار رسالتها الروحية . وقد تمكن بعض هذه الجوامع من نشر نفوذه واثره واضافة دروس الادب والتاريخ والفلسفة والعلوم الى دروس الدين والشرع . وهكذا ظهرت المستنصرية في بغداد والعدلية في دمشق وجامعة قرطبة ، ثم الجامعات الاسلامية الكبيرة التي ما تزال ثلاث منها باقيات حتى الان ، وهي الازهر في القاهرة والزيتونة في تونس ثم جامعة القرويين في فاس . ولقد ازدادت معارفنا اليوم عن اثر هذه الجامعات العميق في تطور العلوم والحركات الفكرية ابان العصور الوسطى الاوروبية كما اتضحت لنا اكثر من ذي قبل معالم الدور الذي ساهمت به في نهضة الجامعات الغربية . ومن ثم ، فان احياء ذكرى جامعة القرويين يتيح لنا اليوم فرصة الاعراب عن مشاعر التقدير لهذه الجامعة والاعجاب بها ويذكرنا باقدم تقليد عرفه التعليم العالي في مختلف مراحل تطوره حتى بلغ مرحلته الحاضرة دون انقطاع.

والى جانب كون القرويين مسجدا جامعا وجامعة ، فهي في الوقت نفسه مكان لالتقاء الاهلين . فتقاليدها الروحية تنطوي على تعاليم اجتماعية ، كما ان ركن علمائها مفتوح الابواب دائما امام كافة الناس. ويمج هذا الركن بالحركة وبغدوات وروحات الحياة اليومية ، فهو المكان الذي يستطيع المرء ان يفتش فيه عن استاذه او صديقه طلبا للمشورة او الحكمة او المعونة . وتشير الرواية المثيرة التي تسرد عادة عن ايام القرويين الاولى الى التكاتف الاجتماعي ومشاعر الاخوة الانسانية التي كانت سائدة في ذلك الوقت . اذ يقال ان اختين صغيرتين قدمتا ما تملكه يداهما لتشييد هذا الصرح الذي اضفى عليه ملوك المغرب فيما بعد سمات العظمة والجمال .

والوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها جامعة القرويين تصل في النهاية الى اداء دور وطني . فهي الجامع الرسمي الذي تعلن فيه المراسيم ، في حين تؤدي الجامعة دورها الخاص بها فيما يتعلق بالشؤون العامة وقد تخرج في هذه الجامعة خلال تاريخها الطويل كبار الموظفين الحكوميين وقضاة الدولة المبجلين . وهؤلاء الخريجون هم الذين تسترشد بهم السلطة الحاكمة للتثبت من مطابقة ما تنوي فرضه من ضرائب واتخاذه من اجراءات . ومن هنا كان لطائفة المثقفين المتكونة من جيل لاخر اثرها المعنوي في حياة المدينة كما كان لتعاضدهم الثقافي والتقائهم عند مبادىء واحدة اثرهما الكبير في دوام الوطن .

لقد كان الالتحاق بالقرويين وما يزال حتى الان يعني الانتماء الى هيئة مبجلة لها قيمتها . فالدراسة فيها تعني الاشتراك في طريقة حياة معينة واشغال مكان معين في احضان الحضارة . وتنفرد الجامعة بمزايا عديدة نذكر منها اهمية المثال الشخصي والتعليم الشفوي المباشر والاتصال القائم بين المعلم وتلميذه وحياة التلاميذ المشتركة وكافة الاجتماعات والعلاقات الانسانية التي تنسج خيوط التعاضد العاطفي والعقلي فتؤلف نوى من الشعور بالانتساب الى كيان كامل يشكل ثقافة قائمة بذاتها . وما احرانا ان نذكر في هذا المقام ان الفضل في تعريف طبيعة هذا التعاضد وبراعة تحليلها انما يرجع الى ابن خلدون العظيم ، اشهر كاتب للدولة ومؤسس التاريخ الثقافي الذي ولد بين ظهرانيكم .

ان هذه الوحدة العميقة والرابطة القوية التي تلم شعث تاريخكم وتحفظ كيان مجتمعكم ومظاهر ثقافتكم وتقوم شاهدا على ايمانكم تطبع جامعتكم بطابعها الفريد الذي ما تزال محتفظة بقيمته حتى الان بما قد ينطوي عليه من اهداف جديدة .

واي موضوع في الحقيقة يفوق في اهميته موضوع تاثير الجامعة في حياة الجماعة ؟ ان توسيع التعليم وزيادة المقاعد المخصصة للتعليم العالي تؤدي بطبيعتها الى القضاء على كل عزلة ثقافية ، كما ان احتياجات الدولة ومطالب المؤسسات بل والافاق المترتبة على تغيير الوسائل التقنية تحتاج جميعها الى الاستفادة من مجهودات الجامعة. والحق انه يتعين على الجامعة بالاضافة الى المهام الرئيسية الملقاة على عاتقها من اعمال البحث وتخريج الاشخاص ، ان تتحمل مسؤوليات جديدة ذات طابع اقتصادي واجتماعي وثقافي . اضف الى هذا ان الجامعة تحتل مكانا مطرد الاهمية في صرح التطور الوطني بالنسبة لبلد ناشيء متطور ثري بتقاليده العريقة مثل بلدكم الكريم .فالجامعة مطالبة اذن باعداد صفوة المستقبل ، كما انها مطالبة ايضا بجمع التراث الثقافي وتسليمه الى الاجيال اللاحقة ، ذلك التراث الذي يضفي على المجتمع سماته الخاصة به ويكسبه الاحساس بدوامه كما انه يكشف له في رحاب العلاقات الدولية عن النصيب الثمين الذي اسهمت به الحضارة الاصيلة . فباستطاعة الجامعة باعتبارها من دعامات الثقافة ان تكفل دوام الوطن . ومن هنا يكتسب عيد القرويين الالفي مغزى غير مغزى التذكرة التاريخية البسيطة .

وفي وسع بعض مبادئكم التربوية ايضا ان ترتدي ثوبا جديدا في وقت يظهر فيه من كل جانب خطر تعليم يقتصر على اعداد المتخصصين او التقنيين او المتفقهين . فمبادئكم كانت تهديكم دائما لا الى نقل المعارف الى الانسان وحسب وانما الى اعداد هذا الانسان بكليته وجعله ممتلكا لجميع قواه وملكاته . وتقاليدكم لم تعرف ابدا التفريق بين الجانب النفسي والجانب العقلي وقد كان بحث معلميكم عن الحقيقة يتميز في الوقت نفسه بالبحث عن الحق والعدالة . ولقد علمت ان لفظة « العلم » باللغة العربية تعني العلم والحكمة معا ، وان لفظة الحق تجمع بين مفهومي العدالة والحقيقة .

واذا اعوزنا المثال في هذا المجال ففي وسعي ان اذكر ابن طفيل

ابن هذا البلد الذي كتب الرواية التربوية المعروفة باسم « حي بن يقظان » ، فكان اول ملهم لجميع ما كتب من هذا القبيل من روايات وحكايات تربوية . وقد اطلعنا ابن طفيل في روايته على تفاصيل « اعوام التحصيل » التي قضاها شاب مراهق ولم يكن هذا الموضوع قد طرق في اوروبا من قبل فكان رائدا للكتابات التربوية التي كتبها « رابليه » وقصة « روبنسن كروزو » وقصة «اميل» . واشير بوجه خاص الى ان موضوع هذا البحث كان اهم المظاهر الرئيسية للقصة التي كتبها « جيته » مصورا فيها بطل القصة وقد استند الى تجربته الشخصية والى ارشادات معلمه ، كي يتعلم مهنة الرجال ، ثم اخذ يشحذ همته ومواهبه ويعيد اختراع التقنيات الى ان بلغ مستوى التحكم في امور الطبيعة . ولقد اجتمعت لدى المفكر المغربي الذي عاش في القرن الثاني عشر جميع هذه العبر والعظات الانسانية . وهي تعبر عن ثقته البالغة في صفات الشخص الانساني وفي اتساع مجال قدراته على الاشياء والحوادث .

على ان هناك مظهرا اخر يتميز باهميته الخاصة بالنسبة لي كممثل لمنظمة دولية . الا وهو تقليدكم الخاص بصفات الكلية والعالمية التي يظهر تعبيرها في افكاركم وتتضح اثارها في نظريات مفكريكم وفي اعمالكم . لان صفات الكلية والعالمية ترمق تاريخكم باكمله .

فقد كان البحاثة الاوائل لديكم يقبلون بولع على جمع معارف زمانهم كلها دفعة واحدة . اما اعمال المتخصصين المعاصرين في العصور الوسطى فانها زادتنا معرفة بتلك القفزة الرائعة التي حققها شعب باكمله في ميدان العلم . لقد كان هذا الولع منصبا على المعرفة ولا ريب ، ولكنه كان يمتد ايضا الى المعرفة الكلية الشاملة . ومن اين لنا لولا ذلك ، هذه المؤلفات الغزيرة التي تناولت جميع النواحي دون ان يستغرق اصدارها وقتا طويلا ؟ انها في الواقع مجموعات ضخمة من التقاليد ، فهي تضم مختارات تقارن بين المدارس الشرعية وتضم قواميس تعرف باسم « المحيط » لاتساعها ، كما تضم مجامع من العلوم الاغريقية ومؤلفات في الجغرافيا وروايات عن رحلات تصف العالم الذي كان معروفا في ذلك الوقت . ان حضارتكم القديمة هي في الواقع حضارة كلية شاملة كما انها هي نفسها التي نقلت الاحساس الذوقي الى اوروبا ابان العصور الوسطى .

كانت حضارتكم تهتدي بالبحث في الطبيعة كما تهتدي بالوحي في اكتشاف نظام للعالم ، وكانت تتلهف على جمع معطيات العلم الاغريقي المبعثرة. وقد امتدت بحوثها حتى اراضي مابين النهرين والهند وماوراء الهند نعسها محققة بهذا الحكمة التقليدية القائلة((اطلب العلم ولو في الصين))وكان كافة المفكرين لديكم من المحيطين بعلم الفلك والشرع والادب والفيزياء فاذا كنت اشرت من قبل الى ابن طفيل كفيلسوف ومرب ، كان علي ان انوه به ايضا كعالم موسيقى ورجل من رجال الدولة . ومن الممكن في الحقيقة العثور على اروع مثال عن التطلع العلمي الكلي الشامل لدى ابن خلدون الذي جمع بين صفات المؤرخ والفيلسوف والسياسي ورائد علم الاجتماع . كما يمكن ايجاد مثل ذلك ايضا في شخص ابن رشد الذي كان قاضيا لقرطبة وطبيبا للمغرب . وقد كان اسم ابن رشد خلال سنوات طوال مقرونا بفكرة التاليف والتركيب في الفلسفة تلك الفكرة الحية التي تربط الان بين اثار ارسطاطاليس وبين النقد الحديث . اما الكتاب الطبي الكبير الذي الفه ابن رشد فقد تمت ترجمته في البندقية خلال عام ١٤٩٠ بعنوان يطابق عنوانه الاصلي العربي : « الكليات » .

على ان هذه الارادة الكلية العالمية لم تكن لتجد تاكيدها بمثل هذه القوة لو لم يكن المغرب قد وجد نفسه خلال حقبة من حقبات تاريخه الفاصلة عند مفترق الطرق الرئيسية المؤدية الى رحاب الثقافة . ومن هنا كان بلدكم مركزا من مراكز الحضارة التي تعرف باسم الحضارة الاندلسية او الحضارة الاسبانية المغربية . فثقافات الشرق والغرب لم تعرف اتحادا مثل هذا الاتحاد الذي وجدته في احضان الحضارة المذكورة بشكلها التاليفي الكامل الغني بثمراته . اما الاختلاف في الطبائع او الاديان او حتى اشتعال الحروب نفسها فلم يستطع ان يسد المنافذ التي تنبعث منها هذه الحضارة . كانت كل هدنة يتم الاتفاق عليها فرصة للتبادل الثقافي . واشير في هذا المجال الى مثل واحد من بين امثلة عديدة ، يتصل بمكتبتكم التي وسعت من رفوفها الخاصة لاستقبال مجموعات الكتب العربية الهامة التي قدمها دون سانشي ملك اسبانيا بمناسبة الهدنة التي جرى الاتفاق عليها خلال عام ١٢٨٥ . وعلى هذا النسق كانت المؤلفات الادبية والعلمية تنتقل على الدوام بين المغرب واسبانيا . وقد اصبحنا اليوم نعرف معرفة كاملة القسط الوافر الذي ساهم به اجدادكم في الحضارة الاندلسية التي انتقلت باجمعها الى البلاد الغربية فيما بعد . كان تاثير اعمالكم يبلغ كافة المجالات من الحضارة المادية الى تاملات الرياضيين والصوفيين المجردة ، فتشمل مقدمات العلوم والتقنيات الجديدة والاشغال العامة وتعبيد الطرق وتشييد الجسور والمستشفيات وانشاء المصانع المختلفة واستحداث طرق التجارة وترقية الاداب الاجتماعية حتى الازياء بل واداب المائدة .

اما التاثير المتسم بالرفعة والعمق فنجده في المجال الفني المتمثل في الفن المعماري وفنون النقوش والزخارف ، ونجده في المجال الموسيقي في الاغاني العميقة التي ما تزال تطبع اغاني الاندلس بطابعها المعروف حتى الان ونجده كذلك في الشعر الغنائي الذي رأى فيه بعض البحاثة مصدرا من مصادر المشاعر العاطفية الغربية عند دراستهم للعلاقات القائمة بينه وبين ادب الغزل في لغة جنوب فرنسا التي كانت منتشرة وقتئذ .

وهكذا كانت مدينتكم من الاماكن الخالدة بفضل هذه الثقافة . ذلك لان الروابط الثقافية لم ينفصم عراها مع اسبانيا حتى بعد سقوط مملكة غرناطة . وكانت مدينة فاس تستقبل العلماء والكتاب الذين كانوا يفدون اليها من الاندلس او من الشرق الاسلامي . يقول مؤلف « القرطاس » في هذا المجال ان : « فاس كانت على الدوام عطوفة على الاجانب الذين استوطنوا فيها ، ومن ثم اصبحت المدينة كالدار الكبيرة التي يجتمع فيها عدد كبير من الحكماء والمشرعين والادباء والاطباء وغيرهم من العلماء». اما عصر النهضة الايطالي فقد عرف عن طريق حسن الزياتي الذي كان يطلق عليه اسم ليون الافريقي . ان مدينة فاس كانت في القرن السادس عشر « عاصمة للاسلام الغربي وورثة للحضارة الاندلسية » . ولذا كان البحاثة يأتون اليها من اقاصي الارض بحثا عن المؤلفات والدراسات العلمية المجهولة . يعد المغرب اذن بهذا المعنى البلد الذي نستطيع ان نلحظ فيه اكثر من غيره تلك الحيوية البالغة التي اسهمت بها الحضارة الاسلامية في جميع مجالات التبادل بين الشرق والغرب .

على ان هذا الدور الرابط بين ثقافات الشرق والغرب ما يزال الى اليوم دوركم انتم . وهو الى هذا يعطي اهمية خاصة لتعاونكم مع منظمة اليونسكو في تحقيق نشاطها . فمن المهام الرئيسية المدرجة في برنامج منظمتنا ما يعرف « بالمشروع الكبير الخاص بالتقدير والتذوق المتبادل لقيم الشرق والغرب الثقافية » الذي يستند في تطوره ونموه الى ثلاثة مستويات مختلفة هي ـ مستوى الدراسات والبحوث التي يجريها المتخصصون ، ومستوى التعليم المدرسي والتعليم خارج المدرسة ثم مستوى تعريف الجماهير العامة وتثقيفها . اذ يتعين تدعيم وتحديد المعارف الرئيسية الخاصة بمختلف الثقافات عن طريق الاجتماعات الدولية واجتماعات العلماء ودراسات علماء الاجتماع وخصوصا عن طريق المعونة المتوقع تخصيصها لانشاء شبكة من معاهد البحوث يكون الغرض منها عرض خطوط الحضارات العريضة . وسيترتب من ناحية اخرى على مراجعة البرامج والكتب المدرسية واعداد هيئة المعلمين وانتاج المواد التربوية المناسبة والتعاون مع منظمات الشباب ان يفتح هذا النشاط كله الابواب امام التفاهم ويبعث على احترام القيم الخاصة بمختلف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقافات . واخيرا فان نشر الاعمال الادبية والفنية والموسيقية على نطاق واسع واستخدام وسائل تعريف الجماهير وانبائها كالصحافة والسينما والراديو ستفضي كلها ولا ريب الى تنوير الرأي العام واعطاء مجموع هذه الجهود كل قيمته الحية .

هذا ، ويتركز قسم كبير من الوسائل التي تستخدمها اليونسكو على هذا النشاط الذي يحظى بالاولوية . غير ان اعمال دول المنظمة الاعضاء واشتراكها الكامل في هذا المشروع يتميز في هذا المجال بمقدار حيوية اهتمامها بتنفيذ نواحي برنامج المنظمة الاخرى. واليونسكو لعلى استعداد لتقديم خدماتها في هذا الصدد ، ومن ثم يسعدها ان تقدم للمغرب تسهيلات لدراسة وحفظ الفن الموسيقي الذي يعد اصل الغناء الاندلسي ، كما يسعدها ان تعين بوسائلها الفنية المضبوطة اولي الامر الذين يعنيهم جمع وثائق المحفوظات في شكل افلام مصغرة بوجه خاص ، وهي وثائق تقوم شاهدا على تاريخكم الثقافي .

انكم بعملكم على زيادة التعريف بتراثكم الثقافي لا تؤكدون الشخصية المغربية في المحيط الدولي وحسب ، ولكنكم تبرهنون بهذا العمل ايضا على ما استطاعه بل وما يستطيعه التعاون الثقافي مرة اخرى بين الشرق والغرب . فمشروع اليونسكو يفقد لا شك غرضه الاصلي في تعزيز التفاهم المتبادل للقيم الثقافية في الشرق والغرب اذا اقتصر على تقويم كل ثقافة منفردة بذاتها دون ان يفتح بينها وبين الثقافات الاخرى باب التبادل والتذوق المشترك لعموم الثقافات . ذلك لان المشروع الكبير يستند اساسا الى المقابلة بين الثقافات المختلفة والى اوجه النشاط الخاصة بتعريف بعضها ببعض . ومن هنا كانت الاهمية المثالية التي تسهم بها في هذا المشروع دول اعضاء واقعة مثل مملكة المغرب عند مفترق طرق الثقافات وتلاقيها .

هذه هي بعض الاسباب العديدة التي تدفعني في مجال نشاط الخدمات الدولية المتجدد دائما الى الاهتمام الكبير بجميع الانباء التي تصلنا من المغرب حاملة معها رصيد مجهوداتكم ومجالات نجاحكم . فاذا كان اجتماع جامعة القرويين هذا يعد من احد هذه المجالات ، فهو بالنسبة لكل فرد منا اجتماع الذكرى والوفاء للعمل المستكمل . فاسمحوا لي ان اعرب لكم في النهاية عن ان ذكريات سني الدراسة والصداقة بل وذكريات التجارب الكبيرة التي مرت بي في هذا المكان ما تزال نابضة بالحياة في قلبي وسابقى لها وفيا مخلصا .

باريس — رينيه ماهيه

دار المعارف لبنان

بناية العسيلي ساحة رياض الصلح ص. ب. ٢٦٧٦

تقدم

مابيل وقصص اخرى

تأليف



التمن ١٥٠ ق. ل. أو ما يعادلها

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

دار المعارف لبنان

بناية العسيلي ساحة رياض الصلح ص. ب. ٢٦٧٦

تقدم

قصة من القصص الخالدة للكاتب الانكليزي الشهير السير والتر سكوت، وهي قصة تدور حوادثها حول الخلاف الذي كان يقع بين ملوك فرنسا وكبار البلاد، وكيف كان يحاول كل منهم الاستقلال بأرضه واملاكه

الجندي الباسل

حوادث ومغامرات ومغامرات

تأليف



التمن ١٥٠ ق. ل. أو ما يعادلها

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

أنباء العالم في شهر

نوفمبر ١٩٦٠

٢٣ – قال خروشوف : اننا نقبل اية رقابة شرط موافقة الدول المعنية على نزع السلاح التام وعلى تدمير الاسلحة .

– قال نهرو : العالم يعيش في حالةشبه حرب يحتمل تحولها الى حرب حامية طالما تؤمن الصين الشعبية بان الحرب محتمة . ان وضع العالم يدعو الى الذعر طالما ان الصين ترفض التعايش السلمي . اماموقف الاتحاد السوفياتي فمختلف .

– قامت مظاهرات في الكونغو ضد الامم المتحدة اثناء تشييع جنازة ضحايا الاشتباك الاخير والحالة تتفاقم .

٢٤ – اعلنت تونس انها لا تجاري المغرب في معارضته لاستقلال موريتانيا وضم هذا القطر الى المغرب . ان الاستقلال يقضي بنهاية الحكم الاستعماري . وتونس لاتعارض بعد ذلك الوحدة اذا كانت ناتجة عن ارادة كل من الشعبين .

– قرر المغرب استدعاء سفيره منتونس بعد تأييدها استقلال موريتانيا .

٢٥ – صدر بلاغ مشترك فور انتهاء زيارة عبد الناصر للسودان ، يعلن تحالف وتضامن العربية والسودان وان كل منهما يسند الاخرى ويصون استقلالها ويشير الىتوسيع نطاق التعاون وتاكيد التمسكبالحياد والسلم .

٢٦ – استقبل خروشوف الوفد العسكري المغربي الذي يزور الاتحاد السوفياتي للبت في مساعدات روسيا العسكرية وغيرها للمغرب .

– لم تستجب الامم المتحدة لشكوىالمغرب بشان موريتانيا الذي يعتبرها المغرب جزءا منه .

٢٨ – احتفلت موريتانيا باعلان استقلالها، مع بقائها ضمن اسرة الدول الفرنسية . واصبحت تعرف بجمهورية موريتانيا الاسلامية .

– عرضت بريطانيا على المانيا الغربية مستودعات فوق اراضيها للذخيرة والمحروقات والالات وغيرها ، رغبة منها في تعزيز وحدة الحلف الاطلنطي .

– اشتدت الاضطرابات المعادية للحكومة في فنزويلا وامر الرئيس رومولو بيتانكور الجيش بالتدخل لقمع الاضطرابات التي وصفها بانها محاولة لاضرام ثورة شعبية لاقامة نظام حكم كنظام كوبا .

٢٩ – يبحث الجيش في الكونغو عن لومومبا الذي فر من مقره في ليوبولدفيل.

٣٠ – قمع الجيش الارجنتيني بسرعة انتفاضة بيرونية في ثكنة رواتزيو .

– وصل المشير عبد الحكيم عامر يرافقه وفد من الخبراء الى موسكو لاجراء محادثات باسم العربية المتحدة .

– اعلن الامير سوفانا فوما رئيس وزراء لاوس الحيادي ان حكومته لن تعترف باي بيان يعلنه الملك تحت ضغط الثوار الذين يحتلون العاصمة الملكية . وكان الثوار بقيادة الجنرال فومي نوسافان قد اذاعوا ان الملك سري سافانغ فاتانا قبل ان يصبح قائدا اعلى لقواتهم .

ديسمبر ١٩٦٠

١ – امر كاسافوبو رئيس جمهوريةالكونغو باخراج سفير العربية المتحدة وجميع اركان السفارة من الكونغو متهما اياهم بالقيام بنشاط ضد امن البلاد .

– اصدر عبد الناصر مرسوما بمصادرة وتاميم جميع الممتلكات البلجيكية في مصر .

– وصل هيلاسيلاسي الى اكرا في زيارة رسمية لغانا .

– تجددت الاعمال التخريبية والاشتباكات العنيفة في هافانا عاصمة كوبا وقتل طبيب كاسترو .

– اعيد الى البرلمان مشروع ديفولالخاص بانشاء قوة ذرية ضاربة بعد ان رفضهمجلس الشيوخ للمرة الثانية .

٢ – استقبل البابا يوحنا الثالثوالعشرون الدكتور فيشر رئيس اساقفة كانتربوري وهو اول اجتماع بين رئيس الكنيسة الكاثوليكية واحد زعماء كنيسة انجلترا منذ ٦٠٠ سنة.

– القت قوات موبوتو القبض على لومومبا في اقليم كاساي ونقل مكبل اليدين الى معسكر الجيش في ليوبولدفيل .

– احتجت بلجيكا على تاميم مؤسساتها في مصر وقالت انه يعتبر مناقضا للقانون الدولي . وان بلجيكا ليست مسؤولة عن طرد مبعوثي الجمهورية العربية من الكونغو فهي نفسها انقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الكونغو منذ يوليو الماضي . وقدرتقيمة الممتلكات المؤممة بعشرة ملايين دولار .

– اختتم مؤتمر الزعماء الشيوعيين في موسكو وصدر بلاغ جاء فيه ان سياسة خروشوف بشان التعايش السلمي مع الغرب قد احرز انتصارا جليا .

٣ – طلب السودان من السعودية سحب سفيرها في الخرطوم لقيامه بنشاط غير ودي . وسحب السودان سفيره في جده بطلب من السعودية . واصبحت العلاقة بين البلدين « مجمدة » .

٥ – قطعت غانا علاقاتها الدبلوماسية ببلجيكا .

– بدأت اللجنة السياسية للامم المتحدة مناقشة قضية الجزائر .

– اعتقلت حكومة فنزويلا مسببي الاضطرابات في المدن الداخلية من أعضاء الحزب الشيوعي والحركة اليسارية الثورية كما اعتقل مدبر مؤامرة لقلب نظام الحكم البروفسور ريفيرو .

– نظر مجلس الامن في طلب موريتانيا الانضمام الى هيئة الامم وقد استخدمالاتحاد السوفياتي حق الفيتو في رفض الطلب .

٦ – توفي في حمص هاشم الاتاسي الزعيم السياسي واحد رؤساء الجمهورية السورية قبل الوحدة .

– طلب الاتحاد السوفياتي اجتماع مجلس الامن فورا لبحث قضية اعتقال لومومبا وعواقبه باعتبارها خطرا يهدد السلام .

– شنت وحدات من انصار لومومبا هجوما بدأته من ستانلي فيل واجتاحت ثلاث قرى غرب الاقليم الاستوائي .

– تم اقرار مشروع ديفول الخاص بانشاء قوة ضاربة ذرية .

٧ – وصل هيلاسيلاسي الى مونروفيا في زيارة رسمية لليبريا .

– افتتح دوبريه رئيس الحكومة الفرنسية مناقشة مشروع ديفول « جزائر جزائرية ». ساد الجمعية جو من الفوضى اثر حملة المحافظين على الحكومة وديفول ورفعت الجلسة .

– بدأ مجلس الامن بحث قضية الكونغو.

٨ – قام الكولونيل كوبرا سيت افاي قائد منطقةفينتيان بحركةانقلاب لتأييدحياد حكومة الامير سوفانا فوما واحتل عاصمة لاوس بعد قتال مع الكتائب المظلية اليسارية . اما قوات الجنرال فومي اليمينية فقد اصبحت على بعد ٩٠ ميلا من العاصمة في زحفها.

– فرضت سلطات الكونغو الحذر على شحن ونقل اي شيء للقوات الدولية دوناذن الحكومة .

– حددت الحكومة الفرنسية ٨ يناير المقبل كموعد نهائي لاجراء استفتاء شعبي حول سياسة ديغول في الجزائر .

– اجتمع المشير عامر بخروشوف في موسكو .

٩ – انتخبت العربية عضوا في مجلس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامن لمدة سنتين مكان تونس التي تنتهي مدتها في مطلع العام .

ـ وصل ديغول الى الجزائر في جولة سياسية . قام المستوطنون الفرنسيون بمظاهرات واضرابات احتجاجا على سياسته وتدخل الجيش وسقط مائة جريح .

ـ امر همرشولد قوات الامم المتحدة بالتدخل لانقاذ البيض من الاعتداءات في ستانلي فيل .

١٠ ـ طلبت ٢١ دولة من اللجنة السياسية في الامم المتحدة اجراء استفتاء باشرافها في الجزائر .

ـ عاد الكابتن كونغ لي فانتزع فينتيان من يد الكولونيل كوبرا سيت افاي ورجاله . وغادر رئيس الوزراء الامير سوفانا فوما وستة من وزرائه العاصمة الى كمبوديا . واخذت قوات الجنرال فومي نوسافان تزحف من ثلاث جهات على المدينة .

ـ وصل القاهرة المشير عامر عائدا من رحلته الى موسكو .

١١ ـ وقعت اشتباكات دامية في الجزائر . اطلقت القوات الفرنسية النار على الاف المتظاهرين الوطنيين من حملة الاعلام الجزائرية الحرة . وقع مائة قتيل و ١٥٠٠ جريح .

١٢ ـ اضطر ديغول الى قطع زيارته للجزائر والعودة غدا الى باريس بعد تفاقم الموقف في الجزائر .

ـ اعلن البابا يوحنا عن اسفه لاعمال العنف الرهيبة وسفك الدماء في الجزائر واعرب عن امله بان تحل القضية سلميا بسرعة .

ـ وصل بغداد وصفي التل اول سفير اردني يعين في العراق بعد استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

ـ تطور الموقف بسرعة في لاوس فبعد ان اقيمت لجنة عسكرية تسلمت زمام الحكم بعد سفر الامير سوفانا ، حلت هذه اللجنة وتولى كينيم فولسنيا رئاسة الوزارة وهو شيوعي الميول . واذيع ان طائرات سوفياتية افرغت شحنات اسلحة الى قوات الكابتن كونغ لي .

ـ اعلن نهرو ان حكومته لن تسحب قواتها من الكونغو لان المنظمة الدولية التي تعمل هذه القوة بقيادتها تمثل الامل الوحيد لمنع انتشار الفوضى وربما نشوب حرب في افريقيا . واتهم بلجيكا بعرقلة اعمال الامم المتحدة .

١٣ ـ اعلن انطوان جيزينغا نائب رئيس الوزارة المعتقل لومومبا تنصيب نفسه الحاكم الشرعي الوحيد في الكونغو واعلن ستانليفيل عاصمة له وابلغ همرشولد توليه رئاسة الوزارة ونقل العاصمة .

ـ اصدر ملك لاوس مرسوما بحل حكومة كينيم فولسنيا الموالية للشيوعية وتحويل السلطات الى اللجنة الثورية اليمينية بزعامة الامير بون اوم والجنرال فومي نوفاسان .

ـ اعلنت بريطانيا ان شحن الاسلحة الروسية لعاصمة لاوس المحاصرة يعتبر خرقا لمعاهدة الصلح الهند الصينية التي وقعت منذ سنوات .

ـ اختار جون كنيدي رئيس مؤسسة روكفلر دين راسك ليكون وزيرا للخارجية الاميركية .

١٤ ـ وقع انقلاب عسكري في اثيوبيا قام به رجال الحرس الامبراطوري اثناء غياب هيلاسلاسي في زيارة للبرازيل . واذاعت الانباء ان الامير اصفا وصن نجل الامبراطور وولي العهد هو الذي قام بالانقلاب .

ـ وصل هيرتر الى باريس ليرأس بعثة اميركية في اجتماعات منظمة الحلف الاطلنطي

ـ وقعت في باريس ٢٠ دولة بينها الولايات المتحدة وكندا معاهدة بانشاء منظمة للتعاون الاقتصادي والانماء عبر الاطلنطي ، تحل محل منظمة التعاون الاقتصادي الاوروبية .

ـ انهى مجلس الامن مناقشة قضية الكونغو دون التوصل الى نتيجة ، وتحولت القضية الى الجمعية العامة .

ـ تدور معركة حامية في عاصمة لاوس وانقسمت مدينة فينتيان الى جبهتين يمينية وشيوعية .

١٥ ـ اعتقل ماهندرا ملك نيبال رئيس الوزراء بيشوار براسادكويرالا وحل البرلمان .

ـ احتفلت البلجيك بقران الملك بودوان ودونا فابيولا دي مودا الاسبانية .

١٦ ـ وصل هيلاسلاسي الى اسمرة واستقبل بمظاهرات التاييد واعلن راديو اديس ابابا ان القوات الموالية للامبراطور بقيادة الجنرال مريد مانفيشا قد قمعت الثورة

ـ وافقت اللجنة السياسية للامم المتحدة على مشروع القرار الاسيوي الافريقي باجراء استفتاء في الجزائر تحت اشراف الامم المتحدة واحيل المشروع الى الجمعية العامة .

ـ توفي في القاهرة حسين سري احد رؤساء الحكومات السابقة .

ـ اعلنت حالة الطوارىء في نيبال وحذرت الاجتماعات والدعاية السياسية وقالت الانباء ان الشيوعيين وزعماء حزب المؤتمر قد اعتقلوا

ـ اعلن نهرو انه لما يؤسف له ان تصاب تجربة الديمقراطية في نيبال بنكسة .

ـ انتهى القتال في عاصمة لاوس بانتصار القوات اليمينية على اليساريين ووصل الى فينتيان رئيس الوزراء الجديد بون اوم يرافقه الجنرال فومي نوفاسان .

١٧ ـ تستمر الحرب الاهلية في لاوس بالرغم من سيطرة القوات اليمينية على العاصمة فقد اخذت القوات الشيوعية المنسحبة تجمع صفوفها واسلحتها .

ـ وصل هيلاسلاسي الى اديس ابابا واستقبل بمظاهرات الترحيب تبين ان ولي العهد وسائر اعضاء الاسرة المالكة كانوا معتقلين ولا دخل له بالثورة .

١٩ ـ اصدر مؤتمر رؤساء الدول الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية في برازافيل بلاغا اعلن فيه انه يمكن الوصول الى حل سياسي لمشكلة الكونغو في مؤتمر مائدة مستديرة يمثل جميع الفرقاء في الكونغو . وبشأن الجزائر قرر المؤتمر دعوة فرنسا الى الدخول في مفاوضات مع الوطنيين الجزائريين وتطبيق مبدأ تقرير المصير .

ـ بدأت مطاردة عنيفة للقبض على زعماء الثورة في اثيوبيا . ووصفت الاجراءات التي تتخذها السلطات بانها شديدة وان ما جعل الامبراطور يبالغ في القسوة الدماء التي اراقها الثوار حتى قدر عدد ضحايا الثورة بالاف القتلى يتقدمهم الوزراء .

٢٠ ـ اجتمع ايزنهاور بمستشاريه لبحث الانباء المنتشرة عن صنع اسرائيل قنبلة ذرية واصدرت وزارة الخارجية بيانا بانها طلبت من السفير الاسرائيلي منذ عشرة ايام تزويدها بمعلومات عن ذلك ولكنها لم تتلق جوابا .

ـ رفضت الجمعية العامة الاقتراح الافريقي الاسيوي الداعي الى اجراء استفتاء في الجزائر باشراف الامم المتحدة .

ـ رفضت الجمعية العامة مشروعي الغرب والدول الاسيوية الافريقية بشأن الكونغو .

ـ جدد ديغول دعوته الى الزعماء الجزائريين للمفاوضة وقال انه سيكون للجزائر الجزائرية هيئتها التنفيذية ومجلسها المنتخب وانه متى انتهى القتال سيبحث مع زعماء الثورة شروط تقرير المصير .

٢١ ـ قبل الملك سعود استقالة الامير فيصل رئيس الوزراء وجميع اعضاء الوزارة .

٢٢ ـ اعلنت فرنسا ان قواتها الجوية اكرهت طائرة لبنانية على الهبوط في وهران بالجزائر كانت قادمة من ستوكهلم الى الدار البيضاء وتحمل خمسة اطنان من الاسلحة الى المجاهدين الجزائريين .

ـ اعلن الملك سعود عن تاليف وزارة جديدة برئاسته .

ـ قال بن غوريون في البرلمان الاسرائيلي ان ما يسمى المولد النووي السري الذي بنته اسرائيل في النقب مخصص بكليته للاغراض السلمية .

مطبعة الغريب
بيروت ، شارع هوفلان ، ت ٤٦١٨٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في سبيل استقلال عقلي

بقلم نسيم نصر

بعد ان استقام لذوي الكفاءات العلمية والحصيلات الاختبارية ان اعتبار التربية الوطنية عملية تكييف شاملة بين الانسان وبيئته ، كان لا بد من اعتماد اساس تقوم عليه هذه العملية التربوية قياما علميا مدروسا . وفي مجال البحث عن هذا الاساس نمضي في مراقبة الاوضاع الاجتماعية ومقومات الدولة في الاقطار العربية . فماذا نجد ؟ نجد ان فقدان الاستقلال العقلي او ضيقه على الاقل ، هو السبب الاعمق جذورا في ابقاء اهل هذه البلاد كجماعات ، في مستويات ادنى بكثير من التي اليها يطمحون والى بلوغها يتشوقون ، كافراد . ولكي نستطيع تقوية هذا الاستقلال العقلي علينا ان نعالج شؤوننا الخاصة والعامة على مبدا : « الحياة ملك لكل جيل يحيا اليوم او غدا ، مثلما كانت ملكا لاجيال مضت » .

وعملا بضرورة التطور البناء يجب ان يضيف كل جيل الى الانسانية قبسا من ذكائه وهبة من استقلاله العقلي . وفي سبيل الافادة من عطائنا نجدد المكيف ينبغي ان نقنع مجمدي قيم الحياة ومحديها في نطاق الموروث ان الانسانية نفسها ذات آفاق واعماق لا يحيط بها تفكير احاطة شاملة ، ولا تستطيع اية محاولة مهما بلغت شدتها واستبد عنفها ، ان تحد من مضاء العبقريات المولدة الحرة ، او ان تكبت النفوس الجبارة المخططة لاجيال جديدة . ومن نظر في عبر التاريخ ، التي حفلت احداثها بالدروس القاسية ، ادرك ان كل المحاولات الطاغية المحدة من انطلاق الفكر الانساني انتهت الى خيبات فادحة خرج العقل البشري منها كلها ليجوب ميادين حريته ويبني صروح استقلاله .

ونحن ، بين ولائنا لقديمنا وحرصنا على روابطنا به ، وبين حركاتنا التقدمية ومجاراتنا الامية في بناء نظام جديد ، نحن ، في هذا كله ، مرتهنون مرة لاستقلالنا العقلي واخرى لعواملنا الشعورية . ومن هذا الارتهان تبدا النظرة الباحثة عن اعمق الاسباب جذورا واخطرها اثرا ، في بناء الاوطان بالنسبة الينا . وهنا تجب الاشارة الى ان مهمة التربية على سعة متناولاتها ولباقة السعي في جعلها كفيلة بايجاد نشء في وسعه السير بعجلة الحياة ، في سواء السبيل ، الى حيث حسن المصير ، ولا تستطيع ان تخلق جديدا في من تحوطهم بعنايتها البارعة الحديثة ، ولكنها تستطيع ابداعية تكييف يبدو ، وكأنه عملية خلق جديد . وانه لمن الخير ان تبدأ عملية التربية بتوفير الجو الملائم وتعبئته بكل ما يساعد على النمو السليم . اذ كثيرا ما يكون الاخفاق في تربية ناشيء نتيجة لعوامل غيرية اكثر منها ذاتية ، او بتعبير اسهل ، خارجية اكثر منها داخلية . ولذا تبدو ضرورة توفير المعلم خبيرا بطبائع التلاميذ عالما بما يكونون وبما يطرا عليهم في كل مرحلة من مراحل نموهم الجسدي والذهني ليستطيع الاخذ بايديهم في دروب التنشيء المكتنفة بالمفاسد المهددة بالاهواء . ولا بد من ان تتوفر في هذا المعلم ، الى جانب كفاءته في ادراك ما هم فيه تلاميذه من مختلط المؤثرات والعوامل ، الاناة المكملة للعلم والرحمة المحيطة بوسائلها انسان الغد الذي نريده نظيفا من رواسب القسوة عليه . ولئن تجاوز المربي المجرب عنصر الرحمة الى الشدة في تاديب بعض الصغار احيانا ، فان ذلك لا يعني قاعدة وانما يتناول شذوذا ، اذ القاعدة الوسيعة التي عليها يجب ان نبني نشأنا يجب ان تقوم على ايجابية العقل الهادىء لا على سلبية الخوف المقلق .

ولعل افضل ما نقف عنده لنتحرى فيه مواطن الاصابة والخطأ تربويا هو اعتبارنا ، مثلا ، الصف المؤلف من ثلاثين طالبا وحدة مدرسية بالمعنى الجامع لكلمة الوحدة في نطاق المدرسة . غير ان الامر ليس كذلك ، فمن جعلناهم وحدة مدرسية ، بعد الاطلاع على درجات معارفهم بالعلوم واللغات والرياضيات وما الى ذلك من التحصيل الحرفي ، فانهم ليسوا كذلك بالنسبة الى ذواتهم كافراد . فعلى المعلم ان يكون ذا المامة بعلم النفس يقرنها بشيء من نفوذ البصر في التوسم ، مستفيدا في كل حال ، من بوادر تلاميذه وتخيلاتهم ومتفاوت ما يبدون من جراة او تهيب ، ومختلف ما هم فيه من حدة او بلادة . ذلك لان التعميم الذي يجعله علم النفس قاعدة لا بد له من ان يخرج الى التخصيص عند التطبيق . فالمعلم المربي هو من نريده ليترجم حالة كل تلميذ مضيفا في هذه الترجمة ، ثاقب نظره وحكيم تجربته الى صحيح معرفته بالمقاييس المتناقلة علميا . وهكذا يتضح ان المعلم لا يستطيع ان يكون ناجحا من الناحية التربوية الحديثة ان لم يكن ذا مؤهلات خاصة يذيبها من المقتبسات العامة ، ليتحلى بها معلما يدرك ان كتاب التدريس المعرفي قد يكون واحدا لثلاثين طالبا في صف واحد ، ولكن كتاب الطبائع والمسالك قد يكون واحدا من افراد هذا الصف . وكثيرا ما يقتضي بعد النظر التربوي ان نتناول شخصية ناشيء بمقاييس واعتبارات تختلف ، سنة بعد سنة ، وفقا لمدارج تكامل الشخصية في منابع مراحل نمو الجسم ، وما يتصل بهذا النمو من تقلب وتطور في الذات الانسانية . ويجب الا ننسى اقامة بعض الفارق التربوي بين التلميذ والتلميذة ، ولا سيما في سن المراهقة .

ومما يزيد في صعوبة مهمة التربية في البلاد العربية اليوم ، هو ما يقوم بينها من تباين في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والعوائد الاسرية . وهذا ما يحمل على القول احيانا ان مهمة المعلم ، في بعض بلادنا اليوم ، تبلغ حد الاعجاز في صحيح تطبيقها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس لنا سواه

سألناه يرحل عن دربنا ... ويزرع في دربنا سوسنا
يظل ارتحال النسيم حنينا ... اليه ، فقد عاش في قلبنا
وكل الطيور ، اذا رفرفت ... باجنحة الشوق في حينا
تميد على دارنا وتغني ... فنبكي جوى ونذوب مني
وددناه طفلا سني الحياة ... يعب وينعم من ودنا
ولو ان خاطرة من سحاب ... اراد ، لكانت لديه جنى
منحناه دنيا سماح وراقت ... لعينيه اجواؤنا واغتنى
فنسماته زهرات الوداد ... وضحكاته اي فجر لنا
ودام له صدرنا مرتعا ... ودام له قلبنا موطنا
وما في الفؤادين غير النقاء ... ونبع الصفاء وغمر السنى
ومن مقلتينا تضيء النجوم ... تخيم . تحنو على روضنا

وغامر !! كيف يروح ويقسو ... ويا ما تولّه في حبنا
سيذهب صيف ويسطو خريف ... ويهمي شتاء على حلمنا
وتذبل ازهارنا وتموت ... وترعش في البرد اطيارنا
ولا من يحب ، وليس لنا ... سواه يعيد ربيع الهنا
يظل ارتحال النسيم حنينا ... اليه ، فقد عاش في قلبنا

الاردن — موسى صرداوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا كانت التربية الحديثة تهدف الى البلوغ بالناشيء اقصى مستطاعه عقلا وشعورا كان علينا ان نأمن ، اول ما نأمن ، خطر الطغيان الشعوري على المتناولات العقلية . ومن عرفنا ان النمو وليد النشاط والحركة ، وسواء في ذلك نمو الجسم ونمو الفكر ونمو الشعور ، كان على المعلم ان يحرص على التعادل والتكافؤ في عناصر هذا المركب البشري في عضويته وذهنه ، في افهامه واحلامه . وهكذا نرى ان التعليم لا يكون مجديا جدوى بناءة وطنية اجتماعية . الا بتربية التجربة الشخصية ، وتقويتها بالتفاعل والتجارب السابقة ، لتتكامل في نطاق الجماعة تكاملا لا بد له من ان يطبع اثره المشترك في نفوس من كانوا منذ حين متباينيي النزعات متفرقي الافكار والمشاعر .

غير ان النطاق المدرسي ما يزال مكشوف الجوانب لنزوات شعورية تمتد اليه فتفسد على المعلم مسالك العقل التي يسلكها وتعصف باساس الشخصية المواطنة التي شرع في بنائها . واخطر هذه النزوات ما كان منها صادرا عن طائفة جامحة او اقطاعية مهيمنة . وتلافيا لذلك الجموح الطائفي وهذه الهيمنة الاقطاعية ، كانت المناهج العلمانية وكانت العلوم الاجتماعية اجدى ما يعتمد لمثل هذه الاخطار الوطنية.

وبما ان المناخ الروحي في بلادنا ما يزال مشحونا بالموروث من العصبيات الطائفية ، التي ، عملا على تهدئتها ودرء ثورتها ، أحللناها مكان الاحزاب السياسية ، فليس لنا ان نأمن الى هذا الاستبدال الذي تختل معه المعادلة ايجابية العقل وسلبية الشعور . وخير ما نفعله في هذا الركن من التطور التربوي ، ريثما نتهيأ لتقبل العلمنة ونهيء لها ، هو ان نخضع مناهجنا لهذه العبارة الحكيمة : « الدين لله والوطن للجميع . » ولكن ايجابية العقل التي نربيها ضمانة لقيادة جيل جديد ، علينا ان ندفع عنها خطر فلسفات مستحدثة ، تهوي بها الى ظلمات من الالحاد ، حيث ينقطع الرجاء من الاستمتاع بنبل الحياة كما ارادها الله .

واما العلوم الاجتماعية فهي المعول عليها في الاستشفاء من امراض الطبقية . ففي ظل النظام الديمقراطي الذي نسعى جميعا لتركيز اساسه في بلادنا ، يجب ان تتاح الفرصة لتنوع الكفاءات في ممارسة نشاطها على الميادين العامة ، انتفاعا بها وافسادا لها . فاذا بلغ اهتمامنا التربوي هذا المبلغ من التطلع على هدي العقل وامانة الرسالة ، في ايمان بالله وبالانسان وبالوطن، عندئذ نطمئن الى ان الاجيال الطالعة هي في طريقها الى غد افضل .

نسيم نصر

حدائق وفيقه

بدر شاكر السياب

البصرة ـ العراق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

-١-

لوفيقه
في ظلام العالم السفلي حقل
فيه ، مما يزرع الموتى ، حديقه
يلتقي في جوها صبح وليل
وخيال وحقيقه .
تنعس الانهار فيها وهي تجري
مثقلات بالظلال
كسلال من ثمار ، كدوال
سرحت دون حبال .
كل نهر
شرفة خضراء في دنيا سحيقه .
ووفيقه
تتمطى في سرير من شعاع القمر
وتبقي اخضر
في شحوب دامع فيه ابتسام
مثل افق من ضياء وظلام
وخيال وحقيقه .
اي عطر من عطور الثلج وان
صعدته الشفتان
بين افياء الحديقه
يا وفيقه ؟

تخالها تلوح في القرار
من جدول احاله النهار
صدى من المياه مقمرا .
كأن عشتروت آض فوقها الحجار
صفائحا من الزجاج ، اصبح الثرى
ذرا من الضياء والغبار .

-٢-

والحمـام الاسود
يا له شـلال نور منطفى !
يا له نهر ثمار مثلها لم يقطف !
يا له نافورة من قبر تموز
المدمى تصعد !
والازاهير الطوال الشاحبات الناعسه
فى فتور عصرت افريقيا فيه شذاها
وندها .
تعزف النايات فى اظلالها السكرى عذارى
لا نراها
روحت عنهـا غصـون هامسه .
ووفيقـــه
لم تزل تثقل جيكور (١) رؤاها .
آه لو روى نخيلات الحديقه
من بويب (٢) كركرات ! لو سقاها
منه ماء المد فى صبح الخريف !
لم تزل ترقب بابا عند اطراف الحديقه
ترهف السمع الى كل حفيف .
ويحها ! ترجو ولا ترجو وتبكيها مناها .
لـو اتاها !!
لو اطال المكث فى دنياه عاما بعد عام
دون ان يهبط فى سلم ثلج وظلام !!

هناك حين يهبط الميت فى سكون
يسمر العيون
على شموس تنشر الظلام .
هناك يستنيم ، فى محفة الغصون ،
شذى اذا تنشقته روح ميت غفا
لـه ، ونـام
شعوره القديم واستراح للقتام .

-٣-

ووفيقـــه
تبعث الاشذاء فى اعماقها ذكرى طويله
لعشيش بين اوراق الخميله
فيه من بيضاته الزرق اتقاد
اخضـر
(اي امواج من الذكرى رقيقه !) (٣)
كلمـا رف جنـاح اسمر
فوقها والتم صدر لامعات فيه ريشات
طـويلـه ،
اشعل الجو الخريفي الحنان
واستعاد الضمة الاولى وحواء الزمان .
تسأل الاموات عن جيكور ، عن اخبارها
عن رباها الربد ، عن انهارها .
آه .. والموتى صموت كالظلام
دون ذكرى ، اعرضوا عنها ومروا فى
سـلام

وهي كالبرعم تلتف على اسرارها .
والحديقـــه
سقسق الليل عليها فى اكتئاب
مثل نافورة عطر وشراب
وخيـال وحقيقه .
بين نهديك ارتعاش ، يـا وفيقه ،
فيـه برد الموت باك ،
واشرأبت شفتـاك
تهمسان العطر فى ليـل الحديقه !

(١) قرية الشاعر وقرية «وفيقه»
(٢) نهر فى القرية
(٣) البيت لي وليس مضمنا

البصرة — بدر شاكر السياب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الادب العربي ودوره في تطور المجتمع العربي

بقلم الدكتور شكري عياد

●

حين تفضل مركز تنمية المجتمع فى العالم العربي بدعوتي لكتابة هذا البحث ، كان العنوان الذي اضعه هنا احد عنوانين مقترحين لموضوع هو ، فى اغلب ظني ، موضوع واحد. وكان العنوان الثاني — او على الاصح العنوان الاول — هو : «الادب العربي الحديث كمرآة فى تطور المفاهيم الخاصة بتنمية المجتمع » .

وقد وقفت مدة امام هذين العنوانين ، وكان رايي ان وضعهما معا لا يخلو من دلالة وان كان الموضوع واحدا . فقد لاحظت ان المركز اراد ، بكثير من السماحة ، ان يترك لي الحرية فى تناول الموضوع من احدى الزوايا الاربع التالية ، او من بعض هذه الزوايا ، او منها جميعا ، وهي :

اولا — الزاوية التاريخية ، ببيان الدور الذي قام به الادب الحديث حتى الان فى تهيئة العوامل النفسية ، التي يعدها الاخصائيون الاجتماعيون ركنا من اركان الاصلاح الاجتماعي ، ويهتمون ، تبعا لذلك ، بمعرفة المؤثرات المختلفة فى توجيهها .

ثانيا — زاوية المستقبل او الامكانية . ببيان ما يستطيع الادب ان يقوم به نحو تهيئة تلك العوامل فى الحاضر والمستقبل . وهذه زاوية لا تقل اهمية عن الزاوية الاولى، وقد تمتاز عليها من ناحية الشمول والتنبؤ باتجاهات المستقبل او محاولة التأثير فى هذه الاتجاهات ، وان جاز ان تخضع لنظرة الكاتب الخاصة الى وظيفة الادب فى الحياة.

ثالثا — الزاوية العامة . ببيان ما عسى ان يكون هناك من روابط بين الادب وبين مفاهيم التطور الاجتماعي وجه عام . والبحث من هذه الزاوية يناسب الميل الادبي الى تناول المشكلات الاجتماعية على جهة التعميم كما انه يساعد الاخصائي الاجتماعي على فهم الاطار العام للتطور الاجتماعي، الذي تعالج مفاهيم تنمية المجتمع نواحي خاصة منه ، من زاوية خاصة وهي زاوية الادب .

رابعا — الزاوية الخاصة . ببيان ما عسى ان يكون هناك من روابط بين الادب وبين مفاهيم تنمية المجتمع بالذات ، باعتبارها شكلا خاصا من اشكال التطور الاجتماعي . والبحث ، من هذه الزاوية ، متصل اتصالا مباشرا بعمل الاخصائيين الاجتماعيين .

وكذلك كان من آيات السماحة ، والمرونة ايضا ، من قبل القائمين على الاعداد لمؤتمر المركز انهم شاءوا الا يلزموا الكاتب وجهة نظر معينة فى مسألة صلة الادب بالمجتمع ، تلك الصلة التي طال حولها الخلاف قديما وحديثا ، فكان احد العنوانين يحمل اشارة الى ان للادب « دورا » فى تطور المجتمع ، والعنوان الثاني يشير الى ان الادب « مرآة » لتطور المجتمع فحسب .

وقد رايت ان احاول ، جهد الطاقة ، معالجة الموضوع من زواياه الاربع . وان اقسم البحث اقساما اربعة . تبعا لذلك ، على الرغم من ادراكي لما بين هذه الاقسام من تداخل وتشابك ، فقد رايت ان هذا التقسيم اعون على تحديد النقاط التي يصح ان تكون موضوع مناقشة مثمرة .

ولكنني ، قبل ان ادخل فى هذه الاقسام ، يجب ان ابين بقليل من الكلمات فهمي لعلاقة الادب بتطور المجتمع . ولا ازعم ان هذا هو الفهم الوحيد لتلك العلاقة ، ولكنه ، على الاقل ، هو فهم معظم المشتغلين بالادب ، الذين يتعاملون مع الحياة من خلال خبرتهم الخاصة فى هذه الناحية من نواحي النشاط البشري .

فالادب نتاج احساس مباشر بالحياة . ومعنى ذلك ان الاديب — مهما تكن افكاره الاجتماعية — لا ينظر الى المجتمع من خلال هذه الافكار . ان الاديب رياضي الاحساس ، اذا جاز لي ان استخدم اسلوب الاستعارة هنا ، فهو يكشف صدره للهواء والشمس ولا يسمح لاي دثار من المعتقدات او النظريات ان يحول اطراف اصابعه الحساسة وبين المؤثرات الطبيعية للحياة. كلما اقترب الادب من هذا المثال كان اقرب الى وظيفته الحقة، وهي ايقاظ الشعور بالحياة. ولا يستنتج من هذا ان جميع ما يسمى ادبا هو كما وصفنا ، فالواقع ان كثيرا من الاعمال التي تأخذ شكل القصة او المسرحية او الشعر، لا تعدو فى الواقع ان تكون دعوة الى افكار معينة او اعمال معينة باسلوب اكثر تشويقا من اسلوب الحكم الصريح او الحض الصريح . ومثل هذه الكتابات التعليمية لها فائدة لا تنكر ، فهي تبتعد الى حد ما عن آثار الايحاء العكسي الذي

● من ابحاث « المؤتمر الاول للخريجين » فى بيروت الذي عقده « مركز تنمية المجتمع فى العالم العربي » — سرس الليان .

يتحدث عنه علماء النفس ، ولذلك نلجأ الى هذه الطريقة كثيرا عندما نريد التأثير في الاطفال ، والجماهير غير المثقفة الذين يشبهون الاطفال الى حد بعيد في ضعف قدرتهم على النقد . ومن مزايا هذه الكتابات التعليمية ذات القالب الادبي سهولتها على المنشىء ايضا ، اذا قيست بالتعليم الصرف . فالواعظ الملهم وحده هو الذي يستطيع ان يعظ وعظا يستميل القلوب ، ولكن اي قاص عادي يستطيع ان يصوغ الوعظ في اسلوب مشوق . ولهاتين الميزتين كثر استعمال المؤسسات التعليمية لذلك النوع من الكتابات

ولكننا حين نثبت للادب التعليمي وظيفة مفيدة ، بل حين نتناول في عرضنا التاريخي نماذج ادبية تميل كثيرا او قليلا الى جانب التعليم ، يجب الا نغفل عن ان للادب بمعناه الحقيقي وظيفة اخرى أكثر شمولا بالنسبة الى الفئات الاجتماعية التي تخاطبها ، وابقى اثرا من حيث التطور التاريخي ، وان تكن اقل وضوحا من حيث الدلالة على مفاهيم معينة .

المهاد التاريخي

كانت الصبغة الغالبة على الادب العربي في مطالع العصور الحديثة انه ادب تعليمي .

لا يعنيني ان ابين هنا كون هذه الصفة طارئة على الادب العربي او غير طارئة ، ولا ان افصل الاسباب التي ادت الى سيادتها في الفترة التي نتحدث عنها ، فهذا كله انما يهم المتخصصين في الادب دون غيرهم . يكفي القول ان النهضة الادبية التي بدأت عندنا منذ اواسط القرن الماضي ، واستحدثت فن المسرح ، وجددت فن القصة ، كانت في معظم الاحيان تجد الغرض التعليمي هو الحجة الطبيعية لوجودها . ونعني بالغرض التعليمي هنا دلالة الادب على مغزى خلقي او اجتماعي او وطني واضح . والذي يهمنا من هذه الاغراض التعليمية انه الى جانب تصوير الفضائل الخالدة كالوفاء والصبر والامانة ظهرت الدعوة الى تعديل اسلوب الحياة . وكان هذا هو الاثر الاول الذي تركه في الادب احتكاك العرب بالحضارة الغربية . ومما يسترعي نظر المتتبع للنتاج الادبي اوائل عصر النهضة كثرة كتب الرحلات الاوروبية وفي مقدمتها « تخليص الابريز في تلخيص باريز » لرفاعة الطهطاوي ، و « كشف المخبا عن فنون اوربا » لاحمد فارس الشدياق . وتفيض هذه الكتب حماسة مخلصة حين تصور مظاهر الحضارة المادية والثقافية والاجتماعية واركانها عند الغربيين ، وتنبه الى محاسنها مشيرة في كثير من الاحيان الى ما لهذه المظاهر والاركان من ارتباط بالتقدم الانساني على العموم ، وما بينها وبين مظاهر الحضارة العربية واركانها من اتفاق في الاصول .

واختار احد الرواد في هذه الفترة اسلوب القصص ليصور التقاء الحضارتين ، وينبه القراء العرب الى ما في التقدم العلمي والاجتماعي عند الغربيين من خير كثير ، لا تأباه طبائع الشرقيين ولا اصول معتقداتهم ، وان بدا لهم غريبا للوهلة الاولى بسبب ما اصاب حياتهم من ركود . واعني المهندس والمربي والوزير المصري علي مبارك في كتابه « علم الدين » . و « علم الدين » رحلة الى الغرب ايضا ، ولكن المؤلف لا يكتب ملاحظاته المباشرة عن الحياة الاوربية كما فعل اصحاب الرحلات الحقيقية ، بل يستغل اوليات الفن القصصي ليجسم التقاء الحضارتين . فنحن نعلم ان علي مبارك نفسه فر من الكتاب صغيرا ودخل التعليم المدني الذي بداه محمد علي وتخرج في مدرسة « المهندسخانة » قبل سفره في بعثة الى فرنسا . ولكن بطله « علم الدين » لم يفر من الكتاب بل تعلم كل ما كان يمكنه ان يتعلمه فيه ثم سافر على مركب شراعي الى القاهرة ، مزودا بدعوات اهله ، ودخل الازهر وواصل الدرس فيه حتى اصبح من علمائه . وهنا فقط يعرض له الاتصال بالحضارة الغربية حين يسأله مستشرق انجليزي كان قد قدم الى القاهرة ان يعاونه في درس الكتب العربية القديمة . ويتردد « علم الدين » قبل ان يقبل هذا العمل ، ولكنه لا يلبث ان يقبل فكرة جديدة اجرأ من الاولى ، وهي ان يصاحب المستشرق الانجليزي في رحلة الى اوربا . شخصية « علم الدين » اذن شخصية نموذجية تمثل الحضارة الشرقية في التقائها الذي يوشك ان يكون مصادفة بحضارة الغرب ، ليس كعلي مبارك الذي نفر بطبعه من اساليب التعليم القديمة في الكتاب ، بل ليس كالشيخ رفاعة الذي اندفع من تلقاء نفسه الى الاغتراف من ينابيع الثقافة الغربية في فرنسا . والقصد التعليمي في قصة « علم الدين » واضح لا يبذل المؤلف جهدا ما لاخفائه . فهو يريد ان يعرف القارىء باكثر ما يمكن من النواحي المفيدة او النواحي التي تستوقف النظر فحسب في الحضارة الغربية ، لينبهه الى ان ما بيننا وبين القوم من اختلاف في العادات امر غير مستغرب ، نظرا لاختلاف البيئة والطبع ، وان في علومهم من المنافع ما يدعونا الى درسها وفهم اسرارها ، وهو يفيض فعلا في وصف كثير من الحقائق العلمية ، حتى شرح عمل الالات الميكانيكية التي كان المؤلف خبيرا بها بوصفه مهندسا .

ان الاستعمار الغربي لم يستطع ان يرسخ قدمه في العالم العربي حتى اواخر القرن الماضي . ولهذا اقبل العرب على الحضارة الاوربية بلا عقد ولا صراع ، يريدون ان يقتبسوا ويستفيدوا ، والا فلا اقل من ان يفهموا فلا ينكروا . ولكن الاوضاع السياسية تكشفت شيئا فشيئا عن استعمار يستغل اقتصاديات البلاد ، ويسعى ، بوعي وبدون وعي ، لتحطيم حضارتها . ومعلوم ان الاستعمار يصدر اردأ ما عنده للبلاد المستعمرة . وهكذا بدأت نظرة العرب الى الحضارة الغربية ، تتعقد . فبعثاتهم الى اوربا لم تنقطع ، وكان المسافرون في هذه البعثات يرجعون متحمسين لثقافة اوربا وعلمها وفنها ، متحمسين لاقتفاء آثار هذه الحضارة في نهضتنا الحديثة ، كما كان دعاة الاصلاح يبذلون جهدهم للتنبيه الى اسباب التأخر وعيونهم في اكثر الاحيان على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوربا ولكن الاتجاه الاغلب فى هذه الفترة كان الى نقد رذائل المدنية الحديثة التي جاء بها الاستعمار الغربي ، وتفشت فى بيئات الاغنياء على الخصوص . وكان الادب يعبر عن هذه الاتجاهات كلها تعبيرا صريحا بالقصة والمقالة والمسرحية ، التي ظل الغرض التعليمي غالبا عليها جميعا . فبينما يعالج جبران مثلا موضوع الزواج غير المبني على الحب ، او نفاق رجال الدين ، يعالج فرح انطون او محمد تيمور او غيرهما من كتاب المسرح موضوع غرام الراقصات ، او الزواج بالاجنبيات . وليست هذه الموضوعات الجزئية سوى علامات على اتجاه فكري عام ، كان يشعر بضرورة التغير الاجتماعي ويحاوله ، ولكنه فى الوقت نفسه يستنكر التغير السطحي المفسد الذي جاءبه الاستعمار .

لا يلبث مفهوم الادب ان يتغير عند طائفة كبيرة من القراء ، وهي طائفة المثقفين الذين اصبحوا يعتبرون الادب غاية لا وسيلة . فهم يريدون من الادب أن يكون تصويرا للحياة ، يوقظ شعورهم بها لما فيه من كمال فني ، لا مجرد ثوب لفكرة اجتماعية او غيرها . فبدأت تظهر اعمال تخاطب هذا النوع من القراء ، وفى طليعتها « زينب » لمحمد حسنين هيكل ، و « الايام » لطه حسين ، و « ابراهيم الكاتب » لابراهيم عبد القادر المازني ، وقصص محمود تيمور ومحمود طاهر لاشين ويحيي حقي ، ومسرحيات توفيق الحكيم ورواياته . وفى هذه الاعمال لا يظهر المدلول الاجتماعي بطريقة مباشرة كما يظهر فى الادب التعليمي . ومع ذلك فانها تعكس تطورا اجتماعيا جاريا وتساعد عليه ، وذلك من جملة نواح :

فاولا — ان اهتمام هذه الاعمال بتصوير نواحي الحياة القومية فى الريف والمدينة يدل على اهتمام بواقع حياتنا ومحاولة لتبين ما يجري فيه بدقة وموضوعية . وهي بذلك تعكس النظرة العلمية التي بدأنا نأخذ بها فى كافة شئون حياتنا ، وتدل على ان « التغير » لم يعد مجرد رغبة ، بل حقيقة .

وثانيا — ان هذه الاعمال تبدأ فى معالجة مشكلة التغير الاجتماعي من زاوية الفرد . فتعبر عن الصراع بين «العقل والعواطف» من ناحية ، وبين «التقاليد والظروف الخارجية» من ناحية اخرى . وكثيرا ما تكون سيطرة التقاليد والظروف الخارجية قاهرة بحيث يضطر الفرد للرضوخ لها ، كما فعل « ابراهيم الكاتب » ، او يهرب من وجهها الى جهة غير معلومة ، كما فعل « حامد » بطل « زينب » . ومع ان « التقاليد والظروف الخارجية » تتركز فى معظم الاحيان ، كما فى هاتين الروايتين بالذات ، حول مشكلة الحب والزواج ، فان هذه المشكلة لا تعدو ان تكون التجسيم الفردي للجمود الاجتماعي الذي يرتطم به البطل فى مناسبات اخرى كثيرة ، ولكنه لا يشعر بثقله قدر ما يشعر حتى يقع فى ازمة قلبية .

وثالثا — ان بعض هذه الاعمال تبلور فكرة « التقاء الحضارتين » بوضوح تام ، وبذلك تستمر فى نفس الخط الذي تتبعناه فى المرحلتين السابقتين . لقد انتهى الادب التعليمي الى التحذير من قشور الحضارة الغربية مع تأكيده بضرورة التغير ، وفى هذا الادب الفني نرى اعزازا للحضارة القومية يجعلها اثمن من التغير نفسه . فامامنا ابطال مثل « محسن » فى « عصفور من الشرق » لتوفيق الحكيم ، و « الدكتور اسماعيل » فى « قنديل أم هاشم » ليحيي حقي ، خاضوا التجربة الى نهايتها ، فذهبوا الى الغرب ونهلوا من ثقافته ما شاءوا ، وكادت نفوسهم تتزلزل ، ولكن قلوبهم عادت شرقية صميمة ، وان كانوا قد افادوا من الغرب علما وثقافة وخبرة . ويعالج هذه الفكرة ايضا ، باسلوب رمزي ، الكاتب التونسي محمود المسعدي فى حواريته « السد » وقصته « المسافر » .

مشكلات الحاضر والمستقبل

فى السنوات العشر الاخيرة ظهر فى البلاد العربية اتجاه الى معالجة القضايا الاجتماعية بطريقة مباشرة فى الادب . اي ان الادب عاد مرة اخرى الى الاسلوب التعليمي . ولكنه فى هذه المرة كان متأثرا بمذاهب سياسية معينة ، كما كان يحاول ان يتخذ شكل الادب الخالص كما يجاري نتاج المرحلة الفنية التي سبقته . ولهذين السببين لم يصب نجاحا كبيرا ، فان تمذهب الاديب يجعله محصورا فى انصار مذهبه ، كما ان محاولة المزج بين التعليم والفن ، او بعبارة اخرى اخضاع احساسه المباشر بالحياة لافكاره الجدلية ، يسم كتاباته بالنفاق . وقد اصبحنا فى هذه الايام لا نكاد نشعر بوجود ذلك الادب . بل أصبحنا ننتظر ، فى كثير من الامل ، نهضة جديدة للادب الفني ، يتابع بها خط تطوره فى خدمة الحياة على طريقته الخاصة . لقد اصبح «التغير» حقيقة قائمة فى مجتمعنا ، واصبحت مجاراة هذا التغير ، بل وقيادته ، هي المشكلة التي تواجه الافراد . ولهذا فنحن نتوقع ان يتجه الادب الى خلق ابطال يتفاعلون تفاعلا قويا مع بيئتهم ، وبذلك يعبرون عن الدفع المتبادل بين « الوعي والتغير » الذي يكون نبض الحياة العربية المعاصرة . لقد شعر افراد ، فى مطلع النهضة العربية الحديثة ، بضرورة التغير . ثم لم يلبث التغير ان بدا يفرض نفسه بمعزل عن ارادة هؤلاء الافراد ، ولكنه لم يكن التغير الذي تخيلوه . واستمر « التغير الواقع » و « التغير المرغوب » يسيران فى اتجاهين متنافرين مما اوقع فى كثير من النفوس اليأس والتشاؤم ، واحال معظم ابطال الروايات والتمثيليات العربية الجادة اما الى متفرجين متأملين لا يخلون من مرارة ، واما الى « اخيار مظلومين » يستثيرون العطف ويستدرون الدموع ، وبذلك يعكسون ظاهرة مرضية عند مؤلفيهم وقرائهم على السواء ، وهي ظاهرة «ظاهرة الاشفاق على الذات » التي هي تعبير عن ضعف التفاعل مع الواقع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن المجتمع العربي يسير الان ، بشحنة ضخمة من قوة الارادة نحو جعل « التغير » مطابقا « للوعي » . وتحرر البلاد العربية من الاستعمار يجعل التغير الحادث فعلا نابعا من رغبة وطنية لا مفروضا من الخارج . والشعور بالعزة القومية ينفي مظاهر التقليد السطحي للحضارة الغربية ، الناشيء عن شعور بالنقص امام الاجانب ، ويدفع الى احياء القيم الاصيلة للحضارة العربية وتدعيمها . وكل جديد في ذلك التغير يزيد تنبه « الوعي » ويوسع قاعدته فيدفعه الى تحقيق تغير اكبر . وهذا هو «الدفع المتبادل» الذي اشرت اليه ، وهو دليل يقظة شاملة وبناء مادي وروحي متكامل .

على ان التغير لا يمكن ان يتم بسهولة . وحركة الدفع المتبادل بين التغير والوعي لا بد وان تخفي في داخلها صراعات متنوعة بين الفكرة والواقع من ناحية ، وبين الفكرة والفكرة من ناحية اخرى . فالواقع المادي لا يخضع بسهولة لرغباتنا ، والتغير الحادث فعلا لا يمكن ان يكون مطابقا لكل امالنا . وهذا هو الصراع بين الواقع والفكرة او المثال . كما ان التغير الذي نحققه او نهم بتحقيقه ينعكس على نفوسنا فيثير كل نزعاتنا المحافظة التي كانت نائمة بينما كنا نشتغل رغبة في التغيير . وهذا هو الصراع بين الفكرة والفكرة . اضف الى ذلك ان « التغير » و « الوعي » لا يتساويان في جميع الافراد ولا في جميع قطاعات المجتمع ، ومن هنا تحدث انواع اخرى من الصراع لاقناع افراد او فئات من المجتمع بضرورة التغير .

ولان التغير لا يتم بسهولة ، فهناك قدر من البطولة يلزم لاتمامه . وهذه البطولة تتفاوت مستوياتها كما تفاوتت مجالاتها ، الا انها تظل دائما بطولة كلما اثبتت قدرة الانسان على تغيير مجتمعه وتغيير نفسه ايضا ، سواء أكان الانسان محاربا في معركة او عاملا في حقل . وامام الادب العربي اليوم فرصة تصوير هذه البطولة في كفاحها المستمر نحو تقدم المجتمع ونضج الشخصية . الا انه ، ليؤدي دوره حقا في خدمة الحياة ، يجب ان يلتزم الصدق الفني في تصوير الابطال انفسهم ، فلا يكتفي ، كما حدث في بعض الاداب الاجنبية الحديثة ، بتصوير افعالهم الخارجية التي تدل على ايمان ثابت وعزيمة لا تتزعزع ، بل يصورهم من الباطن ايضا ، حيث تبذل الروح جهدا جبارا للتغلب على الضعف والخوف والشك ، حتى تبرز اخيرا ارادة حرة بناءة . فتصوير الانسان كاملا هو مهمة الادب الحق ، الادب الخالص الذي يعبر عن نبض الحياة في خيال الاديب ، وهذا الادب وحده هو الذي يؤثر في القراء تأثيرا عميقا فيجعلهم يشعرون بنبض الحياة من حولهم كما شعر الاديب بهذا النبض ، ومن ثم يصبحون اقدر على ان يعيشوها ويتعاملوا معها . اما ادب الدعاية الذي يصور سطح الحياة فقط ، ليقول درسه وينتهي ، فانه لا يمس من نفس قارئه الا السطح ايضا .

الادب ومفاهيم التطور الاجتماعي

من هذه النظرة المجملة الى علاقة الادب العربي الحديث في ماضيه وحاضره بمفاهيم التطور الاجتماعي ، يمكننا ان نخلص بان الادب قد قام بدور مزدوج في تطورنا الاجتماعي: دور الشعور بالتغير والاعداد له من ناحية ، ودور المحافظة على القيم الاصيلة للحضارة العربية من ناحية اخرى . والمزج بين هذين الدورين هو ما يشغل بال المصلح الاجتماعي دائما . فهو يريد ان يحدث تغيرات في مجتمعه، ولكنه يحاول الا تصطدم هذه التغيرات بالقواعد الاساسية للمجتمع او تؤدي الى تفكك روابطه فيكون ضررها اكثر من نفعها . واذا كان المصلح الاجتماعي يمزج بين هذين الدورين مزجا عمليا ، فان الادب يمزج بينهما مزجا شعوريا وبذلك يخدم التطور الاجتماعي بطريقة غير واعية . وكلما تاملنا هذه النقطة بدا لنا بجلاء لماذا نرى الادب الصادق يرتبط دائما بنظرة سليمة الى الحياة ، والادباء او قراء الادب الجيد الذين يحسنون فهمه وتذوقه اشخاصا يقبلون التطور الصحيح ويسعون في ركابه او يرتادون الطريق اليه . اننا حين نقول ان الادب يمس اعمق الوشائج الممتدة في ماضي الامة ومستقبلها لا نقول انشاء ولا كلاما مبهما ، بل نصف حقيقة الادب ببساطة تامة . فالادب يقوم على دقة الاحساس باللغة ، واللغة تتوارث من جيل الى جيل ، وتعبر عن الحياة النفسية للشعب في كل عصر ، فدقة الاحساس بها معناها دقة الاحساس بتراث الامة الحضاري على مدى الاجيال . الا ان اللغة حين يستعملها قائلها تعبر ايضا عن مشاعره الحاضرة وآماله المستقبلة اكمل تعبير ، ومن هنا فهي مرتبطة بحاضر الامة ومستقبلها مثل ارتباطها بماضيها . ولهذا يحتاج الادباء في كل عصر الى ان يحدثوا شيئا عجيبا في اللغة . يحتاجون الى ان يجددوها ويجعلوها بنت اليوم ، دون ان يحطموا علاقاتها الاصيلة التي ترجع الى مئات السنين . وهذا بالضبط هو ما يحاول المصلح الاجتماعي ان يجربه في مجتمعه . فهو يحاول ان يحدث في هذا المجتمع من التغييرات ما يجعله مجتمعا متقدما يلائم انسان العصر الحاضر ، ولكنه يحرص في الوقت نفسه على الا يمزق نسيج الحياة الاجتماعية ولا يحطم العلاقات الانسانية ولا يحول الناس الى الات بغير ميراث من المعتقدات والمثل .

وهناك شيئان اساسيان في الادب مهما تعددت مدارسه واتجاهاته ، وهما الحلم والحب . فالاديب يحلم دائما بحياة انسانية افضل ، ولهذا فان الاشياء عنده تختلف دائما عنها في الواقع . فهي اما اجمل من الواقع واما اقبح منه . اما اجمل من الواقع لان الاديب يرى فيها ، بعينه الحالمة ، اكثر مما هناك في الظاهر . واما اقبح من الواقع لانه يقيسها بعالم حلمه الجميل . والاديب الواقعي يتأثر به ابدا في كيفية رؤيته لهذه الاشياء ، فهو لا يزال يراها بتلك العين الحالمة ، التي تقرن الواقع بالمثال . ولان الاديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حالم ، والادب حلم ، فهو يشعرنا دائما بالقلق ، فلا نطمئن الى واقعنا ، بل نطمح الى تغييره ، بل قد نرفضه في بعض الاحيان .

ولكن الادب ايضا حب . ولهذا فان الاديب الذي يثور على عالم الناس باغراء الحلم ، يعود اليهم برباط الحب . والاديب الذي يصور تمرد الفرد وانفلاته من مواضعات الناس ، يصوره ايضا في حبه وتضحيته من اجل الناس .

« الدكتور اسماعيل » ، بطل « قنديل ام هاشم » يعود الى مصر بعد سبع سنوات قضاها في اوروبا . لقد كان ، قبل سفره « لا يشعر بمصر الا شعورا مبهما ، هو كذرة الرمل اندمجت في الرمال واندست بينها ، فلا تميز فيها ، ولو انها مع ذلك منفصلة عن كل ذرة اخرى . اما الان فقد بدا يشعر بنفسه كحلقة في سلسلة طويلة تشده وتربطه ربطا الى وطنه . في ذهنه مصر عروس الغابة التي لمستها ساحرة خبيثة بعصاها فنامت عليها الحلى و (زواق) ليلة الدخلة . لا رعى الله عينا لم تر جمالها ، ولا انفا لا يشم عطرها ! متى تستيقظ ؟ متى ؟ وكلما قوي حبه لمصر ، زاد ضجره من المصريين ... »

هنا الحب والحلم متحدين . ولكن الحلم لا يلبث ان يدفع الى السخط ، فاذا الحب يبدو حنقا وثورة على المحبوب: «هؤلاء المصريون: جنس سمج ثرثار ، اقرع امرد ، عار حاف ، بوله دم ، وبرازه ديدان . يتلقى الصفعة على قفاه الطويل بابتسامة ذليلة تطفح على وجهه . ومصر ، قطعة مبرطشة من الطين اسنت في الصحراء ، تطن عليها اسراب من الذباب والبعوض ، ويغوص فيها الى قوائمه قطيع من الجاموس نحيل ... »

ولكن ماذا يستطيع « فرد » ان يفعل ، فرد قد يملك العلم والارادة والحلم المستبد المغرور ، ولكنه منقطع الصلة بالناس ، ان اسماعيل يهجر اهله وحيه ، ولكنه يظل حائرا ، يقف كل يوم في ميدان السيدة زينب ، وفي نفسه صراع لا ينتهي ، بين علمه المستحدث وايمانه الموروث ، بعين سخطه على ضعف قومه وتأخرهم ، وحبه لهم بالرغم من عيوبهم . واخيرا تاتي اللحظة الحاسمة . ففي ليلة القدر يدخل الى مقام السيدة زينب ، ويأخذ من خادم الضريح شيئا من زيت القنديل الذي يؤمن ابوه وامه وخطيبته المريضة ان فيه الشفاء لعينها الرمداء ...

« وخرج اسماعيل من الجامع وبيده الزجاجة وهو يقول في نفسه للميدان واهله : تعالوا جميعا الي ! فيكم من آذاني ، ومن كذب علي ، ومن غشني ، ولكني رغم هذا لا يزال في قلبي مكان لقذارتكم وجهلكم وانحطاطكم ، فانتم مني وانا منكم . انا ابن هذا الحي انا ابن هذا الميدان . لقد جار عليكم الزمان ، وكلما جار واستبد ، كان اعزازي لكم اقوى واشد ... »

« ... وعاد من جديد الى عمله وطبه يسنده الايمان » .

هكذا يرتبط الحلم والحب في عمل الاديب الفنان ،



الأديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان والاقليم السوري : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان والاقليم السوري ٢٥ ل.ل.
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — Direc. :223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle. : 225139
Tél.

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونترجم ذلك فى يسر الى لغة المصلح الاجتماعي فنقول ان الادب يشير الى حياة افضل ، ولكنه يشير ايضا الى ان هذه الحياة لا يمكن ان تتحقق الا اذا ارتبطت بالماضي والحاضر . وقد يود المصلح الاجتماعي ان يحاسب الكاتب على الرمز الذي اختاره (زيت القنديل لشفاء العيون) ، ولكن المعنى الذي يدل عليه هذا الرمز يظل حقيقة عند المصلح الاجتماعي، كما هو حقيقة عند الاديب .

الادب ومفاهيم التنمية الاجتماعية

ظل الريف بمعزل عن التطور الاجتماعي فى عهود الاستعمار . فقد انشأ الاستعمار فى الشرق مدنا واحياء غربية الطراز ، ليقيم فيها الحكام والمستثمرون الاوروبيون وبقي الريف كما هو ، لا يشعر بشيء من التغيير فيما عدا وسائل المواصلات الحديثة التي راحت تشق احشاءه لتحمل خيراته الى مراكز التجارة فى المدن . وظل الريف محروما من التعليم ، والجماهير الضخمة التي تسكنه بعيدة عن الاحساس بالتغير فضلا عن المشاركة فيه . كان الريف يصب ثرواته وزهرة ابنائه الى المدينة ، فتتضخم المدن حول السادة الاوروبيين وهو باق فى ظلامه . وظل ادبه الخاص ، ادب المواويل والحواديث والسير الشعبية ، وهو فى الغالب ادب غير مكتوب ، يعبر عن تجارب الشعب على مدى القرون ولا يعكس التطورات المعاصرة فيما عدا موجات الثورة الوطنية العارمة التي كانت تشمل الوطن كله ، ريفه ومدنه ، فتبعث من اعماق الريف والبادية شعرا واغاني حماسية تتوهج بوقدة الاحساس .

ولكن الادب المعاصر فى مجموعه ادب مدن . وهذه حقيقة غير مستغربة نظرا لما اشرنا اليه من انتشار الامية فى الريف حتى عهد قريب ، والانفصال الذي ظل يزداد عمقا بين حياة المدينة وحياة الريف . وصورة الريف فى ادب المدينة، حتى عهد قريب ايضا هي مزيج من فردوس مفقود ـ عالم يعيش اهله فى كد وشقاء ، ولكن قلوبهم يعمرها الحب وحياتهم ترفرف عليها السعادة لانهم قريبون من امنا الطبيعة ـ وكتلة جامدة لا تكاد تشعر بالحياة ولا بمرور الزمن ، وبقية حية من الحضارة القديمة التي لم تتأثر بتيارات المدينة السطحية او العميقة . ترى عناصر هذه الصورة متفرقة او ممتزجة بنسب متفاوتة فى جميع الاعمال الادبية التي كتبها كتاب تربوا فى المدن او وفدوا عليها من الريف . تراها فى « زينب » و « الايام » و « عودة الروح » و « ابراهيم الكاتب » كما تراها فى عشرات القطع الهزلية التي تصور الريفي الجاهل فى المدينة .

ولكن التخلص من الاستعمار يستتبع تغيرات اجتماعية ضخمة تمس اهل الريف . فينتشر التعليم فيه ، ويتزايد الاهتمام بتحسين ظروف الحياة المادية لسكانه ، ويوجد عدد غير قليل من الكتاب الذين يعتبرون انفسهم كتابا ريفيين ويظلون مرتبطين بالحياة فى الريف . ومن هذه العوامل كلها تتضح ، شيئا فشيئا ، صورة جديدة للريف فى ادبنا المعاصر .

صورة الريف المتغير ، ومشكلات التغير كما يشعر بها انسان ريفي ، يكتب لقراء ريفيين ، او لقراء يشعرون بقيمة الريف شعورا واقعيا ، ويريدون ان يحسوا بمشكلاته من قريب .

والامثلة على هذا لم تعد قليلة . ولكنني استشهد بمثلين من انتاج اثنين من الكتاب الشبان فى الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة .

فى قصة « الفانوس » لعبد الله الطوخي يصور الكاتب الفرح الذي شمل اطفال القرية وكبارها حين نظروا ذات يوم فراوا الفوانيس تنير طرقاتها وساحاتها ، لان «جمعية الاصلاح الريفي » التي تكونت منذ شهرين قد اخذت اعانة من الحكومة واشترت هذه الفوانيس . لعب الصغار فى نور الساحات وسهر الرجال على المصاطب والنساء على سطوح المنازل ، وعرفت القرية ليالي بهيجة، ولكن الفوانيس بدات تنطفىء واحدا واحدا لان النفط نفد من مخازن الجمعية . ويتنقل الاطفال من فانوس الى فانوس، واخيرا ينطفىء الفانوس الاخير ، وترجع القرية الى الظلام .

هذه القصة تصور مشكلة هامة من مشكلات « التغيير » فى القرية ، تواجه المشتغلين بالتنمية الاجتماعية دائما . وهي مشكلة شعور اهل القرية بمسئولية الاصلاح واشتراكهم الايجابي فيه . فاهل القرية جميعا قد انتفعوا بانارة الفوانيس ، ولكن احدا منهم لم يفكر فيما يتطلبه هذا الاصلاح الصغير من جهد لاستمراره ، او لم يشعر بحافز يدفعه الى بذل الجهد ، ولهذا مات المشروع . ومع ان القصة بعيدة كل البعد عن الاسلوب التعليمي ، كان فيها احساسا واضحا بالمشكلة ، وهذا كاف فى العمل الادبي .

وقصة « تعليم » لفاروق منيب تصور محاولة فلاح ناضج السن ، اب لخمسة اولاد ، ان يتعلم ركوب الخيل فى يوم العيد . لقد طالما حدثته نفسه بهذه الفكرة الغريبة ، وها قد واتته الفرصة فهو يتغلب على خجله ويستأجر عجلة ويذهب بها الى السوق الخالي وهناك يمارس تجاربه فى اصرار حتى تحمله العجلة مسافة غير قصيرة . واخيرا ينفجر احد اطاريها فيفكر « بسيوني » ان يركبها « على الحديدة » ، ولكنه يطرد الشيطان ويسحبها راجعا الى دكان العجلاتي « يغمره احساس بفرحة عظيمة لم تتم » .

هذه القصة بعيدة عن الاسلوب التعليمي كسابقتها ، بل انها تبدو بريئة كل البراءة من وجود فكرة اجتماعية في ثناياها . فهي لا تعدو ان تكون صورة مرحة لفلاح يطاوع نزعة غريبة فى رأسه . ولكن هذه الصورة المرحة تتضمن شعورا بالجراة والاقتحام واحساسا بقيمة الالة ، ورغبة فى السيطرة عليها . وهي مشاعر تلعب دورا هاما فى نهضة الريف.

جامعة القاهرة — شكري عياد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابو عبادة البحتري



عدنان مردم بك

شعره السحر معجز اغرابه ... وجديد على الزمان شبابه
تتجلى فى لفظه متع الفجر ... فيجلى من كل لفظ شهابه
ويطل الربيع ينفح بالطيب ... فتندى مياسة اعشابه
مثل الكون نغمة حين جاشت ... بشجي من اللحون ربابه
والشباب الفينان دفقة عطر ... من امان يمور فيها عبابه
عالم الناس بالاذى حف غابه ... وبقوت المحروم طال جنابه
كدرت ارضه بكل خبيث ... واستفاضت بالاثم تجري شعابه
يتساوى الضدان ماء فرات ... واجاج لا يستساغ شرابه
وسواء وحش يعيث بناب ... ام كمي للطعن سنت حرابه

هون الداء فى الحياة امان ... عذب الداء عندها وعذابه
ليس كالشعر متعة وعزاء ... فى مصاب ان شف يوما مصابه
غني العمر بالشعور وشعت ... بالسنا شمسه وجاد سحابه
وارتدى الافق معطفا من نجوم ... زاهرات وافتر للسحب نابه
فاذا الكون دفقة من حنان ... يترامى من الحنان حبابه
والفضاء البعيد منهل نور ... عذبت كأسه وطاب وطابه
كذب العقل رائدا ودليلا ... فى طريق للشك ماجت قبابه
منطق العقل مجدب وشحيح ... ليس يروي الظماء يوما شرابه
ظلمات كتابه وشكوك ... اين للشك ان يبين كتابه

شاعر شفه الحنين فسالت ... عبرات قيثاره ورباب
كلما طال بعده واغترابه ... قدح النار بعده واغترابه
صقلته الخطوب رأيا وقلبا ... كحسام بالصقل رق ذبابه
هزه الشوق للشآم فجاشت ... عبرات الاسى وطال عتابه

موطن بالفخار يعبق ناديه ... وراحت بالمجد تسمو قبابه
ينبت العز مشرقا فى ثراه ... كلما خالط النجيع ترابه
هذبت اهله الخطوب فكانوا ... دونه الليث قد تأشب غابه
فيه للجار موطن كالثريا ... بالمروءات شيدت اطنابه
اهله الصيد لا الغريب مضاع ... حقه بينهم ولا اترابه

شاعر للجمال كل اغانيه ... وللمجد سعيه وذهابه
فتن الحسن قلبه وتصباه ... فطال الجوى وشف عذابه
قلبه نهب هنده ورباب ... ما تجنت هند وصدت ربابه
شفه الحسن اينما برق الحسن ... ولاحت للمدلجين ركابه
فى العيون الوسنى اذا سطع الفجر ... بعين وضاء منها ثقابه
فى الشفاه الظمئى اذا عصف الوجد ... بنار وماج فيها عبابه
فى حفيف الاشجار فى غلس الليل ... تنادى سماره وصحابه
كل حسن مآله لزوال ... ما استطالت على الثرى اسبابه
وشباب الفنون ما قدم الدهر ... جديد على الزمان شبابه

باعث الروح فى الاصم من الصخر ... بعثت الجماد غضا اهابه
تنفخ الروح فى التراب فيخضل ... تراب وتستجد ثيابه
اي سحر نفثت حين تغنيت ... فجاش الوادي وسالت شعابه
اجد الصخر فى بيانك حيا ... غير جاف على العقول خطابه
واخال الايوان عادله الانس ... وراحت تفتر بشرا كعابه
وتراءت للعين منه مغان ... مشرقات وغص بالناس بابه
واذا القصر مثل امس على الدهر ... جديد شبابه وملابه
هب من دونه الرجال وهبت ... خدرا دون بابه حجابه
واذا بالخيال يمثل للعين ... جليا ويستجد خضابه

وتغنيت بالربيع فعنت ... فى الفيافي معقودة اطنابه
واندهى القفر بالقشيب من الوشي ... وسالت بالطيب تجري شعابه
وتبدت اعلامه خافقات ... فى خضم يطوي الخضم عبابه
صور سمحة الخيال تعرت ... دون افق بالنور ماج سحابه
وتغنت سواجع بهزيج ... طاب معنى شجيه وعتابه
ولمسنا الربيع ينفح بالطيب ... وتندى مخضلة اعشابه
ما ربيع الزمان غير شعاع ... من شهاب يطوى ويخبو ثقابه
وربيع البيان ما بقي الدهر ... جديد على الزمان شبابه

تتوارى الآثار خلف ضباب ... للمنايا كالليل غام ضبابه
ويعيث البلى بكل مشيد ... بلغ النجم رفعة محرابه
بدل الدهر دون ما يترك الناس ... حجابا لا يستشف حجابه
ما تراث الانام غير هباب ... فى فضاء يطيش فيها هبابه
وتراث البيان اروع ذخر ... عبقري شاق الانام كتابه

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخبز المر

بقلم ماجد محمد ابو شرار

في البلدة الصغيرة الوادعة التي تقع على اقدام جبال متعانقة كلها جرداء قاحلة في اكثر ايام السنة ، والتي يمر من وسطها الجدول الصغير الهادىء ليذبح في جريانه المستمر جدب الارض وليخلق فيها نيسانا دائما يزخر بالخضرة والحياة والجمال .. هذا الجمال الذي يظلل هذه البلدة فتصبح وتمسي في بحر اخضر طوال ايام العمر .. ينتهي بحر الخضرة والجمال هذا من الناحية الغربية بسفوح مغبرة هي مناجم الفوسفات حيث اعمل ومئات من العمال .

ففي الصباح .. كل صباح نمخر عباب الظلال الخضراء متجهين الى المناجم فاذهب اول ما اذهب الى مخزن العهدة ثم اتجه الى اول الخط الحديدي الضيق الذي يمتد مع صدر الجبل لينفذ الى داخله عبر نفق طويل فادفع اول عربة مع الخط مشتاخوذة العمل على راسي .. لا يلبث هذا الجبل الا ويبتلعني كما ابتلع غيري لنغيب فيه ساعات تطول مرة وتقصر اخرى .. ننهش خلال هذه الساعات من احشاء الجبل ترابا ابيض رطبا .. نضعه في العربة ونعود بها عبر النفق الى النور حيث نفرغها وتسجل لنا في السجل عربة واحدة وفي خانة مقابلة من السجل خمسة وثلاثون قرشا .

كنت اعلم ان طبيعة عملنا هذا قاسية وجد قاسية وفوق ذاك فنحن في داخل النفق مهددين بالموت في كل لحظة .. فالانهيارات متوقعة في كل يوم .. والهواء رطب بارد .. والضوء قليل .. ولكن كل هذه المخاطر لم تكن لتشغل تفكيري الا في اللحظات القصيرة القليلة التي تواكب ذوبان النور كل صباح في ظلام النفق الاسود فيخفق قلبي ويعتريني شعور غامض لو كنت شجاعا لقلت انه شعور .. بخوف .. ، ثم لا يلبث كل ذلك الا ويمحى فينتظم دخول الهواء الرطب الى صدري وتالف عيناي الظلام وتتراخى قبضة يدي عن حافة العربة لاصحو بعد مسير دقائق على صوت « ابي خميس » يأتيني عبر نفق قصير جانبي ..

ـ هه .. هذا انت يا فائق .. لماذا تأخرت ..

واوقف العربة ثم اسحب من جوفها ادوات العمل .. معول .. طورية .. قفة .. وفانوس صغير احملها متجها الى ابي خميس .

ـ طاب صباحك ابا خميس .. عل التربة هنا لينة ..

وبدون ان يرفع راسه عن ارض النفق يتمتم :

ـ انني اعمل على كل حال !..

وتغيب ـ ابو خميس وانا ـ في ضباب العمل الاصفر الثقيل والرطوبة القاسية تولد البرد الشديد ..

..والوحدة التي تغلفنا تزيد العمل ارهاقا وصعوبة ، وكلما رفعت راسي عن قفة التراب ونظرت تجاه ابي خميس لاكلمه في محاولة لقتل الوحدة وجدته منصرفا انصرافا كليا الى عمله بجد ونشاط لا يتناسبان ابدا مع سن الخمسين وكلما نبهته الى خطورة اندفاعه الجنوني هذا في العمل تمتم:

ـ يا سلام .. ماذا يهمك .. لا زوجة مريضة تنتظر الطعام والعلاج .. لا اطفال يهددهم الجوع .. لا مدارس .. لا مصاريف ..

ويسكت فجأة ، وينظر الي نظرات كنت اعلم تماما ان فيها شيئا من حب يتوجه ببسمه حانيه عذبه ثم يعود الى عمله .

وفي فترات الراحة القليلة التي كنا نقتطعها من ساعات عملنا لنتبلغ لقيمات جافة .. جفاف ايامنا نرطبها بحبة بندورة مرة وبجرعات كثيرة من ماء في اكثر المرات .. في هذه الفترات كنت ببسمتي الدائمة وبحديثي الذي كنت احاول جاهدا ان اجعله يوحي بالثقة والاطمئنان .. كنت احاول أن انفذ الى سريرة ابي خميس فكنت الاحظ انه يتضايق من ذلك .. فهو يأبى على احد ان يحطم شرنقته تلك التي تلفه .. ولكن ومع مرور الايام استطعت ان احطم شرنقته وضعت خيوطها حبلا متينا قويا من الفة ومحبة وثقة اصبحت تربطني بابي خميس ، لقد حدثني عن كل دقائق حياته .. حدثني عن يافا .. عن بساتين البرتقال التي تشبه بمجموعها سماء خضراء رشقت فيها نجوم صفراء صغيرة حيث تنتهي هذه السماء بأفق رملي اشقر فاتن .. حدثني عن ربيع يافا اللازوردي المبهج .. عن شتائها الخير اللطيف الدافىء .. عن معمله الصغير الذي تركه هناك .. وترك معه شظايا قلبه الذي تفجر حزنا على ابنه البكر وهو يقضي في سبيل بلده .. حدثني عن شقاء ما بعده شقاء ، خاض غماره بعد ان ترك يافا .. لقد عرفت معنى الجوع المجرم .. وذقت طعم الذل المحرق وصارعت لسعات البرد القارص .. وشعرت بمرارة فقد الولد تلو الولد .. لمست حرارة التمني .. وبلوت مرارة اليأس ... عرفت كل هذا وشعرت به ولمسته يسيل كلمات من فم ابي خميس ويسقط حبات جمر من عينيه ويرتسم انتفاضات وخلجات وتشنجات على يديه ووجهه وجسده .

قال لي ذات يوم :

ـ انت شباب .. كلك شباب يا فائق .. اما انا .. فانني احس بأن كل شيء يهرب مني بعد ان هرب شبابي .. النور يذوي في عيني ..



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والقوة تتسرب مع عرقي .. والدم يجف في عروقي .. والرطوبة تحطم اضلعي .. والعمر يهرب ويهرب ثم لا يلبث الا ويتعب من الهرب فيستريح ويزرع راحة لا تعب بعدها ..

وكنت اتصدى له قائلا بحماس وحب صادقين :

ـ لكنك ما زلت قويا نشيطا بل وانشط مني فانت في المعدل تنتج ملء عربتين كل يوم بينما لا انتج انا سوى ملء عربة واحدة .

فيعلق على ذلك ببحة ممزقة :

ـ انها ليست القوة التي اريد انها القطرات الاخيرة استقطرها بجشع وعجلة .. انها رعشة الشمعة التي تنطفيء .. هي صحوة انسان يموت

كان دائم التحسر على شباب هو لا بد ضائع ، لا يلبث في كل مناسبة الا ويذكرني بربيع شبابه المنصرم وبخريف حياته التي يحياها ، ورغم ذلك فقد كان انشط عمال المنجم على الاطلاق واكثرهم اقبالا على عمله ، كان كل همه ان يوفر اكبر قدر من السعادة لزوجه وبناته الخمس ، فزوجه مريضة دوما تحتاج الى طعام جيد وعلاج مستمر وبناته جميعا عدا الصغيرة منهن في المدرسة وهو حريص كل الحرص على اظهار بناته في مظهر لائق امام زميلاتهن، دوما يشركني في جميع اسرار بيته فوجهه النحيل المعروق شاشة استعرض عليها كل يوم حوادث امسه واماني غده يأتيني كل يوم بصورة جديدة من بيته فيقول والسعادة ترقص في عينيه :

ـ تصور ان (سهيلة) استطاعت ان تحصل على المرتبة الاولى لقد وعدت باهدائها ساعة حلوة سابدا بتوفير ثمنها منذ الان .

وقال لي مرة وهو يضحك :

الملعونة (ليلى) هل تدري ماذا تريد ..؟؟ انها تريد سيارة حمراء ناعمة كالسيارة التي تحضر كل يوم الى المدرسة لنقل الطالبة (عفاف) الى بيتها ، لقد تركتني غاضبة لانني لم اعدها بهذه السيارة .

وفي يوم اخر قال والالم يقطر من كلماته :

ـ الطبيب يطلب ثلاثين دينارا اجرة العملية التي سيجريها لزوجتي .. لقد افهمته انني عامل ، مجرد عامل بسيط .. فمط شفتيه وقال ... ولو !!.

قلت له راجيا : معنى ذلك ان يقضي المرض على زوجتي وفي يديك انقاذها فقال غاضبا : لا عملية بدون نقود ..

كل يوم كان يحمل لي خبرا جديدا ، فاسعد لسعادته واتالم لالمه ، وكم كنت اكبر فيه حبه الشديد لبيته وعمله الدائم من اجل سعادته.

وكان يوم.. يوم كسائر ايام العمل المضني ، وكنت قد فرغت من ملء العربة بالتراب حين استوقفني قائلا :

ـ يا فائق .. قف اريد ان اسألك

فقلت مستطلعا : هات .

قال مترددا

ـ كم سنة يمكن ان يعيش المصدور؟!

قلت بدهشة :

ـ ما شأنك بالمصدور يا عم ..؟

وبصوت خافت متقطع حزين قال

ـ انني .. مصدور ..

فوجئت وغمرني شعور اسى ... وتقمة ... وشفقة ...

بعد ذلك بايام حاولت اقناع «ابي خميس» بالذهاب الى الطبيب فنظر الي بغضب ممزوج بضعف وحيرة .

ـ لا .. لن اذهب .. لن اذهب .

فاحاول اقناعه قائلا

ـ لكن معنى ذلك موت اكيد قريب وهذا ما لا ارجوه لك ..

ـ اعرف ذلك .. اعرفه تمام المعرفة .. ولكن ـ وهنا يشتد صوته وتعتريه رجفة قوية ـ الطبيب سيحولني الى مستشفى السل والمستشفى سيعالجني ويطعمني لكنه لن يطعم بحال من الاحوال زوجتي وبناتي .. ارجو ان تكون قد فهمت لماذا لا اريد الذهاب الى الطبيب .. فذهابي اليه انانية.. حياة لي وجوع وموت لعائلتي .

سارت بنا الايام وابو خميس دائب على نهش احشاء الجبل يستخرج منه التراب الابيض الرطب والسل الملعون المشعشع في صدره دائب على نهش صدر المسكين لينزف دما قاتما مع كل نوبة سعال حادة .

عشت فترة من العذاب قاسية.. عذاب الانسان (ابو خميس) ، كان سعاله يمزق صدري قبل ان يمزق صدره ، كان يرعبني منظره والدم يسيل مختلطا بلعابه مع جوانب فمه وعيناه جاحظتان مسمرتان في لاشيء. وتنتهي نوبة السعال ليعود الى المعول والقفة من جديد فكنت اغافله لاضع نصف ما استخرجه من تراب في عربته ، هذا اقصى ما استطيع عمله للانسان المنتحر الانسان الذي طالما تمنيت لو ان الشباب شيء يعطى لاتخلى له عنه راضيا مختارا .. وبدا المسكين يشعر بالنهاية فالجهد الذي يبذله في عمله الشاق يغذي العش الذي يسكن صدره فيمور بعنف

كان اكثر ما يخيفه هو ان يأتي يوم يعجز فيه عن العمل .. فيعجز من ثم عن توفير لقمة الخبز لبيته ، فهو يدعو دوما وبحرارة ان يؤجل في موته الى ان تكمل سهيلة دراستها وتصبح معلمة وبعد ذلك.. الى الجحيم

وفي صباح يوم لم يحضر ابو خميس الى المنجم .. فعلمت ان المرض قد بدأ ينتصر فذهبت الى بيته وكان كل شيء في النهاية .. نوبات السعال بدأت تخمد وتهدأ .. وجذوة الحياة في عينيه لا زالت تخبو رويدا رويدا، ونظرة مسكينة فيها الف معنى ومعنى تواجهني كلما نظرت في عينيه ... وسهيلة وامها وبقية البنات ينتحبن بصوت خافت وكأنهن لا يردن ان يزعجن الموت الذي لا يلبث الا ويخطف الوالد وكذلك ... فعل !!

والان وبعد سنوات من موت ابي خميس لا زلت اذكر وبجلاء ابا خميس الانسان ذا القلب الكبير .. يمسك بالمعول لينهش احشاء الجبل مستخرجا منه التراب الرطب الممزوج بعرقه ودمه ليحوله .. الى خبز .. مر !

الخليل **ماجد محمد ابوشرار**

ARCHIVE
http://Archive-beta.Sakhrit.com



الدكتور زكي المحاسني

قواعد للشعر الحديث

بقلم الدكتور زكي المحاسني

مثلما يولد الولد فى حجر ابويه ، فينبغي لهما العناية به والحضانة له ، كذلك يجب على تاريخ الادب المعاصر ان يحتضن الشعر الحديث وان لا يتنكر له هذا التنكر فلعله يعيش ويمنح عمرا ويكون فيه خير ويحسن فنه .

لقد احتوى عنترة اهلوه فى الجاهلية من اجل لونه، لكنه حين ابلى البلاء العظيم فى حروب بني عبس ورفع ذكرهم وشد ازرهم لاذوا به معترفين وغالوا مكاثرين ومفاخرين .

وحين رأى معاوية ابن ابي سفيان ما صنع له زياد ابن ابيه فمكن له فى الدولة وبسط له فى السلطان ونافح عنه تلقاء اعدائه حتى اسكت الفتن وهو عامله فى العراق الشام . جمع العدول من القضاة وقال لهم :

ـ لقد آن الاوان لأستلحق بنسب ابي سفيان ابنه من امة من امائه .

وقد انجز معاوية عزمه فاعطى نسب ابيه لزياد فصار يدعى (زياد بن ابي سفيان) .

على اني لست اجور وانا اذكر هذه النظائر ـ ان الشعر الجديد هجين او مولود وحيد وان يكن من آياته مدخول النسب وغير الصريح ، فان شعراء افذاذا عرفوا بالموهبة الصحيحة والالهام ونالوا ثقافة جامعية وعرفوا صناعة الشعر قديمه ومعاصره فاحبوا ان يحدثوا حدثا فى الادب المعاصر فطلعوا بهذا الضرب من الشعر الجديد الذي يصنعونه كل يوم ويشيع فى الصحافة العربية ، يثور عليه جماعة من المجمعيين فينكرونه ، ويلمزه حفظة لعهد العربية واساليبها فى الشعر القديم ويتندر به آخرون فى المجالس . لكن فريقا من الراضين عنه يقبلون على قراءته وسماعه وقد شاع لدى الشبان والفتيات فشهدت منهم من يتواقع على شراء دواوينه لشعرائه المعروفين . ولقيت فتاتين عند بائع للكتب تقلبان الايدي فى دواوين حديثة الشعر لم يعجبهما سوى ديوانين من هذا الشعر الذي اسميه (القول الشاعر الجديد) .

لقد برز الى الوجود هذا الضرب من الكلام ولاح صوغه سهلا فكثر قائلوه حتى وجدنا بينهم من ليس يعرف من كلام العرب قليلا ولا كثيرا او ربما كان غير مبين فى الفكر والقول او لا يتقن سلامة الكتابة القلمية فيغوص فى خطأ الاملاء واذا قرأ لم يستطع ان يقيم العبارة ثم هو يمزج بين الفصيح والعامي دون ان يعرف ايهما كلام العرب .

ونما هذا الخطل كما ينمو الجرثوم فى الجسم السليم حتى يخاف عليه العطب، او كما يدب العفن فى الفاكهة الشهية.

كل هذا تعانيه هذه الفترة من عصرنا ، فيما يستفحل من دائه بغير ان يفكر مفكر فى دوائه .

كنت اتجهم له واجثو به وقد ساءت علاقتي الادبية مع بعض اهليه من المدخلين للضيم به على لغتنا وان تكون لي صلة فكرية ووشائج ادبية مع المبدعين فيه والمريدين للشعر الحديث محاولات التطور شأن ما يعتري كل ادب فى كل زمن.

نظرت فى هذا الضرب من القول الشاعر فوجدت كثيره لا يستقيم له وزن ، فليس يجري وحدة وزنية من تفاعيل الخليل بن احمد الفراهيدي فى ابحر الشعر الست عشرة التي وضع موازينها واقيستها . ولا يمضي مع المجزوءات منها ولا مع المنهكات ، فحرت بامره ، انه كلام وكفى . بعضه عري من النغم الموسيقي الذي يلازم اللفظ العربي المتسق اذا ضم الى غيره فى جملة واحدة تنشأ من كلمتين او اكثر. وبعض يجري على تفعيلة واحدة ثم ينحرف عنها بين سطر وآخر الى تفعيلة تخالفها ثم يعود الى الاولى او يشرد فيتناول تفعيلة ثالثة ، وقد يلتزم قافية متواترة او يهمل التقفية والروي جميعا .

وسمعت منه الوانا من شعراء وشاعرات سماعا مع الجمهور او وحدي ، لا انكر انه دخل الى نفسي وهزني ، ومنه ما ملك علي اعجابي لا بنظمه فان نظمه ما زال جافيا عندي وانما اثر في بمعانيه العميقة واغواره الشاعرة حتى ظننتني اسمع شعرا فى الفرنسية مما اجده فى هذه الاغوار والمعاني .

كان اقدم من اجاد فى هذا الفن صديقي الاستاذ « البير اديب » محرر مجلة «الاديب» البيروتية حين اصدر ديوانه « لمن ؟ » واثار ديوانه هذا يومئذ مقولات فى النقد والاعجاب وكنت احد دارسيه والقائلين كلمة فيه . ان كلمة واحدة من ديوان « لمن ؟ » كانت مشحونة بشعور ومثيرة لفكر

● اذيع فى البرنامج الثاني من اذاعة القاهرة

لا تنتهي . وسر الكلمة الواحدة يحتوي ما لا حد له من الحوادث والمشاهد والتاريخ . فكلام العرب في معاجمهم يرقد متراصا بعضه في اثر بعض في اسر كلامية عاكف بعضها على بعض كالاسرة في البيت وفي الغرفة الواحدة الاب يتحلق حوله الزوجة والاولاد . ان كل كلمة من كلامنا ومن كلام معاجم الامم مشحونة بعديد من الصور لا ينتهي توالدها كانت تعبيرا للانسان منذ كان وستبقى حتى الابد ما دامت حضارة الانسان في الفكر واللسان على الارض .

ان كلمة « سهدت » تثير في خاطري نبعا من الاخيلة والتصورات والمفاتن والاحزان كل صورة تنفذ الى اختها وتحركها وتشدها معها او تسير بها او تقتلها . وعالم الكلام كعالم الاحياء فيه كل شيء من حياة الانسان والحيوان ، ومن مطالع النبات وآفاق الطبيعة . لقد استحال الكون برمته بسحر البيان الى كلام وتجمع جميعه في كلمة . فليست الكلمة خرساء وانما هي ناطقة على ما فيها من الصمت المرسوم ، انها مثل الجني الموصود — كما تصوره الاسطورة — اذا خرج من القمقم علا في الجو وتضخم وانطلق يوزع الرعود في الفضاء .

كذلك كنت اشعر وانا اقرا في تعمق وانسياب ديوان البير اديب الذي سماه «لمن ؟ »

ومن قبل صدور هذا الديوان بل في زمن ابعد في رجعته قرات مقالا لاديب فرنسي معاصر نشره في جريدة كرنفوار التي احتجبت منذ الحرب العالمية الثانية اسماه بالفرنسية séparatisme poétique تريد ان يقول مفارقات شعرية وكان في ذلك الوقت قد شاع شعر النابغة العظيم بول فاليري وخفقت الصحف وحشدت الكتب من اجل شرح رائعته النادرة في قصيدته التي سماها « المقبرة البحرية » . فكان ذلك المقال العنيف نقدا جارحا لشعراء محدثين من الكهول والشبان اخذوا يقلدون بول فاليري في تعمية الشعر وسد ابواب المعاني على نفسها فتقرا لهم كلاما لا تفهم فيه معنى لانه لا يقوم على معنى اما معاني بول فاليري فكانت منضوحة من صميم الذهن والانسان المدرك والمصور وفياضة بالفلسفة ووراء كل كلمة معنى خاص لا يدلك عليه المعجم لانه فوق المعجم بل اقول ان بول فاليري كان عليه قبل موته ان يؤلف معجما في لغته خاصا بمفردات شعره .

ولست استطرد حين اقول انني سلخت اياما منذ سنوات مع صديقي الدكتور بدر الدين القاسم نشرح قصيدة المقبرة البحرية ونضيع في تيه معانيها الساحرة . وكنت اذكر كيف هاجت تلك القصيدة شراحها حتى دعا استاذ في جامعة السوربون الى سماع محاضرته في شرحها فازدحم السامعون من كل صوب وحدب وفي نهاية المحاضرة حدثت جلبة في مكان المستمعين فاذا بول فاليري نفسه بينهم وقد اراد ان يتخفى فوضع على عينيه نظارة سوداء ولف حول عنقه عصابة لكي لا يعرفه الناس وما راعه الا ان اكتشفه مجاوروه فثاروا به فرحين وقد وقف المحاضر قبيل ان ينفض القوم لينظر ما الخبر واذا بول فاليري نفسه يعلن عن وجوده وتضج القاعة بالتصفيق ويلح عليه الجماعة بان يقول كلمة فيقول هذه الكلمة التاريخية التي تشرح شعر فاليري حتى الابد :

— ايها الاستاذ الكبير اني لاسدي اليك اعمق الشكر . لانك افهمتني شعري . تلقاء كل ذلك ادعو علماء الادب العربي المعاصرين ان يأبهوا لهذا الشعر الذي يسمى جديدا وينظروا في تحاسين اقواله عند شعرائه النابغين وقائليه المثقفين علهم يضعون له قواعد خاصة يجري عليها في الوزن والروي والموسيقى فينضم بآثاره الجيدة المروقة الى تراث ادبنا العربي ويكون شيئا جديدا معاصرا نسله التطور الذي هو سنة الحياة وطبيعة الادب ودرب الفنون التي لا تفنى .

القاهرة — زكي المحاسني

الظفرة الباكية

سيان ان تبكي وان تضحكي — فلا تقولي : الضحك غير البكاء
كم في دموع الغيث من صورة — للحسن لاحت في شريط الضياء
دموعنا موشور احلامنا — فرب يأس خيطه من رجاء
احب ما في الكون من متعة — قوس سحاب في جبين السماء
فما الربيع الحلو يا طفلتي — سوى الذي يهمي بجفن الشتاء

وديع ديب

وهم شاعرة

روحيـة القليني

*

مصر الجديدة



روحية القليني

رأيت فيه كل سحر الامنيات الباسمه
حديثه سمعت فيه الاغنيات الحالمه
خاطبته فعشت في دنيا الجمال هائمه
وكان قبل في خيالي كالطيور الحائمه

عند اللقاء خصني بنظرة الحنان
كأنه احبني من قبل ان يراني
وبيننا عبارة حيرى على اللسان
لو انني نطقتها لهان ما اعاني !

وحينما قابلته قد حرت في البدايه !
ايبتدي حديثه ام ابدا الروايه ؟
والشوق في الحنايا اخفيه للنهايه
ام يا ترى ابدي الهوى من اول الحكايه؟

سألته عن حاله فرد لي سؤالي
ببسمة مضيئة شفت عن الجلال
وقص لي حكاية سحرية الظلال
وقال : تلك قصتي بل قصة الليالي

وكنت قد سمعتها رواية طويله
عن اسمه وصيته والنبعة الاصيله
ومعجبات حوله باللفتة الجميله..
فقلت ذاك لي انا ولا ارى بديله !!

انا التي احببته من قبل ان اراه
وعشت في ربوعه اهيم في رباه
وكل لفظ قاله في خاطري معناه
انا له ولي انا وليس لي سواه

انا التي كشفت سر روحه العميقه
لانني من معدن اصوله عريقه
من معدن الفن الاصيل يدرك الحقيقه
انا له الحبيبة الوفية الرفيقه

فيا لها من بسمة مشرقة السمات
ولفظة سحرية تثير ذكرياتي
ونظرة عميقة سرت بعمق ذاتي
فاسكرت مشاعري وهدهدت حياتي

مضت حياتي قبله في ظلمة الاوهام
نسجت من خواطري مستقبل الايام
وقصة مثيرة من الفؤاد الطامي
وفي سطور صغتها دمعي مع ابتسامي

ودعته والروح بعد ما تزال حائره
فلم ابن رغم الهوى اسرار نفسي الثائره
تركته كما بدأت في امور عابره..
وعدت للافكار للماضي لوهم الشاعره!!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خليل نظير والادب الشعبي المصري

بقلم ابو طالب زيان

ما اظن اديبا في الشرق ، شغل الناس . وانتزع ضحكاتهم ، وبات حديثهم ، وعقد له لواء الزعامة في الادب الشعبي كالمرحوم خليل نظير .

فلقد كان الادب العامي ، او ذلك الادب الفني الملحون ، الدال على صور النفوس ، واحوال عامة الناس والاجتماع في اسلوب ساذج جميل ، اكثر ما يكون ظهورا في مصر لا سيما قبيل القرن التاسع عشر الميلادي ، ذلك ان هذا الادب الشعبي الموضوع في اسلوب تهكمي ، المملوء بالنكات الطريفة ، والنقد الرقيق البريء، الموشى بالنادرة المستملحة، كان من الصفات العامة للعقل المصري ، الحريص على النزوع الى الاستروح ، وبخاصة في المجتمع البلدي ، الذي تهزه النادرة ، وتطربه الفكاهة الشاردة .

والواقع ان للعامة اخيلة وعبارات تدل على حياتهم الاجتماعية العامة ، كما ان لهم اراءهم الخاصة، وتحليقاتهم المملوءة بالثقافة الخاصة ، فكيف بطمس هذه الاراء ،وذهاب هذه الاخيلة التي اتخذ منها الدعاة وسيلة لهدم هذا الادب ، وضياع ابداعاته ، وجنحوا الى النيل منه ، والغض من شانه ، وغاب عن كثير منهم ، ان اصول الادب ماخوذة من التفكير العام للشعوب والامم، ومن صور هذه المجتمعات واحاديثها ، حتى ان ما يوجد في الشعر الفصيح من الاحكام والامثال واراء الخاصة من الفصحاء والبلغاء والفنيين ، كل اولئك مستمد من خواطر العامة السهلة الموجهة .

لذلك كان احياء الازجال والموشحات والمواليا والكان كان والدوبيت وغيرها من هذه الاداب الشعبية ، بمثابة حدث ضخم في تاريخ اللغة العربية التي كان دعاتها يحرصون في استماتة على اخفاء معالم هذه الاداب حتى تظهر اللغة ، وتاخذ طريقها في يسر وسهولة ، غير ان ابن خلدون ، قد خرج على هذه القاعدة ، وشذ على ما تواضع عليه عرف الخاصة ، وذكر طائفة من الامثال الشعبية المغربية بصناعة الخاصة من الادباء ، تعد بمثابة جرح — في عرف اللغويين — لا ينكا في تاريخ الادب العربي الذي ظل صورة صادقة ، الى ان انقض عليه بمعاول هذه الاداب ، طوائف مختلفةمن الادباء ، وجماعات متباينة من الثقافات ، حاولت التقريب بينه وبين هذا الادب الشعبي ، والمصاهرة بينه وبين هذا الادب الملحون ، وهذه الثقافة الشعبية العامية .

ولقد برز في هذا النوع من الادب ، كثير من الادباء المصريين ، واصبحوا بمثابة دعاة له ، يحملون رسالة هذا الادب ، ويدافعون عنها ايما دفاع ، وان كان بعضهم قد بلغ به الحماس الى انشاء مجلات لعبت دورا خطيرا في الحياتين الادبية والسياسية التي كانت تظهر انفعالاتها في «الارغول» و « اليعسوب » و « الاستاذ » « حمارة منيتي » وبعض كتب كانت ترسم الخطوط العريضة لهؤلاء الجنود الذين حملوا مشعل هذا الادب يرتادون به الطريق ، ، ويسلكون به الفجاج الوعرة التي ارتادها من قبل الادب العربي غير وان او متعثر .

على أن ظهور طبقة من رواد هذا الادب ، امثال: حسن الآلاتي وعبد الله النديم ، والشيخ محمد النجار وامام العبد وخليل نظير ، يعد نقطة تحول في تاريخ الادب الشعبي الذي كان يحاول ان يثبت في الميدان ، ويكافح ليصل الى ما يراد له من الصمود والبقاء ، امام تيار عنيد قوي يحمل لواءه صفوة ممتازة ثقفت الادب، وشغفت بتاريخه العريض، لكن كانت عجلة التطور بهذا الادب الشعبي قد استدارت للسير به ، تحدوها الرغبة ، ويملأ ايمانها اليقين والعزم والتصميم على بلوغ الهدف ، وان كان صعبا ، والوصول الى الغاية وان كان السلاح الذي تحمله امضى منه سلاح المدافعين عن الاداب العربية الفصيحة التي لانت الحياة امامها ، ومهدت لها بيئاتها ان تمضي في غير التواء اوتخاذل، لما كان في الاستجابة لها من دواعي السمو والانطلاق ، وان كان على العكس من ذلك ريادة الميدان الشعبي ، وترويض النفوس على قبول هذا اللون من الوان الادب ، كان بمثابة الضرب في مجاهل لا يعلم الا الله مدى ما يصيب الرائد منها من انتكاس او ارتداد ، قد يعيق رسالة هذا الادب ، ويودي بما تتجه اليه هؤلاء الشعراء الشعبيون من اقامة صرح للفهم . او بناء اشم لرسالته ، غير انه سرعان ما استجابت البيئة الحريصة على تلقف هذا النتاج ،وتعهدت هذا الغرس حتى اثمر ، وكان له بأس وقوة ، وامارة تشابه امارة الشعر الفصيح ، وتناوح الفحول من ارباب الصنعة وائمة البيان .

ولقد كان لظهور خليل نظير في هذه الحلبة ، الاثر الجليل في تاريخ تلك الفترة التي تعتبر الفتح الاكبر لهذا الميدان الشعبي الجميل ، فلم تقعد به نشأته عن ان يكون فارسا من فوارس هذا الميدان ، واميرا من امراء الفكاهة وسط نخبة ممتازة تحزبت لهذا الادب، واخرى وقفت ترقب في رفق هذا الادب الوليد في حجور هذه الجماعة المتأدبة المناضلة . كان ابوه مملوكا للمرحوم علي رفاعة الطهطاوي وكذلك كانت امه جارية في بيت هذا الباشا ، تزوجها ابوه واولدها خليلا الذي عاش في حجر الرق زمنا في طهطا ، وادخل المدرسة الابتدائية هناك ، الى ان ارسل الى الازهر ، فجاور زمنا طويلا ، ثم رجع الى هناك ليعمل مدرسا على غير رضا منه . فقد تملكه حب الشعر ، وطغى عليه ميله الى الادب ، ومجالسة الادباء الذين كانوا يتحلقون حول سيده الذي سرعان ما غير نظرته الى خليل ، واخذ يدفعه الى معالجة الشعر ، والى العكوف على القراءة ، لا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيما وقد انس فى الفتى الاسود خفة ظل ، ولطف محادثة، وملحة نادرة ، مما كان يدفع الى اصطحابه فى نزهاتـــه الخاصة ومجالسة العامة ،ويخصه بكثير من العطف والمعونة التي كان يتطلع اليها خليل ، ويحرص عليها فى شـوق ، ويرقبها فى تلهف .

على ان علي رفاعة ، كان لا يضن على الفتى بما تتوق نفسه اليه من حب وعطف ومجاملة ، مما جعل خليل يغير نظرته كذلك الى الحياة ، ويفني فى البحث ، ويدفع بكليته الى مواصلة القراءة حتى يكون اهلا لاصطحاب الباشا له ، ومجالسته فى اي وقت دون ان يكون هناك فارق او حائل يحول دون هذه الصحبة التي خلقها خليل ، وافتن بهـا الباشا : لعلمه وادبه وظرفه ، حتى انه ما كان يطيب لـــه مجلس الا ويكون خليل احد رواده ، والمقدمين فيه .

ولقد حدث انهما كانا يتجولان فى ليلة مقمرة فى حديقة للباشا ، وقد وضع يده على كتف خليل ، فقال له : اني قائل صدر بيت اذا اتممته اعطيتك ثلاثة جنيهات ، وكان خليل لم ير ظل الجنيه الى ساعته تلك ، فاظهر استعداده لاجازة الشعر . فقال الباشا :

كأن ظلال الدوح والبدر فوقه

فاجابه خليل : سطور مداد فى صحيفة كاتب

فما زال الباشا يقول : الله ، الله ، بصوت عال حتى ظن الخفراء انه يستغيث ، فاتوا اليه مسرعين .

كانت هذه الحادثة علامة تدل على ما كان لخليل مـن ثقافة ، وما توافر عليه من بحث كان يظهر جليا فى مجالس الباشا ، وما كان ينظم خليل مـن شعر بـدوي رصين متماسك ، كقوله فى مطلع قصيدة :

الا من لقلب زائد الشوق واجب	وجفن شجي دائم السهد ساكب
ابيت كمـا بـات اللديغ كـانني	تخذت مهادي من متون العقارب
اسر حديث الوجد عن كل صاحب	واودعه عند الصبا والجنـائب
الا يا نسيم الصبا بلـغ تحيـة	لـذي شجن عن جيرة الحي غائب

حتى ان الباشا على علمه ، وامتداد ثقافته ، كان يطرب لشعره ، ويتعهد صاحبه بالصقل والتهذيب ، وكان خليل من جانبه يريد تحقيق ظن الباشا فيه ، بالدرس المتعمق ، والوعي الدائب الذي ظهر فى تلك الحقبة الضيقة من حياة الطهطاوي .

غير ان خليلا لم يستطع ان يقيم فى صعيد مصر بعـد وفاة الباشا ، ولم يطق الحياة هناك ، فرحل الى القاهرة، وصار يتعيش من الادب ، فكان يحرر عدة مجلات باكملها، وينفق دخله جميعه على نفسه وزوجته التي زوجها لـــه الباشا قبل وفاته ، الى ان كان الزجل هوايته التي بـرز فيها ، وبز فيها اقرانه الذين عالجوه قبله زمنا طويلا . فكان يكتب اسبوعيا فى جريدة « السيف » ويحرر مجلة «طوالع الملوك » ، وكثيرا من مجلات ذلك العصر ، ممن كانت تعني بالادب الشعبي ، وتذهب مذهب خليل فى الاتجاه ، والميل الى النقد باسلوب فكاهي جذاب .

على أن خليل نظير كان غريب الاطوار فى حياته الخاصة والعامة ، يغلب عليه الطابع الفكاهي المتحرر ، ذو النزعـة المتعمقة المترسبة فى اعماق نفسه المتطلعة ، وكان له مزاج من نوع خاص يظهر اكثر ما يكون فى بيته ومع اصدقائـه العديدين الذين اجتمعوا واياه على النكتة الصافية، والنادرة الاصيلة . فقد كان خليل يحلل حياته تحليلا سيكولوجيا بحتا ، ويفهم حياته على انها ربح يجب ان يقسم بين مـن تعاشره وبين حياته الذاتية التي يحياها لنفسه بعيدا عن مواضعات المنزل ، وروتين الحياة الزوجية التي وضع فى حسابه تقديسها ، وعدم تعريضها ــ بقدر الامكان ــ لهذه الهزات التي تنتاب كثيرا من البيوتات التي تكون علـــى شاكلة بيت خليل نظير الذي يتعيش من الادب ، ويتكسب من قلمه العفيف .

والواقع أن خليل نظير ، كان قليل الكسب برغم كثـرة انتاجه ، لانه لم يكن ذا طمع يجعله يسعى وراء المـادة بالحاف ، فكان يقتسم كسبه بينه وبين زوجته ، فيتـرك لها النصف لنفقة البيت ، ويجعل النصف الثاني لحياتـه الخاصة دون جور او تعسف او مساس بكرامة المنزل الذي جعل من نفسه راعيا له ، وكافلا لمن فيه : وهو زوجـــه القانعة ونفسه المتطلعة .

كان خليل نظير ، من نوع متعمق ، يرمي الى التغلغل فى اغوار النفس ، والتأمل فى هذه النزعة الاصيلة التي انطوى عليها كل الانطواء ، فكانت طبعا له ، وعنوانا على ترجمـة حياته الميسورة الا من بعض ما يعتورها من سلوك سبيلها فى الحياة ، ونيل من ما تبغيه فى اقرب ساعة ، وادنى وقت، ولذلك كانت موارده طريفة على الرغم مما فيها من افتئات، وما دخل فى حواشيها من تعمل ، كان خليل يعمد اليـــه ليخلع على جو النادرة روحه الطريفة ، ويضفي على حوادثها ما امتاز به من قناعة ورضا واستسلام .

فلقد حدث ان امام العبد كان قد نظم قصيدة اجاد فيها بمجد العرب ، فجاء وفد من عرب البحيرة للتعرف اليـه، وشكره على قصيدته . فلما نزلوا القاهرة ، ذهبوا الـى « قهوة الشيشة » لانتظار امام حيث كان يجلس هـــو وصحبه ، واذا بخليل نظير قد حضر قبل امام فى تلـك الليلة ، فلما علم بامرهم وما جاءوا من اجله ، ادعى انه هو امام ، وتعرف اليهم ، فرحبوا به وشكروه واحتفوا بشخصه، واظهروا له اعجابهم بدفاعه عنهم . وبينما هم جلوس في احتفاء به ، وثناء عليه ، اذا بامام العبد يحضر . فلما رأوه وجدوه هو الاخر اسود . فقالوا لخليل : هذا امام قـد حضر .. فمن انت ؟ فقال خليل : انما نحن نسختان اذا حضرت واحدة ذهبت الاخرى ، والسلام عليكم ، وتركهم وانصرف .

غضب مرة على زوجته فهجرها واكترى سكنا له بمنزل بسكة الحبانية وكان يجهل اسم صاحب المنزل ، فسماه « هلم جرا » وصار يناديه بذلك ، حتى اقتنع الرجل ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حصاد

*

تشك .. فلم لا اكتم وجدي ... واحصد للشك ما ازرع ؟
تشك .. فلا آهتي اسمعتك ... جواي ولا لوعتي تشفع
اما لي بقلبك بعض الوجيب ... ومالي ذكر ولا موضع ؟

لينفجر الليل .. جم الظلال ... ويعتصر الجرح .. او يصفع
ليحترق الكون ولينطلق ... على مده اللهب المفزع..
لتفنى على الارض كل الحياة ... وكل الخيال فلا يرجع

فلا شاعر كافر يتبقى ... عليها .. ولا زاهد يضرع ..
وتطوى الدروب فلا عابر ... تشير الى ظله .. اصبع
تموت على الشك (يوتوبيا) ... ويحسبها الظن لا تنفع

وينسدل الموت .. رخوا بليدا فلا هو قاس ولا موجع
ويزفر صمت كئيب فلا لهب في المآقي ولا أدمع

اللاذقية — **نبيهة حداد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسمه « هلم جرا » وكان يفتح له المنزل اذا رجع فى المساء وهو نشوان وناداه بذلك .

على ان اخوانه من الادباء ، كانوا يستطيبون مجلسه ، ويستظرفون حديثه ، على الرغم من ان كل واحد منهم ، كانت له تسمية خاصة عنده ، يحلو له ان يسمعها منه لما كان يخلع عليها من تركيبه العجيب من ملحة طائرة ، او فكاهة مفتنة تجعل منه سيد المجلس ، والبارز فى هذه النخبة التي اجتمعت للتسلية البريئة ، والمتعة النفسية الصافية بعد طول جهاد . فما ان يتكلم خليل ، حتى لا ينطق احد فى حضرته ، لما امتاز به من قوة الملاحظة،وحضور البديهة ، وسرعة الخاطر التي اعانته على ان يكون خطيبا مفوها فى اي حفل يدعى اليه ، او ساقته شهوة الكلام فيه. وكان كثير التشهي له ، لما له فيه من افانين يحلو له ان ينشرها على غير ضن منه ، او حرص على اظهارها .

ولقد فكر خليل فى وضع قانون لعمل الزجل ، رسم فيه الاسس التي يجب ان يحرص عليها الزجال فى هذه الصناعة التي اتفق خليل واخوانه على ان تأخذ سبيلها بين الاداب، وتشق طريقها برغم ما ينتابها من حرب قد تقضي عليها ، ان لم يكن الحراس عليها فى يقظة لما يعتورها من هدم ، وما يفعل بها من افاعيل ، لذلك كان خليل يضرب اروع المثل على تطويع بنود قانونه للزجل ، حتى يكون للادب الشعبي قانون عملي توافر على وضعه امام من ائمته غير وان عن النهوض به ، او متقاعس عن السير برسالته بين ركائب الاداب العالمية الراغبة عن هذا الادب الملحون :

الاديب اللي يحب يقول زجل ... كل ما يقراه يخليه فى طرب
يقرا احسن ما قالوه الزجالين
يكتب اجمل ما قراه ويكون متين
يحفظ امتن ما كتب يروي الثمين

الى اخر هذا الزجل الذي اطاع خليلا فى وضع القوانين والبنود ...

وهكذا عاش خليل نظير حياته كلها ، عفيفا برغبته ، نزيها بقلمه ، مجاهدا حتى طواه الموت ، وهو اندى ما يكون نفسا ، وانقى ما يكون ضميرا واسلس ما يكون قيادا .

القاهرة — **ابو طالب زيان**

الى اين ؟

بقلم جورج سالم

كان نعيم يسير فى طريق ضيقة ملتوية، تقوم على جانبيها بيوت قديمة خشبية الجدران مدهونة بدهان فاقع اللون. كان يسير متباطئا وهو ينظر الى هذه البيوت يريد ان يتعرف البيت الذي يقصده ! فهو لم يره من قبل ، ولكن يسرى رسمت له مخططه بدقة وواعدته ان تنتظره من خصاص النافذة الخشبية .

ومشى طويلا . كان الطريق يضيق كلما اوغل فيه. وكان يلمح بين الفينة والفينة احد الابواب يفتح فيبرز منه وجه امراة مغطى ، ثم لا يلبث الرأس ان يرتد بسرعة .

لقد ترك اعماله فى « الدائرة » وتذرع لرئيسها بعذر طارىء ،ومضى فى طرقات المدينة حتى انتهى اخر الامر الى هذا الحي الذي لم تطأه قدماه قط ، مع انه يقيم فى هذه المدينة الساحلية منذ ثلاث سنوات .

كان هدير البحر الهائج يصل الى مسامعه وهو يسير فى طريقه هذا ، فالبحر لم يهدا طوال اليومين الاخيرين. واخرج منديله ليمسح العرق المتصبب منه بغزارة ، وشعر بالحر تشتد وطأته عليه بعد هذا المسير الطويل .

ماذا عسى ان يفيد من هذه الزيارة؟ اتراه اخطأ ام اصاب اذ قبل الدعوة التي وجهتها اليه عينا يسرى النهمتان؟ وخطر له ان يعود ادراجه ليقبع في عقر مكتبه ، يستمتع برطوبة الغرفة، وهواء المروحة ولكنه احس كأن شيئا يجذبه الى متابعة المسير والوصول الى حيث صمم الذهاب ، فليس في ذلك كبير بأس . وهو الى ذلك غريب لا يكاد يعرفه احد فى هذا الحي ، بل ان معارفه فى المدينة كلها لا يكاد عددهم يتجاوز اصابع اليدين .

واحس باللزوجة تميس فى جسمه، حتى كأن جسمه كله استحال الى قطعة لزجة . اتكون يسرى فى انتظاره الان ؟ لم يتردد فى الجزم بذلك. ولكن ايكون زوجها غائبا ، وابنها نائما كما قالت له . سيكون زوجها كما اكدت له ، بعيدا ، فهو يعمل طوال يومه فى المعمل ولا يعود الا فى المساء . اما ابنها ! ابنها الصغير الذي لا يفتأ يبكي ويئن فانه لا يحتمل سماع صوته وانينه ؟ يا الهي لماذا يبكي الاطفال ومم يتضايقون ؟

ولكنه سرعان ما تساءل لماذا يبكي هو بعض الاحيان فى غرفته ، وما سبب ضيقته ؟ هذا الضيق الذي يأخذ بخناقه كل يوم اذ يخلد الى نفسه فيجد ذاته مسجونا فى سجن لا يراه ، ولكن يحس به ، وما اكثر ما حاول الهروب منه الا ان جدران هذا السجن غير المرئية ما تزال تضيق كلما حاول الافلات من اسرها . لقد اراد ان يغرق ضيقه بالمطالعة ، فانكب عليها وراح يلتهم كتب المكتبة الوطنية واحدا اثر واحد الا انه اكتشف بعد حين انه بحاجة الى الافلات من ربقة هذا السجن الجديد فادرك ان المطالعة كانت له فى اول الامر مخدرا لذيذا انساه ضيقه وكآبته ، الا انها لم تعد كذلك بعد حين . كان شأنه فى هذا شأن من يدمن على مخدر ثم لا يلبث ان يعتاد عليه ، فلا يشعر بتأثيره بعد ردح من الزمن .

وهرب من نفسه الى الصلاة ،بيد انه لم يستطع ان يجد فيها ما كان يبحث عنه ، لان الله كان بعيدا عنه، وسرعان ما كشفت له الصلاة عن رتابة كان يضيق بها ، ضيقته بتكات ساعة وضعت الى جانب اذنه فى الليل ، لقد سر بما فى الصلاة من تراتيل وانغام وبخور ، الا انه الف هذه التراتيل والانغام والبخور وشيئا فشيئا راح يتلمس سبيل الهرب منها لانها اصبحت جزءا مما يسميه عالم الكآبة . وعالم الكآبة هذا يشمل كل شيء يعرفه نعيم وكل شيء يألفه . وكل شيء يعتاد عليه فيصبح جزءا من جدار سجنه الذي يحس به ولا يراه ، وقال فى نفسه :

ـ ما اطول هذا الحي .

واخرج من جيبه علبة الدخان التي رسمت له يسرى على ظهرها مخطط الحي فرأى انه يسير فى الاتجاه الصحيح وانه قطع شوطا كبيرا من الطريق ، ولم يبق امامه غير امتار قليلة وينحرف بعدها الى اليمين ليرى الدار ذات النوافذ الزرق فى الطابق

ورأى نفسه يردد احد الالحان التي يحفظها . كان من عادته ان يترنم بلحن منها كلما وجد نفسه فى موقف خاص مضطرب ، فى صباح ايام الامتحانات ، وفى ايام العمل العصيبة وفى ساعات ضيقه . كان قد التجأ الى الموسيقى فيما التجأ اليه ،وانغمر فى جوها شهورا طويلة ، والحق ان الموسيقى شغلت نفسه وصرفته عن ضيقه اطول وقت ممكن . كان يشتري مما يدخره قطعا من الموسيقى الكلاسيكية ، ثم يجلس فى غرفته يستمع اليها ولكنه ما ان يحفظ اللحن ويصبح قادرا على ترداده حتى يزهد فيه ويميل الى غيره . والاثار الكلاسيكية كثيرة ومتنوعة ولذلك فقد قضى منها وقتا طويلا ، كان ينسى فيه الزمن والضيق ويشعر بنوع من الخدر لذيذ ، ولكنه كان يشعر فى الوقت نفسه ان الانغام بعيدة عنه ، وانه يجري وراءها فلا يكاد يمسك بها . فهو كطفل صغير يريد ان يسابق طائرة مرت فوق رأسه بسرعة ، ولم تترك فى نفسه الا اثرا هو مزيج من الاعجاب والدهشة والحسرة والضيق

كان عجزه عن تحقيق ما يريد . وجهله لما يريد ، يزيدان ضيقه يوما بعد يوم ، ومرت به فترة ، غلف فيها

الاسطوانات ووضعها في احد الادراج، ولم يبق له منها سوى هذه الانغام التي يرددها بين الحين والاخر .

وانتهى اخر الامر الى البيت. كانت الساعة تشير الى الثانية عشرة وتعرف البيت بسرعة ، فقد لمح من خلال النافذة عيني يسرى النهمتين الشرهتين ، المفعمتين شهوة واضطراما ترقبانه ، واستدارت العينان وفتح انباب بسرعة واطبق بسرعة .

* * *

١٠ آب ١٩٤٥

كانت امه قد اتخذت لها الخياطة مهنة تعيش منها بعد موت زوجها ، فابوه الذي قضى في عنفوان شبابه لم يخلف الا تعويضا يسيرا نفد بعد سنة وبعض السنة ، فاضطرت امه ان تلجأ الى هذا العمل . فنعيم في الخامسة عشرة واخته ليلى في التاسعة وليس من مساعد يستطيع ان يمد لها يد العون .

وفعلا فقد خصت لهذا الغرض احدى غرف الدار الصغيرة التي كان زوجها قد ورثها عن امه ، فوضعت في صدر الغرفة مرآة كبيرة ، ونقلت الى الغرفة هذه بعض الاثاث والة الخياطة التي اشترتها بعد زواجها . ولم تقدر قط انها ستعيش من ثقب ابرتها . كانت خلال هذين الشهرين قد خاطت بعض الاثواب لجارتها وصديقاتها وراحت تقوم لها بعض سمعة في المنطقة التي تسكن فيها واخذ العمل يزداد شيئا فشيئا وآنذاك وجدت انها بحاجة الى عاملة نشيطة تساعدها في عملها وتأخذ عنها القيام ببعض الامور الثانوية .

واستطاعت بعد لأي ان تعثر على فتاة مجدة كان يريد لها اهلها ان تتمرس بالخياطة ، فرحبت ام نعيم بقبولها عندها، ووعدتها باجر اسبوعي زهيد تشجيعا لها ، واطمأن الاهل المحافظون الى هذا البيت الهادىء الخالي من الرجال وسار كل شيء سيرته الطبيعية . واصبحت يسرى تأتي يوميا الى منزل الخياطة . كانت اخته الصغيرة تحل طوال الصيف على بيت خالتها تلعب مع اولادها الصغار ، وكان هو يمضي اوقات الصيف بالمطالعة في المكتبة الوطنية وكان يسترق في ذهابه وايابه ، بعض نظرات الى يسرى ، واصبح بعد حين يبادلها كلمات قصيرة سريعة ثم غدا يأتيها ببعض الاخبار ويروي لها شيئا من القصص التي يقرأ . وركنت اليه يسرى واصبح نعيم يجذب قليلا عينيها.

في هذا اليوم كان العمل كثيرا فطلبت الام الى معاونتها ان تظل عندها تتناول طعام الغذاء معها اقتصادا في الوقت، وتجنبا لحر الطريق الشديد والقيلولة بعد الغذاء ، فالعمل يجب ان ينجز مساء .

ولم تنتظر الام موافقة يسرى بل سارعت الى المطبخ تعد الطعام ، ومن ثم نزلت الى غرفة الطعام التي تقوم في قبو تشع فيه رطوبة مستعذبة في الصيف ، ولما انتهت من اعداد كل شيء ، نادت من القبو :

— يسرى ، نعيم ، هيا انزلا !

وانتظر نعيم ان تقوم يسرى ، ولكنها لم تبد حراكا ، فوقف امام الكوة وخاطب امه :

— ان يسرى لم تتحرك

— انزلها بسرعة لا داعي للخجل : انني جائعة وسأبدأ بتناول الطعام قبل ان يبرد، وقفز نعيم الى غرفة الخياطة كانت يسرى منكبة على عملها .

ليس يدري لماذا احس باضطراب مفاجىء ، وبارتجاف في يديه اذ وجد نفسه وجها لوجه امام يسرى .

— هيا

— ولكنني لست جائعة

— لقد طلبت امي الى ان احملك على النزول

— حاول اذا استطعت

ومد يده فوضعها على يدها كانت تلك هي المرة الاولى التي يلمس فيها يد فتاة . فاحس بحرارة عذبة . لم تضطرب يسرى ولم تحاول ان تنزع يدها منه ، واذ وثق من ذلك مديده الثانية ، وحاول بكلتا يديه ان يشدها لكنها ثبتت في مكانها ، وكأنما اعجبتها محاولة نعيم هذه .

ومال الى اذنها يقول :

— دعي العمل وانهضي

فاجابه صوت مرتجف فيه بحة متوترة :

— لقد تركت العمل وسأنهض بعد قليل ، هل انت مستعجل ؟!

اضطربت الكلمات في ذهنه اول الامر ، ثم فهم قصدها وظل حانيا عليها يختلس النظر الى صدرها الواسع الاسمر، واذ رمقته ورأت الى ماينظر شدت بيدها على يديه وارتفعت بهما شيئا فشيئا حتى لامستا صدرها واستنشق وهو مائل اليها رائحة خفيفة باهتة تنبعث من شعرها ، فقرب منه شفتيه، واذ طبع عليه قبلة ضحكت يسرى وتمتمت :

— لا تؤخذ القبلة من الرأس !

بعد لحظات كان الاثنان ينزلان درج القبو ليتناولا طعام الغذاء . وقد اضطرم وجهاهما بعض الاضطرام .

ومنذ هذا الحين راح نعيم يقلل وسعه من زياراته للمكتبة الوطنية ويستعيض عنها بالجلوس قريبا من النافذة يتطلع الى يسرى بعينين عارمتين وقد وضع قدمه في عالم لا عهد له به ، وكان كلما اكثر من القبل شعر بمزيد من الحاجة اليها ،شأنه شأن عطش ينهل من ماء بحر كلما شرب منه ازداد عطشا على عطش .

* * *

٢٨ نيسان ١٩٤٤

كانت الحصة الاولى من كل يوم خميس خاصة بدرس الديانة . فبعد صلاة الصبح اليومية الاجبارية خرج الطلاب الى باحة المدرسة يلعبون . اما نعيم فلم يكن قد نزل الى الباحة لانه موكل بالاهتمام بالمعبد وترتيب الهيكل واطفاء الشموع بعد انتهاء الصلاة . لقد وقع الاختيار عليه منذ سنوات للقيام بهذا العمل وليس من يدري علة هذا الاختيار ، فقد يكون مرد ذلك الى هدوئه ودقته او الى النزعة الدينية القوية المتأصلة في نفسه، تلك النزعة التي تغذيها هذه الصلوات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المستمرة ، وتمضيته لاكبر قدر من وقته فى المعابد ، واهتمامه بالصلوات جميعا . بينما كان رفاقه يهربون من ذلك كله ، وينامون فى الصلاة ، او تشرد منهم الاذهان فى لعبة من اللعب، او يستغلون المراقب ليتموا همسهم فى سلسلة احاديثهم التي لا تنقطع .

وحين اغلق نعيم باب المعبد ذلك اليوم كان الجرس على اهبة ان يقرع . فاقترب من باب الصف انتظار الصوت الجرس .

كان يحب درس الديانة ، ويتعجل الدخول ، ذلك بان الكاهن الكهل كان يرقى به وفى دروسه الى آفاق يحبها، وكان يشعر اما ازدادت ثقافته الدينية وفهمه لبواطنها انه اصبح اكثر غنى ، وكم حدثته نفسه ان يصبح كاهنا ، ولكن امه كانت تصرفه عن هذه الافكار صرفا قاسيا وتحظر عليه طرقها من قريب او بعيد .

دق الجرس ، فكان نعيم اول الداخلين ، وسرعان ما احتل مكانه فى الصف الاول بينما كان بقية الرفقاء يتلكؤون فى الدخول وهم على ثقة من طيب قلب هذا المدرس ، كانوا جميعا يعرفون ان هذا الدرس انما كان لتزجية الوقت . وربما عمد بعضهم الى كتابة الوظائف او وضع مخطط للنزهات او المشاريع التي ينوون القيام بها ظهر الخميس .

جلس المدرس الى الطاولة الكبيرة بعد ان صلى طويلا . وقال على عادته:

ـ افتحوا الفصل التاسع من انجيل متى حيث توقفنا فى الدرس الماضي.

ووضع الطلاب اناجيلهم امامهم مسايرة واستعدوا للشرود. كان نعيم وحده يصغي

وقرأ الكاهن :

ـ « واذا بانسان تقدم اليه وقال: يا معلم ، ماذا علي ان اعمل من الصلاح لاحرز الحياة الابدية ؟ قال له : لم تسألني عما هو صالح ، انما الصالح واحد ، ولكن ان شئت ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . فقال له : اي الوصايا ؟ قال له المسيح : لاتقتل، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، اكرم اباك وامك، وايضا احبب قريبك حبك لنفسك . »

وراح الكاهن يشرح هذا النص . وكان كلما سمع اصوات التلاميذ تعلو بعض الشيء نقر باصبعه على الطاولة فيعود الصمت الى حين ويشعر الطلاب انهم انما رفعوا اصواتهم اكثر مما ينبغي ، وعاد الكاهن يشرح النص :

ـ « ان الآية الاخيرة توضح لنا مفهوم العلاقات الانسانية وتشرح ما قبلها من الوصايا، لقد طلب الى الانسان ان يحب قريبه كما يحب نفسه، واذا فهمنا هذا فاننا نفهم فى الوقت نفسه معنى كل وصية ، ونرى بوضوح انها ترتبط بهذه الآية التي اعتقد انها من اهم الآيات فى الكتاب المقدس فالذي يحب قريبه لا يقتله ، ولكي يقتله لا بد ان يشعر نحوه بشعور آخر غير المحبة والذي يحمل فى نفسه مثل هذا الشعور لا يمكن ان يكون مؤمنا. وكذلك القول فى من يسرق قريبه . ان الذي يحب قريبه لا يسرقه ولا يشهد عليه زورا ، واذا كنا مطالبين بمحبة قريبنا فان ابانا وامنا هما اقرب القريب الينا . »

ورفع نعيم يده يستأذن بالسؤال . فواجأه زميله على عادته ، ان لا حاجة للاسئلة ولكنه لم يأبه به ومد اصبعه. كان الطلاب جميعا يسخرون من رفيقهم نعيم الذي لا يفتأ يسأل فى كل درس، وفى دروس الديانة على الاخص :

ـ نعم يا بني

ـ ما العلاقة بين احبب قريبك حبك لنفسك بالوصية : لا تزن ؟

استرح سأجيبك عن هذا السؤال.

تنحنح المدرس قليلا ثم قال :

ـ ان الذي يحب قريبه ، لا يزني به ، لانه بهذا العمل يسرق منه اعز ما يملك ، فهو يجرح صميمه ويهين كرامته ، ان كرامة الانسان هي اثمن مايملك وفى الزنا تنتهك كرامة الانسان. فهل يرتكب هذا الاثم انسان يحب قريبه حبه لنفسه، وهل يقبل الانسان ان يهين نفسه وينتهك كرامة ذاته؟ هل ادركت الان العلاقة ؟

وقال نعيم : نعم لقد ادركتها !

البحر هائج هذا اليوم ، وامواجه تتصارع باستمرار فتخلف على سطحه آثارا تبدو من بعيد كقطع من الصخر الابيض ، والطقس حار وعرق لزج يلصق بالجسد من قمة الراس حتى اخمص القدمين .

البحر هائج والامواج تتصارع وفى النظر اليها تسلية متجددة تنسي الناظر اليها الرتابة والملل . ونعيم جالس فى المقهى الاخضر على شاطىء البحر ، وقد وضع كرسيه بحذاء الصخرة الكبيرة التي يتحطم عليها الزبد كل ثانية .

كان هذا يوم عطلته الاسبوعية ، فلم يجد افضل من هذا المقهى يذيب فيه وقته، ينظر الى الطريق مرة والى البحر مرات ، مستجيبا لهذه الحركة الدائمة المتجددة المتغيرة . وسرح بصره فى المدى ، فرأى اللون الازرق القاتم يصبغ سطح البحر ويمتد بزرقة السماء الشفافة فى الافق البعيد.

كان من عادته ان يزجي اوقات الفراغ من كل اسبوع فى هذا المقهى ، ورغم الفته لهذا المكان وكثرة تردده عليه فانه ما يزال يشعر فيه بالغربة . ولم يستطع الى الان ان يقيم علاقات بينه وبين رواد المقهى الدائمين .

وحانت منه التفاتة الى الجانب الخاص بالعائلات فرأى عينين سوداوين تحدقان فيه ، وسرعان ما تعرفهما ، ذلك بان الزمن لم ينسه تجربته الاولى معهما ، وشعر بهما تستدعيانه فترك مكانه وامهما .

ـ يسرى ، كيف حالك ؟

ـ بخير وشوق ، وانت ؟!

ماذا عسى ان يحدثها عن نفسه !؟ اتراها قادرة على تفهم ضيقه العميق وضياعه الكئيب ، ، وبحثه الضائع عن اشياء لا يعرفها ، ورغبة فى الفرار من قيود لا يدركها . وقال لها :

ـ ما ازال احياكما ترين! وانت؟

وقبل ان يسمع منها جوابا كان قد رأى ابنها الصغير فلم يعد بحاجة الى مزيد من الاستفسار . لقد تزوجت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانجبت الطفل ، وهي تعيش كما يعيش الناس جميعا .

ـ لقد تزوجت منذ ثلاث سنوات

ـ وهل انت سعيدة ؟

وهزت راسها وابتسمت ثم تمتمت:

ـ السعادة شيء نشعر به في فترات قليلة ومتقطعة ، اما بقية الاوقات فكما تعلم ..

وابتسم هو الاخر اذ استشهدت بعلمه في هذا الموضوع . حقا انه ليعلم .. وسألته عن امه وعن عمله، فاخبرها ان امه ما تزال تعيش من عملها الى جانب مساعدته الضئيلة لها. وانه ينتظر نقله الى مدينته بين شهر وشهر

وراحت تحدثه هي عن زواجها ، وزوجها واقامتها في المدينة الساحلية وغربتها الممضة ، ودخل زوجها المحدود . وعنايته المزعجة بتربية الحمام والانشغال به طول الوقت . ثم عاد هو يحدثها عن نفسه وكآبته وضجره ، لتعود فتحدثه من جديد عن نفسها وحياتها وبؤسها .

وهكذا فقد التقت كآبتان قاتمتان على شاطىء بحر قاتم ، وعلى هدير الأمواج راحت تتعرى كل كآبة، كأنما لتلقي بنفسها في اغوار اليم . وما ان كان يصمت صوت احدهما حتى يشرع الاخر في سرد حديثه ، واذا ما اراد ان يستريح قليلا سارع الصوت الاخر ليتابع حديثه الذي قطعه وهكذا . والواقع انهما ما كانا يتحدثان وانما كل منهما يتحدث الى نفسه وعن نفسه ولكن على نحو متناوب .

ولما انتصف النهار قامت مودعة ودعته الى المنزل ، فهناك كما قالت مجال اوسع للكلام عن الكآبة ومحاولة التغلب عليها .

ـ ولكن زوجك ؟

ـ لا تخش شيئا فانت صديق الصبا ، وزوجي لن يكون في المنزل ، لانه يغادره في الصباح ولا يعود اليه الا بعد الغروب .

ـ وابنك ؟؟ انني اتضايق من الاطفال .

ـ لا تقلق ، فسيكون نائما !!

٧ تموز ١٩٥٢

لمح من خلال خصاص النافذة عيني يسرى النهمتين ترقبانه ، ولم يكن بحاجة الى ان يقرع الباب اذ سرعان ما وجده يفتح وتقف يسرى مستترة وراء احد مصراعيه ، ودخل نعيم ، لم يكن ما في الغرفة يوحي بالثراء او الطمأنينة ، اثاث قديم لا يدل انتقاؤه على ذوق مرهف او اناقة متميزة . كان الوقت ظهرا وكانت الشمس حارة في الطريق ، الا ان المنزل كان معتما ، والرطوبة فيه مستعذبة وتناهت الى سمع نعيم اصوات غامضة بعيدة ، هي اصوات الجارات يصرخن ويتشاتمن. والتفت اليه يسرى تقول :

ـ ارايت ، ان الجو هنا لا يطاق . لقد دفع بي اهلي من عزلة منزلنا وهدوئه والالفة التي تسيطر على الاسرة، الى هنا. ولست ادري سبب ذلك .

ـ واجاب بهدوء :

ـ امن الضروري ان يكون لكل عمل سبب .

ثم اضاف ... وزوجك ؟

ـ لا تخف انه لن يأتي فموعد عودته غروب الشمس . ساقدمك له على انك صديق لاسرتنا وجارنا وزميل الطفولة ، الا يكفي كل هذا . وعلى كل فانه لن يأتي ثق بذلك .

واختفت لحظة لتعود بعدها وقد حملت فنجانين من القهوة وعلبة السكاير .

واقاما يستعيدان الذكريات ، وكلما مضت ثوان ازدادا تفاهما وتقاربا ، حتى تماست منهما الكتفان وانفجر ضيقهما في قبلة طويلة حارة ، الا انها كانت لتزيد في ضرامتها . وتغلبا على الضيق الى حين وتغلبا على الزمن فلم يشعرا به . كان نعيم قد عزم على ان تكون زيارته قصيرة لا تتجاوز ربع ساعة ، فاذا بها تمتد الى ساعة ونصف الساعة .

نهض نعيم يسوي ثيابه المضطربة المشوشة، وودع يسرى على ان يلتقي بها في فرصة اخرى . سار في الطريق الضيقة الطويلة التي جاء منها . كانت ارض الشارع ملتهبة فلم يكن احد يسير في الطرقات اذ ادخل الحر العنيف كل انسان الى جحره ، ولكنه مع ذلك شعر ان كل ما في الطريق ينظر اليه ، وان كل نافذة هي عين ترمقه شذرا ، وتغمره مشيرة الى ما فعل .

وحين اوى في المساء الى فراشه. امتنع النوم عليه . وراح شبح مدرس الديانة يتراءى له من بعيد ، وترن في اذنه كلماته .

واحس بصداع ينتابه وضيق يعض صدره . والحت عليه تساؤلات عديدة . وشعر انه اصبح قطبا في دوامة تدور وتدور ، ولا سبيل الى ايقافها ، وسال منه العرق باردا . وشعر بالوحدة والغربة والفراغ والضيق . العالم كله شر ، وهو ايضا جزء من العالم ، والشر لا يغلب الشر ، فلا مفر من هذه الحلقة ، وشعر ان حلقات تضيق وتضيق على عنقه حتى ليكاد يختنق وان النور والضياء يختفيان شيئا فشيئا حتى ليكادان يحتجبان في بحر من الظلمات واسع . والح عليه النوم الحاحا حادا ، وشعر كأن في ضميره ابرا توخزه وخزا يرتجف له جسده ، فيحرك يده قائلا: لا واقسم في اعماقه انه لن يعود فيقع في المعصية من جديد.

* * *

٨ تموز ١٩٥٢

وجد نعيم نفسه يتقدم من مدير « الدائرة » ليطلب منه اذنا اخر بالتغيب .

وفي هذه المرة لم يتطلب منه الوصول الى منزل يسرى وقتا او جهدا ذلك بانه عرف الطريق والدار بسرعة عجيبة ...

حلب **جورج سالم**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود بن الشريف

متحف لغوي للالفاظ الغريبة

بقلم محمود بن الشريف

عضو مراقبة الكتاب بوزارة التربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغة الضاد وان كانت غنية بالفاظ لها رنين خاص، وجرس معين ونغم مقبول ووقع موسيقي يؤثر في الوجدان والعاطفة ـ الا انها في الوقت نفسه تغص بكثير من الكلمات الحوشية الغريبة التي ينفر منها الذوق ويناى عنها السمع. والالفاظ التي بهذه الكيفية يجب ان تعتقل في بطون المعاجم ولا تستعمل في ادبنا وكتبنا وكتاباتنا وخطبنا الا الالفاظ السهلة السلسة ذات الوقع السائغ المقبول، وبذلك نضمن للغة ذيوعا وانتشارا، ونكسب لها قراء وانصارا من الذين تسحرهم العبارات الرقيقة الرشيقة وتبهرهم الالفاظ المأنوسة المألوفة.

وليس هذا بالراي المبتدع او المذهب المبتكر، فزهير بن ابي سلمى الشاعر الجاهلي الفحل كان يعمد الى شعره فيهذبه ويشذبه، وينقيه من الالفاظ التي لم يألف الناس في ايامه سماعها، ويباعد بين قصيده وبين الكلمات المهجورة التي لا تطرق الاذن الا لماما. وفي مناقشة ادبية بين عمرين الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما، يقرر الخليفة عمر ان شعر زهير استحق الخلود «لان زهيرا كان لا يعاظل في القول، وكان يتجنب حوشيه».

وقال عمر بن عبيد «ان اردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين المعاني في قلوب المستفهمين، فعليك بالالفاظ الحسنة الوقع في الاذان، المقبولة عند الاذهان». وفي كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري «ان كان الكلام اذا كان لفظه غثا ومعرضه رثا كان مردودا ولو احتوى على اجل معنى وانبله». ولقد اجمع النقاد على ان السر في ذيوع شعر بشار بن برد وكثرة دورانه على الالسن ان بشارا قد رققه حتى حببه الى النفوس فصار كل فتى يردده وكل فتاة ترويه، لا يظهر في لفظه استعصاء، بل هو كلام ككلام العامة سهولة وليونة.

ومن العجب العاجب ان بعض القدامى من النقاد كانوا يطربون للالفاظ ويفرمون بالكلمات الخشنة الجافة، وكانوا يرون ان السهولة عيب يجب ان يتجنبه المتكلم ويتحلل منه كل كاتب واديب. ومن ثم حكموا على ديوان الشاعر صفي الدين الحلي بانه «لا عيب فيه الا انه خال من الالفاظ الغريبة». وما اروع صفي الدين حينما عقب على هذا الحكم بتلك القصيدة التي قال فيها:

انما الحيزبون والدردبيس ... والطخا، والنقاخ، والعطلبيس
والفطاريس، والشقحطب والسة ... ب والحربصيص، والعيطموس
والجراجيح والعفتقس والعفلـ ... ـق والطرفسان، والعسطوس
لغة تنفر السامع منها ... حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح ان يسلك النافر الوحشي ... منها ويترك المانوس
ان خير الالفاظ ما طرب السامع ... منه، وطاب فيه الجليس
درست هذه اللغات واضحى ... مذهب الناس ما يقول الرئيس
انما هذه القلوب حديد ... ولذيذ الالفاظ مغناطيس

من اجل ذلك، ماذا علينا لو باعدنا بين النشء، من الطلبة والادباء، وبين الاساليب والقصائد التي تبنى من كلمات هامدة جامدة والفاظ قديمة عتيقة؟ ثم ماذا يضيرنا، لو خطونا بعد ذلك خطوة حاسمة تجاه بعض قصائد الشعر الجاهلي ذات الالفاظ الميتة والمعاني الساذجة المفككة التي لا يربطها وحدة ولا يجمعها غرض، فصرفنا عنها الانظار واستعضنا عن دراستها بدراسة الوان هادفة من الشعر في العصور الاسلامية والحديثة؟ اننا لو اتجهنا هذا الاتجاه في دراستنا ومدارسنا لربينا الذوق الادبي عند الناشئة، ولحببنا النشء في الادب، ولاغريناهم بالحفاوة به والتبريز فيه، ولازلنا عن كاهلهم ما يلاقونه من عنت وارهاق في تفهم شعر ذي معنى سطحي ساذج، ولفظ كانه الطلسم!!

ان كل من يتصدى للادب ودراسته وتدريسه ـ ولاسيما في المرحلة الثانوية ـ يلمس مدى الضياع الذي يلاقيه طلبة هذه المرحلة نتيجة لدراسة هاتيك القصائد المغلقة الالفاظ، ويرى ان الخير كل الخير في ان لا نحتفل بدراسة الشعر الجاهلي في المرحلة الثانوية، لان التلاميذ تتفتح عيونهم الادبية في مطلع هذه المرحلة على قصائد قد بعدت عن الرقة والسلاسة، واغربت في الغرابة، وتوغلت في الجفاف وزخرت بما يميت الذوق الادبي، وبما يصرف الطالب والمتأدب عن الهيام بالادب العربي والاحتفاظ به، ماذا يستفيد طالب هذه المرحلة من شعر كهذا الذي يقول فيه صاحبه الاعشى:

ربيعي

* * *

خرجت لنزهتي يوما ... ونور الفجر مرفض
وقد سال على الوادي ... فمحمر ومبيض
فقال الورد لي مهلا ... وقال السوسن الفض
ربيعك عاد فانظره ... وعاد شبابه البض
فقلت وناظري يرنو ... الى برق له ومض
ربيعي لم يجيء بعد ... ولم تنعم به الارض

ربيعي يوم لا جهل ... على الارض ولا بغض
ولا فقر ولا حرب ... ولا رفع ولا خفض
ولكن رحمة عمم ... وحب خالص محض

تبسم ساخرا مني ... غراب ... ما له نهض
وصاح البوم من حولي ... بناؤك سوف ينقض
وعمرك سوف تخسره ... وشملك سوف ينفض
فهذا الابد الداجي ... كتاب ما له نقض
فقلت ورائدي امل ... كان شعاعه فيض
وعزمي ما به وهن ... وجفني ما به غمض
ربيعي سوف ابلغه ... وان طال بي الركض
وان مت على الدرب ... وزايل قلبي النبض
فبعضي سوف ادفنه ... ويبقى خالدا بعض
فتزدان به الدنيا ... وتفرح امه الارض

حلب — **عمر ابو قوس**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول

والشواهد من هذا القبيل اكثر من ان تحصى .

الستم معي ايها الادباء والمربون فى ان من حصانة الراي وزكانته ان نبعد الناشئة عن اساليب عتيقة والفاظ بالية دراسةغدت مثارا لتعليقاتهم وافاكيههم ، ونجعلهم يطرحون العبارات التي ينبو عنها السمع ويتداولون منها السهل السلس الذي يتلاءم مع حياتهم او يتواءم مع مقتضياتها ؟ امـا الالفاظ التي فقدت مدلولاتها واصبحت « تحفا » فيجب ان تقبع فى المتاحف اللغوية لمن شاء ان يرجع اليها ويتخصص فيها .

القاهرة — **محمود بن الشريف**

بقلم ليونارد كوتريل

اعظم شأناً من كليوباطرة

ترجمة مبارك ابراهيم

ترجع حضارة الانسان الى خمسين قرنا او ما يقرب منها. وفى تلك الحقبة ظهرت ملكات كثيرات قد بلغن من العظمة ما بلغن . ولكن اولئك الملكات قد اختصت كل واحدة منهن بلون من العظمة فهيلينا اليونانية اشتهرت بجمالها واليزابث الاولى الانجليزية بعلمها وقدرتها السياسية وكليوباطرة بمغامراتها وبحوادثها الغرامية ..

ولكن المرء قد يقضي عمره باحثا ومنقبا ليجد امراة قد جمعت بين العلم والسياسة والجمال وفنون الجندية . وكانت فى تلك الميادين فى الذروة والسنام .. وتلك المراة وجدت فى شخص المترجم لها ..

اما جمالها فيكفي فى التعريف به ان كل الكتاب الذين عاصروها قد خروا لجمالها ركعا واما علمها فقد كانت تحسن الحديث باللاتينية والاغريقية والسريانية والمصرية .. وقد كتبت موجزا لتاريخ الشرق . وقامت بينها وبين الفيلسوف الكبير (لونجينوس) رابطة من الصداقة . وكانت تضفي عليه كل حمايتها (كان هذا الفيلسوف من اتباع الفلسفة الافلاطونية . تعلم فى الاسكندرية وعلم فى اثينا . وقد تولى حينا تعليم اولاد زنوبيا) .

وكانت بوصفها جنديا وقائدا تسير مشيا على الاقدام مسافات طويلة وهي تتقدم قواتها . وكانت تشرب الخمر مع قادة جيشها بالكبير وبالصغير . واستطاعت ان تهزم فى الميدان جيشا من جيوش الرومان . وظلت زمنا قصيرا تحكم امبراطورية امتدت رقعتها من النيل الى الفرات ..

اما اسمها فزنوبيا . وكانت مدينة (تدمر) السورية مقر حكمها فى القرن الثالث بعد الميلاد . ومدينة تدمر هذه هي احدى مدن العالم التي تثير فى النفوس كوامن الخيال .. وفى كتاب معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ان تدمر مدينة بالبرية على طريق الشام بنتها الجن لسليمان. قال النابغة :

وجيش الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

واذا طار المرء اليها اليوم بالطائرة من دمشق لاحت له على حين بغتة بقعة عريضة خضراء فى وسط رمال الصحراء الداكنة ثم بدت لناظريه خرائب المدينة الضخمة وقد برزت الاعمدة الرومانية العالية على طول الطريق وكأنها اعواد من الثقاب غرزت فى الرمل وقد القى كل واحد منها ظلا يرتفع طولا وينبسط عرضا . وقد بدت لعيني الرائي المعابد والبيوت والاسواق والشوارع وقد تعارضت وتشابكت وقام حول كل اولئك الشجر الاخضر. ذلك لان مدينة تدمر تقوم فى وسط واحة من الواحات . اما الهيكل الضخم هيكل « بعل » او هيكل آله الشمس فيعكس على تلك الخرائب كل يوم اشعة شمس الصباح . واما الناظر الى جو السماء فيرى سماء ما شابتها شوائب الغيوم .

ويشق المدينة شارعان رئيسيان يبلغ طول الواحد منهما ميلا ونصف ميل . وهما يلتقيان عند تمثال ضخم صنع من حجر الجير . وهناك على عمود بالقرب من ذلك المكان نقشت كتابة اغريقية تحمل اسمي زنوبيا وزوجها اوديناتس (وهو امير تدمر .. هزم الفرس . واعترفت به روما حاكما مستقلا . ومات مقتولا . وخلفته زنوبيا على العرش) .

وكان (اوديناتس) واحدا من شيوخ تدمر البارزين فى منتصف القرن الثالث بعد الميلاد وفى ذلك الحين اغار « سابور بن اردشير » ملك الفرس على الحدود الشرقية للامبراطورية الرومانية فعبر هذا القائد نهر الفرات ودمر بعض الحصون الرومانية القائمة على الحدود واشاع الرعب واعمل يد السلب والنهب فى بلاد حلفاء روما الشرقيين .

وعقد الامبراطور « فاليريان » العزم — على ما به من شيخوخة وهرم — على ان يتولى بنفسه قيادة جيش يسير به الى بلاد الشرق ليحمي الثغور المهددة . والتقى القائدان الروماني والفارسي بالقرب من مدينة (اورفه) وانهزم القائد الروماني ووقع فى اسر (سابور) . وغر هذا نجاحه فتقدم بالهجوم على انطاكية وسلبها واحرقها .. ولم يلبث الا قليلا حتى جاءه رسول من (اوديناتس) يقدم له الهدايا ويحمل خطابا مهذب اللهجة ولكنه لا ينم عن استعداء وخضوع ..

وتساءل القائد الفارسي مستجهلا : ومن يكون هذا الاوديناتس الذي تدفعه الجراة والوقاحة على ان يكتب خطابا الى سيده ؟ فاذا كان هذا الرجل يبغي التخفيف من وزر ما ارتكب من اثم وما اجترم من جرم فليخر ساجدا امام عرشي ويداه وراء ظهره ..

ثم امر القائد الفارسي بالهدايا فالقيت فى نهر الفرات .

وكان جواب « اوديناتس » ان جمع جموع جيشه الصغير الذي جاء به من قرى الشام ومن خيام الاعراب . والتقى بسابور فهزم جيشه وحال بينه وبين الارتداد .. ثم استولى على كنوزه وسبى كثيرات من حظاياه . واضطر جيش الفرس الى الانسحاب — وقد بدا الاضطراب بين صفوفه — الى ما وراء نهر الفرات ..

« وبهذا العمل الباهر — يقول المؤرخ (جيبون) وضع (اوديناتس) اساس صيته ومستقبله فقد صان هذا القائد العربي السوري من اهل تدمر عظمة روما من ان يدوسها وينتهك حرماتها رجل من الفرس » ..

ومكافأة له على هذا الصنيع الباهر اضفى عليه جالينيوس — الذي خلف الامبراطور فاليريان على الحكم — لقب « اوديناتس العظيم » او « اغسطس اوديناتس » ثم جعله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حاكما على الشرق فشاركته زنوبيا هذا المجد والسلطان .

وليس يعرف التاريخ شيئا عن « زنوبيا » فى نشأتها الاولى وان كانت هي تدعي انها من سلالة الملوك المقدونيين . وكانت ترى فى كليوباطرة واحدة من اسلافها . ويبدو انها قد تلقت العلم فى الاسكندرية . ذلك لانها كانت تتكلم اللغة المصرية واللغات الاغريقية واللاتينية والسريانية .. ويصفها احد الكتاب القدماء فيقول :

كانت سمراء شديدة السمرة . ذات عينين دعجاوين تفيضان بالسحر وتقذفان بالشرر وكان محياها جميلا فاتنا . وكانت ظريفة مليحة اللمس حلوة التثني . وكانت اسنانها كأنها سمط من اللآلىء . وكانت ندية الصوت عذبة الجرس ..

ويتحدث « جيبون » عنها فيقول : يتبين من علمها باللغات انها قد ادبت فاحسن تأديبها . وان براعتها في اللغتين اللاتينية والاغريقية توحي بانها كانت تحيط باخبار العالم اكثر من كثير من رجال حكومتها . بل اكثر من (اوديناتس) نفسه . وقد داومت على دراسة اثار الكتاب من اليونان والرومان بارشاد لونجينيوس الذي كان علما من اعلام الفلسفة والعلم فى زمنه ..

وكانت زنوبيا تصحب زوجها فى رحلات الصيد التي كانت مولعة بها . وكانت تزدري ركوب عربة مقفلة فكانت تمتطي ظهور الجياد . وكانت تشارك القوم فى معاناة اخطار الصيد . ولما ارتقى (اوديناتس) عرش المملكة قاسمته مجده . ثم شاركته مرتين فى مطاردة امير فارس حتى ابواب مدينة « تيسيفون » . وكانت الجيوش التي يقودانها والاقاليم التي ينجيانها من طغيان الغاصبين لا تؤمن الا بهما وبسطوتهما التي ينكرها المنكرون ..

وهما وان كانا من وجهة السيادة الاسمية عاملين من عمال الامبراطور فان الرباط الذي كان يربطهما به كان رباطا واهيا غير متين . وكانا هما من جميع النواحي العملية الحكام الحقيقيين فى بلاد الشرق ..

وكانت تلك الايام ايام عز وسؤدد لم تر (تدمر) مثلها ابدا فقد كانت تسيطر على الطريق الرئيسي للقوافل التي تجتاز الصحراء السورية وهي فى طريقها الى بلاد فارس والى الهند وما وراءها ..

كانت شوارع (تدمر) تكتظ بالقوافل الآتية من الشرق . وقد كانت عدة القافلة منها تبلغ الفي جمل . وقد لوحت الشمس وجوه حداتها . وضاقت عيونهم من وهج الشمس . وغضنت الرياح وجوههم وشققت جلودهم . وكانت بضاعتهم احمالا من الاقمشة الموصلية الرقيقة ومن التوابل والعاج واللآلىء والاحجار الكريمة التي كانوا يجيئون بها من الهند وكذلك احمالا من الحرير كانوا يجلبونها من الصين

وبالقرب من اسواق المدينة كان يقيم تجار (تدمر) الاغنياء وقد اوتوا من الكنوز ما تكفي لمنح هذه العصبة اولى القوة .

اما المقر الرئيسي لاجتماع اولئك التجار فكان بناء فخما قد اثث فاحسن تأثيثه وكان القوم يجلسون فيه متكئين على الارائك . ومتوسدين وسائد بطائنها من الحرير والدمقس وكان يطوف عليهما ولدان من الرقيق . وكانت زوجاتهم يزين المكان بجمال وجوههن وقد صففن شعورهن وغطينها باغطية لطيفة تتدلى الى اكتافهن ..

وهؤلاء كانوا قسما من رعايا زنوبيا . اما القسم الاخر فكانوا من احلاس الحرب وابطال الصحراء الذين كانوا يشنون الغارات ويعودون بالغنائم والسبايا ..

ثم دار الزمن بالنحس فادلهم الخطب ونزلت الفاجعة فقتل (اوديناتس) بيد ابن أخ له كان قد عاقبه لكلمة نابية ندت منه فى رحلة من رحلات الصيد .

ولقي القاتل جزاء القاتلين وخلفت زنوبيا زوجها على العرش ولكنها لم تكن فى ذلك صاحبة حق موروث ذلك لان ولاية الحكم كانت منحة منحها الامبراطور لزوجها وحده .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظل الامبراطور زمنا لا يرى بأسا فى ان تكون « زنوبيا » والية على البلاد من قبله ..

ولكن هذا الامبراطور قد خلفه اخر هو الامبراطور « اوريليان » وكان من صنف اخر غير صنفه . وكان قد ذهب الى آسيا فاتحا غازيا .

ورأت زنوبيا بمشورة الناصحين من رجال ملكها ان تحارب الامبراطور ابقاء على سلطانها . ولما اقترب الامبراطور من مدينة « تدمر » خرجت هي للقائه فى جيش لجب من الضاربين بالقوس ومن جماعات الفرسان وكلهم غارقون فى السلاح . وكان قائد جيشها رجل اسمه « زابدا ما » اشتهر بفتحه لمصر ..

ودارت المعركة الاولى بالقرب من مدينة انطاكية . وكانت المعركة الثانية بالقرب من مدينة اورفه وكانت زنوبيا على رأس جيوشها فى المعركتين تجمع بين جراة المحاربين وجمال ربات الخدور ..

وامتلأ السهل بالجنود المدججين بالحراب وبالسيوف وقد امتطوا ظهور الجمال . ووصف مؤرخ روماني القتال فقال:

لما راى الامبراطور الروماني ان فرسان جيش « تدمر » يعتمدون كل الاعتماد على اسلحتهم الثقيلة اقام فرق مشاته وسائر الفرق الاخرى على الضفة الاخرى من النهر وامر فرسان جيشه بأن لا يلتحموا من فورهم مع فرسان جيش « تدمر » بل عليهم ان يعرضوا انفسهم لهجماتهم وان يتظاهروا بالفرار ..

ونجحت الحيلة واتت الخدعة اكلها واستنفد فرسان زنوبيا مجهودهم فى مطاردة عدو يتظاهر بالفرار . ولما بلغ بهم الجهد مبلغه ارتد الجنود الرومان المدربون خير تدريب وداسوا عدوهم باقدامهم .

وحدث مثل هذا فى مدينة « انطاكية » وكذلك فى مدينة « اورفه » ورأت زنوبيا اخر الامر انها مضطرة الى التحصن داخل اسوار تدمر بينما كان الامبراطور الظافر اوريليان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذا عادت ..

غدا اذا عـدت الـى ربعنـا
وعـاد مـن عينيـك مـا اشتهيـه
سافـرش الـدرب زهـور الهـوى
والـدفء ، فالقلـب الم تعرفيـه ؟
يحلم .. كم يحلـم
بالخصب ، باليسم ..

غـدا ، اذا عـدت ، وكـانت هنـا
فى غرفتي المتعبة
انغام حبي وليـالي الهنـا
فـلا تقولي : كيـف عـادت لنـا
انغامنـا الصاخبـة
ستلتقين الضـوء فى غرفتـي
وتلتقيـن الـود فى راحتـي
ويفرح القرطـاس والمكتبـة
امـا تعودي لنـا ..

غـدا اذا عدت الى ربعنـا
سنمنح الدنيـا بـذور الصفـاء ..

الحلة ـ العراق — علي الحسيني

قد اخذ حذره وعمل على ان يجتذب اليـه اكثر القبائـل ثم سار اليها وقطع سبعين ميلا فى قفار الصحراء وحاصر المدينة

وفى نفس الوقت كان مجلس الشيوخ الروماني يسخر منه ويعيره بشنه الحرب على امراة . وقد نال هذا التعيير من كبريائه فارسل الى مجلس الشيوخ بالرد القاسي الذي يقول فيـه :

يعيرني الرومانيون باني شننت حربا على امراة كـان تلك المراة تناوئني بقوتها البدنية وحدها وليس بقوة جيش قوي من الاعداء . ولست استطيع ان انبئكم باحصـاء دقيق عن عدد الرماح والحراب والمجانق المجهز بها ذلـك الجيش جيش تلك المراة .

ويكفي ان اقول لكم ان ليس عندها موضع لقدم فى اي حائط من حوائط اسوارها لم تحصن تحصينا قويا ولـم تندلع منه النار اندلاعا يدمر الحرث والنسل .

وماذا بعد هذا ؟ اتقولون انها امراة يملأ الخوف قلبها ؟ واني اقول لكم انها امراة تحارب حرب من يخشى مغبـة الهزيمة .. اما انا فاني اثق كل الثقة فى آلهة الرومان ..

وارسل اوريليان رسالة الى « زنوبيا » يطلب منهـا التسليم . ولكنها ارسلت اليه ردا فيه من التحقير ما فيه. وقد كانت مدينتها محصنة وفيها من الرجال من يستطيعون الدفاع عنها . وكان الماء ينساق اليها من نهر يجري تحت الارض وينبع من اخدود قد شق فى تلال جيرية . وهذا النهر يغذي صهاريج يختزن فيها الماء كوسيلة من وسائل الحيطة والحـذر . .

وقد ظلت « زنوبيا » زمنا طويلا تأمل وترجو ان تندلع نيران الثورة بين القبائل المنضمة الى جيش الرومان ولكنها لم تكن ترى الا قطارات من الابل تجيء كل يوم بالمـؤن والعتاد الى القوات التي تحاصر مدينتها . .

واستيقنت « زنوبيا » اخر الامر ان الموقف قد اصبح يبعث اليأس فعقدت العزم على ان تضرب ضربـة جريئة وذلك بان تحاول الحصول على المعونة من اعدائها القدماء وهم الفرس . وعملت على اختراق صفوف الرومان وولت هاربة الى ناحية نهر الفرات ومعها رجال حرسها وهـم يمتطون الابل السريعة . ولكن انباء هربها قد بلغت مسامع الرومان فالقى القبض عليها قبل ان تستطيع عبور النهر .

وقبل (اوريليان) تسليم المدينة التي عاملها اول الامـر معاملة كريمة ولكن لما ثار قوم تدمر وقتلوا رجال حامية الحصن الروماني الصغير عاد اليهم وجعل المدينة طعامـا للسيف والنـار .

وجيء بمستشار « زنوبيا » وهو (لونجينيوس) كمـا جيء باخوانه الاخرين واعدموا شنقا . واخذت الملكـة البائسة وطافوا بها شوارع روما وقد تحلت بجواهرهـا وقد اثقلوها بالسلاسل والقيود التي صيغت كلها من الذهب

وهناك روايتان عما لقيته « زنوبيا » بعد ذلك من مصير . فرواية تقول انها ماتت فى الاسر وهي تحن الى بيتها الصحراوي وتشتاق الى مجدها الزائل وعزها الذاهب . ورواية اخرى تقول انه قد اخلي سبيلها وان اوريليان قد هيأ لها بيتـا ريفيا على شاطىء نهر « التيبر » وانها قد تزوجت مـن مواطن روماني .

وان الاجل قد امتد بها فبلغت ارذل العمر . .

والصور التي بقيت لنا من صور تلك المراة هي التـي كانت تبدو على النقود التدمرية ولكنها صور لا تمثلها لنا تمثيلا صادقا . .

ومن الجائز ان تلك المراة كانت تشبه واحدة من سيدات تدمر الظريفات التي تزين صورهن شواهد القبور بالقرب من تلك المدينة المهجورة . وهن الان يتربعن على تلـك الشواهد هادئات قانعات راضيات كما كن فى حياتهن منذ الفي سنة يوم كن يشاهدن متكئات على الوسائد والحشايا فى قصورهن الفخمة على قيد خطوات من طريق الابل التي كانت تجيئهم بخيرات الشرق من حرير وعطر وتوابل . .

القـاهرة — مبـارك ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر الهندي الصوفي « كبير »

بقلم نقولا يوسف

في بنارس ، مزار الهندوس المقدس ، والمركز الثقافي العتيد ، حيث اعلن البوذه تعاليمه الاولى عن سبل الحق والخلاص — في تلك المدينة الجميلة الجاثمة على شاطىء الكنج ، ولد الشاعر الهندي « كبير » عام ١٤٤٠ من ابوين مسلمين، واشتغل كابيه بالنسيج ، وبحث في المذاهب والاديان ، ونظم الشعر الصوفي الوجداني والصلوات الرقيقة التي لم يزل يترنم بها الالوف من مواطنيه ...

وكان « كبير » احدى الثمرات اليانعة لذلك الاقتران المديد العمر ، بين ديانات الهند وثقافاتها ، وبين الاسلام الذي اخذ يغزو القارة الهندية منذ القرن الثامن للميلاد وكان ان دابت بعض العقول الواسعة الافق على التوفيق بين جواهر العقائد المتعددة هناك.. ولم تزل صفحات التاريخ تمجد «اكبر» الذي حكم الهند فيما بين ١٥٥٦—١٦٠٥ لما بذل من جهود في توحيد الولايات الهندية وشيعها واديانها، ولو انه لم يوفق كثيرا في تلك المحاولات.. وترك اثرا كان يقتفيه بعض في القرن السابع عشر ، ثم في شعر طاغور في القرن العشرين.

ولكن الشاعر « كبير » كان سابقا « لاكبر » بنحو قرن من الزمان .. ولعل هذا الملك « اكبر » كان واحدا من اتباع ذلك الشاعر المتصوف النساج ..

وكان «كبير» قد تتلمذ في شبابه على الزاهد الهندوكي « راما ناندا » الذي يدعو قبله المصلح البراهمي العظيم « راما توجا » بجنوبي الهند في الهند في القرن الثاني عشر، والمعلم « تشايتانيا » في البنغال ..

وكانت تلك الدعوات ردا على الشكلية المتطرفة للطقوس التقليدية القديمة ، كما كانت تتخذ من الحب الالهي دينا اعتنقه الكثيرون من المفكرين .. ولم تستطع العقائد المتوارثة ولا الفلسفات المعقدة ان تطغى على دين الحب الصوفي هذا في بساطته ووضوحه ، لدى اولئك الكثيرين.

وكان «راما ناندا » الذي تتلمذ عليه الشاعر « كبير » معلما ذا ثقافة دينية واسعة .. عاش في عصر تأثر فيه الفكر الهندي بالشعر الصوفي الذي كان ينظمه كبار الشعراء في ايران، لا سيما الشعراء عمر الخيام (القرن ١٢) وسعدي الشيرازي (القرن١٣) وحافظ الشيرازي (القرن ١٤)وجلال الدين بن الرومي ، وفريد الدين العطار ، وغيرهم ..

ولقد كان من اثر الفتح الاسلامي للهند ان اختلطت الثقافتان الهندية والاسلامية ، وترجم الكثير من المؤلفات المدونة باللغة السنسكريتية الى الفارسية . كما اصبحت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية عند الحكام المغول ،ولغة الثقافة والمثقفين في تلك العصور ..

وهكذا خرج شعر « كبير » مزيجا من تعاليم الصوفية الاسلامية في الهند وايران ، ومن اللاهوت البراهمي والمذاهب الهندوكية ..

ولئن كان النقاد يعدون «كبيرا» شاعرا صوفيا قبل كل شيء ، فان اتباعه وتلاميذه في الهند يعدونه مصلحا دينيا ، ومؤسسا لمذهب لم يزل يتبعه الى اليوم نحو المليون من الهنود الذين يطلقون على مذهبه هذا اسم « كبير بانث » . وكان منهم من ينظم الترانيم والشعر الغنائي الصوفي على طريقة « كبير » . ثم تجتمع اشعارهم في ديوان واحد ..

واشتهر من اتباع « كبير » هندوكي من لاهور بالبنجاب يدعى «ناناك» (١٤٦٩ — ١٥٣٨) بدأ باعتناق تعاليم «كبير»، وبعد طواف طويل في ربوع الهند، اسس مذهبا جديدا جمع بين الدين والسياسة وبعض الطقوس ، وهو المذهب الذي تعتنقه طائفة « السيخ » وهم اليوم في نحو ستة ملايين نسمة . وقد اتخذوا لهم كتابا مقدسا باسم «جرانث» به صلوات وحكم وامثال ، قالها «ناناك» وخلفاؤه .. كما انه به ترانيم « كبير » وصحابته ايضا . وهو كتاب غني بالشعر الصوفي الرقيق، الجامع بين الصوفية الاسلامية والهندوكية

ومع ان «كبير» كان بعيدا عن التزمت والخرافة ، ويعلم الناس ان يكونوا ابناء الله ومحبيه ، وان يحرروا قلوبهم من الخرافات والتعصبات والتقاليد الجامدة .. ويعلمهم ان يقولوا : « ايها الاله — الله او رام — اني اعيش باسمك..» ويقول لهم : ان اله الهندوس هو اله المسلمين .. فتشوا قلوبكم وهناك سوف تجدون فيها اله الهنديين والمسلمين. واذا كانت المحاريب مسكن الخالق ، فالكون مسكن من ؟ » فقد جاء من اتباع « كبير » بعده، من راح يمجد ذكره على طريقة اخرى ، اعاد بها ما اراد هدمه من تقاليد ..

ولكن اشعاره وترانيمه البديعة لم تزل الى اليوم حية تعبر عن رؤاه وعشقه الالهي . فهو يخاطب قلوبنا بشعره الرقيق البسيط اكثر مما يخاطبنا بتعاليم دينية ..

وهو يعبر عن الحضرة الربانية ، موقعا على جميع درجات الانفعال الباطني مبتدئا بارفع التجريدات ، وبالوله المتسامي الى اللانهاية ، ثم الى العواطف البشرية الذاتية ، رامزا لها بالكنايات المألوفة والرموز الدينية المأخوذة من عقائد الهنود والمسلمين ، فيقول : (١)

« انئى للمرء ان يحطم الحب الذي يربطنا ؟
لأنت يا مولاي مثل ورقة اللوتس الراقدة فوق الماء !
وانا اعبدك ...
وانت يامولاي مثل طائر الليل «شكور» المتأمل القمر ليلا!
وانا اعبدك ..
الحب الذي بيني وبينك، كائن منذ الابد حتى نهاية الزمن!
فكيف يمكن ان يخبو مثل هذا الحب ؟

(١) « اشعار كبير» نقلها رابندرانات طاغور الى الانجليزية — وترجمتها الى الفرنسية مدام ميرابو تورين — الطبعة العاشرة ١٩٢٢ مع مقدمة لافلين اندرهيل — وتحتوي على مئة قصيدة ..

وكما يندمج النهر فى المحيط ، يتغلغل قلبي فيك ! »
ويرنم بلسانه العابـد :
« ان جسمي وروحي حزينان يحتاجان اليك ..
فتعال الى بيتي يا محبوبي !
حينما يدعونني بفتاتك اشعر بالخجل ..
لان قلبي لا يستحوذ على قلبك !
اي حب هذا ؟
ما انا بجائعة ، ولا استطيع النوم ..
ولا اجد الراحة ابدا فى داخل ولا فى خارج !
ان مثل المحبوب للحبيب مثل الماء للعطشان ..
من ذا الذي يحمل رسالتي الى محبوبي ؟
« كبير » فى شجن !.. انه يموت لانه لا يرى محبوبه! »
وينشد : « فيم ضجرك يا قلبي ؟
« كيمَ ضجرك يا قلبي ؟
الا يرعاك انت ايضا وقد خرجت ؟
من ذا يرعى الطيور والدواب والحشرات ؟
اي قلبي ! انى لك ان تدير وجهك عن ابتسامة الهك ؟
وان تطوف بعيدا عنه ؟
لقد هجرت محبوبك لتفكر فى سواه !
ولهذا كان عملك عقيما ! »

فترى انه يصعب القول ما اذا كان ناظم هذه الاشعار ، برهميا ام فيديا ام فشنويا .. مسلما ام مسيحيـا ، ام هندوكيا .. ولهذا تترنم بها جميع العقائد ، كما تترنم باناشيد اخناتون ، ومزامير داود ، ومناجاة ابن الفارض ، وسعدي وحافظ الشيرازي ، ورابعة العدوية ، ومحي الدين بن عربي ، وزيبا النسا ، وطاغور .. وكلها اشعار «لريكية» صوفية ، صافية ، تناجي الها واحدا محبوبا ، وتحتضن مخلوقاته كافة ..

فالروح الاسمى الذي عرفه «كبير» وعبده .. والذي حاول ان يرشد اليه الاخرين ، كما لو كان يرشدهم الى صديق حبيب ـ هذا الروح يشمل فى الوقت نفسه جميع المقولات الميتافيزيقية ، والعقائد اللاهوتية ، الواحدة فـي جوهرها وينبوعها ..

ويقول لنا « كبير » انه ابن لله وابن لرام .. وقديما كان آمون ، وآتون ، وزيوس ، وبعل ، وبراهما ، ويهوه ... وغيرها من الاسماء ـ ترمز الى معنى واحد ـ رب واحد ..
« اني لارى جماله فى كل مكان ..
وما الفرق بين النهر وامواجه !
الانها سميت موجة فهي موجة !
او لن تصير ماء بعد قليل ؟! »

وكما جرت العادةمع كل عظيم يتقادم عهده ، فقدتغلغلت الاساطير المتناقضة فى حياة هذا الشاعر .. بعضها هندي المصدر ، والبعض الاخر اسلامي.. فهي تارة تمثل «كبيرا» فى صورة راهب براهمي قديس، واخرى فى صورة ولي من اهل الكرامات ..

ولكن المعروف ان هذا الشاعر كان رجلا عاديا على جانب محدود من التعليم ، وانه من اسرة مسلمة عاشت بمدينة « بنارس » فى شمال الهند الغربي . وان اباه كان نساجا ، فشب مثله يشتغل بالنسيج ليكسب عيشه ..

ونعلم ايضا انه كان متزوجا ورب اسرة .. يقدر الحياة العائلية ، وقيمة الحياة اليومية ، ويعدها فرصة للتضحية والحب والعمل ... ولهذا كان يحتقر الحياة السلبيةالتي يحياها الزهاد فى التقشف والحرمان والهروب من الجمال والفرح، وسائر المسرات البريئةالتي اسبغها اللهعلى الناس

ووسط تلكالحياة العادية البسيطة ، كان « كبير » ينظم الشعر الغنائي العاطفي فى الحب الالهي ، وفى جمالالخليقة، وفى تقديرالعمل،وفى التسامح والاخاء.. ويشغف بالموسيقا ويوقع اشعاره على آلات الطرب .. ويغني :
« فهناك .. السموات ملأى بالنغم ..
وهناك تعزف الموسيقا بلا اصابع ولا اوتار !.. »

ومن هذا القليل الذي وصل الينا من سيرة « كبير » ، نرى ما يناقض الفكرةالسائدةعن التصوففى الشرق عادة .. فكبير لم يعش حياة الزاهد المنعزل كي يتفرغ لحياة التأمل المطلق ، ولم يعمد الى تعذيب جسده على طريقة نساك الهند خاصة ، بل مارس حياة عائلية نقية مكافحة ، وكان يعول نفسه واسرته من صنع النسيج والعمل المضني ، لا من التسول او التواكل .. مكرسا حياته فى الوقت نفسه لخدمة الناس وتعليمهم ومحو التعصبات والخرافات مـن اذهانهم ...

وفى ذلك القرن ـ الخامس عشر ـ الذي عاش فيـه «كبير» ، كانت الاتجاهات الوحدةفى المذهب الهنديالبهاكتي، فى نمو وازدهـار .. وكان المتصوفة مـن شتى المذاهب يتناقشون ، بينما راح الكثيرون يتتلمذون لراما ناندا،وكانت شهرته قد ذاعت يومذاك . ورأى «كبير» فى راما ناندا معلما عظيما ، ولكنه خشي ـ وهو المفكر المسلم ـ ان يلقـى صعوبة فى التتلمذ على معلم هندوكي ..

ويقص الرواة ان «كبيرا» كان يختبىء فى مكان على ضفة الكنج ، حيث اعتاد راما ناندا ان يذهب للوضوءوالاستجمام فى النهر على طريقة الهندوس .. وكان فى كل مرة يتعمد لقاء المعلم وجها لوجه .. وفى ذات مرة صاح راما ناندا دهشة : « رام .. رام ! » ـ وهو الاسم الذي يعبد به الله متجسدا .. واعتقد « كبير » ساعتذاك ان طقس التعميد سرى عليه من فم المعلم ، وبذلك صار من اتباعه !..

وعلى الرغم من احتجاج السنيين منالبراهمة والمسلمين على السواء ، فقد لازم « كبير » استاذه الهندكي ، ووضع بذلك عمليا ، المبدأ الذي يقول به معلمه نظريا ، عن ضرورة الاخاء بين مختلف العقائد ، وعدم التفريق بين اهل الملل.. وهكذا رحب راما ناندا بتلميذه «كبير» وساوى بينه وبين سائر المريدين ..

ومع ان هناك روايات تقول ان « كبيرا » تتلمذ ايضاعلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخرين من مشاهير المتصوفة فى عصره مثل : بير ، وتاكي ، وغانزي .. فالمشهور عنه انه لم يعرف غير معلم واحد هو راما ناندا ...

وفى مدينة مثل بنارس ، حيث كان يعيش الشاعر ، ومن حوله سلطان الكهنة وطقوس الاديان ، كان من الطبيعي ان يلقي بعض الاضطهاد .. بل لقد كان هناك من الهندوكيين والمسلمين من يعده من الوجهة التقليدية ملحدا بل خطرا.. فهو لم يخف استهجانه لبعض الطقوس والتقاليد ، والقشور غير الجوهرية فى الدين .. وكان هناك من لم يفهمه ، حتى وهو يرى فى بساطة ان فى الاتحاد مع الحقيقة الالهية واجبا وفرحا للنفس . وان الاله الذي يدعو الى عبادته وحبه لا يحده مكان ولا هيكل ولا مدينة .. لانه اقرب لمن يبحث عنه مما يظن ..

وينشد « كبير » : « اين تبحث عني يا عبدي ؟
انظر كم انا قريب منك !..
لست فى معبد ولا فى مسجد ولا فى محراب ..
ولا فى هيكل من هياكل آلهة الهندوس ..
ولا انا فى الشعائر والطقوس ..
ولا فى الزهد والتقشف
فان تبحث عني حقا ، تجدني على الفور ..
واكون فى اللحظة التي تكتشفني فيها .. »

ويقول :

« ايها القديس !
ان الله فى النسمة التي تتنفسها ! »
ومع آلة الطرب يغني :
« ارقص يا قلبي .. ارقص اليوم فرحا !
اغاني الحب تملأ الايام والليالي بالموسيقا ..
والدنيا تصغي الى الحانها ..
الحياة والموت يرقصان فى جنون الفرح !
وعلى نغم هذه الموسيقا ..
ترقص الجبال والمحيط والارض .. !
ووسط ضجيج المرح والرنين ترقص البشرية ..
فلماذا تلبس ثوب الناسك ؟
وتعيش خارج العالم فى كبرياء الوحدة ؟
انظر ! ان قلبي يرقص فى فرح المعرفة ..
والخالق سعيد بذلك ! »

واخيرا استطاع اعداؤه المتربصون ان يوقعوا به ويحكى ان بعض البراهمة ارسلوا اليه غادة حسناء ليختبروا مدى فضيلته وعفته . ولكنه احبها حبا نقيا ، وجعل منها امراة طاهرة على نحو يقرب من قصة مريم المجدلية ... فانتظروا حتى راوه يعالج مريضا فرموه بالسحر والشعوذة. ودعاه اليه الملك «سيكندار لودي» ، ووجه اليه تلك التهمة، واكتفى بنفيه من بنارس !

حدث ذلك حوالي عام ١٤٩٥ حين خرج «كبير» من بلدته منفيا فطاف بعدة مدن فى شمالي الهند ، وتتلمذ عليه الكثيرون ..

وفى عام ١٥١٨ ــ وقد امسى شيخا مريضا فى الثامنة والسبعين ــ لا تقوى يداه على العزف ، مات فى «مغار» بالقرب من جوارجنور ..

ويختتم مريدوه قصة حياته باسطورة لطيفة تقول انه عقب موته ، تنازع تلاميذه من المسلمين والهنديين على جثمانه .. فاراد الاولون دفنه والاخرون حرقه .. كل على طريقته .. وفيما هم يتنازعون ، ظهر لهم « كبير » وقال : « خذوا هذا الكفن ، وانظروا ما يحتويه . ولما فعلوا وجدوا مكان الجثة طاقة من الزهر ، فاقتسموها ، ودفن المسلمون نصفها ، واخذ الهنديون النصف الثاني ليحرقوه فى بنارس !! »

ومضى نحو خمسة قرون على دعوة «كبير» للمحبة والاخاء بين اهل وطنه الذين تقسمتهم عشرات المذاهب والاديان ، واللغات والالوان .. ثم ظهر بالهند فى عصرنا هذا شاعر عظيم اخر ، يدعو مثله الى المحبة والوئام ــ هو رابندرانات طاغور ــ ونقل الى الانجليزية مائة قصيدة مختارة من اشعار «كبير» ، ما لبثت ان ترجمت الى الفرنسية والى غيرها من اللغات .. فانتشرت فى العالم اناشيد شاعر المحبة المسلم على يد اخيه شاعر المحبة الهندوكي ..

« الرب فيّ والرب فيك . كما ان الحياة فى كل بذرة !
فيا عبد، دع كل كبرياء كاذبة، وابحث فى داخلك عن ربك.
مليون من الشموس تشع ضوءا ..
ومحيط من الزرقة يمتد فى السماء ..
حمى الحياة تهدا ، وقد غسلت كل خطاياي ..
حين اسكن بين احضان العالم ..
اصغ الى نواقيس الابدية وطبولها .. وانعم بالمحبة ..
المطر يسقط بلا ماء ، والانهار سيول من النور ..
المحبة فقط تستطيع ان تتغلغل فى العالم ..
وقليل عديدهم من يعرفون هذه الاشياء ..
عميان من يرغبون فى رؤيتها فى ضوء الادراك » ..
هذا العقل الذي هو اس الانفصال ..
فى صرح العقل ابتعاد كبير ..
ياكم منح «كبير» من قدرة ، فى احضان الفرح اللانهائي، على ان ينشد فى نفسه اغنية لقاء الروح مع «الروح» ..
اغنية نسيان المتاعب ..
الاغنية التي تفوق كل ما يتغلغل فينا ــ وكل مايصدر عنا»
« اني لاضحك حين اسمع من يقول ان السمك فى الماء عطشان !
انك لا ترى ان « الحق » فى بيتك ..
وتدور متهاونا من غابة الى غابة .. والحقيقة لديك
اذهب حيث شئت ــ الى « بنارس » او الى «مائوره»ــ
فاذا لم تجد نفسك كان العالم كله لا حقيقة له ..».

الاسكندرية **نقولا يوسف**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اغنية لاصدقائي

« مهداة الى وليد زيدان .. الذي تطل من عينيه اجمل القصائد »

يـــا اصدقـــاء ـ
احبكم .. احب فيكـم رقة اللقاء
احب فيكم طيبة تطفر بالصفاء
يـــا اصدقـــاء
عيونكـم .. واحـات ظـل ..
يرتاح فيها متعب السفر
ويشرب الهـدوء من قرارها القمر
عيونكم تقول لي : تعـال
اغـرق هنـا فى منجـم اللآل ..
والـق غبـار السـير .. فى دروبنـا ظـلال
وقمـر مغرد .. وطـائر وزهـرة ..
وضحكـات عذبة تملأ كل سهرة
وفرحـة تختـال فوق كل ثغر
اكفكم تشير لـي : تعـال .

وجـوه اصدقـائي
ثريـة .. يـا للضياء يغمر الـدروب
ان ضحكت تقشعت عن افقي غيوم
وامطـرت غيـوم
وخيـم الصحـو عـلى مزارع النجوم
صادقـة هي الوجـوه فى عطائهـا العميم
ضيبـة .. تكـاد فى ابتسامهـا العميق
تنسيني الهموم ..
تمنعني مـن الفرق ..
فى سـأم الفراغ .. والقلـق ..
تحـول دون وحـدتي ..
وصحبتي الملـول ..
للحبر والـورق ..

يـــا اصدقـــاء ..
قطعت مظلم البحـار .. ثـم عدت
والـف ذكرى فى دمـي تعود ..
حملت مـا اسطعت لكـم
مـن نـادر اللآلـي ..
حملت كـل غـالي ..
وجئتكـم يـداي مثقـلات ..
بحفنـــة صغيرة مـن اغنيـات ..
وهل يطيق الشاعر الحزين غير ان يصوغ اغنيات
دافئـــة هي القـلوب ان اتت مـن بيدر القلوب
رائعـة قصائـد الوفـاء والاخاء ..
يـــا اصدقـــاء ..
من يوم ما تعثرت عـلى الشفاه ـ ملامح النغم
وقلت للريـح استمـع اسطورة الالم ..
من يومها .. ولحني الوجيع ..
يضيـع ..
لغيركـم ما انفلتت مقـاطع الوفـاء ..
لانكم حكايتي مـع دفقة الوفاء ..
فانتم طفولتي الحزينـة الضفاف .
وانتم حـاضر عمري اليـائس الحزين .
وزادي المـر عـلى السنين ..
لانكم يـا اصدقاء ..
تستوعبون المي المزق الانين ..
انشدكم قصائـــدا
نهـرا مـن الحنيـن ..

عيـون اصدقـائي ..
معـابر للضوء .. للنجوم .. للضياء
منـاهل للدفء والعطـاء
تلـوح لـي مرافئـا امينـه ..
اغرق بهـا يـا قلبي الوجيـع ..
ففي الضفاف موعـد يضـوع ..
فيـا شراع الحب طر بنـا ..
الى موانى النور والرجاء ..
الى عيون اصدقائي .

اربد ـ الاردن — احمد حسن ابو عرقوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النبعة الاخلاقية والذكاء في الادب الانكليزي

بقلم جون ارسكن

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

●

اذا سأل رجل حكيم ما هي الفضائل الحديثة ؟ واجاب عن سؤاله بموجز مما نعجب به ، متجاوزا عن المثل التقليدية التي نعترف بها كالتواضع والوداعة ورفض طيبات العالم ، واذا ما اقتصر على ما تهواه قلوبنا ويسير على هداه سلوكنا، فما هي هذه الفضائل ؟

ليس هذا السؤال اصيلا ولا جديدا . وعصرنا هذا يتطلب تقدير مقوماتنا الروحية وهذا ما اقترحه هنا . واذا ما كنا نملك حكمة فحكمتنا ان بعضا منا متطلع لمعرفة فضائلنا . وهنا لي رغبة ان اقدم نفسي على اعتباري رجلا حكيما قادرا على الاجابة . واذا ما جاءنا الرجل الحكيم بقائمة مما نعجب به من مثل اصيلة فهل يكون الذكاء منها ؟ وقبل ان نقر بان الذكاء فضيلة ، هل نحن مقتنعون بذلك ام نحن نحسب الذكاء خطرا ؟

ان الميل لعد الذكاء خطرا لتراث انكلوسكسوني معروف . وقد عرف اسلافنا هذا الميل نثرا وشعرا . وعلى ما في ادبنا من بهاء فهو لم يعبر عن مطامح الانسانية كلها . وما كان من المتوقع ان يعبر عن مطمح لا صلة مميزة له بالجنس الانكليزي ، واعني بذلك مدح الذكاء باعتباره مجدا من امجاد هذا الجنس .

« كوني صالحة ايتها العذراء ، وانبذي من يريد ان يكون ذكيا » وهذا هو البديل المذهل الذي هو بالنسبة الى الانكليز بين الامم العظيمة ، بديل طبيعي لا غبار عليه . وهنا ينبعث الافتراض العرضي الذي يوجب الخيار بين الصلاح والذكاء ، فيصبح الغباء اقرب ما يكون الى السلوك الخلقي الحسن ، والذكاء اول خطوة الى الشر ، وتغدو الالهة والعقل على طرفي نقيض ، اما الذهن والقلب فما هما سوى دلوين في بئر الحقيقة ، دلوين غير متعادلين ، كلما امتلأ الذهن خف القلب ، وكلما امتلأ القلب خف الراس

ان البيت الذي اوردناه لكنغزلي نص ملائم ، ولكننا من اجل ان نثبت ان الادب الانكليزي يعبر عن مقت تقليدي للذهن ، لا بد من العودة الى الاساتذة (الكبار) . ففي مسرحيات شكسبير هناك الكثير من الناس الاذكياء ارفع ذكاء ، ولكنهم اما اشرار ارذال او ضحايا مآس . ولكي تكون ذكيا كريتشارد او ياغو او ادموند لا بد من الانفصال بعض الشيء عن الطيبة والصلاح ، ولكي تكون حكيما كبروسبير ولا بد لك من تجارة كتجارة فاوست مع العالم المحذور الاتصال به ، ولكي تكون كثير التفكير كهاملت ينبغي لك ان تحيا حياة كلها انشغال وتفكير . اما جوائز الحياة، عند شكسبير ، فمآلها الى الناس من اضراب باسانيو او دوق اورسينو او فلوريزل ، اناس ذوي سلوك طيب ، واخلاق سليمة ، دون ان يمتازوا بخصيصة من خصائص الذكاء . ومع ذلك يبدو لهذا القرار الجارف شذوذ عام يتمثل في : ان شكسبير يعزو الذكاء كموهبة الى بعض بطلاته . وباختبار يسير نجد هذه السيدات كبورشيالين مستوردات شكسبير . اما ذكاؤهن فهو جملة وتفصيلا من سدى ولحمة القصة المستوردة . اما السيدات من اضراب فيولا ، فهن نماذج انكليزية للتواضع والصبر والولاء ، النماذج التي نجدها في القصص الشعرية القديمة مع شيء من التلطيف والحذق اللغوي الاجنبي . ومع ذلك فهذه البطلات قليلات العدد ، اذا ما قسناهن باوفيليا وجولييت وديديمونا وهيرو وكورديليا وميراندا وبيرديتا المحبوبات لكل صفة عدا الذكاء ، واذا ما قسناهن ايضا بمجموعة شريرة اخرى تتمثل في الليدي ماكبث وكليوباترا وغونيريل الذكيات الخبيثات .

ثم نأتي الى ملتن في (الفردوس المفقود) فنراه يعزو الذكاء من الدرجة الاولى الى الشيطان . ولكي نعلم أن هذه دراسة انكليزية للشخصية الجهنمية يمكن الاشارة الى كتاب (النبي ايوب) حيث نرى الشيطان مجرد كيان مزعج، وحكمة القصة العظيمة لاتنبعث الا من صوت الله في الدوامة. بيد ان ملتن يجعل شيطانه مخلوقا كثير التفكير والتأمل ، واسع الشهامة محبا للحرية مثابرا في عمله ، على خلاف الاله غير المنطقي ، العنيف المضطهد ، قاسي القلب ، حتى ان الكثير من القراء الملتزمين باكمل الاخلاق يخشون ان يكون ملتن شانه شأن القاصين الحديثين ، قد عرف الخير والشر ولكنه لم يستطع التمييز بينهما .

ومما يحير الخاطر ويبلبله ان يضطر ملاك الرب الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحذير آدم لئلا يطوف فى الارض ويبحث عن الاسباب والنتائج ، على حين يلح الشيطان بالتساؤل والبحث والاكتشاف . واذا اخذنا تقدير ملتن للذكاء بنظر الاعتبار جاز لنا ان نعد كلا من العالم واللاهوتي من اتباع الشيطان.

ولولا قصر الوقت لتتبعنا هذا التثمين للذكاء من طريق القصة الانكليزية . ومع ذلك ، ينبغي ان نرى كيف يفرق الكتاب بين الذكاء والصلاح ، فعند فيلدنغ او سكوت ، تاكيري أو دكنز يبدو لنا بطل القصة الانكليزية رجلا مخلصا ديدنه ارتكاب الاخطاء ، ولكنه ، فى اخر فصل ، ينقذ بنعمة الله ، بعد ان يكون قد اربك حياته اشد الارباك . اما المراة العزيزة التي يتزوجها البطل فهي ، الا فى احوال شاذة قليلة ، اقل منه ذكاء . وحين يتزوج دافيد كوبرفيلد اغنز، لا تبدو آفاق السعادة بهيجة .. ان اغنز هي اكثر حكمة من (دورا) ولكننا لا نعجب بها بسبب من هذه الميزة بل للصفات العظيمة التي عرف بها قلبها ، كالصبر والتواضع والاخلاص . وهذه هي ايضا صفات بطلات تاكيري الصالحات كلورا او الليدي كاسلوود. اما بياتركس ازموند وبيكي شارب فحظهما حظ عاثر على الرغم من ذكائهما .

وما له اهميته غير القليلة ايضا العاطفة التي يمحضها القاص الانكليزي لابطاله الثانويين كالسيد بوفن فى قصة (صديقنا المقابل) او هاري فوكر فى قصة (بيندينيز) . ان هذه الشخوص تؤنسنا ونحن نشعر بتفوقنا عليها ، ولكننا نتفق مع القاص بالاعجاب بهؤلاء حينما يتخذون مراكزهم فى القصة . ومع ذلك ، فاذا كان احد الفرنسيين، ولنقل بلزاك هو الذي يعرض علينا مثل هذه النماذج ، لجعلنا نشعر كما فى (الاب غوريو) او (اوجيني غراندية) بالاعجاب بالطبيعة الهادئة الموالية حسب ، بل لادركنا الرحمة على هذه الطيبة المصفدة باغلال الغباء والابتذال . الاستمرار على هذه الطريقة براحة بال . فماذا كان يمكن وهذه المقارنة العنصرية تساعدنا لفهم انفسنا. وباستطاعتنا ان يفكر سقراط بالسيد بكوك او (مختار ويكفيلد) او (دافيد كوبرفيلد) او (ارثر بيندينيز) ؟ ..

انا لست بحاجة الى الاعتراف بان هذا التقرير عن الادب الانكليزي غير واف . ودعني اسارع الى القول : انني اعرف ان القارىء سينكر هذه المعالجة الارتجالية نوعا ما ، المعالجة التي تمس الكتاب النبلاء الذين يحبهم . ولعله سيدهش كيف يمكنني زيادة حبه للادب بهذه الملاحظات المنكرة غير العاطفية . اما انا فلست اعني الان بحبنا للادب ، بل استخدم هذه الملاحظات كاداة لاثارة مشاعرنا . ذلك باننا اذا كنا نحب شكسبير وملتن وسكوت وديكنز وتاكيري ، من غير ان نعرف ما فى كتبهم من ميزات تجتذب اعجابنا ، فان اعجابنا سيكون بعيدا عن التمييز . واذا كنا لا نملك التمييز ولا نثار بفقداننا له فعندئذ يحق للحكيم الا يعد الذكاء بين فضائلنا . ومن المؤكد انه من السخف ان نحسب الادب الانكليزي مفتقرا الى خزائن الذهن البشري ، ولكنه ــ مع ذلك ــ يحجز لهذه الخزائن منطقة صغيرة من جنباته . انني ادرك اقتصاري على جانب واحد من الادب . وقد يمكن ان اكون قد بالغت نزولا عند ارادة الجدل . وايا ما كان الامر ، فتاريخنا يفضح الحرب المستعرة بين الاخلاق والذكاء ، الحرب التي لا يمكن ان تدرك لدى اليونانيين . ان الرجل الانكليزي العظيم شانه شان معظم مشاهير اليونانيين يملك ذكاء واخلاقا فى الوقت نفسه . ولكن الرجل اليوناني الشهير يبدو نموذجا للجنس اليوناني على حين يبدو الرجل الانكليزي المعروف شاذا بالقياس الى شعبه ، وكثيرا ما يقدر فى بلاد اخرى . ومما يجدر ذكره انه بالرغم من الانسجام السعيد ــ فى نفسه ــ بين الاخلاق والذكاء . فهو غالبا ما يعجز عن ادراك قيمة ذلك الانسجام لدى جيرانه . وعندما رسم شكسبير صور ساسة هواة كالدوق فى مسرحية Measure for Measure كان بيرلي يقود الامبراطورية البريطانية ، فى عهد اليزابيث، وما اسرع ما اصبح فرنسيس باكون مستشارا للملك جيمس . وكان ملتن الصغير هو الذي رسم حياة العقل فى قصيدتيه (المتأمل) و (المسرور) واعظم ثمرة فلسفية فى قصيدته Comus ولما كتب ملحمته ربما كان هو اعظم مآثر انكلترا فى البحث العقلي والاستقلال الفكري تلك المآثر التي قلل من شانها فى قصيدته العظيمة . يتبقى لنا مع هذا بعض الشخصيات المعروفة فى تاريخنا الادبي ممن يملكون الذكاء ويؤمنون بجدواه. ومن هؤلاء سبنسر ــ قبل عهد شكسبير وبيرون وشيللي قبل عهدنا . الا ان انكلترا نبذت الثلاثة كلهم ، مع انهم محسوبون من افضالها على العالم . قد يكون ثمة عذر لنبذ بيرون وشيللي من قبل امة تحرص على اللياقة واصولها ، ولكن سبنسر اللطيف وانبل فيلسوف وارقى انسان فى ادبنا لا يقرأ لانه يطالبنا بأن نستخدم الذهن والقلب معا للوصول الى الاهداف السامية.

وهذا القدر من الحظ من شان الادب الانكليزي واف وكاف وهو كذلك لانه ليس من شعب ولا ادب يمكن اعتباره عظيما ما لم يستند الى الذكاء . صحيح ان انكلترا لم تنجب ساسة وعلماء من الطراز الاول حسب ، بل انجبت شعراء تناغمت ارواحهم مع الذكاء الرفيع ايضا . هذا شيء واضح ولكنني اسألكم ان تعيدوا قراءة التاريخ والروايات لتعرفوا مدى تقدير جنسنا للذكاء . ولم اعرض هذه المظاهر المناهضة للذكاء الا لاجعل منها تعليقا لسؤالي ــ كل ذلك بغية وضع السؤال موضعا يقتضيكم التفكير فى الذكاء ومقدار اهتمامكم به . وهؤلاء الذين يفضلون الاخلاق على الذكاء ليسوا الاوائل ــ فى هذا الشأن ــ اذ سبقهم الى ذلك سابقون . واذا نظرنا الى ما تحت تاريخ الشعب الانكليزي وتحت النظريات والافكار التي يعبر عنها ادبنا ، فسنجد فى طبيعة اسلافنا القدامى نوعا من الانحراف الذي لا يزال يحدد اخلاقنا ويحملنا على التحامل على العقل . ان بداية وجود ضميرنا يمكن تحديدها جغرافيا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فضميرنا انبعث فى غابات المانيا وقد والى اول مـــا والى الارادة تاركا العقل (الذكاء) جانبا . وسواء اكانت صعوبة الحياة فى مناخ قاس هي التي رفعت من شأن المواظبة على العمل ام لا فالالمان الذين عرفهم تاسيتوس : والسكسون كما عرفوا حين نزلوا انكلترا جعلوا فضيلتهم الاولى قـوة الارادة التي تخلق الاخلاق . اما الدهاء والمناورة فلم يكونا نافعين لهم ، انهم قد كانوا جنسا قويا يحب القتال ويفضل حل مشاكله بيديه .

وهذا الاعجاب بالقوة الوحشية كان ملازما للمثل الاعلى، مثل الاعتماد على النفس الذي نال ضربا من ضروب التأييد الاخلاقي . كان الرجل يعد صالحا بقدر التزامه بكلمته ، وكان يساند كلمته بضربة . ومما يقوله تاسيتوس : ان الالماني اذا ما التزم بعمل خاص او عام او اتفاقية ، جعـل السيف رفيق يده .. ولما يصبح هذا التوكيد على الارادة توكيدا اجتماعيا، يغدو الاتجاه الى المشاعر الاخلاقية واضحا. أما الشرف فيكمن فى استقامة الانسان ونزاهته وفى قدرته ورغبته للمحافظة على كلمته ، وعلى ذلك يصبح الانسان اعظم قيمة من عمله وكلمته . وعلى ذلك فالاقوال والاعمال كان يمكن تفسيرها بسهولة ، لا على اساس الحق المطلق او الشر المطلق بل على اساس مكانة الانسان الذي يقف وراء هذه الاقوال والاعمال . اذ كانت اعمال الرجل الشريـــر شريرة ، واعمال الرجل الصالح صالحة ، ثم جاء (فيلدنغ) فكتب (توم جونس) ليرينا كيف ان الانسان الصالح قد يأتي بالموبقات احيانا ، بصورة شعورية او لا شعورية . وقد يقوم انسان طالح بعمل صالح احيانا اخرى ، عن قصد او غير قصد . ومن حقيقة كون (توم جونس قصة مجنونة ـ الى الان ـ قصة خبيثة خشنة ، يمكن ان نقدر موقف فيلدنغ فنقول : انه لم يستطع تبديل دين قرائه . صحيح انه حدث بعض التقدم فنحن لا نصر على الجراح ان يكون قديسا حين يقوم بعملية من العمليات . ولكننـا كجنس بشري ، لا نزال بعيدين عن ادراك : ان عملا مـا يمكن ان يدعى عملا صالحا اذ ما هو انتهى نهاية خير ، وعلى المخلوق الذكي تبعة اخلاقية للبحث قدر الاستطاعة عما اذا كـان عمل ما يؤدي الى هدف صالح او طالح ، وكل نظام يستثنيه من تلك التبعة نظام شرير . فاذا اعطيتكم سما وقصدي ان اعطيكم طعاما سالما من كل غش ، فانا لم اعمل عمـلا صالحا ، وهذا اقل ما يقال ، الا اذا تركت جانبا كل ادعاء بالذكاء ، وعندئذ لا بد ان اشعر ببعض المسئولية لانني لم افرق بين السم والطعام . وعلى ما فى هذه القضية مـن بداهة ، ارى ان نداء ماتيو ارنولد للثقافة اشد بداهة منها . يقول : ان غرض الثقافة هو « سيادة العقل وارادة الله ». وهذا مثل انكليزي ، اما الفرنسيون فيقولون : ان غرض الثقافة هو « جعل الانسان الذكي اكثر ذكاء » .. ان ارنولد لم يعلمنا الشيء الكثير وكل ما فعله هو ارباكه لنا وقتيا . وجنسنا نفسه كثيرا ما كان يرتبك اذا ما صادفه الذكاء فى مئعرج من مئعرجات التاريخ .

لقد تحدثت عن تراثنا الاجتماعي كـانه تراث انكليزي محض ، حتى ان اسلافنا الذين لم يغادروا بريطانيا العظمى قط كانوا ورثة مدنيات مختلفة كالرومانية والفرنسيـــة والايطالية واليونانية ، .. ولكن الحال مغايرة بالنسبة الى امريكا اذ تبدو انكلترا فى تدن مستمر كمصدر للثقافـــة والدين والتعليم . اما ارضنا فهي تهضم جميع الاجناس. واذا كان بعضنا لا يخطىء كثيرا فذلك يعود لاختلاطنـــا بالقادمين الجدد الذين يقضون تدريجا على ما ورثناه من مقت للعقل ونقد للذكاء وابتعاد عن كل ما يقاربهما ، هـذه الطبائع التي هي من جبلة العرق الانكلوسكسوني وبدلا منها نرى انفسنا مدفوعين الى اعتناق محبة المعرفة (اليونانية الاصل) التي تؤكد ان الخطيئة والبؤس هما حصيلة الجهل وان المعرفة هي كمال الفضيلة .

صحيح ان بريطانيا حطمت الارمادا (الاسبانية) ونابليون باسلحتها الخاصة وارادتها فى النصر . ولكن لا تحل كـل المشاكل بالاستناد الى قوة الارادة فبعضها يحتاج الـــى الالمعية والذكاء ، فقد لا يأتي العدو جهرة وعلـى رؤوس الاشهاد بل غفلة وفى الليل الدامس كأنه رمح طائر ! ولذلك ينبغي الاعتماد على الاسلحة القديمة ، فى الظروف الحديثة، كما نفعل نحن الاميركيين شأننا فى ذلك شأن الانكليز ، ان الظروف الراهنة تحتاج مـنا مواجهة المشاكل لا التهرب منها ... ونحن كما يقول الفيلسوف نلعن العقبات،العقبات التي تصادفنا فى الحياة كأنها شياطين مردة ، فى حين انهـا ليست كذلك فهي عقبات حسب ..

اننا نعتقد ان العقل قد دخل فى حرم الدين نفسه واصبح فيه سيدا . ومنذ البداية عمل العقل على التقليـل مـن الخوف والاستزادة من الفرص (المتكافئة) وبهذه الواسطة اخذ على يد القس او رجل الدين وسلب منه سر من اسراره. وعلى ذلك فليس من العجيب أن يقاس خلو غرض حراس جميع الهياكل بنوع الترحيب الذي واجهوا به العقل .. ومما شاهدناه فى تاريخنا حلول الاديان محل بعضها بالتعاقب، وتسامي سيطرة العقـــل والحكمة وانحسار الخرافات ومخلفات العهود البائدة ، حتى جاءت الداروينية فهـزت اسس الكيانات النخرة ، فدهش من دهش وانهزم من اراد المقاومة ، وكان النصر للعقل الذي احتل مكانته اللائقة ، ومن هنا ازداد محبو العقل وتضاءل عباد الخرافة ، ومع ذلك فعلى محبي العقل ان يكونوا متأنين مع من لا يسري مسراهم ويرى رأيهم ويتأثر بعواطفهم فقد يجرح الذهـن القلب احيانا . ومن الخطأ الاعتقاد بوجود عواطف مشتركة تجمع الناس ، مختلف الناس ، على صعيد واحد . وقـد ثبتت تأريخيا ان لم يكن فرديا مقولة افلاطون : ان الجهالة هي الخطيئة والمعرفة والفضيلة وحدة واحدة لا تتجزأ .

اربيل ـ العراق **يوسف عبد المسيح ثروة**

انه شيء فظيع هدمتها القوى ، وفت فى عضدها ، واحال النور فى عينيها ظلاما .. مجرد التفكير فيه يرهقها ويرمضها . وحجبت عينيها بيديها لتتفادى المنظر البشع الذي واثبها .. بيد انه كان اقوى منها ، فآدها ، وهدها ، وذهبت الى بيتها دون ان تنبس بكلمة لصديقتها زينب التي نقلت اليها هذا الخبر غبعودتها من دمشق . يا ليتها لم تذهب اليها، وتهنئها بسلامة الوصول ، لكانت على الاقل تفادت سماع هذا الخبر الذي سعر النار بين ضلوعها . ما معنى حياتها بعد الان ؟ اهكذا الرجال دائما يتلمسون الخيانة لاقل بادرة .. ومع من ؟.. ما اقسى هذا المنظر .. هو وزوج ابيها الشابة يتمرغان فى الاثم وانت جوارح عائدة ، وتضاغت الما ودخلت بيتها ، وهي تبكي بحرقة .

وتراءى لها هذا البيت الصغير الانيق الذي كان مثوى احلامها الوردية سدفة فاحمة .. وتمنت لو ان النار اجتاحته ، واتت على كل شيء حتى لا يبقى منه اثر .. يذكرها بالزوج الذي مكر بها ومزق كرامتها. ان موته لا يكفر عن خطيئته التي مرغها بها ، وموتها بالذات لا يجدي شيئا . اين كلامه المعسول، وعواطفه الدافقة ، وغرامه المجنح ؟. كل هذا تلاشى امام اول امرأة بدت فى حياته، فداس كل هذه المقدسات لينقاد الى الهوى الداعر . صحيح ان الرجل حيوان لا يبغي سوى فريسة يلغ فى دمها . وماذا تفعل ؟ هل تقتل نفسها لترتاح من هذه الاوصاب الناحرة ام تطلب الطلاق ؟

وزحمتها الهواجس تأخذ بعضها برقاب بعض ، وفى كل منها تنبض صورة ربداء فيها اليأس البليغ ، والشقوة الجائحة .. واخرجها من تأملاتها الحزينة ، صوت واهينادبها: عائدة .. عائدة .

وارادت ان تصم اذنيها عن هذا النداء . لماذا تفني نفسها بتمريض ام هذا الخائن الذي هصر كل امانيها ؟

ولكن النداء تكرر ، وتثاقلت في مشيتها ، وولجت غرفة حماتها المريضة التي رفعت اليها عينين ثوى فيهما الالم من جراء المرض القاسي الذي تعانيه منذ امد طويل. وتمتمت: اين انت يا عائدة ؟

واحست عائدة بموجة جارفة من الحقد على هذه المراة التي جاءت بزوجها الى الوجود ، وتمنت لو كان فى مكنتها ان تنشب اظافرها فى عنقها، وتزهق روحها الخبيثة التي اتت بهذا الحيوان الذي كان من نصيبها ان تتزوجه ، ثم تبلغ به القحة ان يمزق كرامتها بهذه الخيانة المريعة التي تمجها النفس .

واستوت حماتها فى سريرها،ورنت

الشيطان غير ناظر

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

اليها طويلا ، وغمغمت : عائدة .. اراك حزينة .. ما السبب ؟

وحدجتها بنظرة قاسية، واشاحت بطرفها عنها ..

وقالت الحماة : عائدة .. ما بك ؟

ولما لم تتلق جوابا تجلى على وجهها الالم واستتلت : ارجوك ان تردي علي

واستطاعت عائدة ان تقول بصوت واه ممزق : لا شيء .

ـ لا تكتمي عني يا بنتي .

ـ لا يوجد شيء لاكتمه عنك .

ـ انك على غير عادتك .. اين مرحك ؟

ـ لا ازال مرحة بحمد الله .

ـ الحزن مطبوع على محياك ..



أتوسل اليك ان تخبريني بما يحزنك

وظلت جامدة كالتمثال ، معتصمة بالسكوت ، وقد انعقدت الحسرة فى عينيها ، وازاء الحاح حماتها المتواصل استطاعت ان تقول : انى مسافرة غدا الى دمشق .

ـ رافقتك السلامة . وارجو ان تقبلي ابراهيم عني .

وجرت سحابة من الاسى على وجه عائدة ، ولحظتها الحماة الذكية فقالت فورا : ارى انك غاضبة على ابراهيم .

ـ ساطلب الطلاق .

وارتاعت الحماة ، وصاحت : ماذا تقولين ؟

ـ ساطلب الطلاق .

ـ هل جننت ؟

ـ انني فى كامل عقلي .

ـ وحبكما العظيم الذي كان مضرب المثل .

ـ الى الجحيم هذا الحب .

ـ عائدة .. انت ولا شك تمزحين

ـ ابدا . انها الحقيقة .

ـ وما السبب ؟

وبكل بساطة قالت عائدة بلهجة مريرة : لانه خانني .

ورجفت الام ، وتطلعت اليها بذهول ، وقالت : مستحيل . ان ابراهيم يعبدك بعد الله ..

ـ لقد كف عن عبادتي .

ـ ثم تربيته العالية تمنعه عن هذا

ـ انك تقولين هذا لانك امه .

ـ اؤكد لك انها الحقيقة .

ـ اصبح حديث الناس فى هذه الخيانة .

ـ لا تخربي بيتك يا بنتي بسماع اقوال الناس .. فمن طبعهم العمل على هدم كل اسرة سعيدة .

وانفجرت عائدة باكية : انها الحقيقة .. لقد انبأتني بها صديقتي زينب التي عادت فورا من دمشق .

ـ لا تصدقيها .. انها كذابة .

ـ وما مصلحتها فى هذا الكذب ؟

ـ انها عانس .. ولذتها ان ترى الاسر السعيدة تتهاوى ..

ـ ابدا .. انها مخلصة لي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ يخيل اليك هذا .. ولكنها في اعماقها تحسدك على سعادتك لانها حرمت مثلها .

ـ لا يمكنها ان تختلق حادثة لم تحدث .

ـ تستطيع بكل سهولة .

ـ والانكى من هذا كله .. خيانته فظيعة .

ـ ابراهيم مخلص لك .

ـ ومع من ؟.. مع زوجة ابي .

وصرخت الام : كذب . دس .

وتهدج صوت عائدة وهي تقول : تصوري يا اماه .. لقد مضى شهر على ذهابه الى دمشق ليبحث لنا عن بيت ننتقل اليه ، وفي كل رسالة يبعثها الينا يتعلل بازمة السكن،ويعلن انه لم يجد البيت الذي يوافقنا . اتدرين لماذا ؟ بالطبع لانه استمرأ الخيانة مع هذه المرأة التي حلت مكان امي بعد موتها .

وحجبت وجهها بيديها ،واغرورقت عيناها بالدمع وهمهمت : اهناك افظع من هذا ؟

ـ اؤكد لك انها وشاية ملفقة .

ـ جميع الناس يتحدثون عنها .

ـ سافري .. وتأكدي بنفسك .

ـ وكيف اتركك وانت مريضة ؟

ـ المهم عندي ان تتلمسي بنفسك هذا الكذب .

ـ مستحيل ان اصل الى نتيجة. هل اسأل ابراهيم ؟ من الطبيعي ان يزعم انه كذب .

ـ انا اعرف ابني انه لم يتدنس في حياته .. لقد تزوجك اثر حب .. ثلاث سنوات امضاها ، وهو يعبدك في صمت .. انه يقدسك يا عائدة ، وقلامة ظفرك عنده بنساء الارض .

ولم يغمض لعائدة جفن تلك الليلة، فقد جثم عليها كابوس فظيع،ابراهيم ينحدر الى الهاوية .. وتمنت لو كان امامها لفتكت به وانهت حياته الفاجرة . لقد حطم حياتها ، وبلبل وجودها .. ولعنت نفسها لانها اندفعت في حبه دون هوادة . صحيح انها لم تحبه قبل الخطوبة . ولكنه عندما افضى اليها بانه ظل يحبها ثلاث سنوات دون ان يشير مجرد الاشارة الى عاطفته ، سمقت به الى الذروة ، ووجدت فيه الملاذ الذي تعوذ به في هذه الحياة التي قست عليها ، فانتزعت منها امها ، وحرمتها حنانها وبرها، وتزوج والدها وكفلتها جدتها لامها التي كانت تمت بصلة القربى الى ابراهيم . ورغم اتصالاتهما المستمرة ، وزياراتهما المتبادلة ، لم ينبس بكلمة عن حبه اللاعج الذي فاض بين جوانحه ، حتى خط مستقبله بعد ان تخرج من كلية الحقوق،ووجد وظيفة في شركة كبيرة تؤمن له العيش الرفيع . وكانت في كل يوم تجد فيه مزايا جديدة تحببه اليها.. حتى اذا نقل الى مقر الشركة في دمشق انقاد الى تلك المرأة التي ارادت تحطيم حياتها لانها تكرهها من صميمها . وكأنها لم تكتف باحتلال مركز امها حتى اشفعتها بافظع جريمة اقترفها انسان ، تثور بها الارض ، وتلعنها السماء . واختلطت هذه الرؤى في ذهنها ، فتضاربت بها الاحاسيس المتفايرة ، ومن خلال هذا الضباب الصفيق شع وميض في ذهنها الناضب، ارتاح له قلبها المتألم .. ستنتقم ، وستدق عنق هذه الفاجرة ، وبعدها لتذهب الى الجحيم .

ووافت دمشق عند الظهيرة . وذهبت فورا الى بيت والدها .. ورنت جرس الباب ، وفتح لها الاب، واستبدت به المفاجأة فعلته فرحة طغت على اساريره ، وضمها الى صدره ، وقبلها بحنان ، وهتف :اهلا وسهلا يا حبيبتي .

واسرعت اليها زوج والدها تستقبلها بحرارة وشوق ، وهي تقول : ما اسعدنا بك يا عائدة .

غير ان هذا الترحيب الحار زاد حقدها ، انها تعرف كيف تتقنع بالبراءة . وغلفت فيها نظراتها الآسية كأنها تراها لاول مرة . وتفاعلت بها نقمة شديدة ، ولو طاوعت نفسها لاسرعت اليها، والقتها ارضا ،وقعدت على صدرها ولن تريم عنه حتى تستل روحها . ماذا اعجبه فيها حتى عبث بقدسية الزواج ؟ انها عاطلة من كل جمال . واذا قارنت بينها وبينها وجدت فرقا هائلا ، فهي في العشرين من عمرها النضر تطفح بالسحر الريان، ويزدهي بها الشباب المنضور .. اما هي ، فقد نطحت الاربعين ، وذوت فيها كل نضرة .. ولكن الرجال دوما عيونهم فارغة ، يستمرئون الحرام.. وليس ابراهيم الا واحدا من القافلة الكبرى التي تنتظم الرجال .. الذين يجدون في الهوى المسروق لذة مشبوبة الاوار .

وتهالكت على اول كرسي صادفتها، وقد نصل لونها ، وبهت فيها الرواء. وقال ابوها : يبدو انك متعبة من السفر

ـ لا .. يا بابا . انا مرتاحة .

ـ وما معنى هذا الشحوب ؟

وقدمت لها زوجة الاب المرطبات ، وهي تقول : اننا اسعد الناس بمرآك الجميل يا عائدة .

ورفضت ان تتناول كوبا من الليمون ، والحت عليها زوج ابيها قائلة : انه ينعشك ، ويزيح عنك وعثاء السفر .

ولكنها صرخت : لا اريد .

وحدق بها الاب وقال : لماذا غضبت يا عائدة .

وقالت الزوجة : انها معذورة .. فهي متعبة من السفر .

واجابت عائدة بلهجة جافة :كلا.. لست متعبة .

وقال الاب : لماذا هذه العصبية يا عائدة ؟ عهدي بك رقيقة كالزهرة لينة كالنسمة .

بيد ان عائدة لم تسمع ، ولم تعي شيئا . كانت في عالم اخر .. نفسها تتلظى على هذه الممثلة التي برعت في اتقان دورها ، وتنسيق الوانه .. ولو اصاخت الى نداء قلبها لوثبت بها ، وجثمت على صدرها .. ولن تذرها حتى تحشرج الحشرجة الاخيرة .. وستكون لهذه الحشرجة نغمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موسيقية لها حفيف تطرب لها روحها الظميئة الى الانتقام .. وسرحت بصرها فى البيت الذي شهد اثم زوجها .. مع هذه الافعى .. لقد سكن فى هذا البيت كما اخبرتها زينب .. وكان يهتبل فرصة ذهاب ابيها الى عمله ليندفع مع هذه الرقطاء فى الغواية ونهيب الحب الحرام .. واعتمل بها تقزز كريه ، وغلبها الوجد ، فتفتت نفسها حسرات ، وعبرت بها رؤى قاتمة ، وضاقت انفاسها حتى اوشكت على الاختناق .. واخيرا استطاعت ان تكبح جماح عواطفها المتدافعة ، وقالت : واين ابراهيم يا بابا ؟

ـ والله .. لا بد ان اشكوه اليك.

ـ لماذا ؟

ـ لاننا لا نعلم ان كان فى دمشق ام غادرها .

ـ وكيف هذا ؟

ـ زارنا عند قدومه دقائق معدودات وعزمنا عليه بالحاح ان يحل ضيفا عندنا ، فرفض ، ولم نره بعدها ابدا.

ـ الم يسكن معكم فى هذا البيت؟

ـ قلت لك اننا لم نره سوى بضع دقائق .. حتى انه ابى ان يتنازل ويتناول الغداء معنا .

ـ واين يسكن الان ؟

ـ والله لا اعلم .

واستنارت بصيرتها ، وتهللت قسمات وجهها ، وادركت كل شيء. وقامت الى ابيها ، وطوقته بذراعيها ، وقفزت الى زوج ابيها ، وهتفت ، وهي تضمها الى صدرها : ناوليني هذا الكوب ... ان الحياة لذيذة .

وذهل والدها ، وتمتم : ماذا بك يا عائدة ؟

ـ انا سعيدة جدا يا بابا .

وعقبت زوج ابيها : ان شاء الله سعادة دائمة .

وجرعت كوب الليمون ، وهي تجد له مذاقا عذبا سحريا لم تعهده في حياتها ، وقالت : انا خارجة يا بابا .

ـ الى اين ...

ـ الى ابراهيم .. سأجده فى الشركة ..

وامتطت «تاكسيا» وهرعت اليه فى مكتبه ، وكان غارقا فى الاضابير ، وتمنت لو كان وحده لتلقي نفسها عليه تستغفره لسوء ظنها فيه ، وسماعها الوشاية التي نفثها الحسد، والكبت والثرثرة المريضة ..

ووومضت عينا ابراهيم ببريق السعادة ، وهو يصافحها بحرارة ، واستأذن من رئيسه ، وخرج معها ، وتأبط ذراعها وقال : انها مفاجأة .

وقاطعته فرحة : لماذا لم تسكن فى بيت والدي ؟

ـ هذه كانت فكرتي لاول مرة .. ولكنني عندما شاهدت خالتك لم استطع ان اعود مرة اخرى .

ـ ولماذا ؟

ـ لانها المراة التي احتلت مكان ام معبودتي فشعرت نحوها بكراهية شديدة .

ـ وما ذنبها ؟

ـ لا ذنب لها.. ولكن هذا احساسي.

ـ انت عظيم يا ابراهيم ..

ـ وما مناسبة هذا الاطراء

ـ مناسبته .. انني احبك ، وسأظل احبك الى الابد .

ما اروع هذه الكلمات يا عائدة.. وكيف امي ؟

ـ بخير .. والحمد لله .

ـ وجدت بيتا يوافقنا منذ يومين وعقدت الايجار ، وكنت مسافرا اليكم هذا المساء لاصحبكم ..

ـ الله لا يفرق بيننا يا ابراهيم .

ـ آمين .

طرطوس — محمد حاج حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شوق ذبيح

في اي روض سقاك الطل سوسنة ... تفتحت فاستفاق النور والعبق

رفقت فى ثغري الظمآن اغنية ... يستاف منها الضحى والليل والغسق

أومأت فأتشح الافق الجديب منى ... بكل لون ندي يعشق الافق

صبية الصدر لا ترتاح اغنيتي ... ان لم اكن فى لهيب الصدر احترق

اسر فى اذنك الصماء ملحمة ... ضلت خطاها، وماتت دونها الطرق:

معذب جاء يستشفيك .. علته ... الحب واليأس والحرمان والقلق

أعل نارك لا اروى.. واخيلتي ... سود تزاحم.. لا فجر ولا شفق

ومخدعي قبو اوهام تمزقني ... فها انا فى حنايا وحدتي مزق

يأبى الهوى ان تنامي الليل هانئة ... بينا انا ، ههنا التسهيد والارق

قالوا : مراهقة لا تستقر على ... حب. اكاد اقول : الحق ما نطقوا

بغداد — محمد راضي جعفر



تكوين الشخصية

تاليف الدكتور نوري الحافظ ـ تقديم الدكتور معمر خالد الشابندر ـ ١٤٤ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد

هذا موضوع خطير بالنسبة للشرق العربي ، وذلك لحاجتنا الماسة اليوم الى تكوين شخصيات قوية تستطيع ان تحمل المجتمع العربي الجديدعلى كاهلها وتسير به قدما الى الامام .

ويؤسفني ان اقول ان الشخصيات القوية الضليعة ، والجديرةبتحمل المسؤوليات بمفردها اقل بكثير مما نحتاج اليه . ولا ندري ما العلاج ؟ فقد قيل لنا ان الاصل فى تكوين الشخصية المتينة هي الثقافة وها نحن اولاء نجد ان التفسخ في الطبقات المثقفة اكثر تفشيا منه في الطبقات العامة او الامية ، وانا اعرف شخصيا احد هؤلاء المثقفين ثقافة عالية ومن المولعين بالمطالعات المتنوعة وبالبحث والتتبع ... ولكنه ما ان تقلد منصبا اداريا حتى انتصب شيطان الانانية فى نفسه بكل شرهه وعتوه وجبروته ، ولقد تخطى القوانين والانظمة ، ولكنه مع ذلك لا يزال يتحدث عن المثاليات والفضائل الفردية والاجتماعية والمثل العليا ، تضليلا للسذج وتمويها لجاهلي حقيقته .

هذا نمط من الشخصيات المتفسخة المتهرية ... والخطرة فى الوقت ذاته ... غير انها مع كل ذلك شخصية مثقفة ، ومثقفة جدا . وامثاله ـ والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ـ كثير فى المجتمع العربي. فهناك كذلك ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ من نال الشهادة العالية ودخل سوق المتاجرة بالمبادىء الوافدة والمحلية معا ... واتخذ النفاق والتضليل ذريعة ... وراح يتقدم ويثرى على حساب غيره بدون اي خجل او حياء ... هذه نماذج مؤسفة من الشخصيات التي يعج بها مجتمعنا العربي ، فالثقافة وحدها لا تكفي لتكوين الشخصية المستقيمة ، وانما اس البناء هي التربية الصحيحة مضافا اليها الثقافة الاجتماعية السوية .

ولقد عالج المربون وعلماء النفس فى شرقنا العربي هذا الموضوع مشكورين ولكننا لا نزال بحاجة الى المزيد من هذه البحوث القيمة ، ولقد كان آخر ما طلعت به علينا المطابع كتاب « تكوين الشخصية » للدكتور نوري الحافظ الاستاذ بجامعة بغداد، وهو من الكتب التي قرأتها بامعان وشغف، قرأتها والقلم بيدي لئلا تفوتني ملاحظة قد تعن لي اثناء مطالعتي اياها . فعلت ذلك لا لان هذا الكتاب فى علم النفس وانا مولع بالدراسات النفسية وعلاقتها بمختلف الانتاجات الادبية من منظوم ومنثور ، ولا لكونه يرشدني الى تفهم بعض الشخصيات وكشف النقاب عن اوجهها الشوهاء المسوخة التي تخدع المجتمع حينا من الدهر كالشخصيتين اللتين اسلفناذكرهما، ولا لانه من وضع صديق كريم تجمعني واياه زمالة طويلة وصداقة سنوات حافلة ، بل لان الكتاب يغري بالمطالعة ، ويستدرج قارئه الى الغوص فى صفحاته دون تلكؤ .

ومما يسر المطالع ان تكون المقدمة للدكتور معمر خالد الشابندر قيمة كذلك . واننا لنتفق واياه كل الاتفاق حين يقول (ص ٩) : « ان الاختبارات النفسية ضرورية ... فى ايجاد العمل المناسب للشخص الملائم ، ولن يستقيم الحال فى مجتمع لا يوضع افراده فى مواضعهم الصحيحة على ضوء الخبرة المستقاة من اساليب علم النفس الحديثة » .

لقد اعتمد المؤلف على (٣٥) مصدرا (١٠) منها مصادر عربية والبقية انكليزية ويظهر انه استطاع ان يهضم هذه المصادر جميعا ويقدم لنا خلاصة تحليله مستوفاة لها فى خمسة فصول تتدرج من تعريف الشخصية الى ماهيتها ومقوماتها ونواحي القوة والضعف فيها وتنتهي بتكوين الشخصية الجيدة ... كل ذلك فى ١٤٤ صفحة مركزة .

هنا يجب ان اعترف اعترافا صغيرا وهو انني مع تقديري لعلم النفس اجده علما خطرا فى ايدي انصاف المتعلمين ... وبصورة اخص تحت اقلام غير الناضجين من المؤلفين . ولكن كتابا من النمط الذي بين يدي لا يخيف ولا يحمل احدا على التردد فى تقديمه الى الشبان الذين لم تتكامل شخصياتهم بعد ، لانه كتب بتعقل ورزانة ونضج ، ولكن ذلك لا يعني انه خلو من روح الطرافة فمن طريف ما يذكره لنا ان اللفظة الانكليزية لكلمة «الشخصية» قد اشتقت من « القناع والوجه المستعار الذي كان يلبسه الممثل فى العصور القديمة ... ليظهر امام الناس وامام الاعين بمظهر معين ومعنى خاص» أ هـ . اذن فالشخصية فى الاصل لا تخلو من التكلف والظهور بغير المظهر الحقيقي للانسان، على انها مع ذلك لها سمات طبيعية تتميز بها ولا يمكن ان يغتصبها شخص آخر بيسر ولمدة طويلة .

ويظهر ان المؤلف قد تاثر بمذهب الوجوديين القائل بان كل انسان كائن لا نظير له بل هو شبه آلة فى تكوينه وتصرفاته اذ يقول :

« فكل انسان من حيث كونه ظاهرة وحيدة متميزة ولا تتكرر ابدا على طول الزمن ، ومن حيث كونه لا يوجد من يشبهه شبها كاملا فى اي كان ، يعتبر من هذه الوجهة موضوعا لا تنص بتفسيره تفسيرا تاما ، القواعد العامة التي نستمدها من علم النفس العام » (ص ١٢) .

فكلامه اذن مذهب الوجوديين ملطفا ، ولكنه مع ذلك محق فى ما ذهب اليه فقد تكون هناك ظواهر نفسية شاذة لا تنطبق عليها القواعد العامة ولا بد من ايراد مثل هذا الاستدراك فى المقدمة . بيد انه تحضرنا كلمة للبروفيسور جي . بي . ا س . هالدين فى كتابه «عدم تساوي الانسان» يصرح فيها ان الشخصيات الانسانية مهما كانت متعددة بحيث تتحدى الحصر فان قسما منها يتكرر على مدى الازمان . ذلك لان الشخصيات على ضخامة عددها محدودة فى حين ان الزمن غير محدود فلا بد لها اذن من ان تتكرر .

ولقد حاول الاستاذ جهد امكانه ان يعرف الشخصية تعريفا مرضيا ولكنه ـ على ما يظهر ـ كان كمن يحاول تعريف الحب او الجمال او الامور المعنوية الاخرى التي تتحدى التعريف ولكنها تقبل الوصف التقريبي . وهذا ما حصل فى بعض التعاريف الجيدة التي جاء بها المؤلف للشخصية فهي وصفية اكثر منها تعريفية محددة . ومن اجمل هذه التعاريف او الاوصاف قوله عن الشخصية بانها : « القدرة على التاثير فى الغير او الاثر الذي يتركه الشخص فى من حوله » (ص ١٦) .

وينفي المؤلف كون الشخصية انطباع الفرد بحضارة المجتمع وهو محق اذ ـ كما قال «شوبز» ـ لو ان الناس فى مجتمع من المجتمعات يتصرفون على نمط واحد ويفكرون تفكير رجل واحد ويشعرون الشعور نفسه ، لما كان هناك وجود للشخصية على الاطلاق » (ص ٢٠) .

وفى فصل ماهية الشخصية يبدو التفاوت الكبير بين الناس فى الاتفاق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الصفة البارزة للشخصية فمنهممن يراها «في المرح والغبطة والسرور والابتهاج . ومنهم من يراها في الشجاعة والجرأة والعزم والاقدام ... ويزيد اناس آخرون على كل هذه السجايا والمميزات ، جمال الوجه وبهاء الطلعة والابتسامة المشرقة ... » (ص ٢٣) . وصاحب الشخصية هو الذي يثير انتباه الناس ويبعث فيهم الفضول » .

وكم كنت اود لو ان الدكتور الحافظ لم يعر اهتماما خاصا لاولئك الناس الذين يرون الشخصية في الرجل الاعتدائي المتكالب الجشع لان الانسان الذي لا يعرف المؤلف حق المعرفة يكاد يتصور في بعض صفحات الكتاب انه يؤيد هذا الضرب من الشخصية وما هو كذلك ولعل دافعه الى ذلك هو شيوع هذه النظرة الفاسدة في دور من ادوار انحطاط مجتمعا مع الاسف فاراد ان يتقصاها بالتفصيل .

ومنهم من يرى الشخصية في اللباس والمظهر الخارجي وهذه نظرة الاكثرية الساحقة من الناس ولكنها ما هي بنظرة الخبيرين بطبائع الناس ودارسي علم النفس قد يكون الشخص المقهور الرث الثياب ذا شخصية جيدة بل ساحرة على الرغم مما هو فيه من سوء الحال (ص ٦) .

الا انني لا اوافق المؤلف في حشر «تاكيد الذات» كصفة من صفات الشخصية القوية . فتاكيد الذات نقيصة من نقائص الكثيرين عندنا وقد ناقشت بعض اصدقائي المثقفين الذين يغالون في «تاكيد ذواتهم» فقال احدهم : ما ذنبي اذا لم يقدرني المجتمع ؟ يجب ان افرض نفسي فرضا » وقال آخر : « ان المجتمع يقدرك بقدر ما تغالي باهميتك . لذلك فانا اجلس في صدر كل مجتمع ادخله » .

ولا اوافقه كذلك في حذف عنصر الثقافة كعنصر لازم في تكوين الشخصية الجيدة (ص ٢٨) فاية شخصية جيدة في انسان متزن طيب لا ثقافة له . انك تحبه وتحترمه ولكنك تشعر دوما ان هناك ما ينقصه وانك لا تستطيع ان تعطيه اعلى درجات الشخصية القوية في سلم الشخصيات ولكن لو خيرت بين الثقافة الممزوجة والخلق العالي الخالي من الثقافة لتكوين الشخصية لاخترت الثاني ، بيد انني مع ذلك افضل الخلق العالي مع الثقافة على الخلق العالي المجرد منها .

ويعجبني ان الاستاذ الحافظ اخرج من مؤهلات الشخصية الحسب والنسب وجمال الصورة ، ولكن يجب الا نغالي في هذا الشأن فمع ان هذه ليست عناصر جوهرية فانها من متممات الشخصية القوية المتكاملة فاي شيء قال من شخصية الجاحظ في زمانه غير دمامته وقبح صورته مما جعل الخلفاء يعرضون عن توليته منصب الكاتب في الديوان او المؤدب لابنائهم ، واذا كنا نبحث عن الاصالة في الخيل وبعض الحيوانات الاخرى فما احرانا ان نبحث عنها في الانسان وهو سيد الكائنات الحية ؟

اخشى ان المؤلف احيانا يستخرج قواعد عامة من بعض الحالات الخاصة فان اخفاق ممثلة او بضع ممثلات جميلات على خشبة المسرح ونجاح بعض القبيحات لا يعني ان التمثيل الجيد صنو للدمامة والقبح (ص ٢٨).

وكما ان الشخصية القوية قد تتوفر في الشخص الجميل والقبيح فانها قد تتوفر في الرجل الصحيح المعافى وفي العليل السقيم فقد قضى فولتير معظم حياته عليلا سقيما كما ان دارون قرأ ودون اكثر بحوثه في فراشه فليست الصحة اذن من الدواعي الاساسية للشخصية المتينة .

اما اقوال الباحثة «كرين بي» بان اكثر الناس يفضلون الجمال والقوة وحسن النية — في الشخصية — بدلا من الذكاء الخارق ، فذلك لان اكثرية الناس من متوسطي الذكاء فهم لا يستطيعون مجاراة خارقي الذكاء في افكارهم واعمالهم فهم لذلك متعبون بالنسبة اليهم فيفضلون آخرين غيرهم ممن لا يكلفونهم عناء تفكير او مجاراة في عمل خارق لا يقدرون عليه فيشعرون بالنقص امامهم .

والفكاهة المعتدلة ضرورية للشخصية الجيدة الا ان الاسراف فيها محطمة لهاكل التحطيم ، وكذلك الحس الاجتماعي «وعدم تهيب المجتمعات» واللباقة من العناصر الاساسية وقد يكون صاحب هذه المؤهلات ذا ثقافة قليلة ولكنه يستطيع مع ذلك ان يتفوق اجتماعيا على من يزه بالعلم وتنقصه اللباقة .

ولا ارى مبررا في ان ننحني باللائمة على الشخص الانطوائي فالظاهر ان حضارتنا مدينة الى حد كبير الى اشخاص انطوائيين فضوا معظم حياتهم في المختبرات والمكتبات ليخرجوا على العالم بالجديد من مستنبطات عقلياتهم الكبيرة وقد اورد المؤلف فكرة طالما رددها برناردشو وهو ان الرجل المعقول هو الذي يكيف نفسه للمجتمع في حين ان الرجل غير المعقول هو الذي يحاول تكييف المجتمع لنفسه والتقدم لا يكون الا به . ويمكن ان نذكر من الشخصيات الانطوائية النافعة مثلا شخصية جان جاك روسو الكاتب الثوري واديسن العالم المخترع .

وقد يكون من المغالات ان نقول مع بعض الباحثين ان الشخصية الانبساطية تغلب عليها « الروح الاعتدائية ، وقد يرى الناس في سلوكه ضروبا من الانانية ونوعا من الاستهتار بمصالح الاخرين » (ص ٣٦) .

ونا ارباباي مؤلف في علم النفس ان يظهر الشخصية الشريرة ممجدة . وكما لو كان الناس يخافونها ويرهبونها ويقدمون لها واجب الخضوع والطاعة .

وليس من شك في ان الشخصية الطموحة المخفقة هي اخطر انواع الشخصيات في المجتمعات ولا سيما اذا كانت الطبيعة قد حبتها بشيء من الذكاء والعبقرية فهي التي تسبب الويلات والكوارث دون ان «تفلسف» او تبرر ما تجد نفسها فيه اذ ينقلب مثل هذا الشخص انسانا آخر يتميز بالقلق والاضطراب وتسود الدنيا في عينيه ، وقد يثور وينفجر وقد يتغطرس ويتجبر ويتمرد على الانظمة والقوانين والعرف السائد والقيم المتبعة ويصبح مصدرا للازعاج وسببا في تعكير صفو الامن ، وقد تجد بين امثال هؤلاء افذاذا اسيئت تربيتهم الاولى فانمسخت شخصياتهم مع الاسف وانتشرت بذور افكارهم السيئة فجنوا على انفسهم وعلى جيل كامل من البشر جعلهم قدوة له .

انني اعتقد جازما بان رجال التربية والتعليم مسؤولون في الدرجة الاولى عن ظهور امثال هذه الشخصيات الملوثة بالوان العقد وذلك لاهمال توجيههم واصلاحهم في ايام نشأتهم الاولى فان الطفل — كما قيل — ابو الرجل ، وكما يكون الطفل يكون رجل المستقبل ...

والشيء المهم هو ان تجعل المرء بوضع يتمكن معه من الموازنة بين دوافعه الفردية والاجتماعية (ص ٣٩) والا كانت شخصيته مقسمة المثل مجزأة الولاء او غدا شخصية متعصبة تعصبا جنونيا لناحية معينة واحدة (ص ٣٩) فالنقطة الاساسية هي توليد الحس الاجتماعي في الفرد .

على ان اعتبار الشخص الانطوائي شخصا انانيا قد لا يخلو من المبالغة اذ ربما يكون مثل هذا الانطوائي خجولا او منصرفا لعمل جدي معين كاكثر المكتشفين والمخترعين الذين لولا انطوائيتهم المثمرة لما توصلوا الى النتائج العظيمة في حياتهم كما ذكرنا ، فالانطوائية ليست امرا سيئا في الشخص ولو خير الحكم العدل بين التفريط في الانبساطية والانطوائية لفضل الثانية على الاولى لكونها اقل شرا ، فالثابت ان المجتمع ينمي ويربي مدارك الانسان ومفاهيمه ولكن الوحدة مدرسة العباقرة والنابغين .

غير اننا اذا تسامحنا مع فريق من الناس الخارقين في هذا الشأن فلا نتسامح مع الكثرة الكاثرة من الناس المتوسطي القابليات الذين يجب ان يخطوا لانفسهم طريقا وسطا بين الانبساطية والانطوائية ، لان الانطوائي المفرط قد لا يستطيع معالجة ما يجابهه من ازمات والانبساطي المفرط قد يضيع حياته في المجتمعات سدى دون ان ينتج شيئا مفيدا ينطبع بطابعه الذاتي نتيجة تفكير وتأمل بعيدين عن صخب المجتمع وجلبته .

ولقد احسن المؤلف صنعا حين التفت بين حين وآخر الى الناحية البايولوجية في تكوين الشخصية من حيث تاثير الغدد الصم وافرازاتها الداخلية ولكنه — مع ذلك — يحمل القول فيها فيقول « ان مزاج المرء وتكوين شخصيته لا يعتمدان كليا على درجة هذه الاضطرابات ومبلغ تلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النقائص الداخلية ، سواء أكانت نقائص في الافرازات ام في اعضاء الجسم نفسه بل يعتمدان في الحقيقة على الطريقة التي سيستجيب فيها لهذه النقائص وتلك الافرازات المضطربة» (ص ٥١) ويعيد نفس الفكرة في (ص ٦٢١) .

ويعالج المؤلف مختلف انماط الشخصيات وفيها الشخصية المذبذبة بين السوداوية والانشراح النفسي ويصف العلاج لمثل هذه الشخصية بالغوص في قرارة العقلين الواعي والباطن للتوصل الى كل ما يسبب هذا التأرجح والتذبذب في السلوك (ص ٥٦) .

وقد اصاب كبد الحقيقة حين قال ان سعادة الفرد تعتمد على مبلغ تجاوبه مع الاخرين والنزول عند رأيهم في كثير من الاحيان (ص٦٣) وكرر نفس الشيء (ص ١٢٤) واضيف هنا ان السعادة داخلية تنبع من اعماق الفرد ومن ينبوع ضمير صاف مطمئن باداء المرء ماله وما عليه ، ولانفرض فرضا من الخارج بمختلف صنوف الرفاه والمظاهر الكاذبة والسعادة الحقيقية هي لحظات خاطفة تستمتع بها وبذكراها الشخصيات السوية(١)

ومن الامور الممتعة التي يثيرها مؤلف تكوين الشخصية « ارتباط الامراض الجسمية بالعاهات النفسية » اذ يقول : « يفسر البعض ... من الباحثين ظهور اعراض بعض الامراض ، كالطفح الجلدي واحتقان الوجه وامراض جسمية اخرى ، على انها تعبير صريح للحقد الاسود الدفين ، وتنفيس مباشر للضغائن المكبوتة والتي لم يقدر لها الظهور بصورة طبيعية (ص ٦٩) .

ولم يفت المؤلف ان يشير الى ان الانظمة السياسية لها علاقة بنمو او قتل الشخصيات (ص ٧٠) فالحرية هي التي تخلق الشخصيات القوية.. دون خشية من قيد او خوف من كبت » (ص ٧٣) ولكنها مع ذلك «لاتعني اطلاق الغرائز على سجيتها» وينكر الدكتور الحافظ وجود كثير من الفضائل في المجتمعات القديمة لانها ناتجة عن قوة الشخصية والحرية والمساواة والايمان بحق المجتمع (ص ٧٣) وهو قول يدعو الى التأمل وقد لا يجد له من المشايعين الا انفارا معدودين ويضع خطا للتمييز بين شخصية المرء وخلقه (٧٤) على ان لا يعطي كبير اهمية للثقافة كما سبق ان ذكرنا تكون الشخصية ويمنح العاطفة الرئيسية او تعلق المرء بفكرة اساسية معينة اهمية خاصة في هذا الشان (٧٥ ـ ٧٦) ويظهر ان المؤلف لم يقتنع تمام الاقتناع بمدى قيمة الثقافة في تكوين الشخصية اذ يعود في الصفحة (٧٨) فيجعلها من العوامل الاساسية البارزة التي لا نستطيع تجاهلها « كما انه يؤكد ان التفكير الخلاق الذي يرتكز عادة على ثقافة واسعة هو الذي رفع الانسان الى اعلى درجات المدنية » (٧٩) .

بيد انني لاحظت ان المؤلف يخرج عن الموضوع بعض الشيء حين يغوص في البحث في ما يسميه بعملية التفكير » (ص ٨٠) ولا ينتهي منه الا بانتهاء الفصل (ص ٨٥) وكان بوسعه حذفه دون ان يؤثر ذلك على سير الكتاب ، بل بالعكس كان بالامكان جعله اكثر اتساقا وامتاعا .

فعملية الكتابة والتاليف على وجه العموم ليست مجرد ما يسطره الانسان على صفحات كتابه بل هي كذلك معرفة ما يجب ان يتركه في المحبرة من افكار

وقد تجد في الكتاب احيانا عودا الى موضوع معين حينا بعد حين وكان بوسعه ان يجمع هذه النقاط في مكان واحد دون تشتيتها كما فعل مثلا في موضوع الشخصية الاعتدائية التي عالجها في (ص ٣٤) (الفصل الثاني : ماهية الشخصية) وفي (ص ٨٧) (الفصل الرابع : نواحي القوة والضعف في الشخصية) .

وقد توصل الاستاذ الباحث الى نقطة مهمة كنت اشعر بها منذ وقت طويل ولكنه استطاع وصفها في قالب اكاديمي مقبول فقال : «يؤكد كثير من علماء النفس بان الكبرياء والفطرسة دليلان واضحان على ضعف الشخصية . وهما سلاح اولئك الاشخاص الجبناء الذين يعجزون ان يوحوا للناس باهميتهم وعلو شانهم» (ص ٩١) ... ثم يضيف قائلا : على المرء ان يتجنب الكبرياء والمجرفة كما يتجنب الاوبئة والامراض . وفي الحقيقة اننا لا نقصد من هذا كله تشجيع المرء على الاسفاف والتبذل.. او التساهل بكرامته وعزته (ص ٩١) .

ولا ادري كيف يجعل الدكتور نوري التحفظ والتحوط من عوامل ضعف الشخصية (ص ٩٤) في حين ان الرسول الكريم (ص) يقول : « حافظوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » الا ان يكون مثل هذا التحفظ والتحوط من السخف المبالغ فيه .

وقد لاحظت بعض الهنات اللغوية الهينات في الكتاب من نحو استعماله الخطأ الشائع «مشاكل » كجمع لمشكلة في حين ان الصواب «مشكلات» واعتبار « ما » مؤنثة في حين انها مذكرة دائما في نحو قوله « ان الله قد وهبهم .. من القابلية العقلية ما يجب استقلالها والصحيح: «استقلاله» (٩٩) على ان لفة الكاتب على العموم سلسلة سليمة ... ويبدو ان المؤلف لا يؤمن بالحظ والحقيقة ان الحظ موجود ولكن قد تختلف فيه التسميات ، سمه حسن المصادفات او « الظروف المواتية » او ما شئت فهو موجود كائن دون شك الا انه يجب الا نؤمن به ايمانا اعمى وبصورة اتكالية خالية من كل جهد او محاولة ، فالحظ لا يتأتى الا عن طريق العمل الدائب المستمر ، والفرق الوحيد هو انه ياتي لبعضهم بقليل من الجهد ولاخرين بجهود مضنية شاقة .

وحقيقة الرجوع عن الخطأ مظهر آخر من مظاهر الشخصية القوية (ص ١٠٤) والتعصب الاعمى من مظاهر ضعف الشخصية (ص ١١٠) .

واخيرا ينتهي المؤلف من وصف الفرد ذي الشخصية القوية الآسرة فيقول هو « ذلك الشخص المتطور المتجدد الذي يدرك ببصيرته ان عليه ان يواكب سير الزمن ... هو ذلك الشخص المفتوح الذهن الواسع الصدر الذي لايرى حرجا او باسا من الاعتراف بخطئه وقصوره» (ص ١١٢) .

وقد وقع الاستاذ في خطأ شائع حين جعل الحب الروحي مرادفا للحب الافلاطوني ونعته بالبريء (١٣٧) .

وقد لاحظنا انه خالف نظرية سلامة موسى في تكوين الشخصية حين قال : « الانسان لا يستطيع ان يحقق لنفسه شخصية جيدة ناجحة عن طريق رسم صورة ذهنية لنوع الشخصية التي يريد ان يحققها لنفسه او انه سيبلغها في يوم من الايام » (١٤١) وانا اعتقد ان الدكتور نوري في هذا على صواب وان سلامة موسى على خطأ اذ لا يكفي ان تحلم بالشخصية التي تريدها لنفسك دون ان تتامل في الامكانيات والمؤهلات المتوفرة فيك .

اما دعوة بعض الكتاب في عدم كشف الناس عن نواقصهم (ص ١٤٥) فهذه دعوة غير مستحبة لان الكشف عنها قد يؤدي في كثير من الاحيان الى وصف العلاج لها والقضاء عليها اما التستر عليها فيثبتها ولا يغير من الحقيقة شيئا وانما يؤدي الى كشفها بصورة غير مباشرة :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكان بودي لو انه عرض لبعض آراء الاقدمين من باحثي العرب في الشخصية ليكون بحثه اوفى واكثر تكاملا ولعله اراد ان يقتصر على بحث الشخصية العصرية دون غيرها واراء المحدثين فيها .

وعلى كل حال فالكتاب من الكتب الجيدة الناجحة في موضوعها ولا بد لكل شخص من ان يقرأه ولا سيما طلبة المدارس الذين لا تزال شخصياتهم في بدء التكوين هذا وارجو من الاخ الزميل ان يستمر في هذا الخط من التاليف فهو الذي يعوزنا ليقوم الموج من اخلاقنا وينقذنا من فوضى الاضطرابات النفسية .

بغداد صفاء خلوصي

(١) راجع ما ذكره البروفيسور ماك آيفر مفصلا في هذا الصدد في كتابه «البحث عن السعادة» من منشورات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .



درويش المقدادي رجل الوطنية والتربية

•

اقيمت في طولكرم بالاردن حفلة تأبين للمرحوم درويش المقدادي خطب فيها الدكتور قسطنطين زريق واكرم زعيتر وعبد العزيز حسين وغيرهم وهذه الكلمة خلاصة الخطبة التي ارتجلها يومئذ صاحب هذا المقال :

عرفت المرحوم درويش المقدادي لاول مرة سنة ١٩٢٧ ، وذلك لمناسبة محاضرة ما تزال بارزة في ذهني القاها رحمه الله في المكتبة الاسلامية ببافا . كان عنوان المحاضرة « مثل من عزم الشباب » ، وهو عنوان يصح ان اتخذه رمزا لشخصية ذلك الرجل الفذ الذي طواه القدر قبل اوانه منذ قريب ، والذي تجمعنا ذكراه اليوم .

كان ذلك منذ ما يزيد على ثلاثين سنة كما ترون ، والحرب العالمية الاولى واحداثها ما تزال ماثلة للناس تملؤهم رعبا وموعظة . وتقدم للخطابة في تلك المحاضرة المقدادي الشاب يتحدث عن شاب اخر بريطاني ما يزال اسمه يرن في سمع الايام ، وهو لورانس ، الذي يسمونه لورانس العرب ، رجل من ابطال الانجليز ، وان كان يثلم تلك البطولة شيء من روح الاستعمار ، ولا ريب .

لكن المحاضر المقدادي انحدر في حديثه كما ينحدر السيل . يريد ان يمثل لحشد من الشبان العرب كيف تكون التضحية الوطنية والصبر على المكاره وكيف يكون النصر . واشهد اني رأيت امامي مثلا من شباب العرب ورجالهم قل موضع حبي واكباري واحترامي ما حييت ، وعرفته ربما لاول مرة في حياتي ، كيف ينفذ قول الرجل المخلص الى قلوب الاخرين

ولست اتحدث في معرض تأبين وحسب ، فقد يندفع المرء في مثل هذه المناسبة الحزينة اندفاعا يظن معه السامع الكريم ان هنالك ذكرا للمحاسن وحسب ، ولكني في موقفي هذا اتحدث في غير مبالغة ولا استثناء . فالمقدادي كان رجلا كبيرا وبطلا من ابطال العروبة والقومية ، ولكنه يتوارى في امة طيبة لا تدرك الى الان حقائق الامور جميعا ، ومنها ان تكرم المحسنين في حياتهم كما تكرمهم بعد مماتهم .

نشأ المقدادي في طولكرم وتعلم في الجامعة الاميركية في بيروت . وعلم في الكلية العربية في القدس ثم لجأ الى العراق ، ومنها الى سوريا ، ثم الكويت . وتوفي عن عمر يناهز الثالثة والستين . تنقلات بسيطة اذا اخذتها على ظاهرها . لكن لجوءه الى العراق كان فرارا من حكم استعماري جائر . وفي ثورة سنة ١٩٢٩ في فلسطين صدر الحكم عليه بالسجن ثلاث سنين . وفي العراق اثناء الحرب العالمية الثانية اعتقل اربع سنوات متوالية ، وجرد من جنسيته واخرج من البلاد . فلما عمل في الكويت مسؤولا عن المعارف هناك . اقام ادارة واسس نظاما لن تنساه الكويت ، اذ قد سطر فيها سطرا خالدا لا يمحى ولا يزول .

وفي العراق كتب المقدادي الكتاب الذي عبر فيه عن نفسه : « تاريخ الامة العربية » . وهو الكتاب الذي يعبر عن امتنا بهذا التعبير الذي لا اعرف ان احدا استعمله قبل المقدادي بالمعنى العلمي الاتنوغرافي الحديث « الامة العربية » ـ امة واحدة من المحيط الى الخليج . هذا الكتاب الذي خرج قوافل متتابعة من اجيال الشباب العرب . وفي مقدمته يقول رحمه الله « الغاية من تدريس التاريخ القومي بث الفكرة القومية حتى ينشأ الطلاب وهم مؤمنون بان لهم كيانا وتاريخا وامة ، ولكي يحترموا امتهم وتقاليدهم ، فان الامة اليائسة البائسة التي يحتقرها ابناؤها مقضي عليها بالفشل والذل والهوان . ونريد من ابناء البلاد ان يتيقنوا بان امتهم جديرة بالحياة وان لها الحق في ان تعيش حرة متحدة مستقلة، ونعلم طلابنا التاريخ حتى يكونوا اهلا لحل مشاكلنا الحاضرة وتفهم مجتمعنا ، كما انهم يتحققون النتائج الوخيمة التي تنجم عن التفرقة والفوضى والانانية وعصبية القبائل » . واختتم المقدادي كتابه بهذه الكلمة : « فكما ان المانيا واميركا وايطاليا استقلت وعظمت باتحاد دولها واقطارها وولاياتها كذلك نحن ، قوتنا وعظمتنا باتحادنا هي بالوحدة التي خلقها سيدنا محمد منقذنا الاول . فكما ان الاوروبيين والاميركيين واليابانيين يتعصبون لوطنهم ويموتون من اجله ، وكما تعصب ومات الصحابة في سبيل اعلاء كلمة الله ، كذلك نحن ، يجب علينا ان نتعصب ونموت ونحيا في سبيل قوميتنا وتقاليدنا وادابنا ولغتنا وتاريخنا وفي سبيل قوميتنا العربية الشاملة » .

وليس افضل من هاتين الكلمتين دلالة على ما كانت تعتلج به نفس درويش المقدادي طوال حياته . لقد كان يشعر حقا ان كل بلد عربي بلده ، ولذلك لم يكن يسيغ التنقل من قطر الى قطر ليخدم فيه لما خدم فلسطين فترة من عمره . ومع ذلك فقد كان حنينه الى الاردن الجديد عظيما ، فقد كان يمثل عنده فلسطين التي ينزع منها الى ابطال ما قد ابرم الاستعمار في الجزء الغربي منه .

وكان يدعم هذه الرسالة عند المقدادي ، وهذا الهدف الكبير ، خلق عظيم ، هو ابرز ما في شخصيته حين نريد التحدث عنه ، فقد كان رحمه الله خلقا منسجما مع رسالة خالدة . كان صادقا لا يكذب ، مستقيما لا يلين . عادلا دون استثناء ، يقول الحق ولو على نفسه . وكان اقوى ما في خلقه ارادته العجيبة ، وكان يمتحن هذه الارادة بين آونة واخرى في حياته امتحانا قاسيا يبلغ عند بعض الناس موضع النقد . فلقد مشى على قدميه مرة من بيروت الى حيفا يريد ان يروض نفسه على الاباء لحادث وقع له . ولقد ترك التدخين اثناء نضال تونس في سبيل استقلالها ، فحلف ان لا يدخن الا في تونس المستقلة. واستقلت تونس ، ولكن الايام لم تتح للمقدادي ان ينفس عن ارادته . وكان وفيا لاصدقائه لا يجد عنهم بديلا ، ولا يضيع منهم احدا . ولم يكن يتعرض لاحد بسوء ولا يبادىء احدا بالعداء ، حتى اذا تعرض له احد رأيت كريما يثور ونعسا تتلظى بالاباء والعزة ، تدفع عنها الاذى دفعا عنيفا حتى يعود الحق الى نصابه ، لا اكثر .

ذلك كان درويش المقدادي . وانت اذ تقرأ سيرة لورنس تجد شبها بين الرجلين البطلين ، الا من مساءة اصاب بها لورنس اصدقاءه العرب عن قصد او غير قصد ، لم يجترح مثلها المقدادي مساءة ضد قوم او احد، انما كان يناضل ليدفع عن امته الاذى في سبيل وحدتها ورفعتها .

وانطوت جوانح المقدادي على هذا الهدف . فقد مات رحمه الله وهو اقرب اليه منه يوم بدأ حياته . ولولا ان الانسان المخلص ينسى ما قدم لامته من خدمة وما بلغ في سبيلها من مجد لمات المقدادي قرير العين لما قدم لامته في اكثر من قطر عربي ، ولعله يكون قد احس ذلك رحمه الله ، فمات قرير العين طيب الخاطر .

عمان — محمد اديب العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأدب العربي المعاصر ... والتراث

من خلال متابعتنا للآثار الادبية الصادرة عن الفئة الواعية من ادبائنا ، نستطيع من غير مشقة ان نتبين عددا من الظواهر الجديرة بالاهتمام ، ابرزها .. محاولة تلك الفئة الواعية رصد الاتجاهات الادبية العالمية ، سواء عن طريق متابعة المؤلفات المترجمة ـ وهي ضئيلة بالطبع ـ او عن طريق الحصول على تلك المؤلفات بلغاتها الاصلية التي لم تنلها الترجمة بالتشويه .

ولهذه الظاهرة اسبابها ودوافعها . فلقد فرضت الدولة العثمانية خلال القرون الاربعة التي اتيح لها فيها ان تنال من حرية الوطن العربي ، عزلة فكرية شديدة على الادباء والمفكرين العرب ، وهي عزلة يمكن ان توصف بانها تحمل الكثير من سوء القصد ، وتستهدف القضاء على كل صلة يمكن ان تنشأ بين الصفوة الممتازة من ابناء الوطن العربي ، وبين الحضارة الغربية الآخذة بالنمو والتطور .

ولقد كانت الاوضاع الاجتماعية في ذلك الوقت مهيأة لتقبل فكرة العزلة. ولم يكن ذلك الا بسبب بعض المعتقدات التي استطاعت ان تجد طريقها الى الذهن العربي ، فتفرض عليه نظرة اقليمية ضيقة تفترض ان المكان الذي يعيش فيه هو محور العالم كله ، وان لا شيء يستحق الاهتمام على هذه الارض . فكان ان حققت العزلة الكثير من اهدافها على مدى اربعة قرون من الزمن ، ذبل فيها الفكر العربي . وانقطع عن كل تطور يجري خارج الحدود المرسومة للوطن العربي . ثم كان القرن التاسع عشر نقطة البداية في سبيل تشتيت تلك العزلة وبعثرتها . وتمكنت فئة واعية عرفت طريق الخلاص ، من ان توحد قدراتها وتتجه في خطوات من يثق بمقدرته صوب الابواب الموصدة فتنزع عنها الاقفال وتدعها مشرعة لكل من يرغب في ان يطل منها على العالم الرحيب .

* * *

كانت الاتجاهات الادبية والفكرية وقتذاك قد تعاقبت على الغرب ، ومرت الاداب الاوروبية بمراحل متعددة من التطور ، اختص كل منها بخصائص معينة . فلقد اعقبت المذهب « الكلاسيكي » مذاهب اخرى يأتي على رأسها المذهب « الرومانسي » الذي فرض نفسه على ادب الغرب فترة طويلة من الزمن ، والذي كان نتيجة لتطورات كبيرة حدثت في المجتمعات الغربية . فلقد قامت الثورة الفرنسية محملة بشعارات « الحرية ، الاخاء ، المساواة » ، في الوقت الذي كان الغرب فيه يعاني من وطأة النظام الاقطاعي والانظمة الاستبدادية الاخرى التي لا تبيح للفرد ممارسة حريته باي شكل من الاشكال . كذلك فان ظهور المذهب « الرومانسي » يعتبر ردة فعل طبيعية لآداب القرن الثامن عشر . فلقد اعار ادباء هذا القرن في كتاباتهم قصور الامراء والنبلاء معظم اهتمامهم. وتميزت مؤلفاتهم الشعرية بخصائص عقلية تتنافى وطبيعة الشعر . فكان الشعر « الرومانسي » ثورة على العقل ، وتعبيرا اصيلا عن العاطفة الفردية المتضمنة مشاعر الحزن والفرح. وتوجه شعراء العصر «الرومانسي» الى الطبيعة واعتبروها الملهم الاول لهم . واعقب ذلك ، المذهب «الواقعي» الذي تميز به العصر « الفيكتوري » ، وهو عصر تميز بعدم الاطمئنان الى شيء . فلقد ظهرت لاول مرة نظرية « داروين » الشهيرة والقائلة بان الانسان لم يصل الى هذا الشكل الذي هو عليه الان ، الا بعد مراحل عديدة من التطور .

* * *

انفتحت الابواب الموصدة ، وبدأ عدد غير قليل من ادباء ومفكري الوطن العربي بالتطلع الى آداب الغرب كيما يستمدوا منها ما يمكنهم من مجاراة التطور ومتابعته . ولقد كتموا امرهم في بادىء الامر ، الى ان اتيحت لهم اللحظة المناسبة ، فقاموا يحطمون الاقفال ، ويدعون الى تسلق ذرى تمكنهم من ان يستجمعوا حضارات العالم كلها في قبضتهم ، وان ينظروا الى التطور الذي حققه الغرب على مدى قرن من الزمن ، نظرة من يرغب في ان يحقق لنفسه بعضا من الذي استطاع غيره تحقيقه ، لا نظرة الكاره المستعلي .

وكانت الدعوة الى ايجاد ادب وفكر عربيين على صلة بادب الغرب وفكره ، من جملة الدعوات التي نادت بها تلك الفئة الواعية من ابناء الوطن العربي . على ان هذه الدعوة لم تتمكن من ان تسلك طريقها المرسوم الا في الفترة التي اعقبت زوال الحكم العثماني ، حيث تهيأ الجو المناسب لتحقيق هذه الدعوة . فلقد استطاعت تلك الفئة الواعية ان تشق لنفسها طريقا عبر الحصار المضروب على الوطن العربي ، وقامت تدعو الى نقل التراث الغربي الى العربية . فاقبل نفر من الناس على تعلم اللغات الاجنبية ، ونبغ قسم منهم في تعلمها ، وكان لهم فضل كبير في نقل جزء ضئيل من الآداب الغربية الى اللغة العربية . على ان ذلك النفر الذي جند نفسه وامكانياته لتحقيق هذه المهمة الشاقة ، لم يكن يملك القدرة الكافية على العمل . فلقد تمكن الحكم العثماني من زرع البذور الفاسدة في نفوس الغالبية العظمى من ابناء الوطن العربي ، على نحو لم يعد فيه من الممكن اجتثاث هذه البذور او ايقاف نموها . وعلى هذا الاساس فقد عانت حركة الترجمة من ازمات متعددة لم تستطع الخلاص منها ، وكان من نتيجة ذلك ان تراجعت تلك الحركة مرة اخرى الى الوراء ، في الوقت الذي اشتد فيه ساعد الحركات الاخرى المناهضة لها .

ومن الامور الجديرة بالملاحظة ، ان الدعوة الى بتر كل صلة يمكن ان تنشأ بين الادب العربي والآداب الغربية قد اخذت تنشط في هذه الايام. ومن الظواهر التي تؤكد هذه الحقيقة ، الاراء التي اخذت تصدر عن بعض الفئات الداعية الى الاخذ بالمؤلفات العربية القديمة التي صدرت عن كتاب العصور الجاهلية وما بعد العصور الجاهلية ، كاساس لنهضة ادبية حديثة . ويقول اصحاب هذه الدعوة بعدم جدوى ترجمتنا لاعمال هيمنغواي او شتاينبك او سارتر او اليوت . وهم يعتمدون في دعوتهم هذه الى الفكرة القائلة بان ادبا عربيا اصيلا لا يمكن ان يخلق او يكتسب صفة الخلود ان هو لم يستمد اصوله من التراث الادبي العربي .. شعرا ونثرا وفلسفة وفنا . وهم يشيرون ـ في مجال اثبات صحة دعوتهم ـ الى الآداب الغربية . ويقولون بانها استمدت اصولها من التراث الغربي. ومجال حجتهم الاولى .. فسيح متسع . فمع الاقرار بضرورة العناية بالتراث العربي والعودة اليه في كل الاوقات ، فان هذه الحقيقة لا تنفي الفائدة التي يمكن ان نحصل عليها اذا نحن فتحنا نوافذنا على ثقافات العالم . ولقد سبقنا العرب الاوائل في هذا المجال ، وقامت عندهم ـ في وقت من الاوقات ـ حركة ترجمة واسعة النطاق ، امتدت الى معظم ثقافات العالم .

يقول الكاتب المعروف « محمد عودة » في مقال له بعنوان : «طريق السنة العاشرة » : « ان الامتصاص الثقافي والتفتح الثقافي ، تقليد عربي عميق الجذور ، وهو خاصة من جوهر خصائص الروح العربية . لقد هضم العرب وتشربوا كل فلسفات ونظم الرومان والاغريق ... وهضموا وتشربوا كل فلسفات وعلوم الهند والصين وايران ، وهضموا وتشربوا كل ما وجدوا في قرطبة وطليطلة واشبيلية » .

تلك اذن خاصة من خواص العربي .. اكتسبها من التجوال حول العالم ... والسعي الى الرزق في كل مكان ، على انها لم تلغ شخصيته وانما اكسبتها شكلا جديدا ، وزودتها بكل ما تتطلبه لكي تأخذ طريقها الى النمو والتطور .

اما الحجة الثانية التي يحتج بها الداعون الى ايصاد الابواب في وجه الثقافات الغربية فانها تنفي نفسها بنفسها . ذلك ن الغربيين لم يكتفوا بالتراث الذي يملكون ، وانما رغبوا في ان يستمدوا من ثقافات غيرهم ما يساعدهم على تطوير ثقافتهم والوصول بها الى اسنى الذرى ، فكانت الترجمة والنقل هما الوسيلتان الكفيلتان بتحقيق رغبتهم .

حصيلة هذه الحقائق كلها هي ان العزلة التي فرضت على الوطن العربي فترة طويلة من الزمن ، خلقت لدى الادباء والمفكرين العرب الذين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يركنوا الى هذه العزلة ، نوعاً من التحدي المقرون بالرغبة في تحقيق ما هو اكثر من المستطاع . وما محاولة الفئة الواعية من ادبائنا رصد الاتجاهات الادبية العالمية الا تعبيرا عن هذا التوق الى كسب الوقت والخروج على الطوق الذي ضرب على الوطن العربي تلك القرون الطوال من الزمن ، وهي في الوقت نفسه تأكيد للفكرة القائلة بان التراث وحده.. لا يكفي .

ان العملية التي تستهدف شق طريق عبر ثقافات العالم المختلفة ، كفيلة بان تقضي على آفة الغرور التي اصابتنا ، وكذلك على رؤيتنا المسطحة للاشياء ، وتعصبنا غير المبرر . كما انها كفيلة بان تكشف لنا عن صورة جديدة للعالم .. غير التي الفناها .

دمشق — صفوان قدسي

•

التآلف الفكري سبيل الى التجاوب بين الشعوب

الذي يطلع على الصحف العربية الصادرة في بيروت ودمشق وعمان وطرابلس الغرب وتونس والخرطوم وجدة ومكة المكرمة وبغداد يجد فيها صدى بعيد الترجيع لكل مبحث ادبي او قضية فكرية شغلت بال الادباء ووجدانهم في القاهرة ، فقضية الشعر الحر والموزون المقفى ما زالت موضع اخذ ورد في الصحف السعودية . وقضية الالتزام في الادب ما انفكت بؤرة لاهتمام الصحف اللبنانية وقضية الشيوخ والشباب هي اليوم موضوع الساعة في صحف دمشق . وقضية الشكل والمضمون في النقد تستأثر الان باهتمام ادباء الخرطوم . بل ان قضية امارة الشعر التي اثارها الشاعران امين نخله وصالح جودت في مهرجان تكريم الشاعر اللبناني الاخطل الصغير ، ما زالت موضوع تعليق صحف عدن. اما قضية الكتابة بالحروف اللاتينية التي اثارها الشاعر اللبناني سعيد عقل فهي حديث الصحف العربية .

بل ان ادباء الاقطار العربية يتشيعون الى حد الخصومة الحادة حول الادباء المصريين : ففي السعودية مثلا انصار لطه حسين يناوئون انصار عباس محمود العقاد ، وما اكثرهم . وفي العراق وشمال افريقيا لا يعجبون بكاتب اعجابهم بخالد محمد خالد المفكر الشاب المجدد البعيد التوقيد.

اما صحف لبنان الادبية فتبرز على صفحاتها اسماء ادباء من القاهرة قد يكونون مجهولين في الهيئات الادبية الرسمية وشبه الرسمية . فابراهيم شكرالله ، مثلا ، تعرفه مجلة «شعر» اللبنانية وتحتفي بكتاباته وتقدمه على كثرة من كتابها . ورضوان ابراهيم قلم معروف مشهور في لبنان والسعودية . ومحمد عبد المنعم خفاجي مسموع الصوت في «العرفان» في صيدا و « الحج » في مكة المكرمة . ووديع فلسطين اسم مشرق على صفحات «الاديب» و « العلوم » اللبنانيتين . وامين يوسف غراب بلغ اوج شهرته في لبنان قبل ان يثبت قدميه الادبيتين في القاهرة ، فكان وهو مقيم في دمنهور ينشر اقاصيصه في «الاديب» فاجمع القراء على الاعجاب به وتقديره تقديرا هو اهل له . ومحمد السيد الشوشه معروف في «الصياد» ، و « الانوار » اللبنانيتين . وهلم جرا . والشاعرة روحية القليني التي لا تكاد تجد لشعرها متنفسا في القاهرة ، تنشر قصائدها العاطفية في « الاديب » كل شهر . وهلم جرا .

والغريب ان بعض هاته الاسماء يكاد يكون نكرة في الدوائر الادبية القاهرية على الرغم من ان السفارة الادبية التي اضطلع بها اصحابها في البلاد العربية سفارة بعيدة الاثر عميقة الجذور جزيلة النفع . وهذه حقيقة يخلق تدبرها حتى لا يحس اولئك الادباء بجمود او كنود ، فمن غير المعقول ان يقتصر الامر في المؤتمرات واللجان الادبية على « الادباء الرسميين » ، فلا توجه دعوة الى الادباء غير الرسميين الذين كانوا ولا يزالون ذوي مكانة بارزة في الفكر العربي المعاصر .

وقد نشرت الصحف السعودية مؤخرا مقالين مطولين عن شاعرنا الكبير الموهوب الاستاذ « محمود ابو الوفا » وقالت انه من اعظم الشعراء ، لا في يومنا بل في تاريخ الشعر العربي على اطلاقه ولكن « محمود ابو الوفا » هذا ، الذي عبر جميع التخوم بشعره وقيثارته ، والذي ترجمت انا شيده الى الانجليزية والايطالية واليونانية ، يعيش اليوم في الشارع لا ترعاه هيئة ادبية ولا تكفله جمعية من الجمعيات الكثيرة المعروفة ، مع انه مهد للتآلق الفكري العربي منذ ثلاثين عاما بما كان يكتبه نثرا وشعرا في مجلة « المقتطف » وما كانت تتناقله عنها صحف العالم العربي والمهجر .

وهناك كثيرون من المشتغلين بالادب والفكر اخذوا على عاتقهم من زمن بعيد ان يعالجوا امور الادب على صعيد عربي جامع ، لا في نطاق محلي ضيق . ومن اولئك احمد حسن الزيات الذي فتح ابواب «رسالته» على مصاريعها ليتبارى فيها ادباء العروبة بلا حدود . ومنهم محمد عبد الغني حسن الذي كان شديد الحفاوة بكل اثر ادبي نفيس ، سواء صدر في بغداد او في دمشق او في بيروت او في حلب . ومنهم حسن كامل الصيرفي الشاعر الرقيق الذي استجاب لداعي العروبة في الادب منذ اشتد عوده فكان سفيرا ممتازا ، ولا يزال . ومنهم فؤاد صروف الذي حول « المقتطف » الى جامعة عربية وتبارت فيها اقلام الادباء والعلماء من كل مصر فتآلفت حولها القلوب واجتمعت افئدة الادباء بين دفوفها . ومنهم يوسف اسعد داغر الاديب اللبناني الذي اشتهر بالفهرسة « البيليوغرافيا » فاصدر كتبا نفيسة فهرس فيها للادباء المعاصرين والقدامى على نطاق عربي وخدم بذلك الادب والبحث العلمي خدمة تزيدها الايام جلاء وعظمة . وهناك وديع فلسطين الذي كان ولا يزال صديقا لاغلب الادباء العرب المعاصرين وادباء المهجر ، فهو موضع ثقتهم والساعي لخدمتهم والمذيع فضلهم . ولا اظن ان هناك من يجاريه في صلاته الادبية التي ينشئها وينميها ويوسع نطاقها معتمدا على ذاته لا على اي وظيفة رسمية. وهناك رضوان ابراهيم الذي سجل كل حدث ادبي مهما كان صغيرا ويوافي به كبريات الدوريات الادبية لتكون واقفة على الحياة الادبية عندنا وقوفا تاما .

والذي لا ريب فيه ان التآلف الفكري الذي اسهم فيه الادباء والمفكرون، كل بحسب طاقته وظروفه ، قد مهد السبيل امام التجاوب العاطفي الذي نعهده اليوم بين الشعوب العربية . وقد كثرت بيننا الهيئات الرسمية التي من وظائفها تثبيت دعائم هذا التآلف الفكري ، سواء بتبادل الرحلات او بتنظيم المؤتمرات الادبية او باحياء ذكرى الادباء الراحلين او بتكريم الادباء وكل هذا جميل ، واجمل منه ان تتنفع تلك الهيئات بكل جهد يبذل في سبيل تحقيق الالفة الادبية ، سواء أكان فرديا ام جماعيا . فليس من الجائز ان يشقى البير اديب صاحب مجلة « الاديب » العظيمة ، مع ان مؤازرة هذه المجلة الفاخرة تخدم الفكرة العربية في اقصى اطراف الارض، وتجعل صاحبها يتعزى عما ضيعه عليها من مال وجهد وكد عشرين عاما مجيدة . فليكن تآلف الادباء ذا شقين متوازيين متعانقين : شق رسمي تتولاه الهيئات التي نيطت بها هذه المهمة وشق فردي يتعهده الادباء فرادى . والهدف الاسمى هو تحقيق التجاوب الشامل بين امة العرب في المعمور كله . (وطني)

القاهرة — م. ك. بولاد

اعلنوا في

الاديب

المجلة التي تتداولها الاوساط

الاكثر استهلاكا لجميع الحاجيات

أنباء العالم في شهر

اغسطس ١٩٦١

٢٠ ـ اعلن ادولا وجيزنفا انه تم الاتفاق على مواصلة سياسة الوحدة التي نادى بها لومومبا للكونغو بكامله وحذرا كاتانغا من الانفصال

٢١ ـ عاد جونسون الى واشنطن . صرح : الايام القادمة تحمل امورا خطيرة لنا ولحلفائنا ولكننا على استعداد للوفاء بالتزاماتنا .

ـ عقدت الجمعية العامة جلسة استثنائية لمناقشة قضية بنزرت .

ـ انتخب مختار ولد داده اول رئيس لجمهورية موريتانيا .

ـ اعلن الملك الحسن ان المغرب سيواصل الكفاح لضم سائر اراضي المغرب في الشمال وفي الجنوب الى الوطن المغربي .

٢٢ ـ المظليون الفرنسيون يوسعون منطقة احتلالهم في بنزرت . صرح نهرو ان ازمة بنزرت اثبتت كيف يرد الاستعمار المتلاشي الضربات دون رحمة وبوحشية .

ـ اعتقلت دوائر الامن في ليبيا ١٠٠ عضو في حزب البعث بتهمة محاولة قلب نظام الحكم

٢٣ ـ شجب قادة الغرب في برلين القيود الجديدة التي فرضها الشيوعيون على حركة التنقل بين قطاعي المدينة وارسلوا قواتهم الى الحدود الشرقية الغربية في المدينة .

٢٤ ـ الغرب يرفض المذكرة السوفياتية التي تتعرض اول مرة لحرية الغربيين في استعمال الممرات الجوية المؤدية الى برلين الغربية

٢٥ ـ اعلن بو رقيبة انه اذا استمرت فرنسا في تجاهل السلطات الدولية بشأن بنزرت فان تونس لن تتردد في استئناف الكفاح المسلح .

ـ حذرت الولايات المتحدة الاتحاد السوفياتي بشدة بان اي تدخل في حرية مرور الحلفاء الغربيين الى برلين يعتبر عملا عدائيا تتحمل الحكومة السوفياتية مسؤوليته الكاملة .

ـ استقال جانيو كوادروس رئيس جمهورية البرازيل بعد مضي سبعة اشهر على رئاسته. قال في وثيقة الاستقالة الى الكونغرس البرازيلي : لقد هزمتني الرجعية . وسيتولى الحكم نائب رئيس الجمهورية غولارت .

٢٦ ـ اقرت الجمعية العامة مشروع الكتلة الاسيوية الافريقية بدعوة تونس وفرنسا لعقد مفاوضات فورية تستهدف سحب القوات الفرنسية من تونس .

ـ سلم الحلفاء مذكرات احتجاج الى موسكو حول حق استخدام الممرات الجوية في برلين

ـ انصار كوادروس يطالبون بعودته الى الحكم ويهاجمون السفارة الاميركية . العسكريون يحاصرون الرئيس المستقيل .

ـ استدعت الولايات المتحدة ٧٦٥ الف جندي احتياطي للخدمة .

ـ ابلغت الامم المتحدة تشومبي ان القوات الدولية ستوضع تحت تصرف ادولا «للتخفيف من انفصال كاتانغا» اذا رفض تشومبي السفر الى ليوبولدفيل للاجتماع بادولا . رفضت حكومة كاتانغا طلب الامم المتحدة وقال تشومبي ان شعب كاتانغا يفضل الموت على قبول حل ازمة الكونغو تحت تهديدات الامم المتحدة .

ـ اعلنت حكومة تشيلي انها احبطت مؤامرة يسارية تستهدف الاطاحة بها .

٢٧ ـ اعلنت حالة الطوارىء في البرازيل. اعلن وزير الحرب دينيس ان الوقت قد حان للاختيار بين الديمقراطية والشيوعية واشار الى انه سيعتقل نائب الرئيس غولارت اذا عاد للاضطلاع بمنصب الرئاسة . وغولارت في طريق عودته من زيارة الصين الشعبية .

ـ تالفت حكومة جزائرية مؤقتة جديدة برئاسة يوسف بن خده لم يشترك فيها رئيس الحكومة السابق عباس فرحات .

٢٨ ـ استولت القوات الدولية على المراكز الاستراتيجية في جميع انحاء كاتانغا وجردت الضباط الاوروبيين في قوات الدرك من السلاح. اعلن تشومبي ان حكومته قبلت قرار الامم المتحدة باخراج الضباط الاوروبيين من درك كاتانغا ودعا السكان الى التزام الهدوء .

ـ افتتح في القاهرة مؤتمر اللجنة السياسية لميثاق الدار البيضاء .

ـ طلبت المانيا الشرقية حق الاشتراك في اية محادثات بين الدول الكبرى حول قضيتي المانيا وبرلين .

٢٩ ـ قررت الدول الغربية عدم الرد على مذكرة موسكو المرسلة في ٣ اغسطس التي تؤكد عزم السوفيات على عقد معاهدة صلح مع المانيا . واللجوء الى الطرق الدبلوماسية على يد السفراء في واشنطن .

ـ اعلنت موسكو تاخير تسريح الجنود الذين تنتهي خدمتهم هذه السنة ، حتى يتم توقيع معاهدة الصلح مع المانيا .

ـ مؤتمر جنيف يوافق على اقتراح سوفياتي بتحريم ادخال قوات اجنبية الى لاوس .

٣٠ ـ اعلن برلمان البرازيل حق غولارت نائب رئيس الجمهورية في تولي الرئاسة. غادر غولارت باريس الى جنوب البرازيل . تحدى الجنرال خوسيه لوبيز قائد الجيش الثالث قرار مجلس الوزراء القاضي بعزله واعلن استمراره في تاييد غولارت .

ـ اعرب اديناور في رسالة الى كنيدي عن تخوفه من ان تؤدي اية نكسات جديدة يمنى بها الحلفاء في برلين ، الى تبني المانيا الغربية فكرة الحياد .

ـ اعلنت موسكو استئناف تجارب التفجيرات النووية .

٣١ ـ وقع القرار السوفياتي باستئناف التجارب النووية كالصاعقة في العالم . اعلن كنيدي : اسلحتنا النووية كافية وفعالة .

سبتمبر ١٩٦١

١ ـ افتتح في بلغراد مؤتمر الدول غير المنحازة . حضره رؤساء ٢٤ دولة .

ـ فجرت روسيا قنبلة نووية في الجو . اجريت التجربة في منطقة سيبلاتنسك في اواسط آسيا .

ـ اتفقت اميركا وبريطانيا وروسيا على استئناف محادثات نزع السلاح في مؤتمر جنيف

ـ تأزم الوضع في البرازيل فالعسكريون والحكومة يرفضون ان يتولى غولارت الرئاسة الاولى كما يرفض نائب الرئيس غولارت وحزب العمال تعديل الدستور دون استفتاء شعبي ويقوم كل من الفريقين بعمليات عسكرية استعدادا لاي اصطدام .

٢ ـ اعلن نهرو في مؤتمر بلغراد ان العالم اقترب من حافة الحرب بسبب استئناف روسيا تجاربها النووية .

ـ احتجت المانيا الشرقية في مذكرة الى اميركا على ارسال قوة محاربة اميركية قوامها ١٥٠٠ رجل الى برلين الغربية .

ـ سلم الاتحاد السوفياتي مذكرات جديدة للغرب نفى فيها حقوق الحلفاء في الممرات الجوية المؤدية الى برلين الغربية .

٣ ـ صدق مجلس الشيوخ البرازيلي على تعديل الدستور . غولارت يعلن انه سيتقيد بقرار الكونغرس . ضمن قادة الجيش تنصيب غولارت رئيسا للجمهورية رغبة في وضع حد للنزاع الذي كاد يؤدي الى حرب اهلية .

٤ ـ مؤتمر بلغراد يوافق على اقتراح عبد الناصر بدعوة خروشوف وكنيدي للاجتماع والتفاوض لانقاذ السلام .

ـ فجرت روسيا قنبلة نووية ثانية .

ـ اعلن خروشوف ان الوضع الدولي متأزم لكن العلاقات التجارية حسنة وهذه دلالة طيبة

٥ ـ صرح ديفول : اذا اراد الروس زحزحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغرب عن مراكزه في برلين فسيلجأ الغرب للقوة ولو ادى ذلك الى حرب عالمية . قال انه مصمم على اقامة دولة جزائرية وتنظيم علاقات فرنسا بها وحل قضية الصحراء . واعلن انه لا يعترف للامم المتحدة باية سلطة في قضية بنزرت ودعا الى حلها بين فرنسا وتونس وحدهما

– قررت اميركا استئناف تجاربها النووية.

– عاد المظليون الفرنسيون الى مهاجمة بنزرت وقع قتيلان و ٢٠ جريحا بين السكان التونسيين .

٦ – دعا خروشوف الحلفاء الى حضور مؤتمر دولي لعقد معاهدة الصلح مع المانيا . وقال علي هذا الاساس يمكن اعادة الوضع في برلين الغربية الى حالته العادية .

– مؤتمر اقطاب دول عدم الانحياز في بلغراد يضع وثيقتين تاريخيتين : نداء من اجل السلام. وبيان بوجهة نظر المؤتمر في قضايا العالم والشعوب

٧ – اجتمع نهرو بخروشوف . وجه نهرو الى خروشوف نداء ملحا للسلم. رد خروشوف بان روسيا لا تريد الحرب ولكنها تعتبر الاجراءات الغربية سببا لاتخاذ ما تراه لازما. صرح نهرو بعد المقابلة : رياح الحرب تعصف مرة اخرى .

– وصل نهرو ونكروما الى موسكو واجتمعا بخروشوف وابلغاه نداء بلغراد لتفاوض الشرق والغرب لتفادي نشوب حرب عالمية .

– اقسم نائب الرئيس البرازيلي جاو غولارت اليمين الدستورية كرئيس للجمهورية

– مذكرات غربية لروسيا بشأن برلين . رفض شكوى موسكو وتدخلها في الممرات الجوية

٨ – رحب خروشوف ببيان كنيدي في ٣٠ اغسطس عن احتمال الوصول الى تسوية للقضية الالمانية عن طريق المفاوضات . اعلنت روسيا رفضها الاقتراح البريطاني الاميركي بوقف التجارب النووية في الفضاء .

٩ – نجا ديغول من محاولة لاغتياله فيما اخترقت سيارته جدارا من النيران على طريق ريفية منعزلة .

– اميركا وبريطانيا تقرران تعزيز قواتهما في المانيا بزيادة ٩٠ الف جندي .

١٠ – تم اعتقال شخصيات فرنسية كبرى لها علاقة بمحاولة اغتيال ديغول بعد اعترافات ادلى بها المتهم بوضع القنبلة والذي تم اعتقاله

– بدأ وصول القوات السعودية في القوة العربية الى الكويت .

– شب حريق كبير في دار السفارة السوفياتية في وشنطن .

– خروشوف يتفاءل بحل ازمة برلين عن طريق المفاوضات .

١١ – عدل الملك سعود الوزارة السعودية.

– تبادلت تونس وفرنسا الافراج عن الف اسير

– روسيا تزيد ٨٠٠ الف جندي على قواتها

١٢ – وصل سوكارنو وكيتا الى واشنطن واجتمعا بكنيدي وسلماه رسالة مؤتمر بلغراد

– تشومبي يدعو همرشولد لزيارة كاتانغا ويحذر من عواقب استرجاعها بالقوة .

١٣ – وصل همرشولد الى ليوبولدفيل . كان في استقباله ادولا وجيزنجا وموبوتو .

– القوات الدولية تسيطر على كاتانغا وتنهي وضعها الانفصالي بعد قتال عنيف . بدأ همرشولد محادثاته مع ادولا رئيس وزراء الكونغو .

– كنيدي يبلغ مبعوثي بلغراد استعداده لمفاوضة خروشوف .

– قامت روسيا بتفجيرها النووي التاسع منذ استئناف تجاربها .

١٤ – موسكو وواشنطن تستعدان للمفاوضة، غروميكو وراسك يجريان محادثات تمهيدية حول مشكلتي المانيا وبرلين .

– طلب حاكم الكويت من بريطانيا سحب قواتها بعد ان بدأت القوات العربية في الوصول

– استمرت المعارك بين القوات الدولية وجنود تشومبي في اليزابت فيل .

١٥ – حكم على رئيس جمهورية تركيا السابق جلال بايار ورئيس الوزراء عدنان مندريس و ١٢ شخصا اخرين من حكومة مندريس بالاعدام لخرقهم الدستور التركي وبالسجن مدى الحياة لـ ١٥ والمؤبد لـ ٣٢ منهما . احكام السجن ما عدا الاعدام غير قابلة للتعديل .

– بو رقيبة ينذر باستئناف القتال في بنزرت اذا تمسكت فرنسا بالطالبة بمركز عسكري داخل المدينة .

– اذيع في كل من تونس والرباط والقاهرة خطاب وجهه يوسف بن خده رئيس حكومة الجزائر المؤقتة الى الشعب الجزائري .

– قوات كاتانغا تقصف المراكز المحتلة والدوليون يعززون قواتهم بالاسلحة الثقيلة.

١٦ – نفذ حكم الاعدام على وزير خارجية تركيا السابق فطين زورلو ووزير المالية حسن بولاتكان وسينفذ على مندريس حالما يسترد صحته على اثر محاولة انتحار قام بها وخفض حكم الاعدام على الباقين الى السجن مدى الحياة

– اكدت اميركا ان محادثات نزع السلاح مع روسيا ارجئت الى اجل غير محدود .

١٨ – لاقى همرشولد حتفه في حادثة سقوط طائرته وهي في طريقها من ليوبولدفيل الى روديسيا الشمالية للاجتماع بتشومبي ، وقد ارسلت الامم المتحدة لجنة للتحقيق في الحادث .

– اعلمت فرنسا الولايات المتحدة رفضها الاشتراك في محادثات برلين مع الاتحاد السوفياتي في الظروف الراهنة .

– فقد حزب اديناور (الحزب الديمقراطي المسيحي) اكثريته النيابية المطلقة في انتخابات المانيا الغربية ، وقد استبعد اديناور قيام حكومة ائتلافية بين حزبه والحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي يتزعمه براندت .

– بدأت القوات الانكليزية المرابطة في الكويت بالانسحاب بعد وصول طلائع قوات الامن العربية التي ستحل محلها .

١٩ – بدأت القوات الفرنسية بالانسحاب من مواقعها في مدينة بنزرت الى مراكزها السابقة في القاعدة ، اعلن ان فرنسا وتونس تكادان تتوصلان الى اتفاق على قضية بنزرت

– دعت لجنة الزعامة في الحزب الديمقراطي المسيحي اديناور لتولي منصب المستشارية مجددا في المانيا الغربية .

٢٠ – انتخبت الجمعية العامة المنجي سليم المندوب التونسي رئيسا لها بالاجماع .

– عين الجنرال كونستانتين دفاس رئيسا للحكومة الانتقالية التي ستشرف على الانتخابات في اليونان .

– تم الاتفاق بين الامم المتحدة وحكومة كاتانغا على وقف اطلاق النار في كاتانغا .

٢١ – بدأت في نيويورك محادثات راسك – غروميكو حول ازمة برلين ومشكلة خلف همرشولد .

– القى ديغول خطابين فقال عن برلين ان على الغرب ان يكون حازما فلا يتراجع . وقال عن الجزائر ان من الضروري انهاء الاستعمار فيها وتسليم زمام البلاد الى اهلها بعد الاتفاق على مصير المستوطنين .

– عاد الى الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح بعد ان اجرى محادثات مع الملك سعود وحكومته في الرياض .

٢٢ – وافقت اللجنة التوجيهية للامم المتحدة على ادراج قضية قبول الصين الشعبية في جدول اعمال الجمعية العامة بعد معارضة دامت عشر سنوات .

– بريطانيا والكويت ترفعان العلاقات الديبلوماسية بينهما الى مستوى السفراء .

– ثوار فييتنام الجنوبية يشنون هجوما على القوات الحكومية ويستولون على موقع استراتيجي .

– المؤتمر البرلماني الدولي المنعقد في بروكسل اوصى بوقف التجارب النووية وبالتفاوض بين الشرق والغرب وبقبول الصين الشعبية في الامم المتحدة .

٢٣ – اعلن اللواء قاسم ان الجيش العراقي قد قضى على الحركة الانفصالية الكردية في شمال العراق التي تزعمها الملا مصطفى البارزاني . واتهم الانكليز بتحريك هذه الثورة بمساعدة الاميركان .

مطبعة الغريب شارع هوفلين - بيروت . ت: ٢٤٦١٨٥

ضمانة بناء الوطن في اعداد المعلمين

بقلم نسيم نصر

بعد ان انفتحت مفاهيم الانسان ، في كل الدنيا ، على مغاليق الحياة ، وحلقت بعلمها ، في بعض البلاد ، الى الفضاء السحيق ترتاده مستكشفة مجاهيله اصبحت مشاكل التعليم اعقد منها في اي زمن مضى ، واعمق تناولا للقيم والانظمة ، حتى اصبح من الضرورة ان ندخل ، على المعارف التي نضعها برنامجا تعليميا ، قدرا توجيهيا وتربويا يجعل من هذا البرنامج الذي نعتمد ، وسيلة لبلوغ الاهداف التي نرمي اليها .

ولو ان تقدمنا في سائر ميادين المعارف يقاس بنسبة هذا النمو المتزايد في عدد المدارس ، في لبنان وبعض البلاد العربية لكان في استطاعتنا ان نطمئن الى مصير الاجيال الطالعة . غير ان هذه النسبة العددية ، لا تستقيم لخير نرجوه ما لم تستقم النوعية . ورب معترض يقول : «النوعية مؤمنة فالبرامج متماثلة موحدة ، في جميع المدارس الرسمية ، وهذه المدارس هي الاساس المعتمد في بناء الاوطان وتقوية الروح الوطنية في مختلف الفئات الشعبية في البيئة الطبيعية الواحدة . »

هذا القول يخسر كثيرا من قيمته متى عرفنا ان البرامج المتماثلة لا تؤدي الى وحدة الغاية الم نؤمن لها التوجيه الموحد ، والتربية البانية في النفوس الى جانب ما نعمله من دروس . وسنقتصر ، في كلامنا هذا ، على ما ثبت لكبار علماء التربية بعد انعام النظر وطول الاختبار ، وهو ان المعلم هو الموجه الاعظم في المدرسة لا البرنامج ، والمدرسة هي المستنشأ المعول عليه في اعداد المواطن الصالح على يدكتابه الحي ، المعلم .

من هذا المبدأ التربوي ، ومن هذه الغمرة العارمة من الاحداث العالمية الاخيرة ، ومن التطور الآخذ بجوانب الدنيا في كل مرافق الحياة ، يجب على المعلم ان يستوحي الهمة ويعي العبرة فيكون اكثر اهتماما بشخصية الطالب وانمائها منه بالمادة المحددة والبرنامج المعتمد . وفلسفة التربية الحديثة قائمة على مبدأ تقدير المادة المدرسة بنسبة ما يفيد منها الطالب لتحسين حياته الخاصة وللمساهمة في ترفيع الحياة العامة. فالتعلم اذن ، في نظر المربي الحديث، عملية بناء في ذات الناشيء لا حشوة بالمعارف والمعلومات . والبناء في الذات هو نقطة الارتكاز في بناء الوطن .

وهكذا يكون مرتكز التعليم الحديث قائما على تناول المتعلم انسانا له مركبه البشري حافلا بمشاكل وميول لا بد من تحليلها ودرسها ووضع مخطط لانجاح صاحبها في تسوية ذاته صالحا للتصدي لمشاكل مجتمعه غدا . ومما لا شك فيه ان اخطر ما في مركبنا البشري مما يستحق الاهتمام الاكبر هو هذه الفردية العاصفة بالمواهب، المنحرفة بالكفاءات عن جادة الواجبات المتجمعة والتضحيات الوطنية والمشاركات القومية . هذه الفردية داء اجتماعي موروث ، نستعصي الشفاء منه اجيالا طويلة فبات من الضرورة ان نستصح منه باحدث اساليب التربية .

فاذا كان طالب اليوم لا يستطيع ان يكون انسانا ناجحا في الغد ، قادرا على التجند لاعباء المواطنة الصالحة ، شاعرا بضخامة مسؤولياتها ، ما لم نبن ذاته فيه بناء صالحا ، وجب علينا ، قبل كل واجب آخر ، ان نقوم له باعداد المعلم الكفوء القادر على تمريس تلميذه بالاساليب التجريبية التي تصبح فيها المعارف التي تعلمها جزءا من شخصيته ورافده لذاته .

اذن فلننظر في كيفية تطوير المعلم ليأتي التطور التربوي قائما على اسس سليمة يضعها الاختصاص ويكفل سلامتها الاخلاص .

ان فلسفة تطور المعلم تقتضي تطوير الاعداد الذي نخضعه له . وفي هذا المجال من الاقتضاء بدت ضرورة تزويد المعلم بثقافتين : ثقافة عامة وثقافة مهنية . ولا فرق في هذا الاعداد المتطور بين مدارس التعليم كلها : الابتدائي والثانوي والعالي .

يقصد بالثقافة العامة الثقافة الانسانية الواسعة التي تعين المعلم على تفهم الحياة والقدرة على مؤالفتها في نواميسها الطبيعية ، وضوابطها الاجتماعية وقيمها الروحية . من خلال ثقافة جامعة كهذه التي اشرنا اليها ينفذ المعلم الى سائر مسالك الانسان على ضوء من الفكر والضمير . لذلك نرى ان الاختصاص نفسه ، في اي علم من العلوم ، وفي اعلى درجاته محتاج الى الارتكاز على ثقافة عامة تجعل صاحب التبحر في علم ما اكثر امتلاء بعلمه وابرع احاطة بفهمه . ومما يبرز اهمية الثقافة العامة ويضعها في مكانها من الحاجة اليها هو كونها صلة الوصل لما انقطع من اسباب الالتقاء بين زملاء يتناوبون تعليم فريق من الطلاب في مدرسة واحدة . لانه لولا هذه الصلة الجامعة لانقطع الواصل بين الزميل وزميله وامتنع التعاون بينهما في تربية الصف الواحد . ثم ان الاحاطة بالمادة المطلوب تدريسها هو غير القدرة على التشويق الى تعلمها ، وغير البراعة في تبسيطها ضمن اطار من الذوق المثقف .

غير ان معلم المدرسة الابتدائية هو اشد حاجة من سواه الى هذه الثقافة العامة التي تغني عقله بسعة لم تتوفر له في سعة علم ، وتعينه على تسنيد معرفته وجعلها اكثر قابلية للتناول . وفوق هذا كله فانها تتيح له التمتع بثقة طلابه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتحملهم على احترام شخصيته ، لما يتولد فيهم من حب التطلع والانطلاق ، بفضل ما يبسطه لهم من آفاق المعارف على انواعها .

وبما انه لا بد للمعلم الابتدائي من ان يكون رائدا وقائدا في آن واحد ، ويجب ان يكون ذا ثقافة عامة لا تقل عن ثقافة المعلم الثانوي ، اذ تعوده التفكير وتساعده على حل المشاكل، فترفعه في الحقول العامة الى مستوى يعوض عليه بعض ما يتميز به صاحب العلم الواسع . ولولا الثقافة العامة لما توفر للمعلم الابتدائي من الدروس الاخلاقية والمبادىء العلمية ، والعبر التاريخية والوجوه الفنية ، ما لو تجرد منه لانتفت عنه صفة المعلم بمعناها الحقيقي .

اما الثقافة المهنية فهي ذات مستويات متفاوتة بالنسبة الى تفاوق درجات التعليم وانواعه . وتقتضي اعدادا طويلا كبيرا مثلث الجوانب : الجانب التربوي ، والجانب النفسي، والجانب الاجتماعي .

فالجانب التربوي يتناول فلسفة التربية ، والتربية العامة والتجريبية ، ثم يمتد الى الادارة المدرسية والتشريع المدرسي ، وبعد ذلك يتناول التربية المقارنة وتاريخ التربية اجمالا .

والجانب النفسي يشتمل على دراسة علم النفس العام والتجريبي منه وكذلك لا بد له من المرور علميا بدراسات لاطوار الطفولة والمراهقة والامراض النفسية .

والجانب الاجتماعي يقتضي دراسة علم النفس في اصوله وفروعه : من عام وتربوي وسياسي . ثم المعرفة بمبادىء الاخلاق والمعلومات المدنية .

وهكذا نرى ان المعلم الحق مجموعة من المتعلمين الكبار في متعلم كبير، يجب ان يجمع في ذاته فلسفة الحياة وتجريبها واساليب ضبطها مع دراسة الانسان في تدرج سنه ومختلف ادوار عمره واطوار نفسه وامراضها مع تفهم صلات الانسان بالانسان في كل وجوهها .

من هذا كله نخلص الى حقيقتين يجب ان نقف عندهما متبصرين مقدرين . الحقيقة الاولى هي ان المعلمين ، كما يجب ان يكون المعلم ، هم قادة يحتاجون الى الجهد والعلم والدأب في الاختصاص وفي الموسوع اكثر مما يحتاجه اي انسان آخر عامل في حقول الفكر والعلم ، وكل اختصاص لا يقتضي صاحبه من طول الاناة على الدرس والاختبار والتوسع في دائرة المعارف بقدر ما يقتضي اختصاص المربي ومن تبين كثرة المؤهلات والكفاءات التي يجب ان تتوفر في المعلم المثقف مهنيا ، وحسب العلوم التي يجب ان يدرسها ويتضلع منها ، ادرك قيمة الكلمة التي تنطوي على معاني المعلم المربي وقيمه ، وادرك من جهة اخرى لماذا ما نزال نعاني ازمات التعليم ونشكو من الاساليب ونتذمر من القيمين ، ونأسف للنتائج غالبا .

وخلاصة القول ان اعداد المعلمين هو الضمانة الكبرى لبناء الاوطان ، ومستقبل كل بلاد يؤمل بنسبة ما يتوفر لها من المعلمين الاكفاء الذين انتهت بهم ثقافتهم المهنية الى قمة التربية والتعليم ، فكان لهم الضمير المهني الحارس الامين لسواء السبيل .

نسيم نصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليرها

احبك انت نسيم الغروب ... وهمس الدوالي ونفح الطيوب
لانت بغور دمائي شراع ... دفيء الظلال كبوح القلوب
وانك انقى من الياسمين ... وانعم من اصفرار المغيب
احبك رغم الحكايا الطوال ... وبوح الليالي وظن الدروب
أحبك انت جمال الحياة ... وظل الربيع وبوح الزهر
واهفو اليك وفي جانحي ... لهيب يئن شريد الفكر
احبك للحب يا حلوتي ... فهلا سمعت نداء الوتر
ففي مقلتيك نداء بريء ... يغرد للموعد المنتظر !..
والمح في شفتيك النهار ... يراقص كالطفل جفن السحر
فأصرخ والقلب ثر الحنين ... لانت الهناء وانت السمر
وانت وقلبي ابتسام على ... شفاه الورود ودرب القمر
غدا تعزف الطير انغامنا ... فيخضل غصن وتندى صور

بغداد — **مزبد الظاهر**

ذكرى البحتري

القيت في مهرجان البحتري الذي اقيم بدمشق في سبتمبر (ايلول) الماضي

لعادل الغضبان

•

اسلاف كرم ام رحيق الكوثر ... شرب الندامى في خمائل (دمر) (١)
فاحت شذا وحلت مذاقا فانتشوا ... بالمسكرين معتق ومعطر
نهلوا بكاس لا تفيض كانهم ... في عرس (قانا) والمسيح بمحضر (٢)
وكانما الاقداح وهي مشعة ... بسنا العقار قلائد من جوهر
صور جلاهن الخيال فلا طلا ... يجري ولا كاس تدور بسمر
سكروا اجل سكروا ولكن عندما ... غناهم الشادي بشعر البحتري
الشعر افعل في النفوس وفي النهى ... من خمر دالية وسورة مسكر

حي الوفود تعج في كنف الربى ... من (جلق) وتموج موج الابحر (٣)
تصغي الى شدو الطيور فصادح ... في ايكة ومغرد في منبر
في مهرجان سارت الذكرى به ... تختال بين مهلل ومكبر
و (ابو عبادة) في مراتع خلده ... يهتز للذكرى وللمتذكر (٤)
العبقرية درب كل مخلد ... كم شاعر قد خلدت ومفكر

أ (دمشق) هز الضاد عيدك انه ... عيد القريض بربعك المتحرر
أولست في دنيا المفاخر والعلى ... افق البيان ومقبر المستعمر
سيان جالدت العدو بمرقم ... يوم الكريهة ام ضربت بخنجر
كل الاسنة في يديك قواطع ... تحمي العرين ولا تلين لمكسر
جردتها في وجهه وشككتها ... في صدره وسقيتها دم منحر
ورجعت والنصر المبين ملاليء ... في وجنتيك وفي جبين الادهر
طربت له (غسان) في فردوسها ... ورنت تقول (لعبد شمس) ابشري (٥)
يا مشرق الانوار كم لك من يد ... بيضاء في عنق الزمان المدبر
لولاك عاش الغرب في حلك الدجى ... وقضى اسى قبل الصباح المسفر
ففضل زها في المشرقين كما زهت ... آيات ربك في ثراك الاخضر
غنى ابن (منبج) حسنهن بنغمة ... لا الورق غنتها ولا فم مزهر (٦)

يا ارض (منبج) دمت مفخرة القرى ... وبقيت في الدنيا حديث الاعصر
الشعر كان كريم حضنك مهده ... والسحر قدك جنة من عبقر (٧)
فمززت بين المنجبات بشاعر ... باهى به سبطا معد وحمير (٨)
الشاعر الفريد غير منازع ... والحكم حكم (ابي العلاء) المبصر (٩)
الصائغ المعنى حبائك لؤلؤ ... في عسجد من لفظه المتخير (١٠)
ان الذي اجرى النبوغ جدا ولا ... خص (الوليد) بنبعه المتفجر (١١)

أ (ابا عبادة) اي فن لست في ... مضماره بالفارس المتصدر
طوفت بالاطلال بادية الشجا ... متسائلا عن حالها المتغير
فاذا الرسوم نواطق واذا البلى ... متنصت لمخبر ومخبر
واذا بيانك في مناجاة الصوى ... صور تحدث عن فنون مصور
شاقتك ذكرى الفرس في ايوانهم ... فحملت للتاريخ بركة جعفر (١٢)
تجري المياه بها سبائك فضة ... ذابت فسالت كالغمام الممطر
وتحفها قطع الرياض كانها ... ألوان قوس في السحاب موتر
عاشت على كر العشي وان غدت ... شبحا يطوف وراء ربع مقفر
صور روائع كم بشعرك مثلها ... في حرب ذئب او قتال غضنفر
وصف يصل السيف فيه كانه ... يجتث نابا او يطيح باظفر
والخيل في الحلبات كم سمعت لها ... في الطرس همهمة الجياد الضمر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحلى الربيع الطلق كم صورتها ... فتنا تلوح بكل ازهر مزهر
من روضة بسامة وخمائل ... لفت خواصرها سواعد انهر
فكر تالق بالجمال نظمتها ... شعرا يضيء بكل معنى نير

أ (ابا عبادة) كم سبتك مآثر ... من سيد ومكارم من خير
اطريتهن وقد خفقن باضلع ... ورثيتهن وقد ثوين باقبر
ورأيتهن يفضن من يد جعفر ... ويد (ابن خاقان) الوزير الاشهر (١٣)
حقنا الدم العربي يوم جرى على ... حد الصوارم والقنا المتكسر (١٤)
في جحفلين من (الاراقم) كلهم ... بطل تزمجر فيه همة قسور (١٥)
ما ضاع عند الله اجر مجاهد ... للصلح داع بالسلام مبشر
خلدت يا (ابن عبيد) كل فضيلة ... نسجت لها يمناك خالد مئزر
الشعر سفر الدهر ينقل للورى ... آي الورى من غابرين وحضر
رسمت قوافيه ملامح (علوة) ... في تيه طاووس ولفتة جؤذر (١٦)
وروت بها حلب حديث هواكما ... مشغولة عن (عزة) و (كثير) (١٧)
فبكت رباها واستثار شجونها ... فعل الجوى بفؤادك المتفطر
حب ترعرع في ضاوعك واغتذى ... بدم الحشا وسقته ادمع محجر
لكن جنيت الشوك من ازهاره ... وكوتك منه حرقة المتحسر
وارحمتا للعاشقين تحرقوا ... ظمأ وحال البين دون الكوثر

أمصور الهيجاء ينفخ بوقها ... في الحرب نفخ الصور يوم المحشر
والروم طن طنينهم فتوهموا ... ان البغاث له مخالب انسر
نزلوا الوغى فتلقفتهم جنة ... بالطعن في لباتهم والاظهر
لا تعتبن على البنين اذا همو ... صبروا على كيد العدو المفتري
ورأوه جاس القدس منه عصائب ... وحش تعيث بكل اقدس اطهر
اقصر فقد شحذوا العزائم والظبى ... لوشيك نصر في السماء مسطر
من يحم حوض الحق تنصره الظبى ... ويمده رب السماء بعسكر
انظر اليهم في (الجزائر) تلقهم ... عصفوا بعرش الغاصب المتجبر
لما طغى واشتط في طغيانه ... وراوا موانقه عهود مزور
اخذوه من ست الجهات واعملوا ... فيه السيوف وكفنوه بعثير
أرأيتهم والبغي شيد عليهمو ... يوم (القناة) بمارج ومدمر
والجو امطرهم بمنهمر اللظى ... والبحر حال الى صعيد احمر
كيف استطاروا يحملون على العدى ... حملات قرم في الحروب ومسعر
حتى ترحلت البغاة عن الحمى ... ومضت بوجه بالشنار معفر
ومعاول الشمامات كان سنانها ... يسقي القفار بزيتها المتبعثر (١٨)
أبناء (يعرب) وحدة الدم والمنى ... ميثاقهم لا ما يخط بدفتر
فاهنأ بزحفهم المقدس للعلى ... في عالم متوحش متحضر
بالامس كانوا للعظائم محورا ... وغدا يدور الكون حول المحور
ذكروا عباقرة البيان فكان في ... صدري الندي البحتري العبقري

(١) دمر: ضاحية جميلة نضرة كثيرة البساتين والمياه من ضواحي دمشق قريبة من مكان المهرجان . (٢) اشارة الى العرس الذي شهده السيد المسيح في قانا الجليل . (٣) جلق : من اسماء دمشق . (٤) ابو عبادة : كنية البحتري . (٥) غسان : ملوك الشام الاوائل. وعبد شمس : بطن من قريش منها بنو امية . (٦) منبج : بلدة قديمة بين الفرات وحلب ولد فيها البحتري . (٧) عبقر : موضع كانت العرب تزعم انه كثير الجن واليه ينسب الخارق من الناس والاشياء . (٨) معد : من امهات قبائل العدنانيين . وحمير : من امهات قبائل القحطانيين . (٩) سئل ابو العلاء المعري : اي الثلاثة اشعر ابو تمام ام البحتري ام المتنبي فقال : المتنبي وابو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري . (١٠) كانوا يشبهون شعر البحتري بسلاسل الذهب لتناسبه. (١١) الوليد : اسم البحتري . (١٢) جعفر : الخليفة المتوكل . (١٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل وصفيه. (١٤) من مآثر الفتح بن خاقان انه اصلح ذات الصدر بين بكر وتغلب فمدحه البحتري وأفاض. (١٥) الاراقم: لقب غلب على قبيلتي بكر وتغلب. (١٦) علوة : هي علوة بنت زريعة الحلبية اكثر البحتري من التشبيب بها وكان يهواها . (١٧) عزة وكثير : من عشاق العرب المشهورين. (١٨) كتب اهل الشام اجمل صفحة في تاريخ الاخوة العربية يوم قاموا في اثناء العدوان على مصر يحطمون انابيب الزيت التي تمر ببلاد الشام

القاهرة — عادل الغضبان

العرب في مرآة ابن خلدون

بقلم محمد رجب البيومي

يقول الشاعر الجاهلي

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وابن خلدون لا شك من ذوي القربى الذين ينطبق عليهم كلام الشاعر فهذا البحاثة الضليع الذي يعد مفخرة الفكر العربي ، قد جار على ذوي رحمه من العرب جَوْرا حارت فيه العلل وانتحلت له شتى الاسباب ، ومما زاد في فداحة جوره ان بعض المفرضين من ذوي الهوى المريب يسرف اسرافا طائلا في تأييد جوره ، وتثبيت تهجمه ! فهو لا يفتأ يلح الحاحا جاهدا في تصيّد الادلة ، واختلاق الشبهة ليجعل كلام الرجل حقا لا يأتيه الباطل من اي ناحية ، وسنعرض هنا بعض ما زعمه المؤرخ الفيلسوف ثم نتبعه بما نراه من التصحيح والتفنيد ، راجين ان نصل الى انصاف الحق من منابذيه .

فهل صحيح ان العرب ـ كما يقول ابن خلدون « اهل انتهاب وعبث ، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر، ويفرون الى منتجعهم بالقفر ، والقبائل المتنعة عليهم بمنجاة من عبثهم وفسادهم ، اما غيرها فهي نهب لهم يرددون عليها الغارة والنهب الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم، ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي الى ان ينقرض عمرانهم ـ ص ١٢٥ من المقدمة .

وهل صحيح « انهم اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب ، لانهم امة وحشية ، فينقلون الحجر من المباني ، ويخربونها لينصبوه اثافي للقدر ، ويخربون السقف ليعمروا به خيامهم ، وليس عندهم في اخذ اموال الناس حد ينتهون اليه ، وليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفاسد انما همهم ما يأخذونه من اموال الناس نهبا او مغرما ، وهم متنافسون في الرئاسة وقل ان يسلّم واحد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل فيتعدد الحكام منهم والامراء ، فيفسد العمران ويتقوض ، وانظر الى ما ملكوه من الاوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه ، واقفر ساكنه ، فاليمن ـ قرارهم ـ خراب الا قليل من الامصار ، وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس اجمع ، والشام لهذا العهد كذلك ـ ص ١٢٦ ـ المقدمة .

وهل صحيح ان « المباني التي يختطونها يسرع اليها الخراب لقلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن ، في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي ، فانه بالتفاوت في هذا تتفاوت جودة المصر ورداءته والعرب بمعزل عن هذا، وانما يراعون مراعي ابلهم خاصة ، لا يبالون بالماء طاب او خبث ، ولا قل او كثر ، وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الا مراعي ابلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن ، فكانت بذلك بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ، ولم تكن لهم مادة تمد عمرانهم من بعدهم ، فلاول وهلة من انحلال امرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سياجا لها اتى عليها الخراب والانحلال ص.٣٠٠ المقدمة .

وهل صحيح «انهم ابعد الناس عن الصنائع ، لانهم اعرق في البدو ، وابعد عن العمران الحضري وما يدعو اليه من الصنائع وغيرها ، ولهذا نجد اوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنائع في الجملة حتى تجلب اليه من قطر اخر ـ ص ٣٣٧ ـ المقدمة .

وهل صحيح انهم ابعد الناس عن العلوم لان العلوم ذوات ملكات محتاجة الى التعليم ، فاندرجت في جملة الصنائع ، والعرب ابعد الناس عنها ، فصارت العلوم لذلك حضرية ، وبُعد العرب عنها وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم ومن في معناهم من الموالى، ولذلك كان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم او المستعجمون باللغة والمربى، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم ص ٣٣٧

هذه آراء الرجل ـ او بعضها ـ وطبيعي ان تثير عاصفة عاتية ، فقد انقسم الباحثون وما اكثرهم بازائها انقساما صاخبا ، ففريق يؤيد عن غرض وحزازة ، وفريق يؤول عن محبة واشفاق ، وفريق يعارض انصاف واستقراء ، وسنناقش جميع ما يقول هؤلاء في هدوء وايجاز .

اما المفرضون من المؤيدين فقد اغمضوا اعينهم عن واقع التاريخ الاسلامي ، واجازوا لانفسهم ان ينكروا البدائة الملموسة في تاريخ العرب انكارا يدعو الى الدهشة والظنون، بل ذهبوا الى ابعد من ذلك فاندفعوا يصفون ابن خلدون بسعة الافق ورحابة الصدر، واتساع النظر، والبعد البعيد عن التعصب والانقياد ! وهكذا كل متهجم على العرب من ابنائهم حر التفكير واسع الصدر في منطق هؤلاء ، وبعضهم لا يجرؤ على انتقاص العرب علانية فيتستر وراء ابن خلدون ثم يناقش آراءه مناقشة يميل بها الى التقوية والتأييد ! وهو بعد ضعيف الارادة يحتمي بكاتب اخطأ في الحق فاصاب لديه .

اما المؤولون المثقفون ، فقد عز عليهم ان يكبو الرجل كبوة ساقطة ، فلجأوا الى التأويل والتشريح ، وجزموا بان الكاتب يقصد بالعرب الاعراب ، وشتان بين اولئك وهؤلاء، فهو لا ينتقص غير سكان البادية من الرحل الهائمين في كل واد .

قال الاستاذ طه الراوي ـ في بعض ما نشره بمجلة الادب والفن الانجليزية : «وقد كان الناس في القرن الثامن الهجري وما بعده يطلقون اسم العرب ولا يريدون به الا الاعراب خاصة ، فجرى ابن خلدون في مقدمته على عرف زمانه ، ولذلك اختلط على الناس فهم كلامه ، فاختلفوا في امره ،

فمنهم من قال : انه لا يريد بهذه الكلمة غير المتنقلين من اهل البوادي خاصة ، ومنهم من قال انها كلمة مطلقة فيجب اجراؤها على اطلاقها ، فهم يريدون بهم هذا الجيل من الناس بدوهم وحضرهم، وقد اطنب الكتّاب في ذلك واسهبوا مع ان الامر من الوضوح بحيث لا يحتاج الى ايضاح ، فان اسلوب ابن خلدون يدل على انه جارى عُرف زمانه في اطلاق لفظ العرب على الاعراب خاصة ، ولا يزال هذا العرف شائعا عند العامة من عرب هذا العصر في العراق والشام ومصر وغيرها » .

وشبيه بقول الاستاذ الراوي قول الاستاذ ساطع الحصري في كتابه : دراسات في مقدمة ابن خلدون ص ١٠٧ : « ان كلمة العرب في مقدمة ابن خلدون من الكلمات التي ولّدت اغرب الالتباسات وانتجت اسوأ النتائج ذلك لان ابن خلدون استعمل الكلمة المذكورة بمعنى البدو والاعراب خلافا للمعنى الذي نفهمه الان كما يتبين من الدلائل والقرائن الكثيرة المنبثة في جميع اقسام المقدمة » .

هذان رأيان لباحثين كبيرين يتفقان في ان المراد بكلمة العرب الاعراب ، ويؤيدهما في ذلك باحث لبناني كبير هو الاستاذ محمد جميل بيهم ، اذ يقول في كتابه « العروبة والشعوبيات الحديثة ص٤٨ : «لقد كان ابن خلدون جليا في انه كان يذم البدو دون العرب ، وذلك بالفصول الاربعة التي جاءت تحت عنوان (في العمران البدوي والامم المتوحشة) كما كان واضحا فيما بعد بانه كان يطري العرب ويشيد بهم وبحضارتهم في الاسلام وما قبله ولكن مصدر الالتباس يرجع الى انه في الحالتين قد استعمل كلمة العرب ، فترك المجال للشعوبيين لان يتجاوزوا قصد المؤلف الى التمسك بالكلمة دون المعنى والى اتخاذها حجة لهم للتنديد بالعرب والحط من شأنهم » .

والحقيقة ان تأويل العرب بالاعراب ظلم سافر ، وتحمل لا يحتمله السياق بحال من الاحوال ، فالذين فتحوا الممالك هم العرب ، والذين اختطوا البصرة والكوفة والقيروان هم العرب ايضا لا الاعراب، كما ان الذين تولوا الجباية والخراج وعبروا افريقية والمغرب من الذين عناهم ابن خلدون عرب تغلبت كثرتهم الكاثرة على من اندمج فيهم من بعض الاعراب، واذا كان جميع ذلك اعرابا فلا عرب لدينا البتة ، فكيف نتجاهل الواقع ، ونحمّل كلام الرجل ما لا نطيق .

على اننا نذهب الى ابعد من هذا فنقول: ان في هذا التأويل المخطىء ظلما فادحا للاعراب بنوع خاص ، فبعض الاعراب قد كانوا في عهد النبوة على جانب اليم من شراسة الخلق، وجفوة الطباع، والذهاب مع الرعونة الى ابعد مدى يستطاع! وفيهم نزل قول الله : الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله » وقوله عز وجل : « وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدنية مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يُردون الى عذاب عظيم » وقوله « ومن الاعراب قد يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء » .

اما البعض الاخر منهم فقد كانوا يخشعون للحق ويستميتون في الدفاع عنه عن طيب خاطر ، واخلاص قلب ، قال تعالى: ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ، وصلوات الرسول ، الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم » وقد نزلت هذه الآية الكريمة في اعراب مزينة اذ نهضوا الى رسول الله يحملون ما يقدرون عليه من الاموال في سنة مجدبة قاحلة ، وهم قوم النعمان بن مقرن المزني بطل نهاوند ، وصاحب المرافق الحاسمة في التاريخ الحربي للعرب ، فمن الظلم الفادح ان نكيل الاتهام لجميع الاعراب دون فرق بين ذوي المروءة واولي الشطط والعناد ، فلو حملنا منطق ابن خلدون مع استحالته على الاعراب وحدهم ، لكان جديرا بالرد والتعقيب ، فعلينا الا نخرج بالرجل من مأزق لنقع به في سواه .

ان الاعراب في منادح البادية ومشارف الصحراء فضلا عن بلاء اكثرهم في الفتوحات العربية قد خدموا اللغة الفصحى خدمات جزيلة فقد كانوا مرجع اللغويين والباحثين من علماء النحو والصرف والعروض حين قامت الامصار ، واختلط العرب في الحواضر بالاعاجم ، فدبت العجمة الى لسانهم واصبحوا غير قادرين على الاعتصام باللغة الصحيحة! وهنا كان الاعراب في بواديهم النازحة مصدر الباحثين ونجعة الوراد ، ولهم في النخوة والكرم والبسالة والصبر اعاجيب وخوارق ، فكيف نتناسى ذلك لنتكلف تصحيح اخطاء واضحة وقع فيها رجل يخطىء ويصيب !! وفي سبيل هذا التأويل المتعسف اضطر الاستاذ ساطع الحصري ان يزعم ان كلمة العرب ، قد تطورت تطورا متعاقبا فقد كان « مدلول كلمة العرب يختص بالبدو وحدهم ، ثم صار يشمل من يسكن المدن والامصار دون ان يقطع صلاته بالبادية ، ثم صار يشمل سكنة الامصار بقطع النظر عن صلاتهم او رجوع نسبهم اليها » ص ١٠٨ من الدراسات للحصري .

ونحن في الرد على ذلك نسأل متى اطلق المدلول الاول للكلمة ؟ والى اي مدى انتهى المدلول الثاني ؟ ومتى اشتهر المدلول الثالث !! وتلك اسئلة قوية لا تجد من يجيب !!

الحق ان التأويل مخطىء متعسف فلنتركه الى الحديث عن الفريق الثالث من الذين يعارضون ابن خلدون عن انصاف واستقراء ، وليسوا بحمد الله في حاجة الى جهد ما في توضيح نقدهم السديد ، فصحف التاريخ العربي تشهد للعرب بالبسالة والاقدام فقد فتحوا في اقل من قرن ما عجزت الامبراطورية الرومانية ان تفتحه في ثمانية قرون ، واقتحموا الاهوال والصعاب في الجبال الشاهقة والصحاري المجهدة ، والآكام الناهضة ولم يتغلبوا على البسائط السهلة وحدها كما زعم ابن خلدون ، بل عبروا مفاوز الاناضول ، وتقدموا فيما وراء النهر ، وانقلبوا الى افريقية والاندلس ، وتوغلوا في حدود فرنسا توغلا لا يزال يرن صداه في التاريخ،

اليراع

اناملي .. تململت من السكون والدعه
وقطرة من الجحيم فى دمي مروعه
وفوق مكتبي يراع قد اراق ادمعه
يقول لي : اكتب .. وخط احرفا موزعه
وافرغ الخواطر الكثيرة المجمعه ..
أريد .. أنفض الرياح من فؤاد الزوبعه
منذ ليال يا صديقي لم اقبل الورق
منذ ليال لم تفكر فى اهتياج ونزق
تصيد غنوة الغرام من جزائر الشفق
أريد ان اذوق فى يديك لذة الارق
أي فتى مثلك شاعر الفؤاد ما احترق
وفى متنائه العيون لم يعانق الفرق
جدائل الشعر الذي وراء ظهرها انسدل
كموجة .. وددت لو اعده ولن أمل
عمري عليه انداح هل يضيع ؟ ام سيكتمل !
قصائد طويلة الاشواق هذه الخصل
ومرفأ الصفاء والجمال هذه المقل
أريد ان اخط حرفا شاعريا يبتهل
صديقتي .. عذرا اذا باح اليراع بالغرام
حفنت فى دماي جرحه العميق منذ عام
وسدته الضلوع .. خلف الهدب فى النهار هام
وايقظ المساء ، داعب النجوم والغمام
عرى اساه ، دمعه السخين ، ايقظ الضرام
عذرا .. اذا خنقت زهرتي ، اذا بكى الظلام

القاهرة — أنس داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان لهم من العمارة والتشييد والبناء ما نطقت به الشواهد والاثار، اما ما احدثوه من النظام فى الامن والادارة والسياسة والقضاء والبريد وسائر نواحي العمران فقد سجله اعداء العرب انفسهم فيما الفوه من اسفار ، فعلى الذين يؤيدون ابن خلدون فى حملته الظالمة ان يغيروا كتب التاريخ ، ويخطوا عن حماقة العرب وجفوتهم ما يبتغون

لقد كان الاستاذ احمد امين منصفا حين عارض ابن خلدون فى دقة ، واعترف بتناقضه السافر حيث قال فى فجر الاسلام ص ٤٤

« وابن خلدون ــ مع دقته فى بحثه ــ لم يحدد بالضبط معنى العربي الذي يصفه ، وهذا ما جعله يضطرب فى قوله فانك اذا قرأت قوله فى بعض المواضع تفهم انه انما يريد العربي البدوي كالذي يهدم القصور ليستفمل حجارتها فى الاثافي وخشب سقفها فى الاوتاد ثم تراه يذكر العربي فى انه لا يحسن اختيار مواقع البلاد كما فعل عند تخطيط البصرة والكوفة ، وهذا كما تعلم ليس هو العربي الممعن فى البداوة انما هو عربي صدر الاسلام الذي فتح فارس والروم. الى ان قال : ص ٤٥

فترى من هذا ان ابن خلدون فى حكمه على العربي قد خلط بين العربي فى عصوره المختلفة واصدر عليه احكاما عامة مع انه نفسه القائل بان العربي يتغير بتغير البيئة ».

هذه آراء ابن خلدون فى العرب تنبىء عن ظلم وجموح ولن نذهب مذهب من يرمونه بالتعصب للبربرية مع وجاهة نظرهم فيما يدعون، ولكننا نتساءل بعد ذلك هل كان الفيلسوف المؤرخ فى كل ما كتب من بحوث غير انسان يخطىء ويصيب! ومن اخطائه التي لا ينقذها التأويل والتعليل حكمه الجامح على العرب والاعراب !! فلننظر اليه بهذا الاعتبار .

المنصورة — محمد رجب البيومي

أخذت السيارة تقترب من ضواحي الاسكندرية وعلى البعد بدت بعض الفيلات والمنازل المتناثرة وقصر كبير تطل حديقته على الطريق ... كان صلاح يجلس الى مقعد القيادة في استرخاء وقد بدت عليه مظاهر الاعياء ومد يده اليسرى الى جيبه فأخرج منديله الحريري يمسح به حبات العرق التي كانت تنساب في رفق على جبينه وهيء له وهو يمسح قطرات العرق انه يزيل آثار التعب ... وعلى اثر ذلك شعر براحة نفسية وعلت وجهه ابتسامة خفيفة واخذ يختلس النظرات الى آمال زوجته التي كانت تجلس بجواره .. كم هي فاتنة جميلة ... لقد مضى على زواجهما نحو عشر سنوات ومع ذلك فان الايام لم تزدها الا جمالا .

ولاحظ صلاح انها تنظر الى الافق نظرات شاردة حالمة ... وفجأة استدارت وطلبت منه في صوت مرتجف ان يخفف من سرعة السيارة

ونظر اليها زوجها في دهشة ما لبثت ان تحولت الى جزع عندما وجدها ترتجف واحس بقلبه يعتصر .. وسألها في لهفة « ما بك » ؟

فاجابت بصوت خفيض « لا شيء .. فقط اريد ان أستريح .. ارجوك .. ارجوك .. صلاح .. من فضلك .. »

وعاد يسألها في لهفة واسى « هل تريدين ان نتوجه الى الطبيب فورا .. ما بك اخبريني ... » وفي صوت لا يكاد يسمع اخذت تتمتم « من فضلك .. ارجوك .. ارجوك .. توقف قليلا .. نعم .. هنا .. هنا »

ووقفت السيارة امام باب القصر وما كادت تقف حتى هبطت منها آمال في خفة وقد بدا يزايلها الشحوب الذي اعتراها منذ قليل وعرفت الابتسامة طريقها الى شفتيها ونظرت الى صلاح وفي عينيها بريق غريب وقالت في صوت عذب يفيض حنانا :

« اغلق باب السيارة .. سنطلب من سكان القصر السماح لنا بكوب من الماء والاستراحة قليلا في هذه الحديقة .. ربما تتحسن حالتي .. ثم نستأنف السير »

وهم صلاح ان يقول لها ان حالتها قد تحسنت وانه من الخير ان يواصلا السير الى الاسكندرية . ولكن نظرة واحدة منها فيها توسل وفيها ضراعة كانت كفيلة باسكاته فماتت الكلمات على شفتيه .

ومد يده الى باب السيارة فاغلقها ... ووضع المفتاح في جيبه وتأبط ذراعها واتجها الى القصر ... ودقت آمال الجرس .. وبعد فترة صمت قصيرة ظهرت خادمة بدينة تتشح بملابس بيضاء فتحت الباب في حذر وهمست متسائلة « من الطارق »

شرحت آمال الموقف بلهجة مضطربة

قصر الذكريات

بقلم فوزي عبد القادر الميلادي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووقفت الخادمة تتأملها لحظة ثم وقع نظرها على السيارة التي تقف على الباب .. فتساءلت « هل هذه سيارتكما » ولما جاءها الرد بالايجاب بدا على وجها الاطمئنان ودعتهما لدخول الحديقة وتوجهت للقصر لتحضر لهما كرسيين ...

دلفت آمال الى الحديقة وهي تستعرض في ذهنها صورا من الماضي، ماضي طفولتها وفجر شبابها . لقد كان اخر عهدها بهذه الحديقة منذ ثلاثة عشر عاما خلت .. لقد تغيرت اشياء كثيرة منذ ذلك التاريخ، جالت ببصرها في الحديقة تبحث عن شجرة



الورد ، شجرة الذكريات ولكنها لم تعثر لها على اثر ، انها لا تزال تذكر كيف كانت تجلس الى هذه الشجرة في اجمل ساعات الاصيل ترويها وتناجيها . كانت تعلم ان هذه الشجرة عزيزة الى قلب خطيبها فكانت تعتز بها وتعتبرها رمزا للصلة الروحية التي تربط بين قلبيهما .

كانت آمال تقيم مع اسرتها في ذلك الوقت في المنزل المجاور وكان محسن ابن صاحب القصر زميل طفولتها طالما لعبا معا واستذكرا معا وعندما شبت آمال عن الطوق وتخرج محسن من الكلية الحربية لم يجد صعوبة في التقدم بطلب يده من اسرتها التي رحبت به صهرا وصديقا.

ومرت ايام الخطوبة سريعة شأن ايام السرور والامل وقبيل الموعد المحدد لعقد القران اعلنت حرب فلسطين وكان خطيبها محسن من اشد الضباط تحمسا للاشتراك في تلك الحرب ، انها لا تزال تذكر يوم سفره لينخرط في سلك المحاربين .. كان يبدو مرحا سعيدا ... كان يلمع في عينيه بريق غريب لم تلحظه من قبل .. تعلقت به والدته وهي تبكي .. انه وحيدها وسيتحطم قلبها اذا ذهب ولم يعد ولكنه نظر اليها نظرة تحمل بين طياتها معاني العزم والاشفاق معا.. وانحنى على رأسها فقبله .

وجلست والدته صامتة برهة .. ثم نظرت الى ابنها فجأة وقالت له : «مع السلامة .. وليوفقك الله .. »

وودعت آمال خطيبها وهي تشعر في اعماقها انها لن تراه بعد ذلك اليوم، كانت تحس احساسا خاصا بان القدر يدخر له المصير الذي طالما تاق اليه. وافاقت آمال من تأملاتها وذكرياتها لتجد نفسها امام شجرة برتقال ... وخالجها شعور غريب ... اندفعت نحو الشجرة .. ووقفت تتأملها ... وقرأت هذا التاريخ منقوشا عليها ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ... نفس التاريخ الذي نقشته مع محسن يوم اعلان الخطوبة .. لقد استطاعت

موعد

... وها انا وانت ههنا
يضمنا موعد
نجم من الافق رنا الينا وانثنى
يهمس ، ما انطوى فى صدرنا
فحملته نسمة ثرثارة
ووشوشت جاراتنا
فعلم الحمام
فحام سربا والها
ينشر اخبارنا
فصفق الورد لنا
وعطر الكون بنا ...
يا ويحنا
الزهر والنسيم والحمام
قد علم بنا
فاليوم فى الغاب حديثنا
وشوشة
على فم الفل تقول
ها نحن هنا .. يجمعنا موعد
وسرنا الذي اذيع
فرش الغاب البعيد
ياسمينا وسوسنا

بغداد ((مي))

الايام والليالي ان تحرمها من خطيبها، ولكنها لم تستطع ان تمحو ذلك التاريخ ..

غالبت الرغبة فى البكاء .. لكن دمعتين حزينتين استطاعتا ان تنسابا فى رفق على وجنتيها رغما عنها ... واخرجت منديلها الصغير لتجفف به دموعها وهنا شعرت بزوجها يربت على كتفها ثم لا يلبث ان يضمها الى صدره .. وكانت قد نست فى غمرة الذكريات انه يقف بجانبها .. ولم تستطع ان تبدي تفسيرا معقولا لموقفها، شعرت بصداع شديد واحست بالارض تميد تحت قدميها واكتست الدنيا فى عينيها غلالة سوداء ونظرت الى زوجها وقالت له بعبارة تخنقها العبرات : «انني متعبة يا صلاح .. هيا بنا .. »

فنظر اليها فى دهشة وقال : « لقد ذهبت الخادمة لتحضر لنا كرسيين وقدحين من الماء كطلبك وها هي قد حضرت .. يجمل بنا ان نستريح اذن قليلا ثم نستأنف السير .. »

واقبلت ام السعد وكان هذا هو اسم الخادمة تحمل صينية بها اقداح القهوة والماء .. بجانبها يسير صبي صغير يحمل كرسيين من الكراسي الخفيفة .

ونظرت آمال الى اقداح القهوة .. وطاف بذهنها هذا السؤال ... هل تعرفت عليها أم السعد رغم مضي ثلاثة عشر عاما على اخر مرة وطئت فيها قدماها عتبة هذا القصر .. فاذا كانت قد عرفتها ، فهل ستظل على صمتها ام انها ستطلق لسانها وتحدثها امام زوجها عن الماضي المجيد ..

ورفعت آمال بصرها فالتقت عيناها بعيني ام السعد وقرأت فى عينيها قصة السنوات التي قضاها سكان القصر فى حزن .. وقرأت فى عينيها ايضا انها عرفتها ولكن لم تشأ ان تصرح بذلك امام زوجها ... فاطمأنت نفسها وجلست ترتشف القهوة على مهل .

وبعد نصف ساعة كانت آمال قد استعادت هدوءها ورباطة جأشها وضغطت على يد صلاح وطلبت منه ان يستأنف المسير ووقفت تلقي على شجرة البرتقال نظرة اخيرة ... ١٧ ديسمبر نعم ١٧ ديسمبر ١٩٤٧ تاريخ لا يمكن ان تنساه .

وفى طريق خروجها رفعت بصرها الى نوافذ القصر واستطاعت ان تلمح فى احداها سيدة تلبس نظارة .. لقد تسلل الشيب الى راسها فأحال سواده الى بياض يحكى بياض الثلج .. انها والدة محسن .. شد ما غيرها الزمن. لقد اصبحت حطاما يعيش على الذكرى

ومرة ثانية امتدت يد آمال الى منديلها الصغير تجفف به دمعتي رثاء لقلب الام الذي حطمه الحزن .. وفى ابتهال صامت رفعت عينيها الى السماء تطلب لها من الله السلوان ..

وعندما اجتاز باب الحديقة وقف صلاح ليقول فى صوت خفيض حاول ان يبدو طبيعيا « لقد كان ساكن هذا القصر انسانا فاضلا .. استشهد وهو فى ربيع العمر .. وما ان سمعت آمال هذه الكلمات حتى انتفض جسدها وسألته «أو تعرفه» .

فانساب صوته هادئا حزينا : نعم . التقينا يوما على ارض فلسطين ... كنا زملاء فى الجهاد .. قاتلنا سويا . وحققنا معا كثيرا من الانتصارات .. كان شجاعا كأجمل ما تكون الشجاعة مؤمنا كأروع ما يكون الايمان .. ولم تنتقص الثروة التي تركها له والده شيئا من شجاعته وايمانه ..

فى بعض الامسيات كنا نجلس سويا فى حدائق البرتقال نتحدث ... وفى ظلال الحرب وعلى بعد خطوات من فوهات المدافع كان كل منا يحكي للاخر ذكرياته وآماله واحلامه ... لقد حدثني كثيرا عن خطيبته ، كان يرى فيها نموذجا للخلق والجمال .

يحتفظ بصورتها معه ويضعها على قلبه ... فاذا ما هدأت المعركة اخرج الصورة واخذ يتأملها وكأنه يناجيها او يتحدث اليها .

واحست آمال بقشعريرة تسري فى جسدها والتفتت الى زوجها متسائلة « هل ذكر لك صديقك اسم خطيبته ... » وتعلقت انظارها بشفتيه تنتظر الجواب ، واتخذ صلاح مكانه فى مقعد القيادة قبل ان يجيبها فى هدوء وهو يحاول جاهدا ان يخفي ابتسامة .

« لم يذكر لي اسمها ولكني على اثر عودتي من الحرب سألت كثيرا وتحريت حتى عثرت عليها »

وشهقت آمال .. وارتفعت الدماء غزيرة الى وجنتيها فى اللحظة التي امتدت فيها يد صلاح تداعب شعرها .

وانطلق صوته فى جد .. «صدقيني يا آمال .. انني اكتشفت فيك الليلة وفاء نادرا .. انني احترم هذا الوفاء واحنى راسه تقديرا له .. »

وانطلقت السيارة بهما فى طريقها الى الاسكندرية ...

الاسكندرية فوزي الميلادي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نافورة جنيف

**

ديار الصفا والانس برا لساحل ... تملكت قلبا من مقيم وراحل
اتيتك والايام تهجر زهرتي ... فأطلعتها عند الربيع المواصل
انا النفس هامت فى البلاد شريدة ... تود لقا الاحباب دون عواذل
قراش على رف النسيم بروضة ... ازاهيرها تصغي لشدو البلابل
وغيد اماليد كفينوس خلقها ... نسيج الهوى فى مشيها المتمايل
يبادلها العشاق تقبيل واله ... بغير رقيب في ظلال الخمائل
عرفت بها فن الحياة فعهدها ... على العمر ان تحيا بروح مفائل

وقفت على «ليمان»(١) يضحك بحرها ... وقد احدقت فيه صفوف المنازل
امراة جن نمنم الافق وجهها ... كأسطورة اوفت على سحر بابل
ام القوم فى زهو النعيم بزورق ... يطوفون فيها بين شاد وهازل
ومطفرة للماء يعلو وثوبها ... الى الجو وسط البحر ابداع هائل
انافورة تبغي السماء ، وعزمها ... تهاوى فكرت كالجريح المناضل
أراك عمود الماء يسكب فيضه ... على نفسه كالمستحم بوابل
وخلتك « سيرين » البحار تبدلت ... زلالا وارخت شعرها في الغلائل
وشلال انغام يردد لحنه ... حضارة انسان سما في التكامل
رايتك من قرب ورقرقت صبوتي ... عليك وقد نولتني خير نائل
فأشعرت برد الروح فيك على الظما ... ومنيت نفسي منك في حلو طائل
فياليتني اطوى الشهور مجاورا ... لرياك انضو الهم عن ضعف كاهل
وثبت كعزمي حين لم يبلغ المدى ... فعاد كسيرا في الوغى المتواصل
تشابه فينا الصبر والكر والمنى ... كلانا على الامال غير مزايل
ولا بد في درك العوالي من اتعنا ... فلا تقطعي عنا وسيلة آمل
وشمتك من جو الجبال معلقا ... بحافلة فى جريها المتثاقل (٢)
حبال حديد جاذبتها من الثرى ... الى الجبل الاعلى فيا غول غائل
تملكني ذعر عليها وقبلها ... علوت متون الطائرات الجوائل
حسدت نسور الجو لما عرفتها ... فيا عجبي من رأسها المتطاول
وعاد خيالي للبداة فاشبهت ... بدلو جسيم شده زند حابل
رايتك يا نافورتي مثل باشق ... من الجو حط العين فى كل مائل
علوت ودلاني الهبوط مماثلا ... لشأنك ، والدنيا منالة غافل
وسارى القضا ما بيننا فجميعنا ... من الارض لا ندري الجواب لسائل

(١) هي بحيرة جينيف بسويسرا (٢) هي « التيليفيريك »

جينيف — زكي المحاسني



وديـع فلسطين

وديـع فـلسطـين

بقلم ابو طالب زيـان

العضو الفني بالادارة العامة للثقافة بالقاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرفت الكاتب البليغ الاستاذ وديع فلسطين عن كثب ، وفى دار « المقطم » منذ نيف وخمسة عشر عاما ، اديبا لامعا ، وصحافيا بارعا ، يحج اليه فى هذه الدار الكبيرة ، ويطلب رأيه فى هذه البقعة من الارض التي عمرت تخدم للادب ، وتركز للاسس ، وتبني للاجيال ، وكوجه للصحافة اكثرمن ثمانين عاما ، هي عمر المجد الذي عاشه « المقطم » شامخا، وتألق نجم «المقتطف» بين بناياته يضيء بأنقى الآراء ، ويتغلغل فى شتى النفوس ، فيعجم من عودها ، ويسلس من ثقافاتها ، ويجمع متنافرها فى صعيد تلك الصحائفالتي بان عليها الاستاذ وديع فلسطين ، وظهر فى علاها نجمه بين النجوم ، متخيرا مقعده ، متميزا بين النظراء ، موسوما بالرقة ، مطبوعا على جمال اللفظ ، وآنق العبارات .

دخل هذا الكاتب المفتن « المقطم » قبلي ، او دخلت انا قبله ، لا اكاد اذكر هذا التاريخ لفرط ما اجتمع فيه من حلاوة ، وما صاحب ايامه من لذاذة ، وما اكتنف سويعاته من جهاد متواصل ، كنا فيه نعزف على نغم واحد ، هو تأدية هذه الرسالة الساميةفى مواقيتها المضروبة التيربطتنا بها عجلة هذا الزمن المحدود فى خروج جريدة ، وتصميم صحيفة ، تقف بين لدات لها حديثات منافسات هي انضر عودا ، واقصر مدى من صاحبتها « الشيخة » التي فعلت الاعجاز ، وتلقفت ما صنع المنافسون من صحائف ، وطوت فى اطمئنان ما اداه التنافس بين تلك الصحف من تفرق فى الراي ، او جنوح الى الهوى ، او زيغ الى الغرض .

كنت انظر الى حركة هذا الفتى الوديع الدائبة ، وهو يسعى بين عمال المطبعة يستنجزهم ما كتب ، ويحثهم على طي الصحائف بعد ما يكون قد فرغ من عمله ، ودفع به الى حيث يخرج مستويا ، الى ايدي صفافي الحروف منأولئك الذين ربطوا بعجلة « المقطم » ، لا يستغنون عنه ، ولا هو فى استرخاء عن مطالبهم التي تنوء بهاشم العزائم ، وغرائب التفكير فى كل امر بحل ، او شاردة تند ، وما اكثرها اموراً، وما اوسعها بنودا ان لم تقابل بعقل متدبر ، انفلت الزمام، وصارالامر علىغير ما يرادويبتغي ذووهمن احكامهوتصرف.

كان «المقطم» فى سنيه العديدة ، وايامه المطولة حريصا على رجالاته الذين يتفانون فيه، ويسعدهمان تكونجريدتهم ملء السمع فى كل قطر ، حديث الناس فى كل مجتمع بما تنشر من راي حر ، ونقد سليم ، وتوجيه مصيب . وكان ابناؤه يجمعهم ذلك العزم الجبار الذي خلق فى نفوسهم، وسرى فى دمهم ، وتغلغل فى كل اقطار جسمهم ، لا يبغون غير النفع ، ولا يسعد بالهم ، الا ان تكون هذه الجريدة موضع الهمس، كما هي موضع الجهر : تبويبا ورأيا وخبرا، ومقالة يفرغ لها وديع فلسطين ، فتزدان بها الصحيفة ، ويقبل عليها القراء اقبالهم على طعام شهي ، او سلعة منع تداولها من الاسواق ، فباتت عزيزة المنال ، نادرة الملتقى الا فى هذا المنبر الحر البريء المطواع الذي كان هذا الفتى لا يضن عليه فى كل يوم بجولة فيها سياسة العالم ، او براي رشيد فيه جماع الفائدة ، وخلاصة التجاريب فى العرض والراي والامتاع .

هنا ، لقد كان عملنا فى «المقطم» اليومي ينتهي بانتهاء الساعات الاولى من النهار ، فينصرف كل منا الى ما يبتغيه من ازجاء الوقت بلذائذ الحياة او مكدراتها ! فهل كان وديع فلسطين كذلك من هذا الرعيل الذي يجتمع ساعات، ثم ينفض بغية البحث عن تسلية ، او قطع الطريق فى ملهاة؟ لا ... كان وديع يتربص لخلوص عمله كبقية الزملاء ولكن لينفلت الى عمل آخر يبدأ اوله حيث يكون الصحب من الاخوان ينعمون هدوءا ، او يستظلون حرورا ... في «المقطم» ، كان المنتدى الخالص من كل الشوائب ، يعقد جلساته الحبيبةبهذه الرياسة الجليلةالتي تواضعت، فجنح الشرق اليها ممثلا فى الطليعة من ابنائه ، واستهوت الغرب، فتمثل فى المهاجر التي استوت على هذا السوق ، والتقت فى هذا المكان الكريم ، يحدوها الايمان الخالص ، والعمل لخير البشرية فى ظل هذه الكوكبة التي كانت ارض «المقطم» متألقها ، وموضع رجائها ، وموئل اتجاهاتها النافعة .

كان تألق النجوم فى هذه الساحة الكبرى موضع العناية من قضية الادب ، ومرمى الاتجاه من قضايا النقد ،ومثابة

الارهاص فى النواحي العديدة التي اجتمع الشمل من اجلها، وتواصى على البناء والتوجيه والارشاد. فكان سلامة موسى ومحمود تيمور ومحمد عبد الغني حسن ومحمود ابو الوفا وسيد قطب ومبارك ابراهيم وابراهيم الابياري ومحمود واحمد محمدشاكر ومصطفى عبداللطيف السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي، والدكاترة: ابراهيم ناجي واحمد فؤاد الاهواني ومراد كامل وعثمان امين ويوسف مراد وباهور لبيب ومحمد يوسف موسى وعبد الحميد يونس واسماعيل مظهر من خير هذا الرعيل خلوص نية، وحسن اتجاه. وكان الامير مصطفى الشهابي وعبد القادر المغربي وزكي المحاسني وسامي الكيالي وسامي الدهان ونزار قباني ورفائيل بطي وخليل السكاكيني وقدري حافظ طوقان وعبدالله القصيمي وعبدالقدوس الانصاري وعبدالله بلخير وطاهر زمخشري وابراهيم العريض، من مضامين هذه الندوة حرصا، ومن حواشي هذا الاجتماع التاريخي الذي قضى اكثر ايامه يجتمع دون ما معوق، ويشتمل على هذه الاشعاعات دون نكوص عن الغرض، او جنوح عن الغاية، او استكانة لما يجري حول الفصحى من تجاذب، او انحدار، او صراع، او عاديات.

كانت قضايا الفصحى تطرح امام هذه الصفوة المختارة التي جمع بينها هذا الغرض، والف بين قلوبها هذا التحاب. فلا يلبث هذا الراي يفند، وذاك يناقش، وثالث يعلق، ورابع يجمع هذه العجالات ويخلص من هذه الشوائب براي له وزنه، وقول له ميزته على كل الآراء التي تناثرت في هذا الجمع، وتبلورت فى هذا الخضم الزاخر الذي تحلق حول رائده الذي لا ينفك يرقب هذا الراي بعين حذرة، وتعتمل فى ذهنه بعض هذه الآراء التي طوحت بها المجادلات فى هذا المجلس، فيعلن النتيجة دون تحيز، والحكم دون امتراء او افتئات، وينفض هذا السامر اللجب على ان يعود فى يوم آخر لبحث ما جد فى قضايا الفكر، وما عن فى دنيا الادب فى جلسات كانت متعة للنفس، وشفاء للقلوب التي فقدت حياة الجلسات فى النوادي، وعز عليها الاجتماع فى البيوت، فباتت متعطشة الى مثل هذه الندوة، متلهفة الى هذه الاجتماعات التي عمل على عقدها فى دار «المقطم» الكاتب المبدع وديع فلسطين.

على ان التقاء هذا الرعيل الذي جمع من شمله هذا الكاتب على صفحات «المقتطف»، كان امرا لا مفر منه: اذ كانت البناية التي تضمه والمقطم واحدة، لا يفصلهما غير الاصطلاح العرفي الذي اطلقه اصحابهما، فكان هذا هو «المقطم»، وكان هذا هو «المقتطف»، وان كان يختلف كل منهما فى الرياسة والموظفين والعمال، الا انه كان يجمعهما رسالة واحدة، وهوى مستكين، ونغمة حلوة انطلقت من ضمائر اصحابه، ففصلت الخبر عن المقالة، والحادثة عن المناغمات الشهية، وكان هذا لغة علم وفن وادب، وذاك لغة اصطلاحية جرى عليها العرف، وان كان لم يسفف الاسفاف الذي عليه الخبر اليوم من سوقية ومجاراة للوضع، ومجاملة للشعوب المختلطة، والثقافات المتأرجحة التي غزت الضاد، وقبعت فى دور الصحف، تنفث سمومها وتبيض لفراخ الجهل فيها.

كان هذا الرعيل المثقف يلتقي من كل قطر فى هذه الموسوعة الكبرى، يناقش، ويجادل، ويقنن، ويرسم الاتجاه، ويريد الميادين امام الطليعة من الجادين الراغبين فى الوصول وكان يشجعهم افساح تلك الصفحات من هذه الموسوعة امامهم، فى غير مَنٍ، او مجاملة، او انتهاز. فرسالتها هي هذه الرسالة التي يعمل لها هذا الفتى على هذه الارض، وينوء بها ولكن فى ابتهاج، يثلج صدره، ويرضي ضميره، ويعينه على مضاء العزم فى شق الطريق، وريادة قضايا الفكر على اوسع نطاق، وارحب ميدان.

وفى الحق، ان هذه الكتيبة التي جندت نفسها فى اعزاز، وجمعت من غرضها فى تفاهم، قد كان يشعشع من مرسومها، ويشحذ فى عزمها هذه البحوث التي اثمرت هذا الثمر اليانع فى ظل هذه الدوحة المورقة التي يسقيها من عصارته الاستاذ وديع فلسطين، ويقوم بحراستها دون ما اجر يتقاضاه، او كلل يصيب نفسه، او صدأ يعلو قلمه العريض فى الذود والدفاع عن هذه المبادىء التي انفق على اذاعتها، وارسالها سهلة ميسرة فى كل انحاء الضاد من على هذا المنبر المستجيب.

غير اني كواحد من هؤلاء الذين كانت تساورهم الشكوك، ويتطلعون الى فعل هذه التجمعات فى هذه الدار الواسعة، كنت اشارك من بعيد فى باب بعينه، ورسالة بذاتها، هي عرض بعض الكتب التي يتوافر عليها عصبة من هنا، وفئة واعية من هناك، وكنت مع مشاركتي البعيدة، لا افتأ ان استطلع هذه الاجتماعات اولا باول، وموضوعا بموضوع، حتى بلغ بي الفضول مبلغه، فكنت استقصي الاسماء، واقف على كنه المسميات التي اختارت هذا المكان اجتماعا لها، ومحورا تدور حوله، فيرتد الى عجبي، وابلغ من سؤلي الى ما قصدت عندما اطالع «المقتطف» وهو يضم اقلام هؤلاء ... موجهة بانية مصلحة، فيتملكني العجب مرة اخرى، وابحث عن الدوافع الخفية لهذه الصفوة، فلا يمتاز مجيبي بهذه الاشادة التي تعانق مضمونها فى قلم الموجّه الباحث، رمز الملتقى، وكنف القاصد الاستاذ وديع فلسطين الذي جعل من قلمه مرشدا، واقام من نفسه همزة وصل بين الشادين بلغة العروبة، والممرعين فى عليا الضاد، والمنادين بالبناء الشامخ، والتجديد.

ومما لا جدال فيه، انه كان بين هذه الكوكبة التي اتخذت لها هذا المكان المرموق فى ساحة «المقطم» العريضة، من لم يؤخذ بهذه المفاهيم، ولم ينفعل بهذه المدارك، فقضى عمره بين هذه المحامد، وانفق سنيه يروح ويغدو، متهالك الثقافة، ضحل البيان، منتكس النغم على الرغم من هذا الشدو الذي اختلط بدم الشادين، وسرى به البرق الى حيث هذا اللقاء الحبيب بين اخوة ينظرون اليه على انه

مسرة

سأذهب بعيدا
في المسافات المشوقة
وانهل من البحيرات
واغوص في الاوحال
وحينما يرتوي
الشبع مني
اجوع !
وتغوص اعماقي الطافية
في قرارات الاعماق

وعندئذ
استشف
وجودي
وارى هنيهة نفسي
وتشيع في صحرائي المسرة

دوسلدورف **ناصر بو حيمد**

الارهاص العجيب ، والبعث الوليد الذي نفخ فيه من روحه كاتب المعي يسعده ان يفنى في سبيل البناء، وتنطلق اساريره ان هو اصاب الهدف،او وصل الى الشاطىء رغم الاعاصير ، وهوج الرياح ، والحرب الباردة التي تسري بين الزملاء في شتى الاصقاع ، ومختلف المواطن .

كان بين هذه الشرذمة المتخلفة ، من اقاموا من انفسهم شداة من غير نغم ، وبنيانا من غير اساس ، ونشاذا بين الاوتار المنتظمةفي هذه الدارالعالمة بمجرى التيار، الحريصة على هذا التجمع الكريم الذي تجشم السفر اليه ، اخوة شغفوا بهذا الرائد ، وحرصوا على الالتفاف حول هذا الاديب الذي جعلوه منتجا لهم ، وموئلا يقصدون اليه كلما حز بهم امر ، او اصاب العربية بمكتله زنيم .

على ان الذين شردهم هذا المجمع، ولفظتهم هذه الكوكبة، داخلهم السرور ، وتنفسوا الصعداء عندمانال الزمن من هذه المجموعة المصيبة ، فطويت صفحة «المقطم» انفاسها على غير وهن اصابها ، او ضعف هز كيانها ، او انتفاض في مقوماتها . وحسب الذين طوح بهم الزمن ، ان النبع الاصيل ، والغدير الرقراق الذي كان يسقى منه الصادون، قد جف ، او قد اصابه ما اصاب البنيان الذي تقوض خلسة ودون انذار او مقدمات ، اللهم الا موت صاحبه العلامة : الدكتور فارس نمر ، الا انه سرعان ما اعيد تنظيم هذا التشكيل في ظل صاحبه الاول الاستاذ وديع فلسطين ، في بناية اشمخ ، وظل ظليل يتفيأ استرواحه ، وينعم بتوجيهه هذا النفر الذي عرف فضله ، فداوم على غزوه ومراسلته والحج اليه من كل الفجاج .

والذين ينكرون هذا الفضل ، وتميت نفوسهم هذه الحقيقة ، عليهم ان يروا الاستاذ وديع فلسطين في مكتبه بشركة « ارامكو » في قلب القاهرة ، وسط الجمع الاوّاب من كل صوب، يبحث ويرشد، ويوجه، ويستقبل، ويحنو، ويشارك ، ويسمع كأن جوارحه آذان سميعة لكل ما يدور حوله، وواعية لكل المناقشات التي تطرح هنا اوهناك.

والواقع ، ان المؤرخ لحياة هذا الكاتب ، يغمطه حقه ، ويسلبه توافره على نشاطه الجم الذي تمثل في عدة اسفار ، عكف عليها في سكون الليل ، وهداة الضجيج ، غير هذه المقالات التي تتناقلها صحف العربية في كل الاقطار ، في لهف وشوق واجلال ، تفعل فعلها الساحر ، وتعمل على بث هذه التعاليم البانية لصرح العربية الاشم .

على ان الذين يعرفون الاستاذ وديع فلسطين الكاتب الاديب ، لا يعرفون عنه انه مترجم من طراز فريد ، ونحو قلما يجود الزمان به من توفيق بين لغة الضاد ، واللغة التي ينقل عنها ، واخضاعه اللفظ العربي للعبارة الاجنبية حتى تخرج متساوية النغم ، غير نابية الطبع ، ولا ناشذة البناية في سمع المطالع ، او في نظر الفاحص الاريب .

وليس ادل على هذا التمكن من اللغتين في كتابه «صحافة الخبر» الذي يعد له ، ويحسب في ميزان النضج الاصيل، والعمل المشرف الذي قلما يجود به الزمان على طول السنين، وتعدد العاملين في هذا الحقل الرحيب .

فالمطالع لهذا الكتاب ، يرى المجهود الجبار الذي تواضع هذا الكاتب في بذله من هذا السفر الذي تضمن الاعاجيب في كل صفحة من صفحاته الاربعماية ، ويلمس هذه الثقافة الملهمة في عجم هذه الاصطلاحات التي مشت في انحاء الكتاب ، وكيف تم اخضاعها للقوالب العربية التي فصّلها ، وحاك حواشيها الاستاذ وديع فلسطين في صبر يحسد عليه، وجلد لا يرقى اليه الا من اوتي العلم ، وتتطامنت له سبل البحث، وتمكن من هذا السير الذي توافرت مقوماته لهذا الكاتب العظيم .

ولقد تمكن الاستاذ وديع فلسطين ،بخلقه الطيب، وعمله الغزير ، واريحيته المثالية من جمع هذا الشتيت المتفرق في كل الاصقاع في صعيد واحد بفضل هذه السفارة التي يقوم بها بين ادباء العروبة منذ ان عرف وعيه ، واشتد عوده ، وهو زمان طويل سبق به سني عمره ينضج عقله المبكر ، وادراكه العالم قبل عد السنين ، وحساب الايام التي تعد للمرء في كشف الحساب ، لكنها لا تعد لوديع فلسطين الا في المكرمات ، والسفارات الكريمة التي ربط بها التوازن المثالي بين ابناء العروبة الواعية .

القاهرة **ابو طالب زيان**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكذبة المعطرة

الياس الفاضل

هري فى الوحل يا اهداب المجد
وانكسري امام الريح يا رماح المستقبل
انضجر يصهل على الارصفة الزرقاء
والموت يزنر خصر المدينة الجائعه

* * *

وجه الارض مجعد وذو انياب لاحمه
وانا ارقب طلوع الشمس وغروبها
واعلم ان الزمن عربة فارغة
تجرها خيول الموج
الى الخلجان المنسية
وانني غيمة فى الريح
اسير مرغما وراء العربة الفارغه
وملء فمي ضحكة عريضة
تنزلق على الوجوه اليابسة
المحمصة بفرن الخلود الزائف
وابدا يا اصدقائي
يتدحرج الفراغ على جبهتي
احجارا مروسة
توقظني على رنين معاول الكذبة المعطرة
التي تسمونها الذكرى الباقيه
وفى الليل ، عندما تتفتح براعم صمتي
فى ظلام الغرفة الخاويه
ازهارا تنشر الحزن والغربه
الغربة والتلاشي
لا ادري اي سر
يرغمني ان اظل غيمة
وراء عربة تجرها خيول الموج
الى الخلجان المنسيه ...

* * *

فيا ايها المعجبون بقصائدي العاطفيه
المسافرون معي على مركبة احلامي الرائعه
ايتها العذارى اللواتي يسكرن
على انغام الحب والبخور المحترق فى قلبي
بعد موتي
لا اريد قبرا رخاميا ولا رايات
بل خذوا جسدي واطعموه لاسماك البحر
واعطوني فى حياتي
غرفة هادئة انام فيها
مع لفافات التبغ والاقداح الفارغة
وبعض من خفقات قلوبكم العاشقه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للمرة الاولى فى الشعر العربي

بقلم الغزالي حرب

من الاراء السائدة بين كثير من الادباء والمتأدبين ، ان الشعر فى العصر الاموي ليس الا امتدادا للشعر فى العصر الجاهلي ، وصورة اخرى له « طبق الاصل » تقريبا ليس فيه من الوان التطوير والتجديد ما يقام له وزن واعتبار ،والذي يعنينا فى هذا المقال ، ان تعرض امثلة حية نابضة بالتجدد الحضاري ، والتطور الفني من شعر العصر الاموي ، وحسبنا هنا عشر « اوليات » مبتكرة :

١ ــ لاول مرة فى تاريخ الشعر العربي رأينا فن الغزل فى شعر عمر بن ابي ربيعة،يعتبر المرأة طالبة للرجل،ساعية وراءه ، متغزلة بحسنه وجماله الذي يزري بجمال القمر ، واستمعوا معي الى المحاورة التي اجراها شاعرنا هذا بين ثلاث من الغواني الحسان : كبرى ووسطى وصغرى :

بينما يعتنني ابصرنني ... دون قيد الميل يعدو بي الاثر
قالت الكبرى : اتعرفن الفتى ؟ ... قالت الوسطى : نعم هذا عمر
قالت الصغرى ــ وقد تيمتها ــ : ... قد عرفناه وهل يخفى القمر ؟!!

ويروي صاحب الاغاني ابو الفرج الاصبهاني ان ابن ابي عتيق سمع هذه الابيات من صاحبها المدل بجماله وشعره، فقال له ما نصه : « أنت لم تنسب بها، وانما نسبت بنفسك، كان ينبغي ان تقول : قلت لها ، فقالت لي ، فوضعت خدي فوطئت عليه ... !!! »

٢ ــ ولاول مرة نرى الشاعر العربي يعدل فى افتتاح قصائده عن ذكر الاطلال والاثار ، الى ذكر الخمر ومجالسها وشاربيها كما صنع الاخطل مثلا فى مطلع قصيدته المشهورة:

خف القطين فراحوا منك او بكروا ... وازعجتهم نوى فى صرفها غير
كأنني شارب يوم استبد بهم ... من قرقف ضمنتها حمص او جدر

واذا كان الاخطل قد افتتح القصيدة بمجالس الخمر.. فالشاعر الاموي الاخر « الكميت » قد افتتحها ، وهو صاحب« الهاشميات » بذكر «البيت الهاشمي » قائلا مثلا:

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ... ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
ولكن الى اهل الفضائل والنهى ... وخيرني حواء والخير يطلب
بني هاشم رهط النبي فإنني ... بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

٣ ــ ولاول مرة نرى شاعرا عربيا يهب حياته واخرته ودنياه كلها للخمر وكفى ، ونعني به الوليد بن يزيد ، الذي ظل على وفائه الماجن للكاس والطاس ، حتى بعد ان تولى منصب الخلافة الاسلامية ، التي آثر عليها ليلاه الحسناء ، وليلته الحمراء، ونشوته بالصهباء، قائلا فى استهتارعجيب:

دعوا لي سليمى والطلاء وقينة ... وكاسا الا حسبي بذلك مالا
خذوا ملككم ــ لا ثبت الله ملككم ... فليس يساوي ما حييت عقالا

ولم ار بيتا واحدا قاله هذا الشاعر السكير الخمير ، فى غير بنت الحان ، التي جن بها ، وعاش لها ، وقتل ــ وهو خليفة ــ فى سبيلها ، ومن خمرياته المرقصة :

ادر الكاس يمينا ... لا تدرها ليسار
اسق هذا ثم هذا ... صاحب العود النضار
من كميت عتقوها ... منذ دهر فى جرار
ختموها بالافاويه ... وكافور وقار
فلقد ايقنت اني ... غير مبعوث لنار
ساروض الناس حتى ... يركبوا دين الحمار
وذروا من يطلب الجنة يسعى لتبار

٤ ــ ولاول مرة نرى شاعرا امويا هو المقنع الكندي يصف القلم فيبدع قائلا من قصيدة رواها الجاحظ فى الجزء الاول من كتابه « الحيوان » :

قلم كخرطوم الحمامة مائل ... مستحفظ للعلم من علامه
يسم الحروف اذا يشاء بناءها ... لبيانها بالنقط من ارسامه
وبانفه شق تلاءم فاستوى ... سقي المداد فزاد فى تلآمه
مستعجم وهو الفصيح بكل ما ... نطق اللسان به على استعجامه
وله تراجمة بالسنة لهم ... تبيان ما يتلون من ترجامه

٥ ــ ولاول مرة نرى شاعرا عربيا يرثي نفسه بقصيدة قوية مؤثرة لم يرث بمثلها احب الناس اليه ، واعزهم عليه ، فلا احب اليه ، من نفسه التي بين جنبيه، ومن هذا الشاعر العزيز على نفسه ؟ انه مالك بن الريب الذي خرج غازيا لبلاد فارس فى عهد معاوية بن ابي سفيان ، وتحت لواء سعيد بن عثمان بن عفان ... ولما مرض فى خراسان ... غلب على ظنه انه مرض الموت فقال يرثي نفسه من قصيدته الرائعة الحنون :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... بجنب الفضا ازجي القلاص النواجيا
فليت الفضا لم يقطع الركب عرضه ... وليت الفضا ماشى الركاب لياليا
الم ترني بعت الضلالة بالهدى ... واصبحت فى جيش ابن عفان غازيا؟!

ثم يقول باكيا مبكيا فى حنان وحنين :

تذكرت من يبكي علي فلم اجد ... سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وبالرمل منا نسوة لو شهدنني ... بكين وفدين الطبيب المداويا
فمنهن امي وابنتاي وخالتي ... وباكية اخرى تهيج البواكيا
وما كان عهد الرمل عندي واهله ... ذميما ولاودعت بالرمل قاليا

٦ ــ وما عرفنا شاعرا عربيا قبل الفرزدق ، يتخذ ابليس اللعين موضوعا لهجائه ، فيقول من قصيدته التي تراها فى ديوانه :

اطعتك يا ابليس سبعين حجة ... فلما انتهى شيبي وتم تمامي
فررت الى ربي وايقنت انني ... ملاق لايام المنون حمامي

ثم يقول ــ وهو يتميز غيظا من ابليس ، ويهدده بالجراح الدامية ــ :

(١) القرقف : الخمر . و «حمص» و « جدر » بلدان بالشام .

وأما انت يا ابليس بالمرء أبتغي رضاه ولا يقتادني بزمام
ساجزيك من سوآت ما كنت سقتني اليه جروحا فيك ذات كلام !!!

٧ ــ وقبل ان يظهر الشعر الشعوبي في العصر العباسي، نرى الشاعر الاموي الفارسي الاصل ، اسماعيل بن يسار النسائي ، يروي له صاحب الاغاني وغيره اشعارا شعوبية ، لم يقتصر فيها على المفاخرة بالفرس ، وانما تجاوز المفاخرة الى الموازنة بينهم وبين العرب ، مفضلا الفرس على العرب الذين خاطبهم في شخص « أمامة » قائلا :

فاتركي الفخر يا امام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسالي ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الاحقاب
اذ نربي بناتنا وتدسون سفاها بناتكم في التراب !!!!

٨ ــ ولاول مرة ــ ولا فخر ــ نرى الشعر العربي في العصر الاموي يتطور فن الهجاء فيه الى سباب بذيء ، وافحاش مقذع ، كما نرى في « النقائض » التي دامت ما يقرب من خمسين عاما بين شعراء ذلك العصر ، وخاصة بين جرير والفرزدق والاخطل ، وفيها ما فيها من ذكر العورات الجنسية بأسمائها الصريحة ، والمعايرة باتيان الغلمان والحيوانات ، وما الى ذلك مما نتنزه عنه ، فان كان ولا بد من التمثيل ، فلنمثل ببيت واحد من احدى « نقائض » الاخطل الذي نادى جريرا في هذا البيت « بأبن الكلب » قائلا له ــ وعفوا ومعذرة ــ :

فان تسع يا بن الكلب تطلب دارما لتدركه لا تفتا الدهر عانيا

٩ ــ واول قصيدة من نوعها في الشعر العربي على الاطلاق ، تلك القصيدة الرائية التي رثى بها جرير زوجه ام حزرة باثنتين وعشرين بيتا منها ، ثم خفت به السفاهة المركوزة في طبعه الى الهجاء المقذع الذي استغرق باقي القصيدة ومقداره مائة بيت تقريبا ... ولست ادري : كيف ساغ لجامعي ديوان هذا الشاعر الشتام ، ان يضعوا قصيدته هذه في باب الرثاء ، والاليق بها باب الهجاء ؟ اغلب الظن انهم خدعوا بمطلع هذه القصيدة التي بدأها بتصنع الحياء ، وتكلف الرثاء ، قائلا يخاطب زوجه ام حزرة :

لولا الحياء لعادني استعبار وزرت قبرك والحبيب يزار
ولهت قلبي اذ علتني كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار

ثم لم يلبث ان غادره حياؤه المزعوم ، عقب البيت الثاني والعشرين فاذا هو يقذع في هجاء خصومه بخمسة امثال الابيات التي قالها في رثاء زوجه ، قائلا ــ وقد اطرح رداء الحياء جانبا ــ :

اقام حزرة يا فرزدق عبتم غضب الاله عليكم الجبار
كانت اذا هجر الخليل فراشها خزن الحديث وعفت الاسرار
ليست كأمك اذ يعض بقرطها قين وليس على القرون خمار

١٠ ــ وكان طبيعيا بعد ظهور الاسلام وغلبته شرقا وغربا ، ان تغلب النزعة الاسلامية القرآنية على معظم اغراض الشعر وكنونه ، وان ينطق الشعراء للمرة الاولى في تاريخ الشعر بأبيات لها طابع فقهي اسلامي يهتز له الفقهاء قبل الادباء .

فكثير عزه يمدح عمر بن عبد العزيز بقصيدة منها :

وصدقت بالفعل المقال مع الذي اتيت فامسى راضيا كل مسلم

والفرزدق يقول من هجائه لجرير :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

وجرير يقول من رثائه لزوجه « ام حزرة » :

صلى الملائكة الذين تخيروا والصالحون عليك والابرار

والطرماح يقول من قصيدته الحكيمة الواعظة :

كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انقضى عدده
يوم لا ينفع المخول ذا الثروة خلانه ولا ولده
يوم يؤتى به وخصماه وسط الجن والانس رجله ويده

والعجاج الرجاز المشهور يفتتح احدى اراجيزه بقوله :

الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمأنت

وذو الرمة صاحب اجمل لوحات شعرية تصف الطبيعة في العصر الاموي يقول من قصيدة له ، مشيرا الى سورتين من سورالقرآن الكريم وهما سورة«النجم» وسورة«الطور»:

اذا انجلى البرق عنه قام مبتهلا لله يتلو له بالنجم والطور

حتى الاخطل ــ وهو الشاعر التغلبي النصراني ــ غلبت على مدائحه امية النزعة الاسلامية احيانا ، فهو يقول من احدى مدائحه للخليفة :

احيا الاله لنا الامام فانه خير البرية للذنوب غفور
نور اضاء لنا البلاد وقد دجت ظلم تكاد بها الهداة تجور

واختم مقالي بمثالين من « شعر الفتاوي الفقهية » رواهما صاحبا « الاغاني » و « العقد الفريد » :

قال ابو الفرج الاصبهاني : سأل رجل الحسن البصري يوما ــ وعنده الفرزدق ــ عن اليمين اللغو في الكلام من مثل : لا والله .. وبلى والله .. فقال الفرزدق او ما سمعت ما قلت في ذلك ؟ فسأله الحسن : وماذا قلت : فقال الفرزدق :

ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وروى ابن عبد ربه ان شخصا اخر سال الحسن البصري ــ وكان عنده الفرزدق ــ عن اسيرة الحرب المتزوجة اتحل لمن اسرها ام لا ؟ فقال الفرزدق للحسن : او ما سمعت ما قلت في ذلك ؟ وانشد :

وذات حليل انكحتنا رماحنا حلال لمن يبنى بها لم تطلق

وفي ضوء الامثلة الحية السابقة ، نتبين كثيرا من نواحي التجديد والتطوير في الشعر الاموي ، الذي لم يكن صورة مطابقة للشعر الجاهلي خلافا لما هو شائع بين بعض الادباء والمتأدبين ..

القاهرة — الغزالي حرب

ليلنا حقا ساحر، الهواء يطوف بوهيميا في الشوارع العريضة ، تهتز نشوة به الاشجار ويهتز كذلك البشر ... ورصيد حرارة النهار يتطاير فجأة وكأنه فلينة زجاجة اخيرا تنفرج .

ـ انه لمنظر رائع

وتشير بيدها الى مكعب من كرات مستديرة مستطيلة ، خضراء قاتمة ، تستند الى حائط منزل

ـ هل اضرب قدمي فيها فتتدحرج؟

ابتسم «هو» ولم يزد على ان يبتسم .

* * *

كان طفل صغير يجلس على صندوق خشبي ، مختفيا وراء المكعب ، بقربه ميزان ، على بعد منه عربة خشبية فارغة من الخضار ، ينام فيها رجل ، وشجرة تظلل باغصانها النور الضئيل الذي يبعثه مصباح منصوب في اعالي عامودة .

الطفل يسند رأسه الى الحائط ، ينام ، قدماه في السروال العريض لا تكادان تصلان الى ارض الرصيف .

قالت : اود حمل واحدة الى المنزل.

قال «هو» : ان الصبي كما ترين ، نائم

قالت : ولكن انظر اليه الان ، انه يحرك رأسه ويفتح عينيه

سأل «هو» : ما سعر الكيلو ؟

اجاب الصبي بصوت متناعس : عشرة قروش

ـ عشرة قروش ، الا تقل ؟

ـ عشرة قروش

ووقف الصبي وشد باطرافه وتمطى جيدا ثم اكد من جديد : عشرة ، لا تقل عن عشرة قروش

لم تنتظر هي بقية الحوار وانما كانت عيناها تبحثان في مكعب البطيخ واخيرا صاحت وهي تومىء الى واحدة كبيرة مهيبة : هذه .. اريد هذه .. والتفتت الى الصبي

ـ الا تعتقد انها صالحة ؟

فهز الصبي رأسه موافقا ثم مال الى البطيخة المختارة ورفعها الى قرب اذنه وربت عليها بقوة ثم توقف واعاد هذه العملية وعيون اربع تراقبه ثم وضع البطيخة المهيبة الكبيرة في صحن الميزان القريب ولكن «هو» اوقفه قبل ان يضع الاثقال في صحن الميزان من الطرف الاخر وقال :

ـ البيع « قطع السكين » اليس كذلك ؟

فهز الصبي رأسه موافقا واستل من خصره مدية ففتحها وانحنى على البطيخة الجاثية في صحن الميزان ورسم خطا قصيرا ثم خطا اخر ثم خطا ثالثا ، فاصبح الشكل مثلثا ، وبعد ان اعاد الصبي المدية الى خصره وقد اقفلها، انحنى على البطيخة وشد

اعمـــاق

بقلم الانسة رينه عبودي

بهـا طولا وعرضا مرتين ثم رفع منها المثلث الصغير ولكنه بسرعة وارتباك اعاده الى مكانه وسمعه يقول:

ـ غير صالحة

فقالت : ارني

نظر اليها متمهلا لحظة وكأنه يحل مشكلة عويصة ثم مد يده على مضض ورفع ببطء اليها المثلث ، الذي كان مؤلفا من قشرة خضراء رقيقة وقشرة بيضاء اكثف واخيرا قشرة زهرية كالحة تقوم مقام اللب الذي كان عليه ان يكون احمر. ووقف الثلاثة بذهول:

هي ، هو ، والصبي الصغير

رنت الى المكعب الكبير لعلها تجد بطيخة اخرى جيدة فلا تذهب دون ان تشتري من البائع الصغير شيئا.

ولكن «هو» كان ينظر بصرامة : لا بد ان تكون كلها كهذه غير صالحة ، فلماذا نطيل وقوفنا ؟

وسار مبتعدا فلحقت به صامتة ، ملتفتة في كل لحظة الى الركن الذي يجمع : النور وظلال الشجرة، الرجل النائم في العربة ، الطفل الذي جلس واسند رأسه الى الحائط ، المكعب الذي نقص واحدة ، الواحدة التي تقف منفردة في صحن الميزان ..

* * *

وحين اغمضت عينيها لتنام واخذها الكرى بعد تفكير، تراءى لها ملك صغير بسروال فضفاض يجلس على عرش من الخشب الرخيص ، ولما اقتربت منه قال لها : «الا تشترين واحدة؟ » واشار الى مكعب يستند الى حائط مؤلف من كرات وكرات خضراء قاتمة.

قالت : اجل .

ولمست بيدها ظهر واحدة ثم قالت: اليست جيدة ؟

فهز رأسه موافقا على كلامها .

وحين همت ان تأخذها ، هوى صوت من الغيوم قائلا : البيع «قطع السكين» اليس كذلك ؟

ولم يكن في المساء غيوم، فابتسمت للصبي غير آبهة وهمت هذه المرة بان تسير بحملها فعاد الصوت ثانية يقول : البيع شريف ، لا غش فيه ، اليس كذلك ايها الملك الصغير ؟

وهنا استل الصبي خنجرا يشبه المدية وادناه من الكرة الخضراء ، فتراجعت هي بها الى الوراء ، وكأنه يدني المدية منها هي ، وصاحت : لا ، لن نشوهها

ورات نفسها ايضا تهيم في الشوارع العريضة، وتقبل الهواء الذي كان يطوف بوهيميا ، وتضحك ملء الرئتين .

حلب — رينه عبودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ساعتي ...

تكتكي يا ساعتي ... انني في وحدتي
قلق مستوحش ... ارقتني عبرتي
مرسل من كبدي ... زفرتي وانتي
كيفما دار بي الدهر ... القى غربتي
الفتني وانا ... لا اجافي الفتي
بيد اني مكتو ... باوام الحرقتي
ظمأ اورى دمي ... منه خارت قوتي
الهوى اج بقلبي ... واضنى مهجتي
والهوى في نفسي ... لاهب في زفرتي
مارد في قمقم ... دائب العربدة
يتنزى فائرا ... باحثا عن كوة
قد تخطى اضلعي ... وارتقى حنجرتي

يا عذولي في الهوى ... في الهوى ما حيلتي
انه يكمن بي ... منذ كانت خلقتي
فابائي والهوى ... ركبا في فطرتي
ويد الرحمن ما ... مسحت جبلتي
لم تصيرني ملاكا عديم النزوة
انا انسان بروحي لظى من شهوتي
كلما نادیت روحي صاحت طينتي !

الدنى ترقص لي ... وانا في حجرتي
والمنى تهتف بي ... وانا في عزلتي
الندى ملك يدي ... والجوى في غلتي
كل شيء اشتهي ... ماثل في حوزتي
ليس ما يمنعني ... عنه الا عزتي
عزة احيا بها ... في اسار الحسرة
صابر لكنني ... مشفق من فتنة
لست ادري ما مدى ... طاقتي وعزمتي
حرت في الدنيا ... وحارت بها امنيتي

تكتكي يا ساعتي ... ابدا لا تسكتي
فصدى خفق الحشا ... انة التكتكة
فاذا صم قضائي ... وحانت رحلتي
لا ابالي ساعتي ... حين تدنو ساعتي
لك ان تبكي غروبي ... او ان تصمتي

المنايا والمنى ... في سباق السرعة !
يا ترى امنيتي ... اعجل ام منيتي ؟

حلب — عمر بهاء الحريري



بشير العوف

من همومنا في الادب

بقلم بشير العوف

صاحب جريدة « المنار » الدمشقية

* * *

على الرحاب الواسعة من ادبنا العربي المتحرر ، نرى آراء تتفاعل وافكارا تتصارع ، فيلتقي فى الحلبة ادباء ومتأدبون قد انقسموا الى فئات وجماعات ، شد كل فريق منهم بحبل ، او اتخذ لنفسه مدارا ، او اختار الاعتماد على نهج معين ، فقام يدعو اليه بحماسة وجد ، يرحب بالمؤيدين والانصار ساعة ، ويندد ساعات بمن ينكر عليه النهج ، او يتناوله بالنقد والتجريح .

يتناول الادباء فى مساجلاتهم « او فى معاركهم هذه ، كما يسميها البعض » امورا ثلاثة ، اولها « الالتزام فى الادب » . وثانيها « بين العامية والفصحى » . وثالثها «حروف الكلمة العربية»

الالتـزام فى الادب

اما الالتزام فى الادب فقد طال حوله الجدل ، واستعر فيه النقاش ، ففريق يرى فى التزام الاديب عبودية للفكر ، وسجنا للابداع ، وقيدا يفرض على العقل والقلم واللسان، بينما يرى فيه الفريق الآخر ، استجابة للاغراض القومية ، التي تحدد اهداف الامة ، ومثلها العليا ، فيندفع الاديب وراءها بفكره وقلمه ولسانه ، ليقود جماهيرها المحتشدة، بما يصوغه من شعر ونثر وعلم وفن . الى مراقي المجد الرفيع ، وقمم السعادة الانسانية .

حول هذين الاتجاهين ، يتركز الصراع فى موضوع الالتزام ، فهل نطلب من الاديب ان يسلك سبيل الالتزام ، ام ندعوه بجرأة الى التحرر المطلق ، ليكون لا ملتزما ؟؟ . .

نحب ان نعرف قبل كل شيء مفهوم كلمة « الالتزام » حسب ما تعارف عليه الادباء العرب ، فى محيطنا العربي ، ذلك لان هذه الكلمة ، قد اتخذت لنفسها مدارا فى الفكر العربي ، يختلف كل الاختلاف عن المدار الذي سارت فيه الكلمة نفسها عند ادباء الغرب ومفكريه !

فى حدود هذا العرف ، يسمى الاديب « ملتزما » ، اذا التزم نهج حكومته التي تخطط الطرق ، وتحدد الوسائل ، وترسم الاهداف ، فيكون واجبا على الاديب ان يسير فى الطريق نفسها ، ويتبنى الوسائل نفسها ، ويسعى لتحقيق الاهداف نفسها ، فحينئذ يكون اديبا ملتزما ، يكرس ادبه وفنه لخدمة الدولة والشعب ، دون ان يكون له رأي مغاير، او سبيل منافر ، وهو الحال الذي نعرف عليه الدول الاشتراكية او الشيوعية ، بما ينتجه مفكروها من ادب وعلم وفن .

اما « اللاالتزام » فهو ما نراه من ادباء ومفكري الدول الديمقراطية او الراسمالية الذين ينطلقون بافكارهم وآرائهم متحررين من كل التزام ، فيصدرون فى ادبهم وفنهم عن قلوبهم وحدها ، وشعورهم وحده ، غير متأثرين بمنهاج الدولة ، ولا بقيم الشعب او سفاسفه، وانما يرسلون رأيهم وفكرهم نابعا من ضميرهم ، مستوحى من شعورهم ، مستهدفا ما يتصورونه من مثل وغايات .

فعلى ضوء هذا التحديد ، ماذا نطلب من الاديب ؟!

هل ندعوه الى « اللاالتزام » ام الى « الالتزام » ؟!

فى رأيي ان هذا المفهوم الذي تعارف عليه الادباء ، لموضوع الالتزام وعدمه ، لا يخدم اغراض الادب ، ولا يهيء جو الانطلاق للاديب العربي ، فالاديب الحق يجب ان يكون ملتزما وغير ملتزم بآن واحد .

ان يكون « ملتزما » ، يختط لنفسه مناهج السلوك القديم ، فيلتزمها لبلوغ الاهداف الانسانية الرفيعة ، بما يتصل من ذلك فى اغراض امته الاخلاقية ، ومثلها القومية والاجتماعية .

وان يكون « لا ملتزما » لما يفرض عليه من آراء وافكار واتجاهات قد اصطنعها فريق او حكومة او جماعة ، تحت ستار الزعم بانها تضمن مصلحة المجموع ، او تسير وفق اهداف الاكثرية واغراضها ، لانه اذا التزم هذه الافكار والآراء والاتجاهات ، يكون قد رضي لنفسه بذل القيد ، وفرض على فكره سبيل الانقياد ، وقتل فى نفسه موهبة الابداع والتحرر والانطلاق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نريد من اديبنا العربي ، ان يكون ملتزما مناهج المثل الرفيعة والاخلاق الانسانية السامية ، مستهدفا اغراض أمته القومية ، التي بنتها عبر التاريخ ، ذرة فوق ذرة ، منذ ابعد العصور الى يومنا هذا ، فلا ينطلق تحت ستار التحرر وعدم الالتزام الى هدم المثل وتحطيم القيم ، كما ينطلق اليوم بعض كبار ادباء الغرب ، ليحطموا كل هدف او مثل او قيمة ، ظنا منهم ، ان من حرية الفكر ، او من حرية الادب ، ان يقول الانسان ما يشاء ، او يستهدف ما يريد ، دون ان يكون له ضابط او صمام ، يوجهه نحو اهداف الامة ومثلها .

اما «اللاالتزام» الذي نطالبه به ، فهو أن لا يجعل من نفسه وقلمه وفكره ، آلة صماء ، يستأجرها ذوو الاغراض والاطماع ، بالمال او بالجاه او بالنفوذ ، فتندفع وراءهم ، تنتج من غير ابداع ، وتدور من دون وعي ، كذلك القلم الذي يكتبما يملى عليه من الاخرين او ذلك الفن الذي يصور احاسيس ومشاعر وانطباعات ، لا تمت الى حسه وشعوره بصلة !!

التزام .. و .. لا التزام .. بآن واحد .

لا كما يصنع ادباء الشيوعية والاشتراكية، الذين يفقدون مواهبهم الانسانية ، وابداعهم الفكري ، ويصبحون كالآلات الجامدة التي تعطي من دون امل ، وتنتج من دون رجاء .

ولا كما يصنع بعض ادباء الغرب ، المتسترين بنهج اللاالتزام ، المتذرعين بمفهوم الحرية المطلق ، الخابطين خبطا ظالما في تحطيم القيم الانسانية ، وهدم الفضائل الاخلاقية .

التزام .. و .. لا التزام .. بآن واحد .

التزام للهدف النبيل والغرض القويم ، ولا التزام بما يقيد حرية الفكر ، ويقتل موهبة الابداع ، ويهدم شرخ الكرامة ، ويؤذي الانسان ـ كانسان ـ في حسه وتصوره وضميره .

بين العامية والفصحى

بين العامية والفصحى ، نزاع قديم ، يعود في اغواره البعيدة الى اكثر من عشرة قرون ، فمنذ ان انطلق العرب من جزيرتهم الى شرق الاردن وغربها ، يحملون رسالتهم الجديدة وقرآنهم العربي ، ومنذ ان بدأوا بمخالطة اقوام اخرى ، لها لغاتها وعلومها وفنونها ... منذ ذلك الوقت ، بدأت تتسرب الى لغة العرب ، لغات جديدة ، تختلط بها، فتنشر على السنة الناس لكنات ولهجات غريبة ، سلمت معها بسلامة القرآن ، لغة العرب الاولى، وبقيت في مكانها، سليمة من الضياع ، قادرة على الابداع ، قابلة للتطور ، وظلت ايضا لغة الكتاب والعلماء والمؤلفين ، طوال هذه القرون المتلاحقة ، بينما اصبح لكل قطر او شعب او اقليم، لغة عامية ، فيها لكنات ولهجات مختلفة ، تتباين بين قطر وقطر ، او بين بلد وبلد ، بحسب ما التقى على ارضه من اقوام وشعوب ، على ان شعوب الامة العربية، على اختلاف اقطارها وبلدانها ، كانت تلتقي دائما على صعيد اللغة الفصحى ، التي كانت تزدهر وتتلألأ ، زمنا بعد زمن ، وعاما بعد عام ، لا تتخلف عن تطور ، ولا تضيق عن حاجة ، ولا تتوارى عن معرض بيان ...

سار الزمان على هذه الوتيرة منذ ابعد العصور الى عصرنا هذا، ومع سير الزمان كان يقوم اناس كثيرون بمحاربة الفصحى والدعوة الى العامية ، املا بان تصبح لغة الكتاب والعلماء والمؤلفين والفنانين ، وقد نشطت هذه الدعوة ايام الدولة العباسية التي تسلط عليها اعاجم كثيرون ، فقبرت في مهدها ولم يكتب لها البقاء ، ثم نشطت بعد ذلك اكثر ، ايام ملوك الطوائف في الاندلس ، ولكنها اندثرت ايضا ، ولم يبق منها الا موشحات قليلة ، او زجل رخيص ، ما كان ليعتد به ، لولا ما رافقه من موسيقى وغناء .

ومنذ سنوات .. ونحن نسمع طائفة من الادباء والمتأدبين تطالب بطي اللغة الفصحى وايداعها في المتاحف ودور الاثار، كي يبقى المجال فسيحا امام اللغة العامية ، لعلها تصبح لغة الكتابة والعلم والفن .

اننا لا نتهم احدا من القائلين بهذا الرأي ، ولئن كان بينهم اناس مغرضون ، يريدون هدم اللغة العربية كما يريدون هدم كل تراث عربي ، فان مما لا شك فيه ، ان فيهم ايضا، اعدادا كبيرة من اصحاب النيات الحسنة ، الذين يرون في اللغة العربية وقواعدها واصولها ، صعوبات وعقبات ، لا يحلها الا الاستغناء عنها ، واللجوء الى اللغة العامية .

الى هؤلاء الطيبين نقول: ان طلبهم عسير المنال، مستحيل التحقيق ، لان الاعتماد على اللغة العامية ، يتطلب قبل كل شيء ، وضع قواعد واصول ، يتعلمها الراغبون باستعمال هذه اللغة، لتكون كتاباتهم منسجمة واصطلاحاتهم متوافقة.

وطبيعي ان وضع مثل هذه القواعد والاصول ، ومن ثم تعميمها وتعليمها ، ليس بالامر الهين ، وهو اصعب بكثير من الاعتماد على الفصحى ومن تعلم قواعدها واصولها ، يضاف الى هذا ، ان الفصحى التي نراها اليوم ، ليست بنت اعوام وسنين ، بل هي بنت دهور وعصور ، اخذت من الرقي والتطور والتهذيب باوفر نصيب .

ترى كم يحتاج دعاة العامية ، من اعوام ودهور ، ليهذبوا لغتهم الجديدة ، وليجعلوها في مصاف اللغات الراقية ؟!

ثم ماذا يصنعون ؟!.. هل يفكرون بان يجعلوا لكل قطر لغة عامية خاصة به، فتكون للعراق مثلا لغته ، وللبنان لغته؟ ام يجعلون لغة لدمشق ، ولغة لبيروت ، ولغة للرباط ، ولغة للقاهرة ؟!

ان كان هذا ما يريدونه او ما يتوهمونه ، فاننا نقول لهم بصراحة انه خبط في غير فائدة ، وسعي الى غير هدف .

ونرى ان الفائدة والهدف ، في التعاون على خدمة اللغة الفصحى ، وتوفير اسباب الكمال لها، وحث حكومات الدول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربية ، على مضاعفة البذل لها ، ومتابعة العناية بها ، حتى لا تتخلف عن غيرها من اللغات الراقية . وبهذا وحده تبقى لغتنا الفصحى ، وسيلة تعبير اللسان السليم ، في جميع اصقاع الامة العربية ، بينما تبقى لكل قطر او بلد ، لغته العامية ، اي لغة الكلام فقط ، هذه اللغة التي اثبت الزمن انها تتطور فعلا على السنة الناس ، وتتجه بهم الى مسالك اللغة الفصحى ، طردا مع تطور الثقافة وانتشارها ، بين مختلف طبقات الشعب .

ان اللغة الفصحى ، ستبقى لغة الفكر العربي مهما حاول المحاولون ، وستبقى القاسم المشترك الاعظم بين جميع شعوب الامة العربية ، سواء رضي بهذا المخلصون او حاربه المغرضون !

حروف الكلمة العربية

مع الحديث عن الالتزام في الادب، وعن العامية والفصحى، يدور حديث ثالث ، حول حروف الكلمة العربية .

فبعض كتابنا يرون ، ان الحرف العربي لا يفي بمقاصد اللغة في عصر العلوم والفنون، وان الاستغناء عنه، واستعمال الحرف اللاتيني ، يحقق هذه المقاصد بما ينطوي عليه من سهولة ويسر .

وكأني بهؤلاء قد ركزوا موضوعهم حول حركات الاعراب في اللغة العربية ، هذه الحركات التي تكتب في لغتنا منفصلة عن احرف الكلمة الاصلية ، بينما نراها لا تنفصل عن الكلمة في حالة استعمال الحروف اللاتينية ، ويعتقد هؤلاء ، ان هذه الطريقة تسمح للذين يجهلون قواعد اللغة العربية واصولها، ان يقرأوا ما يكتب لهم بلفظ صحيح ونطق قويم .

قد يكون هذا مقبولا ، من حيث انه ييسر للقارئين مهمة القراءة السليمة فقط ، ولكن ... ماذا نصنع بالكاتبين ؟!

انهم بدون شك لا يستطيعون ان يكتبوا لغة عربية سليمة بحروف لاتينية ، ما لم يتعلموا قواعد اللغة العربية واصولها ، والا فان كتاباتهم بالحروف اللاتينية ، ستكون ككتابهم الآن بالحروف العربية ، اي خبطا في جهالة ، وخطأ من دون صواب .

معنى هذا ــ جدلا ــ ان استعمال الحرف اللاتيني لا يحل المشكلة من جذورها ، بل يعطي حلا جزئيا لمشكلة موهومة ، ليست في حقيقتها ذات اثر .

ماذا يضير المواطن العادي ، اذا كان يفهم ما يقرؤه فهما كاملا ، دون ان يلزم نفسه باللفظ المعرب او المشكول ، اي كما يقرأ الصحف والمجلات والكتب العادية ؟!

هل ترامى الى اسماع دعاة الحرف اللاتيني ، ان احدا من المواطنين العاديين ، شكا يوما من عدم فهم ما يكتب بالصحف والمجلات، لانه كان كلاما غير مشكول او غير معرب؟

ثم ماذا يفيده استعمال الحرف اللاتيني ، اذا كان لا يستطيع ان يستعمل اللغة المعربة الا اذا تعلم قواعد الاعراب؟

هذا بالنسبة للمواطنين العاديين ، اما بالنسبة للمثقفين على اختلاف درجات ثقافاتهم فانهم سيكونون ــ بلا شك ــ اقدر من المواطنين العاديين ، على قراءة غير المشكول ، وفهم غير المعرب ، يضاف الى هذا ايضا ، ان الحرف اللاتيني ــ كما قلنا ــ لا يفيد هؤلاء في الكتابة ، الا اذا تعلموا قواعد اللغة العربية واصولها ، ومن المعروف ان من يبدأ الصعود على درجات السلم الثقافي ، يكون متزودا ، ولو بالقليل من مبادىء علوم اللغة ، التي يستعين بها على خوض مجاله الثقافي .

فلماذا اذن ...؟ ولمصلحة من نستبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني ؟!

ثم هل هنالك اسباب اخرى تدعو لتبني هذه الدعوة ؟!

اذا ارادوا ان يقولوا بان الحرف اللاتيني أيسر في الاستعمال من الحرف العربي ، فان هذا غير وارد ، لان المران الفعلي هو الذي يحقق اليسر والسهولة لدى الكاتب، فالذي يتمرن على الحرف العربي اكثر من تمرنه على الحرف اللاتيني ، يجد الاول اسهل وايسر ، والعكس بالعكس .

واذا ارادوا ان يقولوا بان للحرف اللاتيني جماله المختص به ، فان هذا ايضا خطأ ، لان مقاييس الجمال تختلف عند امة وامة وشعب وشعب ، بل عند فرد وفرد ، فمن الذي قال لهؤلاء بان اكثرية الكاتبين باللغة العربية ، لا يرون للحرف العربي جماله ورونقه، او انهم يرون الحرف اللاتيني اجمل من الحرف العربي ؟!

ان العكس عند هذه الاكثرية هو الصحيح !

وبعد ... هل نسي هؤلاء ان حرفنا العربي ، ارث خالد من تاريخنا الحضاري العريق ، الذي سقاه الآباء والاجداد بدموعهم ودمائهم ، حتى رفعوه صرحا شامخا يتحدى الزمن ويتيه على الخلود ؟

هل نسي هؤلاء ان الامة التي تتخلى راضية عن ارثها الحضاري، لا تستطيع ان تكون شيئا بين الامم، وان المصير الذي ينتظرها سيكون مصير المذلة والهوان ، لانها سترتمي على اقدام الامم الاخرى ، تلم الفتات وتعيش على الفضلات!

نعم ... الحكمة ضالة المؤمن ، وان الحضارة الانسانية هي ملك للانسانية جمعاء ، وليست ملكا لامة دون امة ، فلو كان الذي يدعوننا اليه ، موسوما بطابع المصلحة القومية او الغرض الانساني ، او كنا مفتقرين له مضطرين اليه ، لاقتبسناه راضين مطمئنين ، اما ان يكون بين ايدينا تراث قويم وارث سليم ، فنتنكر له ونرتمي على غيره ، غير مكترثين بما نجنيه على امتنا وتاريخنا من كفران وجحود فاننا سنكون في نظر امتنا وتاريخنا ــ سواء شعرنا ام لم نشعر ــ في صف الكافرين الجاحدين .

دمشق — بشير العوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عـين البئـر

★★★

و « عين البئر » صامتة حزينـه تهدهـد طيف احـلام دفينـه
وتـذرف دمعهـا لجمـال امس واحبـاب مضـوا نحـو المدينـه

وقـرب العيـن ناعوره كوادي البئـر مهجوره
سكون كـان زغـردة ورقصـات بنـافـوره

هنـا الليـمون مصفـر كئيـب يفطـر قلبـه مـوت الـدوالـي
وفى صفصافنـا حـزن غـريب ونـدب فى السفـوح وفى التـلال

فنـاي الريف قد صارا حديـدا قـاتمـا بـارد
وعـذب نشيـده غـارا لمـوت حبيبـه حـامد

أعيـن البئـر ايـن جـرارهن وقـامات تميـل مـع العشايا
واهـداب تـرش لنـا وعـودا وتمطـرنـا باطيـاب الحكـايـا !

هجـرنا جنـة الريف ووجـه جمـال دنيـانا
وانغـام الشـواديف وريحـان ودايـانـا !

رجعت اليـك يـا نبعـا تمـرى بك طفـل اثـرت بـه حنـانـه
وتحـت خطاي تـولد الف ذكرى وتدفـن تحـت هذي السنديانه !

الشويفات ـ لبنان **فؤاد الخشن**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خواطر مسافر

بقلم الدكتور جمال مرسي بدر

أخي العزيز ...
تحية الظاعن المشوق الى المقيم السالي وبعد ...
أكتب اليك من « لوزان » التي اقضي فيها النهار في بعض الايام وتقع على مسيرة نصف ساعة بالقطار من مكان اقامتي في الجبل وهي ـ كما قدتعلم ـ من كبريات مدن سويسرة ولها الشاطىء المشهور على بحيرة «ليمان» المسمى «اوشي» وانا الان اكتب اليك من هناك في احد المقاهي المنتشرة على ضفاف البحيرة وامامي الماء والخضرة ، ولو كان الثالوث الذي خلده شاعرنا مكتملا لما وجدتني اكتب اليك ولكنني اريد تزجية الفراغ كما اريد ان اضع بعض مشاعري في هذه الرحلة على الورق حتى لا تتبخر جميعا .

منذ ايام مضيت الى نزهة في غابة تقع على مقربة من « فيفيه » وقضيت ساعتين أتجول خلال تلك الغابة التي هي مظهر من مظاهر الطبيعة لا نجده في بلادنا . والواقع ان الغابة تكاد تكون مخلوقا له حس وشعور ووجودك فيها يجعلك تتشرب في اعماق احساسك السكون الغريب الذي يسود الطبيعة : سكون في الطبيعة يبعث سكينة في النفس تنسى معها نسبيات الحياة وتقترب ـ بقدر ما في روحك من استعداد ـ من المطلق الكلي وتتصاغر في نفسك في تلك السكينة الروحية جميع المعلولات الدنيوية وترتفع بمشاعرك نحو العلة الكبرى ، شعور يشبه ما يحكيه الصوفية عن ساعات تجليهم . وتمشي في طرقات الغابة الملتوية ـ وبعضها قلما تطؤه قدم تحوطك اشجارها الباسقة التي تزين اغصانها الافقية اوراق زمردية تتخللها احيانا اشعة الشمس فتكسبها اشعاعا اخضر عجيبا تحب ان تملأ عينيك منه فلا تمتلئان لان العين لا تمتلىء الا اذا ملئت وهذه الخضرة المشعة الزاهية لا يمكن ان يملها الانسان . وتنعطف في منحنى يصادفك وبعد خطوات تختفي اشعة الشمس وتجدك في ظل كثيف يزيد شعورك بالسكون المطلق الذي يسود الغابة . وتمشي ثم تمشي لا تحس كللا ولا سآمة وموطىء قدميك ليس بالطين ولا بالتراب بل بساط ممتد من اوراق الشجر المتساقط بعضها فوق بعض تغوص فيه قدماك غوصا رفيقا كانما تمشي على بعض البسط العجمية الثمينة .

* * *

وامس اصطحبني صديق من اهل هذه البلاد في سيارته الى قمة عالية من قمم سويسرة الشهيرة اسمها «سازـفيه» تقع على بعد ساعتين بالسيارة من حيث اقيم والطريق اليها يقطع نصفه وادي نهر الرون الممتد في انبساط بين الجبال التي تحوطه ويقع النصف الاخر من الطريق في الجبال والمرتفعات وهو طريق صعب ولكنه جميل (قليلة في هذه الدنيا الاشياء التي تجمع بين براعة الجمال وسهولة المتناول !) وعند انتهاء الطريق تصعد الى تلك القمة (٢٩٠٠ متر فوق سطح البحر) بالعربة المعلقة التي يراد احداث مثلها بين القاهرة والمقطم وهناك تمتد امامك الثلوج حيثما ادرت بصرك وتشعر حقيقة بالبرد في ابان الصيف برغم اللباس الثقيل . وترى نهرين من انهار الجليد الضخمة التي لا تذوب في صيف ولا في شتاء وانما ينساب الماء ـ في مثل وقتنا هذا من السنة ـ من نهايتها في مجار دقيقة يتجمع بعضها الى بعض بعد قليل ثم تتجمع مرة اخرى في هبوطها الى السفح وكلما تجمعت كبرت وازداد اتساعها حتى تصل الى الوادي نهرا صغيرا يجري في سرعة وترفده في جريه الروافد فلا يلبث ان يغدو بعد قليل نهرا كبيرا يحيي الارض وينفع الناس . وقد سرني حقا اني شاهدت بعيني كيف تنبع الانهار فكل انهار الدنيا ـ او معظمها ـ ينبع هكذا من اعالي الجبال ، والنيل العظيم نفسه تقع منابعه الاولى فيما وراء البحيرات الكبرى في القمم الثلجية لجبال افريقية الوسطى التي تنساب جداولها الدائبة حتى تصب في البحيرات ثم يخرج منها النيل كما نعرفه حاملا معه مياه الامطار الاستوائية بجانب المياه الناتجة من ذوبان الثلوج . ولقد مشيت في تلك القمة الشاهقة على الثلج الذي تغوص فيه القدم كما مشيت على نهر الجليد الصلب الشديد ، ووجودك في ذلك المكان يبعث في نفسك شعورا لا يشبه شعورك بين احضان الغابة ففي ذلك الارتفاع الشاهق وامام تلك الضخامة وذلك الاتساع ، يسبق الى النفس الشعور بضآلة الانسان وتفاهته وبقوة الطبيعة وجبروتها ويوحي ذلك الى نفسك شيئا كأنه القلق : شعور لعله قريب من شعور المنفرد في الصحراء .

وكم كنت اود ان تكون معي في هذه النزهة ـ وان كنت لا اجد بالطبع ما اشكوه من رفيقي فيها ـ وذلك لان المشاركة الوجدانية مع صاحب قديم واخ عزيز هي غير مشاركتك مشاعرك وانطباعاتك مع مثل ذلك الرفيق كائنا من كان .

* * *

منذ يومين قضيت سحابة النهار في جنيف وهي مدينة عمل ولهو تكاد لكثرة ما تحتويه من الاجناس والملل ان تكون فقدت طابع المدن السويسرية الاصيلة واصبحت مدينة دولية تتلاطم فيها المصالح والاهواء . وانا كلما هبطت الى جنيف لا استطيع ان انزع من فكري انها مدينة الظلم او هي « قرية ظالمة » كما نعت استاذنا محمد كامل حسين مدينة القدس على زمن المسيح .

وللظلم الذي همت به اورشليم ـ فارتكبته بالنية ـ منذ عشرين قرنا قصة مشهورة اما الظلم الذي ارتكبته جنيف بالفعل فأمره يكاد ان يكون مغمورا وهو يرجع الى زمن «كالفن» في القرن السادس عشر حين احرق « ميشيل

سرفيه » حيا بعد عذاب طويل لا لشيء الا لان له فى الذات الآلهية رأيا يخالف رأي الكنيسة ، ولذا فأن « سرفيه » فى نظري لم يحتل مكانه الحقيق به فهو شهيد عقيدته وفى حياته وموته اكثر من عبرة وموضوعه موضوع طريف لم يكتب فيه احد بالعربية فيما اعلم ومراجعه فى اللغات الاوروبية نفسها ليست كثيرة ولا هي قريبة المنال ولعلي مستطيع ان اكتبه فى يوم من الايام فهو موضوع شيق فضلا عن اهميته فى تاريخ العقائد والاديان .

غادرت جنيف بعد الظهر بالباخرة التي تربط بين المدن الواقعة على شاطىء بحيرة « ليمان » سواء منها التي تقع فى سويسرة والتي تقع فى فرنسا ولئن كانت لشوقي قصيدة عنوانها « البسفور كأنك تراه » فانك تستطيع ان تسمي خطابي هذا « بحيرة ليمان كانك تراها » ، ليس راي العين بقدر ما هو رأي الاحساس والشعور فأني اريد ان انقل اليك صورة ليست من عمل آلة التصوير ولكنها من قبيل لوحات المدرسة الانطباعية فى الفن التي تنقل اليك انفعال الفنان بالمنظر اكثر من نقل المنظر فى ذاته اليك .

ابحرت الباخرة من جنيف مارة بجوار نافورة الماء الشهيرة ـ التي لدينا مثلها على النيل عند الجزيرة ـ ويصل ارتفاع رشاش الماء فيها الى ١٣٠ مترا وكانت اشعة الشمس تخترقه فتنكسر خلال قطرات الماء المتساقطة الى الوان قوس قزح تتوالى من اعلى النافورة الى اسفلها فى جمال رائع يزيده منظر المدينة والتلال الخضر التي تحوطها بهاء وروعة وفى الافق عبر تلك التلال الزاهية الجبل الابيض (مون بلان) الضخم بثلوجه الدائمة يكلل التلال كأنه تاج من الفضة على مفرق هذا المنظر البديع .

وتمضي الباخرة تمخر عباب الماء الازرق الصافي فى سرعة لم اكن اعهدها فى سفن البحيرات ذات الدواليب الجانبية من الطراز القديم . وتتوجه الى مقدم السفينة لتطل على الماء وهو ينشق امامها فى خط منتظم لا ينقطع مكون من عدد لا ينحصر من الموجات الصغيرة والزبد العائم لا تكاد تنشأ مويجة او فقاعة منها حتى تنقضي ولكن تتابعها وتواليها يصور لك خطا متصلا مستمرا .

ما اشبه هذه بحياة البشر على الارض فالحياة الانسانية فى ذاتها خط متصل ولكنا نحن افراد البشر لا نعدو ان نكون فقاعات او مويجات قيمتنا ليست فى انفسنا بقدر ما هي فى مساهمتنا فى خلق ذلك الاتصال والاستمرار الذي تتسم به الحياة . وخط الحياة البشرية هو الذي يحمل الامانة التي ينوء بها البشر «انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ») فالفرد الواحد منا كائنا من كان ليس بمستطيع تأدية تلك الامانة التي تحملها البشرية جمعاء. وانما حملتها البشرية دون سائر مخلوقات الله لان الانسان دون غيره يتمكن من الربط بين ظواهر الكون بالعقل ويستطيع ان يميز الخير من الشر بالضمير، وبهذين الجناحين من عقل وضمير يستطيع الانسان ان يحلق مرتفعا عن الطين الذي قدر عليه ان يخلق منه متجها الى النور الذي يراد له ان يصير اليه وبقدر ما يبلغ الانسان فى تحليقه ذاك بقدر ما يحمل رسالة الحياة ويؤدي امانة الله .

وبينما انظر الى انحسار الماء يمينا وشمالا امام السفينة ذكرت قول طرفة يصف سفينة مثلها قبل خمسة عشر قرنا من الزمان :

عدولية او من سفين ابن يامن ... يجور بها الملاح طورا ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها ... كما قسم الترب المغابل باليد

وهنا عرتني رعدة لا ادري اهي من البرد الذي يحمله نسيم البحيرة والباخرة تسير سيرها الحثيث ام هي من الطرب لهذا الشعر الذي لا يزال منذ الف وخمسمائة عام ـ او يزيد ـ يثير اعجاب كل سامع او قارىء يستشعر جمال الكلمة ؟ انه روعة هذا الفن (الشعر) وخلود هذه اللغة (العربية) .

وقصيدة طرفة هذه هي التي يقول منها :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم احفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري اذا نادى المضاف محنبا ... كسيد الفضا ـ نبهته ـ المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهنكة تحت الخباء المعمد

يقول : ـ لولا ثلاثة اشياء لم يهمه ايعيش ام يقوم عنه من يعودونه فى مرضه يائسين ، هذه الثلاثة هي شرب الخمر ونجدة المظلوم وقضاء ايام الغيم فى خيمة ذات عمد مع حسناء ناعمة .

وانا اترك لطرفة اولى الثلاثة مكتفيا لنفسي بالاثنتين !! لقد اعتدت ان اصطحب معي فى مثل هذه الرحلة مجموعة المعلقات او ديوان احد شعرائنا الفحول كالمتنبي او ابي تمام ولكني فى هذه المرة اعجلتني الظروف عن ذلك فليس معي فى هذه الرحلة من الشعر الا بقية مما تعيه الذاكرة وثمالة مما تجيش به النفس ولم يعد لي ـ وا اسفاه ـ من هذا وذاك الا القليل ، وذلك مصداق قولي الذي لعلك تذكره :

راح الصبا ومضى عهد الشباب بما ... كانت تحركه العشرون من وتر
فيشارة الروح قد امست بلا نغم ... وهل يهز شعور كتلة الصخر
قد استعضنا عن الاحساس منطلقا ... بالعقل معتقلا فى قبضة الفكر
الا بقية اشواق مسهدة ... كما نغلل بعد العين بالاثر
وبضعة من تهاويل الصبا نصلت ... الوانها وصبابات من الذكر

ومن الشعر القديم الذي يتردد على خاطري هذه الايام بيت الاعشى الكبير :

اذا كان هادي الفتى فى البلا ... د صدر القناة اطاع الاميرا

ولا ادري لماذا يلح علي هذا البيت ، ولعلها الموسيقى الداخلية التي يحملها فضلا عن موسيقى الوزن والقافية وذلك ان تتكرر فى هذا البيت نغمة معينة كما فى «هادي» ـ و «بلاد» و «قناة» وتكرار هذه النغمة على فترات متساوية يخلق موسيقى داخلية تضيف جمالا الى جمال الوزن والروي.

وتصل الباخرة الى «افيان» البلدة الفرنسية التي تنقل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسمها الانباءكثيرا اذ تجري فيها المفاوضات بين الجزائريين وبين فرنسا، وهي مشهورة بمياهها المعدنية كما هي مشهورة باللهو والقمار وبخاصة فى «الكازينو» المعروف الذي يتميز بموقعه وبضخامة قبته عن كل ما حوله من المباني . وتستأنف الباخرة سيرها بعد ان يغادرها قوم ويصعد اليها آخرون وتمضي الى «لوزان» قاطعة عرض البحيرة فى خط مستقيم وقد غابت الشمس فصبغت الافق الغربي حمرة قانية تنعكس على الماء فيبدو المنظر كأنه لوحةضخمة اراد الفنان ان يجعل طابعها اللون الاحمر القاني . اما الافق الشرقي فيصعد فيه القمر فى الثلث الاول ويظل الشفق فى الافق الغربي زمنا طويلا(فالشفقهنا ليس سريع الزوال كما هو فى بلادنا) ويعارضه القمر فىالافق الشرقي كلمنهما لا يريد ان يريم وكأنك امام صراع بين ندين لا يكاد النصر فيه ان يستقر لاحدهما .

ومهما يكن من جمال الغروب على ضفاف «ليمان» فاني لا اعدلشيئا بمنظر الغروبعلى شاطىء الاسكندريةوبخاصة فى يوم سحاب وانا فى هذا اخالف شوقيا الذي قال فىوصف غروب الشمس وشروقها فى هذه الربوع ذاتها :

ان اشرقت زهراء تسمو للضحى واذا هوت حمراء فى تلك الذرى
فشروقها منها اتم معانيا وغروبها اجلى واكمل منظرا

فانا لا ارى شروق الشمس فى ذرى جبال سويسرا او غروبها فيها اتم معاني ولا اجلى منظرا من شروقها اوغروبها فى بلدي ورحم الله مطران الذي وصف غروب الشمس على شاطىء الاسكندرية فى رائعة من روائعه التي أذكر منها الان بيتين ثانيهما من فرائد الشعر :

والشمس فى شفق يسيل نضاره فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا وتقطرت كالدمعة الحمراء

ولعلك تتساءل : ما الذي اذكرني الاسكندرية وانا بعيد عنها هذا البعد وما الذي جعلني احن اليها وحولي هنا كل هذا الجمال؟ فاذا فعلت فانياحيلك الىقول الشاعرالقديم:

وحبب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم زمان الصبا فيها فحنوا لذلكا

ولا يطول تعارض الشفق المتشبث بالافق الغربي والقمر الطالع فى الافق الشرقي اكثر مما يسوغ له ان يطول فى سنن الكون ونواميس الطبيعة اذ لا بد مما ليس منه بد فلا بلبث الشفق ان يختفي ويرتفع القمر فيتوسط السماء وتنعكس صورته على صفحة الماء وتحل محل الحمرة التي كانت تشيع فى المنظر زرقة لا تعتم بدورها ان تخلي مكانها لظلام الليل يهبط على الكون رويدا رويدا وتتلألأ فيهانوار المدن والبلدان على شواطىء البحيرة متراصة كأنها عقد من اللؤلؤ (تشبيه قديم ولكني لا اجد ادل منه على اثر المنظر فى النفس) وتصل الباخرة الى «لوزان» وهي خاتمةمطافها بعد ساعات ثلاث من اقلاعها من جنيف : زمن قصير ولكنه غني بالايحاءات ملىء بالاحاسيس التي تجعل لمطلق الزمن قيمة اخرى لدى الانسان .

الاسكندرية

جمال مرسي بدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عليل

تطاول بي ليل انفرادي ووحدتي كذلك ليل العاشقين يطول
عشقت، وجافاني الكرى ، فألم بي سقام علي جسمي النحيل ثقيل
فبي من غرامي لوعة وصبابة .. وبي من سهادي علة وذبول
فلما تمادى بيّ أشتياقي وليس لي الى وصل من يهوى الفؤاد سبيل
تلمست ركنا هادئا فى خميلة كجنة خلد .. او اكاد اقول !
صفا ماؤها .. وافتر بسام زهرها وللطير فيها سجعة وهديل
ورقت بها الانسام عطفا وخطرة فليست تدانيها صبا وشمول
واسلمت احلامي وفكري لعالم به كل ما صاغ الخيال جميل
فما زال بي عطف النسيم يضمني ويلثمني .. والعطف منه يسيل
الى ان تمشت فى كياني نشوة واحسست سقمي ينقضي ويزول
فيالك قلبا فى الجمال دواؤه ويا لي عليلا .. قد شفاه عليل !!

القاهرة

عفيفي محمود



عبد الغني العطري

الادب في دمشق بين ١٩٤١-١٩٦١

بقلم عبد الغني العطري
صاحب مجلة « الدنيا » الدمشقية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رائحة البارود تعصف فى كل مكان ، وجحيم النار يكاد يقضي على المدينة ، ويوشك ان يفني البشر ، والناس يمضون فى طريق لا يعرفون لها نهاية، ويرقبون غدا مجهول المصير ، وما يدرون هل تمتد الى بلدهم الوادع الجميل السنة اللهيب ، فتقضي عليهم وعليه ، ام تراف بهم عناية الله فتنجيهم من النار التي التهمت اوروبا ، وبعضا من آسيا وافريقيا ، ويوشك ان يمتد لهيبها الى كل بقعة من الارض .

هكذا كانت الحال فى دمشق عام ١٩٤١ ، حركة النشر فيها توقفت ومعظم الصحف باتت تصدر بصفحات صغيرة لا تزيد على اثنين ، واحيانا تطبع على ورق ملون احمر او اخضر او اصفر ... وقد تشتد ازمة الورق فتطبع الصحف على ظهور اعلانات الحلفاء ، التي كانوا يوزعونها فى كل مكان ،مبشرين بقرب النصر، وسحق النازية والفاشية!

فى هذا الجو ، جو الحديد والنار ، كان معظم ادباء دمشق قد حطموا اقلامهم ، ومكثوا ينتظرون احدى النهايتين : نهاية الحرب او نهايتهم مع العالم . غير ان عددا من الكتاب لم توقفهم نار الحرب عن الانتاج ، فظلوا يمدون «الرسالة» و « الثقافة » فى القاهرة ، و «الاديب» ، و « المكشوف » فى بيروت بفيض خواطرهم وثمرات عقولهم ، فكانت هذه النفحات الجميلة تعطر الجو ، وتوحي للمرء بان الانسان ما زال انسانا ، تخفق الروح فى جسده ، ويجب القلب فى صدره . وكان التنافس على النشر فى هذه المجلات شديدا بين الادباء . وكانت هذه المجلات تجد كثيرا من المشقة فى نقل هذه النفحات الطيبة ، نظرا لقلة صفحاتها ، وكثرة ما يردها من ثمرات العقل والفكر من شتى بلاد العرب .

فى تلك الفترة من العام ١٩٤١ ، كنت اوزع نشاطي الادبي بين مجلتي «الرسالة» و «المكشوف» ، وكنت فى الوقت نفسه قد انهيت دراستي الثانوية ، وتاقت نفسي الى العمل فاذا بي اتصدى لمشروع ادبي ضخم فى دمشق .. دمشق التي بات ثمن ماعون الورق فيها اكثر من سبعين ليرة سورية ، حتى سمي الورق آنئذ بالذهب الابيض . لقد دفعني طيش الشباب الى هذه المغامرة، ولم ابلغ بعد التاسعة عشرة . اما هذه المغامرة، فلم تكن سوى اصدار مجلة ادبية على مستوى راق . لم افكر فى الامر طويلا ، ولم اقلبه على وجوهه الكثيرة ولم احسب حسابا للخسارة المادية المنتظرة، بل تطلعت الى صحيفة متواضعة اوقفها صاحبها عن الصدور ـ الا اثباتا للوجود ـ .بعد ان ناء بحمل اعبائها وخسائرها زمنا ، فاكتريتها منه بثمن بخس ، بعد ان اقترضت لها بعض المال من الاهل والاقربين .

صدر العدد الاول فى السادس من تشرين الاول سنة ١٩٤١ فاذا به يقابل بالشفقة والحسرة على الفتى المغامر ، الذي يلقي بماله المقترض فى بحر .. ومع الشفقة والحسرة كثير من الدهشة . لقد كانت الدهشة للانتاج الادبي الذي حواه العدد الاول . وتلاه العدد الثاني والثالث ثم العاشر : فاذا بالاقلام تشحذ ، واذا باعلام الادب العربي فى القاهرة وبيروت وعمان وبغداد يلتقون على صفحات مجلة «الصباح». ومن كتابها الاعلام فى مصر : محمود تيمور ، وبشر فارس ، وزكي مبارك، ويوسف جوهر، وصلاح ذهني ، واحمد علي باكثير . ومن كتابها البارزين فى سورية : شفيق جبري ، وفؤاد الشايب ، ونسيب الاختيار، وبديع حقي، وسعيد الجزائري ونزيه الحكيم ، وروحي فيصل ، وخليل هنداوي ، وعدنان مردم بك ، ودوود سكاكيني ، وزكي المحاسني ، ونزار قباني (وكان يخطو اولى خطواته فى الشعر) ، وعمر ابو ريشه ، وهشام دياب ، وناجي مشوح وغيرهم كثيرون من اعلام الكتاب الذين غابت عني اسماؤهم .

وظلت هذه الاقلام البارزة تتبارى وتلتقي كل اسبوع على صفحات « الصباح » . وكانت عناية المجلة وكتابها تبدو واضحة فى ميدان القصة واستطاعت ان تقرب القصة من الاذهان والاذواق واقامت لذلك مباراة قصصية كبرى ، كان الفائز الاول فيها الدكتور عبد السلام العجيلي ، وكان ما يزال طالبا فى معهد الطب . غير ان « الصباح » توقفت

عن الصدور بعد سنتين كاملتين لاسباب خارجة عن ارادتي.

والى جانب هذا النشاط الادبي الشاب ، كان هناك نشاط اكثر عمقا ، واعظم رصانة ، واوفر تزمتا ، واعني بذلك النشاط ، الذي يبذله المجمع العلمي العربي بقيادة رئيسه الراحل المرحوم محمد كردعلي ، واعضائه المرحومين الشيخ عبد القادر المبارك ، والشيخ عبد القادر المغربي ، ومحمد البزم ، وسليم الجندي ، وخليل مردم بك ، بالاضافة الى اعضائه الاحياء ، مد الله في اعمارهم . لقد كان نشاط المجمع ملموسا ، فمن كتب يحققها اعضاءه . ويتولى المجمع طبعها على نفقته بشكل انيق ، الى محاضرات يقيمها على مدرجه ، يضاف الى ذلك مجلة المجمع الشهرية التي يغذيها الاعضاء بفيض خواطرهم وثمار عقولهم . لقد كانت امكانية المجمع العلمي العربي اقوى واكبر من امكانية اي فرد او مؤسسة اخرى . ولكن سنوات الحرب التي توالت وطالت ، جعلت نشاطه يفتر ، بسبب فقدان الورق وارتفاع اسعاره شهرا بعد شهر ، ويوما بعد يوم .

وتصدى الدكتور شكيب الجابري عام ١٩٤٤ للنشاط الادبي ، فاصدر مجلة على جانب من الرقي باسم «اصداء» فكانت ملتقى الاقلام الجريئة . ولكن هذه المجلة كان يعوزها الاساس المتين ، والحرص على الثبات والصبر على متاعب الصحافة الادبية ومشاقها ، فاذا باصداء يعلوها الصدأ ، بعد أن احتجبت ، وخسر ممولها الاديب مبالغ كبيرة .

وعندما وضعت الحرب اوزارها ، استردت الصحافة في دمشق كثيرا من نشاطها وقوتها ، واخذت تفسح بين اعمدتها مجالات للنشاط الادبي ، الى جانب النشاط السياسي والصراع الوطني والحربي . واخذت بعض المكتبات تغامر بطبع عدد من الكتب ، ولكن الخسارة المادية الناتجة عن صعوبة التوزيع ، كانت تحد كثيرا من نشاط الناشرين ، الطامعين بالربح العاجل ، بينما يعتبر طبع الكتب تجارة رابحة جدا ، لمن اوتي «مال قارون ، وعمر نوح ، وصبر ايوب .» وهكذا كان الناشرون يقدمون خطوة ، ويتخلفون خطوات ، والكتاب والادباء في بلدنا لا يجدون من يشجعهم ، ويخرج آثارهم الى النور . وبالرغم من ذلك كله : فقد استطاع عدد لا بأس به من الكتاب والادباء السوريين ان يخرجوا آثارهم في كتب قيمة ، بعضها طبع في القاهرة ، وبعضها الاخر في بيروت ، وما اكثر دور النشر فيها . وتقاضى هؤلاء الكتاب عن مؤلفاتهم اجورا لا بأس بها ... بينما قنع بعض آخر بنشر مؤلفاتهم بدمشق ، في توزيع محدود او لقاء وضع اسمائهم الكريمة على صدور تلك المؤلفات مع نسخ قليلة تهدى اليهم !

هكذا كانت حال التأليف والنشر بين ١٩٤٥ و ١٩٥٠ . اما الصحافة الادبية فقد كانت في حكم المعدومة . وكانت المجلات المصورة والصحف اليومية تتولى نشر الانتاج الادبي ، دون التقيد بمستوى رفيع للنشر ، بل كان ما ينشر ينظر اليه بكثير من التسامح . وكان هذا التسامح اكبر اساءة ارتكبت بحق الادب ، اذ افسح هؤلاء الناشرون المجال امام مستويات طفلة ، وافكار فجة ضئيلة القيمة ، واساليب هزيلة ... افسحوا امام اصحابها مجال الظهور قبل الاوان ، فكان ذلك مدعاة لانهيار القيم الادبية الرفيعة ، وسببا في ظهور حصرم يحسب نفسه زبيبا ، وبينه وبين النضج مراحل كثيرة .

وفي عام ١٩٤٨ تألفت في دمشق رابطة ادبية من الشبان الواعين ، جنحت في ادبها نحو السخرية واللذع . كانت هذه الرابطة تحمل اسم «عصبة الساخرين» ، واخذت هذه العصبة تصدر اعدادا خاصة من المجلات الاسبوعية ، يشترك في تحريرها اعضاء العصبة الاثني عشر . وكان يراسها الدكتور عبد السلام العجيلي ، وتضم فيمن تضم لولبها سعيد الجزائري ، ونسيب الاخنيار . وعباس الحامض ، وعبد الرحمن ابو قوس ، وكاتب هذه السطور وغيرهم . ولكن عصبة الساخرين لم تعمر سوى شهور قلائل . وسخر بعد ذلك من صوتها كثيرون ممن لم يقبلوا اعضاء فيها !..

وفي العام ١٩٥٠ صدرت مجلة «النقاد» واخذت تعنى الى جانب السياسة بالادب بشكل خاص ، فكانت صفحاتها تضم خير ما تنتجه الاقلام في دمشق والمحافظات السورية ، وكان سكرتير تحريرها الاستاذ سعيد الجزائري يحث الاقلام على الانتاج ويدفعها الى الكتابة ، ويفتعل احيانا المعارك الادبية ، ويثير المناقشات الفكرية فكان له فضل لا ينكر في بعث النشاط الادبي ورعاية الناشئين بشكل خاص ، وتشجيعهم والاخذ بيدهم الى سواء السبيل . وظلت «النقاد» تؤدي رسالتها هذه يشاركها بذلك عدد من المجلات الاسبوعية ، وبعض الصحف اليومية حتى نهاية ١٩٥٨ حيث اوقفت عن الصدور !..

وجدير بنا ان نشير في معرض النشاط الادبي الى ان دار «الدنيا» بدمشق تولت اصدار سلسلة كتب شهرية باسم «كتاب الشهر» وذلك سنة ١٩٥٢ وقد ظلت هذه السلسلة تصدر سنة كاملة . وكانت تضم في صفحاتها تلخيصا لاحدث كتب العالم مع احسن قصة عالمية ، بالاضافة الى بحوث فكرية وعلمية اخرى . وكانت هذه السلسلة تقف جنبا الى جنب مع ارقى الكتب الشهرية التي تصدر في بيروت والقاهرة . ولكن «كتاب الشهر» توقف عن الصدور ، حين صدور قانون المطبوعات الجديد في ذلك الحين ، وينص على ضرورة حصول كل مطبوعة ادبية مسلسلة على ترخيص ، فكان ذلك الى جانب خسارة صاحبه المادية به سببا في توقفه .

وفي نحو سنة ١٩٥٠ ظهرت على المسرح الادبي عصبة من الادباء الشبان ، كان معظمهم الى ما قبل ذلك قراء وهواة لبعض المجلات ، يشاركون في مسابقاتها الخفيفة ، ويزودون صفحاتها بمحاولات ساذجة ، ولكن الداب والكدو الاستمرار جعلهم يقفزون مسرعين . واخذت هذه الكتلة النشيطة من الادباء تغامر بالقاء نتاجها الادبي ، بدأت مغامرتها بمقالات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واقاصيص واشعار منثورة ، وانتهت بكتب تعرض في المكتبات بغزارة . وبات هم كل فرد منها ان يلقي باكبر عدد من الكتب في السوق . واخذ افراد هذه العصبة يتبادلون الثناء ، ويتعاونون على تشجيع بعضهم بسخاء ، مطرين هذه الثمار ، دون حساب لقيمتها الادبية الصحيحة ، ودون اشارة الى ما يحتويه بعضها من ضعف ظاهر ، في الاسلوب واللغة ، فانحدرت بذلك قيمة النقد ، ولم يعد الكاتب المحدث يحسب لما سيقوله الاخرون عن ثماره الادبية : اهي يانعة تشتهى، ام تراها فجة تعافها النفس؟ لقد بات اندرب ممهدا امام الطامحين الى المجد الادبي المزعوم ، ولكنه مجد زائل ، لانه لا يقوم على اساس متين . حتى ان هؤلاء الكتاب انفسهم اخذوا يندمون على تسرعهم ، ويلومون من شجعهم على نشر تلك الآثار الفجة . ولقد قرأت ان واحدهم يبرأ من الكتاب الفلاني الذي اصدره لانه غير راض عنه !

ولم يخل الميدان في السنوات الاخيرة ـ الى جانب تلك الاقلام الشابة التي اتينا على ذكرها ـ من ادباء متمكنين تقدموا الى الساح، وفي جعبتهم زاد ادبي وافر وثقافة فكرية واسعة ، وحس ادبي مرهف . هؤلاء الكتاب اخذوا يقدمون نتاجا ادبيا جيدا ، هو ثمرة مطالعاتهم في ادب الغرب ،ومزج ثقافتهم المحلية بآثار الكتاب العالميين . اننا بالطبع نستزيدهم من هذه الثمار ، ونتمنى على كل قارىء او هاو ان يتزود بمثل ثقافتهم قبل ان يتقدم الى الميدان .

بقيت كلمة اخيرة، احب ان اقولها في هذا الوصف الموجز للحياة الادبية في دمشق خلال السنوات العشرين الماضية. هذه الكلمة لا تعدو ان تكون مقارنة لاسلوب ولغة الكتاب في بدء السنوات العشرين وفي نهايتها :

عندما اصدرنا مجلة «الصباح» كان اهتمامنا منصرفا الى ما قيل ، لا الى من قال .. فاذا كان ما قيل مكتوبا باسلوب صحيح ، وفن رفيع ، ولغة سليمة مشرقة ، اخذ طريقه الى النشر دون تردد ، ولو كان كاتبه مجهولا ، لم يسبق له ان عرف في الوسط الادبي . وكم اهملنا نتاج كاتب او شاعر مشهور ، لانه اسف وكبا به الجواد . وكم شجعنا مواهب كانت مغمورة ، ودفعنا بنتاجها الى النور . وقد كلفنا ذلك كثيرا من المشقة والجهد ، وجعلنا نخسر اصدقاء، كانوا يحسبون انفسهم فوق الخطأ وفوق الاسفاف.

واليوم ، وبعد عشرين سنة ، نقرأ في بعض الصحف نتاجا لا نملك ان نقابله الا بالاسف والابتسام. نتاج لشبان وفتيات يتميز اول ما يتميز بالسطحية وضعف الاسلوب واللغة ، حتى بتنا نعتقد ان بين هؤلاء الكتاب وبين اللغة والاسلوب ودا مفقودا وصلة مقطوعة ، وانه لا سبيل الى اصلاح ذات البين !

لقد بات طريق النشر سهلا ممهدا ، لا يحتاج الى كبير جهد ولا الى طويل عناء . وتناول ـ ان شئت الدليل ـ معظم صحفنا لتقرأ فيها نتاجا غثا ، ومقطوعات خيالية ، خالية من اي فكر او عمق واشعارا منثورة لا تدرك لها معنى ولا تفهم منها غاية ، اما ضعف الاسلوب فمعدوم ، لانه ليس هناك اسلوب بالمرة .. واما اللغة وقد ضعفت تم ضعفت حتى بانت عظامها .. لقد تفشت بيننا السطحية بسبب سهولة النشر ، وفتح الباب امام كل كويتب او مقرزم شعر على مصراعيه، وسرت بيننا العامية، وانتقلت من بعض كتاب القاهرة وبيروت ولم يعد يعيب الكاتب ان يقال انه ينصب الفاعل ويرفع المفعول به . لم يعد هذا عيبا ، لان بعض المشهورين في القاهرة لا يتقنون الكتابة الا بالعامية ، فاخذوا يحاربون اللغة السليمة ، والاسلوب الصحيح دفاعا عن اسفافهم .

لقد تميزت سنة ١٩٤١ وما تلاها من اعوام قلائل بالنتاج الرفيع السليم ، وتميزت سنة ١٩٦١ وما سبقها بانتاج غزير ، ولكنه سطحي وهزيل . ولسنا نلقي الكلام دون استثناء ، ففي تلك الاعوام البعيدة ، لم يخل الجو الادبي من نتاج ركيك ... وفي اعوامنا القريبة الماضية ، رأينا ولا نزال نرى نتاجا كثيرا له وزنه الادبي الرفيع ، وله قراؤه ومقدروه ومتذوقوه . وكل ما في الامر ان موجة من العامية والسطحية تفشت، وان عددا من المتطاولين والمتطاولات على الادب ، قد وجد نتاجهم سبيله الى النور، وكان جديرا به وبهم ان يظلوا بعيدين عن كل نور .

* * *

وبعد فاننا نأسف على الادب في العام ١٩٤١ ولكننا نرجو للادب في عامنا الحاضر واعوامنا المقبلة مستقبلا باسما . نرجو للسطحية والعامية والركاكة فشلا ذريعا، ونأمل ممن يملكون وسائل النشر ان يرفقوا بالجيل الصاعد ، وان يشفقوا على لغتهم وآدابهم ، وان يحسبوا للغة حسابا ،وان يذكروا ان اكبر اعداء الاديب الناشىء ، واكبر معول في تهديم الادب والفكر واللغة هو النشر قبل الاوان .

دمشق — **عبد الغني العطري**

مناجاة

كل صباح اركع امام تمثال
بخشوع والم
احضن وجهه بكلتا يدي
اغسل صدره بدمع حزين
اكلمه كثيرا .. واصلي لاجله
وعلى جسر من خيوط قلبي
ارسل اليه اشواقي الدفينة

حلب — **هناء طيبي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم فكتور بانكوف

شولوخوف القاص الفنان

ترجمة يوسف عبدالمسيح ثروة

ان الحياة مصورة فى تطورها الثائر هي ما يحصله القارىء من فكرة حين يتأنى ممعنا النظر فى نتاج ميخائيل شولوخوف الماضي وفى روايته الحديثة (الارض البكر حرثناها) .

ايلينجنا

فى رواية (والدون يجري هادئا) حادثة مهمة تجري فى الكتاب الرابع ومؤداها ان ايلينجنا ، والدة غريغوري ميليخوف ، تتسلم رسالة من ابنها ، ليس فيها ما هو غريب بل « مجرد رسالة موجزة ، معظمها يتألف من تحيات لاعزائه الاقارب ، وفى الختام يحاول ان يعود الى البيت باجازة فى الخريف . »

ذهبت ايلينجنا من حين الى حين الى اكسينيا حاملة الرسالة ، وما ان تلتقي المرأتان الا ان تنحنيا على الورقة المتهرئة . « وبعد ذلك، كان على اكسينيا ان تقرا الرسالة. وذات مساء جاءت ايلينجنا ـ على عادتها ـ وتناولت الرسالة من الظرف الاصفر، المحفوظ بعناية فى المنديل، واستعطفت اكسينيا قائلة : « اقرئيها يا عزيزتي ، ان هما ثقيلا ينتاب قلبي اليوم ، وقد رأيته فى منامي صغيرا جدا ، تماما كما كان يذهب الى المدرسة . » «وبمرور الايام ، اخذت الكلمات المكتوبة بالقلم الرصاص تندثر وتنمحي ، حتى تعثر قراءة الكثير منها وتمييزها . بيد ان هذا الامر لم يكن ذا بال بالقياس الى اكسينيا ، فقد كانت قرأت الرسالة مرات عديدة حتى انها حفظتها عن ظهر قلب . وبعد ذلك ، لما اخذت الورقة الرقيقة تتساقط قطعا ، لم تتردد اكسينيا من سرد محتويات الرسالة ، على اسماع ايلينجنا ، الى آخر سطر منها . »

كانت رسالة غريغوري اخر الاخبار التي تسلمتها (والدته) فى ختام حياة كرست باجمعها الى العائلة ، الى الاولاد والاحفاد ، فما مأتى الفرح الذي تضمنته هذه الرسالة ليعيد المسرة الى الام فى اواخر ايامها ، وليلخص معنى حياتها بأسرها ؟ ما من شيء فى ذلك كله غير الامومة فى محبتها (العارمة) ـ والحق ان اواخر ايام ايلينجنا مضت مضيئة بما افاضت عليها محبة غريغوري . «ولسبب من الاسباب، اتجهت ذكرياتها وافكارها اكثر ما اتجهت الى غريغوري . ربما كان ذلك لانها لم تتحرر من القلق بسببه طيلة اعوام ومنذ بداية الحرب .

ذكريات ! ان شخوص شولوخوف غالبا ما تكون ميالة الى التذكر ـ خذ امثلة، ذافيدوف ورازميوتنوف والعجوز اوسترونوفنوفا والجد شوكار واندريه سوكولوف ... ان الذاكرة تستعيد احزانا بعيدة ولحظات من الفرح الطافح، لحظات يرقى فيها جمال الحياة وازدهارها اعلى المراقي .

وهكذا هي ذكريات ايلينجنا عن ايام شبابها يسردها شولوخوف كأنها قصيدة من النثر واليك مقطعا منها : « اهتزت شفتاها المقرورتان وابتسمت حين رفعت الطفل الاسمر الصغير غريشامن المهد المعلق وابعدت خيط الصليب باسنانها ، مقدمة صدرها له هامسة من بين ثناياها : «ابني العزيز الصغير ! يا اجمل ما املك ! لقد اهلكتك والدتك جوعا ... كان الصغير ينهج باكيا متألما ، وهو يعض ممتصا الحلمة بلثته الصغيرة . على حين يقف بجانبها ابوه الشاب ذو الشارب الاسود وهو يشحذ منجل الحصاد . »

وهذه الحوادث تتطفل عادة على شخوص شولوخوف فى اصعب الظروف واشدها مأساة ، بيد ان المؤلف ينجح فى ربط الدراما بالغناء . وحين تشرف العجوز اوسترونوفنوفا على الموت جوعا وعطشا فى غرفتها ، ذلك الموت المرعب الذي فرضه عليها ابنها، تتذكر ايضا بكرها باشينكا، وياشينكاليس الاباكوف لوكيك الذي ينتظر فى غرفة اخرى صوت والدته.

(ومما تجدر الاشارة اليه) ان شولوخوف يستخدم الذكريات ليبين اغوار شخوصه الروحية والعاطفية . فالاجتماع بين اكسينيا وايلينجنا يؤكد عمق عواطف الام. ولنا ان نستعيد بعضا من المشاهد المتماثلة او المختلفة .

وذات مرة تشاهد اكسينيا ايلينجنا « فى غرفة دراسة (الحبوب) وهي تتطلع من الشباك الى السهل الذي تضاء فيه نار بعيدة كأنها نجم صغير قصي » فتسمعها تصرخ « غريشا ، ابني العزيز ! دم دمي ! »

وبعد ذلك بقليل من الزمن (نرى) اكسينيا ممسكة باطفال غريغوري فى ذراعيها « وفجأة شعرت بشوق عنيف حتى كاد التشنج يخنقها . ثم ما برحت ان بكت بكاء مرا شديدا ، كادت الآهات تمزقها تمزيقا . ولكنها لم تتمكن ان تمسح دموعها ، لان اطفال غريغوري كانوا نائمين بين ذراعيها ، وكانت غير راغبة فى ايقاظهم . »

ان الكاتب يشبك بين مشاعر المرأتين ، بين تلك التي جربت ، اثناء حياتها ، مسرات الامومة وهمومها ، وبين تلك التي سلبت منها جميعا ، ولكن روحها افعمت بكل ما هو رقيق انثوي ، خاص بالامومة . وعلى سبيل المقارنة تبدو عواطف المرأتين بصراحة ووضوح ، كما يبدو العالم الداخلي لكل منهما مصورا فى اغواره .

وشخوص شولوخوف مصورة فى حياتها الاعتيادية تقدم لنا اعظم التعميمات الفنية شمولا . فهو يقود قارئه من حوادث يومية بسيطة محلية الى افكار واعمال ذات اهمية عظمى ، وهو ينقل القارىء معه بما عرف به من انسانية موفورة ذات عاطفة متأججة . ومن اصعب الصعوبات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعروفة للفن هو نقل صورة من (الحياة الخاصة) ووضعها في بانوراما (منظر شامل) العمليات التاريخية الخاصة بالعصر . و (شاهدنا على ذلك) ان ايلينجنا وبانتيلي وبروكوفيج واكسينيا وداريا ودونياشا وغيرهم من الشخوص في « الدون يجري هادئا » لا يلعبون دورا مهما في الحوادث التاريخية ، على ما يبدو . وهم لا يحلمون بحل « المشاكل الكونية » ومع ذلك فموقفهم من تلك الحوادث ليس مسألة تافهة . ومن هنا فالحيوات الفردية الخاصة بشخوص شولوخوف يتقرر مصيرها على وفق الحوادث المترتبة على المرحلة الزمنية المعينة ، ومن وجهتي النظر السياسية والاجتماعية وعلاقاتهما باي من الافراد ، ذلك بان مصير كل منها ليس مجرد قصة فردية بل نقطة او قل جزءا لا يتجزأ من البحر الذي يدعى الشعب. وقد ابدع شولوخوف صورة تاريخية ملموسة لام من اسرة قوزاقية قديمة بما امتازت به من تقاليد وعادات طائفية ومحلية ، وذلك بصوره الانسانية النفسية التي عبرت اخلص التعبير عن العواطف التي انتابت ايلينجنا .

ومع ان الشخصية التي اخترناها ليست اهم شخصية في الكتاب فهي مهمة على كل حال . والامر كذلك بالقياس الى الشخوص الاخرى التي ابدعها شولوخوف والتي رسمها بمختلف وجوه طبائعها . ومن خلال قلب الانسان الاعتيادي وروحه ، يصور شولوخوف عمليات ذات اهمية شاملة في حياة الشعب والبلد . وهذا ما يضفي قوة عظمى على شخوصه .

الوان قوس قزح

لقد كانت اكسينيا مريضة من مدة طويلة ، وكان «الربيع الازرق» يحمل الالوان الى السهوب حين بدأت دور النقاهة. وذات صباح محمل بالضباب ، ذهبت اكسينيا الى مدخل الدار ، وهي لا تزال ضعيفة ، الا ان عينيها البراقتين انتبهتا الى المنظر المحدق بها . فبدا العالم « منعشا اعجب الانعاش » واكثر من ذلك انه بدا « ساحرا » . « فالضباب البعيد واشجار التفاح الراقصة في ذوب الثلج، والدرابزين الرطب والطريق الذي يتجاوزها بما فيه من اخاديد مملوءة بالماء ، كل تلك الاشياء بدت لها جميلة جمالا لا يصدق ، كل شيء كان يتفتح كالازهار بالوان خفيفة رقيقة تتزيأ بهالات من اضواء الشمس . كل ما هنالك كان يتفتح ! وقد رأت اكسينيا في ذلك الصباح كل الاشياء المألوفة المحيطة بها ، حتى التافهة منها رأتها رؤيا عميقة الغور .

ان اكسينيا « فرحا منها بالحياة التي عادت اليها ، شعرت برغبة قوية في ملامسة ما تقع عليه يداها ، وفي النظر الى كل شيء ، قد ارادت ان تمس شجيرات المشمش التي سودتها الرطوبة ، وان تضغط بخدها على غصن شجرة التفاح المغطى بالازهار القرمزية المخملية، لقد ارادت اجتياز السياج المتهدم والسير في الاوحال بعيدا عن الطرق المطروقة ، وراء منحدر حيث حقول الحبوب الشتوية وهي تتلألأ اخضرارا سحريا متناغما مع الابعاد المحملة بالضباب»

ان في كتب شولوخوف وفرة مدهشة بالشعور بالحياة، واحدنا يعجب بقدرته على رؤية اشياء غير اعتيادية في اشياء اعتيادية ، ووصفه للقضايا المألوفة البسيطة يعتمد طريقة تجعل تيار العواطف الانسانية يجري من خلال كلماته . فالالوان الغامقة والخفيفة والاصوات تتوهج جميعا متشابكة على صفحات شولوخوف .

اما المناظر الطبيعية التي يصفها شولوخوف فهي جديرة بالاهتمام لا لبساطتها حسب بل لتفصيلاتها الدقيقة ، وهذا هو السبب انها (ملموسة) وانها متجسدة بصورة (مادية).

لقد كان شولوخوف ميالا لوصف الروائح الزكية، روائح الارض والعشب والثلج والمطر . فهو يضع الفواصل اللطيفة بينها ، ويجلب النظر اليها ، ولا يخشى من التأثر بها ، وكذلك يفعل الى روائح السهوب . (وهذا ما يذكرنا) بمستهل (الارض البكر حرثناها) حيث نجد منظرا طبيعيا عطر الشذى جاء في وصفه « ان رائحة بساتين الكرز طيبة بعد اول ذوبان للثلج في نهاية شباط . ففي الاقسام الظليلة ظهرا (ان كان هناك اي دفء في الشمس) تمتزج رائحة لحاء اشجار الكرز الضعيفة برطوبة الثلج الذائب الطريء وبرائحة الارض القوية القديمة التي تنبعث متجددة من تحت الثلج ، وكذلك من الاوراق الميتة ، اوراق الخريف الغائت . »

وفي الفقرتين التاليتين لا يذكر المؤلف «الشذى العطر الهادىء» عدة مرات في اليوم الواحد حسب بل هو يشعرنا بذلك ايضا واكثر من ذلك انه يجعلنا نحس بتغير الروائح ليلا ونهارا ، وحين تجلب الريح « نفسا ضعيفا من انفاس الحنظل المبللة بالصقيع ، من اراضي السهوب . »

ثم يمضي الكاتب فيحمل القارىء على شعر السهوب غير الاعتيادي فيضطره الى الانتباه الى ما لحياة السهوب من اسرار وميول انيسة ، سواء أكانت تلك حياة الطبيعة ام حياة الانسان .

ولا بد ان نجد في كل منظر طبيعي من مناظر (الارض البكر) ضربا من الروائح . ففي بداية الكتاب الثاني نجد « النكهة العسلية » المنبعثة من الاعشاب البرية . ولما امتطى دافيدوف جواده ميمما وجهه شطر السهوب تنشق « نكهة العشب والارض السوداء الرطبة » وحين ذهب الى مصهر الحديد لرؤية ايبوليت شالي انبعثت من الابواب الواسعة « رائحة عنيفة من الحديد الخابىء والفحم المحترق ... رائحة جعلت قلبه يئن شوقا ولهفة » ومن هنا فالالوان والروائح تخلق صورة من صور الحياة التي تهز الطبيعة ، والتي يشعر بها المؤلف وبطله « شعورا داخليا » لا كشعور المشاهدين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن المهم ان نذكر اننا كلما قرانا شولوخوف استوعبنا انطباعاعن المجال الكبيرالذي كرسهلوصف المناظرالطبيعية. والحقيقة الواقعة ان المناظر الطبيعية فى (الارض البكر) قليلة النصيب من الوصف ، واهميتها فى الكتاب لا يمكن ان تقاس بما تضمنته من حيز ، بل بفنيتها ، بفهمها العميق لحياة الارض وللانسان الساكن عليها. وشولوخوف ، حين يرسم مناظره يرسمها بالطريقة التي يراها . وقد اضفى قدراته الممتازة على احد ابطاله ، ومن الغرابة حقا الا يكون ذلك البطل من مواطني الدون ، ، بل سيمون دافيدوف أحد الطارئين على تلك المنطقة .

كان دافيدوف فى طريقه الى غريماجي‌لوغ « وفجاة ايقظته قبضة برد اصابت قلبه ، وما ان فتح عينيه حتى راى الشمس الباردة تتساقط قطرات من خلال قوس قزح وراى السهوب الصامتة المجيدة والسماء الرصاصية في الافق ، كما شاهد على رابية بيضاء ليست بعيدة ، شاهد ثعلبا يتوهج فى حمرته الذهبية ، انه كان يصطاد فئران الحقول . »

ان الكاتب يرينا دافيدوف فى السهوب عدة مرات ، كما يرينا هذه السهوب فى الوان قوس قزح على حسب ما يدركها . وكل منا قادر على فهم هذا ، لان كل شيء هنا جديد بالقياس الى سيمون ولانه ملاحظ جد دقيق للعالم الذي يحيط به ، العالم الذي اصبح عزيزا لديه كل هذا الاعزاز ، وقريبا اليه كل هذا القرب .

وهذا الشعور اللطيف تجاه الطبيعة يحدثنا كثيرا عن عالم دافيدوف النفساني وادراكه الوفير عن الحياة .

بساطة دقيقة معقدة

بدأ ميخائيل شولوخوف فى العشرينيات ، وقد اعتقد الكثير من الكتاب الشباب فى ذلك الوقت ، بان الكتابة فى اشكالها الجديدة تقتضي لغة برقية وجملا قصيرة ، وعلى العموم شيئا غير مألوف . اذ كان العهد عهد بحث وتنقيب فبعض الباحثين كان موهوبا وبعضهم الاخر كان اقرب الى التفاهة التي لا ذوق فيها . اما اولئك الذين كتبوا عن الريف فقد بحثوا متكلفين عن ادكن الالوان واغمقها .

وكثير من نتاج ادب العشرينيات جدير بالاهتمام لما امتاز به من ايجاز فى السرد . وقد كتب ليونيدليونوف قصة « الغرير » (هو حيوان بين القطة والكلب ، المترجم) بهذا الاسلوب مع ما فى القصة من صفات فردية خاصة وكذلك الحال مع الاقاصيص والحكايات التي كتبها الكسندر نيفيروف فى ذلك العهد .

اما الشاب شولوخوف شانه شأن الكتاب الشباب الاخرين ، فقد عاش خلال تلك الفترة التي اقتضت اسلوبا غير مألوف يكاد يكون اضطراريا، بيد انه طبق ذلك الاسلوب بموهبة عظيمة معنيا بقوة العبارات وشدة تأثيرها . . وهذا ما يمكن رؤيته فى كتابه « حكايات الدون » . ومع ذلك فان اسلوب الكاتب الشاب لم يقتصر على الايجاز حسب بل تعداه الى لون محلي معين بالاضافة الى الحوار الحي كما انه كثيرا ما كان يلجأ الى المناجاة . . ومما ينبغي الاهتمام به ان هذه الكتابات المبكرة كانت تميل تدريجيا الى تبديل الاسلوب اللغوي الموجز الى اسلوب سردي غنائي . وانغام القصة القصيرة « السهوب الزرق » ـ ١٩٢٦ ـ تنحو منحى قريبا من اسلوب المؤلف « الجديد » واليك مثلا على ذلك: «على تل واطىءاحرقته حرارة الشمس ،انبطحت انا والجد زاخار تحت شجيرات اللوز المطلة على الدون . واذا بحداة تئز طائرة بين الغمائم . اما اوراق اللوز الدبقة فلم تظللنا باي ظل . » هذه كانت البداية واستمرت بالاسلوب نفسه حتى انتهت نهايةغنائية جاء فيها : «نعست السهوب الزرق حتى الغسق الداكن الدخاني ، وقد حيت زرافات النحل‌ارتحال النهار برشفة اخيرة من ازهارالزعتر وعلى تراب الطريق المطرز بعناية ملامح اثرين ، الاول اثر ذئب يتبين من مواضع مخالبه المتباعدة بانتظام ، والثاني اثر جرازة ذات خطوط متقاطعة مهدت الطريق . »

ولم ينس الكاتب هذه المدرسة الادبية الاولى ، التي كانت ذات اهمية ونفع عظيمين مما جعله يحتفظ ببوده الجمل القصيرة الدقيقة الواضحة . ومن هذه الفترة ايضا تنبثق عاطفتهنحو العقد المتضاربة والشخوص المعقدة. ولكن الى اي مدى سار الكاتب منذ ذلك الحين ! ان السرد الجديد يمتاز بالروح الملحمية الغنائية وقد تسيطرت هذه الروح على لغة الكاتب .

والان وقد اكملت «الارض البكر» لا يسعنا الا تذكر قصص شولوخوف القصيرة . والكاتب نفسه يعد قصصه المبكرة القصيرة مقدمة للكتاب. وقد لاقت قصص‌شولوخوف فى وقتها استحسان القراء والنقاد على حد سواء ، وعلى اساس هذه القصص قال الكسندر سيرافيموفيج « ان شولوخوف سيصبح كاتبا مهما » واهمية «حكايات الدون» لا تمنعنا من رؤية هذا الاستاذ العظيم للكلمة المكتوبة فى تطوره ، وفى دقته المستمرة حيال انتاجه ، ففي ذلك كله ما يعيننا على تقديره . ان الطريق التي اجتازها شولوخوف هي الطريق الى البساطةالمعقدة الطبيعيةذات الشان‌الرفيع. ان لغة سرده لغة ساحرة وفى كلماته البسيطة كثير من الجمال الغنائي الاخاذ كما فيها الشيء الوفير من فلسفة الحياة .

ان السرد هادىء من الخارج ومتوتر جدا من الداخل . والكلمات اللطيفة الجريان تقوم بدور مهم للتوكيد علىالروح الغنائية العميقةوالدرامية اللتين‌تواكبان الوضعية(القصصية) ومن منا لا يعرف «مصير انسان» ؟ وكل ما قراهاسيتذكر التجارب العظيمة والبطولة السامية فى القصة وكيف انها سردت باسلوب انساني بسيط مدهش على لسان اندريه سوكولوف . وهكذا فالملحمة الواسعة النطاق تمتزج فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتابة شولوخوف ، بشفافية لغته المذهلة .

وشولوخوف عادة صامت عن عرض مشاعره بصورة مباشرة ولكن يمكن التقاطها من منافذ نثره ، او كما يقال من طريق القراءة بين الاسطر . ومع ذلك فقد ينفجر صبر المؤلف في اشد اللحظات حسما ولنضرب لذلك مثلا حادثة موت دافيدوف : « ببطء ، ببطء ما أشده ! انحسرت الحياة من صدر دافيدوف الواسع ، الذي اصيب بطلقات في اربع مواضع ... » ومن هنا نكرر القول ان التمازج العضوي بين الروح الغنائية والملحمة يبدو واضحا على كتابة شولوخوف ولكن ببساطة طبيعية معقدة في الواقع كل التعقيد ..

فلسفة في ثنايا العرض

هناك الكثير مما يقال عن المعنى الفلسفي في معروضات شولوخوف . ف «الارض البكر» مثل رائع جديد على الوحدة العضوية بين المجالين الفلسفي والفني في عرض الواقع، الواقع الجاري، الواقع الذي يعاني التبدل الثوري.

وعنوان القصة وحده يرينا عمق محتواها ، فالموضوع هو قضية تبدلات اجتماعية واخلاقية كبرى ، او هو بكلمات اخرى معركة مبادىء . ان كتابات شولوخوف لا تصور الحوادث المهيجة العاصفة حسب ، بل هي تعكس المنازعات الفلسفية والسياسية والايديولوجية المنطوية في خلق العالم الجديد . وخير ما تتجسد فيه الفلسفة هو في الادوار المتشابكة الملازمة للشخوص في الكتاب .

ومن هنا يرى القارىء الخط الفاصل بين امثال دافيدوف وناغولنوف ورازميتنوف ونيسترينكو وميدانيكوف وشالي وبين بولوتسيف ولايتفسكي واوستروفنوف وتيموفي المزقة . وهو لا يرى الصراع الفعلي بينهم حسب بل الصراع الفلسفي ايضا ، ومع ذلك فهؤلاء اناس «عمليون» وليسوا اناسا «نظريين» . وايا ما كان الامر ، فان المسائل النظرية لا تغيب عن بال اي من الطرفين المتنازعين ...

وطبائع الشخوص بدورها تساعد على توضيح المنازعات الفلسفية والسياسية . ومن ذلك ان العدوين اللدودين دافيدوف وبولوفتسيف يصلان معا الى غريمياجي لوغ . ثم ان موقفهما حيال الشعب المحيط بهما بل حتى سلوكهما اليومي يبين مبادئهما المختلفة ونظراتهما المتباينة . وينطبق ذلك حتى على ابسط التصرفات . فما ان يحل دافيدوف اسرجة خيوله حتى يشرع بالمزاح مع القوزاقيين مباشرة ، ثم يصبح واحدا من اصحاب البيت في القرية . وحين يسأل المكار ياكوف لوكيج بحثا عن اهداف بولوفتسيف مستطلعا رأيه عما يفكر به الشعب ، يجيبه الاخير قائلا : « ان الشعب هو قطيع من الغنم . لا بد من قيادة ... » ومن بداية القصة يحمل القارىء على الانتباه الى المنازعات السياسية والايديولوجية ويصبح الموقف من الشعب هو القضية الاساسية .

وبعد ذلك بوقت يسير يتحدث ياكوف لوكيج مع لاتيفسكي فيهزه الاخير باعترافاته الصفيقة . ومن تلك « يا للجحيم ما الذي جعلك ترتبط بنا ، يا ايها العصا الملطخة بالوحل ؟ يا للشيطان ما الذي اضطرك ان تفعل ذلك ؟ طبيعي انني وبولوفتسيف نواجه الموت لاننا لا نجد لنا طريقا .. دعني افرض ان الكثيرين من امثالك الاجلاف سيبنون المستقبل.. ولكن المسألة هي هي . انكم لن تتمكنوا الا من تحريك اليسير من الوحل في مستنقع العالم . »

ان كلا منهما يتكلم بلهجة مختلفة ـ بولوفتسيف بصراحة ولاتيفسكي بصفاقة ، ولكن موقفهما هو الموقف نفسه : اعني الازدراء بالشعب .

واكبر الظن ان شولوخوف غيّر سياق الفصول في الطبعة الاخيرة من الكتاب الثاني بغية التوكيد على الخصام بين الاعداء . ففي مجلة (اوكتبابر) نشر لاول مرة بعض اقسام القصة في العددين ٥ و ٦ ، حيث نجد تجارب ناغولنوف العاطفية الفنية وميله المفاجي لعراك الديكة يحتلان الصدارة بيد ان هذه الامور تتراجع في الطبعة الاخيرة فتحتل الفصل الرابع ، على حين يتقدم الفصل الخاص ببولوفتسيف ولايتفسكي الذي يختفي في دار اوستروفنوف ، ويوضع في البداية .

ان كلا من الكتابين الاول والثاني يستهلان استهلالا متماثلا يتضح في وصف المناظر الطبيعية ثم تعقبها فصول من الدرامائية المتزايدة . ففي الكتاب الثاني يلتقي بولوفتسيف ودافيدوف وهما على طرفي نقيض ، الاول يشعر شعورا عميقا بهلاكه والثاني يعي وعيا شديدا روابطه بالفلاحين التعاونيين . وتبعا لذلك يزداد انصار دافيدوف ويقل مؤيدو بولوفتسيف . حتى ان الاخير ـ في الكتاب الاول ـ يهرب من اجتماع سري في قرية فوسكوفوي ـ دون ان يتبعه احد من القوزاقيين . وفي احدى المشاجرات يتهمه لايتفسكي بانه «بطل مفلس» ومواطن بغير وطن ، وقائد بدون جيش ... ومغامر تافه بغير روبل في جيبه ... » ثم يشتد النزاع بينهما، في الكتاب الثاني حتى يكون احدهما مستعدا لان يقطع دابر الثاني . ومن هنا نرى ازديادا لنهش كبرياء بولوفتسيف ، الذي يتصور نفسه «بطلا» .

وهذه المشاكل جميعا مرتبطة بعقدة القصة الفلسفية ذلك بان العداء بين زوار اوستروفنوف لا يرجع الى اسباب شخصية بل هو ينبعث من انكار النظرية التي يحاول بولوفتسيف تبريرها بتصرفاته ـ نظرية « الابطال » و «الجماهير» التي لم يذكرها الا لمامًا الا انها واضحة في تصرفاته .

وهكذا نأتي الى السطور الاخيرة من قصة «الارض البكر حرثناها» السطور التي تتحدث عن رازميوتنوف . فهي تحتوي كآبة التأمل ومر التذكر واشعة الامل . وهذه هي « ان رازميوتنوف الشاب الانيق الخفيف الحركة الذي عرفناه اصبح الان رجلا عجوزا منحني الظهر ، لقد جرب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصير شاعر

* * *

تمر الليالي والفراق يذيبني ... ويستنزف القلب المتيم ادمعا
وتجتاحني الذكرى فيعصف فيدمي ... حنين يهد الروح والجسم اجمعا
فلا تسألوني عن شجوبي ففي الحشا ... من الوجد ما يذوي الفؤاد المروعا
اذا ما اطل الليل طار تصبري ... وصيرت ليمن ناجذ الحزن مضجعا
سلوا ألنجم كم سامرته متقلبا ... على حسك ادمى الضلوع واوجعا
اطارحه الشكوى لعل فؤاده ... يقاسمني البلوى فنحملها معا
فيا ليل هل تحنو على قلب شاعر ... اسال قوافيه اسى وتوجعا
ويسكب من وجدانه كل نغمة ... تكاد لها اوتاره ان تقطعا
يمر به طيف الحبيب فيرتمي ... صريع النهى دامي الكيان مضعضعا
جفا النوم عينيه وطال سهاده ... وكيف يزور النوم طرفا مفزعا
اتدوي دموع الفجر لوعة وجده ... وتنعش قلبا صار لليأس مرتعا
وهل تحمل الانسام عنه شجونه ... وتضمد جرحا بالشقاوة مترعا
عسى رمق يبقى الى ان يصونه ... سنا الفجر يبدو حانيا متخشعا
والا فخذ يا ليل شعلة نفسه ... وضعها على النجمات تاجا مرصعا
فهذا مصيرنا له كل شاعر ... احالت مغانيه يد البين بلقعا

صنعاء ـ اليمن — **عبدالله بن علي الشرفي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكثير وخسر الكثير . ان لعبوسة نظراته اسبابها . انه لا ينظر الى اسفل بل الى اعلى حيث وراء خط الافق غير المرئي سماء ملتهبة توقدها شعلة قرمزية ، تسعى جاهدة على ايقاظ الطبيعة النائمة الى حياة جديدة . ان العاصفة الاخيرة في تلك السنة اندلعت في جنون مجيد كأنها كانت في اوج الصيف . »

وطبيعي ان تفاؤل القصة ليست مسألة كلمات حسب بل هي تتمثل خير تمثيل في واقعية الوصف للناس . وحين يفكر احدنا في المشاكل الخاصة بمهارة شولوخوف باعتباره كاتبا مبدعا لا بد من الاهتمام الخاص بأسس تلك المهارة واعني بها : نظرته للتاريخ وللانسان . ان الكاتب يرينا طريق النضال التاريخي المتعرج الهادف الى التقدم والرقي . وهو يلتقط في صوره الناس المختلفين اشد الخلاف، المختلفين في افكارهم ومبادئهم وتشبثاتهم ومراتبهم وادوارهم في الحياة، الناس الذين هم تيار الحياة الرئيسي. هذا التيار الذي يوجه اليه دراسته للانسان ، في محاولة منه ان يرى الفرد الانساني بالقياس الى المجموع المركب من المنازعات الاجتماعية والايديولوجية والمحلية . وعلى ذلك ، فان الحافز المهم في نتاج شولوخوف باسره هو تغيير الحياة « تغييرها للاحسن » .

اربيل ـ العراق — **يوسف عبدالمسيح ثروة**



صفية ابو شادي

صفية ابو شادي

بقلم وديع فلسطين

* * *

اقامت «رابطة الادب الحديث» بالقاهرة حفلا يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦١ لاستقبال الانسة صفية ابي شادي كريمة الشاعر المرحوم الدكتور احمد زكي ابو شادي بمناسبة زيارتها لمصر بعد غياب خمسة عشر عاما في الولايات المتحدة . وقد اشترك في الترحيب بها الاساتذة حسن كامل الصيرفي ونجاة شاور ربيع وماهر نسيم ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمود جبر ومحمد عبد المنعم خفاجي ووديع فلسطين ، وهذه هي كلمته في ذلك الحفل :

وتناهيت يا صفية في البر بقلبي ، فلم يعد بالمنى
اي ذكر اخطها لك الا دعوات بها فؤادي تغني

بلسان ابيك العظيم يستقبلك النيل في تحنان وعرفان ، فقد جئت واديه على توق اليه شديد ، وكنت به بارة ولذكرياته صادقة الوفاء ولاهله مخلصة الولاء ولعروبة لسانه كبيرة الرعاية ، وقد جئته ساعية بروحك قبل قدميك ، تجددين له عهدا مضى ، وتطوفين بارض احلامك وجنات طفولتك ، وتلمين بديار عنها اغتربت بجسمك وما غربت قط عن خيالك ووجدانك ، وتألفين الى رفقة خلصاء ابيك ومحبيه وتلاميذه ، وتأنسين الى اهل الصدق من الاهل ، هم ادباء عرفوك من خلال المسطور من ادبك والمذاع . فلا انت بعيدة عنا ، ولا نحن جهلة بما اجزلت للادب من فضل ، فانشدينا يا صفية « اغنيتك الخالدة » ، واطربينا بادبك المصفى وقد نسجت عباراته من خيوط المحبة والفضيلة والعاطفة النبيلة .

هل تذكرين احاديثنا في نيويورك وفي وشنطن قبل ست سنين خلون ؟ لقد اممت تلك الديار بعيد وفاة صديقي الاريحي الفؤاد احمد زكي ابي شادي ، وكنت اظن ان لساني لن ينطق الا بعجمة في بيئة تتحدث بلغة شكسبير ، ولكنني في عين اليوم الذي هبطت فيه نيويورك التقيت بصفية وهدى كريمتي ابي شادي فدار الحديث بيننا بضاد فصيحة خالصة من العيوب ، وكان حديثنا في الادب واخباره والادباء وامورهم ، ووجدت في صفية دراية ادهشتني بالادب المعاصر لا على صعيد قومي ، بل على منسوب عربي عام .

ويطيب لي في هذه النهزة ان اصور صفية التي عرفتها في تلك الايام الخوالي فعرفت فيها فتاة ذكية الفؤاد ناضجة العقل رهيفة الحس بارعة المواهب ، تعددت فيها مآثر الثقافة الانسانية واجتمعت لديها خصائص الشخصية القوية المستقلة ، فرأيت فيها ما سماه الفلاسفة « الوسط السعيد » ففيها تآلف الشرق بمناقبه مع الغرب بآياته ، وفي سمتها الباهر مزيج من السحر والاحترام ، وفي عاطفتها صدق اصيل واعتدال جميل ، وفي مسلكها استقامة حميدة ، وفي صحبتها وداد آسر . فهذه فتاة درجت في المعاهد حتى نالت من الدرجات العلمية اعلاها ، وطافت بالدنيا شرقا وغربا حتى استكملت برؤية العين ما فاتها تحصيله في الكتب ، وعملت بالصحافة والادب والدبلوماسية حتى ادركت مرتبة التقدير الكامل المسؤولية ، وعاشت مع مفكر عظيم موح هو والدها ابو شادي فاخذت عنه ونقلت منه وتأثرت به حتى استدارت شخصيتها الفكرية ، وهامت بدنيا الكتاب حتى صار رفيقها وغذاءها الذهبي المتصل وخبز كفاحها في كل يوم . فلا بدع ان تحسن صفية الكلام في كل موضوع ، فترتجل القول الفطن ، وتستشهد بالمأثور مما قرأت ودرست فتغصب بعلمها وسعة افقها الاعجاب غصبا ، وتملك الاسماع في اي مجلس تغشاه .

واهتمامات صفية غير اهتمامات بنات جنسها ، وان لم تخرج عنهن او تنأى عن زمرتهن . فعندها طموح في المعرفة لا يرد ، وهي تجدد شبابها الذهني بما تفرضه على نفسها من احتفال بمواكب المعرفة في كل مكان . ولقد كنت استخف بصفية — وعفوا لهذا الاعتراف يجيء متأخرا — فأعاملها بتحد رغبة في تعجيزها . فأسألها : هل قرأت يا صفية كتاب جون جنتر الاخير مثلا ؟ فلا يكون جوابها الا خوضا في موضوعات الكتاب واستدراكا لتفاصيل فاتتني . وكنت اسألها : !رأيت يا صفية فيلم «المصري» مثلا ، وكان يومئذ في فاتحة عرضه في برودواي ، فما كنت اسلم من تعليقات حول الفيلم ومراميه ومقابلة بين الفيلم وبين القصة كما كتبها « ميكاولتاري » . وكنت اسألها : هل قرأت مقالة سولز برجر في النيويورك تيمس مثلا ، فلا تجيب الا بنقد

واع حصيف لفحوى ذلك المقال . ولم ألبث ان كففت عن اسلوب التحدي مع صفية خشية ان تعاملني بالمثل فاقع فى حيص بيص .

واصدقكم القول اذا قررت من واقع صلتي الوثقى بالدكتور ابي شادي ، طيب الله ذكراه فى كل مصر ، ومن واقع معرفتي الطيبة بابنته الفضلى صفية ، ان هذه الفتاة اللامعة امتداد لابيها العظيم فى قواه العقلية الخصبةالمبدعة ولو هجرت صفية تواضعها ونفضت عنها ما يعلق بها من شكوك بشأن ملكاتها الادبية ، واطلقت لقلمها المكظوم العنان، لكانت بحق اولى اديبات المهجر ، ولزاحمت اديبات الوطن مزاحمة شديدة الخطر . فصفية على اتصال يومي جار بتيارات الفكر المتلاطمة فى العالم الغربي ، وهي الى جانب ذلك واقفة وقوفا طيبا على القضايا التي تشغل المعاصرين من المشتغلين بالادب العربي والمشتغلات ، ولو هيئت لها وسائل النشر التي استفاضت للدكتور ابي شادي فى زاهر عهده ، لتفوقت على نفسها وعلى كثيرات من معاصراتها .

وفى غمرة الحياة الامريكية الهادرة ، تجد صفية متسعا لاعبائها وهواياتها ومجاملاتها . فهي فتاة مجدة فى العمل ذات طموح ، وهي سيدة بيت من ارفع طراز ، وهي مصورة ماهرة بالريشة والآلة ، وهي رحالة تجوب الآفاق ولاتكل، وهي قارئة باربع لغات هي العربية والانجليزية والفرنسية والاسبانية ، وهي سيدة مجتمع مثلى ، وهي مضيفة شديدة الكياسة مرهفة الذوق ، وهي هاوية لجمع طوابع البريد والعملات المعدنية، وهي تجيد الاصاخة الى الموسيقى وعندها مجموعة كبيرة من اقراص الموسيقى العالمية ، وهي مفتنة فى جمع التحف وانتقائها ، وهي صبور فى المكاتبة والمراسلة مع عشرات من الادباء فى بقاع موزعة بين استراليا وشبه القاره الهندية والشرق العربي واوربا والامريكتين . وكل هذا لا ينسيها واجب المجاملة ، فتعود المرضى، وتفتقد اصدقاءها ببطاقات تهنئة فى المناسبات الاجتماعية ، وتحمل الهدايا الى احبائها فى كل مناسبة وبلا مناسبة . ولا تسل عن تضحياتها فى الجهد والوقت والمال فى سبيل اسعاد الناس ، اما وفاء لذكرى ابيها او مجاملة لصديق او رعاية لمن عنفته الحياة .

واظهر ما فى صفية قدرتها العجيبة على الاستغراق . فاذا انصرفت الى عمل اجادته لانها تستغرق فيه بجميع جوارحها ولا ترفع عنه يدها الا وقد اتمته على اطيب وضع. واذا عرض لها طارىء ملأ عليها كل تفكيرها وانساها كل ما عداه. فصفية تعيش كل ايامها بعاطفتها وعقلهاووجدانها وكيانها فى مزيج متوازن من المشاعر والمشاغل ، معتمدة على نفسها ، مطمئنة الى سلامة تقديرها واثقة من ذاتها ، راضية بالعواقب ، لانها وضعت على هامتها تاج العقل المتالق ، وملأت قلبها بروح المحبة ، وصافت الناس والايام، واتصلت بالقيم الفكرية العلوية ، واخذت نفسها بجلائل الخصال ، وكسبت مودات هذا الجمع بعض منها . ولسان حالها يردد ما قاله ابو شادي مخاطبا هاته الابنة الحبيبة الاثيرة الحصان :

وارانى السعيد مهما تناهت ... ثوب للزمان غدرا وميني
اعرف الحب كيف عشت ملاذي ... وسلامي ، واملك الحب كونا

القاهرة

وديع فلسطين

اغنية للربيع

حللت فحل بارضي النعيم ... وانبت خصبا بجدب التراب
واحيا مجيئك موت حياتي ... وعادت امان ، وعاشت رغاب
نسيمك للشعر .. الهامه ... ووحي القصيد ، حكايا عجاب
وتغريدة الطير فوق الغصون ... لاشهى غناء رفيعا ، مذاب
تفجرت الارض تبغي لقاءك ... صبا ، غريرا ، ربيعا ، شباب
كأن شفاه الزهور الحيارى ... تقبل فى وجنتيك الرضاب
لتلعق شهدا لذيذا ، وتحيي ... زهورا ونحل الروابي الطلاب
لأنت ربيع الحياة الجميل ... واشهى من الشهد واحلى شراب
فنحن ربيعي ، منانا رؤاك ... نعيش انتظارا ليوم الاياب

رام الله ـ الاردن

للي كرنيك

زار الضيعة في يوم من ايام الصيف الجميلة ، رجل في منتصف الحلقة الثالثة من عمره ، كان اجداده قد نزحوا عنها منذ امد بعيد واستقروا في مدينة بيروت ، وانما بقي لهم فيها كرم العنب ، وجلول التين ، وعين الماء التي تحت السنديانة في اسفل الوادي .

وكان هذا الرجل ، ويدعى سعيد، جميل الصورة ، لطيف المعشر ، حلو الحديث ، فارع الطول ، قوي الجسم، قد تقلب في المناصب العسكرية في الجيش العثماني الذي كان يرابط في بيروت ، يوم ان كانت ولاية عثمانية.

وكان يلذ لسعيد بك ان يجلس كل يوم قبيل الغروب ، في المقهى القائم على الطريق العام المؤدي الى عين الضيعة ، لمشاهدة فتياتها بملابسهن الفضفاضة البسيطةالحياكة، وهن ذاهبات اليها ليملأن جرارهن.

استرعى منظر اولئك الحسنوات انتباه سعيد ، فراقته سلوى كرم ، والجرة على كتفها وهي تختال بقدها المشوق، ووجهها الصبوح ،وشعرها الحالك السواد ، وقد ارخت جدائله على ظهرها ، فأخذ يتحين الفرص حتى اذا توطدت بينه وبين اهلها اواصر الالفة والصداقة ، صارحهم بحبه لابنتهم سلوى ، ورغبته بالزواج منها .

رحب والدا سلوى بهذه الرغبة ، كما رحبت بها سلوى نفسها ،فبادلت سعيد حبا بحب ، واظهرت له اعجابها به ، وهو بزيه العسكري الانيق،وشارات الجدارة والاستحقاق تتدلى على صدره . ولم يمض وقت طويل، حتى تم الاحتفال بعقد قرانهما، فأقيمت معالم الزينات ، واطلقت العيارات النارية في الفضاء ، وبدات حلقات الرقص ، فرقصت سلوى مع سعيد رقصة الدبكة اللبنانية ، على نفخ المزمار ، وصفير الناي ، فكان الاهل ينثرون عليهما الورود ويرشقونهما بالنقود ، وقد استمر المدعوون في مرح وسرور حتى ساعة متأخرة من الليل ، انصرفوا بعدها وعيونهم لم تصدق ما رات ، وآذانهم ما سمعت ، فظلت حفلة زفاف سلوى كرم وبختها الجميل ، حديث فتيات الضيعة مدة طويلة من الزمان .

وكان الوقت صيفا ، فقضى سعيد شهر العسل في احضان الطبيعة ، في كرم العنب ، حيث نصبوا له عرزالا وسط اربع شجرات من السنديان المعمر ، قد كسوا جوانبه بالدفلي واغصان الغار ، فكان العروسان يستيقظان من نومهما في كل صباح على نغمات الشلال المنساب بين الصخور ، وزقزقة العصافير فوق الافنان ، ونغم مزمار الراعي الذي كان يدوي بين تلك الادغال .

ثم عادوا الى الضيعة

بقلم ميشيل سليم يمين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وظن سعيد ان سعادته قد اكتملت بعثوره على زوجة هي آية في جمال الخلق والخلق ، ولكن ما درى ان لا سعادة على وجه الارض، وان كأس الحياة ان صفت مرة تعكرت مرارا ، فقد احس مع هذه السعادة شعورا غامضا يقلقه ، ويقض مضجعه ، غير انه لا يستطيع تفسيره ، ولا يقوى على الافصاح عنه لسلوى خشية ان يخدش احساسها المرهف ، لانه كان يبدو عليها من اول عهدها بالزواج انها شاردة الذهن، قلقة البال ،مبلبلة الافكار لعلة كامنة في نفسها .

وفي ذات مساء بينما كان سعيد جالسا في بهو الدار الذي يطل على غابة الصنوبر ، وسلوى بجواره يتحدثان ، قال لها في معرض الكلام ، والابتسامة على محياه :

ـ ما لي اراك يا عزيزتي دائما مضطربة قلقة ؟

التفتت سلوى اليه ولم تجب .

ـ تكلمي يا عزيزتي ، هل هناك ما يضايقك ؟ تكلمي يا عزيزتي ، اني المح مسحة من الحزن على وجهك ، وهذا معناه ان شيئا يعذبك ،ويطرد البهجة ، التي هي من حقك ، من اعماق قلبك .

خفضت سلوى من بصرها،وبرقت في عينيها دمعتان ، وارتفع صدرها عن تنهدة عميقة، لم تستطع ان تخرج معها ما فيه من اثقال الحياة ومتاعبها، ولاذت بالصمت كعادتها .

عز على سعيد ان ير سلوى وهي على هذه الحال من القلق واضطراب البال ، فأخذ يطيب خاطرها ، ويربت ظهرها ، ويمسح بيده العرق المتصبب على وجهها واخيرا التفتت اليه وقالت:

ـ ان احلامي يا عزيزي قد تحققت، فعثرت على الانسان الذي كنت احلم به واتمناه ولكن ... آه

ـ ولكن ماذا يا عزيزتي ؟

التفتت سلوى الى سعيد مرة ثانية ، وتمنت لو استطاعت ان تبوح له بالسر الدفين الذي يعذب قلبها والعلة الكامنة في نفسها وقالت :

ـ عزيزي سعيد ، يصعب علي ان اترك الضيعةوما فيها من فتنةوجمال، وكروم العنب وحقول الدفلي والصنوبر واللازان والسنديان ، وما فيها من روعة وجلال ، والدروب التي كانت ملاعب طفولتي ، وطريق العين الذي ما فتيء مسرح صباي .

سكت سعيد برهة ، واطرق يفكر ثم قال :

ـ لا اظن ان هذا يكدرك ويقلق بالك ، ومع ذلك ، هذا امر هين ، وحله بسيط ، واعدك ان غيابنا عن الضيعة لن يطول .

وانقضى شهر العسل بحلاوته ، فترك سعيد الضيعة ، وما فيها من

سحر وجمال ، وعاد الى مقر وظيفته في بيروت ، واقام مع سلوى قرينته في بيته الذي يشرف على البحر ، ما يقرب من عشر سنوات ، لا يعكر فيها صفو سلوى سوى ذلك الفكر الذي اخفته عن زوجها ، والذي ما فتىء يعذب قلبها .

واعتزل سعيد الخدمة في الجيش العثماني سنة ١٨٨٥ وكان داء الهجرة قد سرى في قرى وضياع لبنان ، عقب الحوادث الاليمة الدامية التي وقعت فيه سنة ١٨٦٠ فاستقر رأي سعيد على ان يغادر لبنان الى الولايات المتحدة الاميركية بصحبة زوجته سلوى ، وقد شق عليها ان تترك اهلها في ربوع لبنان الجميلة، وضيعتها الفاتنة القائمة فوق كتف الوادي لتشد الرحال الى بلاد تجهلها وتجهل عادات قومها ، ولسانهم ، ولكن حبها لزوجها جعلها تضحي براحتها وتركب البحر لفكرة راودتها .

وفي يوم من الايام التي يقف فيها المرء حائرا بين مصيره وبين ما يخبئه له القدر ، اقلعت باخرة من ميناء بيروت ، وعلى ظهرها عدد من الشبان اللبنانيين ، الذين ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم ، فراحوا يطلبونها في ارض الغربة ، وكان هؤلاء الشبان حفدة الفينيقيين العظام ، الذين جابوا في الماضي الاقطار ، وعلموا الامم والشعوب ركوب البحار ، يحلمون بأرض الذهب التي وطأتها اقدام اجدادهم من الاف السنين ، بمراكب قد صنعوها من شجر ارز بلادهم ، الذي كان يكسوا جبال لبنان ويمنون النفس في الحصول على المال الوفير ، والعودة به الى لبنان لاستثماره في المشروعات العمرانية التي تفتقر اليها البلاد .

وكان كل واحد من اولئك الشبان يحمل معه عدا قلبه العامر بالامل الباسم والايمان بالمستقبل ، تذكارات من ضيعته التي نشأ فيها ، وترعرع فوق ارضها ، فاخذ بعضهم معه قشورا من جذوع شجرة السنديان التي تلقى علومه الاولية تحت غصونها الوارفة ، وتفيأ في ايام الحر ظلالها ، وحمل البعض الاخر نتفا من صخور الجبال المحيطة بضيعته ، وجذوعا من ارز لبنان الخالد ، اما سعيد فقد ملأ زجاجة من ماء نبع ضيعته ،واخذ حفنة من تراب كرمه .

وبعد سفر دام عدة اسابيع، كانت الباخرة تتنقل خلالها من ميناء الى ميناء دخلت اخيرا ميناء نيويورك،بعد ان اعلنت وصولها بصفير اطلقته مدة ربع ساعةمن الزمان، فشرع المسافرون يتحفزون للنزول منها بذاهب الصبر، للضرب في مناكب بلد يجهلون عنه كل شيء الا غناه .

ونزل سعيد مع من نزلوا ، وراس ماله عزيمة ماضيه ، وهمة وقادة ، وذهب الى الحي الذي يقطنه اللبنانيون المغتربون في مدينة «بوسطن» ، وكانوا في ذلك الوقت قلة ، وحل بينهم على الرحب والسعة ، وانغمس بالاتجار باصناف البضائع الشرقية ، فلم يمض عليه وقت طويل حتى كان قد اصاب من هذه التجارة ثروة لا بأس بها .

عاود سعيد الحنين الى لبنان ، وما فيه من انواع السلوى وراحة البال والالهام ، عاوده الحنين الى سكينته والى رؤية صخوره وجباله وادغاله ، وما ينبت فوقها من شوك وازهار ، والى اشجار الصنوبر التي تكتفي وتقنع بمشاهدة البحر وهي تطل عليه من اعالي الجبال ، فعرض الامر على سلوى، وكان جمالها الشرقي قد شاع بين الاميركيين ، فمانعت دون ان تبدي سببا لذلك ، غير ان سعيدا لم يعلق كبير اهمية على هذه الممانعة بالرغم من انه كان يتلقى من حين الى حين رسائل من مجهولين يحملون فيها عليها ، ويكيلون لها فيها التهم ، منددين بعلاقتها بشاب ، الى ان كان ذات يوم عاد فيه سعيد الى البيت على غير موعد منه ، فرأى الدليل بعينيه ، رأى زوجه سلوى جالسة في حجرة الاستقبال ، تتحدث مع شاب في الخلقة الثانية من عمره ، جميل الصورة ، لم يسبق له ان رآه من قبل ، فبغت من رؤيته ولكن سلوى التي لم يكن يبدو عليها اي اضطراب وقفت وقالت :

— يسرني يا عزيزي سعيد ، ان اعرفك بالسيد جميل ، انه من شبان ضيعتنا المغتربين وهو كاتب اديب قد التقيت به في النادي اللبناني وقد تكرم وحضر اليوم لزيارتنا .

كتم سعيد غيرته في قلبه وقال :

— تشرفنا يا سيد جميل ، اهلا وسهلا اني سعيد بمعرفتك .

اجاب جميل : شكرا

وجلس الثلاثة يتجاذبون اطراف احاديث ودية عن لبنان ، واحوال لبنان ، كما هي عادة اللبنانيين عندما يلتقون على ارض الغربة ، مدة ،غادر جميل بعدها الدار .

تواكبت سحب الشك في قلب سعيد بجحافلها عليه ، فطمست ما فيه من معالم اليقين ، فعاد الى ركن يفكر بأمر هذا الشاب ، الذي اقتحم عليه سعادته بينما كانت سلوى قد ذهبت لقضاء حاجة في المنزل . فشرع يسائل نفسه :

— هل يفاتح سلوى بشأن هذا الشاب ، ام يدع المقادير تسير في مجراها ؟ وبينما هو يقلب الامر على جميع وجوهه ، تمثلت له صورة من صور الماضي البعيد ،صورة اول عهده بمعرفة سلوى التي ملأت فراغ حياته ، فتألم من هذه الصورة، واخذ ينظر الى الحياة في اميركا بمنظار قاتم السواد ، جعله يكره الاقامة في البلاد ، ولم يمض عليه وقت طويل حتى انهى اعماله ، وحزم امره،وركب اول باخرة كانت في طريقها الى الشرق، دون ان يخبر احدا من معارفه او اصدقائه .

وبعد سفر طويل شاق ، حفل بكثير من المتاعب والصعاب ، شارك فيها اضطراب البحر وهياجه بلبلة افكار سعيد واضطراب باله ، بلغت الباخرة ميناء بيروت ، عروس البحر الابيض ، وكان سعيد على سطحها ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كالسهم

وددت لو توقف السائق
قليلا في مسكنه *
لاودع الفرات على امل اللقاء
ولكن السائق مر كالسهم
دون ان يهتم
لا بي ، لا بمسكنه ولا بالفرات
فهيهات ... هيهات
اربعة اشباح
مدينة ، وشاعر ، ونهر ، وسائق
مدينة قديمة مندثرة
وشاعر ينشر قلبه
ونهر جار ... كالغريب في بلاده
وسائق يمر كالسهم
دون ان يهتم

* مسكنه: مدينة بين حلب والرقة

حلب — ابراهيم مجاهد الجزائري

يسرح الطرف في جبال لبنان ، وكانت الثلوج ما زالت تكسو بعض قممها العالية ، فرقص قلبه طويلا لرؤية اشعة الشمس تتسلل من وراء الجبال وترسل اشعتها فوق الربى والاكام ، فقد احس ان روح لبنان قد تجسدت فيه فانعشت روحه واعادت اليه سكينة قلبه .

بدأ الركاب يغادرون الباخرة في صفوف منتظمة، وكان كل واحد منهم يصعد الى ضيعته برفقة اهله ومعارفه ، اما سعيد فكان اخر من غادر ظهر الباخرة ، فلم يكن احد في استقباله ، فاستقل مركبة تجرها الجياد، لان السيارات لم تكن معروفة في لبنان في ذلك الوقت ، فوضع فيها امتعته ، وركبها قاصدا ضيعته فبلغها بعد مسير يومين كاملين .

علم اهل الضيعة بقدوم سعيد ، فخفوا للسلام عليه ، وللترحيب بمقدمه ، كما هي العادة التي درج عليها اهل الجبل ، غير انه قد ادهشهم عدم رؤية سلوى معه ، فانتظروا ، وانتظروا طويلا ، لعلهم يرونها ، ولكن عبثا انتظروا ، فلم يطل بهم التساؤل حتى ادركوا قصتها .

ومرت الايام والاسابيع والاشهر ، وسعيد يقضي وقته بين بيته وكرمه، لا يحاول ان يهتم قليلا او كثيرا بالحياة التي تجري حوله، غير ان عقله الباطن، الدائم التفكير بسلوى التي خلفها وراء البحار ، لم يكن ليدع له راحة في داخله ، فكان ينطلق به احيانا الى افق الماضي البعيد فيسبح فيه الى غير غاية والى غير هدف .

وفي ذات صباح مشرق بهيج ،وكان سعيد قد انتهى فيه من وضع عيدان الدبوق على اغصان شجرات التين ، لاصطياد العصافير ، عاد الى اشجار حديقته يقلم اغصانها ، ويهذب جذوعها ، ويقطف ما تبقى من ثمارها، وهو يترنم بالميجانا ، والعتابا وغيرها من الاغاني اللبنانية ، التي تفيض كلها بالشوق الى لبنان ، والى ينابيعه العذبة ، وجباله السامقة ، وثلوجه البيضاء واذا به يبصر عن بعد شخصين في الارض الجبلية ، وكان احدهما ملثما ، لا يظهر من خلف لثامه سوى عينين براقتين ، ينظران من حولهما في شيء من الحذر ، بحيث ما كادا يقتربان من الحديقة ،حتى دقق سعيد النظر بهما ، فعرف في الحال ان الشاب الذي يتقدم الشخص الملثم هو غريمه الذي نغص عليه معيشته ، وكان السبب في انفصاله عن زوجته وعودته الى لبنان ، ففلى الدم في عروقه ، وبحركة لا شعورية اندفع نحوه يريد طعنه بالمقص الذي بيده . ولكن الشخص الملثم اسرع وازاح النقاب عن وجهه ، ووقف بين سعيد والشاب وقال بلهجة المستعطف :

— بالله عليك يا عزيزي سعيد لا تفعل ، انه ولدي ، نعم هو ولدي .

سقط المقص من يد سعيد ،وجمد الدم في عروقه ، ووقف مشدوها من هذه المفاجأة التي لم يكن يتوقعها ، واخذ يردد كمن مسه الهذيان سلوى ... سلوى ... ما هذا ؟ هل انا في حلم أم في يقظة ؟

وتنهدت سلوى من اعماق قلبها ، ودارت نحو سعيد وطوقته بذراعيها، وطبعت على وجهه قبلة ، اودعت فيها كل عطفها وشوقها وحنانها وقالت :

— انك في يقظة كاملة يا عزيزي سعيد ، دعني الان أصارحك الحقيقة، واظنك عرفتها من اول يوم زواجنا وكتمتها في نفسك كي لا تجرح شعوري، لقد تزوجت يا عزيزي للمرة الاولى وانا في الرابعة عشرة من عمري، بشاب من شبان ضيعتنا ، ثم ما لبث هذا الشاب ان تركني وسافر الى امريكا مع ولدي جميل الذي كنت قد رزقته منه ، وهو الذي رأيته عندي وقلت لك عنه انه صحافي قد تعرفت عليه في النادي اللبناني .

سكتت سلوى برهة واجالت الطرف حولها فلاح لها ان كل شيء هادىء ساكن فاردفت ما تقدم قائلة :

— ولما سافرت معك الى امريكا ووطأت قدماي ارضها اخذت ابحث عن ولدي واتسقط اخباره من اللبنانيين المغتربين الى ان اهتديت اليه ، وكتمت خبره عنك كي لا اثير حفيظتك لعلمي بشدة غيرتك ، ولما عرفت انك عدت الى لبنان خفية ، شعرت بالوحشة من بعدك ، فركبت اول باخرة بعد تلك التي حملتك الى لبنان ، حتى انتهى بنا المطاف الى ضيعتنا التي خرجنا منها .

وثق يا عزيزي سعيد اني ملك لك وحدك ، اسيرة بين يديك، لان التربية الشرقية ، والشهامة العربية ، هما حصن الفتاة الحصين في شرقنا العربي، وان نيل المجرة في علاها لاسهل من نيل قلامة من ظفري .

تبددت سحب الشك في قلب سعيد ، وانقشعت عن عينيه غيوم الغيرة ، فالتقى بالحب من جديد الذي عاد فملأ قلبه ، وخطا بضع خطوات ، وضم سلوى وابنها الى صدره بحب وحنان ...

اجل لقد عاد الثلاثة الى لبنان ..

القاهرة — ميشيل سليم يمين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مكتبة الاديب

الـــوفـــاء

مختار من شعر ـ بولس غانم ـ تقديم احمد حسن الزيات ـ تعريف عادل الغضبان ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر

لم يكن بد من تناول هذه الباقة الشعرية التي ظهرت على طول انتاج للشاعر العظيم : بولس غانم ، فعطرت جو الادب بهذا الاريج الفواح ، وشعشعت النفوس الظمأى لومضات هذا الاديب اللماح .

لم يكن بولس غانم ، بالشعار المنكور فى دنيا الشعر ، ولا بالاديب المغمور فى عالم الادب ، حتى يحتاج الى تقدمة او اشادة او امتداح . فالرجل له مقعد متخير فى دنيا الادب ، « احله اياه ، ذكاء متقد ، واستعداد قوي ، وحس مرهف ، وذوق سليم ، واطلاع واسع .. منذ ان فارق مسقط رأسه ، وملعب صباه ، ومهوى فؤاده فى « بكاسين » من جنوب لبنان ، وعمل على التزود ، وهو يشغل موضعه من الوظيفة ، ووصل الثقافة الى ان كان بولس غانم الشاعر ، وبولس غانم رجل الوفاء.

نشأ الشاعر فى اسرة عربية خالصة ، تثقفت العلم ، وتزودت بالمعرفة ، وكان يغلب على طبعهم الاصيل : التقوى والوطنية والحفاظ والحمية ، فسار الشاعر على سننهم فى الدين والخلق والادب والعروبة . دفع به ابوه ، ودربه عمه على اخذ نفسه بالتقصي والاستيعاب ، والزماه كتبا بعينها وهو بعد لم يتجاوز سنه الناضجة ، ثم تعلم الفرنسية وخلطبين الثقافتين ، ومازج بين اللغتين ، فكان هذا النتاج الذي باعد بينه وبين الوقوع فى المزالق والتردي فى مهاوي الثقافات .

ولقد شغل الشاعر بولس غانم ، عدة مناصب ، لم تصرفه كلها ، على ضخامة بعضها ، عن متابعة سير الحركة الادبية ، والمساهمة الجادة فيها بالرأي والتوجيه والمشاركة ، ثم بدا له ان يستقيل استجابة لنزعته الادبية المتحررة ، ونفسه الطامحة ، فمارس صناعة القلم بتاليف الروايات التمثيلية والكتابة فى الصحف والمجلات ، واخراج الكنوز اللامعة بعقله الواعي ، ونفسه الراضية ، واسهم بنصيب موفور فى نهضة الادب ، فدبج المقالات ، والقى المحاضرات ، وانفلتت نفسه فى اطمئنان الى قول الشعر ، ارضاء لنزوة عارمة محبة ، واندفاعا مع الركب الطامح الغيور ، فكان هذا الشاعر الوفي ، وكان هذا هو ديوان الوفاء .

وشاعرنا الوفي لا يقف فى الوفاء عند حد . فهو فى وفائه لله لا يقف عند حد التسبيح والرجاء ، بل يذهب فيه الى الاشادة بآيات الله ، والتنديد بمن يكفر به ، ويجحد نعماءه ، فيقول فى قصيدة «الثقة بالله»:

يا رب هذي الارض اجمل جنة ... ابدعتها في الكون للانسان
كفروا وقالوا الارض غاية اهلها ... وتفاخروا بالبطل والكفران
ان كنت لم تخلق فمن هو خالق الـ ... ـ أرضين والافلاك والازمان
ومميتهم ومعيدهم يوما الى الـ ... ـ جنات او للهلاك والنيران

على ان هذا الوفاء لله ، لا يتم الا بالوفاء للدين ، لا فرق بين دين ودين . فجميع الاديان السماوية كلها واحدة فى الجوهر وان تنوعت فى الاسماء :

سبحان من جعل الاديان واحدة ... وان تنوع في اسمائها الملل

وبهذا الوفاء تغنى الشاعر ببطولة المسلم والنصراني ايام الفتح العربي :

لا فرق بين مؤذن ومسبح ... ما كان يفرقهم سوى الاقدام

وبالروح نفسه يبني الشاعر علاقة الانسان بالانسان ويخطب في الازهر الشريف ، ويحيي المسلمين :

حدا داعي الوفاء بآل عيسى ... وشاعرهم فحيا المسلمينا

ويمقت الشاعر التعصب ، ويحذر قومه فى لبنان من هذا الداء الوبيل:

سم التعصب انه في امتي ... اصل البلاء وصنعة الوسواس

ولقد وفى الشاعر للوطن الذي درج على ارضه ، واستظل بسمائه ، ونعم بجماله ، وان كان هواه موزعا بين لبنان مسقط رأسه ووادي النيل مجال جهاده ، وجنة مراحه ، ومغدى سكناته ، وضميم جناحه .

على ان هذا الشاعر الوفي ، لم تحد عاطفته الحدود الجغرافية ، ولم يقعد به شعوره بين بلدين ، بل توزع وفاؤه على كل بلد عربي يدور فى هذا الفلك العربي الاكبر وان كان موطنه : لبنان ومصر قد نالا من بيانه ما لم ينله اي موطن ، سحرا ونغما وشدوا .

وليس ادل على هذا الوفاء فى نفس الشاعر من ان يرسل بتحيته الحارة الى الشيخ محمد سرور الصبان لشموله بعض اللبنانيين بالعطف، ومساعدته لهم فى نكبتهم :

خلعت عليك صفاتها العلياء ... فسماحة ومروءة ووفاء
ويد اذا انقبضت اكف ذوي الغنى ... فاضت بها الخيرات والآلاء
حاولت اخفاء الصنيع فحدثت ... بجميله الركبان والشعراء
عم الحجاز وسار حتى عطرت ... لبنان من نفحاته اصداء

ثم ينتقل الشاعر الى اارياض لبنان ، ويطوف بك فى غابات الصنوبر وادواح الارز الخالد ، ويهبط بك الى الاودية ، ثم يأخذ بيدك الى الهضاب والتلال ، ويعرج بك على هياكل بعلبك ، ويريك ما قد يخفى على العين من دقائق الفن الموشى بيد الطبيعة :

يا حسنه جبلا يزهى بآهله ... ان جلت طرفك فى ارجائه حارا
فمن رواب عليها الثلج متصل ... بمثله من سحاب فوقه مارا
الى وهاد جرت انهارها حدرا ... تخال منها خرير الماء مزمارا
ومن معابد ما فوق التلال علت ... تتلو نواقيسها للناس اسفارا
والطير يوقع انغاما على شجر ... مال النسيم به عودا وقيثارا
كان خالقه خص الجمال به ... معنى ورسما والوانا واسطارا

ثم يكر الشاعر راجعا الى مصر ، مبرح الشوق ، مبهور الانفاس ، دامع العين ، مفطور الفؤاد الى دارات العلم ، واندية الادب ، وفيضان النيل:

ذكرت مصرا وجفن العين مبلول ... اسى لفرقتها والقلب مقبول
فقلت يا مصر حياك الحيا وسقى ... ربوعك النيل نعم المنهل النيل
واذ نزلت به طابت منازله ... بالدين والعلم والخيرات مأهول
ما اخضر عشبك الا طاف بي امل ... على مغارسه الخضراء محمول
ما ابيض قطنك الا ابيض لي زمن ... واهتز فى الصدر قلب قبل مكبول

ولقد كان الشعر لدى بولس غانم ، ترجماناً لحياته الخاصة والعامة . فلم يغفل الاهل والاصدقاء والعشيرة والصحاب والاصدقاء والاحباء ، وآثرهم بالوفاء واكرمهم بالتحية ، واشاد بخلقهم المتين ، ونفعهم الذي يعتز به الوطن في كل المجالات والاغراض . فهو في تحيته لصديقه الاستاذ الزيات ، صادق الود ، المعي الشمائل ، يفيض احساسا ورقة نحو هذا الكاتب المبدع ، والمفكر الذي تعتز به الضاد :

حييت وجها صبيحا يوم حياني ... زهر الربيع برياه فاحاني
حييت « احمد » يبدو في نضارته ... في حلم احنف بل في فهم لقمان
عذب الحديث حي في تواضعه ... زهر البنفسج خاف نشره داني

وفي تحيته للاديب الناقد الاستاذ وديع فلسطين ، تتجلى روحه السمحة في التحية ، ويذكر مآثره في مقالاته الرائعة التي نشرها في « المقطم » ويشيد باخلاقه الجميلة ، وعلمه الفياض :

يا شبيه الحمام ثوبا وسجعا ... وبيانا منمقا وبديعا
اثر العزم ايقظ العرب جلجل ... ان في الصمت ذلة وخنوعا
رجع الجند عن جهاد ولكن ... ابت البيض والعوالي رجوعا
قد عهدناك اسلس الناس خلقا ... ومجيبا لكل سؤل سريعا
ورأيناك في « المقطم » سيلا ... ورأيناك في «الرياض» ربيعا
فتدفق على المقطم لكن ... ظل في الروض كالحمام «وديعا»

والواقع ان ابرز سمة تجلت في شعر بولس غانم، انه كان وفيا لشعره، حريصا على طابعه وعموده وخصائصه التي استوحاها من ذوق العرب واحساساتهم ، وطرائق التعبير عن وحيهم والهامهم التي لم تخرج بشاعرنا عن جادة الشعر ، وطرائق الوزن والقافية ، ولم تنل منه هذه البلبلة التي سرت في التفاعيل ، ومشت في القوافي المتوارثة ، ولطخت الاوزان ، وكهربت البحور . فالشعر في جوهر بولس غانم وغيره من الفحول تعبير عن الحياة ، وافصاح عن تلك الخلجات البشرية ، وتصوير لنبضات الفؤاد المتعلق بهذه السبحات التي درجت عليها البيئة العربية ، واحلتها من نفسها محل تجلة واكبار وحرص على لغة العروبة من التهالك ، وضن بها على البعثرة والتشتت ان هي اصابها الجنوح عن عمود الشعر ، وحادت عن جادة خصائص القافية ، ومال ميزانها عن الاوزان .

وليس ادل على هذا في شعر بولس غانم ، من فهمه لمدرسة الجودة والابداع في حدود المرسوم ، ونطاق المتعارف ، وبعده عن التجديد الذي سرى في مذاهب معينة ، ومدارس قد فقدت المعلم الراشد وان كانت قد وجدت التلميذ الجهول .

وفي الحق ، ان هذه الملامح في الشعر العربي ، قد كانت ولكن بطرائق عربية اصيلة ، لم تفسد اصالتها هذه المساحيق ، ولم تطمس معالمها هذه الترهات التي تعلق بها كثير من الحريصين على قول هذا الشعر ، الضاربين في مجاهل الرمزية والابتداعية التي بعدت بالشعر عن معناه المتعمق ، وجنحت به عن كنهه الحقيقي ، وفيضه الآسر ، وغرضه البعيد. فالرمزية ليست الا الكناية والثورية ، وهي تعبير واضح ظاهر عن هدف بعيد بطريقة الرمز اليه ، وليست غلالة تحجب المعنى ، وتتطلب من القارىء شق الحجب او تمزيق الاسداف .

وبولس غانم نفسه ، مثال رائع لهذا الوفاء الذي بعد به عن الانفكاك عن عمود الشعر ، وسار واياه لا يتنكر له ، او يبغض مرماه ، او ينفك عن مجاراته .

والواقع ان هذا الشاعر الاصيل ، قد كان مشدود الوفاء بروح عربية اصيلة ، تدل على ان صاحبها مشدود النياط الى تاريخ العرب ومجدهم وغابر ايامهم ، وحرصهم في تجل على الروح السمحة الاصيلة المنتشرة في المنظوم والمنثور والتي لاحقت الشاعر فرانت على قلمه ، واسرت بيانه الذي فاض بها عفو الخاطر ، او خوف الانحراف .

ومما لا شك فيه ، ان بولس غانم ، قد اغرم في شعره بالتشبيهات ، وغلب عليه الوصف ، وسرى في بيانه التاريخ العام ، وتجلى في نغمه ، الصدق ، والصدوف عن البهارج الزائفة ، والاشعاعات الخالبة التي تنطفىء كلما مستها السنون ، او جرت عليها الاحقاب ، لانه لم ينظم متكلفا ، ولا متكسبا ولا راهبا ولا غاضبا، وانما نظم شجيا وطروبا، ضاحكا او باكيا معجبا او ثائرا ، وفيا ، ذاكرا الصديق ، او مشوقا للوطن .

والشعر الذي لا يشجيك ، في رأي بولس غانم ، فيبكيك او يضحكك فيطربك ، او يهزك ويهيجك ، او يدهشك وصفا، او يملؤك عاطفة وحنينا، فهو ليس بشعر ، بل هو نظم متكلف ، وكلام موزون مقفى .

وايا ما كان الرأي في شعر هذا الشاعر ، فهو رومانسي حينا تذكر الرومانسية ، وبرناسي في علو منهجه واتجاه غرضه ، واتباعي في المحافظة على الخطة والمنهج الذي يمشي في جميع شعره على طول باعه ، وتعدد مشربه ، ومختلف نفمه ، مستكملا الذوق السليم في انتقاء اللفظ ،ومطابقة الشعر لمقتضى الحال والزمان والمكان ، متمكنا من الدرس والنقد والموازنة، وهذا ما يميز بولس غانم على غيره من سائر الشعراء :

قد سار ذكرك والانام مسامع ... حيث النجوم النيرات تسير

القاهرة — **ابو طالب زيان**

•

الصوت الرقيق

تاليف آمال تلاوي ـ مجموعة قصص ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ (المطبعة ؟)

اكاد ، وانا المس السطور ، احس صوتا نسائيا رقيقا يبرز من جديد ، ليضع خطوة اخرى في طريق ادبنا النسائي ، بعد ان طالت بنا الشكوى من شحه وندرته ..

رقيق هو صوت امال في كلماتها ، ولكن التمرد يكمن خلف انسياب نغماته ، التمرد بكل عنفه ، التمرد على قيود عانتها المرأة في بلادنا اجيالا، ولم يكن بيدها ان ترفع صوتا ، اي صوت ، ولو كان هذا الصوت رقيقا !

ومخصب خير هو القلم الذي اطلق هذا الصوت الجديد ، ليرسم طريقا للقارىء يوصله الى فهم شيء من نفسية امرأة تكتب، بعد ان كانت تقف امام هذه النفسية علامة استفهام كبيرة ، جاهد الرجل الكاتب ان يصل الى نهايتها ، ولكنه ظل ينتظر صوتا رقيقا يعاونه حتى يصل .. وانطلقت اصوات ، وانطلق اليوم صوت امال ، يكشف عن نقاط صغيرة في حياة المرأة ، هي في نظر المرأة كل حياتها ..

انطلق ليعبر عن المرأة بوضوح ، كعاطفة كبيرةقد تحطم ـ ان شاءت ـ كل حدود تقيدها ، وكل ارتباطات كانت تتحكم بها ، فهي تحب بكل ما في نفسها من ظمأ للحب ، لا تمنعها في (لست خائنة) صداقة متينة كانت تقول عنها وعن صاحبتها « محال ان اخونها » (٢٩) واحب من ارتبطت به . « لا ، لن اسرق حب اعز صديقة » وتضحي ، ولكنها تقع في النهاية وحجتها «ان حبي كان اقوى مني،اقوى من ارادتي،اقوى من صداقتي» (٣٤)

هذه هي المرأة بلا زيف ، عاطفية ، ترف مع نسمة شوق شاعرية ، في (الصوت الرقيق) ، وهي زوجة ايضا ، تسعد بالنقاط الصغيرة التي يلون بها زوجها حياتهما معا ، وتابى ان تعيش بدون هذه اللمسات،ترفض بعنف ان تحيا مع رجل لا يهتم بها ، لا يتحسس الخيوط الدقيقة من مشاعرها ، وتتمرد عليه في (القطة) وعلى اهلها ، وعلى كل الناس !!

وهي خجول ، وسيظل الخجل الطف حلية في المرأة ، وهي هنا في (الشيخ سعيد) تابى ان تصارح زوجها بانه عاقر ، وهي تسمع اتهام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حمائها لها كل يوم ، وتتعذب ، ثم تعمل فى السر اشياء يخجل منها العلن لئلا تقول له : « انت المريض !! » (٤٧)

وهي غيور ايضا ، تتعذب فى (لست خائنة) ، تهدد بالانتحار لان حبيبها تلاق بأخرى . وفى اعتقادي ان آمال جمعت صفات امرأة غيور لتلصقها بالرجل القاتل فى (حبل المشنقة) ففرور الرجل يأبى عليه ان يقبل رجلا ينافسه ، فان خانته امرأته ، قتلها اولا ، ان قتل ، لانها فى نظره المجرمة التي تستحق العقاب . اما ان يقتل من يشك به غريما فهذه صفة نسائية ، المرأة تحس بالمرارة من ان ترى اخرى سلبتها رجلا يحبها ، تحس بالغيرة ، بان المرأة الاخرى مجرمة تستحق العقاب ، وكم كان اجمل، لو قتل الرجل امرأته اولا .. ومات شقيقها المريض من الصدمة . والمرأة جارحة حين تطعن ، تنتقم ، لا يردعها رادع ، لا تخشى ان تقتتل سيدها الصغير الذي اعتدى عليها فى (الخادمة) ، ولا يمنعها شيء ان تتمرد ، تتزوج اجنبيا نكاية بحبيب غادر فى (نظرات لا انساها) .

وهي أم ، وأم قبل كل شيء ، وما الطف تعبيرا ينطلق من فم انثى تصف زوجها وهو « ينبعث الحنان من عينيه كفلالات رقيقة تلف طفله » (٤٥) انني احس بكل حنان الامومة يتجسد لطيفا خيرا فى هذه الكلمات ..

المرأة ام ، تحس بشقاء اولادها ، تشاركهم الشقاء ، وتجرؤ ان تبوح « لدكتاتور العائلة » بان ابنتها تتألم ، وتحتج على علاجه لابنتها ، وهو طبيب ، ويجرحها ان تسمع من يقول : « ان ابنتك عرجاء » (١٢٧) فتثور، وترفع فى وجهه صوتها .

كل هذه صور تعطينا حقيقة المرأة ، كما هي كائنة ، وترسم لنا آمال ايضا صورة للمرأة كما تحب ان تكون ، وهي حاقدة على الفن الذي لحق بالمرأة ، ويلحق . وتتمرد فى رسم طريق المستقبل ، ويصل بها التمرد حد المبالغة ، قد يضر فى مستقبل المرأة اكثر مما يفيدها ، فتنقلب من سجينة بيت الى امرأة تستقبل رجلا فى بيت زوجها رغم كل الشنبات التي سجنتها فى (التقاليد) ، وهي تحمل الرجل كل اسباب غبنها ، لماذا الرجل بالذات ؟ لماذا لم تأخذ حقوقها منذ وجدت امها .. حواء ؟! وتظل تتحدى فى (يد الاقدار) تتحدى خالها ، تخرج عن طاعته لتصبح.. ممرضة !! وتخون زوجها فى (التقاليد) وتتهكم عليه فى (الشيخ سعيد) وتتهم الرجل بالخيانة فى (نظرات لن انساها) وتحسده حين تقول « لو كنت رجلا لاستطعت ان اكون الزعيم العظيم الذي يأخذ بيد العالم الحر نحو السلام » (٩٦)

آمال تبحث عن الحرية ، وهي معذورة حتى لو بالغت ، فقد عانت الكثير من واقع المرأة حتى ارادت ان تطفر ، رغم ما فى الطفرة من خطر قد تسوء عاقبته ..

لمسات انسانية اخرى رسمتها ريشة آمال ، لونات بها لحظات نفسية رائعة ، استطاعت أن تبرز شهوة التمثيل عند احد عشاقه بطريقة لذيذة، تحبب القارىء به مرة ، وتجعله يسخر منه مرة اخرى .. كما كانت لقطة (مجنونة) جميلة واقعية ، وطربت لها فى (وراء كل عظيم امرأة) حين توسلت بالقصة لتوصل الى النساء حكمة تريدها، بطريقة تحسد عليها.

اسلوب آمال سهل عميق ، صريح فى بساطته تدعو الى الاعجاب ، لم أر فيه اصابع الغير الا فى (الشيخ سعيد) حين استعارت اسلوب سميرة عزام فى قصتها اطفال الاخرين فترة ، ثم كلمات لوركا الشاعر الاسباني فى استشارة الدجالين فى يارا ـ ان لم تخني الذاكرة . كما ان هذا الاسلوب ، صعب طريقه لا يخلو من هفوات بسيطة قد تقوده الى تعبيرات عامية اثناء السرد ، مثل (وبكيت المر) وبعض اخطاء نحوية لا داعي لذكرها

كلمة اخيرة ، هذا « الصوت الرقيق » بداية طيبة ، ارجو ان تتبعها اصوات اخرى من آمال ، ولها مني تحية عميقة ، وتمنيات بمستقبل ادبي رائع .

الكويت

وليد محمد ابو بكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصوات

مجلة تصدر أربع مرات في السنة
للثقافة والأدب والفن

مجلّة كلّ مثقّف

يمكن الحصول عليها من كبريات المكتبات في جميع أنحاء العالم العربي

تصدر عن :

ULP
UNIVERSITY OF LONDON PRESS LIMITED
WARWICK SQUARE
LONDON, E.C.4



● فلسفة ارسطوطاليس للفارابي ـ حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محسن مهدي الاستاذ المساعد في دائرة اللغات والحضارات الشرقية في جامعة شيكاغو ـ ٢١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مجلة شعر بيروت ـ مطبعة الخال في بيروت

● فاطمة ـ رواية ـ تأليف خضر نبوه ـ الجزء الاول ـ ٢٨٠ صفحة ـ مطابع دار الفد ببيروت

● اهداف التعليم الثانوي ومفاهيمه وفلسفته في العراق ـ تأليف الدكتور نوري الحافظ ـ ٨٠ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات مجلة المعلم الجديد ببغداد ـ مطبعة المعارف ببغداد

● الصحافة العراقية : ميلادها ، تطورها ـ تأليف فائق بطي ـ ١٣٢ صفحة ـ مطبعة دار البلاد ببغداد

● الشيخ ابراهيم المنذر ، شاعر الجيل الجديد ـ تأليف سماح طليع ـ مصمم الغلاف ميشال حبيب عقل ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار المجاني ببيروت ـ مطابع سميا ببيروت

● انا والتنين ـ تأليف سعيد تقي الدين ـ ٢٧٢ صفحة ـ منشورات دار المجاني ببيروت ـ مطابع سميا ببيروت

● دراسات في اللغة ـ تأليف الدكتور ابراهيم السامرائي ـ ٢٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ مطبعة العاني ببغداد .

● قصائد من الادب الاجنبي ـ نقلها الى العربية في نثر طلق : توفيق اليازجي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الرائد في حلب ـ مطبعة الشرق بحلب .

● غروب الآلهة ـ تأليف محمد الراشد ـ ٢٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتب العالمي (دار مكتبة الحياةبيروت) ـ (لميذكراسم المطبعة)

● قافلة الابطال سيمرون ـ تأليف ادنا فربر ـ ترجمة سليم سالم ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار الصراع الفكري (؟) ـ مطبعة سميا ببيروت

● عطشان يا صبايا ـ مجموعة قصص ـ تأليف سليمان فياض ـ ١٨٤ صفحة ـ مطبعة مؤسسة الشرق للطباعة والنشر (؟)

● ايام النضال ـ مجموعة شعرية ـ عدنان الراوي ـ مصمم الغلاف اسماعيل شموط ـ ١٣٠ صفحة ـ منشورات اتحاد بعثات الكويت في القاهرة ـ مطابع مؤسسة روز اليوسف بالقاهرة

● الشقاء في خطر ـ مجموعة شعرية ـ للشاعر الجزائري مالك حداد ـ ترجمة ملك ابيض العيسى ـ مراجعة وتقديم سليمان العيسى ـ مصمم الغلاف شريف الراس ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات مكتبة الشرق بحلب ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● الشخص الثاني ـ اقاصيص ـ تأليف عدنان رؤوف ـ مصمم الغلاف محمد مهر الدين ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة الوفاء ببغداد .

● تنمية وعي القراءة ـ تأليف ماريون مونرو ـ ترجمة سامي ناشد ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ مصمم الغلاف اميـن لبيب رزق ـ ٣٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرةنيويورك ـ منشوراتدار المعرفة(؟) ـ مطبعةمصر بالقاهرة

● كلنا اخوة ، صورة قلمية لالبرت شفيتزر ـ تأليف تشارلي اماي سيمون ـ ترجمة الدكتورة نوال السعداوي ـ مصمم الغلاف منير فهيم ـ ٣١٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التأليفوالترجمة والنشر (؟) .

● خوالد من الادب الكلاسيكي ـ لاو هنري، موليير ، شكسبير، جوجول، وشو ـ ترجمة هيفاء الشنواني ـ ١٤٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ الكتاب رقم ٣ في سلسلة « حول مائدة المعرفة» ـ منشورات مكتبةالانجلو المصرية(؟) ـ مطبعة مصربالقاهرة

● حركتنا الوطنية اين تتجه ؟ ـ تأليف علي باذيب ـ تقديم عبد الله عبد المجيد السلفي ـ ٦٦ صفحة ـ مطابع دار الجهاد في عدن

● الجوانب الانسانية لدى الشاعر الرصافي ـ تأليف عبد الوهاب السلوم ـ ٣٢ صفحة ـ مطبعة الزمان ببغداد

● النقابات في العراق : دراسة مقارنة مع شرح لقانون النقابات ـ تأليف عبد الوهاب السلوم ـ تقديم الدكتور سعدي ابراهيم ـ ١٥٤ صفحة ـ ساعدت وزارة المعارف على طبعه ـ مطبعة الزمان ببغداد .

● قيثارة الضياء ـ مجموعة شعرية ـ اديب وليم صعب ـ تقديم البير الزعني ـ ١١٢ صفحة ـ طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة)

● النغم الجريح ـ مجموعة شعرية ـ محمد سعيد الخنيزي ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسمالمطبعة) .

● ابو طالب مؤمن قريش ـ دراسة وتحليل ـ تأليف عبدالله الخنيزي ـ تقديم بولس سلامة ـ ٤٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتب العالمي للتأليف والترجمة ببيروت ودار مكتبة الحياة ببيروت ـ مطابع مكتبة الحياة ببيروت .

● الام ـ مسرحية تشيكية ـ تأليف كارل تشابك ـ ترجمة محمد عزيز رفعت ـ مراجعة صالح زكي ـ تقديم دريني خشبة ـ ٢٠٨ صفحة ـ الكتاب رقم ١١ من سلسلة روائع المسرح العالمي ـ منشورات الادارة العامة للثقافة بالجمهورية العربية المتحدة ـ مطابع كوستا تسوماس وشركاه بالقاهرة .

● عيد في البيت ـ تأليف ـ عبد المجيد لطفي ـ ٦٦ صفحة ـ مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ببغداد .

● وانسدل الستار ـ ٦ مسرحيات عالمية ـ ترجمة سمير شيخاني ـ ٢١٠ صفحة ـ منشورات دار السمير ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● فتاة تافهة ـ تأليف منى جبور ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ مطابع دار الحياة ببيروت .

● L'Egypte Sous le Règne de Barsbay. 825-841/1422 -1438 — par Ahmad Darrag — 494 pages+10 planches — gd. f. — Ed. Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأسيسه باعوام قلائل اهمية عالمية . وقد اخذ يؤمه عدد كبير من العميان ومشوهي الحرب منذ ذلك الوقت لكي يتلقون فيه دراساتهم العالية . وكان هذا المعهد يؤمن لهم ثقافة عميقة ، يمهد لهم السبيل للانخراط في الحياة المهنية ، ولا فارق بينهم فيها وبين المبصرين . واتت الحرب العالمية الثانية فزادت في مهمات هذه المؤسسة بازدياد الجامعيين من العميان الذين اخذوا يستعينون بها في دراساتهم . وشرع قبل بضعة اعوام بتوسيع هذه المؤسسة على اربع مراحل ففضمت مبان جديدة اليها ووسع بعض مبانيها الاخرى ، والحقت بها ارض كبيرة عند طرف المدينة .

وضمت اليها علاوة عن معهد الدراسة مؤسسات اخرى تخدم حركة تثقيف العميان ، منها مكتبة تضم ما يزيد عن اربعين الف مجلد ، وخارطة جغرافية ، والنوطات الموسيقية ، والمجلات ، ومكتبة تحتوي على الكتب الخاصة بالعميان وتشتمل على ٢٠٠ شريط سجلت عليها بعض الكتب ، ودار نشر لطبع كتب العميان . وقد استطاعت هذه الدار ان تصدر ما يزيد عن الف نشرة خاصة بالعميان ، و ٣٠ خارطة سياسية واخرى طبيعية ، ونماذج تعليمية مجسمة لمختلف علوم الطبيعة والرياضيات . والحقت بالمؤسسة ورشة خاصة تقوم بانتاج مواد تعليم العميان ، وهي تعتبر الوحيدة من نوعها في المانيا . ففيها تنتج مختلف مواد تعليم العميان كالورق الذي يكتب عليه العميان ، وآلات الاختزال الخاصة بهم ، وآلات الطباعة والنسخ ايضا . ومما يدل على اهمية مكتبة هذا المعهد هو ان خمسة آلاف من العميان في المانيا والبلاد الاجنبية يقومون باستعارة الكتب منها .

وتوجد في ماربورج مدرسة حكومية رسمية للعميان ايضا يدرس فيها ١٥٠ تلميذ وتلميذة من مختلف البلدان ويستطيعون متابعة دراستهم فيها حتى الدراسة الثانوية العالية . وبالاضافة الى ذلك فانه يجري هناك تدريب فني للعميان . وقد اعد ارشيف كبير يشتمل على ما يزيد عن عشرين الف مجلد ووثيقة . وقد الحق بالمؤسسة دور لسكنى العميان علاوة عن مكتب للاستشارات المهنية وايجاد اعمال لهم .

وقد مر الان نصف قرن على معهد ماربورج الحالي للعميان وهو يقوم بخدمة العميان في جميع العالم . ويدين الكثيرون من العميان الجامعيين في المانيا اليوم لهذا المعهد في ثقافتهم ونجاحهم في حياتهم المهنية . وقد اصبحوا يعتبرون بفضله كاعضاء عاملين في الهيئة الاجتماعية ، لا فرق بينهم وبين زملائهم المبصرين .

بيتر ابستورفر

في كلمات ...

● اعطيت اول جرعة من عقار تجريبي الى سام رايبورن رئيس مجلس النواب الاميركي البالغ من العمر ٧٩ سنة الذي يشكو من اصابة بالسرطان لا مجال لتدخل الجراحة فيها . ويؤمل ان يتمكن هذا العقار من وقف امتداد المرض . وصرح الدكتور رالف توسيت الذي يشرف على معالجة المستر رايبورن في احد مستشفيات دالاس بانه من السابق لاوانه ان يقول ما اذا كان المستر رايبورن سيتعرض لرد فعل عكسي . وقال انه اذا لم يحدث شيء من ذلك فانه سيعطى حقنة من العقار يوميا لمدة اسبوعين . ولم يكشف الدكتور توسيت النقاب عن العقار ولكن مصادر اخرى ذكرت انه يدعى « فلورو ـ يوراسيل » .

● اعلنت وزارة الصحة السوفياتية انها امرت بتزويد الصيدليات بكميات وافرة من دواء جديد ضد انواع عديدة من سرطان الجلد . وقالت مجلة « ليتيراري غازيت » السوفياتية التي نقلت النبأ ، ان الدواء يدعى « كورسين » يعتبر تطورا ضخما من اجل ايجاد علاج للسرطان . ولكن المجلة اضافت قائلة انه لا يزال امام العلماء عمل طويل لمعرفة انواع السرطان التي يستطيع « كورسين » القضاء عليها . وقالت المجلة ان التجارب التي اجراها العلماء السوفيات نجحت في القضاء على سرطان الجلد والثدي والشفاه .

● اعلن بوريس استاوروف العضو المراسل في اكاديمية العلوم السوفياتية ان بامكاننا الان ان نغير جنس مواليد بعض انواع العضويات الحيوانية . لقد اجرى العالم تجارب على ديدان الحرير . واكتشف الشروط (ولا سيما نظام الحرارة) الخاصة بانشطار نواة الخلايا الحيوانية والتي لا تعطي الا وليدا من الجنس الانثي . وهناك نظام حرارة اخر مرتبط بالتشعع المدلف يوجه عملية نمو الوليد في طريق نمو الجنس الذكري فقط . ومنح استاوروف على اكتشافه شهادة من لجنة الاختراعات والاكتشافات . ويرى فزيفولود بوبوف رئيس اللجنة ان تطبيق طريقة استاوروف على انواع حيوانيات اخرى ولا سيما الاسماك سوف تكون له اهمية كبرى لانه يسمح بايجاد انواع اكثر انتاجية . واستاوروف عندما استخدم التشعع للحصول على مولود ذكر اثبت في الحين ذاته ان المفعول البيولوجي لهذا التشعع مرتبط بتلف نواة الخلية . والتغيرات التي يحدثها التشعع في السيتوبلاسما لا تمس الجهاز العضوي ، عمليا .

● ظل ٤ من الباحثين الاميركيين يجرون تجاربهم على العقار المستخدم ضد الاخصاب في الارانب على عدد من النساء في شيكاغو ، واخيرا اعلنوا النتيجة وهي عكس ما كانوا ينتظرون تماما ، اذ ادى العقار الى زيادة الاخصاب في هؤلاء النساء .

● اذيع ان جراحي الطب في جامعة ستانفورد قد ابتكروا طريقة لتخفيف المخ من الدم لمدة ساعة تجفيفا يسمح باجراء عمليات جراحية خطيرة فيه كان من المستحيل اجراؤها بسبب تدفق الدم . وقد استخدموا هذه الطريقة في استئصال اورام سرطانية في مخ احدى السيدات

● عقد في شيكاغو مؤخرا المؤتمر الجراحي النمسوي وحضره اكثر من ١٢ جراحا للاشتراك بالابحاث العلمية الجديدة في عالم الجراحة ، وانحصر البحث في الوسائل الواقية لجراحة القلب والرئتين والدماغ . وقد القى الدكتور ارثر جاكوبي محاضرة عن اكتشاف مضخة لانقاذ المصاب من الذبحة القلبية . وتقوم هذه الالة باسعاف القلب المصاب بالطريقة التالية : تخفف وطأة عمل القلب عندما يطرأ عليه خلل ، تمد شرايين القلب بالمزيد من الدم ، تعيد نشاط الشرايين التي تقوم بوظيفتها لمدة من الزمن . اما طريقة استعمال هذه المضخة فهي وصلها بشرايين المريض اثر اصابته ببضع ساعات وتقوم بعملها مدة ساعتين . ويقول الدكتور جاكوبي عن هذا الاكتشاف ان نتيجته للان كانت مشجعة .

● مشاهدة التلفيزيون الملون تساعد على اكتشاف العيوب والامراض في العيون ، كما دلت البحوث التي اجراها معهد المحافظة على البصر في اميركا ، وقال فيها ان رؤية الصور الملونة اسهل من رؤية اللونين الاسود والابيض . واذا كان الفرد مثلا يرى الالوان الزرقاء والخضراء بوضوح اكثر من الالوان الحمراء فهذا دليل على ان عينيه مصابتان بقصر النظر . واذا ما ظهرت الالوان الحمراء امامه مشوهة ومضطربة فهي انذار يوجب عليه فحص عينيه طبيا .

● ورد في نبأ نشرته صحيفة ستاندارد التي تصدر في هونغ كونغ ان امراة صينية مضى عليها خمسة اعوام وهي نائمة في مستشفى حكومي ، حيث فقدت الوعي اثر عملية توليد اجريت لها في شهر تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٥٧ . وقد اكدت مصادر طبية رسمية هذه القضية ولكنها رفضت الافضاء بتفاصيل اخرى .

● يبدو ان هناك علاقة ما بين حدوث تصلب الشرايين المضاعف وبين مستوى الاشعاعات الكونية في منطقة ما . اذ يقول الدكتور جون بارلو استاذ الامراض بجامعة هارفورد الذي اعلن هذا الراي ان تصلب الشرايين ينتج

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من انهيار في الغلاف الرقيق الـذي يحيط بالخيوط العصبية في المخ والحبل الشوكي ، ومع ان هذا المرض قد عرف منذ اكثر من قرن فان سببه الحقيقي ما زال سرا غامضا . وقد اظهرت الدراسات التـي اجريت في المـاضي ان هذا المرض يزداد حدوثه في الاجواء الدافئة، كما دلت الاحصاءات على انه يحدث في المناطق التي تزداد فيها كمية الاشعاعات الكونيـة القادمة من الفضاء الخارجي مما يوحي بانها قد تكون عاملا من حدوثه .

● اعلن مؤخرا النائب الديمقراطي الايطالي «بنيامينو دي ماريا» ان سيدة ايطالية تعرضت لفترة طويلة للاشعاع الذري وضعت طفلا بدون عينين .

● ربما يكون عالم اميركي قد اكتشف طريقة جديدة يساعد فيها الجسم علـى التخلص السريع من الاشعاعات الذرية المضرة . فقـد اكتشف ا.ب. اودوم استاذ علم الحياة فـي جامعة جورجيا صدفة ان الحشرات تتخلص من المواد المشعة بسرعة بعد ان تاكل اعشابـا برية . وكان اودوم يجـري ابحاثه في موضوع امتصاص المواد الغذائية لدى الحشرات عندما اكتشف تلك الخاصة العجيبة لدى الحشرات. وقد ادت التجارب التي اجراها في المختبـر على حيوانات ارقى من الحشرات الى تكرير عصارة النباتات التي تساعد جسم الانسـان على الاسراع في افراز المواد المشعة . ولقـد ازداد الخطر الناجم عن تناول الانسان كميات اكبر من المواد المشعة عن طريق الاطعمـة والحليب بسبب استئناف الاتحاد السوفياتي التجارب النووية في جو الارض بشكل يلوث الجو كله بالرماد الذري المشع . وفي مؤتمر لعلماء الاشعاع انعقد في جامعة ولاية كولورادو قال الدكتور اودوم انه لم يتمكن بعد مـن تحديد المادة الموجودة في عصارة النباتات التي تساعد الجهاز الهضمي لدى الحيوانات فـي الاسراع بافراز المواد المشعة والتخلص منها . ولاحظ ان سرعة الافراز كانت محدودة جـدا لدى نفس الحشرات التي اطعمت في المختبـر حبوبا لا عصارة فيها . واوضح انه ينوي ان يستقصي هذا الاكتشاف الى ابعد مدى ممكن لانه قد يؤدي الى اكتشاف طرق تخلص الانسان من الاشعاع الذري .

● اعلن الاتحاد السوفياتي انه ثبت ان مصل « سابين » المضاد لشلل الاطفال ، فعال جدا في جميع انحاء روسيا .

● يستمر معهد الانكولوجيا التجريبية فـي استقصاء الوسائل التي يمكن ان تتفاعل تفاعلا كيماويا مع الحوامض النوكلوية ومع الالبومين بغية مكافحة امراض السرطان . (عندما تكون الخلية السرطانية في حالة النمو ، تتكون فيها مادة الالبومين ولهذا السبب اخذ العلمـاء السوفياتيون بالسعي لتسميم الخلايا السرطانية) وقد تم الوصول حتى الان الـى ايجـاد مستحضرات فعالة مثل الساركوليزين وغيره . ويرى ليونيد لاريونوف ، عضو اكاديمية الطب في الاتحاد السوفياتي انه اذا اتبعت هـذه الطريق ، فسيتوصل العلماء دون شك الـى مزيج جيد من الادوية التي يمكن بواسطتهـا القضاء على السرطان قضاء تاما .

● من المحتمل ان يؤدي نجاح التجـارب البريطانية لابادة جميع الجراثيم في المـواد الغذائية المعلبة بواسطة الاشعاعات الى انشاء خدمة خاصة لتزويد مستشفيات العـالم بوقعات غذائية معلبة ومعقمة للمرضى الذيـن يتبعون نظام تغذية معين . وقد تم التوصـل الى هذه الامكانات نتيجة للتجارب والدراسات التي قام بها اخيرا الاطباء وعلماء التغذية فـي مستشفى هرسميث بلندن بالتعاون مـع العلماء في مختبر الاشعاع في وانتيج التابـع لسلطة الطاقة الذرية في بريطانيا . ومعروف ان مثل هذه الوقعات الغذائية الخالية مـن الجراثيم ضرورية للمرضى الذين يفقـدون مقاومتهم للمرض ، كما يحدث مثلا ، عندمـا يكون من الضروري محاولة استبدال كلية تالفة باخرى سليمة صحيحة . وبعد انتهاء العملية ينبغي ان يقتصر طعام المريض على اغذيـة معقمة وخالية من الجراثيم تماما .

● انشات المانيا في مدينة هامبورج الصناعية مكتبا اسمه «مكتب متاعب التليفون النفسية» يستطيع اي الماني ان يرفع السماعة ويدير القرص برقم معين ، فيرد عليه اخصائي يحوله الى واحد من ٤٠ من رجال الطب والقانـون وعلم النفس ورجال الدين ايضا !. بلغ عدد المكالمات التليفونية ٧٠٠٠ مكالمة في شهر واحد من ناس يعانون مشكلات نفسية وعائلية !

● قامت السلطات الصحية الالمانية بوضـع لائحة خاصة بشأن اجراء عمليات نقل الدم ، جاء فيها بأن سن الذين يتبرعون بدمائهم يجب الا تقل عن ١٨ سنة وان لا تزيد عن ٦٥ سنة، وان لا تجري عمليات نقل الدم الا في الاحوال الضرورية فقط ، ومن الواضح بان عمليات نقل الدم ، اصبحت من العمليات السائرة .

● « التغذي بالنبات هو تقهقر بالنسبـة الى التغذية القائمة على اللحم » . هذا مـا زعمه البروفسور العلامة كوناو من هامبورج، الخبيـر في شـؤون التغـذية ، في مؤتمـر الفيزيولوجيين الذي عقد في فيزبادن. وفي هذا القول ما فيه من الجراة الفكرية ، والخروج على المالوف ، والتحدي . فهو ينكر ان الانسان كان يعتمد الغذاء النباتي عندما كان لا يـزال في طور الفطرة و « الحال الطبيعية » . فليس في التاريخ ما يؤيد في قليل ولا كثير ان الغذاء النباتي هو الغذاء « الطبيعـي » للانسان . وانما كان الانسان الفطري صيادا قناصا ثـم كان يجتني الثمار والخضار البرية . وحيث انه كان قناصا فهو في الاصل والسليقة آكـل لحوم . فكان يستهلك ٢٠٠ غرام من البروتائين الحيواني يوميا ويضيف اليها ما تجمعه المرأة من بعض الثمار والخضار البرية . ويضيف العلامة كوناو : وذلك غذاء مثالي : حجمه قليل وقيمته الغذائية كبيرة .. ثم انتقل الانسان الى طور المدنية واصبح مزارعا . وعندئـذ اخذت وقعات طعامه تكون منظمة وبدأ انتقاله من حال التغذي باللحوم الى حال التغـذي بالنبات . فهذا التبدل اذن ليس اصلاحـا يتلاءم وطبيعة الانسان ولكنه تقهقر نحو غذاء يفتقر الى القدر الكافي من البروتائينات التي لا يستطاع تعويضها بأي غذاء نباتي كان .وتلك هي حال ثلاثة ارباع البشر اي الشعوب التي تعيش في حضارة من خصائصها ان نظام الغذاء فيها يفتقر الى البروتائين الكافي من حيـث النوع والجودة . فالبروتائين النباتي لا يضارع بروتائين اللحوم من الوجهة الكيميائية ، ثم هو من حيث القيمة الغذائية دونه نوعا وجودة . وذلك في الواقع امر اقره علم التغذية واثبت صحته بما لا سبيل معه الى الشك فيـه .

ويزعم البروفسور كوناو ان هذه التغذيـة قد اخرت فئة كبيرة من الانسانية في تطورها الجسمي والذهني .

● منحت لجنة الاختراعات والاكتشافات في موسكو شهادا تالرهط من العلماء منهم العالم بافل غينكل على اكتشاف حالة خاصة مـن حالات البروتوبلاسما تسمح للنباتات بتحمـل درجات الحرارة المنخفضة مدة طويلة. ومنحت شهادتان للعالم افغيني روزنفلد على اكتشاف خميرة في الجهاز العضوي الحيواني كـانت مجهولة حتى الان وللعالم بوريس ستيبانتكو على اكتشاف مادة جديدة هي الـ «ارموران» التي لها اهمية كبرى في الطب .

● انخفضت نسبة الوفيات بداء السل في بريطانيا انخفاضا كبيرا عما كانت عليه عـام ١٩٤٧ وما قبله ، وذلك بفضل استعمال ثلاث عقاقير مقاومة لجرثومته هي : ستربتومايسين، باس ، ايناه . ففي المؤتمر الذي تعقـده الجمعية البريطانية الاميركية الطبية فـي كمبردج للبحث في الدور الذي تلعبه صناعـة الادوية في الطب الحديث ، تكلم الدكتـور بيتمان مدير دائرة ابحاث الطب السريري في احدى مؤسسات صناعة الادوية البريطانية ، فاستشهد بتاريخ داء السل في بريطانيا على مدى فائدة الابحاث العلمية المتعلقة بصناعـة الادوية .. ان عدد الوفيات بداء السل فـي بريطانيا آخذ في الانخفاض منذ نهاية القـرن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التاسع عشر ، فقد هبط بين عامي ١٩٠٠ و ١٩٤٧ من ٦١٠،٠٠٠ الى ٢٣٠،٠٠٠ . ومنذ ذلك التاريخ هبط الى ٣٠٤٢٦ عام ١٩٦٠ . هذا وقد ذكر الدكتور بيتمان ان بريطانيا تنفق على الابحاث العلمية المتعلقة بصناعة الادوية مبلغ سبعة ملايين جنيه في السنة . ولا يدخل في هذا المبلغ ما يدفع عادة للابحاث العلمية الطبية المستقلة .

● ان الذرة تشبه المجموعة الشمسية . وهي مثلها تتكون من الفراغ . والشيء الصلب الوحيد في اي ذرة هو النواة . ويقول العلماء انه اذا استبعدنا كل فراغ في كل ذرة في جسم انسان يزيد وزنه على ٩٠ كيلوغراما ، فانه لن يزيد في حجمه على ذرة من التراب .. واذا استبعدنا من الكرة الارضية الفراغ الموجود في ذراتها ، فانها تصبح كرة صغيرة ، لا يزيد قطرها على كيلومتر واحد !..

● يحاول العلماء الاميركيون انتاج اليورانيوم ٢٣٥ بواسطة طريقة القوة العازلة . فقد قال متحدث باسم لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان شركة غرات في لوس انجيلوس وقعت عقدا معها بقيمة ٧٥٠ الف دولار لتحقيق برنامج فصل اليورانيوم ٢٣٥ عن اليورانيوم ٢٣٨ . وربما كان من الممكن وضع كمية من اليورانيوم الطبيعي بحالة البخار داخل فرازة ذات سرعة كبيرة وفصل اليورانيوم ٢٣٥ عن اليورانيوم ٢٣٨ لان هذا الاخير اثقل من الاول بقليل . ويعتقد رجال الصناعة ان الطريقة الجديدة يمكن ان تخفض تكاليف الانتاج .

● اطلق الاتحاد السوفياتي صاروخا متعدد المراحل من نوع جديد قطع مسافة تزيد على ٧٤٤٠ ميلا ، وسقطت المرحلة الاخيرة للصاروخ في وسط الباسيفيكي واصابت الهدف الذي سبق تحديده اصابة مباشرة . ومما يذكر ان هذا الصاروخ من النوع الذي استخدم في اطلاق رائدي الفضاء الروسيين يوري غاغارين وجيرمان تيتوف .

● اعلنت شركات البترول الفرنسية التي تعمل في صحراء الجزائر منذ ١٩٥٧ ، ان ١١٠ آبار تنتج البترول في هذه المنطقة الان ، وان ١٤ مليونا و ١٣٥ الفا من الاطنان قد نقلت الى مخازن ومصانع تكرير البترول الفرنسية حتى اليوم

● اعلن مكتب المعلومات البترولية في لندن انه قد تم في المنطقة الشرقية من بريطانيا حفر بئر جديدة بلغ عمقها ١٤٤٠٠ متر ، وهي الى جانب عشرين بئرا اخرى تم حفرها في تلك المقاطعة منذ عام ١٩٥٩ . ويقول المكتب المذكور ان في بريطانيا ما يزيد على ثلاثمائة متر . وان معدل ما يحفر من الابار في الشهر يصل الى خمس او ست آبار . وكانت جملة انتاج النفط الخام في بريطانيا هي ٤٤ الف طن عام ١٩٤٨ . اما الان فقد بلغ الانتاج نحو ثلاثة اضعاف هذه الكمية . وتجدر الاشارة الى ان الارض البريطانية غنية بالغاز الطبيعي ولا يمكن تقدير كميات النفط المخزونة فيها اذ لا يزال ذلك مجهولا . ولربما تقرر بناء مصفاة جديدة في انكلترا الشرقية حيث تم اكتشاف البئر المذكورة وحيث يقوم عدد من الابار الاخرى .

● تزداد الحاجة الان في انكلترا الى اعتماد تيارات قوية جدا من الكهرباء غير ان المفاتيح المستعملة حتى الان لاطلاق التيار من المحطة في الاسلاك وقطعه عنها لم تكن لتفي بالغرض المطلوب . وقد عرضت شركة انغليش الكتريك البريطانية خلال انعقاد مؤتمر مهندسي الكهرباء في سترافورد بانكلترا مفتاحا جديدا يحتمل التيارا تحتى ولو بلغت قوتها قوة الشحنة الكهربائية الناجمة عن البرق . والمعروف انه حين يحدث احتكاك في الاسلاك نتيجة العواصف او سقوط جسم عليها من اشجار وحجارة وغيرها او نتيجة اصطدام طير بها يرتد التيار الى مصدره بقوة مضاعفة . فاذا لم يكن المفتاح في المصدر قويا فانه لا يحتمل مثل هذه الحوادث الطارئة .

● قبل مليون سنة تقريبا اهتز المحيط الاطلسي الجنوبي في زلزال عنيف ، ثم انفجر من قعره بركان تعالى حتى قارب سطح الماء على علو خمسة الاف متر ، وعندئذ اتسع مداره ، وبرز فوق سطح الماء في شكل ثلاث قمم ، اكبرها في الوسط ، تتضمن فوهة البركان . وبقيت هذه الفوهة ترتفع حتى بلغت علو ٢٥٠٠ متر ، ثم غام هذا البركان وانطفأ . ويبلغ طول هذه الجزيرة ١١ كيلومترا وعرضها ٩ كيلومتر وهي نقطة ضائعة في قلب المحيط . اما الجزيرتان الاخريان قربها ، فهما عبارة عن صخور صغيرة جدا . وفي سنة ١٥٠٦ اكتشف هذه الجزيرة الاميرال البرتغالي تريستان دا كونها ، واطلق اسمه

لجنة إحياء التراث الفلسفي العربي

سلسلة النصوص ١

الفارابي

فلسفة أرسطوطاليس

وأجزاء فلسفته ومراتب أجزائها
والموضع الذي منه ابتدأ وإليه انتهى

حققه وقدم له وعلق عليه
الدكتور محسن مهدي
(جامعة شيكاغو)

دار مجلة شعر
بيروت
١٩٦١

ظهر اخيرا — عدد الصفحات ٢١٦ — ثمن النسخة ٢٥ ليرة لبنانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عليها . وكانت السفن الشراعية تمر بها احيانا للاسترشاد ، الى ان نزل بها بحار انكليزي يدعى توماس كوري واتخذها مقره سنة ١٨١٠ . ومع الزمن انضم اليه بحارة سفن غرقت قربها ، وقامت فيها مستعمرة بيضاء صغيرة ، بلغ عددها اخيرا ٢٨٠ نسمة . وكان الاهلون يعيشون حول قمة هذا البركان القائم بأمان ، يعيشون من الصيد ، حتى فوجئوا في الشهر الماضي بالفوهة تشتعل من جديد . وعاد البركان يرسل حممه بعد نوم مستمر منذ الاف السنين ، فسارعوا الى الفرار بالزوارق الى جزيرة « القمة » المجاورة على بعد ٢٥ كيلومترا . وهم ينتظرون الان وصول البواخر لنقلهم الى افريقية الجنوبية . وهكذا ستعود الجزيرة قفراء كما كانت قبل ١٥٠ عاما !

● قال خبرا الارصاد الجوية العالميون في مؤتمر علمي عقد في روما ، ان درجة الحرارة ، في العالم كانت تنخفض باستمرار طوال السنوات العشرين الماضية .

● اعلن مرصد طوكيو الفلكي ان فلكيا يابانيا هاويا في مدينة كوتشي في جنوب اليابان اكتشف مذنبا جديدا . وصرح ناطق بان الفلكي تسوتومو سيكي شاهد المذنب قرب ليو . وقال ان تالق المذنب كتالق نجم من الحجم الثامن . واطلق المرصد على هذا المذنب اسم «مذنب سيكي»

● بلغ مسامع الناس في حزيران (يونيو) ١٩٦١ خبر انفجار ضخم في احدى النجوم التي تبعد عنا مسافة ٨ ملايين سنة ضوئية . وقد اكد ذلك الدكتور فرتز زويكي من علماء الفلك التابعين لمرصد جبل بالومار في كاليفورنيا في الاجتماع الدولي الذي عقده علماء رصد الكواكب مؤخرا . والنجمة المذكورة في نظره هي في حجم الشمس . ولعل هذا الحادث هو ابعد انفجار نجمي استطاع علماء الفلك رصده . وقد امكن للدكتور زويكي تتبع هذا الانفجار مدة بضعة ايام . مع العلم ان سرعة الضوء هي ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية او ٢٩٧٠٦٠ كلم

● اقيم في مرصد فيزياء الكواكب بالقرم ، التابع لاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ، اكبر مرقب ذي مرآة في اوروبا ، ويبلغ قطره ٦ و ٢ متر . وبفضل هذه الالة حصل العلماء، وعلى رأسهم مدير المرصد ا. سيفرني ،العفو المراسل للاكاديمية ، على الصور الاولى للسدم القائمة خارج المجرات . وقد استطاع العلماء باضافتهم للعاكس الجبار محولا بصريا الكترونيا تصوير المنظومات النجمية الضعيفة ، النائية. وتشهد الصور الاولى ، ولا سيما صور السديم (ميسييه ٥١) القائم خارج المجرة ، والموجود على بعد زهاء عشرة ملايين سنة ضوئية تشهد بان هذا المرقب سيساعد الفلكيين السوفياتيين على النفوذ الى العديد من اسرار الكون .

● ابلغ العلماء في الجمعية البريطانية لتقدم العلوم بان ظهور الانسان على الارض اقدم بمقدار ضعفي ما كان يعتقده علماء التطور في السابق ، وان الانسان الاول ظهر على الارض قبل حوالي مليون سنة على الاقل ، اذ اعلن الدكتور كنيث اوكلي من دائرة التاريخ الطبيعي في المتحف البريطاني ان ضوءا جديدا قد القي على عمر الانسان بواسطة التكنيك الاشعاعي الذي يعتمد على انحلال وحدة من النظائر المشعة من البوتاسيوم الموجود في الصخور الى كربون . وتبين من تخطيط الكربون المشع ان نوعا حديثا من الانسان ظهر على الارض قبل حوالي ٤٠٠،٠٠٠ سنة عندما بدأ الانسان النيندرتالي بالفناء . وقد ذكر الدكتور اوكلي ان تحديد عمر الانسان الاول يتوقف كثيرا على تعريف الانسان ، فبما ان المخلوقات الشبيهة بالانسان كانت تقوم بصنع الادوات بانتظام فان بالامكان الاستنتاج بانها كانت قادرة على التفكير وانشاء عادات وتقاليد وهي لذلك كانت مخلوقات بشرية . ثم اردف يقول ان المخلوقات البدائية الاولى كالمخلوقات الجبلية التي اكتشفت في اواسط افريقيا تدخل تحت هذا التعريف . والتكنيك الجديد يظهر ان عمرها يقارب مليون سنة .

● صرحت ديانا كركبرايد احدى العاملات في المدرسة البريطانية للاثار في القدس بانه تم العثور على خرائب اربع قرى يعود تاريخ احداها الى سنة ٦٧٩٠ قبل الميلاد بالقرب من البتراء . واشارت الى ان اقدم قرية تم اكتشافها احتوت على نمبه ممر تحت الارض وعلى غرف مقصورة الجدران وعلى منازل ذات جدران منحنية تحيط بها مناطق مكشوفة. وقالت انه عثر في قرية اخرى على ساحة تدعو صلابتها وعمقها الى الدهشة . وقد تبين انها تتالف من اربع طبقات من خليط من الحصى والجير والقصارة الممزوجة بالرماد

● اكتشفت بعثة المانية غربية تعمل في محافظة الرشيد كنيسة تعود الى العهد البيزنطي في منطقة الرصافة على نهر الفرات. وقد اعلن الدكتور جوهانس كولوفيتس رئيس البعثة ان الكنيسة المكتشفة مصنوعة من المرمر الابيض بينما رصعت جدرانها من الداخل بقشرة من المرمر الاخضر يزيد ارتفاع كل منها على عشرة امتار . وتعلو هذه الاعمدة المؤلف كل منها من قطعة واحدة تيجان من المرمر . ووصفت مديرية الاثار في حلب هذه الكنيسة بانها من اجمل الاثار القديمة المكتشفة في سوريا

● عثر على كميات هامة من ادوات انسان ما قبل التاريخ بالقرب من منبع الفراب بجبال طوروس بتركيا . وقد قام بهذا الاكتشاف بعثة فرنسية للاثار . ويعود عهد هذه الادوات الى خمسين الف سنة تقريبا وتؤكد اعمالا هامة قام بها البروفسور كيليك كوتن من جامعة انقرة . ذلك انه لم يعثر حتى الان على اثر لاحتلال مناطق الشرق الاوسط في فترة الانتقال من العصر الحجري الثاني . وكان المعتقد بان اولى القرى في سلسلة جبال طوروس قامت منذ حوالي ٦٠٠٠ عام قبل المسيح وبنتها شعوب جاءت من امكنة اخرى كانت تستخدم اهم ادوات العصر الحجري .

● بعثة دانيماركية مكونة من ١٣ عالما في الاثار سافرت الى اللاذقية للتنقيب عن الاثار في تل سوكاس قرب مدينة جبله ، كما سافرت بعثة المانية مؤلفة من ٦ علماء لمواصلة الحفريات التي قامت بها من قبل في الرصافة .

● اجتمع الدكتور جون اليجرو استاذ اللغات السامية في جامعة مانشستر البريطانية الى الدكتور عوني الدجاني مدير دائرة الاثار الاردنية وبحث معه في موضوع حفريات طويلة الامد قرر اجراءها في منطقة خربة قمران بحثا عن المزيد من مخطوطات البحر الميت . وصرح الدكتور اليجرو بانه قدم الى الاردن هذه المرة لاعداد قاعدة للعمل في منطقة قمران وتحضير الاجهزة والمعدات اللازمة لمباشرة حملة تنقيب تستغرق خمس سنوات على اقل تقدير. وقال ان هذه الحملة تستهدف اكتشاف كل ما يمكن ان يلقي مزيدا من الاضواء على الفترة التاريخية التي عاشها الاسينيون الذين عمروا منطقة قمران والذين كانت مخطوطات البحر الميت جزءا من مخلفاتهم. وذكر الدكتور اليجرو ان من المحتمل ان تبدأ هذه الحفريات في فصل الشتاء القادم . وقال ان خطته الطويلة المدى تشمل التنقيب في وادي النار المحاذي للجانب الشرقي من سور القدس والذي يمتد الى البحر الميت كما تشمل المناطق الواقعة شرقي بيت لحم بالاضافة الى منطقة قمران .

● تشرف مديرية الاثار اللبنانية على عملية التنقيب والحفر التي تجري في قرية «معركة» بعد العثور على كهوف اثرية يعود تاريخها الى ما ينيف عن ستة الاف سنة .. ومن المنتظر ان تشمل عمليات الحفر مساحات واسعة بعدما تبين من ان هناك امتدادا لهذه الاثار الى ما يقرب من الثلاثة كيلومترات .

● عثر في منطقة تل بسطه في الزقازيق بمصر على معبد يرجع تاريخه الى الاسرة الثانية عشرة وعثر ايضا على عدد من الدقنات التي يرجع تاريخها الى عهد الهكسوس ومقابر يرجع تاريخها الى الاسرة التاسعة عشرة وبعض الحلى والتماثيل الذهبية والجعاريم التي يرجع تاريخها الى الاسرة ١٣ و ١٤ و ١٥ وكان قد عثر في يونيو الماضي على ٥٥ مقبرة في هذه المنطقة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



روبير ابي راشد كاتب لبناني يتفوق في فرنسا

●

... وهذا كاتب لبناني اخر يلمع في دنيا الادب في فرنسا بعد ان لمع قبله على هذا الصعيد عدة كتاب من لبنان وعلى رأسهم جورج شحاده الذي بات يعد بين اشهر المؤلفين المسرحيين في العالم باللغة الفرنسية ، ومن بينهم فرج الله حايك وشارل القرم وهيكتور خلاط وفاهي كاتشا .

انه روبير ابي راشد الكاتب اللبناني الفذ الذي استطاع ان يفرض نفسه بادبه وارائه ومقالاته النقدية على الوسط الادبي في باريس خلال السنوات الاخيرة القليلة . حتى انه لما اصدركتابه الاخير هذا العام عن « كازانوفا » استقبلته امهات الصحف الفرنسية والمجلات الادبية بكثير من التقدير والاعجاب وعقدت حول هذا الكتاب عشرات المقالات النقدية التي جعلت من اسم مؤلفه علما من اعلام الكتاب الفرنسيين الذين لا يشق لهم غبار في عالم الدراسة والنقد والتحليل .

وقد اعجبت يومئذ ـ عبر مطالعاتي لما كتبته الصحف الفرنسية عن كازانوفا ـ بهذا الكاتب المواطن القدير الذي جعل اشهر النقاد يتحدثون عنه وعن كتابه وكأنهم يتحدثون عن اديب جليل او كاتب فرنسي قدير . وهذا ما حملني يومئذ على الكتابة عن الكتاب ومؤلفه دون معرفة سابقة مني بالمؤلف ولا حتى بالكتاب نفسه .

ومنذ يومين جمعتني المصادفة بالكاتب اللبناني روبير ابي راشد وقد حضر اخيرا لقضاء الصيف في وطنه الى جانب اهله ، فدهشت بان رأيت امامي فتى غض الاهاب لما يتجاوز الثلاثين من عمره الا قليلا وقد دمغته شمس لبنان الحارة بهذه السمرة الخفيفة المحببة التي تتميز بها وجوه اللبنانيين عموما اينما كانوا وحيثما شرقوا او غربوا ... دون ان تؤثر عليها غيوم اوروبا او اميركا بشيء .

وقد كنت اتصور روبير ابي راشد شيخا جليلا وقورا مقيما في العاصمة الفرنسية منذ زمن بعيد . وقد ازال عنه التغرب كل معالم الطابع اللبناني . بيد ان الامر يختلف مع كاتبنا الشاب الذي ما زال يتحدث العربية بالطلاقة نفسها الذي يعبر بها بالفرنسية . واذا بي امام دليل ناصع على ان النبوغ اللبناني ليس له حدود او قيود، وعلى ان الموهوبين من شبابنا اذا اتيحت لهم الفرصة والامكانات يستطيعون ان يبرزوا ويلمعوا في الميدان الذي يتخصصون به ويبذون سواهم من الشعوب حتى بين ابناء البلدان التي يقتربون اليها .

وكان طبيعيا ان اطرح على الكاتب اللبناني روبير ابي راشد سؤالا عن الاسباب التي حملته على اختيار الفرنسية اداة للتعبير بدلا من لغته الام فاوضح لي انه لم يكن له في الامر اختيار ، وان الظروف هي التي تتحكم غالبا بمصير الاشخاص واتجاهاتهم اعتمادا على ما في داخلهم من طاقات وموهبة ، وهكذا يمكن القول ان عوامل خارجة عن ارادته هي التي وجهت خطاه في هذا السبيل. ذلك انه قصد باريس عام ١٩٤٨ للتخصص بعد ان نال شهادة البكالوريا اللبنانية بقسميها، وكان عمره انئذ ١٨ سنة. وهناك شاءت له براعم ميوله الادبية ان يطرق باب « مدرسة المعلمين العليا » الشهيرة (بشارع اولم في باريس) وهي الكلية الصعبة المراس التي يعتبر الفوز بمسابقة الدخول اليها عملية مجازفة للفرنسيين فكيف للاجانب نظرا لما في هذه المسابقة من شروط وصعوبات وتعقيدات ... لا سيما وانها المعهد الكبير الذي ما زال محافظا على مستواه العلمي الرفيع وقد تخرج منه اساطين الادب الفرنسي المعاصر كجول رومان والان وجان بول سارتر وسيمون دي بوفوار وميرلو بونتي وسواهم . وهكذا بعد ان قضى حوالي السنتين في الاستعداد لهذه المسابقة فاز بالدخول الى المدرسة ، وظل خلال دراسته فيها مثال الطالب المتفوق في جميع المواد مما حدا بادارة المدرسة الى منحه عند تخرجه درجة «اغريفاسيون» في الاداب وهي ارفع درجة علمية في فرنسا لان من ينالها تتكفل الحكومة الفرنسية دوما بتوظيفه في منصب تدريسي رفيع . وكان بذلك من اندر الاجانب الذين احرزوها .

وازاء هذا النجاح الباهر عهدت اليه الحكومة الفرنسية بالتدريس في احدى الكليات الباريسية التابعة للسوربون على مستوى الليسانس . وكان في هذه الاثناء قد بدأ في اعداد اطروحة عن « الاباحية خلال القرن الثامن عشر » ومنذ سنة عين في « المركز الوطني للابحاث العلمية » وهو يضم صفوة الخبراء والعلماء والباحثين .

وسألت الكاتب اللبناني ابي راشد كيف بدأ حياته الادبية في باريس ؟ فقال انه شعر دوما بميل الى النقد والبحث والدراسة والتحليل، ولذلك بدأ حياته الادبية بكتابة المقالات النقدية في مجلة (ن.ر.ف) التي تصدر عن دار غاليمار للنشر ابتداء من سنة ١٩٥٥ . وفي سنة ١٩٥٦ اخذ ينشر مقالات في النقد المسرحي في مجلة (اتود) ولاقت مقالاته صدى ترحيبيا في اوساط الناقدين لما امتازت به من حس مرهف ودقة حكم على الاثار المنقودة .

وفي عام ١٩٥٨ عهدت اليه «دار غاليمار» الكبرى للنشر بتحقيق « مذكرات كازانوفا » تمهيدا لنشرها في اجزاء ثلاثة ، وقد قام روبير ابي راشد بالمهمة خير قيام فوضع مقدمة المذكرات وعلق على حواشيها بكثير من الملاحظات ونشرت على التوالي من سنة ٥٨ حتى سنة ٦٠ وبلغ عدد صفحات الاجزاء الثلاثة حوالي ٣٥٠٠ صفحة وهي تعتبر من اروع المذكرات التي كتبها مغامر عاشق في حياته .

وهكذا بعد ان قام روبير ابي راشد بهذا العمل التاريخي بنشر مذكرات كازانوفا وجد ان هذا المغامر العاشق الشهير ليس كما يظن الناس او تتخيله الجماهير « دون جوانا » من الطراز الاول يركض وراء النساء او تركض النساء وراءه فيمثل معهن دور العاشق الموفق الرومانتيكي والمحب الولهان . بل انه نوع من الرجال الذين يوجد منهم كثيرون في كل عصر وبلاد .

والجدير بالذكر ان كازانوفا كان رجلا حقيقيا ـ ليس كدون جوان او تارتوف لموليير او غوديسار لبازاك ممن كانوا نماذج خيالية شهيرة في دنيا المغامرات . فقد ولد كازانوفا في البندقية عام ١٧٢٥ وعاش حتى عام ١٧٩٨ حيث مات في داكس بتشيكوسلوفاكيا .

اجل لقد اكتشف روبير ابي راشد ان كازانوفا كان رجلا فارغا ليست له اية حياة داخلية خاصة وانه مجرد رجل مغامرات فقط يستخدم الحيلة والنفاق والكذب بذكاء بارع ويخدع النساء دون وازع من ضمير او تقيد بالمنطق . وازاء ذلك فكر بوضع دراسة عنه يحلل فيها نفسيته ويكشف ما غمض من نواحي عقليته وشخصيته ، باعتباره نموذجا لكثيرين ممن يعيشون في عصرنا حتى في الايام الحاضرة .

وهكذا اصدر كتابه هذا العام عن كازانوفا بعنوان « كازانوفا او التفريط » Casanova ou la dissipation وللكلمة الاخيرة معان اخرى غير «التفريط» او التبذير منها « ازالة الوهم » او «الركض وراء النساء » وقد قصد المؤلف جميع هذه المعاني في آن واحد . ذلك ان كازانوفا عبارة عن مجموعة عقد نفسية فقد ولد ونشأ من وسط فقير

ولكنه استطاع ان يجعل الناس يعتقدون انه من اسرة نبيلة وغنية . وهكذا عاش كازانوفا يحب التمثيل والخداع فيخدع غيره لا بل ويخدع نفسه في احيان كثيرة ، وكانه بذلك يتهرب من واقعه ومن فراغه ومن وحدته ، وقد ساعده على ذلك ذكاء مفرط وسعة حيلة وبراعة مدهشة في الحديث ومعرفة باللغات والسيطرة على مستمعيه لا سيما معشر النساء، وهكذا قام برحلات كثيرة جاب خلالها معظم اقطار اوروبا وكان دوما يعاشر النبلاء والامراء وقد قابل عدة ملوك في ذلك العصر ، كما اجتمع بفولتير وجان جاك روسو وغيرهم من كبار الادباء والمفكرين . بيد انه على عكس معاصريه كان على الصعيد الثقافي والسياسي ضد الثورة يحب النظام والتقاليد . ولا يعرف ان يعيش الا بين المغفلين والمغفلات ، وهو يحب النساء لانهن خير وسيلة لقضاء الوقت والحصول على المتعة . ذلك ان طبيعته كانت تكره الوحدة . وهو في هذا المضمار على عكس دون جوان الذي كان يركض وراء النساء لانه يكرههن ويريد الثأر منهن كرجل يحب الحرب والصراع ويريد الانتصار عليهن . بينما كانت المرأة بالنسبة لكازانوفا مجرد كائن لطيف وديع مفضل يحب استغلالها والتمتع بها وقتا قصيرا دون ان يخلف اي اثر وراءه او اي ارتباط عاطفي معها .

وهكذا لما بلغ الخامسة والاربعين من عمره وقد شبع من النساء وجد ان حياته قد انكسرت فكف من ملاحقة بنات حواء فانكفأ على نفسه واعتزل الناس لكي يعيش في قصر احد الامراء التشيكيين حتى نهاية حياته . وفي الاثناء بدأ في اجترار ذكرياته التي كانت بالنسبة اليه كل حياته . فعكف على كتابة مذكراته مستعيدا كل تفاصيل مغامراته . وهكذا يمكن القول ان كازانوفا قد عاش حياته مرتين : الاولى في الواقع والثانية في مذكراته حين اتخذ من نفسه موضوعا وجعل من شخصه بطلا ادبيا .

اذن لقد عمد روبير ابي راشد الى تحطيم اسطورة كازانوفا في كتابه « كازانوفا او التفريط » مظهرا في الوقت نفسه ماذا كان يخبىء وراء هذه الاسطورة من اسباب نفسية . وقد ازاح بذلك الستار ليس عن رجل تاريخي فحسب بل عن نموذج يمكن ان يعيش في كل عصر وفي كل مكان ، وبالاجمال فان الكتاب ليس مجرد سرد حياة كازانوفا بل هو بالاحرى دراسة تحليلية لنفسية كازانوفا وشخصيته .

والجدير بالذكر ان المؤلف قد فاز بجائزة « سانت بوف للنقد » على هذا الكتاب عن عام ١٩٦١ بوصفه افضل كتاب في النقد صدر في فرنسا. كما انه سيترجم قريبا الى الايطالية . ومن المحتمل ان يترجم ايضا الى الانكليزية .

ولروبير ابي راشد فضلا عن اهتمامه بكازانوفا نشاط ادبي اخر ، اذ ساهم في عام ١٩٦٠ مع عشرة من اشهر النقاد في فرنسا كبرناربانفو ، وروبير كانترز ، وفرنسوا نوريسييه في تاليف كتاب بعنوان « كتاب اليوم » وهو يتحدث عن معظم الكتاب والادباء الفرنسيين في القرن العشرين . ويبلغ عدد صفحات هذا الكتاب خمسمائة صفحة ... كما انه يعد للعام المقبل رواية طويلة ستكون الاولى من انتاجه في هذا الميدان ، وان كان ميله الاعم الاغلب هو النقد والنقد المسرحي بوجه خاص.

ويمتاز روبير ابي راشد بسعة افق شاملة في ثقافته وهو ذو اطلاع واسع على مختلف الاتجاهات والتيارات الادبية في العالم الغربي والشرقي، وقد قرأ كثيرا لطه حسين وميخائيل نعيمه وسعيد عقل ، وبطبيعة الحال هو من اشهر المتحمسين لمواطنه وزميله الكاتب اللبناني الكبير جورج شحاده .

هذا هو وجه ادبي جديد من لبنان يطل على عالم الغرب وقد فرض نفسه بقوة ادبه وثقافته العالية واسلوبه المتمكن وتضلعه في لغة روسو وادب بلاد الغال . مما يبيض وجه لبنان هذا البلد الصغير الغني برجاله الافذاذ وادبائه العباقرة متى قدرت لهم يد الرعاية والتقدير . (الجريدة)

اديب مروه



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

⊙

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل.
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

⊙

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

⊙

التلفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Direc. :223819 — Tél.
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle. : 225139

⊙

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سبتمبر ١٩٦١

٢٣ ـ اعلنت الامم المتحدة ان القوات الدولية ما تزال مسيطرة سيطرة تامة على الوضع في كاتانغا .

ـ اعلنت اميركا ان لا تبديل بموقفها من المانيا الشرقية خلافا لما اشيع عن استعدادها لايجاد تسوية .

ـ احتجت حكومة الكونغو على بريطانيا لتاييدها تشومبي وانفصال كاتانغا عن الكونغو.

٢٥ ـ القى كنيدي خطابا في الامم المتحدة اعلن فيه ان عقد معاهدة سوفياتية مع المانيا الشرقية لا ينال من حقوق الغرب في برلين ودعا الى توسيع الامم المتحدة وتعيين امين عام لها . وصرح : في الشهور العشرة القادمة سيتقرر مصير العالم لعشرة الاف سنة .

ـ قدمت اميركا مشروعا جديدا لنزع السلاح التام الشامل في عالم سالم يتحقق على ثلاث مراحل

ـ قال خروشوف ان معاهدة الصلح مع المانيا الشرقية تؤجل الى ما بعد نهاية السنة اذا استمرت المفاوضات بين الشرق والغرب

٢٦ ـ قبلت اليونان عضوا في السوق الاوروبية المشتركة .

ـ اكد الخبراء الاسوجيون اطلاق النار على طائرة همرشولد واصابة بعض ركابها .

ـ وافقت الجمعية العامة على ادراج قضية الجزائر في جدول اعمالها لدورتها الحالية .

ـ رفض المنجي سليم مندوب تونس ورئيس الجمعية العامة مصافحة غولدا ماير .

ـ رفضت موسكو اقتراحات كنيدي لنزع السلاح التي قدمها الى الجمعية العامة .

ـ قبل عبد الناصر استقالة عبد الحميد السراج نائب رئيس الجمهورية .

٢٧ ـ دعا تشومبي اندولا للاجتماع به في مكان محايد لتسوية خلافهما .

ـ قبل سوكارنو بتدخل الامم المتحدة في ايريان الغربية بشرط ان تنتقل السلطة فورا من هولندا الى اندونيسيا .

ـ عقد الاجتماع الثاني لغروميكو وراسك .

٢٨ ـ قامت في دمشق حركة ثورية باسم «القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة» واستولت على مركز قيادة الجيش ودار الاذاعة وبدأت باذاعة بيانات عن اهداف الحركة .

ـ اعلن عبد الناصر انه لن يساوم على الوحدة ولن يقبل بحل وسط .

ـ اقترح غروميكو تعيين اربعة امناء عامين للامم المتحدة: غربي وشيوعي واسيوي وافريقي

٢٩ ـ اذاعت « القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة » نجاح حركتها. وعدت بتسليم السلطة للمدنيين . كما اعلنت انفصال سوريا عن مصر .

ـ الف الدكتور مامون الكزبري الوزارة الانتقالية من عشرة وزراء .

٣٠ ـ اذاع الدكتور كزبري البيان الوزاري للحكومة السورية . اعادة الاوضاع الدستورية في ٤ شهور .

ـ اعترفت الاردن وتركيا بالوضع الجديد في سورية .

ـ وقعت تونس وفرنسا اتفاقا يبدأ الجنود الفرنسيون بموجبه الانسحاب من مدينة بنزرت والعودة الى مواقعهم القديمة في القاعدة .

ـ ادولا يرفض الاجتماع بتشومبي في منطقة محايدة .

ـ ابرقت دمشق الى الامم المتحدة والجامعة العربية معلمة بقيام «الجمهورية العربية السورية»

اكتوبر ١٩٦١

١ ـ انتهت عند منتصف الليل السلطات الاستثنائية التي تولاها ديغول في ٢٢ ابريل الماضي

ـ الغت وزارة الداخلية الاتحاد القومي في سورية واغلقت مكاتبه . وعين اللواء عبد الكريم زهر الدين قائدا عاما للقوات المسلحة في الجمهورية العربية السورية .

ـ بدأت القوات الفرنسية في الانسحاب من مدينة بنزرت .

٢ ـ القى عبد الناصر خطابا عن احداث سورية قال فيه انها نكسة لن ندعها تتحول الى كارثة .

ـ توفي السيد صديق المهدي زعيم طائفة الانصار في السودان وكان رئيسا لحزب الامة السابق .

ـ اعترفت غواتيمالا والصين الوطنية وايران بالحكومة السورية .

ـ اقترح الاتحاد السوفياتي تعيين شخص واحد لادارة السكرتارية العامة للامم المتحدة حتى شهر ابريل ١٩٦٣ على ان يتعاون مع ثلاثة نواب لا يحق لهم عرقلة اعماله .

٣ ـ طلبت حكومة ليبريا استدعاء انور فريد القائم باعمال سفارة العربية المتحدة في منروفيا بتهمة أياه بالتدخل في شؤون ليبريا الداخلية

ـ عدلت اميركا عن اغلاق قواعدها في بريطانيا وذلك بسبب الازمة الدولية .

ـ قطعت القاهرة العلاقات بينها وبين الاردن وتركيا .

٤ ـ سحبت تونس اقتراحها بدعوة اللجنة السياسية للجامعة العربية الى الاجتماع للنظر في الازمة السورية ومشكلة الاعتراف . وذلك على اثر احتجاج المتحدة واعتباره تدخلا في شؤونها

ـ الغي منع التجول في انحاء سورية واعلنت القيادة الثورية العربية العليا ان جميع ضباط الحركة الثورية عائدون الى اعمالهم التي كانوا يمارسونها قبل الحركة .

ـ فجرت روسيا قنبلتها النووية السابعة عشرة

ـ اعتقلت غانا ٥٠ شخصا منهم عدد من زعماء المعارضة بزعم اكتشاف مؤامرة لاغتيال نكروما .

ـ وصل الفريق ابراهيم عبود الى واشنطن في زيارة رسمية .

٥ ـ اذاعت قيادة الجيش السوري نداء الى عبدالناصر دعت فيه الى وقف حرب الاذاعات

ـ اذاع عبد الناصر بيانا اعلن فيه سحب معارضته لانفصال سورية وابلغ قراره للامم المتحدة والجامعة العربية ولكن القاهرة نفسها لن تعترف قبل ان يجري استفتاء شعبي في سورية

ـ قالت الامم المتحدة ان تشومبي رئيس كاتانغا يعزز جيشه بمعدات وبمرتزقة من روديسيا

ـ الغربيون يتشاورون للاتفاق على مفاوضة روسيا . اميركا تستوضح المانيا الغربية موقفها من برلين .

٦ ـ استقبل كنيدي، وزير خارجية السوفيات غروميكو وباحثه في ازمة برلين .

ـ اعلن خروشوف انه موافق على انشاء جدار بين قطاعي برلين وقال بان معاهدة الصلح مع المانيا ستوقع قريبا .

ـ بدأ الامراء اللاوسيون الثلاثة الذين يتزعمون الفئات السياسية الثلاث في لاوس اجتماعهم محاولين انهاء النزاع في البلاد .

٧ ـ اعترفت روسيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا بالجمهورية العربية السورية . قدم الوزراء السوريون في حكومة الجمهورية العربية المتحدة استقالاتهم الى عبد الناصر تمشيا مع ما تضمنه بيانه .

ـ صدر بلاغ مشترك في واشنطن عن المحادثات التي جرت بين كنيدي والغريق ابراهيم عبود .

٩ ـ اعترفت السعودية وتونس والعراق وبولونيا والصين الشعبية بالجمهورية السورية

ـ تم تعديل الوزارة البريطانية وابدل فيها عدد من الوزراء .

ـ اللواء قاسم يعلن انتهاء مطاردة فلول البرازانيين في شمال العراق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ رحب نهرو باتفاق الامـــراء اللاوسيين الثلاثة على تسليم رئاسة الوزارة الى الامير سوفانا فومـا .

ـ اعلن ادولا رئيس الحكومة المركزيـــة الكونغوية انه يرغب مخلصا فى الاجتماع الـى تشومبي رئيس كاتانغا او الى بعثة يوفدها فى محاولة لحل ازمة الكونغو .

١٠ ـ اعترفت امريكا ورومانيا والبرازيـل واسبانيا بالجمهورية العربية المتحدة .

ـ وصل غروميكو الى لندن لاجراء محادثات حول مشكلة المانيا . وقد صرح بان محادثاته مع كنيدي لم تؤد الى نتيجـة .

ـ بدات مناورات حلف وارسو العسكرية فى المانيا الشرقية .

ـ اتهمت كوبا الولايات المتحدة بانها تدبر غزوا جديدا ضدها .

ـ رفضت اندونيسيا المشروع الهولنـدي حول ايريان الغربية وحذرت من تطور النزاع بيـن البلديـن .

ـ وصل شاه ايران والملكة فرح الى باريس فى زيارة رسميـة .

ـ تم انسحاب القوات البريطانيةمنالكويت

ـ قدم الاتحاد السوفياتي مشروعا الـى الجمعية العامة لتصفية جميع انواع الاستعمار

ـ وصل اورهو كيونزرئيس جمهوريةفنلندا الى كندا فى زيارة رسمية ومنها يقصد الـى واشنطـن .

١١ ـ اتفق غروميكو وماكميلان على وجوب تجنب الحرب بسبب برلين ولكنهما اختلفـا على شروط التسويـة .

ـ عرضت سورية على الدول العربيةمشروع وحدة عربية طوعية شاملةعلى اساساللامركزية الدستوريـة .

١٢ ـ طلبت الجمهورية العربية المتحـدة الى الجامعة العربية سحب قواتها من الكويت وهي القوات المشتركة ضمن قوات الجامعة .

ـ اعترفت المانيا الاتحادية وايطاليا وفرنسا بالجمهورية السورية . اكدت المانيا عزمهاعلى بناء سد الفرات فى سوريـة .

ـ بو رقيبة يطلب الى فرنسا التفاوضعلى الجلاء وتحقيقه والا استعملالمتطوعين المدربين فى حرب العصابات .

ـصرح كنيدي : خلافنا وروسيا علىبرلين ما زال شديدا ولكن محادثاتنا الاخيرة حددت نقاط الخلاف .

١٣ اعترفت بريطانيا بالجمهورية السورية وتتوالى اعترافات الدول . وقررت الجمعيـة العامة قبول عودة سورية عضوا فىالامم المتحدة

ـ اعلن خروشوف شروطه لتسوية المشكلة الالمانية : ضمان حرية المرور من برلين واليها. الاعتراف بخط اودر ـ نيسي حدا نهائيا بين بولونيا والمانيا . الاعتراف بالمانيا الشرقيـة والغربية على السواء وانضمام الدولتين الى الامم المتحدة . منع الدولتين الالمانيتين مـن التزود بالاسلحة النووية ، حل قوات حلف الاطلسي وحلف فرصوفيا .

١٤ ـ صرح ماكميلان بان الصراع مـــع الشيوعية قد يطول جيلا واكثر من جيل .

ـ وقع اتفاق وقف القتال فى كاتانغا بيـن جيش كاتانغا والقوات الدولية .

ـ اغتيل الامير لويس روانغاسورا رئيس وزراء رواندا اوروندي .

ـ توفي رئيس حكومة فرنسا الاسبق بول رامادييـه .

١٦ ـ انشىء مجلس عدلي فى سورية للنظر فى تصرفات حكام العهد الماضي وستكـــون المحاكمات علنية .

ـ القى عبد الناصر خطابا دعا فيه للعمل الثوري وتعبئة القوى دفاعا عن الثورة .

ـ نتائج الانتخابات العامة فى تركيا تشـير الى فوز حزب العدالة الذي حل محل حزب عدنـان مندريس .

ـ عاد الفريق ابراهيم عبود الى الخرطوم بعد زيارته الرسمية لاميركا .

١٧ ـ صرح خروشوف فى مؤتمر الحـزب الشيوعي السوفياتي الـ ٢٢ : سنوقـــف تجاربنا النووية اخر الشهر ولكن بعد تفجير اقوى قنبلة . امـا الصلح مـع المانيا فليس محتومـا اخر العام .

ـ اصدرت القيادة الثورية والحكومةالعربية السورية بيانا حـــدد السياسة الاشتراكية والاقتصادية والاجتماعية للجمهورية السورية

ـ اكدت الحكومة العراقية تمسكها بموقفها من شركات البترول .

١٨ ـ اعلنت حالة الطوارىء فى فيتنـام الجنوبيـة .

ـ الغرب يحث خروشوف على العدول عـن تفجير القنبلة الهيدروجينية التي اعلن عنها .

ـ اعاد عبد الناصر تشكيل الوزارة فـي الجمهورية العربية المتحـدة .

ـ وصل بول سنغور رئيس جمهوريةالسنغال الى تونس فى زيارة رسمية .

ـ الجزائريون يقومون بتظاهرات صاخبة فى باريس احتجاجا على قرارات الحكومـة الفرنسية بحظر التجول عليهم . وقع عـدة جرحى وقتلى فى اشتباك مع البوليس . اعتقل ١٠ الافجزائري تقررترحيل ١٥٠٠ الىالجزائر

١٩ ـ ابلغ الاتحاد السوفياتي الامم المتحدة تمسكه بحقه فى تجربة اسلحته النووية الـى ان يدرك الغرب ضرورة نزع السلاح نزعـا عاما وتامـا .

ـ صرح الجنرال غورسال رئيس مجـلس الثورة العسكري فى تركيا بانه مرشح لرئاسة الجمهوريـة .

ـ جرت الانتخابات النيابية العامة فىالاردن وقد فاز ٤٠ نائبا بالتزكية من مجموع ٦٠

ـ احبطتمؤامرة لقلبنظام الحكم فىبوليفيا

ـ قررت اللجنة السياسية للجمعية العامة مناقشة قضية الجزائر بعد مناقشة قضيـــة نزع السلاح .

٢٠ ـ فى مؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي عرض شوان لاي بخروشوف بسبب حملتـه على البانيا لرفضها القضاء على الستالينية . وقد ايد المؤتمر المطالبة بطرد الفريق المناهض للحزب امثال مولوتوف وكاغانوفتشومالنكوف وبولغانين وفوروشيلوف .

ـ تولى اندريه موهيروا صهر الامـــير روانغاسورا الذي قتل رئاسة حكومة اوروندي

ـ وصل سوكارنو الى فيينا لاجراء عملية جراحيـة .

ـ كاسافوبو ينذر تشومبي ويطالب بانهاء انفصال كاتانغا عن الكونغو .

٢١ ـ انهى مؤتمر البترول العـربي الثالث اعماله فى الاسكندرية باتخاذ قرار لتنفيـذ المقاطعة بالنسبة الى نقل او بيع النفط الـى اسرائيل من قبل اي مصدر كان .

ـ فرضت الحراسة على اموال ١٦٧شخصا فى الجمهورية المتحدة واعتقل ٤٠ واعيد الـى السجن فؤاد سراج الدين وابراهيم فـــرج ومحمد عاطف نصار واعلن وزير الداخلية ان ذلك تم لتامين مكاسب الثورة والنضالالشعبي

ـ اعلنت سورية انها ستطلق حرية النقـد وتنقل رؤوسالاموال وحرية الاستيرادوالتصدير وذلك لاصلاح الوضع الاقتصادي .

٢٣ ـ منح الفقيد داغ همرشولدجائزة نوبل للسلام لعـام ١٩٦١

ـ اجتمعسنغور الرئيسالسنغالي بالجنرال ديغول واطلعه على نتيجة محادثاته التـــي اجراها فى تونس مع ممثلي تونس والجزائـــر لاستئناف المفاوضات بينهما وبين فرنسا .

ـ اعلنت المراصد العالمية ان الاتحـــاد السوفياتي قد فجر قنبلة نووية من٣٠ ميغاطن

ـ اعلن كنيدي ان حكومته لا تتمسك بصيغة معينة صلبة لتسوية مشكلة برلين .

ـ قطعت كمبوديا علاقاتها مع سيام .

٢٤ ـ استقال صائب سلام رئيس الحكومة اللبنانيـة .

ـ اذاع بن خده بيانا قال فيه فلنكن عمليين ولنفاوض على موعد الاستقلال والتعـــاون والضمانات للمستوطنين الفرنسيينفى الجزائر

ـ اعلنت الاركان العامة التركية تسويـة خلاف القوات المسلحة والاحزاب السياسيـة

ـ وافقت الامم المتحدة على اتفاق وقـف القتال فى كاتانغا .

مطبعة الغريب شارع هوفلين ـ بيروت ـ ت: ٢٤٦١٨٥

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

القـوة والحـق ايـضـا



الى الاديب الفاضل الدكتور فؤاد حداد : ص ٢ ، الجزء الخامس من « الاديب » الصادر في مايو ١٩٦١

ما يزال ذا فائدة قول ارخميدس « لو وجدت نقطة في الكون تصلح مرتكزا لرفعت بها الارض عـلى رافعة » . فانت اذا اعتمدت في تفكيرك على اساس ثابت معلوم جاءت النتائج القائمة على ذلك الاساس سليمة صحيحة .

والقوة شيء معلوم يمكن تحديده والاتفاق على معناه . وان تعريف الدكتور حداد للقوة بانها « فرض الارادة » يمكن الاخذ به ولا ريب ، وهذه القوة تعني قدرة الانسان على التوسع في تنفيذ رغباته الى حد او آخر مما تهدف اليه رغبته ويدفع خياله .

لكن الحق شيء غير واضح دائما ، فهو قد تغير في الماضي ويتغير الى الان . ولقد كانت حركة المجتمعات المتطورة حركة من الحق الثابت المضمون لفئة من الناس الى حق التعاقد الذي يسوي ما بينهم .

وهناك الحق الفردي وهناك الحق العام .

واذا كان الانسان مدنيا بالطبع ، وهذا امر اصبح واضحا ، فالصلة بين الحق الفردي والحق العام صلة واجبة لا يمكن الاستغناء عنها . فاذا اصطدم الحق الفردي بحق المجتمع ، ضيقا كان هذا المجتمع او واسعا ، وجب ان يتخلى الحق الفردي للحق العام ، شرط ان يكون ميزان الحكم في القضية بيد المجتمع لا بيـد فرد ، فأمرهم شورى بينهم .

والعالم كما قال الدكتور حداد « يسير خطواته الاولى نحو خلق راي عام مستنير » . فخير ما نعرف به الحق اليوم انه ارادة « الراي العام » ، او ارادة « الضمير العام » ، او على نطاق اوسع « الضمير العالمي » . وبصورة مادية قريبة ، يمثل الحق صالح المجموع الذي شذ عنه في الماضي ولا يزال يشذ الى الان صالح عدد محدود من البشر ، متسلطين ومستعمرين لا يفهمون الحق عند انفسهم الا انه ارادتهم وراحتهم وسعادتهم ، مهـما اضر ذلك بالصالح العام ــ الحق ــ الذي تهدف اليه ارادة الراي العام .

والذي وقع للاكثرية الساحقة من جماعة من امة ، او من العالم، ان هذه الاكثرية قد اكتشفت مؤخرا انه ليس من قدسية خاصة لهذه الفئة المحدودة من البشر التي فسرت « الحق » على انه صالحها وحدها ، فأيدته بالقوة تقرع بها ضعف المجموع العام صاحب الضمير العام فيرتد هذا مخذولا وكأن لا حول له ولا طول احيانا ، او كأن لا حق له في الحياة احيانا أخرى . بل قد يتهافت اكثر من ذلك فيكون « الحق » لديه دعم السلطـة الغاشمة وتأييدها والتسليم لارادتها .

وعلى هذا سارت « البشرية » جملة منذ كانت الى مطلع هذا القرن ، يصيح نفر منها احيانا صيحة الحق ، ثم تخبو صيحته وتذهب ريحه ، فيعود الناس الى ايمانهم الاول ، وكأن « ليس في الامكان ابدع مما كان » . والخلاصة ان العلاقة بين الحق والقوة ، كانت غامضة ، وما تزال كذلك بعض الشيء . ولقد اكتشف البشر مؤخرا هذه العلاقة ، وكانوا عنها عمين . فالحق هو صالح الاكثرية، والاكثرية هي التي تملك القوة بعضلاتها وامكانياتها، ثم بآلاتها وتجاربها واختراعاتها .

الحق هو منفعة الصالح العام ، والصالح العام هو سعادة الناس وحريتهم ، وهم انفسهم أصحاب القوة التي يجب ان تسند الحق ، فالقوة عندهم والحق لهم .

عمـــان **محمد اديب العامري**

سوانح مسيحية

بقلم الدكتور بشر فارس
سكرتير عام المجمع العلمي المصري

* * *

يظهر بعد ايام لصديقنا الدكتور بشر فارس الشاعر الناثر كتاب باللغتين العربية والفرنسية يجمع بين الفن والادب والعلم ، عنوانه « سوانح مسيحية وملامح اسلامية » . موضوعه دراسة ست تصاوير تزين نسخة مخطوطة من كتاب « الاغاني » للاصفهاني كتبت في بداية القرن السابع الهجري . والتصاوير تمثل مشاهد مسيحية واسلامية فيتناولها المؤلف من جملة جهات . يبدأ بفن التصوير ثم يوضح معالمه بما كان تجري به الحياة العربية في عهد المخطوط : شواهد من الادب ، حوادث من التاريخ ، احكام من الدين الى غير ذلك مما يجعل الكتاب طرفة نادرة تزخر فيها الفوائد .

وقد بعث الينا المؤلف بمسودة النص العربي من الكتاب لنختار منها فصلا لقراء الاديب يقدم اليهم كباكورة . وقد استوقفنا حديث المؤلف عن « مسرات المسيحيين عند بيوت العبادة ومشاركة المسلمين » ومبعث هذا الحديث ان احدى تصاوير المخطوط تمثل فتيات يغنين ويرقصن في دير للراهبات في احد البلدان العربية . فاخذ المؤلف يبحث هذا اللهو قديما وحديثا في مصر ولبنان وسورية والعراق . ونحن نقتطف من هذا الحديث الفصل الخاص بلبنان المعاصر . (الاديب) .

* * *

تلك المسرات الريفية زاهرة شائعة في لبنان وسورية والعراق كما سترى . وما هي — عند التحقيق — سوى رجع لتلك الولائم الحافلة التي كان النصارى الاولون يقيمونها تشريفا للقديسين وتذكيرا بالشهداء، ولائم انحدرت من عادات الوثنية وقد تلونت بعقائد المسيحية حتى ظهرت لعهدنا هذا على ابواب الديرة والبيع والضرائح والمزارات . فلا شك ان هذه الاحتفالات ولائد عبادات متقادمة ، تنبثق من دفائن الشعور في مواقيت مقدرة لتحرك المسيحيين وعشراءهم من غير ملتهم ، فتدفعهم جميعا في حومة بشرية حامية تخرجهم ، الى حين ، من خلاف مذاهبهم الحاضرة الى رسوخ سنتهم الغابرة . فمن الخطأ ان يظن احد ان طلب اللهو وحده يحث المسلمين والدروز والنصيرية واليزيدية ، لعهدنا هذا ، على ملاحقة النصارى اذا هبوا الى مواسمهم المعقودة بالقرب من بيوت التعبد ، فالشغف بالمشاركة قديم وشديد . ومن دلالات شدته ان المسلمين لم يبالوا بغضب المتحرجين من فقهائهم وعلى راسهم ابن تيمية ، فله قول معروف في ردع المؤمنين عن الاسهام في ابتهاجات النصارى .

هكذا ، تحت عنوان الوله الديني، يمرح الناس ويطعمون ويشربون ويغنون في مصر وكذلك في لبنان وسوريا والعراق . ومن الوان مرحهم الرقص ، وهنا يحسن التمييز : في مصر يتولى الرقص محترفات من القبطيات والمسلمات، يحاولن ان يسترن النزوات في حركاتهن ومواقفهن مراعاة لحرمة المكان كما قدمت من الوصف عن فرح المسيحيين في مصر . واما في لبنان وسوريا والعراق فالرقص وان كان دنيانيا لهو وثبة حرة اصلا تأتي من الشعب اندفاعا في شكل « دبكة » وطنية قد تستدرج الى حلقتها جماعة من غير النصارى .

هذا لبنان : في صيف سنة ١٩٥٦ نزلت ضيفا على غبطة بطريرك الموارنة بطرس بولس المعوشي في مقره البهي العلي بقرية الديمان فوق طرابلس . وذات فجر نبهتني ضجة . نهضت الى النافذة استطلع . فاذا لفيف من الشباب جاءوا في سيارة نقل ومعهم من الملاهي ناي وكمان وطبل ، ومن المفاتن كعاب مشرقة بثوبها القرمزي . كانت ترقص الدبكة في خفة هفافة وبيدها منديل ، كانه غسل بماء الزمرد ، يحوم حول شعرها المنثور . فما اسفت لعمري على هروب النوم من بين الجفون . وعلى الكعاب التف رفاقها يصفقون فيضبطون وحدة الايقاع ، وقد تنزهوا جميعا عن منكر الاشارة واللفظ . وكنت ترى هذا يظفر طفرة جامحة وهذا يزعق زعقة جارحة فتصيب حتى في رتوب نغم الترجيعة منفوان الفتوة . كل ذلك دار تحت نافذتي في فناء الدير على خطوات معدودة من الكنيسة حيث كان يقام قداس الاحد . ما ابلغه دليلا على ما مر بك من رواية العمري في «مسالك الابصار» وهو يصف دير مار ميخائيل : «تتجاوب فيه الحان الاغاني وقراءة الرهابين» . والحق اني ماكتمت دهشتي ، فبادرني احد الرهبان بقوله : «ذلك الذي شاهدته يجري في كل يوم من ايام الآحاد، كلما عرج علينا شباب يهزهم السرور في طريقهم الى الارز . وكان الشباب ، الى زمن قريب ، يعرجون في مساء كل سبت ايضا » .

ولما شب النهار فجلست الى غبطة البطريرك كعادتنا في كل ضحى نشقق احاديث الادب والتاريخ ، وهو فيهما مترسل راسخ ، فأجاني في مفاكهة عذبة، اصبحت مضرب المثل في ربى لبنان ، قال : « جاءني خبر الفجر ، فحزنني ان عينك ما شبعت من النوم ، وهل تشبع في دير ؟.... » بسمة طائرة ، ثم قال : «ان هذا التوثب الذي ضج به الفناء سليل الشعائر العبرانية ، تمكن على العصور فما انفك يدور في ربوعنا ، فكأني بنا غمسناه في ماء المعمودية فنصرناه . وما علينا : ان البيعة المارونية مستمسكة بروح المسيحية الاولى، فلاتنفرمن العبادات الرفافة وقد امرت بها «المزامير» بهذا اللفظ : « سبحوا اسمه بالرقص ، سبحوه بالدف والكنارة ... سبحوه بالصنوج » . ان بيعتنا ابت ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتصلب ، فظلت موصولة بالشعب ، والشعب الماروني يعرف كيف يلف ورعه الصفي بالفرح النقي » .

قال السيد البطريرك كلمته فعدت الى نفسي : اجل تلك زينة من زينات الايمان ساذجة ، ولكنها ما ابعد اثرها في النفس ، قد تركتها امم تزمتت فجف ولهها حين تتلمس حظيرة الرب . وما اروع الوعد الذي يخطه للمؤمن ، في الافق البعيد ، القديس يوحنا فم الذهب اذ يقول : « ما اعطانا الله قدمين لنستعملهما في السعي الشائن ولكن لنثب بهما ذات يوم الى برج الملائكة » .

زينة ساذجة ذات اثر في النفس . فتذكرت ايام كنت اقصد الى لبنان مصطافا وانا صبي. خبرت اذ ذاك ألوانا من اللهو كان الفتية يقبلون عليها في ساحة الكنيسة ، عند خروجهم من القداس في ايام الآحاد والاعياد : آيات بطولة هي اقرب الى غرور الصبية مع ما تقتضي من شدة الرجال، منها المنافسة في قرع الاجراس ورفع «القايمة» (الثقل) بغير تقلقل ، ثم يأتي دور الدبكة المعهودة تدعو اليها «منجيرة» (ناي ريفي) ومزمار ودف . وكان اذا قدم اسقف ماروني الى القرية خفّت اليه زمرة من الشباب ، فتراهم يدبكون وهم يخفرون موكب الاسقف حتى عتبة الكنيسة او بهو مقره ، وهناك يقومون برقصة «السيف والترس» تحشم وتوقّع لهم «قرنيطة» (آلة نفخ افرنجية الاصل : كلارنيت) اضحت بنبراتها الحادة تزاحم «المنجيرة» العربية ذات الهمزات العذبة . هذا وكثيرا ما تستقبل سيوف تتضارب موكب عرس عند مدخل الكنيسة .

والعجيب ان كل هذه الضروب من الحبور الصاخب تقع تحت ابصار الرهبان والقسيسين من الموارنة ، فلا يستنكرونها بل تراهم ينشرحون لها مع انها مكروهة — من حيث المبدأ — بدليل ما ورد في «كتاب الهدى» الذي ضم في القرن الحادي عشر الميلادي ، باللغة العربية ، دستور الطائفة المارونية ، ففيه «واذا اقبلتم الى بيوت الله من قرب او من بعد ، فلا تكونوا فيها كفي لعب ولهو وغناء وضحك وقمار. وان رأيتم احدا يفعل ذلك فلا تقربوه لانه من سهام الشيطان الذي يعوقكم عن التسبيح » . الا انه في الكتاب نفسه هذا ايضا : « ولله على النصارى تعييد الفصح ، يقومون فيه بالصلاة والتهليل ، ولهم ان يأكلوا فيه ويشربوا ويفرحوا على ان لا يأثموا ولا يخطئوا». وهذا النص الثاني يسوغ حديث البطريرك .

* * *

تقع الدبكة في لبنان يوما هنا ويوما هنا عند الانتشار بعد صلاة الاحد او في اثناء اقامتها، وعند الاحتفال بعيد من الاعياد او ذكران قديس يكون شفيع القرية. وموقع الدبكة ساحة كنيسة او فناء دير ، يغزوهما لفيف من الناس جلهم نصارى ، يأخذ منهم السرور كل مأخذ يوما او يومين . وانا اسوق اليك بعض الذكرانات : في شمالي لبنان (١) : كفرزينا ، ١٣ حزيران (يونيو) ، مار طانيوس البدواني، وهو الذي يكشف عن الاشياء الضائعة ويحمي الاطفال — كفرحانا، ٢ ايلول (سبتمبر) ، مار ماما ، شفيع طلاب الزواج ، — حدشيت ، ٤ ايلول ، مار رومانوس ، في ذلك اليوم يغمس العباد خبزا من ذرة في زيت الزيتون ويذرون عليه رمادا — حصرون ، ١٤ تشرين اول (اكتوبر) ، مار لابا — في جبل لبنان : بيت مري ، ١٥ ايلول ، مار ساسين — المروج ، ٢٤ ايلول ، مارت (القديسة) تقلا — مسقة ، ٢٠ تشرين اول ، مار شليطا ، في ذلك اليوم يهجم العباد (وهم موارنة) بعد القداس على طعام يسمى «علفة» مباركة من القس، ومصدر هذه التسمية ان مار شليطا حارس انواع الحيوان — ترشيش، الذكران نفسه، وهناك يعايش الموارنة مسلمون يحسنون الدبكة — في كسروان : فيترون ، ٧ آب (اغسطس) مار ضومط ، شفيع المخلعين .

في كل هذه المواسم يدور شراب العرق حول اصناف من الطعام اللبناني. ولا يقل دورانه في اعياد مسيحية اخرى. وانا واصف لك عيدين منها ، الاول في اهدن بشمالي لبنان والثاني في اللقلوق من قرى كسروان :

في اهدن يعيد الموارنة عيد الصليب في ١٤ سبتمبر ، ولهم فيه منظر عجيب وشره يتقزز منه الحس المصقول . في الليل يتسابقون الى رفع نيران الابتهاج على رؤوس الجبل ، ولا يكاد الصبح يتنفس حتى تصعد النساء الى تلة تقوم عليها بيعة «سيدة الحصن» . ويكون صعودهن على نهج «درب الصليب» (وهو سير مخصوص باحدى عبادات المسيحيين ، كأنهم معه يتنقلون من محط الى محط — وعددها اثنا عشر — تذكيرا بما عاناه السيد المسيح في طريقه المضني الى الاستشهاد حاملا صليبه) . اما الرجال فيلحقون بالنساء مزودين بشرائح من لحم الماعز والضأن . ومتى فرغ الجميع من حضور القداس في البيعة اقبلوا على اللحم نيئا ومشويا وعلى العرق مجلوبا في «الفيات» من زجاج يسع كل منها «الف» كوب . ثم ينحدر رهط من «القبضايات» الى القرية ليستقبلوا بطريرك الموارنة او من ينوب عنه من المطارنة . فهناك اذن جرجرة خيل وفرقعة بارود، تراسلان الضيف الجليل حتى قمة التلة . واذا انقضت الصلاة وانصرف الضيف جلجلت مظاهر العيد الى ان تتعب الشمس. فترى النساء يضربن في جرن ضخم لحم الخروف وقد عالجنه ببصل وبباقة من النعناع والصعتر ثم خلطنه بالبرغل : هذه هي «الكبة» المشهورة . واما الرجال فيميلون الى الدبكة فيشتبكون ، تحدوهم الحان تطلقها « قصبة » ، وكثيرا ما تقف فتاة في اول الشبكة فيقال لها «ماسكة الراس» تحض وترهف (ولعلها تبحث عن خطيب) — والدبكة في اهدن

(١) لاسماء القرى اللبنانية الطلب : انيس فريحة « اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها » بيروت ١٩٥٦ . (٢) للمؤلف بحث فلسفي في الغاية الخفية للمفاخرة ، اطلب كتابه « العرض عند عرب الجاهلية » بالفرنسية ، باريس ١٩٣٢ ، ومقالا له في «تكملة دائرة المعارف الاسلامية» (مفاخرة) ، ليدن ١٩٣٧ .

اشواق ملتهبة

من ديوان « ورود الصباح » المعد للطبع

بت ليـــلي ، ومنـى القلـب شظايـا تتمزق
للكتـاب ، الامـل المنشود عقـــلي يتشـوق
ظامـىء العقـل الـى جدولـه الصافي المرقرق
رشفة مـن ضوئـه الشفـاف للروح المحـرق:
يستحـم الفكـر في افـق من الروح ويخفـق
يغمـر الانـــات ـ بين الكتب ـ درسا وتعمق
أتمنى ابـصر الحـرف عـلى الطرس ... منمق
هو في كفـي .. ولكـن دونـه سـتر مغلـق
الهم المعنـى مـن الرمز كعطـر حـين يعبـق
منبـع اليـأس عيونـي ، ان عينـي لـي مزلق
القي الليل عليها ... فـاذا بي مثـل زورق
وسط امـواج من الحـزن غضـاب تتدفـق
تائـه المجـداف حـيران وهـوج المـوج تصفق
بعـد الشاطـىء عنـه كـاد في اللجـة يغرق

القطيف ـ السعودية — محمد سعيد الخنيزي

تسمى «الهوارا» ، وبينها وبين الدبكة الدارجة وكـذلك الدبكة المنسوبة الى جهة بعلبك فرق يسير ، قوامه ادراج خطوتين من خطا السير بين دفعتين من الدبدبة. والدبكات الثلاث تنحرف عن « سجحة » الدروز حيـث القفزات تلاحق النقلات .

هذا في اهدن ، اما في اللقلوق المعلقة على ارتفاع ثمانماية والف متر فترى حشدا يموج في يوم عيد انتقال ستنا مريم الى السماء على اجنحة الملائكة. يأتي الخلق من كل صوب : الموارنةمن العاقورة وقرطباوتنورين، الشيعة من مزرعة السياد واحيانا من بعلبك ، اهل السنة من مضارب الاعراب المنثورة في تلك الناحية . يا لذلك اليوم الحافل ! يأتلف فيه الورع والقصف ، على امتداد الليل . وفي سحبة الفجر يرقـى النصارى الى الكنيسة ويتبعهم المسلمون ليعلقوا «النذور» في حيطانها . ومتى علا النهار تزاحم النـاس في السهل وشرعوا في اكل الكبة والساجية ، هذه متخذة من لحـم الحملان يطيبه السمن ويغشاه اللبن الرائب . اما عن العرق فلا تسل . ثم يبتدىء اللهو: العاب من الفروسية، ومقارعة الابطال بالسيوف. ثم تأتي نوبة الدبكة يشترك فيها الرجال والنساء ، فرقة فرقة ، كل منها الى ملة ، ولا يلبثن ان تشتبك الفرق ، وسرعان ما يبرز من بين الصفوف فتـاة يسمونها «قمورة» للتحبب . فاذا ايقاع الدبكة يستشيط في حدود انغام يرسلها «مجوز» (قصبة مزدوجة) ودربكة . يا لوقع هذا اللحن في اعصاب الجماعة ، فتصفق الايـدي وتزغرد الحلوق :

يـا غزيل يا بو الهيبـا — يـا هاوي يـا معذب آ
يا حليوة دنقت البـرد — لفينـي بطـرف العبا

وهنالك رقصة اقل هياجا : تجعل فتاة جرة على فرع راسها وتخط في الفضاء اشارات لطيفة مصدرها تثن رفيق في الجوارح . ثم تفور العقول فيتحدى الرجال بعضهم بعضا ، ويتجمعون عصبة عصبة ، بعضها الى اسرة وبعضها الى ضيعة ، فتنعقد «مناظرات» تدور فيها المطاولـة في مساجلة من الشعر العامي مرتجلة باهرة احيانا . وكثيرا ما تصير المباهاة الى صراع وضراب : تلك رجعات لا تـرد ولا تكبح لسنة من سنن الجاهلية ايام كانت العرب تسعى الى «المنافرات والمفاخرات» (٢) . بقي ان في هذا العيـد المشهود تبدو النساء في الوان من الحلي والحلل، وللسنيات الاعرابيات منهن ـ ويلقبن بالزينات ـ ذوق اسلم من ذوق المسيحيات : يلبسن «المنتيان» وهو صدار من مخمـل او اغشر موشى بخيوط ذهب ، وعلى الراس مقنعة تتدلى وقد احاطت بالعيون برقها الكحل وبالاصداغ زوقها الخال .

القـاهرة — بشر فارس

تراثنا العقلي

بقلم عبد العزيز جادو

ما هو التحليل النفسي ؟

لعل افضل جواب على هذا السؤال هو ان التحليل النفسي معناه الكشف عن تيارات العقل الخفية ، ومكنوناته التي تتحكم فى تصرفنا وسلوكنا ، والبحث عن اشياء مخبوءة ومكبوتة ومنسية ، وابراز او تقديم هذه المادة المستكشفة الى الوعي او العقل المفكر .

ان كل هذه العمليات العقلية التي تسير بثبات على الدوام ، والتي نغفل عنها ونجهلها تماما تسمى «العمليات اللاشعورية» ، وليس معنى هذا ان ثمة خطا معينا يفصل بين العقل الشعوري والعقل اللاشعوري ، اذ لا وجود البتة لشيء من هذا القبيل . ولقد تأتي فكرة او خاطرة فى لحظة ما الى المستويات الشعورية من العقل ثم لا تمضي لحظة اخرى حتى تكون هذه الفكرة او الخاطرة مغمورة فى الطبقة اللاشعورية من العمليات العقلية .

والعقل احد وظائف ، مثله كمثل الدورة الدموية وظيفة القلب والتنفس وظيفة الرئتين . ويمكن مقارنة العقل بتيار او مجرى مائي لا يتوقف ابدا ، ويتألف من مجرى علوي او السطح ، وجزء سفلي او تحت السطح . فالشعور هو الجزء المفكر الذي ندريه ونعلم به. اما اللاشعور فهو الجزء المجهول ، العميق ، ذو المراس الصعب . وفى العقل فكرات ثابتة محققة ، وفيه عواطف وغرائز ، وموضوعات ذات قيمة وذات اهمية ، تتجمع كلها معا وتكون ما يسمى بالعقد النفسية . وهذه العقد او مجموعة العمليات العقلية تحركها غرائزنا وتستحثها باستمرار ، فتلف وتدور حول موضوع ما ذي اهمية كبيرة ، قد يكون هواية من الهوايات ، او مالا ، او حبا ، او عقيدة ، او ما الى ذلك . فتظهر هذه العقد بين الفينة والفينة فى المستويات الواعية او الشعورية ، ثم تنغمر مرة اخرى فى المستويات اللاشعورية العميقة . وهي ، فى الحقيقة ، يمكن مقارنتها نوعا باوراق الشجر اذ تسقط على سطح نهر فتدفعها التيارات قسرا الى اعمق اغوار المجرى .

ويعالج التحليل النفسي فى الاصل وعلى وجه الخصوص تلك المجريات المجهولة من العقل ، ويهتم بالنبش والتنقيب عن العقد الخفية او المكبوتة ، كما يهتم ايضا باشياء عقلية اجبرت على الخروج كرها من المجريات الشعورية الى الطبقة السفلية القديرة اللاشعورية من العقل التي لا تزال راقدة ليبرزها ويعرضها على الشعور .

تطور العقل اللاشعوري

ان العقل اللاشعوري اقدم من الانسان نفسه . ولقد كان من المعتقد ان العقل الانساني اللاشعوري بدا منذ بضع ملايين من السنين ، ربما يرجع تاريخها الى ذلك الوقت الذي كانت فيه الحياة المنظمة فى بدء نشأتها . وكان سطح الارض تعلوه مادة رخوة غروية اشبه بنصنيض الوحل . هذه الفترة المبكرة جدا من الوجود فى الحياة البدائية تسمى بالحقب الاركي او الابتدائي . ولقد تجرمت بضع ملايين من السنين قبل ان تتم المرحلة التالية من الارتقاء المتطور. وتتحكم هذه الطبقة السفلية من اللاشعور فى الاستجابات البيولوجية الاساسية للتأثيرات الخارجية ، وفى الاستجابات المختلفة للخواطر والتأثيرات التي يتلقاها من العالم الخارجي. ويلي تطور اللاشعور ما كان هنالك من زمن امتد من العصر الاركي الى العصر الهمجي ، عصر وجود الحيوان ، ويبلغ من العمر ملايين السنين . ولقد ابان التحول من الحياة اليروتوبلازمية البدائية الى حالة الحيوان وهو مسئول بلا شك عن ميول ونزعات حيوانية فطرية تظهر من وقت الى آخر فى السلوك الانساني .

وخطوتنا التالية فى هذا النهج من الحياة تتميز بالانتقال من الحقب الحيواني الى الحقب الهمجي الذي استغرق بضع مئات من آلاف السنين . وقدر الانتقال من الهمجية الى حال الانسان بمائة الف سنة على وجه التقريب من الترقي التشوئي . ويمدنا هذا بالخطوة الاخيرة من هذا الترقي الرمدي التدريجي منذ بدء الحياة الى الوقت الحاضر . والطور الذي اسلفنا الاشارة اليه من هذا النظام المركب للانتقال المتطور هو ذلك العصر المعروف بالعصر الاجتماعي . ويقدر عمر هذه الحقبة من الزمن على وجه التقريب بعشرة آلاف من السنين ، وهو العصر الثقافي فى تاريخ البشرية المتمدن اجتماعيا .

فاذا وقفنا لنحلل سمات الطفل وميزاته وسلوكه نجد ان ثمة اشياء ثابتة لا يمكن ان تعجز عن التأثير فينا . فالحركات الغريزية فى الطفل الوليد التي يقوم بها بشكل توقيعي تشبه تماما ، من عدة وجوه ، الحركات المماثلة فى الكائنات المائية . ثم ان الصفات او السمات المتماسكة فى الطفل تحاكي اوجه النشاط فى المخلوق البشراني الشبيه بالانسان .

وقد يبدو كل هذا غامضا مستغلقا على الافهام ، او خيالا بعيد الاحتمال ، او شيئا تغلب عليه الصبغة العلمية، ولكننا حين نبدأ فى تحليل الحياة وسماتنا وغرائزنا وسلوكنا نجد بكل تأكيد ان هناك اكثر من صلة علمية واكثر من حلقة نظرية بين الخليقة منذ وجود الانسان وما قبل وجود الانسان.

فالوليد البشري من مولده حتى بلوغه الشهر التاسع من حياته يكون النشاط العقلي الشعوري عنده معدوما . ولا توجد لديه الا تلك الاستجابات الغريزية والوظائف البيولوجية للحياة البدائية المنظمة ، وهذه الفترة تطابق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على وجه التقريب مرحلة التطور الاركية. وحياة الطفل من الشهر التاسع الى ان يبلغ السنة السابعة من عمره تطابق تماما فترة التطور الحيوانية . ففي خلال هذه المدة ينحصر نشاطه العقلي ويتركز غالبا في لذته وفي جسده . والمرحلة التي بين السابعة والرابعة عشرة من سني حياته تتفق على وجه التقريب مع المرحلة الهمجية التي سبق ان اشرنا اليها. وفي اثناء هذه الفترة من الحياة يكون للعبادة او الحب دور رئيسي تصوغه في الخطة العقلية . وبانتهاء السنة الرابعة عشر تبدا الفترة الاجتماعية التي يقوم فيها التكوين الاجتماعي للمراهق مع النمو الثقافي الطبيعي باداء الدور الرئيسي. وليست هذه المرحلة الا مجرد غلاف رقيق جدا اذا قورنت بالطبقة الرقيقة الاخرى من العقل اللاشعوري .

العقد النفسية

ان الاجسام الطافية في تلك الطبقات السفلية من العقل، او ما يعبر عنها بتعبير ادق باللاشعورية، هي مجموعة متعددة الاشكال لمظاهر العقل تنسب في الغالب الى العقد النفسية والعقدة ، كامر محقق ، ان هي الا وسيلة ملائمة ومريحة لعمليات عقلية نوعية معينة . ومن العقد المألوفة ، التي كثيرا ما نهتم بها ، والتي تكون نقطة البداية لكثير من مشكلات الحياة ، عقدة الحكاية العائلية . وهي كغيرها من العقد تنشأ في الغالب منذ الطفولة ، وتنمو مع الفرد . وهذه العقدة الخاصة بالحكاية العائلية تعني ببساطة الافكار والخواطر المختلفة والعواطف المتباينة التي تتركز في فرد من افراد الاسرة كالتي يركزها الابن في امه ، او التي تركزها البنت في ابيها ، او تلك التي تركزها الاخت في اخيها او العكس . وربما يعترض الفرد في اثناء حياته عقدتان او اكثر من هذه العقد ، اي انه قد يقع صراع من العقد . فماذا يحدث حين يقع هذا الصراع ؟ ربما تحدث اشياء كثيرة ، ولكن احد الاشياء المألوفة الكثيرة الحدوث هي ان واحدة من تلك العقد تضطر الى الهبوط قسرا الى اعماق اللاشعور. هذا الهبوط الاجباري او القسري يعرف بالكبت . ومن جهة اخرى قد تنال احدى العقد السيادة على الاخر فيرين على الصراع فترة هدوء مؤقتة . وعندئذ يحل الفرد صراعه مهما كان وكيفما يكن . اما اذا نزلت هذه العقد مجبرة الى مستويات اللاشعور ولم يقبلها الشعور او يسلم بها — اي اذا لم يكن هناك تفكير فيها او اي حديث عنها — فانها حتما ستكشف عن نفسها ان آجلا او عاجلا ، في حياة مقبلة على شكل اضطرابات عصبية . ولنفرض مثلا ، ان شابا بعينه وقع في حب فتاة صغيرة ، ملكت عليه مشاعره . وكانت هناك فوارق دينية وقفت في طريقه عقبة كئودا وبات من المستحيل ان ينتهي الحب بالزواج . هنا يكبت الشاب عقدة الحب من الشعور ويقصيها عنه — لا عن العقل — في اللاشعور . وبمعنى آخر ، انه لم يحل صراعه ، وانما كبت عقدة الحب . وقد يكون هذا الموقف سببا في تكوين اضطرابات عصبية بعد فترة من الزمن قد تطول او تقصر.

ومن ناحية اخرى ، هب ان هذا الشاب راح يحل صراعه مع العقد بموازنته باهتمام وبدقة الظروف الجوهرية فيها، وطفق يحلل الموقف من جميع نواحيه ومن زواياه المختلفة، واخذ يتحدث عن الامر ويتناقش فيه مع اصدقائه ولداته ، ومن ثم يعزم عزما اكيدا على ترك شكوكه العقيدية جانبا ، ويذعن للاشتهاء البيولوجي ، اعني الحب . فهو اذن قد حل مشكلاته ولم يكبت منها شيئا البتة ، ونظر الى المسألة برمتها باتزان وثبات ورباطة جأش . وانتهى منها بخير .

الرقيب

من دأب الطبيعة على الدوام ان تحرس مداخل العقل الشعوري محاولة منع اشياء عقلية ذميمة او متنافرة ، وصدها عن المرور من اللاشعورية، اشياء مكبوتة في اللاشعور منذ زمان مضى . وعن طريق نوع من انواع الرقابة تحاول ان تقي العقل الشعوري من عشرات الالوف من المكبوتات الصغيرة الاليمة ، التي تكون متنبهة دائما ومتيقظة ، تجاهد للحصول على اقرار واعتراف بوساطة الشعور. هذه الالية العقلية الخاصة تعرف «بالرقيب». وانها لفي الخدمة دائما، وانها لساهرة دوما ومتيقظة للمادة التي قد تمر من خلال البوابات ، اذا واتتها الفرصة . ويمكن ان تكون معظم الرغبات او الاشتهاءات اللاشعورية مكدرة ومنفرة ، وربما تكون متنافرة ايضا اذا قدمت الى الشعور بوقاحة وبجراة وبصورة سافرة غير مستترة . وعن طريق الحلم ترضي تلهفات اللاشعور واشتياقاته . كما انها ترضي اللاشعور باساليب اخر ، هي «احلام اليقظة» او الاوهام والتخيلات او الاضطرابات العصبية التي اشرنا اليها كالعصابات. ويمكن ان يثابر الفرد باحدى هذه المسالك الثلاثة او يعانيها كلها مجتمعة معا .

ليس ثمة فرد الا وينغمس ان كثيرا او قليلا في «احلام اليقظة» او الاطياف الوهمية كما اصطلح على تسميتها. وكثيرا ما يستسلم بعضنا للاوهام لدرجة تبعث على التراخي والكسل وانحلال عناصر الشخصية ، تلك التي تنهض بالصناعة وتدعو الى النجاح والرقي . وكثيرا ما نلاحظ هذا على الصبي الذاهل، الغائب العقل، الذي يقيم عقله على «ارض الايهام النفسي» . وان كمية معينة من هذا النشاط العقلي مفيدة لكل فرد ، فهي ترشده الى الابتكار ، وتهديه الى الخلق والابداع في الفن والموسيقى وغيرهما .. وفي امكاننا جميعا ان نحصل على درجة ملحوظة من اللذة والغبطة والرضا عن طريق هذه العملية العقلية . اما اذا استولى هذا الانغماس في اللذة على التفكير والتأمل فستكون النتيجة فسادا في الطموح ، وسفها يستولي على عقل الفرد عبر حدود منفعته المميزة، وقد تطرا على الشخصية تغييرات خطيرة . ونحن لا يمكننا ان نوصد الباب في وجه نشاط العقل الواعي ونسمح للاشعور بالعربدة او بالقبض على السلطة الكاملة ، فقد يؤدي هذا الى كارثة ، وقد يجلب الكثير من التاعب والصعاب .

الاحـــلام

لقد خدمت الاحلام (١) دائما اغراضا على جانب كبير من الفائدة ، حتى لقد كان ينظر اليها فى تاريخ روما القـديم واليونان نظرة خشية ومهابة . وكانت تعتبر ايضا وهمـا وخرافة . كما كان يرى فيها البعض تنبؤا بما سيأتي بـه الزمان من حوادث . وكان لكل جيش من الجيوش كتيبة من مفسري الحلم ، فاذا قاموا باي حملة عسكرية بدون ان يكون فى صحبتهم هؤلاء المفسرين يسوء حظهم وتذهب ريحهم .

وان دراسة التاريخ اليوناني والروماني لزاخرة بالحجج والشواهد على ان الاحلام كانت تدرس بعناية فائقـة ، وباهتمام زائد قبل ان يحاط علما باية مهنة او اي عمل مهما بلغت درجته من الاهمية . وكان الاسكندر الاكبر قبل ان يقلع بسفينته يستعين باعظم مفسري الاحلام في عهده .

وكثيرا ما لعبت الاحلام خلال تاريخ الانسان دوراعظيما فى مصير الشعوب والامم . ولقد اثر الجهل والخرافة على معنى الاحلام فى سائر الحقب . فلم تكن الاحـلام حتى الجزء الاخير من القرن التاسع عشر والجزء المبكر من القرن العشرين ، لم تكن تدرس حسب الاصول العلمية ، ولم تطبق في تحليل السلـوك الانساني ودراسة العقل البشري في جميع اطواره ومراحله .

وللاحلام طرازان رئيسيان : الاول ، وهو حلم التجربة او حلم الحالة الشعورية الراهنة التي يعيش فيها الحالم من جديد مرة اخرى فى خلال حلم بذكريات او حادثات مؤكدة اليمة مكبوتة او منسية .. والطراز الثاني هو حلم اشباع رغبة معينة او اشتهاءات تهفو النفس اليها ويحبولها الشعور .

ومعظم الاحلام تخدم فى الاصل الغرض النافع والمجدي من اشباع الرغبة ، اي انها ترضي بقدر ما ، وبوسيلة ما ، المشتهيات اللاشعورية للنفس . وقد يكون هذا اشباعـا بسيطا لرغبة عند الطفل ، او ارضاء عاديا للجوع او الظمأ او الحرية ، او الحلم باحدى وسائل اسباب الراحة والرضا ، او يكون حلما له خطة ما لاشباع الرغبة ، ويميل الى اخماد او تهدئة مشتهيات اللاشعور من حاجات ومطالب بيولوجية .

والحلم اما ان يكون صريحـا ومكشوفا فى تكوينه ، او يكون معنـاه الحقيقي او الدافع الجوهـري له مستترا ومكنونا . وهناك حلم يشبع رغبة الطفل ، اذ يرى فى حلمه تلالا من الحلوى والفاكهة والدمى ، ثم هناك حلم السجين بالحرية ، وحلم المسافر باسرته ، والجندي بوطنه . ومحتوى الحلم او مضمونه يتأثر الى حد بعيد بشخصية الحـالم وتركيبه . اما فيما يختص بالاطفال فالحلم لا يهمـه ان يستتر او يستخفي كالحال فى حلم المراهق . فكلما كان الرقي العقلي اقل كان الحلم اكثر ميلا الى الواقعيـة .

ولذلك نرى ان الحلم عند المراهق المستنير او المثقف يميل دائما الى الرمزية العالية ، اي ان الدافع الحقيقي للحلـم اما ان يكون ممعنا فى التستر ، واما ان تصونه الرموز ، وتحميه المؤثرات الميكانيكية التي تحرف المعنى او الشكل .

ونادرا ما نستطيع تذكر الحلم فى صورته الصافيـة ، الصريحة ، الحقيقية كما نراها فى حلمنا بالضبط . اما صيغة الحلم التي نذكرها او نسترجعها فتسمى المحتـوى الظاهر . واما الرغبة الحقيقية الاصلية او المحتوى الكامن للحلم فيواريها منهج من الرموز معقد ومشوش . واما ما نسميه «الرقيب النفساني الداخلي» او ديدبان العقل ، فهو يقوم بالحراسة دائما ، ويسدل الستار على صورة الحلم ، فيحصل بذلك على تلك العثرة (الذلة) التي كثيرا ما تلاحق الحلم . ويميل هذا المؤثر الميكانيكي ، الذي نوهنـا عنه ، الى وقاية فهمنا وادراكنا للحلم ، ويحجب الصـورة الغامضة ، المبهمة عن الشعور . والمحتوى الظاهر للحلم ، او تلك الحكاية التي تذكر بعد الاستيقاظ ، ركب ورتب بحيث تتم الاستفادة ويعم النفع من اربع مؤثرات ميكانيكية هي ، الابدال ، والتكثيف ، والتدريم ، والتنقية الثانوية . وسنشرح كلا منها بايجاز فيما يلي :

١ ــ التكثيف : هو الميل الى تركيز الحلم كما يتذكر ، ومزجه فى وقت معا بافكار الحلم . وهذا يؤدي فى الغالب الى احلام خيالية وغريبة غير مألوفة .

٢ ــ الابدال : هو احد المؤثرات الميكانيكية للاشعور . وهو فعال ومحرف . واجزاء مادة الحلم القليلة الاهميـة مجهدة ومحققة . وهذا ما يجعل عناصر الحلم الخطيرة وذات الاهمية تغيب عن انظارنا .

٣ ــ التدريم : اي الجنوح الى الفن المسرحي . هـو استخدام الرموز واستعمالها للمنفعة لكي تخفي عن الشعور رغبات او اشتهاءات خاصة . او بمعنى آخر ، استبدال الجوهر الخام الكريه للاشعور ، بمهارة فائقة ، وبجمال اخاذ ، برموز خاصة تكون فى العادة غير واضحة وغير مفهومة لدى العقل الواعي .

٤ ــ التنقية الثانوية : هي تلك المعونة او الاعانة الاضافية للشعوب التي تعيد بناء الحلم في بعض النواحي ، حينما يكون الاحساس بالنفور مـن الحلم مضايقـا للشعور ، بالاضافة الى انه ، من جهة اخرى يؤكد لنا دائما ان الحلم ، ولو انه ممض ، متعب ، ليس الا حلم وحسب .

الانسان مكـافح دواما

ان حضارة بضـع آلاف من السنين لـم تضف الى اخلاق الانسان وسلوكه الا قشرة طفيفة خفيفة . فهو فى كفاح مرير دائب دائم ضد البواعث الحيوانية والرغبـات الهمجية . وانحدارات ما قبل البشر متأهبة دائما ابـدا للبروز من وراء الحجاب الاجتماعي الخفيف . فبوساطـة الحلم كان للانسان اسهل وابسط اسلوب للتعبير عن هذه الشهوات المتأصلة . وكان القمع الضروري للتهيئة السوية

(١) للقارىء اذا شاء الاستزادة فى موضوع الاحلام ان يرجع الى كتاب « الاحلام والرؤى » للمؤلف فى سلسلة « اقرأ » التي تصدرها « دار المعارف » بالقاهرة . (٢) راجع مقال « الحضارة والجنس » للكـاتب بعدد اغسطس من مجلة « الاديب » .

وللاصلاح الاجتماعي الطبيعي احد المؤثرات والمحرضات الحقيقية للانتفاع برموز الحلم . فالطفل مثلا ككائن اقل خبرة في الشئون الخاصة بالامور الدنيوية لا يحتاج الى تلك الاساليب الملتوية باللف والدوران حول قواعد وارشادات اجتماعية . ولكونه «همجيا صغيرا» لا حاجة مطلقا لتلك الوسائل من التعمية والتستر ، فهو لا يمكن ان يصدم بالشهوات الفطرية التي يمكن ان تؤثر تأثيرا مباشرا على عقل المراهق . فالرموز اذن هي التراث المتجمع والمحكم عمله منذ ظهور الانسان . ولكل عصر مجموعته من الرموز. ولقد طورت حضارتنا الحديثة الرموز واضافت اليها رموز العصور الغابرة فكان لنا منها مخزن غني عظيم في استطاعتنا ان نختار منه ما نشاء وقتما نشاء (٢) . والحلم الحديث غني بالمادة الرمزية التي يمكن ان تتأثر عصور التاريخ السحيقة التي ترجع بنا الى الصين القديمة ومصر واليونان والرومان . وكثيرا ما نجد من الاعمال الفنية ما يعبر بهذه اللغة الرمزية بوضوح اكثر مما تعبر به الاعمال المكتوبة . فمن الطبيعي اذن ان تكون احلامنا مركبة من موضوعات تقوم دائما مقام اشياء خاصة معينة في حياتنا .

اما الوسيلة الاخرى التي يمكن ان ترضى اللاشعور فهي عن طريق العصاب . وهو مؤثر آلي يتم بوساطته ارضاء اللاشعوري ، واشباع شهواته عن طريق اعراض خاصة وامراض وهمية . وفي العصاب ثمة نوع من الشهوات المتدفقة ترجع الى ايام الطفولة المبكرة ــ وكما يشبع الطفل اشتهاءاته ونزواته بالميل الخبيث العجيب الى الاخرين ، كذلك يفعل الفرد العصابي بوساطة شكاياته الذاتية . اما كبت الصراع الذي لم يجد حلا فانه يمهد السبيل للشكايات العصبية فيما بعد في الحياة . وفي العصابات الناشئة عن الحرب ثمة كبت للخبرات المؤلمة او الثائرة التي تبرز فيما بعد في صورة شكايات عصبية غير صريحة . ويبين الحلم في هذه الحالات الشهرة والتبريز ، ويحاول ان يقدم الى العقل الشعوري طبيعة الاشياء الموجودة المكبوتة . وللعصاب درجات مختلفات ، بعضها راسخ ثابت حتى لقد يحدث للشخص تغييرات خطيرة يتسبب منها في معظم الاحيان حال من حالات الجنون .

المبـــادىء

من كل هذا الذي اسلفنا القول فيه يمكننا ان نرى ان العقل في حقيقة الامر ميدان حرب تتصارع فيه قوتان هائلتان . انه صراع بين ما قبل الانسان الاكثر بدائية ، وبين القوى او الدوافع الانسانية الاجتماعية . والاداة العقلية البشرية تحدث مجرى ثابتا او تفريغا للطاقة . والغرض من هذا هو اشباع مبدأين عظيمين على اساسهما كان الوجود ، وكانت الحياة ، واي شيء يدخل في حياتنا انما يعتمد على هاتين القوتين ، اولاهما : « مبدأ اللذة » و « مبدأ الواقع » .

يعبر المبدأ الاول عن الصورة الاصلية للفعالية العقلية المشاهدة في العصور المبكرة جدا من الوجود الانساني ، وهذه الصورة هي المطالبة على الدوام وبالحاح بامتاع الرغبات لكي تمد اللاشعور باللذة بغض النظر عما يتأتى بعد ذلك من تبعات ، ومهما كانت العواقب . واقرب مثل لهذا ما نشاهده في الطفل الذي لا يهمه الا رغباته الخاصة فحسب ، والحاحه الدائب في طلب ارضائها ، وذلك في صورة غذاء او راحة او امومة. ولنذكر جيدا ان ليس فينا من تستعبده هذه السمة . وبملاحظة دقيقة يمكننا ان نرى هذه الشهوات الطفلية تستحوذ على المراهق بشيء من التحوير والتعديل.

وللوقاية من هذه القوى التي تحمل المرء على الاذعان لمثل هذه المؤثرات يتحتم عليه ان يقيم حدا ويبني سدا لتعويض هذه المشتهيات الطفلية حتى ولو لم يكن متحققا مما تكون اكثر هذه القوى . ولكن مع ذلك يفرض ستارا واقيا لصد الخطر الموجود في كل آن .

واما «مبدأ الواقع» من جهة اخرى ، فلديه من اجل موضوعه التكييف السوي والتوافق الطبيعي للتركيب العضوي لمختلف الحقائق في بيئته ، سواء اكانت مادية ام روحانية . ولكي يظل حيا يجب عليه ان يتبصر ويسلم بمطالب القطيع ، وبقوى الطبيعة ، وبالعوامل والمؤثرات المعقدة الكائنة في حياته والمحيطة به وببيئته . والعقل والمنطق هما الدعامتان اللتان يرتكز عليهما هذا المبدأ .

فالتحليل النفسي اذن ، كقاعدة اساسية ، هو الكشف والتنقيب عن اغوار اللاشعور في العقل ، والسعي في البحث عن اشياء عقلية مكبوتة وتقديمها الى الشعور . وبهذه العملية الاستكشافية يجدر بنا ان نعود ، في كثير من الاوقات ، الى عهد الطفولة ، ويجب ان يؤدي البحث والتقصي الى اشياء مكبوتة منذ زمن ورسبت في العقل .

واسلحتنا الرئيسية التي يمكننا ان نبحث بها عن هذه المكبوتات هي : الحلم ، والعملية التي تسمى «التداعي الحر المطلق» ومعناه بكل بساطة تلك الفكرات التي تخطر على البال حين يكون ثمة ايحاء ، ويكون الفكر مسموحا له بان يشتت ويهيم على وجهه ، ويكون الفكر موجها ليبرز بنفسه ما فات من حياته ، ولا سيما تلك الفترات التي يكون قد وقع له فيها حادث مؤلم او شاذ . وبعد ان تستبين هذه الاشياء العقلية المكبوتة ، وبعد ان تحل تقدم الى الفرد فيأخذ في التأمل والنظر في الامر برمته نظرة مختلفة متزنة، بروح رصينة رزينة وبجأش رابط رابض .

وباعادة تنظيم «مبدأ الواقع» بالطريقة التي يتطلع بها الانسان الى الاشياء ، سيكون في امكاننا في كثير من الاحيان ، ان ننحي عن انفسنا صفات عقلية مضنية. ولا يشمل هذا بالطبع الا الحالات العقلية التي لم تؤسس على تغيرات ثابتة في المخ وفي العصابات التي لم يرتد بها الفرد الى المستوى الطفولي او الصبياني لكي يضمن لنفسه اشباع مشتهياته اللاشعورية .

الاسكندرية **عبدالعزيز جادو**

صدى تيتوف

- ١ -

عرج النبي الى الفضاء بروحه
بخياله الممراع غب تأمل
واليوم يصعد تيتف بسفينة
من صنع آدم سابحا بجحافل
ماذا نروم من الفضاء ، تنازعا ؟
أفلا اكتفينا بالثرى المتخاذل
بالداء يذوي جسمنا ، بمصائب
وترى ، ومين قاتل ومهازل ؟
شتان ما بين النبي ورائد
لفضائنا يسعى بحد صياقل
فنبينا زرع الفضاء محبة
ورفيقهم ذر الدنى بهوائل

- ٢ -

في كوننا زاويه
أحببتها زاهيه
يا لونها الفاتن
يغلل الرابيه
من الفضا تيتف
أحسها حانيه
تدب فى قلبه
شوقا مع القافيه
ألم يقل تيتف
بأنها ساميه
لم يرض الا الثرى
لم يبغها فانيه
وليلنا طائل
نهارنا الراويه
ووزننا ريشة
في هبة الهافيه
هناك فوق الفضا
عوالم راضيه
لم نبتغي عالما
يلهو مع الطاغيه ؟
كالبرق تعدو سنو
ه ، تحمل الفانيه

- ٣ -

لنا الثرى كلنا
لنا السما العاليه
للطير للصخرة
للماء فى الخابيه
للنمل للنعجة
للهرة الجانيه
للزهر ، للنجمة
تشدو مع الساقيه
من ارضنا كلنا
نستنشق العافيه
وواحد روحنا
من ربنا ساريه

ثريا ملحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

ضمير الذئب

بقلم عدنان الداعوق

لا تكون كلماتي هذه آخر شيء لي في الحياة .. وقد لا تكون كلمة الوداع لهذه الحياة الطويلة الحافلة التي عشتها خلال السنوات الثلاثين من عمري . ولكنني بهذه الكلمات ، وبهذه الرسالة اودع ردحا طويلا من عمري ، فان عدت للحياة من جديد فستكون هذه الرسالة امامي كلما خطوت خطوة ، وكلما مشيت في درب الحياة الطويل .. ان كتب لي ان اخطو او ان امشي مرة اخرى . وان لم أعد فربما وقعت هذه الرسالة في يد شاب مشى اول الدرب الذي مشيت فيه فوجد فيها بعض العبر ، وبعض ما قاسيت من آلام ، فاتعظ وثاب الى نفسه ، وكفر عن ذنوبه وخطاياه قبل ان يستمر في الدرب المضني الاليم الذي ترديت فيه .

*

نشأت في بيئة صغيرة مؤلفة من والدين كان همهما الوحيد ان اعيش عيشة مرتاحة ، وان انال اكبر قسط من سعادة الحياة ، وكان والدي يعمل محاميا .. كان لامعا في المدينة سجلت له اوساطه نجاحا هائلا ، فاكتسب من وراء ذيوع صيته وعلو شأنه مكانة مرموقة يحسد عليها . وكانت امي انسانة بكل معنى الكلمة ، لم تحب شيئا في الحياة مثلما احبتني ، لانني كنت الثمرة الوحيدة لها من والدي بعد زواج ناجح دام سنوات ..

بل انني كنت اشعر تماما انها تحبني اكثر مما تحب والدي ، وتسعى كل طاقتها لتوفر لي الهدوء والراحة والرضى الذي كنت انشد مذ كنت طفلا حتى صرت شابا .

كانت هذه هي البيئة او العائلة التي ربيت ووجدت نفسي فيها ركنا من اركانها الهامة .

وافقت في يوم من الايام لاجد امي تبكي وتنتحب في غرفتها ، ولمحت والدي مسجى على فراشه ، يعوده اكثر من طبيب .

وسمعت عبارات مقتضبة مختصرة بأن والدي بحالة خطيرة ، وقد لا يرجى منه الشفاء . ورقد والدي في سريره اكثر من اسبوع ، واستمرت امي تبكي وتنتحب كلما خرجت من غرفته ، وتمسح دموعها وتعلق على ثغرها ابتسامة مصطنعة كلما قابلتني او كلما عادت اليه مرة بعد مرة .

الى ان وقعت الكارثة المرة صبيحة أحد الايام ، ففارق والدي الحياة بين ايدي اربعة من اصدقائه الاطباء .

ولبست امي السواد ، واصطبغ بيتنا الكبير بالحزن والمرارة والاسى والدموع ..

ولم يطل هذا الحزن والبكاء طويلا .. فما ان انقضت ايام معدودات على وفاة ابي حتى سقطت امي في الفراش مريضة حزينة .

وسمعتها تقول ، وربما كانت تلك آخر كلماتها التي سمعتها :

ـ « الحقني به يا الهي .. لن يطيب لي العيش بعده .. اما احمد ، فانت القادر الوحيد على رعايته .. لن اخاف عليه بين يديك يا الهي ..»

وفارقت الحياة ، بذات البسمة الساحرة التي كانت تدخل بها على والدي يوم كان مريضا في فراشه .

*

وهكذا ، بسرعة مذهلة تحطمت العائلة الصغيرة التي وجدت نفسي فيها ... وماتت جميع آمالي وصور سعادتي التي بنيتها منذ ان وعيت الحياة بصورها المختلفة المتباينة .

كنت اتمنى من الله ان لا تموت امي قبل ان تراني وقد بلغت شابا يافعا ودخلت الجامعة .. اذ كان موتها قبيل ظهور نتائج امتحانات الشهادة الثانوية ، فجلست في المنزل الكبير حزينا مكتئبا ، ادعو الله ان يأخذ بيدي ويكتب لي النجاح .

وكان لي ما دعوت الى الله .. فلباني المولى ، وانزل في قلبي الصغير الحزين بعض الرضى وبعض السرور .

لم افكر طويلا بالمصير الذي سوف اقدم عليه ، ولا بالحياة الجديدة التي ساحياها بعد ان فقدت عزيزيّ الغاليين .. فقد ترك لي المرحوم والدي ثروة لا بأس بها ، وتركت لي امي دعاءات كثيرة قبل ان يجمد لسانها في فمها وهي تذكر اسم الله معينا في محنتها الاخيرة .

فحملت نتيجة امتحاني وقد تنازعتني صورتان ، احداهما كئيبة سوداء موحشة ، والاخرى مقبلة جديدة تبشر بغد يبتسم ملوحا بانقضاء عهد المآسي ، والدخول في حياة الجد والمثابرة والنجاح .

دخلت كلية الطب ، وتلك كانت احدى امنيات امي ، فقد كانت تقول لي دوما :

ـ « أمنيتي ان اراك طبيبا يا احمد . طبيبا ولا ككل الاطباء في البلد . » ووجدت نفسي انني بهذا ابعث اليها باخلاصي وهي في مثواها الاخير .

وبكيت اول ليلة عدت فيها من الجامعة حتى الصباح .. ولم يغمض لي جفن او تنام لي خاطرة .

ولكنني وجدت في حياتي بالكلية بعض التسلية والترفيه عن حياتي القاتمة .. وربما كان من حسن حظي انني استقبلت حياتي تلك وانا متفتح الافكار ، لدى طاقات هائلة من الوعي والثبات والاقدام .. حتى انني لم اشعر بأي حرج وقد وقفت وحيدا في هذا العالم .. علي ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصارع ، وان اتحدى ، وان اقاوم لاثبت انني استطيع واستطيع ان اعيش ، وان استمر في الطريق الطويل .

كان علي ان التفت الى دروسي التفاتا كليا ، وان اصب جميع افكاري واحصرها في الغاية التي انا مقدم عليها .

ومرت الايام الاولى ، ودراستي في الكلية موفقة للغاية ، حتى انني حزت على اعجاب المدرسين، وتفوقت على غالبية زملائي .

ولكنني — رغم انني كنت في منتهى السعادة في دراستي ونجاحي، الا انني كنت اشعر بتعاسة خانقة تكاد تودي بحياتي الى الجحيم .

فحياتي في المنزل قاتمة، ووحدتي التي تشاطرني ايامي احس بها دوده كبيرة هائلة تنخر في قلبي ولا تترك فيه حتى النفاية .

لا يشاطرني المنزل كله الا صورتان للغاليين الراحلين تتصدران جدار الغرفة الكبيرة ، وشحنة هائلة من الذكريات اينما اتفق لي ان اجلس ، وحيثما وقفت بي الايام والساعات ، وركبت قطار الذكرى الاسود، فجعل يطوف بي من مرفأ لمرفأ .. وكل المرافيء قاتمة وجلها تسبح في بحار من الدموع المحرقة .

وكانت تقوم على خدمتي عجوز لم اعرفها الا في بيتنا ، ائتلفت الحياة فيه وتمرست على العادات والتقاليد التي لم يحاول احد من افراد العائلة الصغيرة ان ينبذها او يستبدلها او يطور منها ايضا .

وكثيرا ما كنت اسهر الليالي الطويلة حتى مشرق الشمس، تشدني سحابات افكاري من سماء لسماء ، فأرتد من كل واحدة بعد ان يبللني المطر ، ولا اقبض في يدي سوى حفنة من ريح .

وكنت محبوبا ومحترما في الكلية الى اقصى حد ، وكان يتسارع الرفاق الى مصاحبتي والفوز بودي الذي كان لديهم كالانتصار العظيم .

وكان الوحيد من بين كل هؤلاء الزملاء من استطاع ان يدخل قلبي ويحتل الجزء الاكبر من افكاري زميلة اسمها «غادة» سمراء كالسنبلة الناضجة قبيل الحصاد .

كانت تملك سحرا في الكلام ، وروعة في الحديث والتعبير ، وتولد عند كل من يجالسها رغبات ورغبات .

وجسدها الناضج المتليء كان يفضح بعضا من هذه الرغبات ، فيصرخ منها الزملاء ويستجير منها البعض بالله والملائكة .

ولا ادري لم آثرتني على غيري من كل المعجبين ، ربما لاني لم اكن متهافتا عليها كالاخرين .

واقتربت مني... واقترب موسم الحصاد .

وقلت لها هامسا ، وقد انفردت بها عن بقية الشلة :

— هل ترغبين ان تكوني سيدة هذا البيت يا غادة .. ؟

قلت لها رغبتي هذه حين احببت ان تكون اكثر قربا مني .. فقد اقمت حفلة صغيرة في منزلي ، فدعوت بعض زملائي لاجد بينهم «غادة» في منزلي ، قريبة مني .

كانت في المنزل الكبير اشبه بالهرة المدللة .. كانت تقفز من غرفة لغرفة، ومن مكان لمكان مبدية اعجابها الكبير بمنزلي وبوجودي فيه .

وحين اعلنت لها رغبتي لتشاطرني المنزل الذي اعجبت فيه ، لم تجد العبارة المناسبة .. فأسرعت افسر لها :

— نتزوج ، ونحن ندرس الطب معا .. ونعيش في هذا البيت سعداء سعداء .. وقد حرصت اشد الحرص الا تبدو السخرية المرة واضحة في لهجتي ، فقد كان من السخف الشديد ان افكر بغادة كسيدة لهذا البيت الكبير الذي فقد سيدته الوحيدة .

وابتسمت «غادة» بعد ان سمعت كلامي ، بغبطة خجلى ، واحمرت وجنتاها وهرعت من المنزل قبل ان تفلت من يدها امنية جميلة حلمت بها كل عذراء ...

*

وتوطدت بيني وبين « غادة » الصداقة ، وجمعنا الحب في بيتنا .. وطوتنا الليالي الصامتة بردائها الكثيف .

الى ان كانت ليلة احترق فيها الحصاد ، واشتعلت نيرانه تلهب الاجواء .. ولا تترك في الحقل الا الرماد .

والتقينا في اليوم التالي في الكلية ..

كانت « غادة » في منتهى السعادة والحبور يرفرف على وجهها بريق ساحر ووجد عميق . حدثتني طويلا، ولكنني لم انصت اليها .

لا ادري لماذا تبدت لي قبيحة كئيبة ، هائلة الدمامة .. نهرتها اكثر من مرة وقلت لها ان تبتعد عني وتتركني وشأني ..

والتفت بعض الزملاء على مناقشتنا .. وكانوا يتهامسون :

— ان غادة تريد ان توقع احمد.. ولكنها لا تدري ان قلبه قد من جلمود . وفي المساء جاءتني «غادة» الى المنزل .. ولما فتحت لها الباب ، تبدت لي حزينة وقد ضيعت اثمن ما في حياتها.. وكانت دموعها ترسم صورة واضحة للمأساة .

ولم اعبأ بها .. نهرتها ، ورجوتها الا تأتي الى المنزل الا اذا دعوتها . وقلت لها :

— انني آسف يا غادة على ما حصل .. اعتقد انه ليس بامكاني الزواج منك الان . وغابت عن عيني فجأة .. وصفقت الباب وراءها .. وعدت الى غرفتي اضيع بعض حزني في الخمر والشراب .

وتمرست بي عادة السكر .. ووجدت في الكأس سلوى ولذة ، وادمنت حتى لم يعد بامكاني ان امضي الليل الا والكأس رفيقي وانيسي .

وسمعنا بعد ايام قليلة في الجامعة ، ان « غادة » احدى طالبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلية الطب ماتت منتحرة بأن قطعت شرايين يدها دون ان يعرف احد سبب انتحارها .

ولكنني كنت الوحيد الذي يعرف .. ولم استطع ان اتفوه بحرف، فقد كنت وحدي السبب في سبب انتحارها .

*

وابتدأ الضمير ، ضمير الذئب ، ينتعش في اعماقي ويستيقظ ..

وابتدأت اغرقه واميته بالشراب والسكر ومعاشرة النساء .

كنت اريد ان اطفيء حياتي ، ولم اجد غير الخمرة والمراة مأوى وملجأ ...

تعرفت بامراة متزوجة ، وصارت تأتي اني كل يوم وتمضي معي اغلب الليل وتعود قبيل ان يعود زوجها العامل الليلي الى المنزل.. واصبحت شبه زوجة شرعية لي .

ثم تعرفت بفتاة ذكرتني « بغادة » العاشقة المسكينة التي انتحرت في ليلة صامتة ووجدت في العاشقة الجديدة رغبة جديدة جامحة .

واعلنت لها رغبتي فامتثلت لاحلامها الشابة اليافعة .. واحببنا بعضنا .

ولم ادر لم ارادت الاقدار ان تتكرر المأساة معي مرة اخرى.. فقد جاءتني يوما الى المنزل وكنت اغمر نسياني واحزاني وضميري في وحل كأس مترعة ..

واحبت ان تداعبني بالشراب ، فقدمت لي كأسا ، وقلت لها :

ـ دونك هذه الكأس يا «سلمى».. ان كنت تحبينني فبرهني على ذلك باجتراعها حتى الثمالة ..

فأخذت «سلمى» الكأس من يدي، وافرغتها مرة واحدة في جوفها .. ثم ما لبثت ان رمت الكأس على الارض ، وارتمت بين يدي وهي تتمتم سكرى :

ـ متى سنتزوج يا احمد .. متى ؟

وهبطت عاصفة عاتية من النيران على الحقل .. وكان الحصاد هشا يابسا جافا ، وكان طعمة رائعة للنار.

وبعد لحظات قصيرة كان الحقل.. كل الحقل رمادا .

وعند اول بشائر النهار ، كنت اترك «سلمى» عند المنعطف القريب من منزلها وهي لا تكاد تتبين الصور القريبة منها الا خيالات واهية من اثر السكر والشراب .

وكانت تلك الليلة آخر عهدي بسلمى ...

فقد اعلمت خادمتي العجوز الا تسمح لها مرة اخرى بالدخول للمنزل حيث اضحت كلمة « متى نتزوج » تتردد وتتضخم اصداؤها ، وتملأ



عدنان الداعوق

•

نفسي حقدا وكراهية على كل من تحاول ان تصبح زوجتي وسيدة هذا البيت .

*

واستيقظ الضمير ، ضمير الذئب ، مرة اخرى .. فنحيته عني واغرقته ، ولكن شبح ظله ظل يطوف فوق بحيرات ايامي فيوقظ في المأساة ، ويوضح لي ما جنته يداي الآثمتان .

احترت في امري ، وضاقت بي الدنيا، وتمثل لي الموت بأبشع الصور واحلاها .. ولكنني كنت في منتهى الجبن والخذلان ، فما ان اقترب منه حتى اهرب .. ثم اعود فأهرب من جديد .

لم اعد استطيع الحياة ولا اقوى على الهرب لانني اضعف بكثير من ان اهرب .. فالهارب ، حتى الهارب يحتاج الى قليل من شجاعة ، اما انا فلم يكن عندي منها ذرة واحدة .

تمثلت لي حياتي المحطمة واضحة .. طالب في كلية الطب بالسنة الثالثة ، وابن احد كبار المحامين المشهورين بالبلد ..

ما نهايتي .. وما مصيري ... ؟

قررت ان اهرب من اسهل الطرق وان انزوي عن العالم وان انقطع عن رؤية كل الناس ، واقبع في وحدة بعيدة اجتر مآسي وذكرياتي وآلامي .. وافرغ ما لدي للايام فهي خير من يفهمني ويعينني على النسيان .

تصنعت المرض ، فذهبت الى طبيب الكلية اعلن له ان بي مرضا خبيثا ، وقد لاحت لي بشائره منذ القريب القريب .

ولجأت الى حيلتي هذه هربا من الجو الذي اعيش فيه .

وتمثلت احد المصحات خير مكان يؤويني ، فابتعد عن مسرح مآسي وجو آثامي واعيش في البعد ، وقد اشعر هناك بالراحة .

وبقيت تحت الكشف الطبي اكثر من ثلاث ساعات ، واستدعى طبيب الكلية اثنين من زملائه، وجعل الثلاثة يكشفون علي .

وفي النهاية ، اقترب الطبيب مني وقد لاحت على وجهه بوادر الحزن العميق والالم المفضوح ، وقال لي :

ـ يجدر بي ان اصارحك الحقيقة يا احمد .. انك مريض بالتدرن الرئوي ، وفي الطور الثاني منه ، وليس كما حسبت انت .. علينا ان نبعث بك الى احد المصحات لتمكث هناك عاما كاملا .. ويمكننا بعد ذلك ان نجري لك عملية استئصال رئتك اليسرى التي اصبح الامر ميؤسا من شفائها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رياح الظهيرة

* * *

فتح الافق في المدى الطلق عينيه ، وللشمس نبع حلم ... تفجر كيف تنسل ؟ ! والظلام المدمى شد في قبضتيه فجرا مقعر كاد يغمى عليه ! ! ، لولا بقايا من جنون الخطى الجريئات تزار خلفت للرياح نافذة الصحو ، وراحت تجر نعشا معفر ! فض اشباحه الحزانى سرابا من هشيم السديم في كل معبر شدت الشمس ظلها فوق كفيه ، فما عاف عقمه ، او تضجر سل طيفا مشوها من خيوط الشك ، والتف بالثرى وتدثر واستفاق اللهاث ، ظمآن كالاثم تعرى في معبد يتحسر والخطايا على الهجيرة تشوى كلما اهتاج سرها ، وتكبر ! تغسل الشمس دربها ، وترش الافق غرسا من الشظايا مسعر فتمطى صدى السكون المسمر وتفرى على السراب المعطر ! مر في حلمه شرود الليالي وذهول الخيال من فجر عبقر وتراءت له الطيوف الصديئات شتيتا من الضياع المقدر حملتها القوافل الشهب في الفيهب سرا الى الضحى السمح بيدر من جنون ، وشهوة ، وارتعاش ، وشحوب من السرى الجهم منكر وتبدى على الصحارى رفات الابد البكر ... راهبا يتعثر ! شفه القيد ، فانتحى يأكل الحرمان من جوعه المميت المعصر شربته العصور من كاسها الحمراء حتى تقيأ النتن ... عنبر وسرى في جداول الجدب كوثر وانتشى في مضاجع الزهر .. خنجر وغفت فوق مذبح الريح رؤيا الموت ، لفت من الدجى العف مئزر ثم مدت على الصموت وشاح الوهم ، يلتز باللهيب المسمر وهوى الافق راكعا ، وحنايا الشمس غرقى مع السكون المقعر عبر اكواخه التريبات غابات جراح يشدها الف مزهر تحصب الشوك في الضحى ، ويموت السرو ليلا ، ويستجير الصنوبر عزفت للرياح اسطورة النار ، وجفت لهاتها مثل مرمر ! وترامت عناكب الوهم تمتص أساها كأنه بعض سكر ! ...

بغداد — علي الحلي

واردف قائلا وانا لا اكاد اسمعه :

— ولعل السهر الطويل في الدراسة والجد قد ارهق صحتك واتعب جسمك ، ولا بد من هذه الراحة .. فتوكل على الله واستعن به . فالامر في غاية البساطة ولكن عليك ان تعتني بنفسك .

*

وها انذا قد فرغت باختصار من حكايتي ، وانا في طريقي الان الى المصح ، ولا ادري هل ستكون هذه الكلمات هي وداعي للحياة ، أم انني سوف اقبل عليها من جديد برؤح جديدة وقلب جديد وضمير نقي .. واعتبر ان ما قاسيت هو انتقام الحياة مني ومما اقترفت من خطايا وذنوب ؟

حمص — عدنان الداعوق

اصل القبلة

بقلم الدكتور بيدنل — ترجمة مبارك ابراهيم

* * *

كان الشعراء القدماء من الاغريق يسمون القبلة « مفتاح الجنة » . ولما كانت القبلة لا تستقبح الا يوم يذبل غصن الشباب الرطيب فقد كانت دائما موضع ابحاث لا تنقضي ..

ومما يحكى ان شاعرا فكها طروبا قال فى احدى قصائده: ان القبلة يجب ان تحس احساسا .. وانه لاولى بالناس واليق ان لا يخوضوا فى حديثها ..

ومهما يخطىء الناس فى حق القبل فان الشعراء المغنيين من عهد ابيهم الاول « هومير » حتى يومنا هذا يدعونها باحسن اسمائها ويثنون عليها اطيب الثناء واعمقه ويتغنون فيها بأرق الشعر واعذبه .

ونحن هنا نحاول ان ندرس القبلة فى مختلف اشكالها ومشتقاتها كما نحاول ان نتقصاها من خلال اتاويه الزمن.

ولا بد لنا ونحن نجوب تلك الاتاويه من اللجوء الى الفروض آملين ان تبلغنا تلك الفروض حرما آمنا تستقر في كنفه النتائج المستخلصة . ونحن قائلون ان هناك صنوفا من القبلات واشكالا فهناك قبلة الهوى الجارف التي طبعها « فاوست » ــ وهو يذوب جوى وحبا ــ على شفتي (مارغريت) . وهناك قبلة الغدر التي خان بها يهوذا الاسخريوطي سيده . وهناك القبلة المدوية التي نزل بها « جوهانسن الغوطي » على خد فتاته . وهناك القبلة التي لا يسمع لها صوت وهي التي يسمونها قبلة الفراشة وهي تلك القبلة التي مسحت بها « ارتميس » على شفتي الفتى الراعي الجميل « انديميون » وهو نعسان (تقول الاساطير الاغريقية ان ارتميس او «ديانا» قد جعلت فتاها انديميون بقوة سحرها دائم النعاس . وذلك لكي يتاح لها ان تجيئه وتقبله كلما شاءت وشاء لها الهوى) .

والرومان القدماء كانوا يعرفون ثلاثة الوان من القبل وهي : OSCULA وهي قبلة الصديق للصديق ومكانها فوق الخد و BASIA وهي قبلة الحب ومكانها فوق الفم و SUAVIA وهي قبلة الهوى الجارف ومكانها بين الشفتين . وانه ليقال ــ عندما يراد التحدث عن القبل بصفة عامة ان القبلة فوق الجبين علامة التوقير . والقبلة فوق الخد علامة الصداقة والود . والقبلة فوق اليد علامة الولاء والقبلة فوق القدمين علامة الخشوع والخضوع . اما القبلة فوق الفم فعلامة الحب المكين .

والقوم في فرنسا اليوم يرون في القبلة التي تطبع على الفم ــ الا بين حبيبين ــ جريمة اجتماعية يستعدى عليها القانون ويسأل من مثلها العافية .

وفي فنلندا حيث الاستحمام بين العراة من الجنسين لا تحده الحدود ولا تصده القيود تعتبر القبلة في الفم أمرا يجافي الوقار .

وعند الاوروبيين وكذلك عند الاقوام المتكلمين بالانجليزية تعد امرا محدثا نسبيا . وآية ذلك ان الباحث في مفردات اللغات السلتية لن يجد كلمة تعبر عن القبلة.

والمفروض ان قبلة الفم قد خضعت لقانون التطور فبدأت بوضع الوجه على الوجه وهو لون التقبيل عند الشعوب البدائية .

اما حك الانف بالانف وهو لون التقبيل عند سكان الملايو وسكان جزائر بحر الجنوب فهو مرحلة متقدمة من مراحل التصاق الوجه بالوجه وهو ما يشاهد كثيرا عند صغار المحبين من اقوام الاسكيمو اذ هم يحكون انوفهم في رقة وحنان بالغين .

واقدم موطن من مواطن التقبيل بالانف هو الهند القديمة (سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد) ثم تبعه بعد زمن مديد التقبيل بالفم ثم انتقلت القبلة ــ كما يبدو ــ من الهند الى الصين شرقا ثم غربا الى بلاد فارس واشور وسوريا واليونان وايطاليا ثم أوروبا بوجه عام .

ولبعض الاسباب الغامضة يبدو ان القبلة لم يستقر بها النوى في مصر .

ويحدثنا المؤرخ هيرودوتس فيقول ان الفارسيين ممن تكافأ مقاماتهم كان يقبل الواحد منهم حبيبه في فمه . اما من قامت بينهم الفوارق فالخد هو مكان التقبيل عندهم .

وفي الهند لا يقول الواحد من أفراد القبائل الجبلية لحبيبه « قبلني » ، انما يقول له : « شمني » . ومن الغريب ان الصينيين وهم المتقدمون نسبيا في مراقي الحضارة لا يزالون مبقين على العادة القديمة في التقبيل وهي امرار الانف على صفحة الخد ثم اخراج نفس من الانف .

ولا مراء في ان الصينيين ينظرون الى القبلة عند الاوربيين نظرة مستقبحة ويرجعونها الى اثر باق من آثار الاقوام آكلي لحوم البشر .

وفي الهند الصينية كثيرا ما تلجأ الامهات الصينيات الى تخويف اطفالهن بأنهم ان لم يرعووا ويرجعوا عن غيهم فسوف يقبلنهم قبلة الاقوام البيض .

وليس عند اليابانيين كلمة يعبرون بها عن التقبيل . والقبلة عندهم لا تكون الا بين أم ووليدها . ويستطيع

● هذا المقال فصل ملخص من كتاب بعنوان « أصل القبلة » للطبيب الجراح الانجليزي بيدنل .

The Origin of the Kiss, C. M. Beadnell.

الوالد عندهم ان يقبل اطفاله الى ان يعرفوا كيف يمشون.

وفي بلاد فلسطين الحديثة لم تتغير مظاهر القبلة الا قليلا منذ ذلك اليوم الذي نزل « عيسو » على عنق يعقوب وقبله (ورد في انجيل لوقا في الاصحاح الخامس عشر قوله : فقام وجاء الى ابيه . واذ كان لم يزل بعيدا رآه ابوه فتحنن وركض . ووقع على عنقه وقبله) .

ومما يروى ان احد الرحالة قال : ان الافريقيين لا يعرفون قبلة الاوروبيين ابدا . وهو يذكر انه قبل ذات مرة فتاة من اهل تلك البلاد قبلة على الطريقة الانجليزية فارتاعت الفتاة وذعرت ذعرا شديدا .

والراي عند اقوام جزيرة مدغشقر ان النفس الذي يتنفسونه من انوفهم انما هو انبعاث ينطلق منهم الى نفوس الاخرين . وهو امتزاج بين روح واهب القبلة وروح آخذها .

ولقد تغلغلت القبلة في الحياة الجسمانية عند الاقوام البدائيين كآية على الحب الاموي والجنسي حتى اصبحت سنة محكمة من سنن الاحتفال لدى الطبيب والكاهن . فالكاهن الذي يعمد الصبي يقبله .

وكذلك يقوم الكاهن بتقبيل آثار القديسين بل بتقبيل الاغطية التي تغطى بها الاشياء المقدسة . وكذلك ايضا يقوم الشمامسة بتقبيل الكاهن الاكبر ومن معه من الكهنة.

وفي انجلترا كان التقبيل حتى القرن الثامن عشر يقوم على ان يكون مكانه في الخد عند المتكافئين في المركز الاجتماعي . اما افراد الطبقات الدنيا فكانوا يقبلون ايدي العظماء او اقدامهم او اردیتهم .

والانحناءة عند الشرقيين انما هي قبلة من الدرجة الثالثة وهي لون من الوان التحية من الادنى الى الاعلى وكذلك الى ذوي القوة والسلطان .

ويبدو ان الانحناءة البسيطة التي تؤديها اليوم الى سيدة من معارفنا وكذلك تقبيل الارض كعلامة للتوقير عند سكان بعض الانحاء القاصية انما هما منقولان عن الحيوانات التي تربض اذا احست بخطر داهم .

واشارة كتاب العهد القديم « الى لحس التراب » تذكرنا بعادة تقبيل الاقدام او تقبيل الارض في حضرة ذوي السلطان . (انظر المزامير ٧٢—٩ حيث جاء « امامه تجثو اهل البرية واعداؤه يلحسون التراب ») .

والكلمة العبرانية (هستاوا) وهي التي تؤدي كذلك العبادة تؤدي كذلك معنى الانبطاح. والعرب يحيون ذوي السلطان عندهم بتقبيل الارض بين ايديهم . اما الفرس فيلقون بانفسهم على الارض .

والبوذيون الذين يحجون سيرا على الاقدام الى (لاسا) ينبطحون ثلاثين الف مرة في الاميال الستة الاخيرة من الطريق المؤدي اليها .

اما التحية بهز اليد فيبدو انها اشتقاق حديث من طريقة تقبيل الوجه كما يبدو ان تقبيل اليد هو حلقة متصلة من تلك السلسلة ، سلسلة تقبيل اجزاء الوجه .

والفرسان القدماء كانوا يتبادلون القبل . اما المحدثون من لاعبي التنس ومن الملاكمين فتحيتهم هز الايدي قبل المباريات وبعد انقضائها .

والتحية بين الاكفاء في البلاد المراكشية تقوم على ان يمسك الواحد يد الاخر ثم يقبل كلاهما يده هو لا يد صاحبه .

اما رعايا الاباطرة الرومان فكانوا يعبرون عن ولائهم للامبراطور بأن يلمسوا ثوبه بأيديهم ثم يقبلون تلك الايدي .

وتحية التوقير عند التركي هي انه بعد تقبيل يده هو يرفعها الى جبهته .

ويصف «سير ريتشارد برتون» (المستشرق والمستكشف الانجليزي المتوفي عام ١٨٩٠) المسلمين وهم يحيون الكعبة والحجر الاسود فيقول : انهم يقبلونهما وذلك بلصق ايديهم وجباههم وخدودهم وبطونهم وصدورهم بهما .

ولهم طريقة اخرى في تقبيلهما وهي ان يلمسوهما باليد اليمنى ثم يقبلون اصابع تلك اليد .

وكان العرب قبل الاسلام بزمن مديد يقبلون ايديهم تحية لآلهة الرياح ، وكذلك كان قدماء الاغريق يفعلون في تحيتهم للشمس والقمر .

اما الاتقياء من الرومان فكانوا يرفعون ايديهم اليمنى الى افواههم ثم يقبلون تلك الايدي ويلوحون بها الى الآلهة .

ومن ثم يرى الباحثون اننا في عصرنا الحاضر ونحن نلوح بأيدينا عند توديعنا لاحبابنا وقد ازمعوا سفرا بعيدا انما نكرر ما كان يفعله الاتقياء الوثنيون وهم يحيون اوثانهم التي كانوا يعبدون ! واليوم يحذو حذوهم رجال الاديان وهم يرفعون ايديهم اثناء حفلات منح البركات وما يشبه تلك الحفلات .

ويندرج تحت باب محاكاة تلك العادة ما درج عليه نظار المدارس وآباء التلاميذ من هز اصابعهم السبابة علامة الانذار والتحذير للعصاة من تلاميذهم . وكذلك من المحتمل كل الاحتمال ان يندرج تحت ذلك الباب رفع اليد عند رؤساء اللجان ورؤساء مجالس الادارات لكي يلزموا الاعضاء بالسكون وكذلك عند رجال الشرطة والمشرفين على فرق الكشافة ليوقفوا حركة السير او حركة المرور .

واني لأذكر اني كنت صاعدا ذات يوم في نهر من انهار افريقيا وكان البرد قارسا فرايت جماعة من القردة الكبار وقد اقبعت وولت وجوهها شطر الشمس وقد رفعت ايديها الى رؤوسها وكأنها تريد ان تحيي اول قبس من حرارة الشمس وتشكر للشمس المتفضلة على ما اولتهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من صنع حسن جميل بعد أن قاسوا من ظلمة الليل وبرده ما قاسوا .

وبعد فقد ظل الفم وظلت اليد قرونا وقرونا وهما يشتركان في علامة القسم . والمعروف ان السر واللباب في كل قسم يحلف به انما هو كائن في تلك القوة السحرية التي تنطوي عليها الكلمات الملفوظة التي توحي بنزول اللعنة على الحانثين والكاذبين .

وعند كثير من أصحاب الديانات العليا تلمس الكتب التي يقدسها أصحاب تلك الديانات وتقبل اثناء تأدية القسم .

وفي العصور الوسطى كان مؤدوا القسم يضعون ايديهم فوق كتابهم المقدس . ثم تتابعت بعد ذلك عصور كان الكتاب يرفع الى الشفتين ويقبل . وجميع تلك الطقوس والافعال لا بد انها بدات بالطقوس القديمة طقوس لمس المعبودات وتقبيلها .

وعند الاقوام الساميين الاولين كانت قبلة التحية عادة سائدة ولكنها لم تكن قبلة في الفم .

والتقبيل بين الجنسين كان لا يلقى الترحيب عند الاحبار من اليهود القدماء . وكذلك كانت تلك العادة لا يقرها المسيحيون الاولون اذ كانوا يعدونها عادة من عادات الهمج والرعاع . ومع ذلك فقد جاء القديس بولس فدفع بهذه العادة الوثنية ، عادة التقبيل وأوصى رعيته بأن يحيي الواحد أخاه بتقبيله قبلة مقدسة . واخيرا استحالت تلك العادة الى عادة مستقبحة وبخاصة في تلك الولائم التي كانت تدعى بولائم الحب وهي الولائم التي كان يولمها المسيحيون الاوائل ويجمعون فيها الصدقات للفقراء والمساكين فاضطرت الكنيسة ان تتدخل فتصدر قانونا يجيز للرجال ان يقبلوا الرجال ليس غير وللنساء ان يقبلن النساء ليس غير .

ويمكن للباحث اليوم ان يستدل على علاقة القبلة بالحياة الدينية القديمة بالعادة الواسعة الانتشار في عالمنا هذا وهي عادة لثم التماثيل وتقبيل آثار القديسين وبخاصة عند اولئك الذين حلت بساحتهم الامراض وهم يسألون البرء ويرجون الشفاء .

ومن الآثار الباقية للقبلة في غالبية البيوت اليوم تلك العادة التي تقوم على تقبيل الام لموضع الالم في جسم طفلها وذلك طلبا للبرء وتعجيلا للشفاء . ومما يبعث العجب ابلغ العجب ذلك الاعتقاد الذي يوحي بأن قبلة الله تستتبع – في نظر اليهود – انقضاء الاجل فهم يظنون ان الرجل التقي الورع يموت في اثر قبلة من فم الاله . وهم يقولون لمن يحاجهم في ذلك : ألم يلق موسى وهارون ويعقوب وغيرهم من ابطال الاسفار المقدسة حتفهم على اثر قبلة رحلوا بعدها الى عالم افضل ؟ .

هذا واننا لنكتفي بما اسلفنا من الحديث عن القبلة والتقبيل ونتحدث عن اللمس فنذكر كلمة تنسب الى فيلسوف بل الى واحد من اساتذة الفلسفة هو «الكسندر بين» المتوفي عام ١٩٠٣ وهي قوله : ان اللمس هو الف الحب وان الاحتضان الذي يكون بين ذكر وانثى هو « ياء » الحب وغايته . وكذلك نذكر كلمة تنسب الى العالم النفساني الالماني « هي دنهين » المتوفي عام ١٨٩٧ وهي قوله : ان لمسة رفيقة تزيد من يقظة العقل .

القاهرة

مبارك ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا قلب

جوزيت يا قلب حق الحب حرمانا ... فما سخطت ولا آثرت كفرانا

كبحت جامح يأس انت ملبسه ... برد التصبر ثبت الحس ظمآنا

فلا يضيرك سهم الغدر منصلتا ... ولا يسؤوك ان ترتد اسوانا

ما بت تندب ما املت من متع ... الا لتجرع كأس البين غصانا

حباتك .. الطهر رياها وصبغتها ... ارخصتها في سبيل الحب مذعانا

غرست في أخصب الاحلام بذرتها ... وسقت دمعك ري الغرس هتانا

ما انبتت غير غصات مرارتها ... ان ارهقتك فما املتك سلوانا

حتام يبعثك التحنان مصطفقا ... بين الضلوع فلا تستطيع نسيانا؟

حسب الهوى منك آمال خفقت بها ... دهرا وضاعت فما ازمعت طغيانا!!

القاهرة

سلامه خاطر



عبد الغني العطري

كيف ولماذا نضحك ؟

بقلم عبد الغني العطري
صاحب مجلة « الدنيا » الدمشقية

* * *

الضحك تعبير عما يخالج النفس من سرور وحبور ، كما ان الدموع دليل على ما يضطرب فيها من حسرة وألم . اراد الكاتب الفرنسي ، فرانسوا رابليه ، منذ مئات السنين ان يعرف الانسان فقال انه حيوان ضاحك . وهذه صفة ما اجمل ان يعرف بها الانسان ، كما يعرف بالنطق ، فيقال ان الانسان حيوان ناطق .

ولقد ادرك علماء النفس اليوم ما للضحك من اثر في حياة الانسان ، وتحويل تشاؤمه الى تفاؤل ، ويأسه الى امل ، وكآبته الى سرور ، فاوصوا بالضحك ودعوا اليه ، حتى ان واحدا منهم رأى ان خير علاج يجعل الانسان يستقبل الحياة بنفس فرحة طروب ان يضحك كل يوم عشر دقائق ضحكا عميقا يخرج من اعماق القلب . واذا لم يجد ما يضحك فليصطنع الضحك ، وليذكر حوادث تدعو للضحك . واذا خانته الذاكرة فليقرأ صفحة الفكاهة في بعض المجلات وليضحك ، فمن يضحك تضحك له الدنيا !

ولكن ما هو الضحك ؟ وكيف تتم عملية الضحك ؟ وما هي اسباب الضحك ودواعيه ؟.

يقول الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون في كتابه عن « الضحك » ان الضحك ينتج عن مشاهدتنا الاوتوماتية في الحياة ، اي اننا في كل مرة ننتظر ان نرى حركة موافقة لما تقتضيه الحياة الحرة ، فنجد بدلا منها حركة لا تنبيء عن الحرية ، وليس لها مساس بذاتية الشخص وانسانيته (باعتباره انسانا حرا) ، بل على العكس تكون كأنها صادرة عن آلة جامدة ، فاقدة الوعي ، وقدرة التكيف والتلاؤم مع الظروف ، في كل مرة نرى ذلك نضحك مرغمين .

هذه هي خلاصة راي برغسون في كيفية حدوث الضحك ، ولنضرب الان مثلا يؤيد ما ذهب اليه برغسون ، ويوضح نظريته هذه :

لنفرض أن رجلا آليا يسير كالآلة ، دون ان يتكيف بما توجبه ظروف المسير ، يصطدم بجدار ، او يسقط في حفرة ، دون ان يتحاشى الاصطدام ، او يتجنب السقوط ، وسبب ذلك بالطبع انه انسان آلي ، لا يملك القدرة على التكيف مع الظروف . وفي كل مرة نرى مثل هذا الحادث نضحك مرغمين ، وان كان في المشهد ما يدعو لبعض الاسف!

وهاكم مثالا آخر يؤيد ما ذهب اليه برغسون :

في احد افلام الممثلين الهزليين لوريل وهاردي ، يشتغل اولهما سائق سيارة . وقد اعتاد لوريل ان يسعف سيارته بالبنزين كلما « مرضت » ، فيأتي « بقمع » كبير يضعه في محركها ثم يصب لها الدواء !! ومرض ذات يوم صديقه هاردي ، ولم يستطع مزاولة عمله . فلما عاده الطبيب ، ووصف له شرابا ، جاء لوريل بالشراب ، واضجع صديقه المريض على المنضدة ، واخذ يصب الدواء لهاردي في فمه بقمع السيارة ، الذي اعتاد ان يصب فيه البنزين !..

هذا مشهد مضحك حقا ، يثبت لنا ما ذهب اليه برغسون . فسائق السيارة الذي اعتاد ان يصب البنزين في سيارته بالقمع الكبير ، لم يستطع « التكيف » حسب الظروف التي تقتضيها الحال ، ولم يدرك — او لم يشأ ان يدرك — ان العلاج يعطى للمريض بالملعقة ، لا بقمع السيارة الكبير !..

وللضحك اسباب وعوامل كثيرة — عدا ما ذكرت — منها الشعور بالتفوق . فنحن نضحك في كل مرة نرى فيها رجلا يترنح سكرا في الطريق ، ويتفوه بالفاظ لا منطق فيها ولا نظام . وكلما زلت به القدم فسقط او ترنح ذات اليمين وذات الشمال ، شعرنا باننا متفوقون ، واننا جديرون بالضحك منه . ولكن هذا النوع من الضحك كثيرا ما يشوبه العطف والشفقة .

ونحن نضحك ايضا حين نرى ان رجلا اطارت الريح قبعته عن راسه ، في الشارع العام ، فأخذ يعدو وراءها ، وهي تتدحرج امامه مسرعة ، دون ان يستطيع ادراكها . ولكن ضحكنا هذا لا يمازجه العطف والشفقة ، بل يشوبه السرور والسخرية ، لانه لم يحسن وضع قبعته والريح عاتية ، ولم يدركها قبل ان تقذف بها العاصفة عن راسه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونضحك ايضا من الطفل الذي يريد الكلام فيخونه لسانه ، ويبغي المسير فتزل به قدمه ، ولكنه ضحك ماؤه الحب والعطف والاشفاق .

ونضحك من الابله والجاهل ، حين يرتكب واحدهما خطيئة ، او ينطق بما لا ينطبق على الواقع والحقيقة ، او يعجز عن قراءة او كتابة .

نضحك فى هذه الحالات الكثيرة وغيرها ، ونغرق في الضحك ، لاننا نشعر بالتفوق ، وندرك اننا خير من اولئك الذين يترنحون من السكر ، او يخونهم النطق ، او يفوهون بما ينم على جهلهم ، والى ما هنالك من خطيئات تمر على مشهد منا فتثير فينا الضحك ، وتشعرنا بالتفوق على من يثيرون فينا هذه العاطفة .

ومن دواعي الضحك ايضا ، تركيب القضايا المنطقية تركيبا اعوج . فنحن نضحك مثلا من ذلك الطفل الذي يرى اباه امام المرآة منهمكا فى حلق لحيته ، فيصر على ان يتناول السلاح من ابيه ، ويضع الصابون على وجهه ، ويحلق لحيته ، كما يصنع ابوه سواء بسواء ، دون ان ينظر الى الفارق بينه وبين ابيه ، ودون ان يدرك النقص الذي يحول دون تحقيق رغبته .

واكثر ما يتجلى وضع الامور فى غير موضعها ، او تركيب القضايا المنطقية تركيبا فيه نقص واختلال فى افلام السينما الهزلية ، فالممثلون الهزليون يتعمدون دائما الوقوع في خطيئات فادحة لاضحاك الجمهور واثارة اعجابه ، فلوريل وهاردي مثلا قد ادخلا السجن فى احدى رواياتهما ، ثم استطاعا الافلات منه . ونعما بالسكر والنزهة وهما طليقان . فلما طاردهما الحراس فى الطريق ، هربا الى باب السجن يلتمسان الخلاص هناك !!. قياس منطقي وبلا شك ، ولكن النقص ظاهر فيه للمتفرجين ، وان لم يظهر للممثلين ، على حسب الدور الذي كانا يمثلانه .

هذان هما السببان الرئيسيان للضحك ، وكل حادث او مشهد يدعو للضحك ، لا بد ان ينطبق على احدى حالتين:

اولا ــ تصرف آلي من الانسان ، يظهر فيه عدم قدرته او رغبته بالتكيف ، حسب الظروف والموجبات .

ثانيا ــ وضع الامور فى غير موضعها ، او قياسها بمقياس فيه عوج واختلال .

ومن الجدير بالملاحظة ان الضحك كثير الشبه بالتثاؤب، وكلنا يذكر قول الشاعر العربي :

تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد بعدوى فما اعدتني الثؤباء

من هنا ندرك وجه الشبه بين الضحك والتثاؤب، ونعني بذلك انتقال الضحك بالعدوى . وكثيرا ما يضم واحدنا مجلس يتضاحك فيه القوم ويتنادرون، ويضج فيه الناس. وكثيرا ما تمر نادرة تدعو للضحك، وتفوت احد الجالسين، ولكنه بالرغم من ذلك يضحك ملء شدقيه ، ويقهقه عاليا، لان المكان يضج حوله بالضحك والضاحكين ، ولان عدوى الضحك قد سرت اليه مسرعة ، فملأت قلبه وكيانه ، واشاعت الغبطة والحبور فى نفسه .

والانسان من عادته الا يضحك الا مجتمعا . ويقال ان الانسان لو نشأ منفردا لما عرف الضحك . وهذا حق لا غبار عليه . واذا ما تناول واحدنا كتابا او مجلة على انفراد، وقرأ نادرة او حادثا يدعو للضحك، فانه يتبسم، ولا يضحك مهما بلغت النكتة او الحادثة حد الطرافة ، الا فى حالات نادرة . ويؤكد بعض الاطباء ان مرضى العقول لا يضحكون وهم فى عزلتهم الا حين يتخيلون انهم مع اناس اخرين ، فيطيب لهم عندذاك الضحك والسرور .

ذلكم هو الضحك، وتلك هي موجباته ودواعيه، اوجزتها فى هذا البحث . واذا كان لي ما اوصي به القارىء ، قبل ان اختم هذا الحديث ، فهو ان يضحك ، وان يغرق فى الضحك ، وان يكثر منه ما استطاع ، فالضحك يقتل التشاؤم واليأس ، ويقضي على الهموم ، ويجعلنا ننظر الى الحياة بمنظار فيه التفاؤل والامل والشباب . ومتى نظرنا الى الحياة نظرة تفاؤل وامل ، هانت المصاعب ، وتبددت الآلام ، ورأينا الدنيا بأسرها غادة حسناء ، ترقص لنا وتمرح ، وتحاول ان تسقينا كأس السعادة حتى الثمالة .

دمشق — عبد الغني العطري

اهفو اليك

اهفو اليك والليل ساج
والكون غارق في سباته الهادىء العميق
احن اليك والشوق مستعر
ياكل قلبي كما تاكل النار الهشيم
ارنو اليك والنجم شاحب
اثار غيرته فرط ولعي بك
ابتهل اليك ، وفؤادي واجف
ان تحل حبي في شغاف قلبك
يا ليتني لم اعرف الهوى
ولم احلم بدوام الوصال
يا ليتني لم انعم بقربك
ولم تجتل عيني محياك
ولم تلتق نظراتنا عبر لجة الوجوه
ويا ليت يدي لم تستقر بين يديك
ويا ليت صوتك الساحر لم يسبر اغوار
قلبي ولم يلمس اوتاره في تحنان
جمعنا القدر ، ثم عاد يفرقنا
ولم يبق لي سوى الذكريات

واشنطن — صفية ابو شادي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرى لا تغيب

بقلم الدكتور علي شلق

من الذكريات ما يلازم الذهن ، حتى كأنه كياني لا ينفصل عن شخص الانسان. نحن ذكريات، تمتد من اعمق موجات الماضي الى الحاضر ـ هذا الخط الوهمي ـ لتكون المستقبل . عالم الحس المباشر يتألف من المدركات التي تقع امام بصرنا ولمسنا وسمعنا . عالم الذكريات يستفيق اذا اعددنا له جوا خاصا من التأمل ، من تجميع الذات .

ينساق نسمة نسمة انسياق خلجات الموسيقى ، في السمفونية البديعة ، فيتم بالذكريات خلاص من الواقع ، كما يتم بالموسيقى الخلاص عينه .

لا صعوبة في ان نعيش ، لكن الصعوبة في ان نتجاوز العيش الى افق اعلى منه . هذا الافق يكون بتخطي الحاضر الى المستقبل ، وبتخطي الحاضر الى الماضي ، وفي كليهما استعلاء على الزمان .

الزمان ، هذا النهر الهادر ، يريدنا على ان نزحف معه. ولكننا بالعقل ، بالاحلام ، بالتأمل نتخطاه ، مثلما ينتصر عليه واحد من رجال الفن المبدعين ، فيفوت عليه سرعة الجري، ويمسكه ليجسده في منحوتة او لوحة او منغومة اومنظومة

انا الان مع القارىء الكريم في لقاء انيس مستعل على الزمان ، دافيء لا ترجرجه رطوبة المكان في دهاليزه العفنة انا وانت ، نتذكر فكلانا خارج الاطار .

كنا قبل سنين نعيش ، ونحس بالطراوة والدفء ، على بساط من تلقي الحياة كما تعطي لنا ، غير متخلين عن طموحنا ، واحلامنا ، وزرع مشاكلنا .

ولكننا كنا نشاهد دروب الحياة تنفتح امامنا ببساطة ، بساطة فيها انس وثقة ووصول . الى ان قفزت بنا المدنية فجأة الى افق جديد دون انذار ، دون مظهر ، فسلقنا الاكتفاء من المدنية الحاضرة ، لاننا لم نستعد لها ، بل نعيش بقلوب غير قلوبنا وامعاء غير امعائنا . انها وجبة سلقت سلقا وفرض علينا ان نتناولها والا متنا جوعا .

كما اننا لم نعد نستطيع ان نحافظ على بساطتنا التي فيها دفء وطراوة وثقة ففقدناها ، وفقدنا معها امكانية التوفيق بين انسانيتنا وبين مستلزمات العصر .

ايها القارىء الحبيب ، لا يداخلنك الشك في ذوقي وسني ، فانا لا ازال شابا وقد خبرت صنوف الحياة في القارات الثلاث اوروبا وافريقيا وآسيا ، ومع ذلك فان ذكرى معيشة الماضي حية في نفسي لا تغيب افضلها الف مرة على طراز المعيشة الحاضرة فلاتسخر مني للمقارنة الاتية:

اولا : السينما والكراكوز : تعرض لي السينما اليوم قطعة من الحياة هي في حد ذاتها مؤلفة تأليفا مصنوعة صنعة ، وعندما اواجهها تخدعني وتسرق مني وقتا ثمينا لا استفيد منه شيئا ولا استطيع ان استعيده . واذا خرجت السينما عن مطالب المراهقين ، والمستفحلين الذين يمثلون المغالبة الزائفة والانتصار الوحشي فهي بلا شك مخفقة في توفير الملايين لجيوب المخرجين والممثلين والشركات

اما كراكوز واخوه عيواظ ، فقد كانت كلفتهما قليلة ، وادوارهما ضئيلة، وفحواهما خيالا بخيال لانه لم يكن قادرا على خداعنا ، ولكنه كان قادرا على شيء واحد لا تستطيع السينما ان تعطينا اياه . انه كان يمنحنا الظلال ويبعث في نفوسنا التصور ، فنتساح في عالم اخر ونجد فيه لذة حلوة هادئة بريئة . كان يعطينا السراب ولا يدعي انه الماء . فهل تفعل السينما ذلك ؟

كلا انها تستعبدنا ، بينما الكركوز يتركنا احرارا .

ثانيا : الاعياد القروية : لن اتحدث عن العيد في كل قرية ولا عن اعياد المدينة ولكنني ساتحدث عن تلك الاعياد الجماعية التي تقوم بها كل مقاطعة في لبنان ، وتطبعها بطابعها الخاص المميز شأنها في ذلك شأن الاعياد الريفية في فرنسا .

كانت منطقتنا تستعد استعدادا هائلا لثلاثة اعياد : عيد مار ماما ، وعيد التجلي ، وعيد مار سمعان . فعيد مار ماما : كان يجمع قرى كفريا وبدنايل وطلباتا ، واجدعبرين وكفتوخا ويتعبوره في كفرحاتا ، استغفر الله بل حول دير مار ماما بين كفرحاتا وبدنايل .

يقوم ذلك الدير المهجور ، الذي لا يأنس الا مرة في العام، على رابية تطل على النجوم ، وطرف من البحر ، تحيط بها الوديان المترادفة والجبال المزدهية باحراش السنديان ، وعلى شماليها ينبسط حقل مستطيل لتلعب فيه خيول ابناء المنطقة ، ويتراشق فرسانها الجريد ، ويتباهون امام صبايا القرى اللواتي كثيرا ما كن يحمسن فلانا ويزغردن لفلان

امسية السبت كانت موصولة بصبحية الاحد ، ينتشر القادمون بين الاشجار على الصخور يشربون العرق ياكلون اللحم النيء الذي شهر بأكله ابناء المنطقة ثم يسمرون ، يرقصون ، ويدبكون ، وبعد ان تكل اقدامهم وايديهم يعتلون سطح الدير للاشتراك في حلقة القرادي ، حيث يغيبون في اطيب السوانح التي تحملهم الى جو ينتظرونه عاما كاملا ، يرددون خلاله الميجنا ، والعتابا ، والمعنى ، والبو الزلف التي سمعوها وحفظوها من عيد مار ماما .

واليوم ، ما الذي بقي منها ؟

كثرت المقابر حولها . اكلت السينما دروبها ، وشجرها ، واماسيتها الشعرية ، وزرعت الديمقراطية مكان تلك الهنيهات الحلوة خصومات الحزبية العقائدية ، والحزبية المحلية ، وغابت الشراويل وراء البناطيل والقبات المنشاة والصفد البراقة ، التي ما عادت تستطيب الجلوس على صخور مار ماما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هلجا

« هي احدى بنات النمسا .. رآها الشاعر في فينا ، في دكانها الصغير الانيق .. فيها رقة الفراشة ووداعة الحمامة .. »

كما يطوف الحلم بالمقله
تطوف بالحانوت كالنحله
قد شمرت نصفي ذراعيها
وكحلت بالبشر عينيها
كانها في المعطف الناصع
وفي الجبين المشرق الساطع
حمامة بيضاء جذلانه
او شمعة بالنور سكرانه

كم مزقت من اكبد حيه
انامل ملساء .. ورديه
بالصبغة الحمراء مطليه
بل من دم العشاق مرويه

حورية .. تعمل قصابه ؟ !

هل اغلق الفردوس ابوابه ؟ !
لو لم تك الاوضاع مختله
لالبست من عطرها حله
وباعت الازهار في سله
والقت السكين لو تنصف
وكان يكفي لحظها المرهف ! !

وصوبت لي نظرة تسبي
انساب مرماها الى قلبي
وجلجلت تطرب اذنيه
رنات اجراس سماويه
وقهقهت . . .
. . . «اني نباتيه !»

القاهرة — عفيفي محمود

اصبح رفاق الامس سمار الليالي ، يفضلون ركوب السيارات ، والتزحلق الى المدينة وضجتها وثقلها ، بدلا من مسامرة النجوم والظلال ، والصور .

اما عيد التجلي وعيد مار سمعان ، فلا تجهل فيع ولا شطا امرهما ، ولكنهما غابا وراء استار .

ثالثا : البيادر : اما صينية النقل ، طراحة السمر ، حيث كان القمر يهبط في الامسيات ليستلقي على الطرحة ، ويشارك السامرين بالدعابات وشرب العبير المنبعث من القش ، والضوء ، والليل ، والالفة بكؤوس الصفاء ، في تلك البيادر .

غربي منزلنا كان يقوم بيدرنا المشهور ، يطل على جبال اللقلوق ، ينفتح لوديان مردوفة كانها تجاعيد اوراق الورد بمجالات لانديا ح الضباب ، مجامر مجامر محملة بالاطياب تنفح عرش الله .

عندما كان يحين موعد الحصاد ، كنت احلم عند كل خفقة منجل بانني سأتشقلب على الطرحة مع لداتي الاحبة ، وبعد ان نكون تمتعنا بالوقوف على النورج ، وتقليب القش بالعثرينة والمدراة ، وبعد ان تكون الاماسي تعبت من عبثنا ولهونا بين اليحبون والقصرينة ، والتنصيب والدركبة فوق القش المطروح دائرة تفوح منها عطور الارض فنلتهم ذلك العبير بقلوبنا ، بضمائرنا ، كما يلتهم العاشق جسد من يحب .

عندما كانوا ينجزون عملية التذرية لسحيق القش ، لفصل القمح عن التبن ، كنا نشارك ذوينا بالفرحة ساعة ينقلون احمال القمح الى الاهراء ، ونتصور موسم البرغل في طاحونة النهر ، ومناقيش البوامون ، ومشاطيح التنور ، وفطائر الزيت والسكر ، والفطائر بالزعتر ، اين تلك الصور التي كانت تعبيرا عن صداقة الانسان والارض اين انطفأت مجامر العبير ، الفائحة من اكداس القش على البيدر من اكداس التبن .

ذهب كل ذلك مع الريح ، وكلما رايت اولادي واولاد الجيران يلعبون على بيدرنا في كفريا ، وكلما استعرضت شجيرات الكينا والصنوبر والشربين ، تلك التي غرستها على هامش اطاره ، ليكسب منزلنا جوا لطيفا اخضر . كلما استعرضت ذلك ، وثبت الى ذهني صور بيدرنا ايام كانت طافحة حوله ، وتمثلت النورج ، والطرحة ، والامسيات .

كانت البيادر اشياء من صميم الشخصية اللبنانية ، من معاقد الاسمار ، من لهثات اللقاء ، من موحيات الازجال والاغاني .

انطوت صفحة البيادر ، وانطوت معها صفحة من اطيب الشعر في لبنان . واليوم نحن الذين نتذكر ، نخشى ان يأتي اليوم الذي تمحي فيه ظلال الذكريات .

علي شلق



Jack London

جـــاك لـنـدن

بقلم هـ . د . وبرنارد فرغين

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

كان جاك لندن الابن الطبيعي لوليم هـ . تشاني، وهو منجّم ايرلندي متجول، وفلورا ويلمان ابنة مخترع مثر من اوهيو. وعلى الرغم من عمل تشاني غير المألوف، فقد كان رجلا لوذعيا، امضى وقته في الكتابة بالمجلات وتحريرها والقاء المحاضرات وكشف الطالع، عادا التنجيم علما تام الادوات، لا بد له ان يسهم في تقدم الانسان وسعادته. وكانت فلورا ويلمان امراة ذكية مثقفة ذات شخصية غير مستقرة. وفي سنتها الخامسة والعشرين فرت من بيتها، وبعد ذلك بثلاث سنين التقت بتشاني، فعاشت معه في سان فرانسسكو من حزيران ١٨٧٤ الى حزيران ١٨٧٥ مدبرة بيته ومساعدة اياه في عمله وفي اقامة المحاضر الروحانية. غير ان الاثنين لم يكونا متلائمين طبيعة مع بعضهما. ترك تشاني فلورا ويلمان في حزيران ١٨٧٥ لما سمع بانها حامل، ناكرا ابوته طيلة ما تبقى من حياته. ومع ذلك فمما لا شك فيه مطلقا انه كان ابا الولد الذي ولد في شباط ١٨٧٦ في سان فرانسسكو والذي عرف واشتهر باسم جاك لندن. وبعد مرور ثمانية اشهر من ولادة طفلها تزوجت فلورا ويلمان جون لندن، وهو مزارع ارمل ووالد سبعة اطفال.

امضى جاك لندن باكورة حياته في وبقرب سان فرانسسكو، في بيرنال هاينتز واوكلاند والاميدا وسان ماتيو ولفر مير ومرة اخرى في اوكلاند، وترعرع في محيط اقتصادي غير مأمون، ومع ان اشغال ابيه بالتبني قد عرفت التحسن في فترات قصيرة، الا ان حظ العائلة اخذ بالهبوط بسبب من عدم استقرار فلورا ومطامحها غير المعقولة، هذا مع العلم ان جون لندن كان مزارعا ناجحا ولا سيما في زراعة المخضرات. اضطر جون لندن ان يتنقل من مكان الى مكان ويستبدل عملا بعمل آخر، حتى اجبر اخيرا لان يصبح حارسا ليليا لمرفأ من مرافيء اوكلاند.

كان جاك يومئذ في الثالثة عشرة من عمره. وفي الوقت الذي كان فيه في المدرسة كان يبيع الصحف في شوارع المدينة ويقوم بمختلف الاشغال التافهة لاعانة دخل اسرته الضئيل. وفي مبكر سنيه انعطف الى القراءة ــ هذا اذا علمنا بوجود مكتبة عامة في اوكلاند. ثم اضيف حب البحر الى هذه العاطفة. وما لبث الصبي قليلا حتى اشتهر بكونه امهر ملاح للزوارق في خليج سان فرانسسكو. وفي سنته الخامسة عشرة وجد شغلا في معمل للتعليب، وكان يشتغل من عشر الى ست ساعات يوميا بعشر بنسات للساعة الواحدة. وبعد اشهر قلائل من هذا الشغل المحطم للجسد والروح، انخرط في عصابة من القراصنة لصيد المحار. وبثلاثمائة دولار استدانها من مربيته العجوز مامي جيني السوداء، اشترى زورقا صغيرا اسمه (رازل دازل). ولم تنقض مدة طويلة حتى عرف بمآثره الجريئة. وبعد ان كان قرصانا من قراصنة المحار، اصبح (انضباطا) واجبه منع صيد سمك سليمان وسمك الجمبري، الممنوع صيدهما في الخليج. واثناء هاتين السنتين من الحياة البربرية الخطرة، اخذ يشرب المسكر بكثرة، حتى انه ذات مرة كاد يقتل نفسه، بسبب نوبة كحولية حادة.

وفي شباط ١٨٩٣ ابحر في السفينة سوفي سذرلاند الى اليابان باعتباره ملاحا قوي البنية، لصيد عجول البحر. ولما عاد الى سان فرانسسكو بعد سبعة اشهر، كانت امريكا واقعة في قبضة ازمة مالية لم يسبق لها مثيل من حيث الهول. افلس العديد من البنوك ورجال الاعمال، وكادت الاشغال تتوقف عن العمل. واصابت العطالة قسما كبيرا جدا من العمال في كل مكان. وتبعا لذلك ندرت الاعمال، واصبح الحصول على الشغل على مستوى لا يفضل كثيرا مستوى المجاعة. ولمدة ما اشتغل جاك لندن في معمل للجوت ثم في جرف الفحم لدى احدى المؤسسات الكهربائية. عندئذ ادرك ان العمل غير الماهر، تحت الظروف السائدة لا يفرق عن العبودية بشيء، ومن هنا فتح له طريقا. ولسنة كاملة ١٨٩٤ طاف ارجاء الولايات المتحدة وكندا، مسافرا الوف الاميال، في قطارات الحمل والاكسبريس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مراوغا بوليس القطارات وسواقها ومتصادما معهم ، متحملا الجوع والبرد والعطش والحر ، وكل ضرب محتمل من المصاعب ، كالخطر والاهانة ، وحتى السجن ثلاثين يوما مع الاشغال الشاقة فى سجن ايري كاونتي .

ثم عاد الى اوكلاند سنة ١٨٩٥ وهناك دخل المدرسة العليا ، وفى السنة التالية اجتاز امتحان القبول لجامعة كاليفورنيا . وايا ما كان الامر ، فان الحاجة الملحة لاعالة والدته وزوج امه المريض ، اضطرته الى ترك دراساته الاكاديمية ، فى النصف الاول من السنة . وحوالي هذا الوقت تعرف على اعمال الاشتراكيين الفرنسيين من امثال سان سيمون وفوريه وبرودون وتعاليم ماركس . وانضم الى حزب العمل الاشتراكي باوكلاند وتردد الى اجتماعات العمال ، وتكلم فى النوادي والتجمعات المكشوفة ، وشرع يكتب المقالات عن القضايا الاجتماعية والسياسية ، وقد ظهر بعضها فى مجلة دايجيس مجلة مدرسة اوكلاندالعليا. اما تعلقه بقضية الاشتراكية فكان ـ منذ البدء ـ تعلقا عاطفيا ، ومن هنا نراه مفعما بالتناقضات الباطنية ، هذه التناقضات التي اصبحت واضحة فى اواخر حياته ، حين ادرك الشهرة وحصل على المال . وما عدا دارون وكارل ماركس ، كان سبنسر ونتشه ممن اثروا فيه وخاصة فى فلسفة حياته العملية .

وما ان اقبلت سنة ١٨٩٧ حتى انخرط فى حملة البحث عن الذهب فى كلوندايك بالاسكا ، ومن هناك عاد بعد سنة وهو يكابد من داء الاسقربوط (داء تشوه العظام ، المترجم) فارغ الوفاض لا يملك بنسا واحدا ، مع ثروة كبيرة من التجارب الشخصية وتجارب الناس الآخرين . تلك التي قدر لها بعد عقد من الزمن ، لتكون ذخيرة لكتاباته التي رفعته الى الشهرة . لقد آلى على نفسه ان يكون كاتبا ، فاخذ يعمل جادا متغلبا على عراقيل الفقر ، ومقاومة الناشرين وضآلة الثقافة والتعليم . وببطء وفى غضون شهور من الكدح والكد ، والخيبة ، وشبه المجاعة جاء النجاح . لقد تقبلت مجلة اوفن لند منتلي ومن ثم مجلات اخرى قصصه عن الاسكا ومنها : (رجل يقتفي اثرا) و (الصمت الابيض) و (رجل الاربعين ميلا) . وفى ١٨٩٩ نشرت مجلة اتلانتك منثلي قصته الطويلة (اوديسا الشمال) وفى سنة ١٩٠٠ اصدرت دار هاوتين مفلين اول مجلد عن حكايات الاسكا بعنوان (ابن الذئب) . هذه الحكايات التي جلبت له شهرة وطنية مباشرة .

ثم انتج فى السنين اللاحقة عددا هائلا من الحكايات والقصص والكتابات السياسية ، كان مجموعها يربو على اربعين مجلدا ظهرت اثناء حياته . وقد نشرتها كلها مؤسسة ماكميلان باستثناء تسع منها . و (اطفال الصقيع) ١٩٠٢، هي اول قصة قبلتها تلك المؤسسة وجعلته من اساتذة القصة الامريكية القصيرة . وبدعوة من اتحاد الصحافة الامريكية ذهب الى لندن سنة ١٩٠٢ ليدرس عن كثب شروط الحياة فى احياء العمال القذرة ، وقد ضمن تلك الدراسة فى كتابه (شعب الهاوية) الذي نشر سنة١٩٠٣ . ثم اعقب كتابه ذلك بـ (نداء البرية) وهو الذي احله محل الصدارة بين الكتاب الامريكيين .

ثم ذهب الى اليابان سنة ١٩٠٤ ليراسل صحف هرست عن الحرب الروسية اليابانية ، الا انه عاد بعد اشهر قلائل مفعما بالحقد اللاهب على اليابانيين لانهم لم يسمحوا له بزيارة مسرح الحرب . وفى السنة نفسها نشر كتابه (ذئب البحر) الذي اثار ضجة بين عشية وضحاها . وبعد ان ظهرت القصة متسلسلة فى مجلة سنتشري بيع منها ٤٠ الف نسخة قبل خروجها من المطبعة على شكل كتاب . ومن الكتب الاخرى فى تلك الفترة (الصيد) ١٩٠٥ و(المخلب الابيض) وهو تتمة لـ (نداء البرية) ١٩٠٦ و (الكعب الحديدية) ١٩٠٧ (ترجم هذه القصة الى العربية الاستاذ منير البعلبكي فى سلسلة القصص الانساني ، المترجم) ، وهي اقوى قصصه عن الصراع الطبقي واعظمها اهمية ، وفيها تنبأ بحلول العهد الفاشي .

تزوج جاك لندن بيسي مادرن سنة ١٩٠٠ فانجب منها ابنتين ، اولاهما جون لندن التي قدر لها ان تكتب سيرة حياته . ولكنه ما لبث ان ترك زوجته الاولى ١٩٠٣ وتزوج بعد ذلك بسنتين تشارميان، كيترج. واستقر في غلين ايلين احدى قصبات ولاية كاليفورنيا، وهناك اشترى مزرعة هل رانش وبمرور الزمن وسعها وطورها بجهد جهيد .

واثناء الست عشرة سنة التي استغرقها جاك لندن ، وهي فترة حياته الادبية ، استطاع ان يحصل على اكثر من مليون دولار ولكن مصاريفه تجاوزت ارباحه بلا اقل من ٢٥ بالمئة . وقد ندر ان كان حرا من الديون ، وفى كثير من الاوقات ، وفى اوج شهرته ، كان يضطر الى البحث عن قليل من مئات الدولارات ، ليتلافى ديونه المباشرة . لقد كان رجلا عظيم الكرم والسخاء ، ومع معرفته كيف يتساوم مع الناشرين ، فان اصراره الصبياني على تطبيق مشاريعه وخططه ، التي كان قلبه يهفو اليها ، جعله فريسة سهلة لجميع المستغلين .

وفى سنة ١٩٠٧ ابحر مع زوجته الثانية وعدد من اصدقائه فى السفينة الصغيرة (سنارك) التي كلفته ٣٠ الف دولار ، ابحر فى المحيط الهادي الى هاواي وماركساس وغيرهما من الجزر فى جنوب المحيط الهادي . وفى غضون هذه السفرة المخطرة ، استمر يكتب حتى انتج قصته (مارتن ايدن) مع استمراره باهتمامه بشؤون اعماله المعقدة فى الوطن . ثم عاد بالباخرة من سدني تموز١٩٠٩ محطم الصحة، مرهق الديون على الرغم من الاموال الطائلة التي حصلت كتاباته عليها .

اما البقية المتبقية من حياته القصيرة فقد امضيت فى جو

من الشهرة المتنامية والغنى الوفير . انه حقق مطمحه الاول ، اذ لم يصبح اعظم كتاب اميركا نجاحا حسب بل اكثرهم مالا ايضا . ولكن هذا الانجاز لم يجلب له السعادة بل غدا طعمة للتشاؤم والمرارة اكثر فاكثر ، واخذ موقفه يستكلب تجاه كتابته نفسها ، تلك الكتابة التي كادت تصبح مجرد صناعة . ومع ذلك ، ظل ينتج العديد من المؤلفات الرائعة ومن اشهرها (النهار اللاهب) ١٩١٠ ، و (وحش الهاوية) ١٩١١ ، و (الدخان) ١٩١٣ ، و (جون بارليكورن) ١٩١٣ ، وهي قصة شبه شخصية كانت من الاسباب المهمة لمنع المسكرات في الولايات المتحدة سنة ١٩١٩ . ومنها ايضا : (وادي القمر) ١٩١٣ ، و (النجم الجوال) ١٩١٤ ، و (السيدة الصغيرة ذات البيت الكبير) ١٩١٥ و (الجزائر) ١٩١٧ ، ان السكر والانهماك الشديد في الاكل والقلق وربما عواقب الفقر والشدة في سنيه المبكرة هي التي حطمت صحته . وفي الختام اعلن داء (اليوريميا) (تسمم الدم بجوهر الادرار ، المترجم .) عن نفسه ، فهاجم الكاتب هجمات مؤلمة عنيفة ، توفي على اثرها في الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٦ ببيته في كاليفورنيا ، بسبب جرعة كبيرة من المورفين . وهناك كل الاسباب التي تحملنا على الاعتقاد ان موته كان اختياريا .

مقدمة لبعض آثار لندن

اكتشف الذهب في كلوندايك سنة ١٨٩٦ . وبين الالوف الذين اسرعوا الى هذه المنطقة تاركين كل ما كانوا يعملون ، شاب قوي العضلات ، طري الوجه ، رقيق الصوت ، لا يتجاوز العشرين من عمره . كان هذا الشاب جاك لندن . اما ابوه الذي لم يره قط ، ولم يقدر له ان يراه فيدعى تشاني وهو امريكي من اصل ارلندي ، له ضرب خاص في تذوق الادب . اما والدته فكانت من اروما امريكية ويلزية ، سكنت في وسكنسن . وبعد ثمانية اشهر من ولادته غير الشرعية ، تزوجت ام جاك لندن بجون لندن ، والاخير رجل من بنسلفانيا استقر في كاليفورنيا ، وقد اعتمد في معيشته المضنكة على بيع فراخ الدجاج والمخضرات واجور نزلاء بيته . امضى جاك حياته الاولى في كل عمل وجده ، وباجر لا يتجاوز الدولار يوميا ، كما امضى ساعات فراغه في مكتبة اوكلاند العامة . ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره ، اصبح تلميذا بجهده الخاص في مدرسة اوكلاند العليا . وفي ذلك الوقت عبر المحيط الهادي ملاحا . وجال امريكا عيارا ، وقضى في السجن ثلاثين يوما بتهمة التشرد . ثم سجن مرة اخرى سنة ١٨٩٥ لالقائه خطبا ثورية . ولما اخذ الناس يتقاطرون للبحث عن الذهب في كلوندايك ، كان جاك لندن يعمل في مغسل للملابس ، ولما غادر الى الشمال كانت كتب (اصل الانواع) و (راس المال) و (الفردوس المفقود) تأخذ مكانها في حقيبته .

وبعد عشرين سنة قضى على نفسه بيده . اما السنين التي تخللت هذين العهدين ، فقد امضاها في السفر الى معظم العالم ، ونشر فيها خمسين كتابا ، وجمع مليونا من الدولارات وادمن على الخمر . كانت مصاريفه هائلة وكرمه غير محدود ، واحكامه مع التيار ، وكتاباته معروفة باحجامها وترددها ، وقد تضمن نتاجه الهائل قصصا واقاصيص وسيرا شخصية وكتب سفرات وفانتازيا . ومنها (شعب الهاوية) ١٩٠٣ التي تعالج حياة ايست ايند ـ في لندن (وهي منطقة العمال ، المترجم) و (الكعب الحديدية) ١٩٠٧ التي تتنبأ عن ثورة يمينية تحدث بعد خمس وعشرين سنة ، اي في سنة ١٩٣٢ ، ولم يكن هذا الامر حدثا سيئا (ومصداق ذلك ان النازيين تمكنوا سنة ١٩٣٣ من اغتصاب مقاليد الحكم في المانيا بعد تآمر هندنبرغ ، المترجم) . ولكن قصته (نداء البرية) المنشورة سنة ١٩٠٣ ، التي بيع منها مليون ونصف نسخة ، كانت ولا تزال اعظم اعماله الادبية . صحيح انه لم يجد ذهبا في كلوندايك ، الا انه شق طريقا جديدة في الادب ، عاد اليها من حين الى حين ، بمختلف درجات النجاح .

ان (نداء البرية) هي اول حكايات هذه المجموعة واحسنها . والكلب البطل بك هو سليل الارومتين البرنارية ونصف السكوجية ، وهو في بداية قصته عضو دمث مقدر من اعضاء المجتمع : (ومنذ طفولته عاش عيشة ارستقراطية هينة ، كان معتزا بنفسه مع قليل من الانانية ، شأنه شأن سادة الريف في عزلتهم . ولكنه تمكن من النجاة بنفسه لانه لم يصبح مدللا . ان مسرات الصيد والخروج الى العراء ، قوت عضلاته وحافظت على شحمه) .

ولما جاء الوقت للبحث عن الذهب في كلوندايك ، سافر جاك لندن الى الشمال وحمل معه بك حملا . لقد سرق بك ، سرقه البستاني الزنيم الذي يشتغل في خدمة صاحب بك ، وباعه في السوق السوداء . ومن هنا فحياة بك القصصية تبدا في حديقة من حدائق كاليفورنيا ، ثم يتوحش . وعلى الضد ، من ابن الذئب ، الذي يفتش عن العالم بأنفه ، نراه يبتعد من ذلك ، ثم لا يعود يعرف كيف يتناول طعامه بمخلبه ، بل ينتهي به الحال الى ان يقبع في مكانه الخاص ، منتظرا ان يجلب له طعامه في اناء وهكذا يتعود على حياته الجديدة بالعصا . ويتعلم كيف يدخل معارك الوحوش ، فيقهر (سبتز) لنيل مركز القيادة في الجوقة . وكل هذه الذكريات تبقى متعلقة في ذهنه ، اما توكيده على حقوقه في اللحم فتستدعي ذكريات اوغل في القدم .

(انه لم يتعلم بالتجربة حسب بل بالغرائز التي انبعثت الى الحياة من جديد . ان الاجيال الآتية لم تعد تخطر بباله ، بل تذكر شباب السلالة ، يوم كانت الكلاب الوحشية تقتل فرائسها وتدوسها باقدامها . لم يعد من واجبه ان يعارك كما يعارك الذئب فهذه عادة تبناها اجداده المنسيون . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الليالي الباردة الهادئة ، كان يشير بانفه الى احد النجوم ويأخذ بالعواء كعواء الذئب ، كما كان يفعل اسلافه الموتى عبر الاجيـــال ...

وهكذا كدليل على تفاهة الحياة اخذت الاغنية تهـــزه هزا . ثم عاد الى ما كان عليه من قبل . انه جاء الى هنـــا لان الناس وجدوا مادة صفراء في الشمال ، ولان مانويـــل كان مساعدا لبستاني،لا تفي اجوره بحاجات الزوجة والاطفال)

وهكذا يتعلم العيش بين الجماعة، ويجد مكان منامه في الثلج وبعد ان يقتل سبتز البدين يصبح قائد الجماعة في غرفة سبتز نفسه ، واول زملائه في السباقات . انه لم يعد يتذكر حديقة كاليفورنيا ، ولا صاحبه الدمث الاخلاق . ثم تعاوده ذكريات عن سيداخر ، سيد مشعر ، عار ،مقوس الظهر ، متأرجح الذراعين ...

وبعدئذ يصبح في حوزة من يدعى في استراليا (صديق جديد) انه يخدمه بامانة وبحماقة كادت تودي بصاحبها لولا مسارعة جون ثورنتن في اخر لحظة. وبالمقابل ينقذ هو جون ثورنتن من اشتباك وقع له في احد بارات كلوندايك. ثم يغدو وحشيا فيبقى خارج المعسكر ساعة او ساعتين ، وتطول المدة الى ليلة وليلتين والى ايام عديدة مرة واحدة، وفي احدى الغيبات يقتل صاحبه على ايدي الهنود . وبمزيج من الاسف والانتقام يعود بك الى معسكر الهنود فيعمل فيه تخريبا وتدميرا ، ثم يلتحق بقوى الوحوش ...

اما (المخلب الابيض) الذي هو احد الكتب الثلاثة المنشورة سنة ١٩٠٧ فقد كان انجح محاولات جاك لندن للعودة الى (البرية) هذا التعبير الذي صاغه واستخدمه وتفاخر به بحق . واذا ما اقتضت الحاجة صح ان يبقى القسم الاول من الكتاب بمفرده ، ففيه مما يثير الخوف ما ليس في قصة مماثلة لساقي (هو كاتب انكليزي معاصر ومن مؤلفاته قصة باسنكتن غير المحتملة ، المترجم) : اثنان من الناس يغذان السير الى المدينة مع جماعة من الكلاب وجثة صديـــق في تابوته ... وكلما يصبح الصباح يفقد كلب من الكلاب (ان الكلبة الذئبة الحمراء انضمت الى الكلاب وقت الطعام ... وما لبثت ان اكلت طعامها .. ثم اكلت الكلاب وبعد ذلـــك اكلت بل ، كان يمكن للكتاب ان ينتهي هنا ، ولكن ، لحسن الحظ ، كانت هذه نقطة البداية . ويتبع ذلك تربية (وايت فانغ) والاخير سليل ذئاب والكلبة المرتـــدة (الحمراء) : ترعرع هذا في عرين تحيط به ثلاثة حيطان مـــن الصخر وحائط مواجه لضوء النهار ، وتمكن من البقاء على قيـــد الحياة ، في زمن المجاعة ، حين كان كل وحش يصارع غيره حتى الموت فاما ان يقتل او يقتل، وهذه هي احسن الفقرات في الكتاب . ان والدي (وايت فانغ) يبحثان عن الطعام لاجلة، وهو نفسه الجرو الاشهب المتطلع ، يدخل انفه خلال حائط الكهف الرابع ، على حوافي العالم المجهول ، ويقتل الفرخ الصغير الشقي الذي اصبح طعامه بمخلبه الساذج . ثم يعود هو وأمه الى العالم الانساني ، ذلك العالم الذي فرت منه امه . ومما يجدر ذكره ما يسرد من الحياة بين الخيم الهندية وبين (احياء) كلونديك . ان (وايت فانغ)يؤسس امبراطورية في كل منهما . ثم يقع اسيرا فيبيعه صاحبـــه الهندي بقنينة ويسكي . وبعدئذ يضطر للعمل في حلبات المصارعة ، لكي يفيد منه سيده الابيض الوضيع بعـــض الدولارات . واخيرا وفي وسط احدى المعارك يفتديه سيده العربيد ، ويصبح (وايت فانغ) محترما، انيسا في كاليفورنيا حيث تنتهي القصة .

ان في هذه القصة كتابة عظيمة ، وليس فيها فقـــرات باردة الى اخر فصل . ان قصة (وايت فانغ) هي حكاية تأنيس مخلوقات (البرية) ، حكاية تكثيف المدنية في حياة حيوان واحد قصير العمر ، ثلاثة ارباعه ذئبي الاصل،وربعه الاخر من اصل كلبي . اننا نرى المدنية في مجرى التطور ، المدنية التي توقف وتشوه ، المدنية وانحطاطها ، وفي الفصل الاخير ، الفصل المليء بالدراما ، المنحدر من الذروة ، نرى تعقيبا مقذعا على مظهر من مظاهر المدنية ، حين يمـــزق الذئب الانيس احد المجرمين الفارين ، مجرما عاد ليقتـــل الحاكم الذي قضى عليه بالسجن .

ومما لا شك فيه ان (نداء البرية) عمل كلاسيكي ، اما ما امتازت به قصة (المخلب الابيض) فهي اهل للزيـــارة الثانية التي قام بها المؤلف المبدع . لقد تميز جاك لنـــدن بالحكمة والبصيرة حين دبج هذين الكتابين . فما الـــذي اودى به الى التعاسة وتناول المورفين بكميات زائدة ؟ اننا لا يسعنا الا الاعتراف بالجميل لان حياة المؤلف المضطربة اخرجت لنا كتابين لن يمكن مضاهاتهما في مجاليهما .

اما قصة (الوباء القرمزي) فهي تعنى بالكائنات الانسانية وردود فعلها ، الردود التي واجهت تغييرا كاملا للمحيط، كالذي عاناه بك حين اقتلع من بيـــته في كاليفورنيا . ان التغيير هنا تغيير محطم ، لا مجرد تبديل مشهد ، وهـــو يعني انهيار المدنية بسرعة ويلزية مرعبة .

اما سارد الحكاية ، الاستاذ الشاب المثقف ، فيكيـــف نفسه للظروف الجديدة تكييفا جيدا . وعلى القارىء ان يحكم بنفسه على درجة الهامه ... ان القصة انذار عابس لا عن الوباء نفسه بل عن نمو البلوتقراطية الشبيهة بالفاشية، التي هي ، في الولايات المتحدة ، على وشك ان تصبح طغيانا وراثيا ... ومهما يكن من امر ، ومهما كانت معتقدات جاك لندن ، فالشيء الواضح انه احب سرد القصص ، وان هذه القصة (الوباء القرمزي) تبقى على الزمن حية تثير الخيال والتصور وتدعو الى التأمل والاعجاب .

اربيل ـ العراق

يوسف عبد المسيح ثروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خريف

* * *

نشر الخريف على الربى ... للصمت حين أهل رايه
فاذا الطبيعة كالسقيم ... تطيل في بث الشكايه
أزرى بها سوء المصير ... وشفها هول النهايه
فنضت مطارفها وألقت ... بالآزر عن زرايه
برمت بما راح الزمان ... يعيد من سخف الروايه
ما في الحكاية من جديد ... غير تلفيق الحكايه
والريح تعصف في مساربها ... وتضرب دون غايه
لا تستقر كتائبه ... في القفر يخبط عن ضلال

مدت قيان الدوح من ... أغصانها يد ضارع
ونضت على ضجر مطارفها ... برعشة خاشع
وتمايلت دون الثرى ... أفنانها كالراكع
أو كالغريق هوى به ... للقعر سوء الطالع
أو مثلما مال الطعين ... أسى لجرح قاطع
اوراقها نتف الغمام ... جرت بافق واسع
وهوت تصفق اذ هوت ... بجناح نسر واقع
وتدحرجت كالشلو فوق ... الترب من داء عضال

والنهر مزور الخطى ... في سيره المتعثر
تلقاه ما بين الرياض ... يدور كالمتحير
أو مثلما التوت الخطوط ... على يراعة أعسر
ينساب في مخضلة ... برقت بثوب أخضر
وبكل مرحلة له ... شدو وطول تحسر
وتراه يندب ناشجا ... بمدامع المستعبر
والذكريات تثيره ... بغرامها المتسعر
فيضيق صدر النهر من ... شجن ويصخب عن ملال

والشمس ما بين الغمام ... تطل شاحبة نحيله
وتدير عينا كحلت ... بلواعج الغصص الوبيله
نظرت مودعة فجاش ... الدمع في العين العليله
والصمت ران على الطبيعة ... ممسكا بيد ثقيله
فبكى الغمام بعبرة ... الثكلى وآهات الذليله
اضواؤها من رقة ... رقصت كأشباح هزيلة
وشعاعها شاع السقام ... به ولم تنفعه حيله
فهوى يدب كعاجز ... أزرى به عبء الكلال

تتناثر الاوراق ضاربة ... باجنحة الذبيح
ألوت بجيد مسهد ... لما تهاوت كالطليح
ويد الرياح رمت بها ... بددا على الافق الفسيح
لتساقط الاوراق في ... الاسماع صوت كالفحيح
واطل شيح يرمق ... الجوزاء بالطرف الجريح
يرنو وشاهد حاله ... يغني عن القول الفصيح
تهتاجه الذكرى بما ... راحت تفتق من جروح
ويد الخريف تعيث ... بالافنان من خطل الفعال

دمشق — عدنان مردم بك

الحب لا يموت

تمثيلية قصيرة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

•

(صالون انيق مزدان بالرياش الفاخرة . سامية مستلقية على مقعد وثير تطالع فى مجلة مصورة . . وتسمع وقع اقدام ، ترفع عينيها عن المجلة، وترى امامها الخادم بادية الاضطراب، تحاول ان تقول شيئا . . ولكنها لا تفعل) .

سامية : ما بك ياليلى ؟

ليلى : ستي .

سامية : ماذا تريدين ؟

ليلى : سيدي على الباب .

سامية : ومن سيدك هذا ؟

ليلى : سيدي محمود .

سامية (منتفضة) : وماذا قلت له ؟

ليلى : قلت له انك غير موجودة .

سامية : وماذا قال ؟

ليلى : اصر على الدخول .

سامية (يزداد اضطرابها) : اخبريه انني غائبة .

ليلى : لا يصدقني .

سامية : اصفقي الباب بوجهه .

ليلى : امرك يا ستي .

(تنحني باحترام . وتستدير على عقبيها . ولكن محمودا ينتصب امامها بقوامه الفارع ، وشبابه الدافق) .

محمود : لا لزوم لهذا . انني هنا .

سامية (تقف. وترتسم على وجهها تكشيرة) : ماذا تريد يا محمود ؟

محمود : اريدك انت .

سامية : هذا البيت محرم عليك .

محمود : ما دمت فيه . . . لن يكون محرما علي .

سامية : ارجوك ان تذهب فى هدوء .

محمود : انا باق هنا .

سامية : ارجوك . . .

محمود (مقاطعا) : لا توجد قوة تستطيع ان تخرجني .

سامية : اتوسل اليك ان تذهب بسرعة

محمود : يستحيل ان اخرج من الجنة

سامية : واين هذه الجنة ؟

محمود : حيث تكونين .

سامية : فعلا . انك مجنون .

محمود : ليكن

سامية: اكرر توسلاتي اليك لتخرج.

محمود : طردت حواء آدم من الجنة. ولكن حفيدتها لن تقدر على طرد حفيد آدم مرة ثانية .

سامية : دعنا من هذا الكلام الفارغ.

محمود : امرك .

سامية : والان ماذا تريد ؟

محمود (يصفق بيديه) : عن اذنك دقيقة واحدة .

(تدخل الخادم) .

محمود : اعملي لي فنجان قهوة يا ليلى

ليلى (تنظر الى سيدتها بذهول . . . وتنحني باحترام ، وتغادر الصالون بسرعة) :حاضر يا سيدي .

سامية : اي ريح ساقتك الينا اليوم؟

محمود : ريح الحب يا سامية .

سامية : الحب مات منذ زمن بعيد .

محمود : الحب لا يموت .

(يرن جرس الهاتف . تمسك سامية بالمسماع . . الو . ماما . . حاضر . . لن اتأخر . الغداء فى بيت خالي . طيب . بعد نصف ساعة . تكرمي يا ماما) .

محمود : خيرا . ان شاء الله .

سامية : ان والدتي فى طريقها الينا لتصحبني للغداء فى بيت خالي. عجل بالذهاب .

محمود :لن اذهب الا بشرط .

سامية : ما هو ؟ قل بسرعة .

محمود : ان تخرجي معي .

سامية : هل فقدت عقلك ؟

محمود : حبك افقدني عقلي .

سامية : دعنا من هذا اللغو . اتوسل اليك للمرة العاشرة ان تذهب . لن تستطيع مواجهة امي .

محمود : انني اتحداها .

سامية : ماذا تعني ؟

محمود : سأبطش بها .

سامية : محمود .

محمود : انني اكرهها من صميمي .

سامية : وانا اكرهك لانك تكره امي.

محمود : بالعكس . انت تحبينني .

سامية : انت واهم .

محمود : انا على ثقة بانك ستظلين تحبينني الى اخر نفس يتردد فى صدرك .

سامية : والبرهان على حبي . . انني رضيت ان اتطلق منك .

محمود : انت لم تتطلقي مني .

سامية : يبدو انك فقدت عقلك عن صحيح .

محمود : امك التي تطلقت .

سامية : انا خائفة منك .

محمود : لا تخافي .

سامية : ماذا جرى لك اليوم ؟

محمود : الحمد لله : انني مالك وعيي ومشاعري وعقلي ايضا .

سامية : لا تزد بلابلي .

محمود : لن ازيدها .

سامية : دعني وشأني .

محمود : وانت لا تنغصي عيشي . تعالي معي .

سامية : يبدو انك نسيت واقعنا .

محمود : وكيف انساه ؟

سامية : يجب ان اذكرك انني اصبحت غريبة عنك . ان العلاقة التي كانت بيننا قد انفصمت .

محمود : لا . . لم تنفصم .

سامية : كنت زوجك ، وطلقتني . هذه كل الحكاية .

محمود : انا لم اطلقك .

سامية (تفتح حقيبتها) : وهذه وثيقة الطلاق .

محمود (يخطفها من يدها . ويمزقها): انتهينا منها .

سامية : ماذا فعلت ؟

محمود : ورقة لا تسلخك من حياتي.

سامية : اين اتزانك يا محمود ؟

محمود : ضاع اتزاني عندما اضعتك.

سامية : انت الذي طلقتني .

محمود : ليس من المعقول ان انتزع روحي بيدي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سامية : لا علاقة لك بي الآن ،
محمود : لنواجه الحقيقة .
سامية : واية حقيقة غير هـذه التي تعرفها .
محمود : يجب ان نعود الى بعضنا .
سامية : مستحيل .
محمود : لن استجدي منك الرحمة. ولن اركع على قدميك انديهمـا بدموعي لتعودي الي ثانية . بـل بكل بساطة اقول لك .. بعد ان افترقنا لمدة شهر ، وضح لي انني لا استطيع ان اعيش بدونـك . كفاني ما لاقيت من عذاب . الموت اهون منه بكثير .لذلك ..استعدي لاعيدك هذا اليوم الى عصمتي .
سامية : كرامتي تأبى علي ان اعود اليك
محمود : لنتحدث بصراحـة .. ان زواجنا دام ستة اشهر .. هـل سمعت مني ذات يوم كلمة نابية ؟
سامية : لا .
محمود : هل قصرت بواجبي نحوك ؟
سامية : لا .
محمود : هل رفضت لك مطلبا مهما كان عسيرا ؟
سامية : لا .
محمود : اما كنت اشتري لك افخر الثياب ، واغلى المجوهرات ؟
سامية : نعم .
محمود : ماذا تأخذين علي ؟
سامية : لا اعرف .
محمود : الم اكن الزوج المثالي الـذي يتفانى في حب عشه الجميل ؟
سامية : اجل .
محمود : وذكرياتنا المشتركة ..وشهر العسل الذي امضيناه في القاهرة ، ومئات الاشياء الصغيرة التـي اشتركنا في حبها ... ايذهب كل هـذا هبـاء ؟
سامية : هذه الذكريات الجميلة اجمل ما عبر في حياتي .
محمود : وحبنا الذي عاش ثـلاث سنوات قبل ان نتوجه بالزواج.. هل يتلاشى لمجرد كلمة طلاق .
سامية : معك حق .
محمود : الا تحنين الى عشنا المهجور؟
سامية : اني دائمة التحنان اليه .
محمود : هل تستطيعين ان تنسيه ؟
سامية : والله لايبرح ذهني لحظة واحدة
محمود : افهم من هذا انك لا تزالين تحبينني .
سامية : وهل معقول ان ينطفيء حبي؟ انه اقوى من الحياة .
محمود : اذن اتفقنا .
سامية : على ماذا ؟
محمود : على كل شيء .
سامية : نعم . كل شيء .
محمود : تفضلي معي .
سامية : الى اين ؟
محمود : الى القاضي لاعيدك الـى عصمتي .
سامية : تجربة زواجنا دلت على انه من المستحيل ان ننسجم في حياة واحـدة .
محمود : ومن انبأك بهذا ؟
سامية : والبرهان على ذلك طلاقنا.
محمود : لولا امك لما كان الطلاق .
سامية : وما دخل امي في هذا ؟
محمود : افتحي عينيك جيدا .تذكري مواقف الازعاج الكثيرة التي كانت امك تخلقها . الم تدفعك الى طلب الطلاق ؟ الم تنسج حولنا شباكها حتى وقعنا فيها ؟ انها كانت تأتي الى بيتنا مع الصباح ، وتبـدا بتنغيص عيشي ، واثارتك ضدي بطرقها الشيطانية الملتوية حتـى استحالت حياتنا الى جحيـم . وحتى رأينا اخيرا ان الطلاق خير حكم بيننا . انها امك التي ارادته وسعت اليه ، وحبكت مؤامرتهـا بدقة . وانت انقدت اليها لانـك وحيدتها ، وانسقت مع تيـار الجنون الذي اكتسحها ، وفي ساعة غضب لفظت يمين الطلاق .
سامية : ولماذا فعلت ماما هذا ؟
محمود : لا اعلم .
سامية : وهل توافق على عودتي اليك؟
محمود : لا يهم .
سامية : ماذا تعني ؟
محمود : المهم موافقتك انت .
سامية : وهي ؟
محمود : لن ادعها تطأ عتبة البيـت مرة واحـدة .
سامية: وانا لا استطيع ان افقد امي.
محمود : ستعتادين على هذا .
سامية : مستحيل .
(في هذه اللحظة يسمع رنيـن جرس الباب . وتدخل الام كالعاصفة. انها كهلة قاسية الملامح) .
الام : ماذا ارى ؟ محمود ؟ ماذا تفعل؟ اكاد لا اصدق عيني ، هل انا فـي حلم ؟ (تفرك عينيها . وتقترب مـن محمود) .
محمود : ابعدي عني .
الام : انه صوتـه .
محمود : نعم . انا صهرك العزيز .
الام : ماذا اتيت تفعل هنا ؟
محمود (ضاحكا) : جئـت لاحسو فنجـان قهوة .
الام : الا تعلم انه لا يجوز ان تطأ عتبة هـذا البيت ؟
محمود : ومـا المانع ؟
الام : انك تتغابى او تتجاهل..وقاحة
محمود : المهم انني اتيت .
الام : وماذا تريد الان ؟
محمود : زوجتي .
الام : زوجتك ليست عندنا .
محمود : الا ترينها؟ (ويشير الى سامية)
الام : سامية .
محمود : وهل في الدنيا غيرها زوجة لي؟
الام : انك مجنون . تفضل . (وتشير الى ناحية الباب) .
محمود : لن توجد قوة تفرق بيني وبين زوجي .
الام : ومن يريد ان يفرق بينك وبينها؟
محمود : انت .
الام : وما علاقتي بـك ؟ انا لا اعرف زوجتك ، ولم ارها في حياتي .
محمود : ولماذا تتجاهلين؟ الا تعرفين ان زوجتي هي ابنتك سامية .
الام : الذي اعرفه انها كانت زوجتك .. ثم طلقتها .
محمود : بسببك انت .
الام : وما دخلي انا؟
محمود : انت التي حطمت حياتنـا الزوجية.. وكنت تدسين انفك في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بكل شيء . والانكى من ذلك كله تلفيقك الاكاذيب لتشوهي سمعتي امام سامية .

الام : كفى . اخرج من هذا البيت .

محمود : لقد وسوست لها ان لي صديقة اتخذت لها شقة خاصة وابدد عليها الاموال الكثيرة . ووضح لنا اخيرا رغما عنا ان الطلاق هو طريق الخلاص لنا . وتبين لي بعده ان الموت اهون علي من الانسلاخ عن المراة التي لم يختلج قلبي بحب لانسانة سواها. ولذلك عدت نادما مستغفرا عن ذنب لم اقترفه حتى صدقتني سامية .. واعتزمت ان تعود الي ثانية .

الام : هذا مستحيل .

محمود : لا مستحيل فى الحياة .

الام : سادعو الشرطة .

محمود : لماذا الشرطة ؟

الام : لتطردك .

محمود : اهلا وسهلا بالشرطة .

الام : انني جادة .

محمود : وانا جاد ايضا .

الام : (تتجه صوب الهاتف) : سترى نتيجة اقتحامك لبيوت الناس (تهم ان تدير القرص) .

سامية (تهب من مقعدها . وتنتزع الهاتف من امها): لا ضرورة للفضائح يا ماما .

الام (غاضبة) : ما هذا يا سامية ؟

سامية : انني امنعك من الاتصال بالشرطة .

محمود (ضاحكا) : دعيها تفعل .

الام : لا تتدخلي يا سامية بما لايعنيك.

سامية : هذا الامر لا يعني احدا غيري

الام : ما هذا الكلام ؟

سامية : ارجوك يا ماما .

الام : اتتمردين علي يا سامية ؟ يا خسارة تعبي عليك . انا التي ربيتك بدموعي ، ووقفت عليك حياتي كلها . لقد فقدت اباك، وانا فى نصرة شبابي ، ورفضت الزواج لاتعهدك بحناني،واقف عليك حبي، ومع هذا تعامليننى بهذه القسوة.

سامية : انني رهن اشارتك فى كل شيء

الام : دعيني اذن اطلب شرطة النجدة

محمود : دعيها تفعل . ارجوك يا سامية .

الام : ما رايت اوقح منك .

محمود : شكرا .

الام : قلت لك مئة مرة .. لا اريد ان ارى وجهك .

سامية : ولماذا يا ماما ؟

الام : يظهر انك لا زلت تحبينه .

سامية : بصراحة يا ماما..لا استطيع فراقه اكثر من هذا . ان دموعي لا تجف ولوعتي لا تهدأ ، وحبي لا يموت .

الام : وتقولين كل هذا امامي .

سامية : وماذا افعل بعواطفي . انها اقوى مني .. لقد حاولت ان اقتلها ، ولكنها كانت اقوى مني . ارحميني يا اماه .

الام : يا مجنونة.. بعد ان فعل بك ما فعل ترغبين فى العودة اليه .

محمود : يشهد الله انني لم افعل شيئا يؤذيها ..

الام : انت كاذب .

محمود : لتحرقني السماء، ولتخسف بي الارض اذا فكرت لحظة فى ايذاءها بأمر مهما تفه وضؤل .

الام : انه يخدعك يا سامية .

سامية : انا راضية بهذا الخداع .

الام : يستحيل ان ترجعي اليه .

سامية : ما المانع يا ماما ؟

الام : وجدت لك عريسا احسن منه بكثير .

سامية : لا اريد غير محمود يا ماما .

الام : ولكنك متى عرفت هذا العريس

سامية (مقاطعة) : لا اريد ان اعرف هذا العريس .

الام : ان العريس من لحمك ودمك .

سامية : وانا لا اريد ان آكل لحمي ودمي .

الام : ابن خالك فائز .

سامية : وما شأن فائز فى هذا ؟

الام : انه يريد ان يتزوجك .

سامية : يستحيل . انني اعتبره مثل اخي .

محمود : كل من يتقدم الى سامية سأقتله .

الام : اسكت .

محمود : لن اسكت .

الام : ابن خالك احسن من محمود .

سامية : انا راضية بمحمود .

الام : ليس من المعقول ان يذهب كل تعبي سدى .

محمود : اسمعي يا سامية جيدا ..

الام : ماذا تعني ؟

محمود : اعني انك عملت على تحطيم حياتنا عمدا لغاية فى نفسك .

الام : نعم . هنالك غاية سعيت اليها لمصلحة ابنتي .

سامية : وما مصلحتي فى هذا ؟

الام : لقد عاد فائز من اوروبا يحمل شهادة الهندسة ، واتخذ مكتبا خاصا به ، ونجحت اعماله نجاحا عظيما . وذات يوم سألته لماذا لا يتزوج ؟ فقال لي : لو لم تتزوج سامية لتقدمت بطلب يدها .ووضح لي انه يهيم بك حبا . وبما انه يفضل زوجك كثيرا عملت على تخليصك من محمود ليتزوجك فائز .. وهو اوفر منه مالا وجاها وكل شيء .. فهل انا مخطئة اذا سعيت لاجل سعادتك .

سامية (باكية): لماذا فعلت هذا يا ماما؟

الام : لانني توخيت مصلحتك .

محمود : ولهذا السبب عملت على تكدير عيشنا والقيت بذور التفرقة بيننا حتى استحالت حياتنا الى جحيم.. ووجدنا اخيرا ان الطلاق هو الخلاص الوحيد لنا .

الام : يا سامية . انك صغيرة ، وانا ادرى بمصلحتك منك .

سامية : وانا لا اريد ان كون سلعة بين يديك .

الام : الانني ابحث عن مصلحتك تقولين هذا ؟

محمود : مصلحتها ان تكون زوجتي.

الام : اخرس .

محمود : سأتلقى كل اهاناتك بصدر رحب اكراما لسامية .

الام : لو كنت شهما لما سعيت اليها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحلم المسروق

عفوك يا صغيره
فلاني لا أستطيع البكاء ،
ولاني لا أملك الطهارة
التي تقربني من الله
لن أعود اليك
فعبثا تنتظرين
ان قلبي الذي كان
يرتدي الدفء والحياه
مات يا حبيبه
وأصبح لحدا منسيا
مكلسا بالموت
والغبار البارد الحزين .
أتذكرين ؟
يوم كان لنا
حلم جميل .. بريء
نزرع به الليل قبابا
من انغام واضواء
أتذكرين ؟
لقد أخذته معي الى المدينه
وضاع
سرقه المقامرون والموسمات
ومنذ ذلك الوقت
وانا فقير .. منبوذ
لا يحبني الناس
والمدينة لا ترحب بالفقراء
لانها لا تعرف الصفاء والقمر

اللاذقية غسان طربيه

لتفسد حياتها .

محمود : سامية لا تصدقك .. قلبها دليلها على ان حبي لها فوق الشبهات

سامية : صدقت يا محمود .

الام : انكما تتآمران علي .

سامية : انا اذود عن حقي في السعادة

الام : لن تتوفر لك السعادة الا بالزواج بفائز .

محمود : ان فائز صديقي ، وانا اعرف فيه طيبة القلب ، ونبل الروح ، وليس من المعقول ان ينتزع زوجي مني .

الام : سامية خلقت له .

سامية (تتناول الهاتف . وتدير بعض الارقام) : الو .. مكتب المهندس فائز .. صباح الخير .. الحمد الله . ارجو ان تجيبني بصراحة .. صحيح انك اخبرت امي برغبتك بالزواج بي .. مزاح .. معك حق .. محمود خيرزوج لي . اشكرك . مع السلامة .

الام (صارخة) : فائز .. ما شأنه .

سامية : اخبرني انه كان يمزح معك .

الام : يمزح معي ؟

سامية (ضاحكة) : لقد انبأني الان بهذا

الام : بماذا انبأك ؟

سامية : اكد لي الان .. انه لم يفكر في حياته بالزواج بي .. ومجرد مزحة معك دفعتك الى تهديم حياتنا . واكد لي انه يعتبرني مثل شقيقته .. ونصحني بالعودة الى زوجي لانه خير الناس ..

الام : وستعودين ؟

سامية : طبعا .

الام : انا لا اوافق .

سامية : لن تحطمي سعادتي . ان ابغض الحلال الى الله الطلاق ، واقترفنا هذه الغلطة الشائنة . ويجب ان نصلحها .

محمود : قطعت جهيزة قول كل خطيب

الام : ومن هذا الخطيب ؟

محمود (ضاحكا) : لا تخافي .. لا يوجد خطيب جديد .

الام : يا ليته وجد .

محمود : هل استطيع ان اعرف لماذا تحقدين علي ؟

الام : لانك انتزعت مني ابنتي الوحيدة

محمود : هذه سنة الكون .

سامية : المسألة بسيطة . ستسكنين معنا يا ماما .

الام : او يرضى محمود بهذا ؟

محمود : على شرط .

سامية : لا احب الشروط .

الام : ما هذا الشرط يا محمود ؟

محمود : ان تكوني راضية عني .

الام : حقا .. انك طيب .

محمود : اتفقنا اذن .

سامية : على ماذا ؟

محمود : على ان تعودي الي اولا .. ونسكن جميعا معا ثانيا .

الام (مقاطعة) : اذا تم هذا .. تأكد انني لن اتدخل في شؤونكما ابدا . وكل ما اريد ان تأتوا لي بحفيد اتسلى به .

محمود : ولكني اريدها حفيدة .

سامية : وانا مثل محمود اريد بنتا .

الام : وانا اريد ولدا .

محمود : لقد بدا اختلافنا منذ الان .

الام : لتكن بنتا على شرط ان تحمل اسمي .

محمود (ضاحكا) : ولماذا لا تحمل اسم امي ..

سامية : لا اسم امك .. ولا اسم امي

الام : انت حرة يا حبيبتي . وليوفقكما الله ..

سامية : من كل قلبك يا ماما .

الام : اجل من كل قلبي .

محمود (يقترب من الام ، ويتناول يدها ، ويطبع عليها قبلة) : انها اجمل قبلة في حياتي .

الام : بارك الله فيك يا بني .

محمود (يتجه صوب الباب ويشير بيده) : الى اللقاء القريب .

سامية : الى اين ؟

محمود : لاعداد ما يلزم لتعودي الى عصمتي .

الام : الا تتغدى معنا اليوم ؟

محمود بالتأكيد . اليوم وكل يوم . (ويخرج) .

سامية : انا سعيدة جدا بالعودة الى عشنا المهجور .

الام : واين هذا العش يا سامية ؟

سامية : العش الذي شيدناه على دعائم من الحب المتبادل .. ثم اجترحنا اكبر غلطة في حياتنا عندما هجرناه

الام : لو كنت ادرك مبلغ حبكما لما اقدمت ..

سامية (مقاطعة) لندفن الماضي .. امامنا المستقبل الجميل .

الام : لندفنه الى الابد .

طرطوس محمد حاج حسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثـوب الجـديـد

محمد ابراهيم ابو سنه

القـاهـرة



الحب أجمل ما لبسنا من ثياب
والدفء في القلب المحب
وفي مصافحة الصحاب
لا تظلميه اذا أتى
لا تغلقي في الوجه باب
ان جاء زوجك ليس
يحمل ذلك الثوب الجديد
لا تذكري برد الشتاء
وما يجيء به الشتاء
ولتمسحي عن منكبيه أذى التراب
لن ينفع المطر القليل هناك
للارض الخراب
جاب المدينة في يديه زوابع الريح العقيم
وبكل واجهة تصلي مقلتاه
والرقم يطرده عن الثوب الجديد
ورجاؤه طفل يموت على الطريق
قدماه مثقلتان في قاع عميق
لكأنما حمل المدينة فيها حمل الجبال
لكنه ثقل الليال
والتراتيل الحزينه
متحول باك لدى باب المدينه
كره المصابيح الكبيره
فالعين في الدنيا بصيره
واليد عما يبتغي جاءت قصيره
سيجيء نحوك بارتعاشات الغروب
والحزن في عينيه
نهر اسود غمر الدروب
لا شيء في كفيه
الا حلمه الذاوي على ظل الطريق
قد جف في المقل الحزينة ما لديها من بريق
لا تظلميه اذا أتى ودعي العتاب
لا تغلقي في الوجه باب
ولتمسحي عن منكبيه أذى التراب
ولتتركي هذا الحديث عن الثياب
ما ينفع المطر القليل هناك
للارض الخراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارنست همنجواي

بقلم عبد الوهاب عبد الله

في فجر اليوم الثاني من يوليو الماضي دوت طلقة نارية فوق سفوح « وادي الشمس » في ولاية ايدهو بأمريكا الشمالية فتردد صداها في المعمورة: مات ارنست همنجواي وهو يعانق بندقية قديمة . مات الاديب ، وغاب الصياد في مخبأ أسلحته ، وبين امتعة صيده . لقد عز على همنجواي ان يموت طريح فراشه ، فاستقبل الموت منتصبا وكأنه سنديانة ماردة أطاح بها اعصار مفاجيء . لقد زخرت حياة الاديب بأعاصير الخطر وللموت مع همنجواي تاريخ متكرر طويل ، حتى ملأ دورا جوهريا في فنه وفي قصصه . لقد اشرف همنجواي على الموت عدة مرات ولعل آخرها حادث سقوط الطائرة التي كانت تضمه بين ركابها فوق غابات الصيد في كينيا قبل سبعة اعوام حيث اعتقد البعض ان الاديب قد لاقى حتفه ، ونعته الانباء والصحف . ولكن الاديب لم يصب بضرر بليغ وهكذا أتيح له ان يقرأ الرثاء الذي قيل فيه وكتب الى أحدهم من الذين نعوه قائلا « ... اني اشكرك على نعيك الكريم وفي الحقيقة اني لست جديرا بمثل هذا الرثاء ، وسأبذل قصارى جهدي لان اوفر عليك جهد هذا العناء مرة اخرى ... » (١) بمثل هذه السماحة والانشراح والتهكم يتحدث همنجواي عن غريمه الموت وكأنه يشاطره هدنة مؤبدة .

عرف همنجواي الموت في سن صغيرة عندما كان هاويا للملاكمة في ايام تلمذته ، وفي احدى الجولات تلقى الاديب ضربة عنيفة اطاحت بعينه اليسرى وكادت تفتك به . وعرف الموت وهو متطوع في صفوف الايطاليين خلال الحرب العالمية الاولى في سن التاسعة عشر وأصيب بجرح بالغ في ركبته ومنح من اجله وسام الحرب الايطالي . (٢) ويذكر لنا الاديب السوفياتي المعاصر ايليا ايهرنبرغ عن اقدام همنجواي وجراته في الثورة الاسبانية الاهلية عندما كان الاثنان مراسلان صحفيان قائلا « ... لقد رافقته الى الجبهة خلال معركة حاسمة . كانت المعركة الوحيدة التي فاز بها الجمهوريون وكانت الابتسامة لا تفارق وجه همنجواي ... » (٣) ثم تردد همنجواي على جبهات معارك الحرب العالمية الثانية واصطدمت ناقلته اثناء نزول الحلفاء في فرنسا وجرح الاديب في عدة مواضع ثم شفيت الجروح بدون ان تخلف اثرا ملحوظا عليه ، ولكن مما لا جدال فيه ان تجارب همنجواي الدامية مع الموت والدمار تركت ابرز الاثار في ادبه وفنه ، بل يمكننا القول بأن معظم انتاجه الادبي ليس في حقيقته سوى مرآة امينة تنعكس عليها صور الهول والشجاعة والعنف التي خاضها الاديب طيلة حياته . وان ظروف موته في الواقع لا تعدو عن كونها انسجاما مكملا لشخصيته والتي هي جزء لا يتجزأ من اشخاص رواياته وقصصه .

لقد ارتبطت حياة الفنان ارتباطا وثيقا مع انتاجه الفني ، واستلهم الاديب تجاربه من واقع حياته كمنبع فياض لقصصه ورواياته . لقد كتب همنجواي تماما تجاربه التي عاشها ، ثم مات تماما كما كان يكتب ، وكأن حياته صيغت في قصصه كما كانت قصصه نابعة من صميم حياته .

* * *

في عام ١٨٩٩ وعند ضواحي مدينة شيكاغو ولد ارنست ميللر همنجواي من ابوين امريكيين ، وكان والده يمتهن الطب وعرف عنه التشدد والصرامة ، وشجع ابنه في ميوله الرياضية وصحبه معه وهو في سن يافعة الى رحلات الصيد وشب همنجواي وهو مولع بالرياضة وبالصيد ، وعرف عنه ولعه الحماسي الشديد بصيد النمور ، وهوايته لمصارعة الثيران واصطياد السمك . وكتب عدة قصص خصصها لهذه الهوايات من بينها « موت في عز الظهيرة » حول مصارعة الثيران ، وقصة « ثلوج كلمنجارو » حول الصيد في غابات افريقيا ، وقصة « الشيخ والبحر » حول صياد سمك على شواطيء جزيرة كوبا .

عمل همنجواي في بداية عهده الفني كمراسل صحفي لفترة وجيزة في امريكا ثم ارتحل وهو في الرابعة والعشرين الى باريس وهناك عمل كمحرر في مجلة ادبية تصدرها زمرة من الفنانين والادباء من اعضاء الجالية الامريكية في باريس ونشرت المجلة « عبر المحيط » باكورة قصائد همنجواي . وقد اتاح له عمله القصير في هذه المجلة التعرف على هذه الندوة النشيطة من الادباء وشجعه بعضهم لما لمسوا فيه من موهبة ومن كفاءة فنية ونصحوه باعتزال الصحافة والتفرغ الى التاليف .

وفي عام ١٩٢٤ اصدر همنجواي اول كتبه ، وقد ضمنه مجموعة من القصص القصيرة والاشعار بعنوان « في عهدنا » ، وتلاه بكتاب « صخب الربيع » وهو شبيه بما سبقه . ولكنه لم يصب نجاحا ملحوظا غير ان احد النقاد لكتابه الثاني كتب يقول « ... ان بيننا من يتكهن بأن همنجواي سيتزعم الادب الامريكي في المستقبل ويبدو لي ان هناك من البوادر في كتابه « صخب الربيع » ما تشير الى ان المؤلف يكاد يقترب من هدفه ... » (٤) ولم تمض ستة شهور على هذا التنبؤ حتى صدرت

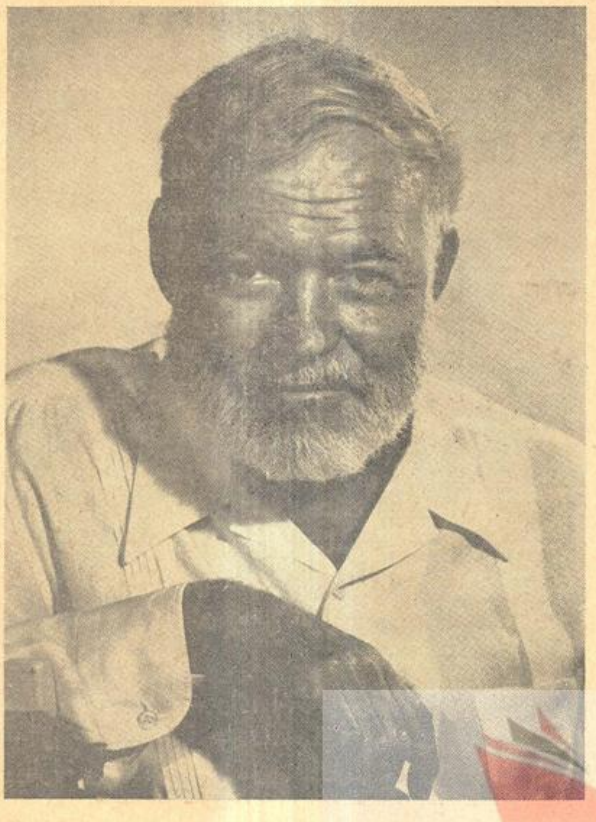
قصة همنجواي « ستشرق الشمس ثانية » ووطدت هذه القصة كيان الاديب وسمعته ورحب اغلب النقاد الامريكيين بها . فقد امتازت بأسلوب واقعي فذ وحوار دقيق مركز ، وكتب الناقد الاديب آلن تيت معبرا عن اغتباطه بهذا الاسلوب المنعش الجديد الذي بزغت اضواؤه على الادب الامريكي قائلا « ... ان همنجواي يترك ابطال قصته على واقعهم بدون حشو مزيف او تمويه متكلف ، وله مقدرة خارقة في التعبير عما يريد كما يحلل شخصيات القصة بأسلوب فذ ... » (٥)

وكتب ناقد آخر « ... لقد اختار همنجواي في منتهى البساطة مجموعة رحالة من الامريكيين في باريس ثم قادهم برحلة عارمة نحو مهرجانات اسبانيا الساهرة ، وهناك تخلى عنهم يهيمون ضياعا في حلقات مصارعة الثيران ... ومن المؤلم حقا ان يبذر كل هذا الاسلوب الرائع في وصف شخصيات تافهة تحيا حياة منحلة ومبعثرة في حانات اسبانيا ... » (٦)

ربما قد غاب عن الناقد آنذاك بأن شخصيات الرواية لم تكن مجرد شخصيات تافهة ومبعثرة كحسب ، بل انها أيضا كانت نماذج حقيقية حية لجيل مريض خلفته الحرب العالمية الاولى وهو على حال اوهنتها الجراح وخاب فيها الامل ، فانحطت العزائم ، وانهارت المعنويات ، وعاش الجيل حياة تكاد تكون خالية من المثل والمبادىء . لقد رسمت ريشة همنجواي صورة صادقة لمجموعة من التائهين بلا وعي ، الهائمين بلا ايمان ، ينشدون خلاصهم في الضياع والتيه ولقد وجدوا في العنف والاستهتار ما اشبع جوعهم وبرد من حرارة التشاؤم في قلوبهم . ومن هذه القصة ولدت العبارة المشهورة THE LOST GENERATION او الجيل الضائع ، او المفقود ، ولا يزال نقاد الادب الامريكي المعاصر يرددون هذه العبارة اشارة الى ذلك الجيل التائه المفقود الذي شتته الحرب ، وينضوي تحت لواء هذا الجيل زمرة معروفة من الفنانين الامريكيين المعاصرين امثال الشاعر ازرا باوند والكاتب فتزجر لاد وغيرهم من الرسامين والفنانين .

وبعد هذه الرواية وفي عام ١٩٢٩ اصدر همنجواي قصة «وداعا للسلاح» وحازت على قبول شاسع وترحيب بليغ . فقال الناقد هايد براون « ... ان هذه الرواية تفوق اية رواية اخرى قدمها مؤلف امريكي ... » (٧) وقال ناقد آخر ان هذه القصة هي « ... ذروة الادب الواقعي . انها قصة فذة ولا يمكنك اطلاقا ان تتهم المؤلف بالمبالغة ، او بالاختلاق، حيث لا يوجد فيها أي اثر للتعمد او الارتجال ... » (٨)

وفي اعتقادي ان قصة « وداعا للسلاح » هي من بين اجمل ما كتبه همنجواي بما امتازت فيه من حوار حسي ، ومن اسلوب صافي مركز ، ولدراستها الامينة الواقعية لاهوال الجبهة الايطالية. وفي ظل هذه المخاوف



ارنست همنجواي

•

ينمو بين بطل الرواية الجريح المحارب وبين ممرضة متطوعة علاقة حب عارم تكاد ان تنهد امام روعته جميع حصون الرعب التي كانت تحيط بهم وتطوقهم .

وفي موقع من مواقع القصة يرغم المحاربون على التقهقر والتشتت فيستغل البطل هذا التراجع المؤقت ويودع سلاحه لكي يفر مع حبيبته ، ولكن التوفيق لا يحالفه ، فيخسر البطل صراعه مع الحرب وصراعه مع الحب في وقت واحد . ان فرار البطل لم يكن فرارا ارتجاليا ولم يكن بدافع الجبن او الخوف . لقد مهد المؤلف لهذه الخطوة تمهيدا دقيقا وعرض علينا البطل وهو في نقاش حاد مع نفسه ومع ضميره ويتساءل بوعي وادراك عن فظائع الحروب وعن دوافعها واسبابها ، ويلعن الذين اشعلوا نيران الفتنة ثم تخلوا عن الضحايا بكل اهمال وبرود . ولعل همنجواي اراد ان يرينا بأن المزج والخلط بين المثالية والتشاؤم لا بد ان يقود في النهاية الى الفشل والسقوط ، وهذا ما حدث تماما في روايته الاولى والثانية .

تناول بعض النقاد هذه القصة بشيء من التحفظ وعبروا عن اسفهم بأنها تفتقر الى القيم الايجابية الواعية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهناك نقاد اخرون يجدون في هزيمة البطل وتراجعه وفشله الذريع عبرة ايجابية ، حيث انه نصب المكيدة الى خلاصه ولكنه وقع ضحية مكائده .

ان نهاية القصة ترينا مرة اخرى كيف يعيد همنجواي نفسه في فنه وفي معانيه حيث ان شخوص الروايتين متشابهة التركيب والجوهر وفي هذا ما يدعو الى الاعتقاد بأن الاديب لم يتحرر بعد من تشاؤمه فشخصيات القصة لم يعثروا بعد على هدف محدد ، وان كانت قد اشتدت شوكتهم وزاد مرانهم ، الا انهم لا يزالون يتصيدون اللعب في المتاهات ، وان كان لنا في ضياعهم عبرة ، وفي فشلهم درس مرير .

وبعد ذلك وفي عام ١٩٤٠ أصدر همنجواي روايته الفذة « لمن تدق الاجراس » التي تعتبر بحق ذروة انتاجه الادبي . عاد همنجواي مرة اخرى الى ساحات الحرب والحب واتخذ منها ميدانا لاحداث القصة ، وقد استعار همنجواي العنوان من الشاعر الانكليزي جان دان « ... لا تسأل لمن تدق الاجراس فان الاجراس تدق من اجلك ... » ان معاني الرواية هي صدى معاني هذه العبارة الفريدة .

وقد توفق همنجواي أشد التوفيق في استعراض معاني هذه العبارة من تضحية ، ومحبة ، واستبسال وبطولة وعالجها جميعا على اصدق وجه ممكن. ان القصة سجل دقيق لاحداث دامت ثلاثة ايام بلياليها عاشها البطل بين صفوف المحاربين الجمهوريين في الثورة الاسبانية وفي النهاية يتطوع البطل لمواجهة موت مؤكد ، بدلا من الانسحاب والتراجع .

في موت هذا البطل يظهر لنا الفنان همنجواي لاول مرة بعد ان بلغ سن الاربعين ، في نضوج فكري مكتمل وذي مواهب ادبية فنية خارقة . ولعله اراد بهذه القصة الفذة ان يعلن لنا ان هناك اشياء عديدة في حياتنا جديرة بأن نعيش لها ، ولكن هناك ايضا مثلا عالية الاجدر بنا ان نحميها وان نموت من اجلها . يجمع كثير من النقاد على انه ليس بين جميع ما كتبه همنجواي ما يقارن بهذه القصة الرائعة من قوة ومتانة ومن مثل ايجابية عميقة . نجد في هذه الراوية شخوص همنجواي وقد تركوا التيه والضياع واخذوا يبحثون باخلاص وتضحية عن حلول شريفة عادلة لمشاكلهم ومآسيهم وهم فوق كل ذلك مدركون عاقبة الامور ولكنهم يضحون عازمين على النصر.

بعد نجاح رواية «لمن تدق الاجراس» انشغل همنجواي في الحرب العالمية الثانية ، ثم استقر عند نهاية الحرب في منزله في ضواحي مدينة هافانا ، عاصمة كوبا ، ومن هناك اصدر عام ١٩٥٢ قصة قصيرة حول صياد سمك تقدم به العمر واتعبته السنون ولكن عزيمته في الصراع ، وشكيمته وجراته في المخاطر ، تنمو مع الايام ، وتتجلد مع الزمن .

لقد رحب النقاد بقصة « الشيخ والبحر » حتى ان أحدهم كتب متعجبا « ... ان كثيرا ما طفرت الدموع من عيني وانا اطالع قصص همنجواي ، ولكني قط لم اتصور ان اقارب حالة التهيج من اجل سمكة حقيرة ... » (٩)

يتردد في هذه القصة القصيرة شخوص القصص السابقة بعد ان حنكتهم الشدائد والمحن كما انهم لا يزالون في كفاحهم القاسي في ظل اعرافهم الصارمة وعاداتهم الخاصة المتزمتة ، كما انهم لا يزالون احيانا يستبدلون الربح بالخسارة ، ويفضلون المغامرة في المتاهات على السكينة في الخمول ، ولعل في هذا تكمن معجزتهم . ومن هذه الراوية يكاد همنجواي يقترب في معانيه من التراجيديا الاغريقية حيث يتسجد في الصراع البطولي الذي يعلو على ملتزمات الحق او على مدعيات الباطل على حد سواء . اي ان الصراع من اجل الصراع فحسب هو فضيلة مكتملة بحد ذاتها وان رسالة القصة تنحصر في تطوير هذا الصراع وتحديده بدون اهتمام جوهري الى النتائج او العواقب وبدون مراعاة مفتعلة للتمييز السطحي بين الانتصار او الفشل ، وبين السقوط او النهوض . النهاية هي واحدة على حد سواء، والجوهر الفني هو في صراع البطل واستمرار هذا الصراع وليس في تغلبه او فشله . وفي هذا المعنى الخلقي نجد ان همنجواي يعبر عن العبارة القائلة « عليك ان تسعى وليس عليك ادراك النجاح » .

* * *

هذه الكتب التي اوردناها تمثل احسن واهم انتاج الاديب وله عدة كتب اخرى لا يتسع المجال لنا في استعراضها خاصة وانها لم تترجم بعد الى اللغة العربية، ومن بينها « رجال بدون نساء » ، وقصة « المالكون والمعدمون » واخيرا كتاب « ما وراء النهر » .

(١) نشرت هذه الرسالة في عدد ٢٩ يوليو سنة ١٩٦١ من مجلة « ساترداي رفيو » ، الصفحة الثامنة . (٢) لم يتوفق همنجواي في تطوعه للالتحاق مع الجيش الامريكي لفشله في الفحص الطبي ، ولكنه اعاد المحاولة مع الايطاليين فقبلوه واستخدموه سائقا في عربة اسعاف. (٣) نفس المصدر الاول في الصفحة العشرين . (٤) الناقد ل. س. موريس في مجلة « نيو ربيلك » عدد ٢١ مارس ، ١٩٢٦ . (٥) الناقد آلن تيت في مجلة « ذي نيشن » ، عدد ٢٨ سبتمبر ، ١٩٢٦ . (٦) الناقد ك. تسيس في مجلة « ساترداي رفيو » ، عدد ٢٧ سبتمبر ، ١٩٢٦ . (٧) الناقد هايد براون في صحيفة « نيويورك تليغرام » عدد ١١ فبراير ، ١٩٢٩ . (٨) الناقد ارنولد بنيت ، في صحيفة «نيويورك تايمس» عدد ٩ فبراير ، ١٩٢٩ . (٩) الناقد روبرت راورك في صحيفة « نيويورك ورلد تلغرآم » ، عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٥٢ . (١٠) الاديب فورد مادأكس فورد في سلسلة الادب الامريكي التي تنشرها جامعة منوسوتا ، العدد الاول ، صفحة ٣٢ . (١١) نفس المصدر السابق ، صفحة ٣٢ ، وقد قام باعداد هذا العدد الاديب الناقد فيليب يونغ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجرة

مترجمة بتصرف عن الشاعر الفرنسي سوللي برودوم كما تقتضيه الصياغة العربية

قلت للانجم المضيئة ليلا ... انت لا شك مثلنا في شقاء
ان في نورك المبدد ، كالطل ، ... بأفق اللانهاية السوداء
لحنينا يشجي الفؤاد صداه ... مثلما حن للديار النائي
وكأني اشيم انى تلفت ... وارسلت نظرة للسماء
سرب غيد من العذارى ونعشا ... أبيض اللون ، فاتن اللألاء
حاملات الشموع قد نشر الحزن عليهن حلة من عياء
أتراكن يا كواكب جرحى ... من سهام ريشت بكف القضاء
ام تراكن في ابتهال ونجوى ... وصلاة عميقة ودعاء
ان ما تريقينه لدموع ... من ضياء لاشعاع من هباء

* * *

قلت : يا جدة الخلائق والارباب ، يا شهب يا حلى الفضاء
لم تبكين : قلن لي بعد صمت ... نحن في عزلة عن الاشياء
كل نجم وان تقارب ناء ... عن اخيه فيا لهذا التنائي
وسنى نورنا اللطيف ضئيل ... لا تراه لواحظ الرقباء
وكذا ضوؤنا المحبب يفنى ... دون جدوى في القبة الزرقاء
لا تبالي به السموات ان شع ولا الارض تحتفي بالضياء
قلت يا شهب قد فهمت فانتن تشابهن انفس الاحياء
هكذا في الظلام تحترق النفس لنيل الخلود بعد الفناء
غير ان النفوس قد تتلاقى ... من بعيد وحسبها من لقاء

بغداد — **عبد القادر الناصري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الكتب التي لم يتم نشرها حتى الان فهي مجموعة « الصيف الخطر » وقد نشر جزء منها في مجلة امريكية، وله ايضا مذكرات خاصة حول ايامه في باريس ويشاع ان هناك قصة طويلة من النوع الذي ذكرناه في قصة « الشيخ والبحر » .

وبالاضافة الى هذا فان من الواضح ان شهرة همنجواي ومقامه في الادب الامريكي يحصنها مساهمته الفعلية الايجابية بتطوير اسلوب القصة الواقعية وصياغة الحوار الحسي المركز . وقد تأثر بهذا الاسلوب الجديد عدد كبير من الذين وجدوا فيه اشباعا مثمرا لحاجاتهم الفنية في امريكا وفي غيرها من البلدان .

يتميز اسلوب همنجواي بالبساطة العارية والوضوح وبالاقتصاد المنهجي في الوصف والعبارة . وقد وصف أحد المعجبين هذا الاسلوب الجديد المتشنج بقوله « ... ان كل كلمة تتفجر امامك وكأنها فقاعة طرية اقتطفت من جدول رحيق ... » (١٠) والحقيقة ان كل عبارة من عباراته تحفل بشحنة موزونة من المعنى والاحساس ، متأتية من اختيار الكلمة الحادة الدقيقة المعنى والعبارة الصافية الجلية . هذا الاختيار الذي اضطره الى اعادة كتابة الصفحة الاخيرة من قصة « وداعا للسلاح » تسع وثلاثين مرة ! (١١)

لقد مات همنجواي ، وبموته انطفأت نجمة كبيرة متألقة ، وجف نهر عريض من انهار الادب في العالم .. بيد ان الثروة الضخمة التي خلفها همنجواي وراءه لشعبه وللعالم ستمحى اجيال واجيال قبل ان تستطيع ان تؤثر عليها ..

نيويورك — **عبد الوهاب عبد الله**

ارم ذات العمـاد

من مجموعة بهذا الاسم يعدها الشاعر للطبع قريبا

- ١ -

الحب سراب من اوهام
يا قلب سراب من اوهام
لا شيء بها غير الانواء تؤرقني
غير الآلام
غير الاشباح المفزعة السوداء
تحدق بي في كل مكان
وجهلت الحب
لكن احببت
وبنيت لمن اهوى قصرا
ونثرت بداخله المرمر
وارائك من ذهب أصفر
وحصائر من اغلى الجوهر
ويضارع في الدنيا « ارم »

- ٢ -

وجهلت الحب
لكن احببت
وركبت بصحراء الحب الجرداء
ومعي زادي
امل للضجر
صبر للهجر
ومشيت اهيم على قلبي
واسائل عنك وعن حبي
فسألت الشمس فما اكترثت
وسألت الدرب فلم ينبي
وسألت البدر يساعدني
فأشاح وغاب من الرعب
والليل سجى
وناخ الصمت يكلكله
وامتد ببلقعه الرحب
يا ليل الشوق الا تمضي
اشباح الرعب تؤرقني
ان لاح الفجر سيسعدني
فالصبح سيفترس العتمه
وذكاء مثل عصا موسى
وضياء الفجر سأركبه
واجوس وابحث عن ارم

- ٣ -

وافاق العالم من ليل الاشباح
وتمطى الرمل
وتثاءب في بطء يحكي
وافقت بأمالي الكبرى
وادرت الطرف على الصحرا
ولمحت على بعد ارم
أرض الاحلام المرتقبه
ولمحت على بعد ارم
مهد الاشواق الملتهبه
وملائكة الحب العذري
تترنم في همس نغما
وترف بأجنحة خضرا
فطفقت بلا وعي أمشي
خطوات الحب الى عرشي
ما عاد الحب يؤرقني
أو جمر الهجر يحرقني
سأسير الى محرابك يا حلوه
خطوه
خطوه
ما عدت خيالا او حلما

سنار ـ السودان — عبد القادر ابو القاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بيـــن الادب والصحافة

تاليف فاروق خورشيد ـ ١٥٨ صفحة ـ منشورات
الدار المصرية للنشر بالقاهرة

من بين ما قرأت في الاسابيع الاخيرة من الكتب الحديثة كتـاب « بين الادب والصحافة » للاستاذ فاروق خورشيد .

الكتاب صغير الحجم « ١٥٨ صفحة » ولكنه كبير القيمة ، وبخاصة في هذه الايام التي تحدد فيها من جديد قيم ومفاهيم ثورية تتناول بعض قضايانا الادبية والفكرية والصحفية .

يثير الاستاذ فاروق خورشيد في كتابه هذا بعض القضايا الهامة في الثقافة والادب والصحافة ، ويسجل في ذلك كله بعض الظواهر البادية او الواضحة او اللائحة التي يدركها اللماح او المتمرس ، ويخفي امرها على غيره .

يثير ـ في ازمة الادب ـ ظاهرة تحدث فيها كثيرون : هي اختفاء المجلات الادبية ، رغم محاولة اصدارها مرة بعد مرة « تحت ضغط الخسارة المادية » . وكذلك اختفاء الشعر ، وانزواء الادب « في ارکان اسبوعية صغيرة الحجم غير جادة المادة » ـص ٩ ـ

وما ذكره الاستاذ خورشيد في ذلك صحيح . ولكني اعتقد ان الصورة تكون اكمل لو انه ذكر ، الى جانب المادة « غير الجادة » سلامة التناول واستقامة التوجيه والغاية .

وقد كتبت في ذلك كلمة صريحة ـ واعتقد انها قد تكون مفيدة ايضا ـ في العدد الاول من السنة الثانية لـ «وطني» ، ولا اريد ان اعود لما كتبت.

ويثير الاستاذ خورشيد قضية التوزيع الصحفي وتاثيره على الادب ومستوى الصحف ، وتاثير ذلك على « امثالنا » من الجيل القديم المؤمن باهمية الادب ودوره « ومفاهيم هذا الجيل من الصحفيين الذين لايؤمنون الا بالتوزيع وانصراف اصحاب الاقلام القيمة منهم الى المقال السريع او الربورتاج المثير » ـ ص ١٧ ـ كما اثار المفهوم الصحفي للقصة بما اعلن عليه فيما بعد ـ ص ١٩ ـ

ومن القضايا الهامة ـ بل المثيرة ـ ما سجله المؤلف وهو يقول :

«وهكذا ظهرت مجموعة من الصحفيين «يعرفون» في الادب كما يعرفون في كل شيء .. وهذه المجموعة لا تقرأ لان وقتها منصرف الى تسلية الاميين » اعني « الدردشة » ... ومن خلال هذه التسلية يلتقطون معلوماتهم الادبية ، ويكونون مفهوماتهم السطحية المقتضبة ويكونون احكامهم على الادباء.. وقد تبلورت هذه المجموعات في شلل لها مفهوماتها واراؤها التي تتحكم في النشر ، وفي ابراز الانتاج الادبي بل وفي تحديد من هم الادباء الذين يصح النشر لهم على ضوء المعرفة الشخصية بالنسبة « للشلة » كلها او بالنسبة لاحد افرادها البارزين ، وتحدث المفاجاة عندما يطبع هؤلاء الادباء الذين تؤمن بهم « الشلل » انتاجهم في كتب ، ثم تسقط هذه الكتب ، لان قارئي الكتب لا يعترفون لا بمنطق هذه الشلل ولا بمفهوماتها ولا باهميتها كصاحبة رأي في الحياة الادبية .. ـ ص ٢٢ـ والقضية، بل التهمة هنا ـ قضية الاحتكار ـ واضحة في حديث خورشيد المذيع الصحفي العارف الذي لا يقول الا عن علم وخبرة ومعاناة وتجربة .

والنتيجة المؤسفة التي ينتهي اليها صاحب هذه الخبرة والتجربة سجلها بنفسه في هـذه السطور :

« وهكذا اصبح ادباء الصحافة في ازمة ، فرغم شهرتهم الواسعة التي تتيحها لهـم الصحافة لا يجدون الاعتراف الصحيح مـن الاوساط الادبية .. بينما اصبح الادباء انفسهم في ازمة، فرغم اصالتهم وجديتهم يجدون ابواب الصحف مغلقة في وجوههم ـ ص ٢٢ ـ

وكثيرة هي القضايا الهامة التي يثيرها الاستاذ خورشيد . وهنـاك بعض هذه القضايا اثارها ولم يضع لها حلولا . وكانت كتابته فيهـا عرضا مجردا ، وهو عرض حسن ولكنه يكون اكثر افادة وجدوى لو انه قرن ببعض الحلول العملية او التوجيهات .

من ذلك حديثه ـ ص ٤٥ ـ ٤٦ ـ عن الفرق بين الاسلوب الصحفي والادب ، وحديثه عن ادخال مفاهيم الصحافة في الادب ـ ص ٥٣ ـ وقوله في ذلك : « وما الصحافة سوى جذب للقارىء عن طريق ارضاء غرائزه واستثارتهائم اعطائه المفهوم السياسي عن طريق مباشركالريبورتاج، او الصور الكاريكاتورية ، واخيرا عن طريق القصة والمسرحية . » فهو يقرر ـ او يعرض ـ هنا قضية من اهم القضايا التي تتصل بالفكر والادب والصحافة . تتلخص في ان الصحافة مرآة للرأي العام ـ مهما كان لون تفكيره ومداه ومستواه ـ وليست ـ اي الصحافة ـ موجهة له مؤثرة فيه ، معلمة اياه ، رافعة لمستواه ، مقومة لعوجه . هذه القضية الهامة يعرضها الكتاب ولا نعرف هل يقرها الاستاذ خورشيد أم يردها وينقضها. وان كان يفهم من احاديثه في مواضع اخرى ، ومن اتجاه الكتاب ومنهجه انه ينكرها ولا يقرها ، نجد ذلك في قوله : «والصحافة رغم كونها صناعة فهي الى حد كبير مهنة ذات رسالة توجيهية بناءة .. والبناء لا يأتي بالشعار وحسب وانما يأتي ايضا بوضع اللبنة فوق اللبنة باصرار وصبر وتؤدة وبعض التضحية .. ويوم تعود الثقة عند قراء الادب بما تقدم الصحافة تحت اسم الادب فلن يقل اثر هذه المادة الدسمة في التوزيع والربح عن اثر المواد الخفيفة ، فان بعض الناس يمكن جذبهم عن طريق عقولهـم وعواطفهم ، كما يجذب الاخرون عن طريق غرائزهم وفضولهم وكسلهم.» ـ ص ٥٩ ـ

واعتقد انه كان اولى بنا ان نجد هذا الكلام في موضعه عند عرض القضية .

وفي الكتاب كلام جيد عن الشعر ارجو ان يطالعه الشعراء ـ ص٧٣ـ٧٨ـ وكلام اخر جيد ايضا عن القصة وذاتية الكاتب وموضوعية القصة، وبخاصة ما جاء في ص ١٠٤

وقد عنيت عناية خاصة ، بوصفي من كتاب المقال الصحفي الذيـن تطورت عنهم الصحافة ، عنيت بما كتبه الاستاذ خورشيد عن المقـال وبخاصة ما اقتبسه عن « آرثر بنسن » و « هيو ووكر » عن تحديد المراد من «المقالة» ص ١١١ ـ ١١٧ والمنزلة التي انتهت اليها المقالة الادبية في صحفنا .

ولا استطيع ان اذكر جميع تلك القضايا الهامة التي اثارها الاستاذ خورشيد في كتابه هذا ، ولا تلك الاراء المفيدة الصادقة الناجحة التـي عرضها وقررها . لاني اعتقد ان كل كاتب وصحفي لا بد ان يطالعها بنفسه في الكتاب . وانه واجد فيها فائدة ومتعة وصدقا . ولكني اعرض مثلا مما امتاز به الكتاب من السداد والصدق والشجاعة في حديثه عـن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعض الشعارات الصحفية والادبية والفنية التي تذكر وتتردد كثيراً في ايامنا الاخيرة .

فهو يعرض رأيه عن ذلك عرضا شجاعا قويا منطقي الحجة في هذه السطور ص ٥٢

« وقد وجد هؤلاء النقاد الصحفيون انفسهم مضطرين الى اختلاق قضايا غريبة حتى يستطيعوا ادخال هذه الاعمال في زمرة الاعمال الادبية، وحتى يستطيعوا ان يتطاولوا على الاعمال الادبية الاصلية ، بل وحتى يجدوا ما يقولونه دون عناء وبحث ، ودون معرفة لهمة النقد واصوله وتطور مدارسه ومذاهبه . وما اسهل ما ارتفعت دعاوى الادب للشعب وادب الكادحين ، وما اسهل ما ارتفعت شعارات كتاب الحياة والكتاب الهادفين . وكل هذه الدعاوى الصحفية ببساطة تحطيم تعسفي جاهل للقيم الادبيةوالفنية المتوارثة الاصلية، واصبح الناقد الصحفي بمقتضاها غير مسؤول عن البحث في الصدق الفني للكاتب ومدى عمق التجربةعنده، وانما اصبح يسأل سؤالا متكررا سخيفاعن الهدف الاجتماعياو السياسي من وراء القصة المنشورة . وكان القصة مقال صفحة اولى او عامودصغير يلوك فيه صحفي افكار غيره ويكرر نفس الشعارات التي سبق ان كررها من قبل . »

بقيت الملاحظة التي اشرت اليها اول هذا المقال ، واجلت الرأيفيها. وهي خاصة بما ذكره الاستاذ المؤلف عن القصة . فهي ، كما يقول : « في المفهوم الصحفي حكاية مثيرة ومسلية ، والا فهي ادب محرم . »

واعتقد ان اطلاق الحكم على القصة وموقف الصحافة منها غير مستقيم . فنحن نجد بين ما تنشره الصحف قصصا لابراهيم المصري ، ونجيب محفوظ ، ومحمد عبدالحليمعبدالله ، ويوسف ادريس ، وغيرهم، ليس فيها – اي في هذه القصص – شيء مما وصف به الاستاذخورشيد القصة فاطلق الوصف . واغلب هذه القصص لهؤلاء المؤلفين ليست « حكاية مثيرة مسلية » كما قال الاستاذ المؤلف ، بل فيها كثير مما يضعهم في موضع الاستاذية لفن القصة .

القاهرة

محمود الشرقاوي

سكرتير تحرير مجلة الازهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيد في البيت

تأليف عبد المجيد لطفي – ٦٦ صفحة – مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ببغداد

هذا هو عنوان الكتاب الذي أصدره الاستاذ عبد المجيد لطفي، والحقيقة انني كلما هممت بارسال كلمة في هذا الكتاب صرفتني عنه اشاغيل طارئة ، او حجزتني صوارف الدنيا من هم وحزن وألم ومرض او عمل بيد اني الساعة حريص على الكتابة في هذا السفر رغم كل ذلك .

والاستاذ لطفي قصاص ماهر يصور لنا الحوادث والشخصيات بغاية الدقة والبراعة ، وفي كتابه هذا نماذج انسانية كما تبدو من خلال الشخصيات الفردية ، فيصور لنا الصراع الاجتماعي ، ويتجه في محاوراته الى التحليل النفسي .

ان قوام كل عمل أدبي هو مطابقة قيمه التعبيرية لقيمه الشعورية وقد صور المؤلف في كتابه هذا الحياة في محيطها الطبيعي وفي هذا المحيط تختلف الاجواء والحالات الشعورية .

لقد ابرز لنا المؤلف في محاوراته هذه صورا ظاهرة الملامح ، وقد برزت لنا جلية واضحة بعد ان سكب في محاوراته هذه عصارة نفسه، وخلاصة تجاربه ، وقوة منطقه ، ونصاعة تعبيره . فقد جاء في صحيفة (٥) ... غير ان ما لا استطيع ان اتسامح فيه هو فهمي بأن الحرية هي الكرامة فهي لذلك اغلى شيء في الوجود منذ عرفت البشرية المضطهدة رنين القيود ، ولفح السياط ، وظلمات السجون .

وفي صحيفة (٤٩) يقول : (... فان التاريخ مليء بامجاد الفاتحين ورجال الدم والسفك والقتل والاحراق بينما تقبع ذكرى العلماء الاجلاء والفلاسفة النبلاء في زوايا يعلوها التراب ولعل من المفيد ان اعطي البشرية بعض الحق فما زالت طريق الحرية مسدودة وما زال فتحها بحاجة الى ابطال والى كراديس من البشر يدفعون البوابات العتيدة عن الطريق .. والمؤسف في الامر ان الحرية لا تكاد تظفر بالحرية حتى تجد لها سجانين جددا واعداء خضارمة يحاولون جرها الى الحظيرة المظلمة من جديد .. خطوة خطوة او دفعة واحدة ...) ويعقب على ذلك في صحيفة (٥٥) فيقول : (.. ولم تكترث الانسانية كثيرا بالطفاة ما دامت اعمارهم اقصر من اعمار الشعوب ...)

وفي صحيفة (٥٨) يرجو المؤلف للناس ان يكونوا سعداء فيقول : (سيأتي يوم افضل على البشرية تستطيع فيه ان تجعل الناس سعداء دورهم هانئة واطفالهم اصحاء سعداء والى ان يأتي ذلك اليوم ستبقى الاسلاك الشائكة ، والاسوار العالية والسجون المظلمة تهدد كل من يطمع بشيء من السعادة والعدالة .)

ولكن الشيء الذي استرعى انتباهي وهو ما جاء في صحيفة (٦) قوله : (يجعلهم حاقدين حاردين والكلمة الثانية لا يستقيم معناها مع الكلمة الاولى فمعنى الحرد القصد وقد ورد في القرآن الكريم (وغدوا على حرد قادرين) أي على قصد .)

والحقيقة ان الاستاذ لطفي عرض علينا الفن في محاوراته هذه في ثوب قشيب رائع ، وتعبير ادبي بديع وانك لتجد فيه رشاقة الاسلوب ، وقوة التعبير ، وسلاسة المنطق .

بغداد

عبد الخالق عبد الرحمن

ثمن الكرامة

قصة – تأليف سلامة خاطر – ١٢٠ صفحة – سلسلة « اقرأ » رقم ٢١٩ – منشورات وطبع دار المعارف بمصر القاهرة

هل للكرامة ثمن ؟ وهل ثمنها متاع او مال ؟ أم قصاص وانتقام ودم يراق ؟ عن الكرامة وثمنها تحدثت قصة « ثمن الكرامة » التي أصدرتها دار المعارف بمصر في سلسلة « اقرأ » والتي نسجتها يد صناع ، يد الاستاذ الشاعر سلامة خاطر ، والحق يقال ان نسيجها محكم متماسك، سداه اسلوب سهل سلس ، ولحمته موضوع اجتماعي هاد هادف : شاب في عنفوانه واكتمال صحته وثروته ، تفتح امامه امكانياته هذه كثيرا من طرق الغواية والانحراف .. خمر وسهر .. اصدقاء سوء يلتفون حوله يبتزون من ماله وجاهه .. نساء يحمن حوله ، ثم يتساقطن صرعى كما يتساقط الفراش حول اللهب والوهج ، ويزهد .. ويسأم .. ويتطلع .. يزهد فيما امتلكه ويسأم ما تحت يده ويتطلع الى شيء منيع عزيز المنال ! ! ثم يرى في النهاية حصنا عز عليه اقتحامه .. يرى زوجة قد تحصنت بشرفها وعفافها ، وجعلت من الوفاء لزوجها الشيخ الكبير سياجا يقيها ويحميها ، فلم تستجب لنزوات العاشق وغوايته .. وعز عليه ان يستسلم ويلقى سلاحه وهو الذي لم يعرف الهزيمة في دنيا النساء ! ! ويركب رأسه .. ويلجأ الى سلاح التهور والاندفاع – بعد ان أعياه سلاح الحيلة – فيقتحم على الزوجة خدرها واضعا تحت قدميها قلبه .. وأمام ناظريها هداياه

وهلاه ، صابا في اذنيها عذب مقاله ومعسول عباراته . وتقاوم في عنف وفي اصرار ، ويشهد زوجها من وراء ستار هذه المقاومة ويتحقق من حصانتها ويستيقن عفتها . وتبلغ القصة قمتها عندما يصور المؤلف هذا الموقف بين زوج موتور وشاب مغرور مفتون ، وبأسلوب يتارجح بين المنطق وعنف السخرية وبين قسوة الواقع ومرارة الحقيقة يبرز المؤلف الصراع بينهما ، كما يظهر الاحاسيس والانفعالات التي تنتاب آنئذ كلا من الشيخ المتزن الوقور والشاب المعتدي على حرمة الشيخ وكرامته . ومن الحوار القوي المنطقي في خاتمة هذا المشهد يظهر لنا ثمن الكرامة الذي غرسه ذلك المعتدي المتهور .. وبعدئذ ينهار الشاب، ويلجا الى الشراب ليسلو وينسى .. ! !

وتنضح نفسية المؤلف الخيرة على حوادث القصة بعد ذاك ، فيجعل الانسانية تسمو ، والفضيلة تتغلب على الاثم ، والخير يمسح بيده فيزيل رواسب الشر وآثار العقوق ، فلا عجب ان رأينا المؤلف يدفع الزوج الشيخ الى ان يمد يد العون والمعونة الى غريمه القديم . ثم يتكلف المؤلف موقفا فيه بعد عن الواقعية وفيه للصدفة والافتعال مدخل اي مدخل ، فيقحم شخصية عبد الرءوف حسني القاضي ، ليجعل في يدها مفتاح الموقف وحل عقدة القصة التي ترينا ان الزوجة التي هام بها فريد وشغف قلبه بحبها ولقي في سبيلها ما لقي لم تكن في النهاية الا آخته التي باعدت الاقدار بينهما منذ الصغر .

ولو اختار المؤلف من جعبته ـ واعتقد ان في جعبته الكثير ـ لو اختار موقفا آخر غير هذا فيه من الطبيعة والواقعية ما فيه لبلغت القصة الذروة . ومهما يكن فهذا النتوء في بناء القصة لم يؤثر على روائها .

وقد قدم المؤلف على خلاف العادة زاوية من زوايا القصة وصدر بها قصته وجعلها بمثابة المقدمة ، ليشوق بها القارىء ويدفعه دفعا الى ان يقبل على القراءة ويغريه بمتابعة حوادثها واحداثها وفي ذلك يقول المؤلف بعد ان يعرض هذه الزاوية « مهلا يا صديقي القارىء .. فليس هذا اول القصة .. ! كاني بك تستعجل النتيجة .. ! ! وانت تعلم أن النتائج لا بد لها من مقدمات .. أحس الان انك تشعر بشيء من الاستهجان .. ولكن .. لا داعي لكل هذا .. لانني ما اردت بوضع هذا الموقف في المقدمة الا توجيه خاطرك نحو نقطة التحول في القصة ، ففي هذا الموقف بالذات ولدت القصة .. واعلن اسمها على الغلاف..»

والمؤلف تغلب عليه طبيعته كشاعر فتلحظ في الخطوات الاولى من القصة أبيات الشعر التي استشهد بها في مواضع من الحوار ، كذلك بعض القطاعات في رأيي كان في حاجة الى تحليل وتعليل وتجلية وبعد عن مقام السرد ، كهذا الموقف الذي تحدث فيه عن كاميليا في سطر وبعض سطر عندما اخذت من فريد مفتاح السيارة وفرت بها من الطريق العام ، فقد مر المؤلف على هذه اللقطة مرورا عارضا عابرا من غير ان يجليها تجلية نفسية تشبع رغبة القارىء وتطبع الموقف في نفسه انطباعا .

ثم احداث القصة تسير هادئة احيانا واحيانا آخر يرتفع نبضها فتزخر مشاهدها بالحياة والحركة والانفعالات .

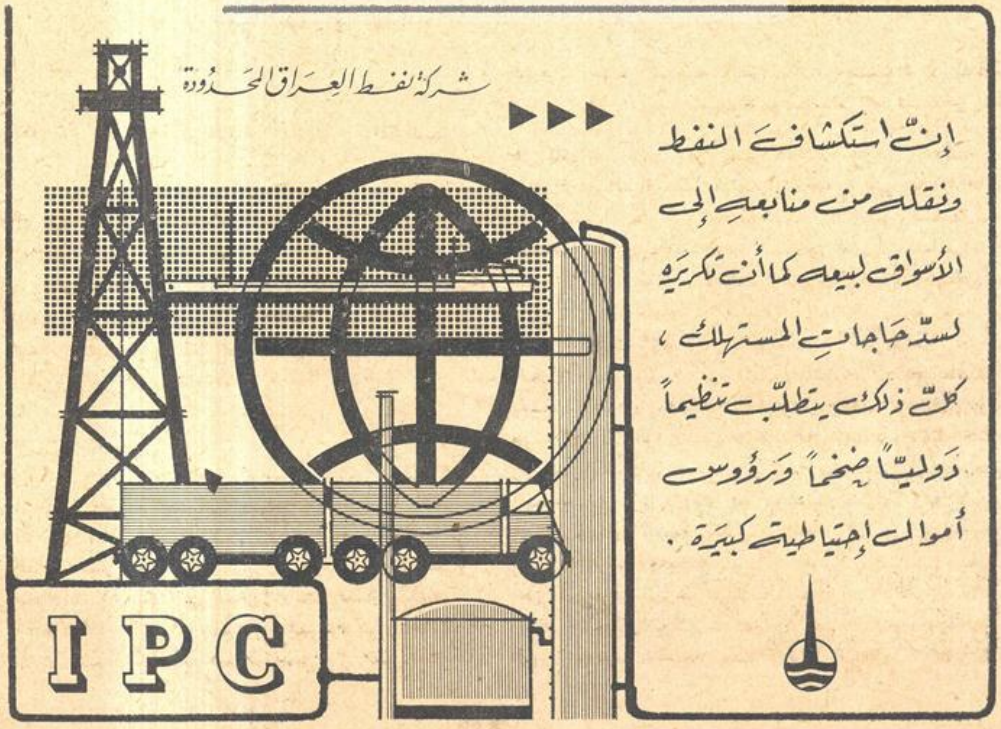
على أني بعد ذلك اقول ان القصة ذات أسلوب عفيف ومغزى نبيل شريف خالية من الشوائب خالصة مما يثير الغرائز الدنيا ، اجتمعت لها عناصر الجودة من حبكة وعقدة وتشويق ، لا تبذل ولا انحراف ، بل مثالية والقصة بهذا الوضع اقدمها مثالا لذوي المواهب القصصية يتخذونه نبراسا يسيرون على هديه ليظهر لهم معالم الطريق ويأخذ بيدهم الى القصة ذات الهدف الجلي والموضوع المحبوك والاسلوب الذي يأخذ بعضه بحجز بعض والحوار المعبر والتحليل للمواقف والشخصيات في غير ابتذال او اسفاف .

فليهنأ الاستاذ سلامة بسلامة قصته وبحسبه ما قدمه من جهود في سبيل ثمن الكرامة .

القاهرة

محمود بن الشريف
بمراقبة الكتاب بوزارة التربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





ظهر حديثاً

● النافذة المفتوحة : صور من الشرق والغرب ـ مجموعة قصص ـ تأليف الدكتور صفاء خلوصي ـ ١٢٠ صفحة ـ مطبعة اللواء ببغداد.

● كرمنا في علين ـ لجورج سكاف ـ الرسوم بريشة بهيجة ـ ١٨٠ صفحة ـ منشورات دار المعارف لبنان ببيروت ـ مطابع مؤسسة ا. ج. بدران في لبنان .

● الابن ... وسبع قصص اخرى ـ ترجمة الدكتور علي جواد الطاهر ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ببغداد .

● المانيا اليوم ـ تأليف فريد ابو شهلا ـ ١٠٤ صفحة ـ مزين بالصور ـ منشورات مؤسسة الجمهور للطباعة والنشر (؟) .

● حياة النبات ـ بقلم طائفة من العلماء ـ ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ـ ٣٤٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعارف بمصر القاهرة ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● كيف تكون مديرا ناجحا ـ تأليف جيمس منزيس بلاك ـ ترجمة عبد الحليم ثابت ـ مراجعة وتقديم ـ الدكتور محمد توفيق رمزي ـ ٢٧٤ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● السفر الى الفضاء ـ تأليف جين بندك ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم ـ ٦٦ صفحة ـ مزين بالرسوم ـ سلسلة « كتابك الاول » ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● ارشادات لدراسة اللغات الاجنبية ـ تأليف وليم مولتون ـ ترجمة الدكتور عبد الكريم طه ـ ٣٢ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات مجلة المعلم الجديد ببغداد ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● الانسان والكون ـ تأليف فؤاد صروف ـ ٢٣٢ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ مطابع دار العلم للملايين .

● دراسات في الغذاء الكامل ـ تأليف هيئة من اساتذة ومديري معاهد التغذية ـ ترجمها بتصرف الدكتور محمد الشحات ـ صمم الغلاف امين لبيب رزق ـ ٣٢٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احاديث للمعلمين والمتعلمين في علم النفس ـ تأليف وليام جيمس ـ ترجمة وتقديم الدكتور محمد علي العريان ـ صمم الغلاف احمد محمد منيب ـ ٣٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات عالم الكتب بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● هل تلعب معي ؟ ـ تأليف ماري هول اتس ـ ترجمة السيد حامد زعلوك ـ ٣٢ صفحة ـ مزينة بالرسوم ـ حجم كبير ـ طبع بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● الوقت ـ تأليف فيني زايز واليزابيت طومسون ـ ترجمة السيد حامد زعلوك ـ ٤٨ صفحة (مصورة) ـ سلسلة الف باء ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ مطبعة مصر .

● اغنية العودة ـ مجموعة شعرية ـ سعد البواردي ـ ١٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاشعاع (؟) ـ مطابع الرياض في الرياض بالسعودية .

● فلسفة المجانين ـ تأليف سعد البواردي ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات دار الاشعاع (؟) ـ مطبعة الكيلاني الصغير بالقاهرة .

● شبح من فلسطين ـ تأليف سعد البواردي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الاشعاع (؟) ـ مطبعة الكيلاني الصغير بالقاهرة .

● الانسان وادواته ـ تأليف وليام بيرنز ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم ـ مصممة رسوم الكتاب يولا هتشيسن ـ مصمم الغلاف منير فهيم ـ ١٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار الادباء بالقاهرة ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر القاهرة .

● من الطيارة الورق ... للنفاثة ـ تأليف ريتشارد و. بيتوب ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم ـ مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي ـ ٢٠٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ المطبعة العالمية بالقاهرة .

● حتى يحضر الطبيب : مختصر في الاسعافات الاولية ـ تأليف الدكتور لويس هـ. مركر ـ ترجمة الدكتور محمد نظيف ـ الغلاف تصميم جانيت رستم زكي ـ ٢٥٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● الاصوات التي نسمعها ـ تأليف اللا بوندورف ـ ترجمة السيد حامد زعلوك ـ ٤٨ صفحة مصورة ـ سلسلة الف باء ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ مطبعة مصر .

● بنت العم ـ مجموعة مسرحيات ـ تأليف فوزي عبد القادر الميلادي ـ ٨٦ صفحة ـ مطابع رمسيس بالاسكندرية .

● Selected Short Stories of Henry James — Introduction by Quentin Anderson — 384 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

● Giants of Science — by Philip Cane — Illustrated by Samuel Nisenson — 288 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

● Selected Stories of Bret Harte — Introduction by Arthur Zeiger — 320 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

● The Autobiography of Andrew Canergie — 320 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

● The Right of The People — by William O. Douglas — 160 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

ايفو اندريتش يفوز بجائزة نوبل

*

كانت جائزة نوبل للاداب لعام ١٩٦١ من حظ اديب يوغوسلافي هو ايفو اندريتش . وهذه اول مرة يفوز كاتب من يوغوسلافيا بهذه الجائزة العالمية . ويعتبر اندريتش كاتبا لبقا ابدع في سرد حوادث قصصه ، وصور البؤس والظلم والاقطاعية في بلاده ادق تصوير ، كما يعتبر في الوقت نفسه مناضلا مقداما حمل السلاح وخاض المعارك الوطنية في سبيل تحرير بلاده .

أبصر ايفو اندريتش النور في ١٠ تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٨٩٢ في مدينة ترافنيك بمجهورية بوسنيا . تلقى علومه الابتدائية في مدرسة فيزيغراد ، المدينة الساحرة التي كان لها تاثير قوي في بلورة عقليته الفتية . وانهى دراسته الثانوية في مدينة سراجيفو عاصمة بوسنيا . ثم تنقل في جامعات زغرب وفيينا وكراكوز وكراز يحصل دروسه الفلسفية ، الى ان نال في عام ١٩٢٣ شهادة دكتوراه في الفلسفة . وفي زمن الحرب العالمية الاولى اعتقله النمساويون عندما احتلوا بلاده وزجوه في السجن نظرا لنشاطه السياسي البارز ضدهم وارائه التقدمية. وعندما افرج عنه ، انتقل الى جمهوريات صربيا وكرواتيا وسلوفانيا . ثم التحق بالسلك الديبلوماسي ، فعين في روما وبوخارست ومدريد وجنيف وبرلين قنصلا لبلاده . وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية احيل اندريتش الى التقاعد . فانصرف الى الاعمال الادبية يعطيها كل وقته ، ويخلص في العطاء .

نزل اندريتش الى ساح الانتاج وهو في عمر الورود . فاهتم اول ما اهتم بالترجمات . ثم اخذ ينشر مقالات صغيرة في جريدتي «بوزنسكا فيلا والريح » خلال عام ١٩١١ . وفي عام ١٩١٨ ظهر له اول كتاب بعنوان « اكس بونتو » وهو مجموعة مقالات قصيرة وضعها عندما كان في السجن . وهي تمتاز بأسلوبها الشعري . وفيها برزت فلسفته التي نادت بالحفاظ على الثقافات القديمة والعمل من اجل استمرارها في مختلف العصور ، والتي دعت الى ضرورة تاثر الجديد بكل ما هو قديم . فالفكرة القديمة استطاعت ان تعيش على ممر الازمنة . وبمقدورها ايضا ان تحمل الافكار الجديدة على ان تتاثر بها . يقول في هذا الصدد :

« صحيح ان اجدادنا تركوا هذه الديار الفانية منذ سنين قديمة . ولكن صفاتهم الخيرة ما برحت تتمثل امامنا لكونها غرست في ارض نفوسنا » .

وفي عام ١٩١٩ نشر كتابا جديدا اسماه « القلق » وهو مجموعة مقالات رجع فيها الى عهد الطفولة ، فتحدث عن ذكرياته الاليمة وامله الدينية ، والذي يطالع هذه المجموعة يقف على تعلق صاحبها بخالق الكون . لقد خاطبه مرارا ، خاطبه عندما اوصدت الابواب بوجهه . وخاطبه عندما ارشده الى سبيله ، وعلمه الثقة بالنفس والاعتماد عليها. فعائلته كانت معدمة الحال . ونادرا ما كانت البسمة ترتسم على شفتي معيلها . وقد رفرفت فوق سقف منزلها تعاسة لم ينسها الكاتب . انه اطال الكلام عليها . ورسم لقلقه صورا رائعة . ومن هنا يعتبر كتابه هذا سجلا دقيقا لتعاسته الشخصية في مجتمع لم يكن عادلا .

وقبل ان تظهر قصته « جسر فوق نهر درينا » عام ١٩٤٥ ، وضع اندريتش عدة قصص قصيرة طبعت في ثلاث مجموعات ، بين عامي ١٩٢٤ و١٩٣٤

اشتهر هذا الكاتب اليوغوسلافي في جميع انتاجاته . وعد من رجالات القلم الشهيرين في بلاده . كانت كتاباته زاخرة بمواضيع حيوية . كانت صورا حقيقية لما عانته امته المسكينة اثناء الحرب العالمية الاولى . كما كانت صورا ناطقة لتصرفات الاقطاعيين الشاذة ، وتوسيع نفوذهم على حساب الشعب الذي هدرت كرامته وضاعت حقوقه . والجدير ذكره هنا ان جميع مواضيعه اخذت من صلب المجتمعات التي تنقل فيها وارتمى بين احضانها ، لا سيما مجتمعات بوسنيا ايام حكم الاتراك فيها . وقد تكلم عن الاتراك ، ووصف جورهم وفظاظة اخلاقهم في قصص قليلة الصفحات ، ولكنها غنية بالمعاني ، ولا تشوب اسلوبها اية شائبة ، كما انه ما نسي ان يرسم لوحات متعددة لمدن وقرى وريف بوسنيا التي احبها .

وترجمت مؤلفاته الى عدة لغات ، منها الانكليزية والفرنسية والروسية والالمانية والصينية والهندية ، واعيد طبع بعضها مرات متوالية . كما ان الصحف الغربية عقدت عنه مقالات طويلة ، حللت فيها شخصيته وادبه الانساني وفلسفته المدروسة. ووضعته في مصاف الادباء الخالدين الذين اخلصوا في تصويرهم مآسي مجتمعاتهم . وقد اسمته جريدة

*

ايفو اندريتش



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« لموند » الفرنسية « تولستوي يوغوسلافيا » اثر مقال مسهب نشرته عنه في عددها الصادر في ٦ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٥٦ ، وتناولت فيه العوامل الرئيسية التي جعلت منه ذلك القاص العالمي .

في احدى مؤلفاته نادى ايفو اندريتش ، كما ذكرت ، بفكرة ربط الجديد بكل ما هو تقليدي وقديم . ولكنه في قصته « جسر فوق نهر درينا » بنى لنفسه فلسفة جديدة تنادي بفكرة الدوام . فالجسر في هذه القصة رمز للدوام . لقد مرت فوقه وبجواره اجيال واجيال . واليوم نحن نمر فوقه وبقربه . وغدا وبعد غد يأتي غيرنا ليمر فوقه وبجانبه . فالاجيال الغابرة زالت ، ونحن والاجيال الاتية فيما بعد في طريق الزوال . ولكن الجسر باق . انه باق في وجه التاريخ . انه باق لينقل للاجيال الحالية والقادمة احاديث الانسانية الفائتة . انه يحمل ذكريات حميمة ويحافظ على دوامتها . انه خير شاهد للحروب والفيضانات والثورات واعمال الارهاب التي مرت فوقه ، وخلفت وراءها حكايات فيها وجع وانين ، فيها قسوة وبؤس وانانية . وجوده الدائم القى درسا لا يمكن تجاهله مهما تألبت الظروف ، وهو ان الحياة تبقى في دوامه هو ، رغم انها دائمة الضياع ودائمة الانتهاء .

وفي هذا الجسر يجد القاص ملاذا من فوضى الحياة التي احاطت به من كل جانب . وقد ابدع في تصويرها بعدما احسن انتقاء الالوان . ونال على هذه القصة جائزة الدولة الكبرى في يوغوسلافيا لعام ١٩٤٦ . وواجهات المكتبات تضعها في الصدارة ، كما رأيت ذلك بنفسي عندما زرت يوغوسلافيا في صيف عام ١٩٦٠ .

يقولون ان وراء كل عظيم امرأة . واندريتش هذا العظيم في ما قدم من روائع .. هل اثرت المرأة عليه كما اثرت على غيره من رجالات القلم العالميين ؟

لقد احب واحدة من بلده منذ اكثر من ثلاثين عاما . وكان حبه جارفا وامينا . ولكنه لم يتزوجها الا في العام الماضي . وقد كان لهذه الانسانة فضل واسع في شهرة الكاتب . ذلك انها رافقت اعماله الادبية بسرور ، وسهرت معه على مراجعاته الدقيقة لانتاجاته قبل ارسالها الى المطبعة .

وبعد ، ماذا يبقى من اندريتش ؟

يبقى منه انه اصدق في التعبير عن خلجات وشعور وامانى الشعب، الذي قضى ردحا من الزمن تحت نير اقطاعية غادرة ، وتحت سيطرة غزاة طامعين وظالمين . يبقى منه ذلك الانسان الكبير في عطاءاته ، والسائر في طريق الخلود .

ابراهيم عبده الخوري

•

من وديع فلسطين الى اديب مروة

في يوم واحد تسلمت خطابكم وكتابكم الضخم « الصحافة العربية في نشأتها وتطورها » الذي سددتم به ثغرة واسعة في تاريخ الصحافة . ومنذ تسلمه لم يبرحني لحظة واحدة لاقرأ فيه هذا التاريخ المستوعب الشامل الذي كتبتموه على صعيد عربي عام ، وبذلتم فيه من الجهد والهمة ما تستحقون عليه صادق الثناء ، وما زلت اواصل مطالعة هذا الكتاب النفيس وفي نيتي ان اكتب كلمة عن هذا الكتاب الجليل بعد ان افرغ من تلاوته لانه بالفعل كتاب شامخ اكاد احسدكم عليه ، ولا يسعني الا ان اهنئكم عليه من صميم قلبي ، لا سيما وانكم اوردتم فيه اسماء صحفيين وصحف نسيناها نحن المعاصرين .

القاهرة — **وديع فلسطين**



الأديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تلفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tél. Direc. :223819 — Dle. : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

أكتوبر ١٩٦١

٢٥ ـ وافق مجلس الامن على قبول منغوليا الخارجية وموريتانيا في الامم المتحدة .

ـ تجدد التوتر واشتد في برلين . دبابات امريكية وبريطانية تتحرك الى الحدود .

ـ تم تبادل الاسرى بين القوات الدولية وقوات كاتانغا .

٢٦ ـ انتخب المجلس التركي الجنرال جمال غورسال رئيسا للجمهورية .

ـ اعرب السودان عن اسفه لقرار اثيوبيا الاعتراف باسرائيل .

ـ كنيدي يعلن عزم امريكا على مساعدة فيتنام الجنوبية .

ـ حوادث التصادم تشتد في برلين . الامريكيون يقتحمون الممر بالقوة والشرقيون يغلقونه .

٢٧ ـ اعلنت امريكا ان اقدام روسيا على نقل دباباتها الى برلين الشرقية يعتبر اقرارا بانها مسؤولة عن هذا القطاع .

ـ تبنت الجمعية العامة مشروع قرار ينص على مناشدة روسيا وقف تجربة قنبلة الـ ٥٠ ميغاطن .

ـ قال خروشوف انه مستعد ان يجتمع بزعماء الغرب للقيام بمحادثات مثمرة لا للسماح للدول الغربية بتأخير تسوية سلمية في اوروبا .

ـ رد جوكس الوزير الفرنسي لشؤون الجزائر على اقتراح بن خده . فقال ان فرنسا تتمسك بمبدأ حق تقرير المصير في جزائر موحدة متشاركة مع فرنسا .

٢٨ ـ وافق مجلس الجامعة العربية على مذكرة سورية باسترداد مقعدها في الجامعة.

ـ احتجت السعودية على الحملات التي تشنها اذاعات القاهرة وصحفها ضد السعودية

ـ انسحبت الدبابات السوفياتية والامريكية من جبهة الحدود في برلين .

ـ اتخذ المؤتمر ٢٢ للحزب الشيوعي السوفياتي أنظمة جديدة للحيلولة دون احتمال ظهور ستالين آخر . وصرح كوزلوف بان الحزب بحاجة لتغيير دمه .

ـ افتتح في طهران المؤتمر العام لمنظمة البلدان المصدرة للبترول .

ـ قال خروشوف ان النداءات العالمية الى روسيا لالغاء تفجير قنبلة ٥٠ مليون طن النووية ليست سوى نداءات هستيرية .

٢٩ ـ صدر قانون الانتخاب الجديد في الجمهورية العربية السورية .

ـ اعلنت لجنة الطاقة الذرية الفرنسية ان روسيا فجرت اكبر قنبلة في سلسلة تجاربها الاخيرة . وهي ضعف قوة قنبلة الـ ٣٠ ميغاطن التي فجرتها في اول الاسبوع.

٣٠ ـ اعلن ادولا ان قواته شنت هجوما على كاتانغا لانهاء انفصالها عن الكونغو .

ـ قرر مؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي نقل جثمان ستالين من مكانه بجانب لينين الى مكان اخر .

ـ فاز حزب كرامانليس « الاتحاد الوطني الراديكالي » في انتخابات اليونان العامة .

ـ استقال فون برنتانو وزير خارجية المانيا الغربية .

٣١ ـ شكل رشيد كرامي الوزارة اللبنانية الجديدة .

ـ قال خروشوف : اخطأ علماؤنا ففجروا قنبلة اقوى من الـ ٥٠ ميغاطن .

ـ اغارت طائرات كاتانغا على قوات الجنرال موبوتو .

ـ طلبت روسيا في مذكرة الى فنلندا اجراء مشاورات فورية بشأن ازدياد تهديد المانيا الغربية باستخدام بحر البلطيق نقطة انطلاق للحرب .

ـ توفي في روما لويجي اينودي استاذ الاقتصاد واول رئيس للجمهورية الايطالية .

نوفمبر ١٩٦١

١ ـ تم الاتفاق على تبادل الضباط السوريين والمصريين المحتجزين في مصر وسورية .

ـ اعلن اللواء قاسم ان الجيش العراقي لا يزال في حالة تأهب منذ ٢٨ سبتمبر لمساندة سورية ضد كل طامع .

ـ بمناسبة ذكرى الحرب الجزائرية الوف الجزائريين يتظاهرون في كل مكان . الفرنسيون يطلقون عليهم النار فيقتلون اكثر من ٧٠ .

ـ شكل بن غوريون حكومة اسرائيلية جديدة مؤتلفة .

ـ الغرب يرد على الروس في برلين بأجراءات مماثلة لتقييد الدخول الى برلين الغربية .

٢ ـ توفي الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين وخلفه ابنه الشيخ عيسى بن سلمان .

ـ اضرب بن بللا و٤ من الزعماء الجزائريين المحتجزين في فرنسا عن الطعام وشاركهم في الاضراب جميع المعتقلين الجزائريين حتى يعاملوا كسجناء سياسيين .

ـ اعلن الجنرال موبوتو : توغلت قواتنا ٦٠ كيلومترا في كاتانغا .

٣ ـ وقع في بغداد اتفاق تعاون اقتصادي سوري عراقي ينص على تبادل تجاري واسع

ـ كاتانغا تعلن رد قوات الكونغو المركزية. امريكا تعتبر تشومبي مسؤولا ولا تعترف بالانفصال .

٤ ـ اعلن اللورد هيوم : لدينا طاقة نووية تزيل روسيا من الخريطة ولكن لا يجب استخدام القوة عندما ينتاب أحدنا الغضب .

ـ انتخب يوثان مندوب بورما امينا عاما للامم المتحدة خلفا لهمرشولد .

ـ اشتدت الحركة المناوئة للحكومة الفانية . انفجار عدة قنابل في اكرا .

ـ اعاد كرامانليس تشكيل الحكومة اليونانية الجديدة .

٦ ـ شرطتا برلين تتقاذفان ١٤٤ قنبلة دموع بعد استمرار هرب الالمان الشرقيين الى الغرب .

ـ وصل نهرو الى واشنطن تلبية لدعوة كنيدي وبدأت محادثاتهما في موضوع التجارب النووية ثم القضايا الاسيوية والعالمية .

٧ ـ صدر قانون بحل مجلس الامة في مصر . وأعيد العمل بالدستور المؤقت حتى وضع الدستور الدائم .

ـ اعلن ديغول : الحل الجزائري على الابواب . المفاوضات قريبة دون شروط مسبقة . فليتحد الفرنسيون والا ضاعت أمتنا .

ـ أعيد انتخاب كونراد اديناور مستشارا لالمانيا الغربية للمرة الرابعة .

ـ جرت محاولة انقلاب عسكري في اكوادور بعد اعتقال نائب الرئيس وقيام مظاهرات دامية .

ـ صرح خروشوف : تجاربنا النووية مضرة بالصحة ولكن وقفها رهن بنزع سلاح شامل .

٨ ـ شن انور خوجا رئيس وزراء البانيا حملة مضادة على خروشوف ، معلنا تعلق البانيا بستالين .

ـ استقال رئيس جمهورية الاكوادور خوسيه ماربا فيلاسكو تحت ضغط الجيش الذي تسلم زمام الامن . نصب العسكريون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توليدو رئيس المحكمة العليا رئيسا وعارض الكونغرس وانتخب نائب الرئيس اروسمينا رئيسا .

ـ دعت غانا اللجنة السياسية للامم المتحدة الى اتخاذ اجراء عاجل بشأن مشروع قرار اعلان افريقيا منطقة حيادية مجردة من الاسلحة النووية .

٩ ـ عقد السياسيون السوريون مؤتمرا سياسيا بمناسبة قرب الانتخابات لاعداد ميثاق وطني سوري على اساس اربعة أسس للحكم .

ـ وصلت الى اكرا الملكة اليزابيت في زيارة رسمية لغانا .

ـ سلاح الجو في الاكوادور تدخل وفرض اروسمينا رئيسا للجمهورية واضطر توليدو للاستقالة .

ـ صادقت الجمعية العامة على اقتراح امريكي بريطاني لاستئناف المحادثات النووية فورا بين الشرق والغرب .

ـ انتهت محادثات كنيدي ونهرو اعلن كنيدي ان المحادثات كانت قيمة للغاية .

١٠ ـ وصل وفد اقتصادي سوري الى الرياض لاجراء مفاوضات اقتصادية مع المسؤولين .

ـ اعلن نهرو في الامم المتحدة ان جميع المشاكل الدولية يمكن تسويتها سلميا وحذر زعماء العالم بأن عليهم اما ان يضعوا حدا لخطر التجارب الذرية او ان يعيشوا كالجرذان تحت الارض .

ـ طلبت ٣٢ دولة الى الامم المتحدة ادانة البرتغال لرفضها تزويد المنظمة الدولية بالحقائق عن مستعمراتها في ما وراء البحار.

١١ ـ ألغيت اسماء المدن الروسية المنسوبة لستالين واعيد الى ستالينغراد اسمها القديم نوفوكوزنتسك .

ـ قال كنيدي ان الطريق الوحيد للحفاظ على السلام هو ان نكون مستعدين للقتال .

ـ المارشال مالينوفسكي وزير الدفاع الروسي يحذر من هجوم مباغت على روسيا. ويصرح بأن احداث السنوات الماضية تظهر ان بالامكان تجنب الحرب في هذا العصر .

ـ قامت مظاهرات في الرباط لاطلاق سراح بن بللا ورفاقه واحرق المتظاهرون السفارة الفرنسية .

١٣ ـ قال نهرو انه يعتقد بأن الحرب غير محتملة الوقوع وعزا ذلك الى ان الروس اصبحوا دولة محافظة وانهم يريدون السلام.

ـ اعلن بو رقيبة ان القتال ينذر بأن يتجدد مع الفرنسيين اذا لم يعينوا موعد الجلاء عن بنزرت وسائر الاراضي التونسية.

ـ حالة بن بللا ورفاقه اصبحت خطيرة وهم يرفضون العلاج . وقد اعتقلت السلطات في باريس ٣٢ من جامعي التبرعات للمجاهدين الجزائريين وصادرت مليون دولار

ـ ارسلت امريكا وبريطانيا مذكرتين الى روسيا تدعوانها لاستئناف مفاوضات حظر التجارب النووية .

١٤ ـ اعلن ماكميلان : تحسن مفاجيء في برلين وتقدم لتوحيد سياسة الدول الغربية.

ـ اعلن اللواء قاسم ان وضع الدستور الدائم للعراق يبدأ بعد اسابيع تمهيدا للانتخابات مؤكدا ان العمل سيكون متاحا للجميع .

ـ استقبل ديغول وفدا مغربيا رسميا اوفده الملك الحسن للبحث في انهاء مأساة بن بللا ورفاقه الذين نقلوا الى المستشفى .

ـ الرئيس السوفياتي بريجنيف غادر موسكو الى الخرطوم في زيارة رسمية للسودان

ـ اعلنت امريكا عن اتفاق جديد يقضي بارسال مواد زراعية الى العربية المتحدة بقيمة ٢١ مليون دولار .

ـ اعلنت الامم المتحدة ان قسما كبيرا من شمال كاتانغا اصبح في ايدي قبائل بالوباكات الموالية للحكومة المركزية . وطوقت قوات الكونغو القوات الدولية في مطار كيندو بعد اشتباكها معها وجردتها من السلاح .

١٥ ـ تمرد ٧٠٠ جندي كونغولي شرقي الكونغو واجتاحوا مدينتي كنيدو والبرفيل اعتقلوا اوربيين وافريقيين ونهبوا وسلبوا . طار قائد الجيش لوندولا مع عدد من المسؤولين الدوليين لمفاوضة المتمردين ولكنهم اضطروا للهرب .

ـ تقررت الموافقة على زيادة القوات الاطلسية من ٢١ الى ٢٦ فرقة .

ـ طلبت النمسا من الامم المتحدة تأليف لجنة دولية للتحكيم في نزاعها مع ايطاليا على البترول الجنوبي .

ـ صدر بيان مشترك اثر زيارة نهرو للمكسيك جاء فيه ان برامج نزع السلاح التي عرضت على الامم المتحدة لم تكن عملية ويجب وضع مقترحات جديدة .

١٦ ـ قتل الجنود الكونغوبون المتمردون ١٣ طيارا ايطاليا من القوات الدولية بعد تعذيبهم بوحشية .

ـ اضربت البلاد العربية وقامت المظاهرات لمساندة الجزائر واستنكار اساءة معاملة الزعماء المعتقلين .

ـ فاز ديو سدادو ماكاباغال برئاسة جمهورية الفلبين .

١٧ ـ جددت اليمن لثلاث سنوات اتفاقها الاتحادي مع مصر .

١٨ ـ وصل المارشال تيتو الى القاهرة بدعوة من عبد الناصر كما يصل اليها نهرو في طريق عودته من امريكا الى الهند .

ـ اعلن بريجينيف رئيس جمهوريات السوفيات في الخرطوم ان روسيا ترغب في شراء جميع المنتجات السودانية مقابل جميع السلع الاجنبية التي يحتاج اليها السودان

ـ وافق كيكونين رئيس جمهورية فنلندا على اقتراح الحكومة بأن يسافر الى موسكو ليبحث مع خروشوف في الوضع الناشيء بين البلدين .

ـ ارسل تشومبي برقية الى يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة يعرض ان تعقد مفاوضات مباشرة بين كاتانغا وحكومة الكونغو المركزية .

١٩ ـ مر نهرو ببيروت في طريق عودته الى الهند .

ـ اعلنت حالة الطوارىء في الدومنيك بعد فشل محاولة انقلابية وقد تجولت المدمرات الامريكية امام الشاطىء لدعم رئيس الجمهورية جواكين بالاغر .

ـ تم تبادل الدفعة الاخيرة من العسكريين السوريين والمصريين التي جرت باشراف الجامعة العربية .

ـ اصيب الملك سعود بعارض صحي مفاجيء ونقل الى مستشفى الظهران للمعالجة

٢٠ ـ انهى بن بللا ورفاقه اضرابهم عن الطعام كما اوقف ايضا حوالي ٤ الاف معتقل جزائري اضرابهم بعد ان وافقت فرنسا على معاملتهم كسجناء سياسيين .

ـ صدر بيان تيتو ونهرو وناصر المشترك وفيه تعبير عن القلق من امتداد التوتر العالمي والتجارب النووية .

ـ صرح نهرو ان الصين الشعبية قامت باعمال توغل جديدة على حدودها مع الهند. وقال ان امريكا وروسيا متباعدتان نفسيا .

ـ شكل عصمت اينونو الوزارة الائتلافية التركية الجديدة .

٢١ ـ استقال الدكتور مامون الكزبري رئيس الحكومة السورية كما استقال عدد من الوزراء لتقديم ترشيحهم للانتخابات . واعاد نائب الرئيس الدكتور عزت النص تشكيل الحكومة .

ـ أقرت اللجنة السياسية مشروع قرار يحث امريكا وروسيا على اجراء محادثات خاصة لتشكيل هيئة مفاوضات لنزع السلاح.

ـ وافقت روسيا بشروط على مفاوضات حظر التجارب النووية .

ـ يدور قتال عنيف بين قوات فييتنام الجنوبية وثوار فييكونغ الشيوعيين .

٢٢ ـ وصل الملك سعود الولايات المتحدة ودخل المستشفى في بوسطن للمعالجة . وتولى ولي العهد الامير فيصل الحكم اثناء غياب الملك .

ـ اعلن كنيدي وادیناور في بلاغ مشترك انهما متفقان على المبادىء الاساسية لايجاد مفاوضات لتسوية ازمة برلين اذا كان هناك اعتدال من جانب روسيا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قضية الترجمة

بقلم الدكتور شكري فيصل

تثور قضية الترجمة فى اذهاننا فى كل يوم نتناول فيه كتابا جديدا من هذه الكتب التي تنقل الى العربية لتكون غذاء لهذا الجيل العربي ، وتنمية لثقافته وزيادة فى رصيده من المعرفة ، وحظه من العلم ، ونصيبه من نتاج الفن وتأملات الفلسفة

وما من شك فى اهمية الترجمة كوسيلة اساسية من وسائل النهوض بالثقافة العربية ، ورفدها ، واغناء جوانبها ، وانارة الطريق من امامها حتى تستطيع ان تكون على طريق الفكر الانساني علامة من علاماته البارزة ، وصورة من صوره الفنية الزاهية .

وليس فى وسع هذا الجيل من الامة العربية ان يهمل هذه الوسيلة او يتغاضى عنها .. ذلك ان بيننا وبين الامم الاخرى التي تقدمتنا على الطريق الحضاري مراحل واشواطا ، تقصر او تطول تبعا لفروع الثقافة الانسانية المختلفة .. ولكنه مهما يبلغ من امر هذه المراحل طولا وقصرا فاننا نجدها ، ونحسها ، ونعانيها ، وندرك الحاجة ماسة الى ان نلحق بهذا الركب الانساني حتى نستطيع ان نواكبه اولا ، وحتى نحاول ان نتقدم عليه بعد ذلك .

والترجمة هي بعض سبيلنا الى ذلك كله .. ومن هذه النافذة نستطيع ان ننظر الى الذي تبدعه الامم الاخرى .. انها مطل عريض لا يكشف لاعيننا مدى التقدم الذي بلغته الحضارة الانسانية فحسب ولكنه يكشف فى نفس الوقت عن مدى المستوى الذي بيننا وبين هذه المستويات الرفيعة ، ويحدد مكاننا منها ، ويخلق فينا ، فى مجتمعنا ، تيارا قويا خفيا يدفع بنا الى الاحتذاء والمتابعة حينا ، والى الانفعال والابداع حينا اخر

وبين النهضات فى الحياة الثقافية للامم المختلفة وبين حركة الترجمة نسب موصول .. نشهد ذلك على مدى التاريخ فى حياة الشعوب الاخرى ونشهده فى حياة الشعب العربي نفسه فى الذي كان من امر الترجمة فى اواخر العصر الاموي وفى العصر العباسي بعده .. فقد استطاعت الترجمة عن اللغات والثقافات المختلفة التي خالطت الثقافة العربية واشتبكت بها وتفاعلت معها ان تكون عاملا في اغنائها ، وطريقا الى تكوين هذا الصرح الحضاري الضخم الذي نطلق عليه ، في شكله الاخير ، اسم الحضارة الاسلامية

وفي هذه الفترة من تاريخنا حين تنهض الحياة العربية تحاول ان تستدرك ما فاتها وان تلحق بالذي سبقها ، نتجه الى الترجمة على انها هذا المصدر الغني الثر الذي يتيح لنا فيضا من الطاقات الفكرية ، ويمكن لنا من أن نفيد منها وان نغتذي بها وان نتفاعل معها وان نجعل منها سبيلنا الى المستوى الثقافي الافضل

ولكن هذا المصدر الثر ، هذه الاداة السحرية التي نسميها الترجمة ، لا يمكن ان تستخدم استخداما عفويا ولا يصح لها ذلك ، ولا يمكن ان تترك لتنمو كما ينمو النبات البري فى غير رعاية ولا تشذيب .. ولانها ـ هذه الترجمة ـ غذاء ينقل الينا ليداخل حياتنا ، فى عواطفنا ومشاعرنا ، فى عقولنا واذهاننا ، فان من حقنا ان نستخدم كل الوسائل التي تجعل من هذا الغذاء غذاء مفيدا فى نوعه ، وقدره ، وطريقة تناوله ، ومن حقنا ان ننظم الجهد المبذول فى تحضيره ، وتعقيمه ، وتركيزه ، حتى نجعل منه غذاء نافعا وفاق حاجاتنا ، ومتطلباتنا ، واتجاه دراساتنا ، وتنوع اهتماماتنا

فهل تمضي الترجمة فى وطننا العربي مراعية لكل هذه الجزئيات محققة لكل هذه الغايات ؟.. وهل تأتي الترجمات التي تداخل اذهان الناس وقلوبهم على النحو الذي نريده تحقيقا للخير ، واغناءا للثقافة ، وتفتيحا للجوانب المغلقة فى الحياة والاشياء والاشخاص ؟ هل استطاعت هذه الترجمات المختلفة ان تحقق التنوع اولا ، وان تحقق القدر الذي لا بد منه من الجودة ثانيا وان تكون فى مثل المستوى الذي يجب ان تكون فيه مواكبة لتطورنا ، ومسايرة لاهتمامنا ، وانسياقا مع الذي يراودنا من تطلع عنيف ، حاد ، بعيد ، حين ننظر الى الثروات العلمية والفنية والفكرية للشعوب الاخرى ؟

ان احدا منا لا يستطيع ان يجيب عن هذه الاسئلة اجابة تبعث على الرضا ، وتساعد على الاطمئنان .. فالكتب التي تترجم لا تحقق الذي نطمح اليه ، والاقلام التي تترجم لا تملك كلها دائما القدرة على ان تنهض بهذه الترجمة الى ابعد حدودها ، والناس الذين تسند اليهم هذه المهام لا يملكون التفرغ الذي ينقطعون معه الى مثل هذه المهمة الشاقة ولا يفونها حقها .. وتعيش حركة الترجمة لا على انها حركة اصيلة فى بنائنا الثقافي ، ولا على ان لها جهازها واشخاصها ، والمنقطعين لها .. ولكن على انها جهد اضافي ، وعلى انها تكليف ، وعلى انها مراجعة ، وعلى انها عمل ثانوي فى حياة كل الذين يقومون بها

ومن هنا يبدأ ـ فى زعمي ـ الانحراف .. ان مصدره فى نظرتنا نحن الى هذه الحركة وفى فهمنا لها .. فاذا كنا نؤمن حقا بالذي تتيح لنا الترجمة من غنى ثقافي ومن رفد فكري فيجب ان تكون عنايتنا بها بقدر هذا الايمان فهذه الحركة تحتاج الى تخطيط بعيد من نحوكما تحتاج الى جهاز قادر من نحو اخر

فاما التخطيط البعيد فذلك هو الذي يجيب عن السؤال : ما الذي يجب ان نترجم .. واما الجهاز فهو الذي يجيب عن سؤال : كيف نترجم ؟ وحين نستطيع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاجابة عن هذين السؤالين فاننا نستطيع ان ندرك عمق المشكلة من نحو وانحرافنا عن الوفاء بحقها من نحو اخر

وانا لا اريد ان اخوض فى بحث عن مـــاذا يجب ان نترجم .. فلذلك حديث طويل متشعب النواحـي ... ولكني احب ان اعرض بصورة خاصة لسؤال كيف نترجم ؟

وواضح اننا هنا في حاجة الى ان نجد الاشخـــاص الذين يملكون هذه القدرات الثلاث : يملكون الاختصـــاص العلمي فى النحو الذي يترجمون فيه .. ويملكون المعرفـة العميقة باللغة الاجنبية التي ينقلون منها ، ويملكون القدرة الفائقة المرنة في اللغة العربية التي ينقلون اليها .. ثـــم يملكون فوق ذلك وقبل ذلك التطابق النفسي مع هذا العمل الشاق ، والايمان البعيد بأثره ، وادراك المسؤولية البعيدة مسؤولية الحرف الواحد والكلمة الواحـدة ، والفكـرة الواحدة ، حين تنقل من بيئة الى بيئة والاثر الذي تخلفه

فان توفرت هذه الشروط كلها فى شخص او فى جماعة استطعنا آن نقول ان حركة الترجمة وقفت على قدميها وان الذين يعنون بالثقافة فى بلادنا يدخلون التراث الفكري من اوسع ابوابه وينقلونه على خير وجوهه

ـ ولكن الذي يحدث الان ان الكثيرين يترجمون فى غير نطاق اختصاصهم الاصلي .. ان احدا لا يـدري كيـف يستطيع الانسان ان يتقدم فيقود الركـب فى ارض لـم يخبرها ، لم يقتلها خبرة ، لم يكن له فى كل زاوية منها عهد وعند كل علامة من علاماتها وقفة .. والتفكير السائد في اوساطنا الثقافية كثيرا ما ينحي مبدأ الاختصاص هـــذا ويولي اللغة نفسها اهتمامه .. بمعنى انه لا ينظر هـــذه النظرة المزدوجة الى المادة والى اللغة عند المترجم وانمـا يكفي ان يكون انسان ما عارفا باللغة الفرنسية ، ليتولى او ليوكل اليه امر الترجمة فى هذا الموضوع او ذاك سواء كان هذا الموضوع فى نطاق اختصاصه او فى نطاق مزاجه او فى نطاق وعيه ، او لم يكن من ذلك كله في شيء

ـ ولكن الذي يحدث الان ايضا ان بعض الذين يتصدون للترجمة او تتصدى آلترجمة لهم لا يملكون القدرة الكافية فى اللغة التي يقومون بالترجمة عنها .. ان صلتهم بهـذه اللغة ليست دائما عميقة الجذور ولا بعيدة العهد ، ليست صلة احساس بالنبرة ، وادراك للفظة ، وفقه للجملة، وتنبه للتلوين .. ولكنها صلة معرفة قد يكون المعجم هو الـذي يدعمها .. والويل للترجمة حين يكون المعجم هو مفتاحها لانه يسقط عن الاثر المترجم كل روحه ، ويسقط به في مهاو بعيدة ليست منه .

وليس هذا الذي اقوله كلاما مجردا وانما تنهض بعض معالم العمل فى الترجمة فى الوسط الرسمي دليلا عليه .. فنحن فى العادة نكل الكتاب الى المترجم ثم نكل الكتـــاب بعد ذلك الى المراجع .. وليس يستطيع الانسان ان يفهم دور المراجع اذا كان المترجم قادرا قويا .. وما ادري ان كانت المراجعة فى الواقع تحقق الغاية منها ، واذا كـــان المراجعون يعودون بالنظر المتأني على كل هذه المئات مـن الصفحـات

ـ ولكن الذي يحدث اخيرا ان بعض الذين يتولـــون الترجمة لا يحسنون اللغة العربية .. اريد ان اقـول لا يفقهونها ، لا يحسنون الاداء العربي القوي .. فاذا نحن قرانا لهم وجدنا مثل هذه النصوص والترجمات التـي لا نستطيع ان نتبين صلتها بالبيان العربي ولا توافقها معه.. انها تفقد حينذاك اول الطريق الى العقل العربي الذي يريد أن يغتذى بها وينتفع منها ويرقى متكئا اليها ان كثيرا من هذه الكتب التي تترجم ، فى المجالات الحرة ، والمجـالات الرسمية ، تبدو عربية الحرف ، أجنبيـــة التركيب .. والاحساس بالتركيب العربي فى سلامته اولا، ثم فى صفائه ثم فى تلاقيه مع عمق الروح العربية ليس بالامر الهين .. وانك لتستطيع ان تعبر عن الجملة الواحدة باكثـر مـن اسلوب ، ولكن ان تختار الاسلوب الاصيل ، فذاك هـو العريب الذي نفتقده

ان الذي بين ايدينا من حركة الترجمة انما هو الترجمة بمعناها القريب .. ونحن لا نريد الترجمة فحسب وانما نريد التعريب .. ونحن لا نريد آلتعريب فى اللفظ فحسب، وانما نريد التعريب كذلك فى الفكرة التي تقدم الينا والنص الذي يختار لنا والموضوع الذي يطرح بين ايدينا

ومنذ ايام كنت اقرا فى كتاب اصدرته دائرة من دوائر الدولة فى الجمهورية العربية المتحـدة .. كـان الكتـاب مختارات من ادب اجنبي .. فماذا وجدت فيه ؟

لقد قرات الكتاب كله من اوله الى اخره .. ولكني لم استطع ان اقع في كل النصوص والقطع المختارة لا على الفكرة افيد منها ولا على آلصورة استمتع بها .. كانت الفكرة غائمة ، خائفة ، وكانت الصورة مشوهة ضعيفة .. ان سبب ذلك لا يمكن أن يعود الى ضعف القصائد والقطع المختارة بحال لانه يستحيل ان يكون بين يديك مئات من هذه القطع ليس فيها نص ممتاز يرتفع بك .. ولكن سبب ذلك يعود آلى المترجم نفسه ، الى قدرته على فهم ما بين يديه ، والى قدرته على صياغة هذا الفهم صياغة عربية .. واخيرا الى قدرته على اختيار ما يمكن ان يتلاءم مع الذوق العربي والنفسية العربية

ان ذلك يسوقنا الى السؤال الاول الذي تجنبته وهو ماذا نترجم .. ولكني حريص على ان اكتفي فى هذا المقال بالذي قدمت من امر وهو كيف نترجم. ترى ما راي الذين يتابعون الحركة الثقافية او يخططون لها فى ذلك ؟ وهل فى وسعنا ان نطرح هذا الموضوع وان نجيب عنه فى امانـــة وصدق على صفحات مجلاتنا الادبية ؟

ان ذلك امانة فى اعناقنا جميعا .. فلنحاول ان نؤدي الامانة .. وان نجعل من قضية الترجمة هذه موضوعنا الذي نعنى بـــه .

دمشق — شكري فيصل

مـــارد

●

يا غدي هل من جديـد ... ليس في يومي وامسي ؟
كل فجر مشرق ، يودي ... ـ به ، مغـرب شمس
والليـالـي تتـــوارى ... والدنـى لبس بلبـس
عمر ايـامـه تنحـت ... ـ من همي وبؤسي
كرمـاد يغبش الجذوة ... ـ من عزمي وبأسـي
كل يوم ، ضربـة مـن ... معول ، تحفر رمسي
المنـى ترقـب سعيي ... وانا في غـور حبـس
لهف نفسي ، ذهبت ـ ... نحواي هدرا، لهف نفسي
ليس يأسا ، انـه الهم ... ـ الذي يهزم يأسـي
فـي دمائي كبريـاء ... نفصت في العيش انسي
وهوى يصبح في المجد ... ـ وفـي الرونق يمسي
واباء مرهـق ، نزهنـي ... ـ عـن كـل رجس
انهـا اغـلال نفسـي ... وسجـايـاي وحسـي
شيـم كالمارد الجبار ... ـ فـي قمقـم رأسـي
ربـط الله على روحـي ... ـ فاجـت دون نبس
ولقـد ابـرم في أسري ... ـ فيستعلـن همسي
يبرم البدر اذا ساقته ... ـ اقـدار لـوكس
بيد اني دائـب كالدهر ... ـ فـي سعـد ونحس
غمـرات البؤس ارضى ... لـي من نعمة نكس
والردى اشهى الى نفسي ... ـ من العيـش الاخس
وسلاف الحب راحي ... وشغاف القلب كـأسي
والسمـاوات مراحـي ... ولقـاء اللـه عرسـي

حلب — **عمر بهاء الدين الاميري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماساة شاعر مفكر

عبدالرحمن شكري

بقلم وديع فلسطين

كان عبد الرحمن شكري (١٨٨٦–١٩٥٨) هزارا يبدع الانغام بتوقيعه على اوتار الفكر والتأمل والذات ، فاشرأبت اليه الاعناق فى مطلع هذا القرن كأنه بدر أطل على عالم القصيد فى غير اوانه ، فنشر الضياء الباهر فى الكون الادبي بآيات نظمه ونثره ، واوقع فى الشعر حركة تجديد بناء وقالبا وفحوى ومعاني جعلته خليقا بأن يقارن بشكسبير كما ذهب الى ذلك تلميذه الاوفى نقولا يوسف (١) . ولكنه حين اصبح بدرا تماما ، خسف على حين غرة مخالفا سنة الكون ، ثم ما لبث ان قنع من الدنيا بركن قصي يعاقر فيه الافكار ويسامر اهل الراي ويطارح الكتب هواه القديم المتجدد ، ويعيش فى زهادة كادت تدليه وهو حي الى قبر النسيان السحيق .

ان العبقرية عند شكري لم تكن ومضة اشرقت ثم انطفأت فى لمح البصر ، ولا كانت نهرا صب فى محيط فنضب ماؤه الى القرار ، بل كانت ممتدة فى حياته سنوات اربت على السبعين ، وظلت لصيقة به الى ان استولى عليه داء النسيان فى اواخر عمره ، فقطع ما بينه وبين عالم الفكر المائج المتلاطم .

ولكن ، لم شاء عبد الرحمن شكري بمحض ارادته وبقدرة قاهرة للنفس ان يلوذ بسكينة الوحدة والاخلاد الى الذات ، مؤثرا حياة العوام النكرات على حياة الخواص المرموقين ، زاهدا فى الشهرة والمجد الادبي والجاه الدنيوي؟ ما تعليل هذا من واقع حياة شكري ومن الاعراف السائدة بين الناس ؟ اليس من المغرب فى نواميس الحياة ان ينبذ رجل مكان الصدارة فى القوم ، وهو للمثقفين قبلة ومقصد؟ افليس من المعجب ان يختفي عبد الرحمن شكري وهو ملء الحياة ملء الفكر وراء امضاءات مستعارة فى ما يكتب او ينظم ، كأنه اديب مبتدىء يتلمس مكانه فى مجتمع الادب بين أقدام واحجام ، متخوفا من العثرات ، مجفلا من الشهرة ؟ وظل الناس يتساءلون : من يكون « ع. ش. » الذي اجتمع له من ثقافة العرب وثقافة الغرب اقساط عامرة ، فاستطاع ان يناقش بتمكن واستيعاب وبصر آراء الفلاسفة والنقاد واعلام الفكر كأنها عجائن بين اصابعه يصنع منها ما يشاء من صنوف المشهيات الفكرية ؟ ومن هو « ع. م. ش » الذي يصوغ القوافي كأحد ائمتها المجددين ، بل العريقين فى التجديد ؟

ان لهذا الخسوف الادبي ، على غرابته ، تعليلات هي من صميم علم النفس وعلم الاجتماع . وقد عرفنا فى جيلنا المعاصر ادباء وكتابا اتاهم هذا الخسوف الادبي المباغت بعد طول أشراق ، وان كانوا ما زالوا فى الاحياء . بيد ان اولئك الاعلام مجوا الشهرة بعد ان تخطوا عتبات الشيخوخة ، اما شكري فقد ملدنيا الشهرة وهو فى ربيع العمر النضير . فأين مثلا محمد توفيق دياب – صاحب جريدة « الجهاد » التي زاحمت « الاهرام » وكادت تقوض مجدها – الذي كان قلمه يهدر على صفحات الصحف ، وكان لسانه الذرب يهز المنابر فتتقاطر الحشود من ارجاء البلاد للاصغاء اليه ؟ اين هذا الشلال العظيم توفيق دياب ؟ لقد خسف كما خسف عبد الرحمن شكري ، وغدا اليوم زارعا فى حقل ، يستنبت الكمثرى واخواتها فهي فى عرف الدنيا المادية اثمن واجدى من « كان واخواتها » ومن كل ثمار الافكار ! واين اليوم خليل تابت الذي تتألف من فصوله ومطولاته الصحفية على مدى خمسين عاما اشمل موسوعة فى التاريخ المعاصر تتميز مجلداتها جميعا بالزكانة والدقة وحسن التعليل ؟ لقد خسف بدوره ، وفى الجعبة زاد وفير . واين اليوم احمد لطفي السيد الذي كان له فى الصحافة الادبية فتح فى حين مضى ؟ انه اليوم ذو منصب ، ولكنه سكت منذ ما خلع عليه لقب « استاذ الجيل » .

ولعل التعليل الاول لهذه الظاهرة هو ان اولئك المفكرين جميعا ، ومنهم شكري ، ادركوا فى مرحلة من مراحل حياتهم انهم انجزوا مهمتهم فى الحياة ، وان الاكرم لهم ان ينزووا ، تاركين لغيرهم مجال الصيال ، متمثلين قول خليل مطران :

اخلي مكاني للذي يسمو اليه بغير حزن (٢)

فتقاعد اولئك الاعلام مختارين ، وضاع مجدهم فى ضجيج الحياة ، ولكن التاريخ منصفهم لا مشاحة .

غير ان شكري كان أشقى الادباء المعاصرين بعقله ، ولهذا كان يستشعر فى قرارة نفسه ، بأن هناك هوة سحيقة تباعد بينه وبين ابناء جيله . فهو مؤمن ايمانا عقليا ، ولكن مثل هذا الايمان الجدلي يراه معاصروه كفرا وزندقة . وهو مفرط فى نقد نفسه ، ولهذا يمزق ما يكتب ، فيندم على بعضه ويرضى عن انفاذه حكم الموت فى البعض الاخر . وهذا الاسراف فى نقد الذات هو الذي جعله يقول فى رسالة الى صديقه الدكتور فؤاد صروف « اصبحت اتوجس من الزلل ، وارى فى كل كلمة اكتبها خطأ ، واصبحت اخشى حنابلة اللغة والنحو . وعلى اي حال فاني لا ادعي الشعر ولا النثر ولا التفكير ولا ما ينبغي لها كلها . وانما هي عندي لعب »(٣) . ثم ان شكري فى حياته يذكرني بعبارة سمعتها من كامل كيلاني قبل وفاته بيومين . فقد قال لي : « ما شأني بترهات الحياة ما دمت أسير فى رفقة شكسبير وابن

الرومي والمعري والمتنبي والبحتري ، فهؤلاء اصدقائي ، وهم ندمائي وجلسائي وسماري » . ومثل هذا القول يصدق على شكري ، فما حاجته الى شهرة يزاحم بها في سوق الادب ، وهو قطب يستوي على اريكة ومن حوله عباقرة الفكر في كل عصر ؟ فلا غرو أن ينفر شكري من صحبة الناس ، الا من اطمأن الى مودته ، وان يعيش رهن المحابس في دنيامن خلقه وصنعه ، وبين جمهرة انتقاها من طلقاء الفكر العالميين .

ثم ان شكري كان مثاليا في حياته ، وكان كثير المطامع في دنيا الادب . اما مثاليته فقد دهتها الداهية الكبرى يوم تنكر له تلميذه ابرهيم عبد القادر المازني ، فهز مقاييس القيم عند شكري هزة عنيفة . واما مطامع شكري ، فقد ارتطمت بمعاشه ، والفى نفسه ، وهو في القمة ادبا وفكرا، لا تزيد منزلته في الجماعة على نظارة مدرسة . فكان لا بد له ، وهو الابي بطبعه ، ان يعتزل الدنيا التي جحدت فضله وهدمت آماله ومطامحه ، ولا سيما وهو ضعيف البنية متواضع الحظ من المال . وفي هذا يقول في رسالة اخرى الى الدكتور فؤاد صروف : « وقد وجدت راحة في الانقطاع عن النشر ... ولا يستطيع الكاتب التحدي بالنشر الا اذا كانت عنده صحة (او كنز في اعصابه يغني عن الصحة ...) او ان يكون عنده مال ، والمال منعة وعزة في المعاملات اليومية ، حتى في التافه منها ... » .(٤)

ولكن شكري كان يعرف منذ حياته الاولى ان هذا الجحود وقتي ، وان خلود الاثر ملاحقه يوما ما ، فقال في قصيدة نظمها عام ١٩١٣ (٥) :

لئن خانني الذكر الجليل وملني مسامع قومي او غلبت على امري
سيروي عظامي شاعر بدموعه وينثر ازهار الربيع على قبري
اذا جنني الليل البهيم اطاف بي خيالا له يزري على صفحة البدر
يجيء مجيء النوم من حيث لا ادرى ويسمعني ما قد قرضت له شعري
فيا ساكنا في الغيب هذي نبوتي فذكر بها القوم الالى جهلوا قدري

وكان شكري يكتم صدره على سر يعذب الشعراء جميعا ويجعلهم غرباء في البيئة التي يعيشون فيها ، وهذا هو « سر النبوة » على حد تعبير ايليا ابي ماضي القائل « انما نحن معشر الشعراء ـ يتجلى سر النبوة فينا » . فعبد الرحمن شكري شاعر عبقري النظم ، عبقري المعاني ، وهو كذلك اديب مفكر عبقري الذهن وقاده. فكيف لهذه العبقرية الموصولة بالنبوة ان تعيش في بيئة الاقزام فيها سواد والعباقرة افراد ؟ فكان لا معدى له عن ان ينطوي على ذاته ويعيش في بوتقة نفسه متعرضا لاشد الوان الانصهار الذاتي ، وكثيرا ما تجد العبقرية في حديث النفس ونجوى الذات خير سلوى لها . ولكنه في سويعات من عمره ، كان يتوق الى الخروج الى عالم الناس لان النبي بلا ناس خامل الذكر ، ووجد لذلك حلا وسطا هو أن يذيع آراءه من وراء حجاب ويبشر بدعواه ولو طوى النسيان ذكره .

ومن علل شكري العصبية سبقه لزمانه وشرود ذهنه وراء ابكار الاراء الوافدة من كل صقع ، ولا غرو ان يصيبه ذلك بحالة يسميها الغربيون (٦) ، اي حالةالذي يعز عليه ان يتبين لنفسه مكانا في مجتمعه لانه حلق في سماء الفكر فلم يبلغ آمادها ، وارتفعت قدماه عن ارض الواقع ، فلم يعد يطمئن الى موضع عليها ، فلا انتمى الى هذا ولا الى ذاك ، وظل معلقا في الفضاء . وهذا هو الثمن الفادح الذي اداه شكري في أباء واستعلاء ، ليبقى في القمة دائما مستشرفا أوضاع الحياة من عل ، قائلا :

وليس الذي يحيا حياة ذليلة خليقا بان يدعى على العيش باقيا(٧)

ومأساة شكري الحقيقية هي انه كاد ينصرف عن الحياة بواقعها ، ويعيش بين الافكار بخيالها وتهويماتها وشطحاتها وسبحاتها وامواجها واعاصيرها . فهو لم ينظم شيئا في السياسة الا قليلا ، ولكنه نظم اشياء في النفس البشرية وفي الاخلاق وفي الفلسفة وفي الفكر وفي اسرار الكون . وقد يكون ذلك منه هروبا او جبنا ، وقد يكون سببه ذاتيته ، وقد يكون السبب ارتفاعه بشعره عن مواضع الابتذال السوقي، وقد تكون علته انه شاعر وضع الخلود نصب عينيه فعني بالباقيات من القيم دون الزائلات منها . ولكن الذي لا ريب فيه ان عبد الرحمن شكري عرف كيف يهادن مأساته ، وكيف يروض نفسه على تقبلها والعيش معها . اما المرارة التي تخلفت في اغوار صدره ، فقد عالجها بالكتمان والانفة في آن ، ملتمسا عزاء في صفوة من المحبين لم تنقطع عن غشيان مجالسه ، وفي التنفيس عن الغم بمقال او قصيدة في الحين بعد الحين ، وفي القراءة المغيبة ـ اي التي يغيب فيها بآلامه ـ وفي التسامح الكريم الذي هو من اعز صفاته. ولقد عرفنا كيف نسي عبد الرحمن شكري اساءة صديقه وتلميذه المازني ـ الذي رماه بالجنون وراح يوهمه بأنه مضطرب القوى العقلية ـ وكيف داوى الازورار بينه وبين صديقه القديم عباس محمود العقاد . ولكن شكري عجز عن أن يتسامح مع مثلياته ، فظل حبيس نفسه يزجيها خواطره المنسرحة ، ويفلسف دنياه في مناجاة معها ، معتقدا ان الكون كله صنعة شاعر :

والكون آية شاعر ياتي بمبتكراتها(٨)

القاهرة **وديع فلسطين**

(١) مقدمة « ديوان عبد الرحمن شكري » جمع وتحقيق نقولا يوسف ـ طبعة ١٩٦٠ بالاسكندرية (٢) ديوان الخليل ـ الجزء ٤ ص ٣٣٨ (٣) مجلة الابحاث ـ بيروت ـ يونيو ١٩٦٠ ـ ص ٢٣٣ (٤) مجلة الابحاث ـ يونيو ١٩٦٠ ـ ص ٢٢٩ (٥) ديوان عبد الرحمن شكري ـ ص ١٦٧ (6) The Misfit (٧) ديوان شكري ـ ص ١٧٢ (٨) ديوان شكري ـ ص ٣٣٦ ـ



الدكتور زكي المحاسني

فتاة الجزائر

●

أيـا جـارتا فى ربـى المغـرب ... حنانـا لمجدك فـي المطلـب
تبيتين مـن فوق حـد السلاح ... ومـا نمـت فى معرك الغيهب
أأبصر زنـدا عـلى مقبـض ... يـدير الرصاص عـلى الاجنبي
تعـرى وايـن اساويـره ... غـداة الفدا والـردى الطيـب
وفـي العين لا كحل ولا للنحور ... بـريق من الفـاتن المذهـب
هـي الحرب من اجـل حرية ... ولـم يـك فـي الحرب من ملعب
أبـاة الجـزائر عـما غـد ... ستحيـون فـي الشرف الارحب
فمـا نيـل حق لـدى غـاشم ... بغيـر الـدما والفنـا الملهب
سلكنـا العـوادي مـن قبلكم ... وذقنـا مـن الجاحم الصيـب
وحيـن تطيـف بنـا الذكريات ... نغص عـلى سائـغ المشرب
أأمتنا بعـد فتـح الـدهور ... تهـان وتحيـا على معطب
يساجلنـا الغرب حرب المنون ... فشلت يـداه لـدى المضرب
لقينـا بزنطـة فـي حربـه ... هجومـا وقـد راغ في المهرب
فتلـك الثغـور روت بأسنـا ... لـدى سيـف دولتنـا المرهب
وحـط الفرنجة فى شطنـا ... جمـوع الغـزاة ولم نـرعب
فراحوا عـلى القـدس اشلاؤهم ... يموجـون بـالموت فـي موكب
وفـي بور سعيـد اذيقوا الشنار ... فـآبوا بعـاقبة الاخيـب
فتـاة الوغى اعصفي بالخطوب ... فـأنك نسـل الفـتى اليعربـي
أبنـت الجـزائر درب النضـال ... يتيـيـه بأبطالـه فـأتعبي
واوراس تـزحم فـي الخالدات ... جبيـن النجوم فـلا ترهبي
لمحمـة العـرب صيغي النشيد ... ومـن غمس دم الشهداء اكتبي
وفـي غمـرات الفـداء اذكري ... الهـك واعتصمـي بالنبـي

القاهـرة — زكـي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحبت رجـاء بالمقترح ايما ترحيب عندما كاشفتها به ثريا وهما فى المدرج . ووجدت فى هذه الدعوة للمذاكرة مع صاحبيها معنى واضحا يؤكد مدى ما يكن لها قلباهما من المودة والاعتزاز ، مثلما وجدت فيه مجالا لارواء فضولها وتشوفها مما عسى العاشقان ان يتحدثا به فى جلساتهما الخلوية الماتعة !

كان البيت ، حسبما وصف وحيد ، على الضفة الغربية للنيل مما يلي « حي الدقي » الى الشمال من « كوبري الجلاء » . ولقد اتخذت رجاء زينتها وخرجت من بيتها متخذة الاوتوبيس فى طريقها الى الموعد . ولم تنس ان تحمل فى يسراها كتابا تذاكر فيه اذا جد الجد ، وما ظنها الا ان اللقاء سيكون بعيدا البعد كله عن المذاكرة والمداولة الجدية ، بل سيتوخى مجاذبة الحديث الخفيف عن شؤون الجامعة والفراق القريب الذي سيتطاول اسبوعين يسافر فيهما وحيد الى ذويه فى البلد بعد يومين اثنين .

عندما دخلت ثريا بيتها فى الظهيرة عائدة من الجامعة ، كانت فرحة طروباً بهذا الموعد الذي يقربها من الحياة الخاصة التي يحياها وحيد . انها جد سعيدة بهذه الزيارة تقوم بها الى بيته . سترى سريره الحديدي « السفري » ، ومنضدته تبعثرت عليها كتبه ، والمشجب تراكمت عليه الثياب فى غير تنظيم ... وماذا بوسعه ان يعرف متولي ـ خادمه ـ من تنظيم البيوت وتدبير شئونها مما تقوم به السيدات عادة ؟

وحلقت بها الافكار ...

عندما سيكتب لهما البيت الواحد يستظلان فيأه ، لكم هي سعيدة الحياةتحت سقفه بعيدا عن هموم الجامعة ومحاضراتها والمذاكرةوالكتب والملازم ! واطفال ، قرة عيون ، يتواثبون فى البيت ويملئونه ضجيجا وحبورا ويضفون عليه الرونق الذي لا تكتمل الا به السعادة !

وهي على الطعام ، تطلعت الى الببغاء « ظريف » فى قفصه ، فى وداعته ونظراتهالاليفة لا يفكر بالبحث عن « الوليف » الذي يجمعه واياه سقف « واحد » أنه هنا ، قانع بهذه الحياة الرتيبة ، يستحليها دون ان يدرك ان ثمة اخرى اكثر حلاوة والذ طعما ومذاقا .. ليبق فى قفصه ، فانما الحياة الفارغة للقنوع المكسال . تراه يغمض عينيه اغماضة الكسل والقناعة والتراخي .. لحقيقة به هذه الحياة!

ودخلت غرفتها تستريح بعد الغداء ترود افكارها كل مراد . ليس لها ان تقيل هذا اليوم . الساعة الآن قد تجاوزت الثالثة ، وان الموعد فى الخامسة قريب .

ودارت بها الخواطر ...

تذكرت مقال وحيد فى الصباح عن سروره بهجر عادتها : « جئت فى الموعد ! » . بدا يعرف عوائدها ويسبر اغوارها ! يشوقها ان تتأخر ، تجد فى ذلك لذتها القصوى ، ان مجرد تخيلها ان وحيد فى الانتظار مبلبل الفكر مشغول الخاطر ، كاف لبعث الذ المشاعر فى نفسها ، كذلك تحس بوضوح وادراك ! تجربة الانتظار المر ، تريد لتحمل وحيد على ان يذوقها بين اليوم والاخر !

انها لم تتأخر عنه فى هذا اليوم . وان له عليها بعيد قليل موعدا جديدا . بودها ان تتأخر فتلوعه قليلا . بل .. ما الرأي لو هي غابت عن الموعد فلا تحضره قط !؟ لقد اطعمته فى الصباح عسلا بحضورها فى تمام الميعاد ، فسر وهنأ وبارك .. اليس من الحق ان تذيقه هذا المساء العلقم ، الفلفل ضروري والتوابل والافاويه !! والخلو ممجوج وحده ان دام !!

حسنا . قر منها الرأي على أن تظل فى بيتها تنعم بالقيلولة ، والعذر بعدئذ ميسور : جاءنا زوار ، ما اذن لي ابي بالخروج ، جئت اقيل

ثريا بنت الجامعة

من قصة مطولة

بقلم فاضل السباعي

لساعة فاستغرقني النوم ساعات . اليست نؤوما ؟ لا تموزها الحيلة ، وان حبل المعاذير لديها طويل موصول !

وخلعت ملابس الجامعة ، وقد راقت لها الفكرة ايما رواق . واستلقت فى سريرها تمسك كتابا تحاول ان تقرأ فيه ... الفلفل سيحرقه . سيتساءل متشكيا للسماء وصوان الارض ! والا ، افتنيله الراحة ابدا ؟

ستسترد هذا المساء منحة الصباح التي اسلفت !

وما احست ، وهي فى سريرها متكئة على الوسادة الوثيرة ، الا وقد اغفت ، سرقها عن حالها الكرى ، فاذا هي فى عالم من الرؤى مسحور ...

وجدت أنها ووحيد يسيران فى طريق مظلل زاهر عاطر ، والذراعان منعقدتان ، والكنادي على الافنان مفردة اعذب التغاريد



... وفيما هما فى نشوتهما عبر الدرب الظليل ، تنبثق من بين الاشجار بنت لا تخلو من ملاحة وجمال ، ولكنها هي تفوقها فى هذا المضمار ... تقترب البنت ، وعيناها لا تفارقان وجه وحيد ... « ماذا تريدين ، يا بنت ؟ » ، كذلك تصرخ فيها ، ثم تتحسس ذراعها المعقودة بذراع وحيد ، انهما فى تماسك لا انفصام معه ... تدنو البنت وتدنو، حتى اذا اصبحت على مقربة خطوة او ادنى، مدت يدها فى مزيد من الصمت والثبات الى وحيد ، امسكتبه من ذراعه الاخرى ،والعينان فيها تستدعيانه الى المسير معها ، فلبىالدعوة طائعا ، وتسللت منها الذراع المعقودة ... وما نفع فى ذلك تشبث ونداء وصراخ ...مضيا عنها لم يلتفت اليها وحيد قط ...ظل ماضيا جوار البنت الدخيلة الغاصبة ، يبتعدان عنها آلى حيث كانت البنت قد خرجت من بين الاشجار ... وما ملكت نفسها من البكاء والنحيب فى عصبية وغلب وانكسار..

ثم تصحو من حلمها المروع ، فاذا هي فى سريرها ، واذا الدموع تملأ مآقيها ، واذا الساعة تشير الى الخامسة !!

وثبت من مرقدها الى وسط الغرفة كالملسوعة ، تستعيد حلمها فى حرقة والم كظيم . فكاد الغم يخنقها . وحيد ورجاء يجمعهما الان موعد ، وعلى باب الغرفة يقف متولي الذي لا يملك من الامر شيئا ...

يا لها من مجنونة ! كيف ساغ لها ان تفكر بالغياب ؟ اتتيح لرجاء ان تخلو بصاحبها ؟ يا للغفلة والجنون !!

ارتدت ملابس الخروج كالنسيم .وانطلقت الى الشارع هائمة . ولم تتوجه الى محطة الاوتوبيس ... بل جعلت عيناها تلوبان بحثا عن سيارة تاكسي مارقة . فما ان وجدتها ، حتى القت بنفسها داخلها فى عجلة وشوق وولوع ، وهي تخاطب السائق فى انفعال :

ـ الى كوبري الجلاء ... يا اسطى !

*

اتخذ وحيد الاستعداد لاستقبال الصديقتين عقب الغداء . لقد توخى الا يخبر اسماعيل بخبر الزيارة ، فليس يرتاح للخبر يتصل بعلم ابن خالته ، وهو عازم على الا يصل ما بين الفتاتين واسماعيل ، بمعرفة مهما تكن طفيفة ، خشية ان يتصرف هذا بعد ذلك فى الجامعة بما يسيء وهو ذو الفلسفة الخاصة العجيبة فى الحب ومصادقة النساء .

وعندما اوى اسماعيل الى غرفته يقيل ، نادى وحيد على متولي ، وقال له فى بشر :

ـ لدينا اليوم « زوار » محترمون ، يا عم متولي !

فاتسعت عينا متولي يتساءل عمن يكونون هؤلاء الزوار المحترمون ؟ فقال وحيد مبينا :

ـ لقد حدثتك عن ثريا كثيراً ..

تأشرق وجه متولي ، وما ملك فرحته ، فقال صائحا :

ـ الست ثريا .. ستزور بيتنا ؟ يا فرحنا!

فرفع وحيد سبابته الى شفتيه حاضا اياه على خفض صوته لئلا يسمع اسماعيل . وقال مضيفاً :

ـ ولسوف تصحبها رجاء !

فقال متولي وهو يحاول ان يخفض صوته ولا يستطيع كتمان فرحته :

ـ يا حلاوة ! عروسان في بيتنا ؟ زارنا النبي!

قال وحيد في اهتمام :

ـ عليك ان تقوم بترتيب البيت حتى لا تدع مجالا « للحريم » لانتقاد تدبيرك !

ـ على عيني ، يا سي وحيد .. على راسي .. عروسان من الجامعة في بيتنا ! (ثم التفت حيث ينام اسماعيل في غرفته) وانت ، يا سي اسماعيل .. ثم بالهنا .. لا تصبح الا بعد الزيارة .. الله يريح بدنك !

ثم جهد في تدبير البيت باذلا ما في وسعه لاظهار نفسه امام البنتين بمظهر المدبر المتفنن . بينما انصرف وحيد الى خيالاته من تصور لهذا اللقاء الجديد يخرج به من حيز الجامعة الى البيت يلتقي تحت سقفه بثريا وصديقتها معا ... ثم جعل يأسى على فراقه للقاهرة طوال اسبوعين في اجازة نصف السنة ، فلئن سره السفر للقاء الاهل ، لهو مبغض فراق ثريا ! اسبوعان ، خمسة عشر يوماً ، لا تكتحل خلالها عيناه بطلعتها وبهائها ، يا للحب من رابط وثيق ! ما اضيع الانسان من غير هذا المعنى العظيم !

ولما اشارت عقارب الساعة الى الخامسة ، رن جرس الباب . فاهتز قلب وحيد طربا ، وغاص قلب متولي الى قدميه فرحا ، وهجم على الباب يفتحه ... فوقع نظره على « آنسة » مليحة سمراء . وسألته برقة عن « الاستاذ وحيد » ؟ فاجاب بادب بالغ :

ـ موجود ، يا هانم .. تفضلي ..

وما هو الا ان خرج وحيد من غرفته صوب الباب يرحب برجاء . وصافحها آخذا اياها من يدها الى غرفته ... ومتولي ينظر مبهور العين من فرح ومن ذهول !

ودخلا الغرفة ، ومتولي في الصالة يرقب الباب متسائلا عمن تكون البنت ؟ اهي ثريا ، ام رجاء ؟ انها والله لجميلة ومهذبة ! كذلك قرأ في عينيها . انها نعم الزوجة لوحيد !

جلس وحيد ورجاء في الغرفة وحيدين . ولقد سر وحيد الا تكون رجاء في مثل طبع صاحبتها من خلقها المواتي ، وان تكون منظمة رتيبة العادات . وجعل يحدثها عن شئون مذاكرته ، وما انهى من الملازم الجديدة، وما هو منها واجب المذاكرة العاجلة ...وكان في كل لحظة ينظر الى الساعة في معصمه ، فالوقت يمضي وثريا في غياب .

وليست تدري رجاء لماذا رغبت ان يطول تأخر ثريا عن الموعد . لقد تمنت لها هذه الساعة ان تبدي كل ما اوتيت من شذوذ في خلف الميعاد . فقد لذ لها ان تجمعها ووحيد غرفة من غير رقيب ، وان يبثها هموم مذاكرته وشئون دراسته ... بيد أنه لما مضى من الزمن ربع ساعة او يزيد ، بدأت تشعر بالحرج من نفسها ومن ثريا اذ تدهم عليها وحدتها فتساورها الهواجس والظنون !

ورن جرس الباب رنة عاجلة فرنتين اخريين .. فهرع اليه متولي ، فاذا في الباب « انسة » اخرى يبدو عليها الاعياء من صعود الدرج دراكا . فبهره حسنها وجمالها .. وتمنى ان تكون هذه ثريا .

قالت الانسة في استعجال :

ـ الاستاذ وحيد .. هنا ؟

اجاب متولي في ادبه البالغ :

ـ نعم ، يا هانم .. تفضلي !

وخرج وحيد . فرأى ثريا زائغة النظرات لا تزال تسحب انفاسها الوانية . فسلم عليها ببشاشة ورحب بها اجمل ترحيب ، ثم اخذها من ذراعها الى الداخل . فقالت تسأله في لهفة ، دون ان يعنيها رد السلام :

ـ هل جاءت رجاء ؟

اجاب في بيان :

ـ اجل .. لقد دقت جرس الباب عندما كانت عقارب الساعة تشير الى تمام الخامسة !

فما راق لها الجواب بما انطوى عليه من معنى الاطراء لصديقتها . ودلفت الى الغرفة. فرأتها منخذة مجلسها وسط الاريكة كأنها صاحبة البيت الآمرة فيه ، فرمقتها بنظرة لم يخف على رجاء مغزاها ... فلملمت اذيالها الى طرف الاريكة ، موسعة لها المكان الارحب .

وانفرد الثلاثة في الغرفة يتجاذبون الحديث الهين على مهل . ووحيد يحكي لهما عن سفره القريب ، ومدى تأثره لفراق القاهرة هذه المرة ، وانه ربما عاد قبل انقضاء الاجازة ، فانه ليراها طويلة ثقيلة الظل .

واستيقظت في نفس رجاء تلك العاطفة الجامحة ، وملكت الحسرة قلبها ، لانه ليس من شاب يسكب في سمعها مثل هذا الكلام الجميل ... بينما كانت ثريا ما تزال ترزح تحت وطأة ذلك الحلم الثقيل !

وتشعب الحديث ، واتخذ مجراه المرح ، وعلت الضحكات تصل في اذن متولي الجالس في الصالة ينتظر الامر بأن يصنع شايا او يختفي بالضيفتين اي احتفاء .

وارتفعت الضحكات تشيع في المنزل كله جوا عابقا من البشر والمرح ، ومن عطر الانوثة الذي طالما افتقده هذا البيت لا تطأ عتبته اقدام « حرمة » !

وما لبث اسماعيل ان صحا ... كانت الضحكات الناعمة الآسرة اقوى من سحر النوم يجثم على اجفانه . صحا على صليلها فاتحا عينيه غير مصدق . فلما ملك وعيه ، نادى وهو في سريره متولي . فجاء هذا على النداء وهو يلعن في سره هذه الصحوة المباغتة التي لم تكن في الحسبان . قال اسماعيل سائلا في مزيد من الفضول :

ـ من في البيت ؟

اجاب متولي وهو لا يريد ان يفصح :

ـ بعض الضيوف !

قال اسماعيل معاجلا :

ـ من اي نوع هم ؟؟

فقال متولي في تردد :

ـ آنستان !

فاتسعت مقلتا اسماعيل عجبا . وقال مستفصحاً :

ـ ومن هما ؟

اجاب هذا مغلوبا على امره :

ـ الانسة ثريا .. والانسة رجاء !

فصفق اسماعيل طربا وقد ذهب النوم من عينيه . ثم قال في صوت رقيق هامس :

ـ هل هما جميلتان ، يا عم متولي ؟

اجاب متولي في اعتزاز وفرح :

ـ « زي الفل » ، وحياة سيدي البدوي ، يا سي اسماعيل !

فجعل هذا يقول في نشوة :

ـ زارنا النبي ..(ثم قال بلهجة جادة) اسمع ، يا عم متولي ..

ـ نعم ؟

ـ رح ، هات لي واحدة منهما .. حالا ..

ـ

ـ دع ثريا لوحيد ،فهو احق بها .. وهات لي رجاء ، فليس لها من صاحب !!

فقطب متولي جبينه غير مصدق ، ولم يتحرك . فصاح به اسماعيل آمرا في جفوة :

ـ لماذا انت واقف قدامي مثل اللوح ؟ اقول لك : هات لي واحدة !!

فقال متولي في عصيان :

ـ عيب ، يا سي اسماعيل .. لا يصح الكلام ..

فغير عندئذ اسماعيل من لهجته . وقال في استعطاف من يطلب العدالة :

ـ قل لي ، يا عم متولي ، بذمتك : اهذا انصاف ؟ واحد بانستين .. والاخر بلا انسة ؟!

فبدأ على متولي شيء من اقتناع .. ولكنه مع ذلك ظل في مكانه لا يبدي حراكا !

*

جعل متولي يتناول الملابس والكتب والاشياء الصغيرة ، ويرتبها بعناية في الحقيبة الصفراء الكبيرة وسط الغرفة تلتهم المتاع وتطلب المزيد . ووحيد يشير عليه أن يضع في الحقيبة بعض الاغراض على هذا الوضع او ذاك ، وهو يسرع في الاستجابة تحدو به فرحة السفر ولقاء الاهل في طنطا بعد ساعات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كأن وحيد هادىء اللفتات تتبدى عليه سيماء الاسى العميق لهذا الفراق يبعده عن الفتاة التي ارتاحت لديها مطامحه وآماله . ما كان يظن انه يهوى الجامعة الى هذا الحد منجذبا اليها فى نهار وليل وفى ايام سفر ! اتراه يستطيع تحمل جوى الفراق طوال اجازة من اسبوعين تبدأ اليوم وتنتهي مساء الجمعة بعد التالي ؟

وانتهى متولي من حشد المتاع فى الحقيبة الكبيرة مع باكر الصباح . فاشار عليه وحيد ان يذهب الى اسماعيل يوقظه للمرة الثانية ، فالقطار سيتحرك بعد حوالي الساعة . وسرعان ما وقف متولي فى الصالة ينقر على زجاج الباب ، وينادي :

ـ سي اسماعيل .. اصح، يا سي اسماعيل ..

وتقلب اسماعيل على سريره بعد عدد من النداءات . وزفر زفرة عالية ، وصاح متضايقا :

ـ نعم ؟

فقال متولي متلطفا :

ـ السفر ، يا سي اسماعيل .. لم يبق سوى ساعة على موعد السفر !

فالقى اسماعيل نظرة الى ساعته ، ثم قال متذمرا :

ـ يعني ضروري سفرنا فى قطار التاسعة ؟ ليكن القطار التالي !

وسمع وحيد ذلك . فانتاظ لهذه الفوضى يبعثها اسماعيل فى لحظة تكاسل . انه يريد ان يسافر فى قطار التاسعة فيفرغ من وعثاء السفر ، كذلك كانا قد اتفقا البارحة ..

وجعل يحدثه من وراء الباب :

ـ انهض ، يا اسماعيل ، حتى نلقي عن كاهلنا وزر السفر ..

قال هذا وقد فرغ من تمطيه :

ـ طيب ، يا سيدي .. حلمك علي ، يا سيدي .. أنتظر قليلا ، يا سيدي .. امرك مطاع ، يا سيدي !

فانكفأ وحيد الى غرفته ، وقد شملها الانقلاب حتى لا يكاد يجد المكان الملائم للجلوس. وفتح النافذة الشرقية يتمتع بأشعة الشمس المشرقة وجمال النيل المتهادي ... يا للقاهرة ما اجملها ، وما اجمل ساكنيها !

ثم جعل يقول بصوت يكاد يسمع للصالة لولا ان الباب مغلق : « آه ، يا ثريا ، اني لم احس بحب القاهرة يملأ قلبي احساسي به الساعة ! ترى ، اتحبين طنطا حبي لبلدك ؟ يا ايها الطير الابيض الصاحي على افنان الشجر الوارف .. الا حملت مع النسيم قولي الى ثريا ، وسألتها ثم رددت الي الجواب هناك فى مدينة السيد البدوي ! » .

وسمع صوت اسماعيل وهو يهيب بمتولي ان يجمع حاجياته فى الحقيبة ، ثم وهو يلعن العجلة والصحو الباكر :

ـ يعني .. لو نحن سافرنا فى القطار الثاني او الثالث او السابع .. اكنا على خطأ ؟!

فرد عليه وحيد ، وقد خرج على الصوت الحانق :

ـ الم نتفق على ان يكون السفر فى التاسعة؟

ـ فاذا كان فى العاشرة ، هل خربت الدنيا ؟

ـ لو انك قلت قبل الان انك تفضل السفر فى العاشرة .. لسافرنا فى العاشرة !

والتفت اسماعيل الى حيث متولي يرتب الحقيبة ، قائلا :

ـ الم تنته من ترتيباتك ، يا رجل ، يا « لخمة » ؟ أتظن اني مسافر الى « الحج » ؟

فاجاب متولي غاضا عن الشتيمة ، فهو فى شاغل عنها بسعادته بالسفر :

ـ بل .. الى السيد البدوي !

وانتهى متولي من حزم الحقائب . وجعل ينقلها الى اسفل البناية ، يعاونه وحيد بنقل المتاع الخفيف ، بينما وقف اسماعيل لا يفعل شيئا سوى ان يزفر مغيظا بين الفترة والاخرى، فهو لم ينم من ليله الا قليلا ، فقد دامت سهرة البارحة الى ما بعد منتصف الليل !

وقف اسماعيل ووحيد على باب البناية فى انتظار ان يعود متولي بسيارة تاكسي تقلهم الى محطة مصر . وما عتمت ان بانت السيارة من بعيد يطل من نافذتها متولي وعلى وجهه بشائر السعادة بالسفر اليوم الى البلد بعد غياب دام أربعة اشهر متواصلة . ووقفت السيارة امام الباب . وسرعان ما نقلت الحقائب اليها بهمة متولي النشيط . ثم اتخذ الثلاثة اماكنهم داخلها ، وانطلقت بهم عبر كوبري الجلاء وكوبري قصر النيل فشارع سليمان باشا فى الطريق الى ميدان باب الحديد .

اخذ وحيد يتطلع بعين لهيفة الى البنايات تمر به والسيارات والوجوه ، فيحس لفراقها بألم يرسم فى قلبه خطا طويلا متعرجا وفق تسرب السيارة فى شوارع القاهرة . اما اسماعيل ، فقد استلقى فى رفق من السيارة كالقتيل مغمض الجفنين من نعس واعياء ، بيد ان ذهنه كان يجتر مسألة يريد ان يكاشف بها وحيد ، لولا أن يرده عن قصده هذا الاعياء ، هي زيارة البنتين للبيت امس الاول ، ولم تتسن له المكاشفة بسبب من انه ترك المنزل فى ذلك المساء قبل ان تغادرها البنتان ، وفى صباح امس الخميس لم يكن وحيد قد أفاق لدى ذهابه الى الجامعة فانما محاضراته فى ذلك اليوم مساء ، ثم هما لم يلتقيا على الغداء ولا فى الليل الذي امضاه هو فى سهرته المتطاولة .. هاتان البنتان ، ماذا جاءتا تفعلان فى غرفة وحيد ؟!

توقفت بهم السيارة ازاء باب المحطة . وهجم العتالون على الامتعة يريدون حملها الى داخل حيث الرصيف . فذهبهم اسماعيل مشيرا الى انهم هم الذين يحملونها بانفسهم. ثم اوفد وحيد متولي الى شباك التذاكر محملا بورقة نقدية من ذات الخمسة جنيهات لشراء ثلاث تذاكر فى الدرجة الثانية لقطار «الاكسبريس» . كانت الساعة تشير الى التاسعة الا ربعا . ووقف وحيد واسماعيل مع المتاع على الرصيف ينتظران ان يعود متولي بالتذاكر قبل ان يقبل القطار ..

وما لبث ان اطل متولي يجر خطاه على ارض الرصيف جرا ، وقد تغيرت فيه السحنة وضاقت العينان ... ودفع بالتذاكر الى وحيد فى تهيب ، وهو يرمق اسماعيل بجانب من عينيه . وما ان لمح اسماعيل لون التذاكر حتى صاح كالمجنون :

ـ الله يخرب بيتك ، يا عم متولي .. انت قطعت فى الدرجة الاولى ؟!

فقال متولي يعتذر وهو ينتظر من اسماعيل ثورة اشد :

ـ نفدت تذاكر الدرجة الثانية والله العظيم ، يا سي اسماعيل ..

فصاح اسماعيل :

ـ وما فى ذلك ؟ ننتظر القطار التالي !

كان ثمن تذكرة الدرجة الاولى ضعف ثمنها فى الدرجة الثانية ، والخسارة مثلثة فى التذاكر الثلاث . الا ان وحيد لم يثر على هذا التدبير الذي ارتجله متولي مع العجلة من عنده . فى حين تابع اسماعيل قائلا فى غضب:

ـ اريد ان اعرف ما الذي حملك على قطع التذاكر بالدرجة الاولى ، يا سي متولي .. يا متولي بيه .. يا متولي باشا ؟!

فاجاب متولي مدافعا على سجيته :

ـ سي وحيد يحرص على السفر فى قطار التاسعة !

نقال اسماعيل موجها خطابه الى وحيد :

ـ اذن عليك ان تتكفل بالفارق ، يا سي وحيد !

ـ اتكفل به .. هدىء اعصابك ..

ثم التفت اسماعيل الى متولي قائلا بسخرية:

ـ يعني انت تسافر بالدرجة الاولى ، يا لحاس الصحون ؟! كثير عليك الدرجة الثالثة .. « الضهر » هو الذي على قد مقامك !

وصفر القطار داخلا المحطة ، وتوقف لصق الرصيف . فصعد اليه وحيد وحجز احدى مقصوراته . واوعز الى متولي ان يناوله الحقائب من النافذة . وسرعان ما انتقل المتاع كله عبر النافذة بمعاونة متولي واسماعيل على الرصيف ووحيد فى المقصورة . وجلس الثلاثة متجاورين : متولي يحس بالسعادة الغامرة للسفر ولركب الدرجة الاولى لاول مرة فى حياته ، واسماعيل يشعر بالرغبة فى النوم ، اما وحيد ، فالاسى الحزين كان يهصر قلبه العاشق لفراق بلد المحبوبة ...

وصاح اسماعيل فجأة :

ـ هات لنا كعكات سميد ، يا عم متولي ..

واذاك فطن متولي الى انه لم يذق طعاما بعد فى هذا النهار . وقذف بنفسه من نافذة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القطار الى الرصيف جريا وراء بائع سميد مر لتوه . فوارى وحيد وجهه الى داخل خجلا من هذه القذفة من الشبك المنافية لقواعد اللياقة ، لا سيما وانهم الان فى عداد ركاب الدرجة الاولى .. ولكنه حمد الله ان ليس فى المقصورة بعد غيرهم الثلاثة .

ودخل المقصورة شيخ عجوز ، فرجل كهل، ثم سيدة فى العقد الثالث من العمر جميلة على عينيها نظارة سوداء يختفي دونها نصف وجهها ، واتخذت مجلسها فى مقعد متولي الخاوي جوار اسماعيل .

ثم ما لبث ان عاد متولي تتحلق حول ساعده السميدات . وحمد له وحيد بينه وبين نفسه ان دخل من الباب فى عودته وليس من الشباك! وما ان لمح اسماعيل السميد مع متولي ، حتى قال له منكرا ما ترى عيناه :

ـ ما هذا ؟ سبع سميدات ؟ عشر ؟ ماذا جرى لسك اليوم ؟

فاجاب متولي ببساطة :

ـ نريد ان نأكل .. جائعون .. مقبلون على سفر !

وتقاسموا السميدات . وتعمد اسماعيل ان يأخذ واحدة زيادة عن صاحبيه . ثم قدمها بادب الى السيدة الجميلة عن يساره ، فاعتذرت هذه بلهجة لا تخلو من جفاء ، واشاحت عنه بناظريها مارة بمتولي امامها بجلابيته المتهدلة الاردان يجلس فى الدرجة الاولى ! فلكز وحيد جاره اسماعيل ، وقال هامسا :

ـ اترك الناس بحالهم !

فاجاب اسماعيل متصنعا البراءة :

ـ وهل فعلت شيئا ؟ قصدي شريف والله .. عزمتها على الاكل ، فرفضت !

ـ واي اكل مع الحمرة على الشفاه ؟ هل تظن انها افاقت متأخرة ولم تصب فى بيتها الطعام مثلنا ؟

وصفر القطار ، وتحرك على رسله اول الامر ، ثم ما لبث ان اخذ يتسارع رويدا رويدا ، حتى انطلق هائما على وجهه لا يبغي الا ان يصل الاسكندرية فى ثلاث ساعات .

وخيم الصمت على الركاب ، فهم لا يعرفون بعضهم بعضا . اما وحيد واسماعيل ومتولي ، فقد انشغلوا بادىء الامر بقضم السميدات . وعاف وحيد اكل ما زاد عن السميدة الاولى واعطاه لمتولي ، فاخذه هذا قائلا بانه سيعطيه للصغار فى البلد .

وشعر اسماعيل بالتراخي بعد الطعام ، وثقل جفناه ، وتخايلت له ليلة البارحة قضاها مع الصحب . هذه الليالي لن تعود اليه الا بعد اسبوعين على اقل تقدير . ثم وثبت الى ذهنه مسألة البنتين .. فاذا التراخي يزايله ، ويذهب عن عينيه النعاس ، ويعتدل فى جلسته ، ويقول وهو يميل على وحيد فى صوت أقرب الى الهمس :

ـ ايهون عليك ، يا وحيد ؟

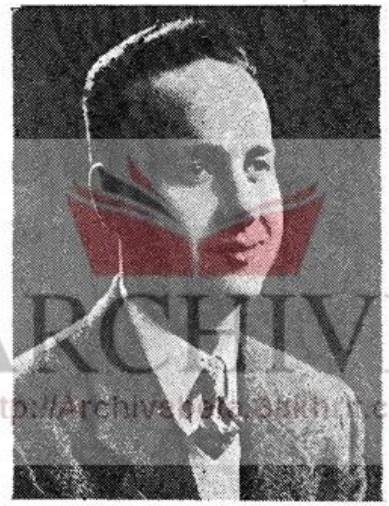
كان وحيد يحلم بالقاهرة التي خلفها وراءه آسفا . فايقظته من حلمه قولة اسماعيل العاتية . فحول عينيه عن النافذة الى اسماعيل عن يساره وكان عينيه تسألان : « وما الذي يهون علي ؟ » ..

قال اسماعيل مسترسلا :

ـ يعني واحد بآنستين .. والاخر بلا آنسة !

ولم يفهم وحيد مراده . الا انه زجره هامسا يحضه على خفض صوته لئلا يسمعه ركاب المقصورة . فقال اسماعيل مستجيبا للزجر فى لهجة المسكين المقصوص الجناح :

ـ اما كان الانصاف ان تحتفظ بثريا ، وتبعث الي برجاء ؟!..



فاضل السباعي

فأغتاظ وحيد من هذه الافكار تداعب رأس ابن خالته . ألا انه ما لبث ان تبسم بينه وبين نفسه لهذه اللهجة المستعطفة الذليلة تصدر عن هذا الذي كان حتى الامس القريب يسخر من حبه ومن قدرته على الوصول الى اكثر من معرفة اسم الحبيبة .

وتابع اسماعيل كالمستجدي :

ـ يعني .. لو كنت بعثت برجاء الى غرفتي ، اكنت انسى لك معروفك طول عمري ؟!

قال وحيد مفندا :

ـ هل تظن ان البنت ملك يميني ، حتى اهبها للاصحاب ؟ (ثم قال مازحا) وماذا كنت تفعل بها ان أنا بعثت بها الى غرفتك ؟

قال اسماعيل :

ـ لا افعل لها شيئا .. الا ما تفعل انت لزميلتها !

فاستضحك وحيد وقال :

ـ كل ما بيني وبين صاحبتي انني احس نحوها بعاطفة الحب السامي ..

فقال اسماعيل :

ـ وانا كذلك .. سأحس نحوها بالحب السامي !!

وتابع القطار طريقه يشق السهول التي ابدعت منها الدلتا النيل جنة وارفة الظلال ، جنية الثمرات ، تغل القوت والذهب والحياة المطمئنة لفلاحها الكادح الذي يزرع تربتها منذ الاف السنين .

*

حط القطار فى محطة « طنطا » بعد ان طوى الطريق الزراعية الخضراء ، مارا بـ « بنها» و « شبين الكوم » وبعديد من قرى الدلتا تنعم بمائها النمير وشجرها الوارف وسمائها الصافية .

ولما اطل القطار على طنطا ، رقص متولي فرحا بلقاء البلد التي قضى فيها من العمر ما يقارب الخمسين سنة . وفتح اسماعيل عينيه على مرأى العمائر تبدو له عن بعد ، وتذكر ان عليه ان يمضي فى هذه البلدة اسبوعين بعيدا عن الصحب . اما وحيد ، فقد استثار مرأى البلد فى نفسه الشجن وطفحت نفسه على فجأة بالعاطفة نحو فتاته التي غادرها وترك معها فكره وقلبه واحساسه جميعا .

ونزل ركاب طنطا على عجل من القطار . وتعاون وحيد واسماعيل ومتولي على حمل متاعهم ، وهبطوا به السلم الى النفق تحت الارض المؤدي الى الشارع . وسرعان ما خرجوا منه مقابل الرصيف ، منطلقين من المحطة . ونادى متولي على سيارة تاكسي ، ودخلوا اليها بالحقائب ، وما لبث وحيد ان خاطب السائق قائلا :

ـ الى « شارع المديرية » ..

فانطلقت بهم السيارة تتهادى فى شوارع المدينة متجهة صوب « ميدان الساعة » . فلما دخلته كانت اصوات الحياة الصاخبة تضج فى ارجائه من نداءات الباعة يصيح كل منهم على بضاعته التي ليس لها فى البلد مثيل . وسمع رنين الطاسات الصفراء تعبث بها ايدي بائعي « العرقسوس » فى رنات رتيبة ذات نغم موسيقي جذاب ، وهم يلبسون الاحمر والاخضر ويصيحون صيحاتهم التقليدية: « باروكية السيد .. اشرب .. هنيء نفسك..» ثم اخترقت السيارة « شارع طه الحكيم » وقد ارتفعت فيه البنايات . وعن كثب كان بائع واثنان ينادون عما يحملون فى سباتهم من اسماك « البولطي » و« المكرونة » و«الجنبري» ... ودخلت السيارة « شارع المديرية » فى اوله ، فبدت « سينما البلدية » عن يسار ، بينما امتد فى وسط الشارع شريط اخضر

من المرج والاشجار يكاد يسير معه حتى النهاية.

وطلب اسماعيل من السائق ان يعرج عند اول شارع الى اليمين . ثم نزل من السيارة امام بيته ، يساعده متولي فى حمل الحقيبة ليعود الى السيارة فتمضي به ووحيد في شارع المديرية مارة بضريح « الشيخة صباح »، عندئذ تلفت صوبها متولي وقرأ على روحها سورة .. وانعطفت السيارة في نهاية الشارع نحو اليمين ، حيث المساكن تتخللها الجنائن المشجرة . ووقفت امام احدى البنايات . فنزل منها وحيد ومتولي ، وانزلا الحقائب ، ومضى بها سائقها يطوي الطريق طيا .

وهنا برز من دكانه المعلم حسنين البقال بكرشه الممتلئة وجلابيته السوداء ، يقول فى شوق وترحيب :

ـ اهلا وسهلا ، وحيد بيه .. شرفت ، يا وحيد بيه .. نورت البلد ..

وانهال عليه مصافحاً بحرارة الاب الذي ربى ابنه عشرين سنة او يزيد مجاورا فى الحي يراه صباح مساء . ثم سلم على متولي، الذي انكفأ بعد ذلك يرفع عقيرته بالنداء على من فى المنزل فى الدور الثاني صائحا :

ـ يا بنت ، يا فاطمة .. يا ولد ، يا عوضين ..

وسرعان ما اطلت الرؤوس من الشرفة فرحة مستبشرة عرفت فيه صوت متولي يأتيها من القاهرة على الموعد. فهلل الصغار صائحين:

ـ وحيد .. جاء وحيد ..جاء العم متولي..

وسر متولي لنداءات الصغار يسمعها بعد اربعة شهور من البعاد . ثم اهاب بهم ان ينزل عوضين ليعاونه فى حمل المتاع الى اعلى .

وصعد وحيد الى المنزل . فاستقبلته امه مهللة مرحبة ، وقبلته مشتاقة فهو ابنها الاكبر وقرة عينها وانها لترى فيه آمال الاسرة مجسدة . وسلم عليه اخوته فقبلهم واحدا واحدا وهم لا يملكون انفسهم من فرطة الفرح ولا يفتأون يتواثبون ويتصايحون من غبطة وسعادة وسرور .

وسأل وحيد امه :

ـ وابي .. اين ابي ؟

قالت امه فى حنان :

ـ فى صلاة الجمعة ، يا ولدي ..

وجعل يسألها عن احوالهم واحوال الاخوات والصغار . واستفسرته عن ارتياحه فى مسكنه ومأكله ، وعن ابن اختها اسماعيل ، وعن الجامعة والدراسة .. فطمأنها الى ان مذاكرته على ما يرام وهو لا بد ناجح باذن الله من الدور الاول كالعادة .

وليس بدري لم استبدت بذهنه صورة ثريا فى تلك اللحظة التي سألته فيها امه عن الجامعة . وثبت فى الحال الى خياله صورة ثريا ، صاعدة من قلبه متسللة من وراء ضلوعه الى خياله ، فرآها فى جلستهما معا فى الدرب الاخضر على مقربة من المدينة الجامعية يحكي لها عن احواله ، عن اهله واخواته ، عن الريف والنسل ... يرفرف فى ذلك على نفسه علم الحب والتطلع الى بناء مستقبل له ولها فى هذه المدينة الصغيرة الجميلة فى مكتب للمحاماة يقوم فيه بواجبه نحو الموكلين فى صدق واخلاص ... آه من الاحلام ما احيلاها ! وما الذ التحليق فى سمآواتها ! ان امه تجهل ما بين ضلوعه من آمال . كل ما تعرف ان أبنها طالب فى الجامعة ينهد الى القاهرة مع مطلع كل عام ، ويدرس بجد ، وينال لقاء جهده النجاح ، فيحظى برضاء الاب والام وتقدير الاهل لدى عودته فى آخر السنة ... فهل لها ان تعرف انه يربطه اليوم الى الجامعة والقاهرة وثاق جديد متين ؟

نظر الى امه ملياً . فرأى فيها سمت « الحماة » المنتظرة لثريا . امه اليوم حماة الاصهار ، وغدا ستكون حماة لكنة ظريفة تأتيها من القاهرة : هي الاستاذة ثريا !

وامتلأ قلبه حبا وشوقا الى ثريا ، والى بيتها الذي عرفه بعين الخيال معرفة لا ترقى اليها معرفة العيان ، والى الجامعة : الى المدرج ، والمنبر ، والحديقة ، والدرب الاخضر، والساعة الشامخة تدق بين الفينة والفينة فتبعث رناتها فى النفوس شعورا اقرب الى الخشوع بين يدي الزمن الرهيب تدور عجلته فتذكر بذلك الساعة فى كل خمس عشرة دقيقة.

واقبل ابوه بعد صلاة الجمعة ، فقبله قبلات الابوة الحنون وهو معلق الامال على ابنه البكر يتخرج من الجامعة فتعتز به الاسرة وتفخر . وسأله عن حاله ؟ وعن متولي ؟ فطمأنه وحيد الى حسن الاحوال والمذاكرة . وسأل بدوره عن افراد الاسرة وعن الحال الزراعية فى العزبة ؟

وما لبث ان دخل متولي يسلم على الاب ويهم بان يقبل يده لولا ان سحبها منه قبل ان يطولها فجاءت القبلة على اصابع متولي . ثم استأذن هذا بالسفر الى العزبة ، فان الشوق الى الاهل يستعجله ويستحث خطاه . فدعوا له بالتوفيق والسفر الميمون . وسرعان ما غادر المنزل متوجها الى حيث يقله الاوتوبيس الى الاهل فى العزبة القريبة .

*

قضى وحيد النهار بين الوالدين والاخوة وبعض الاهل الذين جاؤوا على الخبر المنتشر مستبقين يسلمون عليه مغتبطين بمقدمه سائلين عن صحته واحواله . ولم يفت شقيقاته المتزوجات ان يهرعن اليه وقد علموا بمجيئه ليسلمن عليه ، فأمضى بينهن ساعات نعم فيها بمودتهن وعطفهن ، وصورة ثريا لا تبارح خياله .

وفى الليل ، توجه الى غرفته مع أخويه طالبي الثانوي : « وهبي » و « حسين » . ان فى الغرفة البحرية التي تطل على الحديقة الخلفية اسرة ثلاثة كانت وما تزال تجمع الاشقاء الثلاثة على وئام وحب ، ولا يحمل الاخوان الاصغران الا كل احترام لاخيهما الاكبر الذي يتطلعان اليه على انه المثل الكامل للدأب والجد والرجولة الحقة .

اوى الاشقاء الى اسرتهم ، ووهبي وحسين يشعران بالفرحة تملأ صدريهما بعودة اخيهما فى هذه الزيارة المباركة . وما كان للثلاثة ان يأتيهم النوم . وجعل كل من الاخوين يقص على وحيد بالتناوب الحكايات والاخبار عن البيت والمدرسة وكل ما يخطر على البال فى تلك الساعة الهنية ... حكيا له عن زواج « محمود أبو حنفي » بياع « الهريسة » من البنت « هنومة ـ العبيطة » خدامة الجيران، وعن موت الطفل « محمد » ولد المعلم حسنين فى مرض مفاجيء لم ينفع معه دواء !

ثم جعل حسين الصغير الذي دخل الثانوي يقص على وحيد القصص عن الاستاذ « عوكل أفندي » مدرس العربي وكيف وقعت عن عينيه النظارة وهو يشرح الدرس امام السبورة فكسرت ، فما كان منه الا ان اعادها على عينيه بدون زجاج ، وتابع شرح الدرس وكأن شيئاً لم يحدث ..

فضحك وحيد لهذه الحكاية . وقال متمثلا:

ـ لله امر عوكل افندي ! ألن يحيلوه الى المعاش ليقضي بقية عمره بعيدا عن مقالب تلامذته الخبثاء ؟

فمضى حسين يقول موغلا فى حديثه :

ـ اتعلم كيف سقطت النظارة عن عينيه ؟

اجاب وحيد :

ـ لا بد انه لم يحسن تعليقها على اذنيه على عادته من الاهمال وسوء التدبير !

فانطلق حسين يقص وهو يضحك بسعادة :

ـ ابدا .. لقد احسن عوكل افندي هذه المرة وضع النظارة امام عينيه .. ولكن حيلة عظيمة قام بها الطالب الشقي « دعبيس » اطاحت بالنظارة الى الارض .. ذلك انه اتى بخيط رفيع شديد ، واقبل به الى منبر المعلم مقدما اليه كراس الاعراب ، وصادف فى تلك اللحظة ان خلع المعلم نظارته ووضعها على المنبر ليسكت الطلاب وقد ارتفع ضجيجهم، فاستغل دعبيس الفرصة وعلق انشوطة الخيط بالنظارة .. ثم أعاد بعد ذلك عوكل افندي النظارة الى عينيه ، واتم النظر فى « الواجب » المكتوب فى الكراس ، وعاد دعبيس الى مقعده مصحوبا بنهاية الخيط ..واثناء الشرح جذب دعبيس الخيط جذبة شديدة طارت لها النظارة من على انف عوكل افندي الى الارض مكسورة الزجاجتين .. وضج الطلاب بالضحك فرحين من ذكاء المقلب ، وانكسف عوكل افندي وعجب من الامر .. ولما التقط النظارة بان له

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصمت

قدست ، يا صمت يا اعجوبة الكلم ... يا خمرة لم تذقها ثرثرات فم
يا قابعا في قرار النفس منفردا ... بغير سحرك لم تعجب ولم تهم
يا زاهدا جل عن قول تردده ... حناجر الهذر من وان ومحتدم
تعيش والفكرة الخرساء تملأها ... بالهمس حتى تدوي صرخة الالم
تبني براكين حقد ثم تسترها ... عن مقلة الهذر في حجب من العدم
وتستحي فيصيح الهذر يا خجلي ... مما اقترفت ، ويا خوفي ويا ندمي
وانت تقبع في الاعماق منتظرا ... هدير نارك في اكذوبة الامم

يا صمت ، يا ناسج الابداع في دعة ... لولاك لم يلتفت قلب الى ضرم
ولا توسد فن زند ملهمة ... ولا اهتدت رعشة الاوتار للنغم
فقم بنا من عثار الهذر منطلقا ... فاننا من عثار الهذر لم نقم

دمشق — محمد حريري

الخيط المربوط بها ، فتتبع نهايته حتى وجده على الارض وقد القاه دعبيس متملصا من مظنة الاتهام ، فلم يستطع الاهتداء الى اليد الفاعلة ، لا سيما وان النظارة قد كسرت ونظره بدونها كليل .. فاعادها ببساطة الى عينيه وكأنها لم تكسر .. وتابع شرح الدرس !!

فعجب وحيد من هذه الحيلة كل العجب . وقال في حزن واسف :

ـ يا للطلاب الاشقياء ! ارى الشقاوة يرتفع مستواها سنة بعد سنة .. تراها كيف تكون في الجيل القادم ؟ عوكل افندي المسكين لم يبق له الا ان يفقد عقله ويستريح من غير عقل !

فقاطعه حسين قائلا في لهجة الامر المفروغ منه:

ـ وهل لعوكل افندي عقل حتى يفقده ؟!

فانتهره وحيد قائلا :

ـ وهل انت تؤيد دعبيس واضرابه من التلاميذ الخبثاء في شقاواتهم ، ايها الخبيث ؟

اجاب هذا متنصلا وقد فاجأه اخوه بانتهاره على غير ما كان يتوقع :

ـ لا ، والله العظيم .. انا شخصيا وبخت دعبيس على هذا المقلب .. وقلت له حرام عوكل افندي رجل مثل ابينا .. فقال لي وماذا يعمل يريد ان يتسلى ويسلي الطلاب في الفصل حتى يجدوا في الدرس لذة !!

فضحك وحيد في سره وهو يقول بينه وبين نفسه : « والله ما أراك ايها العفريت الا زميلا لدعبيس الشقي ، وما دبر المقلب الا بمعرفتك ! » .

وتدخل وهبي منهيا حديث اخيه الاصغر ، يريد ان يسأل اخاه عن الجامعة اسئلته اباها عن صعوبة الدراسة ، واختلاط الجنسين ، والاسئلة التي تتراوح في ذهنه ابدا . كان وهبي في السنة الاخيرة في الثانوي، وعليه ان يجتاز التوجيهية هذا العام ليشد رحاله الى القاهرة يدرس في كلية الطب ، نان له بالعلوم وبالطب هوى كبيرا ... الا ان ما يؤرقه ان اباه ربما اعوزته القدرة على الانفاق عليه طوال سنوات سبع ، بيد ان فراغ اخيه من دراسته الجامعية مع نهاية هذا العام سيجعل فرصة دخوله الطب امرا قريب الاحتمال ميسورا .

قال وهبي وهو يتخيل الجامعة العظيمة في القاهرة الكبيرة الصاخبة :

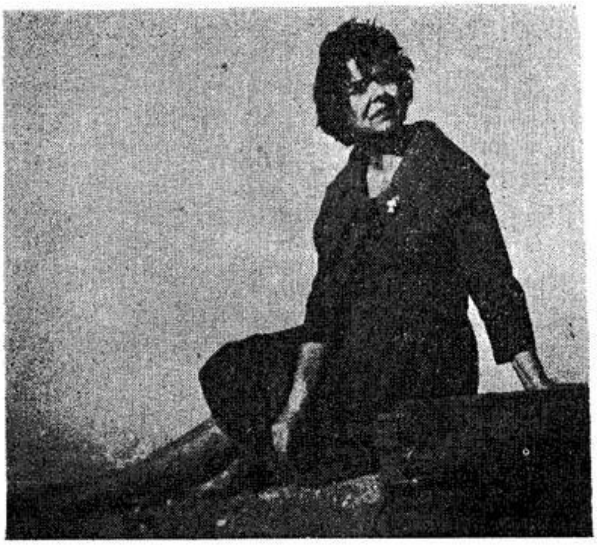
ـ هل تقبل طالبات الجامعة على مصاحبة الطلاب دون حرج ؟!

كانت مشكلة البنات تأخذ من ذهنه حيزا في سنه هذه حيث تلح عليه رغبة عارمة بمصاحبة افراد الجنس الاخر . وهو لم ينس تعرفه من قريب بطالبة في الثانوي ، ومرافقتها مرة في شارع طه الحكيم وهي خارجة من المدرسة ، فلقيه في الطريق اخوها الطالب ، فدار تبينهما معركة استعملت فيها القبضات على نطاق ما ، ثم اتصل الخبر بعلم ابيه فوبخه على التربية المضيعة ان يصاحب بنات الناس في الشوارع فيسيء اليهن ، وقال يسأله : « هل يرضيك ان ترافق اختك « عائشة » احد الشباب وهي عائدة من المدرسة ؟! » . وكان هذا السؤال ضربة موفقة ردته الى الواقع مبينة له سوء ما صنع . وقد جعل يتساءل ، فيما بعد ، عما اذا كان يرتضي حقا لاخته عائشة ـ ان قيض لها ان تدخل الجامعة ـ ان ترافق زميلا في رواحها الى الجامعة او مجيئها منها ؟ فكان يخرج من تساؤله في كل مرة الى الرفض المطلق!

اثار وهبي في نفس اخيه الاشجان من حيث لا يدري . فقد انصرف وحيد ، بعد الحديث، الى خواطره يعيش فيها مع ثريا مشتاق القلب مشبوب العاطفة يحس بها متقدة طي جانحيه ولكنها تبعث في ذلك لذة غامضة هي الاحساس بالحب مجسدا وبالشوق الى المحبوب النائي البعيد ...

وبعد ان اغفى الاخوان وخيم صمت وهدوء، جعل يتطلع عبر النافذة ، شاخصا بناظريه الى السماء ، يرعى نجومها المتألقة ويغبطها في عليائها ، فانها تطل على بلد المحبوبة ،وعلى بيتها ، وانها لا ريب تخالسها الساعة النظر وهي مضطجعة في سريرها تعاني من حر الاشواق ما يعاني !

حلب — فاضل السباعي



Lina Angioletti

قصائد قصيرة للشاعرة لينا انجيولينتي

ترجمة عيسى الناعوري

الشاعرة السيدة لينا انجيوليتي ولدت في مدينة (فيرونا) ونالت شهادة الحقوق من جامعة ميلانو ولكنها مالت الى نظم الشعر وكتابة الاقاصيص والروايات . وقد نشرت ثلاثة دواوين – هي التي اخذنا منها هذه القصائد – ورواية بعنوان (شبك معقول) صدرت في الربيع الاخير من عام ١٩٦٠ ، وهي تكتب في صحف مختلفة اقاصيص ومقالات نقدية . وتعتبر من (شعراء ما بعد الحرب الثانية) .

* * *

من ديوانها خطاب الى سرجيو

سرجيو هو ابن الشاعرة توفي في السابعة عشرة من عمره ، فجعلت عنوان ديوانها الثالث خطاب الى سرجيو

دعوة

تعال اعطني يدك
عسير هو المرتقى
ولكننا من بعده سنكون وحدنا
تحت السماء الصافية
وبأيدينا سنقود :
العصافير في طيرانها
والضفادع الى غدرانها
والجنادب في مدى عوالمها المعشبة ،
وسنشرب
نخب عطر الارض
ونخب برق السماء

حكاية ربيع

تأخر الفصل الجديد
وقد رحت ابحث عنه على الاغصان القاتمة
ليس قصدي انني اريد الربيع
فأنا احب اكثر من ذلك الهدوء والسكينة
لقد طال هذا الشتاء
ذو الظلال التي تقبض النفس
وانا اخاف
من الطقس الصارم
ومن الحيوات الجديدة
ومن الموت المحتوم

الهجرة

في حرارة الصباح
من هذا الخريف العجيب
تحيط بي اصوات كالجدران
واضطجع في الغرفة العليا ذات الصدى الضخم
فتهب ريح شديدة في عوالم هوائية
وامضي ... غرفة وجدار انا نفسي
خرساء مبهورة عبر مسالك ابدية من الانغام المألوفة
فوق نزاع الغابات ذوات الاشجار الباسقة
وادخل الظلمة البسيطة التي تفضي
الى وجود خلائق ابكار
الى حيث اواجه نفسي وحيدة

واهتدي الى سبب الاصداء التي
اهجرها مترفعة

كلمة الى القمر

يا لهذه المياه ! انها تبدو تماما
كالبدر في سماء آب
كل ما فيها يهجع ساكنا في قعرها
بنظام صارم

*

هل تذكر؟ كنت تراني كما انا ايها القمر
ولم تحاول البكاء او الفرح طوال كآبتي
وكنت اقراك ، اقرأ تعبك العنيد
وتعاليك الذي يشبه تعالي
وكنت تنحني على الليل وتردد :
«غير صحيح.. ليس ثمت شيء صحيح!»

من ديوان مرج الصمت

•

اراك يا ارضي في نوفمبر

اراك يا ارضي في نوفمبر
في الوان الموت الصفراء والحمراء
وعبثا تحاول الحياة
ان تربط أوراقك بالاشجار
فالرياح تعري منها الرؤوس
والالوان الفاسدة
كالنداءات الضائعة
تبكي من حولك النزاع العظيم

*

كانت تعيش في عيونك الابوية
زرقة البحيرات
وقد رايتها تموت
فما يعزيني عن ذلك
ان الفصل الحي سيجيء غدا

تعال اعطني يدك

تعال اعطني يدك
واسترح معي على هذا المرتفع

*

الهواء البارد يغسل وجهينا
اللذين لا تزال الشمس الفاترة تذهبهما
عروق النبات حمراء، والكستناء رمادي،
واشجار اخرى صفراء

ولا يزال المرج اخضر
والارض المحروثة قاتمة
مهيأة للبذار الجديد
طلقات صيد تسمع من بعيد
ونداءات من حناجر اوائل الطيور النازحة
تتعالى نحو آفاق مشمسة

من ديوان على عتبة المجهول

•

انطباعات

الحب يثير فيك التفكير ، فتنظر الي
وتبتسم لي ،
ثم تقول: « انا سعيد جدا »
وحالا احس
بأن قلبك تثقله اللحظة التي تراني
فيها اختفي عنك

*

تنظر الي
وفيك مني فرح وخوف :
فرح بأن تنالني
وخوف من ان تفقدني ،
خوف لحصولك علي
وفرح بأن تدمرني

*

اود ان اختفي
هكذا مسحورة :
طعم شبابك علي
وحرارة مداعباتك في اعماقي
وكيان حياتك مستتر في داخلي

*

انه ليحلو لي ان اتأنى
امام مرآة ، وارنو الى الصورة التي
تحبها :
ما الذي تحبه اكثر من سواه :
العينان الحلوتان كعيني الغزالة ؟
ام الرموش السوداء الطويلة التي تخفيهما؟
ام هو الجلد الناصع ؟

*

ان صورتي هذه جديدة علي انا نفسي
ويطيب لي ان انظر اليها من حيث
تحبها انت
انها موجودة الان ... وانا ايضا
موجودة الان !

بين شتاء وربيع

ليوم واحد فقط عاد الشتاء
فاربدت السماء
واضطربت الريح
وهم الثلج بالسقوط
وشعر القلب بالانقباض .
والبراعم المنتفخة على الغصون
عادت اليها الحلكة من جديد
فحبست انفاسها في حيرة وخوف .
وفي هواء الثلج البارد
كان بلبل يغني
وامام عينيه تترامى
آفاق ذهبية
واحلام زرقاء .

روما **عيسى الناعوري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نازك العابد بيرم

بقلم نسيم نصر

ندر ، في مـــا نعلم ، ان اجتمع لاي امراة ، في هذا الشرق العربي ، اكثر مما اجتمع لهذه المراة الكبيرة ، نازك العابـد بيهم ، من النبل الموروث والقيم الشخصية . كل ذلـــك وقفته على خدمة بلادها في افضل سبل الرقي والتحرير.

ابواها من اكرم الوالدين اصلا وفصلا وعملا . ابوهـــا مصطفى العابد من اعيان دمشق ، عهد اليه بالولاية عـلى الموصل ، وأمها فريدة الجلاد من انقى السيدات سيـرة واجزلهن فضلا . قيل انها طلبت العلم وهي في الخمسين .

ولاسرة العابد ، الدمشقية المقام الموصلية الاصل ، اضطلاع متوارث بالشؤون العامة . نذكر منها اثنين ، في هذا المقام من الكلام على نازك ، احدهما عمها احمد عزة العابد ، وهو رجل استطاع ان يجمع الى الدهاء السياسي كرامة رجل المآثر العمرانية والخيرية ، هذا الجمع النادر في العهـــد الحميدي ، والثاني نسيبها محمد علي العابد اول رئيس للجمهورية السورية في عهد الانتداب الفرنسي . ولئن كان هذا العابد لم يتمكن من ان يتميز بمآثر سياسية ، فـانه استحق الحمد لبسطة عمل لها في الثقافة والفكر .

ولدت نازك العابد سنة ١٨٩٧ ، وصحت على دنياها ، والكثرة من ذويها يتمتعون بنفوذ حكومي بارز ، فكان ان نبت عن نطاق ذلك النفوذ بعوامل من الوعي المبكر فمضت تقطع كل ما يشدها الى الحياة التركية ، وتنبذ الكثير مما توفر لها من اسباب نعمة العيش حبا بالتضحية وتربيـة للنفس على اساليب الجهاد . وكأني بها ، منـذ فتوتها ، اخذت تعد نفسها لمجابهة الاحداث الجسام والازمـــات الشديدة التي كانت تتراءى خلف الوعي العربي الآخـــذ بالطلوع والمؤذن بتحول جذري في مختلف مناهج الحياة .

واولى بوادر نازك التي تحسب لها خطوة جريئة ، في طريق المجاهدة الوطنية ، تأليفها ، وهي ما تزال طالبـة صبية ، حزبا من رفيقاتها الموصليات تجابه به غطرســـة الفتيات التركيات المزهوات بالعثمانية الحاكمة . ولكـــن الاستبدادية ، المستولية باسم النظام والقانون فصلـت الطالبة عن المدرسة العربية . ولم يمض على ابعاد نـــازك عن المدرسة بضعة اشهر حتى نفي ابوها الى ازمير ، وهناك تقلبت بين المعاهد الاميركية والفرنسية والتركية فتعلمت لغاتها وآدابها . ولما عادت مع اهلها الى بلادها ، وكـــانت حركة الانبعاث والتحرر ، قد اخذت طريقها الى العمـل القومي بادرت الى العمل لتعليم البنات وتوجيههن الاجتماعي فالتفت حولها نخبة من السوريات فانشأن مؤسســـة دعونها « نور الفيحاء » اشتملت على مدرسة وجمعية ومجلة، وانفردت نازك بانشاء مكتبة خاصة بالفتيات يقتبسن منهـا ضوءا على الحياة الحديثة الجديرة بالمراة .

وشاءت هذه الفتاة المجاهدة ان تستوفي اسباب النهضة النسوية فتعلمت الاسعاف والتمريض وخدمت فـــي المستشفى العسكري في دمشق داعية بنات جنسها الـى ممارسة هذه المهمة الانسانية الخيرة .

وانفتحت آفاق النهوض امام هذه القائدة النبيلة فدخلت حركات النضال السياسي والجهاد القومي ، فكانت مجلتها « نور الفيحاء » تنتشر في انحاء بلاد الشام حاملة بـــذور التطور الاجتماعي والوطني ، وناقلة صور التقدم الثقافي الذي احرزته النهضة النسوية في بلاد الغرب .

واشتركت نازك اشتراكا عمليا في الحياة السياسية في عهد فيصل القصير ، فاحرزت ثقة الملك وحكومته ، فانعم عليها برتبة عسكرية فخرية وعهد اليها انشاء مستشفى للجرحى – وما هي غير ايام قليلة حتى كان المستشفـــى الذي اراده فيصل الاول . وقامت الـــى جانبه جمعية مؤاساة ترعاه عرفت بـ « النجمة الحمراء » .

وكانت معركة ميسلون فاشتركت فيها نازك جنديـــة باللباس العسكري ، فكان لذلك الاشتراك الدامي اثر عميق في نفسها آلمها اشد الالم وقوى من عزمها النضالي الى حد اصبحت معه تحس انها صاحبة رسالة قومية . ولم تدخر وسعا في المجاهدة والمجالدة ، فقد عبرت حدود بلادها طمعا في خدمتها من الخارج باجدى مما تستطيعه في الداخل ، فسافرت الى كثير من عواصم الغرب في القارتين الاوروبية والاميركية . وانه لمن دواعي الاعتزاز ان نالت نازك العابد، وهي ما تزال في مقتبل الشباب اعجاب دهاة الساســـة واكبار كثير من الصحف الاميركية حتى لقبتها « جـان دارك » العرب .

وفي سنة ١٩٢٢ الفت الكاتبة الرحالة الانكليزية «روزيتا فوريس » روايتها (السؤال) فجعلت نازك بطلتها . ولا بد من التنويه بان هذه الكاتبة كانت جريئة مغامرة لا تعجـب بغير الكفاءات النادرة .

وبعد تجوال طويـــل ، في الشرق والغرب ، وشرود في البادية ، زمنا ، استخفاء على السلطة التي كانت تتعقـب خطواتها ، اضطرت الى الاقامة الجبرية في مزرعة لها في احدى ضواحي دمشق . وهناك ، في تلك المزرعة عملت نازك كما يعمل الحارث والزارع والحاصد متنكرة لاقطاعيتها وللنعمة التي نشأت عليها ، مقاسمة الفلاح اعباءه حادبـة على عيشه الخشن ، موفرة له ما استطاعت من ضمانات العيش . وهناك في تلك المزرعة تسنى لـنازك ان تنصرف الى المطالعة والكتابة ، فظهرت مقالاتها في كبريات الصحف العربية والغربية مدلة بثقافة واسعة معربة عن نفس طيبة.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يمض على انصرافها الى خدمة القضايا الاجتماعية والوطنية بقلمها الحر المثقف زمن طويل حتى انتقلت الى بيروت تقرن جهادها النسوي بجهاد رجل من قادة التفكير الاجتماعي والتاريخي ، بعد ان جمعهما رباط الزواج الشريف. ورجلها هذاهو المؤرخ الاديب محمد جميل بيهم .

وفى لبنان سارت نازك مع الطليعة النسوية تسهم بنصيب بارز فى مختلف نشاطات المراة التقدمية . فانشأت سنة ١٩٣٣ نقابة المراة العاملة فى بيروت ، وهي اول نقابة للعاملات والكاسبات . ومن اقوالها فى هذا الشأن :

« أن تطور الحياة العالمية فى العصر الحاضر ، وتفاقم المزاحمة على اسباب العيش قضيا على المراة ، هذا المخلوق اللطيف ان ينزل الى الكفاح فى ساحة الكسب لمنازلةالرجال منازلة لم يتأهب لها من قبل . فكانت صدمة لها في الناحيتين الصحية والاخلاقية .

ومن دواعي ألاسف اننا نحن الشرقيين ، ولئن كنا حريصين على الاحتفاظ بالجنس اللطيف من مميزات لا مناص لنا من مجاراة الغرب فيها فاننا ما زلنا نأخذ كل تقاليده وحضارته ، لذلك اصبح من الواجب تنسيق اعمال نسائنا العاملات والكاسبات تنسيقا يفضي الى دفع كل ضرر عنهن .

وهذا ما ارادته نقابة المراة العاملة ، فانها تحاول ان توفق بين التخلص من الازمة الاقتصادية وبين عواقب اقبال النساء على العمل .

وهذه النقابة التي تفاخر بانها تألفت من كل الطوائف ومن الطبقة الراقية المتعلمة تغتبط لانها جمعت بين الفئة الممتازة من صاحبات المهن الحرة من طبيبات وصيدليات وقابلات وممرضات وكيماويات وصحفيات فضلا عن الاستاذات والاديبات ، وهي ترى من واجبها اثارة وطنية الامة لترويج المصنوعات الوطنية » .

وعندما كانت الدعوة الى عقد المؤتمر النسائي العربي فى القاهرة سنة ١٩٣٨ برئاسة هدى شعراوي سافرت نازك ممثلة عن بيروت . والقت هنالك خطبة نقتطف منها مايلي:

« اذا استعرضنا كل هذا ، (وكانت قد استعرضت حالة المجاهدين فى فلسطين) ، ادركنا لماذا اختار شباب فلسطين وكهول فلسطين وشيوخ فلسطين ونساء فلسطين الموت على الحياة ، وادركنا بالتالي لماذا مشى اصحاب الشهادات العالية الى الجهاد مع اصحاب العضلات المفتولة يجنحون انى الكهوف يأوون اليهاويتقلدون السلاح هازئين بالموت ، وعرفنا لماذا تركوا عيالا لا معيل لهم واولادا صغارا هم اعز شيء عليهم .

بلى نحن نشارك هؤلاء الابطال فى كل أذى يصيبهم ، ولكن العواطف هي دون ما يستحقون من المكافآت . وبعد فاذا لم تسعفنا الظروف لان نمشي فى صفوفهم للدفاع عن البلد المقدس افلا نشعر بالواجب على الاقل للقيام مقامهم بالعطف على عيالهم وموؤاساة صغارهم .

بلى علينا ان نوفي الاخوة حقها ، وعلينا ان نوفي الامومة حقها . وهذا ما ارجو ان يعالجه المؤتمر » .

وفى سنة ١٩٤٩ اسست نازك جمعية تأمين العمل للمشردين برا منها ببعض الواجب الذي نادت به فى مؤتمر القاهرة . فكان لهذه الجمعية شأن بارز حمل وزارة الشؤون الاجتماعية على التعاقد معهافى بعض النواحي البارزةالفوائد.

وفى سنة ١٩٥٧ اسست ايضا « لجنة الامهات » فى لبنان . وقد جاء فى خطاب القته فى اول اجتماع عقدته هذه اللجنة قولها :

« للطفل عيد وللشباب اعياد فلماذا لا يكون للام التي انجبت الطفل وربت الشباب عيد يعبر فيه الاولاد عن حبهم لها وعن اعترافهم بجميلها ، ونحن كلنا اولاد لها ؟

ان يوم الام يذكرنا بالحب والاخلاص والتضحية وانكار الذات ، هذه الصفات التي تتخلق بها الام اكثر من سواها. يذكرنا يوم الام بكل ما فى هذه الكلمات من معنى سام .

نحن الان نحتفي بعيد الامهات ونرجو ان نحتفي ، في الغد القريب ، بعيد خاص نقيمه للامهات التاليات اللواتي احسن اداء رسالة الوطن » .

هذه كلمة عابرة نفحت ببعض ما اشتملت عليه نازك العابد بيهم من سامي القيم ونبل الصفات . قيم وصفات احلتها الصف الاول من صفوة نسائنا الفاضلات العاملات .

بيروت **نسيم نصر**

بعد الشباب

ولى الشباب وعصره النـاعم
ما كان اقصر ليلة الحالم
هل من يرد الزهر ثانية
واليه مني عيشي القادم ؟
في دمنة الماضي ، وجيرته
لي كل يوم مأتم قائم
يا عابري درب الشباب : قفوا
هل منكمو لاخي أسى راحم
ازف الرحيل ، ورفقتي سبقوا ،
وانا على اخبارهم حائم .
يا لابسي برد الصبا لبقا :
جروا الذيول ، فليس من لائم .
الاخضر الموشي ملبسكم ،
مفتر الوان الصبا باسم .
والوقع من اقدامكم نغم ،
وغبارها مسك الهوى ناسم .
ان تنزلوا طابت منازلنا ،
او ترحلوا ان الهوى ظالم .
او تسألوا : اين الطريق لكم ،
في كل واد حولكم خادم ...

أمين نخلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظلال شجرة دارنا

كم في ظلالكِ للمتيَّم من حمى ... يذر الشجي بشجوه مترنما
وافاكِ والاصباح ينثر كفّه ... فوق الغصون من الاشعة انجما
فأعدت بالذكرى اليه ما انطوى ... من غابر حلو فخفّ مسلما
وشققتِ بالاحلام عن اضلاعه ... فجرا وحلتِ الارض من املٍ سما
ولود من نغم يجيش بصدره ... لو كل جارحةٍ به خلقت فما

لله أحلام زهتْ لشبيبةٍ ... ولّت كما طرق الخيالُ وسلما
طلعتْ على الدنيا تجر وراءها ... في حلبة اللذات ثوبا معلما
ومعاهد كانت بها مأنوسة ... عادت بظلم الدهر ليلا مظلما
أذكرتِ ذاك الطفل يرتع بالحمى ... كالطير في مرح اذا ما حوّما
كم جاء ينشد رفد ظلك في الضحى ... حذر الهجيرة وارتمى متبرما
واتى يقص عليك من احلامه ... سيرا ويهتف كالهزار مرنما
غناك من احلامه وقصيده ... ما رتّل القلب العميد وتمتما
ومضى يثرثر من اقاصيص الصبا ... شذرا وينثر من هواه منمنما
فمددتِ من شغفٍ سواعد بالندى مخضلّة شوقا فدف محموما
واللحن ان بلغ الكمال فسمه ... شعرا لان الشعر من وحي السما

أذكرتِ ذاك الطفل في نزواته ... متبرما بلداته متهكما
انا ذاك الطفل الذي لمّا يزل ... كلفا بكل رؤى كذوب مغرما
أشجاكِ أنْ شاع المشيب بمفرقي ... والشيب فتّ بساعدي والجما
السر في الارواح ليس لمفرقٍ ... يحكي الظلام حلوكة وتجهما
تتفاضل الاخيار في ارواحها ... لا في سواد الشعر او لعس اللمى
والليث يفضل بالمروّة غيره ... من كل وحشٍ لا يني متحكما

انْ كنتِ ناسية لصرف حوادث ... ما انبت من ماض لنا وتصرما
فأنا المقيم على الوفاء فؤاده ... ان بدل الدهر الرجال واسقما
هيهات يمحي الدهر في حدثانه ... صورا لماض لا يني متبسما
في كل غصن من غصونك سيرة ... عن غابر تُروى وأبصر هيثما(١)
واكاد انشق من اخي اعرافه ... في كل غصن منك ماس مسلما
وارى بعين الذكريات بخاطري ... صورا أطاح بها الزمان وحطما
ويرن في اذني سجع حمائم ... كانت تضيء اليك من غصص الظما

(١) هو الفقيد هيثم شقيق الشاعر

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت لي اخيرا :

هاك سري ايها الصديق العزيز ، ما دام هذا الامر يشغل بالك ويثير اهتمامك وحيرتك . سأحدثك في هذا المساء عن السبب الذي من اجله امتنعت عن الزواج .. ان سؤالك لاحب الي من صمت الاخرين ، ذلك الصمت الذي طالما قرات فيما يطوي ويحجب ، ما يجرح ويؤذي :

ان احدا لا يجهل الثروة الكبيرة التي تملكها اسرتي . ومن الواجب ان نلاحظ ان الفتاة المتحدرة من اسرة غنية ، عندما تبقى دون زواج ، فان السبب في ذلك يرجع الى كبريائها ، او مطامعها التي لا تحد ، او الى قبحها ... او الى بعض عاداتها . والناس ، كل الناس ، احرار في ان يصموني بهذه الصفات الاربع مجتمعة ، او باحداها فحسب ، ان تلطفوا واحسنوا بي الظن !..

ثق باني لم ارفض ايدي الشبان الذين تقدموا لخطبتي لنقص في صفاتهم التي ارغب بها . لقد ابتعدت عن الرجل ، زوجا شرعياكان او خليلا ، في شيء من الخوف والرهبة . وهذا الخوف بدا يتضاءل بعد ان اخذت الاربعون عاما التي طويتها تحرسني ، وتغمرني بظل من الطمأنينة ظليل .

لا تتكهن بسبب امتناعي عن الزواج. ان قصتي لا تتصل بغرام فاشل . لا .. لا .. ان قلبي لم يعرف الحب . لقد كبرت وشاخت نفسي في وقت مبكر جدا ، وكان ذلك ذات ليلة ، عندما كنت في السابعة عشرة من عمري .

اصغ الي ايها الصديق فقصتي غير طويلة :

قد تعجب اشد العجب لهذا الحادث العادي المألوف ، الذي استطاع ان يسلب حياتي كل سعادتها وكل افراحها المنتظرة . انك تقرأ امثاله على الصفحة الثالثة من كل الصحف. هذا الى اني لست احد اشخاص القصة التي سأقصها على مسمعيك.

واذا كنت قد ارتعشت للحادث وخفته طويلا ، فما ذلك الا لاني شهدته ورايته بعيني هاتين ، على بعد خطوة واحدة مني .. اما انت .. انت الذي تستمع الى ما سأرويه لك ، كما تستمع الى اية حكاية او قصة طريفة ، فلن تتأثر بالطبع او تشعر بمثل ما تأثرت انا به وشعرت .

*

اسندت الانسة ن. جبهتها على يدها ، واخذت تسرد علي قصتها ، وقد علقت نظراتها في الارض ، دون ان ترفعها نحوي :

منذ خمس وعشرين عاما كنت اقيم مع امي في فندق خاص قديم تجاه

النافذة

للكاتب الفرنسي بيير لويس

ترجمة عبد الغني العطري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنيسة « سان سوبليس » . فندق بسيط متواضع لا صحن له ولاساحة، وجميع نوافذه تطل على الشارع . وكان هذا الشارع هادئا مقفرا ، كأنه ممر في احدى الغابات .

وذات ليلة من ليالي الصيف، كان الطقس شديد الحرارة في غرفتي ، فلم يستطع الكرى ان يجد سبيله الى عيني . فكرت في أن افتح نافذتي، ولكني لم اجرأ على ذلك ، خشية ان اوقظ امي . وبعد ساعة من الارق والضيق ، غادرت الغرفة ، بعد ان انتعلت في قدمي حذاء خفيفا ، وهبطت السلم العريض بقميص النوم، الى ان وصلت الثوي (الصالون) في الطابق الارضي .



هنا يجب ان تعرف شكل الثوي ووضعه الهندسي . كان للفندق حديقة تمتد بطوله على الشارع . وهذه الارض بيعت الى بعض تجار البناء . والمدينة خصصت اجزاء منها لمشروعات العمار والتخطيط . وقد فتحت ادارة الفندق نافذة من الثوي تطل على ركن منعزل بشكل ساحر ومظلم معا ، وحيث لا تدخل منها روائح الغاز ابدا .

وعندما بلغت هذه الزاوية ، لاحظت ان خدم الفندق نسوا ان يغلقوا هذه النافذة . النوافذ الكبيرة فقط كانت محكمة الاغلاق . وبسبب انزعاجي من شدة الحر الخانق ، ورغبتي بتنشق الهواء الرطب ، تسلقت طرف النافذة على رؤوس اصابعي ، واخذت اتنفس بكل جوارحي ، هواء الليل البارد ونسيمه المنعش . وكانت هذه اخر لحظة من لحظات النشوة والسعادة ، التي مرت في حياتي دون شك .

لم اكد ابلغ مكاني على النافذة ، حتى اقبل من الطرف الاخر ، فتاة ورجل .

كان الرجل يشد الفتاة ويقودها الى ذلك الركن السري المظلم . انه عامل شرير . عامل من اولئك الذين يشتغلون ثلاثة اسابيع ليعطلوا بعدها ستة شهور ، لان لهم من جمالهم ووسامتهم ، ما يجعلهم يحتقرون العمل الشريف !..

اما هي فقد عرفتها حالا .. كانت فتاة تبلغ الخامسة عشرة . ولطالما احسنت اليها امي وتصدقت عليها ببعض المال . وهي تعمل مستخدمة في مطعم ، سبق لي ان ترددت عليه غير مرة .

كانت ترتدي تنورة سوداء جد قصيرة ، وبلوزة رمادية ، دون منهدة (سوتيان) اذ لم تكن بحاجة ماسة اليها بعد !.. وقد رفعت ضفيرة شعرها الاشقر بدوس ، ولفته الى اعلى راسها . وكان رفيقها الذي

يقبض عليها من كتفيها الاثنين يقول لها مستحثا :

ـ وهنا ؟. الا تريدين ؟.

فتجيبه خائفة ممتقعة :

ـ اتركني .. قلت لك اتركني !

وقد شعرت من خلال نبرات صوتها انها اعادت هذه الجملة اكثر من مئتي مرة ، منذ ان غادرت المطعم.

وعاد الرجل يقول :

ـ اسمعي ايتها المغفلة ... لقد وعدتني فيجب ان تنجزي وعدك . لماذا انت مترددة ؟. ان وعد الحر دين ... اليس كذلك ؟! ان المكان هنا مناسب جدا.. فلماذا لاتريدين؟!

ـ لا .. ليس هنا .. ليس هنا !

ـ اذن اين تريدين ؟. انت غير مستقرة ولا مستقيمة في وعودك ابدا .. انا لا استطيع ان ادفع لك اجر غرفة باهظ .. اذا ذهبت معي مشيا الى مكان بعيد ، فقد نحصل على غرفة رخيصة لمدة ساعة .

فاشارت اليه ان لا ... وهنا بدا الرجل عصبيا وثائرا ، وقال في حدة:

ـ تيتين ! كلميني وجها لوجه . قولي : هل تحبينني وتثقين بي ام لا ؟. اذا كان الامر لا .. فانت تعلمين جيدا ان عندي كثيرات غيرك!

وهنا انفجرت فتاتنا الصغيرة باكية ، واخذت تشهق بعنف ،وتغص بدموعها ، وقد اسندت وجهها الى النافذة الكبيرة ، التي كنت انحني عليها . حتى لقد احسست بخفقات قلب هذه البائسة الصغيرة المضطربة.

وقالت له وهي تبكي وتشهق :

بلى ... اني احبك كثيرا ، واكني لا احبك من اجل هذا الامر ابدا . لست ادري ما اقول .. ولكن ليس هذا هو الحب الذي اريده .. اني احبك كثيرا لانك جميل ، احبك لانك حلو الحديث ، احبك لاني افرح واسر عندما اراك مقبلا . احبك كي اقبلك واعانقك فحسب !. وتستطيع ان تنال من هذا ما تشاء ..كل مساء.. بل في كل وقت ... اما عن تلك الامور التي حدثتني عنها فلا ..لا ..

وانت تعلم اني لا اريدها ابدا ، ولا سيما معك انت بالذات . اذ يخيل الي ان هذا يعود علينا بالضرر .

وهنا رفع الرجل كتفيه وقال شاتما :

ـ يا لك من ساقطة .. معتوهة.. بلا شرف .. و ..

وتلفظ بكلمات كثيرة غير هذه ،لا استطيع ذكرها ..

ثم استل من صدارته سكينا .. لا سكينا عادية ، بل سكين جزار ضخمة ، كانها رمح ، وغرسها في خشب النافذة .. محاذية لصدري تماما ، وقال لها في صوت عنيف حاد ،ولكنه مخنوق :

ـ والان اذا حاولت الفرار ثانية فساغرسها في جسدك !

فامتقع وجه الفتاة الصغيرة ،وكان مشهدا مؤثرا للغاية ..

كان الشارع مقفرا تماما ، والهدوء مخيما ، وحتى حفيف الغصون والنباتات كان معدوما في تلك الساعة . ولم يكن يسمع اي صوت في المدينة. كم كانت الساعة في ذلك الوقت كما تتصور ؟. كانت على ما اعتقد الثانية صباحا . كل من في الحي كان نائما ، عدا هذين الاثنين ، وانا المتفرجة المنبطحة على ارض النافذة .

كانت الفتاة قريبة مني ، بل كدت المسها باصابعي فيما لو مددت يدي نحوها . واخذت الفتاة المسكينة تقاوم بعنف مقاومة منحها اياها كبرياؤها وعزة نفسها .

كانت منحنية على نفسها ، راسها خافضا ، وركبتاها مشدودتان بعضهما الى بعض ، وكانت تلهث ، مثل حيوان تعب .

وعندما قبض الرجل على ذراعيها وشل حركتهما ضغطت ساقيها الصغيرتين وشدتهما الى بعضهما . وعندما اخذ يحاول مس تنورتها ورفعها. بدأت تقاوم بيديها، وقد دام هذا المشهد وتكرر وقتا طويلا،اكثر مما تظن وتتصور . ولكن كما جاء في الاغنية اليونانية : « واخيرا شارون الراعي غلب على أمره .. » .

اخذت الفتاة تضرب الهواء بيديها، وتحاول التعلق بشيء مغروس في النافذة . لم تكن المسكينة الصغيرة تدري ما هذا الذي تحاول التعلق به . لم تعرف انه سكين ، وبيدها.. بيدها التي عثرت على السلاح مصادفة، دفعت من جديد ، ذاك الذي طعنها بجسدها وروحها ، طعنة باقية حتى الابد ..

يا للاسف .. يا للانسانة الوديعة .. انها ليست شيئا .. ليست اكثر من كتلة طرية ناعمة ، تموت من اول طعنة .. لقد دخلت السكين رقبتها، واخذت تلمع وتبرق من الطرف الاخر.

وشرع الدم القاني يتدفق !

وعلى طول رقبتها كان شريانان ضخمان قد تقطعا ، واخذ الدم ينفر منهما بقوة ، كانه يتدفق من القلب .

واصطدمت دفقة من الدم الحار بالنافذة المضرجة بالدماء ، ثم علقت بثيابي .

واختنقت انفاس الرجل بفعل السلاح ، فجحظت عيناه ، وفغر فاه بشكل مخيف ، واحتبست زفراته ، وسقط على وجهه فوق ضحيته ، ولكنها وهي تغالب الموت دفعته عنها بعنف ، واخذت تنتفض كعصفور صغير ، ثم ارسلت في فضاء الشارع ثلاث صيحات .. ثلاث صيحات استغاثة !

آه !.. يا لصيحات الموت هذه .. اني لم اسمع في حياتي كلها اعنف ولا آلم منها .

*

اما ما حدث بعد ذلك فلا يهمك كثيرا .. اليس كذلك ؟. لقد استيقظت امي مذعورة ، وقد راعها امري . بحثت عني فوجدت سريري خاليا ، فاخذت تناديني باسمي في كافة انحاء الفندق ، وعثرت علي اخيرا واقفة على هذه النافذة ، ممتقعة اللون ، ملطخة بالدم ، حتى ظنت اني مصدر هذا الدم. ارجو ان تثق باني لم اقص عليك هذه القصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اضعت دربي

يا الهي ! انت ربي !
اي ذنب كان ذنبي ،
فزرعت البؤس فى نفسي ،
وفى روحي ، وقلبي ؟

هل تراني مذ عرفت
الحق فيك ، اضعت دربي ؟
ام فقدت الحس بالابعاد
مذ كنت بقربي
ثم عفت الناس ، لا مقتا ،
ولكن ، انت حبي !

ام خلت أكذوبة الدنيا
من الايمان والحب ؟
فهي للكفر منـار ...
شمع في شرق وغرب .
وهي للحقد مزار ...

حشده من كل صوب ؟

ام ترى الناس حيارى
سكروا من غير شرب ؟
فهم بين الدنايا
كالخنازير بترب ...
يتصباهم رحيق
منتن ، او شهوة صب !
ليس القيمة فيهم
غير حـظ المتنبي ؟ (١)
فاذا اشرق نور
العقل ، كانوا مثل ضب !

يا الهي ، انت ربي ،
اي ذنب كان ذنبي ؟
فصحبت البؤس حتى
عشت عمري دون قلب ؟!!

رشاد دارغوث

(١) اطلـق اسمه فى بـيروت على اقـذر شارع فيهـا

من اجل هذا الجزء من المأساة .

اما ما تبقى من القصة فقد رسب فى اعماق ذاكرتي . كان عمري اذ ذاك سبعة عشر عاما ، كما ذكرت ، وفي خلال نصف ساعة فحسب ، انا التي لم اكن اعرف شيئـا فى الوجود ، عرفت كل اسرار الحياة ، والحب ، والموت ، ومـا تسميه الروايات بالشهوة ، وعرفت ما هو الرجـل العاشق ، وعرفت اخيرا الرجل الميت!

اذا كان الناس جميعا يجهلون لماذا فضلت حياة العزلـة والبعد عـن الرجال ، فانت ايها الصديق ، بعـد الان على الاقل ، قد عرفت هذا السر!

دمشق **عبد الغني العطري**

قصة حب خالدة بين شاعر وشاعرة

صفحة مـن حياة الشاعرة اليزابيـت باريـت والشاعر روبرت براوننج

بقلـم نقـولا يوسـف

الحياة قصص .. وحياة الفنان خاصة ، قصة لا يعوزها زخرف الخيال كي تخرج منها صورة أدبية ، في شكـل ملحمة شعرية ، او رواية مسرحية ..

وما من رابطة تؤلف بين قلوب الناس ، اجمـل مـن رابطة « الفن » .. فهاهنا تتعارف الارواح ، وتتقـارب المشاعر ، مهما فرقت بينها مسافات الزمان والمكان ..

وفى كل شعب يظهر شعراء وشاعرات .. وفي كل يوم تنشر قصائد ودواوين .. وكلها تبوح فى مختلف لغاتها ، بخلجات ذلك القلب البشري المعذب ، وهو يبكي ويضحك فى حجر امه « الحياة » فتتجاوب مع اهازيج قلوبنا جميعا.

وها هنا صفحة من حياة شاعر وشاعرة ، تعارفـت روحاهما ، واتحد قلباهما ، وخرجت قصتهما قصيـدة صادقة خالدة ، لم تزل تتحدث عنها الاجيال ، وتتناقلها اسفار الادب ..

ولدت الشاعرة «اليزابيـت باريت» عـام ١٨٠٦ فـي توكس هول بمقاطعة ديرهام ، وامضت سني طفولتهـا قرب لدبري فى هرتفورد شاير بانجلتره ..

وكان ابوها ــ ادوارد باريت مولتون ــ يملك يوما مزرعة ورثها عن جده بجميكـــا ، وكان يشتغل فيها العبيـــد الافريقيون . فلما بطل الرق وقلت موارده ، باعها وانتقل مع اسرته الى سيد ماوث ثم استقر اخيـرا مع زوجتـــه واولاده وبناته ــ الاثني عشر ــ بلندن ، وسكنوا قصـرا جميلا كان لهم اشبه بالقفص الذهبي ، يعيشون فيه طبقا للاوامر والنظم التي يستنها لهم رب الاســـرة المتمسك بالتقاليد ، والذي اعتاد الامر والنهي وتصريف الامور طبقا لهواه ، ولو ان طغيانه هذا كان يقرن احيانا بالعطف .

فهو يدلل ابنته اليزابيت ، ولا يضن عليها بالعـــلاج وبالدواء ، وبالكتب والصور ــ التي تروقه هو اولا ، ويقرأ لها احيانا ، ويتظرف معها احيانا اخرى .. ولكنه كان في الوقت نفسه شديد الغيرة عليها وعلى اولاده جميعا .. لا يسمح لهم بدعوة غريب الى بيته ، او يراهم فى صحبـة رجل سواه .. لم يستثن من ذلك غير مخلوق واحد سمح لاليزابيت بتدليله وحبه ، فرافقها السنين الطوال ــ وهو قلبها الذكي «فلاش» !.

ولم تستطع اليزابيت أن تنطلق من ذلك القفص متـى شاءت وحيثما ارادت ، ولكنها كانت تهيم بخيالها في كل واد .. وتلتهم ما فى مكتبة ابيها من الكتب التي يصرح لها بقراءتها .. فقد كان هناك جـانب من تلك المكتبـة يحرم عليها الاطلاع عليه . ولو انه لم يحسن التفريق بين المباح والممنوع .. فكانت تقرأ ما شاءت من كتب وقصـــص ودواوين الشعر ، وكانت تقول : « أن الكتب والاحلام عالمي الذي اعيش فيه وبخاصة شعر هوميروس » ..

ويبدو انها ولدت شاعرة .. فقد بدات تنظم الشعر منذ الثامنة .. وفى التاسعة نظمت قصيدة مـن شعـر الملاحم .. وفى العاشرة كتبت بالفرنسية مأساة مثلتها في المنزل مع اخوتها .. وفى الثالثة عشرة نظمت ملحمة عـن « موقعة ماراتون » الاغريقية .. فامر والدها بطبـــع خمسين نسخة منها ، ولهذا اهدت اليه القصيدة ــ «الى الوالد الذي تغمرني انعاماته التي لا تنقطع ... » !

وكانت تتعلم فى منزل ابيها ، ولكنها تدين بمعرفتهـــا للاغريقية بل بالكثير من ميولها الادبية الى جارها ومعلمها المكفوف البصر ، وكان ابوها لا يعارض فى تعلمـــها الادب الاغريقي الكلاسيكي فى حين كان يمنعهـــا عن دراســة الرياضيات !..

وهكذا عاشت الشاعرة فى صباها مع آلهة الاغريـق ، وابطال الاساطير .. كما امضت احلى ساعات حياتها مع الشعراء والكتاب على مختلف اجناسهم وبلادهم .. وبين الحين والحين كانت تتسلى بترجمة بعض روائع الشعر الاغريقي الى شعر انجليزي منظوم .. ولم يكن لها عمل غير القراءة والكتابة ، فقد اصيبت منذ الخامسة عشرة من عمرها في العمرد الفقري ، فشلت عن المشـي ولزمـت غرفتها .. ولما ان انتقلوا الى لندن ، اثر جوها البـارد الرطب فى رئتيها ، وزاد ذلك من اعتلال بنيتها .. فاعتكفت السنوات الطوال فى حجرة مغلقة النوافذ ، مسدلة الستائر .. اما صرامة ابيها وتزمته وغيرته فكانت تحد من البقية الباقية من حريتها ..

ولكن .. لم يثنها هذا كله عن الانتاج الادبي الوافـر ، ومراسلة المجلات .. ثم .. طبعت عام ١٨٢٦ ــ وكانت فى العشرين ــ ديوانا سمته : « كلمة عن العقل واشعـار اخرى » وذاع صيتها عندما نشرت ترجمـــة شعريـــة للتراجيدية الاغريقية : « بروميثيوس المقيد » .. وفى عـام

١٨٣٨ ظهر لها ديوان جديد باسم «السيرافيم وقصائد اخرى» ، وبه قصيدتها الرقيقة عن «قبر كوبر» ـ الشاعر الذي مات قبيل مولدها ..

وكان قد وقع لاليزابيت حادث اليم ترك فى نفسها وجسدها اثرا سيئا .. فقد اصرت على الخروج في يوم عطلة الى شاطىء البحر فى «توركي» مع أخيها ادوارد ... احب اخوتها اليها ـ واراد ابوها ان يمنعها من الخروج كعادته . فألحت ، ونزل والدها اخيرا عند رغبتها « على ان تقع المسئولية على عاتقها » !. ورحل الاخوان الى الشاطىء .. وهناك ركب اخوها وصديق له ، زورقا شراعيا اوغلا به فى البحر فانقلب بهما وماتا غريقين ..

فزاد هذا الحادث فى علتها حتى اشرفت على الموت .. ولما استردت مع الايام قواها ، أعتزلت العالم فى غرفتها المغلقة النوافذ .. ولم تجد عزاء فى غير مطالعة الشعر ونظمه .. وفي صومعتها عرفت جل المفكرين والادباء فى مؤلفاتهم .. وراقبت كبار الشعراء المعاصرين لها وهم يرقون سلم المجد والشهرة .. وكان منهم من مدت له الحياة فى حبل العمر ، ومنهم من سطع نجمه ثم خبا سريعا وراء ظلال الموت .. كان هناك تنيسون ، ووردسورت ، وكولردج .. كما كان هناك والترسكوت ، وتاكري ، وكارلايل .. وكانت في الثامنة عشرة يوم سمعت بنعي بيرون ، ومن قبل بموت كيتز ، وشلي .. وفى فرنسا كان يعاصرها شابان يقاربانها فى السن ، هما هوجو ودوماس.. ولم تكن « اليزابيت باريت » اقل من اولئك المعاصرين البارزين ثقافة ونبوغا ، ولكنها لم تنعم مثلهم بالانطلاق فى اجواء الدنيا واضوائها ومسراتها الا على جناحي الخيال!..

وما ان نشرت شاعرتنا مؤلفها الشجي الذي اسمته : « صراخ الاطفال » عام ١٨٤١ واعقبته بمجموعتين من الشعر عام ١٨٤٤ وبهما قصيدتا : «درامة المنفى» و «رؤيا الشعراء» ... حتى دانت لها الشهرة والصيت البعيد..

فلقد كان شعرها يجمع بين الرقة والحنان ، وبين الفكر القوي العميق .. وكانت آلامها الجسدية والمعنوية تنعكس على اشعارها فتصدر شجية عذبة .. لا سيما ما كان منها غنائيا «ليريكيا» وهو الغالب على شعرها العاطفي المتدفق .. ولم يكن من شيمتها التأني والصقل ، وهي من كانت ترسل الشعر عفوا كما يتنفس الانسان .. فكانت فى نتاجها الوافر المنهمر ، لا تبالي الصقل ودقة النظم والتعبير .. ومع ذلك ، فقد تقبل قراؤها موضوعات شعرها واسلوبها الخاص بالرضا والعطف والاعجاب .. واجمع نقاد كثيرون على : انها اكبر شاعرات الانجليز

فاذا تركنا شاعرتنا الحسناء قليلا ، تقرأ وتنظم في صومعتها العتيدة .. ونحن فى عام ١٨٤٥ .. راينا على مقربة من بيتها بلندن ، شابا فى الثالثة والثلاثين ، قويا ، وسيما ، انيقا ، على كثير من المرح والتفاؤل والجلد .. يعيش فى كتبه واحلامه .. شاعرا يشق طريقه وئيدا مكافحا بين شعراء عصره .. هو الشاعر الذي خلد تاريخ الادب اسمه فيما بعد روبرت براوننج ..

وقد ولد روبرت فى كامبرويل سنة ١٨١٢ من اب انجليزي وام المانية .. وشب فى اسرة طيبة مثقفة .. وكان والده ـ الموظف بمصرف انجلترا ـ رجلا مثقفا امينا حسن الصفات .. وكانت امه ابنة رجل الماني طيب ، يملك سفينة للتجارة ، ثم استقر به المقام فى دندى ، وكانت مولعة بالموسيقى وورثت هذا الولع ابنها ، فشب يعزف ويضع الالحان لبعض الاغاني .

وهكذا نشأ شاعرنا يحب الادب والموسيقى وصور الطبيعة والطواف بالبلاد .. وكان له فى الثانية عشرة ديوان من منظومه ، مزقه حين لم يجد له ناشرا .. ولكنه لم يكن يحب الحياة المدرسية وقيودها ، فاحضروا له معلما يثقفه ، ثم درس اليونانية وآدابها فيما بعد بكلية لندن .. حتى كرس حياته للأدب وحده ..

ومنذ الحادية والعشرين راح روبرت براوننج ينشر شعره .. وكانت اولى مطبوعاته : «بولين» ـ ظهرت عام ١٨٣٣ ولم تلق اهتماما .. وفي العام التالي ارتحل الشاب الى ايطاليا لاول مرة ، وراح يتنقل بين ربوعها ، دارسا منقبا .. وراقته تلك البلاد فاتخذها بعد ذلك موطنا ..

وكذلك لم تلق قصيدته «براسيلساس» التي نشرها عام ١٨٣٥ ، ذيوعا ولو انها لفتت انظار بعض كبار معاصريه من الادباء مثل وردسورث وكارلايل اللذين وجدا بها مقدرة شعرية وذهنية تبشر بمستقبل ادبي باهر ، فقد نمت بتحليلها النفسي عن خصائص الشاعر واتجاهاته .

وما لبث ان اعقبها بدرامته «سترافورد» (١٨٣٧) وقام بتمثيلها على المسرح صديق له وصديقة .. ثم بمسرحية تاريخية دعاها : «سورديللو» (١٨٤٠) لم تجلب له ـ كسابق تواليفه ـ شهرة ، اللهم الا شهرة الغموض فى التعبير ، وخاصة لدى قرائه الذين لم يتعمقوا مثله الفلسفة وتاريخ القرون الوسطى والادب الاغريقي القديم .. فكان لعلو موضوعاته ، فوق مستوى الجماهير ، واغراقه احيانا في المبهمات ، وشغفه بالعبارات المعقدة ، ما باعد بينه وبين الاكثرية من قرائه ومحبيه ، وما دعا الى فشل مسرحياته فى التمثيل .. فبين مسرحياته العشر او نحوها ، لم تفز بالمسرح غير واحدة ظهرت عام ١٨٤٣ ومثلت بضع ليال ، ثم ظهر انها كسابقاتها ، تقرأ خيرا من ان تمثل .. ولكن ما ان تعددت دواوينه ومسرحياته ، وتنوعت الوانها حتى اتسعت الحلقة حوله ، وزادت معرفة الناس به ..

وعاد فطلع على قرائه بديوانه المسمى : « اجراس ورمان » (١٨٤٠) وقد رمز بهذا العنوان الى امتزاج النغم بالحواس ، والعاطفة الشعرية بالعقل . ثم بدرامة «لطخة على الشعار» (١٨٤٣) .. ثم «مأساة نفس» (١٨٤٦) ...

وهكذا ظل يتابع الانتاج الشعري سنة بعد اخرى .. ولكنه ظل ايضا لا يلقى الاقبال والتعضيد .. ولم يفت هذا فى عضده ، بل قابله بروحه المرحة المتفائلة ولم يبال احتجاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتقاد على تخيره العبارات المقتضبة الغامضة ، والمنظومات الجافة المعقدة ، والقضايا الفلسفية العويصة التي لا يرقى الى تفهمها غير القلة المثقفة.. اما الدارسون الاذكياء الذين كانوا يقرأون دواوينه ومسرحياته ، مغامرين معه في مسالكه الوعرة ، فكانوا يخرجون منها فى النهاية فائزين بما وجدوا من ثراء فى المعنى ، وعمق فى التعبير ، ودقة في الاداء ، وتنوع فى الموضوع ..

وكان فى مقدور روبرت ان يكون سهلا مستساغا اذا شاء .. كما يتضح من ديوانيه اللذين اصدر اولهما وهو شاب فى الثلاثين باسم : «اغان مسرحية» ونشر ثانيهما فيما بعد بعنوان : «رجال ونساء» ..

وهناك فى صومعتها كانت تقرأ ـ فيما تطالع من كتب ودواوين ـ تلك المؤلفات الشعرية التي ينشرها ذلك الشاعر الذي عرفته ولم تره .. وكان لها من ذكائها وثقافتها وتمرسها بالشعر ، ما كشف لها عن مستغلقات قصائده ، وعن اغوار تلك النفس التي صدر عنها .. ولا شك انها رأت ما طويت عليه روحه من تفاؤل وتسامح ، وصبر وجلد .. وادركت ان فلسفته فى الحياة تتلخص في «الكفاح» .. وفى ان الحياة تستحق العيش اولا واخيرا.. فهو يحثنا على ان نحياها فى شجاعة واحتمال ، ونقابل آلامها فى ثبات وقبول .. الحياة عنده هبة جليلة شائقة ، علينا ان نعيش كل ساعة فيها راضين باسمين .. ان لهذه الحياة غاية خيرة ، ولها الوان وغوامض ، تستحق التأمل

وهكذا استأثر شعر روبرت براوننج ـ الشاب المكافح الذي لا يعيره الناس التفاتا ، وهو لا يعرف الهزيمة ولا اليأس .. باهتمام الشاعرة المريضة المعتكفة فى غرفتها.. فراحت تطالع شعره على مختلف اشكاله ـ من تصويري، ورمزي ، ومسرحي ، وقصصي .. تصدمها احيانا تعبيراته المعقدة ، وتصوراته الشاطحة ، وموسيقاه الصاخبة .. فتستشف خلال هذا عرضا لصور الطبيعة البشرية القلقة ومعرفة عميقة بهذه الطبيعة ، وتحليلا دقيقا للخلق المنحرف فى بعض النفوس ، وايمانا قويا بالعواطف السامية فى الانسان وطلعة تستكنه غوامض الحياة واعماقها ، وتفاؤلا ، وثقة بالنفس ، وصلابة ، ورجولة ..

وكانت هي مثله مكافحة .. تناضل المرض والالم ، والوحدة والسأم .. وتصامد التقاليد الجامدة ، والقواعد الصارمة ، التي يتشبث بها الكثيرون وبينهم والدها .. وتعيش على الخيال والامل ، والاحلام والمثل .. فلم تستطع الالام ان تهزمها وتشل قلمها ..

وارسلت اليه ابياتا اودعتها تحية وتقديرا .. واهتز الشاعر لهذه التحية الصادرة عن روح عالية يعرفها من شعرها الذائع الرائع .. وبعث اليها برسالة ضمنها اعجابه بشعرها ، وشوقه الى رؤيتها .. وسرعان ما تحول الشوق والاعجاب والتقدير ، الى حب متبادل ، قوي ، عميق .. لم تخمد جذوته الى النهاية ـ حب اساسه الصفات المعنوية، والعبقرية الشعرية . ومحوره الروح قبل الجسد .

وتوالت الرسائل بينهما ـ تلك الرسائل التي جمعت بعدهما ، ونشرت على الناس ـ طاقة يانعة من زهرات الادب ، ما برح القراء يتنسمون عبيرها الى اليوم .. الرسائل التي تحكي قصة غرامهما الخالد !.

وكان روبرت يلح راغبا فى زيارتها .. وهي تلح عليه ان يؤجل الزيارة الى يوم اخر او شهر قادم .. فما كان اللقاء ميسورا ، والشاعرة قعيدة دارها لا تبرحها ، وابوها لا يسمح لغريب بزيارة بيته والتحدث الى بناته !. وغير مجد في اعتقاده ذلك الاختلاط او الحب .. ولا الزواج ايضا !. وان هي جميعا ـ فى رأيه ـ الا نزوات تنجس الجسد ، وتفسد قدسية الروح وطهر العبادة !. وكان قد بدا بنفسه قبل ان تموت زوجته ، فراح يخفق فى قلبه الحب واللهو والمرح .. وفى مقدوره اليوم ان يقضي على هذا الحب الذي يزحف الى بيته ويستولي على قلب ابنته .. الم يطرد «الكابتن كوك» الشاب الذي جاء يوما يخطب احدى بناته ؟!..

غير ان روبرت لم ييأس وظفر منها اخيرا فى احدى رسائلها بموعد لزيارتها .. ولو انها عادت تلوم نفسها وتكتب اليه ان وقت الزيارة يجب ان يكون بعد الساعة الثانية وقبل السادسة .. لان المستر باريت ـ اباها ـ يعود من عمله بالمدينة فى السادسة !

وكان ذلك اللقاء الاول بينهما فى عصر يوم من عام ١٨٤٥. كانت الشاعرة تكبره بست سنوات .. ولكنه رآها مليحة الوجه ، ساحرة الابتسامة ، سوداء العينين ، حادة الذكاء .. شبيهة ـ كما قال ـ بحسان البرتغال ، اللاتي رآهن فى طريقه الى ايطاليا منذ عهد قريب ..

والحق ، لم تكن اليزابيث باريت رائعة الجمال ، ولكنها كانت ذات فتنة ورقة وجاذبية .. وصفتها الكاتبة بيتفورد: « انها انسانة رقيقة ، دقيقة ، تنحدر خصل شعرها الفاحم على جانبي وجهها الفائق التعبير . واما عيناها فواسعتان حنونتان، حولهما رموش غزيرة . واما ابتسامتها فشبيهة باشعة الشمس ! »

وتصف القاصة الشهيرة «فرجينيا وولف» (١٨٨٢ ـ ١٩٤١) تلك الزيارة الاولى بين الشاعر والشاعرة ، كما وصلت اليها .. كما يلي :

« كانت الساعة الثالثة قد انتصفت ، حين سمعت على الباب الخارجي طرقة قوية . فشحب وجه الانسة باريت، وغاصت فى سكون عميق . وكان «فلاش» ـ كلبها ـ راقدا فى سكون ايضا . واتجه وقع الاقدام مقلقا ، نحو الطابق العلوي . وكانت يده على الباب .. واستدار مقبض الباب .. وهناك كان يقف ..

وهتفت ولسون (الخادم) : مستر براوننج !..

ورأى فلاش ، وهو يركب الانسة باريت ـ ان اللون قد علا وجهها ، وان عينيها تلمعان ، وشفتيها تنفرجان !

ـ مستر براوننج !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخطا الشاب الى الغرفة ، وهو يلوي قفازيه الصفراوين بين يديه ، ويزر عينيه .. مهندما ، وجيها ، جافا ..

وامسك بيد الانسة باريت .. ثم جلس بجانبها في المقعد المجاور للصفة . وفي الحال راحا يتحدثان ..

وحتى اسرة الانسة باريت بدأت تلاحظ ، في كر الاسابيع التالية ، ما طرأ عليها من تغير .. لقد تركت غرفتها .. ونزلت لتجلس في حجرة الاستقبال .. ثم اخذت تعمل ما لم تعمله منذ زمن بعيد .. كانت تمشي على قدميها فعلا الى الباب الخارجي مع اختها .. ودهش صديقاتها .. وعجبت عائلتها لتحسنها هذا .. ولكن «فلاش» وحده عرف من اين أتت قوتها هذه .. لقد جاءت من الرجل الاسمر الجالس في المقعد لقد اتى مرة ثانية وثالثة . »

وكانا يتبادلان الرسائل بعد كل زيارة .. وكتبت اليه مرة تقول : « قلت لك في الليلة الماضية : نعم ! واليوم اقول لك : لا يا سيدي !. ذلك لان الالوان التي تراها في ضوء الشمعة تختلف ماهيتها اذا ما رأيتها في ضوء النهار !..»

ومرة اخرى كتبت اليه : « اني احس بكفني المرتقب يلف حول قدمي ! فاذا خطوت وتحركت اشرفت على النهاية» .

... ومضى عام على لقائهما الاول .. كان عام الحب المثالي صانع المعجزات !. الذي لازمهما بقية العمر !.

وفي تلك الفترة ، نظمت الشاعرة ارق اناشيد حبها ، واصدق اغاني قلبها .. تلك القصائد التي نشرتها فيما بعد في ديوانها المسمى : « اناشيد من البرتغالية ! » ـ متضمنا اربعا واربعين انشودة من الشعر «الليريكي» ـ الغنائي العاطفي ـ به من حرارة العاطفة مثل ما في اغاني شكسبير ووردسورث .. ولقد نشرتها الشاعرة تحت ذلك العنوان المتنكر المتخفي ، تلميحا بذلك اللقب المحبب الذي يدللها به حبيبها حين يناديها : « يا عزيزتي البرتغالية » ! ، لما يراه في عينها من سواد وعمق وسحر ، اشبه بعيون حسان البرتغال !..

اما هو فكان ـ باستثناء رسائله اليها ـ يخفي ولهه في شعره المسرحي ثم كشف عن قلبه مرة في قصيدة له من الشعر المرسل ، بديوانه المسمى : «رجال ونساء» ..

واذ كانت اناشيد حبها هذه ، صادرة عن قلبها في صدق وصراحة ، فقد جاءت سهلة ، خلوا من التعمق والتكلف ، تزينها موسيقى الاغاني ، ورقة التعبير ..

وفي انشودتها الاولى من هذا الديوان ، ترى الحب وقد ردها الى الماضي ، فعادت الى ايام شبابها ، وعاشت حياتها السابقة التي تقضت في الكآبة والعذاب ، ولكن في صورة اخرى مشرقة بهيجة .. فتقول :

«فكرت مرة كيف تتغنى ثيوكريتس بالسنين الحلوة
السنين العزيزة المشتهاة
التي تبدو كل منها حاملة بيد كريمة ، هبة للفانين
شيبهم وشبابهم
واذ اتأملها في لغتها القديمة ،
تتجلى امامي ، في رؤيا متلاحقة .. خلال دموعي :
تلك الاعوام الحلوة ، الحزينة .. والسنين الكئيبة
سني حياتي الخاصة ، التي القت علي في تواليها ظلالا .
واذا بي احس في بكائي ،
بشبح خفي يتحرك من خلفي ،
ويجرني الى الوراء من شعري !.
وفي نضالي اسمع صوتا قويا يهتف بي :
من تظنين يستبد بك الان ؟
فاقول : الموت !
ولكن .. هناك .. يرن الجواب الفضي :
لا .. ليس هو الموت .. بل هو الحب ! »

وتخاطب حبيبها في قصيدة اخرى :

« ماذا استطيع ان ارد اليك ، ايها السخي ، المعطي كأمير ؟!
يا من جلبت ذهب قلبك وارجوانه ،
دون تلوث .. ووضعتهما خارج الاسوار ..
كي آخذهما او اتركهما ، مختارة !
هبة لا اتوقعها ..
فهل كنت جامدة ، جاحدة للجميل ؟!
فلا ارد لك شيئا لقاء تلك العطايا الكثيرة السامية ؟
حاشا !. ولكني لا أقدم غير التافه الضئيل !.
فسل الاله الذي يعلم : كيف محت الدموع الغزيرة ، اللون من حياتي !
وخلفت وراءها شيئا شاحبا ميتا ، لا يليق لان يكون وسادة لرأسك !
فلاجعلن اذا من حياتي مداسا لقدميك !! »

وفي انشودة اخرى تقول :

« الحب .. والحب وحده .. جميل حقا .. وجدير بالرضا والقبول!
النار تتوهج .. سواء اكان ذلك الشيء المحترق لهبا في الهيكل ،
ام كان شيئا تافها ..
نور يقفز من اللهب ، سواء في خشب الارز ام في العشب ..
نار هو الحب !..
وحين اجيبك : «احبك» ـ اجل : «احبك» !
تراني اقف متجلية ، ممجدة ..
شاعرة بالاشعة الجديدة التي تصدر من وجهي نحو وجهك !.
فما من شيء وضيع في الحب ، ولو قدمه الوضيع !.
ولاحقر المخلوقات التي تحب الله ، يقبل الله حبها ..
وما احسه : انه يومض ذاته على ملامحي الوضيعة التي في ..
ويشير الى ان ذلك العمل العظيم للحب ، انما يعظم عمل الطبيعة ! »

وتقول :

« ان كان لا بد من ان تحبني ،
فليكن ذلك من اجل الحب وحده ، لا لشيء سواه !.
لا تقل : احبها من اجل ابتسامتها ، او نظرتها ، او اسلوبها الرقيق في الكلام
او من اجل سمو تفكيرها الذي يتفق مع تفكيري ..
وهذا يشعرني بالمسرة في يومي ..
مثل هذه الاشياء ، يا حبيبي ، تتغير وتتبدل ..
والحب على هذا الوجه قد يكون على غير هذا النحو !.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلا يكن حبك لي شفقة عزيزة منك علي ..
فتجفف خدي المبتلتين ..
ومن يلق المواساة طويلا ، قد ينسى البكاء ..
ولكنه قد يفقد الحب !
الا فلتحبني من اجل «الحب» وحده ، الذي يدوم .. في خلود الحب !.. »

وتخاطب حبيبها في قصيدة اخرى :

« كيف احبك ؟. دعني احصي لك :

احبك الى العمق ، والطول والعرض ـ ما تستطيع روحي ان تصل اليه ..

وحين أحس بأبتعادي متلمسة طريقي في اللانهاية ..

بحثا وراء الغاية من الوجود والجمال المثالي !.

احبك الى حد الحاجة اليومية الفائقة الهدوء ..

في ضوء الشمس ، وفي نور الشمعة !.

احبك بتلك الحرية الاختيارية ، كما يفعل المكافحين من اجل الحق غير مرغمين !.

احبك بنقاوة غير متطلعة الى مثوبة او ثناء ..

احبك بالعاطفة التي تملكتني في احزاني القديمة ، وبايمان طفولتي

احبك بالحب الذي اضعته مع قديسي المفقودين ..

احبك بانفاس حياتي وبسماتها ، ودموعها كلتها ..

ولسوف احبك ـ اذا شاء الاله ـ حبا اعظم .. بعد الموت !! »

وهكذا يتوالى في ديوان اليزابيت هذا ، نيف واربعون اغنية غرامية من الشعر المنظوم ، تسوده البساطة والنغم الموسيقي الحزين .. وقد نظمتها الشاعرة في الفترة التي عرفت فيها حبيبها .. ولكنها ظلت تحبه وتترنم باسمه وحبه الى اخر نسمة من حياتها ..

وهو ايضا .. احبها بقية حياته .. والى جانب رسائله اليها ، وكانت تفيض هياما ، والى ما كان يرمز به في سطور مسرحياته وقصائده من عبارات الحب ، فقد خاطب حبيبته صراحة في قصيدته : « الحياة في الحب » ـ حب امرأة واحدة قد يملأ حياة بأسرها !. قائلا :

« تغرين منـي ؟..
محـال .. يـا حبيبة !
فما دمت انا هو انا .. وانت انت ،
وانـا المحب ، وانت النافـر ،
فللواحد اذا فر ان يتعقبه الاخـر !..
لكـم خشيت ان تكون حياتي على خطأ في النهـاية ..
وان تبـدو وكأنها غالبـا قضاء محتـوم ..
ولقلما افلح مع مـا ابـذل من جهـد ..
ولكـن .. مـاذا لو طاش سهمي هنـا ؟..
لسوف تظل الاعصاب مرهقة ، والعينـان جامدتين ..
ويضحـك المـرء عنـد التعثـر ..
ويهـب حـائرا ليبـدأ من جديـد ..
وهكـذا تستغرق المطـاردة حيـاة المحب !
ولكـن .. انظري الـي ولو مرة واحـدة من اقصى بعـدك ..
الـي انـا الغارق في التـراب وفي الظـلام ..
لا يكـاد الامل القديـم يهوي الـى الارض ..
حتى يبدو امل جديد يتجـه نحو الشيء نفسه !
وهـذا الجديد بدوره يرتـد امامـي دائما ! »

كانت روحها الشاعرة النبيلة .. وسماحتها وطيبتها وايثارها .. والامها المبرحة التي اكتوت بنارها .. ما زاده بها ولها وهياما .. فلم يبال ما بجسدها من ضعف ومرض .. أو انها تكبره بست سنوات .. او ان اباها لا يحب لها ان تتزوج .. فهو مؤمن بقدرته على شفائها ، وفك عقالها ، واسعادها .. ولسوف يتزوجها ثم ينطلقان معا كطائرين حرين مغردين في فضاء الله الواسع .. ولقد حدثت المعجزة فعلا ، وتحقق الحلم !.

فما كاد ينصرم ذلك العام منذ لقائهما الاول ، حتى حزما امرهما على الزواج .. ورضيت الشاعرة ان تتزوجه على ان يكون هذا الزواج سرا لا يعلن الا بعد ان يتم ، وقبل ان يضع ابوها العراقيل !.

وتزوجا في يوم من عام ١٨٤٦ .. وتم عقد الزواج خفية، كما كان رحيلها عن بيتها خفية ايضا .. ولهذا لم يستطع المستر باريت ان يحول بينهما !

وما كادت تقلع بهما السفينة ومعهما « فلاش » ـ الكلب الامين ـ ميممة شطر ايطاليا ، ويعلم الوالد بما حدث ، حتى قال : « ان ابنتي الان في قبرها ، فلننس الموتى !.. »

ولم يصفح ابوها عنها الى آخر حياته .. بل لقد رفض ان يفض رسائلها اليه ويقراها ، او يكتب اليها !.

ووصل الحبيبان الى ايطاليا ، واتخذا منها موطنا مدة دامت خمسة عشر عاما تخللها بعض الرحلات هنا وهناك .. وكانا قد استقرا فترة من الزمن في « بيزه » ثم ارتحلا عنها الى « فلورنسه » ـ مدينة الفن والشعر ـ وحولهما ذكريات دانتي وكيتز وبيرون وشلي ، وغيرهؤلاء من عباقرة الشعر والتصوير والنحت والمعمار .. وعلى ضفاف الارنو تحت سماء ايطاليا الزرقاء امضيا اسعد اوقات العمر ، وثمت استردت الشاعرة عافيتها ، وقوتها، وسطعت عبقريتها ، وتجلت شاعريتها .. والحق لقد كانت تلك الفترة اخصب فترات عمرهما . ففيها أثمرا خير شعرهما ، ونشرا اشهر كتبهما .. وفيها اسهما في قضية الحرية التي كانت تسكانيا وفلورنسه تناضلان من اجلها .. وكانت مؤلفاتهما تدر عليهما دخلا سنويا قدره اربعمائة جنيه ، فعاشا هناك في راحة من متاعب السعي والحاجة ..

وما انقضت ثلاثة أعوام على زواجهما حتى انجبا طفلا جميلا كان موضع حبهما وزهوهما .. وسمياه «ويدمان» ودللاه «بنيني» .. كان ذلك عام ١٨٤٩ بعد ثلاثة ايام من ذكرى ميلاد الشاعرة الثالثة والاربعين .. وكان ذلك الطفل مصدرا لسعادة جديدة ملأت نفسها بالثقة والامل ، وجسدها بالنشاط والحركة .. فلم يكن ينغص عليها عيشها الصافي السعيد غير صمت ابيها المطبق ، ورفضه الصفح عنهما والرد على رسائلها !.

ولهذا راحت تلتمس في الشعر عزاءها .. فنشرت عام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨٥٠ ديوانها السالف الذكر : « اناشيد من البرتغالية » ذلك السجل الصريح لحبها الذي تظاهرت بترجمته من اللغة البرتغالية .. واعقبته بعد عام واحد « بنوافذ بيت جويدي » ، الذي استلهمته من كفاح « تسكانيا » من اجل حريتها .. وما كاد النقاد يجمعون على انه اعظم ما كتبت الشاعرة ، حتى ظهر لها عام ١٨٥٦ اطول واعظم قصائدها القصصية ـ « اوروراليي » ـ وهو اسم بطلة هذه القصة الشعرية التي تمثل قصة حياة الشاعرة الى حد كبير .. وقابل النقاد مؤلفها هذا بالهتاف والترحيب .. وقال « جون رسكن » ـ الكاتب الكبير ـ : « اظن ان اوروراليي هي اجمل قصيدة فى اللغة الانكليزية ، لا تفوقها غير قصائد شكسبير ، بل اني لاقول ان قصائد شكسبير لا تفوقها»!. اما اليزابيت فكانت تقرأ تلك المدائح وتقول: «يا لعمى النقاد!. انهم يعجبون بضوء هذا الشعر الذي يشبه المصباح الضئيل ، وقد عميت عيونهم عن جمال شعر زوجي الذي اذا قيس الى شعري كان بضوء الشمس اشبه » !!..

والى جانبها كان روبرت يوالي النظم والنشر .. فاخرج عام الزواج مؤلفين : « لوريا » و « مأساة نفس » . وكتب عام ١٨٥٠ : « مساء عيد الميلاد ونهار عيد الفصح » كما كتب عام ١٨٥٥ : « رجال ونساء » .. وظل شعره ينهمر كالمطر طوال حياته ..

والدنيا حولهما مليئة بصور الجمال .. والشاعران يتنقلان كعصفورين من الغابة الى الجبل ، ومن النهر الى البحر .. فاليوم فى جبال « فلومبروزا » ، وغدا فى « حمامات لوقا » ، وبعد فى « سبزيا » .. والى صخور « كرارا » .. ثم يشدان الرحال الى البندقية ، فميلانو .. فجنيف .. فباريس ..

وحينما بلغا باريس فى ربيع ١٨٥٢ ، التقت الشاعرة اليزابيت باريت ، بالكاتبة الفرنسية اللامعة جورج صاند .. وبعثت من باريس الى صديقة لها برسالة طريفة (مؤرخة ٧ ابريل ١٨٥٢) تصف فيها الكاتبة صاند بهذا الوصف الذي يدل على طيبة الشاعرة وسماحتها ، وبساطتها ونبلها ، فتقول :

« استطعت ان اذهب مع روبرت الى بيتها ثلاث مرات .. ومرة واحدة كانت خارج المنزل ، لقد كان حقا طيبا جدا وكريما فتركني اذهب اليها ، وهو من رأى صنف الرفاق الطافرين حولها . ومن لم يحب تلك الشلة كثيرا . ولكنه ـ وهو الامير بين الازواج ـ رضخ لرغبتي ، ومهد لها السبيل . انها (اي جورج صاند) كما يبدو ، تعيش في شناعة الوحشة بين المتجمهرين حولها من جماعات الرجال ذوي التربية السيئة ، الذين يعبدونها راكعين بين الدخان والبصق ! جمع من رث الثياب ، وخليط من حثالة المسرح! وهي بينهم على طراز مختلف كل الاختلاف ، متحفظة ومتفردة فى ازدرائها المكتئب ! وكم شاقني امر هذه السيدة المسكينة ! وشعرت نحوها بشفقة عميقة . فهي امرأة نبيلة وسط الوحل ! ولكم تمنيت ان اركع انا ايضا امامها ان هي تركت هؤلاء جميعا ، والقت بهم بعيدا !.. وظلت بنفسها كما صنعها الله !. ولكنها لن تهتم بركوعي بل هي لا تهتم بي ! واخالها لا تبالي كثيرا بأي انسان !من يدري ؟ ولقد كتبت الي رسالة او اثنتين اوثلاث ، ووعدت بأن « تأتي لتقبلني » قبل ان ارحل عن باريس ، ولكنها لم تأت. ولقد جهدنا كلانا فى ارضائها . وافضت هي الى صديق لنا بانها « احبتنا » . غير اننا كنا نشعر دائما بأننا لم نستطع ان نتغلغل ـ او بالحري ان نلمسها ! وذهب جهدنا ادراج الرياح ! »

وبعد ان زار الزوجان باريس ، تابعا السفر الى لندن ، وكان يصحبهما انكاتب العظيم كارلايل .. وكان الامل يداعبها فترى اباها ويراها ، او على الاقل يسمح فيرى طفلها الجميل ـ حفيده ـ . ولكنه رفض ان تقع عينه عليها ، وصدمها رفضه هذا فعاودها المرض ، وضاعفت رطوبة الجو بلندن فى علتها ، فرجعت الى ايطاليا مارة بباريس وانصرفت الى تربية طفلها وتعليمه حتى استطاع فى الثامنة من عمره أن يقرأ الانكليزية والفرنسية والايطالية والالمانية ، وان يعزف على البيانو ايضا ! وقد عمر هذا الطفل بعدها وشب رجلا ناجحا ..

واخيرا ورد كتاب من والدها ومعه رزمة .. وكان الخطاب موجها الى روبرت براوننج زوجها ، يقول فيه : « فى هذه الرزمة تجد الرسائل التي بعثت بها الي زوجتك . وسترى انها قد بقيت جميعا مغلقة لم تفض اختامها » ..

وبعد ايام مات ذلك الوالد الغريب الاطوار .. ونزل الخبر عليها كالصاعقة ، فاصيبت بنكسة لم تبرأ منها ابدا..

وفى عام ١٨٦٠ ـ وكأنما احست اليزابيت بدنو الاجل ـ بادرت الى جمع اشعارها واصدرت ذلك العام مجموعة شاملة باسم « اشعار ما قبل المؤتمر » !.

وبعدها اخذت قواها تضمحل .. وفى فجر ٢٩ يونيه (حزيران) سنة ١٨٦١ اسلمت الروح بين ذراعي زوجها.. هناك تحت سماء ايطاليا الصافية ، وفى مدينة الفن فلورنسه التي احبتها واتخذتها موطنا .. وكانت يومئذ فى الخامسة والخمسين ..

وبعد عشرين يوما مضت على وفاتها ، امسك روبرت بالقلم ، وكتب الى احدى صديقات زوجته هذه الرسالة الخاصة ـ ردا على خطاب منها ـ يصف فيها ساعاتها الاخيرة:

« فلورنسة فى ٢٠ يوليه ١٨٦١

الصديقة العزيزة :

اني على يقين مما ذكرته عن شعورك نحوها قبلا ، وشعورك نحوي الان. واكبر العزاء انها لم تقاس غير القليل من الالم . لا شيء غير ما يصحب النوبات البسيطة عادة من البرد والسعال ، اللذين كانت تتعرض لهما . ومع ذلك لم يخامرها شعور باطني بالنتيجة ، ولم تعرف انها وشيكة ان تتركنا . وهذا ما جنبنا الشقاء . فلقد كانت تؤكد لي باسمة انها احسن حالا ، واكثر راحة ، اذا ما عدت الى فراشي . وذلك حتى قبيل النهاية ببضع دقائق ..

ثم طلبت الى الخدم ان يذهبوا لينامو . فما كان هناك ما يدعو الى القلق . وفى الليل نامت نوما عميقا متقطعا . وتلك كانت العلامة الوحيدة السيئة . ولكنها كانت بعد ذلك تجلس وتتناول دواءها ، وتكلمني بضع كلمات ثم تنام ثانية . وفى الساعة الرابعة ، بدت عليها علامات ازعجتني ، فاستدعيت الوصيفة والطبيب . ولما عرضت عليها ان ادلك قدميها ، ابتسمت وقالت : « حسنا ، انك تريد ان تجعل منها حالة مبالغا فيها» .. ثم حدث ما لا انساه حتى القاها ثانية فى لقاء طويل : لقد رأيت اكمل تعبير لحبها لي طيلة معرفتي بها .. كانت باسمة ، سعيدة ، وكان وجهها اشبه بوجه صبية صغيرة .. وفى دقائق قليلة ، ماتت بين ذراعي .. ورأسها مسند الى خدي .. ان هذه الحوادث لتدفعني الى ان اقصها على احبائها الجديرين بها .. لم يكن هناك تمهل ، ولا الم شديد ، ولا شعور بالانفصال .. ولكن الله اخذها عنده . كما لو كنت ترفعين الى ذراعيك ، والى النور ، طفلا نائما فى فراش مقض مظلم .. له الحمد » !

واخيراً عاد روبرت الى بلاده وحيدا محزونا .. ولكنه ظل يتردد احيانا على ايطاليا حيث الذكريات العزيزة، وحيث مسرح الايام الخوالي السعيدة ..

ولما مرت بضعة اشهر على وفاتها ، نظم قصيدة اسماها: « نظرة الى الامام » تحدى فيها الموت الذي اختطف حبيبته ، ويقول :

« أأخشى الموت ؟
فأحس بالطل فى حلقي ، والضبابة فى وجهي ؟
يوم يبدأ الصقيع ، وتدل اللفحات على انني من المكان قريب !.
ومن سطوة الليل ، ومن ضغط العاصفة ..
ومن مربض العدو ..
وحيث يقف « نصب الخوف » واضح السمات ..
وحيث للرجل القوي ان يذهب ..
حين تنتهي الرحلة ، وتبلغ القمة ، وتتهاوى الحواجز ..
فهي معركة للنزال .. قبل ان يكسب الشوط ، وتنال الجائزة !.
لقد كنت مكافحا دائما .. ولهذا فلاظل على النضال ..
ـ خيرها واخيرها ـ
ولن احب ان يعصب الموت عيني، ويسكتني، ويأمرني بالزحف سريعا ..
حاشاي ، ولاذق ألم حتى الثمالة !.
ولاتحمل الضربة مثل اندادي ، ابطال القديم ..
وفى لحظة ادفع راضيا متأخرات الالم ، والقر ، والظلام ..
وامام الشجاع يتحول الاردأ المفاجىء الى الاحسن ..
واللحظة السوداء انما تكون فى النهاية ..
ولسوف تتضاءل اصوات الشيطان العابثة ..
وبرتبك غضب العناصر ..
ثم تتبدل وتتحول الى سلام منبعث من الالم ..
ثم الى نور !.
ثم الى صدرك .. يا روح نفسي !
لسوف اعانقك ثانية .. وتكون الراحة هناك .. مع الله !. »

واخيرا .. استقر الشاعر الحزين فى لندن .. منكبا على النظم والتأليف .. متساميا بآلامه الى آفاق الشعر .. وراح ينشر بقية مؤلفاته ومسرحياته تباعا .. ومنذ ذلك الحين ، يتبدل شعره ، فتتركه « الليريكية » حتى نهاية العمر .. ومن ذلك ديوانه الذي اصدره عام ١٨٦٨ بعنوان: « الحلقة والكتاب » ، متضمنا حكايات تحليلية فى شعر مرسل .. ومن ذلك عشرة مؤلفات اصدرها فيما بين عامي ١٨٦٤ و ١٨٨٠ ـ وكان قد اشتهر خاصة لدى الكثيرين بقصائده القصيرة مثل : « ربيع بن عزرا » و « أمل افلين » و « جنازة فقيه » و « موت فى الصحراء » وغيرها ..

وحصد روبرت ثمار جهده وصبره ، فاسبغ عليه قومه القاب الشرف ومنحوه درجة الدكتوراه من ادنبره ، كما عينوه عميدا لجامعة لندن مدى الحياة .. وعاش عاملا صامدا حتى بلغ السابعة والسبعين ..

وفى عام ١٨٨٩ وكان قد بلغ قمة سامقة من المجد والشهرة ، ذهب لزيارة ايطاليا ـ مسرح غرامه وشبابه واغلى ذكريات حياته .. هناك حيث لفظت حبيبته وزوجته الشاعرة ، انفاسها الاخيرة بين ذراعيه .. وما هو ان طاف قليلا بتلك المجالي ، وتملى من تلك الذكريات ، وكأنما كان يودعها الوداع الاخير ، حتى لحق بها الى عالم السلام .. هناك ايضا تحت سماء ايطاليا الصافية ، لفظ هو ايضا انفاسه الاخيرة .. فى بيت ابنه « ويدمان » فى فينيسيا ..

وفى ذلك اليوم الذي نعي فيه الشاعر الى الناس ، ظهر كتابه الاخير : « اسولاندو » ..

وفى ذلك العام الذي توفي فيه الشاعر ، كان القراء يتخاطفون لاول مرة كتابا خطه الحبيبان لنفسيهما لا للناس ـ هي مجموعة الرسائل التي تبادلها الشاعر روبرت براوننج ، والشاعرة اليزابيت باريت براوننج .. بعد ان امست من تراث الادب وميراثا للادباء جميعا !.

وادرك الانكليز بعد موته انه كان واحدا من اكبر شعرائهم .. فنقلوا جثمانه الى « وست منستر » ليدفن مع عظمائهم ومشاهيرهم .. ثم طبعوا دواوينه ومؤلفاته ورسائله فى نحو عشرين مجلدا ..

وبعد اعوام الفوا الجمعيات لدراسة اشعارهما ، وهب النقاد يكتبون عنهما ويحللون .. ويؤلفون عن حياتهما وقصة حبهما الكتب والاقاصيص .. ثم يعرضونها اخيرا على شاشة السينما ..

وفى جميع معاجم الادب ترى اليوم ترجمة حياتهما مطولة او مسهبة .. وتقرأ فى احداها عن اليزابيت قولهم :

« انها تعد عامة اعظم شاعرات الانكليز .. وشعرها ملىء بالفكر الرقيق .. والقوى العميق ! ولقد جعلت منها آلامها الخاصة مع ما لها من قوة ذهنية ومعنوية ، بطلة المقاسين والمتألمين اينما وجدوا !. ومع انها ليست مساوية لزوجها فى قوة الذهن وفى صفات الشاعر الكبرى ، فهي السابقة الى الشهرة والاكثر قبولا لدى الراي العام .. لقد كانت امرأة ذات فتنة ونبل .. ولم تكن على جانب كبير من الحسن ، ولكنها كانت ذات جاذبية ملحوظة » !..

الاسكندرية **نقولا يوسف**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرئيسة

بقلم الانسة رينه عبودي

* * *

ربع ساعة ..
ـ يا لك من مراقب صارم
ـ هل لي ان اشعلها لك ؟
ـ شكرا يا سيدي
ـ انت اذا رئيسة الجمعية ؟
ـ وماذا في الامر ؟
ـ يبدو لي انك اصغر من ان تشغلي منصبا كهذا
ـ شكرا
ـ انك تعجبينني
ـ هكذا سريعا
ـ اجل
ـ يا لي من فتاة محظوظة
ـ اجـل
ـ كيف اجـل ؟
ـ هـل قلت اجل ؟
ـ نعـم
ـ لم اكن اعلم ان لبسام ابنة عم ساحرة
ـ انك تتحدث معي وكأني فتاة خمسة عشر
ـ كنت انظر اليك
ـ تنظر الي ؟
ـ اجـل
ـ متى ؟
ـ الآن
ـ كنت تنظر الي الآن ؟
ـ هل قلت لك انا : كنت انظر اليك الآن ؟
ـ ولكني يا سيدي اجمع شتات جملك
ـ انك فظيعة حقا ..
ـ ماذا ؟
ـ اقول رائعة ..
ـ من ؟
ـ الرئيسة
ـ اية رئيسة ؟
ـ انت
ـ لقد نسيت اني رئيسة ، اذا انا فظيعة رائعة
ـ حبذا لو نرقص
ـ انا ارقص ؟
ـ اجل انت معي
ـ نرقص معا ، تريد ان تقول ؟
ـ نعم .. ان اللحن هادىء
ـ لماذا وقفت وشددت ربطة عنقك، انا يا سيد لا ارقص
ـ تملكين هذا الوجه الجميل وهذه الرقة ولا ترقصين ؟
ـ وما دخل الوجه والرقة في الامر ؟
ـ يجب ان ترقصي ، هيا انهضي ..
ـ بسام ارجوك ان صديقك ..
ـ دعي بسام انه مشغول بالحديث مع ليلى .. سأجعلك تبدين اكثر روعة من ليلى لانك اجمل
ـ انا لا احب الرقص
ـ ولكن اصابعك كانت تنقر هكذا على الطاولة وانت تديرين لي ظهرك وتستمعين
ـ لست ادري من اين يجمع بسام اصدقاءه
ـ وانا لا ادري .. انهم ثقلاء الظل ، هل اجلس اذا ؟
ـ ادعو من شئت للرقص ، انا لن ارقص
ـ اذا اجلس من جديد بجوارك
ـ اعمل ما يحلو لك
ـ هل اقبلك ؟
ـ ماذا ؟
ـ قلت لي اعمل ما يحلو لك
ـ هل انت شقيقي الصغير
ـ اين هو ؟
ـ من ؟
ـ شقيقك ؟
ـ هل من عاداتك الشرب قبل



ربع ساعة ..
ـ يا لك من مراقب صارم
ـ هل لي ان اشعلها لك ؟
ـ شكرا يا سيدي
ـ انت اذا رئيسة الجمعية ؟
ـ وماذا في الامر ؟
ـ يبدو لي انك اصغر من ان تشغلي منصبا كهذا
ـ شكرا
ـ انك تعجبينني
ـ هكذا سريعا
ـ اجل
ـ يا لي من فتاة محظوظة
ـ اجـل
ـ كيف اجـل ؟
ـ هـل قلت اجل ؟
ـ نعـم
ـ لم اكن اعلم ان لبسام ابنة عم ساحرة
ـ انك تتحدث معي وكأني فتاة خمسة عشر
ـ كنت انظر اليك
ـ تنظر الي ؟
ـ اجـل
ـ متى ؟
ـ الآن
ـ كنت تنظر الي الآن ؟
ـ هل قلت لك انا : كنت انظر اليك الآن ؟
ـ ولكني يا سيدي اجمع شتات

ـ انها تدور كالفراشة
ـ اجل اجل .. هلا اعطيتني الكاس الفارغة من امامك
ـ تقول ثلاثة الاف وخمسمائة من البطاقات فقط ؟
ـ اسأل الهام .. انها رئيسة الجمعية
ـ الهام
ـ نعم ..
ـ اين كنت شاردة ؟ يقول سمير لقد جمعتن من بطاقات الحفلة ٣٥٠٠ ليرة
ـ دعنا من ايراد البطاقات وانظر الى ليلى كيف تدور كالفراشة
ـ ان بسام يراقصها وبسام كما تعلمين .. رشيق جدا
ـ ان الخدمة ممتازة في هذا النادي
ـ اجـل ..
ـ جئنا مبكرين تكاد تكون الحديقة فارغة
ـ طالما انهن بعن بـ ٣٥٠٠ ليرة بطاقات فقط فلن تنتظر طويلا حتى ترى حديقة النادي ممتلئة
ـ الهام
ـ ..
ـ الهام
ـ نعم
ـ ما بالك تنظرين ، ليس هناك في حلبة الرقص غير ليلى وبسام
ـ لم افهم
ـ اعني كأنك تشاهدين اشخاصا غريبين عنك
ـ لم افهم .. ولن افهم ، دعني
ـ اعني ان السيد الجالس بقربك ، صديق بسام ..
ـ نعم
ـ انك تديرين له ظهرك منذ وصوله
ـ دعها انا لست متضايقا ابدا
ـ قال لك بانه غير متضايق
ـ الحمد لله انتهت الرقصة .. لست ادري ماذا يجدون فى الرقص، انظروا الى بسام انه يتصبب عرقا و ..
ـ ويبتسم سعيدا
ـ ان الهام نسيت ان تدخن طيلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السهر ؟ هل شربك قبل ان تأتي الحفلة ؟
ـ اية حفلة ؟
ـ قلت ولكن .. لن اتكلم
ـ بالله اكملي اكملي ، ماذا قلت ؟
ـ لم اقل شيئا
ـ لست ادري لما لا تحبني النساء
ـ اية نساء ؟
ـ انت ..
ـ انا ، لا احبك ؟
ـ ماذا ، تحبينني ؟
ـ بسام ارجوك .. صديقك
ـ بسام عاد يرقص .. كلهم يرقصون الا انا وانت ، لا عفوا الا انت وانا
ـ اين تعرفت على بسام ؟
ـ في الجامعة .. لماذا هل حدثك عني ؟
ـ اين سيحدثني عنك ؟
ـ اين اين اين
ـ اني لا ارى بسام الا نادرا
ـ انت في الدير ؟
ـ اي دير ؟
ـ اوف ! لقد جعلتني انعس .. ساعود الى البيت
ـ ولكن الحفلة لم تبدأ بعد
ـ اية حفلة ؟
ـ الحفلة هنا
ـ وهل يوجد حفلة ؟
ـ الا تسمع الموسيقا ؟ الا تشاهد الراقصين والراقصات ؟
ـ لا
ـ كيف لا ؟
ـ انا حر ، اشاهد ما يحلو لي
ـ ماذا تشاهد الان ؟
ـ لا شيء
ـ ولا حتى انا ، الا تشاهدني ؟
ـ لماذا كل هذا الدلال في الصوت ؟
ـ انا ؟
ـ اجل انت ..
ـ ولكنك قلت باني ساحرة ؟
ـ متى ؟
ـ في اول الحديث
ـ يجوز ذلك فكل انسان عرضة للخطأ
ـ كيف تجسر ؟
ـ على ماذا ؟
ـ تجسر على اهانتي ؟
ـ ولماذا اخافك ؟
ـ الحق معك ..
ـ الحق معي دائما
ـ يا لك من مغرور
ـ انا ؟ ابدا
ـ عبقري ؟
ـ لا انا امثل كلمة اعظم ..
ـ متواضع .. كم انت متواضع
ـ هكذا خلقت .. فان كنت انت تافهة فهكذا خلقت
ـ انا تافهة ؟



الانسة رينه عبودي

•

ـ تافهة .. هناك علبة لفائف تبغ
ـ كيف عرفت بالله عليك ؟
ـ شاهدت نظراتك تتجه هنا وهناك على الطاولة فتكهنت انك ربما كنت بحاجة الى .. لفافة تبغ
ـ لماذا تبتسم ؟
ـ لانك حلوة
ـ قلت انك لا تراني
ـ انا ، كذاب كبير
ـ ومتى اصدقك ؟
ـ دائما
ـ دائما ؟
ـ اجل اني احب نظرة الايمان والثقة
ـ تحب ؟
ـ اجل
ـ ولماذا افعل ما تحبه انت
ـ حتى اراك
ـ واذا رايتني ؟
ـ تصبحين اجمل نساء العالم واسعدهن
ـ ومن يضمن ذلك ؟
ـ انا
ـ تعني انك تحبني اذا ما نظرت اليك هكذا وكأني اصدقك ؟
ـ لا كأنك .. بل تصدقينني ببساطة
ـ لا
ـ كيف لا ؟
ـ قلت لا
ـ لا ؟ لا ...
ـ ارفض
ـ مسكينة مرت قرب السعادة و .. ابتعدت عنها
ـ مسكين انت
ـ انا .. لا
ـ الى اين ؟
ـ سأذهب
ـ الى البيت ؟
ـ الى البيت ، اي بيت ؟
ـ بيتك ؟
ـ ولكن السهرة في اوجها
ـ اذا ؟
ـ امضي لمراقصة احداهن ..
ـ لماذا غضبت علي ؟
ـ من قال اني غضبت .. مللت الجلوس
ـ ولكن قلت لك باني لا يمكن ان ارقص
ـ طبعا انت حضرة الرئيسة
ـ لا انما
ـ انما ؟
ـ هناك خلل ..
ـ اين في حذائك ؟
ـ لا .. لا تنظر الي هكذا .. انظر الى حلبة الرقص .. سأخبرك امرك
ـ في رحلة من سنتين ، جلست في السيارة بجوار ابي ، ودعنا اقارب واغلقنا الابواب
ـ اية ابواب ؟
ـ ابواب السيارة .. ولكن الباب الذي كنت اتكىء عليه لم يكن مقفلا ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كفاح شاعر

كان يمضي على الحياة شهابا ... فـوق ارض تقلـه اعجـابا
يتملى مواقع الدهر ، يخشى ... ويرجّي ، ويستعين الكتابا
ويعـد الورى عصائب تمضي ... فـي ممر يدعونـه احقـابا
ويعاني تجـارب العمر تذكيـه ... على الدهر شـاعرا خـلّابا
فـاذا ما قست عليـه الليالي ... فتـح الوحي حوله الابـوابا
واذا ما رأى الاعـاصير تنضى ... بائسا مزق الوجـود ثيابا
واذا مـا اطـل فوق البرايـا ... فـرأى امة تذوق الصـعابا
هدها الظالمون هـدا فكـانوا ... فى سماهـا وفى ثراهـا عذابا
ارسل الصاعقات فوق عـداها ... وتحـرى فلم يصب احبـابا
ايها العـابثون فى الارض اشرارا ... تردون زهرهـا احطـابا
ايهـا الخائضون بحر الضحايا ... بوجـوه تكبّرت اعصـابا
ايها المـارقون من كـل بـر ... والمشيعون فى الدنى الارهـابا
لا تخالوا الايـام القـت اليكم ... فى خضـوع هاماتهـا والرقابا
ان تكن مرة تـرامت عبابـا ... بين ايـد ، فقـد تثور عبابا
ان صـدر العصـور بركان آراب ... فخـلوا فى سـيرهـا الآرابا
ان عصر الشعوب اقسم لا يبقي ... عـلى رفرف السنـا كذابا
كان يمضي .. وكان يدفق اعجازا ... يـروع الاباء والاعقابـا
كان قلبـا مشعشعا بسماء الوحي يدعـو الرواد والاربـابـا
يبذر الحـب فى اليباب فيغدو ... بعد حيـن للكادحيـن مـآبـا
كان صوتا اذا استثير غضوبـا ... يبعث الواهنيـن اسدا غضابا
فاذا كان راضي النفس غنـى ... فشجى الناس والحصى والترابا
والجنان التـي عليها بنو الطير ... يزفون للمنـى اكوابـا
فى تراتيل تبهر السمع ، تحيي القلب ، تجلو الشعور والالبابا
واذا كان ناقما كـان ما كـان ... عصـوف رام السحاب غلابـا
فاذا الارض والسماء من الهـول يغطـي النقـاب فيهـا النقابـا
كان يمضي وفي الثرى منه عبق جعـل الافـق ينشـق الاثوابـا
كلمـا جرح الزمـان شعـورا ... لمس الجرح فاستراح وطابـا

الاسكندرية — احمد محمود عرفه

ـ كيف قلت اغلقتم الابواب ..
ـ اجل وانما خرجت ثانيـة مـن السيارة قلتلك باننا كنا نودع اقارب لنا ، فى البلدة الغربية التي كنا فيها ، وحين عدت ..
ـ حين عدت ؟
ـ قلت لك انظر الى حلبة الرقص ..
ـ اجل ؟
ـ لم اقفل الباب جيدا وكنا متأثرين عاطفيا فلم ننتبه لا والدي ولا انا ..
ـ وبعـد ؟
ـ قلت لك لا تنظر الي ؟
ـ وبعـد ؟
ـ في منعطف شديد فتـح البـاب وهويت .. انا
ـ هويت ؟
ـ اجل .. والان يمكنك ان تنظـر الي ، الى ساقي تحت المائدة ..
ـ لا لن انظر
ـ لماذا ، انها غير قبيحة كما تتصور ..
ـ لا ..
ـ اذا .. لا تدعوني ثانية الى الرقص وتحدثني عن جمال الوجه والرقة .. لا تذكرني باني فتاة بل
ـ
ـ حضرة الرئيسة

حلب — رينه عبودي

الـــغـــراب

لادغـار الان بـو

●

ترجمـة نجـاتي صدقـي



(١) في الاصل : ايا سيدي او سيدتي (٢) ربة الحكمة (٣) الجحيم
(٤) اعلى مرتبة بين الملائكة تمثل في شكل رؤوس اطفال لها اجنحة تطوف حول العرش الالهي وتلبي اوامره (٥) جلعاد ـ تمتد على الضفة الشرقية من الاردن .

في منتصف ليلة مرعبة كنت انعم النظر .. تعبا مكدودا ..
في مؤلف انيق مثير من الفنون المنسية ..
نكست رأسي من النعاس ، بل كدت معه اغفو ..
حين لمغ مسمعي فجأة نقر خفيف ، كأن احدهم على باب غرفتي بلطف يدق ..
تمتمت قائلا : لعله زائر .. على باب غرفتي برفق يدق ..
ولا شيء غير ذلك ابدا ..
واه .. انني اذكر ذلك جليا .. حدث في شهر ديسمبر القارس البرد ..
كل جذوة فيه تموت على انفراد ، تاركة شبحها على ارض الغرفـة يترنـح ..
رغبت في طلوع الصباح .. وعبثا حاولت اقتراض الصبر ..
من كتبي لتوقف احزاني على فقدان لينور ..
الصبية النادرة المتألقة التي حملتها الملائكة اسم لينور ..
المجهولة هنا دائما ابدا ..
والستائر الحمراء تحف بي قلقة ناشرة كآبة حريرية ..
تهزني ، وتفعمني برعب غريب الشكل .. لم احس بـــه مـــن قبـــل ..
قلت مرددا كيلا يتوقف قلبي عن الدق ..
انه زائر يلتمس الدخول الى غرفتي ..
زائر متأخر يلتمس الدخول الى غرفتي ..
ولا شيء غير ذلك ابدا ..
تعاظمت نفسي بالفعل قوية .. فلا مجال للتردد ..
قلت : ايا سيدي (١) .. انني اسألك الغفران مبتهلا ..
كنت في غفوة فجئتني تنقر نقرا خفيفا ..
جئتني تدق باب غرفتي دقا خافتا .. يقينا انني اكـاد لا اسمعـــك ..
فتحت الباب على مصراعيه .. وكان ظلام ..
ولا شيء غير ذلك ابدا ..
وقفت في ذلك الظلام الحالك .. وقفت ارمق دهشا ..
اتشكك ، واحلم احلاما لم تدر في خاطر احد من الاحياء ..
الا ان حبل الصمت لم يقطع .. والسكون لم يعط علامة الليـــل ..
والكلمة التي لفظت همسا .. هي : «لينور» ..
كلمة انا همست بها .. وتمتم الصدى برجع «لينور» ..
ولا شيء غير ذلك ابدا ..
عدت الى غرفتي ونفسي في تحترق ..
وسرعان ما سمعت النقر اقوى من ذي قبل ..
قلت : اكيد ان هناك عند مشبك نافذتي شيئا يقف ..
دعني ارى اي تهديد يكون .. فارتاد هذا السر ..
دع قلبي يتوقف برهة .. فارتاد هذا السر ..
فلم يكن سوى الريح .. ولا شيء غير ذلك ابدا ..
دفعت مشبك النافذة .. وكانت رفرفة كثيرة الدلال ..
ودلف الى غرفتي غراب اسود من سالف الايام عظيم الجلال ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلم يتوقف لحظة واحدة .. ولم يبد اي امتثال .. بل اندفع فى طلعة السيد او السيدة وحط على باب غرفتي ..

حط على تمثال «بالاس» (٢) المنتصب فوق باب غرفتي.. جثم الغراب واستقر .. ولا شيء غير ذلك ابدا ..

الطير الابنوسي يسلي خيالي الحزين ، ويشيع على شفتي ابتسامة ..

يرتدي رداء الخطورة ، وقد ارتسمت على محياه معالم الصرامة ..

قلت له : وان تكن قنبرتك مجزوزة فانت بالتأكيد غير جبان ..

غراب قديم ، شاحب اللون ، جاء من ساحل جهنم الليلي ..

هلا خبرتني ما اسمك المهيب فى ساحل « بلوتون » (٣) الليلي ..

نطق الغراب : « لا يعاد » !..

دهشت جدا لسماعي جليا حديث هذا الطير ذي الظل الثقيل ..

فرده لا يعني شيئا كثيرا .. ولا يحمل من السداد الا القليل ..

وما من حيلة للرضاء بان مخلوقا حيا ..

قد يرتاح لرؤية طير على باب غرفته ..

طير أو وحش يقبع على تمثال فوق باب غرفته ..

يطلق عليه اسم : « لا يعاد » !..

فالغراب يقبع وحيدا على ذلك التمثال المسالم .. وينطق.. ينطق بعبارة واحدة كأن نفسه فيها تتدفق ..

لم يتلفظ بكلمات سواها ، ولم ترف له ريشة فيما بعد ..

وبالكاد اخذت اتمتم : « اصدقاء غيره قد افلتوا من قبل.. وفي الصباح سيتخلى عني كما تخلت آمالي عني من قبل » ..

نطق الطائر : « لا يعاد » ..

اجفلت لقطع حبل الصمت بهذا الرد القدير ..

قلت : لا ريب ان ما نطق به الغراب ان هو الا اروما وذخيرة ..

تلقنه من مولى تعس حلت به كارثة مروعة ..

لاحقته سريعا تباعا حتى غدت اغانيه عبئا ثقيلا ..

حتى غدت نغمة آماله شؤما وعبئا ثقيلا ..

من .. لا .. « يعاد » ..

الا ان الطير لم يفتأ يحمل نفسي الحزينة على الابتسام ..

فادرت وسادة المقعد في وجه الطير والتمثال والباب ..

وغرقت في القطيفة جاعلا نفسي تربط خيالا في خيال ..

مفكرا فيما يعنيه هذا الطير المشؤوم من سالف العصر ..

هذا الطير الفظ ، الكريه ، الهزيل ، الشاحب اللون ، والمشؤوم من سالف العصر ..

ما الذي يعنيه بنعيبه : « لا يعاد » ..

جلست ملتزم الصمت ، منهمكا في الظنون ..

مفكرا في غراب عيناه تشتعلان في قلبي كالاتون ..

جلست اتكهن وراسي مستكين بارتخاء ..

على بطانة الوسادة المخملية ، ونور المصباح عليها يتألق ..

على البطانة البنفسجية للوسادة المخملية ونور المصباح عليها يتألق ..

وهي تستحث قائلة : وا آسفاه .. «لا يعاد» ..

ولاح لي من ثم .. ان الهواء يزداد كثافة ، يفوح شذاه من مبخرة غير مرئية ..

يؤرجحها « سيرافيم » (٤) وقع اقدامه تحف على ارض الغرفة الوبرية ..

صرخت : «ايها التعس .. هل استعارك ربك .. وبواسطة الملائكة تم ارسالك » ..

تمهل .. تمهل وشراب السلوان من ذاكرتك يا لينور .. الا جرعة .. جرعة من شراب السلوان وانس هذه المفقودة لينور ..

نطق الغراب : « لا يعاد » !..

قلت : ايها الرسول .. حاجة من الخطيئة .. والرسول باق ان كان طيرا ام شيطانا ..

ابا كان الاغواء قد ارسلك .. وايا كانت العاصفة قد حملتك الى هذا البر ..

بر مقفر ، لكنه باسل .. ارض مهجورة لكنها مفتونة ..

حملك الى هذا البيت الذي يقيم فيه الرعب .. اصدقني القول اتوسل اليك ..

هل هناك بلسم في « جلعاد » (٥) .. اصدقني القول اتوسل اليك ..

نطق الغراب : « لا يعاد » !..

قلت : ايها الرسول .. حاجة من الخطيئة .. والرسول باق ان كان طيرا ام شيطانا ..

باق بالسماء التي تظللنا .. وبالله الذي نعبده كلانا ..

قل لهذه النفس المفعمة بالحزن .. اتحتضن في طريقها الى عدن ..

الصبية الطاهرة التي تسميها الملائكة لينور ..

صبية نادرة متألقة تسميها الملائكة لينور ..

نطق الغراب : « لا يعاد » !..

وانتصبت فجأة صارخا : « لتكن عبارتك علامة افتراقنا.. ان كنت طيرا ام شيطانا ..

عد الى العاصفة .. الى ساحل الجحيم الليلي ..

لا تترك وراءك ريشة سوداء تدل على الكذب الذي تحدثت عنه نفسك ..

دع وحدتي قائمة .. اقلع عن التمثال المنصوب فوق باب غرفتي ..

أسحب منقارك من قلبي واسحب صورتك من على باب غرفتي

نطق الغراب : « لا يعاد » ..

نجاتي صدقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الامثال

بقلم شفيق طباره

المثل فن من فنون الانشاء ، ورد في اللغات السامية وعرفه ارسطو بأنه عبارة تتصف بالشيوع والايجاز وقوة المعنى وصحته . وقد شاع هذا التعريف اليوناني في الشرق فيما شاع من افكار الثقافة اليونانية . وعرف الباحثون للعرب المثل تعريفا قريبا من تعريف اليونان القدماء فوصفه ابرهيم النظام ، وهو امام المعتزلة ، واحد الذين اخذوا بقسط من الافكار اليونانية بقوله : « يجتمع في المثل اربعة اشياء لا تجتمع في غيره من الكلام : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة » .

غير اني الاحظ ان هذا التعريف القديم لا ينطبق الا على بعض اشكال المثل في المدلول السامي ذلك لان الساميين قد توسعوا في استعمال كلمة المثل بما زاد على العبارة الموجزة التي اكتسبت صفة الشيوع والشهرة في الناس حتى شمل القصص والحكايات والالغاز والحكم وهي صور مثلية بعضها موجز وبعضها مطول وتساق للعبرة وتقال في النصح والارشاد وقد عدها القدماء امثالا ، موجزة كانت ام مطولة

هذا في ما يتعلق باللغة والاصطلاح اما المرتبة فلا ريب ان القاريء يوافقني على ما للامثال من مكان مرموق في ادب كل لغة ، وانها على بساطتها تستحق ان ينظر اليها بعين الاهتمام ، ذلك لانها تصور البيئة التي نبتت فيها احسن تصوير ، وهي بما حوت من عبر وعظات تفتح آفاق الفكر على كثير من خفايا الطباع والاخلاق فنرى في ذلك كله مصداق ما قيل في المثل انه « صوت الحكمة » و « صوت الشعب » .

وعلاوة على ذلك فان الامثال تمتاز في نظري على الشعر والقصص لانها تنبثق في الغالب من صميم الشعب وتدل على خصائص الامة وعاداتها وتفكيرها واساليبها في الملاحظة والتعبير . اما الشعر والقصص فيقتصران على فريق من الشعب هم عادة ينعمون في برجهم العاجي بقسط من الرقي ولا يخلو ادبهم في جملته من التكلف والزخرف . لذلك ارى ان الباحث المدقق يستطيع معرفة عقلية الامة كما تبدو في امثالها اكثر مما يستطيعه اذا اعتمد على اراء الشعراء وروايات القصاصين .

ثم اننا اذا تتبعنا المثل في تاريخه الطويل نجد ان الاقدمين شغفوا اشد الشغف بهذا اللون من الادب الحي . فمنذ اقدم الازمنة والامثال تدور على السنة الناس ، وفي شكلها وضع اساطين الحكمة مبادئهم ، ونشر قادة الفكر تعاليمهم ، واتخذها المصلحون وسيلة لاسداء النصائح واذاعة التجارب ونصرة الفضيلة .

وهذا الشغف ما زال عند العرب حتى الان اذ ليس في الواقع لغة زخرت بالحكم كلغة الضاد ، وما من امة تستعمل الامثال في حياتها اليومية كالامة العربية . ولا غرو في ذلك فالشرق مهد المعرفة وموطن الفلاسفة وموئل الحكماء ولا ادل على اعجاب العرب بالامثال من انهم درجوا على كتابتها بخطوط مزخرفة زينوا بها حيطان بيوتهم وحوانيتهم .

ولعل لقمان الحكيم الذي ولد نحو سنة ٦٣٠ قبل الميلاد اقدم من عرفه العرب من حكماء الامثال وقد نقلت عنه بالتقليد ثم اودعت في الكتب نحو اواسط القرن العاشر للميلاد . وحظي سليمان الحكيم بشهرة في الحكمة لا نظير لها . وحسبه انه صاحب سفر الامثال . وحدثنا الرواة ان صحار بن عياش وضع كتابا في الامثال في ايام معاوية . والف عبيد بن شربة الجرهمي كتابا في الامثال . ويقول ابن النديم انه رأى الكتاب وهو في خمسين ورقة ولكنه ضاع كما ضاع كتاب صحار .. واما العلماء الذين الفوا هذا الفن فكثير عددهم عرفت منهم : ابن المقفع في كتاب (الف خرافة) المفقود والذي يقال انه قد وجد مؤخرا في روسيا .

وبايدي الناس في زماننا طائفة من الكتب التي خصصت لاصول الامثال منها كتاب في الامثال لابي عبد القاسم بن سلام و (مجمع الامثال) للميداني . وقال مؤلفه انه رجع في تاليف كتابه الى امثال عبيد والى مؤلفات تزيد عن الخمسين و (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء) لابن عربشاه الدمشقي و (سلوان المطاع) لحجة الدين بن ظفر و (عنوان البيان وبستان الاذهان) للشبراوي و (الف ليلة وليلة) لابن المقفع و (الاذكياء) لابي الفرج بن الجوزي و (الكلم الروحانية) لابن هند ثم مصنفات السيوطي وغيرها .

ونحن اذا تأملنا الامثال التي وصلت الينا باللغة العربية راينا العدد الاكبر منها وليد احداث ووقائع اعترضت العرب الجاهليين وتلونت بالحياة الاجتماعية التي عاشوها في شتى احوالهم واطوارهم وصورهم المختلفة . وقد انتقلت هذه الامثال الى الاقطار العربية بعد الفتوح ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الاقطار تشربت الحضارة العربية ولم يشذ قطر منها عن اتباع عادات العرب وتقاليدهم ، فاستعملوها وادخلوا عليها تغييرات شتى تتناسب مع لهجتهم واميالهم وظروف مجتمعهم الى ان كان عصر المولدين فاخذت الامثال المولدة تشق طريقها الى الظهور في قوة وكثرة . وذكر الميداني طائفة منها في آخر كل فصل من كتابه وسماها (امثال المولدين) وهي امثال خلقتها المناسبات الطارئة ونشأت بين الشعوب المستعربة وانتمت الى بيئاتهم المختلفة ، بعدما انقسمت الامة العربية الى دول وممالك وامارات ، وعبرت عن افكارهم ونزعاتهم ووجهة نظرهم في الانسان والكون والحياة حتى انتهت الى العصور الحديثة في الامثال الدارجة .. وهكذا اصبح على مر الازمان لكل قطر او اقليم امثال تحمل طابعه المحلي وتنطق بحياته الشعبية الصحيحة .

ونحن اللبنانيين لنا كغيرنا من ابناء الاقطار العربية امثال

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاصة حافلة بدقائق المعاني ورائع الاحساس وتتميز بانها ثمرة تجارب طويلة ، وخبرة ناضجة ، تفيض بالصور الصادقة ، والمواعظ الخلقية الدالة عل سمو التفكير وعلى نظر هادىء حكيم . وقد احتضن اللبنانيون الامثال العربية وعني بعضهم بجمع ما تبدد من الامثال الدارجة فى لبنان واشهرهم : المنسنيور مخائيل فغالي تضمنت مجموعته أمثالا مترجمة الى اللغة الفرنسية . والاب نخله اليسوعي ومجموعته تألفت من اربعة اجزاء . وانيس فريحة ومجموعته فى جزئين وهي مترجمة الى اللغة الانكليزية . ولحد خاطر جمع كتابه الامثال المختصة بشهور السنة .

وانا قد عنيت بدوري فى جميع ما جمعت من الامثال السائرة على السنة العامة دون الفصحى . وليس معنى هذا اني اهمل الامثال الفصحى او اتغاضى عن قيمتها العلمية والادبية . كلا . فكل ما اريد قوله هو انها مدونة فى الكتب وان معظمها يعود فى نشأته الى العصر الجاهلي وما بعده . اي انها بعبارة اوضح تحمل نصيبا غير قليل من تراث العرب الاقدمين وعاداتهم وتقاليدهم وليست صدى لمزاجنا وجوهر طباع العصر الذي نحياه فى لبنان .

وليس ادل على ذلك من استعمالها المتضائل . وهي تبدو بحكم الزمان فى معانيها وصيغها مستعصية على الفهم ما لم تلحق بالشرح والتفسير .

ولا ريب ان قراء مجلة الاديب الغراء قد لاحظوا من الامثال التي نشرتها فى بعض اعدادها اني رتبتها لا على حسب حروف المعجم على النحو المألوف فى المجموعات القديمة والحديثة بل رتبتها ـ لاول مرة ـ على حسب موضوعاتها التي تشمل مرافق الحياة الاجتماعية حتى اذا شاء القارىء ان يتبين راي جمهور اللبنانيين فى احد المباحث تيسر له وجود الاراء المتجانسة والمتضاربة مضمومة ضمة واحدة فى فصل خاص . وعلاوة على ذلك فقد عنيت بشرح المثل وتفسيره بكلمة موجزة واستوفيت النادرة التي اشتق منها للوصول الى الغرض من اقرب سبيل .

وما نشدت بنشرها الا خدمة العلم والادب والثقافة . ولعلي بالغ غرضي اذا تم لهذه الامثال ان تعرض امام قراء العربية فى مختلف اقطارهم ما درج عليه اللبنانيون من اخلاق مطبوعة وما شاع فيهم من عادات موروثة واحداث مأثورة تبرز الحياة الشعبية فى لبنان فى صور حية مقتضبة . تلك الصور التي طالما ضل الغرباء فى الحكم عليها لتطلعهم اليها من خلال طبقة الخاصة وهي كما يقولون (وجه السلة) ... لا الجماعة ولا الشعب باسره . مثلهم فى ذلك مثل السائح الذي اقبل من بلاد بعيدة وشاهد لاول وهلة امراة بيروتية شقراء فكتب الى اهله يقول : ان نساء لبنان شقراوات ...

الى هذا قصدت حين وقفت جهدي على جمع الامثال الدارجة فى لبنان . وما رائدي فى المعلومات التي احتوتها الا توجيه الاذهان الى فهم عقلية الشعب اللبناني وتطورها. ففي امثالنا الدارجة (اللي ما بيعرفك بيجهلك واللي بيجهلك بعاديك) وقال الامام علي بن ابي طالب (الناس اعداء ما جهلوا) . ومما لا نزاع فيه ان التعارف شرط اساسي فى المودة . وهذا التعارف المنشود اذ تحقق سيوثق روابط الالفة بين الشعوب التي وجدت فى تتحاب وتتعاون فى مهمتها الوطنية والانسانية .

واني لواثق بأن المتتبع للامثال اللبنانية سيجد فيها عالما زاخرا بالطرائف يحمله على ان يتبنى فكرة افلاطون الذي استهوته معاني الامثال المنقوشة على قواعد التماثيل المنصوبة فى ساحات اثينا فقال كلمته الخالدة : هي دروس ممتازة فى الاخلاق يتعلمها السائح فى تجواله بهذه البلاد !..

شفيق طباره

الهدية والملاح الصغير

ومثلما تفر دمعة عزيزة بجفن كبرياء
قد ابحرت سفينتي كطفلة بلا رداء
ملاحها مغامر لا يعرف البحار
من يجهل الغرام يا حبيبتي يحار
الليل حول افقه جدار
عيناه كانتا بحيرتين للدموع قاعها بلا قرار
ونجمتين خافتا من السقوط
مسافر تغتاله الرياح فى الشطوط
وقطرة مذهولة المصير في المحيط
حبيبتي وكنت ذلك الذي يصارع الثلوج والضباب
بعثت طائري الى الصباح غاب
الحزن في القلوب شاب
وفجأة يدق باب
وعاد طائري جناحه سحاب
وفوق رأسه هدية من دجنة الشفق
الوردة التي بعثها جزيرة حمراء فى الافق
سفينتي لن تعرف الغرق
ففي بحارنا جزيرة كشاطىء الضياء
تضم دمعة عزيزة
تفلتت من جفن كبرياء

القاهرة **محمد ابراهيم ابو سنه**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البلد الجميل للنفوس الجميلة

بقلم الدكتور علي شلق

لبنان بلد جميل .

اللبنانيون ، شعب جميل العيشة ، حسن الصلات مع بقية الشعوب .

لكن طبيعة لبنان ، كاملة الجمال .

سوى ان نفوس اللبنانيين لما تكتف جمالا .

عند الحديث عن الطبيعة ، عن الجمال ، عن الانسان ، يمر الكلام في السمع ، طافرا ، فلا يثبت منه الا القليل في البال ، وهنا تتحرك اشواق الناس ، وتسأل عن هذه الاشياء الثلاثة الكبرى ، ما حقيقتها ؟

الجمال توازن ، ووفاق ، له طريقان الى الوجود ، الاول بالطبيعة ، الثاني بالانسان .

اما حقيقته ومصدره ، فالابانة عنهما لا تخضع لمقاييس اللغة والمنطق ، اذ هو من عالم الصور ، من وجود حقيقي ، جوهري ، تتحسر نفوس البشر الى احتضانه ، والانغمار في جوه ، والتمادي في افاقه . وكلما التمعت الوانه للعين والقلب ، يلتهب الحنين في اعماقنا ، وتلتفت الذكرى ، اين ، وكيف ، ومتى ؟

تقول الحكمة القديمة ، ان النفوس البشرية كانت تعيش في الجمال ، فعندما فارقت عالمه ، نسيته ، وغفلت في دهاليز المحسوس ، ولكن الجمال تهب نسماته احيانا ، فيوقظ الحنين والذكرى ، لينقلنا من عالم الشقاء والمادة ، الى عالم الصفاء والسعادة .

عندما نتأمل الجميل ، نشعر اننا خلعنا عنا ثياب ، المشاكل ، والغبار ، والوحول ، ونفينا عن نفوسنا نتوءات كانت من اثر التعب ، والحقد ، والطمع ، والصراع ، والاستكانة ، وجميع ما يعوق الروح عن ان تسبح في غبطتها ، وصفائها .

عندئذ نشعر اننا والكمال شيء واحد ، لاننا هنالك في عالم الوحدة ، عالم الصور ، حيث الوجود كل ، وليس في مداه جزئيات عابرة ، ناقصة ، متغيرة ، ساعتئذ نخلص من قيود الزمان الذي هو رمز الفناء ، ومن دهاليز المكان الذي هو جمود ابله ، ومن سلاسل العلل والاسباب التي هي سجون للارواح ، تعوقها عن تأمل ذاتها ، عن التمادي في أوقيانوس الجمال ، قطرات سعيدة ، حالمة .

بالجمال ، نعانق ذواتنا ، نفتح نوافذنا على الوجود ، نضم الكون بين اذرعنا في اعمق وصال روحي طاف على الديمومة .

بالجمال نجد اننا معصومون من كل سوء كما يقول الشاعر غوته ، واننا في وفاق مع انفسنا ومع العالم ، واننا خلصنا خلاصا فيه النجاة من كل تهمة .

واذا كان الجمال انسجاما ، على مذهب رودان ، فهو في مظهره لون ، وفي ضمنه ، نداء . واللون مسحة تبدو على سطح الجميل ، اذا وقف عندها المتأمل ، بقي على الشاطىء ، اما الضمني في الجمال فهو الذي يناديك في الجميل ، لتتذكر الينبوع المصدر ، الذي نبع منه كل جمال ، والذي نحن صائرون اليه .

اذن كل جميل متغير ، جزئي ، فيه شيء من الجمال الكلي الخالد ، وبهذا تبدو دائرة الوجود محكمة ، متناغمة الدوران ، ترفل في بهجة سيرها نحو الالتقاء بجنتها ، التي هي اكتفاؤها بذاتها .

اما الطبيعة ، هذه الانثى الكبيرة ، لا نلتفت بصددها الى ما يسمى طبيعة الجماد ، او النبات ، او الحيوان ، بل نرمي الى ما يشمل هذه الكائنات جميعها ، كمظهر معبر عن الوجود ، مثلما هو معبر عن الجمال ، موازيا للانسان ساعة ، يتأمل ، وينشرح ، ويأنس . عندئذ تبدو هذه الطبيعة وكأن لها عقلا وشعورا ، هما يبنيان شخصيتها .

هنا تقابل الطبيعة الانسان ، يعطيها وتعطيه ، وكل منهما يمنح على شاكلته ، فيبدوان عند الالتقاء ، صديقين ، حميمين ، متلازمين . الانسان يفرغ عليها من كيانه ، فيلبسها ثيابه ، وينقل من ذاته ، قلبا ، وعقلا ، وصوفية اليها ، فتفتح له صدرها ، كما تفتح الام ذلك الصدر لطفلها ، فتدر له من ثديين لا ينضبان افاويق الحقيقة ، والفن ، والخلاص .

وفي لبنان ، تبدو هذه الطبيعة منحازة عنها في سائر بلاد الله . قد لا تقف على مطل ، او تفتح شباكا ، او تهبط واديا ، او تستظل تحت غصون ، الا ويدعي كل شيء من هذه الاشياء انه الاجمل ، مثل قاعة المرايا ، كلما التفت ، ارتك الواحدة صورة عنك في صفاء وائتلاف ، فتحسب كلا منها انها الافضل ، فلا تفعل اكثر من تعداد التلفت . وربما جاء نادرا في بقاع الارض ان تملأ نفسك بجلال البحر وابعاده ، بمتعه المتعددة المختلفة ، ثم تستقل عربة تصل بك في اقل من نصف ساعة الى علو الف متر عن سطح البحر ، فاذا بك في جو اخر ، ومناخ متمايز .

وهذه البيوت المنثورة على السفوح ، والذرى ، التي رصفها اللبناني بحجارة من مقالع بلاده ، تكاد وهي تنغمر في الخضرة ، تشارك الطبيعة بالايراق ، والفرحة الحلوة ، رعندما يخلع زنجي المساء ثيابه ، وتنفتل الشمس وراء ستار الشفق الملغوز، يخيل اليك ان هذه البيوت بقناديلها، موصولة بالسماء ، تمد بساط السمر للملائكة والاطياف ، وكأن النجوم محت الحدود بينها وبين جبالنا ، وقد يكون الجار في بعض الاحيان من قرنة البيت ، ولذلك عذب ان يقول شاعر من لبنان ما هو في الواقع صدى ، وصورة ، واستشراف :

معمربـــن بيـــوت ، عا حفـــاني النجـــوم
لا تمـــد ايـــــدك للتربـا بتحجبـــــا
اســا الشمس ما كوربـت لولو الكـروم
متشربكـي بالبـــدر نسجتلـو عبـــا
ميـن لفتـح شبـــاك عاموج الضبـــاب
مشرعـا نجـوم السما ، تسكـر تفيـــق
نحنـا لزرعنـا الحســن شبكي بكل بـاب
تا كـل ســايح يلتفـت طـول الطـريـق

والانسان فى لبنان ربيب هذه البيئة الفاتنة ، ولكنـه بالرغم من تأثره بها لما يخدمها ، ويتعرف آلى محاسنها ، وروائعها كما ينبغي ، فيفيد ، ويستفيد .

الذين زاروا اوروبة من اللبنانيين ، يعرفون الى ايـــة درجة بلغ حب الناس للطبيعة ، فالتكشف الريف امسيات ايام العطلة ، شيء مقدس لديهم ، كل حسب مستـــواه الاقتصادي . ثم انهم لم يتركوا شبرا واحدا من بلادهم لم يساعدوه على اظهار حسنه ، وبهجته كي يجذب اليـــه الاخرين ، من بقاع العالم المختلفة .

الانسان هناك يساعد الطبيعة على ان تتكامل شخصيتها انه يضيف عقله ، وخبرته الى حيويتها ، فاذا بها تحفظ له هذا الجميل ، وترد له صداقته باحلى ، واطيب ما يعبر عنه عارفو الجميل ، ولهذا قام فى الغرب فن جميل لـــه مقداره من علم الجماليـات الا وهو فن تنظيم البساتين ، كما قام فريق من رجال الفن باستخدام الطبيعة مثلمـــا يستخدم الكاتب الحروف ، والنحات جسد المراة ، فاذا بهم يعرفون بطابعهم الخاص انهم فئة الريفيين .

ونحن هنا فى لبنان ، ماذا فعلناه لنغري السـائحين ، لنرسخ حب لبنان فى قلوب اللبنانيين ، لنخلق من بلادنا جنة للعرب ، جنة للناس أجمعين ؟

هذه جبال القموعة ، تلك السطوح العالية التي تسمر عليها النجوم ، والتي تريك مرتمى الارض الفسيح ، بعيدا بعيدا حتى يطل الخيال ، لا نجد ان لها طريقا يطمئن اليه الساعي على قدم ، او الراكب على راحلة ، او المستقـل سيـارة .

هذه مطلات دده فى الكورة ، ومشـارف رأس الشقعة قرب الهري وحامات ، وتلك ذرى حريصا ، هـل اقـام اللبنانيون سلطة وشعبا ، فنادق ، ونوادي ، ومنتزهـات لكي يتفرس اللبناني وغير اللبناني بملامح بلاده ، ويعشـق جمالها المستفيض على الاكوان ؟

ان الجمال ، بتأمله ، بالمكوث فيه ، يهذب ، ويرفع ، ويكمل اكثر من جميع ما تبذل مؤسسات الاجتمـــاع ، والاخلاق ، والتربية والدين فى العالم .

لمـــاذا ؟

لانها جميعها تبني الانسان من الخارج ، تتصل باذنيه ، وتتخذهما بابا الى قلبه ، بينما الجمال ينبع من الداخل ، مستجيبا لنداء الخارج ، وهو كما قال ابو الطيب :

« يشق القلوب قبل الجيوب »

متى وجد اللبناني ان العناية امتدت آلى طبيعة بلاده ، فسوتها بالانسان ، استطاع ان يخلص من رواسب كثيرة ، ويتفرغ لتصفية ذاته من كثير مما علق بها ، فاذا بنا نبلغ بمساندة الطبيعة الجميلة ، مرتبة عليا للجمـــال ، واذا بالسلطة ، والمجتمع ، والناس قاطبة يفرحون لفرحنا بلبنان ، ويهتفون بانفتاح على الاكوان ، تساويه الصلاة عند الاماسي والاصابيح بابتهال ، «البلد الجميل للنفوس الجميلة» ...

علي شلق

ميلي بوجهك

ميلي بوجهك ان الصد يرضيني
يا غادة اتقنـت فـن الشياطيـن

تجاهلي الحب والماضي فما بقيت
في القلب ذكرى تناجيني فتشجيني

تنفس القلب بعد الويل وانقشعت
غيوم صيف ولم تهطل لترويني

وغاب وهم ثقيـل الظـل لازمني
كالهم يصحب افكـار المساكيـن

لو تعلميـن بنسيان نعمـت بـه
لما تصنعت افعـــال السلاطيـن

الامس ولى فمن انت فقد نسيت
نفسي هواهـا باشواك البساتين

اني لابحث عـن حبي ومـاضيه
فلا اجد غيـر اجداث مـن الطين

ما كان زهوك في الماضي ليقلقني
فكيف في الحال تغريه ليرديني؟!.

بغداد — **حارث طه الراوي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترقى للقمر
وتعيش مئة
وماذا ؟
ماذا بعدها ؟

ضاقت بك الارض
تريد المريخ
والزُهرَهْ مأربا
وماذا ؟
ماذا بعدها ؟

اتحسب انك
نلت السعادة
مغنما ؟

فما يجديك هذا
هيهات ان تخلدا
ستبقى انت انت
تكد وتشقى
يضج في اعماقك التراب
ونفسك
تبقى سراً مغلقا

ويحك
لو كنت تعقل حقا
لاختصرت المدى

خـــاطـــرة

●

البير اديب

●

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ نهلة .. كم أحبك يا نهلة .
ـ نزار .. كف عن هذا الكلام .. نحن في مكتبة .
ـ احبك يا نهلة .. القمر في السماء يستعير من نار حبي ضياءه .
ـ انت مجنون ...
ـ انا محروم يا نهلة . انا ظمآن . وانت النبع الذي يرويني .
ـ كف عن هذا يا نزار .. انت احمق .

* *

تلقفتني اختي بحيرة بانت على وجهها المدور الصغير .. واومأت بيديها في عصبية وقالت : ابوك في غرفته . ولم يكن الرد على هذا ليتطلب اكثر من ان افر الى الغرفة الجانبية .. اغوص في فراشها الارضي البارد .. ابحث في جهد عن مأمن مما سيحدث لو علم ابي اني عدت الى البيت في هذه الساعة المتأخرة .

اسرعت الى الغرفة .. نزعت ملابسي في عصبية وارتديت ثياب النوم . اسدلت ستائر النافذة الخشبية . واقعيت في ارض الفراش أنظر في كتاب مدرسي مقيت ... والخواطر تتدافع الى راسي جاهدة في ان توضح لي ما علي ان احدث به ابي بعد قليل حين يلج الغرفة . وعلى حين لم استجمع شتات افكاري المبعثرة الضائعة .. احسست بحركة خلف الباب .. وبطيف انسان يمشي في هدوء . وفتح الباب .. وولجت منه أختي .. عيناها نجمتا سماء ، وتقدمت من فراشي وهمست ارجوك ان تخبره الحقيقة . لا تكذب عليه .. هو دخل غرفتك قبل ان تجيء .. وبحث عنك . ارجوك يا نزار .. اخبره انك كنت عند احمد .. هو سيثور قليلا لكنه سوف يستعيد هدوءه في سرعة .. ارجوك . ثم استدارت بعد ان غطت نجمتي السماء سحابة احزان .. ووثبت بخفة وهدوء متكلفين .. واغلقت الباب خلفها .. وتركتني في انذهال

كنت قد قررت ان اضع حدا لحياتي التعسة .. لكن ملامح الخطة لم تتضح بعد . هي ما زالت افكارا تضيق بها جمجمتي الصغيرة القابعة في انكسار فوق كتفي الصغيرين .. والتي ما انفك شلال من الاحزان ينهمر فوقها بعنف . كان تنفيذ الخطة يتطلب بعض التضحية . ولعل فكرة التضحية في سبيل شيء ربما كان افضل لم تتمكن من السيطرة علي . كنت اعلم ان مثل هذا الامر قد يجعلني اخسر اكثر مما اربح . وانا انسان قد تسيطر عليه العاطفة في كثير من الاحيان .. انما لن ادعها الان تقهرني وتضع بيني وبين صوت العقل الذي ما يزال يسمع هديره في اعماق اعماق الجمجمة الصغيرة .. سدا عاليا . ان عقلي يعرف عن ابي اكثر مما

هذا الحقير ...

بقلم صفوان قدسي

تعرفه عنه زوجاتي . ان العقل ليصرخ في اعماقي : كن حذرا يا نزار .. لا تتعجل . وانا اعرف نفسي .. طول عمري منذ ان وعيت وجودي عبد لابي .. اغترف كل يوم بلا حساب من ضيق خلقه .. من تجهمه .. من كآبة صمته .. وحين يتخلى عن صمته كنت افر الى فراشي الارضي البارد .. اغوص فيه كصنارة تبحث عن صيد لصاحبها عسى ان يكف عن ضجيجه .

انا اعرف نفسي .. مات حقدي في ليلة شتمت فيها ابي وانا متمدد في فراشي .. وامسى الحقد شيئا هادئا يسكن في اعماقي .. ما اشد غباء الانسان ؟. يلتجيء الى وسائل في غاية التفاهة لينفس عن ضيق او تمكن من تنفيسه بغير هذه الوسائل لاستحال ذئبا غامضا يفرز انيابه المتوحشة في اللحم الابيض .. الانسان طيب ما يزال .. ولكن هل تجدي هذه الطيبة ؟.

كنت احسب ان تعاقب الايام لربما يغير من الحال شيئا .. لشد ما تمنيت هذا . ولكم حلمت بأن يعود الصفاء يغمر بيتنا . ولقد احسست منذ البداية ان الحال لن يتبدل .. لكني ابيت على نفسي الا ان تصيخ السمع لصوت العقل الهادر في اعماق اعماق الجمجمة الصغيرة .

لقد خذلني العقل هذه المرة .. فأبي لا زال ابي .. ثقيلا في حديثه .. صارما في تصرفاته .. يحمل غلظة في قلبه .. قاسية ، وان كانت ملامحه تفتقد هذه الصفات . هو يلوح للناس مثالا يحتذى .. والشباب الحائر القلق يجدون فيه الاب المثالي الذي افتقدوه في بيوتهم .

لقد خذلني العقل هذه المرة .. لسوف احطم جمجمتي الصغيرة فوق بلاطات غرفتي .. ولن اجد في ذلك غضاضة ، فلقد صورت لي الاشياء على غير ما هي .. وجعلتها تلوح في مخيلتي صورة تنضح بالروعة والجمال . الان اكتشفت انها صورة شوهاء كامرأة عجوز في آخر ايامها .. ليس فيها ما يرضي . لشد ما اتوق الى تمزيق الصورة .. لقد بدت لي حياتي على حقيقتها . كنت احسب ان امي التي احببتها من كل قلبي تستطيع أن تقف حائلا بيني وبين يد ابي القاسية . لكني اكتشفت للتو انها تقف في صفه ضدي .. لعلها لا تريد ان تقطع ما اتصل بينها وبين زوجها . .واختي مترددة لا تبدي موقفا معينا .. هي تترنح بيننا .. لا ندري الى اي جانب تقف .

اني اختنق .. الضيق يلف حباله حولي ويجذبني بلا هوادة في متاهات بعيدة من الانذهال والتأمل .. تنداح في اعماقي اصوات سنين سقيمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الضيق والفشل و الاحساس بالعزلة والفراغ . يبدو لي بيتنا زنزانة ابدية فى سجن قدر كتب علي ان احيا فيها .. واموت فيها . وغرفتي .. سرداب معتم خانق فى جوف الارض المتجمدة . الجدران البيضاء فى عيني تلوح سوداء قاتمة. والذي كنت احسبه لشهور تصرمت سعادة لا نهاية لها .. قد تفتحت عليه عيناي فاذا هو شقاء .. او لربما هكذا بدات تلوح لي الاشياء .

قلت لابي فى لحظة من لحظات انشراحه :

ـ ابي .. الام اظل هكذا ؟ . الن تسمح لي بالذهاب الى السينما مع اقراني ؟.

وللتو .. استحالت عينا ابي بؤرة جمر تنضح شررا لايذري .. وتشنجت عروقه من العنق .. وانهالت الشتائم فوق جمجمتي الصغيرة كشلال من الحجارة :

ـ اخرس يا لئيم .. تريد ان تذهب الى السينما ؟. حرام علي بعد اليوم ان اراك حيا ان فعلت .

وللحال .. انفلت من الغرفة التي فيها ابي .. فارا من الكلمات التي تهوي على راسي كساطور اخرس .. تدفعني الى افكار مبهمة غامضة اغوص فيها .. انحدر الى قعرها .. ابحث عن الجوانب الخلفية لها . ولا انتهي الا وقد ركبتني موجة قاتلة من الضيق .. من الحنق .. من الشعور بالامتلاء ..

ها هي ملامح الخطة بدات تتضح فى راسي شيئا فشيئا . وها انا قد شرعت فى تنفيذها من حيث لم اشعر . ان شيئا غامضا فى اعماقي يشدني اليها فانساق كخشبة فوق سطح ماء متدفق فى نهر عريض . ان رغبتي فى ان اتخلص من الاثقال المشدود اليها لتسوقني الى سلوك هذا الطريق . حلمت بأن امزق الاغلال من الداخل . .من داخل نفسي . ولن تتضح الحقيقة لابي . ان شوارع نفسي مقفرة .. سأغرس فيها بضع حبات من الورود .. ولسوف ارويها بالدموع المحزونة النابعة من اعماقي. ووقتها تكون الشوارع المقفرة من كل ما هو جميل .. غاصة بكل جميل .

* *

ـ نهلة .. كم احبك يا نهلة .

ـ نزار . .كف عن هذا الكلام.. نحن فى مكتبة .

ـ احبك يا نهلة .. القمر فى السماء يستعير من نار حبي ضياءه .

ـ انت مجنون ..

ـ انا محروم يا نهلة .. انا ظمآن. وانت النبع الذي يرويني .

ـ كف عن هذا يا نزار .. انت احمق .

* *

قالت نهلة ونحن نعبر شارعا مقفرا ينأى عن المدينة :

ـ انت سعيد يا نزار .. تبحث عن الحب فتجده دونما عناء . اما انا .. فمنذ ان وعيت نفسي فتاة ناضجة ، ابحث عن الحب فى صدر شاب . انت بعد صغير يا نزار .. صغير على الحب . عساك تكبر سريعا وتلقى التي تحبك .

كان مثل هذا الكلام كافيا لان يثيرني ويقتلع من ذاتي قلاعها التي تشدها الى الشاطىء.. فتنأى السفينة وسط العواصف الهائلة فى البحر المائج .. وربما تغوص . لكني قلت :

ـ انك تبالغين يا نهلة .. لم اجد الحب سراعا كما تتصورين .. بحثت عنه فى بيتي .. عند امي .. عند ابي .. بيد اني لم اجده . بل لقد افتقدته سراعا .. حتى وجدتك انت . رايت فيك الشاطىء الذي تهفو اليه سفينتي .. ترسو فيه بأمان . محال ان تقلع السفينة عن الشاطىء الخلاب .

ـ لست اقول لك دعني.. ارجوك ان تفهمني . محال ان نستمر هكذا .. لقد بعدنا عن الشاطىء ..اخشى ان نضيع يا نزار .

ـ لو تعلمين يا نهلة كم انا معذب .. يائس لست اجد فيك غير المأمن الهادىء الذي يجعلني انسى واقعي . ليتك تعلمين اني لست احبك ذلك الحب الذي يفهمه الناس.

كنت اجد فى الحديث مع نهلة متعة كبيرة برغم ما كانت تفوه به احيانا من حماقات . وكانت ارادتي المسلوبة تدفع بي الى اللحاق بها حيث تكون وبرغم اني احسست بتهربها المتواصل من لقائي.. فاني استمررت فى حماقاتي . كنت ادرك ان المحال ان نلتصق فى فراش .. وانه لا بد من مفارقتها عاجلا .. لكني كنت اهرب من أفكاري .. من الافكار التي تصيح بي فى جراة : نهلة سترحل قريبا .. لربما خارج الحدود .. الى بلاد كرومها شهية .. شمسها نضرة .. وتنعم بالحب .

قالت لي نهلة :

ـ نزار .. لربما ارحل قريبا .. مع زهدي .

ـ مع من ؟

ـ مع خطيبي .. زهدي .

ـ ومتى حدث هذا ؟هل تمزحين؟

ـ لا يا نزار .. سنفترق . كن عاقلا .. ابحث عن الحب حين تكبر.

ـ ولكن ...

وكان بودي ان اقول : ولكن .. اين لي الصدر الحنون الذي يجلو عن نفسي ما بها من ضيق واحساس بابتعاد الناس عني ؟ لكني سكت.. تمنعت عن الكلام .. شردت في انذهال .

ـ نزار .. اين انت .. كلمني ارجوك .. ما بك ؟

تحطمت الجمجمة الصغيرة .. شلال نهر الحجارة انهمر عليها فحطمها . يبدو لي ان لا ارض لي فى الحياة .. لم لا ارحل عنها بعيدا ؟ لن ارجع الى البيت .. لن ارجع . سأفتل الشوارع كالكلاب الجائعة .. لن اعود الى بيت الاحزان.. الى القبر الذي جدارنه تعلوها عفونة جائعة .. الحزن فى قلبي يغمرني كغريق فى نهر عريض . الاضواء تلف المدينة.. لكأن الناس كلهم فرحون لحزني .. صيحاتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امـــي ..

خمسون عاما .. ليلها يسابق النهار
تعيش بين جدران .. كأنها السوار
تؤدب الكبار ..
وترضع الصغار ..
وتطعم الطيور ..
وتخبز الفطير ..
وتكنس التراب ..
وتغسل الثياب ..
وتصنع الحياه ..
وتستحم كلما ارادت الصلاه !!

فالوا لها ليلة ان زفت الى ابي
« لا تغضبي !!
بيتك هذا فالزمي .. لا تبرحيه
الا الى القبر ... لتسكنيه !! »
فاخلصت تعمل بالنصيحه ..
حتى تعيش مستريحة !

رانفقت شبابها وما تلا شبابها
لا تتخطى بابها !
خمسون عاما .. ليلها يسابق النهار
تعيش بين جدران كأنها السوار
حتى قضى على حياتها الزلال
وزفها لقبرها السعال !!

رايتها في الحلم ذات ليلة رهيبه
محزونة .. مهمومة .. كئيبه
تقول لي بصوتها الحنون ..
كأنه الصدى .. صدى السنين :
« بني .. لو تقر بالزواج والبنين
فانما الزواج يا بني نصف دين
وانتموا يا معشر الرجال ..
بلا نساء .. عيشكم محال !! »

ومرت الايام واتخذت لي شريكه
رايت امي في منامي هشة ضحوكه
رايتها في الحلم بعد ليلة الزفاف
تقول لي « عليك بعد ، لم اعد اخاف
بني .. كن اسعد حالا من اخيك
ومن ابيك !!
وابن على الحب الزواج ..
فاننا كنا نساق كالنعاج !! »

القاهرة — عفيفي محمود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تختنق في دوامة الضجيج الهائل المنبعث من قلب المدينة .. من الجموع الهائمة في الشوارع دونما هدف .. فاليوم عيد .

الناس في ابهى حلل .. تغمرهم سعادة قصوى .. يبحثون عن الحب في صدر ام .. في ذراعي اب .. او في فراش دافيء تلهبه الانفاس المترددة . والشفاه تلتقي ..

سبح الحقد في دمي ثم تخثر وامسى شيئا كئيبا يتحرك بسرعة في اعماقي .. تقلصت عضلات وجهي وتحركت في آلية رتيبة .. استحال الحقد نصلا حادا لمدية متوحشة . سأسمح ببعض الحرية للحقد الذي تغلغل في اعماقي مخيفا .. يمزقني . ابحث عن مكان اتقيأ فيه الحقد الذي عبثه .. اجده عند شاب متأنق مع فتاة نضرة كشمس ربيع .. يمرحان في الشوارع . سوف انتقم لنفسي .. سالحق بهما .. اغرز مديتي في حلوق الحمقى .. اغوص في الدم الاحمر .. اشرب منه حتى الثمالة .. ارقص فوق الجثث بجنون .

المدينة تختنق ... انتقمت لنفسي .. غرزت الحقد الذي استحال نصلا حادا لمدية متوحشة في حلق انثى وفتاة .. ماتا امامي وهما يتعانقان .. ركلتهما بقدمي .. ابعدتهما عن بعض .. لكنهما عادا الى الالتصاق حين سقطا على الارض الموحلة .

المدينة تختنق .. الحزن في القلوب على انثى فتاة وفتاة . لقد انتهيت .. عقارب ساعتي كفت عن الدوران والتلاحق .. المدينة تجمدت .. امي تنتحب .. ابي يمسح مقلتيه بمنديل .. اختي تبحث عن احلى الورود لتزين بها قبري . الحزن يأكل المدينة .. يرهبها . والحزن يغرق بيتي .. يلتهم قلوب ساكنيه .. يمسح شفتيه الغليظتين في اجسادهم .. يؤرقهم بضع ليال .. فالحقد قد استحال نصلا حادا لمدية متوحشة .

دمشق — صفوان قدسي



● مسرح توفيق الحكيم ـ تأليف الدكتور محمد مندور ـ ١٤٠صفحة ـ حجم كبير ـ الحلقة الثانية من سلسلة المسرح النثري ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة الرسالة (؟)

● الشعر الحديث في الاقليم السوري ـ تأليف الدكتور سامي الدهان ـ ٣٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة

● خصائص العربية ومنهجها الاصيل في التجديد والتوليد ـ تأليف محمد المبارك ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة

● جماعة ابولو واثرها في الشعر الحديث ـ تأليف عبد العزيز الدسوقي ـ ٦١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة رسائل وبحوث ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ ـ مطبعة الرسالة (؟)

● المجتمع العربي بالكويت ـ تأليف عبد العزيز حسين ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● المنهج العلمي في دراسة المجتمع : وضعه وحدوده ـ تأليف الدكتور حامد عمار ـ ١٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة بعض مفاهيم علم الاجتماع ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة الرسالة (؟)

● القانون المدني : نظرية العقد في قوانين البلاد العربية ـ اثار العقد وانحلاله ـ تأليف الدكتور عبد المنعم فرج الصده ـ ١٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر

● اتفاقيات وعقود البترول في البلاد العربية ـ الجزء الثاني ـ جمع واعداد الدكتور محمد لبيب شقير وصاحب ذهب ـ ٢٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة وثائق ونصوص ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ المطبعة العالمية بالقاهرة

● الميزانية العامة : قواعد اعدادها وتطبيقاتها في بعض الدول العربية ـ تأليف الدكتور محمد علي مراد ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة

● الاساليب الرياضية في البحث الاقتصادي : التفاضل البسيط ـ تأليف الدكتور زكريا احمد نصر ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ المطبعة العالمية بالقاهرة

● جامعة الدول العربية ـ تأليف الدكتور محمد حافظ غانم ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة

● النظام القانوني للبحار ـ تأليف الدكتور محمد حافظ غانم ـ ٢٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة

● الملاحة الداخلية في التشريع العربي والمقارن ـ تأليف الدكتور محمد كامل امين ملش ـ ٢٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ مطبعة الرسالة (؟)

● شهران في المانيا ـ تأليف عبد الهادي البكار ـ تقديم الامير يحي الشهابي ـ ٢٢٤ صفحة ـ مع عدة صور ـ مطابع الجمهورية العربيةبدمشق

● اعطنا حبا ـ مجموعة شعرية ـ فدوى طوقان ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

● عيناك مهرجان ـ مجموعة شعرية ـ شفيق المعلوف ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

● شعراء نجد المعاصرون : دراسة ومختارات ـ تأليف عبد الله بن ادريس ـ ٣٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر القاهرة

● حواء عارية ـ تأليف عبد السلام هاشم حافظ ـ ١١٢ صفحة ـ المطبعة الدولية بالقاهرة

● فاطمة وقصص اخرى : من واقع البيئة الحجازية ـ تأليف عبد السلام هاشم حافظ ـ ١٢٨ صفحة ـ المكتب الفني للنشر بالقاهرة ـ مطبعة دار الجهاد (؟)

● الى ابنتي كلودا ـ تأليف فاضل سعيد عقل ـ ٨٨ صفحة ـ حجم صغير ـ مطابع البيرق ببيروت

● انشودة المطر ـ مجموعة شعرية ـ بدر شاكر السياب ـ فازت هذه المجموعة بجائزة مجلة شعر لعام ١٩٦٠ ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مجلة شعر ببيروت ـ مطابع دار مجلة شعر ببيروت

● غدا نلتقي ـ مجموعة شعرية ـ للشاعر السوداني سيد احمد الحردلو ـ تقديم الشاعر السوداني تاج السر الحسن ـ ١٤٨ صفحة ـ مزين بالرسوم ـ مطبعة دار الهنا بالقاهرة

● ديوان حسين الكربلائي نابغة الادب الشعبي العراقي ـ الجزء الاول ـ تقديم عباس علوان الصالح ـ وتعريف في الادب الشعبي بقلم سلمان هادي الطعمة ـ ٦٤ صفحة ـ الكتاب الثالث في سلسلة الادب الشعبي التي تصدرها مطبعة اهل البيت بكربلاء ـ مطبعة اهل البيت بكربلاء العراق

● المسلمون العلويون من هم ؟ واين هم ؟ ـ تأليف منير الشريف ـ طبعة ثانية منقحة ومضاف اليها فصول جديدة ـ ٢٥٨ صفحة ـ مع عدة رسوم ـ حجم كبير ـ المطبعة العمومية بدمشق

● قاموس التربية وعلم النفس التربوي ـ وضعه الدكتور فريد جبرائيل نجار من اساتذة التربية بالجامعة الامريكية في بيروت واستاذ التربية بالجامعة اللبنانية ـ بالاشتراك مع السيدة فايزة معلوف انتيبا من اساتذة التربية بالجامعة الامريكية والدكتور نعيم نقولا عطية من اساتذة التربية بالجامعة الامريكية والدكتور ماجد فخري من اساتذة الفلسفة بالجامعة الامريكية ـ باشراف الدكتور حبيب امين كوراني رئيس دائرة التربية بالجامعة الامريكية في بيروت ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دائرة التربية بالجامعة الامريكية فى بيروت ـ مطابع دار الكتاب بلبنان .

● منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين ـ تاليف ثريا عبد الفتاح ملحس ماجستير فى الادب العربي ـ ١٦٠ صفحـــة ـ منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت ـ مطابع دار الكتاب اللبناني ببيروت

● مجامر ـ مجموعة شعرية ـ جورج غانم ـ ١٤٤ صفحة ـ المطبعة المخلصية بصيدا لبنان

● استقاء الانباء فن : صحافة الخبر ـ تاليف ستانلي جونسون وجوليان هاريس ـ ترجمه بتصرف وصدر له وديع فلسطين ـ تقديم محمد زكي عبد القادر ـ مصمم الغلاف رفيق البابلي ـ ٤٠٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● فجر الحياة ـ تاليف جوزيف هارولد رسن ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم منتصر الاستاذ بكلية العلوم بجامعة عين شمس والدكتور محمد مصطفى حسن المدرس بكليةالعلوم بجامعة عين شمس والدكتورعبدالقادر فطين المدرس بكلية العلوم بجامعة عين شمس ـ مراجعة وتصدير الدكتور عبد الحليم منتصر ـ مصمم الغلاف اميل كامل ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات دار احياء الكتب العربية(؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● مشكلات سلوكك ـ تاليف سبرجن انجلش وكونستانس فوستر ـ ترجمة الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل الاستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة عين شمس ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المندوب الدائم للعربية المتحدة بهيئة اليونسكو ـ الكتاب رقم ٤١ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ ١١٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟) .

● كيف تكون فلسفتك فى الحياة ـ تاليف ت. ف. سمث ـ ترجمة الدكتور احمد محمد الفنام المدرس بكلية التربية بجامعة عين شمس ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المندوب الدائم للعربية المتحدة بهيئة اليونسكو ـ الكتاب رقم ٤٢ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ ١١٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟)

● لن ـ مجموعة شعرية ـ انسي الحاج ـ ١٠٨ صفحة ـ منشورات دار مجلة شعر ببيروت ـ مطابع دار مجلة شعر ببيروت

● مع الله ـ شعر ـ عمر بهاء الدين الاميري ـ ٢٠٢ صفحة ـ حجم كبير ـ اخراج فاخر ـ مطبعة الاصيل بحلب

● As The Earth Turns — by Gladys Hasty Carroll — the text of this book has been specially prepared for the beginning reader — adapted by Adolph Myers — 128 pages — Ladder Edition published by Ballantine Books Inc., New York — Printed in U. S. A.

● Ride The White Tiger .. by Roger W. Clark — the text of this book has been specially prepared for the beginning reader — adapted by Elinor Chamberlain — 128 pages — Ladder Edition published by Pyramid Books Inc., New York — Printed in U. S. A.

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

فى لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

⊙

فى الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
فى الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

فى لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى
فى الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

⊙

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

⊙

تليفون : Tél. | Direc : 223819 الادارة ٢٢٣٨١٩ | Dle : 225139 المنزل ٢٢٥١٣٩

⊙

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنـان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كلمات ...

● أعلن العلماء عن اكتشاف مركب كيماوي ربما ساعد في التغلب على اخطار التسمم بغاز ثاني اوكسيد الكربون التي يتعرض لها ملاحو الغواصات والفطاسون وغيرهم ممن لا بد لهم من العيش او العمل في اماكن مقفولة. وهذا المركب الذي يدعى تريس اميناوميتين استخدم لتخفيض كمية ثاني اوكسيد الكربون المسممة في دم الكلاب وقد جرى شرح المركب في تقرير قدم لاكاديمية العلوم الاميركية .

● ابتكرت طريقة لايصال الاشعة القاتلة للسرطان الى تلك الاماكن من جسم الانسان التي كان يستحيل الوصول اليها بالطرق العادية . وقد شرحت هذه الطريقة في مؤتمر طبي عقد بالولايات المتحدة . وتمكن الاطباء الذين استخدموها من حقن كميات كبيرة من الاشعة في مجاري الرئة وفي مؤخرة اللسان وغير ذلك من الاماكن التي يصعب بلوغها . وقام الاطباء بادخال انابيب طويلة دقيقة من البلاستيك في الجسم واوصلوها الى مكان التورم . وبعد ذلك جرى حقن المادة المشعة كالراديوم مثلا داخل الانبوب مباشرة الى الجزء المصاب بالمرض .

● تمكن الدكتور ريلذا كالو احد علماء المركز الطبي التابع لجامعة كاليفورنيا ، من زرع وتربية خلايا سرطان الرئة في انابيب المختبر وقد جاء نجاح تجاربه خاتمة لبحث طويل حول امكان تربية تلك الخلايا في المختبر . وتقول جمعية السرطان ان الاكتشاف الجديد يمكن العلماء من درس تصرفات سرطان الرئة كيمائيا وفيزيائيا في احوال يمكن ضبطها والسيطرة عليها .

● تردد في الدوائر الطبية الاميركية رأي جديد يرجع اصابة المدخنين بسرطان الرئة ، الى وجود معدن النيكل في الدخان . ويقول الدكتور وليم سندرمان ان من يدخن في اليوم الواحد اربعين سيجارة لمدة عام كامل ، يبتلع مع الدخان كمية من النيكل تعادل ضعف او ثلاثة اضعاف الكمية التي تكفي لاصابة الفئران بالسرطان . ودور النيكل في الاصابة معروف قبل ذلك في دوائر الصناعة ، ولكن وجود النيكل في دخان السجائر بكمية تجعلها سببا للاصابة بالسرطان لم يكن معروفا من قبل . ويقول الدكتور سندرمان انه يمكن تنقية السجائر من النيكل .

● للوقاية من الانهيار العصبي والذهني والاصابة بامراض ضغط الدم اكثر من اكل الفواكه والخضروات الطازجة ، ومن انواع البقول كالعدس والفول ، ومن الكبد والمواد التي تحتوي على الخمائر فهذه المأكولات كما اعلن العالم الروسي افريموف في المؤتمر الدولي الخامس للتغذية اذ قال انها تحتوي على فيتامينات ب التي تساعد على تحمل انواع الارهاق العصبي والعقلي والقلق . وقال ان فيتامين ب٦ يستخدم الان في روسيا لعلاج امراض الاعصاب والعضلات اذ يضاف منه ملليغرامان في اليوم الى طعام المرضى .

● سيجري استخدام ميكروسكوب ايلاكتروني يستطيع تكبير الصورة اكثر من مئة الف مرة لمساعدة العلماء في جامعة هارفرد على معرفة المزيد عن رفض الجسم لعملية نقل الانسجة والاعضاء . وهم يأملون ان يعرفوا حقيقة ما يحصل لخلايا الاعضاء المنقولة التي تفشل في النمو . وهذا الميكروسكوب تزيد قوته ٢٠ مرة عن اقوى الميكروسكوبات البصرية .

● تمكنت شركة اوتاريون للشؤون السمعية في نيويورك من تطوير جهاز للسمع لا يزيد حجمه عن حجم الظفر ، ويقال انه اصغر جهاز من نوعه في العالم ، ولا يمكن مشاهدته من الامام او الخلف بعد تركيبه . وينطبق الجهاز على فتحة الاذن تماما وليست له اية اجزاء خارجية وهو مع ذلك يعادل من حيث الملائمة والقوة الاجهزة المألوفة . وهو يحتوي على مكبر ومعدل للصوت وبطارية وآلة استقبال وعدد من القطع الصغيرة بما فيها الترانزيستورات

● اعلن الدكتور علي حسن رئيس وحدة بحوث التغذية بالمركز القومي للبحوث بالقاهرة ان الحلبة ارخص طريقة لعمل الرجيم . فالحلبة تحتوي على حوالي ٢٥٪ من المواد البروتينية وعلى حديد بنسبة ١٣ ملليغراما في المائة يمتصه الجسم بسهولة . وقد تمكن الدكتور علي حسن من عمل بسكويت من مسحوق الحلبة بعد ازالة رائحة الحلبة ومرارتها

● قام ثلاثة جراحين من منطقة نيويورك بصنع نوع من العصبات اللاصقة ذات المسام ، تستخدم بدلا من القطب والكبسولات في تضميد الجراح الناجمة عن الحوادث والعمليات الجراحية . وتستخدم العصبات بشكل قطع طولية توضع فوق الجرح من جنب الى الاخر . ومن مزاياها انها لا تهيج الجلد ويمكن ازالتها بعد اندمال الجرح بسهولة وكذلك يمكن استعمال الادوية والعقاقير على الجرح من فوقها اي من خلال مسامها . وقد عرضت نماذج منها في اجتماع عقدته مؤخرا الجمعية الطبية الاميركية .

● اجرى الدكتور فؤاد بولس في القاهرة عملية البروستاتا للقمص سرجيوس وعمره ٨٠ سنة بطريقة حديثة هي استخدام جهاز خاص لا يستدعي فتح البطن ، والمتخصص في اجرائها في اميركا هو الدكتور طومسون رئيس وحدة المسالك البولية في مايوكلينيك اشهر مستشفياتها .. وكان يتدرب معه الدكتور فؤاد بولس ، الذي قضى هناك ست سنوات ونصف سنة ، وعمل ايضا مع الدكتورين المعروفين سمايوني وتراكنر .

وعاد الطبيب الشاب الى مصر ومعه الجهاز الجديد واستطاع في فترة قصيرة ان يثير الاعجاب واجرى ٦٧ عملية للبروستاتا وانسداد المثانة (بسبب البلهارسيا) ، وآخرها عملية القمص سرجيوس . والطريف ان العملية الجديدة لا تستدعي البقاء في المستشفى اكثر من خمسة ايام ، وقد اجريت في اميركا على مريض عمره ٩٤ سنة ، وكان مصابا بالسكر والذبحة الصدرية ، ولا يزال يعيش حتى الان

● يحقق العلماء في جامعة كاليفورنيا بالنظرية القائلة ان البيئة الباردة يمكن ان تكون افضل من البيئة الساخنة للاطفال المولودين حديثا . وهم يشيرون الى ان هناك نسبة عالية جدا في حياة الاطفال الذين يولدون قبل الاوان في البلدان السكندينافية حيث يعالج الاطباء احيانا الاطفال الذين يعانون من صعوبة التنفس بتخفيض حرارة اجسامهم من ٥ الى ١٠ درجات فيبطئون بذلك من نموهم بحيث تكون حاجتهم الى الاوكسجين اقل . ويقوم العلماء باختبار هذه النظرية على الحيوانات قبل الولادة وفي الولادة العادية او الولادة قبل الاوان .

● ارسل مصنع للادوات الطبية في لينينغراد جهازا شاملا الى الولايات المتحدة من اجل رتق الاوعية الدموية والاعصاب . وهذه الاجهزة سمحت بان تحدث ، لاول مرة في الممارسة العالمية للعمليات الجراحية ، رتوق معقدة ليس على اساس نقاط متتالية بل على طول الشق في وقت واحد وذلك عن طريق وضع ابازيم رقيقة جدا على النسيج الحي . والابازيم من التنتال والنيوبيوم لا تتسبب بالتهابات وتبقى في النسيج . وعندما شاهد الاطباء الاميركيون هذه الاجهزة في المعرض السوفياتي بنيويورك اسموها الـ « السبوتنيكات في الطب » وينتج مصنع لينينغراد كذلك اجهزة اخرى للشركات الاميركية ولا سيما اجهزة لتحليل الهواء الخارجي وادوات لتطعيم القرنية حسب طريقة طبيب العيون السوفياتي فلاديمير فيلاتوف .

● قام عالم ايطالي بالخطوات الاولى لتكوين طفل في انبوب اختبار خارج الجسم البشري. والذي قام بالتجارب هو البروفسور دانييل بتروتشي وعمره ٣٧ عاما في بولونية بشمال ايطاليا وذلك بمساعدة الدكتور رافائيل بيرنابيو والدكتورة لورا دي بولي . والغاية من تجاربه هي دراسة « الاحتمالات العلمية »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لتكوين طفل في انبوب اختبار . وقد بدأ بان اوجد صناعيا في مختبره الظروف الملائمة لولادة الجنين ، ثم استحصل من رجل وامرأة على مادتي التوالد ووضعهما في الظروف الملائمة التي اوجدها في مختبره .. فتفاعلتا وانتجتا الجنين الذي عاش ٢٩ يوما. وصنع العالم بتروتشي آلة تصوير خاصة التقط بواسطتها مراحل عملية الولادة الصناعية لمدة ٢٩ يوما .

وتقول الدكتورة لورا دي بولي انه كان بالامكان ان يستمر الجنين مدة اطول من هذه . ولكن هذه التجربة الفذة قد كشفت عن حقيقتين : الاولى وهي ان رحم المرأة ضرورة لنمو الجنين وتغذيته . والثانية هي ان الجنين الذي انتج صناعيا ليس سوى مسخ وتشويه للجنين الطبيعي . ذلك ان العملية الصناعية حرمت الجنين من التطورات العضوية الخفية ، كما حرمته من التأثير الدقيق للهرمونات البشرية .

● قام علماء ومهندسون في لينغراد بصنع جهاز الكتروني لتحليل الدم . وهذا الجهاز المسمى تيليميكروبروجكتور يتكون من مجهر وكاميرا تلفزيونية . والدم الواجب تحليله ، يصب على لوحة المجهر الزجاجية . ويحل محل عين الانسان انبوب كاتودي صغير ينقل صورة الكريات الى شاشة وفي نفس الوقت تقوم آلة حاسبة باحصاء عدد الكريات ، ويتم هذا خلال لحظة. ويستخدم التيليميكروبروجكتور في الوقت الحاضر لاحصاء الكريات الحمراء . والاعمال التي تجري حاليا تهدف لصنع جهاز للقيادة الاوتوماتيكية يقوم ليس باحصاء كريات الدم ، والعضويات المجهرية فقط ، بل يحدد ايضا بصورة اوتوماتيكية صيغة الدم .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية عن انتهاء التجارب بصورة ناجحة على الارض على نموذج لاول محرك ذري لسفن الفضاء ينتج ٥٠ كيلواط من الحرارة بدرجة تتجاوز ١٢٠٠ فهرنهايت . وقد عمل بهذه الدرجة من الحرارة لمدة تفوق تلك التي عمل بها اي محرك نووي آخر .

● قالت المصادر الوثيقة في جينيف ان عددا من العلماء في المركز الاوروبي للابحاث الذرية في ميرين قد اجرى تجربة ذات مغزى عميق بالنسبة الى الفيزياء الحديثة وبالامكان كما يقول الخبراء ان تقلب بصورة جذرية التطبيق العملي للعلم النووي وهذه التجربة كانت نتيجة الابحاث والجهود التي اجريت منذ سنتين .

● اعلنت وزارة الدفاع الاميركية ان محطات الرادار في الاسكا التقطت جسما له «خصائص الرادار» لمدة ٦ دقائق عقب انطلاقه من الاراضي الروسية وكان متجها نحو المحيط الهادي . لم تذكر الوزارة ما اذا كانت روسيا تجرب صاروخا او تحاول اطلاق انسان الى الفضاء . وهذه هي اول مرة يكشف فيها النقاب عن وجود محطات رادار اميركية تستطيع الكشف عن الصواريخ الروسية عند انطلاقها .

● نجحت التجربة التي اجرتها مؤسسة التكنولوجيا المتحدة بالقرب من مدينة صاني فيل بولاية كاليفورنيا الاميركية لاول مرة على اطلاق صاروخ يعمل بالوقود الجاف ويتالف من ثلاثة اجزاء مخروطية الشكل تلصق ببعضها ويبلغ طول القطع الثلاث ٧ اقدام وقوة دفع الصاروخ ١٥ الف رطل بينما تبلغ قوة دفع اقوى صاروخ تملكه اميركا الان ٣٦ الف رطل ولكن جميع الصواريخ الاميركية تعمل بالوقود السائل .

● اعلنت جريدة « الديلي ميل » ان علماء الرادار البريطانيين يعملون على اتقان اختراع لبث اشعاعات الضوء الكثيف سيؤدي الى ثورة في طريقة الالتقاط والارسال التلفزيوني في العالم ، والى تبسيط سبل التجسس الفضائي البعيد المدى . وقد يمكن تحويله كذلك الى « اشعة موت » . وهذا الاختراع الذي اطلق عليه اسم « ليزر » سيمكن من بث موجات الضوء ببريق يفوق ذلك الذي يمكن ان تبثه مليون شمس ، مع امكان ارساله والتقاطه بالطريقة نفسها المتبعة في الموجات اللاسلكية » .

وعندما ينتهي هذا الاختراع الذي يعتبر في غاية السرية ، في مؤسسة الرادار الملكية في ماليفرن في انكلترا ، سيمكن التقاط صور واضحة دقيقة في اجهزة التلفزيون في جميع ارجاء العالم وارسال الاف البرامج ، في وقت واحد ، من الاجرام الارضية وبثها الى جميع القارات . وسيكون باستطاعة محطات التلفزيون الارضية التقاط وبث اصداء الصور بالطريقة نفسها التي تلتقط الان محطات الرادار الموجات اللاسلكية بينما تستطيع الاجرام والطائرات التقاط واعادة بث الاشعاعات التي تنقل الصور والمعلومات العسكرية . وشرح نبا الديلي ميل طاقة هذا الاختراع اذا استعمل كاشعة موت فقال : « اذا ما زود الجهاز بالقوة الكافية يمكن تركيز الضوء بواسطة عدسات تحوله الى « زجاج محرق » هائل الفعل يمكنه اختراق الاشياء السميكة»

● يجري معهد البحث في قضايا تربية دود الحرير باوزبكستان تجارب ترمي الى ايجاد نفل جديد من دود الحرير يعطي خيوطا لها خصائص الصوف . وتلقى المعهد من بكين فيالج حية . وهذه الفيالج التي جيء بها من مناطق استوائية وضعت في محضن . وقد وفرت الشروط الضرورية لنموها . ويحضر الاختصاصيون نباتات لغذاء الديدان العتيدة وفي الصين تقدم دودة الحرير عدة اجيال في مدى عام واحد. وهنا يكمن الفرق بينها وبين الدودة التي تربى في اوزبكستان ، التي لاتعطي سوى خلف واحد في العام . ان الخروع ، النبتة التي تنمو بكثرة والتي لا تحتاج الى عناية ، يصلح لتغذية الدودة الصينية .

● استطاع الصانع الالماني فريدريك داومنبرجر بعد تجارب ثمانية اعوام تركيب نوع جديد من خلائط المعادن يشابه الفضة بصفاته ويمكن صبه وضغطه وصنع الاسلاك منه كما يفعل ذلك بالفضة تماما ويمتاز عنها بانه لا يعلوه الاوكسيد الفضي كما هو اقل منها ثمنا . وداومنبرجر هو من ارباب الخبرة في صناعة المعادن ، وقد شرع في صب المعادن للمرة الاولى في مصنع والده الصغير في قرية فيلفردينجن الواقعة في جنوب المانيا منذ عام ١٩٤٦ ،وصار يقدم الحلي والملاعق والسكاكين لصناعة الحلي الالمانية التي يقع مركزها في مدينة فورتسها. القريبة من فيلفردينجن . وتقدم فورتسهايم اليوم منتجاتها الشهيرة الى جميع اقطار العالم . وسوف تقوم في وقت قريب باستخدام هذا المعدن الجديد .

● اكتشفت منطقة غنية بالفلز في اختلال كورسك المغناطيسي وهي مكمن فريد من نوعه في وسط روسيا الاوروبية . وطبقة الفلز سماكتها ١٨٠ مترا وعرضها يزيد عن الكيلومتر .وتقدر الاحتياطات المكتشفة من فلز الحديد في الاختلال بما ينوف على المئتي مليار طن . وفي بعض الامكنة يبلغ الفلز درجة من الغنى تجعل المصانع التعدينية تستخدمه بدون معالجة مسبقة في فبارك الاغناء. والاتحاد السوفياتي يحتل المرتبة الاولى في العالم من حيث احتياطيات فلز الحديد واستخراجه على حد سواء . في السنة ١٩٥٩ انتج اكثر من الولايات المتحدة بـ ٥٠ بالمائة . وبعد انجاز حفر المناجم في اختلال كورسك المغناطيسي وكازاخستان ومناطق اخرى يبلغ الاستخراج السنوي ١٦٠ مليون طن .

● استطاعت معامل اسكتلندية الوصول الى ابتكار مدهش في حياكة الاصواف والاجواخ وجعل القطعة الواحدة منها من عدة الوان . وقد يصل عدد هذه الالوان في القطعة الى ٤٠ لونا في آن واحد حين انه لم يكن بالامكان حتى الان الحصول على قطعة صوفية او قطعة جوخ ذات الوان تتعدى السبعة او الثمانية وذلك لانه لم يكن بالامكان صبغ الخيط الواحد باكثر من لون واحد . وعند جمع الخيوط كانت القطعة المحاكة ذات ٧ او ٨ الوان فقط في وقت واحد. وبفضل الطريقة الجديدة اصبح بالامكان صبغ الخيط الواحد بخمسة او ستة الوان ومن جراء هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاسلوب غدا من الممكن الحصول على قطعة جوخ ذات الوان عديدة حسب الرغبة والطلب . واما المخترع الذي توصل الى هذا الاكتشاف فهو برنات كلاين مدير احدى الشركات الاسكتلندية للنسيج . ولقد درس تكنية النسيج واصول هذا الفن في الخارج وفي جامعة ليدز مدة عدة اعوام .

● نجح العلماء الاميركيون في صنع اول مجموعة من الالماس الصناعي الكبير الحجم . ويزيد حجم الالماسة الواحدة عن قيراط وهي داكنة اللون. واعلن عن هذا العمل التكنولوجي الباهر الدكتور غاي سوتس مدير الابحاث المتعلقة بالمشروع فقال : « لاول مرة في التاريخ ينجح الانسان في صنع احجار كريمة كبيرة الحجم ونظرا الى ان هذه الصناعة ما زالت في مرحلتها الاولى فان الاحجار المنتجة لم تتخذ بعد المتانة الكافية للتطبيقات الصناعية . وهذه الاحجار الكبيرة الحجم هي آخر مرحلة في برنامج الابحاث المستند الى الحرارة العالية والضغط العالي الذي قمنا به منذ احرزنا نجاحنا الاولي في تحويل الفرافيت العادي الى الماس عام ١٩٥٥ » . وقد صنعت المختبرات احجارا صغيرة من الالماس يجري الان استعمالها على نطاق واسع في الصناعات المختلفة وهي تمتاز عن الالماس الطبيعي لانها تناسب الغايات المخصصة لها حيث انها تصنع لتلك الاغراض بالذات . وقد تم بيع عشرات الملايين من هذه الاحجار للاغراض الصناعية منذ عام ١٩٥٧

● تمكنت بعثة من متحف جامعة بنسلفانيا الاميركية من رفع حطام سفينة غارقة امام سواحل تركيا ، يرجع تاريخها الى العصر البرونزي ، قبل اشتعال حرب طروادة بقرن. وعثرت البعثة فوقها على اكثر من طن من المعادن المصنوع اغلبها من النحاس والبرونز . وبعد حطامها اقدم اثر مادي امكن انتشاله من قاع البحر عن عصر هوميروس .

● اخترع العلماء السوفيات الة جديدة ، تدعى بولاريسكوب ، يستطاع بواسطتها اكتشاف مواقع الزلازل وقوتها مسبقا قبل حدوثها ، وذلك بقياس ما تتعرض له قشرة الارض من الضغط في المناطق المختلفة .

● منحت الجمعية الفلكية البريطانية الملكية المدالية الذهبية الى العالم هرمان زانسترا الذي كان حتى الفترة الاخيرة استاذ علوم الفلك في جامعة امستردام وذلك لاعماله الباهرة فيما يتعلق بالسديم الغازي . وقد منحت ايضا مدالية ادنفتون الى العالم هانس بيتي استاذ الفيزياء النووية في جامعة كورنيل لاكتشافه كيفية توالد الطاقة في الكواكب .

● عثر المنقبون عن الاثار في شمال السودان على كتل من الحديد الخام في قلعة بوهن الفرعونية التي يعود تاريخها الى ما قبل ٤٠،٠٠٠ عام ، اي قبل حوالي ٨٠٠ عام من التاريخ الذي يعتقد ان الانسان اكتشف فيه الحديد . وقال العالم وولتر ايمري الاستاذ في جامعة لندن الذي انهى اخيرا موسما رابعا من الحفر في بوهن : « ان كتل الحديد الخام التي عثرنا عليها قد تدل على وجود كميات من الحديد في شمال السودان لانعرف عنها شيئا بعد . وهذه الكتل قد تكون جلبت الى هنا من الشمال » ويدير العالم ايمري الجهود البريطانية لانقاذ اثار النوبة من المياه التي ستغمرها عند اقامة سد اسوان العالي . وقد وصف حصن بوهن الواقع على بعد ٢٤ كيلومتر ، الى الجنوب من الحدود المصرية بانه قلعة رئيسية في « خط ماجينو » للفراعنة الاولين اقيم كخط دفاعي ضد غزوات الكوشيين .

● عثر البحاثة الانكليزي دايفد اتنبورو على ما يعتبره العلماء اكبر بيضة عرفها الانسان حتى الان ، وهي بيضة عصفور انقرض منذ مئات الالوف من السنين ، وتحجرت بيضته في جبال جزيرة مدغسكر ، حيث اكتشفت الان.

● عثرت بعثة اثرية المانية على قبر بالقرب من ازمير ، على شاطيء البحر الابيض المتوسط ، يعتقد بانه قبر يوحنا الرسول . واوضح المسؤولون ان مقاما يعود تاريخه الى ١،٥٠٠ سنة قد اكتشف ويعتقد بانه بني تخليدا للقديس يوحنا .والقبر حفر تحت المقام في محاولة لصيانته من العبث . وقد اثبتت التجارب ان تاريخ القبر يعود الى سنة ٦٠ بعد الميلاد . وقد عثر على القبر بالقرب من مقام يحمل اسم مريم العذراء .

● ذكر في مؤتمر عقده في باريس معهد علم المحيطات ان الزلازل وامواج المد والاعاصير وغيرها من الكوارث الطبيعية تقتل ما معدله ١٠٠،٠٠٠ شخص .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

رجال وافكار : البيـــر اديـب

نشرت مجلة « الاحد » البيروتية الغراء تحت عنوان « البيـــر اديب » في باب « رجال وافكار » ما يلي :

منذ ٢٠ سنة صدرت « الاديب » ؟ وهي لا تـزال تصدر حتى الان ، فلماذا تصدر وقد توقفت معظم المجلات الادبية « كالرسالة » و «الثقافة» وغيرهما عن الصدور ... يجيب صاحبها قائلا :

ـ صدرت مجلة الاديب في اول كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ وقد جاء في افتتاحية عددها الاول كلمة تعريف عن الغاية الاساسية من صدورها :

« لقد راينا الحاجة ماسة الى سد ما يحسب بحق فراغا في المكتبة العربية فالهمنا ان نساهم في ذلك بمجلة تطمح الى ان تكون معرضـــا للانتاج الفني والادبي والعلمي ومنبرا للرأي السياسي المنبثق مـــن العقيدة الصادقة والايمان الخالص ثم لا تلبث ان تصير همزة الوصـل بين اقطاب الفكر الحر في الاقطار العربية جمعاء . »

وعاد الاستاذ البير اديب يقول :

لقد شعر القراء معنا بمدى الجهود التي بذلناها للتغلب على العقبات التي لا بد ان تلاقيها الاعمال الادبية .. وليس لنا الان ما نشكوه ، فان التشجيع الذي صادفناه في مختلف الاقطار العربية كان خير حافز لنـا على المضي قدما ، وليس ادل على هذا التشجيع مـن المساهمة الادبية التي يتكرم بها علينا الادباء في كل قطر عربي .

ان حياة الادباء كفاح ، وحياة الصحيفة الادبية كفاح اشد واعنف وفي ميادين متعددة .. لقد كافحت« الاديب » الابتذال الذي تروج لهالصحافة الخفيفة بشتى وسائل الاغراء ، وكافحت العدوان الذي يقع على العرب عن طريق الفكر .. فهي دائما تتلمس الادب الرفيع والثقافة العاليـة فتقدمهما على ايسر سبيل ، ونحن نعمل وننادي ابدا بالمسير صعودا في اتجاه حياة حرة .. حياة سعيدة لا نفتأ ندل القارىء على الطريق ،مهما اعترضنا في سبيل هذا من عنت وجهد . فالعمل للحياة الناشطة ليس سهلا ميسورا . فاذا نجحت « الاديب » بان تظل صوتا للادب والفكـر والمبادىء الصحيحة في الاقطار العربية جميعها ، في هذه الفترة التي قل فيها الانصراف الى الادب ، فاننا نعتبر انفسنا سعداء ، « فالاديب » ، كالعهد بها تشق طريقها وتعمل في جو بعيد عن الضجيج والادعـــاء والمغامرة ، وهي تحاول دائما ان تكمل سيرها في التقدم معتمدة عـــلى قرائها وكتابها وحسب » .

انه واحد من كتاب الضاد الذين خدموا القلم خدمـة « رسوليـة » فعملوا قصارى جهدهم لتكون مهنة الادب مكرمة ، ينظر اليها باعجاب ..

انه البير اديب . عندما نقرأ شعره ، نقع على روائع رفعت صاحبها في عـــالم القريض ..

واذا كان « الاديب » قد عمل في حقول الادب مخلصا ـ وما برح يعمل ـ فانه قد اشتغل في السياسة بعزم وصدق ، وعندما ترك السياسة خرج من معركتها صفر اليدين .. شريفا ..

لقد رفض اول الامر ان يحدثني عن نفسه .. وكـل ما استطعت ان اعرفه منه هو هذا :

● ولد بالمكسيك من ابوين لبنانيين ، ثـم سافر الى الاسكندرية عـــام ١٩١٣ .

● تعلم في معهد الفرير ومعهد القديس يوسف، والتحق بمعهد الحقوق والتجارة العليا

● زاول الصحافة والسياسة بمصر من عام ١٩٢٤ الى ١٩٢٧

● عمل موظفا بالمالية السودانية بجانب اعماله الصحفية حتى عام ١٩٣٠

● عاد الى لبنان واشتغل بالصحافـــة واسس المجمع الموسيقي الشرقي وترأسه من ١٩٣٣ الى ١٩٣٨

● وفي عام ١٩٣٨ اسس اذاعة « راديو الشرق » وظل مديرها العام حتى ١٩٤٣ ، عندما اخرجته السلطات الفرنسية من منصبه ، يوم اعتقال الحكومة اللبنانية ، بسبب نزعته الوطنية ، وانتقمت منه بحرمانـــه « نعمة التعويض » .

● اصدر مجلة « الاديب » عام ١٩٤٢ ووقف عليها جهوده .

● اختير عضوا في اكاديمية جامعة « ساند لانـد » بكاليفورنيا ، والجمعية الجغرافية باميركا الشمالية ، وجمعية المستشرقين في جامعـة يال ، والجمعية السويسرية للدراسات الاسيوية في زوريخ ، واكاديميـــة العلوم السياسية والاجتماعية باميركا وغيرها .

● كتبت عنه ، ونشرت رسمه موسوعة « لاروس » الفرنسيـة ، وموسوعة « لا بلياد » الشهيرة ، وكان الكاتب العربي الوحيد الـــذي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحدث عنه دليل « ريترز هوزهو » اللندني الذي يضم أسماء أدباء العالم الكبـــار .

● ترجمت مجموعته الشعرية «لن» الى عدة لغات اجنبية منها الفرنسية والانجليزيه والايطاليه واليونانية والاسبانية ونشرت مقتطفات منها عدة مجـلات ادبية عالمية .

● كان مفوض المعارف والدعاية « لعصبة العمل القومي » وساهم مع كمال جنبلاط في تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، وكان امين سره العام .. وساهم ايضا في تأسيس « كتلة التحرر الوطني » التي كـان يرأسها الزعيم عبد الحميد كرامي وكان سكرتيرها .

ـ سألته : حدثنا عن احب الذكريات اليك ..

ـ واجاب : كل ذكرياتي حبيبة الي .. منها ذكريات ادبية ، وذكريات سياسية .. وذكريات عاطفية و ..

والانسان يعيش بذكرياته ، ذكريات غالبا ما تكون حميمة يصعب على صاحبها ان يجعل الناس يشاركونه فيها .

ـ قلت : هل اثرت المرأة في حياتك ؟ .

ـ قال : من هو الشخص الذي لم تؤثر المرأة في حياته ! واستطيع ان اقول ان مجرى حياتي كثيرا ما تغير بسبب المرأة . واذا رجعت الـى مجموعتي الشعرية « لمـن ؟ » تجد اثر المرأة واضحا فيها .

ـ هل كان تأثيرها سيئا عليك ام حسنا ؟

ـ كان حسنا في نواح وسيئا في نواح اخرى .

ـ من احب الشعراء اليك ؟

ـ صاحب القصيدة التي تتغلغل الى اعماق نفسي .

ـ لماذا لا نقرأ لك ، منذ مدة ، شعرا ؟

ـ صحيح ! انا أشعر ايضا انه قد مضى وقت طويل لم انشر فيه شيئا، ومرد ذلك الى حالات نفسية كثيرا ما تصيب الشاعر .. ثم انني مـن الذين لا يحتبون الا اذا شعروا انهم بحاجة لقول شيء جديد . ويظهـر ان لا جديد عندي بعد . وهي حالة ، كما ترى ، مؤسفة ..

ـ لقد عالجت القصة في بدء حياتك الادبية ، فلماذا توقفت اليوم ؟

ـ القصة عمل ادبي عقلي شاق ، يحتاج الى وقت فراغ كبير ، ونحن جماعه نكد ونسعى في زحمة من الوقت والعمل ، ولهذا رأيت ان اترك القصة

ـ قلت : لماذا انسحبت من الحياة السياسية مع انك كنت من ابرز العاملين الذين كانوا يلاقون تأييدا من الشعب ؟

ـ اجاب وجدت ان العمل العقلي والفكري والادبي اجدى وانفـــع فانصرفت بكليتي الى « الاديب » ..

ـ يقولون بانك منقطع عن المجتمع .. فما هي الاسباب ؟

وحدق الاستاذ اديب الى مجموعات « الاديب » وقال :

الا ترى ان « الاديب » مجتمع قائم بحد ذاته ؟ فكيف اكون منقطعا عن المجتمع ؟ لعلك تقصد انني منصرف عن الحفلات الاجتماعية والزيارات الرسمية .. ان هذا راجع الى انني ارى في ذلك مضيعة للوقت ، لا تسمح بـــه ظروف عملي .

وقبل ان نسترسل في الحديث ، شرعت الموسيقى الخفيفة تشنـف اذاننا ، كانت ابنته « هدى » تعزف في صالون المنزل على البيانو عزفا مفريا يدل على موهبتها الموسيقية .. وسألت الاستاذ اديب :

ـ ماذا تحب من الموسيقى، ومن هم الموسيقيين الذين يستهويك سماعهم؟

ـ قال : الموسيقى الكلاسيكية . واحب الموسيقيين الي : بيتهوفـن وباخ وموزارت وغيرهم كما احب جدا الاستماع الى الفولكلور الوطني .

ـ هل عملت في الرسم ؟

ـ كدت ان اكون رساما لو لم تعاكسني الظروف ، وبقيت هذه الرغبة قوية عندي بعد رجوعي الى لبنان . وكان يشجعني صديقي الفقيـد الشيخ قيصر الجميل . وعندما صممت على التتلمذ عليه وبدأت بأخذ الدروس .. تزوجت !.. فانصرفت عن الرسم اسفا حتى الان .. ومن يدري لعلها تكون هواية الشيخوخة !..

ـ هل تعتقد بأن هناك ركودا في الحركة الادبية ؟

ـ قال : الركود الادبي متمثل في عدم تعاون الادباء ، وفي اجتماعاتهم النادرة القليله ، اما في الانتاج ، فالانتاج كثير ، ولو ان الطابع ، اصبح سياسيا اكثر مما هو ادبي صرف .. ومرد ذلك بطبيعة الحال الـــى الواقع الذي نعيشه ، ومساهمة الادباء في معالجة القضايا التي يرونهـا جديرة بالبحث .. ثم هناك الحاح الناشرين على طلب الكتب السياسية، على اعتبار انها رائجة اكثر من سواها .

لهذا نجد الانتاج مقسوما الى ثلاث فئات : انتاج سياسي ، وانتـاج ادبي صرف وانتاج ادبي يبحث القضايا الجنسية وهو رائج جدا .

ـ وهل تحبذ الانتاج السياسي ؟

ـ قال : اذا كان هذا الانتاج فيما ومخلصا ينبع مـن حقيقة الذات الادبية وواقع الاديب في بيئته .. اذ تكون مشاركته عندئذ مشاركـة واجبـــة ومبدعة .

ـ وسألنا الاستاذ البير اديب : ما هو سبب اختفاء بعض كبار ادبائنا مثل خليل تقي الدين وتوفيق عواد ، واميـن نخلة ، وبشارة الخـوري « الاخطل الصغير » وصلاح الاسير وغيرهم ؟

ـ قال : ان هذا السؤال جدير بالبحث ولو اخذنا الاشخاص كـــلا بمفرده ، لبان لنا السبب الذي من اجله اختفى هؤلاء الادباء وغيرهم . فخليل تقي الدين وتوفيق عواد شغلتهما الوظيفة .

والاخطل الصغير كثيرا ما وجهت اليه شخصيا هذا السؤال وقلت له مرارا بأن المرحوم احمد شوقي ، كان اروع ابداعه في ايامه الاخيرة ، كما ان نقولا فياض انتج وهو في الخامسة والثمانين من عمره .. ولكـــن الاخطل الصغير توقف عن العطاء الشعري منذ زمن طويـل .

اما امين نخلة فهو شاعر مقل .. واما صلاح الاسير ، فقد كـــانت مجموعته الشعرية « الواحة » التي صدرت في منشورات « الاديـب » نبشر بظهور شاعر مبدع خلاق .. ولو واظب لكان اليوم في القمة .

ـ وهنا سألنا الاستاذ البير اديب : الا تظن ان الثقافة تلعب دورا كبيرا في مقدار عطاء الشاعر ، وفي مقدرته على الاستمرار في العطاء ؟

ـ فاجاب قائلا : ان الثقافة تؤثر دون ريب . والامثلة على ذلك عديدة ومتوفرة .. فالادباء والشعراء اصحاب الثقافة العميقة ، كان انتاجهم دائما من حسن الى احسن ، ويكاد يكون متواصلا .. والامثلة عديدة.. نذكر : احمد شوقي ، وخليل مطران ، ونقولا فياض ، وجبران خليـــل جبران ، وامين الريحاني ، وميخائيل نعيمة ، ومارون عبود وسواهم .. فكلما كانت الثقافة عميقة ، كلما كان الانتاج غزيرا وجيدا متواصـلا .. وهذا ما يتميز به ادباء الغرب عنا . فهم.. يبدعون ، وينتجون حتى في سن الشيخوخة كما كان شان برنارد شو ، وسمرست موم وهمنغواي وغيرهم . والفكر والعقل لا يشيخان .. انهما في تجدد دائم ، وفي حيوية دائمة .. اما الذين ينتجون دون السعي لتوسيع مداركهم ، وزيـــادة ثقافتهم ، فانهم يعطون الدفعة .. او الدفقة الوجدانية الاولى التـي تكون عادة موفورة لدى الملهمين ، وبعدها يسكتون .

ـ قلنا : باعتبارك احد المستشرفين .. هل ترى ان الادب يسيـــر باتجاه تقدمي ام لا ؟

ـ قال : لقد تطورت دون شك ، مفاهيم الادب ، كما تطورت مفـاهيم العالم باجمعه . فالقلق الذي يسود العالم في هذا العصر ، تأثر بـــه ادباؤنا ، فكثرت التجارب الشخصية والمحاولات الفردية ، لذلك فالمسحة الغالبة على ادبنا تجعله غير مستقر ، ولا بد من مرور وقت حتى يتبلور هـذا الادب ويتركز .

لقد كان انفتاحنا على العالم اجمع انفتاحا مفاجئا وسريعا ، ولم نتمكن بعد من هضم ودراسة مختلف المذاهب الفكرية والادبية والاجتماعيـة والسياسية والاقتصادية والفنية والفلسفية التي تدفقت علينا .. فكان تأثرنا بها مختلفا ومنوعا .. ولا بد من الوقت لهضم كل ذلك ، حتـــى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتفاعل مع شخصيتنا ونعود فنعطي من صميم ذاتنا ادبا بلورته التجارب ومكنته الثقافة .

ـ وسألنا الاستاذ البير اديب : ما الفرق بين الشعر المنثور والشعر الحر ، والشعر الطلق ، ومن اول من بدأ بطرق هذه الانواع الى الادباء؟

ـ قال : كان اول من كتب شعرا منثورا في ادبنا الحديث المرحوم امين الريحاني ، متأثرا بالشاعر الاميركي « ويتمن » .. ثم كتب جبران خليل جبران الذي كان اغزر انتاجا في هذا المضمار من الريحاني .

اما الشعر الحر او المرسل فان الدكتور نقولا فياض كانت له المحاولة التي قد تكون الاولى ، فقد تحرر من القافية الواحدة . ولكن شعره بقي موزونا .

ثم كان الشعر الطليق ، وهي المحاولات التي قمت بها شخصيا ومن ابرع شعراء هذا النوع ثريا ملحس ،وبشر فارس في بعض قصائده .وقد تأثر الشعراء بهذه الالوان الجديدة التي دخلت على الادب العربي ، وكان اول المتأثرين بدر شاكر السياب ، ثم نازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي ونزار قباني وغيرهم ممن اعتمدوا الشعر الحر ، اي المتحرر من القافية ، ومن البحور التقليدية ، فاعتمدوا تفاعيل معينة .

ـ وقلنا له: ما رأيكم بتقييم الادب الحديث وبالذين يتصدون لكل انتاج؟

ـ فقال : اننا لا نستطيع بعد ان نحكم على المذاهب الادبية او الادب الحديث حكما قاطعا يقرر مصيره .. بل يجب ان يترك دائما المجال لظهور الحركات الادبية الجديدة ، والايام وحدها كفيلة بالحكم على الجيد من الادب الحديث .. فمنه ما يبقى ، ومنه ما يزول ..

وننتهي الانانية ان ننظر الى الحركات التجديدية بمنظارنا نحن ، ومقاييسنا التي الفناها ، فنسطر امام هذا الادب المستقبل الذي نتمناه له وندعي بأن هذا المستقبل هو النتيجة الحتمية لهذا الادب الجديد ..

اني ارى من الافضل ان نترك للايام ان تفعل فعلها ، فهي الناقد الصادق غير المغرض ، ومن المفروغ منه ان الحركات التجديدية في الادب قوبلت دائما بهجوم عنيف من شيوخ الادب ، ومع ذلك استطاعت هذه الحركات التجديدية ان تشق طريقها، وتصبح بدورها كلاسيكية. (الاحد)

•

ليس لي اعتراض على تصنيف الاستاذ اباظة للشعراء ، وليس لي ان احتج على اغفاله ذكر اكبر شعرائنا ولا الومه ساعة ما مضغ حقوقهم ، وداس عليها . ذاك لاني لا اقبل منه ان يحتج او يعترض او يلوم اذا ما قلت انا ان اكبر شعراء (مصر) في النصف الماضي من هذا القرن هو محمد بن علي بن حسين الهمشري من دمنهور ، ذاك اني اظل في نطاق رأيه الخاص ، في الاشياء ، ولي ان آخذ برأيه او لا آخذ ، وله هو ان يأخذ او لا يأخذ برأيي الخاص فليس في التقييم اجماع ، وحتى المتنبي اختلفوا فيه .

لكن ما اعترض عليه هو ان يقف الاستاذ المحاضر ، في دمشق ، البلد الذي يتحسس بالادب تحسسا ، يكاد يكون مرضا او شواشا ، البلد الذي قد يتهاون في كل شيء ، ولا يتهاون في وطنيته وفي تاريخه ، وان يقف فوق اكبر منبر للعلم والثقافة في هذا البلد ، وبدعوة من اكبر مؤسسة للعلم والثقافة ، فيروح يردح ويردح والناس من حوله صامتون على مضض ، فيخلط خلطا عجيبا ، متنافرا ، ما انزل الله به من سلطان، لا اطلع به احد من فرمان ، يخلط ، ويهرف بما لا يعرف ، مما لا يهضمه ذواقة او متادب او مؤرخ او مثقف ، او متعلم عادي .

كان على المحاضر الاستاذ الشاعر ان يحترم مستمعيه . واشد ما اخشاه ان يطلع علينا الاستاذ المحاضر في محاضرته التالية عن شوقي بما ليس في معلوماتنا ، فينبئنا عن شوقي انه كان من مدغشقر على غرار جعل الزركلي من لبنان .

رجاء ، وباسم الادب ، ان يعود الاستاذ المحاضر الى التاريخ ، فيستقي منه المعلومات التي يريد ، وهو الذي نجل كيما تكون غلة البيدر كما ننتظر ، ذاك انه خيب امل من هرعوا ليستمعوا الى عزيز اباظة . كلمة اخيرة ، المال الذي انفق في اعداد وتهيئة محاضرة الاستاذ المحاضر ، كنا نود ، لو انه انفق على تحقيق او جمع ديوان شاعر ميت او حي او بذل لطبع كتيب عن تاريخ الحركة الادبية في بلادنا ، اذن لكان ذلك اكثر جدوى واعم نفعا . (الاخبار)

دمشق

خليل الخوري

عزيز اباظة ومحاضراته في دمشق

لم تكن حركة مسرحية ، الحركة التي قام بها سعيد الجزائري الاديب الذواقة ساعة ما غادر مدرج جامعة دمشق ، فيما كان عزيز اباظة يلقي محاضرته .

لم تكن بالحركة المسرحية ، كانت موقفا ، من رجل يحترم نفسه ، ويحترم التاريخ ، ويجله عن ان يتنكب عنه امروء ـ كائنا من كان ـ ان جهلا ، وهذا لا يجوز من رجل كعزيز اباظة ، او تجاهلا ، وهذا ضد عزيز اباظة .

لم تكن حركة مسرحية ، ولا دورا للفت الانظار ولم تكن لشغل لدى الرجل . كان خروج سعيد الجزائري في رأيي موقفا ، اجله من موقف ، موقف استنكار لما كان يشوه من تاريخ، سعيد الجزائري اكثر الناس وعياله ومعرفة به . موقف احتجاج على ما يقول شاعر يحاول ان يؤرخ فيجعل من خير الدين الزركلي شاعرا لبنانيا انتزعته السعودية ، ساعة ما راح يقول ان (سوريا) لم تنتج خلال الخمسين سنة الماضية غير شاعرين هما خليل مردم (تغمده الله برحمته) والشاعر شفيق جبري ، وان لبنان لم يطلع غير شاعرين هما الاخطل الصغير وخير الدين الزركلي .

اما ان يكون الزركلي من (سوريا) شاعرا ارخ لثورتنا وانتفاضاتنا عام ١٩٢٥ وعاش كل مواقفنا ، ثائرا مع الثوار . فهذا ما كان يجهله حضرة (المحاضر) وهذا ما كان يجب ان يتأكد منه ، من اجل براءة التاريخ.

صدر حديثا

سوار الياسمين

مجموعة شعرية

فؤاد الخشن

منشورات اسرة الجبل الملهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ديسمبر ١٩٦٠

٢٣ ـ اعلن غروميكو فى مجلس السوفيات الاعلى استعداد بلاده لتحسين علاقاته مع اميركا فى عهد رئيسها الجديد كنيدي .

ـ فى عيد انتصار الحرية فى بور سعيد ، قال عبد الناصر : « ان كل ما ينشر عن حكاية قنبلة اسرائيل الذرية لا يخيفنا وانما هو يزيدنا ويزيد العرب جميعا اصرارا على التمسك بالقومية العربية واهدافها » .

ـ اقترح الاتحاد السوفياتي على بريطانيا ان تعقد دول لجنة الهدنة التي انشئت في جنيف سنة ١٩٥٤ لانهاء الحرب فى الهند الصينية اجتماعا لدراسة قضية لاوس .

٢٤ ـ حصلت ايران على قرض من اميركا قيمته ٤١ مليون دولار .

ـ صدر بيان لتشكيل مجلس وطني يضع دستورا للعربية السعودية .

ـ اعتقل الجنرال منفيستو نيوي قائد الحرس الامبراطوري الذي تزعم الانقلاب فى اثيوبيا .

٢٦ ـ تعاني بلجيكا منذ اسبوع من اضراب العمال احتجاجا على اجراءات التقشف التي فرضتها الحكومة .

٢٧ ـ فجرت فرنسا قنبلتها الذرية الثالثة فى صحراء الجزائر .

٢٨ ـ ارسلت الصين الشعبية مذكرة الى بريطانيا والاتحاد السوفياتي تحثهما على العمل لمنع اميركا من التدخل والعدوان فى لاوس .

ـ اطلقت طائرة سوفياتية الصنع النار على طائرة اميركية . وكان ذلك اول حادث مباشر بين البلدين فى الحرب الاهلية الدائرة فى لاوس .

ـ اعلن بن غوريون انه سيتم تحويل مياه الاردن للنقب خلال ٣ سنوات ودعا الى زيادة الهجرة واسكان المهاجرين الجدد فى منطقة الحدود اللبنانية لانها اضعف منطقة عسكرية وسياسية فى اسرائيل .

ـ ابحر عبد الناصر ومرافقوه الى المغرب لحضور مؤتمر اقطاب افريقيا الذي سيعقد يوم ٣ يناير فى الدار البيضاء بدعوة من الملك محمد الخامس ويحضره نكروما وسيكو توري رئيس غينيا ومويبو كيتا رئيس مالي .

٢٩ ـ قضت محكمة امن الدولة الخاصة فى عمان باعدام ١١ متهما بعد ادانتهم بنسف رئاسة الوزراء .

ـ اعترفت وزارة الخارجية الاميركية بوجود خلاف بينها وبين بريطانيا وفرنسا على كيفية مواجهة الحملة الشيوعية للسيطرة على لاوس .

ـ قطع الملك بودوان وعروسه شهر العسل وعادا الى بروكسل بعد ان تفاقمت الحالة واشتدت الاضرابات .

٣٠ ـ قام الكولونيل موبوتو بتسيير حملة عسكرية الى اقليم كيفو لصد التحركات التي يقوم بها جنود الاقليم الشرقي المؤيدين للومومبا .

ـ اذاع راديو فينتيان ان عدة افواج من جنود فيتنام الشمالية الشيوعية غزت اراضي لاوس وامرت الحكومة جميع القوات العسكرية بالتوجه الى منطقة الغزو .

ـ تأزمت الحالة فى بلجيكا واخذ المتظاهرون يهتفون ضد الملك وبحياة الجمهورية واتهمت الحكومة العناصر الشيوعية بمحاولة الاستيلاء على الحكم .

٣١ ـ نفت حكومة فيتنام الشمالية ان تكون قواتها قد دخلت لاوس .

ـ القى ديغول خطابا هدد فيه بالاستقالة اذا جاءت نتيجة الاستفتاء على سياسته الجزائرية سلبية . كما اتهم الاتحاد السوفياتي بانه دولة استعمارية .

ـ سحبت الحكومة السودانية سفيرها من فرنسا احتجاجا على التجارب الذرية الفرنسية فى صحراء الجزائر التي يترتب عليها اخطار على السودان .

يناير ١٩٦١

٢ ـ اتهم خروشوف اميركا بالاستعداد لغزو كوبا . ودعا الى عقد مؤتمر تحكيم دولي بشأن لاوس على غرار المؤتمر الذي عقد فى جنيف حول الهند الصينية عام ١٩٥٤ .

ـ ديغول يأمر اسطوله بالابحار الى الجزائر . وفرحات عباس يعلن : شعب الجزائر سيقاطع الاستفتاء .

٣ ـ عقد ايزنهاور اجتماعا على مستوى عال للبحث فى قضية لاوس واعلن البيت الابيض ان اميركا لا تزال تعتبر الوضع فى لاوس خطيرا . واتهمت اميركا الاتحاد السوفياتي وفيتنام الشمالية بنقل معدات عسكرية وقوات فيتنامية الى لاوس لمساعدة الثوار الشيوعيين

ـ رفض البرلمان البلجيكي طلب الاشتراكيين بسحب مشروع قانون التقشف الذي ادى الى الاضراب واعمال العنف .

ـ اعلنت البعثة الدولية فى الكونغو ان الثوار الموالين للومومبا بعد ردهم قوات الكولونيل موبوتو شنوا حملة ضد السكان البيض فى بوكافو واعتقلوا عدة اوربيين

٤ ـ استقالت الوزارة التركية .

ـ افتتح فى الدار البيضاء مؤتمر الاقطاب الافريقي واقترح الملك محمد الخامس ميثاقا افريقيا من عشر نقط .

ـ عقد مجلس الامن للنظر فى شكوى كوبا من ان الولايات المتحدة اعدت خطة لغزو اراضيها .

ـ قطعت امريكا علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا .

ـ اعلن حلف جنوبي شرقي اسيا استعداده لحماية لاوس مع سعيه الى ايجاد تسوية سلمية للمشكلة .

٥ ـ اعلنت الجامعة العربية ان اجتماع وزراء الخارجية العرب سينعقد فى ٢٨ الشهر الحالي فى بغداد .

ـ اعلن ١٦ جنرالا فرنسيا من القواد السابقين للقوات الفرنسية فى شمال افريقيا معارضتهم لمشروع ديغول بشأن الجزائر .

٦ ـ ابلغت امريكا حلفاءها استعدادها لقبول توسيع وزارة الامير بون اوم اليمينية فى لاوس بحيث تضم الامير سوفانا فوما رئيس الوزارة الحيادية السابقة الذي لجأ الى كمبوديا .

ـ بدأ الاستفتاء فى الجزائر على مشروع ديغول . واعلن ديغول ان مصير فرنسا معلق بالاستفتاء .

ـ رفضت حكومة كاتانغا تلبية دعوة كزافوبو الى حضور مؤتمر المائدة المستديرة فى ليوبولدفيل فى ٢٥ يناير الجاري .

ـ رفض مجلس الامن اتهام كوبا بانها تتعرض لغزو وشيك من قبل الولايات المتحدة بعد مناقشة استمرت يومين ، ولم يؤيد التهمة الكوبية من بين الدول الاعضاء الاحدى عشرة سوى الاتحاد السوفياتي .

٧ ـ اعلن زعماء دول المغرب والجمهورية العربية وغانا وغينيا ومالي فى ختام مؤتمر الاقطاب بالدار البيضاء « شرعة افريقيا الجديدة » للتعاون فى الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية . وان استمرار حرب الجزائر سيرغم هذه الدول على اعادة النظر فى علاقاتها مع فرنسا . ودعا القرار الى منع استخدام اراضي الدول المشتركة لعمليات حربية ضد الجزائر . وقرر المجتمعون سحب قواتهم من القيادة الدولية فى الكونغو اذا لم تعد الامم المتحدة تنصيب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحكومه الشرعية . وتأييد المغرب فى كل تدبير يتخذه بشأن موريتانيا. واتهم المؤتمر اسرائيل بانها اداة للاستعمار فى افريقيا واسيا والشرق

ـ اعلن اللواء قاسم الغاء نظام منع التجول الذي فرض على العراق بعد ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨واذاع الحاكم العسكري العام ان العراق انشأ قاعدته البحرية الاولى للدفاع عن سواحل البلاد الجنوبية .

ـ ابرم الاتحاد السوفياتي اتفاقية لم تعلن نصوصها تقضي بتزويد اندونيسيا بالاسلحة

٩ ـ فازديفول فى الاستفتاء على سياسته فى الجزائر وفرنسا . وقد قتل ٢٩ شخصا خلال الاستفتاء فىالجزائر حيث قاطع الوطنيون الاستفتاء .

ـ قدمت حكومة الامير بون اوم اليمينية احتجاجاشديدا الىالامم المتحدة علىالمساعدات العسكرية التي تقدمها روسيا الى قواتباتيت لاو الموالية للشيوعية فى لاوس .

ـ احتجت يوغوسلافيا الى البانيا علىقيامها باعمال هدامة ضدها .

ـ تزحف قوة عسكرية منالمناصرين للومومبا فى اتجاه اقليم كاتانغا .

ـ تجددت الاضطرابات فى بلجيكا واتسعت اعمال العنف والتخريب مما اضطر الحكومة الى استدعاء ٢٠٠٠ جندي من قواتها التابعة لحلف الاطلسي .

١٠ ـ يحتدم النزاع الدولي فى لاوس . تلقتالحكومة طائرات امريكية وبدأتاستعمالها ضد القوات اليسارية . عقد مجلس حلف جنوبي شرقي اسيا اجتماعا لمناقشة الازمة اللاوسية . صرح الامين العام للحلف انالحالة ما زالت تعتبر سيئة جدا فى لاوس .

ـ وجه تشومبي رئيس وزراء ولاية كاتانغا احتجاجا الى قيادة القوات الدولية فى الكونغو على السماح للقوات الموالية للومومبا بالدخول الى شمال كاتانغا وخرق امر وقف القتال واحتلال المنطقة المحايدة المجردة من السلاح والتي يترتب على القوات الدولية حمايتها

ـ قررت جمهورية مالي انشاء تمثيل دبلوماسي فى الجمهورية العربية والمغرب .

١١ ـ بدأت الانتخابات النيابية فى ايران لانتخاب مجلس نواب اثر التلاعب الذي جرى فى انتخابات اغسطس الماضيمما ادىالى الغائها

ـ قدمت يوغوسلافيا قرضا بعشرين مليون دولار للجمهورية العربية لشراء معدات صناعية

ـ اعلنت بريطانيا انها تدرس الان اقتراحا قدمه الامير نورودوم سيهانوك رئيس دولة كمبوديا لعقد مؤتمر تشترك به ١٤ دولة لبحث قضية لاوس .

ـ اعلن المجلس التنفيذي لاتحاد النقابات العربية بالقاهرة الاتفاق مبدئيا على دعوةالعمال العرب الى مقاطعة السفن والطائرات والبضائع الفرنسية تأييدا للثورة الجزائرية .

١٢ـ أعلن الاتحاد السوفياتي تأييدهلاقتراح كمبوديا بعقد مؤتمر دولي للبحث فى الازمه اللاوسية .

ـ سمحت الحكومة التركية باستئناف النشاط السياسي بحرية تامة بعد ان منعته منذ قيام الثورة العسكرية فىشهر مايو الماضي

ـ وصفت حكومة الجزائر المؤقتة الاستفتاء فى الجزائر بانه مهزلة مفجعة فرضت على الشعب الجزائري بالقوة وسفك الدماء .

ـ بدأ مجلس الامن بحث الشكوى السوفياتية المتعلقة بالحوادث التي وقعت على حدود الكونغو وفى رواندا اورونـدي الموضوعة تحت الوصاية البلجيكية .

ـ قامت الطائرات الاميركية الصنعيقودها طيارون لاوسيون بالقاء قنابلها على القوات الثائرة وبدأت بذلك عهدا جديدا من الحرب الجوية .

١٣ ـ اعلن انقتالا نشب بين القواتالموالية للومومبا وبين القوات الدولية . وحذرت الامم المتحدة تشومبي رئيس وزراء كاتانغا بان اي اشتباك بين قواته وقوات لومومبا الموجودة فى مانونو قد يؤدي الى اندلاع حرب اهلية عامة .

ـ صدر بيان عن مؤتمر حركة الحرية الافريقية المنعقد فى نيروبي يعلن عن اتفاق الزعماء الوطنيين من افريقيا الشرقيةوافريقيا الوسطى على ان تشكيل اتحاد فيدراليدول افريقيا الشرقية يعتبر امرا حيويا . وان الانتخابات المقبلة فى كينيا واوغندا وزنجبار يجب ان يتبعها تأسيس حكومات ذات اغلبية افريقية وان يكون رؤساء الوزراء من الافريقيين .

ـ وقعت بلغاريا وكوبا اتفاقية مساعدات طويلة وقدمت بلغاريا لكوبا قرضا بخمسة ملايين دولار .

ـ صدر بيان فى اكرا انه تم الاتفاق على تعزيز العلاقاتبينمالي وغانا وفولتا العليا

ـ طلبت حكومة الاورغواي من السفير الكوبي والسكرتير الاول فى السفارة السوفياتية مغادرةالبلاد لقيامهما باعمال هدامة

ـ اقر مجلس النواب البلجيكي قانون التقشف الذي اثار الاضرابات فى البلاد

١٤ ـ الغى كاسترو تعبئة القوات الكوبية المسلحة التي بدأت عقب قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة .

ـ اعلنت الامم المتحدة ان لومومبا لا يزال تحت الحراسة اثر حريته القصيرة الامدخلال تمرد الجيش فى معسكر تيسفيل . وجاء فى الانباء ان كاسافوبو وموبوتو اعتقلاانناء حركة التمرد ثم افرج عنهما . واجتازت القوات الموالية للومومبا حدود رواندا اورونـدي واشتبكت مع القوات البلجيكية .

ـ قررت المانيا الغربية منح قروض تبلغ ٤٣ مليون استرليني الى الدول المتخلفة لمدة خمس سنوات بدون فائدة .

ـ وصل المارشال محمد ايوب خان الى بلغراد فى زيارة رسمية ليوغسلافيا .

١٦ ـ اوصى ايزنهاور بنفقات للدفاع تبلغ ٤٧٣٩٢ مليون دولار لموازنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ اي ما يزيد على نصف مجموع الموازنة العامة

ـ اصدر فرحات عباس بيانا قال فيه ان المشكلة الجزائرية دخلت مرحلة جديده تتيح امكانية الوصول الى حل سلمي عن طريق التفاوض وان هذه الامكانية معرضة للخطر بفعل المحاولات الفرنسية لفرض وضع جديد للجزائر

ـ اعتقلت حكومة كاتانغا عددا كبيرا من الاشخاص بعد اكتشاف مؤامرة تستهدف حياة تشومبي رئيس الوزراء

١٧ ـ قال مكميلان فى رسالة الى الامير سيهانوك رئيس دولة كمبوديا ان الطريقه الوحيدة لوقف القتال فى لاوس هي دعوة لجنة المراقبة الدولية الى استئناف عملها فورا كما اقترح نهرو

ـ احتلت قوات الحكومة اللاوسية قانغ فيينغ التي كان يحتلها الثوار وتقع علىطريق العاصمة الملكية برابانغ .

ـ اعلنت لجنة التوفيق الاسيوية الافريقية فى الكونغو انها تعتزم القيام بجولة فى البلاد للاطلاععلى اراء الزعماءالكونغوليين. وكانت اللجنة قد وصلت الى الكونغو في اوائل الشهر .

١٨ ـ نقل لومومبا سرا من سجنه في تايسفيل الى اليزابيتفيل عاصمة كاتانغا ومنهـا الى مكان مجهول

ـ وجه ايزنهاور كلمة وداعية الى الشعب الاميركي بمناسبة تخليه عن الرئاسة لخلفه جون كنيدي اشار فيها ان زعامة اميركاتعتمد على كيفية استخدام القوة لمصلحة السلم واستعرض الاوضاع التي تواجهها الولايات المتحدة ولا سيما المعركة مع الشيوعية التي وصفها بانها تشكلمن الخطر ما لا يقفعندحد

ـ وصل المارشال محمد ايوب خان الىبون فى زيارة لالمانيا الغربية

ـ طلبت حكومة لاوس جلاء القوات الفرنسية والخبراء العسكريين عن قاعدة سينو الجوية وتسليمها الى لاوس

ـ وقع فى موسكو اتفاق للتبادل التجاري بين تونس والاتحاد السوفياتي ينص على زيادة المبادلات بين البلدين ٥٠ بالمئة عن العام الماضي

مطبعة الغريب
بيروت ، شارع هوفلان ، ت ٢٤٦١٨٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحضارة والحرية

بقلم اميل توفيق

ان طبيعة الانسان طبيعة مزدوجة . فشقها الاول محدود بتركيبه البيولوجي النفسي ووظائف هذا التركيب. وشقها الاخر تكونه الاحداث التاريخية غير المحدودة ، وهو الذي يكون شخصية الانسان الحضارية . فالطبيعة الاولى يمكن تسميتها الطبيعة (البيونفسية) (١) ، والثانية هي الطبيعة (الحضارية) (٢) . وهاتان الطبيعتان تصوغان اسلوب السلوك الانساني ، وهذا الاسلوب هو الذي يعين حرية الانسان وارادته وعزمه . ويمكن الانسان ان يختار بين جملة اتجاهات حضارية توافق طبيعته البيونفسية . واية حضارة انما تمثل اتجاها معينا من هذه الاتجاهات ، ويمكنا ان نفرق بين ثلاثة مستويات للحرية الانسانية : المستوى البيونفسي ، والمستوى الحضاري ، والمستوى الخلقي او المعياري (٣) .

وقد عبر لوك وهوبز وسبينوزا وروسو عن الحرية . وكانوا يعنون بها انها الحالة المطابقة لفعل او نشاط الانسان البيونفسي . ولما كان هذا المستوى يعني ان الانسان حر في تحقيق رغباته وحاجاته فقد ذكر روسو ان الانسان قد ولد حرا ، اي ان له الحق في التفاعل الفطري مع البيئة الجغرافية والاجتماعية . فالطبيعة الانسانية من هذه الوجهة محدودة بحدود الشروط البيونفسية في تفاعلها مع البيئة الجغرافية والاجتماعية ـ والحرية البيونفسية تتكيف وفق هذا التفاعل اي وفق امكانياته والشروط البيئية .

ولكن الانسان ينمي قواه النشاطية في اطار الظروف الحضارية الاجتماعية (٤) فهذه الظروف تتوسط الطبيعة البيونفسية ـ ولما كانت الحضارات تختلف وتتمايز فلذلك يختلف السلوك من مجتمع الى اخر . وكذلك تعكس الحضارة تأثيرها على الحرية البيونفسية ، ففي اقليم الغابات مثلا يحتاج المرء الى تقوية عضلاته ، في حين انه لا يحتاج الى مثل هذا في اجواء البيئات المدنية .

ولان الحرية البيونفسية للانسان تتأثر بالظروف الحضارية والتاريخية ، فالانسان اكثر الكائنات قابلية للتكيف مع هذه الظروف من اي كائن حيواني اخر . آن الحضارة ، كما عبر مالينا وسكي ، توسع افق الانسان بفضل الاختراعات التي تزيد من اساليب النشاط ومن الانتاج ومن السيطرة على قوى الطبيعة لاشباع الحاجات والرغبات ، فالطائرة والراديو والتلفزيون قد وسعت دوائر الاتصال فضلا عن الوسائل الحضارية المعروفة . وقد اصبح الفرد بفضل التقدم العلمي والكشوف والمخترعات الحديثة ـ وبفضل تقسيم العمل ، قادرا على ان يمارس في مجتمعه حرياته النشاطية بحيث امكن ان يتحرر من كثير من الاعباء العلمية الكثيرة .

ولكن الحضارة كذلك تحدد حرية المرء ايضا ، ومن هذه القيود نظم الزواج ، والحضارات تختلف من حيث هذه النظم والقيود والسدود الاجتماعية . ومن الملاحظ دائما ان هناك توترا بين الحرية الطبيعية والحرية الحضارية ، في كل عصر من العصور ، وهو التوتر الذي عبر عنه فرويد بأنه عبء المدنية الذي تنتج عنه الانفعالات العدوانية ، والذي يولد الصراع في المجتمع .

واخيرا يوجد نوع الحرية المسماة بالحرية الخلقية (٥) او الحرية المعيارية (٦) اي نشاط المرء في اطار المثل العليا ومعايير السلوك الانساني ، فهي تعرف بأنها السلوك وفق افكار ومثل رشيدة للانسان في مجتمعه . وهذه الحرية تفترض معرفة سوية لطبيعة الانسان ، ولنوع السلوك الذي يتوافق مع المقتضيات المثالية الحتمية للمثل الرشيدة العليا، وما يستهدفه من غايات ، وما يزنه من قيم . فالحرية المعيارية ، نسبة الى المعايير ، اضيق بكثير من الحرية البيونفسية اذ ان الحرية المعيارية تقع في مستوى يدرك بالعقل والمنطق ـ وهي على رغم انها من وحي الحضارة والخبرة ، لا تستمد منها مباشرة لانها ـ اي الحرية الخلقية ـ مثال للكمال الفردي وللعدالة الاجتماعية التي لا يدركها الا انسان مثقف متحضر .

ويأتي المثل الاعلى الخلقي بعد هضم المرء للاساليب الحضارية وممارسته وفهمه لنواحي النشاط الحضاري ، ولذلك فالمثل الاعلى الخلقي يوصف بأنه في مستوى ما بعد الحضارة (٧) لان هذا المثل يؤدي الى المعايير التي تنظم اساليب الحضارة ، وترتب هذه الاساليب من حيث القيم وتزن نواحي النشاط الانساني بحيث تقدم ناحية ما وتؤخر اخرى وفق الاهمية ومقتضيات الظروف الانسانية ومقابلتها نرغبات الانسان وغاياته ، فالحرية الخلقية او المعيارية لا تستمد كاملة من اية حضارة تاريخية . ففي مضمونها تفهم وتعقل والهام فكري امد الفلاسفة على مر العصور بالافكار المشرقة وبالاحلام المثالية عن المعيشة في المدن السعيدة (٨) وهو الالهام الذي جعلهم يفترضون قانونا للطبيعة لتقييم السلوك الحضاري ـ وقد كان ذلك القانون في نظر ارسطاليس فرضا خلقيا اتخذ معيارا لقياس قيمة السلوك الانساني في علاقته بالدولة السياسية .

ومن الناحية النظرية نقول ان الحرية الانسانية قد مرت في تطورها في ثلاث مراحل ونعني بذلك من البيونفسية الى الحضارية الى المعيارية .

واذا تصورنا ، كما تصور بعض الفلاسفة ، ان الحرية الطبيعية مرادفة لوجود حالة من الفوضى ، امكنا ان ندرك الوظيفة التي قامت بها الدولة السياسية والدور الذي اداه المجتمع في سبيل الانتقال من حالة الفوضى الى حالة المدنية (الحضارة) . ومع ذلك فان الانتقال او التطور من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحرية الطبيعية الى الحرية الحضارية ليس معناه ابدا مقابلة جميع الرغبات البيونفسية وجميع الحاجات بلا ضابط او بلا نظام . فكلما تعقدت النظم الحضارية كلما قلت حريات الفرد ونشاطه والفرص التي فيها يظهر هذا النشاط في المجتمع . وعلى ذلك فالحضارة الاجتماعية من اثرها ان تسلب الفرد اكثر مما تعطيه او تمنحه ، وفي هذا المعنى بالذات دعا روسو الفرد الى ان يكون حرا لانه ولد حرا ، ودعاه للعوده الى الطبيعة (٩) ، والواقع ان روسو ، ومن يأخذ رأيه ، لا يعنى بالعودة للطبيعة ان يدعو الناس الى الفوضى التي تفرضها حالة الحرية الطبيعية . وانما هو يعني ان يصلح المجتمع ، وان يصلح الحضارة حتى تتطابق مع النظام المثالي الذي ننتظره ونتوقعه من تقدم الامكانيات الانسانية ، فالواقع ان هذه النظرة تعني الدعوة الى حرية خلقية، وهي حرية لها طابع موجب وطابع سالب، فهي موجبة من حيث انها تؤكد رغبة الفرد في توسيع افق حريته للتعبير عن فكرة الخير في المجتمع ، وهي سالبة من حيث انها تدعو للتحرر من مثالب الحضارة ومن اغلالها ومن سيئاتها .

ان كل الدعاوى المثالية (اليوتوبيات) سواء كانت دينية او مدنية انما جاءت نتيجة لتصور مثال لحياة السماء على الارض (وهذا المثال قد يكون مستمدا من الدين أو من منطق التاريخ) ،فهي على أية حال استنتاجات حضارية(١٠) تسمو بل تفوق الحضارات التاريخية .

ذلك لان كل « مثالية » تفترض أن الانسان ليس ناتجا حتميا لحضارته اي ليس واقعا تحت تأثير « جبري » للحضارة السائدة (كما يعتقد بعض الانثربولوجيين الحديثين) ، بل انها تجعل الانسان هو المبدع والمؤلف والمنتج للنظم الحضارية، ان الانسان هو الذي يخلق بعزمه، بل هو المسبب المباشر أو الاهم للنظم والظروف الحضارية.

فوراء كل جبرية حضارية (١١) ، ووراء كل حريةتفرضها الحضارة ، هناك الناحية الفكرية الخالقة المبدعة بالفكر والخيال الانساني ، وهي التي في مقدورها ان تبلور معايير مثالية ، في ضوئها تنتظم الحياة في المجتمع . فليس هناك جبرية الحضارة ما لم يكن هناك اناس جبروا انفسهم اولا على ان يبتكروا عمليات ونظما لكي ينظموا حياتهم ويحكموا انفسهم .

فقبلما تكون الحضارة حقيقة سامية ، او فوق عضوية(١٢) كما يسميها كروبير ، يجب ان تدرك اولا ، وان تخلق باناس تهمهم رغباتهم وتحقيق حاجياتهم وتنظيم تلك الرغبات والحاجات والمطامح . وصفوة القول ان وراء كل حرية حضارية ، وكل جبرية حضارية ، هناك حرية ما بعد الحضارة ، حرية معيارية بدونها لا تفهم معنى للحرية الانسانية في اية حضارة انسانية .

رأي مالينا وسكي في الحرية

يعتقد العالم الانتربولوجي مالينا وسكي ان الحرية هي ناتج الحضارة. والحرية لا يمكن ان تبحث خارج نطاقها . فكل حرية ــ لدى مالينا وسكي ــ هي حرية حضارية، وهي حرية لا يمكن ان تتجزأ. وعلى ذلك فالحرية اساسيا حرية اجتماعية ، فليس هناك اذن حرية فردية . وهو يقول ان الحرية تعرف في علاقات الناس الذين ينتظمهم المجتمع ويستمدون حياتهم من دوافع حضارية ، وقيم وادوات وآلات ونظم كالقانون والاقتصاد والسياسة . فالحرية في عرفه هي منحة الحضارة .

وفي رايه ان حرية الحضارة تتضمن نوعين : حرية الطمانينة ، وحرية التقدم والانتعاش ، فالاولى تتضمن كل الاساليب الوقائية الخاصة بمعاش الانسان ، اما حرية التقدم والانتعاش فتتضمن زيادة الحرية في استغلال قوى الانسان لمنابع البيئة وثرواتها . فهو بذلك يفرق بين الحرية البيونفسية والحرية الحضارية . ومالينا وسكي يؤكد ــ بغير ابداء البرهان والحجة ــ بان الحرية الحضارية تمنح الانسان الاشباع الكامل لحاجاته . ولكن نظرته تبدو غير متفقة مع ما توحيه دراسة تاريخ الحضارات وهي التي تقرر انه ما من حضارة كان في مقدورها ان تصل بالانسان الى الاشباع الكامل لحاجاته . حقيقة ان الحرية الانسانية يجب ان تفهم ، ان تعبر في ضوء الحضارة ولكن ليس معنى ذلك انها منحة الحضارة .

ويبدو ان مالينا وسكي لم يفرق بين الحرية المعيارية التي قد تقترب منها في بعض النظم الحضارية ، وبين الحرية الواقعية او الحضارية التي تحققها معظم النظم . ان الحرية المعيارية تفوق الحريات الاخرى بل انها ترسم وتخطط طريق التقدم الحضاري . والحرية المعيارية تستخدم لقياس قيمة الحرية الحضارية ، فبقدر اقترابها تسمو وبقدر ابتعادها تنحدر . والظاهر أن مالينا وسكي يستخدم فكرة الحرية في المدنية ، بمعنى فرض مثالي على الانسانية ان تسعى لتحقيقه . وهو في نفس الوقت يحدثنا كما لو كانت الحرية قد تحققت بالفعل في مسار العمليات التطورية، في طريق التقدم . ويمكنا ان نقول ان الحضارات السائدة انما تعطي اقساطا من هذه الحرية . ولكن الحرية المثالية بمعنى الاشباع غير المعوق للحاجات الانسانية ، ليست وظيفة او عملية حضارية ، ومن التضليل ان نتحدث عن الحرية كأنما هي منحة الحضارة .

ويبدو أن مالينا وسكي قد ادرك ذلك في اخر بحثه ، حين قال انه منذ بدء المدنية لا بد ان الحرية كانت هي الاساس الاولي لكل عمل بنائي يعمل على تقدم الحضارة . فهو اذن يؤمن ان الحضارة هي وليدة الحرية في بدء الانسانية ، وفي غضون تقدمها .

● 1) Psychobiologie 2) Cultural 3) Normative 4) Sociocultural 5) Moral 6) Normative freedom 7) Post cultural 8) Utopias 9) Back to Nature 10) Cultural constructs 11) Cultural determinism 12) Super-organic 13) Boas.

١٤) مرجع البحث Theoretical Anthropology by David Bidney

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما افيق

بيننا جدول همس ... مترف النغمة حلو
يشرح الصمت الذي في ... مقلتينا رف يلهو
مد ريشا في دمي ... فالافق من حولي خلو
لم يعد للارض حد ... لم يعد للناس لغو
عالم شاطئه الاهداب ملء الوهم صحو

* * *

عدت في مجمر آهاتي ... انسكاب وأهفو
عندما اغفو على زند جناحيك واسهو
ما عناق يعصر الاشواق ... ملء اللهو ، زهو
هم همي انني الموجود ... لا انسى فاصفو
ابدا في رغباتي الخضر ... التوج فاطفو

* * *

بعض ما تخبؤه عينيك ... ينجو بي فأسلو
نسمتان انسابتا نحو ... فحلا سمار وحلو

علي شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى هذا فهو قد عكس فكرته عكسا تاما . اذ هو يعتبر الحرية هي شرط تقدم الحضارة ، وليس العكس . وربما كان ماليناوسكي (وقد كتب بحثه اثناء الحرب العالمية الثانية) قد ادرك فكرة الاحتفاظ بالديموقراطية والقيم الديموقراطية ضد الطغيان النفعي . ولكنه كانتروبولوجي حضاري اعتنق المبدا القائل ان الحضارة هي المادة الاولية لنمو الحرية الانسانية ، وانه لذلك لا حرية بلا حضارة وبلا سلطة حضارية . وان كل حرية فردية هي حرية زائفة . وهذه الفكرة تؤدي منطقيا الى الرأي القائل بأن الانسان الذي يكون منسجما تماما مع حضارته، ويشعر انه متفق مع الحضارة السائدة ، هو انسان حر . (وهو ما لا يوافقه عليه العالم(١٢) لانه ينبغي ان نفرق هنا بين القيود الطبيعية،والقيود المفتعلةالتي تفرضها القوىالغاشمة).

يبدو ماليناوسكي اذن متناقضا مع نفسه ، بهذين الرايين المتناقضين وليس هناك ما يزيل ذلك التناقض غير فكرة واحدة ، هي الايمان بالديموقراطية من جهة ، وبحضارة عالمية من جهة اخرى . فهو في الواقع ديموقراطي بطبيعته يؤمن بالحرية الفردية ، وهو كانسان مؤمن بالحضارة العالمية ، يبغي فرض تلك الحضارة كغاية انسانية .

القاهرة **اميل توفيق**

الشيخ عبدالقادر المغربي

بقلم الدكتور عدنان الخطيب

دعا رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي) جمهرة من العلماء والادباء لحضور الجلسة التي عقدها المجمع في اول كانون الاول ١٩٦٠ لاستقبال العضو الجديد الدكتور عدنان الخطيب الذي انتخب عضوا عاملا في اجمع خلفا للفقيد الشيخ عبد القادر المغربي. وقد افتتح جلسة الاستقبال الامير مصطفى الشهابي رئيس المجمع واعلن ان الكلمة لامين سر المجمع الامير جعفر الحسني الذي القى خطاب الترحيب بالعضو الجديد معددا مزاياه مستشهدا لها ببعض اقوال شاعر العربية الفقيد محمد البزم ، ثم القى الدكتور الخطيب الخطاب المجمعي التقليدي متحدثا فيه عن حياة سلفه الشيخ عبد القادر المغربي وآثاره.

* * *

كلما تأثل المجد واستأصل ، كان احق بان يعتز به ويفاخر ، فاذا تماجدت دمشق كان هذا المجمع العظيم ، من مفاخرها الخالدة على الدهر ، الباقية بقاء العربية ، ودمشق من العربية ، قلبها يخفق حبا ، ودماغها المفكر يشع نورا ، يهدي العرب سبيل العز والسؤدد ، وينير أمامهم الدرب الهادي الامين .

اني ما نظرت الى هذا الصرح الشامخ ، من صروح العربية في نهضتها الحديثة ، الا وحنيت راسي اجلالا لعظمته ، واكبارا لجهود بناته الابطال ، حتى اذا ما دعوتموني الى هذا اليوم المشهود ، اخذتني الهيبة من الوقوف امامكم ، وتملكتني رهبة الانضمام الى صفوفكم ، رهبة يشعر بها من يصعد في السماء .

سيدي الرئيس : الامير :

يخيل الي ان ليس بوسعي ان اوفيكم ، والزملاء المحترمين ، حق الشكر على ما اوليتموني من ثقة وتقدير ، وشرف زمالتكم ، منتهى الشرف لمن يطلبه ، وغاية المجد لمن يطمح اليه ، فلكم الشكر خالصا ، من قلب مفعم بالتجلة والاحترام .

واسمحوا لي ان اخص بالشكر ، الزميل المحترم ، الذي تفضل واستقبلني ، فافاض علي من ادبه الجم ، وتهذيبه الرفيع ، ثناء يجاوز ما استحقه ، وثقة ارجو ان اكون اهلا لها.

اما شاعر العربية الكبير محمد البزم ، اول من اثل في نفوس الجيل الذي انا منه ، حب العربية ، وحب من يحبها ، وايقظ في اعماقنا اباء العربي وحذره كجزء من الدفاع عن قوميته ، فكلمته التي استشهد بها الزميل الكريم ، كلمة استاذ يضم الى فضل المعلم الجليل ، فضل المشجع يدفع بتلميذه الى العلاء ، اجزل الله ثوابه ، بقدر ما احب العربية . وما بذل من جهد في تعليمها والدفاع عنها.

وما انسى لا انسى فقيد المجمع العظيم ، الاستاذ الرئيس محمد كرد علي ، رائدا من رواد النهضة العربية المعاصرة ، ومعلما ، دفعني ذات يوم الى هذا المنبر ، فالقيت محاضرتي الاولى ، وما كنت ادري في تلك اللحظة ، أنها كانت درجة من درجات سلم ، علوته فبلغني السماكين .

* * *

في الثامن من شهر حزيران سنة تسع عشرة وتسعمائة والف للميلاد ، انشيء في دمشق ، عاصمة الدولة العربية في بلاد الشام ، المجمع العلمي العربي وكان من اعضائه ، شيخ في العقد الخامس من عمره ، يكور عمامته تكويرا يميزها من عمائم اهل دمشق .

كان الشيخ ربعة في الرجال ، حسن السمت ، جميل الطلعة ، حلو المحيا ، وجهه كصباح الربيع ، غض رطيب ، ابيض مشرب بحمرة ، تزينه لحية اقتصد في ارسالها ، وخطها الشيب ، فاستكانت الى الشيب خليطا غير قنع.

وكان عالي الهمة ، دؤوبا على العمل ، تبدو الحيوية في كل حركة من حركاته كما يبدو النشاط في كل خطوة من خطواته ، يحب المشي رياضة يومية ، يغدو الى عمله ويروح ماشيا ، ويترك البيت كلما ضاق بما في البيت من كتب مرصوصة ، واوراق مكدسة ، ليجد السلوى في المشي بين بساتين الصالحية والربوة ، يستمتع بجمال مسالكها ودفء الشمس ينسل من اشجارها الظليلة ، يستنشق عبير الآس في جنباتها ، وارج الريحان في مغانيها ، وحيدا حينا ، ومع بعض من يصطفيهم من الخلان والاصدقاء حينا اخر ، وهو دائما يمشي خطاه الثابتة ، غير متوان ولا متخاذل .

كان الشيخ حاضر البديهة ، بحديث كانه قطع الروض ، يحمل في طياته النكتة البارعة ، والشاهد البليغ ، كانما وعى عيون الاخبار وروائع الآثار . يحب معاشرة الناس ، عظيم الوفاء لمن صادق منهم ، كانما حبه دين . لين العريكة ، لطيف الشمائل مع صبر شديد على تحمل المكاره ، على انه مع ذلك كان عصبي المزاج ، يسرع الغضب اليه ، فيطير الشرر من عينيه ، وتتواثب الكلمات من شدقيه ، ولكنه يظل خفيف الظل ، مهذب اللفظ ، سهل الاسترضاء . واضحة في مقاصدها تعتمد حروفه ، اذا نطق ، على مخارج

كانت لغة الشيخ فصيحة في كلماتها ، سهلة في تراكيبها ، واضحة في مقاصدها تعتمد حروفه ، اذا نطق ، على مخارج يبين جرسها عن حقيقته ، فهو ليس من ابناء دمشق ، ولا فيها ولد ، ولو مر في حي من احيائها القديمة ، وكان هنالك من يتهامس به ، ويقول عنه : « صاحب العمامة هذا ، يسفه آراء الشيوخ ... ويدعو الى السفور » . لكانت هذه القالة مثيرة للرعب ، باعثة على الفزع ، خوفا على الشيخ من تجمع الناس ، وهم ينكرون ما سمعوا عنه وما قيل فيه ، ولكن الشيخ ما يكاد يلقي على الناس من حوله السلام ، حتى يهدأ الروع ، وتطمئن النفس ، لان اهل دمشق قد ارتضوا من اخلاق الشيخ البدء بالتحية ، فاذا هم يردون عليه بأحسن منها .

كان الشيخ قد نزل دمشق ، منذ سنوات (نزولا حسبه لماما ، فاذا هو قد استتلى شهورا واعواما) . واذا بفؤاده يخفق بحبها ، فالقى فيها عصا الترحال ، وسكن ما بين النيربين من مرابعها الخضر ، مسحورا بجمال ازهارها ، مفتونا بنسيم ربيعها ، يطرب لخرير الماء يجري فى مقمرات صيفها ولحفيف اوراق الحور ، ينثرها الخريف ذهبا على ارضها ، يعشق رائحة التراب ، أصابه طل يبشر بشتائها ، ويأنس بالديمة السمحة السكوب تسقي رياضها ، وتروي جناتها .

احب الشيخ دمشق ، واخلص فى حبه لها ، فاقام فيها عمره ، واستودعها اهله وفلذات كبده ، واختار ترابها لمثواه ، وكأنه من ابنائها كابراً عن كابر .

هذه نهاية قصة الشيخ ، اما بداتها ، فقد كانت فى الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٨٤ للهجرة ، وهي سنة عاصرت سنة ١٨٦٧ للميلاد فى ذلك اليوم ، ولد فى بيت من بيوت اللاذقية طفل ، أبوه موظف فى القضاء ،مغربي الارومة، كان جده الاعلى هاجر ، فى اواخر القرن الحادي عشر للهجرة اي فى النصف الثاني من القرن السابع عشر للميلاد ، من بلاد تونس الخضراء فى المغرب العربي ، واستوطن مدينة طرابلس من ساحل بلاد الشام ، وفى هذه المدينة ولد ابو الطفل ، وفيها تعلم اللغة والفقه والحديث ، وفيها تزوج، ثم رحل عنها طلبا للرزق والمعاش ، حتى اذا ما عاد اليها بعد سنوات من التنقل بين مختلف البلاد ، كان معه غلام صغير ، ولد له فى مدينة اللاذقية .

درج الغلام فى بيت ابيه وجده ، وهو بيت علم ودين ، بيت عريق فى القضاء والفتيا ، فشب وهو يملك ذخرا كبيرا من المعارف ، حفظ المتون فى الفقه واللغة والادب ، ثم اخذت مداركه بالاتساع ، وثقافته بالنمو ، لتلقيه العلم عن بعض المفكرين من شيوخ عصره ، كما بدات آفاق الراي فيه تتفتح ، عندما اتصل ببعض العلماء المجددين ،والمصلحين الثائرين ، كالسيد جمال الدين الافغاني ، والامام محمد عبده ، فتفاعلت فى نفسه الثقافتان الدينية واللغوية ، مع نزعات الاصلاح والتجديد ، والثورة على القديم البالي ، فجعلت منه شيخا يدعو الى ضرورة التطور واقتباس كل مفيد ، ونبذ كل فاسد من الاعراف والتقاليد ، وكان له من ذخره الكبير فى العربية والادب والتاريخ ، السند القوي فى امتلاك ناصية البيان ، والاخذ من الدعوة بالزمام، فاخذ يكتب وينتقد ، ويغمز ويلمز من سوء الادارة وفساد المجتمع، فضاقت بالشيخ بلد شيوخها له كارهون ،وحكامها لا يرتضون النقد من اي وعاء خرج ، فترك الشيخ بلده يئن من صولة الحاكم المستبد، ويرزح تحت سلطان الجمود الموروث ويرين عليه الجهل والفساد .

وهبط الشيخ مصر سنة ١٩٠٥ للميلاد ، يفتش عن متنفس لضيق صدره وميدان يعلن فيه اراءه وما يجول فى نفسه ، فاذا بالصحافة تفتح له صدرها ، وتدعوه الى ميدانها للمشاركة فيه ، فكتب المقالات المدوية ، ودبج الفصول الممتعة ، وكون لنفسه من وراء ذلك هالة ، جعلت منه بعد زمن قصير ، كاتبا اجتماعيا معروفا ، ينادي بالاصلاح الديني والسياسي ، وكاتبا لغويا متمكنا ، ينادي بالحفاظ على العربية ، لغة حية يتسع أفقها ، فى شروط وقيود تصون سلامتها من الضياع ، وقواعدها من الانهيار، واساليبها الفصحى من الانحطاط .

فلما اعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ للميلاد ، ونعمت البلاد بشيء من الحرية ، عاد الشيخ الى بلده كاتبا مرموقا، يحرر وينتقد ، ويدعو الى نهضة اجتماعية شاملة ، على صفحات الجرائد ، وفى مختلف المجلات ، حتى اذا ما اشتعلت نيران الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ للميلاد ، طلبت اليه الدولة ان يشترك فى تأسيس بعض المعاهد العلمية ، ثم لم تلبث ان عهدت اليه بتحرير جريدة عزمت على اصدارها فى دمشق .

وهكذا عرفت دمشق ، الشيخ عبد القادر المغربي سنة ست عشرة وتسعمائة والف للميلاد ، محررا فى « جريدة الشرق » يتولى الشؤون الاجتماعية فيها ويدعو الناس الى النهوض ونبذ الاباطيل ثم عرفته سنة ١٩١٩ للميلاد عضوا من اعضاء المجمع العلمي العربي البارزين .

* * *

اذا كان الاصمعي مات وفى قلبه حسرة من « حتى » فان الشيخ طاهرا الجزائري ، احد مؤسسي هذا المجمع ، مات وفى قلبه حسرة من « جمرايا » كما زعم الشيخ عبد القادر المغربي ،فى احدى المحاضرات التي القاها فى ردهة المجمع هذه ، و « جمرايا » قرية من قرى دمشق ، سكنها فى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، شاعر يسمى « أبا القاسم الحسين بن واسانة » نعته الثعالبي ، صاحب يتيمة الدهر ، بقوله : » هو اعجوبة الزمان ونادرته ،وفريد عصره وباقعته ، وهو احد الفضلاء المجيدين فى الهجاء ، وكان فى زمانه ، كابن الرومي فى اوانه» وفى احد ايام الربيع استقبل الواساني فى بيته بجمرايا ، ضيوفا من دمشق وكانت وليمة خلد ذكرها فى التاريخ ، اذ وصفها صاحبها بقصيدة دونها الثعالبي فى يتيمته ، وياقوت فى معجمه ، وشرح الفاظها وعلق عليها الشيخ المغربي فى محاضراته .

لقد كان لجمرايا ، يوم اقيمت فيها وليمة ابن واسانة ، شأن عظيم ثم عدت عليها صروف الزمن ، فضاع اسمها ، وصحف فى بعض كتب اللغة والادب ، وكان أدباء دمشق، يقرؤون وصف الوليمة فى كتاب اليتيمة ،وهم لا يعرفون « جمرايا » ولا موقعها فتأخذهم الحيرة فى ما كان من امرها ومصيرها ، وظل الادباء فى حيرتهم هذه ، حتى القى الشيخ عبد القادر المغربي ، فى اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٢٨ للميلاد ، محاضرته عن وليمة ابن واسانة ، وقال (لما طالعت ــ اليتيمة فى شهر مايس (أيار) سنة ست وعشرين وتسعمائة والف للميلاد ، وقرات وصف الوليمة الواسانية شاركت الاخوان فى

حيرتهم ، واخذت اتساءل عن قرية « جمرايا » واراجع عنها فى المظان ، وكنت كلما اوغلت فى المراجعة ، ارتطمت فى الشبه والشكوك .

ثم اتفق فى اثناء الحرب العامة ، ان الاستاذ الشيخ عبد القادر الخطيب ، خطيب الجامع الاموي ، ملك قطعة ارض فى مزرعة . . . فعلم من اكاريها ان اسم مزرعتهم جمرايا . . . وقد بنى الاستاذ ثمة دارا حسنة ، وجعل يحدث اخوانه عن « جمرايا » وجمال موقعها ، وطيب هوائها ، ويدعوهم الى زيارته ، وبهذه الصورة ، نشرت قرية « جمرايا » من مطمورة العدم ، وعادت فولدت من جديد باسمها الحقيقي ، وظهر ان محلها وادي بردى ، على قيد غلوة من قرية الهامة منتزه اهل دمشق المشهور) حتى قال : (. . . ثم درى الاستاذ الخطيب ، اني اهيء محاضرة فى هذا الموضوع ، اريد القاءها فى ردهة المجمع ، فقال لي :

اما وقد عزمت على احياء ذكر « جمرايا » فاني ، انا ايضا اريد ان احيي ذكر وليمة ابن واسانة) .

* * *

فى يوم من ايام الخريف كان فتى لم يجاوز الرابعة عشرة من عمره ، يقف الى جانب ابيه ، فى شرفة بيت ريفي جميل ، اقيم على شفا واد من اودية تنتهي الى نهر بردى ، فتؤلف مع مجراه ، الوادي الاخضر الكبير ، يجري فيه الماء الى دمشق فيحمل اليها الحياة ، ويكسبها الفتنة والجمال .

كانت السماء يومئذ صافية ، ترصعها خطوط متقطعة ، من الغيوم ، تناثرت هنا وهناك ، وكانها طلائع الشتاء المبشرة بالخير العميم ، كانت الجبال تحف بالبيت من كل جانب ، كانها الاطواد ، شامخة بصخورها الجرداء ، زاهية بلون اديمها الضارب الى حمرة ، وعشبها قد آذن وصوح ، واذا كان نحرها عريان ، فساقها كاسية حالية بوشاح من اشجار الزيتون ، زاد اخضرارها دكنة ، ما علق بها من ثمار نضجت وحان قطافها ، اما هذا الوشاح الحلو ، فتشده الى قمم الجبال اخاديد خضراء ، تزيده روعة وجمالا ، وكانت اشجار المشمش توشي اطراف الوشاح ، باوراق الخريف الذهبية ، واشجار الحور ، تقف فى مستقر الوادي ، مستعلية برشاقتها ، وكانها عرائس تختال على ما حولها من دلب ودردار ، وبردى يتلوى بين اقدامها تلوي الثعبان ، يظهر فى مكان ويختفي فى مكان .

كان الفتى وابوه فى انتظار ضيوف كرام ، والاب يحدث ابنه عن من لا يعرفه منهم ، فيهيج عنده الرغبة فى لقائهم والترحيب بهم ، والفتى دائم الحركة لا يستقر فى مكان ، وكانه عين لا تغمض ، تراقب طريق دمشق يخترق ملتوى الجبل من بعيد ، هابطا نحو النهر كالظمىء ، ليندفع من الجهة الاخرى من النهر صعدا اذا ما ارتوى ، فلما لاحت للفتى مقدمة سيارة ، تهلل وجهه طربا ، ولم تمض دقائق معدودات ، حتى كان الفتى من وراء ابيه يستقبل الضيوف يتقدمهم رئيس المجمع العلمي العربي ، والى جانبه الشيخ الذي كان الاب يحدث فتاه عنه ويقص عليه شيئا من القصص ، يحبب الاجتماع به . والاستماع اليه .

تحلق الضيوف حول بركة ماء يزينها ما يتصعد منه نحو السماء ، فاذا ارتد دونها ، انتثر كاللؤلؤ على سطح البركة ، ليعود بعد ذلك سيرته الاولى .

واخذ القوم يتحدثون عن جمال الطبيعة فى « جمرايا » وعن (موقع دار الخطيب ، وما تشرف عليه من مشهد عجيب) .

وكان الشيخ عبد القادر المغربي ، واسطة عقد القوم ، لا يلقي النكتة يتيمة ، ولا ينهي حديثا الا ليبدا قصة ، ولا يروي بيتا من الشعر ، الا ليعلق عليه حتى اذا بلغ سؤله ، رغب فى زيارة القرية ، لمعرفة معالمها القائمة ، وما بقي من آثار مجدها الغابر ، وماضيها المجهول ، فاسرع الفتى الى رفقته دليلا يحسن الحديث عن ما يعرفه من آثار شارك فى اكتشاف بعضها ، ويحسن الاستماع للشيخ يتم حديثه عن ابن واسانة ، شاعر جمرايا الذي لم تبق الايام من ذكر له فيها ، الا عين ماء تعرف بعين الشاعر .

طالت جولة الشيخ والفتى بضع ساعات ، كانا يصعدان جبلا ، ويهبطان واديا ، يجتازان شعابا ويطلعان ثنايا ، يتحاشيان ما استطاعا الوعر والاشواك ويقفزان اذا ما اعترضتهما عيون جارية ، وكان الفتى قد الف اجتياز العقبات ، وتمرس بعراقيب الجبال ، فاخذ بين الفينة والفينة ، يستحث الشيخ على التقدم والاسراع ، والشيخ يتمهله والابتسامة تعلو ثغره ، حتى بلغت الجولة منتهاها ، واذا بالفتى يشعر بالتعب يدب فى اطرافه ، والنصب يستنفد ما عنده من نشاط ، ولكنه استحيا من الشيخ فتجلد ، واخذ فى الاياب يقد السير للحاق به والبقاء الى جانبه ، فلما وصلا البيت ، وخاف الرفقة ان يكون الفتى الدليل ، قد اتعب الشيخ فى تجواله ، صاح هذا الفتى : والله ان الشيخ هو الذي اتعبني .

هذا اول لقاء اتيح لي بالشيخ ، ولم اكن ادري ان الايام تدور وتدور ، لاقف فى يوم ، اتحدث عن هذا اللقاء الحبيب .

* * *

حدثتكم كيف هبط الشيخ مصر سنة ١٩٠٥ للميلاد وجدير بي ان اقف قليلا لاحدثكم عن ثمرة طيبة من ثمرات هذه الفترة من حياته ، فقد نزل الى ميدان الصحافة ، وكانت جريدة « المؤيد » فى طليعة الجرائد التي خاض معاركه الاصلاحية فيها ، وقد اضطر وهو يكتب للعامة من الناس ، الى استعمال كلمات كثيرة ، من المعرب والدخيل ، فعتب عليه كثيرون من محبي العربية ، الراغبين في الحفاظ على سلامتها ، ونقده اخرون ، فاذا بالجدل ينشط بينه وبينهم (حتى تخطى الجدل القول الى الكتابة فى الصحف ، وكان يكتب فى المؤيد ، ردودا يحتج بها لنفسه) وكان لا يرى ، على حد تعبيره ، رأي الناقدين له (فى ان القليل من كلمات المعرب والدخيل ، يفسد المقال

الطويل ، بعد ان تتوفر فيه سائر صفات الحسن) .

وطال الجدل ، وكثر ما كتبه الشيخ دفاعا عن نفسه ، فاذا بصاحب المؤيد ، يشير عليه ، ان يجمع ما كتبه فى هذا الشأن فى كتاب مستقل ، فطلع الشيخ على الناس ، سنة ١٩٠٨ للميلاد بكتاب « الاشتقاق والتعريب » رد فيه على (الاغراب عن العربية ، البعيدين عن معرفة اسرارها ، والذين يرمونها بضيق العطن) وعلى العاتبين من انصار العربية (الذين يرفعون اصواتهم بالانتصار للغة ، والاعجاب بخصائصها ومزاياها) ثم لا يعملون على احيائها ، بالافادة من (قوتي الاشتقاق والتعريب ، وتمهيد السبل للانتفاع بهما .. كم يتم امداد اللغة بالحياة الدائمة والنمو المتوصل) فتصبح لغة حية تصلح لتلقين العلوم والفنون على اختلاف انواعها .

وكان جل هم الشيخ فى كتابه ، ان يثبت (ان المعرب عربي فاستعماله فى الكلام الفصيح ، لا يحط من قدر فصاحته ، ولا يخرج البليغ عن بلاغته) على ان الشيخ ، وهو فى حومة الجدل ، كان يندفع احيانا ، فى تأييد ما يدعو اليه ، اندفاعا فيه شيء من التنكر لاصل بعض الكلمات العربية، او فيه التساهل بتعريب الكلمات الاجنبية، فهو اذ يقول (والتعريب تحويل طبيعي ، او تغيير تدريجي، يطرأ على اللغة ، ويجري بها فى ناموس مطرد ، وقد خضعت له اللغة العربية بمجموعها ، ومن اول نشأتها ، كما تخضع له الان وبعد الان واعني بذلك ان اللغة بمجموعها معربة ومحولة عن لغة اعجمية) لا يرى عيبا فى استعمال كلمات «قومسيونجية» بدلا من « وسطاء » و « بالون » بدلا من « منطاد » و « بوسطة » بدلا من « بريد » لا بل انه دعا ، فى الفترة الاولى من دفاعه عن الاشتقاق والتعريب ، الى اخذ لفظة « اتومبيل » كما اخذ اسلافنا لفظة « منجنيق » والى اشتقاق آسم من لفظه لمن يسوقه ، فنقول « آتم » او « تامل » كما سمى العرب صاحب المنجنيق « ناجق » .

كما كان الشيخ، فى الفترة المذكورة، لا يبدي اي اعتراض على استعمال كثير من الكلمات الشائعة على السنة الناس، مثل « تلغراف » و « تلفون » و « فونوغراف » و «ملاريا» و « ميكروب » ونحوها مما جاء به نقلة العلوم العصرية ومترجموها ولم يروا مندوحة من تعريبه .

واصبح الشيخ رحمه الله فيما بعد ، من اركان المجامع اللغوية فى البلاد العربية فشارك بنصيب وافر ، فى ترجمة المصطلحات او وضعها او اقرارها ، مصطلحات لكثير من الكلمات الاعجمية ، التي كان لا يعرض على استعمالها لشيوعها على السنة الناس ، كما فى كلمات « برقية » و « هاتف » و « حاكي » و « برداء » و « جرثومة » . وكما هو الحال فى الرتب العسكرية ، التي كان اكثر الجيوش العربية تستخدم الفاظا اعجمية للدلالة عليها .

ثم كان هذا الوعي اللغوي فى الامة العربية ، الوعي الذي جاوز آراء الشيخ ، وغلب الناس معه استعمال « السيارة » و « المنطاد » و « البريد » على « اتومبيل » و « بالون » و « بوسطة » فارتاح الشيخ بادىء ذي بدء ، الى ما رأى وما سمع ، ثم اصبح لا يرضى عن التعريب ، الا بالشرائط التي تحفظ للغة سلامتها ورونقها ، ولم يعد يكتفي باطلاق لقطة « سيارة » على المركبة التي تندفع بقوتها الآلية ، بل طمع فى ان يعرف الناس من السيارة شكلها « قاطرة » كانت او « مقطورة » او « صهريجا » كما طمع فى ان يعرفوا « طرازها » وقوة « محركها » وعدد « اسطواناتها » ومقياس اطار عجلاتها ومدى صوت منبهها ونوع « مكابحها » وموقع« العادم » فيها ينفث فضلات ما تحرقه من وقود . لا بل طمع فى رؤية سائق اي سيارة تستعمل « المشيرة » كلما رغب فى تبديل وجهة سيره ، وينتبه الى كل شاخصة ، نصبت فى الطريق للتقيد بما تحمله من تعليمات شرطة السير ، كما طمع فى ان لا تترك السيارة الا فى المراب ، ليراب صاحبه ما فيها من خلل .

وحار الشيخ فى امر « الباص » فلم يدر ما يستبدل به، فارتضاه بهذه الصيغة الاعجمية ، وتركه يرد كذلك فى نص القانون الذي شارك فى صياغته ، على حين نثرت فى مواده كل الكلمات السابقة ، فى يسر وسهولة .

واني لاذكر غيرة الشيخ وجراته فى الدفاع عن العربية ، يوم اراد صاحب سلطان عارض ، تسانده صحافة قوية وكتاب كثيرون ، الاعتداء على تاء « سورية » فصاح الشيخ بملء فيه : ان العرب ، عطوا « سورية » حقا فى تاء تلحق بها ، فهلا يعتدين احد عليها .

لقد مات الشيخ رحمه الله ، ولو مد الله فى اجله ، فراى علم الوحدة المباركة ، يخفق فى سماء مصر والشام ، نواة للوحدة الكبرى ، احلى امانيه لطار فرحا ، ولبلغ به هذا الفرح مبلغه حين يرى « الشرطة » تفوز على « البوليس » فى المباراة ، ويرى « الامناء العامين » يأتمرون بكل «سكرتير عام » او يرى « المقدم والرائد » يحلان محل « البكباشي والصاغ » و«اللجان الطبية » تستبدل بـ «القومسيونات» .

* * *

عندما يذكر اي مجمع من المجامع العربية ، يذكر معه الفقيد الشيخ عبد القادر المغربي ، لا لانه كان من اعضائه المؤسسين فحسب ، بل لان للشيخ فضل السبق فى الدعوة الى انشاء المجامع اللغوية ، قبل نيف وعشر سنوات ، من انشاء اول مجمع لغوي ، مجمع دمشق العلمي ، فقد كان يبدي التلهف فى كثير مما كتبه قبل سنة ١٩٠٨ للميلاد ، نرؤية مجمع لغوي ينظر فى الكلمات الدخيلة والاعجمية ويدونها ، مشيدا بـ (النهضة العربية العباسية ، وخاصة المأصونية ، حينما عقدت المجامع وانشئت دور الحكمة ، فصار يؤمها كبار العلماء، لاجل النظر فى ما ينقله المترجمون، من الكلمات الاعجمية ونقدها وتدوينها) قائلا (وهذا ما نصبو اليه ، فى هذه الايام ، ونحسبه من اكبر دواعي تقدمنا ، واتساع نطاق لغتنا ، وانتشار العلوم على انواعها فى ما بيننا) .

وكان الشيخ رحمه الله تارة يذكر ، والالم يحز في نفسه ، الزمن الذي كان يعيش فيه يوم (انتشرت اللغات الاعجمية ، ومرنت على النطق بكلماتها ألالسنة ولا مجامع لغوية تعني بنقد تلك الكلمات ، وردها الى ابنية عربية) وتارة كان يضيق ذرعا بـ (الكلمات الاعجمية الكثيرة ، التي تنهال على لغتنا ايما انهيال ، وليس لنا من العناية وانشاء المجامع ، ما يقوم بشرط تعريبها ، او الحاقها بالاوزان العربية) .

وعلى الرغم ، من طول باع الشيخ في علوم اللغة ، وجلده على البحث والدرس كان يستصعب التمييز بين المولد والعامي ، لان هذه المهمة ، على حد تعبيره (تحتاج الى بحث وتنقيب ، وقلما يمكن للفرد ان يستقل بهذا العمل ، وتيسر له الاحاطة به ، وانما يتيسر للمجامع العلمية واللغوية ، التي تخدم اللغة وآدابها . وتبحث في موادها وجميع مفرداتها ، اصيلة أو دخيلة) . وكثيرا ما كان الشيخ يقول ، وفي كلامه ابتهال ورجاء : (كم نحن اذن في حاجة الى مجمع لغوي ، يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذي يتهددها ، ينتشلها من هذه الهوه التي نخشى ان تواقعها) ، او كان يعتذر عن البت في راي جريء يعرض له ، فيقول : (ليس لمثلي ، ان يبت بالراي فيه ، لا سيما وهو مما يتعلق بحياة اللغة وبثباتها ، في هذا الموقف الهائل ، الذي تزدحم فيه اللغات الحية ، وانما اكل الحكم فيه الى المجامع اللغوية ، التي تتمخض عنها البلاد ويتحفز الى انشائها ، من فضلائنا افراد) .

كان الشيخ رحمه الله يقول مثل هذه الاقوال ، يوم لم تكن للعربية دولة ، ويوم كان الحديث عن دولة للعربية ، تقصر عنه الاحلام ، وتجبن ان تخوض فيه الاقلام ، فلما رأى الشيخ المجمع العلمي العربي ، ينشأ في دمشق سنة ١٩١٩ للميلاد ، ثم مجمع اللغة العربية ينشأ في القاهرة سنة ١٩٣٤ صاح بملء فيه والرضا يملأ جوانحه ، والايمان يغمر قلبه : (ان الحمد لله ، لقد تحققت أمنيتي) .

ومما يذكر للشيخ تغمده الله برحمته ، انه عندما كان مندفعا في الدعوة الى الافادة مما كان يسميه « قوتي الاشتقاق والتعريب » احتاط مرة في اندفاعه ، وقال : (قد ظهر لك مما تقدم ، ان الاشتقاق قوة لنمو اللغة ، وتكاثر كلمها ، وتشعب صيغها لكنه سماعي مقيد بازمان خاصة ، واشخاص معينين ، وليس من مقدورنا نحن ، ان نعمل تلك القوة الان في اللغة فنشتق من مصادرها ، ونحول موادها اشتقاقا ، وتحويلا لم يعرفهما اهل اللغة انفسهم ، اللهم الا اذا طرأ على عمراننا وعقولنا وعلومنا ، التي نسميها نقلية ما يفكها من قيودها القديمة ، ويجاوز بها سننها المتبعة . وليس هذا الدور البعيد مما يحسن أن نتكلم عنه الان) . فلما اجاز مجمع اللغة العربية في مصر سنة ١٩٣٤ الاشتقاق من اسماء الاعيان ، اي من الاسم الجامد ، لنقول منحس من النحاس ، ومبلر من البلور ، ومكهرب من الكهرباء ، واستماه البخار اي استحال الى ماء ، واستبقر الجاموس اي عمل عمل البقر ، كما قال العرب في القديم : مذهب اشتقاقا من الذهب واستحجر الطين اشتقاقا من الحجر ، واستنوق الجمل واستنسر البعثات اشتقاقا من الناقة والنسر ، صاح الشيخ فرحا مسرورا : (لقد صدق حدسي وتحقق ما توقعته بعد ست وعشرين سنة) .

* * *

من الاثار الخالدة ، التي صنعها الشيخ الفقيد بعد نزوله دمشق تفسيره « جزء تبارك » من القرآن الكريم ، توخى فيه طريقة استاذه الامام محمد عبده ، في تفسيره « جزء عم » من حيث (الصحة في التعبير ، والاقتصار على المفيد من القول ... وعدم التنطع بالمشاغبات ، وايراد الخلافات والخرافات) ألا انه ، رغم حبه لاستاذه الامام وعظيم وفائه لذكراه ، لم يستطع متابعته في اسلوبه ، او التقيد بمنهجه ، فترك لنفسه هواها ، في حب العربية وعلومها ، فاذا به (يتوسع في التعليق والتفسير ، والاستشهاد والتنظير ـ ولا سيما المباحث اللغوية ـ باكثر مما فعله الاستاذ الامام) .

لنستمع الى الشيخ رحمه الله ـ يفسر قول الله عز وجل « قل اريتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين » يقول الفقيد (غورا ، مصدر غار الماء نضب وذهب في الارض ، وكان الظاهر ان يقول : ان اصبح ماؤكم غائرا لكنه وصف بالمصدر للمبالغة ... و « ماء معين » اي جار على وجه الارض ، منظور بالعين ، ووزنه « مفعول » من عانه ، اذا نظره بعينه ، او « فعيل » من معن الماء في جريه ، اذا اطرد وتسلسل ، فكان اعون على نقائه وطهارته ، وتخليصه من الشوائب) .

بل لنستمع اليه كيف ينسج من خيوط اللغة والادب . تفسير قول المبدع الكريم « الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا » قال : (كفاتا مصدر كفت الشيء الى نفسه ضمه ، وهو الذي نصب « احياء وامواتا » على المفعولية ، اما من جعل كفاتا ، اسما بمعنى الموضع الذي يكفت فيه الشيء ، ويضم كالوعاء والصوان ، فان « كفاتا » حينئذ لا تنصب « احياء وامواتا » بل ناصبهما فعل محذوف دل عليه « كفاتا » كأنه قال : تكفت احياء وامواتا ...

ويصح ان تكون « احياء وامواتا » منصوبة على الحال ، فانه قال : تكفتكم حالة كونكم احياء وامواتا ، اما كون الارض تضم الاموات الى صدرها ، وتكون كفاتا لهم ، فامره ظاهر ، ولكن ما معنى انها تضم الاحياء اليها ؟ وكيف تكون كفاتا لهم ، وهم منتشرون فوق ظهرها متفلتون الى كل جانب من جوانبها ، ولا حواجز تصدهم ، ولا سدود تقوم في وجوههم ؟ قيل في الجواب ان المراد يكون الارض كفاتا للاحياء ، ان منازلها ومساكنها كفات لهم ، تضمهم بين جدرانها للبيتوتة والراحة والسكنى ، كما ان المقابر كفات للاموات تضمهم بين جوانبها) .

وهنا يتابع ، فقيدنا العظيم ، تفسيره براي اصيل يدل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امـــل

انـا ما ذقت لـذة العيـش حـتى
اسـتطيـع الهنـا واعـرف سره
فنصيبـي مـن الحيـاة عـذاب
مسـتمر وآهـة ثـم حسـره
بـت والدهـر فى صـراع عنيـف
هـو يقسـو وكـم تمنيـت قهـره
كلمـا رمـت ان ارفـه يومـا
عـن فـؤادي بفرحـة ومسـره
طعنتنـي الايـام طعنـة لـؤم
وسقتنـي مـن المـرارة خمـره

غـير اني وان دهـتني الليـالي
لسـت اخشـاك يا زمـاني مره
فالابي الانـوف مهمـا يـلاقي
مـن عنـاء ومـن اذى ومضره
عظمـت نفسـه وجـاشت اما
نيـه واضـرم البـأس صـدره

الكـوره **عطـارد الايوبي**

على ثقافة عامة ، وتفهم للعلوم العصرية ، فيقول : (وارى ان اكتشاف ناموس الجاذبية العام ، الذي بموجبه تجذب الارض اليها ما على ظهرها من البشر والدواب وسائـر الاشياء ، والذي لولاه لطاروا وتبددوا شذر مذر فى الفضاء، بسبب حركة الارض اليومية على نفسها ، وحركتهـا السنوية حول الشمس ، بسرعة فائقة الحد ، هذا الاكتشاف يفسر لنا معنى ما قرره الكتاب الالهي ، من ان الارض كفات للاحياء ، مذ يكونون على ظهرها ، فانها تجذبهم اليهـا ، وتضمهم الى صدرها ، كما تفعل الام الحنون ، فلا تدعهم يتفلتون ، وهم بذلك لا يشعرون).

* * *

سبق ان عرفنا ، كيف لجأ الشيخ المغربي الـى مصر ، وكيف عاد الى بلده ، بعد الانقلاب العثماني ، واعلان دستور يكفل للمواطنين الحقـوق والحريات الاساسية وجميـل بنا ، ان نطلع على العدد الصادر يوم العاشر من شباط سنة ١٩٠٨ للميلاد من جريدة « المؤيد » لانه كان يحمل مقـالا عنوانه : « الاصلاح العملي : ذهب دور القول وجـاء دور العمل » كتبه الشيخ عبد القادر المغربي .

كان الشيخ فى مقاله « ثائرا يدعو الى الاصلاح ، ومصلحا يدعو الى اقامة مجتمع جديد ، وكأنه باصطلاح العصر الذي نعيش فيه «رجل تخطيط» يضع الخطوط الكبرى، ويرسم السبل التي يجب سلوكها ، للوصول الى الهدف المنشود ، لقد كانت اهم الاسس الاصلاحية التي خططها ، هي :

آ ـ اصلاح اجتماعي ، يشمل الحكومة ، بمرافقهـا العامة ، واداراتها وانظمتها كما يشمل الاسرة ، وخـص الشيخ « المراة » بنصيب كبير من الدعوة الى تعليمهـا ورفع الحجر الاجتماعي عنها .

ب ـ اصلاح ديني ، يشمل معاهد العلم ، واساليـب التعليم ، يعود الدين معه الى بساطته وصفائه .

ج ـ اصلاح لغوي يتلاءم مع مقتضيات الزمن ، ويجعل من اللغة العربية لغة سياسة وعلم وفن .

وظل الشيخ رضوان الله عليه بعد وضعه هذا المخطط ، وفيا له ، يدعو الى العمل به بقلمه ولسانه ، ويجاهد مـا استطاع ، لتحقيقه وتنفيذه ، متفرغا فى اخريات حياته الى الاصلاح اللغوي ولخدمة العربية ، حتى انتقل الى الرفيق الاعلى ، صباح يوم السابع والعشرين من شوال ١٣٧٥ وفق السابع من حزيران سنة ١٩٥٦ للميلاد ففقدت العربيـة بموته ، ركنا من اركان الدفاع عن سلامتها لغة دين وادب، ورائدا من رواد الدعوة الى احيائها لغة تساير نهضة العلوم والفنون الحديثة . وخسر المجتمع بموته مصلحا يدعو الى اقامة مجتمع تسوده الاخلاق الفاضلة ، ويعـرف كل فرد فيه واجباته وحقوقه ، وودعت الصحافة فيه ، علما من اعلامها الاول ، جاهد على صفحاتها بقلمه وفكره ، يدعو الناس بقوة وايمان الى الخروج من ظلمات الجهل والاعراف البالية ، الى نور المعرفة والارتقاء .

لقد مات المغربي ، وترك ثروة خالدة ، من الافكار التي دونها ، والاراء التي اعتنقها ، عرف الناس الكثير منهـا ، قراءة فى صحيفة او مجلة او كتاب او سماعا فى درس او محاضرة او حديث ، وبعضها ما زال مخطوطا ، ينتظر مـن ينشره عـلى الناس .

لقد اتعبني الشيخ عبد القادر المغربي ، اول يوم عرفته يوم وليمة جمرايا ، حين كنت اجهد لالحق به ، اما اليوم ، وقد شئتم ان اتبوأ مقعده فى صفوفكم ، فقد كلفت امـرا ادا ، لان مكان الشيخ بيننا سيظل شاغرا ، ولن يسد مسده احد ، فقد جاد الدهر به يوم ولد والدهر كأم الصـقر مقـلات نزور .

لقد جاد الدهر بالشيخ عبد القادر المغربي ، فكان ملء السمع ، ملء البصر ، فسلام عليه يوم ولد ، وسلام عليـه يوم نزل دمشق فاحبها واحبته ، وسلام عليه يوم حنـت على رفاته مخلدة ذكره ومآثـره .

دمشق **عدنـان الخطيب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوهم الجميل

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

وانا ايتها الغالية حدث لي ما حدث لك .. ويومها جزعت كما تجزعين ،وبكيت كما تبكين .. بل خيل الي ان الحياه لا معنى لها ، وفكرت بالانتحار .. ولكن سرعان ما تبلجت الحقيقة امامي ، وشفيت من هذا الوهم الذي وشاه خيالي بالوان فارهة فيها طلاوة والق .. والان عندما استعيد هذه الذكرى يغلب علي الضحك ، واعجب من سذاجتي . وثقي يا بنتي الحبيبة ان كل عذراء تعيش ردحا من الزمن على هذا الوهم الجميل .. بيد ان الاريبة لا تلبث ان تنساه لتستقبل الواقع الذي يزيح عنها تلك الغشاوة الصيفية التي بللت حياتها .

ماذا تقولين ؟.. انك لا تستطيعين ان تنسيه .. ومن هذا المأفون الذي تفنين نفسك لاجله ؟ انه لا يستحق ان تفكري فيه لحظة واحدة .. فكيف يخالجك الحب نحوه ؟. تقولين انه خطب غيرك .. وماذا يعني هذا بالنسبة لك ؟.. غدا يرزقك الله بفارس احلامك ، وستضحكين من سذاجتك كما اضحك الان من سذاجتي الماضية . انك في ميعة الصبا ، في السابعة عشرة من عمرك الزاهي .. فالدنيا متفتحة لك ، والمستقبل ينشر امامك عطره الفواح .. فلا تدعي اليأس يتسرب اليك .. انسيه يا بنيتي الحبيبة كما نسيته انا .. ارجوك ان تصغي الي قليلا .. وبعدها ابكي اذا شئت ..

لقد اختلجت بي نفس الاحاسيس التي تختلج بك الان .. كنت يا امل في مثل سنك .. هذه السن الخطرة التي تتفتح فيها العواطف لاول طارىء .. يخيل اليها ان الحب اساس الوجود ، فتقع على امير الاحلام الذي يضفي عليه الخيال الالوان الزاهية التي تلهب قلوبنا النابضة برق العواطف ، واسناها ..

وكان شابا في الثلاثين من عمره ، فارع العود ، جميل الطلعة ، يتدفق رجولة وقوة . وتردد على بيتنا لمعالجة والدتي المريضة ، ولاول مرة رأيته فيها خفق قلبي له واحسست بتلك العذوبة اللاذة تغمرني ،وانحدرت الى اعماقي عاطفة ندية لم ادرك كنهها .. المهم انني وجدت لذة كبيرة في التحديق به .. حتى اذا غادر البيت احسست ان روحي فارقت جسدي ..

وكان عزائي في وعده بالعودة في صباح اليوم التالي ، واستسلمت الى هذا الامل يهدهدني بنغماته المسكرة .. وعندما اويت الى سريري خلوت الى صورته استعيدها في خيالي ، واتاملها كأنني في محراب قدسي ورحت اهمس له بالحب الذي اجتاحني .. وتفننت في مناجاته بأرق الالحان ، واعذب العبارات ..

واحق ان هذا اللقاء العابر خلقني من جديد ، ففتحت عواطفي وتباورت بي امنية عظيمة .. ان احظى به كزوج يزقني الحب والحنان، وتمثلت بيتنا يمرح فيه اطفالنا ، فكدت اجن فرحا لهذا المنظر الرائع الذي تراءى لي من خلال المستقبل الريان .. ما اجمل ان يحنو علي ، واحنو عليه ، وينطلق اطفالنا في لعبهم المريء ، ومرحهم البريء ، وثرثرتهم الشادية . حقا انها سعادة حلمت بها، فهدهدتني ، ونقلتني الى عالم سحري يمور بالحب والطلاقة ..

ولم انم الليل في انتظار الصباح لاحظى برؤيته .. ولا اكتمك ان الخوف ساورني كثيرا في هذه الليلة التي ولد بها حبي .. قد لا يتزوجني .. وارعبتني هذه الفكرة ، واقصيتها عني بعنف .. لماذا لا يتزوجني ؟. انني جميلة فاتنة ، واسرتي كريمة المحتد ثرية .. وماذا يريد اكثر من هذا ؟. ولكن .. كيف السبيل الى دفعه لطلب يدي ؟ واعترف ان هذه الفكرة عذبتني .. ولكنني بخيال بنت السابعة عشرة تغلبت عليها .. سافاتحه بحبي ، واطلب اليه ان يتزوجني . ولا بد ان يرتاح لهذا لانه لن يجد فتاة مثلي ..

وهكذا داعبتني المنى المعسولة طوال الليل .. وكلما قلبت الراي على وجوهه المختلفة ، وتصدى لي حاجز يحول بيني وبينه أهلت عليه التراب.

وسقسقت العصافير تستقبل الصباح ، وارسلت الشمس اول حباتها الماسية على هذه الدنيا ، فاسرعت بارتداء ثيابي ، وانتقيت اجملها تلك التي تبرز مفاتني . ورشقت المرآة بنظرة مستعلية ، واعجبت بوجهي الزنبقي ، وصدري الذي يتالق كالنور في بياضه وبضاضته، كل شيء بي مغر دع .. فلم لا ينجذب الى حبي ؟

ورن جرس الباب في هذه البكرة المطلولة ، فهرعت الى فتحه ،خافقة القلب ، مهتاجة الخاطر . واطل بقوامه السمهري ، ورشاقته الحية ، ولو اصغيت لنداء قلبي لارتميت بين ذراعيه اغمره بقبلي ، ولكنني تمالكت نفسي . وقلت : تفضل .

— كيف والدتك الان ؟

— بخير .

وولج حجرة امي ، وجس نبضها ، ووزن حرارتها ، وابتسم وقال : بعد اسبوع تغادرين السرير.

واراد الانصراف ، ولكن والدي دعاه لاحتساء فنجان قهوة . وانطلقت كالريح اعده بنفسي ، وقدمته له ، ويبدو انه كان شارد الذهن عندما تناوله فلم يشكرني .. وبعد ان رشف منه بعض جرعات تنبه الى وقال : قهوة عظيمة .. اشكرك يا



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ناديا .

ـ انا التي عملتها .

ـ انك شاطرة .

وقدمت له سيجارة ، فأشعلها . وابتسم قائلا : يبدو انك مهتمة بي كثيرا .

وضحك والدي قائلا : لانها ستدرس الطب .

وقال الدكتور : لا تتعبي نفسك يا انسة بهذه الدراسة الشاقة .

وقلت دون وعي : كما تريد يا دكتور .

ولست أدري مدى تأثير هذه العبارة عليه .. غير انني لمحت اختلاجة يسيرة في عينيه . وتساءلت بيني وبين نفسي .. هل فهم قصدي ؟. انني اريد ان افهمه انني طوع يديه . وتمنيت من الله ان يكون قد لفت نظره الى هذا .

وشفيت والدتي .. وامتنع الدكتور من زيارتنا ، وشعرت بفراغ هائل لبعده عني ، ففي خلال هذه المدة التي امضاها في معالجته والدتي ربا حبي له ، وتضاعف وجدي به ، وترسبت صورته في وجداني حتى اضحت لا تفارقني . ونقمت على والدتي التي برأت بسرعة . وجفاني النوم ، وعجب اهلي من سرعة انفعالي ، وتوتر اعصابي ، وفقدان شهيتي .. ولكنهم انى يعلمون ان الحب رتع في روحي .. واخيرا اعتزمت امرا ، وغادرت البيت ، وذهبت الى عيادة الطبيب . وكانت مكتظة بالمرضى . واعطيت اسمي للممرضة ليحدد لي ميعادا ، وعادت بعد قليل ، وقالت : تفضلي .

وتثاقلت في مشيتي ، وسارع الي الاضطراب ، واحمر وجهي .. لقد اعتزمت ان اصارحه بحبي لانجو من هذا العذاب الذي يلاحقني .. واستقبلني مادا ذراعيه ، وقال : اهلا وسهلا ناديا .

ورجفت ، وانا احس حرارة يده تسري في بدني . وتهالكت على مقعد خائرة القوى . واستتلى الدكتور قائلا : خيرا . ان شاء الله . ماذا بك يا ناديا ؟.

وتهدج صوتي وانا اتمتم : ارق في الليل ، وتوتر اعصاب ، واضطراب في كل جسدي .

وتضاحك قائلا : كل هذا .

ـ واكثر ، انني لا استطيع ان اصف لك كل الآمي .

ـ يبدو انك تدرسين كثيرا .

ـ ابدا . وحياتك لم افتح كتابا منذ اسبوع .

ـ غريب . وهل نسيت ان الامتحان على الابواب ؟.

واخذ يدي ، وجس نبضي ، وهفت الحمرة بوجهي ، ثم امرني بالتمدد على منضدة الفحص ، ووضع السماعة على صدري ، وبعد دقائق مال الي قائلا : ليس بك شيء يا ناديا .

وصرخت : كيف ؟ انني مريضة .

ـ اؤكد لك انك خالية من كل مرض . يجب ان تأخذي حماما باردا كل يوم .

ـ انت غلطان يا دكتور .

ورنت ضحكته صافية وصاح : طيب . انت مريضة ، وساعطيك دواء يشفيك بسرعة .

ـ انت تضحك مني يا دكتور .

ـ وماذا تريدين ان افعل ؟

وغلغلت نظراتي فيه ، ودار راسي ، وزاغت عيناي ، وفقدت وعيي ، فوثبت من مقعدي ، وطوقته بذراعي ، وجذبته الي ، وقبلته ..

واذهلته المفاجئة ، وتملص مني ، وتراجع خطوات الى الوراء ، وقد بهت لونه ورجف جسده ، وحدق بي بنظرات التمع بها الذهول والقلق .

وتمتم : ماذا فعلت يا ناديا ؟

واجهشت بالبكاء وغمغمت : سامحني يا دكتور . لم استطع مغالبة عواطفي . انني احبك .

وفغر فاه دهشة ، وصرخ : تحبينني .

ـ نعم . منذ اليوم الذي دخلت فيه بيتنا ، وانا افكر فيك واتعذب ، لانني احببتك بكل ما في قلبي من ضرام . انني اتمثلك امامي ليلي نهاري ، ولا استطيع ان انتزعك من قلبي .. انك حياتي .

وكدني عرق بارد .. ورايته يشعل سيجارة بعصبية ، وينفث دخانها .. وكنت انتظر كلمة منه ترفعني الى اوج السعادة .. وبعد هنيهات خلتها دهرا قال لي : ناديا .. انت غلطانة .

وقاطعته : غلطانة .. لا اعرف . كل ما اعرفه انني احبك .

ـ وماذا تريدين من هذا الحب .

ـ الزواج .

ـ الزواج !..

ـ هل تستطيع ان تجد زوجة لك في مثل جمالي واخلاقي وكريم محتدي .

ـ ولكنني يا ناديا ..

وقاطعته : لن تجد امراة تحبك بهذا الاخلاص والاندفاع .

ـ ولكنك مثل ابنتي .

ـ فارق السن لا اهمية له .

ـ يسعدني حبك .. ولكن ..

ـ لا تقل لكن .. كل عقبة يجب ان نزيحها من طريقنا .

ومد يده الى جيبه ، واخرج محفظته ، وفتحها بتؤدة ، واخرج منها صورة ، ودفعها الي ، وقال : انظري الى هذه الصورة .

وتأملتها بسرعة .. انها صورته مع امراة جميلة ، وطفل .. وقلت : صورة من هذه :

واجاب : انها صورتي مع زوجي وابني .

واحسست بالاختناق ، وكدت اقع مغشيا علي ، غير انني تجلدت ، وايقظني صوته الداوي من ذهولي : اسمعي يا ناديا . انا متزوج . واحب زوجي وولدي حتى العبادة . وهكذا ترين انه لا امل لنا في الزواج .. واؤكد لك لولا هذا لكنت سعيدا في الزواج بك .

واردت البكاء ، ولكن الدمع لم يستجب لي .. وشذرته بقسوة ، وقد جرفني حقد هائل عليه .. وربت ظهري ، وقال : ناديا . ان ما تحسين به نحوي نزوة عابرة لن تلبث حتى تزول . ستنسين كل شيء عنها ،

الكأس الاولى

●

التقينـا على الرمـال التقينا وجمعنا اللهيب من شفتينـا
وعصرنا الكروم.. حتى ارتوينا وهدمنا السنين ... ثم بنينا
وخلعنا الظـلام ثم ارتدينـا حلل النور، والشذى، وانثنينا

لنغني ..مع الطيور الخليات .. نغني .. والكأس فى راحتينا
كأسنا كأسنا .. حصاد الصبابات .. دفنا الصبا بها وبكينا
أترى تذكرين.. ذاك الصراع الحلو.. تلك الجراح فى ساعدينا ؟
جوعنا الكافر العنيد انطـلاق.. وانسحاق.. مدمر جسدينا !
والغرام العنيف برعمنـا الاخضر .. طفل يطل من مقلتينـا
كم فرشنا له الضلوع مهادا ... وسقينا عروقه مهجتينـا
كنت انسانة.. وكنت .. اجل كنت.. ارى فيك دمية تتثنى
كنت مثالها الذي عجن الطينة .. سـوى لها بريقا ولونـا
كنت طفلا.. بلا جذور.. ونايا.. ساذج اللحن لايرى الكون كونا
غير ان الزمـان دمر عشـينا ومـد الجـدار حتى اختفينـا
عبثـا.. نجمع الشظايا النثيرات.. لنبني كأس الهوى فى يدينا
وافترقنا.. على الطريق.. كلانا .. فى طريق.. كأننا ما التقينا
وأراك الغداة .. اطياف ذكرى.. باهتات.. تلوح لي بين بينا

القـاهرة **محي الدين فارس**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتضحكين منها عندما يحين الوقت ، وتتزوجين . انك لا تزالين صغيرة . لا تفكري بالحب والزواج الان . ليكن همك دروسك حتى تنجحي بتفوق. وتأكدي انه سيتقدم اليك عشرات يطلبون يدك .. كلهم احسن مني .

وخرجت من عيادتـه مكروبـة الجوانح ، مهيضة النفس . وذهبت الى البيت . وتعذبت . ولكن سرعان ما ذاب هذا العذاب فى انكبابي على دروسي . ولقد صدق الدكتور فـي كلامه ، فقد خطبني ابوك ، واحببته الاف المرات اكثر من حبي العابر لذلك الدكتور ، وانت بدورك يـا حبيبتي سيأتي الزوج المنشود عندما يحيـن الوقت وستحبينه ، وستجدين ان حبك لابن عمك الذي خذلك وتزوج غيرك ليس الا نزوة عابرة .. ووهم سيتبدد ذات يوم .. فلـو كان ابن عمك جديرا بمزاياك العظيمة لهـرع اليك ، ولكنه لا يستحقك لان نصيبك لا يزال منطويا فى ضمـير الغيب .. وكل ما يجب ان تعمليه للشفاء من هذا الوهم الجميل الانكباب على كتبك لتكوني من اوائل الناجحات فى الشهادة الثانوية التي هي على الابواب .

افهمت يا بنتي الغالية .. مـا لك تنظرين الي هكذا ؟. انني مطمئنة الى حصافتك .. ايتها العزيزة الحبيبة.

طرطوس **محمد حاج حسين**

● « ان حرية المرأة الصافية الجميلة اسمى بما لا حد له من اي عمل جنسي . وليس في هذا الامر شيء محزن الا تخلف الرجال فيه عن النساء . انهم يلحون على الشيء الجنسي كالكلاب » د.ه. لورانس

د. ه. لورانس في « عشيق الليدي تشاترلي »

بقلم محمد اديب العامري

كاتب فنان عبقري ولا ريب ، ولكنه مفكر فاشل . دخل الى هذه الدنيا فولد مع مشاكلها ، وعانى هذه المشاكل معاناة قاسية ، وتألم منها الما شديدا ، ثم خرج منها مسرعا بعد ان حاول حل مشاكلها ، فلم يقدم اي حل اساسي من الحلول التي حاولها . ومع ذلك نقرأ له ما كتب شغوفين به محبين له ، ونكرر القراءة فنجد فيها شغفا جديدا ولذة مستحدثة .

ذلك هو د. ه. لورانس الكاتب الانكليزي الاديب الذي حركت ذكراه في نوفمبر الماضي الى مدى عالمي عميق محاكمة أولد بيلي في لندن التي نطق بالحكم فيها نهائيا القاضي برن واصدره لصالح القصة الطويلة التي ظل نصها الكامل ممنوع النشر في بلد الكاتب نفسه زهاء ثلاثين سنة ــ رواية « عشيق الليدي تشاترلي » .

وسر ذلك هو العبقرية حين تتعدد جوانبها . والغالب في العبقرية ان تكون متعددة الجوانب يسبق صاحبها بها الزمن . واذا فقد العبقري عنصرا يقهر به الحياة التي غالبته فلا يعدم عناصر اخرى تخلد اسمه وتبقى ذكراه على اقل تقدير .

وللكاتب لورانس كتب عديدة ورسالة واضحة . وبعض كتبه ادل على رسالته من هذا الكتاب الذي كان من اواخر ما خط قلمه ، والذي اشتهر اكثر من اي كتاب اخر له ، فبيع منه منذ نشره الى الان ما يزيد على اربعة ملايين نسخة . ونقصد رواية « عشيق الليدي تشاترلي » الذي اصدرت المحكمة حكمها فيه . وهي رواية تتميز بطابعها الجنسي الصريح ، يسودها منذ مطلعها ، فتثير الرغبة عند عدد كبير من القراء ، في مطالعتها والتمتع بها . وليست هذه الرواية وحدها التي تتعرض للجنس عند لورانس ، ولكن رواياته وقصصه وكتاباته ، تشير في الغالب الى هدف واحد ، سواء اكان هذا الهدف قيما أو غير قيم .

وقد صدر من الرواية التي نحن بصدد الكلام عنها ثلاث طبعات مختلفات . اما بعد صدور حكم محكمة اولد بيلي فسيقرأ الناس دائما طبعة واحدة هي الاصل الذي خطه الكاتب . وعندما منعت الرواية في بريطانيا عند صدورها سافر لورانس الى ايطاليا فاصدرها هناك كما هي ، ثم صدرت في فرنسا ولم يسمح بنشر الاصل في اميركا نشرا مشروعا الا منذ ما يزيد قليلا على سنة . وكانت بريطانيا ، بلد الكاتب اخر بلد اذن بنشر الكتاب في نصه الاصلي . فيا لسخرية القدر ! وكان لورانس قد اصدر طبعة منقحة بقلمه حذف منها الالفاظ والعبارات والمواقف التي تعتبر نابية حين يعبر عنها بالتعبير الاصلي الذي وضعه ، وهي الطبعة التي كنت تجدها دائما في الاسواق .

وقد تم افراج بريطانيا عن الاصل بعد مضي ثلاثين عاما على وفاة الكاتب ، فما الذي وقع في هذه الفترة ؟

ان الذي وقع في اعتقادي هو ان قضايا الجنس قد اضحت من المواضيع المطروقة التي لا يبالي الناس التعبير عنها . وقد ساعد على ذلك الكتابات العلمية التي ملأت الارض بحثا واكتشافا ووصفا ، كما ساعد عليه هذا « التيه » الثقافي الذي لا يدري معه الشبا ب في الدنيا معنى لهذه الحياة ولا هدفا ، فيتهاوون اعياء وينغمسون في الجنس تلهيا وضياعا . وان الذي اوحى الى لورانس برواية الليدي في هذا القالب الذي يضعها فيه هو دون شك ذلك التيه الذي امتد بعد الحرب العالمية الاولى ــ تيه في هدف الحياة ادى الى انطفاء الحيرة والتعب في مخابىء الجنس . ولم يتخلص لورانس نفسه من الاذعان لهذا المهرب الخاوي من المهارب المعقدة . أما محتوى الرواية او الهدف فيها فكان شيئا غير الجنس .

وتتلخص قصة « عشيق الليدي تشاترلي » ، التي تزيد على ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط ، في ان فتاة (كوني) من اوسط الناس تتزوج من ارستوقراطي بريطاني هو السيد تشاترلي . ثم لا يلبث هذا السيد الاقطاعي ان يلتحق بالحرب فيعود منها مقعدا ليس له قدرة على الجنس ، وبذلك تحرم زوجته الشابة الاتصال الجنسي فيهزل جسمها وتذبل نفسها . ويرى لورانس ان الجنس شأن عادي من شؤون الناس الخاصة فيجري الحديث على لسان ابي الليدي يحدث به زوجها بان لا مانع من ان تعرف ابنته الاتصال بالرجال لتعود اليها نفسها ويرتد جسمها . ويحدث الزوج الارستوقراطي بذلك عقيلته حديثا ان يكن واضحا كل الوضوح فانه غير مخلص كل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاخلاص . فيصل لورانس فى روايته السيدة بجارس للغابة المجاورة ناجم من طبقة العمال ، تخرج اليه خلسة مرة تلو مرة ، وهي الليدي تشاترلي بمكانتها من الطبقة البريطانية العليا او ما يقرب منها . ولكن العلاقة تشتد بينهما فتحمل السيدة منه .

وقد قال القاضي الاميركي (برايان) الذي حكم بالافراج عن القصة الاصلية سنة ١٩٥٩ ما يلي حرفيا : « ان حوادث الرواية وسيلة يوضح لورانس بوساطتها رسالته الاساسية للمقارنة بين فلسفته الخاصة والمجتمع المنحل العقيم الذي يهاجمه » . غير ان سواد القراء فهم هذه القصة دائما على انها وضعت للمواقف الجنسية بين سيدة ارستوقراطية وحارس الغاب ، او شرح للعواطف المشبوبة عند المراة والرجل . وقد اتجه اهتمامهم الى الوصف الصريح والكلمة النابية فتوارى لذلك قصد المؤلف الذكي العبقري. وكان روائج القصة كبيرا طوال الوقت . على ان اسلوب الكاتب سلس جميل ، وهو اجمل ما يكون حين يتعرض للوصف ، فان له وصفا لايجارى لما تبرز به الطبيعة وتختلج النفس . وربما كان اضعف ما فى القصة حوارها ، اذ يبتعد عن طبيعة الاشياء احيانا فلا يكون الا وصفا علميا للنار والدخان والآلة والزحام . ولعل لورانس نفسه مسئول عن ظن كثيرين بان القصة ليست الا جنسا ، وان بعض الوصف والعبارة لا يرضى عنه الذوق حقا .

لقد قلنا ان د.هـ. لورانس كان مفكرا فاشلا وعبقريا ، فما هذا التناقض ؟

لقد كتبت سنة ١٩٥٣ كلمة عن هذا الكاتب فقلت هناك ما يصلح للاقتباس هنا وهو انه كاتب « راغ عن الحياة الحقيقية بالهروب الى الطبيعة البدائية . وقد فعل ذلك بعدما رأى من انهيار العالم بعد الحرب العالمية الاولى . وقد صدمته الآلة بما مثلت من روح العصر ، او بما مثلها من روح العصر ، كما صدمته القيمة التي يضعها الناس بينهم للمادة . لقد اراد عالما آخر او مدنية اخرى » .

هذه هي بزرة العبقرية التي نتحدث عنها عند هذا الرجل . لكنه فيما يبدو لي من روايته هذه والروايات والقصص الاخرى قد صور العالم الذي يريد وقد ارتد الى الطبيعة البدائية ولجأ الى مجرد الخلق الراقي الناعم بين الناس كدستور لهم . الخلق الذي يغلب فيه الحب والتسامح والحرية والديموقراطية . ومن المعلوم ان هذا لن يكون حتى تقسر المجتمع قسرا على حياة تؤيد الحق والعدالة والحرية بين الناس .

كان لورانس ابن فحام . وكان قد تزوج من فتاة ذكية فنانة . وكان خجولا حييا ذاهب النفس ، يأوي الى زوجته فى حنان وطفولة . وكان يلمح ما فى العلاقة الجنسية الضرورية من تعزية لنفس شريفة منهارة . لذلك احب النفس البشرية حين تلجأ الى نفس اخرى تتسلل الى جوارها فى أعمق صلاتها وتلجأ اليها . وكان يريد تغيير العالم ولكنه لم يعرف الطريق ، وهذا سر فشله، فلا تناقض اذن . هي عبقرية ناقصة او نصف عبقرية أو عبقرية غير عملية !

ورواية « عشيق الليدي تشاترلي» بناء محكم الصنع من ناحية الخطة والسرد والهدف وقد صدرت عند نضج الكاتب الفني فى اواخر حياته . والارجح ان لورانس نفسه يمثل شخصية حارس الغاب وجيله ، وان النبيل تشاترلي بمزرعته ومقاطعته ذات المصانع يمثل المدنية المتدهورة . والحقيقة انه لا يصعب عليك ان تنفذ الى اغراض الكاتب ، فهو يعبر عنها تعبيرا صارخا يكاد احيانا يذهب بجمال السرد الفني كما اشرنا . وهو ينحو هذا النحو فى جميع ما كتب ، وفى قصة « نساء محبات » خاصة . وقد قال عنه جون انتريكر الاستاذ المتخصص فى جامعة كولومبيا ، بحق: « ان لورانس دائما نافذ الصبر ازاء روايته . وانت تدرك ذلك اذ تقرأ رواية واحدة له فقط . ان سياق الرواية واشخاصها تعترض عنده سبيل القول الذي يريد ان يقول».

وعندي ان هذا يصدق على رواية « عشيق الليدي تشاترلي » منذ مطلعها ، فهو فى هذا المطلع يقول : « ان عصرنا فى جوهره عصر فاجع ، ولذا فنحن نرفض ان نسلم به فاجعا . لقد وقعت الكارثة ونحن بين انقاضها . وقد بدانا فى بناء مساكن صغيرة جديدة ، وانشاء آمال صغيرة جديدة » . فاذا طالعت الرواية كلها عرفت فى سهولة ويسر ما يرمي اليه لورانس بهذا المطلع . ولعل ايرادا لمقتبسات اخرى من الرواية تؤكد لك ذلك .

خذ مثلا بعض اقواله فى انهيار الحضارة ، تلك الكارثة التي وقعت والتي نحن بين انقاضها .

« قالت العمة ايفا : اني اعتقد ان الحضارة آخذة في السقوط .

فقال كليفورد (النبيل) : وماذا بعد ذلك ؟

فقالت السيدة العجوز : ليس لدي اي رأي ، ولكن شيء ما فيما اظن » .

وقال الكاتب يتحدث عن (كوني) سيدة القصر وزوجة النبيل : « لقد ملأ روعها احيانا نوع من الرعب ، رعب من الجنون البادي للنوع البشري المتمدن كله. اما كليفود فكان ينزلق نحو نشاطه الصناعي متحولا الى مجرد مخلوق له صدفة قاسية من الخارج ولب طري من الداخل ، الى احد السرطانات العجيبة للعالم الصناعي المالي الحديث . لا فقاريات من النوع القشري الذي له صدف من الفولاذ كالآلات ، واجسام داخلية من اللب الطري ، اما (كوني) نفسها فقد كانت معياة عاجزة » .

ويقول لورانس عن تافرشال ، مقاطعة النبيل ، وعن انكلترا نفسها :

«تافرشال . تلك كانت تافرشال . يا انجلترا السعيدة ! يا انجلترا شكسبير ! كلا ! اما انجلترا هـذه الايـام التي عرفتها (كوني) منذ عاشت فيها ؟! انها تنتج عرقا جديدامن البشر ، عرقا له من ناحية وعي زائـد للمـال والشؤون الاجتماعية والسياسية . اما في ناحية الصفـح والايحاء فموت ـ موت لا غير . انصاف جيف كلهم من ناحيـة ، ووعي ملح مروع من الناحية الاخرى ... اواه ربي ، ماذا فعل الانسان بالانسان ؟

وشعرت (كوني) مرة اخرى وهي في موج من الرعـب باليأس الاغبر من ذلك كله ... اما ميلـورز (الحارس) فقد نشأ في هذا كله ، ولكنه ابتعد عنه . وحتى عنده لم يبق شيء من المودة . لقد ماتت هذه . تلك كانت انجلترا!»

وخذ مثلا من شعوره بخواء الحضارة :

« لم يكن ذلك خطأ امراة ، ولا حتى خطأ رجل ، ولا خطأ العلاقات الجنسية . ان الخطأ هناك ، بعيدا هناك ، في تلك الاضواء الكهربائية الشريرة وقعقعات الآلات الشيطانية . هناك في عالم الشره الميكانيكي ، يتلألأ بالاضواء ويلفظ حمم المعادن ، في حركة المرور الصاخبة يكمن الشر الاعظم متأهبا لتدمير ما لا ينسجم معه . »

نتوقف الان قليلا عند هذه المقتطفات الرائعة المروعة كما ترى ، لنعرف السبب الذي من اجله يتجاوز كثيرون من قراء لورنس عن مثل هذه الاقوال الصارخة ، وكثير غيرها من مثلها ، ليروا مناظر الصلات الجنسية وحدها في رواية الليدي .

ان الجواب على ذلك يكمن في الحل الذي رآه لورنس لمشاكل الحضارة التي عاينها وعاناها والتي اوردنا طرفا من اقواله فيها . فما هو مستقبل الحياة عنده وما هو حل مشاكلهـا ؟

قال لورنس على لسان حارس الغابة يخاطب الليدي :

« اجل اني اؤمن بشيء . اؤمن بان اكون لين القلب محبا . اؤمن ايمانا خاصا بان اكون دافيء القلب في الحب، ان احب بقلب دافيء . اني اعتقد انه اذا احب الرجال بقلوب دافئة ، وانه اذا اخذ النساء الامر بقلب دافيء كذلك فان كل شيء يستوي صحيحا . »

وقال الكاتب على لسان السيدة تخاطب عشيقها الحارس:

« يجب ان يتعلم الناس ان يكونوا ذوي جمال متجردين عراة ، وان يغنوا معا ويؤدوا تلك الرقصات الجماعيـة القديمة ، وان يحفروا المقاعد التي يجلسون عليها، ويتزينوا بشاراتهم . عندئذ لا يحتاجون الى المال . تلك هي الطريقة الوحيدة التي يحلون بها مشكلة الصناعة . »

ولعل هذا القول الوجيز يجمع هدف لورنس في الحياة اكثر من اي قول آخر . فالحل الذي يراه للمشكلة كمـا ترى يقوم على دعامتين : العودة الى الحياة البدائية مـع اطراح الآلة والكهرباء والجلبة ، ثم اللجوء الى الحب . وهو من هنا يسترسل في الحب واوصافه ، تلـك التي تلفت انظار الشباب والسطحيين من القراء لروايته . ومع ذلك فان لورنس يلمح ببساطة الحل الذي توصل اليه واضمحلاله، فيقف عاجزا ويتهاوى ، فيبرز الحب عنده (او الاندغام بالحب) وكانه الحل الاول لمشاكل الحياة جميعا . ومظهر الحب هذا هو الذي جعل كاتبا مثل (الفاريز) يعتقد خطأ بان رواية عشيق الليدي « تعريف عظيم لمعنى الزواج . »

في اسى هذا التهاوي والفشل يلجأ لورنس الى الحب والمراة والرقة واللطف ، كالجندي الهارب من معركة هزم فيها فلجأ الى الحانة والى احضان امراة . لجأ الى اندماج الرجل بالمراة والمراة بالرجل والروح بالروح . وهذا كله يأتي عنده « من داخل الانسان نفسه » عند حد قوله . وعن هذا الهدف عبر لورنس حين اسمى روايته (عشيق الليدي) لاول مرة « الرقة » (تندرنس) ، ثم عدل عنه الى اسمها الحالي .

على ان لورنس يقصد بالجنس ما ينتهي اليه من راحة نفسية وعلو . فنظرته الى الاتصال الجنسي نفسه ليست الا نظرة الى امر عادي هو الوسيلة لا الغاية . بل هو يبدي نفورا ظاهرا احيانا من هذه الوسيلة « العتيقة » ويتمنى لو امكن الوصول الى نتائجها بغيرها .

قال لورنس في روايتنا نفسها :

« انما مداعبة الحب وما يتلوها ردة بدائية وشيء من الهدوء . » وقال :

« ان حرية المراة الصافية الجميلة اسمى بما لا حد له من اي عمل جنسي . وليس في هذا الامر شيء محزن الا تخلف الرجال فيه عن النساء . انهم يلحون على الشيء الجنسي كالكلاب . »

وقال : « انما الجنس عارض فقط ، او ملحق . هو نوع من العمليات العضوية العتيقة التي استمرت على ما هي عليه من الجلافة ، ولم تكن ضرورية حقا . »

ثم يقول : « اننا لا نريد ان نتبع الانسان الى المرحاض ، فلماذا نريد ان نتبعه الى الفراش ؟ »

فوصف الجنس عند لورنس هو في الغالب صدق في التعبير ليس الا . كان الكاتب يقول : « لا صدق في رواية يعترضها كل شيء فتصفه ، حتى اذا اعترضها وصف الجنس راغت عنه » . والواقع ان اوصاف لورنس لنواحي الجنس في الرواية تثير عواطف الحب والحنـان واندغام النفس في النفس اكثر مما تثير الرغبـة . ولذلـك يقول الكاتب الانجليزي المعاصر (تيلور) عن الرواية : « انهـا اخلاقية عالية الى حد يجب ان يطالعها معه كل انسان . »

عمان — محمد اديب العامري

ضـــلال

ثـريـا ملحس

احـدى قصائد « ملحمة الانسان »

الترتيب التفعيلي : مفاعيلن فعولن

وما سر الحياة ؟
لماذا نرتضيها ؟
وهذي الارض تقسو
ومن تحت الجبال
امانيها كأفعى
تدك الصخر ، ترسو
على صدر عليل
كأن السم يهري
حوافيها ، فينهار سرح كالظلال
ويمسي ذرة فى فضاء لا يدور
خلقنا كيف ؟ هل للردى فينا معاد ؟
حملنا جسمنا تحت انات نثور
فان هبت رياح ، وغاب العمر عنا
واصبحنا ترابا ، رفاتا لا نحس
دهشنا كيف نرضى بموت فى الحياة ؟
وما سر الحياة ؟
لماذا نبتغيها ؟

وكم من مرة سرت لا اشكو ضلالي
حسبت الداء ولى ، وليلي فى رحال
وفى الدرب الطويل
مع الفجر النقي
سئمت السير ، ارنو الى الليل الطويل
الى اللاشيء يمحو الدنى ، كل العويل

لمن اشكو ملالي
وابعادي هروب
واهوال تؤوب
وفى الدنيا عواء
ضجيج لا يهاب
لمن نبني الديار ؟
لماذا الطير يعلو ،
واصداء تحوم ؟
وعقل فى الفضاء
يلم الصوت ، صوت
الاعالي فى النجوم ؟

سئمنا الانتظار
وددنا ان نعيش
كصخر لا يميد
كأعمى فى الزوايا
يرى الدنيا سلاما

وما سر الحياة ؟
لماذا نرتضيها
ونمشي فى ضلال ؟
لماذا نبتغيها ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النواسي الشاعر الماجن والمجدد

بقلم عبد الغني العطري

لست ادري اي شيطان القى بين يدي بديوان شاعر المرح والمجون ، بعد ان غاب عن ناظري ، بين اكداس الكتب ، بضعة عشر عاما ... وكان هذا الديوان من قبل سميرا لي ومؤنسا اصطبح به ثم اغتبق . لست ادري كيف امتدت يدي تبحث عنه بعد طول فراق . وكل ما اذكره اني كنت ذات ليلة اسير بعض كتب الادب القديم ، فاذا بي اقع على بحث عن الشاعر الماجن ، ومقطوعات له ، ... واذا بهذه المقطوعات تثير شوقي الى صاحبها وديوانه . ثم استعيد الايام الخوالي ، التي كنت اقرأ فيها للنواسي وانا على مقاعد الدراسة .

وما اذكر انني احببت شاعرا كما احببت ابا نواس ، ولا وجدت متعة في قراءة شعر كما وجدتها في قراءة ديوان ابي نواس . ولست ازعم اني احببته لان شعره يتجاوب مع نفسي ، ففي شعره من الاباحية والالحاد والشعوبية ما انكره عليه اشد الانكار ، والومه من اجله اعنف لوم . ولكني احببت في هذا الشاعر روح المرح وطربت لبراءة النكتة عنده ، واعجبت باستخفافه بمن حوله من المتزمتين وعدم مبالاته بصيحاتهم . فقد كان ابو نواس لا يعبأ بمن حوله من الناس ايا كان لونهم واتجاههم ، بل اطلق لنفسه العنان ليمرح كما يشاء ، ويلهو كما يشتهي ويحب . لم تكن تخيفه صيحات المتدينين ، ولا الثائرين على المجون والموبقات . كان يهزأ بهم جميعا ويسخر منهم ، ويسمعهم لواذع القول . كان ثائرا على القديم ، يكره الوقوف على الاطلال ، وكان يلذه المجاهرة بالمعصية ، ويدعو الى شرب الخمر ، كما يدعو الاتقياء الى العبادة وطاعة الخالق سواء بسواء !..

فهذا اللون في ادبنا العربي طريف في بابه ، جديد في لونه ، لم يعرف قبل ابي نواس ، ولا عرف بعده . ولو صدر هذا المجون ، وهذا الفسوق ، وهذه المجاهرة بالالحاد ، والدعوة الى المعصية من شاعر غير النواسي ، وفي عصر غير عصره ، لكان مصيره قائله الرجم والقتل واللعنة الى يوم الدين . ولكن شخصية ابي نواس المرحة الضاحكة ، لم تعط الحاده معنى الالحاد الصحيح ، ولم تسمح لدعوته الى المجون والعهر وشرب الراح ، ان تتخذ لون الكفر بمفهومه الكامل ، بل التمست شخصيته الضاحكة لهذه الامور كثيرا من المبررات والاعذار . فالكفر الذي يدعو اليه الانسان الرصين ، الجاد في دعوته ، هو دون ريب ، غير الكفر الذي يدعو اليه انسان ضاحك ماجن ثمل . فالاول تؤخذ دعوته على محمل الجد ، ويحاسب على دعوته وكلامه حسابا عسيرا ، بينما تقابل دعوة الثاني بكثير من التسامح وعدم المبالاة ، بل ربما قوبلت بالضحك والاستخفاف ، والدعاء له بالصلاح والعفو والغفران !.

ولندع حديث الكفر والالحاد ، فلست اطيق هذا اللون من الحديث الشائك ، ولنقصر حديثنا على ناحيتين من ادب ابي نواس هما مجونه وثورته على القديم :

عاش ابو نواس حياة كلها مجون وعهر وفسوق ، ما يكاد يصحو من سكرة حتى يصلها بسكرات :

فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة ... فان طال هذا عنده قصر الدهر
وما الغبن الا ان تراني صاحيا ... وما الغنم الا ان يتعتعني السكر

كان يحب حياته ولذته واقصى متعته في الشراب والمجون . لم يكن يجد لفراق الخمرة سبيلا ، ولا يشعر بمعنى للحياة بدونها . ان الكأس صديقه الوفي ، ونديمه وسميره . وكما كان ابو نواس يحب ان تكون سكراته متوالية ، لا يكاد يصحو من واحدة الا وتتبعها الاخرى فانه يحب ان تكون سكراته الى حد الجنون ، الى حد لا يميز بعده الديك من الحمار . وهذا لعمري منتهى الاغراق في السكر . استمع اليه يقول :

اسقني حتى تراني ... احسب الديك حمارا

ولم تكن جلسات الشراب هذه تقتصر على معاقرة بنت الحان ، بل كان يتخللها او يعقبها امور لا اسمح لقلمي بالخوض فيها ، والحديث عنها ، بل تكفي الاشارة الى ان الشراب يستدعي وجود الجمال المذكر ، ووجود هذا الجمال وحده في نظر ابي نواس لا يكفي ، بل لا بد من التمتع به ، واطلاق العنان لشهوات النفس الماجنة على سجيتها ...

وشعر ابي نواس في المجون يمتاز برقة اللفظ وجمال المعنى . انه يسيل عذوبة وحلاوة ، لو يغوص فيه على الالفاظ الخشنة ، ولا يبحث عن المعاني الصعبة ، التي تثقل على الفهم . واوزانه التي يختارها سهلة قصيرة ، وقوافيه تحس لها في الاذن وقعا موسيقيا مطربا . ان الشاعر في هذا الباب ينطلق على سجيته ويتحرر من التكلف الذي نجده في بعض ابواب شعره . لنستمع اليه يقول :

سالتها قبلة ففزت بها ... بعد امتناع وشدة الطلب
فقلت : بالله يا معذبتي ... جودي باخرى اقضي بها ادبي
فابتسمت وارسلت مثلا ... يعرفه العجم ليس بالكذب :
لا تعطين الصبي واحدة ... يطلب اخرى باعنف الطلب

وكان شاعرنا يؤمن بالمجون ايمانا عميقا ، ويدعو اليه دعوة صارخة ، بل كان يلح في دعوته هذه ويكررها في كل مناسبة . ونحن نراه يأمر ساقيه ان يسقيه الخمر ، وينادي باسمها امامه مؤكدا انها الخمر ، لان حياة الانسان ولذته ، ومتعته في السكرة بعد السكرة .. والغبن ان يرى صاحيا .. والغنم ان يتعته السكر .. وعلى الساقي ان يبوح باسم من يهوى وان يتجنب الاشارة والرمز ، لانه لا خير في اللذات ان كانت سرا . ويختم مقطوعته التي اتينا على تلخيصها بقوله:

ولا خير في فتك بغير مجانة ولا في مجون ليس يتبعه كفر !

ولنستمع اليه يقول ردا على سؤال عجيب :

وقائل لعل تريد الحج قلت له : نعم ، اذا فنيت لـذات بغـداد

اليس عجيبا ان يوجه مثل هذا السؤال الى ابي نواس الشاعر الذي لم يؤمن الا بالمجون واللذة يبحث عنهما ابدا ، ويزاولهما دون حرج او جناح ؟

ومن الشواهد الناطقة على دعوته الى المجون ومجاهرته بالمعصية ، ورقة شعره في هذا الباب قوله :

ألـه بالبيض الملاح وبقينـات وراح
لا يصـدنك لاح هو عن سكرك صاح
ليس للهم دواء كاغتباق واصطباح
فلعمري لا يداوى الهم بالماء القراح

تحدث سليم بن منصور قال : رايت ابا نواس في مجلس ابي — وكان واعظا — يبكي بكاء شديدا ، فقلت اني لارجو الا يعذبك الله بعد هذا البكاء ابدا . فانشأ يقول :

لم ابك في مجلس منصور شوقا الى الجنة والحور
ولا من القبر واهواله ولا من النفخة في الصور
لكن بكائي لبكا شادن تقيه نفسي كل محذور

لقد اراد هذا الواعظ الطيب ، ان يحسن الظن بابي نواس ، حين راى دمعه يسيل عن خديه ، فظنها دموع الندم والتوبة ، فاذا بالشاعر يبادر الى تصحيح ظن هذا الواعظ ، ويخبره بانه يبكي حين راى غلاما يحبه يبكي!.

ومجون ابي نواس يتجلى في خمرياته وغزله المذكر . وهذا الغزل جريء مفرط الجراة ، يصعب على الباحث الرصين أن يعرض له في مثل هذا المجال . فلنقصر حديثنا على خمرياته في باب المجون ، لننتقل بعد ذلك الى الحديث عن ثورته على القديم :

قلت ان ابا نواس كان يجد حياته ولذته واقصى متعته في الشراب والمجون . وجدير بالشاعر اذا احب شيئا ان يبالغ في وصفه ، فيقدم صورا والواحا لهذا الشيء الذي يحب من مختلف النواحي والزوايا . والحق الذي لا شك فيه ان ابا نواس قدم للادب العربي صورا عن الخمرة ومجالس الشراب ، كان فيها المجلي على من تقدموه او اتوا بعده . هذه الصور والالواح ستظل خالدة ابد الدهر. استمع اليه على سبيل المثال يصف الكأس التي تدار فيها الراح ، حتى كاد يرينا هذه الكأس ، بل بات في مقدور اي رسام مفن ، ان يرسم الكأس التي وصفها ابو نواس ، ويرينا اياها لوحة ناطقة على الورق :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتهـا مهى تديرها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

ولقد وصف ابو نواس الخمرة وافتن في وصفها ،وزعم انها شهدت عصر نوح ، ثم عاد وثمود ، وقال انها تستطيع ان تتحدث باخبار الاولين . ويشبهها شاعرنا بالعذراء تخطب الى ابيها الدهقان ، فيغالي في مهرها ، ويمتنع عن تزويجها لشاربها ، لانه يريد ان يختار لها الاكفاء . ووصف الشاعر طعم الخمر وريحها ، وزعم انها تزيل الزكام ، وقال انها لا تطبخ على نار ، ولا تراها شمس، بل عتقت وتخمرت في جوف الارض ، بعيدا عن الشمس والنار . ويجري ابو نواس حوارا شيقا بينه وبين الخمرة، فيزعم انها استوحشت وبكت لما وضعها في الدن ، وقالت انها تخشى النار واللهب . ثم شكت من الشمس ، فزعم لها ان الحر قد ذهب . فسألت عن خاطبها ، فاجابها انه هو ، وبعلها الماء العذب . وسألت عن لقاحها فاجابها : « الثلج ابرده » . وسألت عن بيتها فاجابها : القناني والاقداح ، التي ولدت في عهد الفراعنة ، فطربت لذلك !. ثم تطلب الخمرة ان لا يشربها العربيد ولا اللئيم ولا المجوسي ، لان النار ربهم ، ولا اليهود ولا من يعبد الصلبا ... ولا اسافل الناس ، ولا عز الشباب ، ولا من يجهل الادبا ... ولا اراذل القوم ، بل تطلب من يوقرها من السقاة ... ويختم النواسي قصيدته ، التي اتينا على نشرها وتلخيصها « بمغازلة » الخمرة فيقول :

يا قهوة حرمت الا على رجل اثرى فاتلف فيها المال والنشبا

ولقد قيل ان ابا نواس وصف الخمرة وصفا لو سمعه الحسنان (الحسن البصري وابن سيرين) لهاجرا اليها ولعكفا عليها .

وصف ابو نواس مجلس الشراب والنديم والخمار وقص اخباره الفاحشة ، ومغامراته الشائنة ، دون استحياء او تورع ، ذلك لانه يعد التكتم في الرذائل مما ينقص اللذة على صاحبها . وما دام ينشد اللذة بشتى انواعها ، وما دام يلتذ ذوقه بطعمها، وعيناه برؤيتها ،وكفه بلمسها ، وانفه بشمها، فلم يحرم سمعه هذه اللذة ايضا؟. فتراه يأمر الساقي ان يسقيه وان يطربه باسمها :

الافاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

ولقد انفق ابو نواس كل ما ملكت يمينه من مال في سبيل الحصول على الكأس ، التي كان يرجحها على طعامه. واذا ذكرنا انه كان ينال من اعطيات الخلفاء — ولا سيما الرشيد والامين — الشيء الكثير ، وانه ترك بغداد الى مصر — لما ضاقت ذات يده — في سبيل الحصول على المال وشرب الخمر ، ادركنا مبلغ ما كان ينفقه عليها . وبالرغم من ذلك فقد كانت تضطره ظروف الى بيع ثيابه في سبيل كأسه :

فبعت قميصا سابريا وجبة وبعت ازارا منعلم الطرفين

وما كان يؤلم ابا نواس شيء مثلما يؤلمه تحريم الخمرة، ولكن هذا لم يمنعه من شربها لانه فعال للمنكرات :

ولكنني ابكي على الراح انها حرام علينا في الكتاب المنزل
سأشربها صرفا وان هي حرمت فقد طالما واقمت غير محلل

ولعل شهر رمضان كان اكثر شهور السنة مضايقة له، لانه يحول بينه وبين كأسه . وكان شاعرنا يصوم ، ولكن

على تذمر ومضض ، فاذا ما ضاق بشهر الصوم ذرعا افطر وشرب وافحش . فاذا ما ولى شهر رمضان ، انشرح صدره ، وذهب عنه الضيق :

ولى الصيام وجاء الفطر بالقدح وابدت الكاس الوانا من الملح

ولنستمع الى ابي نواس كيف يصور الثمل المغرق فى سكره ، ببيت واحد ، صورة فيها كل السحر والجمال ، صورة لا يقدر على اخراجها فى هذا الاطار البديع غير شاعرنا العبقري :

فكل شيء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه ظنه الساقي

وتعال نصغي الى ابي نواس يصور نفسه ونهمه فى شرب الراح ، صورة كلها ابداع وروعة :

ما زلت استل روح الدن فى لطف واستقي دمه من جوف مجروح
حتى انثنيت ولي روحان فى جسدي والدن منطرح جسما بلا روح

ولقد احب ابو نواس الخمرة حتى العبادة ، وتهالك على اصطباحها واغتباقها ، فلم يكن ليردعه رادع ، ولا يزعه وازع ، او يزجره زاجر . لم يعبأ بنصيحة ناصح ، ولا بلوم لائم . واسمعه كيف يهزأ بناصحه ويسخر منه :

يا من يلوم على حمراء صافية صِفْ لي الجنان ودعني اسكن النارا

قالوا انه وصف الخمرة وصفا يبلغ التقديس ، وانا ازعم انه وصفها فى بعض ابياته وصفا يكاد يكون عبادة . استمع اليه يقول :

ائن على الخمر بالائها وسمها احسن اسمائها

قال الدكتور طه حسين فى « حديث الاربعاء » عند الكلام على هذا البيت : « اليس الشطر الاول منه تسبيحا للخمر ؟ اليس الشطر الثاني تقديسا للخمر ؟. اليس فيه الاستهزاء بالدين والسخرية منه؟. اليس يذكرك بالقرآن؟ اليس يذكرك قول الله تعالى : « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها » ؟

الحق ان فى بيت ابي نواس كل ما تساءل عنه صاحب « حديث الاربعاء » من تقديس للخمر وتسبيح لها ، وهو قول اقرب الى الكفر والزندقة منه الى الايمان — ان لم يكن بالقطع كفرا وزندقة — . ولا استطيع ان اؤمن بان ابا نواس قال هذا فى تمام عقله ، وكامل صحوه ، وجيد تفكيره .

وجملة القول ان ابا نواس عاقر الخمرة اربعين سنة دون كلل او ملل ،او انقطاع ، اللهم الا فترات قليلة حيل بينه وبينها . وقد وصفها فابدع وحلق واجاد ، وبز من تقدمه فى وصفها ، ولم يدع مزيدا من القول فيها لمن جاء بعده .

•

واذا ما تركنا الكلام عن مجون ابي نواس ، بعد ان تحدثنا عنه بايجاز ، طاب لنا ان نتناول ثورته على القديم وحقده على شعراء الجاهلية ، الذين وقفوا على الاطلال ، واستوقفوا ، وبكوا من ذكرى الاحبة واستبكوا ، وذرفوا الدمع السخين .

لقد كان ابو نواس ثائرا على القديم ، خارجا عليه فى كل شيء . لم يقتف آثار الجاهليين ، ولم يتتبع خطوات المخضرمين ، ولم ينسج على منوال الاسلاميين شأن جميع الشعراء. فالشعراء الجاهليون وقفوا على الاطلال والدمن، واستوقفوا الصديق والخليل ، وبكوا ذكرى الحبيب المرتحل ، وذرفوا الدمع السخين على رسم درس ، او ربع خلا . ولكن ابا نواس سخر من هؤلاء الشعراء ، واشبع عملهم تهكما ، وضيعهم ازدراء . لم يصف الخيام والاطلال ، لانه كان يقيم فى عاصمة الخلافة العباسية ، ولا يليق بمن يسكن بغداد المتحضرة ، ان يتجاهلها ويصف الاطلال والدمن ، وليس فى بغداد اطلال ولا دمن ، بل عليه ان يصف قصور الخلفاء ، ويتغنى بالحضارة ، ويشيد بالمجتمع . وكانت الخمرة والغلمان من ظواهر ذلك العصر، فافرط ابو نواس فى وصفهما ، ونعى الباكين على الاطلال، المتغنين بالابل والشاء .

ونحن نظلم ابا نواس ونتجنى على التاريخ ان زعمنا انه كان عربيا محبا للعرب . والحقيقة انه شعوبي محب للفرس ، مؤثر لهم . واذا كان الشاعر قد ذم الاقدمين من الشعراء ، فلان طريقتهم قديمة وعربية فى آن واحد ، وهو حريص على تملق الفرس ، والتقرب اليهم .

كان ابو نواس يدعو الى ترك اساليب القدماء ، لانه يحب الصدق فى الشعر وفى العاطفة . وكان يكره ان يقلد معاصروه من الشعراء ، اساليب القدامى ، لان لهؤلاء القاظهم ومجتمعهم وبيئتهم . وقد تطورت لغتهم كما تطورت حياتهم ، ومن اجل ذلك يجب ان تتطور لغتهم لتنسجم مع الحياة الجديدة . ومن مظاهر هذه الحياة الترف ولين العيش . ومن واجب اللغة ان تلين وتتطور ، ومن واجب الشعراء ان يتخلوا عن اساليبهم القديمة . وكان شاعرنا كثير الالحاح على الشعراء فى تغيير اسلوبهم، شديد التهجم على الجاهليين والسخرية منهم . لنستمع اليه يقول :

عاج الشقي على رسم يسائله وعجت اسال عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من اسد لا در درك قل لي من بنو اسد ؟
ومن تميم ، ومن قيس ولفهما ؟ ليس الاعاريب عند الله من احد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر ولا صفا قلب من يصبو الى وتد
كم بين ناعت خمر فى دساكرها وبين باك على نؤي ومنتضد
دع ذا عدمتك واشربها معتقة صفراء تفرق بين الروح والجسد
من كف مضطمر الزنار معتدل كانه غصن بان غير ذي اود

واذا نحن امعنا النظر فى هذه الابيات ، ادركنا السخرية من الشاعر القديم ، الذي نعته ابو نواس بالشقي ، لانه وقف على رسم يناجيه ، بينما ابو نواس يسأل عن خمارة البلد !.. ثم هاجم الشاعر قبائل اسد وتميم وقيس ومن لف لفهما ، وزعم ان « ليس الاعاريب عند الله من احد ». وفى هذين البيتين تظهر شعوبية ابي نواس باجلى معانيها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولنصغ اليه كيف يدعوعلى من يبكي على الاحجار، ويهاجم من يصبو الى الاوتاد . وينتهي من ذلك الى المقارنة بين من يصف الخمرة ويعيش للذته ، وبين من يبكي على الراحلين الذاهبين . ولنتأمله كيف يدعو الى ترك القديم وشرب الخمرة : « دع ذا عدمتك واشربها معتقة ... »

مثل هذا الشعر فى ديوان ابي نواس كثير . والواقع ان شعر النواسي كان دعوة الى الجديد فى كل شيء . كان يكره القديم ، ويؤمن بانه لا ينسجم مع العصر الذي عاش فيه . وهو يريد ان يعبر بشعره عن عصره وبيئته ، ولا يريد ان يعبر عن العصر الجاهلي . ولو فعل ابو نواس غير ما فعل لكان كاذبا ، ولحرم الادب العربي من صور الحياة الصحيحة فى عصره .

وها نحن امام مثال جديد من شعره الذي يدعو فيه الى الجديد ، ولكن دعوته هنا تمتاز بالسخرية والتهكم واللذع :

قل لمن يبكي على رسم درس ... واقفا ، ما ضر لو كان جلس !
تصف الربع ومن كان به ... مثل سلمى ولبينى وخنس
اترك الربع وسلمى جانبا ... واصطبح كرخية مثل القبس

ففي هذه الابيات ــ كما قلت ــ كثير من السخرية والتهكم واللذع بمن يقف ليبكي على الرسوم الدوارس ، وفيها دعوة مكررة الى ترك البكاء على الاطلال والدمن ، وشرب الراح .

ويبدو ان ابا نواس كان شديد النقمة والحقد على امريء القيس وصحبه من الجاهليين ، اذ انه كثيرا ما كان يكرر نصحه لهم ، وسخريته منهم ، وتهكمه بهم . لنستمع اليه يقول :

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند ... واشرب على الورد من حمراء كالورد

ولنستمع اليه ايضا :

دع الرسم الذي دثرا ... يقاسي الريح والمطرا
وكن رجلا اضاع العمر ... فى اللذات والخطرا

وابو نواس لم يبك الدمن والاطلال ، كما فعل امرؤ القيس وطرفة بن العبد وبقية الجاهليين من الشعراء ، ولكنه بكى اطلالا من نوع آخر ... بكى اطلال جماعة من صحبه الماجنين ، بعد ان اعتكفوا اياما وظلوا فى سكر متواصل ، فقد بكى شاعرنا اطلالهم ، وآثار جر الدنان على التراب ، والريحان الاخضر منه واليابس :

ودار ندامى عطلوها وادلجوا ... بها اثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى ... واضفاث ريحان جني ويابس

ومما امتاز به النواسي وعد من تجديده ، الجهر بالفسوق ، والاكثار من المعصية الى حد الجنون، حتى انه كان يعتقد ان كتمان المعاصي مما ينقص على المرء لذته . اما سمعته يقول :

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
فعيش الفتى فى سكرة بعد سكرة ... فان طال هذا عنده قصر الدهر
وما الغبن الا ان تراني صاحيا ... وما الغنم الا ان يتغتغني السكر
فبح باسم من اهوى ودعني من الكنى ... فلا خير فى اللذات من دونها ستر
ولا خير فى فتك بغير مجانة ... ولا فى مجون ليس يتبعه كفر

فهل سبق ابا نواس الى مثل هذا شاعر ؟ وهل جهر بمثل هذا الفسوق قبل ابي نواس فاسق او ماجن ؟ ان الجهر بالفسوق ، والتفاخر بالمعصية والمجون مما لم يسبق ابا نواس اليه سابق ، فى مثل هذه الصورة وهذا الشكل.

وقد ولد ابو نواس معان كثيرة وخلقها خلقا جديدا ، ويحق له ان يفخر بهذا دون ريب . من ذلك قوله :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

وقد قيل ان الاعشى وقيس ليلى سبقاه الى هذا المعنى فقال الاول :

وكأس شربت على لذة ... واخرى تداويت منها بها

وقال الاخر :

تداويت من ليلى بليلى وحبها كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

ترى اي الابيات الثلاثة اكثر جودة ، واقوى تركيبا ، واقوم معنى ، واوضح غاية ؟. بل اي الثلاثة اكثر ذيوعا وانتشارا بين طبقات الادباء ؟.. وما اراني بحاجة الى ان اشير الى بيت ابي نواس .

وشاعرنا الضاحك لم يكتف بنعي الاطلال ، والقدح بمن وقف وبكى واستبكى ، ولا بالثناء على الخمرة وتقديسها، بل تعدى ذلك الى وصف مجالس الشراب وصفا يكاد يقرب من القصة ، التي قصر بها ادبنا العربي ايما تقصير . ولست ارغب فى الاطالة بسرد الشواهد وضرب الامثلة على ما اقول ، بل اكتفي بأول شاهد تقع عليه العين فى ديوانه. وانا واثق كل الثقة من ان فى الديوان شواهد كثيرة ، قد تكون خيرا من هذا الشاهد . ففي قصيدته التي مطلعها :

واحور ذمي طرقت فناءه ... بفتيان صدق ما ترى فيهم نكرا

يروي لنا حادثة من حوادث مجونه وفسقه ، هذه خلاصتها :

« قرع ابو نواس وصحبه باب الذمي الجميل ، احور العينين فهب الذمي مذعورا خائفا ، واقترب من الباب وسأل عن الطارقين ، فاخبروه بانهم عصبة جاءوا سعيا وراء بنت الحان ، فهدأ روعه واطمأن . ثم فتح الباب ، فظهر الذمي فتى حسن الصورة والمنظر فسأله ابو نواس عن اسمه فاخبره به . ثم اعلموه بانهم راغبون بقهوته المعتقة ، فاجابهم الى سؤلهم ، وقال ان خمرته « قد احتجبت فى خدرها حقبا عشرا » (اي نحو الف سنة) . ثم ادوا له خمسة دنانير ثمنا لخمرته ، وجلسوا يحتسون مع الساقي الجميل . ووصف ابو نواس بعد ذلك مجلس الشراب والساقي ، وتغزل بحسنه وعذوبة حديثه ».

وبعد فابو نواس كما وصفه طه حسين « صاحب الجديد وحامل لوائه ، وخصم القديم واشد اعدائه » . وليس من العجيب ان يكون شاعرنا مجددا مبدعا ، اذا علمنا انه كان يحفظ الشعر لستين امرأة من الشواعر ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من قريتي الى مرهفة

تذكري وانت فى المرآة تصلحين ثوبك الحرير
وتبسمين فرحة اذا رأيت حمرة الزهور
على الخدود تزدهي وفى العيون غردت طيور
وتسكبين فوق وجهك المضيء موجة العطور
تذكري بأنني هنا مع الذين زيتهم يضيء للعصور
طريقها وفى طريقهم يموت كل نور
مرآتهم وآه لو رايتهـا آلطين والغدير
الكحل فى عيونهم دموعهم ولوعـة تثير
غرامهم قيثارة ينوح فى جراحها ضرير
وناعم الاعطاف غير انه فقير
تذكري وانت تفتحين كيسك الاثير
صندوق اغنياتك المطرز الوثير
صندوق ذكرياتك المليء بالسرور
تذكري بأن ذكرياتهم هنا قبور
فان اتيت ربما اتيت رغم وقتك القصير
فأهل قريتي سيحرقون من جمالك البخور
وطيبون فاحذري آياك أن اتيت والغرور
تذكري بانهم معلقون فوق اجرد الصخور
ورغم ذاك لو نظرت : فى عيونهم صلابة الدهور
وفى العيـون ترقد البحـار يستحيل فى مياهها العبور
فان اتيت ربما اتيت رغم وقتك القصير
ايـاك عندما ترينهم ايـاك والغرور
فهؤلاء زيتهـم يضيء للعصور
طريقها وفى طريقهم يموت كل نور

القاهرة — محمد ابراهيم ابو سنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فما بالك بالرجال ... ومعنى ذلك فى نظري انه كان يحفظ معظم الشعر العربي .

وابو نواس ، بعد هذا ، شاعر التجديـد وحامل لواء الثورة على القديم فى ادبنا العربي . وشعره يكاد يكون كله تجديداً وثورة . انه شاعر نسيج وحده ، لم يجاره فى فنه مجار ، ولم يبزه بخمرياته ومجونه وتجديـده شاعر . ولئن اساء ابو نواس الى العرب فى بعض شعره، وتنكر للاخلاق بمجونـــه وعبثه ، ومجاهرته بالفسوق والعصيان ، فما احسب الا ان الله غافر له بعض ذنوبه ، بعد ان ندم وتاب وهو على فراش الموت وقال مستغفرا :

دب في السقام سفلا وعلوا — واراني اموت عضوا فعضـوا
ليس تاتي من ساعـة بي الا — تقتضيني بمرهـا بي جـزوا
ذهبت جدتي بطـاعـة نفسي — وتذكرت طاعـة الله نضـوا
قد اسانا كل الاساءة يا رب — فصفحـا عنـا الهي وعفـوا

دمشق — عبد الغني العطري

وتوقفنا اخيرا امام الباب الكبير الاسود ، رفعت والدتي المطرقة السوداء وهوت بها أولا وثانيا وانتظرنا عربات مسرعة على الطريق ، بائع غزل البنات يقف على ناصية الشارع، ورفعتها وهوت بها مرة اخرى اولا وثانيا ، ففتح الباب قليلا ، دفعته والدتي بيدها ففتح تماما ، قفزت الى الداخل انا ، واسرعت الى الحبل الطويل الذي يربط قفل الباب ممتدا من صحن الدار الى غرفة جدتي ، وقبل ان أمسك به واركض كقطار الشارع الكبير ، قبضت اصابع امي على كتفي وقالت وهي تحدق من خلال الباب الزجاجي :

ـ اهدأ

ثم جرتني مسرعة نحو الباب وقالت وهي تدير قبضته :

ـ عند جدتك زائرات فكن متعقلا

دخلنا وراسي يختفي بخصر امي ويدي ضائعة في يدها

ـ آه لا لا .. لا ، كنت اجمع واقول هذه ستلم كبرتي ، هذه ولدي ، اجمع وابخل على نفسي لكبرتي .. لا لا .

ازحت وجهي لارى ، انها تقوم من على المقعد وتلطم وجهها وتعود فتجلس ثم تنهض وتلطم وجهها وتجلس وتنهض وتجلس ولا يبدو على زوجة خالي الكبيرة بانها .. تلعب .

قالت السيدة الجارة لوالدتي : تفضلي .. اجلسي هنا .

فافرجت امي عن يدي وبقيت في الغرفة الكبيرة حائرا ، كلهن في حلقة هنا ، وهناك بعيدا في اقصى الغرفة ، قرب النافذة المطلة على الشارع : جدتي .

مشيت وراء الحلقة ووصلت اليها ووقفت امامها : جدتي ، وظلت ساهمة، ابتسمت لها ، اشرت الى الاوسمة الثلاثة على صدري ، وظلت ساهمة، شددت بضفيرتها البيضاء الطويلة وعدت اقول : جدتي .. جدتي

فازاحت لي مكانا بقربها على الاريكة فصعدت وجلست متضايقا كأن الاستاذ راشد موجود معنا في الغرفة .

ـ لا .. لا لا .. آه كنت اجمع واقول ..

ـ انت .. انت .. انت وزوجك اثنان اما انا ، سبعة اولاد وابوهم ، سبعة ، ويلي انا كيف ، كيف ستعيش .. سبعة وابوهم ..

وتقول السيدة الجارة : هدئن من روعكن ، البركة في ازواجكن .. الصحة أهم

ـ سبعة وابوهم .. تقول صحة .. صحة

نظرت الى امي متوسلا اليها حبذا لو نعود الى المنزل ، ولكنها مشغولة، منصرفة عني ، تجلس بين زوجة خالي الكبيرة وزوجة الخال الثاني .

نزلت من قرب جدتي وتطلعت الى بائع غزل البنات ثم رسمت باصبعي على الزجاج ، طائرة وبطة ثم طائرة اكبر ، وفجأة هزت كتفي واعطتني حبة ملبس وردية ، وضعتها في فمي وابتسمت لجدتي ثم عدت ارسم على الزجاج بطة تركب طائرة ، وسمعت صوت بكاء وشهيق فالتفتت مسرعا ، ان الاثنتين في بكاء شديد

ـ تسكن عندي ؟ لا ، لا ، انا كل يومي خارج البيت ، ستموت وجهها والحائط .. ستموت

ـ سبعة وابوهم .. سبعة يصرخون في البيت ، كيف تسكن مع صياح سبعة قولوا ستجن ، ستجن .

وتقول السيدة الجارة : هل ترمون بام الشباب على الطريق ؟

وتقدمت الخادم العجوز بفناجين القهوة وقالت بصوتها الاخن :

ـ الله يرحمك .. الله يرحمك لو كنت خصصت لهذه المسكينة دارا او دكانا .

وتقول السيدة الجارة : من كان يظن ان الحظ سينلب مع اولاده .

تضع الخادم الصينية الفارغة على ركبتيها ومن مقعدها المنخفض قرب الباب تغمغم : حظ، حظ ، الله يرحمه كان يجيء بالحظ .

وتلطم الكبيرة وجهها المشدود وتقول : كنت اجمع وأقول ..

وتصفق الهواء بيدها الصغرى وتقول : سبعة وتسكن عندي ؟

وكانت السيدة الجارة تنظر الى جدتي فنظرت الى جدتي ، كانت في عينيها مياه ، ومنديل شعرها الرمادي يكاد يقع على ضفيرتيها ، وشد حبل الباب على عنقي ، الصقت وجهي في معطفها ، معطفها الذي لا تخلعه ، وكانت رائحة جدتي كرائحة اوراق الشجرة التي وضعها والدي في برميل كبير على منعطف درج منزلنا .

قالت السيدة الجارة : ستحرم من نافذتها ، كنت اراها من منزلي ، ستحرم من نافذتها ، مسكينة لو ابقت على مصاغها ولم تعطيه لهم ..

فتصيح الكبيرة : وانا ، انا ، صرة هكذا ، ذهب ، طارت .. طارت

وتردف الثانية : والاولاد .. كيف نتدبر امرهم ؟

فقلت لجدتي : لماذا طارت ؟

قالت جدتي : اسمع يا صغيري ..

فارهفت السمع ، ولكنها صمتت.

قلت وانا العب بضفيرتها : اين طارت ؟

قالت : لا اعلم

قلت : امراة خالي تريد صرة ذهب ..

فابتسمت جدتي

قلت لها : لماذا تريد صرة ذهب ؟

قصة

صوت من طفولة

بقلم الانسة رينه عبودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زوائب من حزن

لولاك لما اتقدت نجمة فى السماء
شوقا لعتمة الليالي
ايها الحزن ،
ولما ارتعشت نغمة خالده على شفاه الوجود

* * *

ما معنى ان تغرق قوارب احلامنا فى رمال الشاطىء
ولا ندر ان نرحل مع السنونو المسافر الى البلاد الدافئة
عندما يجمد برد الشتاء دماء عروقنا

* * *

يكاد يعدمنا ذلك الصوت القادم من البعيد
ونحن نحفر باهدابنا المنتصبة
مسارب اقدامنا فى الصخور
قاصدين ان نبلغ ملاعبنا الضاحكةللشمس ولا نصل اليه.
ذلك الصوت الصاخب كالحياة

* * *

انها ينابيع ومرايا
قلوب الضاربين فى الليل على بوادي الالم
تلك التي تحمل فى جوانبها الطيبة
تراب الفراديس المسروقة والاغنيات المطلوبة على الخوف

* * *

اقلع ايها الشراع الباسم للغيوم
يا ومضة على شفاه البروق
انت ايها الحزن الخلاق فى بلادي
فما زال بعد للمواسم المحروقة فى سهولنا
حنين الى البيادر المزروعة بالحصى
والتماع دموع مائجة
على دروب العطاء الاخضر

دمشق **زهدي خليل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالت : لان زوجها لم يبق عنده ذهب ..

قلت لها : والدي اعطاني قطعتين ذهب ، قشرت الذهب واكلت الشوكولاته من داخل القشرة ،

اتحبين الشوكولاته ؟

قالت جدتي : اسمع يا صغيري.. وصمتت،فنزلت من قربها ووقفت قرب النافذة وكان بائع غزل النبات قد ذهب ورسمت باصبعي طائرة كبيرة .. كبيرة هكذا وصرة مربوطة فى ذيلها ، وفجأة صحت بجدتي :

ـ لو ارسل لك الله فى الطائرةصرة هكذا .. من الذهب ، ماذا تفعلين بها ، قولي يا جدتي قولي .

فابتسمت ولم تجبني فقلت لها : قولي .. ستشترين بيتا كله نوافذ وعشر بطات مثل بطات بركة الحديقة العامة و .. قولي قولي انت يا جدتي

فقالت جدتي : لو ارسل الله لي صرة ذهب لاعطيتها للاولاد ، اولادي، حتى لا يتقاتلوا .

حلب **رينه عبودي**

الحقيقة والواقع

بقلم الدكتور فؤاد حداد

كل واحد منا يريد ان يصل فى كل امر من الامور التي تهمه الى معرفة الحقيقة ، الحقيقة المجردة العارية ، كما يقولون ، او الحقيقة التي لا مواربة فيها ولا غموض ، فهل هذا ممكن ؟ وهل نستطيع اذا سألنا شخص ما « ما هي حقيقة هذا الامر يا أخي » ان نجيبه اجابة حاسمة قاطعة « الحقيقة هي كذا وكذا » .

نستطيع ان نجد امورا تبدو للجميع حقائق ثابتة كقولنا مثلا « أن الارض كروية » فبالرغم من ان شعوب العالم القديم قد اعتقدت الاف السنين ان الارض منبسطة الا ان هذا لا يلقي اي ظل من الشك على ان « الارض كروية » حقيقة ثابتة اثبتها العلم اثباتا قاطعا. ومن هنا يستنتج البعض فيقولون اننا اذا اختلفت آراؤنا فى حقيقة امر من الامور فعلينا ان نلجأ الى العلم ليكون الحكم الفاصل بيننا .

ولكن العلم ينظر الى الامور نظرة موضوعية وفى الحياة اشياء كثيرة لا يمكننا ان ننظر اليها نظرة موضوعية بحتة. مثلا اذا قلت مشيرا الى زهرة حمراء « هذه زهرة حمراء » وسألنا العلم عن رأيه فى هذا الامر لكان الجواب ان الزهرة هي بالنسبة لنا حمراء فهي قد تبدو بمظهر آخر لعيون اخرى غير عيوننا ففي عيون النحلة مثلا بضعة الاف من العدسات ولهذا فمن الطبيعي ان تبدو الزهرة التي هي بالنسبة لنا حمراء ذات لون اخر مختلف تماما عن الحمرة للنحلة او للصقر . وكيف يحق لنا ان نحكم عيوننا فى وضعها الحالي وهي التي لو اختلفت فى تركيبها اختلافا بسيطا لرأت الزهرة غير ما تراها الان . كل هذا والزهرة ولونها كما هما لم يتغيرا على الاطلاق .

نستنتج من ذلك ان الحقيقة ، شأنها شأن المبادىء الاخلاقية ، تتفاوت بالنسبة للجماعات والافراد فهي امر نسبي بمعنى ان ما هو حقيقة بالنسبة لي قد لا يكون حقيقة بالنسبة لك .

والان ما رأيكم فى حقيقة هذه العبارة « انهزم الفرس فى معركة القادسية » . انها حقيقة تاريخية معروفة ، ولكن لنقف هنيهة نتأمل فى هذه العبارة . اننا اخترنا حادثة معينة فى التاريخ وتطلعنا الى نتيجتها العسكرية دون الاهتمام بأي شيء اخر يتعلق بظروف المعركة والامور التي مهدت اليها او التي نتجت عنها فقد يقول قائل « ان الفرس هم الذين انتصروا فى معركة القادسية ، ذلك لان الفرس نتيجة لهذه المعركة الفاصلة تركوا عبادة الاوثان واندمجوا بالعرب فزادت حيويتهم ونشطت افكارهم وازدهرت بلادهم وكثر المشتغلون منهم بالعلم والادب واستفادوا اعظم الاستفادة فى النواحي الثقافية والتجارية. فهل يمكن ان يكونوا قد فشلوا فى معركة كانت فاتحة ذلك العهد الذي حمل لهم كل هذه البركات والخيرات » .

نستنتج من ذلك نظرية مشهورة عن الحقيقة وهي انه لا يمكننا ان نعرف حقيقة أمر من الامور الا متى عرفنا كل شيء يتعلق بذلك الامر لان كل شيء فى الكون يعتمد على كل شيء اخر ، ومعنى هذا ان حقيقة امر بسيط او حادث بسيط لا يمكن الوصول اليها الا متى عرفنا كل المعلومات عن كل شيء اخر فى الكون .

وتوضيح هذه النظرية بسيط جدا فاذا اشعل المرء عود ثقاب وسأل ما الذي سبب الاحتراق اجبناه انه الاحتكاك . ولكن لولا مادة الفوسفور لما كان للاحتكاك اثر ولو لم يوجد الاكسجين فى الهواء لما اشتعل الفوسفور ثم ان الغازات الاخرى فى الهواء هي التي جعلت الاكسجين بكمية مناسبة للاشتعال . وهذه الغازات تعتمد على دورة ثاني اكسيد الكربون التي تعتمد على المادة الخضراء فى النبات التي تعتمد على اشعة الشمس التي تعتمد على الاحتراق .. الخ ،والواقع اننا نستطيع ان نظهر ان كل شيء فى الكون قد اشترك وساهم فى اشعال عود الثقاب هذا.

ولما كانت معرفة كل شيء فى الكون معرفة تامة امر مستحيل فانه ينتج عن هذا ان معرفة الحقيقة الكاملة لاي شيء من الاشياء امر مستحيل ايضا ولا يمكن للانسان ان يأمل الا فى معرفة قدر محدود من حقيقة اي امر يريده . وتتحكم فى ذلك القدر معرفتنا بالظروف السائدة والنتائج والمسببات . وكلما زادت معرفتنا العامة زادت قدرتنا على الحكم واصبح حكمنا اقرب الى الحقيقة عن ذي قبل . وهذا يبين لنا كيف ان المختصين فى امر من الامور يكون حكمهم فيه اقرب الى الحقيقة من حكم غيرهم غير المختصين ذلك لانهم يعرفون عما يتعلق بالموضوع اكثر مما يعرفه غيرهم من الناس .

ولا بد لي — قبل ان انتقل الى الحديث عن نظرية اخرى — ان اذكر نقطة الضعف الرئيسية فى هذه النظرية، ذلك انها تناقض نفسها بنفسها فهي من جهة تقول اننا لا نستطيع ان نعرف حقيقة شيء ما الا متى عرفنا حقيقة كل شيء فى الكون ومن جهة اخرى تدعى انها نظرية صحيحة فكيف نستطيع ان نقبل هذه النظرية على انها حقيقة وهي منفصلة مستقلة قائمة بذاتها .

وهناك نظرية مهمة اخرى عن الحقيقة لعلها رد فعل تام للنظرية السابقة ، فهي تسلم اننا لا نستطيع معرفة الحقيقة الموضوعية ثم تقول ولهذا يجب ان نفتش عن الحقيقة من طريق اخر هو طريق الفائدة التي تعود على الشخص من اعتقاده بامر ما فاذا اعتقدت الام التي ثكلت بابنها ان ابنها سيظهر لها كل مساء ويتحدث اليها كان ظهور الابن بالنسبة للام حقيقة كاملة تامة .

ويعلق على ذلك الفيلسوف الانكليزي وليم جيمس فيقول : « الحقيقة تدل على كل شيء مفيد وصالح لاغراض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى عبد الباسط الصوفي

شكري هلال

قلب ، لا تنصدع لفدح المصاب ... والزم الصبر راجيا للثواب
ذاك امر الاله فى الناس والكون ، وكل مصيره لذهاب
ان يكن غيب الممات صديقي ... فعزائي اني غدا لغيابي
ان هذي الحياة حلم كذوب ... وارانا نجري وراء السراب
كل يوم نبني ونعلي قبابا ... ويد الموت تنبري للخراب
وتزين المنى الحياة ، فنمضي ... اثرها ، والردى على الابواب
كل يوم مودع لي خلا ... لرحيل ، لا ينتهي بالاياب
اين صحبي ؟ ياقلب، اين الندامى ؟ ... واحباي ؟ كلهم فى التراب
انا وحدي ، ما زلت امضغ يأسي ... وطعامي تحسري وشرابي
يا صحابي ، وكنتم نور عمري ... ما بقائي من بعدكم يا صحابي
يا صديقي ، وللصداقة عندي ... حرمة ، مثل كعبتي ، وكتابي
شهد الله لم تغب من خيالي ... انت طيف تضمه اهدابي
انت فى القلب ، ملء عيني وجه ... باسم ، شارد بافق الضباب
وبسمعي شعر يسيل عذابا ... وجراحا ، وخيبة فى التصابي
واغاني الضياء للقمر الجذلان ... يهدي الصفا للاتراب (١)
وبنفسي قلب نقي حزين ... يقطع العمر فى اسى واكتئاب
لم نزل فى الدروب نمشي شريدين ، وفى الاعين انطفاء الرغاب
غرباء ، تبكي علينا الليالي ... ودروب الضياع والاغتراب
لم نزل والورود تصغي الينا ... والسواقي دموعها فى انسكاب
والغرام القتيل قصة قلبين ، بدنيا كثيرة الاوصاب
تتلوى الروحان ، في قبضة العادات ، والمهجتان مأوى الحراب
قلبنا الغر ، طهرنا ، المثل العليا ذنوب ، تجزي بأقسى العقاب
والفتاة التي بنينا لها ، المجد ، رمتنا من حالق للسحاب
قد منحنا الهوى فؤادا وعمرا ... فجزانا الاسى مدى الاحقاب
يا لهول المأساة ، نفتح جفنا ... قرحته النوى ، وحب الكعاب
لنرى ليل خيبة ، ليس يطوى ... وفراغا في العمر والآراب

معينة معروفة » ويقول ايضا : « ليست الحقيقة سوى مقياس للتفكير فهي تشبه العدالة فى القضاء ، فالعدالة مقياس لنزاهة القضاء » .

ويقول الفقيد البروفسور جود استاذ الفلسفة في جامعة لندن سابقا : « ترى هذه المدرسة ان التحليل المنطقي يجب ان تكون له دائما غاية عملية مفيدة . وحقيقة القوانين تتقرر على ضوء ما تعود به علينا من فوائد عملية حين تطبيقها . وبعبارة اخرى ان الفائدة العملية هي محك الحقيقة كما نعرفها » .

ولكن من الواضح انه ليس من السهل دائما ان يقرر المرء بين امرين ايهما اكثر فائدة من الاخر ، وبذا اقرب الى الحقيقة من الاخر .

هذه هي اهم النظريات فى شرح معنى الحقيقة . فاذا وجدت نفسك يوما تتكلم مع صديق لك عن حادث بسيط وسألك مستفسرا : « ما هي حقيقة هذا الحادث يا صديقي ؟ » تذكر انه سيطلب منك الحقيقة وهو مطلب عسير لم يستطع رجل ان يوفيه حقه حتى الان بالرغم مما تقلب على العالم من فلاسفة ومفكرين واذا استطعت انت ان تجيب عليه اجابة صحيحة كنت اعظم من ذلك الفيلسوف اليوناني الذي قضى حياته يسأل « ما هي الحقيقة ؟» ولكنه لم يسمع لا فى نفسه ولا فى غيرها من النفوس جوابا شافيا على هذا السؤال « البسيط » .

لندن — **فؤاد حداد**

خيبة ، تحرق الجوانح والروح وليل البكا لغير انجياب
فلنداو الجراح بالبعد ننسى فيه ظلم الحياة والاحباب
تلك افريقيا ، قيود ثقال وظلام صباحه فى ارتقاب
قد حسبنا الحياة تحلو لديها فاذا حلوها مرارة صاب
اججيم حياتنا ، اينما سرنا ويأس مصاحب للركاب
احياة ؟ وقد خلت من معانيها وجف الشراب في الاكواب
اتغني ؟ ماذا تفيد الاغاني ؟ فى وجود ، لم يعن بالآداب
فى ظلام الجمود نفرس وردا ليسر الانام بالاطياب
نحن لم نأت للحياة اختيارا فليكن حقرنا لها بالذهاب
اشهر ، والدنى تفيق على (سيزيف) ميتا ، مسجى على الاخشاب
ويعم الاسى ، ففي كل قلب لوعة ، والوجوم في كل باب
انت كنت الشجاع حطمت قيدا لم يزل خانقا على الارقاب
واخيرا رجعت ، يبكي عليك الشعر، ينعي الخريف زين الشباب
كنت بالامس خلف نعشك امشي بخشوع اجتر مر اغترابي
تتهاوى الذكرى ، فينهش صدري الحزن ، والوجه آية الاكتئاب
وطيوف الماضي تسائل قلبي مات حقا ؟ ؟ والدمع كان جوابي
عبثا اكبح الدموع ، فقلبي يبتغي ان اذيبه فى انتحابي
لست ابكيك ، انما فيك ابكي الشعر يزهو باجمل الاثواب
المروءات ، والصداقة تبكيك ، ونبل الاخلاق والآداب
كيف تمضي ، ولم تودع رفاقا كنت فيهم روح العلى والطلاب
اين بيت تبنيه من تعب القلب ،وشهد المنى وطين العذاب
قد بذرت الكفاح ، مالك تمضي دون جني ليانعات الرطاب
وجمعت (الديوان) تحرق روحا فيه حتى يبدو بأبهى اهاب
لهف نفسي ، تمضي ، ولم تبصر الاضواء (ابيات ريفنا) فى كتاب (٢)
هذه الاغنيات ، يبشرها الفجر ، وتغدو محجة الاعجاب
افقها عالم الخلود ، مزان بالرياحين ، عابق بالملاب
يا رفيق النضال ، لم نحن هانا لغني يسود بالارهاب (٣)
جبهة ، يشمخ الابباء بها زهوا ، وتعلو آمالها للسحاب
وانطلاق لعالم ، عبقري الحسن ،جم الضياء ، جم الصعاب
وكفاح بالكف ، والروح والشعر ، ليزهو تحرر فى الروابي
وحدة العرب تملأ الارض نورا وسلاما للناس والاعراب
يا رسول التحرر الحق ، تمضي من كفاح الاعراب للاغراب
لهب الحق كنت فى غيهب العرب،وسيفا لم يحتبس في القراب
يا رفيق النضال ، يسأل عنك الدرب ، قل لي ، ماذا يكون جوابي
لم يزل موطن العروبة ، يرجوك ليوم ، جهم الملامح ، كاب
ودروب النضال ، تفتقد المعلم في صولة الكماة الغضاب
يا خطيب الاحرار ، حن لك المنبر ، في عيد شعبك الغلاب
يا رفيق النضال ، يكبو جوادي حين ارثيك ، بل يموت خطابي
عفو رب الغموض والسحر عني ان تلوت الصلاة فى المحراب
ما رثائي شعرا ولكن فؤادي مزقته ظلما ايادي المصاب

حمص **شكري هلال**

(١) اشارة الى ابياته الحزينة التي تتحدث عن خيبة حبه ، والى قصيدته «مأدبة للقمر» التي كانت آخر ما اسمعني اياه (٢) كان سمى ديوانه الذي يجمعه ليطبع «ابيات ريفية»
(٣) اشارة الى نضاله فى فترة حكم الشيشكلي

ادبنا المعاصر والشعر

بقلم عيسى ميخائيل سابا

اذا القيت نظرة على ادبنا المعاصر وشعرنا المبتور ، اخذتك رجفة اسى على ما صار اليه ادبنا الذي اراد ان يقلد الغرب في اوزانه فباء بالخسران ونسي ان لكل لغة مقوماتها واساليبها وبيانها ، والشعر العربي مميز في موسيقاه ووزنه وصوره واخيلته وكلها تتراوح بين الحقيقة والمجاز.

والشعر ما كان في وقت من الاوقات كلمات مقطعة كقول احدهم :

سام حياتي وحبي منهار
اسهر ليلي وانام النهار
من اجلك يا حبيبتي

فما معنى هذا القول وما هو الجمال الذي يكتنفه والخيال المحلق والشعر الموهوب ، اليس هذا هراء وقولا لا معنى له.

زعم البعض ان الشعر موسيقى يتناول اللفظ دون المعنى ويكفي ان تكون الكلمة رشيقة خفيفة سواء ادت المعنى ام لم تؤده ، وعندهم ان جمال الصوت ونبراته والجرس يلبسها الحلة اللائقة بها ، وينزلها منزلة ما يسمونه شعرا ينكبون به الادب ويسفون به الى الابتذال ، وفاتهم ان الشعر وان شارك الموسيقى في بعض نواحيها ، فهو مقيد بالمعنى الذي يشارك فيه العقل لاستكمال اللذة ، والموسيقى في بعض نواحيها ما كانت يوما شعرا على اطلاق المعنى ولن تكون ، لان الشعر مشارك لها باللحن والاطراب ، والموسيقى لا تشاركه بالمعنى ، وكم من ابيات تستوعبها لمعناها ومبناها وترقص لها طربا ، وانت بعيد عن لحنها الموسيقي ، وذلك بين ظاهر لكل من اوتي سمعا مرهفا وذوقا رفيعا ، لان لذة الموسيقى تتناول الاذن والنفس معا وهما يطربان باللحن الحسن والتوقيع المرقص ، فتسكر الروح وتنخطف الى ملاء تحسه احساسا روحيا ، لا تقدر ان تعبر عنه بكلمات ، فالموسيقى روح والروح لا تلمس باليد ولا يجري عليها التصوير ، فجمالها الحان وقعتها نفوس موهوبة اعطيت هبات تظهرها اصواتا ، ويتعذر عليها ان تظهرها كلمات ، بعكس الشاعر الذي اعطي ان يجمع بين الصفتين اللحن والمعنى ، والشعر الحقيقي الخالد ان عري عن صفة من هاتين الصفتين كان صوتا يضمحل ويتبدد في تموجات الهواء فلا يكتب له خلود ، كما في قول بعضهم :

سيري على مهل ... يا نبضة الحب
خفق النعال ضحى ... كالخفق في قلبي

قلت ان الشعر يشارك الموسيقى لانه لفظ يعذب في الاذن سماعه ، وتطرب له النفس ، ويسوغ معناه للعقل ، فهو غير مقتصر على اللحن حسب ، لان المشاعر كلها تشترك باستساغته ، فتأخذ كل شاعرة ما يناسبها ، ومن مجموعها يتذوق جمال القول واللحن ، فشاعرة العقل تتطلب المعنى وشاعرة السمع تتطلب الجرس وشاعرة الحس تتطلب الكلمة اللينة البينة العذبة ، وهي تقع في النفس موقع الخمرة الدابة في الاعصاب فتخدرها ، وتستوحي النفس نشوتها ، وعمل اللحن في الشعر كما يقول ابو الوليد ابن رشد في تلخيص كتاب ارسطو هو : « انه يعد النفس لقبول خيال الشيء الذي يقصد تخيله ، فكأن اللحن هو الذي يفيد النفس الاستعداد الذي به يقبل التشبيه والمحاكاة للشيء المقصود تشبيهه » .

وليس كل ما يرد على القريحة يجب ان يقال ، فقد يكون الشاعر في خلوة يردد كلمات يطرب لها ويرى فيها جمالا اوحت به وحشة المكان ، ولكن بعد ان يجري تلك الكلمات على محك العقل يرى الا معنى لها ، ولامر ما قيل لبشار بن برد « بم فقت اهل عمرك وسبقت اهل عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب الفاظه ؟ » قال : « لاني لم اقبل كل ما تورده علي قريحتي ويناجيني به طبعي ويبحثه فكري » وكأنه عرف ان الصوت الواحد والمنظر الواحد لا يؤثر في السامعين والناظرين اثرا واحدا ، وليست الحواس وحدها تكفي في ادراك الجمال ، بل لا بد معها من العقل ، فالحواس وحدها تستطيع ان تدرك الحركات والاشكال والاصوات والالوان على انفرادها ، ولكن لا بد معها من الفكر والشعور ليربطا بعضها بالبعض الاخر ويكونا مجموعة واحدة متناسقة الاجزاء . وبهذا ايضا يختلف الانسان عن الحيوان ، فالحيوان يستطيع ان يدرك الوان صورة ذات الوان كصورة العذراء لرفائيل ويسمع الشعر ولكنه لا يدرك ما يدل عليه ذلك من عشق ولا يشعر بما يمثل من عواطف.

وهذا ما يؤيد ما ذهبت اليه من ان الشعر ليكون شعرا حيا يجب ان يكون فيه لجميع الشواعر الانسانية مشاركة ، وقد تنبه الى ذلك علماء الشعر في العصر العباسي فقال قدامة بن جعفر : « لما كان اكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني كان احسنهم من اتى بشعره بأكثر المعاني » .

ولقد اعطي الشاعر صفة لم تعط لغيره ، فهو الامير المتصرف ببيانه والغائص على المعاني الجليلة وقديما قال الخليل بن احمد : « الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤوا ، وجائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده » فانت ترى ان الشاعر لم يطلق له الكلام اطلاقا دون تقييد في المعنى وان كلمة اللاوعي كلمة يفهمها البعض على غير حقيقتها ، فهذه قصائد ابن الفارض امام الرمزيين واللاوعي ، الم يعطنا المطرب الجيد من الشعر ؟ اما كان يخطف متجردا عن المادة في ما قالوا عنه ويعود اليها وملء فمه قصائد فيها كل جميل حسن سواء فيها نعت اللفظ او نعت المعنى ، واذا كان المراد من كلمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« اللاوعي » الهذيان فيكون المحموم شاعرا وكل مجنون شاعر ، ويا لخيبة الشعر عندئذ ويا لضيعة الادب الحقيقي من ادب هذا العصر . وانه ليعجبني قول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين : « المطبوعون على الشعر هم الذين تأتيهم المعاني سهلا ورهوا ، وتنثال عليهم الالفاظ انثيالا » ومن الادباء من يقول وحجته ان الشاعر كالمصور الذي يقدم لك خطوطا رمزية تريك الجمال ولا تدركه ، قلت : انهم على حق في ما يذهبون اليه ولكن هل الخطوط التي يرسمها المصور البارع خارجة عن حد اصول الفن المقررة؟ او تراه جردك من العقل بخطوطه وقصر فنه على ناحية نفسية واحدة ؟ الم يصرفك بما رسم قلمه الى تداعي صور رجعت بك القهقرى الى الماضي حيث يرتبط ما شاهدت قبلا بما حضرك وانت امام لوحته .

وهذا الرمز الذي يطبل له البعض ويزمر ، اليس فيه معنى يدركه العقل ؟ اهو مجرد الوان فقط ، وقديما قال الامام الماوردي : « وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يراد تفخيمه من المعاني ، وتعظيمه من الالفاظ ، ليكون احلى في القلوب موقعا واجل في النفوس موضعا ، فيصير بالرمز سائرا في الصحف مخلدا ، وعندي ان الشعر الجيد هو الذي يخاطب العقل والنفس معا ، ولا خير في شعر له نوطة تتناول النفس دون العقل ، والجيد الجيد هو الذي يجمع بين العقل والنفس ، وجماع ذلك ما قاله قدامة « ان يكون المعنى مواجها للغرض المقصود غير عادل عن الامر المطلوب » .

وجملة القول ان الشعر معنى ومبنى ، سواء منه الرمزي والغنائي المطلق والمقيد والمقتصر على صفة واحدة لا يتناول غيرها ، يبين فيه النقص ويخرج عن حد الكمال والمقرر ، ويكون مثله مثل تمثال عليه من الحلى والالبسة ما لا يستقيم مع الذوق والعقل ، ويبهرك الشكل وتفوتك الروح ، والمادة بلا روح باطلة والروح وحدها لا تدركها المادة ولا تفهمها على وجهها الصحيح«ويسألونك عن الروح، قل الروح من امر ربي » .

والشاعر الحق هو الذي يجسم الجماد فينطقه كما في قصيدة اسماعيل صبري في وصف الاهرام ومطلعها :

لا القوم قومي ولا الاعوان اعواني اذا ونى يوم تحصيل العلى وان

وكما في قصيدة مطران ، في ظل تمثال لرعمسيس الكبير ومطلعها :

يا صورة شبهت صخرا بانسان ملات من روعة قلبي وانساني (١)

وعلى ما تقدم اقول ان الشعر الحي هو الذي يرقصك ويطربك ويملأ جوارحك وعقلك ، فتسير وراء خياله ، بتناغم الكلمات وجلال المعنى والمبنى . ويبقي في احساسك ما يرفع النفس الى عالم الرؤى والاحلام .

(١) اي انسان العين ، ناظرها

عيسى ميخائيل سابا

بؤس

مدت يدها متضرعة
في عينيها دموع جفت
وظلت قطرة واحدة عالقة بأهدابها ..
ارتعش جسدها كله
تحت وطأة البرد اللاسعة
فجمعت ثوبها الفضفاض حول جسمها
لعله يقيها ويحفظها ...
هدر حياؤها ، واريقت كرامتها
فهي لا تخجل من التوسل والتضرع
والاستجداء ...
في النهار تقطع الانهج ،
وتدق على الابواب
متوسلة متضرعة ،
مستجدية قطعة خبز جاف
او بعض الحساء ...
وهي تترقب غفلة من اهل الدار
لتسرق ثوبا منشورا على الحبل
او وعاء ...
لكم تلقت صفعات
ولكم نالت لكمات
هدر منها الحياء ،.
لم يعد ينفعها لا تهديد ولا وعيد
ولا نظرات العداء ...
تدمع عيناها ، فلا تعرف لماذا تدمعان ،
وتبتسم حين يسقط وسط كفها درهم
او درهمان ...
انه البؤس ... لقد ارتدته كما ترتدي
ثوبها الممزق المهلهل ...
غطى الثوب جسمها
ولف البؤس نفسها ...
فسارت تحمل حملا
وحين ينوء بها الحمل
تبكي ، ولا تعرف لماذا تبكي ،
وتجف دموعها بعد حين قصير ...
وتبقى قطرة واحدة ،
عالقة بأهدابها ...

تونس **ناجيه ثامر**

كانت « عزة » فتاة طيبة جدا، ووفية مخلصة تؤثرني على نفسها وعلى كل شيء في حياتها .. مات ابوها وهي في الخامسة من عمرها .. ولحقت به امها بعد ايام في حادثة اصطدام .

ولما كانت والدة « عزة » قريبة والدي .. لذلك سعى لاحضارها لتعيش معنا في بيتنا بعد وفاة والديها. ووجدت في « عزة » صديقة عزيزة.. نشأنا معا ، وكان تقارب السن وتوافق الاهواء خير جامع لنا ومؤلف بين غاياتنا .

واحببت « عزة » وجاءتني هي كذلك بحبها لي .. ولم تشعر ابدا بغربتها عن بيتنا ، بل على العكس كانت معاملة والدي لها تشعرها بأنها هي صاحبة الامر بيننا .

واصبت بادىء الامر بخيبة امل عندما وجدت ان والدي ينصت لحديث « عزة » اكثر من التفاته الى حديثي ، وان والدتي تستجيب لرغباتها قبل التفاتها الي .

وثرت وبكيت .. وملأت الدنيا صراخا ، غير ان والدي همس في اذني يومذاك قائلا :

ـ انك مخطئة يا « رجاء » لان « عزة » اختك ، وعليك الا تشعريها بكرهك لها .. وان تنبهينا ايضا اذا ما قصرنا نحوها يوما من الايام.. انها اختك ولا تفضل واحدة منكما على الاخرى .

وقبلني والدي في جبيني ، وطوى في يدي ورقة من فئة العشر ليرات..

وفكرت حالا ان اقتسم هذا المبلغ بيني وبين « عزة » فقد اثر في نفسي حديث والدي كثيرا ، وفعلت كلماته الحانية في نفسي فعلها .

وبحثت عن « عزة » وكانت سريعة للقائي .. وحالما ابصرت بي ، مدت يدها الي ووجدت بين انامله ورقة بخمس ليرات ، وهمست الي وهي تناولها لي :

ـ لقد اعطاني بابا عشر ليرات .. ورايت ان نقتسم المبلغ فيما بيننا ، ارجوك اقبلي نصفه مني يا رجاء ..!

ولم استطع ان املك ساعتها دموعي التي انفرطت من عيني بغزارة، واندفعت نحو « عزة » وضممتها الى صدري ويدي تثني الليرات في عطف وليـن .

وعرفت « عزة » دخيلة نفسي ورغبتي في ان اقاسمها ما حصلت عليه من والدي .. فغمرتني هي الاخرى بقبلاتها الصادقة ، وكان الحب رائدنا الوحيد من جديد .

تلك هي اول قصة وقعت بيني وبين « عزة » وقد كانت الواقعة الاخيرة بيننا .

واستطاع والدي ووالدتي ان يطمئنا بعد ذلك على الاخلاص والتفاني الذي تكنه كل واحدة منا للاخرى ، وعلى الخير الذي نتسابق

القناع الاخير

بقلم عدنان الداعوق

الى فعله .. وتفضيل كل منا اختها على نفسها .

وسعى والدي لان يخلق من «عزة» خلقا جديدا .. وما كان سعيه بالنسبة الي باقل من نصيب « عزة » ، بل كان رائعا جدا في تربيته لنا .. فكان لا يقصر في منح المتفوقة منا في دراستها الهدايا الثمينة والعطاءات الفاخرة.. ويردد كلمته المألوفة :

ـ المتفوقة منكما احسن عندي حتى يستوي الامر بينكما ..!

ولم تكن هذه الكلمة الا دافعا وحافزا لنا على المسير والدأب المستمر .. ولم تكن ـ بعد تلك القصة ـ كلمة والدنا مجالا للغيرة او الشك.

وطريق والدي هذه جعلتنا نفكر انا و « عزة » بطريقة سليمة للغاية..



فقد قررنا ان نعمل في السر لننجح معا ، وننال هدايانا دون تفضيل ولا ايثار .. وبذلك نصل الى ما نريد .

وكان لنا ما اردناه .. حتى ان والدي جاء عقب نجاحنا في البكالوريا فرحا وحين علم ان درجاتنا متقاربة وتكاد تتساوى في النجاح والتفوق قال ضاحكا :

ـ لقد ادركت جيدا ان الشيطان لن يستطيع ان يعيش بينكما .. لانكما ابرع منه في نسج المؤامرات وصوغ الاحابيل .. ان هديتكما من التحف النادرة .. وقد كان بالامكان ان توفرا علي الامر ايتها الخبيثتان فتنجح واحدة لتسقط الاخرى ، فأوفر على نفسي ثمن الهدية الثانية ..

وضحكنا كثيرا ، غير ان « عزة » ضمتني الى صدرها بعنف وهي تقول لوالدي :

لن يستطيع الشيطان ان يعيش بيننا يوما لاننا سنقهره بالخير .. وعليك يا والدي ان تستعد دوما للهدايا الثمينة الغالية .. لاننا سنكون مع بعض ولن تفترق واحدتنا عن الاخرى مطلقا .

وصدقت « عزة » في قصة الشيطان الذي لن يستطيع ان يجد له مكانا بيننا .

دخلنا كلية الحقوق .. وابتدانا معا في جد ونشاط حتى استطعنا ان ننهي السنوات الطويلة وكأنها ايام معدودات .

وجاءت كل منا تحمل شهادتها بيدها .. ودخلنا على والدنا في غرفته .. فنظر الينا والفرحة تملأ قلبه وترسم دموعا في عينيه، وقال:

ـ استطيع ان افخر بكما اليوم.. فقد حققتما الامل الذي راودني طويلا ! وقبلني ، وقبل « عزة » .

وانطلقنا في طريق الحياة .

كان علينا ان نمضي في الطريق معا .. حسب الخطة التي رسمناها لنفسينا ، كان نعمل في مكتب واحد او مرفق مشترك .. ولكن الظروف لم تكن مواتية .. فاضطررت لان اشتغل في مكتب محام صديق لوالدي،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واضطرت « عزة » لان تعمل فى احدى الوزارات .

ولاول مرة افترقنا .. وحرمنا من بعض ساعات النهار .. ولكننا استطعنا ان نعوضها بساعات الليل التي لم نكن نفترق فيها ابدا .

كنا كلما اجتمعنا فى المساء اخذنا نستعيد ما مر بنا خلال اليوم كله من مشاكل وحوادث واعمال واشياء خاصة كذلك .. لانه لم تكن بيننا اسرار ولا حواجز نخفيها واحدة عن الاخرى .

وجاءت «عزة» عشية احد الايام شبه حالمة .. حدثتها فلم تنصت الى حديثي ، وفضلت على الجلوس معي الانفراد والانطواء على ذاتها .. وراحت تسمع بعد ذلك مقطوعات من الموسيقى فى لهفة وشوق غامض ، وبانت لي مخلوقة جديدة لم اعرفها من قبل .

واذا بها بعد ذلك تنفلت منها الكلمة فى تحفظ كثير وتقول :

ـ انني احبه يا رجاء ..!

ولم تكن فرحتي بأشد من استغرابي .. ايجوز لعزة ان تحب .؟ ايجوز للفتاة الوقورة ان تترك للحب طريقا الى قلبها ؟..

وقبل ان اسألها حقيقة الامر ، قالت لي وكأنها تحلم فى يقظة :

ـ لقد دخل قلبي فجأة .. ولم اجد نفسي الا وانا اتعلق به واحبه وكأنني اعرفه منذ زمن بعيد .. انه هو الاخر يظن انه يعرفني .. تصوري يا رجاء ، انه يعشق موسيقى «باخ» ويحب رسوم « جوجان » ويتلذذ بأدب « موريك » .. كم جميل بالفتاة التي تقابل فتاها وتراه على حب لكل ما تحب وعلى رغبة لكل ما تهواه وتعشقه .

وتركت « عزة » تلك الليلة لاحلامها تجسد منها ما تشاء !.

وتمضي بنا الايام ..

و « عزة » مقيمة على حبها ، مخلصة وفية لحبيبها .. وتجد فى الحب اسعد ايام عمرها ، وتنتظر ان تكلل هناءها فى حبها بالزواج الذي يحيل حياتها الى سعادة ورضاء دائمين .

وتشاء الظروف ان اقع انا الاخرى فى الحب ..

كان حبي يختلف عن حب «عزة» فى شيء واحد فقط .. هو انني عاطفية جدا ، بعكس « عزة » تماما .. فهي تتخذ من المنطق قانونا لحبها ، وانا اتخذ من عاطفتي المشبوبة منارا لي استنير به واسير على هداه .

وقعت فى حب شاب ثري جاء للمكتب يوما يسأل عن موضوع تركة من ارث قديم لعائلته .. وتردد علي فى المكتب اكثر من مرة .. ووجدتني دون ان افطن ، اماطل فى قضيته ، واطلب لها التأجيل تلو التأجيل حتى استمتع بمقابلته كل يوم تقريبا .

وامتد بنا الحديث مرة بعد مرة ، حتى تعدى امور العمل ..

فافصح لي انه يحب الموسيقى ويعشق « باخ » ويهوى الرسم ويفضل « جوجان » على غيره من الرسامين ، ويعتبر « موريك » رائد الادب بالنسبة له .

وخيل الي انني اعرفه منذ زمن بعيد .. وان ما يحبه عزيز علي ، قريب كل القرب مني .. وتمادت فى عواطفي .. حتى غدوت مريضة بوهم الحب وليس بالحب نفسه .. لان الذي ربطني به هو هذا الوهم الكبير .

كان متحفظا الى ابعد حدود التحفظ .. ولعل هذه الخصلة هي التي قربتني منه وجعلتني اتعلق به .

وفرحت «عزة» اشد الفرح حينما جئتها ذلك المساء اقول لها وانا فى قمة السعادة :

ـ انني عاشقة يا عزة ..!

وحكيت لها بتحفظ عن غرامي وعن الظروف التي عرفتني بالشاب الذي احببته من كل قلبي .. ولكنني لم افصح لها عن اسمه لانني عرفت ـ بيني وبين نفسي ـ ان الحب بيني وبينه لم ينضج بعد ولا يستحق ان اعرف « عزة » عليه ما لم تتوطد علاقتي به اكثر واكثر .

وسهرنا انا وعزة تلك الليلة طويلا .

واخيرا قالت لي « عزة » :

ـ هل ستفرحين بزواجي يا رجاء ..؟

فاجبتها بسعادة وسرور :

ـ جدا .. وكفرحك انت بزواجي .

قالت بأطمنان اكيد :

ـ سيحضر غدا لمقابلة بابا ، وليطلب يدي منه .

والتفتت الي وواجهتني قبل ان تنام :

ـ وانت متى سيحضر ويطلبك زوجة له من بابا ..؟

فاجبتها بغير اكتراث :

ـ ان موضوع الزواج سابق لاوانه يا عزة بيننا .. وليس بيننا اليوم سوى الحب ، اما الزواج فسيأتي فيما بعد ..

فقالت « عزة » باستغراب :

ـ كيف تحبان بعضكما اذن ..؟

قلت لها وانا شبه سكرى :

ـ الا تظنين ان الانسجام بين فتاة وشاب فى كل شيء وتوافق الاهواء والخواطر هما كل شيء في الحب ..؟

فقالت :

ـ بل اظن ان هناك اشياء اخرى غير ما ذكرت ..

وانتظرنا مساء اليوم التالي بفرحة بالغة للقاء خطيب « عزة » .. الرجل الذي سيأخذ منا غاليتنا ويحرمنا من وجودها بيننا .. وكنا جميعا فى لهفة للقائه

وما كدت اراه وهو يدخل منزلنا حتى صعقت وكاد يغمى علي بين الجميع .. وتعللت بشتى الاسباب والعلل لاهرب من الجو المحموم الذي وجدت نفسي فيه .

ان خطيب « عزة » لم يكن سوى « حسام » نفسه ..!

نعم « حسام » موكلي ، وحبيب اوهامي ...

حتى الرجل نفسه احببناه انا و « عزة » معا .. ولكنه سيكون لها وحدها .

لقد كلمتني عنه طويلا .. وحدثتها عنه .. ولكن واحدة منا لم تفصح عن اسمه للاخرى حتى تعلقنا به

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دع

•

انفـــام
على الطريـــق الطويل
توارت فى الظل
ولم يبـــق
ســـوى
قصـــة همـــس
مـــن صـــداه

وتـــر ينـــوح
بالحكـــايـــا
فـــلا تســـــل

اذا فتح الورد اكمـــامه
ضـــاع العبـــير

فـــدع الســـر
مغلفـــا بالعمـــق
ودعـــني

حلـــب **هيفـــاء طيبي**

كل منا فى عالمها الخاص ورغباتهـــا واهوائها .

ورضي والدي بحسام زوجا لعزة .. واشاد كثيرا باخلاقه وعائلتـــه الكريمة التي ينتمي اليها . وكذلـك اشاد بذوق « عزة » وحسن اختيارها رفيق حياتهـــا .

اما انا فقد اعتبرت هذا الـــزواج طعنة نجلاء فى صميم كبريائي .. ولاول مرة بعد ذلك الخصام البعيد بينـــي وبين « عزة » اقف معادية لـــها .. وارى فى وجهها الف صورة للشيطان بمختلف الوانه واشكاله .

الرجل الذي توهمت انني احبـــه سيكون زوجها وستعيش معه فى بيت واحد وعش جميل .. وبدات افكر فى وسيلة للايقاع بينهما .. ودبـــت الغيرة فى قلبي وعميت عن كل شيء .. حتى عن الحب الاخوي الطاهـــر الذي ربطني بعزة منذ الحادثة .

وعرفت ان « حسام » لم يذكر لعزة شيئا عني .. والا لفاتحتنـــي هي بالامر ولاستفسرت مني جليـــة الموقـــف .

وكانت اكبر صدمة تلقيتها فـــي حياتي يوم زفت « عزة » زوجة لـــه .. لقد ملكت البيت وملكت الرجـــل الذي تتمناه كل فتاة .

وبدات افكر . .

هل هي اجمل مني .؟ هل هـــي ابنة هذا البيت العريق النسب .؟ وماذا لو تركها والدي بعد وفـــاة والديها اما كادت تكون اليوم شريدة طريدة فى الازقة والشوارع ..؟

وقررت ان اعمل كل مافى وسعـــي على تحطيم هذا الحب الذي بينهما .. قررت ان افتح عينيه المغمضتين على الحقيقة التي يجهلها .. ان «عزة» ليست اختي ، وهي فتاة غريبة عن منزلنا .. ربيناها وصرنا اهلا لها .. ومما لا شك فيه انه سيغير رايه فيها، ويتصور انها غشته واخفت عنـــه امورا كثيرة .

ولكنني فوجئت حين علمت بأن « حسام » يعرف كل شيء عن «عزة» .. بل ويعرفها اكثر مما نعرفها نحن .

عندئذ فقدت كل امل فى استرجاعه ...وفى حبي الذي ضاع بين الوهم والحقيقة .. غير ان خاطرا واحـــدا ظل يلح علي فى عنف .

سأكون انثى بكل معنى الكلمة .. وسأستعمل جميع اسلحة حـــواء الفاتكة لاغراء «حسام» ..وعند ذاك سأقول كل شيء .. واذكر لها انني كنت على علاقة معه قبل زواجهـــا حتى تمقته ويسقط بنظرها .

وذهبت « عزة » يوما لزيارة صديقة لها .. ومرت علينا قبل ذهـــابها ، وعلمت منها ـ دون ان تـــدرك ـ ان « حسام » ينتظرها فى المنزل ليذهبا بعد عودتها من زيارتها الى السينما .

وفرح الشيطان فى اعماقي ..

انها الفرصة الوحيدة التي سأظفر بها .. وصرخت جميع قوى الانتقام النائمة فى نفسي .. وقررت ان اطعنها فى بيتها .. وسأكشف لها ان زوجها رجل يستطيع ان يخونها اذا ما تصدت له امراة جميلة ..

ولبست احسن ما عندي من ثياب، وتعطرت وبالغت فى زينتي الى اقصى حـــد ..

وضحكت ساخرة .. سيتهـــاوى « حسام » عند قدمي .. وسيصعق بانوثتي وجمالي وفتنتي ..وسأنتصر عليه .. على الرجل !.

وخرجت من غرفتي وانا على اتم الاستعداد .. وقبل ان اخرج مـــن المنزل سمعت والدي يحدث والدتي ويقول لها بصوت اراد ان لا يصـــل الى مسمعي :

ـ سيحضر غدا .. انـــه يريـــد الزواج من رجاء .. وقد اعجب بها جدا عندما كنا فى الاسبوع الماضـــي عند صديقنا « انور » .. وقد فاتحني انور اليوم..وكل ما ارجوه ان يعجب رجاء .. فرايها فوق ارائنا جميعا.. وكما سمعت ان مصطفى شاب مثالي ورجل ناجح فى الحياة !.

كان علي ان استمر فى طريقـــي متوجهة الى المعركة التي احقق فيها نصري واثور لكياني وكبريائي واوهامي .. لكنني توقفت عند الباب الخارجي .. وسقط من يدي اخر قنـــاع للزيف والغيرة والبطلان ..

ووجدتني فجاة انكر كل تصرفاتي الحمقاء .. واعود باللائمة على نفسي وغبـــائي .

ورحت ارقب الغـــد بأمل مشرق وقلب سعيد ..!

حمص **عدنان الداعوق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انـــا احيـــا

* * *

انـا احيـا
ـ بليـلات .. بلا سـلوى .. بـلا معنى .. بـلا قبـس
يمـني ذكرهـا قلبي .. فكـم يعـدو عـلى يـأس
ويسـألني : علـى م العيـش فى بـؤس وفى تعـس ؟
ـ عـلى همس الشعور العـذب .. مـا احلاه مـن همس
على أنسـامه مـا داعبـت انسـامـه نفسـي
وبـاحت لي بمـا أشـجى ، وما ابكى ، وما أعيا ..
انـا احيـا ..

أنـا احيـا
ـ بفجـر مـا لروحي منـه اضـواء ... فترعـاه
ولا تبـدو بـه البشـرى الى روحي .. فتلقـاه
وتسألنـي : عـلى م العمـر بـالآلام ... نحيـاه ؟
ـ عـلى حـب تباعـد بيننـا الدنيـا ... واهـواه
علـى ذكـرى حبيـب لـم ازل أهفـو للقيـاه
اذا ما مـات او يحيـا ... ومهما عزت اللقيا ...
انـا احيـا ..

أنـا احيـا
ـ بكـون كفنـك نفسـي المنـى يومـا بـواديـه
وراحت بعـده تبكي على الكـون ومـن فيـه
وتسـألني : علـى م وقـد مضـى عني انـاديه ؟
ـ على امـل .. فقـد يـأتي المنـى يومـا لراجيـه
فيلثمـه ، ويكسـوه ، ويطعمـه ويسـقيـه
انـا ارجـوه مهما فـات .. بل ادعو لكي يحيا ..
انـا احيـا ..

انـا احيـا
أصما موصـد الاذنيـن .. لا انغـام .. لا سلوى
يـراعي مثقـل باللحـن لكـن لا يـرى مـأوى
ويسـألني : علـى م الشـدو والانغـام والنجـوى ؟
ـ على آذان تسـمعنـا .. ففـرد واقصـد الشـكوى
وهـوّم واشد بـالافـراح واطربهـا بمـا تهـوى
فان مت ولـم أسـمع وعـاشت تسـمع الدنيا ..
انـا احيـا ..

مدني ـ السـودان **عبد الرحمن الناظر عبدالله**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غوغول في قصة المعطف

بقلم جورج سالم

كتب غوغول خلال حياته القصيرة عددا من القصص والروايات والمسرحيات ، الا ان قصة المعطف تحتل المكانة الاولى بين انتاجه رغم صغرها ويسرها ، وتبرز بين آثاره وآثار الادب الروسي عميقة خالدة ، فيها الواقعية بكل عمقها ودقتها ، والروح الساخرة التي عرف بها غوغول ، والخيال العجيب ، والالم الناعم المرهف والكآبة المتشائمة والنزعة الانسانية التي تسم روائع الاثار العالمية .

يقول مؤرخو الادب عن غوغول انه كان يعاني مشقة كبرى في العثور على مواضيع لقصصه ومسرحياته ، وانه استمد معظم مواضيع آثاره من قصص سمعها او حكايات رويت له ، فاقتبسها وسكبها باسلوبه الحي المتوثب ، ثم اضاف اليها ما كان يعتلج في نفسه من انطباعات وافكار وقيم .

ويصح اطلاق هذا القول على مسرحيته « المفتش العام » وروايته « النفوس الميتة » كما يصح اطلاقه على قصة المعطف نفسها . فقد استمع غوغول ذات يوم وهو جالس بين اصدقائه الى احد رفقائه يروي حكاية عابرة عن احد صغار الموظفين . كان هذا الموظف مولعا بالصيد ولوعا شديدا ، واراد ان يبتاع بندقية ، فاقتصد ما وسعه الاقتصاد حتى استطاع الحصول عليها ، وفي اليوم الذي ذهب فيه يختبر بندقيته الثمينة سقطت من المركب الى الماء وهوت في مصب النهر . وضحك الجميع لهذه الحكاية الا غوغول الذي لبث يفكر . وهكذا فان كارثة هذا الموظف البائس كانت مضحكة بالنسبة لمجتمع سنة ١٨٣٤ ، اما بالنسبة لغوغول فلم تكن كذلك ولقد استطاع ان يبني من هذه الحكاية قصة أليمة ، لانه نظر الى ما وراء السطوح الظاهرة فرأى بؤس الانسان وشقاءه وسطوة المجتمع وقسوته .

وقصة المعطف لا تختلف في خطوطها العريضة عن هذه الحكاية اليسيرة ، انها قصة « اكاكي اكاكفتش بشماتشكين » وهو موظف صغير في احدى الوزارات ، وانسان محدود الافق ، لم يكن عمله يتعدى نسخ الاوراق في الليل والنهار وفي ذات يوم شعر انه بحاجة الى معطف يقيه البرد بعد ان اهترأ معطفه ، ولم يكن هناك من سبيل لاصلاحه ، فراح يقتصد ويسرف في الاقتصاد ، ويقتر على نفسه ويبالغ في التقتير حتى اتيح له بعد لاي ان يؤمن ثمن المعطف ، فاوصى عليه ، وغدا حلم حياته التي لم تعرف حلما جميلا داعبها يوما . ولما انتهت خياطته ولبسه لليوم الاول راى الموظفون ان يقيموا حفلة على شرف هذا المعطف ، فذهب اكاكي اكاكيفتش الى الحفلة مرتديا معطفه الجديد ، والفرح والزهو يملأن نفسه . وحين انتصف الليل الح عليه النعاس ولم يكن من عادته ان يسهر البتة ، فراى ان يعود الى منزله ، وفي الطريق اعترضه بعض اللصوص فضربوه ، ونزعوا عنه معطفه الجديد وتركوه طريح الارض وهربوا . وحين صحا الى نفسه كانت دروب من الالم والعذاب تنتظره ، من جرى وراء اللصوص ، الى الاستنجاد بالشرطة ، الى البحث عن المعطف . حتى انتهى به الامر في الايام التي تلت هذا الحادث الى ان يتوسط لدى احد الوجهاء «ذوي النفوذ» لكن هذا لم يأبه به بل عنفه وطرده ، فعاد اكاكي الى فراشه مريضا محموما يهذي بمعطفه وباللصوص وبالوجيه حتى لفظ انفاسه .

الا ان غوغول لم يكن يقف عند موت اكاكي اكاكفتش بل مضى الى ابعد من ذلك ، فقد صور لنا أكاكي هذا شبحا راه الناس في شوارع العاصمة يطوف في الليل على المارين ، فينتزع عنهم معاطفهم ، ولم يستطع احد ان يمسك به او يحول بينه وبين سرقة المعاطف ، وظل الامر على هذه الحال حتى كانت ليلة ، والوجيه ذو النفوذ عائد الى بيته بعربته ، واذا بالشبح يعترض طريق العربة فيوقفها ويدخلها ليأخذ معطف الوجيه الذي لم يشأ ان يساعد اكاكي في العثور على معطفه . ومنذ ذلك اليوم كف الشبح عن الظهور ومطاردة الناس لسرقة معاطفهم .

ولكي نفهم عملية الابداع التي قام بها غوغول في خلق اثره « المعطف » لا بد ان نقارن بين ما كتبه وبين الحكاية التي رويت امامه . لقد استبدل الكاتب المعطف بالبندقية ، وحاول ان يرسم جو الوزارة وحياة مختلف الموظفين ، واعطى للقصة نهاية مفجعة انتهت الى موت البطل ، اما الحكاية ، فقد انتهت الى نهاية حسنة اذ جمع الموظفون بعض التبرعات اشترى بها الموظف بندقية جديدة . الا ان العنصر الجديد حقا في القصة هو تلك النهاية الغريبة التي ظهر فيها شبح اكاكي لينتزع من الناس معاطفهم ، وذلك العالم الخيالي الذي قفز اليه غوغول ليحقق بوساطته عدالة لم يستطع الناس آن يحققوها في حياتهم الراهنة .

ولعل اول ما يلفت الانتباه في القصة هو الجانب الواقعي فيها ، فقد عمد غوغول الى رسم صورة دقيقة لجو الوزارة والموظفين وسلوكهم وتصرفاتهم ، ثم دراسة الحياة العامة في بطرسبرج ، والطبقات الاجتماعية والوجهاء والمتنفذين ، كما استطاع ان يرسم لنا بعض النماذج الانسانية رسما دقيقا حيا .

لم يذكر غوغول اسم الوزارة التي صورها لنا ، ولعله اراد بذلك ان الوزارات كلها متشابهة وان الجو نفسه يسيطر عليها جميعا . فكبار الموظفين يتحكمون بالصغار ، وزملاء اكاكي اكاكفيتش الشباب الاغرار لا يألون يعابثونه ويركبونه بالمزاح المعهود في كل دواوين الوزارات . اما حياتهم فموزعة

● اعتمدنا في هذه الدراسة على الترجمة الموفقة التي قام بها الدكتور بديع حقي للقصة وطبعت في مطابع دار العلم للملايين ببيروت

بين العمل فى الدواوين او اللهو ، من ذهاب الى مسارح التمثيل أو الذهاب الى سهرة لمغازلة بعض الفتيات او السمر فى بيوت رفاقهم الصغيرة حيث يلعبون لعبة ساذجة بسيطة وهم يرتشفون اكواب الشاي ويلتهمون قطع البسكوت الرخيصة ، وينفثون دخان غلايينهم الطويلة ويهذرون ، وورق اللعب فى راحاتهم ، بحديث من احاديث مجتمعهم الوسيع ، هذه الاحاديث التي لا يقدر الروسي أن يتخلى عنها كما يقول غوغول . ولم تكن تخلو حياتهم من بعض الحفلات الساهرة الكبيرة كالحفلة التي اقامها معاون المدير للموظفين على شرف معطف اكاكي اكاكفيتش الجديد، والتي انتهت الى تلك النهاية المحزنة .

فاذا انتقلنا الى الشخصيات التي رسمها الكاتب فى هذه القصة وجدنا صورة اكاكي اكاكيفتش تبرز امامنا بدقة وجلاء . انه موظف بسيط فى ديوان احدى الوزارات لا عمل له الا النسخ « ولم يكن اي انسان يذكر الزمن الذي دخل فيه اكاكي الوزارة او يعرف الشخص الذي اوصى به فان المديرين ورؤوساء الاقسام والدوائر قد تبدلوا ، اما اكاكي فقد كان يرى فى المكان والوظيفة نفسهما ، معنيا بنفس العمل فى النسخ ، حتى لقد قيل تعقيبا على ذلك ، انه جاء الى الدنيا بلباسه الرسمي وصلعته الجرداء . »

ويضيف غوغول الى هذا قوله « ولم يكن يحظى بالاحترام ، فما كان ينهض له احد عند مروره . وكان الحجاب لا يولون شخصه عناية وانتباها اكثر من انتباههم لذبابة حقيرة تطير . »

وكان رؤساؤه يعاملونه بجفاء بارد قاس . وكان اي موظف يقصده ، يرمي بوريقاته التافهة امامه دون ان يكلف نفسه عناء توجيه هذا القول « ارجو ان تنسخ لي هذا الكتاب ، او هاك اضبارة هامة . . . »

كان اكاكي موظفا مثاليا ، يقول غوغول « انه لمن الصعب العثور على موظف يدرك واجباته مثل اكاكي اكاكفيتش ، لا، ان هذا الكلام قليل فى انصافه ، لقد كان منصرفا الى عمله بهمة ، لا ، ان هذا الوصف لا يفي بحقه . لقد كان منصرفا اليه بشغف ووجد . »

اما ما كان يشغل حياته ووجوده فهو النسخ . ولعل عالمه كله كان منحصرا فى حدود هذا العمل « ان هذه الوظيفة الابدية المقصورة على النسخ كانت تفسح له عالما متصل الفتون ، دائم التنوع والجدة ، وكانت اللذة التي تتسق له فى ذلك العمل ، تنعكس على معارف وجهه ، فحين كان يستشرف فى النسخ بعض الاحرف الاثيرة لديه ، فقد كان يمتلىء عطفاه ، فرحا ولا يني يبتسم ويطرف بعينيه ، ويحرك شفتيه كأنما يستعين بذلك كله على اداء عمله . وهكذا ، فقد كان يتيسر للمرء ان يقرأ فى وجه اكاكي الاحرف التي تخطها ريشته . »

وحين خطر لاحد رؤسائه ذات يوم ان يكافئه على جهوده فيوكل اليه عملا اخر بدا له هذا العمل على درجة كبرى من الصعوبة فاضطر الى ان يرفضه وقال للرئيس

ـ لا التمس ان تعطيني اي شيء اخر للنسخ فحسب .

ومنذ ذلك اليوم لم يوكل اليه شيء سوى النسخ ،وفيما عدا ذلك فان كل شيء كان يبدو لعينيه وكأنه لم يخلق له.

اضف الى ذلك انه لم يكن يعنى بهندامه ، فقد اغبرت بذلته الرسمية الخضراء وانكفأ لونها وكان يضع ربطة عنق ضيقة فكان عنقه يبرز منها ، على صغره ، بطول عجيب ، كعنق دمية من الجص .

وكان لا بد له من ان يبقى معلقا دوما على بذلته خيط او عصافة او عود من القش . ولم يعنى اكاكي طوال حياته، بان يوجه اهتمامه مرة واحدة ، الى منظر حركة الغادين والرائحين فى الطريق ، هذا المنظر الذي يحظى بنظرات الموظفين الاغرار الطلعة . يقول غوغول « وهب ان اكاكي اكاكفيتش كان يجيل بصره فى شيء ما ، فما كان يعمد الى ذلك الا ليتخيل فى هذا الشيء سطورا مدبجة من كتابته الجميلة الانيقة الواضحة . »

وكان حين يعود الى البيت ، يتناول طعاما هزيلا متسخا، حتى اذا ما امتلأت معدته فقد كان يبادر فيخرج من درج زجاجة المداد ، ثم يأخذ بنسخ الوثائق التي جلبها معه من ديوان الوزارة . الى هذا الحد كان الرجل مغرما بالنسخ وبالواجب بل ان النسخ كان ايضا هوايته فى اوقات الفراغ. يقول غوغول حين يلفي بان عمله قد نفذ ، فانه كان يعمد ، لتزجية فراغه ، الى نسخ بعض الوثائق التي تروق له ، مؤثرا على الكتب المعروفة بطلاوة الاسلوب، كتبا موجهة الى الشخصيات النابهة التي اسند اليها منذ عهد قريب ، منصب جليل ، او التي تتنسم مركزا هاما .

ولم تكن تخلو حياة هذا الموظف البسيط من بعض المنغصات، فكثيرا ما كان الموظفون يتنذرون منه ،ويتحدثون عن مؤجرة الغرفة التي يسكن فيها ، وهي امرأة عجوز ناهزت السبعين من عمرها ، ويزعمون انها كانت تضايقه وتضربه ، ثم يسألونه متى سيتزوجها ، ويقذفون رأسه بقصاصات الورق هاتفين :

ـ هذا نديف الثلج . . .

الا انه لم يكن يجيب عن ذلك كله ، وكأنه لا يعبأ به ، ولم تكن المضايقات لتلجئه الى ارتكاب خطأ واحد فى نسخ كتابه .

اما حديثه ولهجته فاليكم كيف يصورها غوغول ينبغي ان نعلم ان اكاكي اكاكفيتش كان يفصح غالبا عن بغيته ، حين يتكلم ، باستعماله ادوات الظرف والاستفهام وحتى الحروف الخالية من اي معنى . وفى الاحوال الحرجة لم يكن ينهي جمله ، ويكون ذلك فى الغالب حين يشرع فى كلام من هذا النمط « فى الحقيقة ، انه مثله تماما ، اليس كذلك؟» مجتزئا بهذه الجمل ، معتقداً انه افصح عن غرضه واستوفى كلامه حظه من البيان .

وهناك شخصية اخرى لا تقل طرافة عن شخصية

الموظف اكاكي ونعني بها الخياط بتروفيتش الذي كان يعمل في غرفة قابعة في الطابق الرابع ومتصلة بدرج حقير . وكان بتروفيتش رغم عينه العوراء ووجهه المجدور ، يصلح بمهارة مقبولة ، ثياب الموظفين ، والسراويل الرسمية . وكان من عادته اذا سكر أن يغدو جذلا ، وفي مثل هذه الحالة النفسية المنشرحة يصبح متساهلا لينا ، متيحا بعض التنزيلات ، ذائبا في الوان من الشكر واللطف . وكانت زوجته، في الحقيقة ، تقدم اذاك الزبائن باكية مؤكدة بان زوجها السكران قد طالب باجرة جد وضيعة .

والى جانب هاتين الشخصيتين نجد صورة منفردة لاحد الوجهاء اصحاب النفوذ الذين كان يعج بهم المجتمع الذي عاش فيه غوغول ويرسم الكاتب هذه الشخصية بريشته الساخرة الحية فيقول « أن هذه الشخصية البارزة كانت تعنى بان تنوه عن اهميتها بمختلف المظاهر ، مثلا ، حين تأتي هذه الشخصية الى المكتب فان الموظفين الصغار كانوا يحتشدون لمقدمها امام الدرج ، ولم يكن من المتيسر الاتصال بها الا عن طريق التسلسل . » ويضيف قوله : أن روح التسامي والتقليد قد فشت في روسيا المقدسة حتى ان كل انسان فيها يمثل دور الرئيس ويهب لنفسه اعتبارا اكثر مما يستحق . فحين يولج الى مستشار اصيل ان يشرف على ادارة بسيطة ، فانه يبادر الى تخصيص غرفة له يسميها « مكتب المدير » وينصب على الباب حجابا ، قد ارتدوا الملابس الزاهية ، وتحلوا بالياقات الحمر . وكانت هذه الشخصية البارزة ، وجيها نابها محترما يتكلف النبل ويتصنع الحركات الواشية بالترفع والتسامي .

اما اسلوب هذا الوجيه البارز المحترم في العمل فكان غاية في البساطة اذ يستند الى القسوة ، وكان يردد «القسوة ثم القسوة دوما القسوة » وهو يحدج مخاطبيه بنظرة لها دلالتها .

وكان الموظفون العشرة الذين ينتظمون تحت امرته وادارته ، يتركون اعمالهم ، اما راوه مقبلا ، ويجمدون في وضع عسكري ، وقد ملأهم الخوف ، حتى يتفضل بالدخول الى مكتبه .

وكان يسوق كلامه الموجه الى موظف ادنى منه مرتبة ، بنبرة قاسية ، ويتسق كلامه ، عادة ، في احدى هذه الجمل الثلاث

« كيف تجرؤ على ذلك ؟ أفتدري الى من توجه كلامك ؟ أفتعلم ثمن هذا التحدي ؟ »

وبهذه المناسبة نشير الى انه كان رجلا سليم الطوية ، كثير اللهفة نحو رفاقه ، ظاهر الود لهم ، ولكن لقب (صاحب السعادة) قد اخرجه عن طوره ، فمنذ ان جاز هذا اللقب فانه ذهل عن نفسه وفقد كل اتزان .

واذا صدف ان اجتمع الى اقرانه من «اصحاب السعادة» فانه يتصرف تصرف الرجل العاقل المهذب اذ لم يكن ، من عدة اوجه ، مغفلا . أما اذا غامر بان يغشى مجتمعا يضم اشخاصا ادنى منه مرتبة ، ولو بدرجة واحدة ، فانه يضحى حينئذ شخصا زميتا مقيتا ، فيعتصم بالصمت دون ان يمنعه ذلك من الشعور بانه كان عليه ، خلال هذا الوقت ، ان يكون أكثر بشاشة .

وكانت تبرق في عينيه ، احيانا ، رغبة جامحة في المشاركة بحديث شائق ، ولكنه سرعان ما كان يكبت هذه الرغبة متسائلا لعل ذلك يتحيف من وقاره ، ولعل ذلك يستنزله من عليائه فيلهج بكلام عادي .

اغلب الظن ان مقام غوغول في شبابه في احدى الوزارات اتاح له ان يتعرف الى هذه النماذج الانسانية وان يرسمها في قصة المعطف هذه .

والى جانب هذه الشخصيات لا بد ان نذكر المعطف نفسه فقد لعب الدور الاول في الرواية كلها ولقد تحدث عنه البطل ما شاء ان يتحدث ، حتى غدا كيانا قائما بذاته ، حوله يدور الاشخاص ، وفيه تستقطب حوادث القصة . فنحن نشهد مولده ونتتبع في القصة مراحل تكوينه ونرى كيف جهز وتم ، ثم نشهد نهايته بين ايدي اللصوص .

لقد عاش اكاكي حياة متشابهة الايام ، تجري على وتيرة واحدة ، حتى اقنعه الخياط بضرورة صنع معطف له جديد بعد ان اهترا معطفه القديم . وفي سبيل هذا المعطف الجديد راح يقتصد ويطيل التفكير في البحث عن سبل الادخار . يقول غوغول : وفكر اكاكي اكاكفيتش ثم فكر واهتدى الى حل فقد قرر انقاص نفقاته خلال سنة واحدة على الاقل .

ومنذ ذلك الوقت ، لم يعمد الى احتساء الشاي مساء ، ولم يدر مصباحه قط . وكان يقوم بعمله في النسخ ليلا في غرفة مؤجرته ، عند اللزوم .

وحين كان يسير في الشارع ، فقد كان يمشي بتؤدة ، كأنه يسعى على رؤوس أصابع قدميه، ليحفظ شسع نعليه من الاهتراء .

وكان لا يلجأ الى غسل ثيابه الا نادرا، خشية ان تتلف من كثرة تنظيفها وكان يتضو ثيابه سريعا حين يدخل غرفته ، ليرتدي ثوبا قديما من الكتان ، تركه له الزمن وعفا عنه .

وفي الحق ، ان هذا التقنين ، تراءى له أول الامر قاسيا، بيد أنه الفه شيئا فشيئا ، حتى صار الى اليوم الذي استغنى فيه عن طعام العشاء .

وغدا المعطف صديقا ودودا لاكاكي ، هذا الانسان الذي لم يعرف العطف طوال حياته . يقول غوغول ، ولما كان موصول الاحلام بمعطفه المقبل ، فان تفكيره فيه ، كان غذاء له كافيا ، غذاء روحيا ، اضف الى ذلك ان وجوده نفسه اضحى اكثر اهمية من قبل ، حتى لقد مثل في وهمه ان شخصا اخر يواكب خطاه ، كأنه رفيق مخلص آلى على نفسه ان يذرع معه طريق الحياة ، ولم يكن هذا الرفيق سوى معطفه الجديد الجميل ذي البطانة المتينة المنشودة .

واضحى مزاج آكاكي اكاكفيتش اكثر حيوية وصلابة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كمزاج من اتضح امامه هدف معروف ، وامحى الشك والتردد وكل الامارات القلقة الغامضة من معارف وجهه ومن افعاله .

بل لقد اصبح اكاكي مهووسا بالمعطف الذي كان يعده له الخياط ، فكان يتردد على بيتروفيتش مرة في كل شهر، على الاقل ، ليتحدث اليه عن المعطف فيستوضح منه اين سيشتري القماش ؟ واي لون اكثر ملائمة ؟ واي ثمن ينبغي ان يدفع ؟

اما اليوم الذي استلم فيه اكاكي المعطف من الخياط فكان امجد يوم في حياته ، فارتداه وسار به وملء عطفيه غبطة غامره ، وكان شعوره المستمر بالمعطف الجديد على كتفيه ، يسربله بجذل عميق وكان ينتزع من شفتيه بين الفينة والفينة ضحكات صغيرة .

وحين سرق منه المعطف وحم ، كانت كل رؤاه تدور حول المعطف فكان يرى تارة بيتروفيتش وهو يوصي لديه على معطف ، قد بثت فيه شراك للايقاع بلصوص يتحلقون سريره ، حتى انه لم يكف عن الاستنجاد بمؤجرته العجوز لتسحب لصا مختبئا تحت غطاء الفراش . وكان تارة اخرى، يتساءل لماذا علقت دارعته القديمة على الحائط ، ولديه معطف جديد ؟ وكان تارة يمثل في وهمه انه واقف امام « صاحب السعادة » يتلقى زجره وتعنيفه ويغمغم « عفوا يا صاحب السعادة . »

الا ان غوغول لم يقتصر على الناحية الواقعية في اثره هذا ، بل تعداه الى نواح اخرى وقد يكون القسم الثاني من القصة اقوى واعجب . فهذا الشبح الذي هب يطارد الناس ليلا لينتزع منهم معاطفهم ، انه شبح اكاكي اكاكفيتش نفسه الذي اراد ان يثأر لنفسه ويسترجع حقه الهضيم في الحياة . لقد كان المعطف اكثر الاشياء انسانية في حياته ، وهو الى بساطته ويسره كان الموضوع الذي جعل لحياته نكهة خاصة واخرجها عن رتابتها ، وايقظ كل ما كان نائما في نفس هذا الموظف من عواطف الحب والمودة والاعجاب والخوف والكراهية معا . ان غوغول في القسم الثاني من القصة يلج عالما جديدا ويخطو بقصته الخطوة الاخيرة نحو الجدة والطرافة والخيال المبدع العجيب . ان هذا الشبح ليذكرنا بشبح الملك في رواية هملت . لقد مات الملك مقتولا كما مات اكاكي غما وكآبة ، فظهر شبح الملك في القصر يسأل عن ابنه ليكلفه بالثأر له من اخيه الذي اغتاله . وظهر شبح اكاكي اكاكفيتش في شوارع بطرسبرج يثأر لنفسه من الناس جميعا ، من كل انسان له معطف ، دون ايثار طبقة على اخرى من الناس ، سواء اكانت المعاطف بقبعات من فرو الهر او السمور او من المخمل ام كانت من فرو القندر او الثعلب او الدب وباختصار من كل الفراء والجلود التي يمكن ان يفيد منها الانسان في ستر جلده نفسه .

وفي القصة بعد ذلك كله جانب ماساتي ، يتجلى في ظلم المجتمع للانسان ، وفي عجز الانسان عن التغلب على الظلم والشر ، فينتهي به الامر الى الاذعان والموت الما وحسرة . ان من يقرا القصة يشعر باشفاق على البطل وبرغبة في دفع الشر عنه ، ولكنه يشعر في الوقت نفسه انه هو والبطل عاجزان عن الوقوف امام تيار الشر وان هناك قوة عاتية في الوجود يبدو الانسان ضعيفا هزيلا امامها ، كما ان المأساة في القصة تنبع ايضا من شعورنا بالعبث ، عبث الحياة الانسانية وتصرفات الانسان ، فعذاب هذا الموظف البسيط وتقتيره وادخاره وسعيه الحثيث وراء غاية يسيرة كاليسر انما كان عملا لا مبرر له ، لانه ذهب ادراج الرياح . لقد كان للخياط بيتروفيتش مسعط مدور تزينه صورة جنرال مجهول محت وجهه حكة الاصبع فالصقت مكان الوجه قطعة مربعة من الورق ، هذا هو عبث وجود اكاكي اكاكفيتش فلسنا نعرف وجه اي انسان كان محفورا على العلبة وان ماهية الانسان تنبثق من فوضى الحياة هذه وتولف عالم غوغول

اما اذا ارتفعنا الى الصعيد الانساني ، فانا نجد ان هذه القصة كلها ترمز الى صيحة الانسان امام الظلم ، فمن صوت اكاكي المتألم نسمع صوت البائسين جميعا في كل زمان ومكان ، يصرخون بلسانه حيث يقول لاحد الموظفين الذي بالغ في الهزء به والتندر عليه

— اتركني ... علام تعذبني ؟

وكانت تتردد في هذه الكلمات المتألمة الحسيرة كلمات اخر . كان يقول

— اجل انا اخوك

هذه الدعوة العميقة الى ابراز فكرة التآخي بين البشر اعمق ما يميز هذه القصة الرائعة . ان الادب بهذه النزعة وحدها يسمو على اللون المحلي المحدود والمشاكل الضيقة ليخاطب كل ضمير انساني في الكون ، ويرتفع بالانسان الى افق انساني ارحب يكون فيه الانسان اخا للانسان ونصيرا له ، لا عدوا له ومصدر شقاء .

واخيرا ، فان اهتمام الكاتب بتصوير انسان بسيط ورسم حياته ومشاغله اعتبر وقتها خطوة جديدة في الادب فقد كان من داب الادباء ان يتحدثوا عن عالم الملوك والالهة ، اما مع قصة المعطف فانا نشهد مولد ادب جديد ، يعنى فيه الاديب بالانسان العادي ، وبالشعب ويعمل جاهدا لدرء الظلم عن الانسان المستضعف .

قال دوستويفسكي « لقد خرجنا جميعا من معطف غوغول . » والحق ان قصة المعطف فتحت بابا جديدا في الادب الحديث ، فاتيح للناس ان يقراوا ادبا متأثرا بهذه النزعة ، ادبا يعنى بالانسان ويحترم انسانيته ويقدسها . وتتالت الاثار في القرن التاسع عشر والعشرين تحمل هذا الطابع الاصيل وهذه الرسالة الانسانية العميقة .

حلب — جورج سالم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة حب

حكاية الحب على طولها ... لا يعتريها يا رفاقي الملال
وقصة الليلة يا اخوتي ... جميلة اسمى معاني الجمال
فلتسمعوها مرة واذكروا ... هذا الذي يوما حكاها وقال
ولتجعلوها رفقتي متعة ... يزجى بها هم الليالي الطوال

يروون فيما الناس يروونه ... من واقع العيش وصنع الخيال
حكاية عن بلبل صادح ... مهذب الطبع رقيق الخلال
قد كان يحيا فى حمى دولة ... تسبح فى السحر ورفق الظلال
وكان ذا الصداح فى غفلة ... لا يعرف الحب ونار الدلال
ولا الذي يصلى به عاشق ... من حيرة الفكر وسهد الليال
يحيا خلي البال انغامه ... تعطر الروض بسحر حلال

ومرة طاف غلام به ... مبعثر الخطو اسير الهزال
يحمل فى يده نايه ... وملء عينيه تراءى سؤال
وارسل اللحن رفيق الصدى ... رنينه العذب يهز الجبال
فمس قلبا خاليا مثلما ... تمس قلب النبت ريح الشمال
وراح لا يدرك ما احدثت ... انغامه او قدرت من مآل
مخلفا فى اثره بلبلا ... تفتحت اكمامه في اكتمال
تيقظت اعماقه فجأة ... تطلعا للحب، اشهى زلال

واقبل الصادح من فوره ... يعبر ابواب المنى والمحال
يبحث عنها، عن سنى عمره ... فاتنة القلب وحلم الخيال
حتى التقى بالحب فى زهرة ... تهتز من حسن لها في اختيال
فاشرقت اعماقه فرحة ... وبعد طول السعي حط الرحال
غناؤه اضحى لحون الهوى ... وشدوه الاشواق فى كل حال
من فجره حتى قدوم الدجى ... يشدو هنيئا بالاغاني الطوال
لها الغناء العذب يا حظها ... من زهرة اضحت مثار الخيال
وتلمح الاشواق حوليهما ... نبعا تهادى بالاماني وسال

لكنما الحساد يا ويلهم ... قد هددوا آماله بالزوال
فبعثروا الاشواك فى دربه ... واشهروا احقادهم كالنصال
والبلبل الصداح فى غفلة ... من نشوة الحب وخمر الوصال
وفجأة يصحو على طرقة ... كف الردى قد هيئت للنزال
فقام يحمي الحب فى لهفة ... يحميه من قسوة هذا المآل
حتى انثنى والنصر فى اثره ... واللحن يزهو بالمنى والمنال
والزهرة العذراء نشوانة ... ترنو اليه فى رضى وانفعال

القاهرة — عبدالمنعم عواد يوسف



كتاب « الانتصار

لابن السيد البطليوسي الاندلسي ـ حققه وشرحه وكتب مقدمته الدكتور حامد عبد المجيد ـ (لم يذكر الدكتور المحاسني عدد صفحات الكتاب واسم الناشر واسم المطبعة واين طبع)

●

نشر المخطوطات علم بحت وليس فنا ، لانه ينهض على قواء دفي الاستقراء والبحث وفي الخبرة ورسوخ المعرفة . وهو عمل يشبه الوصول الى الكنوز الدفينة من الآثار العريقة .

وكما يغيب الثرى تمثالا للبدائع حتى يكشف عنه باحث فيبهر به الانظار ، كذلك شأن واقع على مخطوط ثمين حين يضيف به إلى المعارف الانسانية الحديثة كتابا جديدا كان في قدمه حضارة فكر عظيم .

لقد اخذت هذه الصور تدور في فكري وانا اقلب كتاب (الانتصار ، ممن عدل عن الاستبصار) لعبد الله بن السيد البطليوسي ، الذي جلاه صديقي الاديب الكبير الدكتور حامد عبد المجيد ، فكان عندي مثل من حفر عن بئر ليروي بها الظما ، واني لظامىء الى ادب ابي العلاء المعري يزيد صداي النظر في شعره واخباره ، فاحس اني حين ارد موارده اجد شرابه ظامئا مثلي .

هما شاعران ملكا علي القياد ، ابو الطيب وابو العلاء . وحين وردت كتاب «الانتصار» وجدت عنده روعة الفكر العلائي وراحة النفس المحبة لابي العلاء .

عرفت الدكتور الجامعي حامد عبد المجيد من سنين ، يوم كان يفذ الايام والليالي مع صحبه الثقاة الذين شيدوا بنشر المخطوطات المجدية جانبا كبيرا من حضارة العرب وتراث الاسلام في القرن العشرين . كنت القاه حفيا بحكيم المعرة يحقق في شروح سقط الزند ويجمع اخباره من كل مصدر عاكفا على كتبه ومظان البحث عنه عكوف العابد على محرابه ، فكنت اقول :

ان للعلم رجالا وهبوه نفوسهم في غير دعوى ولا رجوة ثواب ! ثم ضربت سنوات بيني وبين لقائه ، حتى رأيت كتاب «الانتصار» الذي يعد نشره بديعة من بدائع اعماله في الادب .

انه يقص في مقدمة الكتاب قصة وجوده . لقد عثر عليه في مخطوطاته الست ولم يقف على اسمه ، اذ كانت نسخ المخطوط ، وقد تواقع بعضها على بعض ، لا تحمل في طرتها اسمه الصريح . كان مثله كمثل من اخرج من اطباق الثرى تمثالا ذهبيارائعا لانسان غابر، عرف اسم ناحته والعصر الذي وجد فيه ولكنه لم يقف على اسم التمثال نفسه ولبث فرحا بوجود الكتاب ومؤلفه ، محزونا اذ لم يجد اسمه . واسم الكتاب هو الذي يدل عليه كالانسان . ومن لا اسم له انسان ضائع مهما يكن وسيما او قويا . لكن البحث والتنقير الذي عرف هذا المؤلف الاديب به قد فتح له المغاليق فقد وجد بدار الكتب الكبرى في القاهرة مخطوط (القول المانوس في شرح مغلق القاموس) فاذا صاحبه بدر الدين بن حسن يقول فيه عند كلامه على ابي العلاء المعري وامتناعه عن اكل اللحم . « ان ابن السيد البطليوسي في كتابه المسمى الانتصار ممن عدل عن الاستبصار اجاب فيه عن اعتراضات ابن العربي عليه في شعر المعري » . ولست ادري ان كان صديقي الاديب قد هتف ساعتئذ هتاف الفيلسوف اليوناني ارخميدس بكلمته المشهورة : «اوريكا» اي (وجدتها) . وكان ذلك للاستاذ المحقق نصرا باهتدائه الى « الانتصار » .

يقوم موضوع الكتاب على دفاع ابن السيد البطليوسي عن ابي العلاء المعري في كل الآخذ التي اخذها محمد بن عبد الله بن العربي على شاعر المعرة . وقد بين هذا المحقق المكين حال البطليوسي في عصره ومبلغ ما نال من العلم فقسم حياته الى ثلاثة مراحل : في طلب العلم ثم في خدمة السلطان ثم في التاليف وحمل رسالة التعليم ، وكم كانت الذكرى التي اثارها المحقق اليمة حين صور عهد الملوك الاندلسيين الذين انقسموا طوائف وشيعا يعدو بعضهم على بعض او يستعين بالاسبان ليثبت ملكه الذي زال بعدئذ بايديهم ، فهاج احزني على حضارتنا العربية الزائلة وراء البحار . لكنه كان يرد الى حلاوات من تلك الذكرى فيما وضح من معالم المعرفة وشيوب العلم وحفاوة ملوك الطوائف بالادب والشعراء والسخاء عليهم في العطايا اذ كان اولئك الملوك يتبارون في تقريب رجال الادب والفكر واكتساب المحامد بهم والخلود .

وفي قوله الحق ، انني وجدت مقدمة الدكتور حامد تشبه ممرا موفقا مصفوفا على جانبيه اصص الريحان حتى تصل وراءه الى البستان الجميل . وقد رحت احمد للاندلسيين حفاوتهم بشاعري المشرق المتنبي والمعري . وكيف كان علماؤهم وادباؤهم يشدون الرحال الى الشرق حتى يجيئوا ابا العلاء وهو رهن محبسه في معرة النعمان فياخذون عنه اخبار الادب وينسخون شعره ونثره ثم ينقلبون الى الاندلس ومعهم آثاره . فكانت تلك الآثار تشيع بينهم وتثير فيهم حب تقليدها ، فيصوغون لها الاشباه والنظائر . وقد ذكر المحقق طائفة من هؤلاء الذين الفوا كتبا على غرار كتب ابي العلاء .

وقد اثبت المحقق الفاضل للمؤلف البطليوسي عشرين كتابا من وضعه وقد ذهب سواها ضائعا اذ كان المؤلف قد نكبه السلطان وانتهب الناس كتبه ، فكان يقول سنة سبعين واربعمئة للهجرة : « ذهب (عنى ذلك الكتاب) في نكبة للسلطان جرت على وانتهب معظم ما كان لدي . » فتوقفني هذه العبارة أسيفا على حظوظ اولئك الاعلام الذين جار عليهم الزمان وكتب لهم ان يعيشوا في ظلال غير وارفة .

وقد كان هذا المؤلف من اعلم اهل عصره بالنحو وكان الى ذلك أديبا وناقدا منافحا عن الفكرة التي يعتقد صوابها في المعاني المعربة وفي تحليل قصائد أبي العلاء في «سقط الزند» وفي «اللزوميات» وكانت طريقة نقده ممزوجة بالهوادة وصفاء الضمير .

انني مورد لقرائي ، في الاديب الاغر ، نموذجا من موضوع الكتاب عند رد البطليوسي على ابن عربي في تفهم بيت للمعري من سقط الزند :

أفوق البدر يوضع لي مهاد ام الجوزاء تحت يدي وساد

واما اعتراضك الثاني ، فانا قلنا في الشرح : انما خص البدر وقد كانت الشمس أنوه في الذكر ، واعظم في الفخر ، لما اراده من التصاعد من اول مرتبة في الفخر الى آخر مرتبة فيه . فذكر البدر الذي هو اقرب الكواكب الينا ، ثم تصاعد الى الجوزاء التي هي في الفلك الثامن ، وهي ارفع مراتب الكواكب ، فكانه قد اخذ بطرفي الفخر ، وتكلمنا عن تخصيصه الجوزاء دون سائر الكواكب الثابتة ، بكلام يطول ذكره . فعارضتنا بان كتبت في الطرة « لا انما ذكر البدر لاجل ذكره الجوزاء والليل بجمعهما، ولو ذكر الشمس مع الجوزاء لافترقاله وافترق المعنى» .

وهذا الذي قلته ـ ابقاك الله ـ معنى آخر ، ممكن ان يقال . غير ان الذي اومأنا نحن اليه ، ونبهنا عليه ، احسن معنى ، والطف مغزى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشعراء يستعملون التصاعد من الادنى الى الاعلى ، مبالغة فى المعاني، فتقول : هو كوكب ، بل هو بدر ، بل هو شمس . فيكون ابلغ من قولهم: هو شمس ، دون ان يذكر البدر والكواكب .

وبعد فتلك كلمة اردت بها تحية احيي بها صديقي القديم الدكتور حامد عبد المجيد الذي صنع كثيرا من الخير للغة العرب وادبها وتراثها ، وهو سادر فى حياة اديب ذي تواضع جميل .

القاهرة — **زكي المحاسني**

•

البحتري

تاليف نديم مرعشلي ـ سلسلة اعلام الفكر العربي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الشرق الجديد (؟) ـ(اسم المطبعة واين طبع ؟)

هذا كتاب ممتع فيه من النفع ما فيه من التسلية من مقدار ، وفيه من جمال الاسلوب ما فيه من توفيق فى اطلاق الاحكام ، وفيه من حلاوة البحث ما فيه من اناقة الطبع .

والموضوع فى الحق ليس جديدا ، فقد سبق للبحتري ان درسه مؤرخو الادب القدامى ، ودرسه النقاد المحدثون ، واشبعوه بحثا وتقليبا ، ولكن الاستاذ نديم مرعشلي يتناول البحتري تناولا جديدا جريئا ، فيكشف ما له وما عليه ، ويبين خصائص شعره الفنية مثيل ما يوضح تكلفه وابتعاد صوره الشعرية عن مطابقة واقع الحال ، ويظهر لنا نفسية البحتري المتقلبة من مدح خليفة الى ذمه ، ومن ذمه الى مدحه . ولكنه ـ وهو يظهر لنا هذا التقلب ـ لا ينسى فى حديثه ان يؤكد على خصائص شعره الفنية ، فيتتبع هذه الخصائص بدقة ، وان كان فى هذا التتبع بعض العجلة .

يبدأ الكتاب بفصل عن «عصر البحتري» يمتزج فيه الادب بالتاريخ ، فيتحدث لنا المؤلف عن هذه الظروف التي عاش بها البحتري ، وعن تاثيرها فى نفسية البحتري وفى شعره . ثم ينتقل فى هدوء المطمئن الى الكلام عن حياة البحتري ، فيتتبع هذا الرجل الشاعر منذ ان كان صبيا يافعا ، وينتقل معه حيث ينتقل ، حتى يصل معه الى قصر المتوكل ، ثم يسير معه بسرعة ـ فيها من الامتناع ما فيها ـ الى هروب البحتري الى دمشق ثم عودته الى بغداد فعودته الى مسقط راسه ، ووفاته هناك .

وهو فى هذا الحديث المتنقل يزاوج بين التاريخ للايام التي مر بها البحتري ، وبين الاسلوب الادبي الذي جعل من الكتاب قطعة انشائية بديعة التركيب وبديعة الظلال .

ثم ينتقل المؤلف بعد هذا كله ، الى الحديث عن فنون البحتري الشعرية ، ويتخذ من هذه الفنون : المديح والرثاء والفخر والغزل والوصف، سبيلا يتوغل فيها مع الشاعر الى ابعد مدى سار به فى فن الشعر ، وينثر اشعاره نثرا يكاد يقترب من الشعر الساحر العذب . وهو ـ اعني المؤلف ـ يتنقل مع افكار البحتري ويغوص فى اعماقها فيفصل بين الصادق منها والكاذب ، ويأتي الى ذلك الشعر الصادق فيوضح مبرراته وخصائصه ، ويعود بعد ذلك الى الحديث عن الشعر الكاذب فينثره ويوضح الاسباب التي جعلت البحتري يسير فى مثل هذا الدرب .

ولقد الحق المؤلف ببحثه بضعة مختارات شعرية من ديوان البحتري ، واوضح بعض كلماتها الصعبة على طالب الادب ، فكان ذلك عملا ملائما .

وبعد ، فلقد قرأت الكتاب واستمتعت بحلاوة اسلوب مؤلفه ، وانتفعت بمضمونه ، ووجدته ـ فى الحق ـ كتابا يقرأ . فتهنئة ازجيها الى المؤلف

الحلة ـ العراق — **علي الحسيني**

وحي الشاطيء

تاليف مصطفى درويش الدباغ ـ ١١٠ صفحة ـ مطبعة النصر التجارية بنابلس

تفضل الاديب الصديق مصطفى درويش الدباغ عضو محكمة بداية القدس فاهداني نسخة من مؤلفه « وحي الشاطيء » وهو وحي لو تعلمون عظيم نسجته بنانة الشباب بمغزل الفتوة على رخاوة نسائم الشاطيء فى عروس فلسطين ، يوم كان مصطفى الدباغ ينعم هناك : شابا لاهيا يتطاير مع البهجة حيث تشاء له ، ولتفر من اترابه ، قلوبهم الشابة وامزجتهم الشاعرة . حتى اذا طمت الطامة فى فلسطين ، وسلخت النكبة يافا وشاطئها من عمر الدباغ اوى الى ظلال الاردن ليظل يرقب يافاه عن كثب، ويتهجد فى هيكل من ذكريات شبابه التي لا تكاد لا تنتهي حتى يسترجع بدايتها ، وصورة الشاطيء لا تنفك تحتل المكانة الاثيرة من مخيلته ووجدانه:

« لقد كنت اجلس مع لداتي فى مقهى انيق يشرف على البحر ، اسرح الطرف فى عرضه ، وامواجه الزرقاء المتنقلة ، تتشاجر متشاحنة ثم تتكسر على الصخور فى دعة ولين .. وطورا تتدفق مزمجرة تلوك الصخور فى اشداقها ، ثم تنسرح الى الشاطيء تغسل اخمصي المدينة .. »

ويمضي بنا الدباغ ، مع فصول كتابه ، فاذا نحن وكاننا فى صالة ، كبيرة للسينما ، تعرض علينا اشرطة من صور الماضي الزاهية ، وذكرياته العذبة .. صورة تكاد تكون كلها البحر ، بامواجه ورماله وزوارقه وصياديه ، ويكاد يكون اطارها الشاطيء برماله الواجدة والاشرعة الهاجدة، حتى لكان القاريء يشعر ان الدباغ يكاد يرفض بقوة ان يعيش وحيا آخر غير « وحي الشاطيء » ! وهو يعترف مقدما ، فى بداية كتابه ، ان فصوله كتبت منذ اثني عشر عاما او يزيد ، وقد نشرت فى عدة صحف ومجلات كانت تصدر فى يافا آنذاك .

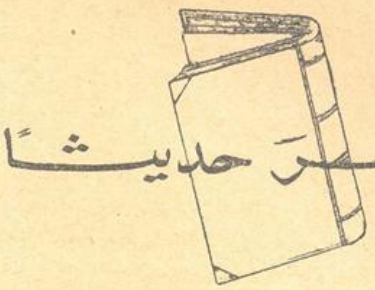
اذن ، لم يخرج الكتاب الى القراء على انه عمل ادبي كبير ، يستطيع الناقد ان يدرجه فى منهج خاص . لقد كان اخراج الكتاب بدافع من التوق والحنين الى ظلال وحي الشاطيء ، والوفاء لذكريات خاصة متمكنة من عواطف المؤلف .

ان « وحي الشاطيء » فيلم سينمائي صامت ، يقتاد القاريء من يده ليسير به فى جنازة ذكريات حلوة مولية .. ولعل روعته وقوته تتجلى فى مدى هيمنة هذه الذكريات على النفس القارئة .

ولقد آثرت ان تكون عجالتي هذه ، عن الكتاب ، كلمة قاريء لا ميزان ناقد. اذ ان موازين النقد لا تقام لكتاب هو للتعزي والتسرية والاسترواح، قبل ان يكون لوجه الفن . فهو لا يحمل هوية ادبية معينة ، ولا يتميز بطابع منهجي خاص . فلا هو بالقصة ولا هو بالمقالة ، ولكنه ذكريات محضة يخالطها بعض الدراسات الادبية والسوانح العابرة ، واللقطات النفسية المرهفة السريعة . و قل خليط من هذه وتلك ، خليط لكنه ليس بالهجين ، اوجدته عوامل التازم والقلق التي تعشش فى كل نفس فلسطينية منهوكة . حتى لقد بات نتاج معظم ادباء فلسطين اليوم ، يتسم بهذا الطابع: طابع التهالك النفسي والاسترسال والتراخي وراء الذكريات.

اما ما كتبه الاستاذ المؤلف عن الشاعر الفلسطيني الكبير ابراهيم الدباغ ، فانا لا اقره فى شيء منه . لان شاعرا فحلا كابراهيم الدباغ ، وقف على صعيد واحد مع شوقي وحافظ ومطران ، وعايش الكواكبي والمويلحي واحمد تيمور والامام محمد عبده والمرصفي والسكندري وولي الدين يكن ، خليق به كتب جامع ودراسة جذرية عميقة ، توفيه بعض حقه المهدور الذي ضاع بضياع آثاره مع النكبة . ونحن نطمع ان تطلع علينا هذه الدراسة المنشودة عن شاعرنا الكبير ، بقلم قريبه الاستاذ مصطفى درويش الدباغ ، مؤلف « وحي الشاطيء » .

القدس — **راضي صدوق**



● ليلة فى الظلام ـ قصة ـ تأليف محمد زارع عقيل ـ ٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المنهل بمكة ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

● كآبة ـ مجموعة شعرية ـ اسماعيل عامود ـ الخطوط والغلاف بريشة محمد مصطفى قنوع ـ اللوحات الداخلية بريشة الدكتور قتيبة الشهابي ـ ١٢٤ صفحة ـ مطابع ابن زيدون بدمشق .

● السلطات والفرد ـ تأليف برتراند راسل ـ ترجمة شاهر الحمود ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● الناي والريح ـ شعر ـ خليل حاوي ـ ١٦٨ ـ صفحة ـ منها ٥٨ صفحة اقوال النقاد فى شعر خليل حاوي ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ مطابع دار الريحاني ببيروت .

● الثوري العربي المعاصر ـ تطور الفكر القومي منذ بدء النهضة حتى نهاية الحرب الكبرى ـ تأليف ناجي علوش ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● حياة الروح فى ضوء العلم ـ تأليف ادموند و. شينوت ـ ترجمة وتقديم اسماعيل مظهر ـ مصمم الغلاف محمد محمد المغربي ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● التنقيب عن الماضي :او الكشف عن الحضارات القديمة ـ تأليف استيله فريدمان ـ ترجمة احمد محمد عيسى ـ تقديم سامي الكيالي ـ مصمم الغلاف محي الدين ابو ذكري ـ ٢٠٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (؟)

● نحو مدارس افضل ـ تأليف كيمبول وايلز ـ ترجمة فاطمة محجوب ـ مراجعة وتقديم احمد زكي محمد ـ مصمم الغلاف محمد محمد المغربي ـ ٥٠٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطبعة مصر (؟)

● تيسير القراءة ـ تأليف بول ويتي ـ ترجمة سامي ناشد ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١١٦ صفحة ـ الكتاب ٣٧ في سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟)

● الغاب المسحور ـ مجموعة شعرية ـ نجم الدين الصالح ـ تقديم الدكتور بديع حقي ـ ١٦٨ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● بذور للزارعين ـ لامين الريحاني ـ جمعها البرت الريحاني ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● القدرات العقلية عند الاطفال ـ تأليف ثلما جوين ثيرستون وكاترين مان بيرن ـ ترجمة عبد الفتاح المنياوي ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١٢٨ صفحة ـ الكتاب ٤٣ فى سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة

● النفس المنبثقة فى المدرسة والبيت ـ تأليف ل. توماس هوبكنز ـ ترجمة الدكتور محمد علي العريان ـ تصدير حسن جلال العروسي ـ مصمم الغلاف محمد محمد المغربي ـ ٥٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

● اكتساب الخبرات المهنية ـ تأليف توماس ا. كريستنسن ـ ترجمة الدكتور محمد لبيب النجيحي ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١١٢ صفحة ـ الكتاب ٤٤ فى سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة

● ظاهرة الهروب فى « اغاريد الصحراء » للشاعر طاهر زمخشري ـ بقلم عبد الرحمن الطيب الانصاري ـ ٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المنهل بمكة ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر

● سوار الياسمين ـ مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن من اسرة الجبل الملهم ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات اسرة الجبل الملهم ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

● خواطر شعرية ـ مجموعة شعرية ـ برنردس القزي ـ ٣٢ صفحة ـ طبعت فى سان باولو بالبرازيل

● قصائد فى الاربعين ـ مجموعة شعرية ـ يوسف الخال ـ ٩٢ صفحة ـ منشورات دار مجلة شعر ببيروت ـ مطابع دار مجلة شعر ببيروت

● Le Vizirat Abbaside de 749 à 936 (132 à 324 de l'Hégire) — Tome 2 — par Dominique Sourdel — 416 pages — gd. f. — Editions Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Kazak Exodus — by Godfrey Lias — Simplified English Editions — adapted by Elinor Chamberlain — 128 pages — Ladder Edition published by Popular Library, New York — Printed in U.S.A.

● The River Flows East — by Nan Kung Po — Simplified English Edition — adapted by Adolph Myers — 128 pages — Ladder Edition published by Popular Library, New York — Printed in U.S.A.

● Mame In America — by John Kouwenhoven — Simplified English Edition — adapted by Robert A. Lado — 112 pages — Ladder Edition published by Ballantine Books, New York — Printed in U.S.A.

● Climb A Lofty Ladder — by Walter and Marion Havighurst — Simplified English Edition — adapted by Elinor Chamberlain — 128 pages — Ladder Edition published by Pyramid Books, New York — Printed in U.S.A.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الرومانسية الجديدة لغة الرمز في ((حديقة النبي))

بقلم الدكتور لويس عوض

عندما قرأت ترجمة الاستاذ الدكتور ثروت عكاشه لكتاب جبران ((حديقة النبي)) ، احسست بان ظهور هذه الترجمة بعد ظهور ((النبي)) لجبران، انما هو تتمة لمجهود قديم قوامه احياء مدرسة في ادبنا العربي الحديث كانت في اوجها ايام ان كنا صغارا ، ثم ما لبثت ان انقرضت .. وهذه هي المدرسة الرومانسية ، او مدرسة الابتداع والخيال والانطلاق ..

والذين وضعوا اساس المدرسة الرومانسية في ادبنا العربي الحديث ، في فترة ما بين الحربين ، كانوا اولا وقبل كل شيء ادباء المهجر مثل ايليا ابو ماضي ، ثم ورثتهم جماعة ابولو في بلادنا وكان يتزعمها الشاعران ابو شادي وابراهيم ناجي ثم عصفت بهذه المدرسة العواصف من كل جانب ، عواصف الادب التقليدي الاتباعي من ناحية وعواصف الادب الواقعي الجديد من ناحية اخرى ، فاندثرت هذه المدرسة الرومانسية في اعقاب الحرب العالمية الثانية ..

ولولا ان هذه المدرسة الرومانسية الجديدة كانت مدرسة هشة ليست لها جذور عميقة في ادبنا العربي لما اندثرت دون مقاومة شديدة .

ولست اقصد بهذا ان الرومانسية غريبة عن الادب العربي ، فقد عرف الادب العربي شعر الوجدان الجامح والعاطفة المسرفة والانطلاق الشديد والثورة على عمود الشعر التقليدي في عدة فترات من تاريخه الطويل . عرف كل ذلك في ادب العذريين ولكن عمود الادب العربي الراسخ المؤصل هو عمود كلاسي يقوم على فكرة التوازن بين الشكل والمضمون وبين العقل والعاطفة وبين المنطق والخيال وبين الحرية والقيود . فالرومانسية اذن كانت معروفة في الادب العربي ، وان لم تكن بالطبع معروفة بهذا الاسم الذي اصطلح عليه نقاد الغرب ليصفوا به هذا النوع من الادب ..

والذين وضعوا اساس الرومانسية الجديدة في ادبنا العربي الحديث كانوا جماعة المهجر وجماعة ابولو . فان اردت ان تجد صفة جامعة تجمعهم فلا بأس من ان تقول انهم كانوا جماعة ((المستغربين)) . والمستغربون جماعة تأثرت بالغرب وآدابه وسعت الى تطعيم الادب العربي بما اخذته عن الغرب من تراث .

ومن هؤلاء من بلغ بهم الاستغراب مبلغا جعلهم يؤثرون ان ينشئوا بلغات الغرب المختلفة ، واخصها الانكليزية والفرنسية ، وقد كان امام هؤلاء جميعا جبران خليل جبران ..

ولكن عامة المستغربين طبعا اختاروا ان ينشئوا في لغتهم العربية ادبا عربيا . يجددون به الادب العربي ويجددون عموده مبنى ومعنى بتحرير الخيال والوجدان ، فلم يستلهموا في سبيل ذلك الرومانسية العربية الاصيلة وحدها بل تجاوزوها واستلهموا آثار الرومانسيين من ادباء الغرب . واشتط بعضهم في ذلك وغلا فادخل على اللغة العربية مناهج في التخيل والشعور والتصوير والتعبير لم تألفها اللغة العربية لانها خارجة عن تراثها . ولهذا كله فنحن نسمي هؤلاء الرومانسيين الجدد بجماعة المستغربين .

وجميل ان نبحث عن انساب لاسلوب جبران واشياعه في الشعور والتفكير والتعبير . اما انسابهم القريبة فهي بغير شك ادب بليك وشلي وهويتمان ونيتشه ونظرائهم من اقطاب الرومانسية الانكليزية والاميركية والفرنسية والالمانية .

وما من شك ان الرومانسية الغربية نفسها استوحت الشرق في كثير مما انشأت شكلا ومضمونا ، وتأثرت تأثرا عميقا بلغة الرمز هذه التي تميزت بها بعض الآداب الشرقية ، القديمة، ولا سيما في نصوصها الدينية ، ولكن الحصيلة النهائية ظلت في جوهرها حصيلة غربية .

وقد تكون انسان جبران البعيدة انساب شرقية ولكنها كذلك باوسع معنى ، فان بحثنا عنها وجدنا انها مهما كانت شرقية فهي بالقطع ليست بالعربية في قليل او كثير ، بل هي انساب عبرية وكنعانية وربما فارسية وهندية ايضا . فهذا الاسلوب الرمزي الذي اصطنعه لنفسه ، وجارى فيه غلاة الرومانسيين الغربيين يتسلسل في بعض وجوهه من بعض أسفار التوراة كسفر الجامعة وسفر ايوب ونشيد الانشاد ومن بعض اصحاحات الانجيل واخصها ((موعظة الجبل)) وهي مصادر كلها عبرية وآرامية كما يتسلسل من ((افستا)) زرادشت ومن ((فيدا)) الهنود ومن اسفار الكنعانيين والفينيقيين .

ولكني اعود فاقول ان الرومانسية الغربية رغم تأثرها بادب التوراة والانجيل وبالادب الفارسي والى حد ما بالادب العربي ظلت في صميمها غربية الجوهر غربية السمات ، الا حيث يلتقي البشر بالبشر حول كليات الوجود والحياة فلا تميز فيهم شرقا ولا غربا . ولا اعرف ان لورد بيرون أصطنع شيئا شرقيا حين تناول مأساة قابيل وهابيل وانما دار في المدار الانساني العام ، وبقيت صورة ادبه محدودة بتراثه الخاص .

ولذا كان جبران قد وقف بعض الوقفات العبرية في ظاهرها فهو قد وقفها من خلال الآداب الغربية التي تمثلها وانتج فيها .

انظر الى قوله :

((ووقف النبي بين الصخور واشجار الحور البيضاء محتجبا عن كل شيء ثم هتف قائلا :

ايه ايتها الضبابة ، يا اخت روحي ، ما انت الا انفاس ناصعة لم تستقر بعد على حال

اني اعود اليك انفاسا ناصعة بلا صوت

بل كلمة مكنونة لم ينطلق بها لسان

ايه ايتها الضبابة ، يا اخت روحي ، ذات الجناح ، لقد اجتمع شملنا الان

ولن يفرق شملنا احد حتى يوم آخر يكون للحياة .. الخ))

فقارىء هذا الكلام ما ان يقرأه حتى يذكر شعر شلي ، ولا يذكر شيئا آخر غير شعر شلي واضرابه من الرومانسيين الذين تأثر بهم جبران اعمق التأثر . ولا نعرف ان في ادبنا العربي او في آداب الشرق الاصيلة شيئا من هذا القبيل او جوا من هذا الجو الغائم الشفاف الذي تتراكم فيه الصخور على اشجار السرو (لا اشجار الحور كما اول الاستاذ الدكتور المترجم) بل ولا نظن ان في الآداب الدينية ذاتها ما يوحي بهذا النوع من الشعور او التعبير .

وصور جبران اكثرها مشتق من ذلك الجو الشمالي الذي كان يعيش فيه بالفعل والوجدان . فهو يوصينا بان نجالس مع العجائز ((في ظل البلوطة العريقة)) وان نتبع خطى الشعراء ولو اقاموا ((وراء الانهار السبعة)) ، وادبه حافل بالجزر والغابات والبحار وحطابيها وملاحيها، ولا اعرف ان البلوط والبحار السبعة والغابات والحطابين والبحار والملاحين من الملامح القوية في ادبنا العربي . وشعره يفيض بالكرم والخمر ، لا كرم النواسية وخمرها ، ولكن كرم الصوفية وخمرها ، وهي اشياء ليست وقفا على ادب دون ادب بل خطها طويل يمتد في كل ادب من اقدم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العصور، ولا اغالي ان قلت ان الخمريات الالهية اكثر اصالة في مجموعة الآداب الهندية الاوروبية منها في المجموعة السامية ان جاز لنا هذا التعبير، ولعلها دخلت ادبنا العربي من طريق الادب الفارسي .

وليس يعرف لهذا الاسلوب نظير في اللغة العربية خارج آثار الحلاج والنفري والسهروردي المقتول وعامة المتصوفة ولا سيما الحلوليين منهم. فان كنت مخطئا فارجو ان انبه الى خطئي بشيء في عمود الشعر العربي او في عمود النثر العربي الاصيل ، خارج ما ذكرت من نظائر ، يشبه كتاب جبران ، ولكننا حين نقرأ للحلاج : « لو سقطت ذرة من قلبي على الجحيم لاطفأته ولو سقطت ذرة من قلبي على الجنة لانارتها . . الخ» او ما شابه ذلك ، او حين نقرأ « المواقف والمكالمات » للنفري وهو يخاطب العباب والريح وعناصر الطبيعة انما نحس باننا قد اقتربنا جدا من هذا الاسلوب النبوي الذي يتقمص فيه صاحبه شخص الموحى اليه باسرار الوجود فيلمح اكثر مما يصرح ويرمز في الشعر المنثور ببدائع الخيال والوجدان عن القيم الروحية العليا .

بل ان الشعر المنثور ذاته تراث لا وجود له في الادب العربي خارج ما ذكرت من تراث .

ومن يمعن النظر في « حديقة النبي » يجد فيها مواضع محددة واضح فيها ان جبران يريد ان يقابل « موعظة الجبل » .

ولست ازعم ان جبران بالضرورة قد تاثر بكل هذه النصوص الدينية راسا او تاثر بها وحدها ، فليس في علمي انه كان يقرأ كل هذه الآداب الدينية في لغاتها الاصلية ، والمقطوع به انه كان يقرأ التوراة والانجيل على الاقل باللغة الانكليزية ، وهي في ترجمتها المعتمدة المعروفة بترجمة الملك جيمس تحافظ كل المحافظة على هذا الاسلوب الشعري المنثور الذي اثر عن بعض فصول التوراة والانجيل . وهناك ادلة لغوية يعرفها المتخصصون في الانكليزية وآدابها تدل على تاثره بهذا الكتاب المقدس .

ومع هذا فانا اقول بان جبران لم ياخذ هذا الاسلوب عن الادب الديني وحده وانما اخذه ايضا وقبل كل شيء عن التراث الرمزي الغربي المعروف الذي نجده في آثار الشاعر الانكليزي بليك والشاعر الاميركي هويتمان والفيلسوف الالماني نيتشه الذي اقترب جدا من هذا الاسلوب في كتابه « هكذا قال زارادشت » ، وقد اوضح الاستاذ الدكتور ثروت عكاشه هذا باقاضة في مقدمة ترجمته لكتاب « النبي » . هذه ونظائرها هي الانساب الحقيقية « لحديقة النبي » ، و « النبي » ولعامة ما كتب جبران . ويخيل الي ، ولعلي اكون مخطئا ، ان جبران انما اراد بحديقته ان يعارض نيتشه كما يعارض الشعراء الشعراء وكما يعارض المفكرون المفكرين او ان يقف منه موقفا على اقل تقدير . وفي حديقة النبي فقرات كثيرة تذكرنا بادب بليك وفلسفته ، وفقرات كثيرة تذكرنا بادب هويتمان وموقفه من الطبيعة ، اما الادلة اللغوية التي تربط اسلوبه باسلوب الشاعر شلي فهي اكثر من ان تحصى .

فهذا الاسلوب اذن اصيل في آداب الغرب وليس مستعارا الا باوسع المعاني . فان كانت له بعض الجذور في آداب ادبان التوحيد كالانجيل وبعض اسفار التوراة ، فهو قد تجدد في آداب الغرب في رومانسية بليك وشلي وهويتمان ونيتشه ، وهذه لها جذور آرية او جذور هندية اوروبية كما يقولون ، بل وفيها من الوثنية والمانوية شيء كثير . واحب ان اذكر من لا يذكر بان الحديقة الكبرى او الجنة التي وعد بها المتقون لم تكن وقفا علينا نحن الشرقيين . بل ولم تكن وقفا على امثالنا من الموحدين فالوثنية اليونانية كانت لها حديقتها الكبرى او جنتها وهي «هسبريديز» والوثنية الرومانية كانت لها حديقتها الكبرى او جنتها وهي « اليزيوم » او «الشانزليزيه» او بكل بساطة جنة اوليس، والوثنية القوطية والنوردية كانت لها جنة آفالون التي نقرأ عنها وعن «الفالهالا» في قصص الملك آرثر والروحانيات ليست حكرا لنا نحن الشرقيين وان كان فضلنا فيها معروف لا ارى احدا يماري فيه

والاستاذ الدكتور ثروت عكاشه حين نقل «حديقة النبي» الى اللغة العربية انما نقلها في امانة لا يقدر عليها الا كل متمكن من لغتها الاصلية وهي الانجليزية ولقد يبدو لمن لم يتعود هذا الاسلوب الرومانسي انه خرج بالنص عن دلالاته الاصلية . والدليل على فهمه التام لمدلول النص انه اباح لنفسه ان يتصرف فيخرج عن الحرف السطحي ليحافظ على دقائق المعنى . ولو انه كان لا يملك ناصية اللغة لنقل عبارته حرفا بحرف مخافة التعثر .

فهو مثلا يستعمل فعل الامر بدلا من استعمال المصدر كقوله : «هيموا وراء الجمال» بدلا من «ان تهيموا وراء الجمال» وقوله : «كونوا حديقة غير ذات اسوار بدلا من «ان تكونوا حديقة غير ذات اسوار » وقوله : « عيشوا نهبا للسارق » بدلا من « ان تعيشوا نهبا للسارق » ، وانا لا ارى الاستاذ المترجم قد تعدم حقوق المترجم فيما ابتكر من صيغة الامر او ان هذا الابتكار اضاع سرا من اسرار النص دفينا .

فالنص بكل بساطة يقول ان جوهر الوجود او الكينونة عند المصطفى، اي جوهر الحياة الحقيقية هو الهيمان وراء الجمال لان في الجمال خلاصا ، وهو العيش كحديقة بلا اسوار يقطف الكل من ثمارها بلا حدود ، وهو الرضا بان نكون نهبا للسارقين لان كنوز الخير لا تنفد ، بهذا وحده نعيش في حديقة الرضوان .

واذا كان الدكتور ثروت عكاشة يجعل نبي جبران يحضنا على الغفلة والرضا بالخديعة فهذا بالذات ما فعله مصطفى جبران دون حرج ، فهو حقا يحضنا على شيء ظاهره هو الغفلة والرضا بالخديعة ، وباطنه هو التسامح والغفران . والمسيح حين قال لتلاميذه في « موعظة الجبل » : « من طلب اليك رداءك فاعطه قميصك » و « من لطمك على خدك الايمن فحول له الايسر ايضا » و « من سخرك ميلا فامش معه ميلين » والمسيح حين قال :« باركوا لاعنيكم » و « لا تقاوموا الشر بالشر » انما كان يدعو الناس الى شيء ظاهره هو الغفلة والرضا بالخديعة وباطنه هو التسامح والغفران . فاذا كان هذا كله هو سر الكينونة عند نبي جبران ، اي انك (لا تكون) ولا يكون لك كيان الا اذا اخذت بهذه المبادىء فمن اوفق التوفيق ان يعمد النبي في ترجمة ثروت عكاشة الى مخاطبة تلاميذه بلفة الحض والحث قائلا كونوا كذا وكذا . وهو خير مائة مرة من قوله « ان تكونوا كذا وكذا تكن لكم الكينونة » .

بل اكاد اقول ان موعظة نبي جبران لا تترجم ترجمة اصيلة الا بطريقة ثروت عكاشة ، لانها نسج على « موعظة الجبل » .وهي دليل على ان الدكتور ثروت عكاشة لا يتقن الانكليزية فحسب بل ويحسها بوجدانه وهذا ما يجعلني اعتقد ان جبران انما اراد بكتابه هذا ان يعارض اخلاقيات نيتشه المناهضة للاخلاقيات المسيحية وان يجعل « حديقة النبي » بمثابة رد على « هكذا قال زرادشت » .

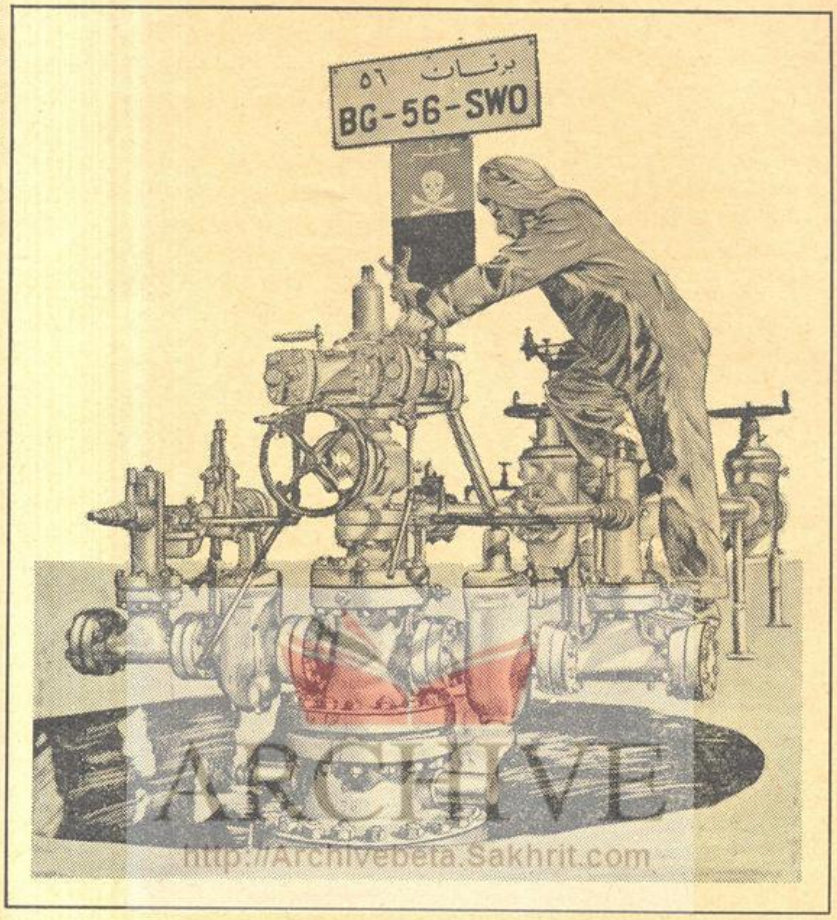
وغاية نبي جبران ان يوفق بين اخلاقيات الفن ، او اخلاقيات ديونيزوس ملهم الفن في اعمال نيتشه ، وبين الاخلاقيات المسيحية ، فيدحض كلام نيتشه في اهم ركن من اركانه .

ولكن الاستاذ الدكتور المترجم كان ينبغي ان يبرز فكرة اصيلة في « حديقة جبران » وهي انها « حديقة روحية » من تلك الحدائق التي كان يتجول فيها الاصفياء ويريدون لنا ان نتجول فيها .

وانما آخذ على الدكتور ثروت عكاشة عرضه التاريخي لفكرة الحديقة دون ان يتمهل طويلا امام فكرة الجنة في خلد الصوفية سواء اكانت في السماء ام في الطبيعة ام في عقل الانسان ، وانه لم يقف امامها الوقفة الكافية . وليس هناك في مقدمة الدكتور المترجم ما يمكن ان ننكره ولكن هناك ثمة اشياء نفتقدها فلا نجدها ، واكثرها محوره هذه الفكرة عن الحديقة بانها اورشليم الجديدة اذا جاز لنا ان نستخدم اصطلاح القديس « اوغسطين » او هي الجنة وارض الميعاد التي تختلف مفاتيحها باختلاف العقائد والفلسفات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأس بئر منتجة في الكويت



مُشَغِّل كويتي تخرج من مركز التدريب المهني التابع لشركة نفط الكويت يقوم بأعمال الصيانة على رأس بئر منتجة للنفط في حقل برقان، أعظم مخزن للنفط في العالم. وفي حقل برقان أكثر من ٢٦٠ بئرًا منتجة للنفط، ويبلغ معدّل انتاج البئر الواحدة أكثر من ٥٠٠ برميل في اليوم.

شركة نفط الكويت المحدودة

فلنقل اذن ان الدكتور ثروت عكاشة ترجم فاجاد الترجمة في عامة مواضع « حديقة النبي » اجادة قلما نصادفها في مترجم آخر . وان كنا لا نوافقه في مواضع قليلة هنا وهنالك لا تمس الجوهر في شيء ، مواضع قد ضللته فيها معاجمنا الانكليزية العربية الرديئة التي لا تعرف كيف تحقق اسماء الاشجار مثلا ، ومواضع يلتبس فيها المعنى لشدة غموضه .

واول مظهر من مظاهر هذه الاجادة انه حافظ على روح الكاتب وطابعه ، ايا كان رأينا في هذه الروح وهذا الطابع ، بل ونقل اسلوبه الغريب هذا الى اللغة العربية رغم غرابته عليها ، فاطلع القارىء العربي على نمط في الشعور والتفكير والتعبير لم نالف ان نراه في غير التراث الرومانسي والتراث الرمزي كما نعرفه في بليك وشلي وهويمان ونيتشه. وليس هذا مصادفة لان ثروت عكاشة فيما يبدو مفتتن بجبران افتتانا قويا فتجاوب معه بحسه ووجدانه وخياله .

واني اذ احييه فلانه عنى عناية لا تتجاوزها عناية بهذا الكاتب الذي يعد فيما نعرف من اقرب كتابنا الى التراث العالمي .

وتحية اخرى للدكتور المترجم ، لما قام به من احياء للادب الرومانسي، عن طريق عنايته باعمال جبران خليل جبران . (الاهرام)

القاهرة

لويس عوض

أنباء العالم في شهر

يناير ١٩٦١

١٩ ـ عينت الملكة اليزابيث الدكتور ا٠ م٠ راماسي رئيس اساقفة يورك رئيسا لاساقفة كانتربري خلفا للدكتور جيوفري فيشر الذي سيستقيل في مايو المقبل .

ـ رفضت امريكا اقتراح كمبوديا الداعي لعقد مؤتمر بين ١٤ دولة شرقية وغربية لوقف الحرب في لاوس .

٢٠ ـ سافرت الملكة اليزابيث وقرينها دوق ادنبره في رحلة الى الهند وباكستان ونيبال وايران .

ـ تم تنصيب كنيدي رئيسا للولايات المتحدة وهو اارئيس الـ ٣٥ .

ـ اعلنت الامم المتحدة ان انصار لومومبا في ستانلي فيل اعتقلوا ١٢ بلجيكيا وذلك ثارا لنقل زعيمهم الى كاتانغا وتسليمه الى اعدائه واتهموا الامم المتحدة بان لها ضلعا في ذلك .

ـ سعت بريطانيا لكسب تاييد الروس لمشروع غربي في مرحلتين لاعادة السلم الى لاوس .

٢١ ـ خففت القيود المفروضة على حركة نقل البضائع بين برلين الغربية والمانياالشرقية

ـ ادعت حكومة لاوس ان ثلاث كتائب من القوات الفيتنامية الشمالية عبرت الحدود في جنوب لاوس ٠

ـ بدأ مجلس التضامن الاسيوي الافريقي دورة غير عادية في القاهرة للاعراب عن التأييد لشعوب الجزائر والكونغو ولاوس وشجب التدخل في هذه البلاد ٠

ـ اذاعت فرنسا تفاصيل الاجراءات الجديدة التي قررها ديغول لاعطاء الجزائريين المزيد من السلطة الادارية في ما سمي نوعا من الحكم الذاتي الداخلي. وقد تقرر انشاء ثلاثة مجالس استشارية في الجزائر .

٢٢ ـ القى عبد الناصر في مجلس الامة بيانا عن نتيجة مؤتمر الدار البيضاء وقال ان المؤتمر وضع اسرائيل وراء اسوار العزل في افريقيا مثلما تم في مؤتمر باندونغ عزل اسرائيل في آسيا . واعلن ان الوقت قد حان ليطلب من مجلس الامة ان يتولى وضع الدستور الدائم للعربية المتحدة .

ـ وافقت امريكا على الاقتراح الذي عرضته بريطانيا على روسيا لبعث لجنة الرقابة الدولية في لاوس .

ـ اعلن همرشولد في تقرير الى مجلس الامن فشله في الوصول الى اتفاق مع حكومة جنوب افريقيا حول صيانة حقوق الانسان .

ـ رقي الكولونيل موبوتو الى رتبة جنرال وعين قائدا عاما للقوات الكونغولية .

ـ قدم مندوب يوغوسلافيا الى مجلس الامن رسالة استنكر فيها تسليم لومومبا وزميليه الى تشومبي وتعريضهم للتعذيب . وقال ان الهدف من تسليمه هو الحيلولة دون ايجاد مخرج للازمة القائمة في الكونغو وانه كان على الامم المتحدة ان تتولى حماية لومومبا .

٢٤ ـ اعلنت تونس ان اربعة مدنيين قتلوا اثر قصف المدفعية الفرنسية في الجزائر قرية تونسية قرب الحدود ٠

ـ طلب همرشولد في رسالة الى كاسافوبو اعادة لومومبا من كاتانغا ٠

٢٥ ـ اعلن فرحات عباس في جاكرتا خلال زيارته لاندونيسيا ان على فرنسا اخذ المبادرة لبدء المفاوضات الجزائرية . اننا مستعدون لحرب طويلة لاننا نعتقد بان الحكومة الفرنسية ليست مستعدة لدرس حل سلمي للمشكلة .

ـ دعا المقيم البريطاني في دار السلام حزب زنجبار الوطني لتقديم مقترحات لتشكيل اول حكومة مسؤولة في زنجبار .

ـ اعلن السكرتير العام لحكومة عدن موافقة بريطانيا على احداث نظام وزاري في عدن .

٢٦ ـ اعلن كنيدي ان قرار اطلاق سراح ملاحي الطائرة رب ٤٧ اللذين كانا محتجزين في الاتحاد السوفياتي منذ يوليو الماضي من شانه ان يزيل عقبة خطيرة في طريق تحسين العلاقات بين البلدين .

ـ اذاعت القوات المسلحة التي قامت بانقلاب يميني امس في السلفادور بيانا قالت فيه انها سيطرت على السلفادو للعودة به الى الاوضاع الديموقراطية الصحيحة . وانه انشىء مجلس ادارة لتولي الحكم في البلاد .

ـ ابلغ همرشولد مجلس الامن انه بعث بثلاث رسائل الى الجمهورية العربية والمغرب واندونيسيا يبلغها ان عمل المنظمة في الكونغو معرض للتوقف اذا ما نفذت هذه الدول قرارها بسحب قواتها من الكونغو واذا توقف عمل الامم المتحدة نشبت حرب اهلية رهيبة .

٢٧ ـ وجه اسطول السفن والطائرات الاميركية التي تطارد الباخرة البرتغالية سانتا ماريا الهاربة منذ ٢٢ الشهر بعد اغتصابها قرب جزيرة ترينيداد بقيادة الكابتن هنريك غالفاو الذي اعلن الثورة ضد الحكم القائم في البرتغال طلبا الى غالفاو بانزال ركاب الباخرة في مرفأ محايد .

ـ طلبت سبع دول محايدة انعقاد مجلس الامن لبحث التطورات في الكونغو .

٢٨ ـ افتتح وزير خارجية تونس في بيروت مؤتمر الدبلوماسيين التونسيين في الدول العربية ٠

ـ اتهمت تونس المغرب بعدم تحضير حججه والتشاور مع الدول الصديقة قبل الاعتراض على قبول موريتانيا المستقلة في الامم المتحدة٠ وجاءهذا الاتهام في كتاب ابيض نشرته الخارجية التونسية حول الخلافات بين البلدين .

ـ وصل مكميلان الى باريس لاجراء محادثات سرية مع ديغول تتناول المشكلات العالمية .

٣٠ ـ افتتح اجتماع وزراء الخارجية العرب في بغداد .

ـ اعلن كنيدي في اول رسالة له للكونجرس أن على الولايات المتحدة متابعة تسلحها واستعدادها للطوارىء على ان تترقب كل فرصة من فرص احلال السلم ونزع السلاح وتنظر الى كل عرض صادق يقدمه الاتحاد السوفياتي .

ـ اعلنت القوات الدولية ان مدينة مانونو في وسط كاتانغا قد ضربت بالقنابل من طائرة مجهولة .

٣١ ـ استقال بن غوريون رئيس الوزارة الاسرائيلية .

ـ تم تنصيب جانيو كوادروس رئيسا لجمهورية البرازيل خلفا للرئيس جوسلينو كوبتيشيك.

ـ بدأت قوات الجمهورية العربية بمغادرة الكونغو وهي تعد ٤٩٨ جنديا .

ـ قدم بول هنري سبالك الامين العام للحلف الاطلسي استقالته ، ليتزعم الحزب الاشتراكي البلجيكي في الانتخابات المقبلة ٠

فبراير ١٩٦١

١ ـ انهى مؤتمر وزراء الخارجية العرب مناقشاته في قضية الجزائر واذاع مقرراته وهي تقضي بتقديم الاسلحة والمتطوعين والغنيين مع تأييد الدعوة الجزائرية للمفاوضة ٠ وتلقى المؤتمر برقية من امام اليمن يشير فيها الى وجوب اتفاق المؤتمرين على وقف حملات الشتائم في الصحف والاذاعات ودفن كل اثر للماضي وتعبيد الطريق فعلا لمؤتمر اقطاب .

ـ اتهم موبوتو تشيكوسلوفاكيا والجمهورية العربية بمد انصار لومومبا بالاسلحة وقال ان حكومة الكونغو قدمت احتجاجا الى مجلس الامن على التدخل الاجنبي .

٢ ـ رست الباخرة البرتغالية سانتا ماريا في ميناء رسيفه بالبرازيل لانزال الركاب وعددهم

٦٠٠ من مختلف الجنسيات بعد احتجازهم مدة ١٢ يوما ، وكانت تواكب الباخرة ثلاث مدمرات امريكية ومدمرة برازيلية وقبل قائد الباخرة انزال الركاب بعد محادثات اجراها مع الاميرال الامريكي الن سمث .

ـ طلب همرشولد من مجلس الامن سلطة اعادة تنظيم جيش الكونغو ومنعه من التدخل في التناحر السياسي بالبلاد . وقد قدمت سيلان مشروعا من ست نقاط لحل ازمة الكونغو منها اطلاق سراح لومومبا وحل الجيش ودعوة البرلمان وسحب القوات البلجيكية .

ـ سلمت المانيا الغربية الولايات المتحدة مشروعها لمساعدة ميزان المدفوعات الامريكي ويبلغ مجموع العرض مليار دولار .

٣ ـ وافق الكابتن البرتغالي الثائر هنريك غالفاو على تسليم الباخرة سانتاماريا للسلطات البرازيلية التي ستعيدها الى البرتغال .

ـ اتهم الجنرال موبوتو الامم المتحدة بمحاولة تجريد جيش الكونغو من السلاح وقال ان هذا معناه الحرب ولن نسمح بذلك مطلقا .

ـ كشفت الولايات المتحدة النقاب عن مشاورات تجريها مع دول اخرى بشأن مصير لومومبا .

ـ اقترح وفد الجمهورية العربية في مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بغداد عقد مؤتمر اقطاب للدول الاسيوية الافريقية على نمط مؤتمر باندونغ .

٤ ـ انهى مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بغداد اعماله واذاع مقرراته . اتفق المؤتمرون على خطط موحدة لمواجهة مؤامرات اسرائيل ومعالجة سائر القضايا وعلى وقف حملات الصحف والاذاعة واستئناف العلاقات العربية المقطوعة . واعلن الدكتور محمود فوزي وزير خارجية الجمهورية العربية ان العلاقات قد تحسنت بين جميع الدول المشتركة في المؤتمر .

٥ ـ امر الملك حسين بوقف الرد على الحملات الاذاعية والصحف المناوئة للاردن .

٦ ـ صدر قرار بشأن انتقال الاموال والقيم بين سورية والخارج وتنظيم عمليات مكتب القطع .

ـ قال راسك وزير الخارجية الاميركية ان خبراء نزع السلاح الامريكيين يدرسون احتمال اشراك الصين الشعبية في مشاريع نزع السلاح وحذر الاميركيين من الاستسلام للتفاؤل .

ـ تجددت الاضطرابات في لواندا عاصمة مستعمرة انغولا البرتغالية في افريقيا وربطت حكومة البرتغال هذه الاضطرابات بعملية استيلاء زعماء المعارضة البرتغالية على الباخرة سانتاماريا

٧ ـ وضع الجنرال موبوتو الجيش الكونغولي في حالة تأهب وامره بمنع القوات الدولية من استخدام بعض القواعد في ليوبولدفيل .

ـ اعلنت الحكومة البريطانية في المحكمة خلال محاكمة خمسة جواسيس ان منزلا في احدى ضواحي لندن كان يضم محطة اذاعة قوية تنقل اسرار البحرية البريطانية لموسكو .

٨ ـ قال كنيدي ان امريكا تعد اقتراحا جديدا للعمل في سبيل وضع حد للقتال في لاوس واشار الى وجوب اتخاذ خطوات لتخفيف حدة ازمتي الكونغو ولاوس حتى تصبح العلاقات السوفياتية الامريكية مثمرة كما يجب ان تكون .

ـ قابل محمد مصمودي وزير الانباء التونسي ديغول وتباحث معه في موضوع المقابلة المنتظرة بين بو رقيبة وديغول .

٩ ـ اعلن موسى ناصر وزير خارجية الاردن ان على العرب ان يعدوا انفسهم لمفاجآت كبيرة لان اسرائيل ستتمكن من الان حتى سنتين من الحصول على اسلحة ذرية .

ـ تم الجلاء عن القاعدة العسكرية الفرنسية في الدار البيضاء وفقا للاتفاقات الفرنسية المغربية التي عقدت سابقا .

ـ برز خلاف سياسي بين امريكا وبريطانيا فقد ردت وشنطن بعنف على تصريح لوزير الخارجية البريطانية اللورد هيوم يقول فيه ان الصين الشعبية يجب ان تنال مقعدا في الامم المتحدة .

ـ اطلقت طائرة فرنسية مقاتلة النار مرتين على طائرة تحمل ليونيد بريجنيف رئيس جمهوريات الاتحاد السوفياتي فوق البحر الابيض فيما كانت الطائرة في طريقها الى الرباط وقد قدمت روسيا مذكرة احتجاج شديدة لفرنسا .

ـ وصل ادينار الى باريس وبدأ محادثاته مع ديغول لازالة الخلاف بينهما بشأن توثيق التعاون الاوروبي .

ـ شكل كاسافوبو حكومة جديدة في الكونغو برئاسة جوزف ايليو مكان حكومة المفوضين التي اعلنت اثر انقلاب الجنرال موبوتو .

١٠ ـ اعلنت حكومة كاتانغا ان لومومبا قد هرب ومعه اثنان من انصاره الليلة الماضية من المزرعة التي كانوا سجناء فيها غربي اليزابيت فيل

ـ اعلنت الخارجية الفرنسية ان السفير الفرنسي في موسكو قام بتقديم الاعتذار الى الحكومة السوفياتية كما بوشر اجراء التحقيق في حادث طائرة بريجنيف .

ـ وصل بو رقيبه الى زوريخ للراحة والمعالجة

١١ ـ وصل فيغو كامبمان رئيس حكومة الدنمرك الى وشنطن لاجراء محادثات مع كنيدي حول وضع امريكا الاقتصادي وتأثيره على اقتصاد الدنمرك .

ـ احتلت قوات كاتانغا بلدة موكولاكولو التي كانت في يد قبائل بالومبا . وقد نفت حكومة كاتانغا ان تكون قد دبرت فرار لومومبا لكي تغطي قتله . وقد طلب الاتحاد السوفياتي انعقاد مجلس الامن في جلسة سرية لمعرفة مصير لومومبا والبحث في امره .

ـ انتهت زيارة ليونيد بريجنيف رئيس الجمهوريات السوفياتية للرباط وغادرها الى كوناكري في غينيا . وقد صادفت زيارته عملية تسليم ١٤ طائرة ميغ الى المغرب من روسيا .

١٢ ـ اعلن الجنرال اياسو منفاشا رئيس اركان القوات الدولية في الكونغو انه سيسافر الى اليزابيت فيل للتحقيق في مصير لومومبا بطلب من همرشولد . وقد احدث اختفاء لومومبا قلقا في الاوساط العالمية التي تخشى ان يكون قتل .

١٣ ـ اعلنت حكومة كاتانغا ان باتريس لومومبا ومساعداه جوزف اوكيتو وزير الشباب وموريس امبولو نائب رئيس مجلس الشيوخ قد قتلوا . واجتمع مجلس الامن الدولي للنظر في الوضع الذي خلفه مصرع لومومبا .

١٤ ـ اعلنت الحكومة السوفياتية مقاطعتها لهمرشولد باعتباره مسؤولا عن مصرع لومومبا وطالبت باقالته من منصبه وبسحب القوات الدولية والاجنبية من الكونغو في مدة شهر ليتم لشعب الكونغو حرية تقرير مصيره . وبادانة بلجيكا وباعتقال تشومبي رئيس كاتانغا والجنرال موبوتو وتقديمهما للمحاكمة .

ـ اعترفت الجمهورية المتحدة بحكومة ستانلي فيل . اعلن انطوان جيزينغا رئيس حكومة ستانلي فيل انه لن يفعل في الوقت الحاضر ما من شأنه ان يعرقل مساعي مجلس الامن لحل ازمة الكونغو . وصرح رئيس الوفد الامريكي في الامم المتحدة بان احداث الكونغو تهدد الامم المتحدة نفسها واكد تأييد امريكا لهمرشولد .

١٥ ـ قامت مظاهرات في مختلف انحاء العالم استنكارا لقتل لومومبا .

ـ ابلغت الصين الشعبية كمبوديا انها ليست ضد بعث لجنة المراقبة الدولية في لاوس ولكن شرط ان يسبق ذلك عقد مؤتمر دولي للبلدان المعنية .

١٦ ـ اعرب كنيدي عن قلق شديد من خطر التدخل من جانب واحد في الكونغو واعلن انه من واجب امريكا والدول الاعضاء في الامم المتحدة ان يقاوموا هذا التدخل . ووجه كنيدي نداء غير مباشر الى خروشوف ناشده فيه العمل ضمن اطار الامم المتحدة .

ـ استأنف مجلس الامن مناقشة قضية الكونغو وقد اعلن ٧ اعضاء من اصل ١١ عضوا تأييدهم لهمرشولد وثقتهم به وبنزاهته .

ـ وافق البرلمان القبرصي على الانضمام الى الكومنولث البريطاني .

ـ بعث دايال ممثل همرشولد الخاص في الكونغو بمذكرة الى تشومبي يطلب فيها ان يسلم جثث لومومبا ومبولو واوكيتو الى ذويهم . وقد رفض تشومبي هذا الطلب .

مطبعة الغريب
بيروت ، شارع هوفلان ، ت ٢٤٦١٨٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مستقبل الثقافة الحديثة

مما يزعج الظامىء الى الثقافة العامة الحديثة في هذا الجيل ، ان جبهة هذه الثقافة تتسع اتساعا هائلا سريعا لا يستطيع العقل ان يسايره ، ولا العمر فاذا لم يتدرج اتساع جبهة الثقافة في سرعة محدودة ، ليس من الخير ان يفعل ، واذا لم تهدأ سرعة هذا الاتساع ، وليس من الخير ان تفعل ، فان المشكلة الناتجة من اتساع جبهة الثقافة الحديثة واقعة لا محالة !

لقد اخذنا نحس منذ زمن ان الثقافة العامة التي اذنت بشخصية تاريخية مثل شخصية الجاحظ مثلا لن تاذن بمثل هذا اليوم ، فجبهة الثقافة الحديثة كما قلنا قد اتسعت ، وفروع المعرفة قد ازدادت ، وحقائقها تنتشر كل يوم وتتعدد ، حتى لا سبيل الى ان تلم من كل علم بطرف ، او ان تتخصص اي نوع من التخصص له صلة كافية بفروع المعرفة الاخرى.

وقد نشأت المشكلة من سرعة التطور العلمي الحديث، اذ بعد الاخذ بالطريقة العلمية الحديثة منذ اوائل القرن التاسع عشر وقع من التقدم خلال المائة والخمسين سنة الاخيرة ما يزيد اضعافا مضاعفة على التقدم الذي وقع منذ فجر التاريخ ـ خمسة الاف او عشرة الاف سنة ! وهذه الطريقة العلمية تسيطر على اساليب العلماء والناس سيطرة لا يبدو من مستقبلها الا الاطراد والازدهار ، ومن نتائجها الا الزيادة والسرعة ـ ومن هنا بذور « المشكلة » !

وفي الوقت نفسه تدرك الثقافة ، او يدرك الانسان الذي يوجه الثقافة ، ان خير الانسان وما حوله ، وخير البشرية ، جزء لا يتجزأ مما يتحتم ان تهدف له الثقافة الحديثة ، ايا كان مصدرها . لهذا كان من العسير ، بل المستحيل، ان ينصرف العلماء والمثقفون، كل الى زاويته، يعب لنفسه من نتائج التطور العلمي والفني الحديثين ، دون احتفال بما يجري حوله ، او انتباه الى صالح البشر . اي اننا لا نحتمل تجزئة المعرفة الى فروع من التخصص لا يدري المتخصص في فرع بما يدور في الفروع الاخرى. ولو احتملنا ذلك ـ ولن نستطيع ـ لادى الى شيء كبير من الانحلال الثقافي .

فماذا اذن ؟

مشكلة ثقافية طريفة نضع اليها ولا نعنى بحلها منذ الان .

فان يحل نمو الثقافة الحديثة الا ارتفاع في مستوى الذكاء البشري ، الى حد يساير هذا النمو الهائل الذي فتحت ابوابه الطريقة العلمية، والا طول العمر الى مدى كبير يستطيع معه الظامىء الى الثقافة العامة الحديثة ان يساير اتساع الجبهة الثقافية .

والواقع ان مستوى الذكاء البشري يرتفع، ومعدل العمر الانساني يزداد . فبدل ان يجمع المثقف في ذهنه ايام حضارة اليونان او العرب مثلا مجموعة محدودة من حقائق المعرفة، مضافة الى مجموعة غير محدودة من اخلاط الخرافة ، فيعيش بهما ثلاثين سنة الى اربعين لا تزيد ، اصبح العالم الحديث اليوم يستوعب طائفة اكبر من حقائق العلم ، اختصاصا كان او ثقافة عامة ، او كليهما معا ، ويعيش مدى اطول قد لا يقل معدله في البلاد الراقية عن سبعين سنة .

ولكن هذا وذاك لا يفيان بمعالجة التطور الثقافي الحديث بسرعته. فهل يقف هذا التطور عند حد استيعاب الانسان بما لديه من قدر محدود من الذكاء وطول العمر ؟ لا بد من ذلك ! ولكن الى اي حد تجري سرعتا نمو الذكاء وزيادة العمر ؟

سؤال لا نثق من الجواب عنه الان ، فان التطورة العلمي يلد كل يوم عجيبة .

على ان هذا كله يجب ان لا يؤثر على القاعدة الذهبية في التزود من الثقافة، وهي التخصص في جانب من المعرفة ، ينسجم مع الميل الفطري للانسان ، والامتداد الى ما حوله من حقول المعرفة بالقدر اللازم لاحداث التوازن الثقافي والادراك الضروري للمشاكل الوطنية والانسانية.

عمان — **محمد اديب العامري**

نجيب العقيقي في ادبه وسيرته

بقلم وداد سكاكيني

كانت الاعوام التي عشتها على ضفاف النيل حافلة بالصور والذكريات سعيدة بما رافق كفاحها من تمرس بشئون الادب والحياة .

ولقد داعبت خواطري في تلك الاعوام كلمة الادب الحي فحاورت نفسي في معناها أكانت تنصب على الروائع الخالدة من آثار الشعراء والكتاب والفنيين الموهوبين ، فاذا مضى بهم الزمن بقوا عائشين فيها فكانت لهم العمر الثاني الذي عناه المتنبي وشوقي ، ام ان كلمة الادب الحي تنسكب على اصحابها الاحياء؟ فيغيم على خاطري ان يمضي هؤلاء واحدا بعد واحد متساقطين كاوراق الخريف .

كنت اذا جمعتني سانحة باديب من الذين تقدمت بهم السنون كخليل مطران ونقولا حداد احس اني اراجع صفحات حية من تاريخنا القريب في امثال هؤلاء الذين اغتربوا فتيانا مكافحين ، ومهدوا منذ عهد بعيد للتلاقي العربي على ضفاف النيل وقد حملوا تراث العربية في الشعر والنثر مضيفين اليه صحفا باقية على الزمان ، وكانوا هم انفسهم كتبا مسموعة الى جانب ما كتبوا من مؤلفات وسطور لا تبلى ، وربما عطف بعضهم على الذكرى في الاماسي والحقول فحنوا على ربوع الغوطة والفيحاء او تمثلوا مراتع الطفولة والصبا في الجبل الملهم بغرر من القصيد حتى غالبوا الشوق واللهفة بما كانوا فيه من نعمة وحفاوة ومكانة مرموقة.

اما الشباب من الوافدين فكان لهم اسوة بمن سبقوهم من ديار الشام ولبنان الى ارض النيل ، وطالما كانت هذه الارض الخيرة الوفية ملتقى احرار العروبة وادبائها ، في حماها يلقون الطمأنينة والعيش الرخي ، وفي داراتها ومحافلها يتنادون لمتابعة الكفاح والتحصيل بعد ان ضاق بهم الحكم الغاشم في بلادهم وقد اندمج اكثرهم في الحياة المصرية على اختلاف مرافقها وآفاقها ، وشاركوا بكفاياتهم ومواهبهم ، فوطدت لهم ضفاف النيل جانبيها ولم يجدوا فيهما المشقة والغربة اللتين وجدوهما في وطن ضاق على نبوغهم او طموحهم .

فمن نخبة هؤلاء الذين انطلقوا من لبنان فتية ثائرين ايام الاحتلال كان الاستاذ نجيب العقيقي الذي انبته جبل الالهام والعبقريات قبل اربعين عاما فاطلت طفولته الذكية على ملاعب الطبيعة الفاتنة حيث احتشدت غابات من الصنوبر تلاصقت فيها اشجارها الخضراء كصفوف المظلات المفتوحة ، ومن على مشارفها يمتد النظر الى شواطىء البحر الابيض .

في هذا الريف الوارف الظلال الهادىء الجمال كانت نشأة العقيقي نجيب ، وفي مدارسه تلقى حروف العربية وصفحاتها الاولى عن معلميه الذين نذروا العمر للكلمة والمحبة ، وربما كان فيهم من تعلم تحت السنديانة او بازاء الهيكل فدخل حب اللغة قلب الناشىء المتفتح مبكرا عميقا.

وفي بيروت لم يرتو هذا القلب الظامىء للمعرفة والحقيقة، اذ كان العقيقي الطالب الموهوب مرجوا لان يكون شاعرا كما بدات تجارب لداته في المدرسة تنظم الكلمات مرصوصة الاوزان جوفاء الصور او مضعضعة البناء ، لكن الشعر يشع في معانيها ، اما نجيب وان ناغته ربة الشعر من عالمها الاولمبي الحديث في موطنه الاول فانه اخذ منها هدوء التأمل والهام البصيرة وانصرف الى النثر الذي غلب على طبعه وبيانه ، فكتب على الحداثة المقالات الادبية واعجب بها معلموه ، ولم يقنع بما تلقى من معهده من ثقافة لغوية وفكرية وكانت زادا ضخما حمله وعيه المبكر وادبه الموهوب .

ولما اتقن اللغتين السائدتين اخذ يكتب فيهما كما يكتب الادباء المتمرسون ، جامعا بين التدريس والصحافة وهما موردا كل اديب في الشرق والغرب .

ودار العقيقي في هذا المجال اعواما من شبابه المتوثب لم يستطع فيها ان يقنع طموحه بما يرجو في حياته وكفاحه ، ولم يمسك به ما لقيت بواكير قلمه من ضجة وتقدير ، فآثر الانطلاق الى ضفاف النيل حيث يعيش فريق من ذويه وكانت دار الكنانة اقرب اليه واحب من ديار الهجرة في الامريكتين ، مما ترامى عليهما من قومه الذين انشأوا الادب العربي المعاصر وراء البحار .

وما اكثر الذين بادروا مثل العقيقي الى ارض النيل وحطوا همومهم عليها فلما ضمته القاهرة الى قلبها الكبير وعاش في محبتها والايمان برسالتها ، لم يفته تصوير هذه الاطوار التي اعترت المهاجرين حين يدخلون مصر حيارى بما يشهدون في المدينة الساحرة ، فكانت « برج بابل » (نشرتها دار المعارف بالقاهرة) صورا لهذه المغامرة الظافرة فيها همسات الاغراء قبل الرحيل ونظرات الفراق فيمن كانوا يطمعون على بعد الزمان والمكان في حياة افضل ورزق اوسع ، على انهم قبل ان يعرفوا الطائرة كان البحر سبيلهم ثم القطار الذي يلقيهم عند «باب الحديد» للمدينة الكبرى، فيبهتهم خلق كثير وكأنهم في خفوق وازدحام ، فالميدان مترامي الاطراف وقد وصفه العقيقي بقصة « برج بابل » وكيف كانت البنايات المتراصة والمرتفعة تعقد السنة القادمين من بعيد ممن لم يكونوا قد راوا مثله في بلادهم .

ومن هذا المكان قبل الطائرة كان يدلف المغامرون الى اقرب حي يقيم فيه الذين سبقوهم اليه وهو الفجالة حيث تجمعت ارياف ومدن وتلاقت عصور واجيال وتمازجت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عناصر ولهجات ومنذ القديم يعج هذا السوق ببضاعة الافكار والسطور ، ففيه دور نشر وطباعة ومعاهد تربية وثقافة .

احب العقيقي الذي فارق بيروت اديباومعلما هذا الحي القديم الذي كان يهبطه القادم من بلاده ويعيش فيه زمنا تاجرا او صحافيا او ناشرا للكتب ، ثم يغادره بعد حين الى حي من احياء الميسورين ، اما العقيقي فقد اقام بالفجالة مدة حيث وجد باب الرزق مفتحا له فى ارقى معاهد اليسوعيين ، فعاد فى القاهرة الى التدريس وقد صدق فيه هذا القول : وكم هارب مما اليه يؤول ، لكن الحاجة الى كفايته وتمرسه الطويل بقضايا الفكر والعروبة ضمته الى الجامعة العربية حيث يقوم بتبعات ثقافية ومشورة فنيةلا تتجافى عن مزاجه واختصاصه وانما تجعله دوما مرتبطا بشؤون الفكر العالمي ، راصدا وجهته فى آفاق العالم العربي، فالعقيقي بطبيعته وحكم وظيفته ملتصق بالحياة الادبية التي ترده الى اوراقه وتطالبه بالظهور فى موضوعات اخذ نفسه بها فتاره تكون قصة وتارة تخرج من بين يديه دراسة ادبية مبتكرة ، ولو شاء الكثرة فيها لجاءت كغيرها مما نرى فى الموضوعات الواحدة دراسات مكرورة مملولة .

ولعل اول قصة ظهرت للعقيقي القصصي كانت تحت عنوان «نجفيف المستنقعات» ثم اتبعها بكتابه الذي اثار ظهوره المبكر وافكاره الجريئة اهتمام النقاد والمثقفين وهو « المستشرقون ».

والواقع ان هذا الموضوع الخطيركان فاتحة رائعة فى تدارس الاستشراق واسبابه ومذاهبه والنفوذ الى نفوس اعلامه والهائمين فيهمن المتعربين والمهتمين. فكابد العقيقي فى تاليفه هذا مصاعب ضخمة اذ فتح فيه فتحا جديدا لم يسبقه اليه مؤلف ، فقدم لادبنا الحديث مجهودا بعيد الاثر قريب الفائدة وكان من السباقين الى خدمة الدراسة الجامعية والمنهجية بما جمع من اشتات المصادر والمراجع التي افادت الادباء واساتذة الادب فوقفواعلى آراءالمستشرقين فى هذا الموضوع وما وصلوا اليه من تراثنا فى المخطوطات والذخائر الفكرية التي عاشوا من اجلها منقبين باحثين .

صدر هذا الشهر من القاهرة

الزعيم ابراهيم هنانو

ثورته ومحاكمته بقلم

فاضل السباعي

لمصلحة الذين يسعون اليها او يؤلفون من اجلها لكنه آثر

ولو شاء هذا المؤلف البحاثة ان يحوز اضخم الالقاب الجامعية لكان بوسعه هذا وهو يزجي الكتاب تلو الكتاب ممحصا باحثا وناقدا موضوعيا لما وقع فيه هؤلاء المولعون المستشرقين مآرب المستعمرين .

على ان العقيقي مؤلف «المستشرقون» كان فى كتابه هذا بالتراث العربي من خطا وانحراف اذ غلبت على بعض الحرية فى تاليفه وثقافته ، وقد اتيح له انيتعمقفى دراساته الفنية فعكف طويلا على علم الجمال وكان هذا العلم رائد الاذواق المصقولة ، فخرج العقيقي من مطالعاته ومراسه فى هذا الموضوع بكتابه « فى الادب المقارن » وكان من اسبق الدراسات الجامعية فى ادبنا الحديث .

وكم يعوزنا فى هذا الادب ان نمد الاعين والايدي الى روائع الاداب العالمية شرقية وغربية لنجد فيها التشابه والتطابق فى مطالع الفن والابداع بينها وبين امثالها فى ادبنا القديم والجديد ، وبهذه الدراسة المقارنة نستطيع ان ندل على عبقرية لغتنا وعالمية ادبها اذ لا يتاح لمباهجه وروائعه ان يظهر رونقها وفتونها الا اذا قورنت بنظائرها فى الاداب الاخرى .

فاذا عاد العقيقي الاديب الى موهبته ومنازعه الاولى كتب على سجيته القصة التي احبها منذ صباه واتقن صنعها بما اوتى من فنها وخصائصها ، وكانت اخر آثاره فيها « ارض الله » فشارك فى ادب الثورة بهذه القصة الفنية الطويلة التي حلل فيها نفوس الفلاحين والاقطاعيين وكيف قامت الثورة لتمحو الطغيان وتبني للحياة الجديدة عدالة اجتماعية ووعيا قوميا حديثا ، والعقيقي فى قصصه ذو طابعين واحد يتناول الشكل والطراز ويعني بلغة االتعبير وحواره ، والاخر يتناول الموضوع والمحتوى وهو لا يطفو على السطح وانما يلتمس الاعماق ويانس بالتحليل النفسي وقد يكون نفسه فيه طويلا .

فالعقيقي الاديب الموهوب يعمل للادب الحديث بصمت وهدوء على سمته المعهود متجافيا عن الشهرة والادب التجاري الذي اغتنى منه الكثير راضيا بما اغتنم من سمعة نقية وثقة عميقة فى حياتنا الادبية والاجتماعية ، فنفسه عامرة بالايمان والمروءةوروحه مشرقة مرحة كالطيورالبيض التي ترف عند العشيات فوق النيل ، ساريات الى اعشاشها البعيدة ، على ان مرد هذه النفس الكبيرة الى منبتها الذي غذى فيها اصالة العروبة وطبعها على التقوى ، فصانت كرامته وطموحه وزودته بقلب وسع الحياة كما هي ، فاذا طاب لي الادب المقارن الذي ابدع فيه الاستاذ العقيقي قلت ان ادبه وسيرته نسمات ندايا عابقة بتفاح لبنان تهب على الضفاف الخضر التي يتمرى فوقها النخيل على صفحات النيل .

دمشق — **وداد سكاكيني**

هيكل بعلبك

من ديوان « الوفـاء » الذي يصـدر قريبـا

مزيج من الفن : من « كرنك » ... وروما وفينيقيا والعرب
« كتدمر » اذ شادها مارد ... من الجن فى ما روته الكتب
بناه « آرام » لبعل . ومصر ... لشمس . وروما لبنت العنب
تبارى « وكرناك » فى حسنه ... فما فاز هذا ولا ذا غلب
ونازعه الارز فى خلده ... وهذا « لبعل » وذاك لرب
فهدم « تيمور » اركانه ... وما برح الارز فوق الشهب

الا لهف قلبي على هيكل ... سداه الجمال وفن عجب
له ذكريات السنين الخوالي ... وذكرى « خليل » وعمر ذهب
اطل عطوفا على الواديين ... بتحنان ام رؤوم وأب
يضم اليه بقاع العزيز ... كصب مشوق تلاقى بصب
تداعبه الشمس عند الصباح ... ويبكي سناها اذا ما غرب
فأعمدة من نحيت البلنط (١) ... كؤوس واطواقها من حبب
تكاد تطاول حجاب السماء ... وترقى اليها بغير سبب (٢)
عذارى «تنيت»(٣) جلون صفاها ... بشعر لهن وكف خضب
وعشاقها صبغوا لونها ... بصبغ الخدود وقوس السحب(٤)
كأن الحبيبات فى جيدها ... بلونيهما فستق من حلب
وقصوا حجارتها بالمقص ... كأن حجارتها من يلب(٥)
برود تطرزها ناسجات ... بخيط الحرير وماء الذهب
تخال الرسوم لاتقانها ... حقائق ان شوهدت من كثب
يشير البعيد اليها بطرف ... ويلقي السلام اذا ما اقترب
لقد طبع الفن فى وجهها ... جمال القوافي بعرس الادب

لبعل وللشمس كان العباد ... يلوذون فى ضيقهم والحرب
يؤدون ما ادخروا : عرضهم ... واموالهم لاله الكذب
ولما استحال الى معبد ... « لباكوس » رب الخمور الطرب
أقاموا السراديب للشاملين ... وللشاملات بخمر وحب
وفيها اراقوا الدماء اعتباطا ... « لمولوخ »(٦) صيدا كبحر لحب
وكهانها ينذرون الورى ... اذا بخلوا بشديد الغضب
لقد ألهوا الشمس بعد «تنيت» ... وعشق الرذيلة بعد الطرب
ولو خصصوه لباري الوجود ... لظل مشيدا طوال الحقب

(١) البلنط : حجر كالرخام الا انه اشد صلابة . (٢) السبب ، هنا : الحبل . (٣) تنيت او تانيت : هي الزهرة او عشتاروت معبودة الفينيقيين. (٤) قوس السحب: هو الغمام الذي تنعكس فيه اشعة الشمس بمختلف الوانها . (٥) اليلب : الجلد الذي كانت تصنع منه التروس. (٦) مولوخ : هو اقوى آلهة الفينيقيين واشدهم فتكا

القـاهرة — بولس غـانم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الاستاذ مصطفى امين الصحفي الكبير في حديث له «... ومعنى هذا ان في حياة كل منا حرفا ضائعا عليه ان يبحث عنه ويستعيض عنه بغيره حتى يجده ، وكل واحد يعوض عن حرفه الضائع بغيره ، الاعمى يعوض بقوة السمع ، والغير محظوظ يعوض عن نقص حظه بالذكاء ، والغير ذكي يجتهد ليعوض نقص ذكائه ... » وتهزني هذه الفقرة الصغيرة واوغل معها في التفكير . هل في حياة كل انسان فعلا حرف ضائع ؟ وهل يحس كل شخص بحرفه الضائع او الناقص هذا ، واذا احس وقضى حياته في البحث عنه ، هل سيجده حتما، واذا وجده : كيف يكون تأثيره في حياته ؟ هل سيرضيه ويريحه ، هل سيهدأ اليه ويفرح به ويهنأ ام يصل اليه بعد فوات الاوان ؟ وهل يمكن حقا الاستعاضة عن حرف بحرف ؟

وقبل ان يتجدد في راسي جواب لاي من هذه الاسئلة تقفز الى ذهني صورة منيرفا نجيب اعز صديقاتي وترد على السؤال الاخير . ترد عليه بطريق غير مباشر . واتذكر احدى محاضرات النقد في المعهد الذي كنا نواصل فيه دراستنا سويا بعد الجامعة . كان الاستاذ يناقش مبدأ الفن للفن والفن للحياة وايهما نحن في حاجة اليه اكثر وايهما يمكن الاستغناء به عن الآخر اجابت منيرفا ان ليس في الحياة ما يمكن الاستغناء به عن سواه وكل ما هناك ان شيئا ما يكون ضروريا في بعض الاحيان او مهما وشيئا آخر يكون اقل اهمية او ضرورة منه في ذلك الحين . اما ان يستعاض تماما بشيء ما عن شيء آخر فلا ، لانه لا شيء مطلقا يقوم مقام غيره : كل شيء لازم وضروري وان كانت طبيعة الحياة وظروفها المختلفة تزيد او تقلل من درجة لزومه او ضروريته من وقت لآخر ومن فرد لفرد .

ترى هل هذه هي الحقيقة فعلا ؟ اني بعد معرفتي الطويلة بها اميل الى اعتناق رايها هذا . ولقد كانت حياتها مصداقا لذلك الراي . فقد كانت منيرفا اجمل من رايت في حياتي واذكى من عرفت اطلاقا . كان ذكاؤها ملفتا للنظر ومحل اعجاب وتقدير الجميع مدرسين ومدرسات وصديقات ومعارف . والى جانب الذكاء كانت نشيطة مجتهدة . لا تكل ولا تهدأ . ولكن كان ينقص حياتها حرف هام جوهري اساسي ، كان ينقص حياتها الحظ . كان حظها سيئا جدا ، ويوم يتحسن ويقدم لها احدى ضرباته هو يوم ان تسير الامور معها سيرها الطبيعي العادي مع اي انسان غيرها ولذا عاشت منيرفا في مأساة فقد كانت تعرف الحرف الذي ينقص

الحرف الضائع

بقلم منيرة عبد الجواد دكروري

حياتها وتحس بمدى الفراغ الذي تراكمه في حياتها وعبثا تحاول الاستعاضة عنه وملء ما خلقه من فراغ بالجد والاجتهاد وعدم ترك اي شيء في اعمالها للظروف او الحظ ولكن الحظ كان دائما اقوى منها . يعرقل اعمالها ويشقيها فتغرق نفسها في مزيد من العمل والاجتهاد علها وعسى ، ولا تخلد الى الحزن والالم . كانت شعلة من النشاط لا تهدأ ولا تكل ولا تعرف للراحة طعما . ان حرف الحظ يوم تخلى عنها اخذ معه حرفي الراحة والاطمئنان فكانت دائما قلقة مشغولة وراءها من المهام اكثر مما اتمت فخلف ذلك في نفسها شيئا من المرارة وكسا نظراتها الى الحياة بسحابة من التشاؤم والحزن الكامنين وان كانت تحيطهما وتحاول اخفاءهما بروح مرحة وابتسامة دائمة وتجلي ذلك في منظارها الوردي الاطار بينما لون زجاجه مشوب بزرقة خفيفة تخفى على من لا يمعن النظر الى لونه فيحسبه ابيض عديم اللون .

كانت منيرفا محرومة من الحظ ولكنها في نفس الوقت كانت (حاملة حظ) اذا صح هذا التعبير قياسا على حامل ميكروب دون ان يكون مصابا بالمرض . كانت منيرفا مجلب حظ للجميع ممن لهم صلة بها . يتفاءلون بمقدمها ويستبشرون خيرا بها فيما يهمون به من اعمال بينما لم تكن ابدا مقدم خير لنفسها ولا طالع سعد لاعمالها ، وكانت تحرص على عدم الذهاب بنفسها لمعرفة نتيجة اي امتحان او شيء يتعلق بها وتتشاءم اذا اضطرتها الظروف يوما لرؤية النتيجة بنفسها . وفي اغلب الاحيان كان يتحقق ظنها وفي الاحوال التي يهادنها الحظ فيها كانت النتيجة تؤجل .

تخرجنا من الجامعة والتحقت كل واحدة من شلتنا بعمل الا هي ، ظلت تبحث وتطرق كل الابواب دون فائدة لمدة اربع سنوات كانت تلتقط فيها بقايا الحظ من على صفحات الجرائد . تنشر موضوعا في هذه وقصة في تلك وتترجم لثالثة . كل ذلك في فترات متباعدة متقطعة دون ان تسنح لها الفرصة وتستقر في عمل دائم ثابت . وكنت اواسيها في بعض الاحيان واقول لها :

ـ اصبري . غدا تتعدل .

فتتمتم وتقول :

ـ اتعرفين ماذا بعد الصبر .

ـ الفرج باذن الله .

فتطلق ضحكة فيها من المرارة والالم والحسرة اكثر مما فيها من المرح وتقول :

ـ ابدا... ما بعد الصبر الا القبر .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد مساع ومشاق التحقت بعمل دون ما كنا نأمل لها ودون مؤهلها ولكنها رضيت به بل وفرحت ولكن لم يكد يمضي بعض الوقت حتى نقل والدها من القاهرة واصطحب معه والدتها واصبحت هي المسؤولة عن اخوتها الذين يصغرونها ومسؤولة عن البيت بالاضافة الى مشغولية العمل واعداد رسالتها لنيل درجتها العليا والترجمة والكتابة للصحف والمجلات والاذاعة . كنت اعجب لها ، كيف تستطيع القيام بكل هذا الجهد ؟ من اين لها بكل هذه القدرة على التحمل والمعاناة ؟.. لو انها آلة لاحتاجت الى فترة من التوقف تهدأ فيها حرارتها وتزيت عدتها ؟ لو انها آلة لاحتاجت لقطع غيار ؟ ولكن منيرفا لم تكن تهدأ او تسكن للراحة وقتاما. كانت شعلة من النشاط والحركة والمقدرة على العمل بدرجة تثير الدهشة والتساؤل .

وفي العمل التقت بالحب . احبت زميلها مفيد شاكر من اعماقها واحبها واحس كل منهما بضرورة الاخر له وحاجته اليه . وكنت ارى سعادتها في حبها واحس بها فأسعد لها وادعو الله ان يديمها لها ولكنها كانت سعادة يشوبها شيء من القلق المبهم والخوف من المجهول . وعندما عرض عليها الزواج كادت تطير من الفرحة وتمنت ان تدوم لها هذه السعادة وان تطول تلك اللحظة وقبلت عرضه في الحال واتفقا ان يتقدم الى والدها يطلبها منه في اول حضور له الى القاهرة . وعاشت منيرفا اياما من السعادة ظنت معها ان الحظ هادنها وانها قد وجدت حرفها الضائع الى ان جاء والدها فاسرعت الى حبيبها تنبئه بقرب تحقيق حلمها وترد على اسئلته الخاصة بابيها ومهنته ومركزه ليبدو امام اهله انه يعرف كل شيء عن الاسرة فلا يضيع الوقت في استفسار وسؤال وما كادت تذكر له اسم والدها بالكامل حتى احست به يتهاوى في مقعده ووجهه يصفر ويصيبه دوار. وعرفت الحقيقة التي كان يدخرها لها الحظ وادركت ان مخاوفها وقلقها لم يكونا سوى احساس صادق بما يخبئه لها القدر عرفت ان حبيبها مسيحي ، غره اسمها فظنها مسيحية وغرها اسمه فظنته مسلما .

هزتها الصدمة فلزمت الفراش مدة طويلة ما من مرة زرتها فيها وسألتها كيف حالك الا واجابت :

ـ ما زلت احيا . لا تخافي علي. لن اموت الا اذا ارتحت ، عمر الشقي بقي ، عندما ارتاح خافي علي، واعرفي ان ايامي انتهت .

ولم يكن مفيد اقل منها تأثرا وتألما فعمل على نقله الى مكان آخر ليساعدها على النسيان وتحمل الصدمة التي لم تكن تخطر لهما على بال ولم يعملا لها حسابا .

وعندما غادرت الفراش حاولت ان تغرق نفسها في مزيد من الجهد والعمل علها تنسى . حاولت ان تستأنف انكبابها على العمل والكتابة والترجمة والدراسة ولكن قدرتها على التحمل لم تعد تساعدها ، لم تعد تلك الآلة التي لا تهدأ ولا تتوقف ، بل اصبحت انسانة اخرى سريعة التعب ضعيفة التحمل ، ادنى مجهود يرهقها وينال من صحتها وقلت قدرتها على النضال والمثابرة واصبحت تخلد الى الراحة والاستكانة ولم تعد تفرق نفسها في العمل وتتحدى الحظ كما كانت واخذت ملامح وجهها تنبسط وتتراخى ونظراتها تستكين وتهدأ واختفى من عينيها ذلك البريق المشع الاخاذ المعبر عن الحيوية والاندفاع والتحدي والاصرار . اصبحت منيرفا شخصا آخر لا يهتم بالحياة ولا يتحداها بل يتركها تمضي على اي صورة كانت ومع ذلك فقد بدأ انتاجها الادبي يلفت الانظار اليها ويفرض نفسه على النقاد والقراء ويلقى اهتماما من دور الصحف وترحيبا بل الحاحا في طلبه وتحسن مركزها في عملها وبدأت ظروفها المنزلية تتحسن واعباؤها المنزلية تقل خصوصا بعد ان تم نقل والدها الى القاهرة وتخرج اخوها من الجامعة والتحق بعمل طبيب في القاهرة ولم يعد عليها من الالتزامات سوى التزاماتها نحو نفسها وانتاجها ورسالتها التي تعدها والتي كانت تسير فيها بخطى ثابتة منتظمة وان كانت وئيدة متانية اصبح انتاجها وان لم يعد وفيرا يلاقي من النجاح والاقبال ما عوضها عن كل جهدها وتعبها الماضي فشعرت لاول مرة بعد نضال طويل ممعن وشقاء ظنته ابديا عليها ، شعرت بالراحة والاطمئنان وبالحظ يهادنها والحياة تقبل عليها ، وتقدم لخطبتها شاب مرموق لم تجد فيه ما يدعوها الى رفضه او ما يعيبه فقبلت خطبته ، وتجلى لها يوما بعد يوم من خصاله وطباعه ما شدها اليه وحببها فيه .

جاء يوم مناقشة رسالتها وكانت مناقشة ممتعة شيقة . كان الاساتذة فيها يشيدون بالرسالة ولا ينقدونها. يتسابقون في اظهار ما بها من جهد وحسنات لشدة اعجابهم بها وتقديرهم لها، واثارت الرسالة اهتمام الصحافة وشغلتها مدة طويلة واهتم المعهد بها وعدها فخرا له ولاساتذته فقرر زملاؤها اقامة حفل تكريم لها .

وبدت منيرفا في الحفل سعيدة قريرة العين كما لم ارها طوال معرفتي بها ، خيل الي ساعتها انها طائر قضى جزءا كبيرا من حياته سجينا مهيض الجناح ثم وجد طريقه اخيرا الى الحرية والحياة الرحبة الفسيحة فانطلق يتغنى بالحياة والامل . واثناء الحفل قص احد الزملاء نادرة اثارت نوبة من الضحك لم تستطع منيرفا مغالبتها وكانت تشرب بعض الماء فشرقت به وقبل ان تنتهي نوبة الضحك او تتمكن منيرفا من شرب جرعة اخرى من الماء لتخف شرقتها فاضت روحها وعيناها مغرورقتان بالدموع لا ادري اكانت دموع الضحك أم دموع الشرقة ...

القاهرة منيرة عبد الجواد دكروري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شبلي الملاط

بقلم نسيم نصر

ولد في بعبدا سنة ١٨٧٨ .

تعلم في مدرسة جبيل ثم في مدرسة الحكمة – بيروت – كتب في «الروضة» لخليل باخوس ، وفي «الارز» لصاحبيها الشهيدين : فيليب وفريد الخازن ، وفي «النصير» لعبود ابي راشد .

سنة ١٩٠٨ انشأ جريدة « الوطن » ، ومن الجريدة انتقل الى رئاسة القلم العربي في متصرفية لبنان

بدأ التعليم في مدرسة الطيب الذكر المطران غفريل ، ثم انتقل الى مدرسة المزار في غزير ، ومنها الى مدرسة الحكمة حيث علم البيان سبع سنوات .

غير ان الوظيفة ، بعد رئاسته القلم العربي في متصرفية لبنان اصبحت عمله الدائم مع انصرافه الى نظم الشعر يملأ به فراغا في ذاته ويشرف بقوافيه على جوانب من الحياة لا تتراءى له ولا تحلو الا من خلال الشعر . لذلك تقف عن الكلام على تقلبه في مراكز متعددة من اجهزة الادارة والشؤون الرسمية ... وعن اسهامه في اعمال الصحافة لنقتصر على شبلي ملاط الشاعر .

انا فلذة صخرية مقطوعة ... من ذلك الجبل الاشم الراقي
انا جذع لبنان القديم فما ذوى ... ورقي ولا لوت الشدائد ساقي

هكذا عرف نفسه شبلي الملاط ، في تحيته المغتربين ، وراق لناشر « ديوان شبلي الملاط » ان يضع هذا التعريف تحت رسم الشاعر .

وتقديما للراي الذي سنبديه ، لكي لا نقول دراسة او ما هو اليها من جوانب النقد الحديث ، نورد بعض كلمات اجتزأناها مما قيل من كثير للتدليل على قدر الملاط الشاعر والتنويه عن قيمة شعره ، نبدأها بقول الامير شكيب ارسلان : « ... مهما نبهت علي محاسن شعر الملاط كان تنبيهه على نفسه ابلغ واسرع ، ومهما اقمت عليه من البراهين كان برهانه في ذاته اظهر واسطع . »

وجاء في رسالة لخليل مطران قوله : « ... ولكنني على ثقة من ان كل متصفح لديوانك ستوحي اليه فرائده وقلائده ما يغني كل الغناء عن افصح تقريظ وابلغ ثناء . ولقد تصرفت في قريضك تصرف العباقرة : فانا يذكرنا الفحول المبرزين في الجاهلية والاسلام ، وآنا يرينا افانين التجدد في ادق صورها الفنية الحديثة . ومهما تختلف الاغراض ومهما تتباين الصفات فما تفارقه في حال تلك النسمة السحرية التي تكمن تحت كل ابداع فتخلب الالباب وتغصب الاعجاب . »

وقال امين تقي الدين في الملاط بعد حفلة مبايعة شوقي بامارة الشعر : « ... ارايت النهر يجري تارة رائقا صافيا هادئا ، وطورا مكمدا متدفقا غضوبا ، بينا تراه شفافا عن حصباء نقية هي اللآلىء ، اذا به يقذف تياره الى كل جانب فلا تقف قوة في طريقه ، هكذا كان شبلي ينشد قصيدته الطيبة . »

نكتفي بهذا القدر من صريح الراي بعبقرية الملاط يجهر به ثلاثة من اعلام الشعر ، الاغنياء عن القول يرسلونه في غير اصالة الكلمة وما تتناوله من واسع الاداء .

بلى، شبلي الملاط كان خاتمة قافلة اولئك الذين يذكرونك حينا بالرواء الشعري العربي كما عرف في اقدم ينابيعه واصفاها ويحماونك حينا اخر الى مشارف الخيال الحديث الفن او ينزلون بك الى اعماق من الفكر النابض بالمعاني النيمة .

كان من تلك الصفوة من الشعراء التي اعتبرت الشعر العربي منبرا للبلاغة لا تسمو الى مراتب الاعجاب الا في ايقاع القافية ، وتعضيد البيت ، وهدرة الانشاد ، وتدافع الالفاظ متوائبة الى اماكنها من التعبير في اشراقة من المعاني الرفيعة . ولعل قصيدته في مهرجان شوقي جاءت خير منبرياته الشعرية التي كان فيها قطبا من اقطاب الشعر العربي في موروث بيانه وجدة معانيه . وهذه ابيات منها :

يا ساكن الوادي وشوقياته ... زهر النجوم طلعن غير خوابي
لك في ظلال الارز فتيته الالى ... يترنحون بها على استطراب
همموا بقرة مهرجانك وانتشوا ... يتناشدونك في كؤوس شراب
وتساءلوا لا يعلمون اعاصر ... عنب الكروم لهم ام الدوشابي؟؟
صفقت من خمر الشام شرابهم ... وعصرت ما في مصر من ارطاب
يتروح المجهود منتعشا به ... ويذود عن عينيه طيف عذاب
وتدب نشوته اليه وترتقي ... بالورد للخدين والعناب

وهذه القافلة التي كان شبلي الملاط خاتمتها لم تستطع ان تضبطه في حدودها وفروضها ، لانه كان يتشوف الى جديد يلائم انطلاقة العقول من اسارها ويساير موكب الحياة الطالع مبشرا بالنهضة الحديثة ، فاذا هو ينحو نحوا ، جاء فارسا في ميدانه هو نحو الشعر القصصي . ونعني بالقصصي هنا طائفة من القصائد في ديوان شبلي تناول بعضها بوجدانية صافية وتناول البعض الاخر من جوانب التاريخ للقدوة والعبرة . فكان في هذه كلها رائد طليعة للخروج من حيز الغنائية كما توارثها الشعراء العرب حتى مطل القرن العشرين نذكر من هذه الطائفة القصصية : من الوجدانيات « بين العرس والرمس » ومن التاريخيات القومية « خولة بنت الازور » ومن القصص الاجتماعي : «ام البنين»

وهكذا نكتفي من الاشارة الى هذه المنابع الدافقة مستعينين بتقديم ابيات من مطلع « خولة بنت الازور » وابيات من « بين العرس والرمس »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليالي بعلبك

عيسى ميخائيل سابا

فاتنات فى حمى الابعال مـــاجت بـارتياح
عابثات بالقلوب الزهـد مـن اهل الصلاح
رجعت الحـانها الاصـداء فى وقـع الرياح

فصبايـــا الصيف خمر سائغ من غير راح
صوتهن السكر يسري خلسة فى كـل ناح
نظرات مائجـات تتهـادى كالجنـــاح
ترشف النغمات من افواه ربات الصداح

يا شميم الرند يا نفحا نديـا فى الـرواح
العـذارى مائسات فى تثنيها المبـاح
كيفمـا ملت رايت الغنج بوحـا للصبـاح
رقصة الاوتـار تدني الصدر من خود رداح

لهشـات تتـلاقى وعيـون كبـراح (١)
وتثنـي ودلال مـائج فى عـرض سـاح
سهرات فى جوار « بـاخوس » برء الجراح
كـل وجـه يتلالا لمعـه لمـع الصفـاح
فى ظـلام الليـل نور شع من ذات الوشاح
بعلبـك يـا ريـاض الانس يـا ملقى الملاح
فى ليـاليك العـذاب الورد غنى للاقـاح

(١) براح : علم للشمس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من « خولة بنت الازور » :

ادموع خولـة ام عقيـق الوادي ... ايـام نـادى للجهـاد منـاد
لم تبك اخت ضرار حزنا بل بكت ... فرحـا ليـوم شهـادة وجهـاد
غبطت اخاهـا وهو يعرض رمحه ... فـوق الجواد لغـزوة وجـلاد

يا خول ان ابي وجدي استشهدا ... قبلـي على مـرأى النبي الهادي
وانـا على اثار من درجـوا ومن ... سعدوا من الابـاء والاجـداد
فاذا قعـدت عن الجهـاد ثوانيا ... فلم ادخـرت مثقفـي وجـوادي
لبيـك ان دمـي لسلطاني ومـا ... ملكـت يداي لدولتـي وبـلادي
فسلي كمـاة الحرب يا ابنة حمير ... والبيض قـد سلت مـن الاغماد
ينبئك من شهـد الوقيعة انني ... شبح الحمـام وليث بطن الوادي

من « بين العرس والرمس » :

في ظلال الكروم والعنقـــود ... تحت صلب الغصـون والاملود
وعلى العشـب من رطيب العود ... وعلى الزهـر مـن طري الجيد
كان ملهى هند وملهـى فريد
نشاءا صاحبيـن مؤتلفيـن ... وصفـيريـن غـير مفترقين
مـرة يلعبـان بالكعبيـن ... تـارة يركضـان نحو العيـن
وثب ظبيين شارد او طريد
وعلى اللهو بيـن ضحك ولعب ... واجتماع قلبا الى جنب قلب
قطع الصاحبـــان اول درب ... من دروب الحياة جنبا لجنـب
وهما يجهلان سر الوجـود

واخر ما تجب الدلالة عليه ، فى هذه الكلمـة الموجزة ، من خصائص شعر الملاط القصصي ، هو تميز الوجداني منه بسهولة تلائم معانيه ملاءمة مطبوعة كما هي الحال فى ما قدمنا من « بين العرس والرمس » فى حين يغلب الابقاء على شدة التعبير وهدرته ، وقد تزدادان كما يبـدو مما قدمنا من « خولة بنت الازور » . ومن مسلسات السهولة طيعة عنده التحلل من وحدة القافية واللجوء الى هـذا النوع من « التخميس » البادي فى « بين العرس والرمس» او «التربيع» فى « ام البنين » كقوله :

رويـدا واصبري حتـى يلينا ... فـؤاد ابيك يا ام البنينـا
لئن سعد الفتى فى الحب حينا ... لكم شقي الفتى فى الحب حينا

هذه كلمة عجلى فى شاعر الارز ، شبلي الملاط ، الذي خفقت قوافيه فى لبنان والعالم العربي ، مدلة بشاعرهـا نابغة من نوابغ الشعر العربـي ، جاء جسرا من جسور النهضة الحديثة .

نسيم نصر

سنديانة « الخلوة »

فـؤاد الخشن

مـن اسرة الجبل الملهم

الشويفـات ـ لبنـان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قطعـت ...
وكنـت اخضرارا
وظـلا
وكنت ، علـى التل ،
احلـى جناح
وازهى وشاح ...

قطعت
وكنـت ترفيـن
ظهـرا
علينـا
بشـال
نـدي الظـلال
اذا الحر قطر فى ريفنـا
لهيبـا
لتنضج منـه الغلال
وتصفر خضر كـروم
تزيـن سمـر التـلال
وتفـدو ، بايلول ، تلك الدروب
قوافـل تحدو
تغنـي ... انتشاء
فترقص سكـرى
الـوف السـلال !

قطعت
وكنت قبـاب
ينـام عليها الضبـاب
وليـل بلون البنفسج
طـري مـؤرج
يـذر حنانـه
يسيـل سكونـا
ويهمـي امانـا
وحبـا
علـى المتعبيـن !

قطعت
وكانت جيوبـك مأوى
لنحل رتيب النغـم
يدندن فيهـا اغاني النهـم
وكانت غصونـك بيت العصافير
بيـت الفراش
وشبـاك صحو يهـل
ومنـه تطـل
عيـون الصبـاح
علـى ضيعتي !

قطعـت
وكنت كتـاب السنيـن
وذخـرا ثميـن
بـه نستعيد
زمـان الجـدود
وهزج الشبـاب
ورقـص الصبايـا
وتلـك الحكايـا
بصفو الليالي التي مـا تزال
تنـام عليها عيون الجمـال !

قطعت
فراحت طيـورك مذعورة
لرنات فأس تفتق فيـك الجراح
وتستل روحـا لام حنـون
عـاشت بـذا الريـف
تطـوي القرون !
وتحنـو عليـه
عـلى ساكنيـه ...
عـلى طـيره ...

قطعـت
ليهنأ ذاك الامـير
وينعـم منـك بفحم كثير !
لتسلب ارض شويفاتنـا
بقيـة كـنز
وخـير اثـر
وتطمس احلـى الذكر
لامس جميـل عبـر ...

قطعت ... فسالـت
دمـوع الرعـاة
عـلى وجـه ارض بدون ظلال !
تضـم بقايـا الجـذور ...
وتشرب ذوب الحرور !

قطعت ...
ففي كل فجر تنوح عليـك الطيور
ويبكـي الزهر
صديقـة عهد قديـم
ويرثي النهـر
زمـان الصفاء
وموت الوفـاء
بموتـك انت .. .
أيـا سنديـانه !

خليل شيبوب

بقلم نقولا يوسف

نحن في « اللاذقية » .. والقرن العشرون ما برح طفلا يحبو .. شهر يوليو عام ١٩٠٨ – والطبيعة في جلالها منذ الازل .. تتحدى عربدة عبدالحميد وسلطانه – فلم يزل الثغر العربي العتيد رابضا في مكانه غربي سوريا على ساحل البحر الابيض .. تشرف عليه الهضاب والجبال وتقترب منه التلال المكسوة باحراش التين والزيتون، ومزارع القطن والطباق ، ومراعي الماشية والاغنام.. وتنتشر هنا وهناك خرائب الرومان، وبقايا قلاع الصليبيين، والاعمدة الكورنثية، والمساجد والكنائس القديمة .. وتعلو مئذنة «جامع المغربي» مطلة على امواج البحر، ووادي « النهر الكبير » ..

المدينة ما برحت حية فتية ، تجتر ذكريات الاجيال منذ غزوات البابليين ، فالفرس ، فالاسكندر ، فالرومان ، فالبيزنطيين .. حتى رفرف عليها العلم العربي في القرن الميلادي السابع .. فاضحت الميناء العربي التجاري الزاهر .. ثم شاءت الاقدار ان تنطوي كغيرها من مدائن الشرق الاوسط تحت الحكم التركي فتعاني اربعة قرون طوال.

وعلى شاطىء « اللاذقية » في احدى امسيات ذلك الصيف ، كان يجلس غلامان يافعان اخوان من ابناء تلك المدينة .. لم يبلغ اكبرهما السابعة عشرة ، ويصغره الاخر بسنتين .. وكانا يسرحان البصر فيما وراء السفن الشراعية الراسية امام الشاطىء .. الى الافق البعيد .. ثم يقول الاخ الاكبر ، بعد فترة من الصمت ، وكان فتى شاعري النفس ، متوثب الخيال ، عريض الآمال :

– اتعرف يا اخي اين كنت الان ؟

– اين ؟

– كنت اجتاز بمخيلتي هذا البحر الفسيح .. في رحلة قد يطول امدها .. كنت احمل حقيبتي مهاجرا .. ساعيا نحو مستقبل مضيء رحيب .. ولست في الهجرة الاول ولا الآخر .. الطيور تهاجر مع الخريف طلبا للدفء .. وافواج الناس من سوريا ولبنان وفلسطين يرتحلون كل يوم الى المهاجر – الى مصر والسودان والامريكتين وغيرها من بلاد الله .. وهانذا قد اتممت في هذا الشهر دراستي الثانوية كما تعلم .. واصبح ميداني هناك – وراء البحر!.

– والى اين يا خليل ؟

– الى الشاطىء العربي القريب .. الى الاسكندرية – عروس البحر – هناك ساتابع دراسة اعلى .. ساشتغل .. واكتب وانظم .. في جو متحرر مضياف .. الاهل هم الاهل .. واللغة هي اللغة .. والعروبة .. والطقس .. والبحر .. لا فرق .. ساسبقكم اليها ، وستلحق بي انت والاسرة جميعا .. وهكذا سأقفو اثر الشاعر الحبيب الذي هاجر الى الاسكندرية منذ ستة عشر عاما – فتى في العشرين – هربا من عيون عبد الحميد .. هناك يملأ خليل مطران الوادي بشعره وقلمه !.

وقال اخوه في عزم : واني لاحق بك بعد قليل !

وفي شهر اكتوبر عام ١٩٠٨ – ودع خليل شيبوب والديه وشقيقه وشقيقتيه .. وترك بيته ومسرح طفولته وصباه.. ونزل بالاسكندرية .. صبيا في السابعة عشرة ليتخذها وطنا ثانيا .. وليقضي بها بقية العمر ..

وبعد اعوام قلائل ، لحق به شقيقه الاديب صديق شيبوب عام ١٩١٤ .. وكانت الحرب العالمية الاولى قد شبت نيرانها .. ومعه البقية الباقية من الاسرة .. واستقروا جميعا بالاسكندرية ..

ولم يدر في خلد الفتى يوم استودع في اللاذقية والديه ، انهما لاحقان بربهما بعد قليل ، وان قبريهما سيكونان هناك فوق تلالها .. فقد نعي اليه والده في ربيع ١٩١٣ ونعيت اليه امه بعده في نهاية العام التالي ..

* * *

ولد خليل شيبوب باللاذقية في ٢٨ من يناير عام ١٨٩٢ .. وقضى بها الاعوام السبعة عشرة الاولى من حياته ، بين اسرة قوامها ستة افراد ، والدين واخوين واختين ..

وكان والده يحب القراءة في كتب الادب .. ولكن عينيه لم تساعداه عليها .. فكان يكلف ولده الاكبر خليل مرة ، وولده الاصغر صديق مرة اخرى ، بالقراءة له . فهما من تلاميذ المدارس .. وكان اكبر الصبيين يجيد القراءة والالقاء .. فيطالع لابيه قصة « عنترة » وامثالها .. وكذلك كان يلجأ اهل البلدة الى الصبيين ليقرءا لهم .. فاعانهما ذلك على التمرس بالمطالعة منذ الصبا .. وحبب اليهما قراءة كتب الادب ودواوين الشعر .. وتعلق خليل بشعر عنترة ، وراح يحفظه ويترنم به ، ويحاول تقليده .. كما كلف بعد ذلك بالمتنبي وقصائده ..

وكان الشقيقان قد التحقا « بمدرسة الفرير » باللاذقية .. وكان بها درس يومي للغة العربية وادبها ، يقوم بها « فرير » (أخ) عربي لبناني ، مولع بالشعر ويشجع تلاميذه على نظمه ، ويقرأ لهم ما يروقه من القصائد العربية .. كما كان يدرس الادب الفرنسي والاغاني الفرنسية بتلك المدرسة .. واغرم خليل بشعر لامرتين وهوجو وخاصة بشعر دي موسيه ، وبكتابات روسو وشاتوبريان .. فله من خياله المنطلق وشبابه الغض ، ما وثق بين قلبه وبين الرومانسية الفرنسية ..

وأذ كانت تلك المدرسة تابعة لارسالية مسيحية ، فقد كان بها ايضا دروس فى الموسيقى والترانيم الكنسية، طبعت شعره فيما بعد بطابع موسيقي رقيق ..

وكان خليل شيبوب سريع الحفظ ، فاستظهر الكثير من الابيات الشعرية ، العربية والفرنسية ، كما كان يجيد التمثيل فى حفلات المدرسة آخر العام ..

وكرت الاعوام .. واتم خليل تعليمه الابتدائي والثانوي بمدرسة الفرير هذه .. وتخرج فيها فى شهر يوليه عام ١٩٠٨ وقد نيف على السادسة عشرة ..

اما خارج المدرسة والبيت ، فكانت ثمة البيئة الطبيعية الغنية بجمالها ، تسحره صورها وتفتنه مناظرها.. فالبحر الذي كان يحبه ويلازمه ، يمتد امامه رحيبا رائع الالوان.. والجبال والتلال .. والمراعي والمزارع .. واحراش شجر الفاكهة المتنوع الثمر ..

وحمل خليل شيبوب هذه المؤثرات الاولى معه الى الاسكندرية .. فهو الفتى المشبوب الخيال ، المرهف الحس ، المحب للجمال ، الكلف بالشعر العربي والفرنسي، وبالموسيقى الشرقية والغربية .. وتصادفه ها هنا فى البيئة الجديدة مؤثرات اخرى تتفاعل بها نفسه على مر السنين ، وتوالي التجاريب .. وشاءت المقادير ان يفجع الشاعر فى والديه الحبيبين فى بدء عهده بالاغتراب .. فقضى والده باللاذقية فى ربيع عام ١٩١٣ وارسلوا الى الشاعر نعيه وصورة جنازته فرثاه بالقصيدة الباكية « القبر » التي نظمها فى ابريل من ذلك العام ومطلعها (١) :

على سفح ذاك التل من جانب الحمى له جدث فى الارض قد طاول السما
مطل على البحر المحيط وقد حوى اجل من البحر المحيط واعظما
احاطت به الاشجار وهي كانها حزانى لديه شاكيات تالما
ابي كنت تنسي اليتم كل ميتم بموتك اضحى مرتين ميتما
توسعت فى المعروف حتى ملكته وحيدا فلما رحت راح مقسما
وكنت كبير العقل والقلب والنهى وكنت الابر المستحب المفخما
وكنت طهور النفس والدين والحجى وكنت الابي الاريحي الميمما

وتنتقل امه الى جوار ربها بعد ابيه بعشرين شهرا ، فيعود الاسى يتفجر فى قلبه ويعاوده الحنين الى بيته وصباه واهله .. فينظم فى شهر فبراير عام ١٩١٥ اغنيته الحزينة: « نظرة الى الماضي » ، يضمنها شيئا من ذكرياته عن بيته ومسرح طفولته ، وعن اسرته التي كان قد خلفها وراءه على خير حال ، وسافر وحده ليأته فى غربته نعي ابيه وامه .. وفيها يقول (٢) :

يا منزل الفتيان والفتيات ضاعت عليك شبيبتي وحياتي
وبقيت فيك مخلد الحسرات!
ودفنت فيك مودتي ووداد واطلت عنك تغيبي وبعادي
وجهلت بعدك مورد اللذات .
فطمونني عنك طفلا لاهيا في غفلاتي
تاركا صحبا واهلا تاركا فيك حياتي
فنزلت فى ارض الغريب وحيدا متحملا باس الزمان شديدا
طاوي الضلوع على لظى الجمرات

انا كنا جميعا ستة امات وأب
رزقا اربعة غرا ميامينا نجب
فتفرق الابناء قبل اوان أسفا وغيب فى الثرى الابوان
فى فترة حسبا مع الاموات
علا ذكرت ابي وطول حنانه وسناء طلعته وحر جنانه
وكمال اخلاق وغر صفات ؟
لم تنس امي وهي جوهرة الحمى بنت الطهارة اخت سكان السما
نزل الكمال بها بأكرم ذات !
انها عاشت حزينة بعده عشرين شهرا
وهي للداء رهينة تحسب الليلة دهرا

ويعاوده حنينه الى مسقط رأسه ، فينشد :

النشاة الاولى وسالف عهدها كانت اصولا قد زكت بفروع
لعب الزمان بها ولم يترك سوى وجد عليها فى الفؤاد رجيع
يا جيرة « النهر الكبير مدامعي » لنم تسيل كمائه الممنوع
هل نهلة منه تبرد لوعة طاحت بقلب عنكم مدفوع
اني يؤرقني اليكم هاتف بكم يؤجج حسرتي ونزوعي
والله ما طول البعاد بآخذ مني ولست لعهدكم بمضيع
وبمهجتي اعلاق وجد لم تزل تذكي قديم صبابتي وولوعي !

ويبدا خليل شيبوب حياته الجديدة بالاسكندرية ، ويتخذها ـ كما سلف ـ وطنا ثانيا الى يوم وفاته .. فكانت مسرح شبابه ومهبط وحيه الجديد ، وميدان نشاطه الوافر .. واحبها الشاعر ، ونظم فيها وفى بحرها وشاطئها ومصايفها غرر القصائد ..

وكان وصوله اليها فى خريف ١٩٠٨ وقت ان نشر مطران ديوانه الجديد : « ديوان الخليل » وسطع نجمه فى افق الشعر الوجداني الجديدي ، المتألق بالمعاني المبتكرة والتعابير الجزلة .. وسرعان ما وجد فيه شيبوب ضالته وقدوته..

وكان خليل مطران قد سبق صاحبه الى الاسكندرية مهاجرا منذ عام ١٨٩٢ يوم كان فى العشرين . وما لبث ان لفت اليه الانظار منذ ان وقف بين الجموع فى جنازة سليم تقلا صاحب « الاهرام » يرثيه بقصيدة رنانة ، وحين استدعاه بشاره تقلا ليكتب فى « الاهرام » ـ وكانت تصدر فى الاسكندرية يومذاك ـ فظل مطران بضع سنوات يراس تحريرها بصفة غير رسمية حتى تركها حين لم يكفه مرتبه.

وبالاسكندرية تعرف خليل شيبوب بمطران .. وما يكاد مطران يلم بالاسكندرية بعد انتقاله الى القاهرة فى فترات متقابلة حتى يسرع الى لقائه الشيبوبان .. وظلوا كذلك حتى انتقل مطران الى رحمة الله عام ١٩٤٩ ولحق به خليل شيبوب بعد عامين ..

وترى شيبوب منذ عام ١٩١٧ ينظم قصة بعنوان «سليم وسلمى » على طريقة مطران فى قصصه المنظومة ، ويتوجها بعبارة الاهداء (٣) :

الى نادرة العصر وعلم النظم والنثر
مجدد الصناعتين ونابغة القطرين
خليل مطران

ثم يعود فيصف قصته هذه ويقول انه صاغها فى قالب لولا مطران ما كان جديدا ..

ويبادله مطران التحية فيكتب مقدمة لديوان شيبوب : « الفجر الاول » الذي صدر عام ١٩٢١ ويبداها بقوله (٤) :

«خليل شيبوب صديقي . ارادني لاقدم ديوانه . حبا للخليل وكرامة . خلته مستحييا مما يسومني . ما اعظم تواضعه . تا لله انه ما كان مجشمي صعبا الا ان يدعوني الى غير ما الفت من الصدق . وهذه فرصة اشكرها له لانه قيض لي بها ان ابدي رأيي في الضرب الذي آثره من الشعر على سواه . اقول من الشعر وارجو ان يفرق القارىء كما فرقت بين معنى الضرب من الشعر ، وبين معنى الضرب في النظم ... »

ويشير الى هذه الصلة الروحية بين الشاعرين، والى هذا الاثر الذي تركه مطران في شيبوب يسجله صديقهما المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم في بحث نشره عام ١٩٣٨ بمجلة « المقتطف » وفيه يقول (٥) :

« .. وفي ذلك الوقت كان رحيله (اي خليل شيبوب) الى مصر ، ووقوعه تحت تأثير مطران ، الذي وجد فيه اصدق شاعر عربي في التعبير عن الاحساسات والخيالات التي تجيش في نفسه ، متخذا طريقة في النظم لا تنافر اوضاع العربية، وفي الآن نفسه تليق للروح الجديدة التي يحملها. ومن هنا جاء احتذاء خليل شيبوب لمطران في شعره .. فانت ترى شيبوب ينسج في شعره نسج مطران . فهو يقول الشعر على اعتبار وحدة الشعور ، واطراد الخواطر ، وتسلسل المشاعر ، واتساق المعنى . وهو يعمد في التعبير عن ذلك الى نفس اسلوب مطران الشعري . ففي شعره نفس التركيب الذي عند مطران ، ونفس التنسيق المنطقي، وايجاز الجمل ، وقوة التعابير ، وجزالة الالفاظ . فضلا عن وحدة الصناعة الفنية التي تبتعد عن الجري وراء المحسنات الكلامية ... » ويقول :

« وانت يمكنك ان تلمس عند شيبوب الكثير من الاغراض المطرانية من جهة المعنى والخيال . وهي منتشرة في ديوانه: « الفجر الاول » بصورة تستوقف النظر . فمن ذلك قوله (الفجر الاول ص ١١٠) من قصيدة « العينان » : (وحاك لخطاك اكفاني بما غزلا) فهي في صورتها الخيالية من مطران ونسج قصيدة « لا تنس » (الفجر الاول ص٢٣) وروحها تذكرنا بنسج مطران وروحه التي تنفعل بعناصر الشقاء في الدنيا، وتميل نحو التشاؤم . وهي تدل على وحدة المزاج بين الشاعرين . وهذه الوحدة هي التي مالت بشيبوب ان يتأثر بمطران في تحميل شعره صراع الطبيعة. (انظر قصيدة العصر ص ٢٤–٢٥) . وانت تجد تعابير شيبوب تنهج النهج المطراني . فقوله من قصيدة القبر « لست ارى صبحا ولست ارى دجى » ..

ولكن هناك ايضا فروقا بين « الخليلين » الشاعرين ، اشار اليهما اسماعيل ادهم في تلك المقالة اذ يقول :

« .. ونقطة الافتراق من جهة النسج، ان عبارة شيبوب اكثر موسيقية من عبارة مطران . وهذا يرجع الى ان شيبوب ذو وجدان موسيقي اقوى من وجدان مطران الموسيقي » .

ويقول : « اما من جهة الروح فشيبوب ينحو منحى مطران من جهة التركيب في المعنى والخيال والعاطفة . غير انه يفترق عن مطران في انه أقرب الى البساطة في تركيبه من جهة . ومن جهة اخرى فالاشراق اظهر فيه ».

ثم يقول اخيرا : « .. يمكن ان نقول ان خليل شيبوب امتداد مطران الطبيعي نحو تضمين العواطف في الطبيعة بصورة اكثر انفراجا ورحابة من مطران . وهو في هذا تقدمة للدكتور احمد زكي ابو شادي الذي تنفرج عنده عاطفته بالاندماج في الطبيعة حتى تذوب ذاتيتها في الشمول الكوني .. »

تلك خلاصة اوجه الشبه والافتراق بين مطران وشيبوب . على ان اعجاب شيبوب بشعر مطران التجديدي المتأثر بالشعر الاوروبي ، لم يبعده عن دراسة الشعر العربي قديمه وحديثه .. فقد كان مثلا معتزا بشعر المتنبي ، يتأثره في قدرته على ايداع المعاني الدقيقة في يسير من اللفظ الجزل . وبحثه عن « غزل المتنبي » يوحي باعجابه بهذا الشاعر، وافتتانه بصياغته الاسلوبية (٦) ..

وقد عالج خليل شيبوب النظم منذ حداثته .. ولئن كان شيبوب الى جانب ذلك كاتبا ومحاضرا وقانونيا ، فقد كان شاعرا اولا واخيرا ، ينظم الشعر منذ كان في العشرين.. وتعود قصيدته : « النور والحياة » التي نظمها عام ١٩١٢ الى ذلك العهد الباكر (٧) ..

ثم تتابعت اشعاره بعد ذلك ، فجمع ما نظم فيما بين ١٩١٢ ونهاية ١٩٢٠ (في نحو تسعين قصيدة مختارة) .. ونشرها في ديوانه الاول المطبوع عام ١٩٢١ باسم : « الفجر الاول » .. وكان في الثلاثين من العمر – مصدرا بمقدمة نثرية لمطران ، وبقصيدة لشوقي يقول فيها انه ليس للشعر قديم وحديث .. ثم بمقدمة لصاحب الديوان يشرح فيها مذهبه في الشعر .. وخلاصة هذا المذهب : (٨)

انه يجب التعبير عن المعنى الصحيح باللفظ الفصيح . وكل معنى لا يجدد في الذهن صورة نادرة ، او فكرة سامية فهو سقيم . وكل لفظ يصور المعنى بوجه التقريب ، او يكدر صفاء الصورة في الذهن ، فهو عقيم . ونحن اليوم الح ما نكون حاجة الى ابتكار المعاني ، وتنسيقها وجلائها ،

(١) ديوان « الفجر الاول » لخليل شيبوب ص ١٠–١٢ – (٢) الفجر الاول ص ٥٨–٦٣ – (٣) « الفجر الاول » ص ١١٧ – (٤) « مقدمة الى مطالع هذا الديوان » لخليل مطران – ص ١ : « الفجر الاول » – (٥) مجلة « المقتطف » مجلد ١٩٣٨ ص ٢٢٠–٢٢٢ « بحث مسلسل عن خليل مطران » – (٦) مقالة بالمقتطف عام ١٩٣٥ – (٧) « الفجر الاول » ص ١–٢ مؤرخة ١١ يوليه ١٩١٢ – (٨) عن مقدمة « الفجر الاول » بقلم صاحب الديوان – (٩) انظر « المقتطف » مجلد٨٤ و٨٥ و٨٧ – (١٠) مجلة الرسالة ١٩٣٩–١٩٤١ – (١١) ابولو مجلد ١ ص ٢٢٧ – (١٢) احمد الطاهر – « الاهرام » ١٩٥٣/٢/٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتعبير عنها بلفظ يلائمها . واللفظ للمعاني ثياب لا بد من اتقان صنعها ، والتوفيق بين الوانها وهيأتها لئلا تصير مدعاة للضحك والسخرية .. والشعور والخيال جناحان تطير بهما نفس الشاعر الى مراقي الفن الابدية . وترفرف بهما على الحياة تستشرفها استشراف الطائر وجه البسيطة. والفن شمس الحياة ، تنير مكامنها المظلمة ، وتدل على مخابئها البعيدة ، وتزيد في جمال صورها البارزة ، فتستجليها العيون على قدر ما اعطيت من قوة الباصرة . وقد امتزج الفن بالحياة ، وامتزجت الحياة بالطبيعة . وكأن الشعر روح تتنفس عنه هذه الطبيعة ، فوجب النزول الى معالجتها واستفتاح مغالقها ، واستيعاب حكمها ، واستيضاح زخارفها . وفي هذا من الجهد والصبر . ولا كمال في الشعر ، كما انه لا كمال في الفن ، والا ما كان هذا فنا وذلك شعرا .. »

ثم اشار الشاعر الى تأثرغيره من شعراء الشباب بالادب السكسوني ومجاراته في الترامي وراء العويص الشاذ من الخيال والمعاني. بينما كان الشرقيون ـ كمايقول ـ بطبائعهم وغرائزهم اقرب الى محاكاة المدنية اللاتينية . فاستقاء المذهب الرومانسي من منبعه (اللاتيني) اوفى بالحاجة واتم انطباعا على طبائعنا وحياتنا الشرقية ..

وقد كان هذا الرأي الاخيرموضوعا للمناظرة يوما في الصحف بين ادبائنا الذين يدرسون الادب الانجليزي، وبين الملمين منهم بالادب الفرنسي ..

وفي ديوان «الفجر الاول» تجد لوحات فنية كثيرة من شعر الوصف والتصوير كما في قصائده : « البحر » و « على شواطىء الاسكندرية » و « المتشاعر » .. ومن شعر الغزل كما في قصائده : « الثوب الازرق » و « العينان » و « عقد الكهرمان » ومن الشعر القصصي كما في : « سليم وسلمى » و « موقعة ابي قير » .. ومن التضمين للعواطف الذاتية كما في « الليل » و « شكوى » و « نجوى » .. كما تجد عددا من القصائد الرائعة في الحب والمراة ، وفي تصاريف الزمان ، واخلاق الناس ، والحيرة والشك والسخرية والاستخفاف بالنوازل ، والتسامح والرحمة . وبعد صدور « الفجر الاول » عام ١٩٢١ ، ظل خليل شيبوب ينظم الشعر طوال النصف الثاني من حياته . وينشر قصائده هذه في الصحف والمجلات . مما يجتمع منه الجزء الثاني من ديوانه . وكان يفكر في اخراجه باسم « احلام النهار » او بأسم اخر ..

فكنت ترى له بين الحين والحين في تلك الاعوام الثلاثين الاخيرة من حياته ، قصيدة منشورة في « البصير » او « الاهرام » او « الرسالة » و « ابولو » و « المهذب » و « الحديث » (بحلب) وغيرها ..

ومن روائعه المنشورة بالمقتطف : « غيوم الخريف » و « الزهرة السوداء » و « الغريبة » و « البنفسجة » (٩) وبمجلة الرسالة : «انت» ، و «العمر الضائع» ، و«انشودة»، و « العاطفة الحيرى » ، و « مهرجان الربيع » (١٠) .

كما لقيت قصيدة « الشراع » التي نشرها بمجلة«ابولو» الكثير من الاعجاب (١١) .

ويكاد يتفق النقاد في الراي على ان شعر شيبوب له الخواص التالية (١٢) :

ـ توسطه المتزن بين القديم والحديث ، وتوفيقه بين مذاهب النقاد التي تفرقت بين متعصب للقديم لا يرى الخير في غيره ومتشيع للجديد لا يعترف بسواه .

ـ ابرازه الصور والاخيلة الحديثة في اطار من الاساليب العربية الرصينة التي نهل منها شعراء العرب القدماء أمثال المتنبي وابي تمام والبحتري ..

ـ « مسايرته لنزعة التجديد التي جنح اليها الشعراء الفرنسيون في هذا العصر واخضاعه الاراء والاخيلة الغربية الحديثة لاساليب التفكير العربية الخالصة في عربيتها وفي شرقيتها اخضاعا لا يبدو فيه عسر الاكراه ولا عنف التسخير . فاستطاع ان يلبس الفكرة الغربية رداء عربيا ، فلا تجد في الرداء عيبا ولا في المرتدى غرابة . كأن لك بهما عهدا مألوفا » .

ـ « وبالمثل استطاع ان يصوغ الفكرة الشرقية العربية الخالصة في شرقيتها وفي عربيتها صياغة تجعلها اقرب ما تكون الى مسارب التفكير الغربي الحديث دون ان يشعر القارىء العربي بعجمة نابية على ذوقه او شاذة عن احساسه»

* * *

واحب خليل شيبوب البلاد المصرية ـ وطنه الثاني ـ وخاصة الاسكندرية ، التي قضى بها معظم سني حياته ، ونظم في مصر الابيات الرقيقة كما في قوله :

ارض كان حياضها وغياضها ... ورياضها ثوب الخلود المعلم
النيل يجري بالحياة مباركا ، ... خيراته موفورة والانعم
يحيي البلاد قريبها وبعيدها ... فكأن مصر الجسم والنيل الدم

وفي قصيدة له عن الاسكندرية يقول :

خطاب حسنك يا اسكندرية ما ... زالوا وما برحوا يوم الحفاظ هم
توحدوا فيك حبا ان طابعهم ... اسكندري فلا عرب ولا عجم
والحسن ما زال فردا فيك جوهره ... وجوهر الحسن فرد ليس ينقسم
البحر مقلته الزرقاء رانية ... اليك الحاظها في الماء تنسجم
يصفق الموج تصفيق الطروب وما ... ينفك في زحفة بالشط يلتطم
والبر حولك جم الانس منبسط ... اشجاره بهجات العين والاكم
مدت تصافحه الصحراء راحتها ... وجاورتك بحق ليس يهتضم
لم يعرف الروض زهرا فيه انضر من ... زهر الوجوه نماها ماؤك الشيم

كما يقول في الاسكندرية ايضا :

ثغر الجمال بنور الحب يبتسم ... عن الدراري عقدا فيه ينتظم
ماجت به بدوات السحر حافلة ... بها معاني الهوى فاستعصت الكلم
ايه سلمت عروس الشرق مزدهرا ... فيك الربيع، مضيئات لك الظلم
اضفت عليك الليالي وحي خاطرها ... حتى تحقق دون اليقظة الحلم
واستوعب الدهر رسما منك سطره ... بسيفه عبقري باسه عرم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد قبل الغرب فيك الشرق فالتقيا ... كما تلاقى على وعد فم وفم
فانت قبلة دنياوين اشربتا ... هواك حتى استوى وجد وسيطدم

وتراه فى مطلع شبابه يزور « ابو قير » من ضواحي الاسكندرية ، وكان الوقت شتاء ، فهجرها المصطافون ، وشعر بالحنين الى لياليها الصائفة فراح يقول :

ليال «ابو قير» اين الليالي ... واين النجوم التي تلمع ؟
« ابو قير » انت سمير الجليس ... ووعظك ابلغ ما يسمع !

وفاض خياله فنظم ملحمة صور بها احداث التاريخ فى ذلك المكان ، وما تترك فى النفس من عبر ، وكان ذلك فى نوفمبر ١٩١٤ والشاعر فى الثانية والعشرين . فاذا عاد الى « ابو قير » هذه راح ينظم قصيده اخرى : « ابو قير فى ضوء القمر »

وكذلك اوحى اليه البحر بالاسكندرية عددا من غرر القصائد ، ترى بعضها فى « الفجر الاول » ومنها القصائد المعنونة : «البحر» و «البحر مرآة الحياه» و «نظرة وخطرة على شاطىء البحر » و « على شواطىء الاسكندرية » و « ابو قير » كما تجد البعض الاخر منشورا فى الصحف بعد ظهور هذا الديوان ، ومنها : « شروق الشمس فى ابو قير » و « سيدى بشر » ..

اما « سيدي بشر » هذه ، فمصيف برمل الاسكندرية ، اعتاد الشاعر ان يقضي به شهور الصيف ، فى بيت هادىء يطل على الرمال والنخيل .. فاوحى اليه هذا المكان شعرا رقيقا كما فى قوله :

نزلت سيدي بشر مستشفيا ... مما بصدري من اسى نازل
فى جنة صيرتها عزلة ... ليس بها غيري من آهل
طريدة الجنات يثوى بها ... طريد هم لازب قاتل
صحراء الا ان واحاتها ... معروشة الاشجار بين الرمال
مثل بقايا الحب فى مهجة ... احرقها اليأس وكر الليال
قد حفلت بالحسن داراتها ... واتسقت فى صدرها كاللآل

وفى قصيدته : « جنة سيدي بشر » التي نظمها فى مايو ١٩٤٠ يقول :

يا دار حبي لا زالت مفتحة ... فيك الورود وجادت روضك الديم
بالامس خالية قفراء ليس بها ... الا الرمال والا النخل والخيم
واليوم ترتجل الجنات تربتها ... قد ينبت الرمل ما لا ينبت الاجم
يمشي الجمال رصيفا فى مساربها ... فالارض خاشعة والبحر محتشم
تنسى هواة صخور «المكس» صخرتها ... والموج عن جانبيها سادر خصم

* * *

كان الادب وخاصة الشعر منه ، هوايته الاولى والاخيرة — كما سلف — ولكن الادب لم يكن يوما سبيلا ممهدا للرزق .. فهو لهذا يلتحق بوظيفة فى « بنك الاراضي » بالاسكندرية ويظل عاملا نشيطا امينا لهذا المصرف سنوات طوال الى يوم وفاته ..

وقد دعته هذه الوظيفة الى دراسة القانون والاقتصاد ، فانتسب الى مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة ، ونال منها ليسانس القانون عام ١٩٢٦ كما درس بمدرسة التجارة الليلية الفرنسية ، وحاز اجازتها

ودعاه عمله هذا الى ان يبذل جهدا مضنيا ووقتا طويلا فى وضع « المعجم القانوني » الذي الفه وطبعه فى نحو ستمائة صفحة ، وظهر فى اواخر حياته فسد فراغا كبيرا فى هذا الفن اذ ترى به اللفظة الفرنسية وما يقابلها فى العربية مع كثير من الشرح والايضاح ..

والى جانب نظم الشعر الذي جعل منه شاعرا كبيرا من شعراء العربية فى هذا العصر ، فقد كان له مجالات ادبية واسعة اخرى :

فقد كان كاتبا وصحفيا ايضا.. وكنت تقرأ له عام ١٩٢٠ بجريدة « البصير » السكندرية، سلسلة من المقالات بعنوان : « بريد الثلاثاء » ظلت عدة اشهر .. وفى عام ١٩٣٦ اشترك خليل شيبوب مع ثلاثة شعراء اخرين من شعراء الاسكندرية فى ترجمة مختارات من الشعر الفارسي والهندي وغيره من شعر الشرق ، الى اللغة العربية نظما ، وصدرت تلك الترجمات المنظومة فى كتاب اسمه « قبس من الشرق » .

وفى سبتمبر ١٩٤٨ صدر لشيبوب كتاب عن « عبد الرحمن الجبرتي » (فى سلسلة اقرأ) وفى سنيه الاخيرة اخذ ينشر الابحاث الادبية بجريدة « الاهرام » .. اما محاضراته الادبية والتاريخية بالعربية والفرنسية فى اندية الاسكندرية ومحافلها الادبية فمتنوعة ومتعددة . ومنها محاضرته بكلية الآداب عن « الكلاسيكية والرومانسية » او كما سماها ايضا : « الاتباعية والابتداعية » . وكان قد دعته الى القائها « اسرة الادب العربي » بتلك الكلية ..

* * *

وكان لالمامه بالقانون والاقتصاد ، ثم الى شخصيته الاجتماعية البارزة ، ما دعا عددا من الهيئات الاجتماعية والخيرية بالمدينة الى الاستعانة بخبراته وخدماته . فكان يتطوع الى المعاونة .

فتولى سكرتارية « الجمعية الخيرية الارثوذكسية » بالاسكندرية ، وسكرتارية « مجلس طائفة الروم الارثوذكس الوطنيين » . وكان عضوا عاملا فى مجلس ادارة « الاتحاد العربي » ، وهي جماعة نشأت اولا بالقاهرة وكان لها فرع بالاسكندرية . وكانت تهدف الى جمع شمل العرب وتوحيد صفوفهم . وكان عضوا عاملا فى عدد من الاندية الاجتماعية والادبية بالمدينة . وكثيرا ما كانت تستعين به « جمعية الشبان المسيحية» بالاسكندرية هو وشقيقه الكاتب صديق شيبوب فى نشاطها الثقافي كالقاء المحاضرات العامة ، واقامة المهرجانات الادبية ، كمهرجان الربيع الذي اسهم فيه خليل شيبوب بقصيدة بديعة نشرت بمجلة الرسالة . ومطلعها :

مهرجان الربيع فـي الايـام ... فرحـة الكون تجتلى كل عام
وشباب الدنيـا يجدده الدهـ ... ـر بفيض من الحيـاة سجام

وكان خليل شيبوب قد تزوج عام ١٩٣٢ — وهو فى الاربعين — ولم يترك ذرية — ولم تشغله حياته العائلية الهادئة عن ذلك النشاط الثقافي والاجتماعي ، او عن نظم الشعر الرائع الوافر ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى عام ١٩٣١ ـ وقد مضى على ذلك ثلاثون سنة ـ اجتمع فريق من ادباء الاسكندرية من شعراء وكتاب وصحفيين ، ورأوا ان يؤلفوا هيئة ادبية تجمع شملهم ، وتنشر نتاجهم على الناس فى مطبوعات او محاضرات ، فتخدم بذلك الحركة الثقافية بالمدينة . وتأسست هذه الهيئة فى ذلك العام (١٩٣١) ووضعت لها قانونا ونظاما ، وسميت « جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية » . واختير الشاعر خليل شيبوب رئيسا لها . ولما تخلى عن رئاستها بعد ثلاث سنوات ظل بها العضو العامل الملهم الى آخر حياته ..

ولم يفتر نشاط هذه الجماعة الا فى سني الحرب العالمية الثانية بسبب الغارات الجوية على الاسكندرية وغيرها . ثم استردت نشاطها بعد انتهاء تلك الحرب وظلت هذه الجماعة عاملة على نشر الثقافة بالمدينة بشتى الطرق .. فهي تارة تدعو مشاهير الادباء من مختلف البلاد الى محاضرات عامة يلقونها فى مقر الجماعة .. وهي تارة اخرى تقيم المهرجانات الادبية ، كالمهرجان الذي اقامته لابن خلدون وكمهرجان الربيع (وفى هذه السنوات الاخيرة مهرجانات : شوقي ، وحافظ ابراهيم ، والبارودي ، وصلاح الدين الايوبي) ..

واصدرت هذه الجماعة مرة عددا خاصا من صحيفة « السياسة الاسبوعية » ، قام اعضاؤها بتحريره ، فسجلوا به الكلمات التي القيت فى « مهرجان ابن خلدون » ومقالات غيرها .. ثم انشأت الجماعة فصولا تلقى فيها الدروس ـ شبيهة بالجامعة الشعبية اليوم .. تطوع بعض الاعضاء الى تدريس التاريخ العربي ، والادبين العربي والفرنسي بها . وكانت فى نهاية العام تعقد امتحانا وتوزع الجوائز .. وكان خليل شيبوب يدرس بها الادب الفرنسي ويدرس اخوه صديق شيبوب تاريخ العرب ... وهكذا

وكانت هذه الجماعة ـ ولم تزل ـ تطبع الكثير من محاضرات اعضائها ومقالاتهم وشعرهم فى مجموعات او فى نشرات .. وما برحت « جماعة نشر الثقافة » بالاسكندرية عاملة نشيطة ، تضم عددا من ادباء الثغر ، ويرأسها اليوم صديك شيبوب ، الكاتب الصحفي ، والمحرر بجريدة « البصير » .

* * *

وكان خليل شيبوب ـ رجل المجتمع العامل ، كثير الاصدقاء والخلان .. معروفا لدى الطبقات المثقفة خاصة بالاسكندرية ، ولدى الكثيرين فى بلاد الشرق العربي .. ومن لم يره منهم فقد عرفه من شعره ونثره ..

ولا اخاله كان يستمتع باوقات الفراغ ، يقضيها مع نفسه وشعره الا فيما ندر . فكنت تراه بين اصدقائه فى الاندية والجمعيات والمحافل الادبية ، واخيرا فى بعض « كازينات » الشاطىء المطلة على البحر .. او فى بيته الانيق بحي الابراهيمية بالرمل . او فى «الفيلا» التي كان يستأجرها فى الصيف بسيدي بشر .. وكنت تراه احيانا فى بعض امسيات الصيف فى «كازينة بترو» فى «السراي» بالرمل ، جالسا فى ندوات ادبية خاصة مع خليل مطران ، واخيه صديق شيبوب ، والادباء حنا سركيس ، وجبران النحاس ، وعبد اللطيف النشار ، وفيلكس فارس ، وبشر فارس ، وعثمان حامي ... وغيرهم من ادباء الاسكندرية .. او من زائريهـــا ..

وفى فجر شبابه كان شيبوب ومطران وانطون الجميل « صاحب مجلة الزهور » ، يترددون على محل صغير لبيع السجاير ملاصق لفندق « سيسيل » بالاسكندرية ، فقد كان صاحب هذا الدكان شاعرا يبشر شعره بمستقبل عظيم ذاع فيما بعد فى المهجر الامريكي وفى بلاد الشرق .. هو الشاعر ايليا ابو ماضي ...

* * *

عرفت خليل شيبوب قبل ان اراه .. وذلك فى ديوانه « الفجر الاول » المطبوع عام ١٩٢١ ـ وكثيرا ما نعرف كبار الناس من آثارهم قبل ان نقابلهم .. ولا سيما اذا كانوا شعراء .. فالشاعر يفشي دخيلة قلبه فى شعره مهما لجأ الى الرمز او الكناية .. فهو يحدثك عن امله ويأسه ، وحبه وبغضه ، وقوته وضعفه .. ويصور لك حياته بل وحياة من يعرف من الناس ، فى شريط سينمائي مزدان بالالوان والاخيلة .. وكنت طالبا بالمدارس ، واغراني يوما صاحب مكتبة « العرب » بالقاهرة ـ يرحمه الله ـ على شرائه ، فاحتفظت به الى الان .. وكنت اتصفحه بين الحين والحين ، وازداد تفهما لمعانيه على مر السنين .. فى هذا الديوان عرفت شيبوب الشاعر والرجل .. المحب لصور الجمال ـ حيه وجماده ، المترنم بالحب ، المتغزل بالحسان ، المتارجح بين الامل واليأس ، الباكي الشاكي ، والضاحك الساخر ، الراتع على شواطىء الاسكندرية ، المتأمل امام البحر وامام القبر ، الداعي الى الرحمة والسلام والتسامح ، الحائر المتسائل ، المتعلق بين الشك واليقين ، الباحث عن معنى الحياة ، وحلول المعضلات ، الغائص فى عواطفه الذاتية يحللها ويفلسفها ..

وسمعته ينشد :

رأيت نساء كالصباح صباحة ... ترف عليهن البشاشة والبشر
مشين خفافا لاهيات كأنما ... يشق عمود الليل فى المشرق الفجر
ومسن بقد الخيزرانة ناعما ... ورحن بثغر الاقحوانة يفتر
لقد كن للقلب المقطع بلسما ... ويسرا لذى عدم اذا ذهب اليسر
مررن كما مر النسيم مهيما ... ونمن فلا عرف هناك ولا نكر
وزال عبير كن ينشرن طيبه ... وصرن ترابا.. هكذا يذبل الزهر!

وينـــاجي البحر :

جلست وجفني جاريات سواكبه ... اليه اشاكي الاسى واعاتبه
موائق ايام الشباب الذي مضى ... به الدهر وهاب الشباب وسالبه
نفضت يدي الا من الشعر انه ... عزائي اذا ما الدهر جلت نوائبه
احلى به الآمال ثم اعيدها ... عرائس يجلوها الهوى وغرائبه
ففيك لقلب المستهام استراحة ... اذا عثرت امـــاله ورغائبـــه

ولما انتقلت الى الاسكندرية ، سنحت بعض الفرص للقاء الشاعر ، والتحدث معه ، والاستماع الى محاضراته .. ودعوته مره مع بعض الادباء الى منزلي فجاء فى الموعد ، وتشعب الحديث فى كل واد .. ثم دعانا بدوره الى مصيفه « بسيدي بشر » فى احدى امسيات اغسطس عام ١٩٥٠ .

من كان بين السامرين الضاحكين فى « فرندة » الفيلا الجاثمة على رمال « سيدي بشر » فى تلك الليلة الصائفة ، المقمرة ، يظن ان ملك الموت كان ايضا بين الجالسين ، يضحك ، ولا تراه عين ولا تسمع ضحكاته اذن ؟!

كنا خمسة او ستة دعاهم خليل شيبوب لتناول الشاي فى تلك الصومعة .. وجلسنا فى الشرفة المطلة على الاشجار والرمال .. وكانت الليلة صافة مقمرة .. والنسمات لطيفة مسكرة .. وتشعب الحديث وطاف فى كل مدار — في الكتب والكتاب، والشعر والشعراء، والراحلين والاحياء.. وراح خليل يقص الكثير من النوادر والذكريات .. كان محدثا لبقا ، قوي الحافظة .. ثم انشدنا شيئا من شعره فى صوت هادىء رائق .. ومن ذلك :

يا حسن هذي الليلة القمراء ممزوجة الظلام بالضياء !
مثل امتزاج اليأس بالرجاء والبحر بالسكون والصفاء !

ثم قمنا لنتمشى فى قيافي « سيدي بشر » فى رعاية القمر وربة الشعر .. نتحدث ونضحك ..

من كان يستطيع ان يستشف الغيب المحجب ، فيعلم انه لن تنقضي خمسة اشهر على تلك السهرة ، حتى يفارقنا خليل شيبوب .. ولا يعود الى هذا المصيف ، ولا الى هذا العالم كله .. وتصبح حياته صفحة من الذكريات ..

مرت بخاطري ذكرى تلك الليلة، او ذلك الحفل التوديعي، بينا كنت اسير مع الموكب الصامت الحزين فى امسية ٦ فبراير عام ١٩٥١ ، فيما بين منزله بالابراهيمية وبين مثواه الاخير بالشاطىء !.

كان من السهل ان تدرك — اذا لم تكن قد عرفت هذا الرجل — من ذلك العدد الوافر من الاصدقاء المطرقين المحزونين الذين شيعوه فى ذلك المساء ، وممن جاءوا ليرثوه فى ذكراه السنوية فى الاندية ، ويذكروا مناقبه صادقين ، ان هذا الرجل كان مقربا الى قلوب الناس .. ولعله لم يعرف طيلة حياته تلك الخصومات والمهاترات ، التي عرفها كثيرون غيره من رجال القلم .. فكانت سفينة حياته تسير به خلال اعوامها الستين فى بحر هادىء، قليل العواصف.. ولهذا خرج شعره شبيها بنسمات البحر فى الليالي الصائفة .. ولهذا ايضا لم يلجأ المصورون لمثل هذه الحياة الى غير الالوان الهادئة والاضواء الصافية !..

الاسكندرية — **نقولا يوسف**

دار المعارف لبنان ش.م.ل.
بناية العسيلي — السور — ص.ب ٢٦٧٦ تلفون ٢٣٥٧٤
تقدم مجموعة من روائع مصورين الطريفة المنتزعة من صميم الحياة الشرقية الحية، فى محاورها القضايا النفسية والاجتماعية والاخلاقية، وتصور مع فنها الرائع على الصفحة ما تكون !
ضمير الذئب
وقصص أخرى
تأليف مظفر سلطان
ثمن النسخة ٣٠٠ ق.ل. أو ما يعادلها
تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

دار المعارف لبنان ش.م.ل.
بناية العسيلي — السور — ص.ب ٢٦٧٦ تلفون ٢٣٥٧٤
تقدم للقارىء العربي مجموعة من القصص الشهيرة لأدباء عالميين من الطراز الأول
التضحية الكبرى
وقصص أخرى
ترجمة أديب مروه
ثمن النسخة ٣٠٠ ق.ل. أو ما يعادلها
تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

مأساة حسناء

كان يحبها وتحبه ، وكان يمني نفسه بزواجها ،ولكن الدهر القاسي ضرب بينهما بجفوة عميقة!!
فلما خطبت لغيره ثارت فيه احط نوازع الانسان : من حقد وكراهية وحسد ،
فترصدها فى ليلة زفافها ، وسكب على وجهها ماء النار !! فتركها
ـ كما روت الصحف ـ فى طرفة عين مسخا مشوها

يا مذل الجمال عشت ذليلا ... وحملت الحياة عبئا ثقيلا !!
الجنايات فى الطباع ، ولكن ... ما رأينا لما جنيت مثيلا
هيكل من محاسن شاده المبـ ... ـدع غادرته كثيبا مهيلا
روض حسن يندى اريجا وظلا ... تركته يداك قفرا محيلا
درة من عقائل البحر عذرا ... ء هي اليوم لا تساوي فتيلا
يا لحاك الذي اقام من الحسـ ... ـن على صنعه الجميل دليلا
انت «قابيل» ذلك العصر لؤما ... ليت « حواء » لم تلد قابيلا
ليت حواء لم تلد ذئب سوء ... ليس ترضى به الذئاب سليلا

* * *

لهف نفسي على غزال ربيب ... كان ملء العيون عرضا وطولا
لهف قلبي على مهاة حجال ... تركتها حوادث الدهر « غولا »
لهف عيني على جبين صقيل ... لم يعد ناعما ولا مصقولا
لهف شعري على محيا قسيم ... يمنح النفس نظرة وقبولا
كان صبحا زاهي الشعاع ، وبدرا ... يأفل البدر ، وهو يأبى الافولا
لو رآه الحزين سري عنه ... وانثنى بالفؤاد رطبا بليلا

* * *

الشباب الطروب بات حسيرا ... والجمال العزيز صار ذليلا
والمحيا الوضيء عاد ظلاما ... واللحاظ القتول راح قتيلا
والاماني العذاب دار عليها ... « زحل النحس » فاستطارت فلولا
ومجالي الافراح لم يبق منها ... غير ما يبعث الاسى والعويلا
والعروس العروب ردت الى البيـ ... ـت تجر الهموم فيه ذيولا
البستها الايام ثوب حداد ... كان من حلة الزفاف بديلا
تتجافى عن المرايا ، وكانت ... بكرة ـ تستشيرها ـ واصيلا
حذرا أن ترى خميلة حسن ... رعت النار زهرها المطلولا
ومشت فى اديمها الناعم البض ... فما غادرته الا طلولا
واستباحت فرعا من التبر اصفى ... كان يزهو برأسها اكليلا

* * *

كيف هانت عليك من كنت تهوا ... ها ، فأوسعت حسنها تنكيلا
ليت كفا مدت اليها بسوء ... ذهبت للسباع شلوا اكيلا

لم تكن مغرما ، ولم تك صبا ... انما كنت غاويا ضليلا
تعشق الحسن شهوة ، وتراه ... كفلا رابيا ، وخصرا نحيلا
وثديا نواهدا ، وعيونا ... موه السحر طرفها المكحولا
وترى الحب قبلة وعناقا ... ووصالا سمحا يبل الغليلا
ان من يحسب الغرام متاعا ... ليس الا على الغرام دخيلا
هو ذل ، وشقوة ، وفناء ... فى حبيب تبغي اليه وصولا
كنت احرى بأن تعيش معنى ... « قيس ليلى » فى حبه او «جميلا»
فاذا رحت من هواها خليا ... فلك العذر ان تكون عذولا
انما كنت تعشق الجسم لا الرو ... ح فلم تبصر الجمال الاصيلا
لو فهمت الجمال معنى نبيلا ... كنت فى حبك الجمال نبيلا
هو اعلى ما فى الحياة واغلى ... وهو سر اعيا مداه العقولا
انما الله فى النفوس جمال ... مثلته اثاره تمثيلا
فى الوجوه الملاح ، فى الكوكب المشـ ... ـبوب ، فى الروض ، فى النسيم عليلا
كم ضللنا سبيله فلمحنا ... آية منه ، فاهتدينا السبيلا

* * *

ما على الحسن ان يعيش كما شا ... ء له الخالق الجليل ، جليلا
ليس فى الحق ان ذات جمال ... عبقري تهوى غبيا جهولا
يأنف الشعر للجمال المعلى ... ان يراه للجاهلين وصولا

* * *

يا فتاة القت عليها الليالي ... فادح العبء فى سنيها الاولى
سلبتها حلى الجمال ، وبزت ... شارة الحسن ، والصبا المعسولا
حمل الشعر عنك شطرا من الهم ... وسلى فؤادك المبتولا
قد شجاه ما قد شجاك ، وحق ... ان يواسي حر القريض الثكولا
انما الشعر للجمال خليل ... والخليل الوفي يرعى الخليلا

* * *

وعزاء !! فكل وجه صبيح ... منتهى حاله الى ان يحولا
كل حسن يبلى ، وكل جمال ... شعلة تنطفي قليلا قليلا
كم رأينا حسناء شاهت ، وكانت ... قرة للعيون دهرا طويلا
رب طرف بلحظة منه يردي ... ثلم الدهر سيفه المسلولا
رب خد ينمى الى الورد لونا ... واريجا قد بات يشكو الذبولا
رب ثغر يزري بثغر الاقاحي ... جف منه الجنى ، وكان شمولا
ربما كنت بالملاحة تشقين ... وكم اتعب الجمال جميلا

القاهرة — **علي الجندي**

عضو لجنة الشعر بالمجلس الاعلى

كل شعر ينشر فى صحف ومجلات الاقطار الشقيقة بدون هذا العنوان ، فهو لسميي الشاعر السوري المبدع علي الجندي .

في بواعث البغاء

بقلم الدكتور عدنان الخطيب

البغاء ، معرفا بانه الاتصال الجنسي غير المشروع ، ظاهرة اجتماعية عميقة الجذور ، رافقت البشرية منذ اقدم عصورها ، لانها حتمية الوجود في اي مجتمع انساني ، اذ هي تتصل بالغريزة الجنسية في الانسان ، وباندفاع الرجل او المراة في اشباعها في فترة من فترات عمرهما ، على ان الحكم على البغاء في تاريخه الطويل برفقة المجتمعات البشرية في العصور الغابرة ، يختلف باختلاف تلك المجتمعات واختلاف نظرتها الى العلاقة الجنسية بين الرجل والمراة في صورها الاجتماعية المتعددة .

والبغاء ، معرفا بانه مهنة يتكسب بها ، اصبح في كثير من المجتمعات تجارة ، اللذة الجسدية بضاعتها، وجمع المال غايتها ، لها اسواقها ولها وسطاؤها الجشعون ، لا يشبعون من اكل لحوم ابناء جلدتهم نيئة ، لا يردعهم عن عملهم خلق ولا دين ، ولا يخيفهم قانون ولا جزاء ، وبهذا غدا البغاء مشكلة من المشاكل الاجتماعية ، تهدد بخطرها الاخلاقي والنفسي والصحي اي مجتمع تبرز فيه او تشيع .

والبغاء ، وقد تطورت المجتمعات ، وتكاثف السكان ، وتقاربت المسافات بين انحاء العالم ، اصبح من المشاكل التي يجند ، في سبيل دراستها ومعرفة عواملها ، العلماء في مختلف الدول، يساعدهم الخبراء والباحثون والاحصائيون مستهدفين من دراساتهم القاء الاضواء على بواعث المشكلة وعوامل شيوعها ووضع ما يرونه من توصيات ونصائح ، الاخذ بها يدفع خطرها او يقضي عليها ، ولقد اخذ المشرعون في بعض الدول بنصائح العلماء وتوصياتهم ، ولكن النتائج اختلفت في هذه الدول باختلاف مدى الاخذ بعلاج المشكلة، ونوع التدابير التي امكن تحقيقها ، ومدى استجابة الناس لها بسبب ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ، وكاد البغاء يختفي ، الى حد كبير ، في بعض الدول ، بينما لم تبلغ التدابير المتخذة في بعض اخر بعض ما استهدفته او حاولت الوصول اليه .

اني ، وانا اشيد بجهود العلماء الذين درسوا مشكلة البغاء ، والقوا الاضواء على عواملها واسباب شيوعها ، احب ان اؤكد ، وقد اتجه بعض العلماء ، في تفسير عوامل البغاء وتحليل الدوافع اليه ، الى وجود نقص في تكوين المراة البغي من الناحية العضوية او النفسية ، ان المراة بطبيعتها وطبيعة الوظيفة التي هيئت لها ، لا تخلق بغيا ولا تستسيغ البغاء مهنة ومتكسبا ، اذا لم يدفعها الرجل الى ذلك دفعا ، واذا كان النقص في تكوين المراة ، وهي كائن حي لا ينجو من المرض ولا يسلم من الانحراف ، من العوامل التي تؤهلها للبغاء ، فان انانية الرجل وحدها ، اشد اثرا في دفع المراة الى البغاء من ما هو كامن في جسمها او نفسها ، والذي لولا رجل في حياتها لما ظهر ونما .

ان ظهور البغاء في مجتمع من المجتمعات ، حصيلة عوامل متعددة ، شأن البواعث التي تدفع المراة لاحترافه مهنة تتكسب منها ، غير ان العوامل الاجتماعية في رايي اشدها اثرا في ذلك ، فالبغاء كمشكلة تهدد كيان مجتمع ما، مرتبطة ارتباطا وثيقا ، بمستواه الحضاري وعدد سكانه وكثافتهم وطبيعة اقليمه الجغرافي ، وبالحالة الاقتصادية والمعاشية التي يقوم عليها ، وبمدى متانة الروابط الاسرية وبمركز المراة ومكانتها فيه ، وبموقف القانون او الاعراف والتقاليد في ذلك المجتمع من نصيبها في الميراث وحقها في التملك وطلب النفقة ، وبالمستوى الاخلاقي عند الناس ومقدار محابانهم الرجل في الواجبات الاجتماعية والاخلاقية .

انا لا احب البحث في العوامل التي توجد مشكلة البغاء في مجتمع ما ، او في البواعث التي تدفع المراة لاحتراف البغاء ، انما احب معالجة عامل يتصل بتطبيق القانون في ضوء نصوصه الحاضرة ، سواء في اقليمي الجمهورية العربية المتحدة او في الدول الاخرى ، ولا بد لي للتوصل الى الغاية التي انوخاها ، من استرعاء الانتباه الى اسلوب من اساليب البحث والدراسة قد يفيد في انارة جوانب من هذه المشكلة الاجتماعية ، تساعد على وضع الحلول العملية لدفع خطرها والقضاء عليه او الحد منه ، فقد درج العلماء والباحثون على دراسة الاوضاع المختلفة للمجتمع الذي تفشى فيه البغاء ، والعوامل التي ادت الى هذا التفشي او ساعدت عليه ، فاذا ما توصلوا الى ان عاملا معينا يعتبر من بواعث انتشار البغاء ، نصحوا باتخاذ التدابير التي تقضي عليه او تخفف من اثره في نشوء الخطر الوبيل ، وانا لا انكر فضل هذه الطريقة ، او اجحد قيمتها ، انما اريد الاستعانة ، في الوصول الى الغاية نفسها ، بدراسة مقومات المجتمعات التي لم يظهر فيها البغاء او التي لم تبلغ فيها مشكلته درجة الوباء او درجة الخطر يهدد افرادها في اخلاقهم وصحتهم ، واسرها في الروابط تشدها بنيانا متينا تعتز به ، وتدفع عنها غائلة الاعداء وكيد الطامعين والمستثمرين .

واذا عرفنا العوامل التي حالت دون ظهور البغاء ، او دون تفشيه كوباء خطر يستعصي على المكافحة في مجتمع ما ، امكن العمل على اصلاح مجتمعاتنا وتقويمها بحيث

* قدم الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع العلمي العربي ، والمستشار بمجلس الدولة ، واستاذ القانون الجزائي بكلية الشريعة في جامعة دمشق ، قدم هذا البحث الى الحلقة الاولى لمكافحة الجريمة للجمهورية العربية المتحدة المنعقدة في القاهرة من ٢ـ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٦١

تمتنع على الوباء يقوضها او يفتك فيها ، ولا فرق بين ان يكون ذلك المجتمع محل الدراسة من المجتمعات المثالية من جوانبها كافة ، او من حيث مشكلة البغاء نفسها ، وسواء اكان من مجتمعات حضارتنا الغابرة يوم كانت الفضيلة تحكم ، والعدل يسود ، أم كان من مجتمعات ريفنا الطاهر ، او مدننا الصغيرة التي لم تلوثها ادران المدينة المعاصرة ، ومخاطر الاختلاط بالغرباء والجنود وطلاب الجامعات ، او التي لم تبهر فيها انوار الحضارة الزائفة ، او تجرف لذائذ العيش الرغيد الاغرار من الاغنياء وذوي الدخل الرتيب ، او كان من المجتمعات الاجنبية عنا التي رأينا قادتها ينجحون في القضاء على البغاء ، او مكافحته والاقلال من مخاطره ، او قرأنا عن نجاحهم في ذلك او سمعنا به .

نظرة واحدة نلقيها على المجتمع الاسلامي ، في العصر الاول للاسلام ، والمجتمع الاسلامي مجتمع انساني لا يخلو من بذور البغاء ، ولا مفر لبواعث احتراف البغاء فيه من الوجود ، نجد ان الدولة بتشريعها العادل ، وبادارة عمالها الحكيمة ، وباخلاق الناس وتمسكهم بالفضائل وحب الخير ، وصنع المعروف ، وبعدهم عن الشر واقتراف الاثم والعدوان وعد محاباتهم الرجل القوي على حساب المرأة الضعيفة ، استطاعت ان تئد تلك البذور والبواعث من ان تعمل عملها الخبيث ، فلم يكن بغاء ولا كانت بغايا ، حتى البغاء بمعناه الواسع في اقتراف الزنى والاتصال الجنسي غير المشروع ، كان مجرد اندفاعات فردية ، يرجع اكثرها الى الانحراف الخلقي او النفسي ، او الميل الى الاجرام والاثام ، او حب الاستهتار والتحلل من قيود الفضيلة والاخلاق ، على انها لم تكن ظاهرة تشكل خطرا او تهدد كيانا .

لقد تركت لنا كتب التاريخ والفقه صورة ذلك المجتمع واخبار تلك الاندفاعات ، وانا اجتزأ من كل ما في تلك الكتب بقصة وببعض البادىء ، تؤيدني فيما اهدف اليه ، وتنير السبيل الذي نسعى فيه ، ففي السنن للبيهقي عن ابي عبد الرحمن السلمي : أتى عمر بامرأة جهدها العطش فمرت على راع ، فاستسقت فأبى ان يسقيها الا ان تمكنه من نفسها ، ففعلت ، فشاور الناس في رجمها ، فقال علي : هذه مضطرة ، ارى ان يخلى سبيلها ففعل ، قال الامام محمد بن قيم الجوزية : « والعمل على هذا لو اضطرت المرأة الى طعام او شراب عند رجل فمنعها الا بنفسها ، وخافت الهلاك فمكنته من نفسها فلا حد عليها ، فان قيل : فهل يجوز لها في هذه الحالة ان تمكن من نفسها ، ام يجب عليها ان تصبر ولو ماتت ؟ قال الامام هذه حكمها حكم المكرهة على الزنا ، التي يقال لها ، ان مكنت من نفسك والا قتلتك ، والمكرهة لا حد عليها ، ولها ان تفتدي من القتل بذلك ، ولو صبرت لكان افضل لها » (١)

وفي مختصر الفتاوي المصرية للامام ابن تيمية (٢) : (ومن يخاف من افساده يفعل به الامام ما يرى فيه المصلحة ، من نفيه او حبسه ، كالقوادة التي لا تتوب ، او ينقلها عن الحرائر وغير ذلك مما يراه ، وقد كان عمر (رض) يأمر بالاعزب ان يسكن بين المتأهلين ، وكذلك فعل المهاجرون لما قدموا المدينة ، وفي الصحيحين : « ان النبي (ص) نفى المخنثين وامر بنفيهم من البيوت خشية افسادهم للنساء فالقوادة شر من هؤلاء) .

ونحن نستنتج من هذه القصة والاقوال كيف ينظر المشرع الاسلامي والفقهاء المسلمون ، عند تطبيق القانون وتنفيذ التدابير التي يمليها الصالح العام حفاظا على الاخلاق العامة وتحقيقا لسيادة الفضيلة ، الى الرجل والمرأة كعضوين في المجتمع ، نظرة تسوى بينهما في الواجبات كما سوت بينهما في الحقوق ، واذا كان لا بد من التفريق بينهما في الواجبات ، كما دعت المصلحة الاجتماعية في التفريق بينهما في بعض الحقوق ، فالمرأة اولى بالرعاية لضعفها ، واحق بالحماية لقصورها عن الرجل في حماية نفسه وحفظه .

فهل نحن في مجتمع يسوي بين المرأة والرجل في الحقوق ، او يعدل بينهما فيما يلقى على كل منهما من تبعات وواجبات ، اني اود الاجابة على هذا التساؤل ، بالقاء ضوء على ناحية قانونية تتصل بتطبيق النص الذي يعاقب على اقتراف جريمة البغاء ، وانا اؤكد ان تطبيق النص على الصورة التي يراها بعض رجال القانون المسئولين عن تنفيذه من بواعث انتشار البغاء واسباب صعوبة استئصاله .

ان القانون في الاقليم السوري ، كما في الاقليم المصري والبلاد العربية وحتى الاجنبية ، يعاقب (من يتعاطى الدعارة او البغاء السري ...) او انه ، على الاقل لا يسمح بتعاطيه في محلات معينة . والتعاطي لغة التناول ، ويفيد

(١) أنظر الطرق الحكمية ص٥٣ طبعة القاهرة . (٢) تأليف بدر الدين البعلي ص٤٩٧ مصر ١٩٤٩ (3) pratiquer . (4) la prostitution

(٥) انظر شرحنا لقانون العقوبات السوري « القسم الخاص » م٥٠٩ ج٣/٢ ص٢٤٣ دمشق ١٩٥٣ (٦) انظر « شرح قانون العقوبات » م٣٣٨ ن٣ من الطبعة الجديدة باريس ١٩٥٦ ! Garçon

(7) complice. (8) auteur

(٩) انظر «المطول في القانون الجزائي» ج٥ ن٢١٦٢ ص٥٨٤ لـ Garraud

(١٠) انظر المادتين ٤٧٣/٤٧٤ من القانون السوري والمادتين ٤٨٧/٤٨٨

من القانون اللبناني . (10) le co-auteur

(١١) ذهب بعض شراح قانون العقوبات هذا المذهب وبه اخذت بعض المحاكم في الاقليم السوري . (١٢) انظر «المصدر رقم ٩ السابق » ج٥ ن٢١٦٢ ص٥٨٦ ـ والمصادر التي اشار اليها في الهامش رقم ٣٦ والمصدر التالي ذكره . (١٣) انظر « المصدر رقم ٦ السابق » م٣٣٨ ن٦٦ في الطبعتين . (١٤) القضاء في الاقليم المصري لا يعاقب الشريك في هذه الحالة . (١٥) لقد انتهت الحلقة الى توصيات هامة في مشكلة البغاء اولها ضرورة « المساواة في العقاب بين مرتكب البغاء وشريكه في الجريمة»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معنى الاخذ والعطاء ويقابله بالفرنسية فعل(٣) ويفيد معنى الممارسة والتكرار ، والدعارة والفسق والفجور ،والداعرة من تسلم نفسها للرجال يفسقون بها ، والبغي الزانية الفاجرة ، والبغاء(٤) عند رجال القانون ، « اباحة المراة نفسها لكل راغب لقاء اجر » او هو « تلقي الافعال الجنسية غير المشروعة من قبل الغير تحقيقا لشهواته ، سواء اكان هذا التلقي يحقق الرغبات الجنسية بالتقابل ام لا يحققها(٥) » وهو بهذا التعريف يشمل النساء والغلمان الذين يتعاطون الدعارة تحقيقا لشهوات الغير .

وكما ان القانون يعاقب على تعاطي البغاء ، يعاقب على اقتراف الزنى ، والزنى في القانون اقتراف المحصن بالزواج جريمة الاتصال الجنسي بغير زوجه .

ومن المتفق عليه بين علماء القانون الجزائي ، ان جريمة تعاطي الدعارة كجريمة الزنى ، لا يتم الركن المادي فيهما الا بفعل شخصين معا ، وان جريمة تعاطي الدعارة لا تشمل الا الانسان الذي يتلقى الفعل الجنسي من انسان اخر ،بينما جريمة الزنى لا تشمل الا الزوج الذي ينتهك حرمة عقد الزواج بفعلته رجلا كان او امراة (٦) ، اما الاخر فهو مجرد شريك اومتدخل في الجريمة (٧) ، وقد وجد من يقول بان الزاني بالمراة المتزوجة يعد فاعلا اصليا (٨) في جريمة الزنى، لانه اقترف معها الافعال المكونة للجريمة (٩) وقد وصف بعض المشرعين رفيق الزوج في الاثم بشريك الفاعل الاصلي (١٠) وقد جاء النص في اغلب القوانين يعاقب شريك الزانية دون شريكة الزاني في منزل الزوجية ، اما في جريمة الدعارة فلم يتطرق القانون الى النص على عقاب من يقترف الجريمة من اجل تحقيق شهواته ورغباته في الفسق والفجور ، فهل مسلك القانون هذا ، يفيد ان ينجو هذا الداعر من العقاب ؟

اننا لسنا من القائلين باعتبار من يرتكب جريمة الدعارة تحقيقا لشهواته ، فاعلا اصليا في الجريمة وهو الذي اشترك في ابراز عناصر فعلها المادي الى حيز الوجود ، او انه ساهم مباشرة في تنفيذها (١١) لان الجريمة التي اراد المشرع معاقبتها ، جريمة ممارسة عمل او مهنة ، لاجريمة اقتراف الفعل المادي بذاته ، ولكن هذا لا يعني اننا نشايع من لا يرى في فعل الداعر جريمة يعاقب القانون عليها او من سكت عن هذا الامر فلم يبد رايا فيه ، انما نحن نقول بان هذا الداعر يستحق العقاب على فعلته ، عقاب الشريك او المتدخل في الجريمة لا عقاب الفاعل الاصلي لوحده او مع شريك .

ان الشريك في الجريمة ، بصورة عامة ، او المتدخل فيها كما يسميه بعض المشرعين ومنهم المشرع السوري ، هو من يساعد الفاعل او يعاونه على الافعال التي تهيىء الجريمة او تسهلها او تتم ارتكابها ، وعقوبة هذا الشريك قد تعادل عقوبة الفاعل الاصلي ، اذا كانت الجريمة لولا اشتراكه او مساعدته ما ارتكبت ، على تفصيل يختلف باختلاف النصوص ، محله شروح قانون العقوبات .

واذا كنا في شرحنا لقانون العقوبات السوري ، بينا الحكم القانوني في هذه المسألة رغم عدم ورود النص الصريح فيها ، فاننا هنا نؤكد ان هذا الحكم الذي نقول به ، لا يؤثر عليه اختلاف النصوص في القوانين كافة ، الا اذا حوت نصا صريحا يعارضه ، واذا كان بعض شراح القانون الجزائي ، وقد رأوا قانون العقوبات ينص على عقاب شريك الزوجة الزانية ، ولا ينص على عقاب شريكة الزوج الزاني ، ذهبوا الى ان المشرع بمسلكه هذا لا يريد عند تطبيق النص الرجوع الى القواعد العامة في الاشتراك ، وقالوا بعدم عقاب شريكة الزوج مقترف جريمة الزنى في منزل الزوجية (١٢) ، فان القول المعتمد في الفقه والقضاء ، في البلاد التي حكم القانون فيها يماثل الحكم الذي ذكرنا ، يوجب تطبيق القواعد العامة في الاشتراك على شريكة الزوج في الزنى ، لانها باشتراكها ساعدت الزاني في تكوين جريمته (١٣) ، فكيف الحال اذا كان القانون ينص على عقاب شريكة الزاني كشريك الزانية ، كما فعلت بعض قوانين العقوبات ومنها القانون السوري والقانون اللبناني .

قد يبدو للبعض بأن المشرع لو اراد معاقبة الشريك في جريمة الدعارة او البغاء، لنص على ذلك صراحة كما فعل في جريمة الزنى ، اذ نص على معاقبة شريك الزوجة الزانية دون شريكة الزوج الزاني ، او نص على معاقبة الشريك في الحالتين كما فعل المشرع السوري ؟ وهذا اعتراض وجيه ولكنه يصطدم بالقواعد العامة الجزائية التي تعاقب على الاشتراك في الجريمة ، اما الاستنتاج من وجود نص على معاقبة الشريك في جريمة الزنى ، ان المشرع لا يريد معاقبة الشريك في جريمة الدعارة ، فليس استنتاجا سليما لان للنصوص في جريمة الزنى حدودا تمنع مثل هذا الاستنتاج ، لما لها من صفة خاصة متحصلة من مساسها بكيان الاسرة قبل مساسها بالمجتمع .

ونحن اذ نرى في جرم الدعارة او البغاء جرما من اخطر الجرائم المفسدة للاخلاق ، الهادمة لكيان المجتمع ، نقول بضرورة المعاقبة على جريمة الاشتراك فيه ، تطبيقا للقواعد العامة وذلك في سبيل نجاح مكافحة الرذيلة وصيانة المجتمع من معاول الهدم تعمل فيه .

قد يرد على راينا بعض رجال القانون مستندين الى راي بعض شراح القانون الجزائي الفرنسيين ، بان مرتكب اثم الدعارة لا يمكن اعتباره شريكا للداعرة ، لانه يمثل في هذه الجريمة « المجنى عليه » وهذا راي غير سليم ، لان الداعر ليس قاصرا تجدر حمايته ، وقد حمى القانون الاحداث من الدعارة بالفعل ، انما العقاب على جرم الدعارة قصد به حماية المجتمع ، واذا كانوا لا يريدون الاقتناع بهذا ، فهل ما يمنع من اعتبار المجنى عليه شريكا في الجريمة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهجيرة

شوب من النيران يتسع ... عن زاخر يهوي ويرتفع
في كل افق من غواربه ... لجج تموج وجامح يقع
وعلى الثرى شعل مؤججة ... تنداح مائجة وتندفع
لجج ومن عجب دوائرها ... عن جامح النيران تندلع
عب الثرى منها على ظمأ ... جرعا سلاف كؤوسها الوجع
جرع تكاد على الظمىء دمن ... عن وردها تناى وتمتنع
ان مج مشبوب اللظى ظمىء ... فالموت لا يحلو وينتجع

تلقى الهجيرة سال ذائبها ... عن صاخب في لجه الفزع
وجرت طلائعها ومن عجب ... تناى مبعثرة وتجتمع
في كل شطر دونها علم ... فوق الثرى للرعب مرتفع
فاذا الخمائل اطرقت حذرا ... مما أست وسكونها جزع
اغصانها مدت على ضجر ... كف السقيم يهيجه الصرع
وترنحت تهوي مؤرجحة ... فوق الثرى حينا وترتفع
ولوت بأعناق لها برمت ... بلوافح للنار تلتمع

وترى الحمائم في خمائلها ... اجفانها بالدمع تنهمع
ضربت بقادمة على ضجر ... من غصة تفري وتقتطع
ورنت الى الآفاق جازعة ... من مائج للشمس يتسع
قد شفها ان ابصرت بددا ... آمالها عن حالق تقع
وريا ضها راحت على ضجر ... في شملة الاعياء تلتفع
سكنت عن الترجيع مشفقة ... والداء ملء الصدر يصطرع
ولرب صمت من اخي كمد ... اعجازه كالسحر ممتنع

والماء في احواضه برم ... يجري على قدر وينقطع
ينساب كالافعى على حذر ... في حوضه ريثا ويكتنع
والعشب منطرح على قدم ... حول الغدير وخده ضرع
اغفى يمني النفس في حلم ... لو كان في الاحلام منتفع
ويمد من شح ومتربة ... كفا يثير شجونها الطمع
والشمس في الآفاق ما فتئت ... ترمي بذائبها وتنهمع
ينداح غامرها بمنهمر ... من هاطل ازباده لمع

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كأني بهم يقولون : « نعم ... الا اذا تدخل المشرع » .

واذا كنا ندعو الى هذا الراي في الاقليم السوري ، منذ صدور قانون العقوبات الذي وضع سنة ١٩٤٩ للميلاد ، فان اكثر رجال النيابة العامة ومساعديهم من رجال الشرطة لم يبدلوا تقاليدهم في مكافحة البغاء ، من غض الطرف عن الداعر والقاء القبض على شريكته الداعرة ، اما القضاء السوري (١٤) ، فكان مضطربا في احكامه ، واكثر المحاكم لا تعاقب شريك من يتعاطى الدعارة ابدا ، وبعضها عاقبه كفاعل اصلي ، وقضاء محكمة النقض لم يستقر ولكنه يميل الى عدم معاقبة الشريك اذ نجد اكثرالا حكام التي تأخذ بالرأي الاول تعود من محكمة النقض مصدقة ، ولكن احكامها مع ذلك لم تخل من تأييد راينا في بعض الحالات ومعاقبة الداعر كالدعارة على حد سواء .

ونحن اليوم نأمل بتوصية تدعو الى اخذ الرأي الذي فصلناه بعين الاعتبار (١٥) .

دمشق — عدنان الخطيب

ويمر باص آخر من باصات حي الميدان امامي ..

ويدور رأسي مع دوران عجلاته وهي تدوس الارض المبللة برشات المطر الرفيقة . وتتضح كل الصور في مخيلتي .. منذ ان وقفت امام المرآة والقيت آخر نظرة مدققة على خيالي فيها وحتى الان ..

واستسلم لدوامة التفكير : لاول مرة ارتدي فيها اليوم ثيابا احببت ان تكون لي في حياتي . ففي صغري اشتهيت اقتناء ثوب بني اللون، وحذاء اسود ، وحقيبة يد حمراء ، وقفاز ازرق فاتح . ولكنني لم احصل عليها الا بعد مضي سنوات على زواجي . اليوم .

ويقترب باص آخر مني واقرأ : الميدان ..

ويمضي الباص كسابقه ..

وتفوتني فرصة جديدة للوصول الى بيتي. هذا هو وقت عودة زوجي « جلال » الى البيت . اما طفلي « سمير » فان عينيه الصغيرتين لا شك تراقبان الان الباب .. والدهليز .. وكل الناس. يا له من طفل وديع.

قبل ان اغادر البيت توسل الي كي اعود مبكرة من عيادة طبيب الاسنان .. ولم افعل .

انني لم اذهب لزيارة طبيب الاسنان كما افهمته . كنت في حاجة الى رؤية الناس في الشوارع . وكنت في حاجة اكثر الى رؤية عيون الرجال والنساء تتفحصني .. تتفحص ثوبي البني ، حذائي الاسود ، حقيبة يدي الحمراء .. قفازي الازرق ..

هذه الاشياء الحلوة تمنيت دائما ان تكون لي ذات يوم وانا طفلة . تمنيت ذلك لامشي بين الناس واملأ عيونهم بالدهشة : ما هذه الاناقة ؟!!

واليوم، احسست باني قد اصبحت وليمة فاخرة لتلك العيون النهمة . اكثر من شاب حاول ان يمسني او يطلق في اذني عبارة اعجاب . وبعض الرجال كانوا يصفرون : فيؤ.. فيؤ !

ويمر باص آخر من باصات حي الميدان ..

وتدور عجلاته المسرعة ، وتنزلق على وجه الارض اللزجة المبللة برشات المطر الخفيفة ..

ويهبط ، في نفس الوقت ، رجل مسرع الى غايته من الباب الخلفي للباص ويصطدم باحد العابرين غير متعمد . وسرعان ما يتبادل الرجلان عدة ملاحظات شديدة التوتر . ويكاد الموقف ان يتأزم بينهما . وفي اللحظة نفسها تتدخل امرأة عجوز في نزاع الرجلين الحانقين . تضع يدها على صدر الرجل الثاني : صلي ع النبي يا ابني. الدنيا رمضان والمسامح كريم.

وينتهي الخلاف دون ان يتطور الى قضية ، ويتباعد من حولي ثلاثة صبية احدهم في عمر ابني «سمير» ، وكانوا قد تجمعوا في المكان لرؤية من سيكون الغالب، ومن سيكون المغلوب!

واشعر بارتياح كبير في اعصابي المتعبة .. واغوص في قلب مشكلتي .

لا اثر لباص مدحت باشا ..

كان يجب الا اخرج من بيتي قبل الظهر . هل اكذب على زوجي عندما اعود الى البيت واثبت حكاية طبيب الاسنان بطريقة ما ؟ سافعل ذلك عندما يكون « سمير » على مقربة منا فقط ، ثم اقول له الحقيقة : اردت ان يراني الناس في ثوبي الجديد البني. كانت امنيتي ان اظهر بينهم بهذا الثوب .. وهذا الحذاء .. وهذه الحقيبة .. وهذا القفاز . فرحتي بهذه الاشياء يا جلال عظيمة . انها فرحة الطفولة .. والصبا . بل انها فرحة العمر . لا تعاتبني .

وعندما يسألني : والثمن . من اين جئت به ؟ اقول له : كل هذا الذي تراه علي لم يكلفني سوى سبعين ليرة سورية .

واذا سألني مصرا : المهم .. هو من اين جئت بالمال .. بالسبعين ليرة سورية ؟ ابقى صامتة .

لا ادري كم من الوقت لزمني لتوفير هذا المبلغ . خمس سنوات ؟ اكثر ؟ لا ادري . شيء واحد يلذ لي ان احسه الان هو طفولتي الجديدة السعيدة !

وقد يحاسبني جلال على سلوكي كسيدة بيت كان يجب ان تكون مدبرة اكثر عندما يراني صامتة : انت تعلمين اننا في امس الحاجة الى مثل هذا المبلغ الكبير . قسط الولد . آجار البيت عن الشهر الذي فات . دين البقال ..

ولكنني لن اجيب بحرف .. لان الحق سيكون بجانبه في كل ما يقوله:

ويقترب باص اخر . واحاول قراءة الكلمات التي تدل على وجهته: مدحت .. مدحت باشا ..

واصعد اليه لاهثة . واقاسم احدى السيدات مقعدها الشاغر . السباعة التي تتوسط زجاج الباص الامامي تشير الى الثانية والنصف . انتهت نشرة الاخبار الثانية لهذا اليوم . وبدأت صباح تغني احدى اغنياتها الرشيقة: دق الباب فتحتلو .. اهلا وسهلا قلتلو ..

زوجي في البيت ينتظر عودتي وفي راسه الف خاطر . وكذلك ابني سمير يتساءل : لماذا تأخرت الماما ؟

كان يجب الا اخرج من البيت قبل الظهر .. لقد نسيت الوقت .. وشغلتني عيون الناس عن نفسي ..

عينا السيدة الجميلة اراهما في

طفولتي الجديدة

بقلم اسكندر لوقا



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المرآة امامي المثبتة فوق راس السائق. واري اشياء خليطة لاول مرة انتبه اليها : ما شاء الله . عين الحسود فيها عود . لسنا مسؤولين عن الحاجات التي تفقدداخل الباص. لا تكلم السائق . ممنوع التدخين ومد الرؤوس والايدي من النوافذ . بلاغ الى المواطنين الكرام من ادارة المرور . الرجاء عدم وضع الاقدام على غطاء المحرك !!

عينا السيدة لا تفارقان وجهي في المرآة . ومن حين لاخر ، تدير السيدة راسها نحو اليمين وتدقق النظر في شعري . ان طريقة تصفيف شعري ليست متقنة تماما ، ولهذا لا تضاهي طريقة تصفيف شعرها ، ولكن رقبتي جميلة وليس فيها اي عيب اخجل منه امامها . صدري ايضا مرتفع وجميل . لماذا تنظر الي صدري ؟

وتنزلق عيناها الى الاسفل . حذائي جديد بيد انه ملوث قليلا بالطين من اثر السير في الشوارع المبللة برشات المطر التي لا تنقطع .. ثم تسترد نظراتها المدققة الى الاعلى وتستقر بها على الحقيبة ، ثم على القفاز . واراقبها خلسة في المرآة المثبتة فوق راس السائق ، وافعل ذلك بحذر شديد .. تماما كما تفعل هي !!

لا شيء ، في اعتقادي ، حتى الان يدعوها الى هذا التصرف .. الا اذا كان الامر يعنيها اكثر مما يعنيني .. الا اذا كانت تريد الاستفسار عن اسم الخياطة التي صنعت لي ثوبي .

وتستقر عيناها من جديد على صدري ..

والتفت اليها :

ـ هل اعجبك ثوبي ؟ اسم الخياطة ام نبيل ! وتقطن في الاليانس ..

وتبدي السيدة عدة ملاحظات ادري الان كم هي قاسية وصحيحة. ثوبي ضيق قليلا عند الصدر . لونه لا يناسب لون الحقيبة كما لايناسب لون الحذاء ولا لون القفاز . كان يجب ان ارخي شعري بدل عقصه . جسمي، كما تشهد السيدة ، رائع ومتناسق التقاطيع ولكن ينقصني .. الذوق ! فعلا ..

كيف لم انتبه الى مسألة الالوان هذه ؟ والشعر ؟

وانظر ، خلسة ، الى المرآة واري من خلال عيني السيدة مئات العيون المليئة بالتهكم والسخرية . واري افواها تقترب من اذني لتصرخ فيها عاليا : ذوق . ذوق . ذوق !

ويضع السائق قدمه اليمنى على المدوس، ويتحكم بسرعة السير تمهيدا للتوقف في المحطة المقبلة . وينادي قاطع التذاكر بآلية :

ـ الاليانس.. مين نازل الاليانس؟!

واسرع في النزول من الباص لاتواري عن انظار الركاب واتحاشى وخزاتها .. واود لو تخفيني الارض في جوفها .

وتدور عجلات الباص ..

ويدور في راسي السؤال : كيف لم انتبه ؟ كيف لم انتبه الى هذا كله؟

وينتابني شعور غريب . ويخيل الي بأني مجرد اعضاء مبعثرة، جمعت الى بعضها البعض في غفلة ، ثم الصقت بالصمغ كيفما اتفق ، ورميت في الشارع لتكون اضحوكة بين الناس..

وعلى مقربة من البيت اركض لاختبيء في عتمة الدهليز المؤدي اليه تطاردني عيون جاحظة مخيفة . والملم قوتي ، كل قوتي المتخاذلة ، واضعها في سبابتي اليمنى واضغط بها على جرس الباب الصامت ، واضغط من جديدة بشدة ..

ومن بعيد اسمع وقع اقدام متلهفة.. لكنني لا استطيع تميزها.. وفي اذني دوي سؤال متلهف : اين كنت ؟

دمشق — اسكندر لوقا

فقد الصباح

سألت عنه الصباح ... لما افاق الصباح
فقال لي : قد راح ... ما تزول الجراح
فان تشأ ايضاح ... فدربه وضاح
اما ترى الارواح ... تلفها الاشباح ؟
امواجها من راح ... ودفقها ملاح
فقلت لما صاح ... وطال منه النواح
أتلك درب الحبيب
على جناح الطيوب ؟

فغص بالاتراح ... وما عليه جناح
وقال لي : يا صاح ... كذا تصد الملاح
وهم ثم انداح ... وهبت الارواح
فما عرفت الطريق
وما وجدت رفيقا
كما فقدت الصباح

حمص — عبدو مسوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدة لابن زيدون

كتب الى الوزير الكاتب ابي حفص بن برد* :

●

ما على ظني بأس ... يجرح الدهر ويأسو
ربما اشرف بالمر ... ء على الآمال ياس
ولقد ينجيك اغفا ... ل ويرديك احتراس
والمحاذير سهام ... والمقادير قياس (١)
ولكم اجدى قعود ... ولكم اكدى التماس (٢)
وكذا الدهر اذا ما ... عز ناس وذل ناس
وبنوا الايام اخيا ... ف : سراة وخساس (٣)
نلبس الدنيا ولكن ... متعة ذاك اللباس
يا ابا حفص وماسا ... واك في فهم اياس
من سنا رأيك لي في ... غسق الخطب اقتباس
وودادي لك نص ... لم يخالفه قياس (٤)
انا حيران وللسا ... مر وضوح والتباس
ما ترى في معشر حا ... لوا عن عهد وخاسوا (٥)
وراوني سامريا ... يتقى منه المساس (٦)
اذؤب هامت بلحمي ... فانتهاش وانتهاس (٧)
كلهم يسأل عن حا ... لي وللذئب اعتاس (٨)
ان قسا الدهر فللما ... ء من الصخر انبجاس (٩)
ولئن امسيت محبو ... سا فللغيث احتباس
يلبد الورد السبنتى ... وله بعد افتراس (١٠)
فتأمل كيف يغشى ... مقلة المجد النعاس
ويفت المسك في التر ... ب فيوطا ويداس
لا يكن عهدك وردا ... ان عهدي لك آس
وادر ذكرى كأسا ... ما امتطت كفك كاس
واغتنم صفو الليالي ... انما العيش اختلاس
وعسى ان يسمع الدهر ... فقد طال الشماس (١١)

* هو حفيد ابي حفص بن برد . سمي باسم جده الذي توفي سنة ٤١٨هـ . (١) قياس : جمع قوس : اقواس (٢) اجدى : نفع . اكدى : اخفق . التماس : السعي في سبيل الرزق وغيره . (٣) الاخياف من الناس : الذين امهم واحدة وآباؤهم شتى . سراة : اشراف . خساس : حقراء . (٤) نص : اي من القرآن والحديث الشريف . قياس : اقيسة البشر في التشريع . (٥) خاسوا : خانوا . (٦) السامري : قصة مشهورة بالقرآن مع موسى والعجل . (٧) انتهاش : عض بالاضراس . انتهاس : عض بالاسنان . (٨) اعتاس : طواف بالليل . (٩) انبجاس : تفجر . (١٠) يلبد : يقيم على الارض . الورد : الاسد . السبنتى : الجريء . (١١) شماس : شمس الفرس شموسا وشماسا : اي منع ظهره عن الراكب .

دراسة قصيدة لابن زيدون

بقلم محمد محمود الحسناوي

كبا ابو وليد احمد بن زيدون الاندلسي كبوة الجواد المبرز ، فاذا هو بعد التقلب فى اعطاف البلاط ، وفى ملاهي « ولاده » ينقلب الى طير حبيس فى سجن مظلم ، واذا الناس الذين كانوا يلتفون حوله قد نسوه او تناسوه حتى « ولاده » بنت المستكفي عشيقته . وليس ابن زيدون بالشخص الهمل ، بل هو شاعر عصره فنا وظرفا ، وفارس مجتمعه حسبا وادبا ورياسة ، فليبك ما طاب له البكاء ، وليوقع على قيثارته ما شاء له الشجن من اغاني الالم والهوى فى انتظار الفرج ، فما الذي كتبه الى صديقه الاديب ابي حفص بن برد ؟

الافكار والمعاني :

اول انطباع تخلفه القصيدة فى نفوسنا هو انزارها بلباس الرسالة الشعرية التي شق الطريق لها عمر بن ابي ربيعة وبشار بن برد من بعده حين قال :

من المشهور بالحب ... الى قاسية القلب
سلام الله ذي العرش ... على وجهك يا حبي

وليس غريبا ان يتسع الشعر العربي لفن الرسائل ، ولا غريبا على ابن زيدون ان يتوسع فى هذا الفن ، وهو الذي جعل جميع اعماله الادبية طيلة سجنه رسائل شعرية ونثرية . لكن قصيدته هذه تمثل ارفع مثل للرسالة الشعرية الناجحة ، لما انطوت عليه من عناصر العاطفة والبساطة فى التعبير والصدور عن تجربة ذاتية ، ولما يلمح فيها من مقومات التقسيم المتسلسل المترابط وتدرج موجات العاطفة بالارتفاع واطرادها ، اذ نلاحظ فيها ثلاث فقرات : المقدمة والموضوع والخاتمة . وفى المقدمة يسلي نفسه بثمانية ابيات متحدثا فيها عن جراح الدهر وشفائها وعن جدوى اليأس واللامبالاة والخمول فى بعض الاحيان لان الدهر لا بد ان يرفع قوما ويذل اخرين بين حين واخر ، والحياة لباس يبلى مع الايام .. ويصل الى موضوع الرسالة ليتحدث عن حاله البائسة مستهديا راي صاحبه المنير عند الظلام ، وليؤكد وفاءه الذي لا ريب فيه مع انه حائر قد انقلب الناس عليه واتقوه كذلك السامري الذي اغوى قوم موسى فعاقبه بالنفي ، فهم كالذئاب ينهشونه ، يتظاهرون بالسؤال عنه للتجسس عليه ، لكن الشاعر يخبيء لهم صولة الاسد بعد التحفز لان الماء ينبجس رغم الصخر ، ولان الغيث يهطل بعد الاحتباس ، وسيصحو الدهر بعد ان غشيه النعاس . الى ان ينتهي الى الخاتمة مؤبدا وفاءه لصديقه محرضا له على التماس المسرة :

لا يكن عهدك وردا ... ان عهدي لك آس
وأدر ذكري كاسا ... ما امتطت كفك كاس
واغتنم صفو الليالي ... انما العيش اختلاس

ويلاحظ على هذه الفقرات الثلاث ، او هذه الافكار الكبرى انها تسلسلت تسلسلا منطقيا لا يناقض عفو الخاطر . اذ بدا الشاعر من الجو العام للواقع الانساني .. ليثني على واقعه هو ، وليثلث بشؤون صاحبه ابي حفص من خلال شؤونه الخاصة ، فجاءت بناء محكما يكمل بعضه بعضا ، او يثري بعضه بعضا . والذي يؤكد لنا هذا الاصل العفوي لهذا التركيب المتين المتماسك هو انسراب الافكار والمعاني على خط التداعي العفوي. فمن المستبعد ان يتحدث السجين المظلوم عن غير الازمان والآلام والحياه ، وعن نفسه وعن الناس المتقلبين ، وعن صديقه ابي حفص ، ومن المستبعد الا تتناثر الحكمة على شفتيه ، والا يأتي بالمعاني الجديدة والصور الطريفة (كنعاس المجد ، وامتهان المسك على التراب ، وخلود عهد الوفاء خلود الآس فلا يذبل كالورد)وهو من هو اصالة فى الفن ، وحرارة فى التجربة . ويؤكد ذلك ايضا البساطة اللامتناهية فى التعبير عن المعاني الكبيره والافكار الهائلة :

ما على ظني باس ... يجرح الدهر ويأسو

اي تعزية فى الشطر الاول ، واي حقيقة هائلة فى الشطر الثاني ، واي وضوح وبساطة فى التعبير عنهما . وهذه البساطة فى التعبير تعاو بالقصيدة كرسالة شعرية تريد ان تؤدي غرضها لدى قارئها احسن اداء . وقد اشار الدكتور شوقي ضيف (١) الى ان هذه القصيده الجيدة قد الت بمعنيين او اكثر من معاني القدماء من غير ان يضير الشاعر ذلك لان عنترة سبق ان قال: «هل غادر الشعراء من متردم» . ووددنا لو صرح الدكتور ضيف بمواضع الالمام لنتدبرها او نناقشها . لكن الفكرة الرئيسية التي تنطلق منها اكثر المعاني والتي تقوم مقام قطب الرحى وهي (الدهر دولاب والايام قلابة) ـ كما يقول المثل العامي ـ تعود فى جذورها الى الآية القرآنية « وتلك الايام نداولها بين الناس» لاجتماع عدة تأثيرات قرآنية ـ كما سنرى ـ ولقرب روح السجين غالبا من الله والاجواء القدسية ، وهذا هو الجو الذي ركب المعادلة (سجن+سجين+اديب+قرآن كريم) فاعطت ثمرة ادبية فكرية رائعة فى عصرنا هذا . والذي يستوقفنا عند فكرة ابن زيدون هذه كثرة ترددها والالحاح عليها ، فقد استولت على المقدمة بأسرها وعلى اجزاء لا بأس بها من بقية الفقرات .. مما يدل على نزعة التفاؤل المعتصرة من لجة الحزن العميق ، وتفصح عن عمق نظرة الشاعر الى الحياة ونمو حاسته السياسية والاجتماعية . ويتبدى الاثر القرآني فى عدة مواضع وعدة اشكال ، فقد اثر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالصياغة وبالمعاني ، اما فى الصياغة فقد اتخذ الشاعر من مقدمته اطارا لرسالته او موضوعه متأثرا باسلوب القرآن فى السور المكية الصغيرة ، حيث يمهد القرآن لموضوع هذه السور بلمسات ولمحات عامة تقوم مقام الجو والاطـــار للموضوع المقصود ــ كما وضح ذلك سيد قطب ــ اما فى المعاني ففي قولـه :

نلبس الدنيـا ولكن متعـة ذاك اللبـاس
وراونـي سامريـا يتقـى منه المساس

تمثل لقوله تعالى « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » ولقصة السامري مع موسى والعجل الذهبي المعروفة . كما يظهر الاثر الفقهي الذي اشار اليه الدكتور شوقي ضيف ورأى فيه دراسة ابن زيدون لعلم الاصول من قوله :

ووادي لـك نص لـم يخـالفه قياس
انـا حـيران ولـلامـر وضـوح والتبـاس

كذلك لم تتخل ثقافة الشاعر التاريخية التي اغنت رسائله النثرية عن الظهور ، فاشار الى قاض من قضـاة العراق فى عهد بني امية عرف بالذكاء والفهم والفراسة هو ايـاس بـن معاويـة :

يـا ابـا حفص وماسا واك فـي فهـم اياس

فما الذي بقي للشاعر من خصوصية ومن جهد فى معاني هذه القصيده ؟ نحن لا نقول بقول الذين ينظرون عنـد الجواب على هذا السؤال من زاوية السرقات لان الشاعر قد استقل بابتكار عدة معان رائعة منها تشبيه الوفـاء بالعهود بذبول الورد وخلود الآس ، ولانه لم يتأثر هذه المعاني لانه شاعر صغير يتطفل على منجزات الاخرين الفنية ، بل اثبت اصالته فى جميع شعره فضلا عن هذه القصيدة ،ولان المعاني المستفادة ــ وهنا بيت القصيد ــ لم تقصد لذاتها بل لمدلولاتها ، فشاركت كجزء من كل : من قبيل ورود ، عبارات متعارفة على لسان شخص حالم فى اليقظـة ، او استشهاد خطيب مفوه بمثل سائر ذي مدلول مناسب مؤثر فى اوج الانفعال لدى الخطيب والسامعين . ومن هذا الباب يدخل قول شوقي ضيف:« كان ابن زيدون يحسن ضرب الخواطر والمعاني القديمة او الموروثة فى عملة اندلسيـة جديدة ، فيها جمال الفن وبهجة الشعر ، وما يفصح عـن اصالته وشخصيته » (٢) .

لكن الذي يسترعي انتباهنا اكثر من سواه هو وحـدة الموضوع فى قصيدة تعد خمسة وعشرين بيتا ، وحدة لا تشوبها شائبة : فكرا وعاطفة وموسيقى . وقد اشرنـا سابقا الى الترابط العضوي بين اجزاء هذه الوحدة . وهذه الوحدة فى الموضوع نعتصر منها نتيجة نضمها الى جانب العاطفة التي سنتحدث عنها بعد قليل ، ذلك لان الجـو النفسي الموحد المهيمن على فكر الشاعر ولسانه قد ارسل هذه الثمرة الناضجة ، والغى بقية المؤثرات التي قد تعكر عذوبة هذا اللحن المتساوق من اول كلمة لاخر حرف .

وقد كاد الدكتور جودة الركابي يقرر هذه الوحدة بالموضوع حين اوما الى ان شعر الاستعطاف والشكوى قلما انفـرد بقصائد خاصة الا ما نجده فى تلك القصيدة الخالدة التـي ارسلها ابن زيدون الى صديقه ابي حفص بن برد (٣) . كما انه وضع يده على معظم السر حين لاحظ خروج الشاعر على عمود الشعر الجاهلي (٤) فى شعره الذاتي، هذا الشعر الذي يمثل بحق اصالة ابن زيدون وشاعريته لا شعر المديح والتزلف (٥) ويخيل الينا ان هناك خيطا بين وحدة الموضوع فى هذه القصيدة وبين السور القرآنية القصيرة ، على اننا نعترف بالجانب الاكبر للتوهج العاطفي ، ولجدران السجن . ولا بأس ان ندين صفي الدين الحلي بأخذه عن ابن زيدون قوله:

ولقـد ينجيـك اغفـا ل ويـرديـك احتـراس
ولكـم اجـدى قعـود ولكـم اكـدى التمـاس

لقولـــه :

فكم غاية ادركتها غير جـاهد وكم رتبة قد نلتهـا غير طالب
وما كل وان فى الطلاب بمخطيء ولا كل ماض فى الامور بصائب

حقا لقد ادرك صفي الدين ما اراد من شعر ابن زيدون وهو قاعد رخي البـال !

الخيـــال :

اعجب ما فى هذه القصيدة غناء الخيال وتلونه بكافـة الالوان النابعة عن الالم والشكوى ، ودخوله مـن كافـة منافذ الخيال المعروفة كالرمـز والتشبيه والتشخيص والتجسيـد والوصف المباشر فهو يرمز فى مطلـع القصيدة معرضا بالخاملين الرابحين ومعزيا طموحه النبيل :

وكـذا الدهر اذا مـا عـز نـاس ذل نـاس
وبنـو الايـام اخيـا ف : سـراة وخسـاس

ويبلغ تعريضه بهم اوجه حين يصفهم بالذئاب :

(اذؤب) هـامت بلحمي فـانتهـاش وانتهـاس
كلهـم يسال عـن حـالي وللـذئب اعتسـاس

كما يناطح اعتداده وتحفزه السحـاب :

ولئـن امسيـت محبـو سـا ، فللفيث احتبـاس
يلبـد الـورد السبنتى ولـه بعـد افتـراس
فتـامل ! كيـف يغشى مقلـة المجد النعاس !

والتشبيه الضمني الجميل تراه فى وصف نفسه بالغيث دون تصريح ، وبالماء المنبجس فى موضع اخر . وانتهز الفرصة لاقول : ان كلمة (السبنتى) التي اوحت لاحدهم بالنبـو والتقعر تسمو الى ان تقذف فى البيت شحنة خيالية مبهمة ، وقوتها جاء تمن الابهام فيها لدى القارىء الذي لا يعرف معناها اللغوي : (الجريء) على شرط ان يعرف ان معنى (الورد) : الاسد ، والعارفون يعلمون اهمية الابهام فى جو التهويل « القارعة ! ما القارعة ! وما ادراك ما القارعة !. . »

اما الكناية فتذهلك فى طرافتها وظرفها وبعد دلالتهـا وبساطتها فى قوله :

لا يكن عهدك وردا ان عهدي لك آس

اي ان عهدي لا يذبل كالورد ، بل هو دائم النضرة والاخضرار كالآس .. بله العبير واللون .

ولقد يتبادر الى الذهن ان ابن زيدون يطل بخياله المترف الحضري لانه كنى عن خاود الوفاء بالعهد بدوام خضرة الآس .. فنقول ان خيال الشاعر لبس لكل حال لبوسها ، ففي الشدة مع اعدائه يظهر بمظهر الاسد المتحفز المغضب ، ويظهرهم بمظهر الثعالب .. وهذه ملامح بدوية ، كما ان الشاعر ينفرط انفراط العقد بين يدي العبير حين يلم بالجو الرقيق ، حين يصف وفاءه لصديقه، حين يرغب له الحياة الناعمة الترفة :

وادر ذكري كأسا ما امتطت كفك كاس

وهذا هو شأن الخيال الفني الخصب الذي يتجاوب مع السياق والنفس والجو والفكر ، فضلا عن التعاطف مع الكائنات الاخرى ، فيشخص الدهر والمجد والكاس :

« يجرح الدهر ويأسو ـ يغشى مقلة المجد النعاس ـ ما امتطت كفك كأس »

ويجسد المحاذير والمقادير والدنيا والفكر والعهد والذكر:

« المحاذير سهام ـ المقادير اقواس ـ نلبس الدنيا ـ من سنا رايك اقتباس ـ ودادي لك نص ـ ادر ذكرى كأسا»

وللتشخيص دلالة غير الايحاء الجمالي المصور ، ذلك هو الترنح الحزين الذي ينطبع في المخيلة عن عملية التشخيص نفسها ، لان الانسان الحزين او المريض يظن ان الحجارة اصبحت شخوصا تتحرك وان الغرفة تعج بالشياطين من حوله ... والتجسيد قريب من ذلك .

فهل نرى في ثنايا هذه الصور الكثيرة المتتابعة لوحة كاملة لها اطار ومضمون والوان وخطوط وحركة ورائحة وصوت ؟ الحق ان هذه الصور والمشاهد لا تشكل لوحة واحدة ، بل لوحات مضغوطة بهدوء واناة ، مترابطة برموز خفية : من اللحن الحزين والتداعيات الذهنية العميقة الموحية ، فلئن لم تعطنا لوحة خيالية متكاملة ، فقد اعطتنا لوحة وجدانية فيها جميع الابعاد النفسية الانسانية : ارضيتها سجن الهموم ، واطارها التداعي المصور ، كالنبع المحبوس اذا تفجر تفجر بالماء الغزير والحصى والتراب والبخار : وهي اجزاء متمايزة انبعثت من مصدر واحد ، وكذلك صور هذه القصيدة . وفي ظننا ان مثل هذه اللوحات الوجدانية التي تنقلنا الى عالم خاص نعيش فيه كائنات مختلفة ، لكنها ، جميعها ، ترتدي ثوبا واحدا ـ كالثوب الاسود الحزين الذي نراه في صور هذه القصيدة ـ هو العالم الذي ينشده الشاعر العملاق . وشتان بين هذا العالم النفسي الحي والعالم الخيالي المسطح ، فالشاعر حشر لنا في عالمه هذا ـ بانسجام وبقدرة قادر ـ الزمان والمكان والطبيعة والحيوان والخمر بابعاد مختارة مناسبة ، دونما تنافر بينها ، بله العاطف والتساوق . وفضلا عن التفاؤل العميق الذي يتجاوز الحزن الدفين ويطوح باستار السجن، استار الزمان والمكان . فيشرف على مسرح الحياة الابدي الذي تتعاقب عليه الصروف ، والحقيقة فيه واحدة : « وتلك الايام نداولها بين الناس » ، وهذا لا يتأتى الا للشاعر الكبير الذي مرن على فتح ابواب اللاشعور على مصراعيها لتهدر كائنات تلك الاعماق في سيل جارف لا يقوم بوجهه عالم الشعور الا مقام المنظم المصفي المتسامح الراضي بهذه الحصة (٥) .

العاطفة :

عاطفة الشاعر هنا ذاتية من وجه ، انسانية من وجه اخر ، لانها تمثل مأساة الانسان المظلوم في كل زمان ومكان من خلال تجربة شاعر فرد ، تجربة ذاتية . وكثيرا ما سمعنا نغمة الشكوى من الدهر والحوادث واحتقار الناس عند شعرائنا الاقدمين وعند المتنبي سيد المحتقرين ، ومحتقر الاسياد وعند ابي العلاء المعري لكن شكوى ابن زيدون هنا شكوى سامية ، ليست مريضة ولا هوجاء ، كما انها عادلة ومحببة على غير ما نتحسسه في انطباعاتنا عن شكوى المتنبي :

أذم الى هذا الزمان اهيله فاعلمهم قدم واحزمهم وغد
واكرمهم كلب وابصرهم عم واسهدهم فهد واشجعهم قرد

فضلا عن سوداوية ابي العلاء :

قد فاضت الدنيا بادناسها على برایاها واجناسها
وكل حي بها ظالم وما بها اظلم من ناسها (٦)

وعاطفة ابن زيدون صادقة لانها تصور واقعا حقيقيا ، وتجربة عاناها الشاعر بنفسه ولانها اعطت منجزات فنية غير عادية في العمل الفني ، كصور طريفة ، وتناغم بين الموسيقى والمعاني ولانها لم تسمح للشاعر بان يضم الى موضوع القصيدة الاساسي الفرد موضوعات اخرى تشوه التيار العاطفي الفياض الاوحد ، وهذه خير دلالة على صدقها ، لان الخروج على عمود الشعر الجاهلي الى وحدة الموضوع في الشعر العربي من اشق التجارب الفنية على شاعر يتمثل الادب العربي خير تمثيل ويصدر عنه اولا وعن تجربته الخاصة ثانيا كابن زيدون . وهذا الحكم ينسحب على اكثر شعر ابن زيدون الوجداني الذاتي الذي خرج به على العمود الجاهلي، فكان خير مرآة لاصالة الشاعر .

ولقد احسن الشاعر في بث عاطفته وتوزيعها على كافة عناصر القصيدة فالمعاني والاخيلة والموسيقى (كما سنرى) تخدم هذا الغرض العاطفي الحزين ، وكأنها لا تصلح الا لهذا الجو او لا يصلح الا لها . ويمكن رصد دقة التوزيع العاطفي العفوي في فقرات القصيدة على التسلسل ، فبدا الشاعر من درجة معتدلة وانتهى الى قمة الانفعال . فهو في الفقرة الاولى يغلف عاطفته بالحكم العامة والتأملات الفلسفية ، وفي الفقرة الثانية يباشر وصف مأساته من تفريط الزمان به ، وتفرق الناس عنه ، وثبات وفائه للاعزاء ، وفي الفقرة الثالثة يعرض

متلطفا بصاحبه ابي حفص بن برد ، كما يحثه على طلب النعيم (وفى ذلك حسرة للشاعر اية حسرة ، وحسد مكتوم مكبوت لا يعرفه الا المجربون !) .

وهكذا تعود القصيدة مرة اخرى لتؤكد صبغة الرسالة التي تصبغها لابتداء العاطفة من موجة عادية الى ان تصل الى منتهى جيشانها فى الختام : « المخلص ـ والحبيب ـ او المشتاق جدا : فلان »

وشيء اخر ينم عن نضج صاحب هذه العاطفة ، هو لحن التفاؤول المنبعث من صميم الحزن العميق ، وذلك فى توكيد معنى تقلب الايام وبالامل فى ملاينة الدهر :

وعسى ان يسمح الدهر فقد طال الشماس

الموسيقى :

ومن اهم العناصر التي ساعدت على اكتمال هذا الاثر الادبي الجميل هي الموسيقى : موسيقى الالفاظ ، وموسيقى التراكيب ، وموسيقى بحرها الخفيف(مجزوء الرمل) وموسيقى القافية الهامسة بحرف السين وبالالف الممدود قبل رويها ، فضلا عن الموسيقى الداخلية التي تعج بموجات نفسية وتصويرية وانفعالية لا حدود لها ولا يمكن رصدها جميعا . فالالفاظ برقتها وعذوبتها تنم عن عملية اختيار دقيقة لها . وعن توهج ذهني اثري ملكة الشاعر ساعة النظم ، تلك الساعة التي تتدفق فيها الالفاظ مع موسيقى الانفعال الداخلي ، تدفق المعاني والاخيلة واكثر . وابن زيدون شاعر مطبوع قبل ان يكون شاعر تخير وصقل وتحكيك ، ولعل هذه القصيدة من خيرة القصائد التي تمثل انسياب الشاعر مع طبعه ، وغزارة موارده اللغوية التي يصدر عنها، ومدى الارهاف الموسيقي لديه . وابرز مناحي موسيقاه ، تلك هي الموسيقى الداخلية التي نحسها فى كل زاوية من زوايا القصيدة ولا نملك التعبير عنها دوما ، ففي الاجواء المتقابلة نرى الشطرين يتقابلان موسيقيا :

والمحاذير سهام والمقادير قياس
ولكم اجدى قعود ولكم اكدى التماس

وفى الاماكن التي تقتضي كرا وفرا لتخيل موسيقي لحظات نزاع وجذب نرى الشرط : فعله وجوابه يلعبان دور الفارسين المتلاحمين المتواثبين :

ان قسا الدهر فللما ء من الصخر انبجاس
ولئن امسيت محبو سا فللفيث احتباس

وانظر الى هذه الحركة المخيلة فى قوله :

ويفت المسك فى التر ب فيوطا ويداس

وفى الاماكن التي تقتضي كرا وفرا لتخيل موسيقي عن الاخر ، لكنه اراد ان يصور لك تكرار الاهانة التي توجه للمسك المذرور على الارض تماما ، حيث لا يداس مرة واحدة بل يهان اكثر من مرة ، فضلا عن فرق لغوي اخر دقيق بين الدوس الذي يصاحبه الصغار (ديس بالصغار والقماءة) والوطء العادي . وبوسعك ان تحصي احرف السين ومشتقاتها (ص ـ ث ـ ز ..) التي تكررت في القصيدة اكثر من سواها ، لتمسك بخيط السيمفونية الحزين ، وبظلال الهمس والنجوى المتمايلة بين حنايا القصيدة كما بوسعك ان تتحسس مدى عمق التذوق الموسيقي لدى الشاعر حين فرق لك بين مدلول كلمتين بحرف واحد (اجدى ـ أكدى) :

ولكم اجدى قعود ولكم اكدى التماس

(وانتهاش ـ وانتهاس)

اذؤب هامت بلحمي فانتهاش وانتهاس

ففي انتهاش وانتهاس : اشياء كثيرة ، منها انها لفظيا توحي بتشابه وتسلسل بالحركة ، وتتابع بالايقاع ، وانها معنويا تدل على عمليتين متتابعتين بالعض ، فانتهاش عض بالاضراس ، وانتهاس عض بالاسنان . ولهذا وغيره نرشح هذه القصيدة الغنائية الوجدانية الصافية اللحن والخيال للتلحين والغناء احسن ترشيح .

الزمن :

جانب الزمن من الجوانب المهملة فى دراساتنا الادبية ، وقد يتسامح بذلك فى الاعمال الادبية التي لا يلمح بها عنصر الزمن بارزا ، لكن الادب الاندلسي ، وآثار ابن زيدون على الاخص تلح على عنصر الزمان . واوضح ذلك فى قصيدته الرائعة التي على حرف النون :

اضحى التنائي بديلا من تدانينا ونأب عن طيب لقيانا تجافينا

فالزمن يلاحظ من المطلع ويستمر غالبا حتى نهاية القصيدة هذه على شكل مقارنات متقابلة بين زمنين متقابلين على طرفي خط واحد يبدأ من الماضي الحلو لينتهي الى الواقع المرير وله امتداد مبهم مفزع الى المستقبل . بينما فى القصيدة التي ندرسها نلاحظ الزمن يتشكل بعدة ابعاد طولية وعرضية ، ثابتة ومتحركة . والموجات الطولية التي تبدأ من فترة زمانية وتدخل في فترة زمانية كان بالامكان ان تلقي ظلا اليما محزنا ـ كما

(١و٢) ابن زيدون ـ نوابغ الفكر العربي (طبعة ثانية) الدكتور شوقي ضيف ص ٤٠

(٣) فى الادب الاندلسي (طبعة اولى) الدكتور جودة الركابي (٢٠٣ ـ ٢١٠)

(٤) عمود الشعر الجاهلي : المراد منه هنا تعدد الموضوعات فى قصيدة واحدة (الابتداء بالاطلال ثم بالنسيب ثم وصف رحيل الاحبة ، ثم الانتقال الى المدح او الفخر ، ثم الخاتمة بالحكمة) . الى جانب القوالب الجزلة وتفرد كل بيت على حدة بشخصية مستقلة .

(٥) الصورة الادبية (الطبعة الاولى) الدكتور مصطفى ناصف .

(٦) شواهد المتنبي وابي العلاء عن تاريخ الادب العربي (الطبعة الثالثة) حنا فاخوري

قلب بلا عواصف

منذ الازل وانا في المدينة الكافرة
بلا اهل وبدون اصدقاء
اتسكع على الارصفة تحت المطر
اضغط على معدتي
وادق الابواب والرؤوس القبور المجصصة
وعلى شبابيك السيارات العابرة
تتزحلق نظراتي الحائرة
علها تقع على عيني امراة شهية
احلم بهما او بمثيلهما
عندما انزوي في مكان ما
لاحس حينذاك
ان الكون عصفور يبني عشه على جبيني
انا النسر المتشامخ الجريح
والقلب الخائن الذي يحضن القارات

يومي تافه وساعتي عاقر
ادور في دوامة الضجر
امضغ قلبي ، فمي رئتي
وابصقها
امضغ اشيائي واوجاعي
وابلعها
ومن اعماق التفاهة اقف
لارصف ضلوعي طريقا
لاعلق عيني منائر
فاضحك .. واسلم ساقي للريح

آه الريح .. الافق اللازوردي
آه خسرت وزناتي العشرة
نهاية الطريق حفرة
فاقربي اقربي
ايتها الصغيرة المتوحشة
انت يا حبة القلب
وطيره الاستوائي الاسمر

بلا رغبة اعيش
نزلت الى اعماق البحر
ضربت قاعه بجفوني
صعدت
قرعت باب الشمس بروحي
فتفجر نهر من الخرق البالية
ما همني الوجود ، المصير
ما همني الذي سيكون
آه ليتني لم احمل سريري وامشي
مظلتي تمزقت تحت المطر
رايتي خلية يعشش فيها السرطان
تعبت
قلبي يعيش بلا عواصف
وعلى شبابيك روحي
ترفرف طيور الموت البنفسجية

الياس الفاضل

فعلت في القصيدة السابقة ـ لكنها هنا قامت بدورين لانها تبدأ من الماضي لتنتهي الى الواقع حينا ،او تبدأ من الواقع لتنتهي الى المستقبل المأمول احيانا اخرى ، فلاحظنا موجات الحزن تعفي عليها موجات متلاحقة من التفاؤل . وشبيه بذلك اللحظات الزمانية العرضية (اذا ما عز ناس ـ ذل ناس) لكن منتهى اللوعة حين يقف الزمن عن الحركة ويبرز الواقع ثابتا منقطعا عن الماضي والمستقبل :

من سنا رايك لي في غسق الخطب اقتباس
انا حيران وللامر ... وضوح والتباس

وعن هذا المحور الزماني الثابت (لحظة السجن) تدور قطاعات زمنية متعددة ، كتغير موقف الناس ، وتقلب طبيعة الايام ، وثبات وفاء الشاعر لاصحابه .

الكلمة الاخيرة :

بعد محاولتنا فرز العناصر الجمالية الفنية في هذه القصيدة نعترف بانها انزلقت من بين ايدينا مرة اخرى وانصبت في المكان الذي اغترفناها منه ، كشأن المغترف من بحر في يوم بارد حين لا تقوى اصابعه على قبض الحفنة الرجراجة ، فليغترف من شاء بنفسه بعد ان اخفقنا في حمل ما اغترفنا الى سوانا ، وحسبنا اننا جربنا على الملأ .

دمشق **محمد محمود الحسناوي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملحمة جيلجميش

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

بدات الحفريات عن اثار عاصمة اشور عام ١٨٤٣ بوساطة قنصل فرنسا بالموصل . وادت هذه الحفريات الى نتائج باهرة القت بعض الضوء على تاريخ بابل ، غير ان هذه الحفريات سرعان ما انقطعت .. ولكن علماء انجليز تابعوها بهمة ونشاط ، وكان من جملة مكاسبهم العظيمة اكتشاف مكتبة ملك اشور الكبير اشور بانيبال الذي حكم منذ سنة ٨٦٨ حتى ٦٢٦ ق.م. وكان هذا الملك محبا للعلم ، فجمع فى قصره مكتبة عامرة فيها اكثر من عشرين الف رقيم حملت الى لندن . واستطاع العلماء الانكليزا ن يفضوا مستغلقها.. ووجدوا فى جملتها كثيرا من المقاطع من ملحمة مؤلفة من اثني عشر نشيدا غنت الاحداث العظيمة التي تعرض لها البطل جيلجميش . وتتابعت الحفريات ، ووجدت مقاطع كثيرة من هذه الملحمة ترقى الى عهد حمور ابي فى القرن الثامن عشر ق.م. وبمقارنة النصوص المختلفة لوحظ ان الملحمة لم تكن على صورة واحدة ، بل تطورت خلال الزمن ، فقد زيد فيها الكثير كما حذف منها الكثير ، لانها كانت المجال الفياح للبطولات الشامخة التي كان هؤلاء الشعراء يتصورونها ، ويعزفون لها اقوى الاغاريد معبرين فيها عن اعجابهم بالخوارق ومفسرين الكون وفق طفولتهم العقلية ، واحاسيسهم النقية .

ومن المحتمل ان يكون بطل هذه الملحمة « جيلجميش » شخصا حقيقيا ، لان اسمه وجد فى قائمةتحوي اسماء ملوك اشور . والواقع ان العلماء لا يعرفون من الوجهة التاريخية سوى اسمه . ومن المعقول ان الشعراء اتخذوا من هذا البطل صورة ماجدة للبطولات الشامخة التي حلموا بها . ومع الزمن امحت الشخصية الحقيقية لهذا الملك لتتفاعل مع احداث الملحمةالخارقة التي غناها هؤلاء الشعراءالموهوبون. وهناك عدة نسخ من هذه الملحمة .. ولكن نسخة اشور بانيبال هي الاكمل والاحدث ..

وهذه الملحمة من اقدم الشعر فى الدنيا ، ولها قيمة ممتازة فى الادب العالمي ، وقد توفر علماء الغرب على بحثها بدقة ، ودراستها بعمق ، وقارنوا بينها وبين احداث التوراة ، واكد بعضهم ان بعض مقاطعها تسربت الى اليونان، وتاثرها هوميروس .

كان جيلجميش ملكا على اود . وعندما تنفس الحياة ، اجتمعت الالهة من كل فج عميق حول مهده لترامه وتباركه ومنحته القوة الضارية والبأس الشديد ، والذكاء العميق. وهكذا شب وثلثاه اله ، والثلث الباقي انسان، فقدامتزجت فيه الالوهية بالانسانية حتى غدا ملكا مرهوب الجانب ينشر اسمه الذعر فى كل مكان ، لا سيما ان «شمس» الهة العدل والشمس كانت تغمره بعطفها السابغ لانه كان ابن كاهنة فى هيكلها اختصت بالعرافة وقراءة المستقبل . فلا عجب اذا خاض الغمرات ، وخرج منها متوجا باكاليل الغار .. حتى القى هيبته فى كل مكان ، وخشاه كل انسان ، واستنام على هذا المجد الذي رتع فيه .

وذات يوم ترامى الى مسمع جيلجميش ان عملاقا هائلا يقطن جبلا بعيدا عن اور ، ويعيش فى غاب مليء باشجار الارز ، حيث نصب فيه هيكلا للالهة ايرينيني . ومما لا مشاحة فيه ان المقصود بهذا الجبل لبنان .. وكان العملاق « هومبابا » صنيعة بعل سيد الارض الذي كلفه بحراسة هيكل « ايرينيني » وهكذا كان عملاق الارز ممثلا لبعل ، وفى الوقت نفسه كان خصما لشمس التي جنحت الى حبيبها جيلجميش ، وطلبت اليه ان يذهب الى بلاد الارز ليقارع هذا العملاق الجبار .

وزرف « جيلجميش » الى رفيقه فى السلاح البطل « انكيدو » وساله مرافقته لاقتحام عرين هذا الجبارتحقيقا لرغبة « شمس » وامتاز انكيدو بشجاعته الخارقة ، فهو لا يقل بطولة عن صفيه جيلجميش . ولكنه وجم امام هذه الرغبة ، ثم عالنه برفضه مصاحبته فى هذه المغامرة التي لا تحمد عقباها متعللا بانه كان ذات مرة على مقربة من جبال الارز ، وسمع زئير هذا العملاق كالرعدة القاصفة .. وكان نمه يقذف النار .

ولكن جيلجميش لم تلن له قناة لهذا الوصف المخيف ، وهتف بانه سيذهب وحده الى غابة الارز ليفتك بهذا العملاق انصياعا لارادة شمس التي لا يستطيع ان يقاومها ولانها سانحة يجب ان يغتنمها ليضيف امجادا جديدة الى امجاده الغابرة .

وعندما راى انكيدو تصميم مليكه افتر ثغره عن ابتسامة راضية وغمغم : سارافقك . وهكذا اخذ الصديقان يعدان العدة للانطلاق الى هذا العملاق . وتوجه جيلجميش الى « شمس » بقلب خاشع ، وتمتم صلاة قصيرة ، ولكنها حارة ، ورفع يديه الى السماء يرجوها العون . وانطلق الى شيوخ المدينة ليستمد منهم النصيحة . وقالوا له : « انك شاب تلتهب شجاعة ، ولكنك لا تعرف خطر المهمة التي اردت الاضطلاع بها . اننا لا نعرف شيئا عن هومبابا سوى انه غول مخيف ، ولكنك يجب ان تمشي عشرين الف ساعة لتخترق البلاد التي تفصلنا عنه » .

ولكن جيلجميش لم يأبه لهذا الخطر ، وصرخ : ساذهب اليه ، سامحق الارز وسابني شهرة خالدة .

وبارك الشيوخ هذه الارادة العنيفة ، ورنوا الى «شمس» يرجونها حراسة خادمها الامين « جيلجميش » من كل

خطر .. على شريطة ان يقدم لها قربانا من الماء القراح كل مساء .

وعندما حان ميعاد سفره ذهب الى امه كاهنة الشمس التي برعت فى اختراق حجب الغيب ، وتفسير الاحلام . وقرت الام عينا بولدها البطل الذي بدا فى كامل اسلحته لتاثيل مجد سيدتها الشمس ، والقضاء على خصمهاالارعن .

وذهب جيلجميش برفقة انكيدو الى هدفه المرجو ... ولكن انكيدو تخبط فى داء وبيل .. وظل فريسة له مدة اثني عشر يوما .. وهو مجهد الحشاشة ، ممزق القوى ، يتراوح بين الموت والحياة . واكتنه انكيدو سبب مرضه . وقال لجيلجميش : « ان الها اراد لي هذا الداء جزاء وفاقا لترددي فى الذهاب معك » . وعندما شفي من سقمه تابع البطلان مسيرهما حتى وصلا الى سفوح جبال الارز . وشدها لمنظر الاشجار السامقة الى السماء . وخالطهما خوف غريب ، فاتجها بصلاتهما الى الجبل ، وحفرا حفرة عميقة ، ووضعا فيها قبضة من الطحين ، وهتفا : « ايها الجبل ، ابعث الينا الاحلام » . ولما عقد الكرى اجفانهما رايا احلاما عديده . ولما استيقظا تذكراها وحاولا تفسيرها .. واخيرا هرعت الشمس لمساعدتهما .. فقد اثارت اعصارا بالغ الاضطرام طرح العملاق ارضا .. وانقضا عليه ، وطلب العملاق الرحمة ، وكاد جيلجميش يستجيب له .. غير ان انكيدو اصر على المعركة التي انتهت بمصرع العملاق ، وحز راسه

وازدهى جيلجميش بنشوة النصر ، وامتاحته فرحة قريرة لهذا النصر العظيم . وكر راجعا الى مملكته بصحبة انكيدو . وعندما شارفها هرع الجميع لاستقباله والتملي بطلعة البطل الذي كان مرتديا حلة جديدة تاركا شعره مسترسلا على كتفيه . وبدا روعته فى سلاحه الذي يتالق تحت اشعة الشمس .. ورامقته الفتيات برغبة عارمة ، وتلمظت شفاههن شوقا اليه .. غير ان هذا الاعجاب المقرون بالهوس لم يقتصر على نساء مملكته ، بل لسوء حظه اعجبت به الالهة « اشتار » فقد نبض قلبها بحب عميق لهذه الطلعة المهيبة ، وامام العيون النهمة التي تناهبته ، رفعت اليه اشتار عينين خفق فيها الوله وهتفت : تعال يا جيلجميش . وكن زوجا لي . ساعطيك عربة من ذهب تجرها جياد فارهة ، وستدخل فيها قصرنا المنيف . وعندها يترامى الملوك والامراء والاشراف على قدميك ، وسيقدمون لك ثمرات السهول والجبال معبرين بها عن احترامك الشديد .

وانتفض جيلجميش ، ورفض هذا الزواج ، وهاجم الالهة بضراوة ، والقى على مسمعها خياناتها السابقة فذكر لها اسماء الذين احبتهم ، ثم اجتوتهم ، وحولتهم جميعهم الى حيوانات ما عدا تموز الذي كان اول من خفق قلبها له .. لان تموز توارى بعض الوقت ، ولهذا وجدت عليه وجدا عظيما ، وامرت جميع الكائنات بالبكاء عليه فى ذكرى موته .

ولكن هذا الاسى لم يمنعها من حب غيره ، ثم نقمت على هذا البائس ، فمسخته عصفورا ، ولم تكتف بهذا ، بل امعنت فى كيدها ، فحطمت جناحيه ، وهكذا نزع هذا التاعس الى الغاب يندب جناحيه بحرقة . وحبيب ثالث تلظى وجدها عليه فحولته الى اسد ، ورابع الى حصان .. وحبيبها الراعي بعد ان امتصت غضارته حولته سنجابا ، يتواثب فى الغاب تمزقه كلابه التي كانت له عندما كان راعيا . ولهذا رفض جيلجميش هذا الحب الذي عرضته عليه ... وانهى قوله : انك بلا شك ستحبينني بعض الوقت .. ولكن ستمسخينني اخيرا الى حيوان .

وشذرته اشتار بعينين ماج فيهما حقد كريه ، وعزمت على الانتقام من هذه الاهانات التي انثالت عليها .. وصعدت فورا الى السماء وطلبت من ابيها « انو » ان يخلق ثورا ضخما ، ويهبط الى الارض ، ويمزق « اور » بانيابه الكالحة ، وينتقم لها من جيلجميش الذي هزا بعواطفها . وجاء الهول مع هذا الثور السماوي المخيف ، فدمر المحصولات ، واباد الشجر ، ونثر الذعر فى كل مكان ، وعاث فسادا حتى استبد الرعب بالناس ، وولوا امامه مسفوعين ، ولم يتراجع جيلجميش امام هذا الخطر الماحق ، وذهب مع صفيه « انكيدو » لدرء هذه الفيلة . وهاجما الثور الذي ارسل خوارا فظيعا مادت له بطون الاودية ، واهتزت له شعاف الجبال .. ولكن البطلين الاروعين صمدا له فى الحومة ، وقارعاه بهمة قعساء لا تلين ، واستطاعا ان يمسكا بقرنيه ، واعمدا سلاحهما بجسده ، فتهاوى تحت ضرباتهما الشديدة .. وخر يتشحط بدمه المطلول ، وانتزعا قلبه ، وقدماه قربانا للالهة شمس . رغم انها لم تساعدهما فى هذه الملحمة الهائلة .

ورات « اشتار » مصرع الثور السماوي ، فتخاذلت منها القوى ، والمت بها رعدة قاتلة ، وزوت ما بين حاجبيها وقد جرفها حقد مرير على جيلجميش الارعن ، وصعدت على اسوار المدينة .. وامام الشعب الذي تجمع من كل مكان ، اخذت تلعن جيلجميش حتى تحيق به التعاسة ، ويتهاوى مجده الذي وطده بعزمته الصارمة .

وفى اليوم التالي لهذه المجزرة خف انكيدو الى صديقه جيلجميش ، وكان الذعر قد الم به واخبره عن حلم ممض رآه فيما يرى النائم .. فقد وجد نفسه مع مجموعة من الالهة هم : انو وبعل ، وايا ، وشمس .. وخاطب انو بعل قائلا : « بما انهما قتلا الثور السماوي ، ودقا عنق عملاق الارز .. يجب ان يموت انكيدو وجيلجميش .. واجاب بعل قائلا: «يجب ان يموت انكيدو وحده .. اما جيلجميش فسيظل حيا . » وتدخلت شمس وزعمت اننا فعلنا ما فعلنا بارادة بعل .. ومع هذا لم يتراجع عن ارادته ، واصر على موت انكيدو » .

وبعد اثني عشر يوما وقع انكيدو فريسة مرض مريع ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولفظ انفاسه .. وجزع جيلجميش على رفيق السلاح ، وانبجست منه العبرات وتركزت فى ذهنه فكرة الموت .. فقد يأتي يوم يجد نفسه فريسة لهذا الموت الكريه ، وخالجه الخوف لهذه الخاطرة ، وصدها عنه بعنف ، سيكافح حتى يظل خالدا .. بعيدا عن الردى ..

وفكر وقدر الامر ، وترامى الى مسمعه ان احد اجداده القدامى « اومبنيستي » قد كتبت له الحياة الدائمة لتقواه وصلاحه لانه عندما تمرد البشر على الالهة ، وهزاوا بتعاليمها ، وفسدوا فى الارض ارسلت الالهة طوفانا اغرقهم حاشا « اومبنيستي » الذي كان مطيعا لالهته بارا بها ، فكافأته بالحياة السرمدية . ولهذا عزم جيلجميش على البحث عن هذا الجد السعيد ليسأله عن سر الخلود . وامتطى صهوة جواده ، وذهب يتلمس مكان هذا الجد . واجتاز السهل المترامي ، وبعد خطوب وصل الى سفح جبل « مسهو » وارتاع لاول وهلة عندما راى مخلوقين هائلين قد امتدت قامتهما بشكل مريع .. وكانت مهمتهما حراسة مدخل الطريق الذي تخترقه الشمس كل غروب عندما تتوارى وراء الافق . ودنا منهما وجلا . ولكنه ما لبث طويلا حتى سرى عنه ، وتجلد امامهما ، وبلهجة باكية قص عليهما مأساته . انه بائس يهيضه الخوف من الموت ، وهو يود ان يغالبه حتى لا يتسرب الى جسده . ان الحياة جميلة ولا يريد ان يذرها الى عالم هامد .. يقشعر منه بدنه . وحاول الحارسان تخذيله ، وصده عن غايته وقالا له : لا يوجد طريق الى جدك .. وحتى لو وصلت الى شاطيء البحر لن يتسنى لك اجتيازه ، وهو المتلاطم الامواج .. ولم يوجد ذلك الكائن الذي استطاع ان يجتازه ما عدا شمس ..

ولكن جيلجميش يملك عزما من حديد ، وارادة تغالب العقبات التي تنتصب امامه .. ولهذا لم يأبه لنصح الحارسين .. انه يبغي امرا ، ولن يتراجع عنه مهما عانى من الويلات .. ودار حول الجبل ، وبعد جهد عنيف وصل الى طرفه الاخر الذي يربض على البحر الذي يحيط بالعالم .. ورأى بستانا ناضرا عجيبا بهر بصره بغرائبه . وكان ملكا لالهة من الطبقة الثانية تدعى « سيدوري سبيتو » وعندما بصرت هذه جيلجميش هرولت الى بيتها ، واوصدت الابواب ، واحكمت اغلاقها . واقترب منها جيلجميش ، وكلمها بصوت عذب هادىء . واثرت فيها لهجته اللطيفة ، فوافقت على سماع قصته . ولما انتهى من سردها اجابته : « ان الحياة التي تبحث عنها لن تجدها لان الالهة عندما خلقت الناس قضت عليهم بالموت ، لهذا يجب ان تستمتع ليل نهار ما دمت حيا . » غير ان جيلجميش لم يقنع بهذا الراي الصائب ، واصر على فكرته ، وناقش الالهة .. وقالت له اخيرا : بعد مسافة قريبة من بستاني تجد غابة فيها بحار ، وهو حطاب وصانع سفن قد يوافق على مساعدتك»

وذهب جيلجميش يحدوه امل بسام الى الغابة ، ووجد فيها ضالته المنشودة . وخفق قلبه فرحا ، ولكن البحار رفض مساعدته لاول وهلة .. غير ان جيلجميش استطاع بحنكته وحكمته اقناعه . واخذ الاثنان يهويان بفؤوسهما الضخمة على الاشجار الفارعة ، واطاحا بمئة وعشرين شجرة ، وعملا منها مركبا عظيما ليقلهما الى «فم الانهار» حيث يقيم جده اومبنيستي منذ عهد الطوفان .

وبعد صعاب ملتوية، ومسافات شاسعة وصل جيلجميش الى هدفه ، ووجد نفسه فجأة امام جده السعيد الذي يعيش مع زوجه منذ نهاية الطوفان . واستقبله مرحبا به. وسأله عن غايته .. ولما نفض جيلجميش قصته ، واماله فى الحياة الخالدة قال له جده : « يجب ان تتخلى عن كل امل فى هذا . »

وكد جيلجميش العرق ، وخانته قواه . وامره جده بالجلوس . وما استقر فى جلسته حتى شعر بالنعاس يوقر اجفانه ، وغرق فى نوم عميق . ولما استيقظ قال له جده : « ارأيت انك مجرد انسان . »

وبكى جيلجميش ، وكفكف اومبنيستي دمعه ، وحاول التسرية عنه . وقال له اخيرا : يوجد نبات يعيد الى الشيخ شبابه . ولكنه فى اعماق البحار . وعليك ان تجده بنفسك

وسارع جيلجميش الى ربط حجرين كبيرين فى قدميه ، وغاص فى اعماق الماء ، ووجد النبات العجيب ، وانتزع قبضة منه ، وتخلص من الحجرين ، وطفا على سطح الماء .

وعراه الفرح الشديد ، وهو يمسك هذا النبات القدسي. لقد تعذب كثيرا حتى وصل اليه . غير ان كل هذه الاوصاب التي تعرض لها قد تلاشت عندما داعب بيده هذا النبات الذي يتيح له الشباب ، ويهصر الشيخوخة التي يرتاع منها . والان يستطيع ان يعود الى عاصمته اور مطمئنا الى غده .. وعندما يستقر به المقام هناك سيأكل بعض اوراق هذا النبات ليقضي على الام الشيخوخة ، ويتسربل برداء الشباب القوي . واتجه صوب مملكته يتوثب من السعادة. وفى الطريق اجتاحته موجة من الحر الراهق فانحدر الى ينبوع ماء رقراق لينقع غلته . وما ان عب قليلا من الماء حتى راى افعى قد جذبتها رائحة النبات ، فانسابت بين الحجارة وانتزعته ، وفرت به .. وازدردت قليلا منه واذا بها تحس بقوتها الناضبة تتجدد ، وانتفضت بشبابها وجبروتها . ورامقها جيلجميش والاسى يحرقه بجمراته انها سعيدة فقد خلعت ثوب الشيخوخة الى الابد ، ولن تتعرف الى الامها الراهصة .. اما هو الذي عانى فى سبيل الحصول على هذا النبات .. فستدميه اشواك الشيخوخة التاعسة ، وسيمزقه الموت ..

وهكذا حاول البطل ان يحصل على سر الحياة .. ولكن فى اللحظة الاخيرة انتزع منه .

طرطوس

محمد حاج حسين

اغنية حب في عيد الميلاد

●

الى صاحبة القلب التي اغني لها عمري..

•

مجاهد عبد المنعم مجاهد

•

القاهرة

الحب جاء يطرق الابواب فافتحوا
قد جاء فى عيونه السلام ليس فى يديه ما يؤذي ويجرح
الا افتحوا .. خذوه فى صدوركم وراقصوه وافرحوا
وعندما يقيم فى قلوبكم وتمنحوه دفئكم سينتشي
يقول : « نعم المطرح !! »
لا تتركوه فى الطريق فهو قد اتى مع المساء ظل للصباح
كي تصبحوا عليه كي تصبحوا
وجاءكم .. بعيد ميلاد الذين يعشقونه .. لهم يسبح
بعثته اليكم رسولا للفؤاد .. فافتحوا له افتحوا ..
حبيبتي .. عيشي لنا الفا من السنين
الا اعذريني لم اجيء لاحمل الورود طوق الياسمين
فان لي حبيبا حزين
لكنني بعثت فى المساء من فؤادي الهوى
الذي يجيء يطرق الابواب بالحنين
اغلى الهدايا يا جميلتي قدمتها .. ترى هل انت فى العشرين
أم يا ترى انا الذي صغرت يا صغيرتي ويصغر الهوى
الدفين !؟ ،
بعيدك الذي اود ان يجيء كل ساعة ..
وجاءكم هواي يحمل السلام فافتحوا له افتحوا
الارض قد تألقت وزينت خدودها
والشمس قبلت على السماء عودها
وعندما تجيء نجمة السماء فى عيونك التي احبها
وفتح الهوى ورودها
وعندما ستفتحين هذه الابواب للرسول
سوف تعرف العيون يا صديقتي وجودها
فاكرموا الرسول يا حمامتي افتحوا له افتحوا
لا تدخلوه زائرا
لا تتركوه حائرا
خذوه انه يود لو يقيم عندكم ولا يعود طائرا
ان لم يعد يا فرحتي ، يا فرحة القوارب التي رأت
جزائرا
الا افتحوا الرسول واقف لديكم افتحوا ..
اقول يا صديقتي بعيد ميلاد الذين عندهم هواي
قائما يسبح
بأن من يجيئه هدية ولا يردها
ويطلب الذين ارسلوها فى الصباح كي يصبحوا
اكون قد اخذت منكم هدية
لعيد ميلادي الذي ما جاء بعد فادخلوا فى دفء
قلبي وافرحوا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن خلدون في دنيا التربية

بقلم عزمي سكر

ميز ابن خلدون نظر الايمان عن بحث العقل واوضح نطاق كل منهما . فرأى ان الفكر البشري معد للعمل في العالم المادي يتناول منه الصغير والجبار كما يخضع لميزانه كل ما ينتاب البشر بما هم بشر اسوياء، من توضيح للشرع وبلورة للعقيدة ودفعته هذه الخطوة الجريئة الاولى الى استكمال التنقيب بنور العقل فارسل منه الاضواء على المجتمع الانساني ، عارضا للاوضاع السائدة والبائدة ، شارحا للنظم المائلة والزائلة. وقد اقعد انظاره على سببية بحث ابلغته مأموله، وكشفت له عن اكثر من جديد .

وبذا رأيناه يشرح البيئة الطبيعية والاجتماعية كما يذكر المجتمع البدوي في مده وجذره . ويبحث في الدولة متتبعا نهوضها وتطورها الى الانحطاط ، ذاكرا اعراض تمدنها ومظاهر تقدمها. وهو ما اسلمه الى دراسة العمران الحضري متمثلا في نهضة المدن ورفاهية الشعوب . واستنشأ موارد المعاش ووجوهه وختم مطافه العلمي فاستقرأ اصناف العلوم واستقصى طرق التعليم .

وانا لمرافقوه في شرحه وتدليله ، ومرفقون ذلك بما يستحقه من نقد وتقييم .

وفي يقين ابن خلدون ان المربي كائن ممتاز ذو مؤهلات ومهام خاصة الى ابعد الحدود . وانه قد حذق علمه باتقان فوقف على مبادئه وقواعده ، الامر الذي سهل عليه استنتاج الاجزاء من الاسس واستتباع المبدا بالتحقيق. وسما بذاك على الفهم والوعي العامين بين البشر . كما تجلى سموه في استحداثه الاصطلاحات وابتكاره الوسائل . وذلك امر غريب عن جوهر العلم ، وليس منه في شيء . فصناعة التعليم قائمة على اتقان طرق وتحصيل اسباب يتفرد باتيانها فئة هم المعلمون .

بيد ان ملاحظة الواقع تكشف لنا عن نواقص في فكرة ابن خلدون . ولسنا في سبيل الاطالة والاسهاب بل نسرع فنقرر ان التعليم في جوهره موهبة واصالة . وهي الطبيعة المطلقة مصدر الميل الى نقل الخواطر في الانسان واذاعة المدركات . وذاك لا ينفي وجود الدوافع الاجتماعية في ترقي هذه المهنة واكسابها سمة حضارية ملموسة . فمادة التعليم قائمة على طبع وصناعة متفاعلين .

ولا يغيب عنا ان منشأ التعليم اجتماعي طبيعي في العمران البشري والمرء مدعو من ذاته الى النهل من بحر من سبقه الشأن الذي جعل التعليم للعلم من جملة الصنائع . ولما كانت الصنائع لا بد لها من العلم اصبح « السند في التعليم — في كل علم او صناعة — الى مشاهير المعلمين فيها ، معتبرا في كل افق وجيل » والتعليم يتطور وفقا لظروف اجتماعية هامة . اذ الصنائع تستجاد اذا كثر طالبها ، فالعلوم انما تكثر حيث يزداد العمران وتعظم الحضارة .

هذا الانسان المتكامل ، من نذر نفسه ووقته للتعليم ، يفرض فيه الاتصاف بمناقب والتخلق بمزايا، ولعل دراسة النفس البشرية هي ابرز مشاغله ولب تفكيره . وبها يقف على تطور العقل الانساني المستمر منذ الحداثة حتى البلوغ. ويفيد من ذلك في تقريره برامج التدريس لكل مرحلة في سلم تقدم التلميذ . وهكذا يأتي الاجمال في البدء وعلى وفرة في السطحية والحسية ليبلغ ذرى التجريد المحكم في الاخير . فلا تشقى عقول الاولاد في استيعابه بل يتناغم مع شخصيتهم في حفز على التطبيق مفيد .

وهي النفس تخبر ان العقل متى احاط بمبادىء علم من العلوم احاطة حسنة تاق الى استكمال البحث في تلك المسالة فيسهل الامر عليه وينجح في منهجه على نسبة شوقه ذاك .

اما ان صدمته العراقيل واضطربت عليه المفاهيم ، واغلبها ناتج عن رداءة طريقة التعليم ، فاغلق عليه الفهم الصحيح ، كل الطفل ويئس وحسب ذلك من فساد العلم بذاته فهجره وعاداه .

هذا الراي من ابن خلدون هو بحق مثار الاعجاب . ونحن لا نأتي بجديد ان اكدنا صلته بمستحدثات التربية الاخيرة . وقد اقر العلماء اليوم ضرورة بذل الجهد لحمل الولد على ان يعشق ما كان بالامس يأتيه في ارغام .

واذا فما هو مقياس العلم الصحيح ؟ وما هي شروط الحذق فيه والاستيلاء عليه ؟ وجملة ذلك غاية التعليم القديم وهدف التثقيف الصالح . ان مميزات العلم اليقيني « حصول ملكة في الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله » .

وكيف السبيل اليه ؟... ان اخص صفة يتسلح بها الطالب في ارتياده آفاق المعرفة السليمة ايجابية يستمدها من توجيه المعلم وجميل مسعاه. وبها يحتكم الى عقله وطراز اختباره ، فيستوضح الغامض وينفي الحيرة في تفتيشه عن ركائز الحق .

قال ابن خلدون « وايسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها » . وعلينا الاقلاع عن كل سلبية عقيمة يبقى معها الطلاب « بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم » ونحن لو رمنا تشخيص مكمن العلة في هذه الازمة العضالة لما انتهينا لغير الاسلوب الخائب في التدريس . فليست عقولهم متهمة بدليل كثرة حفظهم وتفوقهم في البلاغة على حفظ سواهم .

هي الرعونة في الخطة اس الداء وباب الشكوى تبدل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضررها وتجلى على اسطعه في استطالة مدة التعليم اذ تفاوتت بين خمس سنين في تونس وست عشرة سنة في المغرب « لاجل عسرها من قلة الجودة في التعليم » .

وبعد ، فالنفس البشرية تكشف لدارسها عن امور وخصال . وبها ندرك ان ذهن الولد صحيفة بيضاء في بدء نموه العلمي . وان ما ينقش عليها بعد ذلك يسهل حفظه ويعز زواله . « ان التعليم في الصغر اشد رسوخا ، وهو اصل لما بعده ، لان السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات ، وعلى حسب الاساس واساليبه يكون حال ما يبني عليه » . ولما كان العلم ملكة تغرس في نفس الطالب قرر نابغتنا ان اساس تركيزه قائم في التكرار والتتابع ، لما كانت الملكات في رايه حاصلة عن اقتفاء النهج عينه . « وليس الاتصاف بحاصل بمجرد العلم ، حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف » .

فالفطرة بهذا الشكل تغدو استعدادا سلبيا لتلقي المعرفة . بيد ان اكتساب ملكة في فن من الفنون يضعف استعداد النفس لسواه . وما ذلك الا لان الملكات الوان النفس ، فلا تتزاحم او تتدافع « حتى ان اهل العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة . ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم واجادها في الغاية فقل ان يجيد ملكة علم آخر على نسبته بل يكون مقصرا فيه ان طلبه ، الا في اقل النادر من الاحوال » ويلحظ ابن خلدون ، على صحة دعواه ، ان الاجادة في فني النظم والنثر لا تتفق للفرد الا في الاقل .

والمعلم ، بعد ، ان هو احسن ملكة التعليم فادى واجبه بدقة واخلاص ، تركت الامور العلمية آثارها الخيرة في النفس ، بالادراكات الحاصلة ، فلا تلبث ان تنجلي بكثرة الملكات ، وبذلك يزيد ذكاء الانسان ويضيء فكره . فتنوع الصنائع والاكتساب المثمر للعلوم ينميان العقل البشري في نهج تصاعدي مستمر .

وان للتثقيف دورا مخصابا آخر لا ينبغي اغفاله ، عنينا به ما يتركه من تقويم لاخلاق صاحبه غير منكر . وبذلك يبدو تاثير العلم فكريا وخلقيا مزدوجين . جاء في المقدمة « ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا . تستعد به لقبول صناعة اخرى ، يتهيأ بها العقل بسرعة الادراك للمعارف » . فالكتابة تذكي شعلة العقل وتبعد افق التفكير والادراك الانسانيين .

يتحرى ابن خلدون البرهان في الهندسة وعلم الحساب فيطيش سهمه ويزل قدمه . في عقيدته ان الهندسة تورث صاحبها « اضاءة في عقله واستقامة في فكره » وما ذلك الا لان « براهينها كلها بينة النظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل في اقيستها ، لترتيبها وانتظامها . فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ ، وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع » . ويحكي الحساب الهندسة في هذا القبيل فيطري ابن خلدون اثره العميق في ذهن المرء ولذلك ينصح بتقديم تدريسه على سائر المواد التعليمية .

قدر لهذه الفكرة ان تسود في الاوساط التعليمية خلال القرون الوسطى ومطلع الازمنة المعاصرة . وبوحيها حصر المعلمون اهتمامهم باتقان تدريس عيمي الحساب والهندسة ، فاذا بالتمارين تفوق النطاق الواجب ، وبالمسائل تتعقد وبارقامها تكبر . وسرى الظن انه على نسبة العسورة والوفي ، تعظم العائدة ويجود التلقين .

اما التربية الحديثة فاطاحت بكل شطط وافراط في الزعم الانف واوصت بأن « تمارين الحساب تقوي في التلاميذ القدرة على حل المسائل الحسابية ، ولا تاثير لزيادة تعقيدها وتركيبها ، مع الافراط في التجريد ، في تنمية قوى التفكير بصورة عامة ، فكثيرا ما نجد رياضيين ماهرين عاجزين عن التفكير الصحيح في موضوع اجتماعي(١) » .

والنفس تسر بالادراك وتبتهج للمعرفة . وعلى المعلم استثمار هذه الخاصة في طبيعة النشء لتحقيق الغاية من تربيته العزيزة . « واعتبره بحال الصبي في اول مداركه الجسمانية . . كيف يبتهج بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الاصوات » .

ونراه يعترف للفلسفة بثمره وحيدة يلمحها في « شحذ الذهن في ترتيب الادلة والحجج ، لتحصل ملكة الجودة والصواب في البراهين » .

وهذا ما استلم ابن خلدون الى بحث الصلة المتينة التي تشد العمل الى الفكر فراى ان « من شروط الصناعة ابدا تصور ما يقصد اليه بالصفة . فمن الامثال السائرة للحكماء اول العمل آخر الفكرة وآخر الفكرة اول العمل » .

نخلص من هذا الى ضرورة توضيح النظرية للحس واجادة عرض الفكرة فيتبلور الموضوع في راس الفتى ويسهل بذا الانتقال الى التطبيق .

* * *

ان التفكير المجرد وارسال النظر في الكليات هما من ابلغ خصائص البشر . بيد ان الملكة في ذلك تفصح عن الاضرار في الحقل العملي والسياسي على وجه الحصر والدقة . ان المحاكمات الذهنية الاستقرائية واشكال القياس بالمماثلة والنظائر والاشباه لا يعرضان لاي اختلاف ومغايرة . ومن هنا جاء التصميم بعيدا عن الواقع وغدا استدلال العلماء ضربا في الخيال .

وان العلماء والفقهاء ورجال الفتيا والامامة واصحاب القضاء والخطابة لشرف بصناعتهم وكماليتها وصون ماء الوجه فيهم عن استجداء اهل الجاه بعيدون عن اقتناء المال وحيازة الاملاك . وان ابن خلدون الكافر بانعم الحضارة يستخف بنشأة العلماء في تأديب وتعليم منذ الحداثة ويرى في ذلك حافزا للجبن وعاملا على الاستكانة في نفوس هؤلاء الحكماء

ونحن نرى ان مراقبة ابن خلدون لذوي الثقافة في بيئته هي التي حملته على التصريح بهذه الاراء المخطئة . فسدت

(١) واصف البارودي : محاضرات في التربية والتعليم ـ الطبعة الثالثة ـ الجزء الثاني ص ٧٤

عزيمتهم ، اضروا الى التأمل الهادىء فى نجوة عن العمل الصاخب كذي التجارة والصناعة والسياسة . فلا عجب فى ان يتحول شأنهم مع تقلب الاعصار ونشهد منهم في يومنا الحكام الصالحين والساسة الناجحين .

الا ان جهل الامة العربية وقتذاك هو المسؤول عن انحطاط حال العلماء وركود ريحهم فنكبوا فى ذات يدهم ورموا فى رجولتهم . وشهدتهم المقدمة بعيدين «عن اعتزاز اهل العصبية ، والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم» .

وان نعجب لامر فانما منشأ ذلك سكوت حكيم تونس عن الاشارة الى البنات فى اطار منهاجه التربوي . وعهدنا بالتاريخ الاسلامي مليئا بالمربيات الشهيرات ذوات الاثر المستطير فى دنيا الفكر والاجتماع . وما امثال سكينة بنت الحسين ومؤنسة الايوبية وشامية اليتيمة وشهده الكاتبة بخافيات عن السواد . وان فى جهل نساء عصره وخمود جذوة التفكير عندمعظمهن اسا لهذا اللون من البحث ومنبعا لطي ان خلدون كشحه عن كل امل باصلاح .

هذا وقد عرف الفكر العربي مفكرين عظماء اولوا موضوع المراة عنايتهم . فدعا ابن سينا الى وجوب تعليم الفتاة . كما اهاب ابن رشد بالقوم ان يعلموا البنت ما يعلمونه الذكر فيتلقى الاثنان علما واحدا .

* * *

واذا اعد ابن خلدون المربي الاعداد الحسن فاطمأن الى تثقيفه بالمبادىء الاساسية لعمله الاجتماعي الفذ وضمن له التكيف المجدي مع منطوق النفس ولوازب الاخلاق شرع يبين له القواعد فى تحقيق « صنعته » . وانها فى جملتها تنوزع بين طائفتين : فمنها النواهي يتلوها الاوامر .

يحذر ابن خلدون « معلم الصبيان » من عنف تلاميذه والركون الى الشدة فى تربيتهم ، وعلى الاخص مع الاحداث منهم . وان فى نتيجة ذلك رادعا للناهج وعبرة للبصير . فالشدة تقضي على النشاط وتدفع الى الخمول كما انها تدعو الى الكذب والخبث منجاة للطفل من قهروليه . وبذا تزين له المكر والخديعة وتحمله على اتيانها . والى هذا وذاك يعيش معها الناشىء فى جو من الجبن والخنوع يمحق معاني الانسانية فيه . « ينبغي للمعلم فى متعلمه ، والوالد في ولده ، ان لا يستبدا عليهما فى التأديب » .

ولا يسهو ابن خلدون عن مساوىء الملاينة والمسامحة وآفات الاغضاء الخطيرة فيجعل وصية الرشيد لمعلم ولده « من احسن مذاهب التعليم » . وقد جاء فيها « لا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه . وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

وعلى المربي الاحتراس من كثرة التآليف فى العلوم فهي عائقة عن التحصيل . وينبغي له الا يزيد متعلمه على فهم كتابه ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه بجملته وينال منه ملكة توضح له سواه ، فالملكة فى علم من العلوم استعداد للاستزادة منه . بيد ان التزواج بين العلوم صنيع مفيد . وفى خبرتنا ان الانتقال المثمر بين الفنون فى التدريس يكسب الانتباه اتقانا واستقواء . وما طريقة تمركز الدروس التي تحبذها المدرسة الحديثة غير مظهر عملي لهذا المضمون .

وعلى هذا السياق يوجب ابن خلدون الفصل في التدريس بين العلوم . فالخلط ذريعة الضياع لما يستلزمه من تقسيم البال وتنقله بين الواحد والاخر منها . وحسب ذلك سبيل لايصادها وخيبة الناشد .

لعل فى استطلاع ما كان يجري على عهد ابن خلدون فى حقول التعليم خير كاشف محور فكرته هذه . لقد اعنت المعلمون يومذاك الطلاب بحفظ الكتب الكثيرة فى الموضوع الواحد ، وشددوا عليهم فى استظهار ما يواكب هذا من اراء متباينة واصطلاحات متنوعة ، نشأ عن ذلك ارهاق الجيل المتعلم وخيبة امل فى الاخير .

اما فى عصرنا الشاخص وقد غزرت المراجع واحتيج الى الاستزادة فى كل علم ، اصبح الوقوف الدقيق على اكبر عدد من المصادر امرا مرغوبا فيه مع الشادين ولفيف المتقدمين . الا ان كثرة الاختصارات المؤلفة فى العلوم منحلة بالتعليم . وان حشو الالفاظ القليلة بالمعاني الخصبة الغزيرة افسد البلاغة عند المريدين واعسر الفهم الصحيح . ناهيك عن التخليط القبيح بالقاء غايات العلم قبل التهيوء ببديهياته . هذا فضلا عما يستغرقه تفهم الالفاظ الموجزات من وقت صالح ما احوج المرء اليه ! ولئن هذا الاسلوب اتبع على اتمه لما حصلت عنه الملكة الصحيحة المنشودة ، اذ هي قائمة بالتكرار والفقه الملموسين فى الموضوعات البسيطة المطولة .

وغاية الامر « قصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم صعبا يعطلهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها» .

والى هذا يلزم المعلم الا يطيل على الفتى بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها ، ففي ذلك محك للملكات ــ وقد عرفنا انها لا تحصل بغير الاعادة والتتابع ــ ومصدر للنسيان نابع عن البتر بين مسائل العلم الواحد .

وابن خلدون ، اذ يؤكد هذا ، يفوته ان الراحة امر ضروري يحبذه علم النفس ويدعو اليه . وبات من مسلمات هذا الاخير ان الذهن يكل عن الانتباه لاكثر من ساعة . فان صحح هذا مع اليافعين فكيف ظنك بالدارجين ؟

نخلص من هذا الى العمل الايجابي فى مجال التربية . والمعلم مدعوفى المحل الاول الى الترقي فى تثقيفه مع التكرار والتوسع المتمركز ، انسجاما مع قدرة المتعلم العقلية ومواهبه النامية . وذلك لو صلح لتمثل على ثلاث مراحل .

ففي البدء يتحتم عليه الالمام باصول العلم فى شرح مجمل يضمن له شمول ذلك العلم ويغدو من هذا الوجه على تهيوء لفهمه وتحصيل مسائله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم يعود الطالب لاستبطان الفن عينه على اسلوب في التلقين اكثر دقة . وهكذا تتسع الشروح والبيانات فتقف على الخلافات فى مسائل العلم ووجوهها . وهكذا تسلم ملكته . وينبغي للطالب فى النهاية ـ وقد آذن العمر بذلك ـ ان يرجع الى موضوعه فلا يهمل عويصا ومبهما بل يستفتح مغلق الجميع ، فيتقن فنه ويتريض ذهنه .

وابن خلدون ، اذ يذكر هذا ، يشير الى اخطاء المعلمين، لايامه ، وينتقد عملهم بعنف وارشاد : وجاء على لسانه قوله : « وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد يجهلون طرق التعليم وافادته ، ويحضرون للمتعلم فى اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه فى حلها . ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه . ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مبادئها ، وقبل ان يستعد لفهمها ... واذا القيت عليه الغايات فى البداءات ـ وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي ، وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم فى نفسه ، فتكامل عنه ، وانحرف عن قبوله ، او تمادى فى هجرانه . وانما انى ذلك من سوء التعليم » .

وليحرص المعلم على الاستعانة بالوسائل الحسية فى تدريسه وابلاغه التعليم الصحيح ، ومن باب التخصيص مع البادئين اذ « يكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا فى الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال والامثال الحسية . »

ولنا ان نتساءل عن العلوم الواجب تدريسها والقواعد التي يلزمنا مراعاتها للاجادة فى تعليم كل منها ، بالنظر لبعيد خطره وعميق جدواه .

يقسم ابن خلدون العلوم الانسانية الى نوعين ، فهناك العلوم الالية وتشمل النحو والمنطق واصول الفقه ، وهنالك المقصودة بالذات وفى عدادها تبرز الشرعيات والطبيعيات. وفى الوقت الذي يؤكد فيه اهمية الاولى وعظم شانها في نضج العقل وسموه يشير الى ان الاستبحار فيها ، لغير المتخصصين من العلماء مضيعة للعمر وخيبة فى المسعى . « لان التوسع فى العلوم الالية يخرجها عن المقصود ، اذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير ... فاذا قطع المتعلمون العمر فى تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد . »

آمن ابن خلدون بان البشر يكسبون علومهم عن مجريين. فحينا بالعلم والتعليم واخر بالمحاكاة والتلقين . والذي لا ريب فيه ان الثاني منهما اوفر اثرا وابلغ نتيجة من سابقه. ولذا حبذ ابن خلدون الرحلة فى طلب العلم . فيها يلقي الطالب اساتذة جددا يكفلون له اصطلاحات وطرقا ووسائل متنوعة . ويكفيه من ذلك تضخم فى ثقافته وانعاش فى قواه الفكرية والخلقية ، من بجدة التعميم .

من تضاعيف هذه الهنات، وقد جاء بخطوطها العراض، ينجلي مظهر خلاب لعظمة ابن خلدون ورفعة مقامه . وترجع ذلك دعوته الى الفهم الصحيح لنفسية الولد والتلطف في خبرته . ولعل ابرز خطأ اتسمت به تربية القرون الماضية توكؤها على نظرية الرجل المصغر فى اختطاط المناهج واستنساب المراسيم . وان خلود جان جاك روسو ومونتين كامن ، الى مدى رحيب ، فى عملهما على كشف اغوار شخصية الطفل ، ونهوضهما ـ وامثالهما ـ للذود عن طبيعة الفكر والشعور عند التلميذ . وجاء اعلان حقوق الولد الذي صدقته جمعية الامم تكريسا لجهود هؤلاء الافراد الميامين .

وان عرف ابن خلدون بفلسفته للتاريخ وبحوثه فى علم الاجتماع ، فنحن نرى ان نظرياته التربوية لا تقل اهمية عن جانبيه السابقين . وفى ذلك ما فيه من تنويه جديد بذاك الفكر المخصاب .

منياره ـ لبنان **عزمي سكر**

دار المعارف لبنان ش.م.ل.

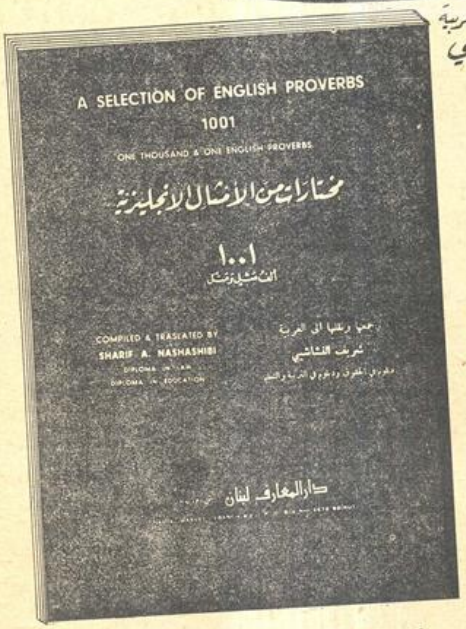
بناية العسيلي - السور - ص.ب ٢٦٧٦ تلفون ٢٣٥٧٤

تقدم للقارئ العربي لاول مرة ترجمة لأهم الامثال الانكليزية الى اللغة العربية . وهذا الكتاب مفيد لدارسي اللغة الانكليزية ولدارسي الفكر الغربي

مختارات من الامثال الانكليزية
١٠٠١
الف مثل ومثل

ان المؤلف قام بنقل الامثال الانكليزي الى العربية بدقة وبراعة

جمعها ونقلها الى العربية
شريف النشاشيبي



الثمن ٢٠٠ ق.ل أو ما يعادلها

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

ـ وما يلزمك على ذلك ؟

ـ حتى ان حاولت فلن يمكنك .. لن يمكنك

ـ

ـ اني ابتسم لتحمسك ، لتحمسكم جميعا حين تهمون بالكتابة ، هيا اخبريهم اخبريهم .. هذه حياتي او ايامي حتى الان ، نقبي فيها ، اطرحي منها ، ابقي على بعضها او لست ادري ..

ـ

ـ لا تجهدي فكرك من اين كانت البداية ، فانا نفسي لا اعلم متى ابتدات

ـ

ـ ذاهلة انت ، قبل لحظات كنت شعلة من حماس لتخبريهم ، هيا اسرعي فطيات الاوراق تنتظر منك ان تمديها بالكلام ، هيا حدثيهم عني اما انا ، فسوف اجلس على المقعد هناك في الزاوية المظلمة ، لاني متعبة ، متعبة جدا كما ترين

ـ

ـ لا تنظري الي ليكون اخراجك للحقيقة اعمق ، الانسان موضوع صعب ، صعب فلا تنظري الي وانما ابرزي من هذا الانا ما اثر فيك وجعلك تسرعين للكتابة اما ان تقولي بعد النهاية هذه انت ، انت بمجملك فلا .

ـ

ـ الانسان موضوع صعب .. صعب

ـ

ـ ذاهلة انت ، انا على حق ، الانسان موضوع صعب ولكن حاولي ، حاولي قد اجد بعض الفرح بما تعكسينه ، او لعلني اجد حلي او لعلني ازداد ضياعا ، ضياعا في كومة الايام

ـ

ـ لم يتوقف المطر منذ الصباح ، هذه آخر ليلة لي هنا ، في هذه البلدة

ـ

ـ انها بلدة مملة

ـ

ـ الضجر يخاصر فيها اليأس

ـ

ـ الشوارع مقفرة والمطر ما زال منهمرا ، وانا لا ابكي .. ولكن لماذا البكاء وغدا اباشر حياة اخرى ، حياة اريدها افضل

ـ

ـ لا تظني اني اشفق على نفسي ، ابدا ، كل هذا زادني خبرة مع الايام اصبحت اكثر حنكة ، اليس كذلك ؟

ـ

ـ اكثر ، حتى انه لو عاد في هذا المساء وقد اعلموه بعزمي على السفر ، فلن يهمني مجيئه ، لن اكترث به ..

ـ

ـ هناك الحياة ستكون افضل ، اليس كذلك ؟ افضل ، ان المدرسة التي

مضض

بقلم الانسة رينه عبودي

سادرس فيها ترتفع فوق الجبل ، الجبل كله اخضر ، اخضر من كثرة الشجر ، سوف اعرف الهدوء واقرأ بوضوح ما في داخلها ، ما في نفسي .

ـ

ـ ولكن .. هذا الانفصال يعذبني ، انه طبيعي هذا الشعور ، اليس كذلك؟ طبيعي في ان اتعذب ، انه انفصال لا بد منه ، عن الوجوه عن الطرقات عن الاماكن التي اقمت فيها ، عذاب لا بد منه ..

ـ

ـ يمكنك ان تقولي باني دفعت الثمن ، اما عن الثمن فقد كان باهظا ولكني دفعته ، وادفعه ، اذكري ذلك ، ان ما اشعر به الان شعورك حين ينفصل



عن جلدك جلدك وعن شريانك شريانك .. اخبريهم ، هذا مهم ، لان في القصص تكون المشاعر مكيفة على الورق لا كما هي ، اما انا فلقد عشتها .

ـ

ـ هنا في صدري انفاس تكاد تختنق ، اخال انا لنفس احيانا ... لن يمكنه ازاحة كل ما يعيقه ليصل .. اني متعبة

ـ

ـ ولاني ادفع دائما للحياة فهي ترابط لي في كل منعطف وتتذكر دائما ديونا جديدة لها ، ولكني لا اهزم امامها ، ان المكان فسيح .. لا تظني اني اهرب من الذكرى بابتعادي ، لا ، انا سئمتها ، انا لا اهرب ، سئمتها ..

ـ

ـ لم يقل لي مرة كلمة احبك ..

ـ

ـ اخبريهم ان ذلك يحدث فقط في الكتب

ـ

ـ ولكنه كان يحبني

ـ

ـ كان كل ما حولي يهتف بي ان هذا ولا غيره ..

ـ

ـ هذا ولا غيره : حبيبك

ـ

ـ لم يقل لي مرة واحدة احبك او اقلها له ، اخبريهم

ـ

ـ لا تظني اني عدت اشفق على نفسي او عليه

ـ

ـ ليس هناك ما يستحق ذلك

ـ

ـ المطر ما زال يهطل ، ليس من امطار هناك ، امطار تقبض النفس وانما على الشرفات وفوق الاشجار ثلج ناصع البياض ، يفتح منافذ للانهاية .. ليس من امطار هناك

ـ

ـ انت ما زلت في ذهول وانا في تعب يمنعني عن النوم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ

ـ كان النور في الغرفة منخفضا وهي وحدها تجالس السكون قرب نافذتها، لقد رايتها هذا المساء وانا عائده لا يمكن الا ان ارفع نظري كلما مررت قرب داره ..

ـ

ـ عادة، اجل هي العادة، لقد اعتصرت قلبي صورتها وهي قرب النافذة لا تنظر، ارادت ان تحتفظ به، حاولت بكل ما امكنها، ولكنها ان نجحت بابعاده عني فلم تنجح في ابقائه لها..

ـ

ـ انا غير ناقمة عليها ولم اعد احملها كل خيبتي، فلو انه كان اقوى لحافظ على تلهفي اليه وابقى على حبنا، ولكني لن احمله اكثر مما يستطيع حمله، انه ضعيف لا يمكن ان يؤلم انسانة غالية، احبها قبل ان يعرفني.

ـ

ـ ثقي باني امضي غير ناقمة او ساخطة او ثائرة، هذا كان شعوري فيما مضى، انا الان مشفقة، على وحدتها، على وحدته، ثم على وحدتي..

ـ

ـ اخبريهم عن الوحدة واطيلي، وحدة كل فرد مع نفسه، اخبريهم..

ـ

ـ غدا سأحاول ان انسى، فانهي القصة في المحطة، حين ارفع امتعتي القليلة من على الرصيف الى ارض القطار، لا بد من نهاية لا بد من بداية .. كل هذا عبث

ـ

ـ عبث؟ لا، يجب ان يكون لكل شيء معنى والا ذهب المي وتمزقي عبثا..

ـ

ـ اوقفي القصة هنا، وحدة امه في دار بات كثير الغياب عنها، وحدته هو في اهواء يريد نسيان نفسه فيها، واخيرا وحدتي انا المتجمعة في كومة ايام ترسو فوق صدري حيث يصعب ويصعب تنفسي.

حلب **رينه عبودي**

ضيـــق

●

مارد شرد
أقر عزمه وتد
حطم القيد
ولكن
اناخ رأسه
سؤال غمض

تناثر فكره ومد
لملم اشلاءه
بجلد
اعاد القيد
وقعد
صابرا على ضيم
الوتد

مارد الامس
ان مررت به
وجلجلت ضحكاته
فقلبه اختنق

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



سوار الياسمين

مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات اسرة الجبل الملهم ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

اذا قدر لك ان تعرف الطبيعة في جبال لبنان ، في شواطئه ووديانه ، في سهوله وروابيه ، في سفوحه ومنحدراته ، في اصابيحه واماسيه فلن يصعب عليك بعد ذلك ، ان « تتذوق » شاعرية هذا البلد ، وتنغمس في اغوار الحس المرهف الذي يطالعك به شعراؤه ! اما اذا كنت تجهل تلك الطبيعة المنبسطة في المدى ، الرحبة الصدر ، المتنوعة الآفاق ، المنطلقة مع الحنان ، المنطوية على الحنين، الباعثة في قرارة كل من يتأملها، اروع الاحاسيس واغناها ، وادق المعاني واسماها ـ اذا كنت بعيدا عن هذا اللون من الوجود الطبيعي المتحرك الشفاف ، يصبح من العسير ان تنفذ الى « الحياة » الحارة ، المتدفقة ، الزاخرة بالحب والنور والاريحية والصفاء ، التي يصفها اهل لبنان ، ويتغنون بها ، وتتمثل هادرة صاخبة، او مطمئنة وادعة ، او مطرقة مفكرة ، في شعر هذا الجيل من شعراء لبنان.

ذلك بان الادب لم يكن مظهرا من مظاهر الطبيعة ، وانعكاسا لتأثيرها العميق في النفس البشرية ، وتعبيرا عن جمالها الوهاج وحسب ، الا في قطرين : الاندلس ولبنان . وما كان للحياة ان تبدو على هذا الجانب العظيم من الالق والصحو والفتنة الطاغية الآسرة ، الا من خلال الآثار الشعرية التي يطالعك بها شعراء الاندلس قديما ، وشعراء لبنان حديثا.

وسر هذا الصحو الرائع في الشعر اللبناني الحديث ، ان الشاعر في ديارنا ، على صلة مباشرة بالطبيعة ، يكاد لا يغيب عنها طرفة عين ، ولا يشبع من التهام جمالاتها واستلهام الوانها وانغامها واشكالها المترفة الثرية .

بيد ان هذه الصلة الشعرية بالطبيعة ، على ما فيها من قوة وحرارة ، وبما تثير في النفس من حب للحياة ، وتمجيد لمعانيها ، واسترسال مع افراحها ، لم تمنع اللبناني الشاعر ، من تلمس الحقائق وراء التهاويل ، ولا حجبته عن مشارفة آفاق البطولة ، والسعي الدائب في طلب المعالي ، والتأثير الفعال في تطوير الحياة والمجتمع من حوله .

اما وسيلته الى ذلك ، فانها لم تكن يوما من الايام ، تحويرا للشاعرية عن اتجاهها الاصيل ، اي « تفلسفا » يعتمد الخيال ، واندفاعا وراء التجريد ، وانحدارا بالشعر والفكر معا نحو الاضطراب والفوضى ، فلا يفكر حيث يجب ان « يشعر » ، ولا يشعر حيث يجب ان يفكر .

لقد كانت وسيلة الشاعر اللبناني الى التأثير في الحياة ، منسجمة مع الشعر نفسه ، مأخوذة من صميم الواقع ، مؤتلفة ادق الائتلاف واجمله مع البناء الفني ، الا وهي « الحب ».

هذا الاستشراف للطبيعة ، وهذا الحب في تناول الحياة ، وهذا الحنان في التآلف مع الغن ، وهذه الحرارة في تلمس حقائق النفس الانسانية ، وخفايا المجتمع البشري ، كلها تجدها هنا ... في هذه المجموعة الشعرية.

والشاعر فؤاد الخشن صاحب « سوار الياسمين » فتى من لبنان ، من الشويفات : تلك القرية الهادئة الوادعة الموزعة على رواب ثلاث ، تطل جميعها على البحر ، على غابات الزيتون ، وتقوم فيها للصنوبر مناسك ، ولزهر الدفلى صوامع .

في هذه القرية التي حبتها الطبيعة بكل ما لديها من جمالات ورياحين وازهار وغابات ومناظر مونقة نشأ فؤاد ، وكانت صلاته بهذه الكائنات الطبيعية المتموجة بالوان البهجة ، الهائمة في ظلال الندى والعطر ، اقرب واعمق واونق من صلاته بالكائنات البشرية !

هكذا كان شأنه اول الامر : يتنقل ، وهو اليافع ، بين وادي ابوسمعان ووادي البئر وغابة الصنوبر ، وصحراء الشويفات ، حيث لا تقع العين الا على اخضرار دائم ولا يمر بالذهن اي لون قاتم ، حتى اذا وصل الى الاحياء اقتصرت صلاته على « قاطفات الكروم » و « جامعات الزيتون » وكلهن من صبايا الريف اللواتي يؤلفن في الازهار باقة حية ، ثرثارة ، متحركة ، وفي الانغام انشودة متماوجة حادة ، وفي الايام ذكريات ممتعة شائقة ، فهن في هذا الكون الشعري الذي يسبح فيه فؤاد « اشياء » كالزهر ، كالنغم ، كالذكرى ، وهو منهن امام حياة تموج ، وتخفق ، وتتراءى ، وتتوارى ، وتثير في قلبه الحنين وتحرك في نفسه الف معنى بدايتها الحب ونهايتها الحب .

ويمتد الزمن بفؤاد ويمتد .. وصلته بالاحياء تستغرقها الصبايا من جهاتها الاربع ، فبعد قاطفات الزيتون ، وعاملات الكروم ، يجد هذا الشاعر نفسه مع « التلميذات » الصغيرات ، اذ تشاء المصادفة ان يتلقن دروسه الاولى في مدرسة مختلطة ، يزيد فيها عدد البنات على البنين .

ونحن نعلم ان الذين ينشأون ويحيون في جو نسوي ، تفضي بهم نشأتهم هذه ، الى رهافة في الحس ، وتمرس بتفاصيل الوجود ، وانسياب ناعم رقيق مع الحياة وراء الجمال ، وتعقب لآفاقه ، وافتتان بخلقه وتجديده .

ليس غريبا اذن ـ وتلك هي حال فؤاد في صباه الاول ـ ان يطلع شاعرا عاطفيا يمجد الحب ، ويغنيه في كل ما يقول .

والشاعر في بلادنا ، شأنه في اكثر بلاد الارض ، لا يجد في مستهل طلوعه اقبالا يثير حماسته ، ولا يلقى من الآخرين ما يشد عزيمته ، فاذا احس بالفتور من حوله ، ولا بد من ان يحس به ، ارتد الى ذاته ، وراح يبني منها وطنا لا يشعر فيه بالغربة ، وأوغل يسامر النجوم ، وينشد الانفراد ، ويتلهى بالخيالات والمعاني والالفاظ والافكار .

وما كان فؤاد ليشذ عن هذه القاعدة ، وشعوره بالغربة الروحية كان ـ وهو الذي افاق على الحياة من خلال الحنان النسوي ـ في منتهى المرارة ، بيد انه اخذ ينشد السلوان ، سلوان هاتيك الغربة ، في مغاني الطبيعة ومجاليها وليس « الغدير » سوى منظر طبيعي تعرفه الشويفات كان يهرب اليه فؤاد حين يضيق باهله ، او يضيق اهله به !

هذه التجارب البدائية ، التي لا تخلو منها حياة شاعر ، تطبع هذه الاشعار ، في هذه المجموعة ، بطابعها الاصيل ، غير انها تصبح ، على يد فؤاد ، غنية الى حد الترف ، وهاجة بالحياة الى حد الاحراق ، فما تقع فيها الا على طبيعي ، ولا تحس وراءها سوى الصدق العاري الذي يشف بعريه ، بمجرد عريه ، عن شاعرية اصيلة خالصة .

وشاعرية فؤاد تحوم ، على انها انبثاق عن الجو اللبناني الذي نمت فيه ، فوق معالم صباها ، وايا منشأتها ، انى اتجهت ، وكيف توجهت ، فهي في « فنزويلا » حيث اقام الشاعر سنوات من عمره ، عينها في لبنان نفسه ، ينضاف اليها الحنين كتجربة حية ، وهي مع « مورينا » الاندلس نفسها مع اي صبية من صبايا الشويفات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الاصالة في شاعرية فؤاد ، بكل ما تحمل الاصالة من طبيعة ورقة وصدق ، هي التي جعلته لا يتقيد بعمود الشعر العربي منذ شب عن الطوق ، وهي التي جعلت لشعره موسيقاه الخاصة ، فكان بها مجددا دون حذلقة او تفلسف أو تكلف في تطبيق نظريته :

من تثيرين بها ؟
من توقظين ؟
نظرة في عمقها
جوع السنين !
ولمن في المعصم الحاو
سوار الياسمين
ولمن غمازة ؟
ضمت على فيء الحنين
ولمن انت من الناس ؟
ترى ... من تسعدين ؟

الا تسمع وراء هذه الانغام ـ نحن هنا في عالم النغم الصرف ! ـ دفق الاحساس في كل صورة ؟ ألا تجد ان هنا ، في هذه الكلمات القليلة ، فتاة صغيرة بكل خصائصها الجمالية المثيرة : النظرة،المعصم، الغمازات..؟

ـ هذا يعني ان قوة « الايحاء » في شعر فؤاد لا تقتصر على اصالة موسيقاه وتجدده الطبيعي في التقاط اللحن ونقل احاسيسه ، وانما هي الصورة ايضا تفعل فعلها في اعطاء هذه الاشعار الوانها المميزة ، واشكالها الناعمة . وذهن فؤاد الذي شارف الطبيعة في مختلف العواصم، وتنقل في عديد المناخات ، مليء بصور لا سبيل الى حصرها .

لذلك ، اي لهذا الغنى في الصور الحقيقية الواقعية ، تجد شاعرنا في مجموعته هذه ، بعيدا عن الايغال في التخيل ، والتنقيب على الصور الفاتنة . واية حاجة به الى الخيال ، وهو اذا غرف من واقعه ، واستقى من ذكرياته ، يقدم لنا ما لا يبلغه خيال ؟!

واذا كان هذا الشعر لا يذهب في العرض تصورا وتخيلا ، نتيجة غناه بالواقع ، وصدقه في التصوير ، وبساطته في التعبير ، فانه يغوص في العمق تحليلا لحالات النفس ، وتبيانا لاحاسيس المرأة في اكثر من موقف ، وقد تعود شعراؤنا ان يتحدثوا الينا عن شعورهم ، وقليل منهم من وصف شعور المرأة ، وحنا على سريرتها يحاول ان يبين ما يعتلج فيها . وفؤاد واحد من اولئك القلة المجيدين ، في هذا الحقل الجديد . ولن يفوتني ان اشير اخيرا الى ثقافة فؤاد واطلاعه على ادب الاسبان والفرنسيين وغيرهم ، مما يزيد في غناه الشعري واخصاب قريحته .

وستجد مصداق هذه الميزات كلها في قصائد مجموعته الاولى « سوار الياسمين ».

عبد اللطيف شرارة

•

قبل لا تنتهي

مجموعة شعرية ـ كمال فوزي الشرابي ـ (لم يذكر الاستاذ عبد الاحد عدد صفحات المجموعة واسم الناشر واسم المطبعة واين طبع)

قضيت ليلة ماتعة مع الديوان الانيق « قبل لا تنتهي » للشاعر الرقيق كمال فوزي الشرابي ، شاعر الحب والغزل الهفهاف .. شاعر مرهف الاحساس ، فياض الخيال ، دفاق المعين ، يسقيك من دنانه خمرة معتقة حتى تثمل ، ويسمعك انغام الحب ، والحان الهوى ، فتنقلك الى دنيا الاحلام ، وعوالم السحر ..

كنا نقرأ بين الحين والاخر هذه القبسات المضيئة ، وتلك النفثات النابضة بالحس .. والجمال ، المنبعثة من قيثارته على صفحات الجرائد والمجلات ، فكانت تسكرنا كلماته الجزلة العذبة، وآهاته الشعرية الرقيقة، تلك الانغام التي طالما تذوقناها وعشقناها ، اطلت علينا اليوم بحلة قشيبة وصور جميلة مجتمعة في اضمومة « قبل لا تنتهي » ابدعتها شاعريته الخلاقة عبر اسماء الحب والجمال والخيال النشوان .. وكأني به رسام غمس ريشته في قوس قزح ونثر ما علق بها من الوان زاهية على الطرس فجاءت لوحات حية جميلة تمور باللمعان وصور اخاذة تتألق بالابداع والاشراق فضلا عن انها تحكي اقاصيص حب غفا على صور الطبيعة في اسلوب رشيق وعبارة سخية .. وقريحة حية ..

لقد استمد شاعرنا قصائد ديوانه من تجاربه العديدة في الحب والمعاناة .. وهذه الظاهرة تبرز جلية من خلال ابياته وقد ملكت احاسيسه وامتزجت به امتزاج الماء بالراح فحلق في هذا المجال واجاد التصوير بدقة ورقة بالغين .. فاسمعه وهو ينشد في اول قصيدة من قصائد الديوان بعنوان « شكرا لانك جئت » ...

وحين تجيئين يا حلوتي
يجيء الربيع الى غرفتي
وتغزل روحي في فرحتي
باشواقي الحمر ، اغنيتي
وفي لهفة حلوة صادية
اضمك بين حنايا الضلوع
وننهد في قبلات عماق
ونسبح في كلمات اشتياق
وثغري وقلبي واشياء بيتي
تتمتم
« شكرا لانك جئت »

كلمات عذبة متناسقة .. فيها رنة موسيقية ونغمة حلوة كانها سيمفونية ملونة .

اما قصيدته التي عنون بها اسم الديوان فقد كانت من اجمل القصائد وخاصة في المقطعين الاول والاخير منها ..

« قبلي كحبي يا حبيبي »
قبلي انا لا تنتهي
خذها معطرة بطيبي
وكما تريد وتشتهي
قبلي كحبي ليس تنسى
قبلي معتقة بخمري
ستظل تذكرها ولو
قبلت الف فم وثغر

ان من يقرأ هذه الابيات تنتابه رعشة حالمة ، ونشوة عارمة ، ويرقص قلبه طربا لها ويغرق في اغماءة سكرى ..

واخيرا ينقلك الشاعر من دنيا الحب والغزل بالمرأة الى التغزل ببلاده وحبه الجم لها فكانت قصيدته الاخيرة المسماة « بلادنا الجميلة » مسك الختام رائعة كروائع (رأس شمرا) حيث يقول في اخر مقطع :

« شطآنها مسارح العقيق والذهب »
مراكب قد ابحرت الى الدنى ،
حاملة حضارة العرب
والفكر والسنا
والخير والفنى
وما اسمها اول ابجدية
واول ملحمة شاعرية
شطآنها مراكب كانت فكان
من بدئها
من فتحها
من نورها الزمان

اما ما كتبه الاستاذ شاكر مصطفى عن شاعرنا بالعدد الاول من مجلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآداب اللبنانية الصادر في شهر كانون الثاني ١٩٥٥ فقد جاء مصداقا للواقع اذ استطاع ان يختصر في كلمته شاعرية الاستاذ كمال فوزي فقال : « وكمال فوزي انه ايضا من دعامات الرمزيين .. وما تزال ترن في اذني قصيدة سمعتها منه (الخمرة السوداء).

على ان قصائده لوحات ، والصور عنده ليست مجرد جملة موحية ، ولكن مجموعة خطوط والوان ورعشات ..»

ان شاعرنا الخصب كمال فوزي ، ثروة لنا في مملكة الحرف القدسي الذي يرفد الكلمة الطيبة تلك التي كانت في البدء .

فكان معها كمال فوزي .. شاعرا انسانا . وانسانا فنانا يضع اللفظة والصورة لاسلوبه ويهيم مع مواكب الجمال عبر الملكوت ، ان الكلمة الموسقة في « قبل لا تنتهي » تفعل فعل السحر في النفوس فشكرا للشاعر الطيب ولكلمته الطيبة ..

دمشق — يوسف عبد الاحد

●

مجامر

مجموعة شعرية — جورج غانم — ١٤٤ صفحة — المطبعة المخلصية بصيدا لبنان

يمثل جورج غانم ، الشاعر اللبناني ، بل الاديب اللبناني ، الذي تصطدم انطلاقته المحلقة بقيود قد تعيق عطاءه الخلاق . فهو وراء اسوار من نفسيته القلقة ، التي لا ترضى مطلقا بان يشلها القلق ، فتمني نفسها بالامل . ولا يكتفي الشاعر بمعاناة تجربته النفسية الخاصة ، بل يتعداها الى تجربة غيره من الناس ، فيتألم بالمهم ، ويعدهم بالفرج الذي يعد ذاته به ، فيجعل نفسه صدى الآمال ، ويطلب من كل شاعر ان يكون داعية خير ورجاء .

وكما يصطدم جورج غانم بالعوائق النفسية ، والخارجية ، يصطدم ، كذلك ، بالارض ، عنصر جسده ، فالجسد ابن الارض ، يخرج من جوفها ، ولا يلبث ان يثقل عليها ، فترجو زواله ، لانه ، مع ثقله ، لا ينفع . والارض لا تحس بالروح واعمالها ، تلك القوة التي تمد الشاعر باجنحة للتحليق في اجواء الخيال . ويقع الشاعر في حيرة .. أيحب الارض ؟ يعني الجسد ، وكيف لا يحبها ؟ وهي أليف روحه ورفيقتها ، وهي الآلة التي تنقل اماني الروح في الحياة الدنيا .. أيمقتها ؟ وكيف لا ؟ وهي مصدر شر وقذارة يعيقان الروح في تحليقها فيقول :

امقتهـــــا لكنني احبهـا فاخشع .

وروح الشاعر كالفراشة لا تستطيع ان تطيل المكوث في مكان واحد ، فقد تفارق ربيعا من الحياة يموج بالبهجة ، وتكلله الرياحين ، لتفتش عن تجربة جديدة . تغيب روح الشاعر في الافق ، وعينها عالقة بمراتع انسها ، وسعادتها ! هل تعود ؟ كلا ، فانها لم تخلق الا لتضحي بسعادتها في سبيل فتح ابواب سعادة جديدة لغيرها . ويفتح الشاعر باب سعادة ، فيرقص الوجود نشوة على انغام قيثارته ، التي تواكب اغاني الناس الهانئين ، وقد امتلأت انفسهم بمباهج الدنيا وخيراتها ، ورضوا بقسمة الله ومشيئته ، ولكن الشاعر نفسه ، لا يلبث ان يستفيق من سكرته ، فتعود اليه الشكوك ، ويحوم فوقه شبح القلق ، وينظر الى خيرات الدنيا وانسانها ، وتبرز امامه صورة من البشاعة الى جانب الحسن ، ويرافقه الناس في تجربته ، فيطلبون من الله ان يعدل احوالهم ، ويجمل وجودهم ، وماذا بقي لهم غير الرجاء والامل ؟

وعندما تكتئب نفس الشاعر ، تمر فوق الكون ضبابة قاتمة فتظلله ، ويبطيء الشباب في حركته ، ولكن هذا الوجوم ، عند جورج غانم ، ليس وجوما سلبيا ، ساكنا ، بل هو سكون ايجابي : فالخريف يخمر الامكانات ، فتتزايد ، ويطمر الحبة في التراب ، فتتكاثر ، ويزيد قوة الانسان بفسحه له مجال راحة ، ويهز الطبيعة هزة عنيفة ، فيذكرها بوجود مخلوق لا يني يحاول قهرها . وربما مرت بالشاعر تجربة تهد قلبه حزنا ، فيستسلم لها باكيا ، وهو الانسان الرقيق الشعور . ولكن هذا الاستسلام للحزن ، وللياس احيانا ، لا يلبث ان ينجلي بشعاع من الامل والرجاء . واذ يجيء الشتاء ، بعد الخريف ، يزيد نوح الشعراء ، عادة ، لان الشتاء ، بنظرهم ، هو واضع آخر خشبة في نعش الوجود . اما شاعرنا ، وان جعل الشتاء آخر مرحلة من مراحل حزنه ، فان هذه المرحلة ، مع شدة وطأتها ، ضرورية لمتابعة عمل الخريف : فالشتاء يبشر باستفاقة عامة لمرافق الوجود جميعا .

واذ يفتح الشتاء ، امام الشاعر ، باب الرجاء ، تعود البسمة الى محياه ، وتمر في ذهنه ابهج الذكريات — وهكذا الانسان ، اذا فرح ، استرجع في ذهنه كل ما يزيد هذا الفرح رسوخا ، واذا حزن ، مرت امامه مواقف حزن سابقة — فيرى نفسه ، وقومه ، في خير حال ، ويسترجع امجادهم ، وبطولاتهم ، وتنفتح امامه مجالات واسعة لمتابعة عمل السلف ، ويبدو كثير التفاؤل ببني قومه ، وكفاياتهم . واول ما ينتظره من بني قومه ، ان ينهضوا من عثرة كبوا بها في فلسطين ، عندما « الحدت السماء » ، بل هي غربة ، والغربة الى حين . ولماذا لا يعودون الى وطنهم السليب ، وتاريخهم حافل بالانتصار ، وبرود الارض ، حيث كانوا يشيدون اوطانا جديدة ؟ وينتشي الشاعر بخمرة الانتصار ، فيرى الشعب العربي ، بعد عودته ، شعبا جبارا تذكرنا اعماله باعمال جدوده المتفوقين . والقوة تقوم على الفضيلة ، غير ان الانسان ، القائم على مادة ضعيفة ، قد ينجرف في تيار المعاصي والآثام ، فيحس بانحطاط في قواه وتطمع به الخطيئة ، فتلح عليه في ان يفتح لها صدره ، وتساله ان يتنعم بما تقدمه له من موت بطيء ، فتدوخه ، ويعود الى نفسه ، يصارعها ، ويأبى ان يفتح للخطيئة بابه ، والله لا يترك خائفيه ، فيمد له يدا بيضاء ، ويتعهده بنوره في نهاية الصراع ، فيتقيله هانئا سعيدا ، وضانا بقوته ان تهرق على مذبح الشهوات ، فغايته بعيدة ، وهو بعد في اول الطريق .

ويتقدم مستهينا بالصعاب ، يحطم السدود والحواجز ، ويتعب من قوته ، لانها لا تعرف حدا في اندفاعها ، وفي اهدافها . يسير ، وحافز الاجداد يشد ازره ، ويكتشف الافاق الجديدة . ولكن الشاعر ليس انانيا ، واذا سار في الطليعة ، فهو يمهد الطريق لقوافل تتبعه ، وتهتدي بهديه ، ويخشى ان تتيه فيتيه الناس الذين يتبعونه ، يخاف ان يضيع ويغرق في الظلمات ، لانه يسير في المجالات الفساح ، مستندا الى قوة الهام غامض من عبقريته ... ويطرد هذه الخواطر السوداء بالمحبة ، التي تزيد من قوته بمؤازرة اصحابه ، وبالامل المشرق . وتعظم ثقته بنفسه بعد النجاح المتواصل ، فيتشامخ ، ويتعالى ، حتى يحس بنفسه بعض اجواء النبوة . ويكاد ينسى انه انسان ، فهو الرياح الهائجة ، والقوة الهائلة الفاشمة ، التي تثور في الطبيعة ، فتقلقل سكونها . وتتحدث الغادات عن هدوئه القديم ، ومنفعته الشاملة ، وخلوص حبه ، ورهافة شعوره ، فاين هو اليوم منه بالامس ؟ لقد اضلته ثورة الطموح ، فانقلب من : « تاج غار » الى « مارد مفمس بالعار » . وكانه يبارك اللعنة ، التي جعلته يمثل لصديقته الانسان بوجهيه فلا يغرنها من بعد ..

ولكن ، ألم يقس عليه الناس في حكمهم ؟ فليست هذه سجيته ، وهو الطفل الذي يجرح الحنان قلبه ، وتكتوي عيونه بالنار ، وهو الذي احبه الكل ، واعجب به ، غير ان الاقدار لعبت لعبتها ، فشوهت وجهه ، وألقت به من سماء عليائه الى التراب ... سقط الشاعر على الارض ، وراح يدور في حوامة وجودية ، وعادت تشتعل في دمه ذكريات الارض ، فتغذي جسده بشهواتها ، واخذ يعب منها ووجهه الى العلاء ، ولا غرابة ان لم ينس ماضيه ، وهو حافل بالمآثر . ويدخل بستان المرأة ، فيقطف منه اشهى الثمار ، ولكنها ثمار حلوة مرة ، كما وصفها ابن الرومي من قبل .

والشاعر يفتش في المرأة عن وسيلة لارواء وجوده ، وتسبيب سعادته ،

والمرأة مصدر سعادة ، ولكن الشاعر يضل ، اذ يحسب السعادة في جسدها المعرى ، فيقبل عليه بلهفة . ويحس في النهاية ان في يديه سعادة زائفة ، وانه يتخبط في دناءة مخزية ، فيعود الى الوراء ، وينظر الى المرأة من بعيد ، بعد ان يغلفها باطار من الروح ، فتبدو له روعتها ، ويظهر له اشعاعها على الوجود ، فيرتفع واياها في نشوة السعادة الحقيقية ، ويعرف الحب . وبعد ذلك يقرب من المرأة ، ومهما دنا منها تبقى بينه وبينها فسحة جعلها جبران آية الحب الصادق ، واساسه ، واضحى جسد المرأة في عينيه ، قدسا حريا ، بالتأمل ، واصبحت الاصوات بينه وبينها هينمات معطرة ، تملأ الجو طهرا ، ويتجسم الحب بطفل ، فيزيد قوة ونبلا ، ويزيد الشاعر اعجابا برفيقة روحه ، التي ترفعت عن اللمس ، وبقيت موضوع وحي والهام ، فوقف الشاعر ازاءها ، واخذ يغني لها شعر المحبة ، الذي يعرب عن افتتانه ، وتقديره . وبلغ الحب قمته ، ففدا الحبيب علة وجود حبيبه ، وملأ كيانه ، واصبحا جسدا واحدا ، وتعاليا الى السماء الصافية .

وبعد ان نصل مع جورج غانم الى آخر المطاف ، يعود فيظهر لنا في قصائد قصيرة بمظاهر نفهمها بسهولة ، وقد توضحت لنا معالم شخصيته، فثمر من جديد في طموح ، وحزن ، ورجاء ، وامل ، وهجرة ، وخطيئة ، ووفاء ، وكتمان ، ويأس مظلم يتعلق بذيله رجاء .

ولا ينتهي الكتاب هنا ، فالتجربة القاسية ، التي مر بها الشاعر ، بين يأس ورجاء ، وغربة وعودة ، واكتشاف وفتح ، زادت شخصيته غنى، ومواهبه تفتحا ، وعقله نورا ، فوقف بين الناس ، يخاطبهم كرسول، بلسان ذهبي ، لا ينطق الا بالشعر الملهم ، والشعر ينقاد له مطواعا في قوالب جديدة ، تخالها قوالب النثر ، وهي مثال الشعر المصفى. ويتقمص الشاعر شخصية مسافر ، ويخاطبنا من خلالها ، فيظهر لنا شقاوته ، واغتراره بنعيم البلاد الغريبة ، التي يلقى الامرين فتى اصبح فيها ، يلقى الجوع ، والعطش ، والاحتراق ، وضياع العمر ، فالحنين الى بلاد حضنته ، ولا تزال تفتح له ذراعيها ، ينغص عليه كل حياة خارج ارضها : فالغربة صحراء كاوية ، والوطن واحة خضراء ، تشد الانسان اليها باواصر لا تزال تجذبه مهما بعد . ويعود المسافر الى بلاده ، فيهيب في عنقودها ، وينبوعها ، وشلالها ، ويخاطبها مخاطبة العاشق الولهان ، والصدي ، الذي شربت من حلقه نيران الغربة . ويقول لها انه اذا فكر بالاغتراب بعد اليوم ، فليزين موطنه بمسماته . ولا تطيق البلاد فكرة غربة جديدة ، فترجو المسافر الا يترك لها سترا الا ويهتكه ، وان يعمل مطامعه القاسية في ارضها ، فهي مستعدة ان تتفانى في سبيله ، ولكن ، دونه والسفر . وكالبائسة اليائسة من وصال حبيبها ، تقول البلاد لابنها ، وقد بدا منه قبس اقتناع : « هانذا خصيبة مثل الربيع » . ويدير المسافر ظهره لتوسلاتها ووعودها ، ويرجع الى الصحراء المسقمة المذلة ، ويشكل عنقودا خارج اسوار الكرمة ، وينقص عقد اللؤلؤ في معصم بلاده حبة اخرى .

وما ان يصل هذا الانسان العاق الى الغربة ، حتى يحس من جديد بالنار تلهب احشاءه وبغراب البين ينعق فوق رأسه بصوته الاسود ، فيقوم هائجا يزمجر ويهدد المطامع البراقة بهمة جبار ، وعزيمة لا تقهر ، ويتوعد الوهم المضل ، ويفضح سر الغربة المقيت ، ويشهر بشاعتها . ويعظم في وجه بلاده افضالها وامجادها ، فيهيب بها ان تحتل المركز اللائق في تاج الشمس . ويقف في المغتربين رسولا داعيا لعودة نهائية تعلي الرؤوس ، وتفجر خيرات الوطن .

ولما كان كتاب مجامر صراعا بين اليأس والامل ، وبين الرجس والطهارة، والعبودية والحرية ، فلا عجب ان رأيناه يختم بالتفاتة الى الطفولة ، وهي البراعم التي تركز عليها الامة غدها ، وتتوسم فيها طلائعه . والطفولة في مجامر ، لم تجنب قلق الغربة والقرار ، وقلق المصير ،ولكنها في كل حال تبقى رمز الامل ، والبراءة والحرية . فالطفولة مصابيح منيرة يستضيء بها الانسان في طريقه الى ربيع الحياة ، وهي تشبه الشاعر من وجوه كثيرة .

وكتاب مجامر ، من اوله الى آخره ، يشكل تجربة متسلسلة المشاهد والاحداث ، تعتلج فيها ثورة انسان طامح ، يتقدم محطما القيود والاوهام، ولا يهدأ الا ليثور من جديد . وهو الانسان الشرقي ، الذي غطت حضارته، التي نهل منها الغرب ، قشرة متحجرة من التقاليد العمياء ، ولم يستطع، مع شدة وطأة هذه القشرة عليه ، ان يتخلص منها ، وراح يتخبط ، يائسا مرة ، وآملا مرة اخرى ، وكثيرا ما اضطر الى السفر البعيد ، الى بلاد تعرت من ثوبها البالي ، فشاهد الخلاص بعينه ، وحسد الغرباء. ولما عاد الى بلاده ، وجد نفسه تتقيد من جديد ، وتسير في تيار العبودية. وما زال الشاعر يحاول ، ويجهد ، متسلحا بالامل ، حتى عن له من بعيد نسر مهيب يصفق بجناحيه ، مقبلا نحو الشرق ، ومبشرا بالحرية . وكان هذا النسر ، عند الشاعر ، صاروخا ، اشعلته مجامره ، بعدما كثرت ، وعظم سعيرها ، فاندفع بقوة ، وراح يعمل في قشرة الشرق دقا وتكسيرا .

هذا هو تلخيص لفكرة كتاب مجامر ، وقد اخبرت برحلتي فيه ببعض ما شاهدته في طريقي ، وطريق مجامر مهيع يزخر بالاشياء الرائعة الفتانة. والكتاب يمثل معاناة فنية صادقة ، فانت تحس بروح الشاعر في كل كلمة من كلماته . ومهما اعدت الرحلة فيه ، فلا بد لك من ان تكتشف ، كل مرة اشياء جديدة ، تقوي تأثيره في نفسك . ويزيد من جمال الرحلة فيه لغته السهلة على جزالة ، وموسيقاه الحلوة الساحرة ، التي تتنوع بتنوع المشاهد والاحداث .

وليم الخازن

دار المعارف لبنان ش.م.م

بناية العسيلي - السور - ص.ب ٢٦٧٦ تلفون ٢٣٥٧٤

تقدم قصة الفرسان الثلاثة ... الفرسان الثلاثة

جزآن

تأليف الكسندر دوماس



ثمن الجزء الواحد ١٠٠ ق.ل. او ما يعادلها

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة



جولة الأديب في شهر

اللغة العربية بين التعديل والتسهيل

احب ان اشير في مطلع حديثي ، الى حقيقة كثيرا ما تغنى بها ، وما زال يتغنى بها ، رجال اللغة العربية وعلماؤها فيقولون ، وهم على حق في قولهم :

ان هذه اللغة العربية هي ارقى اللغات السامية ، وهي من ارقى لغات العالم . لها ميزاتها الخاصة بها وهي كثيرة . وهي لغة مرنة ، واسعة الاشتقاق . وهذه المرونة ، وهي السعة في الاشتقاق هما من اسباب نموها وتقدمها . وقد ساعداها على ان تكون لغة القرآن والحديث وما فيهما من معاني دينية وتشريعية واجتماعية .

ولا يستطيع ان ينكر منكر ان هذه اللغة العربية استوعبت ، فيما مضى ، علوم فارس وحكمة الهند واليونان ولم تمض المئة سنة الاولى من ملك العباسيين ، حتى كانت جميع الثقافات الاجنبية ، في ذلك الزمن ، مترجمة ومدونة بلغة عربية مشرقة ، فرضت نفسها ، فيما بعد ، على العالم المتمدن آنذاك .

فكيف استطاع العرب ، في قليل من الزمن ، ان يعبروا بهذه اللغة عن نظريات اقليدس الدقيقة ، وحساب الجيب الهندي ، وان يترجموا فلسفة ارسطو ونظريات الهيئة لبطليموس وطب جالينوس وغيرهم كثيرين ؟

يخطىء من يظن ان اللغة العربية فقيرة لا تصلح لبحث الامور الفلسفية المعنوية . ان في هذه اللغة كثيرا من الصعوبات كما سنرى ، ورغم ذلك فهي من اقوم اللغات ومن اكثرها مرونة ، واذفها تعريفا . فان لم تساير ركب الحضارة الحاضرة فليس ذلك لعلة فيها او في طبيعتها ، بل لعلة في ابنائها وفي علمائها ، الذين سدوا على انفسهم منافذ النور وراحوا يجترون الماضي وعلى ابوابه يتسكعون !

هذا رأي له وجاهته ، وله وزنه ، يقول به فريق كبير من ابناء هذه اللغة الذين درسوها وحذقوها فاحبوها بكل ما فيها وآمنوا بها ، وعملوا، وما زالوا يعملون وسعهم لنشرها وتعميمها .

ولكن هناك فريقا ثانيا لا يؤمن بما يؤمنون ، ولا يقول بما يقولون ، وله في ذلك ، رأيه وقوله . يقول هذا الفريق :

ما هذه اللغة العربية التي وصلت الينا عن اهلها العرب ؟

وهل هي لغة واحدة ام هي جملة لهجات ؟

ما هذه المفردات التي تضمها المعاجم ، وهي لا تقع تحت حصر ، ولا يجمعها جامع ؟ لم وصلت الينا كلها دون ان تمسها يد فتقربلها وتنخلها لتذهب بغثها وتبقي على سمينها .

لقد مضى على هذه اللغة العربية ما لا يقل عن ١٥٠٠ سنة وهي لم تتغير ، لا في مفرداتها ولا في علومها ، فهل هناك ما يضارعها من بقية لغات العالم في هذا المضمار ؟ اليست اللغات كائنات حية قابلة للتطور والتقدم والاخذ والعطاء ؟ فلم تبقى لغتنا العربية طيلة هذا الزمن جامدة مثل هذا الجمود ، محنطة مثل هذا التحنيط ؟

كان الاولون ينطقون بها ويتفاهمون بالسجية فلم يجابههم في تعلمها ودرسها ما يجابهنا نحن اليوم من صعوبات ، وفي مقدمتها ان نتعلم عشرات من اللهجات القديمة ، وقد اختلط بعضها ببعض فكونت هذه اللغة العجيبة . فكيف السبيل الى درسها وتعلمها واستساغتها ؟؟

ثم يضيف هذا الفريق ، وهو فريق عنيد ، قائلا : « ولهذه اللغة العربية آفة خبيثة هي رسم كتابتها . هذا الرسم هو علة العلل وأس الداء ورأس البلاء ، انه سرطان » . (راجع عبد العزيز فهمي في كتابه : الحروف اللاتينية) . ويقول علي الجارم في تقريره الذي قدمه للمجمع العلمي في ٢٤ ابريل ١٩٤١ :

« لقد اصبحت القراءة العربية ، لغزا من الالغاز وعملا علميا دقيقا ، كثير التعقيد والتركيب ، انك لا تستطيع قراءة العربية على وجهها الا اذا كنت لغويا صرفيا نحويا معا » .

فما هو الدواء الناجع لهذه العلة اذن ؟

قد يكون هناك علاجات كثيرة في مقدمتها تبديل الحرف العربي بحرف لاتيني . فما قيمة هذا الرأي ؟ وما هي حسناته وسيئاته :

حسنات الحرف اللاتيني :

ان حجة المقترحين استعمال الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية تنحصر في الحسنات التالية :

ـ يسهل الحرف اللاتيني رسم الكتابة العربية ، ويصبح لكل حرف صوت قائم بنفسه يقي القارىء اللحن والغلط .

ـ وليس ضبط الكلمات في اشكالها وتبيان حركات حروفها زخرفا ، كما قد يتبادر الى ذهن البعض ، بل هو ضرورة ، في عرف المقترحين .. (نحن مدفوعون اليها دفعا نفسانيا لا يقاوم ، ولا يصادر ... »)

ـ في استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية نعمل على ايجاد حروف تقوم مقام الحركات او (حروف الحركة) . وبفضل هذه الحروف في اللغات الاجنبية نرى ان الغربي لا يخطىء في نطق العبارات عند القراءة بعكس العربي الذي يكاد لا يسلم من اللحن مهما كان متضلعا من علوم اللغة .

ـ يقول اللغويون ما معناه ان في العربية نحو ثمانين الف اصل ، كلها حروف نغمات جوهرية ، خالية مما يوجهها من حروف للحركات ، لذلك فهي قابلة للكثير من التصحيف .

ـ في استعمالنا الحرف اللاتيني في كتابة العربية نرمي الى الكتابة المثلى، هي ما يكون فيها لكل حرف صوت خاص به ، او يكون فيها لكل صوت حرف يدل علية دلالة واضحة . وهذا ما تضمنه لنا الحروف اللاتينية .

ـ القراءة المثلى هي ان تقرأ كما تكتب ، وان تكتب كما تقرأ ، فهل هذه هي الحال في قراءة اللغة العربية ؟ ان الحرف اللاتيني يدخل صورا مستقلة للحركات (الفتح والضم والكسر) ، وبذلك يساعد مساعدة فعالة على القراءة السريعة فيقضي ، بالتالي ، على الامية . هنا ، على ما اعتقد ، اهم ما يقول به انصار الحرف اللاتيني والداعون اليه . فلننظر في ما يقوله خصومهم .

سيئات الحرف اللاتيني :

ـ للغة العربية فلسفتها ، وشكلها ، وروحها كما هي الحال في كل لغه من لغات العالم . فاذا ما استبدلنا الحرف العربي بحرف لاتيني فكأننا البسناها غير لباسها .

ـ واللغة العربية هي لغة عربية والاحرف العربية هي احرف عربية. فلماذا يريد انصار الحرف اللاتيني ان يبدلوا اللغة هذا التبديل الشنيع فتصبح نصف عربية ونصف غربية ؟

ـ وهذه الثروة الضخمة من المؤلفات العربية ، القديم منها والحديث، كيف ننقله الى اللغة الجديدة المقترحة ، ومن يقوم بنقله ؟

ـ ومن يكفل لنا صحة النطق نطقا عربيا فصيحا بالقاف والضاد والعين والحاء والذال وغيرها من الاحرف التي مهما حاولنا ان نبقي النطق بها على اصله ، فيفسد ويشوه تشوبها مضحكا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ كذلك قد يفسد الحرف اللاتيني اوزان الشعر .

ـ ان للحروف العربية جمالا في كتابتها وتزويقها ان مطبوعة او مكتوبة، فلماذا يريدوننا ان نتنازل عن هذا الجمال في الكتابة والطباعة ؟

ـ كذلك يجمع رجال الفن على انه ليس هناك لغة توافرت فيهـا الزخارف الهندسية في الكتابة كما توافرت في اللغة العربية ، « كما انه ليس هناك امة جعلت من كتابة لغتها فنا دقيقا مفصل القواعد ، ثـابت الاسس ، مقرر الضوابط مثل امة العرب » . (راجع ابراهيم جمعه في قصـة الكتابـة العربية)

ـ زد على ما تقدم ان الحرف اللاتيني لن يحل المشكلة حلا نهائيـا وها ان اللغة الانكليزية ، على ما يقول علماؤها لا تزال بحاجة الى سبعة عشر حرفا . فهي تستخدم اربعين صوتا وللحصول على ذلك تستعيـن بجمع حرفين او اكثر لاخراج هذه الاصوات . (راجع كتاب العلاقـات الاجتماعية للدكتور ضود) .

ويقول اخيرا انصار الحرف العربي : ان هذا الحرف راق في عيـن الغرب واحبه علماؤه ، واستطاعت اللغة العربية ، عندما كان العرب في عزهم واوج عظمتهم ، ان تغزو الامم الغربية وان تحتل من المكان صدره . وبشيء يسير من التعديل والتيسير والابتكار تصبح الاحرف العربيـة صالحة لتأدية جميع الاصوات التي يؤديها الحرف اللاتيني .

فنرى مما تقدم ان كلا الفريقين وجهة نظر هي جديرة بالدرس والمناقشة.

يتضح لمن عمل في حقل اللغة العربية تعلما وتعليما ان هذه اللغة بحاجة الى تسهيل ، وان بعض قواعدها ، على الاقل ، بحاجة الى تعديل . وان حرفها الحالي من الشكل يزيد في تعقيدها وفي صعوبة قراءتها . لذلـك يتبادر للذهن ، اول ما يتبادر ، واجب القيام بعمل حازم يذلـل هذه الصعوبات ، او يسهلها على الاقل . ومن هنا جاءت الاقتراحات المختلفة، ومنها تبديل الحرف العربي بحرف لاتيني . وعندي ان هذا الاقتراح وجيه يذلل عقبة كأداء في وجوه طلاب العلم في العالم العربي ولكنه مـن ناحية ثانية يبقى ، في نظرنا ، اقتراحا نظريا اكثر منه عمليا ، وذلـك لاسباب كثيرة مررنا ببعضها فيما تقدم وازيد عليها في ختام البحث سببين آخرين هما :

ـ تدوين القرآن الكريم ، كتاب الملايين من ابناء اللغة العربية الغابرين في طول الارض وعرضها ، بهذا الحرف العربي .

ـ جمال هذا الحرف وزخرفه الهندسي اللذان اكسباه روعة وجعـلا له فلسفة ان صحت الكلمة ، لازمته منذ ان عرفت هذه اللغة .

ومجال القول والبحث والمناقشة في هذين السببين فسيح وقد نعود اليه في مناسبة ثانية .

موسى سليمان

•

ميخائيل نعيمة يتحدث عن الادب واللغة

س : ما رأيك بالشعر العربي الحديث دون وزن ولا قافيـة ؟

ـ المعروف عن كتاب المهجر الذين تألفت منهم الرابطة القلمية انهـم كانوا في طليعة الداعين الى التجديد في الادب سواء من حيث الاسلوب او من حيث المضمون . وانا في كتابي « الغربال » كنت من اول الداعين الى التجديد في الشعر والابتعاد عن القافية الواحدة الرتيبة مـن اول القصيدة حتى آخرها . وفي القليل من الشعر الذي نظمته في اللغـة العربية طبقت هذا المبدأ فنوعت في القافية وابتعدت كثيرا عن المواضيع الشعرية المألوفة وزاوجت في الوزن بين الكامل ومجزوئه ، وسكنت حيث لا يجوز التسكين الا انني لم اطلق يوما القافية تماما ولا الوزن ، فالشعر الذي وجد في الاصل للغناء لا يستغنى في نظري عن الوزن وقد يستغنى عن القافية . اما الشعر الحديث الذي يحاول الانعتاق من القافية والوزن معا ، وان يوغل الى ذلك الابهام والتلميح الى حد ان تضيع صوره ومعانيه على القارىء فلست من دعاته ، الا انني لا انكر على شعراء اليوم حقهم في التجديد ما داموا صادقين مع انفسهم ، وما دامت القوالب الشعريـة القديمة لا تفي بحاجتهم الى التعبير عما في نفوسهم من قلـق واضطراب يلازمان العصر الذي يعيشون فيه .

س : ما هو تأثير الادب اللبناني الحاضر على تطورات الادب العربي ؟

ـ لبنان بتكوينه الجغرافي الجميل وبموقعه بين البحر والبادية ، وفي منطقة من الارض معتدلة كان ولا يزال ينبوع الهام وحسبك ان تذكر كم تغنى به الانبياء من اقدم العصور . فلا بدع ان تنبت هذه البقعة الضيقة من الارض شعراء وكتابا لهم شأنهم في اللغة العربية التي باتت لغتهم منذ الفتح الاسلامي والتي يحرصون عليها حرصهم على اقدس مقدساتهم ، واثرهم في النهضة الادبية الحديثة ليس ينكره الا كل مغمض اعمى . وما من حاجة الى ذكر الاسماء . ففي تاريخ الادب العربي الحديث اسمـاء لبنانية كثيرة كان لها ابعد الاثر في توجيه ذلك الادب ودفعه اشواطا بعيدة الى الامام . وبيروت اليوم تكاد تكون مركز الثقل في دنيا العرب من حيث ما ينشر فيها من الآثار الادبية للبنانيين وغير لبنانيين .

س : ما رأيك في الحركة التي ترمي الى استبدال الفصحى بالعامية ، والحرف العربي بالحرف اللاتيني ؟

ـ لست اعرف بين الامم الحديثة الحية امة تعاني من ازدواجية اللغة ما يعانيه العرب . فالفرق شاسع جدا بين العامية والفصحى في كل قطر عربي ، وهو شاسع كذلك بين العامية في المشرق والمغرب وفي الشمـال والجنوب بحيث ان ابن بغداد يكاد لا يفهم ما يقوله ابن الرباط وابـن حلب لا يفهم ما يقوله ابن صنعاء . وفي مثل تلك الحالة يبدو ان الاستغناء عن الفصحى يعني ضربا من الانتحار فهو سيفقدنا الصلة الوحيدة التـي تربط ما بين الاقطار العربية قاطبة . فانا عندما اكتب العربية الفصحى اطمئن الى انني سأجد لي قراء في سائر الاقطار العربية . ولكنني اذا حصرت نفسي في اللغة اللبنانية العامية وجدتني ضمن قفص ضيق جدا اكاد اختنق فيه . ومن ثم فابتعادنا عن الفصحى يفصل الصلة التي بيننا وبين الذين كتبوا فيها في اقدم العصور ، وذلك يعني خسارة فادحة . فالادب الفصيح الذي عرفناه منذ الجاهلية حتى اليوم لا يجوز ان نتخلى عنه لانه تراث مشترك بين جميع العرب ، وتراث غني .

الا ان هذا لا يعني انني لا اشعر بحاجة اللغة العربية الفصحى الـى شيء من التبسيط والتجديد ففي قواعدها الكثير مما بات في امكاننا الاستغناء عنه ، والكثير مما يمكن تبسيطه بحيث لا ينفر منه الطالب في المدرسة . ولعل اكبر النقص في الفصحى اننا مكرهون ان نقرأ فيها ما ليس مكتوبـا واعني الحركات ، فلو كان لنا من يستنبط طريقة لكتابة العربية مـع حركاتها بدون ان يثقل على الطابع والقارىء لهان الامر كثيرا ولعل دعاة الحرف اللاتيني قصدوا من ورائه التغلب على هذا النقص بحيث تكتب الكلمة كما تقرأ تماما . اما الان فالقارىء مضطر ان يجهد ذهنه كثيرا وان يستعين بالقرينة ليفهم الكلمة التي امامه كأن ترى بعينك ثلاثـة احرف في هذا الشكل (كتب) فانت لا تدري اهي فعل ماضي معلوم ام مجهول او جمع كتاب او صيغة التكثير من كتب الخ .. وفي ذلك ما فيه مـن ارهاق للقارىء والكاتب . بقي ان اقول انني اؤثر الحرف العربي عـلى الحرف اللاتيني اذا تيسر لنا ان نستنبط الطريقة التي ذكرت واعني كتابة الشكل مع الحرف بطريقة لا تعقيد فيها ولا ارهاق للقارىء او للكاتب.

س : ما رأيك بأدب السياسة ؟

ـ الادب عمل شامل لا يخرج من نطاقه اي جهد من الجهود البشرية . وقد ترى في الرواية الواحدة صورة لفيلسوف وصورة لعالم وصورة لرجل دين او لرجل قانون وصورة لرجل السياسة والاقتصاد الى ما هنالك من ميادين النشاط البشري لذلك يحق للاديب الذي لا يرى من الحيـاة

الادبية غير وجهتها السياسية ان يخصص كل نشاطه للسياسة على ان لا يكره غيره على السير في طريقه فغيره قد لا يستسيغ السياسة ، وقد يرى فيها احط مظاهر النشاط البشري . وقد يروق له ان يعالج من الانسان نواحي لا تتغير ولا تتقلب بتقلب الساعات والظروف المكانية . فالانسان اكثر من كائن سياسي او اقتصادي او ديني او اجتماعي انه عملاق هائل رأسه في السماء ورجلاه على الارض ، واذا كان من الكتاب من يروق له ان يهتم برجلي العملاق دون رأسه فله الحق في ذلك ، واذا كان بينهم من يرى ان يهتم برأس العملاق دون رجليه فمن الحيف ان يقوم من يقول له: انك تحدثنا عن اشياء كمالية هي ابعد ما تكون عن الارض ، فالكاتب الذي يهتم بالانسان الطامح الى ابعد من الارض انما يهتم بما هو ابقى واجمل في الانسان من الشؤون الطارئة التي يعانيها في حياته من ساعة لساعة ومن يوم ليوم .

وختم حديثه يقول : الكاتب كالزارع يزرع كلمات سود على صفحات بيض ويطلقها في العالم ولا يدري اين ستنبت هذه الكلمة واين ستموت تلك اما انا فيبدو اني كنت الى الان محظوظا جدا من هذا القبيل فقرائي على ازدياد ومؤلفاتي يعاد طبعها باستمرار وذلك يعني انبيني وبينقرائي تجاوبا حيا لا تصنع فيه ولا تدجيل وهذا التجاوب الواسع يجعلني أشعر بمسؤوليتي تجاه نفسي وتجاه قرائي فاحاسب نفسي عن كل كلمة يخطها قلمي ولا ارسلها في سبيلها الا بعد ان اتيقن انها نبتت ونمت نموا طبيعيا، واني لا اقصد من ورائها الا ان افتح كوة في نفس او المس وترا حيا في قلب ، فاذا تأتى لي ذلك شعرت بشيء من التعزية والغبطة . ويقيني ان الكلمة هي اقدس ما نملك على الاطلاق فلا يجوز ان نمرغها في الاوحال وان نجعل منها اداة للوصول الى غايات مشبوهة او غير صالحة ، وسيأتي يوم، وقد يكون بعيدا ، يفهم فيه الناس قيمة الكلمة فلا ينطقون الا بالحق ولا يبذرون في قلوبهم وقلوب الغير الا المحبة . (الجمهور)

●

سليمان عواد والشعر المنثور

ما من شك ان الشعر المنثور يمر اليوم بتجربة مريرة قد تقرر مصيره نهائيا كأدب له مدرسته واسسه وله بالتالي مؤيدون ومعارضون كأي لون من الوان الادب الاخرى ، ولما كانت تلك المعركة ـ معركة الشعر المنثور ـ تحتل انباؤها الصفحات الاولى في صحف دمشق ، فقد تصيدت احد فرسان هذا اللون من الشعر اعني « سليمان عواد » صاحب : «سحر نار » و « شتاء » و « اغان بوهيمية » وتوجهت اليهبالاسئلة التالية :

س : ما رأيك بالشعر المنثور من ناحيته الفنية ؟ وما رأيك بالثورة عليه؟

ج : الشعر المنثور كان ولا يزال معروفا لدى الآداب العالمية كلها بصورة عمل فني كامل ، او بصورة مقطوعات مبثوثة هنا وهناك في الانتاج الادبي ، واذكر على سبيل المثال ، ان الشعر المنثور قد عرف في الادب الاميركي الحديث على يد الشاعر العبقري « والت وايتمان » في مجموعته الشعرية الخالدة « اوراق العشب » وقد لاقى هذا الشاعر في زمانه هجوما عنيفا على شخصه ، وعلى شعره المنثور من ادباء عصره ومن صحافييه لكن الفيلسوف الاميركي « امرسون » عرف قيمة هذا الشاعر وعرف نبوغه الفذ في كتابه « اوراق العشب » ولم يمض كبير وقت حتى اصبح « وايتمان » معدودا من انبغ شعراء اميركا وحتى غدا اسمه رمزا لهذا النوع من الشعر ، وصارت المنتديات الادبية تتبارى في تخليد أسم هذا الشاعر بتسمية المنتديات باسمه .

هذا ولا نذهب بعيدا اذا قلنا ان الشاعر الهندي العظيم طاغور قد نال جائزة « نوبل » على مجموعته الشعرية النثرية « قربان الاغاني » في الوقتالذي عجز عنالوصول اليها شعراء كثيرونمن شعراء الوزنوالقافية.

وفي رأيي ان الشعر المنثور من الناحية الفنية لا يقل صعوبة عن الشعر الموزون المقفى وعن كل لون ادبي آخر ، فاذا كان الشعر العامودي يعتمد على الوزن والقافية لابراز عنصر الموسيقى فان الشعر المنثور يعتمد على الموسيقى الداخلية التي تبرزها الكلمات المشحونة بالزخم والتوتر والجرس ، وانا هنا لم اتطرق الى الناحية الموسيقية في الشعر الا لانني وجدت ان الموسيقى هي العذر والمبرر والدافع للتهجم على الشعر المنثور الذي يدعي اعداؤه انه خال من الموسيقى .

وكما ان المقفى والموزون له توابعه فكذلك الشعر المنثور ، وكما اننا لا نستطيع ان نطلق على كل من كتب شعرا موزونا انه شاعر .. كذلك لا نقدر ان ننعت كل من كتب شعرا منثورا بأنه شاعر ..

كثيرون هم الذين يكتبون شعرا موزونا ولكن هذا الشعر يفتقر للروح والمعنى والصور والاخيلة ، وما قولك بشعر الريحاني وجبران وفؤاد سليمان والبير اديب المنثور ؟

كثير من كتاب النثر تجد في نثرهم شعرا اكثر من شعر النظاميين ، واننا لنضع الشعر في « براد صقيعي » اذا حددناه بالوزن والقافيةفقط.

فهناك ارواح لا تستطيع ان تسجن نفسها ضمن موازين ومقاييس وقواعد .. الموهوبون برأيي فوق كل هذه القيود على شرط ان يأتوا بانتاج شعري خلاق ..

وقبل ان يصمت الاستاذ سليمان قلت له : هل تستطيع ان تجمل لي اسباب النقمة على الشعر المنثور ؟

فأجاب : اسباب النقمة كثيرة ، منها موضوعية ومنها ذاتية بحتة .. فالموضوعية هي ان متعصبي الادب ، او لنقل متعصبي العامود السلفي الشعري ، يرون فيه بدعة تدمر الشعر الاصيل ـ بنظرهم ـ لانهم لم يدركوا الشعر الا وزنا وقافية ولان مفاهيمهم لم تتجاوز الشكل الى الجوهر ، ونحن لا نلومهم ، فلو اطلعوا على الآداب العالمية لوجدوا ان الشعر المنثور معروف لدى شعوب العالم اجمع ..

واما الذاتية ، فترجع الى كون الشعراء اهل الوزن والقافية اصبحوا يخافون من هذا النوع من الشعر الذي يضم في حناياه بذرة استمراره واذكر على سبيل المثال ان شيخ النقاد الاستاذ مارون عبود قال في ديوان الشاعر البير اديب « لمن ؟ » وهو من الشعر المنثور ما معناه ان هذا الديوان سيطعم بحيويته وعنصره الطيب الشعر العربي . واظن ان هذا التهجم لون من الدعاية قوي . ينفع الشعر المنثور ولا يضره . (الدبور)

●

مجلة الاديب

وكان ان صدرت في هذه الاثناء مجلة « الاديب » لصاحبها البير اديب عام ١٩٤٢ ، فسرعان ما احتلت مكانها في زعامة الحركة الادبية في لبنان ، وقد التف حولها كبار ادباء لبنان وشعرائه امثال عبد الله العلايلي ، عمر فاخوري ، امين نخلة ، الياس خليل زخريا ، نقولا فياض ، هذا فضلا عن كبار الادباء والشعراء في العالم العربي ، وقد امتازت « الاديب » بالشمول وسعة الافق ، واتساع الانتشار حتى ليقال انها من اوسع المجلات انتشارا في العالم العربي ، من حيث بلوغها ابعد الاماكن التي توجد فيها جاليات عربية . كما سايرت « الاديب » اتجاهات الادب الحديثة من رمزية ورومانتيكية وواقعية ، وساعدت على ابراز المواهب الجديدة بين الادباء الشباب في العالم العربي ، حتى ان كثيرين من ادباء الجيل الحاضر في لبنان وغيره من الاقطار العربية مدينون بشهرتهم ومكانتهم الادبية الى « الاديب » التي تعهدت مواهبهم فشجعتها ونمتها ، وما تزال « الاديب » تصدر الى اليوم بهمة صاحبها التي لا تعرف الكلل رغم ما صادفتها من صعوبات مادية عديدة . (عن كتاب « الصحافة العربية نشأتها وتطورها » تأليف اديب مروة، الذي ظهر حديثا في بيروت)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

فبراير ١٩٦١

١٧ ـ استقال تسعة وزراء من الحكومة البلجيكية بسبب خلاف حول كيفية تشرقوانين برنامج التقشف .

١٨ ـ اعلنت سيلان انها الغت اعتماد مبعوثها الى اسرائيل

ـ ارسل الاتحاد السوفياتي مذكرة الى المانيا الغربية تشدد على ضرورة عقد معاهدة صلح مع المانيا .

١٩ ـ اعترفت الصين الشعبية بحكومة ستانلي فيل التي يرئسها انطوان جيزينغا

ـ وصل محمد مصمودي وزير الانباء التونسي الى باريس لترتيب عقد اجتماع ديغول وابو رقيبة

٢٠ ـ اعلنت فنزويلا انه تم احباط محاولة انقلاب عسكري ضد الرئيس روملو بيتانكور

ـ رفض الملك بودوان استقالة الوزراء ولكنه وقع مرسوما بحل البرلمان البلجيكي

ـ وصل عبد الناصر الى اللاذقية قاصدا دمشق لحضور احتفالات الذكرى الثالثة لقيام الجمهورية العربية المتحدة .

ـ بعث همرشولد باحتجاج شديد الى كاسافوبو على ابعاد السياسيين الموالين للومومبا وقتلهم .

٢١ ـ اقر مجلس الامن مشروع قرار قدمته الجمهورية العربية وسيلان وليبيريا يعطي القوات الدولية السلطة لاستعمال القوة في منع حرب اهلية في الكونغو . ويقضي بسحب جميع العسكريين الاجانب . والعمل لتأمين انعقاد البرلمان . وشجب اعمال الاعتقال وقتل الزعماء واجراء تحقيق لتقرير المسؤولين عن هذه الجرائم .

ـ اعلن تشومبي التعبئة العامة في كاتانغا لمنع الامم المتحدة من تنفيذ قرار مجلس الامن

ـ غادر كمبودية الامير سوفانا فوما رئيس الوزارة الحيادية السابقة في لاوس قاصدا كسيانغ كوانغ في لاوس . وفي وشنطن صرح السفير السوفياتي بعد اجتماعه بوزير الخارجية راسك انه اجرى معه محادثات اولية لايجاد حل سلمي للازمة اللاوسية .

ـ اعلن مشروع بريطاني جديد يقضي باجراء تغييرات في دستور روديسيا الشمالية يضمن انتخاب ١٥ افريقيا على الاقل في المجلس التشريعي حيث لا يوجد اي عضو افريقي

٢٢ ـ شنت قوات جيش التحرير الجزائرية هجمات واسعة النطاق على خط الدفاع المكهرب الذي اقامته القوات الفرنسية على الحدود الجزائرية المغربية .

ـ استقال خمسة وزراء من المجلس التنفيذي لروديسيا الشمالية . استنفرت القوات تحسبا للطوارىء . رفض روي ويلنسكي رئيس وزراء اتحاد روديسيا المقترحات الدستورية البريطانية

ـ وصل ادينار الى لندن لاجراء محادثات مع ماكميلان تستهدف تحقيق الانسجام في سياسة الدول الغربية

ـ اعلن تشومبي ان حكومته وقيادة الامم المتحدة اتفقتا على تجميد جميع تحركات القوات اعدم انصار لومومبا ١٥ زعيما سياسيا وعسكريا منهم عشرة من اعضاء البرلمان .

٢٣ ـ عين الجنرال فريدريك فوبرتش رئيس اركان قوات المانيا الغربية مكان الجنرال ادولف هيزنفر الذي سيعين رئيسا للجنة العسكرية الدائمة التابعة لحلف الاطلسي

ـ انتهت محادثات ادينار مع ماكميلان وصرح ادينار لدى وصوله الى بون بان المحادثات كانت مرضية ومفيدة للغاية

٢٤ ـ اعلن سيندوي مفوض كاتانغا في حكومة لومومبا سابقا ، انشاء دولة جديدة في كاتانغا مناوئة للشيوعية وتؤيد حكومة رئيس وزراء الكونغو جوزف ايليو .

ـ احتلت قوة موالية لجماعة لومومبا مدينة لولو ابورغ عاصمة شمال كاساي

٢٥ ـ اعلنت بلجيكا انها قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الجمهورية العربية بسبب اعمال العنف التي وقعت ضد السفارة البلجيكية في القاهرة احتجاجا على مصرع لومومبا

ـ وجهت حكومة كاسافوبو انذارا الى الامم المتحدة في الكونغو للتدخل فورا واخراج القوة الموالية للومومبا من مدينة لولو ابورغ

٢٦ ـ توفي محمد الخامس ملك المغرب اثر عملية جراحية . وقد نودي بالامير الحسن ولي العهد ملكا على المغرب خلفا لوالده تحت اسم الحسن الثاني

ـ اعلن تشومبي في مذكرة الى همرشولد انه يرغب في التعاون مع الامم المتحدة في وضع حد للازمة الراهنة في كاتانغا

٢٧ ـ وصل بو رقيبة الى باريس وبدأ مع ديغول محادثاتهما وصدر بلاغ مشترك جاء : وتباحث الرئيسان مطولا في القضية الجزائرية على ضوء التطورات الاخيرة ومستقبل شمال افريقيا واتفقا في ملاحظة الاحتمالات والامال القائمة لتطور سريع ايجابي .

ـ القوات الموالية للومومبا الزاحفة من ستانليفيل وصلت الى حدود مقاطعة ليوبولدفيل وتأزم الموقف في الكونغو بسبب حوادث الاعتداء على القوات الدولية . وقد انذرت القيادة سلطات ليوبولدفيل باستعمال القوة . واعلن كاسافوبو التعبئة العسكرية العامة ردا على هذا الانذار .

٢٨ ـ صرح بو رقيبة قبل مغادرته باريس الى الرباط لتشييع جنازة الملك محمد الخامس ، انه متفائل بعد محادثاته مع ديغول بشأن قضية الجزائر

ـ اجتمع في الرباط بو رقيبة وفرحات عباس وتباحثا بنتيجة محادثات الرئيس التونسي مع رئيس جمهورية فرنسا . وقد اعلن الملك الحسن الثاني انه يؤيد بو رقيبة تأييدا كاملا في جهوده لحل المشكلة الجزائرية

ـ وصل المارشال تيتو الى اكرا في زيارة رسمية لغانا مفتتحا بها جولة في افريقيا تستغرق شهرين

ـ انذر همرشولد كاسافوبو بان الامم المتحدة لن تسمح بان تقف المعارضة السياسية في الكونغو حجر عثرة امام مساعيها السلمية . وقد اذاع همرشولد بان بلجيكا في ردها على طلبه وعدت بدعوة جنودها المرتزقة للعودة الى بلجيكا

مارس ١٩٦١

١ ـ اعلنت الحكومة الفرنسية استعدادها لمفاوضة المناضلين الجزائريين حول تقرير المصير في الجزائر دون شروط مسبقة .

ـ قطعت السلفادور علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا بسبب الحملات التي تشنها حكومة كوبا على مجلس الثورة الحاكم في السلفادور

٢ ـ عاد رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بو رقيبة الى زوريخ للاستشفاء . وصدر في الرباط بلاغ مشترك عن محادثات بو رقيبة والحسن وعباس

ـ تجددت حوادث العنف في مدينة وهران في الجزائر حيث وقعت اضطرابات واشتباكات بين الجزائريين والمستوطنين

ـ قتلت قوات الجنرال موبوتو ٤٤ مدنيا في معارك جرت في شوارع لولوابورغ .

٣ ـ اتهمت امريكا الاتحاد السوفياتي بعرقلة المحادثات السلمية الجارية بشأن لاوس وذلك بتزويد الثوار الموالين للشيوعية بالاسلحة باستمرار

ـ اعلن انطوان اوماري احد الزعماء في القطاع الغربي من اقليم كيفو الذي يسيطر عليه انصار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لومومبا ، انشاء دولة جديدة مستقلة هي دولة مانييما .

ـ صدر قانون في دمشق بتعريب جميع مصارف الاقليم السوري اسوة بما حدث في الاقليم المصري

٤ ـ اعلن وزير الانباء المغربي في الرباط ان الملك الحسن سيتولى منصب رئاسة الوزراء الى حين اشعار اخر

ـ وقعت روسيا وباكستان اتفاقا تقدم روسيا بموجبه قرضا لباكستان يبلغ ٣٠ مليون دولار.

ـ وقعت معارك دامية بين القوات السودانية الدولية والقوات الكنغولية .

ـ ابرمت روسيا واندونيسيا اتفاقا تشتري اندونيسيا بموجبه اسلحة سوفياتية

٥ ـ سيتم الجلاء عما تبقى من قواعد حربية فرنسية في المغرب قبل شهر اكتوبر المقبل اي قبل سنتين من الموعد المقرر اصلا وذلك بموجب اتفاق اعلن بين البلدين .

٦ ـ بدأ في تاناناريف عاصمة جزيرة مدغسكر مؤتمر زعماء الكونغو لمحاولة الوصول الى تسوية وطنية . وقررت الحكومة السودانية سحب قواتها من الكونغو نظرا للاهمال الذي تعرضت له في مناطق عرفت مقدما بتحديها لقرارات الامم المتحدة

ـ عادت الملكة اليزابيت وقرينها دوق ادنبره الى لندن بعد جولتهما في الهند وباكستان ونيبال وايران

٧ ـ غادر عبد الناصر دمشق الى القاهرة، واعلن في دمشق ان الرئيس تلقى رسالة من الملك حسين

ـ انتقد رئيسا حكومتي الهند وكندا سياسة التمييز العنصري التي تنتهجها جنوب افريقيا، وذلك لدى وصولهما الى لندن لحضور مؤتمر رؤساء حكومات الكومنولث

ـ عدل انطوان جيزينغا عن حضور مؤتمر المائدة المستديرة الذي يعقده زعماء الكونغو . تحاصر الان قوة كبيرة من انصار لومومبا بلدة بنديرا في شمال كاتانغا

٨ ـ اجتمع في البيت الابيض الدكتور نكروما بجون كنيدي لاجراء محادثات حول القضايا العالمية وقضية الكونغو

ـ اصيبت القوات الحكومية في لاوس بخسائر فادحة في معركة مع القوات اليسارية وتراجعت عن « سالافوكون » التي يؤدي سقوطها الى قطع الاتصالات بين فيانتيان والعاصمة الملكية.

ـ القى نكروما خطاباً في الدورة التي استأنفتها الجمعية العامة للامم المتحدة اعلن فيه ان قضية الكونغو يجب ان تسوى قبل اية قضية اخرى وطالب بانشاء قيادة افريقية دولية في الكونغو واجراء انتخابات باشراف الامم المتحدة

٩ ـ اعلن رئيس حكومة ليوبولدفيل جوزف ايليو بعد اجتماع لزعماء الكونغو في تناناريف انه قد تم الاتفاق على خلق دول جديدة في الكونغو

ـ اتفق رؤساء حكومات الكومنولث في مؤتمرهم بلندن على وجوب اشتراك الصين الشعبية في اية محادثات بين الشرق والغرب حول نزع السلاح

١٠ ـ اعترف زعماء الكونغو في مؤتمرهم باستمرار دولة الكونغو كوحدة سياسية ذات نظام كونفدرالي يوضع في ما بعد . وارسل هؤلاء الزعماء برقية الى نكروما رئيس جمهورية غانا يستنكرون تدخله في شؤون الكونغو .

ـ تم الاتفاق بين العناصر اليمينية والحيادية في لاوس على ايجاد صيغة اشمل من السابق لاعادة السلم الى بلادهم وتاليف حكومة حيادية مؤقتة للاشراف على الانتخابات واعتبار الامير سوفانا فوما الرجل الوحيد الذي يستطيع اجراء محادثات مع منظمة باتيت لاو الموالية للشيوعية

١١ ـ انذر رئيسا دولتين افريقيتين هما غانا وتانجانيقا انهما يحتمل ان ينفصلا عن الكومنولث اذا بقي جنوب افريقيا عضوا فيه

ـ استقال جعفر امامي رئيس الحكومة الايرانية بعد الانتخابات النيابية الجديدة

ـ اعلنت البرتغال وقوع اضطرابات جديدة في مستعمرة انغولا بافريقيا الغربية والقت التبعة على مثيري الفتن

ـ اقرت اللجنة الدولية لحقوق الانسان « مشروع قرار يقترح انشاء عام التحرر من الاجحاف والتمييز العنصري » .

١٢ ـ دعا كنيدي دول امريكا اللاتينية الى التحالف مع الولايات المتحدة في جعل العشر سنوات المقبلة حقبة تاريخية تتميز بالتقدم الديمقراطي

ـ عاد زعماء الكونغو من مؤتمر تاناناريف وقد قرروا بذل الجهد لاقناع حكومة ستانلي فيل الموالية للومومبا بالانضمام الى الاتحاد الكونفدرالي . هذا وقد وضعت لجنة التوفيق الدولية الخاصة بالكونغو تقريرا تدعو فيه الى مؤتمر جديد لزعماء الكونغو لا يكون له اي صلة بمؤتمر تناناريف .

ـ عاد بو رقيبة الى تونس وقد استقبل استقبالا شعبيا ضخما

١٤ ـ وافق مؤتمر الكومنولث على عضوية قبرص فيه

ـ تلقى رؤساء الدول الافريقية المستقلة دعوات لحضور مؤتمر يعقد في منروفيا بليبيريا في ٨ ابريل المقبل لبحث قضية الكونغو .

ـ الف جعفر امامي الوزارة الايرانية الجديدة

١٥ ـ قررت جنوب افريقيا الانسحاب من الكومنولث بدل التخفيف من حدة سياستها العنصرية .

ـ اصدرت الحكومة الفرنسية بيانا اكدت فيه نية فرنسا في التفاوض رسميا مع وفد جزائري واجراء محادثات تتعلق بشروط تقرير المصير للجزائر

ـ صرح جوزف ايليو بان الجنرال فكتور لوندولا قائد القوات الموالية للومومبا في الاقليم الشرقي اقترح على كاسافوبو اجراء مفاوضات لتسوية مشكلة الكونغو

١٦ ـ ابلغت السعودية الولايات المتحدة عدم رغبتها بتجديد الاتفاق المتعلق بقاعدة الظهران الجوية .

ـ اتخذ رؤساء وزراء الكومنولث قرارا بقبول سيراليون عضوا فيه . وسيراليون كانت مستعمرة بريطانية وستنال استقلالها في ٢٧ ابريل المقبل .

ـ رفض مجلس الامن تشكيل لجنة للتحقيق بالاتهامات الموجهة الى البرتغال بخرق حقوق الانسان في مقاطعة انغولا البرتغالية في افريقيا

ـ بدأت طلائع القوات الهندية تصل الى الكونغو لتعزيز القوات الدولية

١٧ ـ اعلن المارشال محمد ايوب خان في لندن ان الهند وباكستان اتفقتا على انشاء هيئة لحل خلافاتهما وخاصة مشكلة كشمير

ـ وافقت الحكومة الجزائرية المؤقتة على اجراء مفاوضات رسمية مع فرنسا

١٨ ـ اعلنت الامم المتحدة قيام حملة ارهابية جديدة ضد البيض في انحاء مقاطعة كيفو ، رجال « الكرتيليت » يقودون الحملة وقبيلة بالوبا تضرب الطيارين الدوليين

١٩ ـ تباحث وزير الخارجية الامريكية دين راسك ووزير الخارجية السوفياتية اندريه غروميكو في واشنطن وصدر بلاغ مشترك جاء فيه انهما بحثا بصراحة عدة مواضيع ذات مصلحة مشتركة بين البلدين .

٢٠ ـ اقترح دين راسك انشاء قوة دولية دائمة جاهزة للاستخدام بسرعة في مناطق الازمات ، مثل الكونغو .

ـ وقعت اشتباكات بين البيض والسود في جوهانسبورغ عند وصول رئيس وزراء جنوب افريقيا عائدا من مؤتمر الكومنولث . واعتقل البوليس عددا من الزعماء السياسيين غير البيض .

ـ ارسل جيزنغا برقية الى كاسافوبو كرر فيها انه يعتبر نفسه رئيس الوزارة الشرعي في الكونغو واعلن رفضه لمقررات مؤتمر تاناناريف

مطبعة الغريب
بيروت ، شارع هوفلان ، ت ٢٤٦١٨٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقيـــاس الحضـــارة

بقلم اميـــل توفيـق

عندما نتحدث عن الحضارة فى مجتمع معين انما نشير الى الصفات المورفولوجية المجردة لتلك الحضارة ، اي الى الصيغ النوعية للسلوك والفكر ، للمنطق والعمل ، للمثل الاجتماعية والنظم ، ولما ينتج عن نواحي النشاط التي يسهم فيها بصفة كلية او جزئية اعضاء المجتمع المعين .

حقيقة يختلف بعض علماء الانتروبولوجيا فى النظر الى الحضارة فبعضهم يعرفها بانها مجموعة انواع السلوك الانساني (الواقعي) التي يحققها مجتمع معين باستخدام نظم واعمال وادوات معينة فى ذلك المجتمع . وهذه هي النظرة الواقعية(١) .

اما البعض الاخر فلا يرى الحضارة فى السلوك الانساني، ولكنه يراها فيما وراء السلوك .. فى الروح التي تكمن وراء المادة الحضارية . او ان الحضارة هي مركب عقلي تكون من خلق التاريخ ، فهي عمليات اختيارية صاغت ردود الانسان وانعكاساته فى قوالب خاصة ، بالنسبة للمؤثرات الخارجية والداخلية ، وهذه هي النظرة المثالية(٢) .

ولكن الراي الغالب اليوم كما يصفه دافيد بيدني(٣) فى كتابه (٤) هو ان الحضارة تجمع فى مضمونها الرأيين او الفكرتين ، ذلك ان الحضارة تتضمن السلوك المكتسب ، كما تتضمن ايضا المثل الفكرية والفنية والاجتماعية التي يحتويها سلوك المجتمع وتعبير اعضائه .

وبهذا المعنى نحن نفهم ان الحضارة الانسانية تعني اشكال السلوك والفكر ، وعملياتهما التي اكتسبها الانسان خلال تقدم امكانياته الفطرية، والحضارة بالنسبة للامكانيات الفطرية تعتبر شيئا ذاتيا ينسب الى قوة الانسان الشخصية، فهي صفات تختص بوجوده المجرد . ولكن عملية الحضارة تتضمن ايضا ، بجانب تقدم هذه الامكانيات ، تفاعل الانسان مع اشياء عديدة تحصل عليها خارج نطاق الامكانيات الذاتية ، هي النواتج الحضارية غير الذاتية .

ومن هذه النواتج الآلات والادوات والمواد التي اخترعها الانسان لاستخدامها واشباع حاجاته وهي المسماة(٥). وبعض العلماء يسمي هذه المواد التي يستخدمها مجتمع معين بالحضارة المادية له(٦) . ونظرا لان هذه المواد غير ذاتية فهي ـ كما يصفها هربرت سبنسر ـ مواد فوق عضوية(٧) .

وتتضمن النواتج الحضارية ايضا حقائق العقل(٨) :وهي اللغة والتقاليد والآداب والخلق والذوق الجمالي والمثل الدينية ، كما تتضمن ادوات واساليب البحث العلمي ، فهذه جميعها تعكس الظواهر العقلية .

وتتضمن النواتج الحضارية كذلك حقائق المجتمع(٩) كالمعايير الاجتماعية والتنظيمات التي تهيمن على العلاقات بين الافراد فى المجتمع والعلاقات بين المجتمع الواحد وغيره من المجتمعات الاخرى .

فمجموعة انواع العدة المادية والعقلية والاجتماعية هي عوامل فوق عضوية وهذه جميعها تسمى بالتراث الاجتماعي(١٠) ، فالانسان بجانب انه يولد فى بيئة جغرافية معينة ، فهو ينشأ فى بيئة اجتماعية خاصة ، لها تاريخ معين ، ولها تقاليد معينة ، وميراث خاص يرتبط بها جميعا بالتعلم والتكيف وبالتأثر والتاثير والتفاعل كعضو من اعضاء المجتمع .

وبصدد التراث الاجتماعي نجد الواقعيين ـ كما يمثلهم فرانز بواس(١١) يؤيدون فكرة ان الحضارة عبارة عن العدة المادية ومعها عادات وتقاليد ـ اما المثاليون ، كما يمثلهم ماريت وردفيلد وكاسيرر(١٢) فيؤيدون الفكرة القائلة ان التراث الحضاري يتضمن بصفة اساسية الاراء والافكار او التعبيرات الرمزية وذلك لان الرموز يمكن انتقالها وانتشارها، وعندهم ان التراث هو هذه المدركات والمفاهيم اي الافكار والمثل . وبالطبع هم يقصرون دراسة الحضارة على الظواهر والمثل العقلية خلال المراحل التطورية .

وحق لنا ان ننظر الى مسالتين هامتين : هل نبحث الحضارة فى مجتمع معين من زاوية واقعية ، شخصية ، كحالة من حالات السلوك والفكر الناتجين مباشرة عن عملية التربة لهذا المجتمع ؟

او ان نبحث الحضارة فى ذلك المجتمع ـ اوفى المجتمع الانساني باكمله من زاوية لا شخصية، او فوق عضوية ؟ اي نبحث الحضارة من زاوية التراث الاجتماعي الذي انحدر الينا عبر التاريخ ؟

يختلف العلماء فى الاجابة على هذا التساؤل .

فيكتب موريس اوبلر مفسرا ايديولوجية الحرب العالمية الثانية فيقول :

انها حالة من حالات الصراع الناشب بين المفهومين العالمين : المفهوم العضوي والمفهوم الحضاري .

اما مالينوسكي فيقول : ان الحضارة الانسانية حضارة عضوية بمعنى انها تنزع الى غرض اشباع حاجات الانسان ومطامحه النفسية والبيولوجية . وعلى ذلك فهناك علاقة بين نوع الحضارة التي يعبر بها الانسان او يحياها ـ وبين نوع التركيب العضوي والنفسي الذي ينتمي الى هذه الحضارة .

ان العوامل الجغرافية والوراثية والبيئية الصحية ، عوامل هامة عضوية ترتبط حتما كاساس لنوع الحضارة التي تظهر فى مجتمع معين ، فالاسس العضوية للحضارة لا

1) Realistic 2) Idealistic 3) David Bidney 4) Theoretical Anthropology 5) Artifacts 6) Material culture 7) Super organic 8) Mentifacts 9) Socifacts 10) Social heritage 11) Franz Boas 12) Marett, Redfield, Cassirer 13) dynamic 14) genuineness 15) Sapir

غنى عنها لبحث التشكيلات العامة والانواع المغايـــــرة للحضارات ، فالعوامل العضوية هي الشروط الماديـــــة للعمليات الحضارية .

ولكن النظرية العضوية تصبح نظرية خرافية عندمـــا نطبقها على اساس اختلاف الاجناس ، فالجنس الارقى ، على هذا الاساس الخرافي ، يتحتم ان يكون ارقى حضاريا ومن ثم جاز له ان يحكم غيره .

والنظرية الاخرى المضادة اي فوق العضوية ، تغفـــل العوامل العضوية اغفالا تاما وتركز اهتمامها الى العوامل التاريخية والبيئية مثل الانتشار ومثل قوانين التقـــدم التلقائي ، فالمجتمع والحضارة فى عرف هؤلاء الحضاريين فوق العضويين ، هي وحدات فوق نفسية تتابع وتتطور دون ما نظر الى طبيعة بشرية عضوية او نفسية للافـراد الذين يكونون المجتمع ، وهذا هو العامل الخرافي المضاد ، اي اغفال العنصر الانساني المتفاعل .

والحق انه لا ينبغي ان يوجد اعتراض بين النظرتين اذ ينبغي ان ندرك اننا نعالج المسالة من مستويين مختلفين. بل هما عاملان يكمل احدهما الاخر فى عملية الحضارة ، فكل منهما اذا اخذ منفردا ادى الى قصور الصورةالحقيقية للحضارة . فالشروط العضوية هي التي تهيىء للتقـدم الحضاري كما ان التقدم فوق العضوي بالتالي يؤثر فـي الشروط العضوية ، والعملية تبدو دائرية عـــلى اساس العمل على مستويين مختلفين ولكن متكاملين .

يكتب بيدني فيقول ان التقدم فوق العضوي ،اللاشخصي، يلزمه حقا تفاعل شخصية المجتمع وتلزمه الشروطالعضوية. فان العدة المادية والعقلية والاجتماعية ، هي فى حد ذاتهـا خاملة ساكنة ، دون تفاعل المادة العضوية ، هي بمثابةراس المال للحياة الحضارية . ان التقدم الحضاري (الفـــوق عضوي) حقيقة يتضمن الاسباب المادية والشكلية للتقدم ولكنها ليست ابدا الاسباب المؤثرة .

ان على اعضاء المجتمع ان يتفاعلوا مع العوامل الحضارية. وينكر بيدني ان لهذه العوامل الحضارية فـوق العضوية قوانين تفوق المستويات العضوية او انها تتطور دون مـا قصد انساني . انما التفاعل هو الذي يؤدي الى حركـــة الحضارة ، والى قوتها الذاتية .

والحق اننا نحن الذين نحقق باختيارنا اي العوامـــل ينبغي ان نبقي وايها ينبغي ان ندع . وبهذه التفاعلاتيمكن ان نفهم معنى التقدم الحضاري ان التراث الاجتماعي ، بمعناه الفوق عضوي ، يفشل تماما فى ادخال معاني الجدة والتغير فى الحياة الحضارية . ان الحضارة لا تعطي فحسب، انها دائما فى التكوين ، فهي تتضمن تغيرا واستمرارا . اي تتضمن خلقا للجديد ، بجانب الاحتفاظ بالعرف والتقليد القديميـــن .

ولسنا نفهم وجود صيغة او تشكيل او تركيب تاريخي بغير ان ندخل فى اعتبارنا هذين العاملين وهما الاستمرار والتغير ، فالتاريخ لا يعني سجلا لحوادث تالية ، بل يعني استمرارا داخليا وعلاقات منطقية ترتبط بها الحوادث . كما ان التاريخ يعني انبثاق حوادث وتكوينات جديدة وهي ليست ابدا فى اساسها ترجع الى قوى مادية فوق عضوية فالعوامل الانسانية المتحركة (١٢) التي تتضمن اختراعات وابتكارات مبدعة وانعكاسات البصيرة الواعية المدركة ، هذه العوامل تدخل فى تفاعل مع العوامل الاخرى الجبرية المحافظة ، لتتكون منها جميعا منابع العمليات الحضارية .

وعلى ذلك فهناك المقياس الذي تقيس به الحضارة هـو « حقيقية الحضارة(١٤) » . . يقول سابير(١٥) : ان الحضارة الحقيقية هي التي تتكامل عناصرها وتعنى شيئا للفـــرد (وهذه هي حقيقية الحضارة) فالحضارة الزائفة هي التي لا تعنى شيئا شخصيا للفرد اذ انها لا تحقق له رغباتـــه (النامية) و لاتجعله يشارك فى الحضارة الاجتماعية . وهو لذلك يقول ان حضارة القبيلة ، او ما قبلها ، هي حضارة اقرب الى حقيقية الحضارة من الحضارات الغربية التـي اعتمدت على آلية الصناعة .

وبعكس النظرة الاجتماعية ، اي نظرة علم الاجتماع ، التي تعتبر الحضارة فوق العضوية اسبق منطقيا ونوعيا من الحضارة الفردية ، فان ادوارد سابير يعتبر الحضارة الفردية اسبق واهم من الحضارة اللاشخصية ــ او فوق العضويـة ــ .

فى هذا المعنى ، تكتب النيويورك تايمز :

ان الديموقراطيات التي تعمل حكوماتها بـوحي رضى المحكومين ــ على رغم امتلاكها للقوة التي تصـدر بهـا القوانين وتبرم بها المعاهدات ــ ان هذه الديموقراطيات لا ترى ان القوانين او المعاهدات تحققالاغراض المنشودة الا اذا اجازها اكبر عدد من المحكومين . ومعنى ذلـك ان الحضارة الشخصية او العضوية هي الغاية ، وان الحضارة اللاشخصية لا معنى لهـا دون الشروط العضوية ، ودون تفاعل المجتمع .

القـاهرة — اميـل توفيـق

قـريبـا

الليلة الأخيرة

عشر قصص سورية بقلم

فاضل السباعي

نشر دار المعرفة بالقاهرة

امـــي

ثريـا ملحس

نروح .. تجـي،
امـــي
وصوت حنـون
يـــدوي
لماذا تـدوي بهمس
رقيـــق
لمـــاذا ؟ الا تـستريـح
امـــي ؟
فـان قلت آه
فدتني بقلب رفيق
وان جئت اشكـــو
ذهلـت
لان
امـــي
يرمش تزيـل الكـآبه
وامي عيـون عجيبـه
تشـع بريقـا
وفي وجنتيهـا
تجاعيـد حيـه
وفي حاجبيهـا
عتـــاب لـرب
تخـــاف المنيـه
وتبغـي الخـــلود
لاولادهـــا ، للصغـير
وتعطو ذراعـا رحيبـه
وقلبـــا عماره
تروم المحـــاره
لتحمـي ضلوعـا حبيبـه
صغارا كبـارا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من بحوث مجمع اللغة العربية

في الادب العربي

بقلم محمد فريد ابو حديد

يتحدث النقاد والادباء عن الفن الادبي وهل ينبغي ان يكون المعول فى تقدير قيمة العمل الادبي على ما يمتاز به فى اسلوبه او ان يكون المعول فى ذلك التقدير على قيمة موضوعه كذلك بالنسبة الى المجتمع والى الانسانية ، ولست اقصد بحديثي هذا ان اتعرض لما يسوقه طرفا المناقشة من الحجج ، فهي معروفة كثرت المجادلات فيها . غير ان الذي يبدو من هذه الاحاديث ان موطن الخلاف بين الجانبين المتناقشين معنى اخر خفي لم يظهر واضحا فى ثنايا المناقشات فاردت فى كلمتي هذه ان احاول اظهار هذا المعنى الخفي بتوجيه بعض نظرات الى ادبنا العربي لعلها تستبين حقيقة الصلة بين الموضوع فى الادب وبين الحال التي كان عليها المجتمع في العصور المختلفة ، فان الكشف عن تلك الحقيقة جدير بان يزيل كثيرا من الغموض الذي يحيط ببعض ما يبدى من الآراء .

ونقطة البداية التي ابدأ منها هي الاشارة التي اوردها الزميل الجليل الاستاذ محمود تيمور فى حديث سابق له حين ذهب الى ان الاديب لا يستطيع الا ان يكون فردا فى المجتمع وان انتاجه لا يمكن الا ان يكون متصلا بالمجتمع . واني اضيف الى هذه الاشارة معنى اخر هو ان الانتاج لا يمكن ان يسمى انتاجا ادبيا إلا اذا توافر له الاسلوب الادبي الفني . ومعنى هذا ان كل انتاج ادبي لا بد ان يتوافر فيه الاسلوب الفني والاتصال بالمجتمع معا . وعلى هذا فان الشعار الذي تدور المناقشات حوله وهو « هل الفن للفن ام هو للمجتمع » . يبدو شعارا خاليا من الدلالة اذا كان المقصود منه المقابلة بين قيمتي الاسلوب والموضوع فني العمل الفني، لان القيمتين لا بد ان يتوافرا معا لكل عمل فني

واذن يكون المعنى الحقيقي الذي تدور المناقشات حوله هو ان بعض النقاد يذهبون الى ان الاديب مطلق الحرية فى اختيار موضوع انتاجه سواء كان مما يقبله المجتمع ويرضي مثله العليا وقيمه المعنوية او كان مما يرفضه المجتمع وينكر مثله وقيمه ، على حين ان البعض الاخر منهم يذهبون الى ان الاديب الحق هو الذي يختار موضوع انتاجه مما يقبله المجتمع ويعزز قيمه ومثله العليا .

ولا يخفى ما يحيط بالراي فى كل من الجانبين من غموض يستحسن القاء بعض الضوء عليه حتى يمكن ان يسلم من التعثر . وقد رايت انه مما قد ينير سبيل الراي ان استعرض الموضوع الشعري فى عصور ثلاثة وهي العصر الجاهلي والاسلامي الاموي والعباسي الاول ، وان اختار لذلك الاستعراض ما يمثل الاتجاه الاكبر فى كل من هذه العصور وهي تمثل ثلاثة ادوار من مراحل التطور الحضاري للمجتمع العربي .

واما النتائج التي يمكن الوصول اليها من هذا الاستعراض فقد رايت من المستحسن تاجيلها الى نهاية الحديث .

العصر الجاهلي

كانت حياة اجدادنا العرب فى العصر الجاهلي مطبوعة بطابع بيئتهم الصحراوية اذا استثنينا بعض البقاع الخصبة فى اليمن والمدن المتصلة بالعمران كالحيرة .

وكان النظام القبلي دعامة حياتهم بصفة عامة ، واول مميز لهذا النظام هو الولاء الكامل المتبادل بين الفرد وقبيلته، وهذا الولاء هو الاتصال النفسي بين الفرد ومجتمعه . فكان الشاعر العربي فردا من قبيلته ويصدر فى شاعره وفى انشاده عن شعوره القوي بالصلة التي تربطه بقبيلته . فهو يتغنى بمآثر قومه وبانتصارهم فى الصراع مع القبائل الاخرى ويشيد بفضل ابطالهم ويفاخر ببطولته فيهم ، وقد يهجو خصومهم او يعاتب حلفاءهم ، وهو فى كل الاحوال يعبر عن مشاعره كفرد متصل اتم الاتصال بمجتمعه .

وقد خلف لنا العصر الجاهلي بعض صور الدفعات العاطفية القوية التي انارتها مواقف قومه ومواقفه فى قومه، وهي تعبر لنا تعبيرا صادقا عن معاني الصداقة والعداوة وعن المحبة والبغضاء وعن الاجلال والازدراء وعن الشجاعة والمروءة واضدادهما وفيها ينطوي سجل حافل بما كان العرب من قيم فردية واجتماعية تتصل بمسالك الافراد والجماعات فى الحياة الخاصة والعامة .

فالشعر الجاهلي مثال للانتاج الادبي الذي يعكس لنا تجاوبا كاملا بين الاديب وبيئته البشرية ... والى جانب هذه الخاصة كانت طبيعة الصحراء لا تكاد تسمح للعربي بما يرفه عنه فى حياته القلقة المتحفزة للصراع الا من ناحيتين يتنسم منهما البهجة والانس : اولهما جمال المراة والايناس الذي يجده الفرد فى مجالس السمر بين الاصدقاء وما كان يشيع فيهم من النشوة على اثر معاطاتهم الخمر. واما الناحية الاخرى فكانت مشاهد الطبيعة الطلقة التي تبعث السلوى الى قلب المحزون والمهموم . وكانت الحياة امام العربي حياة حرة يتعامل فيها احرار لا يعترفون بالقيود ولا يطيقونها ، فلم يكن فيها حدود غير ما تعارف عليه المجتمع من قواعد الولاء بالنسبة الى القبيلة وقواعد الشرف والمروءة بالنسبة الى الفرد . وكان للمراة العربية فى الجاهلية مكانة الفرد الحر كالرجل ولهذا كان الحب بين الرجل والمراة يتسم بالتقدير المتبادل بينهما، واذا استثنينا بعض ما جاء فى قصائد بعض الشعراء كالاعشى وامرىء القيس امكن ان نقول ان شعر الغزل الجاهلي يمتاز باحلال المراة الحرة محلا رفيعا فى قلب صاحبها : ففيه من صور

الحب الرفيع ما يسمو الى اعلى مراتب الشعر فى الآداب العالمية .

ومن اليسير ان ندرك العلة فى انحراف امثال الاعشى وامرىء القيس احيانا عن مذهب شعراء العرب الجاهليين فى الحب . فقد كان الاعشى شاعرا مرتزقا جوالا فى الآفاق يتردد بين عمان وحمص واوريشلم وذهب الى النجاشي فى ارضه والى ارض النبيط وارض العجم ، ونزل بنجران واعالي السرو فى اليمن . وكان فى هذه البلاد يتصل بالحياة المترفة وما فيها من معاهد اللهو والمجون الحضرية . واما امرؤ القيس فكان منذ مطلع شبابه ضحية لالتواءات نفسية كثيرة ادت به الى الخروج على قومه والانطلاق فى الارض شريدا مع طائفة من الخلعاء الذين تبرات منهم قبائلهم لخروجهم على ما تعارفوا عليه .

فكان لمكانة المراة عند العربي اثر واضح فى الموضوع الشعري فكان الشاعر يصف وقوفه بديار الحبيبة اذا هي نزحت عنها ويتغنى باناشيد من اصدق ما صدر عن الشعراء فى عصر من العصور وهو فى تعبيره الساذج الصادق عن مشاعره فى هذه الوقفات يصور لنا لوحات فيها ابدع تمثيل للعاطفة الانسانية الاولى .

وكان انطلاق العربي فى الصحراء يتيح له ان يرى بعينه الدقيقة الملاحظة ما كان يضطرب فى الصحراء من حياة الحيوان عامة وحياة الوحش بخاصة ، وما كان يجاهد الطبيعة القاسية من نبات او زهر ، فكان يصور فى شعره ما يحسه من بهجة حين يرى الزهرة اليانعة بين الرمال وحين يرى الظبية تحنو على وليدها او تنفر ناجية اذا احست الخوف . وكان يصور ما تجيش به نفسه من الرحمة او الاعجاب حين يرى الصراع بين الاحياء كالبقرة الوحشية حين تستبسل فى الدفاع عن نفسها ضد كلاب الصيد او الذئاب التي تحتوشها او كالعير الوحشي حين يدفع اتانه دفعا شديدا نحو الماء اذا اشتد عطشهما . فتصوير مشاهد الطبيعة الطلقة من اروع ما سجله الشعر فى لغة من اللغات وهو يمتاز دائما بالصدق وقوة ما فيه من تعبير عن العاطفة .

اما التغني بمجالس الخمر فكان فى اكثر الحالات ـ اذا لم نقل فيها جميعا ـ لا يزيد على التمهيد لوصف ما يمتاز به الشاعر من الفتوة والكرم والبطولة فى مواقع القتال .

فالظاهرة العامة للشعر الجاهلي انه كان ينبع مما تبعثه الحياة فى الشاعر من الاحاسيس وهي جميعا متصلة اوثق الاتصال ببيئته وبولائه لقومه وتعلقه بقيم السلوك الفردي والاجتماعي التي تعارف عليها قومه واملتها عليهم طبيعة قاهرة ونظام اجتماعي مستقر . وقلما نجد فى الشعر الجاهلي ما ينم عن انطواء الشاعر فى نفسه او انعزاله عن قومه او الحقد عليهم ، حتى ان الهجاء الجاهلي نفسه لم يكن سوى تصوير نقدي يوجه الى قوم أو الى فرد لخروجه على القيم السلوكية الفاضلة فى نظر اهل العصر .

فلم يكن فيه الا هفوات قليلة من المثالب المقذعة المسفة التي كثرت فى شعر العصور الاخرى .

وكان الاعشى من اكثر الشعراء هجاء ولكنا لا نكاد نرى فى هجائه ـ وهو المرتزق بالشعر ـ ما يخرج عن حدود النقد التي اشرت اليها . وكان من اشد ابياته فى الهجاء

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

حتى لقد قيل ان علقمة بكى حين سمع ذلك البيت وجعل يقول فى الاعشى : « قاتله الله ! انحن كذلك ؟ »

وقد نجد فى الشعر الجاهلي امثلة للتامل الفكري المجرد. واكثر ما نجد ذلك فى شعراء الحضر مثل عدي بن زيد او من فى حكمهم مثل الاعشى ، وذلك التفكير لا يتعدى حدود العبر الدالة على زوال الحياة وغرورها وتداول المجد بين الدول .

غير ان شعر الجاهليين لا يخلو من تامل الحياة من جانبها الواقعي المتصل بالجياة فى المجتمع ولايضاح ما نقصد نورد مثالا واحدا وهو قول دريد بن الصمة فى رثاء اخيه فهو لا يقتصر على وصف بطولة اخيه ووصف اقدامه هو حين اندفع بين الفرسان للدفاع عنه ، بل يعرج على معاني الولاء للقبيلة والتضامن معها فى رشدها وغيها ويشير الى المثل العليا التي كان اخوه يتمسك بها فهو قليل التشكي للمصيبات ، حافظ من اليوم اعقاب الاحاديث فى غد ، وهو قنوع يكتفي باقل الزاد ، والزاد حاضر ولا يعبأ بما يلبس مع انه كريم يجود بما فى يده ويزيده سماحا واتلافا لماله تنكر الدهر له واشتداد الظروف عليه .

فالشعر الجاهلي يمثل ادب عصر من عصور الحياة العربية كان يسوده التضامن والولاء بين الفرد والمجتمع وكان لذلك يتصف بالصدق فى تصوير العواطف كما يتصف بالانطلاق النفسي الذي لا يشوبه التواء او انطواء .

ومما له صلة بهذا المعنى ان شعر صعاليك العرب انفسهم لا يشذ عن انماط الشعر الجاهلي عامة فهؤلاء كانوا مع خروجهم عن مجتمعهم لم يخرجوا عليه بل كانوا يتمسكون بمثله العليا فى الكرم والشجاعة والمروءة ومن امثلتهم عروة بن الورد والشنفري وتابط شرا .

العصر الاسلامي الاموي

وقد جاء الاسلام فاضاف الى الحياة العربية اضافات كثيرة من القيم الانسانية والمثل العليا وانكر من قيم الجاهلية ما كان يشوه حياتها كالمبالغة فى القسوة والصرامة والاندفاع مع شعور العصبية القبلية الضيقة كما انكر الخمر واحاط علاقة الرجل بالمراة بطائفة من الحدود التي تكفل سلامتها من العبث . ثم وجه العرب الى حياة جديدة قوامها الوحدة بين القبائل والمساواة بين الافراد من كل الطبقات والاجناس وجعل مقياس التفاضل بينهم ما يتمتع به كل منهم من

صفات الانسانية . وحملهم مسئولية نشر دعوة الحرية والمساواة فى امم العالم .

فشغل العرب حينا بمواجهة الدين الجديد حتى دخلوا فيه ثم شغلوا حينا بمواجهة الحوادث الكبرى التي اعقبت موت النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم خرجوا من جزيرتهم فى بعوث الفتح لنشر رسالة الاسلام فكانت هذه المشاغل سببا فى قلة ما روى من الشعر العربي مدة تقرب من ثلاثين او اربعين عاما .

ومن اظهر آثار الاسلام فى شعر هذه المدة انه خلا من ذكر الخمر فى التشبيب بالمراة ، حتى لقد قيل ان احد الشعراء وهو حميد بن ثور الهلالي اراد ان يتغنى بحبه فكنى عن الحبيبة بالسرحة فقال :

سقى السرحة المحلال والابطح الذي به الشرى غيث مدجن وبروق

وقد انف اهل المراة من ذكره لها مع اخفائها وراء (السرحة) فعابوه بذلك فرد عليهم قائلا :

تجرم اهلوها لان كنت مشعرا جنونا بها يا طول هذا التجرم
وما لي من ذنب اليهم علمته سوى انني قد قلت يا سرحة اسلمي
بلى فاسلمي ثم اسلمي ثم اسلمي ثلاث تحيات وان لم تكلمي

وكان الشعراء من العرب بغير شك لا ينقطعون عن الانشاد حين تتحرك نفوسهم فى موقف من المواقف وهم يساحون فى الارض على بعوث الفتح ولكن ما وصل الينا من هذه المقطوعات قليل وهو يشبه الشعر الجاهلي فى صدقه ودلالته على الولاء الكامل بين الفرد ومجتمعه .

وجاءت دولة بني امية بعد نحو اربعين عاما من الهجرة النبوية وكان لها اثر كبير فى توجيه الامة العربية الى وجهة جديدة ، وكان للاحداث التاريخية الكبرى التي وقعت فى مدة هذه الدولة اثر كبير فى توجيه الشعر كذلك من ناحية موضوعه .

ومن الظواهر الجديدة التي طرات على الشعر العربي عند ذلك ان ولاء كثير من الشعراء انصرف الى حزب من الاحزاب التي ينتمون اليها ، بعد ان كان ولاء الشاعر من قبل متجها الى قبيلته وما كان اكثر الاحزاب المتطاحنة طوال ذلك العصر .

ولم يكن ولاء الشاعر الاموي لحزبه مثل ولاء الشاعر الجاهلي لقبيلته فقد كان الشاعر الجاهلي ينشد منطلقا فى التعبير عن مشاعره غير متكلف فيه ، كما كان فى العادة غير مرتزق بشعره . ولكن الشاعر الاموي كان فى كثير من الاحوال مرتزقا فى ولائه لحزبه . وكان لذلك يعوض عن نقص حرارة الولاء بزيادة التانق وبزيادة العنف فى تعبيره سواء فى ذلك المغالاة عند المدح والاقذاع عند الهجاء ، فخرج كلا المدح والهجاء عن حدود الصدق ، وبعد ان كانت المفاخرة بشواهد الحوادث الجارية اصبحت تعتمد على ذكر المآثر السابقة لابطال الجاهلية الذين ينتمي المفاخر الى قبائلهم . ومن هناك احيا الشعر عصبية القبائل بعد ان نهى الاسلام عنها ووجه العرب الى الوحدة الشاملة ، وقصائد الشعراء الثلاثة الكبار ـ جرير والاخطل والفرزدق ـ ملاى بغبار المعارك القبلية . على ان ولاء الشعراء للاحزاب لم يكن ثابتا فى كثير من الاحوال لانهم كانوا مرتزقة بالشعر ولان الاحزاب كانت عرضة للتغير . فقيل مثلا ان جريرا لم يكن مواليا لبني امية فى مطلع حياته ثم توسل باحد الولاة كي يوصله الى الحجاج ، ثم توسل بالحجاج ليوصله الى عبد الملك بن مروان ، فوجد عند خلفاء بني امية ما يغنيه عن التذبذب بين الاحزاب .

ولكن النابغة الجعدي وعبيد الله بن قيس الرقيات لم يثبتا على الانتصار لحزب واحد واسماعيل بن يسار النسائي انقطع اولا الى ابن الزبير ثم تحول الى بني امية ولزم فيما بعد الوليد بن يزيد . وطريح بن عبيد الثقفي انقطع اولا الى الوليد بن يزيد وبالغ فى مدحه حتى قال له :

لو قلت للسيل دع طريقك والوج عليه كالهضب يعتلج
لساخ وارتد او لكان له فى سائر الارض عنك منعرج

وقد عاش حتى ادرك عهد ابي جعفر المنصور واراد التقرب منه فساله ابو جعفر عن هذين البيتين فقال انه كان يرفع يديه الى الله تعالى عندما انشدهما موجها خطابه اليه ولكن ابا جعفر لم يقربه اليه . وكان من الطبيعي ان ينقطع اكثر الشعراء فى ذلك العصر الى بني امية طلبا لما عندهم من الجزاء ، فقد انقطع عبد الرحمن بن ارطاة الى الوليد بن عثمان بن عفان وانقطع نابغة بني شيبان الى عبد الملك بن مروان وهجا خصمه ابن الزبير وانقطع الاخطل ونصيب الى مدح بني امية حتى كان سليمان بن عبد الملك يفضله على الفرزدق ولزم الحكم بن عبدل الاسدي بشر بن مروان وكانت قلة من الشعراء تخلص للعلويين ومنهم السيد الحميري وقد غالى فى ذم السلف تعصبا لهم حتى تحرج الرواة من رواية شعره .

فاذا تركنا الشعر السياسي امكن ان ندرك مقدار ما طرا على المجتمع العربي من التبدل الاجتماعي فى العصر الاموي فقد نشات طبقة من ابناء الاعيان وخاصة فى مدن الحجاز ، توفرت لهم وسائل الحياة الناعمة ويسرت لهم مكانتهم الاجتماعية الانقطاع عن العمل فانصرف الشعراء منهم الى وصف مغامراتهم اللاهية . وكان رائد هؤلاء عمر بن ابي ربيعة ومنهم ابن ابي عتيق وهو من سلالة ابي بكر الصديق والعرجي وهو من سلالة عثمان بن عفان ، والاحوص وهو من سلالة عاصم بن ثابت بن الاقلح . فكانوا يتعرضون لزوجات الامراء والاعيان وبناتهم ويذكرونهن فى شعرهم واذاعوا ذلك الشعر عن طريق الغناء وما كان اكثر المغنين عند ذلك من رجال ونساء . ومما يلاحظ ان هؤلاء الشعراء كانوا من ابناء السراري لا من ابناء الحرائر من عقائل الاسر العربية الخالصة ، فيمكن ان يقال انهم لم ينشاوا على ما اتجه اليه المجتمع الاسلامي الجديد من تحفظ نحو المراة على انه من الممكن كذلك ان يعزى انقطاع هؤلاء للشعر الغزلي الى اسباب سياسية فيحكى مثلا ان سليمان بن

عبد الملك سأل ابن ابي ربيعة يوما عن سبب امتناعه عن مدحه فاجابه « انني لا امدح الرجال وانما امدح النساء » . فكان هؤلاء الشعراء ارادوا ان يقطعوا الذريعة الى مدح الخلفاء الامويين والدعاية لهم بشعرهم فانقطعوا الى شعرهم الغزلي . وتروى عن ابن ابي ربيعة اخبار تدل على انه كان يشنع احيانا على خلفاء بني امية .

غير انه الى جانب هؤلاء الشعراء ابناء الاعيان كان شعراء آخرون قد انقطعوا لشعر الغزل او صرفوا اليه كثيرا من اهتمامهم وتخلف لنا من ذلك تراث ضخم ينسب الى مجنون ليلى والى جميل بن معمر صاحب بثينة ومنه ما ورد فى اقوال كثير ونصيب والصمة القشيري الذي قيل انه هاجر الى طبرستان حزنا على حرمانه من حبيبته وهو يصور حنينه الى معاهد حبه فى عينيته المعروفة التي يقول فيها مخاطبا نفسه :

حننت الى ريا ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعباكما معا
فما حسن ان تاتي الامر طائعا ... وتجزع ان داعي الصبابة اسمعا

وقد سما بعض هذا الشعر بالحب الى مرتبة فوق مرتبة الجسد وجعله اقرب الى روحانية المتصوفة مثل قول الشاعر:

واني لاستحييك حتى كانما ... على بظهر الغيب منك رقيب

على اننا حين نستعرض شعر الغزل الاموي عامة سواء منه ما قاله ابناء الاعيان فى مغامراتهم اللاهية او ما قاله سواهم نستطيع ان نلمح اثر الاسلام فى تطهير ذلك الشعر والحيلولة بينه وبين الاسفاف ، وان كان بعض اهل ذلك العصر قد انكر بعضه .

ومما يقال فى هذا المعنى ان يزيد بن معاوية غضب على الشاعر ابي دهبل حين قال فى اخته عاتكه بنت معاوية ابياتا منها قوله :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ... ميزت من لؤلؤ مكنون

غير ان اباه الحكيم لم يوافقه على غضبه ولم يجد في ذلك الشعر ما ينبغي لاحد ان يغضب منه وهناك ظاهرة اخرى جديدة ظهرت لاول مرة فى الشعر العربي وهي اتجاه قلة من الشعراء الى الارتزاق بالهجاء لا بالمدح ، مثل ابن ميادة والحطيئة ، ويمكن تعليل هذا بان الظروف الجديدة ادت الى انفصال بعض طوائف المجتمع عنه وسببت قلة شعورهم بالولاء له . فابن ميادة مثلا كان ابن جارية بربرية او صقلبية وكان الحطيئة مطعونا فى نسبه .

وقد ظهر شعور الانفصال عن الحياة العربية فى صورة اخرى وهي بدء الانتساب الى العجم والمفاخرة بذلك الانتساب . قال ابن ميادة فى بعض شعره :

اليس غلام بين كسرى وقالم ... باكرم من نيطت عليه العمائم

وقال اسماعيل بن يسار ـ وهو مولى فارسي :

انما سمى الفوارس بالفرس ... مضاهاة رفعة الانساب
اتركي الفخر يا امام علينا ... واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسالي ان جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا فى سالف الاحقاب
اذ نربي بناتنا وتدسون سفاها بناتكم في التراب

ومما يذكر هنا ان ابن يسار هذا سبق الى نوع جديد من الغزل الكشوف بابراز قصص دنيئة الى النساء . ومن امثلة ذلك قصيدته التي يصف فيها هجومه على بيت امراة متزوجة وقضاء ليلة معها ويقول فى آخرها :

حتى اذا الليل بدا ضوؤه ... وغابت الجوزاء والرزم
خرجت والوطء خفي كما ... ينساب من مكمنه الارقم

فكان هذا الشعر من اشد ما قيل فى هذا العصر جراة على المجارم . ومما يجب ان نذكره هنا ان الخمر لم ترد الا قليلا فى شعر هذا العصر اذا استثنينا الاخطل وابا زبيد وعبد الرحمن بن ارطاة .

فالشعر العربي كما يبدو من هذا الاستعراض المجمل يبين ما طرا على المجتمع العربي من طوارىء احدثت ثلمة فى وحدته الكاملة وادت الى شيء من الانفصام بين بعض الافراد ومجتمعهم . ولكنه مع ذلك يدل على انه بقي متصلا بالحياة الى حد بعيد متاثرا بها مؤثرا فيها محتفظا بالولاء له وان كان بعضه ولاء متكلفا متذبذبا . وقلما نجد فى هذا العصر من الشعراء من تبدو على شعرهم دلائل الثورة او الحقد على المجتمع او الانعزال عنه والانطواء فى انفسهم شعورا منهم بانهم غير شاعرين بالانتماء اليه .

ولا نملك الا ان نقول ان مكانة الشاعر فى العصر الاموي قد هبطت هبوطا ملحوظا عن مكانته الاجتماعية فى العصر الجاهلي ، فقد اصبح الكثير منهم تابعا مرتزقا من سادته لا صديقا مواليا لقومه .

العصر العباسي الاول

اما العصر العباسي الاول فقد شهد فى الشعر تطورا ابعد بكثير مما شهده العصر الاموي ، وذلك لان المجتمع العربي شهد انقلابا من اشد الانقلابات التي تطرا على حياة الامم . فقد اصبح الموالي فيه قوة خطيرة الى حد انهم استطاعوا ان يقوضوا دولة بني امية ويقيموا بدلها دولة بني العباس وكان من المنتظر ان يتم الانصهار بينهم وبين العرب ويتكون من الجميع امة عربية واحدة اساسها مثل الاسلام فى الحرية والمساواة ، ولكن ظروفا كثيرة لا محل لذكرها هنا حالت دون هذا الانصهار . فاستمرت العناصر المختلفة فى الامة تعيش جنبا الى جنب وهي شاعرة بتميزها .

وكانت خيبة امل الموالي عقب انتصارهم واقامتهم للدولة العباسية سببا فى شعورهم بالانفصال عن المجتمع الذي يعيشون فيه .

وكان لذلك الشعور اثر كبير فى اتجاه الشعر نحاول ان نتبينه فى انتاج ثلاثة من كبار شعراء هذا العصر وهم بشار بن برد وابو العتاهية وابو نواس ، وهم جميعا من الموالي .

كان بشار مولى اذ كان ابوه مولى احدى سيدات بني عقيل وكانت امه بغير شك غير عربية وكان ابوه عاملا فقيرا وهو قد ولد اعمى . وكل هذه عوامل تؤدي الى الالتواء

النفسي والشعور بالنقص وبالانعزال عن المجتمع . ولكن بشارا نشأ كما قال فى حجور ثمانين من شيوخ فصحاء بني عقيل فكانت لغة عربية فصيحة خالصة. ودرس العلم فى حلقات كبار العلماء والمفكرين ولكنه لم يستقر على مذهب غير الشك . وكان من الطبيعي ان يبدا حياته الشعرية بالهجاء وصرح بان ذلك وسيلته الى شق طريقه فى مجتمع اجنبي عنه . واستمر فى حياته يضمر ثورة عنيفة على ذلك المجتمع فلما اعلن ابراهيم بن عبد الله بن حسن العلوي ثورته على ابي جعفر المنصور سارع بالانضمام اليه وبعث اليه بقصيدة يهاجم فيها ابا جعفر ويخاطبه قائلا:

ابا جعفر ما طول عيش بدائم وما سالم مما قليل بسالم

غير ان هذه الثورة اخفقت وقبض على ابراهيم وقتل . فخشع بشار وبادر الى تغيير قصيدته وجعل مطلعها هجوما على ابي مسلم الخراساني الذي قضى عليه ابو جعفر فقال :

ابا مسلم ما طول عيش بدائم .

وفى هذه القصيدة ينطلق بشار مع ثورته مع ابراهيم العلوي فيقول متحمسا :

وخل الهوينى للضعيف ولا تكن نؤوما فان الحزم ليس بنائم
وما خير كف امسك الغل اختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وحارب اذا لم تعط الا ظلامة شبا الحرب خير من قبول المظالم

الى اخر ما قال فيها ، وهي تظهر قوة شعوره الثائر على الدولة وعلى النظام القائم معها .

وظهرت ثورته فى نواح اخرى غير السياسة فقد سلك مسلك ابن ابي ربيعة فى الغزل وغلا فيه غلوا شديدا ، او هو سلك مسلك عبد الرحمن بن ارطاة وزاد فيه مغالاة الى درجة الافحاش . واتخذ لنفسه مجلسا سماه البردان وكان النساء يحضرن اليه . ولا شك فى ان اكثرهن كن من الجواري ، حتى لقد هال ذلك كثيرا من المتحفظين من رجال العلم والادب ، ولكنهم كانوا يخشون هجاءه المقذع فاستعانوا عليه بالخليفة المهدي الذي نهاه عن مسلكه . وكان مذهبه فى الحياة قائما على الشك ويبدو ذلك واضحا فى شعره فمن ذلك قوله :

طبعت على ما فى غير مخيسر هواي ولو خيرت كنت المهذبا
اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد وقصر علمي ان انال الغيبا
فاصرف عن قصدي وعلمي مقصر وامسي وما اعقبت الا التعجبا

وكان فى حياته الخاصة على ما يبدو لا يرعى حدا من حدود الاخلاق الاسلامية ومما يدل على مذهبه الاباحي قوله:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فهو يسخر من القضاء ويسخر من القيم الاجتماعية ويذكرنا بمن يزعمون انهم يتبعون مذهب الوجودية .

وكان يصف عصره بانه دهر اللئام : ويظهر ضيقه به وتبرمه منه . وظهرت ثورته كذلك فى ثورته على العرب وعلى قيمهم ، كما تدل عليه اخباره وبعض اشعاره .

ولا شك ان هذا الروح الثائر الجريء هو الذي حرك عليه خصومه حتى اوقعوا به عند الخليفة المهدي الذي اخذه كما قيل بتهمة الزندقة وامر بقتله او باهدار دمه . وقيل ان الخليفة نفسه لم ينج من لسانه فنسب اليه شعر فيه تحريض شديد عليه وهو قوله :

بني امية هبوا طال نومكم .

كما نسب اليه شعر آخر فيه سب شنيع له وطعن مقذع عليه . فشعر بشار مثال على ما يكون عليه موضوع الشعر حين يحدث الانفصام بين الشاعر وبين المجتمع الذي يعيش فيه .

والشاعر الثاني هو ابو العتاهية . وهو مثل بشار من ابناء الموالي ، وقد نهل الفصاحة من مواليه فى بادية الكوفة . غير انه لم يكن فى مثل جراة بشار ، فلم يستطع ان يشق طريقه فى المجتمع بالهجاء ، بل اتجه الى ان يظهر التواضع حتى لقد قيل انه اشتغل بالحجامة اظهارا لتواضعه . وقد نهل من العلم قدرا ولكنه لم يتخذ لنفسه مذهبا اذ لم يجد من نفسه القدرة على الدفاع عن مذهب يعتقده . فاتجه الى شعر الزهد وجعله وسيلته للامتياز

وكان يتوخى السهولة فى ذلك الشعر ليكون اسير بين العامة . وما تزال بعض اشعاره تجري الى اليوم على الالسنة . وقليل من الناس من يعرف انها لابي العتاهية، مثل قوله :

ان الفراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة

وقوله :

فى سبيل الله انفسنا كلنا بالموت مرتهن
كل حي عند ميتته حظه من ماله الكفن

وقوله :

وكانت فى حياتك لي عظات وانت اليوم اوعظ منك حيا

ومن اقواله فى الهجاء :

وما تصنع بالسيف اذا لم تكن قتالا
فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا

ومنه فى الشكوى :

حتى اذا انقلب الزمان علي حرت مع الزمان

وفى الغزل :

يا من راى قبلي قتيلا بكى من شدة الوجد على القاتل .

ومنه فى التصوف والزهد :

فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

ولكنه كان فى قرارة نفسه ثائرا على الحياة والمجتمع . قيل ان احد الناس سأله ماذا ينقش على خاتمه فاجابه : « اكتب لعنة الله على الناس » .

وقال :

برمت بالنـــاس واخلاقهـــم فصرت استـــانس بالوحـدة
ما اكثر النـاس لعمري ومـا اقلهـم فى حـاصل العـدة

ومـــن قولـــه :

فتشت فى الدنيـا فليس بهـا احـــد اراه لآخـر حـامد
حتـى كـان النـاس كلهـــم قـــد افرغوا فى قـالب واحد

وقولـــــه :

فاضرب بطرفـك حيث شئت فلـــن تـرى الا بخيـــلا

وقولـــــه :

يـا انتـن مـــن حش على حـش اذا تـاها
ارى قومـــا يتيهـــون حشوشـا دنقبـوا جاهـا

والحش هو بيت الخلاء طبعا .

ومما يدل على يأسه من المجتمع :

ليس لمن ليست لـــه خيلـة موجـودة خيـر مـن العبر
فاخط مع الـدهر اذا ما خطا واجـر مـع الدهر كمـا يجـري
مـن سابق الـدهر كبـا كبـوة لـم يستقلهـا آخر الدهر .

ويبدو ان نظرته المتشائمة بالحياة وما فيها وقسوته فى الحكم على عصره هما السر فى انصرافه الى شعر الزهد . فهو من هذه الناحية منفصل عن مجتمعه ثائر عليه وان كانت ثورته من نوع اخر غير ثورة معاصره بشار . فهي ثورة حقد ولكنها مقرونة بالهروب .

والثالث من شعراء هذا العصر ابو نواس . وهو مولى كصاحبيه . وكان منذ طفولته وحيدا اذ خلفه ابوه طفلا، وكانت امه على ما قيل ترتزق من حياة غير شريفة صرفتها عن رعايته ، فوزع وقته منذ صغره بين التماس الرزق لنفسه وبين الاختلاف الى مجالس العلم والادب فى المسجد والجامع بالبصرة وهي من اكبر مراكز العلم والادب فى عصره . وتقاذفت به ظروف حياته القاسية وهو وحيد من العائل والحامي والعاطف ، فطرحت به هذه الظروف الى الكوفة ، وكانت مركزا لحياة زاخرة مثل البصرة ، وكان ما زال فى سن الشباب ، فالقى نفسه فى محيط مائج من دفعات الغرائز ومن تيارات الافكار المتضادة والعقائد الاجتماعية المتصارعة . وكان لا يستطيع بالطبع ان يجد منفذا الى طبقة من الناس غير امثاله من الموالي الذين لا يجدون من تقاليد طبقتهم ما يحول بينهم وبين اقتحام الحدود التي يتجنب اصحاب المروءة اقتحامها .

وقد نزح حينا الى البادية فعاش بين فصحاء بني اسد كما عاش بشار بين فصحاء بني عقيل وكما عاش ابـــو العتاهية بين فصحاء بادية الكوفة ثم نزح الى بغداد فواجه الحياة المضطربة فيها كما يواجه الحيوان الصغير الوحيد مخاطر الغابة ، متحديا دائما متحفزا للدفاع عن وجوده فى كل لحظة ، ولم يجد لنفسه الطموح فرصة تحقق له مـــا يرضي طموحه فامتلأت بالخيبة ، ولم يجد متنفسا لطموحه الا فى مجتمع صغير من امثاله ، رفهوا عن نفوسهم التـي امتلأت بشعور الخيبة بالتماس النـــيان الذي تبعثه الخمر او فى الاثارة التي تبعثها نشوتها فيهم فكانت ثورتهم على مقدسات المجتمع تشعرهم بشيء من رضى التشفي .

وانطلق فى حياته هذه ثائرا حانقا على كل ما يتصل بالمجتمع من دين وعرف ، بل لقد شملت ثورته كل ما خاب فى تحقيقه من الاطمئنان الى الحب او الى العدل . وتمثلت ثورتـه فى اندفاع وحشي الى كل ما يحرمه المجتمع ، وفى سخرية لاذعة قاسية منه ومن قيمه ومثله ، فسخر من الحـــب ومسخه مسخا يدل على عمق الهوة التي دفعه اليها يأسه من الحياة . وكان يباهي فى شعره بما يندفع اليـه من الجموح والقسوة ويجد فى هذه المباهاة ارتياحا كالحا يشبه ارتياح الشامت فى مصاب غيره . وهـو يقول فى تعبيره عن هذا الشعور عندما اوقع الاذى باحد اصحابه :

فنلت مـا فـن بـه صاحبيا والقلب منـي جـامح قـاس
لا خير فى اللـذات ما لم يكن صاحبهـا منكشف الراس .

ولست اريد ان اجادل فى قيمة شعره من ناحيته الفنية فهذا خارج عن حدود هذا الحديث الذي اتناول فيـــه الموضوع فى الشعر ، غير انني اجد من الضروري ان اشير الى ظاهرة واحدة تميز اسلوبه فهو لا يكاد يبتكر معنـــى وتكاد صوره تكون محصورة فى عدد قليل من المعاني يكررها ويلبسها اثوابا شتى .

فهو مثلا يكثر من تشبيه الخمر بالنار او النور ويكثـر من تشبيه الحب بالجوهر من لؤلؤ ودر وغيرها . ومثل امثلة هذا اقواله الآتية :

فالخمر ياقوتة والكاس لؤلـؤة حمراء در علي ارض من الذهب
كان صغرى وكبرى من فواقعها حبيا كمثـل جلاجل الحجل
فاذا علاها المـاء البسهـا فوقهـا طوقـا فـدارا
فكأنهم شجـت فـادارت در صغـارا وكبـارا
كالقـرآن الـدر بالـد متراصفـا كتراصـف النظم
شجت فمالت فوقهـا حبيـا فوقهـا مثـل العيـون
ثـم شجـت فـادارت لـم تحجـر بجفـون
حدقـا ترنو الينـا ذهبـا يثمـر درا كـل ابـان وحين
اذا شجها الساقي بماء رابتها مكللـة الاعلى بطوق جمـان
حتى اذا مزجت بالماء واختلطت حاك المزاج لها من لؤلؤ فلكـا
اذا ما علاها الماء خلت حبابها تفاريـق در في جوانبهـا شتى
فاذا المـاء شجهـا خلت فيها لؤلؤ فـوق لؤلؤ مسلوكـا .

وامثال هذه كثيرة تكاد لا تخلو منها قطعة من خمرياته.

ومن استعارته النار او النور لوصف الخمر قوله :

كان شعاع الشمس يلقاك دونها ترى نهاً الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا
تلتهـب الكـف من تلهبهـا وتحسر العيـن ان تقصاهـا
كـان نـارا بهـا محرشـة نهابهـا تـارة ونغشاهـا
فلو مزجت بهـا نـورا لمازجها حتـى تولـد انـوار واضـواء

وهو يصف الخمر بالقدم ، ويكرر هذا المعنى كذلـك تكرارا لا ينبغي ان اطيل بعد هذا فى ايراد الامثلة عليـه . ومن هذا يظهر ان صوره لم تكن اصيلة ولا غزيرة النبـع فالصفة الاصيلة فى ابي نواس هي انه كان ثائرا على مجتمعه

وكانت ثورته عليه تتمثل فى تحدي مقدساته ومثله ونظمه.

وكان احيانا يجهر بما يدل صراحة على الثوره المنطوية فى اعماقه فمن ذلك قوله :

سابقي الفنى اما نديم خليفة ... يقوم سواء او مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار جنانه ... اذا نوه الزحفان باسم قتيل
ليخمس مال الله من كل فاجر ... وذي بطنة للطيبات اكول
الم تر ان المال عون على التقى ... وليس جواد معدم كبخيل

من هذا الاستعراض للموضوع الشعري فى العصور الثلاثة التي مر بها يمكن أن اقول انه انتقل من تعبير صادق يميزه الولاء للمجتمع فى العصر الجاهلي الى تعبير مختلف الوجهة فى العصر الاموي وانتهى فى العصر العباسي الاول الى تعبير فردي تميزه الثورة على المجتمع . ومن الممكن ان نميز بين طرفي هذا التطور فى موضوع الشعر العربي بما يميز به علماء النفس بين الظواهر النفسية للافراد اذ يصفون بعضهم بالانطلاق ويصفون بعضا اخر بالانطواء . فالشاعر الجاهلي كان منطلقا يعيش فى المجتمع ومعه وينظر الى شخصه من خلال نظرته الى الحياة ويعبر عن انفعاله بما حوله تعبيرا يسوده الولاء لمجتمعه سواء كان راضيا عنه او ساخطا عليه على حين كان الشاعر في العصر العباسي الاول اقرب ما يكون الى وصف الانطواء ، اذ كان ينظر الى الحياه من خلال شخصه فلا ينفعل الا طوعا لمشاعره الخاصة واتجاهاته النفسية التي يميزها الانفصام عن المجتمع . فهو لا يضمر للمجتمع ولاء بل يضمر له الحقد والثورة والسخرية المرة القاسية .

النتيجة

فلانتقل بعد هذا الى عرض نتيجتين لهما علاقة وثيقة بثقافتنا العربية فى عصرنا الحاضر .

النتيجة الاولى هي ان تراثنا الثقافي يشتمل فيما يشتمل على هذا الانتاج الادبي الذي انحدر الينا من عصر بعد عصر ، متزايدا على مر الزمن حتى صار اليوم خزانا ضخما تجمعت فيه روافد شتى الالوان والانواع مما بعثت به العصور المتعاقبة التي مرت بها الامة العربية فى ادوار حياتها الماضية منها عصر الجاهلية الذي ساده الانسجام بين الفرد ومجتمعه ومنها العصر الاسلامي الاموي الذي بدات عوامل الحياة الجديدة تطرأ عليه واهمها بدء امتزاج العرب بغيرهم من الشعوب ، ثم العصر العباسي الاول الذي اجتمعت فيه اخلاط شتى من شعوب لم يتح لها بعد ان تنصهر فى امة واحدة جديدة متجانسة ، ثم اخذت هذه العناصر المختلفة تنصهر معا على توالي القرون وواجهت معا احداثا عنيفة ومغامرات قاسية ، خرجت منها امة عربية حديثة صارت تزداد انصهارا وامتزاجا على مر عدة مئات من السنين حتى انتهت الى هذا العصر الحاضر وقد تم انصهارها معا او كاد ، واصبحت امة عربية موحدة الوعي والشعور موحدة المثل العليا والقيم الى حد كبير .

فاذا اردنا ان نعرض تراثنا الادبي على ناشئة هذه الامة الجديدة كان جديرا بنا ان نذكر انه تراث مختلف الانماط منبعث من شتى الانفعالات فى العصور المتوالية وان حياتنا الحاضرة لا يلائمها الا ان يكون ادبها متميزا بالولاء الكامل للمجتمع فالتراث الادبي فى مجموعه وان كان جديرا بان يتوفر عليه الدارسون المتخصصون ، فان الثقافة العامة للاجيال الناشئة تتطلب اشد التحري فى اختيار ما يعرض منه على الناشئة مما يلائم حياتهم الاجتماعية الحاضرة والمنشودة فى نهضتنا الحديثة .

وقد ادركت اجيال سابقة من الامة العربية ضرورة التحري فى اختيارها لما يعرض على طلاب الثقافة من ناشئتها ، فعمد كبار ادبائها الى اعداد المختارات الملائمة التي تعزز المثل العليا والقيم التي ينبغي للناشئة ان يتعلقوا بها ومن هذه المختارات حماسة ابي تمام وحماسة البحتري وغيرهما .

فمن الواجب ان يهتم المشرفون على تثقيف الاجيال الناشئة فى وقتنا هذا باعداد المختارات الادبية الجامعة لروائع الشعر العربي بخاصة وان يهتموا بنشر روائع الادب العربي والاجنبي بصفة عامة مع التحري ان يكون هذا كله مما يلائم روح هذا العصر الذي عادت فيه الوحدة الى الامة العربية بعد انصهار عناصرها معا وصار من الطبيعي ان يكون التضامن او التجاوب كاملا بين الفرد والمجتمع .

والنتيجة الثانية التي اود ان اعرضها تتصل بنقد الادب ونقاده وهذا ما سقت هذا الحديث من اجله قصدا . فنحن اليوم كما قدمت امة عربية حديثة موحدة الوعي والمشاعر ومن الطبيعي ان يشعر الفرد منا اليوم بالولاء الكامل لمجتمعه سواء فى حال رضاه عنه او سخطه عن بعض ما فيه .غير اننا فى الوقت عينه نعيش وسط عالم انساني اصبح قريبا منا سهل الاتصال بنا ولا نستطيع ان نباعد بيننا وبينه سواء اردنا ذلك او لم نرده . وامم العالم تتفاوت فى ظروفها وقد يكون منها امم استقرت فيها الحياة على الولاء الكامل بين الفرد ومجتمعه ومنها امم اخرى قد تكون فى مرحلة زعزعة وبلبلة فهي تتعرض لظاهرة الانفصام بين الافراد ومجتمعهم . وهناك ما يدل دلالة واضحة على ان بعض اتجاهات الادب فى بعض الامم تشبه اتجاه الادب فى العصر العباسي الاول من ناحية ثورته وخروجه على مثل المجتمع وقيمه ومن حيث احتقار ادبائها لتلك المثل والقيم

والاسباب التي تجعلنا نتطلب التحري فى اختيار ما يناسب حياتنا الحاضرة من تراثنا الادبي تجعلنا نتطلب من النقد والنقاد ان يتحروا كذلك فى اختيار مذاهبهم النقدية فلا يقبلون مذاهب النقد الادبي التي ترد الينا من الامم التي اصاب الانفصام مجتمعها ، فان تلك المذاهب تتعارض ومرحلة الحياة التي نحياها فى هذا العصر .

وقد بينا فى اول هذا الحديث ان مذهب النقد القائم على شعار « الفن للفن » ليس له معنى فى الحقيقة الا ان يتحال الاديب من كل اعتبار اجتماعي ، فلا يلتزم بأن يكون الانتاج متصفا بالولاء للمجتمع سواء كان راضيا عنه او متمرضا لنقده ، ولا يلتزم بان يكون الانتاج مغايرا للمثل العليا التي يؤمن المجتمع بها او كافرا بها ولا يهمه فى شيء ان يكون الانتاج حاقدا على المجتمع هادما له او داعرا ماجنا يسخر من مقدساته وينتهك حرماته ما دام يحقق غاية واحدة وهي خضوعه لشعار « الفن للفن » .

ان الاسلوب الفني مفترض فى كل انتاج ادبي ، فاهم ما ينبغي ان ينظر اليه فى النقد بعد تحقق الاسلوب الفني هو « الموضوع » ومقدار ما ينطوي عليه من ولاء للمجتمع واتصال نفسي عاطف به . وليس معنى ذلك ان يكون الانتاج راضيا عن كل ما فى المجتمع بل قد يكون متصفا بالولاء الكامل له مع نقده وابداء السخط على بعض مظاهره، ففي هذه الحالة يكون نقد الاديب لمجتمعه نابعا من رغبته فى تسديده وتوجيهه الى وجهة افضل ، فيكون سخطه سخط الولي العاطف المتضامن لا سخرية الثائر المنعزل الكاره المتحدي .

اما الاديب الذي لا يابه الى خير مجتمعه ولا يعتد بقيمه ولا بمثله العليا ويزعم انه يعيش لنفسه وانه ينصرف الى فنه من اجل الفن وحده ولايعنيه ما يؤول اليه امر المجتمع فلا يهمه ان يبقى متماسكا ويزيد صلاحا او ان يضطرب امره ويضمحل شأنه ، فان المعنى الحقيقي لوقفه من مجتمعه فهو انه ثائر عليه ويقصد الى هدمه وهذا ما اقصده حين اقول ان مثل هذا الاديب ينطبق عليه وصف الانطوائي الساخر الحانق الذي لا ينطوي على ولاءلمجتمعه.

وهناك امثلة لهذا الصنف من الادباء فى امم العالم الاخرى ممن يدابون على اثارة الغرائز الهوجاء البدائية التي لاتلائم المجتمعات فى وقت نهضتها بل تنطلق فيها حين تدركها الشيخوخة الحضارية وتقترب بها الى الفناء ، وهناك من هذا الصنف من الادباء من يدعون الى التحلل من الحدود والقيود التي تعارف عليها المجتمع صيانة لكيانه من الانهيار فيزيفون لانفسهم بعض المذاهب الفلسفية كالوجودية وهم لا يدرون ما هو ذلك المذهب الذي يزيفونه لانفسهم كما فعل غيرهم من قبل حين زيفوا مذهب ابيقور الفلسفي وحرفوا معناه الى التماس اللذات الجسدية وجعلوا ذلك غاية الحياة التي يحيونها . وما احرانا ان ننفض ايدينا من ادب هؤلاءومن يريدون من نقادنا ان يحولوا اليه مذهبهم فى النقد. نصيحة الفن للفن تبعد بالنقدعن ميدانه الصحيح وهو نقد الموضوع الذي يختاره الاديب ليبرزه باسلوبه الفني ، فان قيمة الانتاج الادبي لا تعرف الا بمقياس مزدوج على الاقل . فجانب من هذه القيمة يرجع الى توافر العناصر الفنية فى اسلوبه وهذا شرط اولي لا يمكن ان يسمى الانتاج ادبيا الا حين يتوافر له ، والجانب الاخر الذي هو الفيصل فى المفاضلة بين انتاج ادبي واخر هو « الموضوع » الذي لا بد للنقد ان يتحرى الدقة فى الكشف عن حقيقته وهل هو موضوع وبيل ينفث السم فى المجتمع او هو مما يبعث الحياة ويطهرها ويسمو بها الى مراتب اعلى ويدفع بها الى مستوى حضاري اجدر بالبقاء .

هذا ما اردت ان اعرضه واعتذر من الاطالة راجيا من زملائي اعضاء المجمع الموقرين ان يكرموني بالتنديد والتسامح الذي هم اهله . ونقنا الله جميعا الى خدمة لغتنا الشريفة ومجتمعنا الناهض المجاهد .

القاهرة — **محمد فريد ابو حديد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

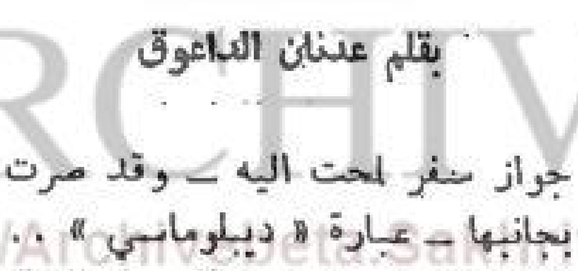
الفستان الاحمر

فستانها الاحمر ما ابدعك — روحي مع الخيط وقلبي معك
ايا ملاكا مر في ضيعتي — فغنت الاطيار ما اروعك
يا ناشر الطيب بوادي الهوى — قف لحظات لي ما اسرعك
ففي دمائي انت اغنية — ساحرة تسال من اطلعك
الشفق الغارب اغضبته — والافق من الوانه ارضعك
مررت فالاثواب في خجلة — والزهر باح العطر من ضوعك
واعين العشاق ذابت جوى — تهمس في الآفاق كي ترجعك
من خاط هذا الثوب من خاطه — من اي ريش طرزوا ادرعك
ان داعبتك الريح يا قاتلي — تمنت الانفاس ان تمنعك
فستانها الاحمر ما ابدعك — روحي مع الخيط وقلبي معك !

بغداد — **مزيد الظاهر**

الى اللقاء يا جولي

بقلم عدنان الداعوق



لم تكن زيارتي الاخيرة للقاهرة هي المرة الاولى التي اعجب فيها بجمال المدينة الكبيرة ولا بعظمتها .. انما كانت المرة السادسة او السابعة لا ادري بالتحديد .. الا انني آمنت منذ المرة الاولى بالمأثورة القائلة : «من يشرب من ماء النيل مرة ، لا بد أن يعود لارض النيل مرة اخرى ..»

وقد اضفت بيني وبين نفسي عبارة جديدة على المأثورة فقلت : «لا بد ان يعود مرات عديدة ..»

وعلى هذا الاساس فقد وضعت نظاما خاصا لذي منذ فترة غير قصيرة بان ازور ارض النيل واقيم بالقاهرة مرتاحا سعيدا كلما سنحت لي الفرصة او وجدت في ايامي متسعا اروح فيه عن نفسي ، ورتابة ايامي .

غير انني جزمت في هذه المرة الاخيرة وأنا بالقاهرة انني لم ار جمال المدينة الرائعة في كل زياراتي الماضية كما لم اشاهد او اعجب بما اعجبت من قبل . ولا ادري بالضبط كيف يقيس الانسان مدى اعجابه بشيء ما ، فقد تتكرر الصورة الجميلة امامه عدة مرات .. ولكنه مع ذلك لا يهز مشاعره الجمال في هذه الصورة خلال هذه المرات .. وقد يفطن لهذا الجمال في آخر مرة فيقف تجاه الامر معجبا ومتعجبا فكيف لم يفطن الا اليوم بهذا الثراء الجميل في تلك الصورة المتكررة.

وقد احست بهذا الشيء تماما في زيارتي هذه فقد استطيع ان اقول بمنتهى الصدق انني لم ار القاهرة قبل اليوم بهذه الروعة ولا هذا الجمال.

وقد تكون السعادة النفسية ، والجمال الداخلي المدفون، من العوامل الجدية في توضيح صورة الجمال المتكررة ، احيانا .

ومضت ايام زيارتي سريعة لاهثة : وهكذا دوما ازمنة السعادة ، فهي تنقضي بسرعة مذهلة مخلفة وراءها حسرة جميلة هي انقضائها كلمح البرق ..

وودعت صحبي واصدقائي واشبعت بصري من جمال النيل وهو يروي كل شبر ، وكل قلب كذلك . بالعذوبة والرقة والسعادة .

ومضيت الى المطار لاستقبل رحلتي الاخرى ، عودتي الى مدينتي الحلوة دمشق .

وعند مكتب الجوازات لمحتها اول مرة .. كخطف النور في الليل المظلم.

وقفت امتع نظري بها ، وبشلال النور المذهب الذي يتهدل بعبقرية ازلية على كتفيها .

واقتربت .. فقد جذبني النور كما يجذب الفجر طلائع النهار الجديد فسمعتها تتكلم بالانكليزية ، وبصوت رقيق كهمسة حلوة ربيعية العبير .

ووجدت اكثر من موظف يتبرع في خدمتها ومساعدتها .. كان بيدها جواز سفر لمحت اليه ـ وقد صرت بجانبها ـ عبارة « دبلوماسي » .. فايقنت انها ـ لاول وهلة ـ امريكية، وانها ابنة سفير او قنصل او احد الرجال الدبلوماسيين قادمة من امريكا في زيارة خاطفة للقاهرة .

تناولت الاستمارة من اكثر من يد واحدة لتملىء فيها بعض المعلومات الخاصة .. ولم يفطن احد من جميع المعجبين بها ان يقدم لها قلما، فابتسمت اكثر من ابتسامة دون ان تشير الى ما تحتاج للكتابة ، فاخرجت لها من جيبي قلمي وقدمته لها .. وفي ذات اللحظة امتدت الايدي تحمل اليها الاقلام والابتسامات والرجاء .

وبابتسامة اخرى اعتذرت للجميع، وتناولت مني القلم وراحت تكتب وتملىء الاستمارة ، والتفتت الي بعد لحظة وسألتني بانكليزية ساحرة :

ـ هل علي ان اشير الى زيارتي لبيروت ..؟

واجبت وانا لااصدق انها تكلمني..

وحسبت اول الامر انها تحدثني معبرة عن شكرها لتسليفها القلم الذي احتاجت للكتابة :

ـ كلا ، لا لزوم للاشارة الان .. ففي دمشق تحتاجين الى ذلك .

فعادت والتفتت، ووقعت الاستمارة وناولتني القلم وانضمت هناك في الصالون الكبير الى جموع المنتظرين.

وشعرت انها خلفت بذهابها اكثر من فراغ .. فتقدمت حيث كانت واقفة ، وانهيت اوراقي باسراع ملحوظ ، وانضممت الى المنتظرين واخذت مقعدا قريبا منها .

ورايت بعض موظفي المطار يهرعون اليها ويسالونها اية خدمة .. وكانت تجيب بنفس الابتسامة المشرقة ، حتى شعرت انها تضايقت من هذا التهافت المغرق ..

ولم ادر كيف التفتت نحوي ، وقد كانت قاصدة ان تنظرالي .. وترجمت نظرتها بسرعة، انها متضايقة . وقامت حيث كانت تجلس ، وانطلقت تبحث عن شيء .. ولم تلبث ان عادت .. ولكنها اختارت هذه المرة المقعد الخالي الذي بجانبي ، وجلست .. وسمعتها تتنفس الصعداء مرتاحة انها وجدت المكان المفضل والمختار .

وكنت اقرا في جريدة «الاخبار» عن آخر تطورات الازمة التي سببتها امريكا للباخرة «كليوبترا» وراحت تسرق النظر الى الصحيفة ، وقالت لي بعدما لمحت صورة الباخرة في وسط الصفحة :

ـ اظنها الباخرة كليوباترا ؟..

اجبتها دون ان اتطلع اليها ..

وتصنعت الاغراق في القراءة وقلت : هي نفسها ..

قالت وقد قربت وجهها مني ..

وعند ذاك تطلعت فرأيت صفحة القمر تنبسط في بروتستم للرمال الملتهبة العطشى :

ـ آسفة ..

اثارت انتباهي هذه الكلمة العجلى، وتطلعت اليها حتى استطعت في لحظة واحدة ان استوعب جميع تقاطيع وجهها المتبسم المتنمم ، وقلت :

ـ ولماذا تاسفين ..؟

وكأنما كانت تتوقع مني هذا الجواب فقالت :

ـ لانني اميركية .. واعتقد ان العمل الذي قامت به الموانيء الاميركية في منتهى الوحشية والقسوة .. وهممت بان ارد عليها ، ولكنها كانت اسرع مني حين اردفت :

ـ قلت لك انني امريكية ،واعرف الامريكيين اكثر منكم ، فمن المؤسف حقا ان تلاقي باخرة عربية مثلما لاقت كليوبترا .. لا سيما وانا اعتقد ان بين الجمهورية العربية المتحدة وبين امريكا من صداقة يحرص عليها الطرفان .. ام ماذا تقول :

قلت وقد شعرت بارتياح داخلي راودني وانا اسمع حديث هذه الامريكية الشابة :

ـ قد تعرفين كذلك اشياء اكثر .. ولكنني استطيع ان اقول لو كانت هنالك فعلا نوايا صادقة من جهة امريكا نحو الجمهورية العربية المتحدة لما لجأت امريكا الى هذه التصرفات الحمقاء تجاه باخرة شحن .. ولكن بنظري الموضوع اعمق من ذلك بكثير.

كانت تتطلع الي باعجاب وقد اخذني الانفعال ، وتراقب الانطباع الذي تركه حديثي على وجهي من شدة تمثلت بتصلب تقاطيع وجهي ويدي ، وطويت الصحيفة ورحت اكمل لها :

ـ قلت انك تعرفين الكثير عن نوايا امريكا ..

اجابتني في جد وحرص :

ـ ارجوك دعنا من المسائل السياسية .. ولنتحدث في المواضيع العامة .. انني مثلا في امريكا اخاف ان امشي ليلا بعد الساعة الحادية عشرة حتى في اكبر شوارع «بوسطن» وذلك بعد عدة حوادث خطف جرت هناك .

ابتسمت ضاحكا وانا اقول :

ـ ربما لانك متشبعة تماما بروح الافلام الامريكية المغامرة تحببين هذا.

قالت : بل بالعكس ، انتم تظنون هذا ، ولكن الحقيقة التي لا تعرفون عنها شيئا ان هناك في امريكا .. في البلاد التي تبدو متمدنة امام العالم تحدث اشياء لا يتصور الانسان حدوثها في اوحش منطقة !

ولم ادر ساعتها اكانت تتكلم بلسان الانسانة العادية جدا التي تقول ما



عدنان الداعوق

•

ترى .. ام انها كانت تتحدث بلسان الدبلوماسية السياسية المحنكة التي تحاول ان تستجلبني لحديث تستشف من ورائه نواياي الوطنية المخبأة ..!

وسمعنا صوت المذيع يعلن بصوت متوتر :

ـ على ركاب الطائرة المصرية المسافرة الى دمشق الاستعداد واستلام جوازاتهم وهوياتهم ..

وقبل ان يعيد المذيع عبارته نفسها باللغات الاجنبية ، كنت اترجم لها ما يقول ..

وسمعتها فجاة تسالني : امسافر انت الى دمشق ..؟

قلت في شبه استخفاف :

ـ هو خط واحد يسير من القاهرة الى دمشق .. وما دمنا مسافرين عليه .. فحتما سنصل الى دمشق.

ابتسمت باشراق وقالت :

ـ وهل تعتقد انها رحلة طويلة..؟

لم اجبها بغير بسمة ضئيلة ، ولكنني أجبت نفسي قائلا :

ـ آمل ان تطول ..!

كانت نظرات بعض الشبان من المسافرين معنا ترمقني بشدة وحسد ظاهرين ..

وكان من حقهم فعلا ان يحسدوني على هذه الرفيقة التي باتت تلتصق بي ولا تستطيع الفكاكعني .. ورحنا نتحدث معا بشتى المواضيع ومختلف الاحاديث .

وقبل ان تتعمق في احاديثنا قالت لي ببساطة واضحة :

ـ اسمي .. جولي .. جولي براين ، امريكية طبعا ، والحقتها بضحكة حلوة ، ثم تابعت ، اعمل في السلك الخارجي

سالتها ، ونحن نصعد سلم الطائرة وقد حملت عني حقيبة صغيرة ورزمة كتب ،حيث لم يكن لديها سوى حقيبة يد صغيرة واخرى للاعمال :

ـ وهل هذه اول مرة تسافرين فيها لدمشق او بيروت ..؟

قالت : لم اعرف الشرق قبل زيارتي القاهرة وسامكث ببيروت شهرا قبل ان اعود ..

قلت لها وقد اخترت مقعدين في الصفوف الخلفية من الطائرة :

ـ على كل حال .. هي فترة استطلاع ومعرفة ، فليس اسعد على الانسان من الترحال .

واطبقت علينا لحظة الصمت القوية قبل اقلاع الطائرة .. انتبهت الى الحزام المرخي على جانبي المقعد ، فقلت لها ، وقد شرعت بربط حزامي:

ـ الافضل ان نظل معا .. فلا يسقط احدنا دون الاخر ..!

فضحكت بصوت مسموع ، تغلب على ازيز المحركات ، فدارت رؤوس

بعض الشباب نحونا تنظر الينا في حسرة ، وأعقبتها اكثر من آه ندت من الصدور ، ولكن هذه الآهات كلها ضاعت ولم نسمعها مع صوت المحركات

تناولت من محفظتها مجلة الـ «تايم» وراحت تقرأ فيها بحثا ، واعتذرت مني قائلة :

ـ عفوا .. لم يبق لي من مقال كنت اقرأه سوى بضع سطور ، وبعدها اريدك ان تحدثني عن دمشق وبيروت

وتشاغلت انا الاخر ـ رغما عني ـ بمقال في جريدتي ، ولم استطع الا بين اللحظة والاخرى ان أنظر اليها موهما اياها انني أنظر نحو النافذة على يسارها .. واتطلع اليها ، واطيل التطلع .

كانت «جولي براين» في السادسة والعشرين من عمرها .. شقراء ، نحاسية البشرة .. عيناها الخضراوان بقعة من الفردوس المفقود الذي يبحث عند الانسان الاسطوري منذ بدء الخليقة

قامتها الممشوقة ذكرتني بقوام فاتنة السينما .. «آفا جاردنر» في صوتها نبرة حالمة ، وفي عباراتها حلاوة وطراوة .. وفي نظرتها عمق اخضر يتطلع باصرار الفنان الى مجاهل الواقع ومسارب الخيال في آن واحد .

وفي الاجمال كانت فتاة رائعة ..

عجبت كثيرا كيف استطاعت فتاة لها جمالها وروعتها ان تغترب عن اهلها وتترك بلادها وحيدة لا رقيب معها وتأتي الى الشرق

وجاءني صوتها وانا مستغرق في افكاري :

ـ انني جائعة ..!

نظرت اليها .. كانت تتطلع في وجهي باصرار وتأكيد ، وكأنما تريد ان تتأكد مني تماما .. او كأنها كانت تبحث ـ هي الاخرى ـ في مجهولها عن هذا الشرقي الذي حتم عليها ان تطير واياه من القاهرة الى دمشق .. وربما كانت تسترجع في خيالها البعيد صورا زاهية من الشرق العظيم بكل روعته وبهائه وبكل سحره وخياله .. صورا من الف ليلة وليلة ، والحصان الطائر ، والبساط السحري ، والفانوس الذي يقبع في اعماقه العملاق الجاني يجبرونه

ثم ابتسمت بعد الاصرار ، وقالت

ـ ما لك تنظر الي هكذا ..!؟

فانتبهت الى قولها وقلت :

ـ عفوك ، فقد كنت اسبح في خيالاتي البعيدة وانت الى جانبي ..

قالت ، وقد وضعت كلتا يديها على صدرها ، كطفلة صغيرة بريئة :

ـ والى اين وصلت بافكارك ايها الشرقي ..؟

قلت: الى حيث جاء الحصان الطائر بفارسه المقدام وحط عند حبيبته الساحرة واتشلها ووضعها الى جانبه فوق السرج المذهب ، وطار معها الى حيث بلاد الجن .. والباتين الساحرة

ـ ما اجمل شرقكم .. لكم تمنيت ، عندما كنت صغيرة ، ان آتي الى هذا الشرق لالمس بنفسي جلال الجمال وبهاء الحياة ، وصفاء الفكر ونقاء السريرة ... وكأنما استجابت الاقدار لدعاءاتي الصغيرة الساذجة ..

فها انا اليوم اتنسم عبير الشرق العظيم .

وقبل ان تتابع حديثها ، فطنت الى ما سألت عنه منذ لحظة فاعدت عليها قولي سائلا :

ـ انت جائعة فعلا ..؟

قالت بابتسام : جدا ، ويخيل الي انني لم آكل منذ ايام بعيدة .

وهممت بان اتحرك من مقعدي واذهب الى المضيفة لارجوها باحضار اي شيء من طعام لجولي .. وقمت فعلا من مقعدي فرأيت المضيفة وقد ظهرت تحمل صينية عليها بعض الاطباق من طعام الغداء .

فعدت الى « جولي » ضاحكا

ـ يبدو ان جميع امانيك ستتحقق منذ الان ، وبسرعة مذهلة .

فقالت : الطعام هذه المرة ..!؟

اومأت لها برأسي ، دون ان اتكلم ، وعيناي تبحثان عن درة ثمينة ضاعت وسط الصحراء وفي مجاهل الرمال.

ومضى الوقت سريعا بهذه الرحلة السعيدة ، حتى خيل الي ان الطيار قد سلك في رحلته هذه طريقا جديدة هي اقرب ما تكون بين القاهرة ودمشق .. او كأنما قد عرف ان بين ركابه من يستطيل الوقت ويستبطيء الزمن ، فاراد ان يبرهن له على عبقريته وفطنته

وجاءني الصوت من المذياع وكأنه ينبهني من الضياع المطلق الجميل الذي كنت أعيش فيه :

ـ يرجى من الركاب احكام الاحزمة .. فسوف نهبط .. دمشق على بعد قريب منا .

وانتظرت المذيع ـ هذه المرة ـ يترجم لجولي اننا اصبحنا فوق دمشق.

وما كانت تسمع ذلك ، حتى نظرت نحوي ، ولمحت في اعماق نظرتها شيئا اكثر من الاسف والتحسر ، ولم تملك نفسها من القول :

ـ عجيب امر هذه الرحلة .. كم كانت قصيرة سريعة ..؟

اجبتها بما يشبه الصمت :

ـ تلك هي دوما عظات السعادة ..!

كان على « جولي » ان تذهب حال وصولها لدمشق الى السفارة الامريكية قبل ان تستأنف سفرها بالسيارة الى بيروت . كانت لا تعرف شيئا عن دمشق .. ولا تعرف ايضا اي شيء عن الطريق بين دمشق وبيروت .

في المطار كانت الى جانبي تحمل عني بعض امتعتي الصغيرة وكأنها قريبة لي .

وحسب بعض من شاهدها معي ، انها زوجتي .. فقد كانت الى جانب جمالها البديع رصينة هادئة من غير طيش او ميوعة .

وانتهينا بسرعة من المطار .. وخرجنا ، ولم ننتظر بقية المسافرين لنستقل جميعا سيارة الشركة الكبيرة لتقلنا الى المدينة ، بل حملنا امتعتنا واستأجرنا سيارة صغيرة نزلنا بها الى دمشق .

سألتني ونحن بجانب بعض في المقعد الخلفي :

ـ هل استطيع ان استدل على مركز السفارة ..؟

ـ باستطاعتي ان ادلك .. فوف

اذهب معك الى هناك وان كنت ستنتهين من عملك بسرعة ، فوف انتظرك لاعود بك الى المدينة حيث ادلك كذلك على المكان الذي تستقلين منه سيارة الى بيروت .

ـ اشكرك .. سوف لن اتاخر اكثر من بضع دقائق في السفارة .. وبعدها انزل معك ..

واشرت الى السائق ان يذهب بنا للسفارة الامريكية ، وبقيت في السيارة انتظرها حين دخلت السفارة .

وعادت الي بلمح البرق .. ولمحت على وجهها وهي تنزل الي مهرولة .. ابتسامة النصر وابتسامة الفوز بشيء عزيز كانت تتمناه منذ وقت بعيد ..

قلت لها وقبل ان تنطلق السيارة بنا:

ـ ايزعجك ، وقد اقتربت من منزلي ، ان ننزل فنرتاح فيه قليلا قبل ان ننزل للبلد .

قالت بلا مبالاة :

ـ بل يسعدني ذلك جدا .

واسترخينا في منزلي الصغير بالمهاجرين قرابة الساعة .. كان منزلي اشبه بصومعة فنان او استديو رسام .. فاللوحات المتناثرة في كل الجدران .. والالوان المختلفة سواء من الستائر او قطع الاثاث كانت تؤلف بمجموعها امتدادا اخر من البساطة والجمال .

واخرجت « جولي » من حقيبتها الكبيرة ثوبا اخضر اللون .. بلون عينيها تماما ، ربيعي الاكمام ووضعت في اذنيها قرطا يشبه الطارة الفارغة في وسطه حجر اخضر اللون كذلك ..

وقالت لي منتشية :

ـ لا ادري لماذا انا سعيدة هكذا .. اصحبتك هي التي اسعدتني ، ام جو مدينتك الساحر ..؟

قلت لها بسعادة طاغية :

ـ بل وجودك انت اضاف على المدينة سحرا لم تعرفه من قبل .

فضحكت بصوت منغوم حلو وهي تقول :

ـ يا الهي ما اغباني .. حتى اسمك لم اسالك عنه ..!

قلت : بل بالعكس انا الغبي الذي شغلني جمالك من تذكر اسمي .. وتقديم نفسي لك .. تستطيعين ان تدعيني عاصم ..

فرددت بعدي بلهجة متكسرة :

ـ آصم .. آصم ..

وعادت الى انكليزيتها تقول :

ـ يا له من اسم جميل .. هل تستطيع ان تقول لي ما معنى اسمك ..

قلت لها غامزا :

ـ معنى اسمي : انك جميلة .. وحلوة ..

فضحكت « جولي » وتناولت يدي بيديها وقالت :

ـ هل يجوز لنا ان نمضي ما تبقى لنا من وقت في المنزل ام نستطيع ان نتنفس في المدينة قليلا ..!

ضممت يدها بين يدي بعطف بالغ وقلت : هيا ...

نزلنا من المنزل وطفنا قليلا بشارع « المهاجرين » وشاهدت « جولي » روعة جبل قاسيون وجمال المنظر الممتد الذي بدت فيه دمشق الفيحاء بغوطتها الخضراء وقد اصطبغت ببهاء الشمس الذهبية ..

ـ يالهذه المدينة الرائعة الساحرة ..

قلت لها ويدها في يدي والعواطف تتاجج في قلبي ـ وفي قلبها كذلك ـ :

ـ هي مدينة رائعة على الذي يريد ان يراها كما هي ان يقيم فيها .

قالت : منذ لحظات قلت لي ونحن في الطائرة بان امالي كلها سوف تتحقق .. فهل هذا الرجاء ضمن آمالي ..؟

قلت : اذا كنت مخلصة ومؤمنة بذلك .. فجميع الامال سوف تتحقق وهذه اسطورة نحن نؤمن بها في الشرق

قالت جولي : ليتني استطيع ان اقول لك كل امالي دفعة واحدة .

امضيت مع «جولي» اسعد لحظات عمري الذي قضيته بدمشق .. وشهدت واياها جبال المدينة الفيحاء وهي تغوص بذوب الشمس وتختفي في الضوء البهيج، لتشتعل مرة اخرى من جديد بانوار الليل وضوء القمر والنجوم المرصعة التي تطل من فوق قمم قاسيون بخجل وحياء وخفر ...

واقسى لحظة كانت ساعة مضيت بجولي الى مربض السيارات المسافرة الى بيروت من ساحة « المرجة » وحجزت لها مقعدا ، واوصيت السائق ان يعتني بها ويوصلها الى فندق « الامباسادور » حيث اقترحت عليها ان تنزل فيه خلال اقامتها ببيروت .

وعندما كنت اودعها ، لمحت في اعماق عينيها عبارة شكر ، واسطورة حب عاش في حرمان مرير بعيدا في القارة الجديدة .. وظل يطوف ويطوف حتى ولد في الشرق المبدع فجاء اروع حبا في ابهج لحظات العمر .

وتودعنا على ان نلتقي قريبا في بيروت .. فقد تعللت لها باني سوف اذهب لبيروت بعد ايام لانهاء بعض الاعمال الخاصة بي ، وهناك سنلتقي .

وسوف اقص عليها من جديد قصص الف ليلة وليلة ، واعيد عليها قصة الحصان الطائر بفارسه الملثم .. الآتي من اقاصي الدنيا لاخذ حبيبته العاشقة المنتظرة ..

وضمت يدها الى يدي بحب بالغ وقالت :

ـ هل تؤمن بالزمن ..

قلت في اصرار: ليس كايماني بالحب

فابتسمت .. وكانت هي الكلمة التي تنتظر ، وتركت لي يدها من نافذة السيارة لانحني عليها واطبع فوقها قبلة ناعمة .

ووجدتها تنطق باسمي بالعربية بنشوة عارمة :

ـ آصم .. آصم ..

ثم اردفت وقد اوشكت السيارة على الانطلاق بانكليزيتها الرقيقة قائلة:

ـ سوف لن انساك ابدا .. وسوف انتظرك في بيروت .

ونظرت الي عينيها ، فبدت نظرتها لامعة تبرق في صمت مشوب بالحزن .. ولكن ابتسامتها كانت تحمل التفاؤل باللقاء القريب في بيروت .

حمص — عدنان الداعوق

ليلة المخمل

ليلتنـا ، كـادت نجوم السمـا تفتح بـاب النرجس المخملـي
هذي لنا ، يـا شاغلي وحدنـا فى غفلـة الشاجي ونـوم الخلـي
ليلتنـا ، يـا مـن تعبدتـه قلبي استوى القنديل فى الهيكـل

يا مهجتي بوحي علـى مجمـر يـاروح روحـي للهوى رتلـي
هـذا الحبيب الحاو دربـه يطفـر نحوي لفتـة المجفـل
تلـك قوارير مختومـة تفتحت شوقـا الى المقبـل

غرفتنـا لـم تنفتح زهـرة الا عـلى شباكهـا المقفـل
حيطانهـا ترفـل فى عريهـا وفـود اطيـاف لـدى مشعل
هـذا سريري خـافـق قلبـه مـد بساط الـورد للمختلـي
يسمح يـا شاغل بالي الخطى يبـوح بالارحـب والاسهـل

مخدتـي لانت ، ولـت علـى تخريمهـا حلـم الهوى الامثـل
تعقـد اطيـافا لـدى خـاطري فى ظـل ضـوء احمـر مطفـل
ينشر فى الاجـواء اطيابـه لصـورة تنـداح فى داخلـي
يـزرع فى الاشيـاء ريحانـه ينفـخ فى الان شـذى المـامل

خطوتـه تمتـد مـن لحنهـا رفـوف حسون علـى جـدول
يـدق ، قلبـي دق ، يـا طيبـه بيـن يديـه جنتـي تنجلـي
تثـاءبت حيطـان بستاننـا وفتحـت عينـا علـى المـدخل
مـددت زنـدي علـى عنبـر رددت الحـاني علـى بلبـل

بوابـة البستـان ، خايلتـه فى كـل لمـح للحشا مجتـل
احجـاره تـورق مـن فرحـة اشجـاره ترقـص فى محفـل

نفـح المـا اشعـل تذكارنـا توثب الطـير لـدى منهـل
فرشت احلامي لهمس الخطـى والجفن والاهـداب كـي يعتلـي
وفتحـت نفـسـي ابوابهـا لـه الـدنى والموعد الحلو لـي

ليلتنـا ، كادت نجـوم السمـا تفتـح بـاب النرجس المخملـي
هـذي لنـا يا شاغلـي وحدنـا فى غفلـة الشاجي ونوم الخلـي
ليلتنـا يـا مـن تعبدتـه قلبي استوى القنديل فى الهيكـل

علـي شلق



عبد الغني العطري

امراء القصة في الشعر العربي

بقلم عبد الغني العطري

القصة فن من فنون الادب الجميلة ، تحتل في الآداب الحديثة المكان الارفع ، ومن خلالها نستطيع ان نتعرف الى رقي الادب لدى الامم او تخلفه . وبقدر ما تكون القصة عميقة متينة ، في ادب شعب من الشعوب ، يكون ادب ذلك الشعب قد بلغ شأوا بعيدا من الرقي والتقدم .

وكان من نصيب العرب ان تخلف ادبهم في ميدان القصة، بينما تقدم في فنون الشعر والنثر والخطابة . ومن اجل ذلك استطاع بعض الباحثين والمستشرقين ان ينالوا من ادب العرب ، وان يصموه بالنقص والتخلف عن آداب سائر الامم . وقد تكون دعوى هؤلاء الباحثين والمستشرقين على شيء من الحق ، ولكنها ليست على الحق كله ، لاننا وجدنا في التراث العربي ، ولا سيما في المقامات ما يبطل دعوى اولئك الباحثين والناقدين .

ويلذ لي اليوم ان اتناول بالبحث ضربا من القصة يمتاز بالطرافة والروعة ، واعني بذلك فن القصة الذي نجده في بعض شعر العرب ، والذي كان رائده الاول ـ ان صح هذا التعبير ـ الشاعر الجاهلي الكندي امرأ القيس .

ويغلب على الظن ان الشعراء العرب الذين نجد في شعرهم قصصا ، او ما يشبه القصص، لم يعمدوا الى قول هذا الضرب من الشعر عمدا . ولم تكن غايتهم ان ينظموا شعرا قصصيا ، بل نظموه ليرووا فيه حوادث مغامراتهم وانباء زوراتهم . فجاءت القصة فيه عفو الخاطر ، لا تصنع فيها ولا تكلف . ولعل ابتعاد هذا الشعر عن التصنع والتكلف وانتزاع الشاعر اياه من صميم الواقع والحياة، يجعلنا نجد فيه للذة ومتعة،لا نجدهما في سائر الشعر العربي.

اذا اردنا ان ننصف امرأ القيس ، والا ناخذ برأي الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي عامة ، وفي شعر الملك الضليل خاصة ، كان امرؤ القيس الشاعر الاول ، الذي فتح امام الاخرين باب الشعر القصصي .

وشعر امريء القيس في القصة لا يعدو ان يكون محاولة، والمحاولة قد تنجح حينا ، وقد تفشل احيانا . وقد اصاب الملك الضليل بعض النجاح في غزله القصصي ، وعنده المنصفون من مؤرخي الادب ، اول من فتح باب الشعر القصصي امام الشعراء .

يحدثنا شاعر بني كندة في شعره هذا عن مغامراته ، ويروي لنا حوادثه مع معشوقاته ، والنساء اللواتي احبهن وعاشرهن وسما اليهن ، بعدما نام اهلوهن ، سمو حباب الماء حالا على حال . ويصف لنا اللقاء بينه وبين احدى محبوباته، والحديث الذي دار بينهما ، وكيف خافت المراة ان يفتضح امرهما ، والناس من حولهما ، وكيف انه اقسم انه لن يبرح مكانه ، ولو قطعوا راسه لديها واوصاله :

سموت اليها بعدما نام اهلها	سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت : سباك الله انك فاضحي	الست ترى السمار والناس احوالي؟
فقلت : يمين الله لا انا بارح	ولو قطعوا راسي لديك واوصالي

ويروي لنا الشاعر في معلقته قصته المشهورة مع العذارى ، يوم ذبح لهن ناقته ، فاخذن ياكلن من لحمها وشحمها . ويقص علينا ايضا حادثته مع احدى محبوباته، وكيف سعى اليها متجاوزا حراسا لها ومعشرا يحرصون على قتله ، فجاءها وهي تخلع ثيابها ، وتتاهب للنوم. فلما راته انبته وعنفته ثم خرج واياها اخيرا، وهي تجر وراءهما ذيل رداء لتخفي عن الانظار آثارهما :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها	تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت احراسا اليها ومعشرا	علي حراصا لو يسرون مقتلي
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها	لدى الستر الا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله ما لك حيلة	وما ان ارى عنك الغواية تنجلي
خرجت بها امشي تجر وراءنا	على اثرينا ذيل مرط مرحل

ولامريء القيس طرف واقاصيص نجدها في مواضع مختلفة من ديوانه ومعلقته .

ومما هو جدير بالذكر ان امرا القيس لم ياتنا بهذا الضرب من الشعر كاملا ، وبالشكل الرائع الذي نجده عند ابن ابي ربيعة ، وانما كان له فضل السبق اليه ، وتوجيه الشعراء اليه من بعده . وقد كان هذا اللون من الشعر قليلا في العصر الجاهلي ، ونحن لا نجد شبيها لشعر القصص الغرامي في ذلك العصر ، الا في شعر المنخل اليشكري، ولا سيما في قصيدته الرائية عن المتجردة امراة النعمان (ادباء العرب ج١ ص ٣٢) .

واذا كان معظم الشعر الذي نجد فيه قصصا او ما يشبه القصص، قد اقتصر على الغزل ورواية مغامرة عاطفية، فان شاعرا اخر قد تفرد بلون من القصة ، يختلف كل الاختلاف عن زملائه الاخرين واعني به الحطيئة . هذا الشاعر البادي يروي لنا فى قصيدته اليمية قصة رائعة تمتاز بوصف دقيق ، وتصوير بارع، وتحليل نفسي عميق. كل ذلك الى عقدة قصصية تنتهي بحل مناسب ، ترتاح له النفس ويطمئن القلب .

وقصيدة الحطيئة هذه موجزة كل الايجاز ، لا حشو فيها ولا اسهاب ، بل الفاظ محدوده، تعبر عن معان كثيرة. وابطال القصة اعرابي فى البيداء، جافي الطبع، خشن المعشر، يكره معاشرة الناس ، وخوله امراته العجوز واولاده الثلاثة، الذين جعل منهم الجوع والهزال اشباحا ، لا تكاد العين تراهم . وقد عاشوا فى هذه الصحراء المجدبة ، جياعا ، حفاة عراة ، ما عرفوا طعم الخبز والبر مذ عرفوا الحياة . وقد دفع الاعرابي الى حياة البادية هذه كرهه للناس ونفوره منهم . ولح الاعرابي فى الليل البهيم شبحا يدنو من خبائه، فارتاع وخاف ، لان المكان مقفر موحش ، وقد يكون الشبح لجيوان مفترس . وما لبث هذا الشعور ان تحول الى هم وقلق ، حين ادرك ان القادم ضيف يبحث عن القرى . لقد اهتم الاعرابي واغتم ، لانه مع زوجه واولاده يبيتون على الطوى منذ ثلاث ليال ، وليس اشد ايلاما الى الاعرابي من العجز عن اكرام الضيف ، فاخذ يتوسل الى الله ، ويجار بالدعاء له ، ان يسعفه بما يطعم ضيفه ويحفظ سمعته . ويهب ابنه ، وقد ادرك ما يعانيه ابوه من الم وقلق وحيرة ، فيعرض على ابيه ان يذبحه ، ليقدمه طعاما لضيفه :

راى شبحا وسط الظلام فراعه ... فلما بدى ضيفا تشمر واهتما
وقال : هيا رباه ضيف ولا قرى ... بحقك لا تحرمه تالليلة اللحما
فقال ابنه لما رآه بحيرة ... ايا ابت اذبحني ويسر له طعما
ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرا ... يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
فروى قليلا ، ثم احجم برهة ... وان هو لم يذبح فتاه فقد هما

وعندما تعقدت القصة، وبلغت اوجها من الحرج ، انحلت عقدتها على ايسر سبيل ، فقد استجاب الله لدعاء الاعرابي، فساق اليه قطيعا من حمر الوحش ، اقبل يلتمس الري والماء . فاسرع الاعرابي نحو القطيع الظامىء ، وفوق سهمه ولكنه ابى ان يطلق السهم قبل ان ترتوي ضحيته. فلما ارتوت اصاب بسهمه واحدة من القطيع واختارها وافرة اللحم والشحم . فلما سقطت انطلق نحوها متهللا مستبشرا ، وعاد بها مسرعا الى اهله ، ففرحوا ايما فرح ، لا لانهم وجدوا طعاما بعد جوع كافر طويل ، بل لانهم استطاعوا القيام بواجب الضيافة . ولما اطعم الاعرابي ضيفه واكرمه ، احس بانه بات ابا عطوفا لذلك الضيف ، وزوجه العجوز كانها ام رءوم له !

وقصيدة الحطيئة هذه تعتبر من روائع اثار العرب ، وتمتاز عدا طابعها القصصي الفريد ، بالوحدة الفنية ، الامر الذي لم يالفه العرب من قبل .

واذا ما تركنا الحطيئة نرحا بضيفه وصيده ، طاب لنا ان نلتفت الى الشاعر الذي قال بعضهم فى شعره : « ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن ابي ربيعة » .

لقد كان عمر امير الشعراء الغزليين ، غير مدافع ، وكان شعره فى الغزل القصصي ، ومحادثة النساء ، والحوار الذي يجري بينه وبين محبوباته درة فى جبين الشعر العربي.

وقد استطاع عمر ببراعة فنه ، وقوه اختراعه: ومقدرته الشعرية ، ان يروي لنا حوادثه الغرامية ، بشكل قصصي يستهوي القلوب . ولعل احسن ما نظمه « شاعر المراة » فى عالم الشعر القصصي رائيته الشهيرة ، التي يروي لنا فيها حادثته مع محبوبته « نعم » ، وكيف سعى اليها ذات ليلة ، بعد ان نام العواذل ، وذوو العيون الزائدة على حد تعبيره ــ واطفئت الانوار ، وغاب قمير ، كان يهوى غيوبه ، وخفض عنه الصوت . فاخذ يمشي مشية الحباب على سطح الماء . فلما اقبل عليها فاجاها . فصرخت متحسرة ، وكادت تجهر بالتحية ، ثم عضت على بنانها خشية الفضيحة ، واخذت تعاتبه على صنيعه :

وقالت وعضت بالبنان ففضحتني ... وانت امرؤ ميسور امرك اعسر
اريتك اذ هنا عليك الم تخف ... رقيبا وحولي من عدوك حضر ؟
فوالله ما ادري اتعجيل حاجة ... سرت بك ام قدنامن كنت تحذر؟
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ... اليك وما نفس من الناس تشعر
فقالت وقد لانت وافرخ روعها : ... كلاك بحفظ ربك المتكبر
فانت ابا الخطاب غير مدافع ... علي امير ما مكثت مؤمر
فبت قرير العين اعطيت حاجتي ... اقبل فاها فى الخفاء فاكثر

ويصف لنا بعد ذلك ليلته مع « نعم » وكيف تقاصرت تلك الليلة ، وما كان ليله قبل ذلك يقصر . فلما تقضى الليل الا اقله ، وكادت النجوم ان تغيب ، اشارت بان اهل الحي قد حان وقت قيامهم ، ولكن عزور ، موعدا للقاء جديد لهما . وبينما هما كذلك ، اذا بمناد يصيح بالقوم ، داعيا اياهم الى الرحيل . فلما رات « نعم » من قد تنبه ، رغبت اليه ان يدركها بحل ينقذ الموقف :

فقلت اباديهم فاما افوتهم ... واما ينال السيف ثارا فيثار
فقالت : اتحقيقا لما قال كاشح ... علينا وتصديقا لما كان يؤثر ؟
فان كان ما لا بد منه فغيره ... من الامر ادنى للخفاء واستر
اقص على اختي بدء حديثنا ... ومالي من ان تعلما متاخر
لعلهما ان تطلبا لك مخرجا ... وان ترجعا سرا بما كنت احمر

فقامت الى اختيها ، والدموع فى عينيها ، والذعر في صدرها ، فقصت عليهما ما حدث ، فارتاعتا باديء بدء ، ولكن احداهما اقترحت ان :

يقوم فيمشي بيننا متنكرا ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت اتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما اجزنا ساحة الحي قال لي : ... اما تتقي الاعداء والليل مقمر ؟
وقلن اهذا دابك الليل سادرا ... اما تستحي؟ او ترعوي؟ او تفكر؟
اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا ... لكي يحسبوا ان الهوى حيث ننظر

هذا عرض موجز لاهم ما جاء فى رائية عمر ، هذه القصيدة التي تعتبر احدى روائع شعرنا العربي ، لما حوته من دقيق الوصف ، ورقيق الغزل ، وشيق الحوار . انها

لون جديد فى الشعر العربي ، كشف امرؤ القيس اللثام عن بعضه ، ولم يتح لمن جاء بعده من الشعراء ان يحلق فى الجو الذي حاول امرؤ ان يصفق بجناحيه فيه . ولو لم يكن لابن ابي ربيعة سوى هذه القصيدة لكفته فخرا وجاها ، لانها وحدها كافية لرفعه الى الاوج ، وجعله شاعرا تباهي به ربة الشعر وتبوءه عرش الشعراء الذين اجادوا فى القصة الشعرية وبرعوا بها . ولكن ابن ابي ربيعة لم يكتف بهذه القصيدة القصصية وحدها ، وانما وقف كثيرا من شاعريته لنظم هذا الغزل الغني الجديد . وفى ديوانه كثير من امثال هذا الشعر القصصي الذي يستهوي القاريء ويأخذ بمجامع قلبه . وانظر اذا شئت الى قصيدته التي مطلعها :

راح صحبي ولم احي النوارا وقليل لو عرجوا ان تزارا

ففيها يروي لنا حادثته مع محبوبته النوار ، وكيف فارقته ، وكاد يستطير عقله ولبه من لوعة الفراق ، الى ان استطاع ان يهيىء لنفسه لقاء مع من يحب ، بمعونة بعض صحبه الاوفياء . ولنستمع اليه كيف يصف لنا لقاءه مع محبوبته ، ويصور هذا اللقاء تصويرا قصصيا ، فلا يدع منه زاوية دون ان يشبعها طلاء بريشته البارعة :

ثم اقبلت رافع الذيل اخفي الوطء اخشى العيون والنظارا
فالتقينا فرحبت حين سلمت وكفت دمعا من العين مدارا
ثم قالت عند العتاب رأينا منك عتبا تجلدا وازورارا
قلت كلا لاه ابن عمك بل خفنا امورا كنا بها اغمارا
فجعلنا الصدود لما رأينا قالة الناس بيننا استارا
وركبنا حالا لنكذب عنا قول من كان بالبنان اشارا

ويصطلحان بعد هذا العذر الطويل، ويؤكد لها حبه فيقول:

والليالي اذا نأيت طوال وأراها ، اذا دنوت ، قصارا

ويقضي عمر عند النوار ليلة من احب لياليه ، ويظل عندها الى ان يظهر ضوء من الصبح ، فتنبهه قائلة :

يا ابن عمي فدتك نفسي اني اتقي كاشحا اذا قال جارا

ولو اردت التبسط فى ذكر القصة عند ابن ابي ربيعة اكثر مما فعلت ، لضاق بي المقام ، ولكني اكتفي بالاشارة الى قصيدتين التي مطلع الاولى :

هاج فؤادي موقف ذكرني ما اعرف

ومطلع الثانية :

طال ليلي وتعناني الطرب واعتراني طول هم وغصب

ففيهما عذوبة ورقة وفيهما فن قصة ، لا يقل روعة وسحرا عن كثير من شعره القصصي ..

وممن ضربوا بسهم وافر فى القصة الشعرية الفرزدق الشاعر الاسلامي ، فقد راق له اسلوب ابن ابي ربيعة في الغزل القصصي ، واعجب به ، كما راق له من قبل اسلوب امريء القيس ، فحاول الفرزدق ان يحلق فى الآفاق التي حلق فيها عمر ، ولكن خشونة شعره ، وابتعاد الفاظه رقوافيه عن رقة عمر ، لم تمهد له السبيل الذي سلكه من قبل امرؤ القيس وعمر . والفرزدق فى قصصه الغرامي لم يكن سوى مقلد لمن جاء قبله ، فهو يروي لنا ـ كما روى امرؤ القيس وعمر ـ خبر زورته لامرأة يشتهيها ، ويصف كيف تجشم المشاق ، وصعد اليها بوساطة الحبال ، ثم قضى عندها مآربه وعاد من حيث اتى ، بعد ان دلت الحبل به امرأتان من اعلى المنزل ، ويصف لنا نزوله على الارض

فلما استوت رجلاي فى الارض قالتا احي يرجى ام قتيل نحاذره
فقلت: ارفعا الاسباب لا يشعروا بنا ووليت فى اعجاز ليل ابادره

ولعل ابرز ما يعيب غزل الفرزدق فحشه وخشونة لفظه، وقلة الحوار العذب فيه ، ذلك الحوار الذي نال به عمر منزلته الرفيعة فى الشعر القصصي .

ومن الجدير بالملاحظة حقا ان الشعراء الذين زاولوا فن القصة فى الشعر قليلو العدد ، ضئيلو النتاج القصصي ، عرفنا بعضهم فى الجاهلية والاسلام وسمعنا بعض قصصهم ، واخبار مغامراتهم وزوراتهم .

وتروي بعض كتب الادب ان انصار الامويين عندما انهارت دولتهم وزال حكمهم وضعوا اسطورة السفياني شعرا ، والفوا الملاحم القصصية بالشعر والنثر ، وتناولوا فيها الدعوة الى الامويين واعادة حكمهم . وقد اتلفت هذه الملاحم فى القرن الثالث للهجرة ، ولم يبق لها اثر خلال العصر العباسي .

واذا نحن تطلعنا الى الشعر فى العهد العباسي ، لم نجد فيه من القصص شيئا ، اللهم سوى لمحات لا تناسق فيها ولا فن . ولكن ابا نواس ، ذلك الشاعر الماجن الذي تذكرنا خمرياته وتعهره بغزل ابن ابي ربيعة من حيث الطرافة والجدة والروعة . ذلك الشاعر الماجن العبقري يروي لنا طرفا من اخباره ومغامراته بشكل يشبه القصة. ونجد الشعر القصصي بوضوح لدى ابي نواس ، عندما نقرأ قصيدته التي مطلعها :

واحور ذمي طرقت فناءه بفتيان صدق ما ترى فيهم نكرا

ففيها يروي لنا حادثة من حوادث مجونه هذه خلاصتها:

« قرع ابو نواس وصحبه باب الذمي الجميل ، احور العينين ، فهب الذمي مذعورا خائفا ، فاقترب من الباب ، وسأل عن الطارقين . فاخبروه بانهم عصبة جاءوا سعيا وراء بنت الحان . فهدأ روع الذمي واطمأن قلبه ، ثم فتح الباب ، فبدا الذمي فتى حسن الصورة والمنظر ، فسأله ابو نواس عن اسمه ، فاخبره الفتى الذمي بالاسم واللقب ، ثم اخبروه بانهم راغبون بخمرته المعتقة ، فاجابهم الى سؤلهم وقال : ان خمرته « قد احتجبت فى خدرها حقبا عشرا » . ثم ادوا له خمسة دنانير ثمنا لخمرته ، وجلسوا يحتسون مع الساقي الجميل . ووصف ابو نواس بعد ذلك مجلس الشراب والساقي وتغزل بحسنه وعذوبته».

هذه لمحة موجزة عن شعراء القصة فى الادب العربي ، وما ازعم اني احطت فيها بكل ما قيل فى الشعر القصصي عند العرب ، ولكني اطمع بان اكون قد اعطيت صورة عن هذا الفن من شعرنا العربي ، بعد ان رأينا ان شعر القصة والملحمة يحتل منزلة رفيعة فى آداب الامم الاخرى .

دمشق عبد الغني العطري

النبع الخامل

ضقت فى ساحة المدينة بالضجة والجهد وازدحام الطريق
فصحبت الصحراء يوما طويلا رائحا غاديا بغير رفيق ..!
واعتزال الورى يهدىء نفسي ان رماني الورى بشر محيق
يا جمال الصحراء والشمس تختال على الرمل في رواء الشروق
وانفساح الفضاء يركض بالآ ل سريعا كخاطفات البروق
فاذا اقبل الظلام تجلت رهبة الكون فى السكون العميق

* * *

سرت فى شاسع الفضاء بعيدا تاركا رفقتي فريدا وحيدا
غير ان الشجون تتبع اقذا مي حشودا سوداء تقفو حشودا
اطرد الفوج جاهدا فاذا ولى بعيدا لمحت فوجا جديدا
ذلت ماذا يغطي فى همومي وانا قد هربت منها طريدا
فرمقت الفضاء ابصر فيه مشهدا يشغل الشجي العميدا
فتجلى نبع من الماء صاف رف فى العين لؤلؤا منضودا
يا لسر الحياة جاد على الصحر اء لكن تأنفت ان يجودا
فتدانيت منه اشفي اوامي فغدا الظل الشهي برودا
ذابت الفضة النقية ماء ضاع فى الرمل لا يرى مستفيدا
كان احرى ان ينبت الدوح رفافا عليه وان يشب مديدا
كان احرى ان يجمع الزهر فواحا نضيرا وان يضم الورودا
لم يجد جيرة يفيدون منه فغدا فى حياته مؤودا !!
مثلما تدفن الكنوز من المجد فى حفرة فتمضي بديدا
انا ابكي خموله فى قفار عاش فيها مضيعا منكودا
انها بيئة تجنت عليه لو عداها لنال حظا سعيدا
مثل نبع ينساب بين الروابي يغرس الخصب والرخاء الرغيدا
قدره مثل قدره فلماذا بات فى قفره يعاني الجحودا

* * *

واجلت التفكير فى النبع حينا ثم سارعت عائدا فى الطريق
فرايت النبع الحزين يعاني ما اعانيه فى الورى من عقوق
انظم الشعر جيدا مستطابا فاض كالنبع بالنمير الدفوق
ثم ينسى فليس يرويه راو بل يوارى فى ليل لحد عميق
كان احرى ان يستجاد بتقد ير وان يستعاد بالتصفيق
انا ابكي للنبع اذ صار مثلي فكلانا فى دمعه كالغريق

المنصورة ـ ج.ع.م.

محمد رجب البيومي

خليل حاوي رائد «وجودية»

بقلم نسيم نصر

ابرز ميزات هذا المنتصف من القرن العشرين انه تفرد عن حقبات التاريخ كلها بما تخالط فيه من : فيض الاعماق الحضارية ، ومتشعب الثقافات الحديثة ، وروائع الفكر المولد المجدد ، وعجائب العلم المبدع .

وكان من نتائج هذه المخالطة التي لم تتوفر لهاحتى الان، عوامل المزيج ، ان غامت فيها المسالك والمذاهب ، وتلابست فيها المسائل والمشاكل ، فاذا بانسان الفكر وانسان الشعر، في هذا الخضم يعانيان مركبا ذاتيا غلبت عليه صفة الوجودية . غير ان هذه الصفة لا تجيز اعتبار ما نحن محاولون الاشارة اليه ، في الشعر الحديث ، شيئا صحيح النسبة الى الوجودية كمذهب فلسفي ، وضع خطوطه الاولى الفيلسوف كيردكفارد (١٨١٣–١٨٥٥) وعرف بابي الوجودية . وهو مذهب تتالت عليه محاولات نهجية تركته في حدود هذه العبارة :

« ليس للانسان جوهر محدود بصورة شاملة ، فالانسان هو ما يفعل وهو ما يقرر ، وهو بالتالي حر في ان يفعل ما يشاء وان يقرر ما يشاء . ولذلك عليه ان يتحمل مسؤولية ما يفعل وما يقرر ، لانه ليس للانسان مرجع غير ذاته ، فهو وحده يحمل عبء وجوده » .

وها نحن نعرض لماما هذا الشعور بعبء الوجودمتدرجا من الذاتية الى الموضوعية . ثم لاحداث مشاركة ترتفع بمعاناة التجربة الى مستوى المعالجة الموضوعية التي تنزع الى المستمدات الفلسفية الوجودية .

بدا الشعر الحديث ، في العربية ، يتناول الشعور بـ « عبء الوجود » تناولا فيه من الحيرة الفكرية واللادرية ، كما فيه لمحات من بداهة الفلسفة المطمئنة. كقول ابي ماضي :

مات النهار ابن الصباح ... فلا تقولي كيف مات ؟
ان التامل في الحياة يزيد ... الام الحياة
جئت لا ادري ولكني اتيت ... ولقد ابصرت قدامي طريقا فمشيت
هو عبء على الحياة ثقيل ... من يرى في الحياة عبئا ثقيلا
ايهذا الشاكي وما بك داء ... كيف تغدو اذا غدوت عليلا ؟!

وفيه من قلق الشؤم الوجودي ، في مثل قول فوزي المعلوف ، معبرا عن تردي الانسان في مهاوي الشر :

نسي الخير حين اوغل في الشر فداس الضمير في عصيانه
ملات قلبه الافاعي فلا يسمع غير اللحيح في خلقانه
فاذا بالاذى وليد حجاه ... واذا بالشرور بنت لسانه

ولم يبتعد نحو هذين ومن نهج نهجهما نطاق التامل الواصل بين اسباب الوجود وعناصر الذات ، فبقي شعرهما مشدودا الى معالم الغنائية ، يحاول الحدس الخلاق ان يتفلت منها .

ومضى الشعراء الحديثون ، المجددون منهم والمولدون ، في منتصف هذا القرن ، في تكسير الطوق الغنائي لتتجاوب مفاهيم الانسان ومشاعره تجاوبا يعين على التعبير عن هذا القلق المصيري الآخذ بخناق الجيل . وفي عمل الشاعر على تحري كينونته الى جانب تحسس كيانه كان لا بد للشاعر الرائد المحس بعبء وجوده ، من ان يرود اعماقا وافاقا ما تصدى لها من تقدمه من شعراء العربية . من هذا الرود الواعي كان ما اسموه « وجودية » في الشعر العربي .

ولقد سبق لي ان قلت في خليل حاوي ، من خلال « نهر الرماد » :

هو شاعر تتجاوب في شعره الذاتية ، جادة الشعر العربي حتى الامس القريب ، والموضوعية الصعيد الفني الذي انطلق اليه خليل حاوي ، في طليعة الرواد الشعراء بالحرف العربي ... وهذا التفاعل الداخلي الخارجي ، او الذاتي الموضوعي ، هو نوع من الحمل العقلي الروحي لا يخلو من الالام ، ولكنها الام مولدة تشيع عليها ابتسامة الخلق والعطاء .

فاذا كان مثل هذا القول يصح في خليل حاوي من خلال « نهر الرماد » استنادا الى ما فيه من القلق المصيري المستبقي شعلة من حرقة الذات المغناة ، فان قولا اخر يجب ان يقال فيه ، من خلال مجموعته « الناي والريح ». وهذا القول هو ان شاعر « السندباد في رحلته الثامنة » قد فك القيود عن جدثه الخلاق وحطم بصورة نهائية قوقعة الغنائية ليخرج الى رحاب وجودية اشرق عليها الايمان بالانسان قادرا على تحقيق وجوده .

وها انا ذا مجاول اثبات صحة هذا الراي بالاستناد الى مختارات قليلة من مجموعتي شعر الحاوي .

فهاكه معانيا عنف القلق المصيري في «عودة الى سدوم» من « نهر الرماد » يقول :

باسم ما احرقت من نفسي بنفسي
لاصفي وجه تاريخي وامسي
باسم هذا الصبح في « صنين » ،
والعتمة خلفي ، وجحيم الذكريات :
ليحل الخصب ولتجر الينابيع
ويمضي « الخضر » في اثر الغزاة
فارس يولد من حبي لاطفالي
وحبي للحياة
لتحل المعجزات
رب ماذا ؟
رب ماذا ؟
هل تعود المعجزات ؟

الى راحلة

ترتيلة حزن

الفجر يفترش الشوارع والبيوت
والليل يهرب
والنجوم تغيب عن عيني
تودعني .. تموت
وفحيح دقات النواقيس البليدة يستحث النائمين
يهز الاف الرؤى
متقطع الانات ... مرتعش الرنين
وخطاي تزحف للكنيسة ... والنساء
حولي يبعثرن الدموع
ويشتكين الى يسوع
ولتسماء
ويضمن ازهارا على جثمانك الفاني
وتفتح شعلة « الساعور » احداق الشموع
وتطوف اصداء النشيج
في كل زاوية ... فتمتزج الصلاة
بحرقة المهج الممزقة الحزينة
وتفيض انغامي المراسيم الاخيرة
في مدامعنا السخينة
ويعود ابنائك ... بلا ام
وطفلتك الصغيرة
ترسل الضحكات ... لا تدري
بما يجري
هنالك ... يا فقيدتنا الحبيبة

بغداد — الفريد سمعان

غير ان خليلا كان يتهيأ للتخلص من هذه الحرقة المغناة، اذ عبر على « الجسر » اخر نشيد من «نهر الرماد » الى مرحلة جديدة تبتل فيها هذه الحرقة بتراوح بين « الناي والريح » لتذوب ، اخر الامر ، في مغامرة سندبادية .

قال في اخر « الجسر » :

« ... اخرسي يا بومة تقرع صدري
بومة التاريخ مني ما تريد ؟
في صناديقي كنوز لا تبيد :
فرح الايدي التي اعطت ،
وايمان وذكرى ،
ان لي جمرا وخمرا
ان لي اطفال اترابي
ولي في حبهم خمر وزاد ،
من حصاد الحقل عندي ما كفاني
وكفاني ان لي عيد الحصاد ؛
يا معاد الثلج لن اخشاك
لي جمر وخمر للمعاد . »

هكذا نرى الشاعر بعد ان اخرس بومة التاريخ ، التي حاولت ان تجره الى هزيمة القلق المصيري ، كشف عن كنوزه التي لا تبيد . ولئن كان في بعض مقاطع « الناي والريح » ما يذكر بشيء من الهزيمة ، فانه ينتهي الى هزم الهزيمة في اخر « وجوه السندباد » اذ يقول في « الوجه الرمدي » منها مفلسفا وجوده ووجودها :

اسندي الانقاض بالانقاض
شديها .. على صدري اطمئني ،
سوف تخضر ،
غدا تخضر في اعضاء طفل
عمره منك ومني
دمنا في دمه يسترجع
الخصب المغني ،
حلمه ذكرى لنا
رجع لما كنا وكان ،
ويمر العمر مهزوما
ويعوي عند رجليه
ورجلينا الزمان

وما ان يشرف الشاعر السندباد على اخر رحلته الثامنة حتى يتمثل في ذاته الايمان بالانسان وبطولة التضحية ، ركنا التجربة المحققة وجود الانسان ، فينتهي الى هذا النداء الكبير :

... ربي ، لماذا شاع في الرؤيا
دخان احمر ونار ؟
احببت لو كانت يدي سيلا ،
ثلوجا تمسح الذنوب
من عفن الامس تنمي الكرم والطيوب ،
تضيع في بحري التماسيح
وحقد الانهر الموحلة
وينبع البلسم من جرح
على الجلجلة .

اجل ، لقد اطمأن خليل حاوي الى حسن ارتياده اعماق الانسان وآفاقه ارتياد من عرف ان يفيد من حمله عبء وجوده ، فيتحرى كينونته الى جانب حسه بكيانه ، ويخلص الى القول :

عدت اليكم شاعرا في نمه بشاره
يقول ما يقول
بفطرة تحس ما في رحم الفصول
تراه قبل ان يولد في الفصول

نسيم نصر

مأساة صغيرة

بقلم عبد الرحمن البيك

كانت الطريق مظلمة ، وثمة زخات من المطر تهطل على زجاج الشاحنة فتشكل أخاديد تختلط ببعضها تارة وتارة اخرى تزيلها المسحة الآلية . وعبدالله خلف المقود يحملق عينيه فى جهد وانفعال ليرى معالم الطريق ثم لا يلبث ان يغفل عن ذلك فيحاول دفع قلقه ومخاوفه من جراء توقعه حدوث انفجار فى الاطار الامامي .

ومن بعيد كانت تظهر بضع شاحنات ، وهي تسير سيرا وئيدا ، فما ان تمر بجانبه حتى تنفرج اساريره وينجلي الغم عن صدره .

وبعد لحظة رمق المعاون ، وكان المعاون ـ واسمه مصطفى ـ يغط فى نوم عميق ، ومع ذلك فقد وجه اليه الخطاب قائلا : « يا لك من معاون مهمل .. جامد .. ان اي قطعة فى هذه الشاحنة خير منك .. لعنك الله يا مصطفى .. مصطفى »! وانتفض المعاون من غفوته ثم فرك عينيه وراح يحملق من خلف الزجاج . وقال عبد الله متهكما : « بلا فائدة .. انا اعرف انك ما تزال نائما .. بهيم .. قل لي كيف خالفتني يا حي يا ان .. الم انبهك واحذرك من ان تضع الدولاب الاحتياطي عند المصلح كراكين الا تعلم ان اليوم احد .. وان كراكين ارمني .. آه يا لمصيبتي .. » ولم ينبس مصطفى ببنت شفة ، الا انه سرعان ما اتكأ على الباب وغط فى نوم عميق ، ثم ما لبث حتى اخذ يبعث شخيرا طغى على صوت المحرك ، وعاد عبد الله ليجد نفسه وحيدا لا يشغله الا الخوف من انفجار الدولاب . وختم نظرته نحو المعاون قائلا: «قليل حس»

وكان ان اقتربت شاحنة منه ، فهدأ سيره واخذ يطفىء النور ويشعله ثم يطفئه ويشعله ، ثم ما لبث حتى ردد فى نفسه الكلمات التقليدية التي تتدفق على لسانه دون شعور منه : « رويدا .. رويدا .. اطفىء النور .. قلت اطفىء النور يا حمار .. او تظن انني سوف احيد عن الطريق .. قلت اطفىء النور آه .. الدولاب .. الدولاب .. » . ومضت الشاحنة من جانبه دون ان تطفىء مصابيحها ، مما اضطر عبد الله ان يحيد عن الطريق ولكنه ما كاد يستقيم بشاحنته حتى دوى صوت الدولاب ، فاهتز المقود بين يديه هزات عنيفة .. فصاح بملء صوته « يا ساتر يا ساتر .. » ثم ثبت ذراعيه فوق المقود فى عزم وصلابة وضغط على الفرامل فوقفت الشاحنة .

حدث هذا الامر بالقرب من خان شيخون . وكان منذ غادر حلب يلعن مصطفى لانه وضع الدولاب الاحتياطي عند كراكين الارمني . واما مصطفى فقد استيقظ على دوي الانفجار ، ولكنه لم يقل شيئا ، فقد عرف انه مذنب حقا . وعاد عبد الله الى حلب .

وفى صبيحة اليوم التالي قصد محل كراكين ولكن كراكين انباه ان الاطار لم يعد يصلح للاستعمال لانه تبين ان الكتان الداخلي مهترىء وان باقي اجزاء الاطار قد فسدت بسبب تراخ شامل طرا على الاطار ، وانه لم يعد يصلح الا فى صناعة التحويل التي تستخرج منه نعال القرويين .

وقرر عبد الله ان يقترض من ابي عرابي مبلغ خمسمائة ليرة من اجل شراء اطار جديد . وما ان فعل حتى قصد مستودعات هاني عزوز واخذ يساوم على اطار ، ولكنه بعد حين خرج وهو يقول « الاسعار غالية » .

وفى محلات فيك لبيع الاطارات ، ناقش صاحب المحل واتهم الموردين بالاستغلال . ولكن صاحب محلات فيك لم يناظره بل جلس خلف طاولته وتظاهر بانه يطالع جريدة الصباح .

وقصد عبد الله بعد ذلك الى محلات كوديير ، وهناك اشار عليه احد السائقين ـ وكان يعقد صفقة لحساب معلمه ـ ان يشتري اطارا مستعملا واقتنع عبد الله بالفكرة ، فاندفع الى محلات طعمة معرواي لبيع الاطارات المستعملة باسعار متهاودة وهناك تغير مجرى الاحداث ، فبينما كان اجير المحل الذي يبيع اطارات مستعملة باسعار متهاودة ، يناوله اطارا موضوعا على سقالة عالية ، انفلت الاطار من يديه ووقع على ساق عبد الله فانكسرت

وحينما نقل الى منزله ، كانت خواطره قد تجمعت حول سؤال واحد: « كيف انجو من هذا المازق .. الاقساط استحقت .. يجب دفعها فى اخر الشهر واثمان الاطارات المشتراة بالتقسيط .. لم ادفع منها الا جزءا ضئيلا .. يا الهي ماذا صنعت .. وكيف سينتهي هذا الامر ..؟ » .

وحينما زاره صديقه ابو توفيق رجاه ان يدفع مبلغ الخمسمائة ليرة الى الوكالة التي باعته الشاحنة . ولكن زوجته حالت بينه وبين تنفيذ هذا الامر قائلة له :

ـ وماذا عن ساقك ..؟

ـ سوف ادعها كما هي .

ـ وكيف ؟.. ان ساقك مكسورة ، وهي بحاجة الى تصليح .. عفوا الى تجبير ..

ـ بل قولي انها بحاجة الى تصليح

وانصرف ابو توفيق دون ان ينفذ مطلب عبد الله . ووجد عبد الله نفسه مرة ثانية مع الخوف والقلق .. فماذا يفعل ، الشاحنة تنتظر .. واخر الشهر يدنو شيئا فشيئا .. الاقساط تبرز له وكأنها مخالب تعبث فى عنقه .. واشياء كثيرة كانت تحول النور فى عينيه الى حلكة .

وبعد فترة من انصراف صديقه ، سأل زوجته :

ـ كم ستكلف العملية ؟.

ـ اقل من مائة ليرة .

ـ اقل من مائة ليرة ؟.. اتهذين، ان السائق عبد الحفيظ كلفته عملية تجبير ساقه اكثر من الف ليرة ..

ـ بلى .. انها ستكلف خمسمائة ليرة .. الا تعلم انك ستنقذنفسك؟. والا ..

ـ والا ماذا ؟.. انت غبية !! ان الشاحنة متعطلة عند خان شيخون ان اي تقصير في تشغيلها سوف يوقعني في عجز كبير .. في نهاية الشهر يستحق القسط للفابريكة.. وفي الشهر الذي يليه يستحق القسط الاخر ..

ـ اذن ما هو قصدك ؟

ـ تسالين عن قصدي ؟ انت تعرفينه

ـ بل اجهله

ـ اذن سوف اصارحك .. انت تعلمين يا عزيزتي أن ثمن الشاحنة لم اف منه الا جزءا ضئيلا .. وان الديون قد تراكمت علي من كل النواحي .. ثم انه لم يبق من يستطيع اقراضي فلقد جربت الجميع واستنفدت الاصدقاء ، ولم يعد بالامكان ايجاد مصدر جديد للاستقراض فماذا ترين ان افعل والحالة هذه ؟

ـ معنى ذلك انك تريد ان تبقى مكسور الساق طريح الفراش .

ـ اجل .. فانا افضل صحة الشاحنة على صحتي

ـ هذا تزوير في الحديث

ـ بل هو الصراط المستقيم ، ان الشاحنة ، اذاما اشتريت لهاالدولاب المستعمل من محلات طعمهمعرواي، ستعمل بلا توقف ، وسوف توفر لي في مدى شهر مبلغ خمسماية ليرة.. وعند ذلك اجري العملية ..

ـ ومن سيقود الشاحنة ، هل تنوي تسليمها الى مصطفى الذي لا يفارق النوم عينيه..؟ اتريدانيفقدك اياها في لح البصر ؟

ـ لا .. لا .. انا اعرف ماذا اعمل ..

ـ بل انت هنا لا تعرف ماذا ستفعل .. فالناس لا يؤتمن لهم جانب

ـ صلي على النبي يا عزيزتي انك دائما تختلفين معي وفي النهاية تتفقين، او تظنين انني غبي كي اسلم الشاحنة الى قليل الحس .. ان ابا عرابي ، جازاه الله خيرا ، سيستلم الشاحنة فيدير امرها .. آه لقد بلغت ديون ابي عرابي اكثر من الفين ليرة .. بيض الله وجهه

وبكت الزوجة من فرط حزنها.. وشعر عبد الله بالحرج ، ثم قال :

ـ اتبكين ؟.. هذه عادة الاطفال الصغار فاجابته بصوت تخنقهرعشات البكاء .

ـ انني لا اكاد اتصور مقدار الالم الذي سوف تتحملة لغاية ان يتوفر لدينا المبلغ هذا مستحيل .. هذا مستحيل ..

ـ ولكن .. ولكن يجب ان تعلمي انني اختص بنفسي .. فلا تفكري بشيء يا عزيزتي .. ان الالم ملكي وانا اعاهدك الا اسمعك انةولا صرخة ازعاج ..

وقاطعته زوجته والدموع تنهمر من عينيها :

ـ بل سوف اسمع انات الملك قبل ان تسمعها انت ،واحس بالمض باكثر مما تحس به انت .. ان هذا مستحيل .

في صبيحة اليوم الثاني ، ارتفعت درجة حرارته نصف درجة ،واحس ببعض الضيق ولكنه لم يبح بهلاحد، وعند المساء كانت درجة حرارته قد بلغت الاربعين ، وكان ابو عرابي وبعض الرفاق من الحمالينوالسائقين قد حضروا لزيارة عبدالله . فلما التفوا حوله قال مخاطبا ابا عرابي :

ـ انني ساعطيك خمسماية ليرة يا ابا عرابي كي تشتري لي حذاء .. اسمعت ؟

واظهر ابو عرابي تعجبه من كلمة الحذاء التي وردت في العبارة ،ولكن رفاقه سرعان ما افهموه بالايماءة بانه يهذي ، فاستدرك قائلا :

ـ كما تريد يا عبدالله

فقال عبدالله :

ـ احسنت يا اخي انك تستطيع ان تفهم ؛ ان زوجتي تصر على تصليح رجلي ، ولكن رجلي سليمة ، اليس كذلك ؟

فصاح الجميع

ـ صحيح .. صحيح ..

ـ انني منذ ساعتين ، وصلتمن بيروت كنت احمل عشرة اطنان قطن وقد قابلتني زوجتي بالبكاء .. ان النساء سريعات التاثر ، اليس كذلك؟

ـ صحيح .. صحيح ..

ـ آه .. انني احس بنار تحترق في جوفي ، الشاحنة عند خانشيخون يا جماعة .. انها تحت الامطار المنهمرة .. انها لن تلبث حتى تحترق .. هيا قل لي بربك يا ابا عرابي هل احترقت شاحنتي ..

وسعل ابو عرابي ثم قال :

ـ كلا : اقسم لك بشرفي انها لم تحترق ..

ـ اذن ماذا احترق ؟..

ـ احترقت شاحنة ابو خليل ..

ـ آه مسكين ابو خليل .. انه غارق بالديون وصاحب عائلة كبيرة انه مثلي ..

وشعر عبد الله بالتعب ، فحاول ان يقول شيئا ولكنه اغمض عينيه وراح يحرك شفتيه فقط ، وتسلل المعيدون واحدا تلو الاخر الى ان حضر الطبيب نديم ، وكانت الزوجة قد ذهبت في طلبه منذ ساعة ، وبقي ابو عرابي في حراسته ، ولما جلس نديم قربه ، فتح عينيه وجال بطرفه الزائغ انحاء الغرفة ، ثم عاد وحدق في وجهالطبيب نديم. فسالهالطبيب:

ـ هل عرفتني ؟

ـ من انت ؟.. اوه .. مصطفى المعاون لعنك الله ، كيف تركت الشاحنة لوحدها . والتفت الى ابي

عارية الاغصان

رجعت ، طال بك التطواف والسفر ... مع الرياح التي يستافها القدر
رجعت ، ما برحت نفسي وان سئمت ... تحنو ، وشوقي وان جافاك يستعر
رجعت ، في مأتم الازهار شاحبة ... يموت في شفتيك الورد والزهر
رجعت ، قولي مساء طيبا ولو اعتل ... الحياء على خديك والخفر
ولا تخافي عتابي انني سئم ... من العتاب لمن خانوا ومن هجروا
ولا تخافي عيوني بعد ان شربت ... سنا مرافئها الظلماء والغير
تجرئي واضحكي ان كنت خالية ... وتطمعين ؟ لعل الليل ينحسر
ويشرق القمر الفضي في شفة ... مشبوهة كم تدلى فوقها قمر
اذ الاريج على اورادها ثمل ... عهد الصبا ، وكروم الصيف تعتصر

بنت الجنوب ، حقول الارض شاحبة ... والريح تركض في الارياف والصور
وما انتقى من شهور الخمر فات ، فلا ... تأسي لقد فات والثمار قد نفروا
سقيت عينيك خمرا طيبا ومنى ... بيضا ، فأهرق خمري والمنى قدر

وعدت عارية الاغصان فارغة ... العينين يقبع في غوريهما الحذر
زهور عمرك في اللذات ذابلة ... وللخطايا على اوراقها اثر
بنت الجنوب ، صليب النار منتصب ... والعابرون على اخشابه البشر
فلا تطيلي حبال الصمت من ندم ... كل الخطايا لمن يمضي ستغتفر

عبد الحميد بعلبكي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرابي وقال :

ـ اكثر من عشرين مرة اوصيته الا يضع الدولاب الاحتياطي عند كراكين .. وقاطعه نديم قائلا :

ـ اذن فانت لا تعرف من يكلمك انا الدكتور نديم ..

ـ اهلا دكتور نديم .. لقد ظننتك المعاون مصطفى

ـ اذن .. فماذا تقول بشان العملية ..

ـ اية عملية .. انني ارفض كل الرفض دفع قرش واحد في هذا السبيل ..

ـ ولكنك لن تنجو من هذه الحالة

ـ من قال .. انني لست بخير فمنذ نصف ساعة وصلت من بيروت حاملا قطنا .

ـ ولكن لا يوجد قطن في بيروت.

ـ هذا من اختصاصي ..

ـ لا باس كيف ترى صحتك الان؟

ـ انني احس بتعب شديد ..

ـ اتعرف السبب ..

ـ اجل .. انني اذكر سبب ذلك لقد حملت على ظهري القطن جميعه. كنت اريد ان اخفف عن الشاحنة .. الاطارات اشرفت على التلف وهي لم توف ثمنها بعد . انني اشعر بتعب شديد .. ماذا تفعل يا دكتور ... ماذا تفعل يا دكتور ؟..

ـ لا شيء .. لا شيء ..

وزلفه المحذر .. فاذا به يهذا بعد لحظات واذا ثورته الجنونية تتحول الى شبه موت .

اجريت له العملية في مستشفى الكلمة ، وكان مبلغ الخمسماية ليرة قد عثر عليه في جوربه .. وبعد شهرين .. نقل الى منزله وقد عاده اشخاص عديدون .. كانوا جميعا يدعون السماء ان تمنحه الشفاء السريع .. انهم لا يخسرون شيئا .

وبعد ايام خف سيل الناس ولم يعد عبدالله يجد قربه الا زوجته وعكازين من الخشب وحذاء ذي كعب عال . اما الشاحنة فقد بيعت واقتسم الدائنون ثمنها ، في حين ان المعاون مصطفى وجد عملا عند رجل اخر.. اما يوسف وهو الابن الصغير لعبدالله فقد ترك المدرسة وراح يعمل عند رجل يمتلك آلة نسيج يحيك عليها القمصان الداخلية . وكان كلما عاد ماء من عمله احتضنه ثم قبله .. ثم لا يلبث حتى يعبث بشعره الاشقر الجميل ليستخلص نتف القطن المتطاير .. ثم يقول .. كم كان شعرك جميلا وانت صغير ..آه يا ولدي انني لم ارد لك هذا ..

حلب عبدالرحمن البيك



وديع فلسطين

معالم الشخصية الادبية لرضوان ابراهيم

بقلم وديع فلسطين

عرفت الصديق الحميم رضوان ابراهيم منذ مولده الادبي لعشر سنوات خلون ، وكان شابا طري العود خجولا تبدهك منه دماثة خلق ، وطيبة نفس، وعفة لسان وضمير ،وصدق تعبير ، فاذا جلست اليه راعك منه علم غزير ورأي ناضج بصير وذهن وقاد مستنير ووفاء للرسالة الادبية منقطع النظير وتطلع الى المثل العليا فى المروءة والاستقامة والنزعة الانسانية، مع هدوء شديد واعراض عن الادعاء والخيلاء بعيد.

كنا يومئذ جماعة من الاصدقاء ، تعاهدنا على ميثاق غير مكتوب يدعونا الى الاجتماع ظهر كل يوم جمعة فى دار «المقتطف» ــ حيث كنت اعمل ــ نتسامر ونتبادل الشهي من أحاديث الادب واخبار الادباء ؛ فيغشى ندوتنا اصدقاء «للمقتطف» منهم المقيم فى القاهرة ، ومنهم الظاعن الوافد من امصار العروبة على اختلافها . وفى هذه المجالس الماتعة نعمنا بمودة اعلام المفكرين فى جيلنا: سلامه موسى ومحمود تيمور وحسن كامل الصيرفى ومحمد عبدالغني حسن ومحمود ابو الوفا وخالد محمد خالد وسيد قطب ومبارك ابرهيم وابرهيم الابياري ومحمود واحمد محمد شاكر وصلاح الدين الشريف ومصطفى عبداللطيف السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي والدكاترة ابرهيم ناجي واحمد فؤاد الاهواني ومراد كامل وعثمان امين ويوسف مراد وباهور لبيب ومحمد يوسف موسى ومختار الوكيل وحمدي البكري وعبدالحميد يونس فضلا عن رؤساء تحرير «المقتطف» المتعاقبين نقولا الحداد واسماعيل مظهر وسامي الجريء. وام مجلسنا من سورية الامير مصطفى الشهابي والشيخ عبدالقادر المغربي والدكتور زكي المحاسني وقرينته الفضلى السيدة وداد سكاكيني ونجيب الريس وسامي الكيالي والدكتور سامي الدهان ونزار قباني ، ومن العراق رفائيل بطي وحسين جميل والدكتور عبدالرزاق محي الدين ونازك الملائكة ومشكور الاسدي ، ومن فلسطين خليل السكاكيني وقدري حافظ طوقان وحمدي الحسيني وكامل السوافيري ، ومن الحجاز عبدالله القصيمي وعبدالقدوس الانصاري وعبدالله بلخير وفؤاد شاكر وعبدالله عريف وطاهر زمخشري وحسن عبدالله القرشي وصالح جمال الحريري ، ومن الخليج العربي ابرهيم العريض ومحمد سعيد المسلم ، ومن لبنان الياس خليل زخريا وغيره وغيره من ادباء العروبة الذين تكل الذاكرة عند احصائهم.

وذات يوم اهل على مكتبي رضوان ابراهيم على غير معرفة سابقة ، وبادرني بقوله : «جئت اليك عملا بوصية الدكتور احمد زكي ابي شادي لاتعرف بك» ، فكان بيننا منذ اللقاء الاول وداد بل اخوة حميمة ، نلتقي على غير ميعاد فى ندوة « المقتطف » بين اولئك الاعلام النابهين ، ونتواعد على اللقيا فى غير « المقتطف »، وتجمعنا آصرة الادب فى منتدياته ، ولكن لقاءنا القلبي لم تنفصم عراه حتى بعد ان طوى « المقتطف » آخر صفحة فى تاريخه المجيد المديد، وحتى بعد ان تبدد رواد ندوة « المقتطف » فارتفعت الحياة ببعضهم وانحطت ببعضهم الاخر ولفت المنون بعضا غيرهم فى بردتها .

وعلى صفحات « المقتطف » شهدت مولد رضوان ابرهيم الاديب ، وعلى اديم تلك الصحائف البيض حبا هذا الاديب المرجو للغد ، فكان اول مقال له تقريظا لكتابين ، وقد نشر فى « مقتطف » فبراير ١٩٥١ ، ثم توالت فصوله فى الثقافة والنقد وقضايا الفكر الى ان ودعنا « المقتطف » فى ديسمبر ١٩٥٢ الوداع الاخير وفى الصدر حسرات وفى النفس قلق على مستقبل الادب .

ولكن رضوان ابرهيم الاديب ولد مكتمل النمو ، فليس فى « المقتطف » مجال للمبتدئين ، وانما مجاله الوحيد للفحول الذين رسخت اقدامهم واشتدت سواعدهم وصلبت اعوادهم ومرنت اقلامهم واختمر تفكيرهم وارتفعت جباههم وتكاملت شخصياتهم الادبية . وسرعان ما انطلق رضوان بشبابه وعلمه وبيانه وذهنه الصافي فى كل منطلق، حتى ضاقت به دنيا مصر، فعبر التخوم الى لبنان والحجاز والبحرين والكويت والاردن وشمال افريقية يكتب فى دورياتها الادبية ويتصل بادبائها ، وتسلل الى المهاجر ، بل اقتحمها على اصحابها ، فكتب فى صحفها وكاتب اعلام المهجريين . وهكذا اصبح رضوان ابرهيم اديبا عربيا مشاعا ، تتنازعه الاقطار العربية وتخطب وده المهاجر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامريكية ، ويذيع اسمه في كل ركن ناطق بالضاد في المعمور، وهو اليوم ذخر وفخر وطاقة ذات زخم .

واذا رمنا تبيان الاعمال الادبية الجليلة التي اضطلع بها رضوان في عقد من الزمان اعيتنا محاولة الحصر لنتاج ضخم متشعب غير محصور ، ولكن في الوسع ان نقول ان آية رضوان الكبرى تكمن في اربع نقاط هي : السفارة بين ادباء العرب ، والغيرة على التراث العربي والذياد عن حياض الضاد ، واعلاء رسالة الادب والفكر والثقافة .

اما السفارة التي قام بها رضوان ابرهيم بين ادباء العروبة ، فهي امتداد للسفارة الشريفة التي اداها احمد حسن الزيات وانيس الخوري المقدسي ومحمد عبد الغني حسن وحسن كامل الصيرفي والبير اديب والدكتور احمد زكي ابو شادي ومصطفى السحرتي ، اولئك الذين آمنوا بعروبة الادب ونزعوا عنهم ثياب الاقليمية البالية ، وكانوا في جميع كتاباتهم مدركين ان الادب والعروبة لصيقان لا يفترقان ، وان كل معالجة لقضية ادبية ينبغي ان تتم على صعيد عربي عام. وقد بكر رضوان في معرفة هذه الحقيقة، وعمل على اشاعة الالفة الادبية بين امصار العروبة باقصى ما يستطيع ، متطوعا متفانيا باذلا من صميم ذاته ، مؤمنا ان راية الفكر تعلو على كل راية عداها . ولا عجب ان تنجح سفارة رضوان ابرهيم ، ولكن العجب كل العجب ان يخلو مكان رضوان في مؤتمرات ادباء العرب واتحادات ادباء العرب وما اليها من المجالس التي تجتمع وتنفض فتتخم البطون ويرفه عن النفس في رحلات ونزهات وتلتقط الصور التذكارية ، وكفى !

ومن دلائل غيرة رضوان ابرهيم على التراث العربي انه اصدر كتبا نفيسة محققة من التراث العربي المعاصر والقديم، فسر وحقق « مقدمة ابن خلدون » على نحو مشرف يجلو صورة العالم في رضوان ابرهيم . وجمع اطراف كتب ثلاثة من وضع الدكتور احمد زكي ابي شادي هي « الاسلام الحي » و « عظمة الاسلام » و « شعراء العرب المعاصرون ». ولولا تضحيات رضوان ابرهيم في الوقت والجهد بل المال لظلت هذه الكتب موزعة الاوراق على جانبي المحيط .ولم يكتف رضوان ببعث آثار ابي شادي النثرية المخطوطة ،بل استنسخ شعره المهجري كله ، وفي عزمه ان ينشره على الملأ في دواوين اربعة تحمل الاسماء التي اختارها لها ابو شادي وهي « الانسان الجديد » و « النيروز الحر » و « من اناشيد الحياة » و « ايزيس » .وفي ظني ان رضوان ابرهيم اهل للثقة في كل ما يفعل ، وهي ثقة شفيعها الوحيد امانته ودقته وحيوية ضميره ، فهو لا يعرف السوقية الشوهاء ولا يتوسل باساليبها في ما يقوم به من تحقيق وبحث ، ولهذا جاءت كتبه المحققة قمينة بالتجلة ، تلقي روح الاطمئنان الكامل في نفس كل راجع اليها راغب في الانتفاع بها . ولقد استفاضت شكوى ابي شادي من استهانة الناشرين بادبه واهمالهم في التصحيح والمراجعة ، ولكن شكواه بطلت حين اشرف رضوان ابرهيم على بعث تراثه . ولعل روح ابي شادي تقر في خلدها حين تخرج الدواوين الاربعة خلوا من الخطأ ومما هو شر من الخطأ كالبتر والحذف والتعديل والتاويل ، على ما نرجو ونأمل.

واعرف في رضوان ابرهيم ذيادا عن الضاد وعن القيم الفكرية والخلقية جميعا في فصول مسهبة نشرها في « الاديب » و « المقتطف » و « البعثة » الكويتية وغيرها . على انه بلور تلك الاراء الشتيتة في كتابه « ازمة التعبير الادبي » الذي وضعه بالاشتراك مع ابرهيم الابياري ، وفيه عامل الضاد ككائن حي متطور نام ، ونظر الى مشكلاتها نظرة خبرة ومعاناة فاستطاع ان يمحض القارىء خير النصائح الهادية في التعبير بالضاد تعبيرا بيانيا صحيحا حيا مع مرونة وسلاسة ودقة . واسلوب رضوان اسلوب ديناميّ، وهو يحسن انتقاء الالفاظ وتحريكها لتؤدي القصد المأمول من اقرب طريق . وقد هان على رضوان ان يتخلى عن نضفضة المعاني وعبء المحسنات اللفظية وان يأخذ بالمنهج الغربي في الكتابة النيرة فيحدد قصده في اوضح صوره، ويشرح غايته ببلاغة الايجاز وفصاحة الالفاظ .

اما الخصيصة الرابعة من خصائص رضوان ابرهيم الادبية فهي استهدافه رسالة ادبية عالية المرتقى . لقد عرف مسؤولية القلم والفكر ، فارتفع الى منسوب تلك المسؤولية واجتهد في الاستزادة من العلم والخبرة ، ولا اخاله الا تلميذا دؤوبا لا يكف عن طلب العلم في نهم مع حسن هضم وسلامة استيعاب . ولقد تعلم رضوان لغة اجنبية عصية هي اللغة الروسية لكي يستطيع ان ينقل منها مباشرة كتبا للناشئة العربية تضاف الى المكتبة التي شرع يصدرها من وقت مضى . والتحق بمعهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية ليزداد تخصصا في الادب المعاصر على اسس امتن وامكن وادنى الى مناهج العلم الصحيحة . وهو الى ذلك يحاول القصة فيكتب منها الهادف البناء كما في مجموعته « جراح شعب » ، ويعالج الخواطر المنسرحة فيدون منها طائفة غير قليلة تنم في غالبيتها على ان وراءها عقلا لا يهدأ وذهنا يفلسف امور الدنيا وعاطفة متأججة مشبوبة . وارجو الا يعد رضوان هذه الخواطر النثرية شعرا جديدا لانني اشفق عليه كثيرا من ان تناله اللعنات التي صبتها على هذا البلاء الجديد الوافد في غير مناسبة واحدة .

ولقد تهيأ لي ان اقرأ معظم ما كتبه اخي رضوان ابرهيم، وفي وسعي ان اقول جازما ان هذا الاديب الكبير كبير برسالته ، كبير بآماله ، كبير بمستوياته الخلقية والفكرية ، كبير باجتهاده بل بجهاده . وعساه ينشر المطوي من نثره وبحثه وتحقيقه ، يحدوه نفس الصدق ويرعاه عين الضمير فيتقدم الصفوف لا بقوة المنكبين وشدة العارضين ، بل بأمانة العلم وموهبة الادب وعصمة الخلق .

القاهرة

وديع فلسطين

النيل

من ديوان «الوفاء» الذي يصدر قريبا

صفق طروبا وسل ما بين الحان ... في السهل والحزن مصر وسودان
واستكمل السير نحو البحر مرتميا ... في حفن واديك في شوق وتحنان
في بردة من دموع العين قد نسجت ... عند المنابع او من ثلج لبنان
او بردة من سماء الصيف قد نزعت ... زرقاء تلبسها في ام درمان (١)
والغضب وجد بنجيع الماء من غضب ... فالفيث من عارض دام وغضبان
لولا تجهم وجه الماء ما ركدت ... خيرات طميك في واد وقيعان
والبت قليلا بخزان باسوان ... انا ادخرناك للجلى بخزان
وارفل عروسا تجلت في قلائدها ... ما بين صفين من زهر وريحان
في موكب الطير والاسماك في شجر ... دان تناوله ، صفصافه حاني
من «المعادي» (٢) الى «شبرا» (٣) اظل على ... دارات حسن بنتها كف فنان
يا ليت لي دارة منها فاسكنها ... حتى تقر بمرأى النيل اجفاني
او كان لي مثل طير النيل اجنحة ... بها ترفرف روحي فوق اوطاني

هذي الزوارق في رفق تسللها ... في ليلة البدر في ارجاء حلوان
خطت سطورا محاها الموج ، لو بقيت ... روت اساطير عشاق وندمان
يحلو الغبوق (٤) بها ما بين غانية ... وضرب عود وقيثار وخلان
هذي العذارى عذارى النيل في مرح ... اقبلن يمترن من جنات رضوان
رنت خلاخيلهن الصفر من طرب ... يملن ميل غصون البان والزان
اقبلن يحملن جرات وقد رقشت(٥) ... ثيابهن باذيال واردان
يا ليت لي نهلة من جرة حملت ... شذا وماء لولهان وعطشان
هذي الصلاة لكل خاشع وجل ... ينيب لله في صدق وايمان
هذي الاغاني « بهيلاهب » (٦) قد بعثت ... اصداءها من سفين الكادح العاني

يا قاهر الثغر هذي مصر ناهلة ... من مائك العذب يروي كل ظمآن
يا ابن الدهور طويل العمر كم حدث ... طويت من امس اجيال وازمان
عاصرت « خوفو » (٧) وموسى في نبوءته ... وعشت في الارض قبل الانس والجان
فهل رأيت عظيما مثل « ناصرها » ... موحد الصف من ابناء عدنان
سارت مياهك نحو البحر ضاحكة ... سدى فاعلى جديدا سد اسوان
يا موطن المجد كم من راية خفقت ... على عبابك في عز وسلطان
يا ملهم الحب كم من غادة فتنت ... اقيال فرس واغريق ورومان
ما الذنب ذنبك في عرس زففت لها (٨) ... فاصبحت طعم اسماك وحيتان
بل ذنب قوم تعاموا في جهالتهم ... فقدموها كتكفير وقربان

هذي ضفافك فيها الوحي الهمني ... شعرا وذا الماء اوحى لي باوزاني
عن الحمائم اذ تأتيك شاكية ... اردد النوح في بؤسي واحزاني
مع البلابل اذ تغشوك شادية ... اشدو فاطرب في شدوي والحاني
يا مخصب الارض يا راعي الذمام اذا ... عدا اليفي واخواني وخلاني
هذا وفاؤك للوادي وأهله ... اوحى الي وفائي « واسم ديواني »

(١) في البيتين اشارة الى فرعي النيل الابيض والازرق اللذين يلتقيان بالقرب من ام درمان . (٢،٣) المعادي ، وشبرا : ضاحيتان من ضواحي القاهرة . (٤) الغبوق : ما يشرب من الخمر في العشي . (٥) رقشت زينت . (٦) هيلاهب : غناء البحارة في مصر وهم يشدون الحبال ويرفعون الاثقال . (٧) خوفو : احد بناة الاهرام من ملوك الفراعنة . (٨) كان قدماء المصريين يعيدون للنيل لوفائه في فيضانه فيزفون اليه كل سنة عروسا يختارونها بين اجمل العذارى وانبل الاسر ثم يلقون بها في النيل .

القاهرة . بولس غانم

كيف ينبغي ان نقرأ ؟

بقلم فرجينيا وولف

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

اريد في المقام الاول ان اؤكد على اهمية وضع السؤال في عنواني هذا . ولو كنت قادرة على الاجابة بنفسي فجوابي سيتعلق بي اكثر من تعلقه بك . والنصيحة الوحيدة التي يستطيع احدنا تقديمها الى غيره بصدد القراءة هي الابتعاد عن النصح واستخدام غرائزك في الاستفادة من عقلك والاخذ بالنتائج التي تتوصل اليها . واذا ما اتفقت واياك على هذا الامر ، فساكون حرة لتقديم بعض الافكار والاقتراحات التي لن تسمح لها بتصفيد استقلالك الذي هو اهم صفة يمتاز بها اي قارىء (جدي) . وبعد ، فما هي القوانين التي يمكن ان توضع بشأن الكتب ؟ صحيح ان معركة واترلو قد اشعل اوارها في يوم معين ، ولكن هل ان مسرحية (هاملت) خير من مسرحية (لير) ؟ لا احد يستطيع الاجابة عن هذا السؤال . والاعتراف بالنقاد الثقاة وقبولهم في مكتباتنا ، والسماح لهم بارشادنا الى ما نقرأ ، والاتكال على القيم التي يضعونها لما نقرأ ، كل ذلك يدمر روح الحرية التي هي نفس الحياة في هذه الاماكن المقدسة (تعني المكتبات « المترجم ») . وقد تكون ــ في كل مكان ــ مقيدين بالقوانين والتقاليد ، ولكننا لا يجب ان نكون كذلك في هذه الاماكن .

ومع ذلك ، اذا كنا نتمتع بالحرية ، اذا كان هذا التعبير مقبولا ، فعلينا ان نتمكن من ضبط انفسنا . فلا ينبغي هدر قوانا بيأس وجهل ، ورش نصف البيت بالماء بغية اسقاء شجيرة زهر واحدة ، ان علينا ان نمرن قوانا (العقلية) وهذه هي اولى الصعوبات التي تواجهنا في المكتبة . ففيها قد نجد مجموعة من الكتب المختلفة فثمة اشعار وقصص وتواريخ ومذكرات ومعاجم وكتب كتبت في كل اللغات دبجها نساء ورجال من مختلف الامزجة والعناصر والاعمار ..

فاين يجب ان نبدأ ؟ وكيف يمكننا ان نجعل النظام مستتبا في هذا الخليط المضطرب لننال اوسع المرة واعمقها مما نقرأ ؟

من السهولة تصنيف الكتب ، فهناك الرواية والسيرة الشخصية والشعر ،وبهذه الواسطة يمكننا الاستفادة من هذه الصنوف على حسب معطيات كل منها . وايا ما كان الامر ، فقليلون هم الذين يطلبون من الكتب ما تستطيع تقديمه . اننا في اغلب الاحيان نقبل على الكتب باذهان كليلة منقسمة على نفسها ، فنطالب الرواية بان تكون واقعية ، والشعر بان يكون مزيفا « كاذبا » والسيرة بان تكون منافقة والتاريخ بان يكون طوع افكارنا المجحفة المتحاملة

واذا استطعنا اقصاء كل هذه المفاهيم (القبلية) حين نقرأ نكون قد بدانا بداية رائعة . ولذا ، ليس لك ان تملي على المؤلف ما تراه بل كن زميلا له مشاركا في عمله . واذا ما انزويت وتحفظت وانتقدت من اول وهلة فانك تحول بين نفسك وبين الحصول على افضل قيمة ممكنة مما تقرأ . اما اذا فتحت ذهنك على مصراعيه فستحملك علامات المهارة ودلالاتها ، بعد الاسطر الاولى،على المثول بين يدي كائن انساني فريد لا مثيل له . واذا ما تعرفت بهذا الكائن بنفسك فستجد ان ما يهبه لك او ما يحاول ان يهبه يدخل في اطار محدد من الوضوح والجلاء .

ان (فصول اي رواية) هي محاولة غرضها وضع كيان يشبه بناء من الابنية ، ولكن الكلمات اصعب مراسا من (قوالب) القرميد .

ذلك بان القراءة عملية اشد تعقدا من عملية الابصار . ولعل اسرع طريقة لفهم عناصر عمل الروائي ، هي الكتابة لا القراءة ، اي القيام بالتجربة بنفسك مستهينا باخطار الكلمات ومصاعبها . تذكر مثلا حادثة تركت انطباعا خاصا في نفسك ، كيف انك مررت في الشارع فرايت في احدى زواياه اثنين من الناس يتكلمان . اهتزت شجرة : ورقص مصباح كهربائي ، وكانت لهجة الكلام مضحكة يمازجها شيء من الاسى والحزن ، وفي هذه اللحظة قد تكمن رؤيا كاملة ومفهوم (ادراكي) شامل . ولكنك حين تريد اعادة تشييد هذه الرؤيا من جديد ، فسترى انها تتقطع اصنافا من الاف الانطباعات المتباينة .

فبعضها يجب ان يقمع وبعضها ان يظهر ليستعلي ، وفي غمار العملية ، قد ينفلت زمام (العاطفة) نفسها منك . وحينذاك عد من صحائفك الملوثة المبعثرة الى ما استهل به قاصون عظام من اضراب ديفو وجين اوستن وهاردي فستجد نفسك قادرا على استيعاب مهارتهم وتقديرها حق قدرها . اننا حين نمثل بين هؤلاء (الاشخاص) لا نمثل بين اناس يختلفون عنا حسب بل انما نمثل في عالم اخر . ففي قصة (روبنسون كروسو) لا ندلف الى طريق صالحة للسير ، فالامور تجري متعاقبة وكذلك الوقائع . ومع ذلك ، فاذا كان الجو الطلق والمغامرة تعنيان شيئا لديفو فهما لا يهمان جين اوستن قيد انملة . فعالمها يتمثل في غرفة الاستقبال ، حيث يتحدث الناس ، فتنعكس في احاديثهم شخصياتهم . واذا ما نحن عودنا انفسنا على غرفة الاستقبال وانعكاساتها تيسرت لنا العودة الى هاردي الذي سيلفنا بدوامته . وهناك نرى انفسنا محاطين بالمراسي تعلو هاماتنا النجوم (الزواهر) . وهنا يتعرض الجانب الثاني من الذهن الى النضج والتعرية ، واعني بهذا

انجانب الجانب المظلم الذي يـود فى العزلة ، على الضد من الجانب المضيء الذي تكون له اليد الفلياخين ينتظم المجلس بالجماعة .

فعلاقاتنا ، اذن ، لا تمت بصلة بالناس بل بالطبيعـــة والمصير . ومع اختلاف كل من هذين العالمين ، فكل منهما منسجم مع نفسه . وخالق كل من العالمين معني بملاحظة آفاقه الخاصة ، ومع عظم التاثير الذي يمارسه علينا فهو لن يربكنا ابدا كما يفعل بعض الكتاب (الناشئين) الذين يعرضون ضربين من الواقع فى كتاب واحد بعينه . وعلى ذلك فالتنقل من قاص عظيم الى اخر ـ من جين اوستن الى هاردي ، من بيكوك الى ترولوب ، من سكوت الـى مريديث ـ يعزقنا ويجتثنا من جذورنا ، فنترامى هنـا وهناك مبعثرين . ومن هنا فمطالعة القصص فن دقيق ومعقد . وعليك ان تكون متمكنا لا من مهارة الاستيعاب حسب بل من جسارة تصورية عظيمة اذا اردت ان تنتفع مما يقدمه لك القاص ـ الفنان العظيم .

ولكن نظرة عابرة على الرفوف ستعلمك بان الكتاب قلما يكونون « كتابا عظاما » وكثيرا ما تشير الكتب الى انهـا بعيدة عن الفن .

ثم ماذا عن السير والسير الشخصية ، سير اناس عظام منسيين ، ماتوا من عهد بعيد ، فهل ينبغي الامتناع عـن مطالعتها لانها ليست « فنا » ؟.. فمن هم هؤلاء الناس ، وما هي اسماؤهم واعمالهم وافكارهم ومغامرتهم ؟ ان السير والمذكرات تجيب عن هذه الاسئلة ، وترينا كيـف تناولوا شؤونهم اليومية ، فى متاعبهـم ونشلهم ونجاحهم وحبهم وما اعتور حياتهم من تقدم وتاخر حتى قضوا نحبهم . . . اننا ـ بالانكباب على دراساتهم ـ نستطيع ان نجعلهـم ينيرون لنا نوافذ الماضي ، ويمكننا مراقبة الراحلين العظام، فى عاداتهم المألوفة ، حتى نحـب احيانا اننا اقرب ما نكون الى سرائرهم والى انفسهم ، فنستطيع بين آونة واخرى ان ننتزع مسرحية او قصيدة مما كتبوه فنقراها بحضور المؤلف نفسه .

غير ان هذا الامر يثير اسئلة اخرى ، فالى اي مـدى يتاثر الكتاب بحياة الكاتب؟ ـ والى اي مدى ينبغي الاعتماد على مؤلف السيرة ؟ وما هو الحد الذي يجب ان نقـف عنده ، حين يكون الامر متعلقا بعواطف المؤلف حين يكره وحين يحب ؟ وهذه الاسئلة تمارس ضغطا خاصا علينا فيما له صلة بالمذكرات والرسائل والسير ، وهذا ما يحملنا على الاجابة عنها بانفسنا، لانه ليس افظع من الامتثال بتفضيلات الغير فى قضية شخصية محضة . ونحن نستطيع مطالعة اضراب هذه الكتب مستهدفين هدفا اخر ، فليس مـن الضروري تركيز الضوء على الادب ولا التعرف على مشاهير الناس ، بل علينا بالمرتبة الاولى انعاش قوانا المبدعـة وترويضها . . . ان كل ادب حين يشيخ يورثنا سجلات للحظات فانية وحيوات منسية ، قيلت بلهجات ضعيفة متعثرة مندثرة . بيد انك لو انغمرت فى مـرة ما تقـراه فستدهش حقا بل وستسحر بآثار الحياة الانسانية . وقد يكون من هذه الآثار رسالة واحدة ، فما اروع الرؤيا التي تهبها لك ! وقد تكون جملا قلائل ، ولكنها اوسع الآفاق التي تنجلي امامنا . .

اما تاثير الشعر فهو من القوة والهيمنة والنفوذ المباشر ما يحملنا على الاحساس بكل قصيدة من نتاجه. فما اوسع الاعماق التي نزورها ، حيث يتلاشى تعاقب الاجيال ، وبخلاف الرواية التي تتهادى فى تدرجها وتتباطأ فىعواقبها، فان الشعر سريع الوقع ، عميق الاثر . ومن هنا فالشاعر دائما هو معاصرنا ، ووجودنا عندما نتاثر بالشعر ، يتكثف ويتركز فى لحظة معينة كاي هزة عنيفة من هزات العاطفة الشخصية . والواقع ، ان هذا الاحساس يبدأ بالانتشار فى حلقات واسعة من طريق اذهاننا حتى يصل الى ابعد مشاعرنا ، ولما تاخذ هذه المشاعر بالاستجابة والتعليق ، تبدأ ذواتنا بالادراك المتمثل بالاصداء والانعكاسات . ومن هنا فان زخم الشعر يغطي افاقا واسعة من العواطف .

. . . ان فن الشاعر (عالم) واسع متباين ، فى قدرتـه ان يجعل منا ممثلين ونظارة فى الوقت نفسه ، وان يبدع منا (فالستاف) او (لير) وهذا كله يؤكد على تمكنه من تكثيف المشاعر ، وتوسيعها ووضعها الوضع الملائم بصورة تامة الكمال لا يعتورها نقصان ولا زيادة .

واذا ما قارنا ابياتا رائعة من نتاج شاعر من شعرائنا العظام بما نراه من هذا النثر المبتذل تجلى لنا بكل وضوح ماذا تعنيه القراءة من عسر وصعوبة . ان العملية الاولى فى تسلمنا للانطباعات بفهم عميق هي نصف عملية المطالعة ، اذا كنا مقتصرين على كتاب واحد ، ولا يتم النصف الثاني الا بمقارنة هذا الكتاب بكتاب اخر . وهنا يحق لنا ان نصدر قرارات على هذه الانطباعات المتنوعة ، التـي لا يجب ان تبقى اشكالا سائبة بل كيانات راسخة ثابتة . وهـذا مـا لا ينبغي حدوثه دفعة واحدة ، بل عليك بالتاني حتى يخف لهيب التناقض ويخفت اوار التساؤل ، وعندئـذ ارجـع الى كتابك الذي طالعته فستجده مختلفا عما الفته فـي مجموع كيانه ، لا كما رايته فى مراحل مطالعته المختلفـة ، اجزاء متناثرة . وهنا نجد التفصيلات تتلاءم فى مواضعها ، كما نجد تكامل الشكل من بداية الكتاب الـى خاتمته . . . وهنا ايضا نستطيع ان نقارن كتابا بكتاب ، كما نفعل حين نقارن بناء ببناء .

بيد ان المقارنة هذه تعني تغيير موقفنا ، فنحن لم نعـد اصدقاء الكاتب بل حكامه . وكما اننا لا نستطيع ان نكون اصدقاء عاطفيين اكثر مما يجب ، كذلك لا يجب ان نكون حكاما قساة اكثر مما ينبغي . (ومع ذلك فلنا ان نقول) : اليست الكتب التي تضيع اوقاتنا وتقتل عواطفنا ادوات جرمية ؟ اليس الكتاب الذين يدبجون كتبا مزيفة تمـلأ الاجواء بالانحـلال والمرض ، اليس هؤلاء اعداء المجتمع

ظمأ

•

ابراهيم خير

•

رشي طيوبك فى دمي ... اسقي رحابي القاحله
اسقي العروق فانني ... صحراء .. روح ذاهله
صحراء .. لا من عابر ... فيها ولا من هاطله
صحراء .. تحلم بالربيع يسوق ... فيها جدوله

محت الرياح خصوبة الر ... ؤيا .. فامست ذابله
جمد الخرير ولم تعد ... فى النبع .. عين سائله
ورمى السكون وشاحه ... فوق الحياة الآهله
والطير عن غاباتنا ... الجرداء « الوت » راحله

لا تعبري .. فهنا الريا ... ح تسد .. درب السابله
كم دوحة .. الوى بها ... الاعصار .. كم من نازله
كم غنوة ، جفت على ... شفة تولول ثاكله
فالريح لم تترك لنا ... دربا يعود بقافله

ام درمان ـ السودان

الالداء ، لما يقومون به من افساد وتزييف وتضليل؟ فدعنا بالقصد، واذا ما وجدت فهي توجد على شكل بذور بدائية، اذن نقسو فى احكامنا ، دعنا نقارن كل كتاب باحسن كتاب (من نوعه الادبي) ... فقارن مثلا القصص بـ (روبنسن كروسو) و (ايما) و (عودة المواطن) لان كلا منها ـ مهما كانت قيمته وعهده ـ جدير بالمقارنة . وكذا الامر مع الشعر ، فحين تذوي نشوة الوزن ويذبل بهاء الكلمات يعود الينا شكل رؤيا وهذا ما يمكن مقارنته بـ (لير) او (فيدر) او (المقدمة) واذا لم نقارنه بهذه المؤلفات فبغيرها من احسن الشعر ، ولنا ان نعلم ان جدة الشعر الجديد او الرواية الجديدة هي مزية سطحية محض ، وهي لذا لا تتغير مقاييسنا القديمة .

وبعد ، اليس من الحماقة التظاهر بان القسم الثاني من القراءة ، اعني المقارنة واصدار الاحكام هو من البساطة واليسر بساطة القسم الاول ويسره ، واعني فتح الذهن لاستيعاب الانطباعات المتجمعة التي لا حصر لها ولا عد . ومن هنا ، فالمطالعة تعني التوسع فى القراءة وحسن الفهم وجعل المقارنة وسيلة حية من وسائل الاستنارة والاستيعاب وهذه عملية صعبة ، واصعب منها ان نمضي قدما وان نقول : « لا يقدر الكتاب هذا لانه يمثل ضربا من الانواع (الادبية او الفنية او الفلسفية الخ) بل لان له قيمته الخاصة ، فهنا يخيب فى مسعاه ، وهناك ينجح ، وهذا سيء وذاك حسن » ولاجل تنفيذ هذا الواجب ، يحتاج القارىء الى خيال وبصيرة ودراسة وهي خصائص قلما وهبت الى ذهن منفرد ، الى انسان واحد بصورة وافية

واذا ما كان الامر ، على هذا القدر من الصعوبة ، اليس من الاحسن ان نترك النقد للنقاد ، فهم احرى به واجدر؟ ولكن هذه الحال متعذرة ومستحيلة! فمهما حاولنا ان نغمر شخصيتنا فنحن غير قادرين . ذلك بأن فى انفسنا عفريتا يهمس فى آذاننا قائلا « انا اكره ، انا احب » واسكات هذا العفريت خارج عن ارادتنا . والواقع ، انه على مقدار حبنا وكرهنا يتوقف امر علاقاتنا بالشعراء والقاصين ، وكل شخص يقف بيننا وبين هؤلاء لا ينال الامقتنا . والحال كهذا حتى اذا كانت نتائجنا خاطئة واحكامنا ضالة . ومع ذلك ، فذوقنا ، عصب الاحساس الذي يثير الهزات فينا ، هو السراج الوحيد الذي يضيء جوانب حياتنا ، ونحن لا نتعلم الا من طريق الاحساس (الشعوري) واذا ما حاولنا كبت امزجتنا الخاصة حكمنا عليها بالخور والضعف والوهن. ولعلنا ـ بمرور الزمن ـ نربي ذوقنا ، فنجعله خاضعا لضرب من الضبط .

وكلما امعنا فى المطالعة ، فى ضروبها وانواعها ، من شعر ورواية وتاريخ وسير ، غدا العالم الحي ، فى ناظرنا اقرب الى التناظر منه الى التنافر ، واقل تحاسدا وابعد تاملا . ومن هنا نراه يحملنا على الابتعاد عن صوغ الاحكام سراعا، ويرينا اين تكمن ميزة بعض الكتب ، وكيف ينبغي ان نتدارسها بعناية ورعاية . . .

اربيل ـ العراق

يوسف عبدالمسيح ثروة



Horacio Armani

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد قصيرة للشاعر هوراسيو ارماني

ترجمة عيسى الناعوري

* * *

يعتبر هوراسيو ارماني من شعراء الجيل الذي نشأ ما بين عام ١٩٤٠ وعام ١٩٥٠ في الارجنتين ، وهم جماعة من الشعراء الشبان الذين لهم مكانتهم ، ولشعرهم قيمته الفنية في بلادهم ، ولكن ادبهم لم يصل بعد الى الخارج . وقد ولد الشاعر في «لا بامبا» في الارجنتين عام ١٩٢٥ ، وانتقل طفلا الى عاصمة الجمهورية الفضية بوينس ايرس ، غير ان حياة المدينة لم تمح من ذاكرته ذكريات السهول التي ولد فيها، ولذلك تجتمع في شعره صورة القرية بتعبيراتها القوية اللامحدودة ، مع صور المرارة والاستسلام والالم . وقد نشر اول ديوان شعري له عام ١٩٤٨ بعنوان « هذا النور في مكان اقامتك » ونال عليها جائزة لجنة الثقافة الوطنية في بلده ، كما نال شهادة امتياز من جمعية الكتاب الارجنتينيين. ثم تلا ذلك ثلاثة دواوين اخرى هي : « الموسيقى المتطرفة » و « معرفةالبهجة » و « الحياة الدائمة » . وفي الحقل الصحفي يعمل ارماني محررا في جريدة « الامة » وهي من كبريات الجرائد الارجنتينية ، كما يساهم في تحرير عدد اخر من الصحف . وقد نال في اواخر عام ١٩٦٠ منحة ادبية دراسية في ايطاليا ، وهو يقيم الان في منزل الطلاب الدولي في روما ـ حيث تعرفت عليه بحكم الاقامة في المنزل الواحد لدراسة الشعر الايطالي الحديث

صورتـــان

•

الصورة الاولى

كلمة واحدة منك
تستطيع ان تنير حياة الاخرين
والبهجة التي تشيع من حولك
يبدو انها تقود الى بلد مجهول
فتحلق فى الهـواء
كذكرى لم ترسم بعد .
وباشارة منك
ارانـي اندفـــع
حتى ابلغ الى دوائر لامحدودة
تنفتح فى السمـاء .
آه ! انت وحدك تعرفين
الاشراق ، والخـوف
اللذين يبعثهما الجمال غير المحدود !

الصورة الثانية

ابتسامتـك
لها بؤبؤان لامعان
ينظران الينـا احيانا
وفيهما دمعة خفية .
ونظرتـك تبـدو
ابتسامة زاعشة فقط
من ينظر فى مرآتها
تثير انفعالاته كآبة مرحة .
وفى الاعماق شحروران
يقولان على المدى : (لا !)

وحـــدة !

•

منذ زمن طويل وانا وحيد
واراني الان فى حرب مع نفسي .
فيا ايتها الوحدة ! انت غناء
من شحارير هاربة
وانت شيء من رماد
اشربه مختلطا مع الهواء
ولعلي اشربه حزينا
لانه لم يكن حبا او فرحا او قبلة .
لست ادري لماذا تتراءين لي احيانا
ناعمة كدفعة من الماء تحت الضياء
انت الحياة ، حياة الانتظار بلا امل
وانت الموت الذي نحلم به فى ازمنة اخرى

فغن ، غن فى المساء
ايها الصوت المتباعد
الذي يبعث على الخيبة
فانا مصغ اليـك ،
انني تلك الفراشة التي تحوم حول النار
ومن حرارة نورها لا يبقى غير الحريق

ذكرى منتصف اليوم

•

الطيور البرية كانت تمر متعاقبة
كظل ناعم على السهل المترامي
وكانت الريح تملأ الرحب
وتهبط محمومة ، حزينة ، رحبة المدى
وفى ضياء الصيف يكاد ينزلق
العنف المضيء المنبعث من الاعشاب المحرقة
التي تترنح متألمة فى مهب الريح ،
وكنت وحدي اراقب ذلك الالم الذي
لا ينتهـي
وكانت تتجيء الامهار الصغيرة ،
ثم تقبل من بعيد الخيول الشاردة ،
بقاماتها التي ترتفع فوق الغبار وفوق
حرارة الصيف
وهي تصهل صهيلا عنيفا مستثارا .
وكانت شفاهها ، التي يكاد يلهبهـا
لهيب العدو ،
تسقي برغوة لعابها تلك الارض المجدبة
التي كانت من قبل حلوة ممرعة تحت
عدو الجيـاد السريع
كنت وحدي اتامل وارقب . تلـك
هي ارضي
ذلـك الجنوب الساحر .
وانا الان بعيد عن تلك الساعات المشرقة
حيث كنت اطوق بحب وهيام ذلـك
الجسد النحيـل
جسد البلد الاسيركي الفتي . ولم اكن
ادرك ذلك يومئذ ،
ومع ذلك يتوهج كل شيء بجمال جديد ،
والحياة ، والبهجة ، والارض اللامحدودة
كنت احس بها تصعد ، وتثب ،
وترتفع بعذوبة وحلاوة الى قلبـي
الذي يترقبها .
وكـان كـل شيء
شبيها بانغام الحب !

عمـان — عيسى الناعوري

كما تنحني رؤوس الاشجار الفارعة عندما يتساقط الثلج خفيفا هادئا ، احنت ام وفيق رأسها فوق صدرها وغابت في لجة عميقة من التفكير . لم يوقظها من غيبوبتها الا زفرةداوية صعدتها دون وعي ، انتفضت معها كمن يتململ من عبء ثقيل ... واخذت تذرع الغرفة ذهابا وايابا ..

ـ ما بالك يا اماه لا تنامين ؟!

ـ لا شيء سوى الارق ياحبيبتي! لا توقظي اخوك ..

ـ وماذا اقلقك ؟..

ـ لا ادري !..

ـ امهدي الوسادة لاخويك انهما يغطان في نومهما على غير عادة ..

ـ ايزعجك هذا الغطيط ؟..

ـ ابدايا وفيقةبليزعجهماويزعجك

ـ اتريدين قرصا من الاسبرو ؟

ـ شكرا يا عزيزتي !..

آوت الام الى فراشها بعد ان تدثرت بغطاء سميك من الصوف ، وتظاهرت بالنوم ، وفي راسها يدور الف سؤال ، دون ان تجد لواحد منها اي جواب مفعم .

الهي الم يكتفي بي هذا الشقاء حتى يشرك معي وفيقة ؟!.. ماذا ايقظها ؟!.. هل تنسمت شيئا من قلقي فارقت ؟.. يجب ان تنام ، فالليل قارب ان ينتصف ، كمايجب الا تدرك شيئا عن تصرفات والدها ، وليالي وفيق الساهرة ، التياخذت تمتد الى عمق الليل .. اريدها تبقى مشرقة الوجه ، صافية الذهن . اني احس صراحة بان اليأس قد بدا طريقه نحوي .. وكيف اخفي واكتم هذا الكابوس الجاثم على بابصدري؟

يجب ان انتصر ، ولكن حرصي على الحقيقة ، يريدني الا اتغاضىعن رؤية رواسب الحياة ، وضحالتها مهما حاولت جاهدة ، اخفاء هذا القلق ، بتلاوة بعض آيات اردددها من صلاة راسخة في كياني .

آه الساعة تدق الثانية عشرة !..

وقع اقدام على الدرج ، ينشق الباببلطف فيتقدم وفيقبتؤدة دون ان يثير المصباح .

ـ اهذه العودة يا وفيق ؟..

ـ لست متاخرا يا اماه ، فالساعة الان تشير الى العاشرة فقط !..

ـ أتعتقد انني نائمة ؟.. وتجيز لك ذلك ؟..

ـ الا يزال والدي في سهرته ؟..

ـ نعم !.. لا توقظ اخويك وشقيقتك !.. تصبح على خير !..

ـ وعلى خير !..

كلمات باردة لفظتها ، الساعة العاشرة الان !.. الساعة العاشرة الان !..

منذ متى يجيد هذا التمويه ؟.. عهدي به يحتقر كل متلون صفيق الوجه !.. يا للخيبة المريرة !.. آه من الحياة .. فالعشرة الرديئة

عود الى الحقيقة

بقلم محمود الحسنية

قضت على كل آمال الغد .. لم اشك يوما ان وفيقا يخرج علىطاعتي ويقضي على بقية هناءتي البيتية ..

الهي لو علم المرء ان غبطته في هذه الحياة تتكون من احترام متبادل لما اتلف بيده هذا الشيء المقدس ! هناك امور محزنة دون ريب لا استطيع ان اتصورها .. ابتعد عنها فتلاحقني ، وتابى ان تفارقني ، او تترك لي مجال التفكير لاواجهها باعصاب قوية .. وكثيرا ما اراها تضعف وتهزل ، وتضمحل ، ولكن سرعان ما تنتصب امامي كالمارد في قارعة الطريق ،فتذعرني ، وتجعلني ارتجف من شدة هولها ، وافقد معها كل شجاعة !..



آه حين يفقد الانسان ايمانه ويتنكر للفضيلة ، كيف يمكنه ان يعود الى حقيقته ويعي طريق السعادة ؟.

ان وفيقا هو الاخر قد تنسم اخبار والده ، وعرف كما عرفت ،ان هذا التاخير المتواصل لم ينتج عن عمله في المتجر ، بل تسببه اعمال غير تجارية تشغل فيه حيزا من التفكير!.

اجل فالقلب هو الذي يجعل المرء يشعر مسبقا ، بوجود بعض الاحداث احيانا ، دون ان يراها ، كما يجعله يشعر بوجود الخالق ...

واخيرا نامت ام وفيق ، وفي عينيها دمعتان حارتان، تدحرجتا على وجنتين موردتين ، اذبلهما السهد ، بعد ان فتح سليم باب المنزلبمفتاحه الصغير ، وكعادته مشى ببطء دون ان يكون لوقع حذائه الجديد صوت في ارض الغرفة ، لانه يابى ان يجعلمن زوجته الفاضلة مثار شك فيه .. انه في وضع عائلي يحسد عليه في بلدته ، وهو وريثبيت علم ووجاهة، يريد انيبقي علىهذه السمعة الطيبة.

وفي الصباح استيقظت نبيلة باكرا كعادتها ، تهيء الفطور وتعده.. ولكن اعياء كبيرا بدا في عينيها الملتهبتين ، عندما شخصت من خلال زجاج النافذة ، في الفضاء ، ولم يعد وجهها متوردا ، بل ذهب لونه وشحب ، ونمت عليه حركة بليغة ، تعبر عن كآبة خرساء ..

ما اجمل هذا الطائر وما اهناه فوق عش افراخه ؟!.. اذا طار عاد جذلا ، وصفق بجناحيه . انه تعبير لاقصى سعادته !.. يا للهناءة !..

وادارت ظهرها فرات سليما امامها ... ولاحظ فيها بعض الاجهاد والتكلف :

ـ ماذا تراقبين يا نبيلة ؟

ـ لا شيء فالطبيعة باسمة !..

ـ ولكنك لا تبتسمين !.. فالطبيعة الضاحكة يقابلها السرور والانشراح ، وعهدي بك طلقة الوجه ، باسمة ، حتى بين الدموع ، يجب ان تبتسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للحياة ، للالم .. واذا انتفى الالم من على هذه الارض ، لم يعد للحياة من معنى ...

ـ ابدا يا سليم لاشيء يزعجني .. فاني رايت عصفورا صغيرا يسقط من العش فتالمت لسقطته !..

ـ اما يزال على الارض ؟..

ـ لا ! بل تعاون عليه طائران اعاداه الى عشه .. اعددت لك الفطور !..

ـ فى اي ساعة استيقظت يا نبيلة ؟ ...

ـ منذ ساعة .

ـ يا لك من زوجة مثالية ،فاضلة، اسمك النبيل ينطبق على صفاتك النبيلة .. انني اشعر بدف السعادة كلما دنوت منك . لماذا لا توقظين وفيقا وهياما ومنذرا ؟..

ـ دعهم ينامون فاليوم هو اول يوم فى عطلة الفصل الثاني من السنة الدراسية ... اذكر ذلك الان !.. هل اطلعت على نتيجة دروس الفصل يا سليم ؟..

ـ لا !..

ـ هيام ، الاولى فى صفها الابتدائي الخامس ... منذر الرابع فى صفه الابتدائي الثاني ..

ـ ووفيق ؟.. هل يحتفظ برتبة جيدة ، فى صفه الثانوي الرابع ؟..

ـ لا ادري !.. سمعته يتحدث مع رفيق له : لا باس فوف نعوض عما فاتنا ، فى الفصل القادم ، لا يزال امامنا متسع من الوقت ، للدرس ، وتخطي علامة الرسوب ، والمرور .. حقا يا عصام فقد اضعنا من وقتنا ، فى دور السينما ، والملاهي ، وفي الثرثرة .. انني اشعر بتفاهة ما يعرض فى تلك الدور من افلام ، فانها وان تنوعت الاسماء ، تتشابه من حيث ديباجة القصة وكانها تسير كلها فى ركاب فلك مشحون بطلاب لذة رخيصة ، تنقل الينا احاديثهم وصورا عن شذوذهم ، وحياتهم ، ورائحة فجورهم ، مشاهد لا تنتهي الا بانتهاء الطوفان ، وتحطيم فلك الرحلة !..

ـ حقا ما يقولان !..ما اسمى ما يقدم المنتج السينمائي الفنان ،مشاهد عن سير ابطال خالدين ، نحيا معهم ، فى مآسيهم، فى كفاحهم ، فى انتصاراتهم فنتخذ من حيانهم عبرة ..

انني الان وعيت هذا الانحراف انجارف وراء المباهج ، واللذات .. وعيت ان الانسان ، اذا جلس الى مائدة ، لا بد له ان يتناول من الاطعمة المنوعة ، الطعام الذي يثير فيه شهيته اولا .. وتلك الافلام او المسرحيات التي تشاهدها المدينة، انها تؤلف غذاء الفكر ، كما يؤلف الطعام المنوع ، غذاء الجسم !..

ـ وهذه المنشورات ، والمشاهد من الافلام ، هل تصلح كلها ان تكون للروح والفكر غذاء جيدا ؟!.. الجواب يرويه ويعبر عنه اكثر من طالب وطالبة، واكثر من زوج وزوجة .. الم تسمع بصرخات قادة الاصلاح فى العالم تطالب بالكف عن ترويج هذه التجارة الفاسدة ؟.. الا تقرني رايي يا سليم ، ان فى هذا الغذاء الفكري ؛ ما يثير الغرائز البهيمية ، ويفسد الضمائر ؟.

ـ انني اقرا من خلال كلماتك النابضة عين الحقيقة !..

ـ وفيق عهدي به تلميذ ، يقدر غاية العلم ، علامات الاجتهاد ، والجوائز المدرسية كانت غالبا من نصيبه فى الامس القريب .. اين هو من امسه ؟.. كيف يمكن ان يعود الى سوي السبيل !..

ـ الا تقرني ، ان مغريات المدنية الزائفة هي التي تجتذب اليها الفريق الاكبر من الناس ؟..

ـ اجل !..

ـ وهل يمكن لمن يحيا حياة يشوبها الشك والفتور ان يكون قدوة خير لغيره ؟.. ان العالم يسير بركاب هذه المدنية الزائفة ...

وهل نستطيع ان نركن الى المدرسة مهما كانت قدرتها الخلاقة فى تربية صالحة . دون ان نتعاون معها فى تدعيم خلق الابناء ؟!.. على عاتقنا مسؤولية جسيمة ..المدرسة تبني اذا كان هناك اساس وطيد !.. فالولد لا يرقى الا فى محيط راق . ولا يكون فاضلا الا اذا نشا فى بيئة فاضلة !..

ـ كفى يا نبيلة !.. الا يزال الشاي على الطاولة ساخنا ؟..

ـ اجل !..

ـ هلمي نتناول معا الفطور .. انني اشعر براحة الضمير ، كلما عدت اليك بشيء .. واذا كان لنا من سعادة ، فاليك تتصل الاسباب .

الساعة الثامنة ، حان موعدذهابي الى عملي !.. ايقظي وفيقا ، عله يساعدني بعض الشيء فى المتجر !.. انني ذاهب الان . فالى اللقاء !..

غابت نبيلة فى حلم جميل، تردد : ما اجمل الحياة فى ظل عائلة تتبادل الحب والاحترام !.. انني اشعر بالدفء يعود الي ..ومن خلال شرفة المنزل ، رنت ببصرها الى البعيد فرات السماء صافية زرقاء بلون عينيها ،والطيور مرحة ، تغدو ذهابا وايابا ، تصفق باجنحتها ، وتغرد فرحة بطلائع الدفء فى الطبيعة ، فركعت ثم تمتمت بصلاة قصيرة لمجد الخالق . وكان فيضا من سعادة سماوية ، حلت فى ارجاء البيت ،حيث غدا وفيق طوع ارادتها ، ينعم برضاها ، يساعد والده فى المتجريوم العطلة ، وفى المدرسة استعاد رتبته ولمع اسمه مقرونا بالجد والنشاط.

ومع العودة الى العمل ، ادرق ابو وفيق ان لذة اللهو والعبث ،والمجون زائلة .. واللذة الحقيقية هي في اجواء العائلة السعيدة ، وان المرء لا يمكن ان يكون مرشدا ، الا اذا كان يتمتع باخلاق فاضلة .. فالابن يرث الاب ليس بالجسم فقط،بل بالاخلاق. والمربي يجب ان يكون ارفع اخلاقا ممن يرشد ويثقف ، كما ادرك ان الزوجة الفاضلة هي اس السعادة البيتية ، اذا كانت سعيدة اضفت على البيت شيئا من سعادتها ..واذا كانت شقية ، نفثت فيه من سمومها، فجعلته جحيما لا يطاق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكريات مؤلمة

●

ملكنا سكننا
حتى الربيع والزهور
حتى غناء الطيور
حتى انبثاق الماء من نافورتنا
لم يعد ما يدخل البهجة الى قلوبنا
رتابة مملة
لم نعد نفرح لتفتح
الورود فى حديقتنا
وهذه الياسمينه قد ازهرت
وانبعث اريجها يملأ منزلنا
فاين مقاعدنا التي كنا نصفها فى الحديقة
تحت هذه الياسمينة
اين ذلك المقعد الكبير
الذي كان يجلس عليه ابي
يضيء حياتنا بوجهه البشوش
ويبعث السعادة فى قلوبنا
المكان خال هذا العام تحت الياسمينة
لقد رحل ابي

رحل من كان سر سعادتنا
ومن علمنا حب الزهور والورود
رحل واصبح مقعده الكبير
فى وحشة كئيبة
ومقاعدنا ايضا خالية وحيدة
تنظر الى الفراغ بحزن وصمت
كم شهدت عريشة الياسمين
جلساتنا المرحة .. فاين سعادتنا
واقبالنا على الحياة
رحل ابي ورحلت معه كل بهجة
فيا شجرة الياسمين لا تزهري بعد الان
ويا ايتها الزهور والورود لا تتفتحي
وانت ايتها الطيور لا تغردي
اما انت ايتها المقاعد الجامدة هناك
تحت الياسمين فابقي كما انت خاوية
فالراحل لن يعود

الرياض — سارة بوحيمد

●

وفى المتجر رن جرس الهاتف ..
الو !.. من يتكلم ؟.. رمزي !..
اخاطبك من المرسم ، حيث اعد لوحة
الممس فيها كل ذرة من كياني ،
ساقدمها الليلة الى « ديانا » انسيت
موعدنا فى « الايف » يا سليم ؟..
ـ لا ولكني على موعد اخر !..
ـ هل لديك سهرة اجمل مما نعد؟
ـ اجل !..
ـ وهل اجمل من ليالي «الايف»
وفاتناتها ؟..

ـ نعم !..
ـ اين نجدها ؟ ..
ـ فى البيت الحالم !..
ـ المس فى مجرى حياتك بعض التحول !..
ـ اجل فقد علمتني الحياة وتجاربها ان كل لحظة تسير بنا الى حتفنا ويجب ان نبادر الى ترميم قوانا المتداعية ، حتى تستمر شعلة ايامنا المشرفة على الخطر ، ويكون فى مكنتها ان تتوقد من جديد ..

انني عرفت حقيقتي ، وعثرت على ضالتي يا رمزي .. ووعيت ان اللذة التي كنا ننشدها زائلة .. بل ما كان اضلنا فى طلبها !.. والى ان تعي حقيقتك اطلب لك امراة فاضلة !.. تعلمك ما تستحبه النفوس العالية ، وما يجب ان يكون ذلك المستحب من امل يتحقق فى طريق العدل والصدق .. فخلود الذات امل !..

محمود الحسنية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عتاب

* * *

تشاء او لا تشاءْ
مرغماً
او برضاكْ

عبدّت لك الطريقْ
فأحببتني
لما هويتُ سواكْ

أرأيتني متعبةً
فخفتَ على رؤاكْ
ام قبلتني
فأُدميت شفتاكْ

انا لم اجرح خدي
دغدغتُ حلمي
وتركتُ الشوكَ
لهواكْ

اغمضتُ عيني
ورحت في مدى
رؤاكْ

ولما استيقظتُ
من حلمي
كنتَ
انت سواكْ

فدعني
انا
ما قبّلتُ فاكْ

لو شئتَ
لما عفّرتَ جبينكَ
وحطّمتَ
ما خلقتْ يداكْ

البير اديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لبنان واللغة العربية

بقلم موسى سليمان

في استفتاء عن مستقبل اللغة العربية اجرته مجلة « الهلال » سنة ١٩٢١ اجاب جبران خليل جبران : « ان مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع الكائن – او غير الكائن – في مجموع الامم التي تتكلم اللغة العربية . فان كان ذلك الفكر موجودا كان مستقبل اللغة عظيما كماضيها، وان كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها: السريانية والعبرانية . »

فربط جبران بين ازدهار اللغة وتقدمها ، وبين وجود الفكر المبدع في مجموعة الشعوب العربية من ناحية ، كما اكدمن ناحية ثانية على ان فقدان هذا الفكر المبدع يقود حتما الى فناء هذه اللغة واندثارها . وقد استطاع جبران ، في هذا القول المقتضب ، ان يصور الواقع تصويرا رائعا ، وان يجيئنا ، منذ اربعين عاما ، بحقيقة تأكدت لعلماء اللغة اليوم وهي ان اللغة لم تعد وسيلة للنطق والتعبير عن الفكر فحسب ، بل اصبحت هي الفكر نفسه ، او على الاقل ، لم تعد اللغة شيئا قائما بنفسه ، مستقلا عن الفكر ، بل اضحت متعلقة بالفكر تعلقا وثيقا ،تزدهر وتتقدم بازدهاره وتقدمه ، وتنحط وتنعدم بانحطاطه وانعدامه .

من هنا كان علينا ان ننظر الى لغتنا العربية نظرة جديدة، نظرة تقوم على العلم الحديث والحقائق الراهنة ، كما تقوم على العاطفة الصادقة والتاريخ القومي الطويل . من هنا كان علينا ان نقدر لغتنا حق قدرها ، وان نحلها محلها الرفيع في دراستنا وسيرنا الحضاري ، ذلك ان تعزيز لغتنا القومية يعني تعزيزا وتقديرا للفكر ، وان سيادة لغتنا العربية وانتشارها ، وازدهارها هو سيادة لنا ، لفكرنا ، لحضارتنا .

من هنا وجب على المعنيين بدراسة العربية وتعليمها ، التشديد على اهمية هذه اللغة ، والتشديد على اتقانها والتمرس بقواعدها وتبسيط ما يبدو فيها من غوامض ، وتذليل ما يعترض دارسيها من عقبات .

من هنا كان علينا ان نعترف ان حاجتنا الماسة الى تلقي العلوم الحديثة من كيمياء وفيزياء ورياضيات، وان حاجتنا الى تعلم اللغات الاجنبية من فرنسية وانكليزية وروسية والمانية ، يجب الا تقف حائلا بينا وبين لغتنا العربية واتقانها اتقانا بارعا ، كما يجب الا تمنعنا من التشديد على الاقبال على هذه اللغة اقبالا حسنا ، والعمل على تنميتها وتطويرها لتتمشى واللغات الغربية الراقية ، وتساير ركب الحضارة الحديثة .

فاللغة العربية التي يريد البعض ان يجعلها معجزة ، لا يمكن فهمها ، او طلسما لا يمكن حله ، هي لغتنا ، هي لغة آبائنا واجدادنا ، وهي لغة طفولتنا وشبابنا . لقد تفتحت عيوننا ، منذ صغرنا ، على جمالاتها ، وانتشت افئدتنا ، ونحن ما زلنا في مقتبل العمر، بروائع شعرها واطايب نثرها، ونشأنا على نغمات حروفها الرائعة ، فقرانا كتابنا المقدس حروفا عربية مشرقة ، وقرانا قرآننا الكريم لسانا عربيا مبينا ، وتمتعنا بمزامير داود مترجما الى لغة عربية لااحلى ولا ابهى ، وسهرنا الليالي نستمع الى شهرزاد تقص حكاياتها الممتعة بلسان عربي اليف انيس ، واستطعنا ان نضطلع على حكمة الهند ، وقصص فارس ، وفكر اليونان ، مترجمة الى لغة العرب التي وعت واستوعبت يوم كان لها من السياسة سلطان ، ومن الرجال حماة !

واللغة العربية التي يريدها البعض ، تارة لهجة عامية من لهجات العربية العامية التي لا حصر لها ولا عد ، وطورا مكتوبة بالحرف اللاتيني ، هي لغة البلدان العربية جمعاء من مصب النيل ، الى بطحاء مكة ، الى نهر الاردن ، الى دجلة والفرات ، الى سهول سوريا ، الى جبال لبنان، الى المغرب العربي من اقصاه الى اقصاه ! وهي اللغة الرسمية لجميع الحكومات العربية لغة الدين كما هي لغة الدواوين، فكيف نمسخها لهجة عامية لا يفهمها الا فئة قليلة من الناس؟

واللغة العربية هي اللغة القومية لخمسة وسبعين مليونا عربيا تضج بهم ارض العرب ، يزحفون الى العلم والحياة القومية الشريفة زحفهم الابي المقدس ، يلتمسون لانفسهم تحت الشمس مكانا ، وفي ذرى العلياء مقاما .

وهي اللغة القومية التي تربط بين شعوب هذه الاقطار العربية ، وقد تعاهدت على المحبة ، والالفة ، والتعاون الاخوي المثمر ، فتشدهم بعضهم الى بعض وتزرع فيهم الحب المتبادل ، والفائدة العامة لمصلحة الجميع ، وتعدهم لتفاهم صحيح في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

واللغة العربية من اجمل لغات العالم ومن اوسعها واكثرها تطورا مع ركب الحضارة والتاريخ ، وان كانت قد مرت في حقبة طويلة من الذل والتقهقر والجمود . فالذين اتيح لهم ان يدرسوها دراسة منهجية علمية ، والذين عرفوا كيف يتغلغلون الى اعماقها ، وكيف يحللون بعض اسرارها وخفاياها، ويضطلعون على بعض جمالاتها المعنوية واللفظية، نعموا، ولا شك، بدنيا مليئة من الخصب، والعلم، والجمال، واستطاعوا ان يلمسوا ما في هذه اللغة من قوى تعبيرية ، وما تنطوي عليه من طاقات تفجيرية، تستطيع، ان استخدمت في مكانها، ان تجعل منها لغة العلم والحضارة، والفن والعمارة.

وبعد ، فنحن ، في لبنان ، وقد نلنا استقلالنا بعد جهاد روحي عنيف ، نحن في لبنان ، حكومة وشعبا ، على اللغة العربية ربينا او يجب ان نربى، وباللغة العربية نكتب ونعبر ونبكي ، ونضحك . وبهذه اللغة العربية نشكو همومنا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لبنك تدري

تعذبني وانت روحي ... وتشقيني وانت ضياء عيني
وتقسو فى هواك ولست تدري ... بأن الظلم منك وليس مني !
وتحسب ـ ظالما ـ اني عذاب ... لقلبك فى الهوى والغدر فني
وتتركني لدمعي فى الليالي ... واشقى فى النهار بنار ظني
فليتك يا حبيب الروح تدري ... فتصفح راضيا فى الحب عني !
ولكني اراك تظن اني : ... مللت هواك!! ما اقسى التجني!!
فحرت وضاقت الدنيا بعيني ... وكنت اعيش منك على التمني
فلا الحلم الجميل ، ولا الاماني ... ولا النور المضيء ، ولا التغني
ولا القلب الرقيق اراه يحنو ... ويخلص فى الهوى من غير ضن
ولا انا استطيع سلو حب ... سرى بدمي،فاصبح وهو مني !
على ذكراك سوف اعيش عمري ... وسوف اعيش فى الذكرى اغني!

مصر الجديدة — **روحية القليني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونرفع ابتهالاتنا الى الله صباح مساء . بهذه اللغة العربية يتغنى شعراؤنا بجمالات لبنان وبتراثه الروحي الخالد ، وباللغة العربية تنطلق اقلام ادبائنا فى تمجيد الحق ، وتسفيه الباطل. نحن،فى لبنان،كنا، وما زلنا،حماة لهذه اللغة العربية، انزلناها شغاف قلوبنا بعد ان احللناها قمم جبالنا ،وتمرسنا بروائعها فانقادت لرجالاتنا وعلمائنا وادبائنا ، وجرت بها السنتهم فسلست تحت اقلامهم ولانت . نحن ، فى لبنان ، كنا ، وما زلنا حماة العربية نذود عنها طمطمانية الاعاجم ، ونصد عنها هجمات الاتراك العثمانيين ، ونحميها اذى المتفرنسين والمتأمركين ، وقد فاتهم ان لا حياة لقوم لا لغة لهم ، وان لا حضارة لامة لا لغة لها ، وانهم انما يزدرون انفسهم ويحقرون ذواتهم فى ازدرائها واهمالها . لقد فات مثل هؤلاء ان اللغة العربية صفت فى لبنان صفاء البلور ، ووجدت فى اديرته الجبلية ، وكنائسه المسيحية ملجأ امينا حفظها صحيحة معافاة ، فكيف يمكن ان يتنكر لها لبنان اليوم ، او بعض فئاته ؟ وكيف نقبل ان تهمل دراسة العربية فى مدارسنا اللبنانية ومعاهدنا من وطنية واجنبية؟

لقد اثر عن اللبنانيين حبهم اللغات المتعددة ، ومعرفتهم الالسن الكثيرة ، تكلما وكتابة ، وقلما تجد شعبا كالشعب اللبناني يحسن ، الى لغته الام ، لغتين اجنبيتين من اللغات الحية واحيانا اكثر من لغتين ، كما عرف من اللبنانيين عدد طيب من شعراء وادباء فى اللغات الاجنبية وخاصة الفرنسية ، ومع ذلك فلبنان الشعر ، ولبنان الادب ، ولبنان الفكر يبقى فى عطائه عربي اللسان . غير ان هذا اللسان العربي بحاجة الى من يصقله ، والى من يجلوه للناشئة الطالعة غذاء عقليا مريئا يغذون به ارواحهم وعقولهم . وهذا اللسان العربي بحاجة الى ان نسلط عليه مقاييس العلم الحديث ، والنقد الحديث لنتأكد من تطوره مع نواميس الحياة والطبيعة والمجتمع ، فاين لغتنا العربية من كل ذلك ؟

ان فى الجواب ، بايجابية وانفتاح واخلاص ، خدمة للغة العربية وللبنان .

موسى سليمان

هوميروس الهند وشاعر الحب والبطولة والجمال

كاليداسا

بقلم نقولا يوسف

المشهور ان الشاعر الهندي « كاليداسا » عاش فى القرن الخامس الميلادي .. ولكن هناك من يقول انه عاش قبل ذلك العصر .. اذ ليس ثمة تاريخ اكيد يسجل ميلاده وحياته بالرغم مما يحظى به هذا الشاعر من شهرة وتقدير فى الهند وخارجها .. بل من الهنود من يعده اكبر شعراء السنسكريتية ـ اهم لغاتهم الآرية واعرقها ، وبها كتبت اقدم اسفارهم ..

هذا الى ان آثار هذا الشاعر لا تتضمن اشارة واحدة يستدل منها على تاريخ كتابتها .. ومع ذلك فهناك من الباحثين ـ ومنهم بعض مترجمي مؤلفات كاليداسا الى اللغات الاوروبية الحديثة ـ من رجعوا بتاريخ هذا الشاعر الى القرن الثالث الميلادي . وذلك عندما قارنوا اللهجة الشعبية التي شابت احاديث الشخصيات الثانوية فى مسرحياته ، بمثيلاتها فى الكتب الموضوعة فى عصور معينة ..

وفى خلال الزمن السحيق الذي يستغرق عشرات القرون، كان بالهند عدد من الادباء يلي بعضهم بعضا ، ممن كرسوا جهودهم فى النقد والتعليق على ما خلفه اسلافهم من روائع ادبية .. ومع ذلك فاذا درنا نبحث عن حياة كاليداسا ـ شاعرهم الكبير ـ لم نجد امامنا غير الحكايات والاساطير .. وغير اشعار رجل قلما يتحدث عن نفسه الا فى النذر اليسير

ومن تلك الاساطير الطريفة التي لا تحمل فى طياتها دليلا على الحقيقة ، اسطورة تضع كاليداسا فى مدينة «بنارس» على مسافة خمسمائة ميل من بلدة « اوجايين » التي قضى بها شطرا من حياته فيما يعلم الناس ..

ثم تروي تلك الاسطورة انه كان طفلا لاحد البراهمة ، وانه فقد اباه يوم كان فى السادسة فتبناه سائق ثور ، فشب مثله سائقا للثيران .. ولم ينل حظا من التعليم ، ولكنه كان حسن الخلق والصورة ..

قالوا : وكانت فى بنارس اميرة ترفض خطابها الواحد بعد الاخر ، لانهم لم يصلوا الى مستواها الثقافي .. وكان منهم مستشار ابيها . فرأى هذا ان يثأر لنفسه منها . فاحضر سائق الثيران الوسيم ـ اي كاليداسا ـ والبسه ملابس الحكماء ، واحاطه ببطانة من الخدم ، ثم قدمه الى الاميرة ، بعد ان حذره الا يفتح فاه باية حال .. فما ان وقعت عينا الاميرة عليه ، حتى اخذها حسنه وصمته ، وعزت هذا الصمت الى وفرة العقل والحكمة ولم تمانع فى الزواج منه !

وذهب العروسان الى الهيكل ، وما كاد يتم حفل الزواج حتى رأى كاليداسا صورة ثور ، فغلب عليه طبعه وكشف سره .. وغضبت الاميرة .. ولكنها لانت لتوسلاته ، واوصته بان يتضرع الى الالالهة «كالي» كي تهبه العلم وموهبة الشعر .. واستجابت الالاهة لصلواته فدعا نفسه : « كالي داسا» ـ اي عبد كالي ، اعترافا بجميلها !..

ولا تنتهي الاسطورة عند هذا الحد .. فتقول : ان كاليداسا ، وقد شعر بذلك التغير العظيم ، اقسم ان يعامل اميرته باحترام عميق ، كما يعامل التلميذ استاذه .. وكان هذا اكثر مما طمعت فيه الزوجة . فتفجر غضبها من جديد ، وسألت الالاهة ان تذيقه الموت على يد امراة .. وحدث ان احد الملوك كتب نصف مقطوعة شعرية ، وعرض جائزة كبيرة لمن يستطيع ان يكملها على احسن وجه .. فاكملها كاليداسا بلا مشقة.. ولكن كانت هناك شاعرة تطمع فى تلك الجائزة لنفسها ، فاستبد بها الحسد ، واحتالت على قتله !!..

وهناك اسطورة اخرى تمثل كاليداسا وهو يحج الى هيكل « فشنو » بجنوبي الهند ، فى صحبة صديقين من مشاهير الكتاب وهما : « بهافا بهوتي » و « داندين » ..فى حين كانت هناك قصة اخرى تصور معاصره بهافا بهوتي هذا منافسا وحاسدا على ما نال كاليداسا من مجد وصيت!

ومما يدل على ان هذه الحكاية من نسج الخيال وحده ، ان اولئك الادباء الثلاثة لم يعيشوا فى عصر واحد !. ولكنها رغبة الرواة فى الجمع بين المشاهير فى القصص ، والقول بأن النبوغ منجذب الى شبيهه !. ولعل هذا ما دعا ايضا الى الجمع بين كاليداسا وبين الملك «فيكراما ديتا»ـ اي بأس الشمس ـ وادباء بلاطه ، فى قصص يجول فيه الخيال ويصول .. وقيل ان « فيكراما ديتا » لقب ـ مثل كسرى وقيصر ـ لا اسم علم !

ومع هذا ـ كما يرى ارثر رايدر ـ (فى مقدمته للكتاب الذي لخص فيه بالانكليزية مؤلفات كاليداسا وملاحمه) ـ ان من الصعب فصل الواقع عن الخيال فى كثير من تلك الاساطير .. ومن ذلك ان الملك « فيكراما ديتا » ـ السالف الذكر ـ كان يحكم مدينة « اوجايين » الواقعة فى غربي الهند الوسطى ، وهي البلدة التي قضى بها كاليداسا شطرا من حياته .. وكان ذلك الحاكم من رجال الحرب ، كما كان راعيا للعلم والشعر .. وكانت « اوجايين » فى عهده من ازهى عواصم الدنيا .. وكانت تلمع بها تسعة من اسماء

● نشر كاتب هذا البحث مقالة موجزة بعنوان « ساعة مع كاليداسا » بمجلة « السياسة الاسبوعية » بالقاهرة عدد ١٦ سبتمبر ١٩٢٧ ـ ولما اطلع فى احدى الصحف على نبأ احتفال الهند منذ عهد قريب بشاعرها كاليداسا واصدارها طابعا للبريد يمثل احد مواقف مسرحياته ، كتب هذا المقال الجديد « للاديب » معتمدا فيه على بعض المصادر الانكليزية والفرنسية ومنها كتاب:«كاليداسا ـ ترجمات للشاكونتالا وكتبه الاخرى ـ لارثر رايدر » ـ وكتاب « تاريخ الادب السنسكريتي ـ لماكدونل » ـ و «المسرح الهندي ـ لسيلفان ليفي » ـ ودائرة المعارف البريطانية . (ن.ي)

النوابغ يطلقون عليها : « الجواهر التسع » .. وكان منهم الشاعر والفلكي والطبيب واللغوي .. ويبدو ان كاليداسا اراد ان يكرم راعيه « بأس الشمس » في عنوان مسرحيته المسماة : « اورفاشي » التي ظفر بها البأس (واورفاشي هو اسم بطلة المسرحية) ..

* * *

والى جانب ذلك النذر اليسير مما وصل الينا عن حياة كاليداسا ـ كما روته الحكايات ـ يمكن اضافة القليل المستمد من كتاباته الشخصية . فتراه يذكر اسمه مجردا، في افتتاحيات مسرحياته الثلاث ، في تواضع جم .. ولا يتحدث بضمير المتكلم غير مرة واحدة في القصيدة التي يمهد بها لملحمته المسماة : «راغو فانسي» ـ اي اسرة راغو.

ويستنتج مما كتب انه قضى فترة من حياته بمدينة « اوجايين » السالفة الذكر ـ فهو يشير الى هذه البلدة اكثر من مرة ، بكلمات تدل على معرفة بها وحب لها .. كما نراه في قصيدته : « رسول السحاب » ، يشيد بمحاسن تلك المدينة ، بل هو يسأل السحاب ان يتمهل حتى لا تفوته معرفتها !..

ثم نعرف بعد ذلك انه طاف كثيرا بانحاء الهند .. ففي الانشودة الرابعة من ملحمة : « اسرة راغو » تراه يصف جولة في ربوع الهند ، حتى فيما وراء حدودها القريبة . ولهذا يمكن تصديق القول انه ارسل في بعثة للحج بالهند الجنوبية .. كما انه في انشودته الثالثة عشرة من الملحمة نفسها ، وكذلك في قصيدته : « رسول السحاب » ، يصف ايضا رحلات طويلة في الهند بعيدا عن بلدة « اوجايين » .

كذلك نرى فيما كتب ، ما كان للجبال وروعتها من اثر قوي في نفسه .. وكثيرا ما تغنى بجمال الهيمالايا وجلالها. وانه كان ـ كما لاحظ ناقد هندي ـ الشاعر السنسكريتي الوحيد الذي وصف زهرة صغيرة معينة تنمو في ارض كشمير .. اما البحر فلم يهمه كيرا ، اذ كان كأغلب بني وطنه يرى في المحيط سورا عظيما يحد بلاده لا طريقا للمغامرة ، كما رآه شعراء الاغريق ..

ويستنتج المطلع على شعره انه كان واسع الثقافة، كثير المعرفة ، ولو لم يسرف في الاشارات العلمية كما كان يفعل مواطنه الاديب « بهافا بهوتي » مثلا .. وانه كان متبحرا في اللغة السنسكريتية في وقت كانت فيه هذه اللغة الى حد ما لغة الخاصة .. وكانت الهوة بين لغة التخاطب ولغة الكتابة ، في عصر كاليداسا اوسع مما كانت في غيره ..

وتقول عنه « دائرة المعارف البريطانية» : «ان ثراء خياله المبدع ، ورقة عاطفته ،وتذوقه المرهف لجمال الطبيعة .. الى جانب قدرته الفائقة على الوصف ـ مما يتضح من كتبه ـ تضعه في مقدمة الشعراء الشرقيين .. غير ان ما يشوب شعره احيانا من تكلف في الصياغة ، يشوه الاثر الذي يحدثه انتاجه من وجهة عامة ، ولو ان ذلك التكلف يقل عن اي شاعر هندي اخر .. ولهذا تختلف اشعاره من هذه الناحية عن شعر « الفيدا » الاصيل .. ومع انه شاعر حق ، فانه تعوزه حاسة التناسب الفني ، وهي سمة العقل الاغريقي الذي يلائم بين الجزء والكل ، ويربط الصورة والاصل في وحدة شعرية لا تنفصم عراها .. وتقوم شهرة كاليداسا على دراماته ولكنه يمتاز ايضا كشاعر من شعراء الملاحم والغناء ... »

ثم يتضح لكل من يدرس مؤلفات هذا الشاعر تعمقه فنون المسرح ، والمامه بالفلك والشريعة والفلسفة .. وانتباهه العجيب الى المظاهر الطبيعية الحية ، والقدرة على وصفها شعرا ..

وتراه يسبغ على تلك المظاهر الطبيعية اوصافا واستعارات وتشبيهات شعرية رقيقة .. فشجرة « الاشوكا » تنثر زهيراتها في مطر من دموع .. والنهر يلبس قناعا قاتما من الضباب .. وتبدو الغابة كرداء ضمته الايدي لتخفي مفاتنها!

ويصور زنبقة الماء عند غروب الشمس بقوله : « زنبقة الماء تغلق اكمامها في مضض عجيب ، كما لو كان يضايقها ان تغلق بابها في وجه النحلة » !..

ويصف لنا جبل الهيملايا ـ سقف العالم ـ في فاتحة ملحمته : « ميلاد اله الحرب » :

« ها هو اله الشمال النائي .. ذو الصفوف الثلجية ،
المشرف على سائر الجبال في عظمة ملكية ،
وكأنما هو مقياس عظيم للارض ، مطلق من التغير ،
يقيس ما بين البحر الشرقي والبحر الغربي ..
هناك حيث يتفيأ انصاف الآلهة ظلال السحب
التي تمنطق قممه السفلى ..
فاذا ما ازعجهم المطر المفاجيء الذي يستر وسطه ،
لجأوا الى قممه الشامخة التي تضيئها الشمس ابدا ..
حيث تتناثر قشور اشجار البتولا ـ قطعا وسيورا
وتخططه مع معادن الارض التي تخالطه
في كلمات مكتوبة تحت اطراف انامل رشيقة ..
في رسائل غرامية تبعث بها الحسان
اما مزاميره فسيقان الخيزران
الممتلئة برياح المغائر التي لا تعرف السكون
وكأنما تحاول ان توقع بنغماتها مع ترانيم الملائكة
تنشدها على قمم الجبال ..
وحيث ترى الاعشاب السحرية المضيئة في الليل
كأنها مصابيح لا تحتاج الى زيت
تملأ الكهوف بضوئها المتلألىء
وتبعث بانوارها الى عشيقات رجال الجبل !. »

ويقول في احدى ترانيمه الغرامية :

« نحلت وجنتاها ، ونحف صدرها وكتفها ..
تعب خصرها ، وشحب وجهها .
انها تذوي في سبيل الحب .. فيا لها من حسناء يرثى لها!
هي مثل غصن الكرمة الذي يذوي في لفحة الرمضاء
انه الحب الذي سبب اللوعة المحرقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو الحب الذي يخفف وطأتها ..
كأنه المطر الذي يهبط في يوم ادكن، فيغسل الكدر ويبعده!»
ويصف كاليداسا الصباح قائلا :
«على اشجار «الجوجوب» تتدحرج قطرات الندى الحيية.
ويستيقظ الطاووس ويترك قش الكوخ ..
ويهب الغزال بقرب المذبح .. ويتمطى ..
ثم يقفز ليستقبل حياة يوم قشيب !. »

* * *

وكانت عقيدة الشاعر الهندي دائما مثار الاهتمام لدى مواطنيه.. والهنود شعب يتمسك باهداب الدين والطقوس. وهنا نرى كاليداسا ـ الشاعر المتسامح الواسع الصدر ـ يجول بين مختلف المذاهب والاديان .. يبجلها جميعا ولا يتعصب لاحداها دون الاخرى .. وتراه في الصلوات التمهيدية التي يقدم بها دراماته ، يمجد « شيفا » راعي الادب ويرنم « لفشنو » في قصيدة : « اسرة راغو » ، و « لبراهما » في ملحمة «ميلاد اله الحرب» .. ولا يذكر عقيدة من تعاليم البوذية او اليوجا او غيرهما دون ان يقرنها بالعطف ..

* * *

وكان كاليداسا بعد ذلك على حظ من الوسامة والرجولة. قيل انه كان يفتن النساء بقدر ما كن يفتنه .. وكان الاطفال ايضا يحبونه بقدر ما كان يحبهم ..

ويبدو انه لم يعان تجربة كبرى تهز النفس ، ناجمة عن شك في العقيدة ، او عن هزيمة في الحب .. بل بالعكس ، كان يخطر بين الرجال والنساء وطيد الخطى ، كأنه بطل من ابطال الاساطير .. وهو لم يزهد في الدنيا ويتقشف ، ويعذب النفس ويتبتل . بل كان يتعشق الجمال في كافة صوره بعقله وحواسه ..

ثم نعلم بعد ذلك ان شعره كان ذائعا في حياته ، وان شخصيته كانت تجذب الانظار ..

* * *

والشائع اليوم ان التراث الادبي الذي خلفه كاليداسا يشمل سبعة مؤلفات: ثلاث مسرحيات ، وملحمتان ، وقصيدة رثائية ، ثم قصيدة وصفية مطولة ..

اما مسرحياته الثلاث فهي :

١ ـ شاكونتالا ـ (وهو اسم بطلة القصة)
٢ ـ مالافيكا ، واجنايترا ـ (وهما اسما البطلة والبطل)
٣ ـ اورفاشي ـ (اسم البطلة)

والملحمتان هما :

١ ـ راغو فانسي (اي ـ اسرة راغو)
٢ ـ كوما رازا مبافا (اي ـ مولد اله الحرب)

والقصيدتان المطولتان هما :

١ ـ ميجادوتا (اي ـ رسول السحاب)
٢ ـ ريتو سمارا (اي ـ الفصول)

وتنسب الى كاليداسا كتابات اخرى ، يجمع النقاد على انها ليست من تأليفه ومنها بحث في الفلك ، ومنها قصيدة بعنوان : « نالا دايا » ـ اي قيام نالا ـ تصف كيف استرد نالا سلطته وثروته .. والارجح انها لشاعر اخر يحمل الاسم نفسه ، وهي مشوبة بالحذلقة اللغوية السخيفة .. والواقع قد يكون هناك ثلاثة من الشعراء القدماء بهذا الاسم . .ولكن واحدا منهم هو الاكبر والاشهر ..

واما المؤلفات السبعة السالفة الذكر ، فهي بلا شك من قلم الشاعر الكبير كاليداسا نفسه .. وما يشك البعض في نسبته اليه من تلك المؤلفات هي قصيدته : « الفصول » ـ وهي لحسن الحظ اقلها شأنا ..

وكذلك ليس ثمة ما يدل على ان له قصائد اخرى مفقودة ذات اهمية خاصة ، اللهم الا اذا صح ان الفقرة الاخيرة من احدى ملاحمه هي ما يرجح فقده .. ولهذا كان لدينا اليوم كل ما كتب كاليداسا ونظم ..

وقد كتب مسرحياته الثلاث على طريقة المسرحيات السنسكريتية ـ نثرا يتخلله بعض المقطوعات الشعرية المنظومة ، ذات الطابع الغنائي او الوصفي ..

واما الملحمتان والقصيدتان ، فمن الشعر المنظوم على غرار الشعر السنسكريتي الكلاسيكي ، الشبيه في طريقته بالشعر الاغريقي واللاتيني .. وهو لا يتقيد بنظام خاص للقافية ، ولا يعتمد في النظم على النبرة بقدر اهتمامه بالكمية .. وهو حتى في الملاحم ينظم في مقطوعات ، ولا يقارن بالشعر الانكليزي المرسل مثلا ..

* * *

وتمتاز مسرحية « شاكونتالا » بشخصية هذه البطلة وروعتها ، كما تختص بالشهرة والاعجاب لا سيما لدى القراء الاوروبيين منذ ان ترجمها السير وليم جونز من البنغالية الى الانكليزية عام ١٧٨٩ ـ ثم توالت بعد ذلك ترجماتها الى عدد من اللغات الاوروبية الاخرى ومنها الالمانية والفرنسية .. وكان جوته بين المعجبين بها ..

ويقول سيلفان ليفي في كتابه ، « المسرح الهندي » :

« ان اسم كاليداسا يسود الشعر الهندي ، ويوجزه في براعة . وما برحت قصصه التمثيلية ، وملاحمه المليئة بالحكمة ، ومرثيته ، تشهد كلها ـ الى يومنا هذا ـ بقوة ذلك النبوغ الباهر السليم .. فوجد فيه بين اتباع « سارا سفاتي » (الاهة الفصاحة) مؤلف فريد تعجب به الهند ، وتعرفه البشرية . وان الترحيب الذي يحيي مولد « الشاكونتالا » في « اوجايين » ، قد ظهر نوره بعد قرون طويلة منتشرا من اقصى العالم الى اقصاه ، يوم نقلها وليم جونز الى الغرب . فعين كاليداسا مكانه في تلك الجماعة من مشاهير الشعراء اللامعين ، حيث يلخص كل اسم منها احدى فترات العقل البشري . ومن مجموع تلك الاسماء يتكون التاريخ ، او قل هو التاريخ نفسه ! »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتقص مسرحية « شاكونتالا » ـ او حكاية الخـــاتم المفقود ـ كيف ان الملك دوشيانتا وقد خرج يوما فى مركبته الى الصيد فى الغابة ، عرج الى دير عظيم فى طريقه ليستريح. وبينا هو يسير فى بساتينه ، وقعت عينه على بعض عذارى الدير وبينهن الحسناء شاكونتالا ربيبة رئيس الدير «كانوا» فبهره جمالها ووقع فى حبها ، وتظاهر بانه موظف فى قصر الملك ، واستطاع ان يقترب من الحسناء ويتحدث اليها.. ثم تركها وعاد مشغولا بها يؤرقه الحب .. ورجع بعد ايام للصيد على مقربة من الدير وسمع النساك بوجوده فى تلك الناحية ، فدعوه الى ديرهم وقبل الملك دعوتهم مغتبطا ، وراح يتجول فى البساتين متنهدا شارد اللب، مناجيا «كاما» اله الحب ، الحامل للسهام الخمسة ، وفى طرف كل سهم زهرة ، وعلم هناك من صديقاتها انها مريضة حبا .. ومـا لبث ان تقابل الحبيبان تحت الخمائل وتشاكيا الهوى ، ثم عقد الملك زواجه منها ، واهدى اليها خاتما ملكيا يثبت هذا العقد المقدس .. وبعد ايام عاد الملك الى عاصمته وترك شاكونتالا فى رعاية الدير .. ولكن الرهبان رأوا ان يرسلوها الى قصر زوجها مكرمة بعد ان ودعوها اجمل وداع، وصحبها بعضهم الى هناك .. ولكن عندما تصل شاكونتالا وتواجه زوجها الملك ، تفتقد الخاتم فلا تجده ، ولعله سقط منهـا وهي تستحم فى النهر المقدس .. وتحل اللعنة .. ويفقد الملك ذاكرته فلا يعرفها ولا يذكر انه تزوجها وانها سـوف تلد له ابنا .. وتخرج الحسناء تجر ذيول الخزي والحزن والالم .. وبعد ايام يحضر الشرطة بعض صيادي السمك ومعهم الخاتم المفقود ، وتعود الى الملك ذاكـرته فيحزن ويمرض ، ويدور يبحث عن حبيبته فيجدها ومعها طفـل جميل هو ابنه .. وتعود السعادة فترفرف على الجميع!.

هذه خلاصة حوادث المسرحية الغرامية الهندية ..وقد كتبها الشاعر بالنثر الشعري الذي تتخلله مقطوعات واغان منظومة وحكم ونصائح .. وجعل مسرحها غابات الهنـــد وبساتينها ، واضاف الى ابطالها وحسانها ونساكها بعضا من آلهة الاساطير ، وما يدور حول هذه الآلهة من عقائـد وطقوس وخيالات . ولكن ما جعلـــها تخلد الى جانب مسرحيات شكسبير ، وتبقى صالحة للتمثيل والاخراج على المسارح الحديثة الى اليوم ، هي براعة الحوار ، والمام الشاعر بالفن المسرحي ، والحبكة الروائية ، الى جانب قوة الخيال والشاعرية والاسلوب .. وقد تزداد روعة اذا اخرجـت فى شكل اوبرا او اوبريت ..

* * *

اما مسرحية « مالافيكا واجنايميترا » فاقل من اختيهـا (شاكونتالا ، واورفاشي) فى المستوى الدرامي والشعري.. ولكن بطلتها « مالافيكا » وبطلها « اجنايميترا » اكثر بساطة وانسانية من ابطال المسرحيتين الاخريين ..

وقد استطاع ادباء الغرب ان يطلعوا على هذه المسرحية ايضا منذ عام ١٨٤٠ يوم حققها الدكتور تلبرج ، ثم ترجمها الى الالمانية الاستاذ وبر عام ١٨٥٦ ـ وبعد ذلك تعـــددت ترجماتها الى سائر اللغات الاوروبية ..

وكذلك الدراما الثالثة « اورفاشي » ... فبالرغم مـن روعة ما بها من فقرات غنائية عذبة الشعر ، ومن دقـــة التفاصيل ، فهي اقل قوة مسرحية من سابقتيها ..

وقد ظهرت لها منذ عام ١٨٣٣ ترجمات الى الفرنسية والانكليزية والالمانية ثم الى لغات اخرى نظما ونثرا ..

وتشترك مسرحيات كاليداسا الثلاث فى عقدة درامية متماثلة ، تدور حول الحب الشعري الذي تصادفه الصعاب والعقبات . ثم ينتهي بخاتمة سعيدة موفقة ..

* * *

اما ملحمتا الشاعر فاولاهما : « اسرة راغو » ـ وهـي ملحمة شعرية طويلة ، استمد كاليداسا موضوعها مـــن الملحمة الهندية الكبرى « رامايانا » القديمة العهد ، والتي تقص فى اسهاب تاريخ راما الفارس الاسطوري المغوار .. ويستهل كاليداسا ملحمته هذه بقصة مسهبة عن اسلاف راما ، وكانوا الحكام الاقدمين لمقاطعة « ايوديا » .. وتقع تلك الملحمة التي نظمها كاليداسا فى نحـو ستة الاف بيت مـن الشعر ! .

والمعروف ان الملاحم السنسكريتية القديمة الكبرى وهي : « المهابهاراتا » و « الرامايانا » وقصة كريشنا كما سردتها « البهاجافاتا بورانا » و « الارتاساترا » ثم «الفيدا» ـ التي تعود فى رأي البعض الى القرن العاشر قبل الميلاد ـ كانت كلها المصدر الذي نبع منه الادب الهندي من وجهة عامة ، وما تأثر به شعراء الهند القدماء والمحدثين ..ومنهم شاعر الهند العظيم تاجور .. هذا غير ذلك الانتاج الفلسفي الضخم فى الاداب السنسكريتية ، والبالية، والبراكريتية.. والذي يعبر عن مختلف مدارس الفكر فى الفلسفات البرهمية والبوذية والجينية ..

على ايدي تلك المدارس الهندية الفكرية تثقف كاليداسا وغيره من شعراء الهند، وتأثروا بها فى اساليبهم وخيالهم..

* * *

وموضوع الملحمة الثانية : « كومارا زامبافا » ـ ميلاد اله الحرب ـ يدور حول اسطورة مولد « كومارا » الـه الحرب ، والمسمى ايضا « كارتيكيا » او « سكاندا » .. وبها الكثير من الابيات البديعة ..

وجرت العادة ان يطلق النقاد على كل من هاتين الملحمتين اللتين نظمهما كاليداسا ، اسم « الملحمة » .. فان اللفظة الهندية « كافياس » تعني « ملحمة » .. ولو انهما تختلفان كثيرا عن ملحمتي المهابهاراتا ، والرامايانا ، الشبيهتـــين بالالياذة والاوذيسية . فهما من ناحية المظهر يبعدان عن ان تكونا قصيدتين قوميتين ..

وتعني الكافياس فى الهند ، قصيدة قصصية ينظمهـا شاعر ملم باصول النظم والبيان ، ويتخذ الموضوع مـــن ميثولوجيا يمجدها الزمن .. وتقسم القصيدة عادة الـى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقطوعات تنتظمها ابيات موزونة ، تتشابه اوزانها فى سياق القصيدة فيما عداالابيات الختامية التي تختلف فى اوزانها عن باقي القصيدة ..

وبالجملة فهما قصيدتان من ملاحم المغازي والفروسية والبطولة والحب .. ينتثر فى ثناياهما تمجيد الحب العظيم بين الرجل الممتاز بالقوة والشجاعة والبطولة والكرم ، وبين المراة الجميلة العفيفة الحسنة الصفات .. ولكنهما كسائر الملاحم القديمة من هندية ويونانية ولاتينية ، تعتمد فـي حوادثها على الميثولوجيا والتقاليد الدينية والاجتماعيـة الموروثة والشائعة فى بيئاتها ..

* * *

وتصف قصيدة كاليداسا الغنائية : « ميجادوتا » ــ اي رسول السحاب ــ شكوى عشيق منفي ، يبعث مع سحابة، برسالة الـــى زوجته الحبيبة .. ويسودها الاحساس العميق ، ووصف الجمال الطبيعي فى مختلف صوره.. وقد وصفت هذه القصيدة بالمرثية كما اطلق عليها بعض النقاد الهنود « كافياس » .. ولكنها فى الواقع لا تعني تماما هذه او تلـك ..

كما تصف قصيدة : « الفصول » ــ فصول السنـة الستة كما يعدها اهل الهند ــ وما يختص كل منها مـــن مظاهر طبيعية وصور جمالية .. وتجد لها مثيلات فى آداب الامم الاخرى ، فلا تتفرد باهمية خاصة ..

* * *

وليس من السهل تحديد التاريخ الزمني لكل من تلـك الاعمال الادبية .. ومع ذلك فلسنا من هذه الناحية فـي ظلام مطبق .. فأن « مالافيكا واجنيمترا » هي اولـــى دراماته فى نظر الكثيرين ، ويليها : « شاكونتالا » .. ثـم « اورفاشي » التي كتبها الشاعر فيما يبدو حينما اخذت تضعف قواه الخلاقة .. وكذلك نرى مـــن المقطوعات التمهيدية « لاسرة راغو » ان هذه الملحمة سبقت اختهـا « ميلاد اله الحرب » فى تاريخ نظمها .. ونظرة شاملة الى شعر كاليداساترى ما يمتاز به من خيال مبدع ثري ،وتذوق عميق لجمال الطبيعة ومحاسن الكون ، مع مقدرة فائقـة فى الوصف والتصوير ، مما يضع هذا الشاعر فى مصـاف كبـار الشعراء ..

ويرجع مجده الى الكيف لا الكم ، فقد كانت كثرة الانتاج فى الهند القديمة دليلا على المقدرة والاصالة ..

ولقد استطاع كاليداسا ان يكسب محبة الناس،واعجاب مواطنيه فى طول الاجيال .. فمنذ ١٥٠٠ سنة كان كاليداسا يقرأ فى الهند اكثر مما يقرأ مؤلف غيره كتب مثله باللغـة السنسكريتية .. وكانت هناك منذ القديم محاولات للتعبير عن مقدرته الفنية . ومن ذلك ابيات نقدية نظمها « بانـا » القاص المشهور فى القرن السابع يقول فيها :

« اين تلك النفس التي لا يهزها شعر كاليداسا ؟

حين تصادف السطور الرقيقة التي لا مفر من التأثر بها!

كأنما هي طاقات زهر فى حلاوة العسل ! »

وكاتب اخر احدث عهدا يقارن بين شاعرين كبـيرين فيقول : « بهاسا هو الفرح ، وكاليداسا اللطف والكياسة»!

وقد يقال ان كاليداسا لم يلق فى اوروبا ما هو جدير به من التقدير ، ومع ذلك فهو الشاعر السنسكريتي القديـم الوحيد، الذي اشتهر فيها وترجم الى لغاتها .. فلقد كانت لغته اول الامر تحول دون اشتهاره باوروبا حيث ندر بها من يعرف السنسكريتية ، فما ان قام وليم جونز عام١٧٨٩ بترجمة الشاكونتالا ــ كما سلف ــ حتى قابلها الادبـاء الاوروبيون بحماسة واعجاب.. وسرعان ما ظهرت ترجمات جديدة لهذه المسرحية ولجميع آثار الشاعر الاخرى .. وبذلك قراها الالوف من اهل الغرب ، كما رأى الوف اخرى مسرحياته تمثل على بعض المسارح الاوروبية .. وممـا ساعد على تقبل الغربيين لهذه التمثيليات الهنديـة ذات الطابع الخاص والذاتية البارزة ، انها اقرب الـى المسرح الاوروبي الحديث من المسرحيات اليونانية القديمة .. لانها فيما عدا استثناءات قليلة لا تدور حول القصص الديني بقدر ما تدور حول الحب بين الرجل والمراة .. وقد تجد بها العناصر التراجيديةولكن تندر بها الخاتمةالتراجيدية.. وكذلك لا تستحب على المسرح الهندي مناظر القتل والصدام والدم .. بل يستحب الغناء والموسيقى وجمال الطبيعة .. واخيرا فقلما توجد بها المنولوجات الطويلة المملة .. وقـد تكون الدرامة الهندية اقل حركة من الدرامة الاوروبيـة الحديثة ، ولكنها اكثر منها فتنة شعرية ..

* * *

فهناك اذن من الاسباب ما يفسر احتفاظ هذا الشاعر بشهرته ومجده خلال ما يقرب من خمسة عشر قرنا مـن الزمان ، كما احتفظ بهما هوميروس وفرجيل مثلا :

ــ فقلما وجد شاعر قديم اخر تغنى بالحب القوي السعيد بين المراة والرجل ، كما تغنى به كاليداسا .. فكل مؤلف له يعد قصيدة من قصائد هذا الحب .. على ان كل مؤلف منها يختلف فى طريقة العرض عن الاخر .. وشعره الغزلي ينساب اليوم فى آذاننا فنطرب له كما طرب له مواطنوه فى الجيل الميلادي الخامس..وما كان مثل هذا الشعر الغرامي ليخلد لولا انه خلو من كل احساس مصطنع عقيم !

ــ وانك لترى الشخصيات النسائيـة فى شعر كاليداسا تلائم الروح العصري ولو كانت اكثر من ملاءمة رجاله له.. فبالرغم من ان فضائل رجاله هي الفضائل نفسها فى كـل زمان ومكان ، فان فى تصويرها بعض الاختلاف بيـن عصر الشاعر وعصرنا هذا .. ولكن المراة الفاضلة قلما تختلف فى عصر عنه فى اخر .. هذا الى ان النفس البشرية لا يتغير جوهرها بتغير البلاد وتعاقب الزمان وانما تتبدل العادات والمظاهر ..

ولست تجد شاعرا ــ الى جانب شكسبير ــ صـــور للعالم مجموعة مـن البطلات ذوات الشخصية العالمية ــ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بطلات صادقات رقيقات باسلات ـ مثلما اخرج لنا كاليداسا صور : شاكونتالا ، واندوماتي ، وسيتا ، وبرفاتي ، وعروس ياكشا ...

ـ وكذلك ترى حب الطفولة صادقا فى شعر كاليداسا.. فهو لم يستطع ان يحب المراة دون ان يحب الطفل .. وفى شعره صور بديعة للاطفال لا تنسى ..

ـ اما حبه للطبيعة وجمال صورها ومفاتنها ، فظاهرة تسود كل كتاباته.. وحتى الزهرة الدقيقة تأسر انتباهه.. فهناك حياة خالدة مقدسة فى النبات والحيوان والانسان تجتمع فى وحدة لا تتجزأ .. ولقلما تجد بين الشعراء حتى الهندوس منهم من عبر عن احساسه هذا بمثل تلك الصور الجميلة ، والتشبيهات الشعرية الرقيقة ، كما عبر كاليداسا وتبعه فى ذلك الشاعر الهندي العظيم رابندرانات تاجور فى عصرنا هذا ..

وانه ليشخص لك الانهار والجبال والاشجار .. فهي عنده ذات شعور مستقل كالحيوان او الانسان او الآلهة.. ويرى ناقد انه كي يتفهم المرء مثل هذا الشعر ، عليه ان يقضي زمنا بين الغابات والجبال التي قلما تطأها قدم انسان .. فهناك يزداد اقتناعا بأن للاشجار والنبات والازهار ذوات شاعرة بحياتها ، سعيدة بها .. فى حين تضمحل تلك الرؤيا اذا عدنا الى البيئات الحضرية الصاخبة !

ثم ان نظرة كاليداسا الى صور الطبيعة ليست بالنظرة الشعرية فحسب ، بل هي ايضا نظرة العالم المتفحص المدقق .. وليست الثلوج ، وموسيقا الرياح فى الهيمالايا، والتيار المتدفق فى نهر الكنج المقدس ما تأخذه روعتها ، فهناك ايضا ادق الازهار ، واصغر الاشجار والنهيرات وقطرات المطر ..

ومن البهيج ان نتصور لقاء بين كاليداسا وداروين ـ كما قال ناقد اخر ـ فانهما يفهم كل منهما الاخر كل الفهم .. لان فى كل منهما ذلك الخيال نفسه الذي تحركه قوة الملاحظة ، ودقة العلم ..

او لقاء بينه وبين شكسبير .. ففي كل منهما تلك البصيرة السحرية التي تدرك الجمال الطبيعي ، وفى ان كلا منهما شاعر القلب البشري .. فترى فى قصيدة كاليداسا: « رسول السحاب » ان نصفها الاول وصف للطبيعة الخارجية التي يكمن الشعور البشري فى قلبها ، بينما نصفها الثاني صورة للقلب البشري ذات اطار من الجمال الطبيعي.

لقد فهم كاليداسا فى القرن الخامس الميلادي ما لم تفهمه اوروبا حتى القرن التاسع عشر بل حتى الان ، ان هذا العالم العظيم الجميل لم يخلق للانسان وحده .. وان الانسان لا يصل الى كماله حتى يتحقق من قيمة الحياة غير البشرية وكرامتها ايضا ..

واما عن اسلوب هذا الشاعر فيرى ناقد انكليزي انه يمكن مقارنته بملتون او تنيسون اكثر من شكسبير او بيرنز .. فلقد كان متمكنا من علمه فى عصر وفى بلد يستهجنان الاهمال.. وكان لا ينغمس فى العبارات المتحذلقة المفتعلة التي كثيرا ما تنفر القارىء الاجنبي من بعض شعراء الهند الاقدمين ..

والحق ان الاثر الذي يتركه شعره عامة فى نفس القارىء يؤكد رهافة ذوقه ، وسلامة تعبيره ، وثراء خياله .. ولهذا لم يستطع العالم ان يدعه وشأنه حتى اليوم ، ويطويه فى زوايا النسيان !..

الاسكندرية

نقولا يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بوح

اماه روحي تستجيب اليه ... وتود لو تغفو على زنديه
وحنين قلبي سكرة مخضلة ... تحسو عبير الوجد من عينيه
ونداؤه اماه لي اغنية ... خضراء تعبق من شذى رئتيه
ان غازلت ثوبي يداه حسبتني ... « طفلا اعادوه الى ابويه »
اماه اني قد عشقت وداعة ... سمحاء تمرح فى دجى عينيه
وبراءة تعلو سناء جبينه ... وتكاد تفضح ما يسر لديه
وحلمت اني قد عبثت بشعره ... وبان ثغري لاثم شفتيه
وبان صدري قد تسلق صدره ... ونثير شعري ماج فى كتفيه
حادثته فسمعت نغمة قلبه ... تشدو باني قد قسوت عليه
قد قال لي (اني رفيقة دربه ... وبانني الحب الوحيد لديه)
شالي فساتيني عطوري كل ما ... نسجت يداي مشوقه ليديه
اماه اني سوف يقتلني الظما ... ان لم اعب الشهد من شفتيه

بغداد

مزيد الظاهر

ظلم الدروب

ثريا ملحس

لمـــاذا الشر يتبعني عنيدا
لماذا كنت في قَسَمي قديدا ؟
اردتُ العقل يصحبني سديدا
فأدهشتُ السرى ومدى بعيدا

*

وصوت عادني وحنانُ ربي
وحسٌ عامرٌ لابي وامي
حبستُ الصوت في ، دفنتُ عيني
باجفاني ، اتمتمُ في انحنائي :
أيا ربي فقدتك في ضباب
اغض الطرف ، اسدلُ بالسرابِ
وعمري ما دريتُ لها بقابِ
لماذا لِمْتي انفرست بغابِ ؟

*

تعود الذكريات كحُلْمِ ليلهْ
لماذا ؟ اين كنت ؟ كلمح رقهْ
بخط ناحل قلق وقسوهْ
فتنهار الوعود من القلوبِ
كطفل خاف من ظلَم الدروبِ
يتيم حائر لغد غريبِ

*

وصوتٌ عادني وحنان ربي
وحسٌ عامرٌ لابي وامي
حبستُ الصوتَ فيَّ، دفنتُ عيني
باجفاني ، اتمتمُ في انحنائي
.
.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت ... قصة



بقلم منيرة عبد الجواد دكروري



الساعة الان السابعة مساء والجو حولي هادىء ساكن ، اخوتي تناولوا شاي المساء الذي تعودا عليه ، وبدا كل منهم في مذاكرته استعدادا للامتحان ، وانا انتهيت مما علي من اعمال المنزل وليس لدي ما يشغلني في المنزل او العمل فقد انتهيت من اعداد كل ما يلزمني للسفر في الرحلة التي سأقوم بها للجريدة ورتبت كل شيء لشقيقتي حتى لا تتعب في ادارة المنزل اثناء سفري وهذا بالي ، والخادم الصغيرة انتهت من غسل اكواب الشاي وجلست تلهو بلعبها التي تقضي معها وقت فراغها ... الجو حولي هادىء تماما ولطيف وملائم للكتابة . كم انتظرت هذه الفرصة ؟

منذ مدة طويلة وانا اتوق الى لحظة فراغ استطيع فيها ان اكتب هذه القصة التي تدور فكرتها في رأسي ، لقد تشبعت بها وتعمقتها، بل وعشتها لقد سيطرت على تفكيري سيطرة تامة ، وكثيرا ما شردت مع شخصياتها وما يدور بينهم من حوار ، اني احس اني امتلأت وتشبعت بالفكرة لدرجة اشعر معها انه لا بد وان اكتبها ... لا بد ، فانا لا استطيع البقاء اكثر من ذلك دون كتابتها ولدي رغبة اكيدة في التخلص منها بكتابتها .. رغبة قوية ملحة.. واليوم، وانا بالاتوبيس شردت مع شخصيات القصة واحداثها ونسيت محطة نزولي ..

وها هي الفرصة قد سنحت لي اخيرا لاستطيع الجلوس وتستطير القصة ..

انها لن تستغرق مني الكثير اذ اكاد اكون قد حفظت الفاظها من كثرة تفكيري فيها ... لن يستغرق الامر اكثر من الساعة على اكثر تقدير .. كم من قصة لي جنى عليها ضيق الوقت . ابدا القصة واكتب منها عدة صفحات ثم اضطر الى تركها مرة ومرة حتى انساها تماما او لا استريح لها بعد ان اتمها واشعر انها كالثوب المرقع كل قطعة منه من لون او قماش ولا ارضى عنها واحيانا احس بها مهلهلة فقدت الخيط الذي ينتظمها فامزقها .. ولذا بت احزن لكل قصة تخطر فكرتها على فكري ، احزن خشية الا تتاح لي الفرصة السانحة لكتابتها فيضيع انفعالي بها وتفكيري فيها هباء .

واليوم شكرا لله فقد انتهيت من كل ما يشغلني ولا انتظر زيارة من صديقة او قريبة ولن اذهب الى الجريدة هذه الليلة فالوقت امامي متسع والجو ملائم .. وشرعت في الكتابة .

شمس ابريل المشرقة تعلن عن مقدم الربيع وتغمر الكون باشعتها الساحرة فيبدو وكأنه يبتسم فرحا بذهاب برد الشتاء ومقدم الربيع ، وتتخلل اشعتها الدافئة الاجسام فتبعث فيها الدفء والنشاط وتتسلل الى النفوس فتفتح فيها براعم الحب وتلقى فيها بذور الامل والرجاء وتزيد من تعلقها بالحياة والحياة تبدو جذابة مغرية تدعو الى التمتع بمباهجها والاغتراف من ملذاتها ومسراتها .. ومع ذلك فالشلة يخيم عليها الوجوم والكآبة رغم الحديقة التي تطل عليها الشرفة التي تجلس فيها الشلة والتي دبت فيها الحياة بقوتها وحيويتها فاورقت اشجارها واكتست بعد عري ، وبرعمت بعد عقم . والزهور تعبق الجو باريجها العطر فيحمل الفكر يسبح في اودية الخيال الرحبة الواسعة ، ينعم بآفاقها اللامتناهية التي يصورها خياله كما يشاء ... ورغم هذا الجو الممتع الجميل فالشلة يخيم عليها صمت ثقيل كئيب قاتم وضيق يجثم على صدورهن ويتبادلن النظرات ثم تلتقي نظراتهن عند آمال نظرات تحمل التساؤل والتعجب . كيف عرفت اليوم باجتماعهن ولماذا حضرت ؟ انهن لا يرغبن في وجودها بينهن الان على الاقل وهي مع ذلك لا تفهم او تتصنع عدم الفهم ولا تقوم. وتسترد كل واحدة من الشلة نظراتها وتشرد في اتجاه يخالف الاخرى ولكنهن يعدن ويلتقين في نقطة واحدة. ان سناء لم تحضر بعد .. سناء التي اجتمعن اليوم من اجلها عند عفت .. انها عادة قديمة في الشلة ان يجتمعن عند اي واحدة منهن لمناقشة اي امر او مشكلة يعتبرنها هامة في نظرهن بالنسبة لاي واحدة منهن .. المهم بالنسبة لاحداهن مهم بالنسبة لهن جميعا ... الكل يعرفن عن بعض كل شيء لا اسرار بينهن ولا حواجز .. المشاكل يتعاون جميعا على حلها .. ولا بد من اخذ الراي .. كم مرة اجتمعن . كثيرا .. كثيرا .. كثيرا جدا ، منذ ان بدان بعين الحياة ويشعرن بها ويواجهنها .. اجتمعن لابداء الراي في دخول الكليات ، وقبل ذلك للالتحاق باقسام التخصص ، ثم لمناقشة موقف سهام من فتاها ... هل تنتظره وتقف في وجه ابيها ولا تتزوج الشاب المتقدم لها ؟ او ترضخ له وتبتعد عن فتاها ؟ واجتمعن ليقررن ان مجدي لا يبغي من علاقته بهدى سوى اللهو والتسلية ولا يبادلها العاطفة والاخلاص ولا يصلح لها وعليها ان تتركه وتواجه الامر بالحزم والشجاعة ولا تضعف امام اسطواناته التي تعود ان يغنيها عليها ويخدعها بها.

وفجأة دخل اخي الصغير :

ـ ابله .. ابله . لماذا انت هنا بمفردك ولست معنا في حجرة المكتب؟

ـ اريد ان اجلس بمفردي قليلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلدي اشياء اريد كتابتها .

ـ اتكتبين قصة جديدة ؟

ـ نعم .

ـ اعطيني ما كتبتيه لاقراه ... ما فكرتها .. عن اي شيء ؟

ـ انتظر حتى انتهي ثم اقراهـا كلها ، هيا عد الى درسك ؟

ـ ليست لدي رغبة فى المذاكـرة الان ، لم استطع فهم مسألة جبـر فذهبت رغبتي فى المذاكرة ..اشرحيها لي حتى احلها .

ـ انتظر قليلا حتى افرغ واشرحها لك .

ـ ستأخذ القصة منك كثيرا مـن الوقت ... اشرحي لي اولا .

ـ كلا .. لن تأخذ كثيرا ، لقـد اوشكت ان انتهي منها .

ـ اذن اشرحي لي اولا ثم اتمـي القصة .

وامام الحاحه نحيت الورق جانبا وشرحت له المسألة . وعدت اقرا ما كتبت لاستعيد جو القصة ثانيـة واستطيع مواصلة كتابتها، وكان لزاما علي ان اعاود التفكير فى القصة مـن جديد وانفعل بها ثانية لاستطيع ان احافظ على الجو الذي يسودهـا والوحدة التي تربطها وبدات اكتب .

... واجتمعـن ايضا ليناقشن موقف صديقتهن آمال من سناء وكيف ان امـال خانت صداقتهن جميعـا لاصداقة سناء فقط حينما خانـت سناء مع خطيبها الذي تحبه وفكـت سنـاء الخطبة ، حقيقة ان امـال اعترفت بخطئها واعتذرت وقبلـت سناء اعتذارها، ولكنها والشلة جميعا اصبحن لايثقن بامال ولا يدعونها لاي اجتماع واصبحت فى نظرهن اقـرب الى مجرد المعارف منها بالصديقـة ، ولكنها لم تحس ولم تفهم ولم تنقطع عن الشلة . كل واحدة تعاملها معاملة رسمية ولكنها لا تفهم ولا تحس .. واليوم . الشلة مجتمعة لتمنع تصرفا جنونيا تهم سناء بالقيام به .. سناء التي كانت مثار العقل والحكمة بينهن سناء المخلصة الوفية لهن جميعـا ولكل من تعرفه تهم اليوم بالاقدام على تصرف ليس فيه شيء من الحكمة او العقل او التروي .. كانت دائمـا العقل المدبر والراي السديد فى الشلة ولكنها منذ حادث آمال اصبحـت منطوية عن الشلة . اصبحن يشعرن بان هناك حاجزا غير مرئي يحجبهـا عنهن ، مجرد شعور تحسه كل منهن ولكنها لا تجرؤ على مصارحة غيرهـا به حتى لا تتهم بسوء الظن ، فسناء اول من يشارك فى المسرات والاتراح ، لا تبخل براي او نصيحة او معونـة او خدمة ما دامت فى استطاعتها ولو كلفتها مشقة وجهدا .. كانت تبدو امامهن دائما مثال الانسان الذي تسير حياته سيرا هادئا صافيا بلا منغصات هل يمكن ان تسير حياة اي فرد في اطراد مستمر وفى خط مستقيـم دائما ابدا ؟.. ولكن هكذا كانت سناء تظهر لهن حياتها .. لماذا ؟ لماذا لـم تعد الصديقة التي تنفض مشاكلهـا بين يدي صديقاتها كما كانت ؟

وسقط القلم من يدي على الورق وانا اقفز من مكاني مذعورة على صرخة مفاجئة من الخادم الصغيرة واسرعت الى حيث تلعب فوجدتها تبكي وتنتفض خوفا وابن اخي يقف بجوارهـا يضحك .. لا بد انه العفريت الصغير ابن اخي كما هي العادة . وفعلا كان هو .. لقد اخفى ضفدعة حية مـن الضفادع التي تقوم اختي الطالبـة بكلية العلوم بتشريحها واخفاها فـي علبة من علب الورق التي تلعب بها ، عندما فتحت الصغيرة العلبة وهي لا تدري قفزت منها الضفدعة فافزعتها ووقف هو يضحك عليها من اعماقه. طيبت خاطرها وجريت اليه اعـرك اذنه وعلى وجهي تكشيرة بذلت اكبر جهد لرسمها واذا بيد هذا الشيطان الصغير ذي الثمان سنوات تسرع الي تدغدغني ويغمز لي بعينيه فانفجرت ضاحكة وينفلت هو مسرعا الى احدى الحجرات ويغلق عليه بابها .. انـه عفريت صغير هذا الطفل ، لا يكف عن تدبير المقالب لكل شخص فى المنـزل صغير او كبير ، وهذا ما يجعل لـه مكانة كبيرة فيه . ولذا فعندما يسافر الى والديه فى الاجازة نشعر بفـراغ كبير ولا نستطيع تركه يقيم عنـدنا طوال الاجازة ولا نستطيع فراقه . ان البيت بدونه يصبح هادئا هدوءا ثقيلا يجثم على الصدر ويكتم الانفاس ولكن وجوده يشجع فيه الحركـة والشغب والحياة . لا يهدأ فى حجرة ولا يكف عن المشاغبة ولا يستقر في مكان ، شعلة من الحيوية وخفة الدم ذلك الجني الصغير .

وعدت الى حجرتي استأنف الكتابة.

... لماذا لم تعد ثناء كبقية افراد الشلة تنفض امامهن متاعبها ومشاكلها؟ هل ذهب تصرف آمال تجاهها بثقتها فيهن جميعا ؟ صحيح انها تحدثهن عن عملها وزملائها فيه ، عن اخوتهـا فى المنزل من نجح ومن تخلف ، عـن اشياء اشتروها او ترقية نالها والدها، عن مرض والدتها ولكن كل هذه اخبار عادية يعرفها الجيران ومن يترددعلى الاسرة، اما الاسرار التي من المفروض الا يعرفها الا الاصدقاء المقربون فقـد اصبحن لا يعرفن عنها شيئا . هـل ليس لها متاعب واسرار حقا ؟ محال والدليل ما ستقدم عليه واجتمعـن من اجله لمناقشة اليوم . لقد اخبرت شقيقتها احداهن ان سناء مصرة على قبول خطبة مديرها لها ، ذلك المدير الذي قارب الستين عاما المتصابي . ورجتها ان تتدخل هي وبقيـة الصديقات فى اقناعها بان ما ستقـدم عليه عمل جنوني ، وانها تدفن نفسها وتبيع شبابها ، ورجتها ان يعرفـن منها الدافع الى هذا التصرف الذي لم يكن منتظرا منها ابدا ...

ودخلت الخادم الصغيرة وهـي تجري .

ـ واحدة اسمها نوال تسأل عليك يا سيدتي .

ـ نوال ؟.. نوال من ؟..

ـ لا اعرف . لم ارها من قبل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غريبة من نوال هذه ؟ امس اخبرني عامل التليفون بالجريدة ان آنسة اسمها نوال سألت عني مرتين ولم اكن موجودة بدار الجريدة . واليوم ايضا سألت عني ثلاث مرات كنت في الاولى عند رئيس التحرير وفي الثانية لم اكن على مكتبي وفي الثالثة قد انصرفت لم تسأل عني بهذا الشكل وتزورني. كيف عرفت عنواني وجاءت لزيارتي دون سابق موعد ؟

ودخلت علي اختي ووجهها مقطب وقالت في قرف واشمئزاز ضيق .

ـ نوال هانم في حجرة المكتب

ـ من نوال هانم هذه ؟ ولم حجرة المكتب وليس حجرة الجلوس .

ـ انسيتيها ؟.. ولكنها لم تنسك بعد . او بالاصح جد لديها طبعا ما يستدعي تذكرك . نوال هانم حمدي. لا بد انها عرفت انك مسافرة بعد ايام قليلة . ادخلتها حجرة المكتب لتحس اننا نذاكر وان الامتحانات على الابواب فلا تؤانس كالعادة وتمكث الساعات الطوال .

وخفضت راسي متصنعة اني اجمع اوراق الكتابة لاواري عن اختي لمحة الالم والخجل التي كست وجهي ولاتفادى نظراتها .. وتذكرت نوال وتعجبت .. ان شخصية نوال لا تفترق كثيرا عن شخصية آمال التي اكتبها الآن ان الاسمين متقاربان في نغمة الصوت وفي وقعهما على الأذن. أهي مجرد صدفة او هو عقلي الباطن الذي املى علي هذا الاسم؟ لقد قررت وبذلت كل جهدي منذ عامين على ان انسى نوال . وفعلا نفضت يدي منها وابعدتها عن خاطري وحياتي ، لم تعد لي مقدرة على تحليلها، وان كنت واثقة في نفس الوقت انها ستعود الي في يوم من الايام ، فهذه هي عادتها تسيء الي او الى احدى الصديقات وتملأ الدنيا ضجيجا ، وتمتنع عن الواحدة منا ثم تحتاج الى خدمة او نقود او تسمع اني ساسافر في مهمة خارج مصر فتأتي ببساطة وتقول بالانكليزية : « انا آسفة على ما حدث يا سيدتي» ثم تقضي ساعتين او ثلاث وتطلب ما تريد من خدمة او اي شيء وتكثر من التردد علي في الجريدة او في البيت وتتخذني اعز صديقاتها . ثم يأتي ظرف تظن اني سأحتاج لها فيه او قد اطلب منها خدمة او ان عليها ان ترد جميلا او تقدم هدية في مناسبة ما. فتختلق سببا للقطيعة وتملأ الدنيا ضجيجا باني قد اسأت اليها وتمتنع عن الحضور حتى تحتاج لي من جديد فتعود من نفسها لتكرر جملتها المعهودة والصديقات يلمنني لاني لا اعاتبها واستقبلها وانسى اساءتها واقدم لها ما استطيع من خدمات مادية او معنوية ولا انساها اذا احضرت لهن الهدايا ولكنني لم اكن استطيع التصرف معها سوى هذا التصرف . فانا اعرفها منذ الطفولة واعذرها في تصرفاتها تلك.. اعرف البيئة التي تعيش فيها ، جو اسرتها .. انهم اسرة وصولية قيمها الخلقية والاجتماعية مختلفة ومتضاربة يتشاجر فيها الفرد مع الاخر او مع صديق او قريب . فيقول كل ما يعرفه عنه ، ما يصح وما لا يصح ويقاطعه ، فاذا ما احتاج اليه عاد اليه ببساطة ودون ما خجل او ندم او شعور بالكرامة .. نوال نفسها قالت اكثر من مرة « الصداقة والحب كلام فارغ لا اؤمن به، اؤمن بالمنفعة فقط » وكانت حياتها كلها يسودها هذا المنطق او الشعار . ترى ما الذي دفعها الى زيارتي هذه المرة ؟ هل عرفت اني استعد للسفر الاسبوع القادم فجاءت بجملتها المعهودة لتكلفني بشراء شيء لها تدفع ثمنه عندما اعود ، تدفعه كعادتها على مبالغ متفرقة او احرج فأعتبره هدية مني لها ، لكي لا انساها فيما سأحضر من هدايا ؟ اني اعرفها تماما . واعرف نفسيتها . ولكني لم اكن استطيع احراجها او رد طلب لها ما دام في امكاني ذلك ، كنت اخجل من نفسي ان اتصرف مثل هذا التصرف وانزه نفسي ان تتنزل الى درجة تصرفاتها معي وابرر مسلكي امام اسرتي والصديقات بأني اتصرف معها كما احب ان تتصرف معي لا حسب تصرفها الفعلي . ولكن موقفها الاخير كان جرحا كبيرا لكرامتي ، كان طعنة في الصميم جعلني اخجل من مجرد ذكر اسمها في المنزل امام اسرتي ، جعلني اعتبر معرفتي بها وصمة عار لحقت بي اود من صميمي لو امكن حذف هذه الفترة من حياتي وعاهدت نفسي ان اقطع كل صلة لي بها. كنت قد سئمت جملتها المعهودة واعتذارها الزائف الذي لا تجد في نفسها الشجاعة الكافية لتقوله بلغتنا التي نتخاطب بها، او الذي ربما تتعالى عن الاعتراف به لتزعم بعد ذلك وتقسم انها لم تعتذر كان تصرفها الاخير هذا هو القطرة التي جعلت كأس صبري يفيض فقررت اخراجها من حياتي ونسيانها . كان تصرفها هذا مخجلا ومؤلما معا فساعدني بجانب انشغالي في العمل وظروف منزلي التي لم تكن سارة اذ ذاك على نسيانها وقضى على مجرد الشعور بالالفة التي يحس به الشخص لطول العشرة والمعرفة ، لم افتقدها ولم اشتق لرؤيتها ابدا وخرجت نوال من حياتي .

هل خرجت نوال من حياتي فعلا ؟ لا اظن ان الماضي اقوى منا. لقد بدات صور طفولتنا تطفو على خاطري وانا اجمع اوراق القصة التي لم تتم والتمس العذر لنوال من ظروف بيئتها وضعف شخصيتها واختلال تقديرها وتقويمها للأشياء ، واخذت طريقي الى حجرة المكتب وانا واثقة ان نوال لن تفهم ولن تحس كعادتها وستظل بالساعات ، وسيخرج اخوتي جميعا من حجرة المكتب واحدا واحدا ليواصلوا المذاكرة وتبقى هي كعادتها دون تقدير للوقت، واسفت على القصة التي لم يقدر لها ان تتم ، اخذت طريقي الى حجرة المكتب وليس في نفسي تجاه نوال اي حقد او غضب او الم .

القاهرة منيرة عبد الجواد دكروري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك الانسان

اطماعه ما عاش ليل سرمد ... هيهات ليس لليل مطمعه غد
تجد الحياة تضيق عن اطماعه ... فيما يروم من الحياة وينشد
وتراه حين الارض لم تشبع له ... نهما تطلع للمجرة يرصد
ركب الخيال مطية وبوده ... لو كان تقتحم السماء وتقصد
وجرى باجنحة الخيال محلقا ... في شاهق ما جازه مستبعد
واشاد دنيا بالمنى سحرية ... فوق المجرة لم يطلها فرقد
دنيا الحقيقة قيدت بشرائع ... شتى ودنيا الوهم لا تتقيد
والارض يحكمها القوي وليس في الارض التي خلق الخيال مسود

اوطاره لمع السراب بقيعة ... تطوى وتنشرها لاطماع يد
او انها قزع السحاب تواكبت ... حيرى وليس لها بافق مقصد
ما كان اشبه حاله بغمامة ... لا تستقر بموطن او تخلد
تجري لغير هداية ويسوقها ... سوط الرياح مجلجلا يتوعد
ليست تكف العمر عن تطوافها ... او كنت تلقاها بافق تسعد
حتى اذا خرق العياء اديمها ... نثرت بآفاق السما تتبدد
والمرء يضرب كالسحابة تائها ... في حالك والليل اقتم ارمد
حتى اذا ما الصبح اوما راعه ... ما في الحقائق من اسى يتجدد

هو عالم تجد العقول بسره ... ضلت واعوزها الدليل المرشد
مستغلق الآفاق كيف اتيته ... طالعت ليلا حالكا يتلبد
تتلاطم الاهواء في ارجائه ... غضبى ويعصف فيه لج مزبد
لا العين تسبر ما دجا من غيبه ... هيهات يسبر غيبه مترصد
وبصدره للحقد يجثم ارقم ... باغ ويكمن للضغينة اسود
وبكل صدر للوقيعة والاذى ... قد سل سيف مصلت لا يغمد
ولواعج الاطماع تعصف عن لظى ... مشبوبة ولهيبها يتوقد
والليل اطبق ناشرا راياته ... في جحفل متوعدا يتهدد

اغواره غيب بكل عجيبة ... شحنت وما يوم اذاها ينفد
ترمي بغير يد سخائم حقده ... نارا ويعصف جمرها المتوقد
وتريش من داجي المطامع اسهما ... لا تخطىء الاهداف حين تسدد
تلقاه ان بسط اليمين الى العلى ... عادت باغلال الهوى تتقيد
تعطي وتحرم كالقضاء ولم تكن ... في الحالتين بما اتت تتعمد
اما الاذى فسجية غلابة ... في النفس لا قسر بها وتقصد
والخير لم يك في النفوس سجية ... من اين للافعى الصنيعة واليد
ان ساءك الكفران فيه فلم يكن ... يعطيك الا ما الطبائع تنقد

عجبي له كم ضم من متناقض ... عجب بما كانت تجن الاكبد
للكره اغوار لديه ومثلها ... للحب اغوار لديه وانجد
فاذا احب رايته طال السها ... ولو ان درب المجد داج اسود
حتى ترى ما من حجاب دونه ... مستغلق او ثم باب موصد
ما زال بالشوق الملح وبالهوى ... يسمو حثيثا للسماء ويصعد
حتى حكى الاملاك في افلاكها ... لو انها تحكى وكانت تشهد

سبحان من حرم العباد جنانه ... واعاضهم عنها بما هو اسعد
منعوا البقاء لذلة من آدم ... لكنهم منحوا الذي هو ارغد
سعدوا على شظف الحياة بحبهم ... فاذا القفار خمائل تتأود
شادوا الجليل من الامور وما ونى ... عزم لهم في كل نجد ينجد
فبكل قفر راح يزهو معبد ... وبكل ربع طال يسمق معبد
ولكم سما متخلف بشعوره ... لما احب وحاز سبقا مقعد
بالحب يسعد بائس ومعذب ... وترى ابن آدم بالفضيلة يخلد

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التطفـل ... فـن وادب

بقلـم محمود بن الشريف

عضو مراقبة الكتاب بوزارة التربية المركزية

التطفل قوة تدفع صاحبها الى خوض غمار الحفلات والمآدب، وثورة تعتلج فى اعماق المتطفل فتقوده الى ما فيه منفعـة مادية له ، وفورة تعتمل فى فؤاده وتعترم فى جنانه تجعله يتناسى اوليات قواعد الذوق واللياقة . فيفرض نفسه فرضا على موائد الغير ويستعين فى الوصول الى اغراضه ومآربه بكل ما فى جعبته من قول طريف او رد محكم مفحم او جواب مسكت او قولة تدل على ان قائلها لم يعرف ولا يريد ان يعرف معنى الزهد والتقشف او الاحتمال والصبر ،من اجل ذلك كان التطفل فنا لا يجيده الا من اوتي حظا من ثقل الظل وخفـة الروح .

وفى مقدمة الكتب التي افسحت صدرها للتحدث عـن هذا الفن بافاضة كتاب « الاذكياء » لابي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، وقد ساق « فذلكة » لغوية فى مقدمة كلامه عن المتطفلين حينما اراد ان يبين معنـى كلمة « الطفيلي » واشتقاقها ومبدا ظهورها . وفى صدر هذه الفذلكة عرض ابو الفرج راي الاصمعي ، ثم عـرض براي مـغاير لراي الاصمعي ، واخيرا عارض راي ابي عبيدة ، وفى النهاية ادلى برايه ومبلغ علمه . وهاك نص كلامه :

قال الاصمعي : « الطفيلي » الداخل على القوم من غير ان يدعى ، مأخوذ من الطَفَل : وهو اقبال الليل على النهـار بظلمته ، وارادوا ان امره يظلم على القوم فلا يدرون مـن دعاه ولا كيف دخل عليهم . ثم قال ابو الفرج : وقولهم : طفيلي منسوب الى طفيل ، رجل بالكوفة مـن بني غطفان كان يأتي الولائم من غير ان يدعى اليها ، وكان يقال له طفيل العرائس قولهم هذا فيه نظر ، لان العرب تسمي الطفيلي : الوارش او الرائش ، وتسمي الذي يدخـل على القوم في شرابهم ولم يدع اليه « الواغل » .

وقد جافى الصواب ابا الفرج فى اعتراضه هذا، وذلك لانه نظر الى كلمة « الطفيلي » مـن ناحية الاشتقاق والاصل اللغوي وتجاهل ناحية الاستعمال، فمن المسلم به ان العرب تسمي الدخيل على القوم الوارش او الرائش ولكن كلمـة طفيلي لم تستعمل الا من بعد ان عرف طفيل بن زلال وهو رجل من بني هلال كان اذا سمع بقوم عندهم وليمة ايا كان سببها هبط عليهم فألفوه بين ظهرانيهم حتى اذا ما انتهت الوليمة تفقده اصحابها فلم يجدوه ، مـن اجل هذا نسب الى اسمه كل من فعل فعله .

وبعد ان توج ابن الجوزي باب المتطفلين بهـذه الفذلكة السابقة روى قصصا صماء من غير تعليق او تعقيب عليها فلم يحال فيها نفسية صاحبها المتطفل ولم يبين فى نهاية كل طرفة او اقصوصة ما تدل عليه بل ترك كل ذلك لفطنـة القارىء والمتصفح لكتاب الاذكياء يجد ان صاحبه قد عقـد لواء زعامة الطفيليين الى الطفيلي الاول « طفيل العرائس » وهو حقا خليق بزعامتهم فلو تأملت تعاليمه لابنه وولي عهده فى هذا الميدان « عبد الحميد » حينما كان يلقنه مبادىء فن التطفل واصوله والبروتوكول الخاص به لوجدت آنئذ بعد النظر ورجاحة العقل والخبرة بنفسيات الافراد ، فضلا عن اللباقة والدهـاء والجواب الحاضر السديد ، من اجل ذلك كان جديرا بأن يحتل مكانا لصدارة بينهم .

وحينما اوشك سراج حياته ان ينطفىء دعا ابنه هذا ولقنه وصيته التي كانت خلاصة تجاربه فى حياته الحافلة بجلائل « الولائم » ووصيته هذه تعتبر مثلا اعلى للتحليل النفسي اذ فيها يقول له : اذا دخلت عرسا فلا تلتفت تلفت المريب . وتخير المجالس ، فان كان العرس كثـير الزحام فأمر وانه ، ولا تنظر فى عيون اهل المراة ولا فى عيون اهـل الرجل ليظن هؤلاء انك من هؤلاء فان كان البواب غليظـا وقاحا فابدا به ومره وانهه من غير ان تعنف بـه ، وعليـك بكلام بين النصيحة والادلال ثم انشد وقال :

لا تجزعـن مـن الغريب ... ولا مـن الرجـل البعيـد
وادخـل كـانك طابـخ ... بيديـك مفرقـة الحديـد
متدليـا فـوق الطعـام ... تـدلي البـازى الصيـود
لتلـف مـا فـوق الموائـد كلها ، لـف الفهـود
واطرح حيـاءك انمـا ... وجـه الطفيلي مـن حديد
حتى اذا جـاء الطعـام ... ضربت فيـه كالشديـد
وعليـك بالفالوذجـات ... فانهـا عيـن القصيـد
والعـرس لا يخلـو مـن اللوزينـج الرطـب القنيـد

ثم اغمي عليه عند ذكر اللوزينج فلما افاق رفع راسه وقال:

وتنقلـن عـلى الموائـد ... فعـل شيطـان مريـد
واعلـم بانـك ان قبلت ... نعمـت يـا عبـد الحميد

ومر طفيلي بقوم يأكلون فقال : ما تأكلون ؟ فقالوا : ـ من بغضه ـ نأكل سما ، فمد يده الى الطعام وقال : والله ان الحيـاة بعدكم حرام !!

وقـال شاعرهم :

نحن قوم اذا دعينـا اجبنـا ... ومتـى ننسى يدعنا التطفيـل
ونقـل علنـا دعينـا ففبنـا ... واتانـا فـلم يجدنـا الرسول

وقال طفيلي : حفظت القرآن كله ، ثم انسيته الا حرفين « آتنـا غداءنا » .

وقيل لطفيلي:اي سورة تعجبك فى القرآن ؟ قال :المائدة، قيل : فاي آية ؟ قال : ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ، قيل : ثـم ماذا ؟ قال : آتنا غداءنا ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : ادخلوهـا بسلام آمنيـن .

نستخلص من هاتيك الصور الموجزة والالوان السريعة ان التطفل فن ، الا انه فن لم يحظ من ادباء اليوم وفنانيه بما هو اهل له من بحث ودراسة وتعمق ، لاننا لم نقـرأ بعد بحوثا « سيكولوجية » مستفيضة لاراء اعلام المتطفلين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقايا امرأة

من ديوان « الموجة الزرقاء » يصدر قريبا

●

دفء احاسيسك الحمراء فى لهبي واسق العروق..انين النار والحطب
كـل الكروم حبالى فى حديقتنـا فالكأس رغوانة من ادمع العنب !!
حتى السماء لقد غطت شوارعها الزرقاء .. بالشفق الليلي والسحـب
حتى النجوم .. لقد امت مخادعها .. كواتها .. كعيون الساكر التعـب
اطلال غانيـة .. كانت ومحرقة .. رمـاد محرقة .. ولت مع الحقب
لقيتها..امس امس..وهي واقفة فى بابها ..كبقايا عـالم خـرب !!
والشارع الساكن المهجور.. مترعة حاراته..برؤى الاشباح والصخب
حتى الفوانيس ..حراس.. محدقة. .لا تحسب الضوء الا عين مرتقب !!

مدت الي يدا مثلوجة .. وفما .. كشق مقبرة .. يدعو الى الرهب !
كانها مدن.. مرت.. وما بقيت منها.. سوى بعض صلبان على الترب !!
صبي النبيذ..وهات الكأس مترعة اني احس جمالا فيك.. فاقتربي
فى جسمك الثلج قد القى برودته على ضلوعي..كأن الريح تعصف بي!!
فاغرورقت فى عروق الطين روبعة فى اثـر روبـعة عطشانـة اللهـب
وبت اسقي..!! ولا اسقى.. وليلتنا مسلولة .. لاغذي جوعة الخشب !!

القاهرة محي الدين فارس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتحليلا لشخصيات مشاهيرهم الذين قدموا لونا دسمـا جديدا للادب العربي .

كذلك لم يتناول احد مـن الادباء المعاصرين قصص التطفل بالتحليل والتعليل والتفسير والتفضيل واستخراج ما بين ثناياها من ادب رفيع واستخلاص ما تتضمنه مـن حكمة بالغة او اجابة مفحمة او قولة سديدة . بل كل مـا فعله ادباء اليوم وعلماء الامس انما كان مقصورا على عرض عرض المشهور من قصصهم عرضا بعيدا عـن التعليق والتعقيب ، من اجل هذا اقول ان ادب التطفل لم يحظ حتى من متطفلي الادب فضلا عن الراسخين فيه بالنصيب الموفور من عميق البحث ومزيد الاستقصاء .

ولو قدر لهذا الفن ان ينال نصيبه من عنـاية الادبـاء واهتمام علماء النفس لاستطعنا ان نضم الى عـلم النفس الادبي سفرا جديدا جديرا بان يحتل مكانته الممتازة فى لغة الضاد

اذا هلموا معشر الادباء الـى ادب المتطفلين وادرسوا اعلامه وابينوا عن نفسياتهم وابسطوا اراءهـم واعرضوا لطائفهم لتحيوا فنا زاخرا بكل جميل جلـيل كادت تودي بلطائفه وطرائفه ريح الاهمال الى واد سحيق .

القـاهرة محمود بـن الشريف

المسرح الشعري

بقلم عزيز اباظة

الراجح ان المسرح ـ ولا اقول القصص ـ لم يعرف على صورة توشك ان تكون ذات طابع وقوام الا عند الاغريق فى عهودهم الذهبية . اما ما قيل عن وجود المسرح عند قدماء المصريين وعند اهل الصين واهل الهند فيبدو انه مفتقر للحجة الشافية . وان هذا الذي عرف من امر المسرح عند تلك الامم ، على افتراض صحته ، لا يعدو ان يكون ابرازا لشعائر دينية فى مشاهد مرتجلة عابرة .

على ان الثابت كما تعلمون ان المسرح منذ عرفه الاغريق كان مسرحا شعريا . وان الشعر كان هو وحده لغة المسرح . وان المسرح نشأ نشأة دينية غنائية . فالتراجيديا واظنكم اسميتموها المأساة استمدت حياتها فى مهرجانات الربيع عند الاغريق وكانت تقام لآله الخمر والنماء متسمة بطابع الوقار والقطوب . ذلك لانها كانت تمثل مظاهر الذبول والجفاف تصيب الكروم . والكوميديا واظنكم سميتموها «الملهاة» ولدت فى مهرجانات الشتاء وهي مهرجانات مرحة فرحة صاخبة. ذلك لانها تمثل مراحل نضرة الكروم ورونقها . وهي موشكة ان تؤتى ثمارها .

فهذان العاملان عامل الدين وعامل الغناء ـ وهما ملاك هذين النوعين من المسرحية ـ اقتضيا ان يكون الشعر لغتهما دون النثر ، فالشعر عندهم لغة الاهية تتلاءم مع شخوص المأساة بخاصة . فقد كانوا على الاغلب الاعم آلهة او انصاف آلهة بالمعنى الحقيقي او المجازي . هذا الى ان الشعر كان وما يزال بنغمه واستوائه وجرسه اصلح شيء للحن وللتوقيع .

ولقد كانت حفاوة الاغريق بالمسرح شعبا وحكاما حفاوة تقصر دونها كل حفاوة ، فقد كانوا يحتشدون له ويرجئون فى سبيل شهوده كل جسيم من عمل او خطير من تجارة . وكانوا يرفعون اصحاب المسرحيات من شعرائهم الى اعلا مقاوم المجد . وهكذا فعلوا لاسكيلوس واستوكليس ويوربيدس وارستوفان وغيرهم ممن خلقوا هذا الادب الرائع ومكنوا له وخلفوه للانسانية تراثا خالدا .

ثم دار الزمن دورته وورث الرومان حضارة اليونان وورثوا كثيرا من شوامخ علمهم وفنهم وادبهم فكانت المسرحية الرومانية صورة للمسرحية اليونانية لغة وتناولا واتجاها، وكان الشعر ادق ما استمسك به المؤلفون الرومان فى اقتباسهم ذاك . ولعل «سنكا» كان اعلى شعراء الرومان قدما فى تأليف المأساة وارسالها نابضة بالحياة . وهكذا جمع سنكا كآحاد قليلين عبر القرون بين استاذية الشاعر واستاذية الفيلسوف .

وبقيت الحال على سكنتها تلك حتى غزت روما المسيحية السمحة . فانفعلت المسرحيات بتعاليمها وشعائرها وبقي الشعر اداتها لغة وتفكيرا واداء ، وظلت المسرحية والشعر رفيقي سفر واقامة ، حتى تنفس الصبح من عصر النهضة والبعث العلمي باوروبا ، وهو العصر الذي استمسك باهداب الادب السلفي اي الكلاسيكي ، واستوحى شعراؤه مادة ادبهم من ذخائر الماضي العاتق على انهم عنوا عناية اربت على عناية اسلافهم القدامى ، بتعقب النفس الانسانية وغرائزها فى اغوارها السحيقة ، بالوان من الدراسة والتحقيق ، ثم جلوها فى مسرحيات جامعة رائعة لم يزدها مرور العصور الا جدة وسموقا وجلالا ، واستحدثت في عصر السلفيين هؤلاء فنون مسرحية اخرى ، فانفصل الرقص والغناء والموسيقى عن التمثيل ، وولدت المسرحية الغنائية والمسرحية ذات الغناء ، وخطرت قضايا الحب الى كل مسرحية ، فكانت قطب رحاها كما يقولون . وقبل ذلك العهد لم يدخل الحب مسرحية قط . وقع كل ذلك ، ولكن الشعر بقي اداة هذه الفنون جميعا، لا ينازعه منازع. ويقتضينا الانصاف ان نذكر من اصحاب هذه المدرسة بعض عظام روادها ، امثال لوبه دي فيجا ومارلو وشكسبير وكورتي وراسين وموليير واضرابهم .

ثم جاء عهد الرومانسيين الابتداعيين فى اواخر القرن الثامن عشر . فاحدث هؤلاء اضخم انقلاب عرفه تاريخ الادب فى المسرحية . قضوا على ما عبر عنه بالوحدات الثلاث فى التأليف المسرحي وكانت مقدسة الى ذلك العهد ، وهي وحدة الزمن ووحدة المكان ووحدة الموضوع او العمل، وقضوا على الشعر لغة فى المسرحية. ثم جاء العهد الواقعي وسنلم به غير بعيد ، فاختفى الشعر على صورة حاسمة او كاد . على ان الشعر لم يعدم نصيرا عبقريا ايام الرومانسيين الابتداعيين نافح عنه فى يقين وقدرة . هو هيجو العظيم ، ولم يعدم الشعر كذلك مستمسكين به مدافعين عنه ايام الواقعيين من امثال ادمون روستان ،فى مطلع هذا القرن،ثم كلودل واليت وكرستوفر فراي وآخرين من المعاصرين .

هذه لمحة نسوقها عن علاقة الشعر بالمسرحية منذ مولدها الى اليوم فى الادب الاعجمي وهنا مكان لوقفة نلقي تحت هداتها نظرة عجلى على ادبنا العربي ، اعرف هذا اللون من الادب ام لم يعرفه ؟

لم تدلف المسرحية الى الادب العربي الا فى اواخر القرن الماضي . فلم يعرفها العرب لا فى المشرق ولا فى المغرب . لم يعرفوها مؤلفين . ولا ناقدين ، وكأنهم لم يأتهم نبأها قط . فلم يذكروها الذكر العابر فى حديث او محاضرة اواثر .

ولقد يكون هذا مفهوما قبل عهد الترجمة عن اليونانية والسريانية فى صدر الدولة العباسية ، ولكنه فى حاجة لقدر من التعليل بعد ازدهار عهد الترجمة وانبساط ظله بفضل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

رواده من امثال سرجيس والرهاوي وحنين بن اسحاق وابنه اسحق بن حنين ومتى بن يونس ويحيي بن عدي وغيرهم . ولقد اثار هذا الموضوع زميلنا الدكتور خلف الله في الاسبوع الماضي وتداوله بعض حضراتكم بتعقيبات واعية شافية استاذنكم في الالمام بها على عجل محافظة على ترابط السياق .

قيل ان العرب قصروا عنايتهم على علم اليونان وفلسفتهم وحكمهم ، لان مظان هذه العلوم قد احسن نقلها لهم وتوسيدها لديهم ، وعلى النقيض من ذلك مراجع الادب ، وقيل ان كتاب ارسطو في الشعر — وهو مفتاح الدراسات الادبية اليونانية غير منازع — قيل ان ناقليه الى العربية لم يفهموه على وجهه فترجموه مضطرب الفكرة متعثر السياق ، غامض المذهب ، فظل مستغلقا على اذهان العرب ، حتى على عباقرة مفكريهم من امثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ، وقيل ان العرب تعففوا وعافوا ان يتعاطوا هذا اللون من الادب — واقصد الادب المسرحي — بوازع من دينهم لانه حفيل بالوثنيات ، قائم على تعدد الآلهة والالاهات ، ولانه يدور كله حول ارباب نزلوا منازل البشر . وبشر رفعوا الى مقام الارباب ، مما يتعارض اشد المعارضة وابعدها مع فلسفة الاسلام ورسالته ويكاد يتعارض في وقت معا مع وثنية العرب التي عفاها الاسلام ، وقيل ان العرب قد ماثلوا في موازينهم ، وفي تصورهم بين خلق الشخوص الروائية ، وبين خلق التماثيل مصنوعة او منحوتة فنفروا بطبعهم من هذا الاثم ، وقيل بل قانون العرض والطلب ، هو الذي صرف العرب عن هذا اللون من الادب .

وقيل بل ازدهار الادب العربي وتألقه في عهد الترجمة ابان العصر العباسي ، هو الذي زهدهم في كل ادب غيره . وقيل بل هذه الاسباب مجتمعة كل منها ادى الى النتيجة على قدر اثره .

وقيل وقيل مما يجري على هذا النسق باتفاق كبير ، واختلاف يسير ، واعتقد — كما يعتقد كثيرون — ان العرب قد فهموا كتاب ارسطو عن الشعر فهما خاطئا او ناقصا في جملته فانه مما لا يمتنع عن التصور ان يكونوا قد الموا باشياء ذات شمول وعموم عن ادب المأساة والملهاة . اما صدوفهم عن هذا الادب ، واسقاطهم له فليس الوازع الديني — فيما ارجح متمشيا مع بعض حضراتكم — اقوى اسبابه . فان الاسلام — ولقد عرضتم لذلك — وهو الدين السمح ، دين العقل والفطرة وتكريم الروية ، قادر بمثله واعجازه وسعته ان يستوعب كل ثقافة من الثقافات وكل اشراقة من اشراقات الذهن الانساني ، ادبا كانت او فنا او علما ، وقادر كذلك ان يصل فيها بقوانين الفكر الى اصولها وفروعها ثم انه بعد على تبين فضلها او كشف زيفها اهدى واقدر . وآية ذلك كما قلتم انهم نقلوا عن افلاطون وارسطو وسقراط وغيرهم ، فلم يضيقوا صدرا بالوثنية التي ترين على فلسفاتهم . بل على النقيض قارعوا الحجة بالحجة . وجاهدوا الرأي بالرأي في سماحة وتسامح .

فليس ببعيد اذن ان يكون العرب قد تصونوا عن هذا اللون من الادب لهذه الاسباب التي ذكرت ولاسباب اخرى منها انهم لم يألفوا بطبائعهم ذلك التعقيد الذي ضرب على المسرحيات واشاعه فيها ارتفاعها على اساطير وخرافات لم يستسغها مزاجهم ، ولم يتهيأ لها تكوينهم ومنها ان شعرهم في مجموعه كان شعرا ملاكه الذاتية — ان صح هذا التعبير — فالعربي في غمرات الصراع الناشب بينه وبين الطبيعة ، والتوجس الدائب المتوثب بينه وبين من حوله ، نشأ على شيء كثير من الاثرة النفسية ، فهو لا يعنى الا بنفسه ، ولا يعبر الا عنها ، ولا يأبه بالصلات التي تجمع بينه وبين المجتمع لانه درج على الانقباض لهذا المجتمع ، والحذر منه والضيق به . فكان شعره من اجل ذلك شعرا ذاتيا اشاعت فيه هذه الذاتية روحا غنائية عرف بها ، وعرفت به . ومن هذه الاسباب ايضا ما قيل من ان العرب لم تفض الطبيعة على بلادهم ما افاضته على بلاد غيرهم من الامم من مجاليها ذات الرواء ومناظرها ذات الرونق . فلم يتسع خيالهم ، ولم تنبسط مآخذه ، ولم يمد هذا الخيال مدد من اساطير عاقلة او غير عاقلة تداولتها الاجيال حتى تلبست بعقولهم وعواطفهم واضحت جزءا من وعيهم ، فعمل هذان النوعان من الحرمان على واد الادب المسرحي ، وعلى هض ما ينبغي له من استعداد واعداد ، ومنها ان العرب امة فاخرت الامم بنفوذ مصائرها وسرعة بدائهها ، وسلامة ارتجالها . وبخليقتها هذه لم ترض عن صور كثيرة من الاعداد والمراجعة والتهذيب فلقد نقل الجاحظ عن الاصمعي انه عاب منحى زهير في حولياته ، وانكر على الحطيئة خطته في مراجعاته . فقال عنه انه عبد لشعره وتلك حال لا يستقيم معها خلق قصة كاملة ثم احكام التنسيق بين فصل وفصل ثم الحفاوة بتتبع الحوادث فيها وهي تنتقل انتقالا صاعدا بين قضيتها وعقدها وقرارها كما يقولون .

ولعل من ارجح هذه الاسباب وادناها للصواب ما قيل من ان فطرة العرب موضوع فيها التركيز . فبلاغتهم بعد الاسلام وهي من وحي القرآن قائمة على فنون من الحذف والايجاز والاشارة والاستغناء باللمحة الدالة والاجتزاء بالفقرة المبينة وتلك طبيعة تتناقض تناقضا بينا مع تأليف قصة او مسرحية . فلقد تأدى لنا فيما قرأناه ان الفنان العربي قد برع في تلحين الاصوات وادائها ووضع موسيقاها ، ولكنه وقف عند هذا الحد لم يتخطه فلم يصنع المتتابعة « السيمفونية » ولم يحاولها وهكذا فعل زميله الشاعر : لم يكتب ملحمة ولم يحبك اطراف رواية ، ولنا ان نسأل

ما الذي يضطر الشاعر العربي الى هذا العنت كله وهويعلم انه بموهبة التركيز التي رزقها على اوسع الامداء واثراها مستطيع فى بيت واحد من الشعر او بيتين ان يبعث في سامعيه قبائل من الاحاسيس والانفعالات لا يرجو هو اغزر منها ولا اوقع .ومستطيع كذلك فى بيت او بيتين ان يكشف لهم افانين من طوايا النفس البشرية ، ونزعاتها ،وخلجاتها، وسبحاتها ، تدعم له قضيته ، وتوفى به الى ما يتطلع اليه من غاية . فاذا اودع شكسبير مثلا فى مسرحية عطيل مئات من اللمسات التي تصور جنون الغيرة حتى لقد اندفع الزوج الغيور المحب فقتل زوجه ثم اكله الندم غير بعيد حين علم انه قتل فى غير جرم ، فان «ديك الجن» يطيف ببعض هذه المعاني او يكاد حين تعرض لمثل هذه التجربة قبله بمئات من السنين اذ يقول راضيا عما يقول من غير فضول او فصول :

رويت من دمها الثرى ولطالما ... روى الهوى شفتي من شفتيها
حكمت سيفي في مجال خناقها ... ومدامعي تجري على خديها

واذا نشط راسين فجمع فى « اتالي » اطراف الحقد الاسود وعرض لفلسفة الانتقام والمقت بالرغم من الود الرياء والصفاء المستحدث ، فان الشاعر العربي يجد مقنعا في مسرحيته التي يرسلها فى بيت واحد فيقول :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

واذا هاج «كورني» فى مسرحية «السيد» ذاك الصراع الجامح بين ما يقتضيه الحب وما يقتضيه الشرف وقال على لسان بطله ان الشرف والرجولة فوق الحب فان الشاعر العربي فى موقف ليس بعيد الصلة بذلك الموقف يقول :

واني لو تخالفني شمالي ... خلافك ـ ما وصلت بها يميني
اذن لقطعتها ولقلت بيني ... كذلك اجتوى من يجتويني

واذا تحدث « موليير » ساخرا متألقا فى مسرحية كاملة عن بخل بخيله وتقتيره واستقصى ظواهر تلك النفس المريضة وبواطنها فان ابن الرومي يرسل فى بيت واحد صورة ناطقة حية لبخيله لا يغض من كمال الاداء فيها انها ليست ذات فصول ومشاهد اذ يقول :

ولو يستطيع لتقتيره ... تنفس من منخر واحد

وان كتب الكتاب والشعراء المحدثون فى هذا العهد ـ املا فى جائزة نوبل ـ قصصا ومسرحيات تؤثرها هذه الجائزة ، عن الديموقراطية وحق الشعوب على حكامها ، وعن الاشتراكية والتعاون والدعوة للسلام ، فان شعراء العرب ارسلوا مسرحياتهم على طريقتهم المركزة فقالوا :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... وعدوا مصالحها وهم اجراؤها
وقالوا : الخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يصير فقيرهم كالكافي
وقالوا: ساعد بارض ان كنت فيها ... ولا تقل انني غريب
وقالوا : دعاني يشب الحرب بيني وبينه فقلت له لا بل هلم الى السلم

ومن امثال هذه المسرحيات الخاطفة طوائف تقفون عليها فى الشعر العربي فى مختلف مراحله . على انني ارجو ان اشير لهذه الشواهد الى حقيقة واحدة تتصل بخليقة التركيز التي عرفها العرب فى انفسهم : هي ان قدرتهم على الاتيان بما قل ودل، وان كان ساذجا وفى غير اعداد ،اغنتهم عن محاولة ما دل وجل وهال بمعاناة ما لاصبر لهم عليه ولا هوى لهم فيه .

ايها السادة : مرت القرون يأخذ بعضها برقاب بعض دون ان يعنى العرب ومن جاءوا بعدهم من المتحدثين باللسان العربي بادب المسرح حتى وقع فى منتصف القرن الماضي ـ اذا صفحنا عن محاولات الشاعر ابن دانيال فى العهد المملوكي ـ ان شق المسرح سبيله الى سورية ولبنان ومصر، وشقت المسرحية طريقها متخاذلة الى ادب هذه الشعوب ، وبدأ هذا الادب الجديد فى صورة مترجمات ، ثم اخذ سمته بعد ذلك للتأليف المقتبس ، ثم الى التأليف الخالص ، وعالج الشاعر اللغوي الشيخ خليل اليازجي المسرحية الشعرية فكتب مسرحية اسماها « المروءة والوفاء » عن النعمان بن المنذر ويوم بؤسه الذي تحدثنا عنه كتب الادب، وعالج المسرحية الشعرية كذلك الشاعر اللغوي عبدالله البستاني فكتب ثلاثا لم تعرف منها الا مسرحية واحدة اسمها «مقتل هيرودس لولديه» . على ان هذا الذي كتبه هذان الشاعران الجليلان قد يصدق عليه انه شعر . اما انه مسرحيات فذلك ما لا نستطيع ان نقول به . على ان لهما ـ على كل حال ـ فضل السابقين الاولين . ثم اراد الله لهذا اللون القيم من الادب ان يخلق من العربية وان يزدهر فهدى اليه شوقي شاعرنا الخالد فعالجه واستطاع قبل ان يختاره الله لجواره ببضع سنوات ان يزف للشرق العربي مسرحياته النفائس ولعل اجمعهن لاوجه الجمال الادبي والفني «مجنون ليلى» و «مصرع كليوباطرة » . ولست هنا بسبيل تناول مسرحية الشعر عند شوقي بالدراسة والتحليل والنقد فانه لن يرضيني وانا من اكثر الناس اعجابا به واكبارا له واستمدادا منه ، لن يرضيني ان اجعل دراسة مسرحه قسما من بحث او بابا فى فصل ، ولن يواتيني الوقت حتى اذا انا حاولت ، ولكن ذلك لن يقف بي ان اشهد بين ايديكم ان شوقي صاحب التمثيل كاد ان يرتفع الى عليا المشارف التي تفرعها شوقي قيم شعر الغناء . واشهد بين ايديكم الى جانب ذلك ان شوقي فى مآسيه المتعددة وفى ملهاته الواحدة استطاع ان يدرس على طريقته جوانب من النفس الانسانية وان يعرض لمشاعرها بالتحليل الموفق والعرض المونق ، واستطاع ان يتناول الاحاسيس والنزعات القومية وان يشيد بها في نماذج قوامها الصدق وملاكها الجمال ، واستطاع كذلك فى اغلب مسرحياته ان يفرغها فى القوالب الحية من الفن المسرحي ، وان يتحرر الى حد كبير من سلطان طاقته الغنائية الفارعة ، حتى يتسلسل الحوار غير فاضل على مقتضياته وغير مخل بالمعنى الذي يتدافع فيه وغير مسيء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاسلوب العرض وغير معيق لتتابع وصلاته وتدفق حركاته.

ايها السادة الاجلاء : هذا الذي سقته لكم هو فى مجموعه عرض لبعض وجوه المسرحية الشعرية وسرد لبعض مراحلها واطوارها . ولقد كان حريا بي ان احميكم هذا العنت لو لم ارد عن عمدان اطرح امامكم قضيتها الجسيمة التي يتنازعها اليوم اهل الرأي بين مظاهرين ومخالفين تلك هي قضية شعر المسرح فى هذا الزمن الذي نعيشه ، وبين ضواحي هذه الحياة التي نحياها .

قيل ان مسرحية الشعر لا ينبغي لها ان تكون ذات مكان فى هذا العصر . فالشعر ليس لغة الناس فهي اذن خروج عن طبائع الاشياء ، وهي بهذا الخروج قد جمعت الى انقطاع الصلة بينها وبين الفن انها قاصرة عن خلق تأثيرها فى جمهور نظارتها الذين لن يحسوا على وجه الاطلاق انهم يعيشون فى احداثها وحوادثها .

وبهذا القول المبسط اثيرت مسألتان ضخمتان : اما احداهما فقديمة قدم الادب والشعر والفلسفة تلك هي مسألة المحاكاة ، واما احداهما الاخرى فحديثه اذا قيست بسابقتها ، خرجت الى هذا العالم ، يفرض عليها كل عصر موالجها ومخارجها ، تلك هي مسألة الواقعية .

على ان اصحاب نظرية الواقعية هذه قد اقتسروا طريقهم فى اعقاب القرن الماضي الى نظرية المحاكاة فتأولوها على الوجه الذي ارادوه وحملوها ما اجهدوا انفسهم فى انشائه ثم فى احيائه من اصول وتفاريع وهكذا نشبت المعركة في الادب الاجنبي غربيه وشرقيه وما زالت ثائرة مستعرة . ولكن هذه المعركة اتخذت هنا فى بلادنا صورتين مختلفتين : صورة تجلت فيها معالم المفاضلة بين نثر المسرح وشعر المسرح ، وهي اكرم الصورتين وارجحهما فى موازين التقدير وولى هذه الآراء وباسطها للناس هو استاذنا الدكتور طه حسين . وصورة اخرى ابرزت دعوى الواقعيين بما فيها من ضئولة وضحولة وتناقض وتهافت .

اما الصورة الاولى فقد اخرجت الناس منذ سنوات حين تقدم مؤلف مسرحية شعرية للدكتور طه ليشرفه بتقديمها للناس فكتب مقدمة رائعة عالج فيها الشعر المسرحي منذ نشأته . وخرج منها بنتيجة انتهى اليها هي ان الشعر لم يعد يصلح للمسرح بحال وان المسرحية ان لم تعالج بالنثر — وفيه حرية وطلاقة واسماح — فهي بعيدة عما الف الناس ، بعيدة عن فهم الناس ، وهي الى جانب ذلك عقيم ، فلن تحدث الاثر الذي يخلقه عادة كل عمل فني او ادبي . وكان مما اشار اليه الدكتور طه ان الشعر باوزانه وقيوده وقوافيه نوع من الاسر وان القدامى اصطنعوه فى مسرحياتهم لان النثر لم يكن قد بلغ اشده بعد . ثم قال فى مختتم بحثه ذاك : انه من اجل ذلك كله لم يفتن بتمثيليات شوقي ولم ينشط لتمثيليات خليفته فلان . وحين طولع الناس بهذا الرأي كثر منهم المناصرون والمعارضون . فكتب الدكتور طه مقالا آخر نحى فيه المنحى نفسه فى قدر من التوسع سمح لحجته ان تتراص وان تتواكب . ولست اريد ان احاج استاذي الكبير ، فلقد حمل عني نصف مؤنة هذا العبء شاعر مسرحي فحل هو ت. س. اليوت شاعر اللغة الانكليزية فى هذا القرن وحمل النصف الثاني اديب اميركي جليل وشاعر كبير الخطر هو ارشيبالد ماكليش .

يقول ، اليوت — وسأجمل كلامه فى فقر كفقر البرقيات — الشعر والنثر فى المسرحية كلاهما وسيلة لغاية . وما يزال الشعر اقدر على التعبير عن عواطف الانسان ونزعاته. ويستوي الوسيلتان فى التعبير عن العقل .

— عندما يرتفع الموقف المسرحي الى مشارفه من الناحية الانسانية فالشعر هو اللغة الوحيدة التي ترقى الى ذلك المستوى

— ليس الفرق بين الشعر والنثر فى المسرحية ضخما كما يظن الناس فالنثر الفني الجزل قد يمكن ان يعتبر غريبا كالشعر سواء بسواء .

— الشعر حين تكتب به المسرحية يتعين ان يكون له ما يسوغه من الناحية الفنية او المسرحية والا كان النثر اصلح واجدى . ويظهر ان هذه الفقرة الاخيرة لم يرض عنها الشاعر الاديب ارشيبالد ماكليش فكتب يقول :

— الشعر استخدم المسرح والمسرح استخدم الشعر مدى مئات ومئات من السنين قبل ان يوكل الامر للنثر فادى الشعر رسالته تلك على اصلح وجه وما زال مستطيعا ان يؤديها .

— ان الانصراف عن مسرحية الشعر فى القرنين الاخيرين كان لعوامل ذاتية فى كتاب المسرح مشيرا لقصورهم لا فى الوسيلة والاداة .

— ان هذا الجيل يرتد عن رضى ورغبة لمسرحيات الشعر التي كتبت فى العصور الماضية ليرى فيها نفسه . فلماذا يدفع شعراء العصر عن اداء هذه الرسالة .

— ان المسرحية اثر فني ، فهي كسائر آثار الفن عالم بذاتها ، عالم يكون فيه الحديث بالشعر طبيعيا ، كما تكون الالوان فى الصورة ، والشعر على لسان هاملت اوقع من النثر وانفذ ، لا لان بلاط الدنيمارك كان يدور الحديث فيه شعرا ، ولكن لان المسرحية تمثل القلب الانساني فى صميمه، ولا يتحسس طريقه الى هذا القلب الا اسمى ما استحدثه الانسان من ادوات التعبير وهو الشعر .

— ان اساءة المعالجة ، وضعف الشعر ، والاخفاق في الملاءمة بين الشعر والموضوع هي وحدها التي تشعر النظارة بغرابة الحوار الذي يدور شعرا .

ويظاهر هذين الاديبين اديب كبير يحبه الدكتور طه ويعجب به هو فرانسوا مورياك . اذ يقول ان النثر لم يستطع ان يبلغ الحقيقة المعقدة المتشابكة كما فعل الشعر ، ويقول — وفى كلامه هذا حق باهر — ان المسرح هو مجلى الادب ومجاله لن يتغلب على الموت الذي تسوقه اليه الخيالة الناطقة الا اذا عاد الى ميزته الخاصة وهي الشعر ، عندئذ لا تتكافأ المنافسة فتذهب جهود الخيالة الناطقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضياعا فى الفضاء على قيمه برغم ما تملكه من قوة واداة بلغت بهما الصناعة اعلى مراتبها .

ولكن هناك صورة اخرى لمعركة لغة المسرح او على الاصح لمعركة المسرح بنواحيه ومذاهبه كافة هي تلك التي اثار غبارها الواقعيون واسلفت لها الاشارة منذ قليل وهم لا يزالون يثيرونها فى كل فن وكل ادب .

يقول هؤلاء الواقعيون فى صرامة لا تقبل التصالح ان المسرحية يجب ان تكون من الحياة وصورة صادقة لما يجري فى الدنيا . وارتكزوا على نظرية المحاكاة التي ابتدعها ارسطو ، فاذا رجعنا فى ايجاز شديد للمحاكاة عند ارسطو الفيناها تقوم على اساسين : اولهما ان تكون المحاكاة معينة على فهم الطبيعة ، وثانيهما ان تكمل المحاكاة ما لم تكمله الطبيعة ، وحين تناول ارسطو الشعر خاصة قال : ان المحاكاة فى المأساة — خيرة كانت او شريرة — ينبغي لها ان تنصرف الى تمثيل افعال الناس والى ما يمكن ان يفعله الناس . والشاعر ليس اسيرا للواقع . ومن فضل الشاعر فى نظره على المؤرخ . وجدير بالذكر والتقدير التنبيه الى ان ارسطو لم يتصور قط ان تكتب المأساة بغير لغة الشعر ولم يدر بخلده قط ان الشعر فى المأساة يتجافى عن الارتباط بالواقع ، بل على النقيض فهو يرى انه ارتباط بالواقع فى اقوى اواصره .

ذلك موجز مضغوط لنظرية المحاكاة عند ارسطو التي كانت وما زالت مشغلة للناس ، ثم تداولها بعده المفكرون فلم يعترضوا لجوهرها وان كانوا قد اجتهدوا اجتهادهم فى تأويلها وتفسيرها متأثرين بالمعاني الاجتماعية والتيارات الفكرية التي تسود كل عصر . فعند ديدرو وامثاله ان الفنان لا يحاكي الطبيعة وانما يجملها ، وان ادراك الفنان لجمال الطبيعة هو معيار عبقريته ، وان محاكاة الطبيعة عنده محدودة بنضجه الذهني الذي يقوم على الملاحظة . وعنده وعند غيره ايضا ان المحاكاة لا تقع على التشابه الظاهر ولكنها قبل كل شيء محاكاة لحياة الانسان واخلاقه وغرائزه وعواطفه . فهي محاكاة نفسية . ولكن قادة الواقعيين فى القرن التاسع عشر جاهدوا هذه الآراء فى عنف وحقد وعلى راسهم نوابغ عصرهم من امثال بومارشيه وزولا وبلزاك ثم ابسن وتشيكوف وغيرهم . واعتماد هؤلاء ايضا على نظرية ارسطو فى المحاكاة بعد ان تناولها شيشيرون استاذهم ففهمها على غير وجهها وفسرها بانها التطابق المتزمت لا اكثر ولا اقل . واستطاع هؤلاء بمقدرتهم وكفايتهم ان يبلغوا من تنقص مسرحية الشعر وتهجينها ما ارادوا كما استطاعوا ان يمهدوا السبيل لمسرحياتهم النثرية

على ان الواقعيين فى هذه الايام قد اضفوا على الواقعية سخفا وهوانا لا قرارلهما اجملهما فى عرض زكي رائع الكاتب الكبير وولتر كير فى كتابه عيوب التاليف المسرحي فيقول ان المسرح الواقعي ضرب تافه من التصوير الشمسي بطيء الحركة قائم على احترام الايقاع الذي تسير عليه الحياة من تطويل ممل تتفتت فيه فرص ابراز المضمون او دراسته الشخصية . فالصورة التي يرسمها شكسبير فى جملة واحدة يبرزها المسرح الواقعي فى مشهد كامل . ويقول وهذا راي واضح الوثاقة ان المحاكاة التي يحتج بها الواقعيون لن تتحقق الا اذا وجد الاختلاف بين الاصل والصورة التي تلدها المحاكاة . فالمحاكاة فى عناصرها الاولى هي التشابه + الاختلاف . واجتماع الشرطين ضرورة لا معدى عنها للتمييز بين المحاكاة والمماثلة ويقول ان غباء المسرح الواقعي ناجم من انه جسم المشابهة الى ابعد الحدود وهون المخالفة الى ابعد الحدود .

ويقول استاذنا العقاد فى مقدمة نيرة كتبها لمسرحية شعرية اسمها « اوراق الخريف » يقول ان الفن كما عهده الناس فى جميع الازمنة انما هو تعبير وتصوير ولو كان نقلا ومحاكاة لما كانت لنا من حاجة اليه لان ابصارنا واسماعنا تغنينا عنه وترينا ما يراه الفنان وما يسمعه بغير ما حاجة الى تاليف . على ان هؤلاء الواقعيين قد قذفت فى وجوههم اسئلة عدة بهتوا لها وغشيتهم منها حيرة مترامية الآفاق ، فوقفوا متخاذلين لم يحيروا جوابا .

قيل لهم لم حرمتم الشعر لغة للمسرحية وسكتم عن اشياء عديدة هي ابلغ ايذاء للواقعية وافدح اثرا .

قيل لهم : هل كلام الموتى على المسرح من واقع الحياة ؟ وهل نطق الفرنجية باللغة العربية فى مسرحية عربية من واقع الحياة ؟ وهل احاديث حشد من الشخوص من امم مختلفة تؤدى بلغة واحدة هي من واقع الحياة .

وهل التكلم بذكاء وروية طوال المسرحية كما يقول «موم» هو من واقع الحياة ؟ وهل الحوادث المرتبة بالمسرحيات بمقدماتها وعقدها وتسلسلها وقرارها هي من واقع الحياة .

وهل حوار الناس غناء فى الاوبرا والابريت — وقد قبلهما الواقعيون — من واقع الحياة ؟ الى غير ذلك من مثل هذا الذي سقناه .

ولقد نخلص من هذا كله الى ان حجج الواقعية تدمغ بها مسرحية الشعر هي حجج داحضة متهاوية وان المسرحية الشعرية كالمسرحية النثرية ضرورة من ضرورات الادب والمسرح والفن على سواء . بل لقد ادعى ان مسرحية الشعر الزم اليوم للناس . الزم فى هذا العالم الذي يرزح تحت احمال الفزع والتوجس والشك والتقلب وفقدان الثقة والايمان ويكاد تتمزق اوصاله ويتداعى كيانه تحت هذا الغموض الذي يرين عليه ، وبين شعب المفاسد التي تتعاوره من غفوة المثل ويقظة المادية .

واحب ان استعين فى مختتم هذا العرض بكلمة جامعة للشاعر ت . س . اليوت تتجلى فيها خلاصة من كل هذا الذي ارهقتكم به غير رفيق بكم ولا راحم لكم .

يقول : ان المتنفس المثالي للشعر هو المسرح . ففي شعر المسرح نصيب موفور لمستمعيه كافة : لبسطائهم القصة ، ولمن هم اكثر منهم ثقافة تلك التعبيرات الشريفة الجزلة التي يتميز بها الشعر ، ولاولئك الذين رزقوا الحساسية

وحدة حياة

تلاقى هوانا مذ تلاقت عيوننا
ومنذ تصافحنا تعاشق قلبانا
تغلغت في كنهي فكنت انا ، كما
تغلغلت في اعماق كنهك مذ كانا
طفولة عمرينا تجانس طبعها
على صلة في ذوقنا وسجايانا
واما صبانا ، والحياة مرارة
فانسانة في الغيب تشبه انسانا
وروحان عانى كل روح من الهوى
ومن لوعة الحرمان ما خدنه عانى
لنا قصة في الهم وحد صنعها
قضاء عجيب ضم ظمىء وظمآنا
فليس ببدع ان تذوبي صبابة
بنفسي ، وان احيا بنفسك هيمانا
وماذا علينا ان يقال : توافيا
على القدر المرصود ، ولهى وولهانا

•

قضينا من العمر الفريض ربيعه ،
وما افتر في ايامنا روح فحوانا
وعشنا كمن يطوي الفلاة تعثرا
وقد ضل في تيه الحوافر مرمانا
اذا ما ظمئنا فالسراب امامنا
واما سقينا فالتعلل ملقانا
ولسنا نرى في عابر العيش صفونا
ولا في حياة النوم تعبير معنانا
فما عيشنا يعني الحياة حقيقة
اذا لم نعش في الحب نشوى ونشوانا
ولم تصطرع منا النفوس ابية
تخوض اعاصير العواطف بركانا

•

كانا بامر الله ، منذ تخلقت
حقيقتنا في الكون ، للحب سوانا
وبث بنا في الروح طهرا وعفة
واوقد في اجسامنا التوق نيرانا
وفرقنا حتى يؤجج وجدنا
واطلقنا حتى يرى كيف محيانا
واغري بنا الاهواء هوجا جوامحا
وركب في اعصابنا الصبر ايمانا
ووزعنا ما بين ذنب وتوبة
ليحسن احسانا ويغفر غفرانا
نسلم للرحمن امر نفوسنا
ونملك في قلب الفواية وجدانا

حلب — عمر بهاء الامير

الموسيقية القالب والوزن والايقاع ، ولاولئك الذين صقت نفوسهم وتألقت عقولهم كل هذه العوامل مجتمعة وهي عوامل من شأنها ان ترفع الى اسمى المشارف معنويات الناس واخلاق الناس وجمال الدنيا .

استأذنكم في استطراد واحد لا بد منه لهذا الذي نقوله. لا بد منه لان الغاية التي نستهدفها منه جليلة الخطر جسيمة الاثر

ان هذه الواقعية التي عرضنا لاطراف منها هنا وهناك وذكرنا آراء بعض دعاتهم من رجال الفكر والادب في بلاد غير بلادنا ، ان هذه الواقعية قد تسلل لها في بلادنا وفي بلاد الشرق العربي نفر ربطوا انفسهم بها بالحق او بالباطل وصدوا عن مختلف وجوهها الا وجها واحدا احتشدوا له وتضافروا عليه هو محاربة اللغة العربية ومحاولة الغض منها والتجني عليها والالواء بها .

قالوا بادىء ذي بدء ان المسرحية لا ينبغي ان تكتب شعرا ثم ثنوا فقالوا والشعر هو ايضا ينبغي له ان يتخفف من القافية . ثم تلبثوا قليلا فتداعوا فاجترؤوا فقالوا ليتخفف الشعر كذلك من الوزن . ثم تقدموا بعد ذلك خطوة اخرى ولعلهم من التقدميين فقالوا : وما التراكيب الفصيحة؟ وما الاسلوب الشريف ؟ الكلام بغيرهما ابين والفهم ادنى وايسر.

ثم ابرزوا مسفرين مسرفين مصرين مجاهرين ، فدعا فريق منهم الى اخلاط من التعابير المتهافتة الغثة من الشعر المنثور والنثر المشعور يقيمونه بأسم الحقد والعجز على انقاض الشعر الاصيل ، ودعا فريق اخر الى العامية يكتب بها الناس قصصهم ومسرحياتهم لتقوم بأسم التقدمية او الشعوبية على انقاض تلك الذخيرة الربانية من النثر العربي المحكم ، وساقوها دعوة ادبية فنية وهي دعوة اثيمة خبيثة تكمن وراءها مساندات ظاهرات نفوس سقيمة، عطاش لهدم كل ما هو مأثور من تراث العصور ، وكل قيم من ذخائر الحضارات التي هذبها الزمن واغلاها العتق .

من الحق لكم ومن الحق عليكم ايها الخالدون ان تنفروا لدفع هذه الغاشية التي داهمتنا بآخرة. هذه الغاشية التي تأتمر بلغة كتاب الله ، لغة لكتاب الله ، وتأتمر بها كذلك سياجا لهذه العروبة التي نعتز بها ونتمسك . هذه العروبة التي لا يجمعها في نسق كريم فريد جامع هو اقوى واكفى وابلغ وابرع واكرم وامتن وارصن من هذه اللغة الالاهية الثرية الفخمة الجامعة الواعية المبينة المؤدية المفصلة.

من الحق لكم ومن الحق عليكم ايها الخالدون ان تجهروا باصواتكم وهي في هذا المقام من اصوات النبوة مطالبين كل دولة عربية ان تطهر صحفها واذاعتها ومسارحها الجادة من خبثين قاتلين خبث مساندة العامية واشاعتها بأسم التخفيف والتيسير ، وخبث مجاهرة الادب بعدوان سافر يهون من اقداس شعره ونثره بأسم التجديد والتطوير . فان فعلتم — وانكم لفاعلون — فنحن الاعلون والله معنا .

القاهرة — عزيز اباظة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

انه يوم كسائر ايام حياتي ، لا يتميز عنها الا شكلا ، فهو يوم عطلتي الاسبوعية ،ور غم كونه يوم راحة لي فانني ابغض هذا اليوم اشد البغض واتمنى لو ان الحياة كلها عمل ، وعمل دائم مستمر لان العمل لي راحة كبرى ، ففي وقدة العمل ودوران ساعاته انسى كل شيء الا واجبي هذا الذي انا فيه، ثم اعود الى البيت ببطء وتثاقل متحسسا جسدي التعب المتلهف للراحة والنوم ، اما يوم الراحة ـ هذا اللعين ـ ففيه كل متاعبي تبرز وتبدو لي واضحة فيستريح الجسد وينشط الفكر .. وانا من اجبن الناس لدرجة انني اود لو ان عقلي يظل في سبات دائم لا يقظة فيه .

جلست كعادتي في ظل الجدار المتهدم امام بيتنا الصغير المتواضع اصوب نظرات لا معنى لها الى اخي الصغير يلعب بجواري ببطلونه المزركش باكثر من قطعة قماش وبسمة حلوة تعلو شفتيه الذابلتين .. لك الله يا اخي عدنان .. دنياك لهو ولعب وهذا شأن الطفولة .. كم اشفق عليك من مستقبلك القريب الاكيد الشقاء ، ودرت بوجهي عنه واستسلمت لدنيا افكاري واستعرضت في مخيلتي صورا باهتة معتمة.. نظرات والدي الراجية وهو على فراش الموت .. عمي الغني البخيل يجبرني على ترك المدرسة.. البحث باصرار وقوة عن لقمة الخبز .. ابو محمد الجزار بكرشه المنتفخ وشتائمه التي لا تنقطع .. وابو حسين المقاول العملاق ونظرات الاحتقار التي يرسلها دوما وبدون حساب الى من يأتي به سوء الطالع للعمل معه .. وعلي افندي «شاويش» الورشة الرقيق اللطيف والذي لا زلت اعمل معه .. وانتشلني من افكاري صوت اخي عدنان مناديا :

ـ اسامة .. اسامة .. هذا ابن عمنا عاطف .

وبدون ان التفت شعرت بفيض من السعادة يغمرني ، فعاطف قريب من نفسي حبيب الى قلبي .. ثم انني اعرف تمام المعرفة معنى زيارات عاطف المتباعدة لنا .. ، وكان عاطف يحمل سلة قد تدلت من اعلى جوانبها اوراق خضراء .. لقد كان يحمل سلة محشوة بعيدان الملوخية ... وشعرت بنشوة الجائع المحروم حين تبدو له مائدة حافلة بما لذ وطاب من نعم الخالق الكريم ولا عجب فالملوخية هي اكلتي المفضلة واسرعت للاقاته فسلمني السلة واستأذن عائدا كعادته

واسرعت بالسلة الى والدتي وشقيقاتي ووضعت امامهم السلة وكانني اضع امامهم كل كنوز الدنيا.

واسرعت شقيقتي الصغرى ، تسحب عروق الملوخية من السلة

سلة الملوخية

بقلم ماجد محمد ابو شرار

وتمددها على الحصيرة البالية باحثة بلهفة عن اللحم الذي ولا بد ان يكون عمي قد ارسله مع الملوخية ـ فالملوخية في متناول الجميع اما اللحم فدونه قلو ب واجفة و جيوب فارغة ، واتمت اختي سحب العيدان من السلة فمددت عنقي وكما فعل الجميع الى جوف السلة لنرى كمية اللحم ـ والتي رجوت سرا ان تكون كافية ـ فراعني وكما راع الجميع فراغ هائل سحيق لا اخر له بدا لنا من فتحة السلة .. وتفرق كل منا الى زاوية من زوايا الغرفة ، وقد علت الوجوه خيبة امل مخيفة .. وتحاشيت النظر الى من في الغرفة وكذلك وكما اظن ـ فعل الجميع .. والملوخية ممددة في وسط الغرفة على الحصيرة البالية وكانها جثة فقير معدم تنتظر صدقة البلدية لتجهيزها ودفنها ، وشعرت بهذه الجثة الممددة تتمطى من على دنيا الحصيرة ثم تنساب سابحة حتى تصل الى رقبتي المنحنية والتي تبدو وكانها عجزت عن حمل راسي بافكاره المتضاربة المتصارعة.. فتمد اصابع معروقة مرتعشة فتطبق على رقبتي .. بقوة .. وعزم .. واصرار .. واحسست باختناق مفاجيء .. واضطربت انفاسي .. وشعرت بكابوس هائل يجثم على صدري لم يخلصني منه الا صوت اخي عدنان محدثا والدتي :

ـ هيايا امي لنطبخ الملوخية ..

فنهرته امي بشدة وكانه اتى امرا ادا ، فالتجأ الي مستفهما مستجيرا، وقال بصوت حاول الا يسمعه احد سواي :

ـ لماذا لا تطبخ امي الملوخية يا اسامة ؟

فاشتملتني حيرة قاتمة.. واعترتني كآبة شديدة وكانما شعرت شقيقتي الصغرى بكآبتي وحيرتي فاجابته :

ـ لا يوجد لحم يا عدنان .

فقال : وهل اللحم ضروري ؟

وهنا ان صوت خافت حزين وكانه يأتي عبر شقاء سنين طوال .. صوت امي :

ـ لا تطبخ الملوخية بدون لحم يا عدنان !!..

فشعرت وكان حكما بالاعدام قد صدر على الجثة الممددة على الحصيرة البالية .. فقد كنت آمل ان تسارع امي الى انقاذ الموقف وطبخ الملوخية بدون لحم !..

وقالت احدى شقيقاتي الخمس :

ـ ما دام عمي يعرف ان الملوخية لا تطبخ بدون لحم .. فلماذا لم يرسل اللحم ؟

وقالت اخرى :

ـ كان يجب الا نقبل هذه المنحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا نفس لا تتحسري

●

يـــا نفس مالك فى ضجـــر والكـــون بســام اغـــر
صـــدحت طيـور الغـــا ب تسبيحـا لمن خلـق البشر
قومـي انهضي وتمتعـــي بجمـــال ربـات الحـــور
الساحبـــات مـــن الذيـو ل الراقصـات على الوتـــر
الرافـعات الرأس غنجـــا او دلالا او خفـــــــر
يـــا نفـس مـــا ولـى الشباب فـلا تنوحـي عـلى الكبـر
وافى المشيب وهـــو بـدء الفـوز فـي قطـف الثمـــر
يـا نفـس لا تتوجعـــي فالشيـب مفتـاح النـظر
ذهـب الربيـع بـورده والصيـف مضحـاك الزهر
هـــذا الخريـف بجنيـه حـــلى وريقـات الشجر
مـــا اجمـــل الشيب اذا مـــا افتر فـي الرأس وقر
فيـــه المهابـة والجـــلال والاحتـــرام ولا مفـــر
فلـم نـذم الشيب وهـو التـاج مـن مـاض عبـر ؟

* * *

اهـلا بـك يـا شيب يـــا ضحـاك يـا محيي الفكر
الغانيـات رغبـن عنـك وانـت مصبـاح السهـــر
هـــل يصلـــح الصيـف الحنـون بدون ضوئك يا قمر
والفـاتنات عـــلى جبـــال النـور ترقص للسحـر
هـــذي تعاطيـك ابتســامات كقبس مـن حجـر
والعيـــن مـن اخـرى تنـاجيك عـــلى لمـح البصر
والبسمـة البيضـــاء في الرأس تحيـي مـــا غبـر
يـــا نفس لا تتحسري فـــالشيـب معطـــاء ابر

عيسى ميخائيل سابا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التقليدية من عم لا يشعر بما نقاسي.

وهنا قالت امي :

ـ لا تذكري عمك .. بسوء يـا هيفـاء ..

وهنا انبرى عدنان قائـلا ببراءة كادت تذبحني :

ـ اذن آخذ الملوخية واطعمهـا لخروف الجيران .

وبدون ان ادري ، صحت بـه بصوت جاف حانق ناقم :

ـ اخرج .. اخرج .. لا ترنـي وجهـك ..

وكأنني كنت اقصد نفسي بهـذه الكلمات .. فأسرعت تاركا الغرفة.. وقد اطبقت بيداي على الثلاثين قرشا وهي اخرما تبقى فى جيبي لاواجهبها اربعة ايام بكاملها قبل ان استلم راتبي الضئيل .. خرجت مسرعا وخيالات سوداء تلـوح امامي .. الملوخيـة الممددة فى وسط الغرفة .. امي .. اخي عدنان .. خروف الجيران .. ثم عمي اللعين.. والجثة التي اطبقت باصابعها المعروقة المرتعشة على رقبتي حتى انتزعت مني قوت اربعة ايـام طوال .. الثلاثون قرشا .

عمان **ماجد محمد ابو شرار**

يوسف الخال

من البئر المهجورة الى ... قصائد فى الاربعين

بقلم عـــاي الجندي

ان تكون البئر مهجورة ، لا يعني ان الميـاه قد غاضت فيها ، قد تتهدم الطريق الى النبع وقد يؤدي ذلك الى ردم فم الينبوع ولكن الماء يظل فى الاعماق ... فى البئر المهجورة ، كان الشاعر كأنه فى مخاض ، وفى حال كهذه يقنع العدم وجه العالـم ، الاحساس بالوحدة رهيب بين اناس كلهم يبدون آبـــارا الاحساس بالوحدةرهيب بين اناس كلهم يبدون آبارامهجورة

« وسائر البشر
تمر لا تشرب منها لا ولا
ترمي بها ، ترمي بها حجر ... »

واذا سألت « سارتريا » : « اي شيء لم نكن نحن ؟»

كنا كل شيء ، كنا آبارا كابراهيم ، الجار العزيز ، الا اننا غدونا آبارا مهجورة ، بل لعـل التمزق الرهيب ، فى « الدارة السوداء » يجعلنا نحس اننا ما كنا قط الا ابـارا مهجورة .. فلنهدم ، لندك البناء من الاساس ، حتى لـو تساقطت الحجارة على رؤوسنا ، الشاعر :

« يا صديقي انا لا اندب حالي ،
انا لا اعرف حالي ،
العصافير بنت اعشاشها
وانا فى هذه « الدارة » وحدي
جاثما كاللعنة ، كالخوف
عـلى صدر الجبـان
جاثما كالموت كالبرهة فى كل مكان ... »

فهل يهجر الدارة ويمضي ؟.. وليدفن الاموات موتاهم؟ ولكن هنا السؤال العملاق ، السؤا ل المضني ، الى اين ؟..

ايـن ، ...

العدم يقنع العالم ، ولا طريق يفضي الى النور ، فهل يظل « كآبائه » جاثما بين العظام ؟ انه لا يدري ، ولكنـــه يصلي مع ذلك . هنا يبدو يوسف الخال على حقيقته ، انه ناقم ، يتمزق لدرجة انه يود تدمير كل شيء ، نســف « دارته السوداء » من الجذور ، ولكنه لا يستطيع الا ان يدق صدره مصليا للحلم ، للمستقبل ... انه يكاد يمزق اللغة التي يكتب بها ، فيخالف اهم اصولها ، يعرف الفعل بالالف واللام او يعرف قد التحقيق .. او ينادي المعرف بال ... كما كان يفعل سعيد عقل .

يريد ان يعيد ازاهير الصحراء الى مدافن الرمال ، واخشى ان افسر هنا ، ولكنه مع ذلك يقول بحسرة :

« ترى يعود يوليسيس ؟
والولد العقوق ، والخروف
والخاطىء الاصيب ، بالعمى
ليعبـر الطريـق ؟ »

وتعود اليه ذكرى اي مأساة من مآسينا ، فيعـــود للتجديف على كل ما حوله ، ما وراءه، وما فوقه وما تحته ، لقد كان القادة يأمرون ابدا بالرجوع ، بالتحجر ، خوفـــا من المغامرة ، وروح المغامرة كما يبدو عند الشاعر هي صانعة التـــاريخ :

« وحين صوب العدو مدفـع الردى
واندفع الجنود تحت وابل من الرصاص والردى
صيح بهم : « تقهقروا ، تقهقروا
فى الملجأ الوراء مأمن من الرصاص والردى ... »

والعدو هنا والجنود ، والرصاص ، والوراء كلهـا رموز طبعا . ولعل العدو وهو الجمود ، بكـــل انواعه ، والجنود هم الطليعة ، وصاح فى صيغة المبني للمجهول تعني كل الاصوات التي تقودنا ... الى وراء . وصديق الشاعر ايضا رمز ، انه رمز لشهيد الحقيقة، الذي يتهم بالجنون . او ليس الجنون هو ما نحتاج اليوم اليه ، ان نيتشه قالها ايضا ، لقد ابتهل لينقلب العصر عصر مجانين ، فقد اهترات عصور العقلاء ... ولعلي لا اغالي اذا قلت ان روح نيتشه بمعنى من المعاني تسيطر على كل البئر الهجورة ...

ومرة اخرى ، يعود الشاعر الى الهدم فى «الجذور» ، انه يرفض كل الماضي اذ يرى هذا الماضي من خلال ضيقه من اختناقه باسترجاع كل المآسي الماضية من خلال نظرته من زاوية معينة ــ لعلها خاطئة فى رايي ــ الى كل ماضينا لهذا فهو يدعو الى اقتلاع كل تلك الجذور وذرها للرياح :

« السر فى الجذور
وعبثا نصيح : نحن كالرياح
حرة تجيء من مكانها وحرة تروح » .

ولكن ، ابدا فى صميم ظلمات تشاؤمه ، خيوط مـن النـور :

« والربيـــع مقبـل
من القبور والحقول مقبـل
فالموت والحيـاة واحـد
والارض وحدها البقـاء »

او ليس هذا ما كان يعنيه نيتشه ؟ ربما !

ويظل يتذمر بتمزق رهيب من اغلاله ، ويصلـي ليمد له « جسر خلاص » ويرى ، ولست ادري لماذا ، ان مجرد حب الماضي هو عبودية :

« عبيد نحن للماضي ، عبيد نحن للاتي ،
عبيد نرضع الذل من المهد الى اللحد
خطايانا ؟ ... يد الايام لم تصنع خطايانا ... »

ثم يمد شعوره بهذه العبودية الى اجداده :

* ليس ما اكتبه تقييما لشعر يوسف الخال وانما هو مجرد عرض ، وتعبير عن انطباع .

« غـــدي ضرب مواعيد مع الوهم . وهـذا شأن اجدادي من البدء »

ترى او حقا كان هذا شأن الاجداد ؟

واخيرا لعله وجد جسر خلاصه بالبحر ، انه يود ان يدير ظهره لكل شيء وينطلق الى هذا الرمز العظيم ... الحرية ، الشرود وراء الافاق ... وليبق رفاقه :

« رفاقنا الهناك في الرمال آثروا

البقاء تحت رحمة الهجير والنقيق والضجر »

لعله طبعا يعرض لحضارة معينة ، ليس بودي التفسير في مجال الحديث عنها . وهي تجربته على كل حال، واتمنى الا يكون مبعثها تعصب لا شعوري ، والمهم انه عانق مصيره المطلق الزرقة الازلية ، وبدا ينتظر عودة سيده ، الـذي يحلم به .. رموزه من الماضي الذي ثار عليه ...

فهل افضى به كل ذلك ، وقد بلغ « الاربعين » بالمعنى الرمزي للرقم ، اعني ذروة الحماس ، والشبـــاب ... النضج ، هل افضى به كل ذلك الى خلاصه ؟ فيما ارى انه منذ بدء الديوان الجديد يبدو عليه صفاء اخشى ان ادعوه روحانيا وخف الكثير من شراسة تجديفه وثورته ، وكأنه قد وجد اكثر من طريق للخلاص . ولكنه لما يصل الـى الخلاص ، انه كما يبدو يجاهد وبحرقة عجيبة للوصـول إلى الايمان ، النعمة ، ولكنه لما يصل ... «ملاعب العروق» طريق ،لكأنها احدى طرق صوفية حديثة ، صوفية حسية، الانطلاق من الجزئي الى المطلق.. من الجسد الى السماء.. ولكن في الفجر سواد ... اليقظة ابدا له بالمرصاد .

في « قصائد في الاربعين » ، تخف النقمة على اللغة ، فهذه اللغة تبـدو وسيلة امينـة للتعبير ، والموسيقـــا « التفعيلات » هادئة تنساب مع المعنى ، والصورة لتكـون مجالا للافصاح بشفافية حلوة عن المشكلة ... علم النفس ايضا يرفد التجربة لتزداد افصاحا ، الايمان موضوع سلفا، والهنيهة التي تكاد تقبض على البحر تكاد تصبح ابدا :

« هنيهة ، ومنـذ ما ولدت يا حبيبتي

اعيش هذه الهنيهة التـي

ابت ان تنقضي »

وفي « انتظار » تبدو اللحظات النفسية ، وكأنهـــا تكثيف « لخبرات » طويلة ذات معنى .

لعل « الازمة » التي كانت تعم وجوده في « البئـــر المهجورة » ما تزال ترين عليه ، ولكنها كما يبدو هنا غدت معتقة ،تخدره بنشوة حزينة اذا جاز التعبير .

ولهذا فالوعي اكثر تدخلا والرمز لم يعد قاتما لدرجة انه يكاد يخفي ما وراءه،ل اصبح شفافا يظهر الابعاد التـي بعده وربما بشكل اكثر وضوحا ، ففي قصيدة « اعمى » ، يصبح للفظة الواحدة جوا ايحائيا ، ويصبح « الربع الخالي» رمزا معقولا ، لجفاف نفسه الى المجهول من خلال الجسد ، وكذلك تبدو العذراء سور الصين ، وسورها طبعا مـــن عسل ... رغم ان ارجل الشاعر من قصب ، وان سيف الذهب يقطع حبل الرغبة... فان العالم يظل انثى تنتشي بالخيال ، فتظلل الربع الخالي بغيثها الرطب ... وربمـا امطـرت ...

ان طريقة استعمال الرمـز ، غـدت لـدى الشعراء الحديثين فعلا كخليل الحاوي اولا ثم ادونيس من بعـــده وبدر شاكر السياب وكذلك يوسف الخال تختلف عـــن طريقة سعيد عقل ، الرمز هنا لم يعد لفظة او عبارة ، وانما اصبح شيئا يؤخذ من تاريخ معين .. فينـال شفافيتـه من وضوحه في جوه . فموت شهريار ، يعني موت الـروح السلطانية في نفس الشاعر ،ووصوله الى شيء من الاستقرار في بحثه عن المطلق في الجزء ، في الجسد ، وكذلك بقيـــة الرموز الكثيرة الصغيرة غالبا فحتى الموت يصبـح رمـزا للانعدام ، كما في قصيدة موت ، اذ ان صاحب الشاعـر ربما كان ما يزال يدب على الارض ولكنه في نفسه ، جـدار انهار ، وان ظلت عيناه حيتين .

اما ما يهمني فهو التطور النفسي عند الشاعر مـــن « البئر المهجورة » حتى « قصائد في الاربعين » انه نضج وطنيا ان جاز التعبير، او انني اريد ان افرض هذا التعبير، فهو حتى عندنا يدعوه الرحيل، وعندنا يولي ظهره من جديد، يوليه بشيء من الحب ، ونحس تعابيره لا توحي بالحقد ، او حتى بالكره « فالدارة السوداء » هذه التسمية المغمسة بالمرارة والتشاؤم ، تصبح « صحرنايا » .

وهو رغم ابتعاده يحملها في نفسه ، ويحن اليها ... ثم في النهاية يعود ... ولكنه غسل بالريح قلبه كما يبدو، وحلت المحبة محل الكره والبغضاء وما احسب ان مكانـة صديقه العزيز ابراهيم ظلت في نفسه كما كانت ... ولعله كما يبدو من مقالاته واحاديثه قد بدأ ينبش مع النابشين عن الحياة في اعماق الآبار المهجورة ... لعله هبـــط كزارادشت من جبله ... وهجر افعوانه ، راسما نسره في قلبـــه .

واذا كان زارادشت قد هبط في الثلاثين ، فهو يهبط في الاربعين . ويبدو ذلك في القصيدة «العرس » كما ارى:

« العرس حان لحظة ، ويمتلي المكان

لا تخرجوا الصغار خارجا

الخمر عندنا كثير ، والليل في اوله وكلنا حضور »

اجل الخمر كثير ، والاطفال يجب ان يظلوا لانهـــم المستقبـل ...

واذا كان بعض من كتبوا عن هذا الديوان ، قـالوا ان الشاعر الخال قد وصل للايمان فاني ارى انه ما يزال يجاهد كما قلت ، وللوصول الى ايمان ليس دينيا فقـط وانما ايمان بكل ما حوله .. بارضه وبانسانها و ... ربما في النهايـة بنفسه .

وهكذا فان « النهر » عنده قد تخلص من ظلمـات شكه وجحوده ، وانطلق كالشهاب ، كأنه الشهيد الذي في لحظة فيض يمثل كل العطاء . انه عملاق ينطلق كالزمن ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطر

في الصباح ، سقطت قطرة مطر من غيمة ،
كانت تتسكع في الفضاء الرحيب
بللت ضفيرتك الخرنوبية العطشى ..
وهبت من صوب الجبل الازرق
ريح خفيفة جذلى
انفرجت لها اساريرك الجميلة عن حب عميق ،
ورداؤك البديع ، ضحكت اطرافه بفرح ..
وهتفت لي : ـ جاء المطر ..
سيبكي على شباكنا بقطرات غزار
سيمر فوق حقولنا يقبل الزرع الكثير
والراعي .. سيعود بقطعانه المبللة بالماء ..
سوف لا يتبين من خلال ضفائر المطر
اين هي الحظائر المبنية في الضيعة باعواد الاشجار !!.
وسيكون الفلاح اكثر غبطة وسعادة ..
عندما يرجع الى اولاده ، غارقا بعطر السماء ...!

ستفيح القرية بعرس ابيض ،
تسرد الحكايا العذبة عن موسم مترف خصيب ..
واكون في شباكي ، انتظر القمر ..
والعابرون ، سيومئون لي ، باذرعتهم الطويلة ..
اما انت يا بعيد
ستكون اكثر شاعرية في المدينة
تحلم بالنوافذ الزجاجية المقفلة
عندما تمر بها في يوم شتائي غريق ،
لا صبية تحييك بابتسامة لقاء ...!
لا عصفور يقفز امامك على الأسيجة المنداة
وستذكر .. تلك التي تركتها في الضيعة
كيف انها الان ، قرب الموقد نشوى
تعانق الذكريات ...!

دمشق

اسماعيل عامود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويبدأ حيث ينتهي ، انه لفتة السماء للارض .. ولهذا فان التراب الذي كان يملأ حلق الينبوع في البئر المهجورة غدا حلم الفيض الخلاص ...

« ندق بوابة الجحيم
تنزف ايدينا ، يقال هذا حظنا القديم ، والله صامت فينا ... »

« حر انا » او ليست صرخة انساننا العربي اذ يعي وجوده ، فليكن الشاعر غير ذلك ، المهم انه حر ، فليأخذوا ثيابه .. كل «العرض» وليدعوه يكمل نشيده ولو..همسا.

« الماء في اعماق وديانا »

او لم اقل ذلكعن البئر المهجورة،او «الآبار المهجورة» او ما قلت ان كونها مهجورةلا يعنيان الماء ليس في«الاعماق» ولعل ابراهيم صديق الشاعر ، البئر الذي يفيض بالماء ويتقدم دون ان يسمع احدا يصيح به : تقهقر ، لعل ابراهيم لو تعمقنا سبر اغواره لوجدناه رغم انه بئر غير مهجور ، لا يفيض بقطرة .. ليس في اعماقه سوى الملح الآسن ، السم الذي قد يخنقنا من رشفة ...

ويبدو ان الشاعر قد اهمل صديقه ذاك ... ، لعل ابراهيم هو صديقه الذي :

« اليوم مات صاحبي
عيناه نجمتان ... »

لعله رغم موته تظل عيناه تومضان عظة لنا .. تنبها لنا من السبات ، تعليما لنا ان م ن يصيح: تقهقروا، فم يجب ان يمزق .. او يصيح : الى الامام ابدا .

ومع ذلك فانني احس اني لما اشتف من الكتابة ، لانني اخشى الا اكون قد وصلت الى داخل « قصائد في الاربعين » وعدت بصيد حسن . ام لعلي حملت القصائد اكثر مما تحمل وان الشاعر اكثر بساطة مما فهمت ؟

كلمة اخيرة ، انني لا احب الحديث عن «قصيدةالنثر» التي ورد منها بعض النماذج في « قصائد فيالاربعين » فهي لا تزال بالنسبة لي عالما يغمره الضباب ، وحتى تتوضح اظل مؤمنا بان الموسيقا في اللفظة العربية ، والتفعيلة ، هي وسيلة مهمة من وسائل التعبير فيالقصيدة ولا مجال للتفكير بالتخلي عنها ... وان كانت نثريات الاستاذ الخال من ناحية المعنى ، حلقة في الطريق الذي وصل فيه الى « الخلاص » وما احسب هذا «الخلاص» الا منطلقا وصل منه الشاعر الخال الى بحبوحة الايمان بشعبنا العربي .. ارجو لكل رفاقه ، وامثاله ان ينعموا به ، واغفر حتى ذلك الحين لهم خطاياهم ..

علي الجندي

(اجينور ملك فينيقيا في قصره الباذخ . . يسكب نظراته القلقة في البحر الصاخب. وبين الفينة والاخرى يمسح دمعة تندي عينيه . انه يتجلد .. ولكن احزانه غامرة . وجلس بقربه ابنه الشاعر قدموس ساهما حالما . .)

اجينور : قدموس .. قدموس ..

قدموس (منتفضا) هل ناديتني يا ابي؟

اجينور : عد الى وعيك .. دعك من هذه التأملات . اعرني انتباهك لحظة واحدة .

قدموس : (يغرق نظره في البحر الهائج) آه ..

اجينور : الا تكف عن احلامك لحظة واحدة ؟

قدموس الحياة حلم جميل ..

اجينور : (غاضبا) هل افادتنا احلامك؟

قدموس : (يهز راسه) انا مصغ اليك.

اجينور : يجب ان تسافر يا قدموس..

قدموس : الى اين ؟

اجينور : الى كل مكان تشرق عليه الشمس . المهم الا تعود الا مصحوبا باختك اوربا .

قدموس : وهل استطيع ان اترك هذه المغاني التي درجت فيها ؟.. ان غمضة عين وانتباهتها فيها اجمل من كنوز الدنيا .

اجينور : قلت لك مئة مرة ان عهد الشعر يجب ان ينتهي . ماذا افادنا شعرك ؟

قدموس : انني ارضي به نفسي .

اجينور : وشباب فينيقيا المائعين..

قدموس : لا اجد نفسي الا عندما اخلو الى شعري .

اجينور (بحزم) انزع من راسك هذا الشعر . انك تتوقد المعية ... استغل هذه الحيوية لاعادة اختك الحبيبة الينا .

قدموس : الآلهة كفيلة باعادتها الينا.

اجينور : وماذا فعلت لنا الآلهة حتى الان ؟

قدموس : لا تيأس من رحمتها .

اجينور : لقد تخلت عنا .

قدموس : ان آل كبير آلهتنا لايتخلى عنك لانك ابنه .

اجينور : ألم أقدم له القرابين ؟ الم اسفح الدمع في هيكله ؟ الم اسكب فيه الزيت والخمر واذبح الخراف؟ وهل اجداني هذا شيئا ؟ ان اوربا لا تزال بعيدة عني .. والآلهة ترتع في جبلها المقدس لا تأبه لاحزاني .

قدموس : لا بد لآلهتنا ان تنتقم لنا .

اجينور : يبدو ان آلهة الاولمب اقوى منها .

قدموس : لا تجدف على آلهتنا يا ابتي

اجينور : ولكنها الحقيقة المرة .

قدموس : آلهتنا اقوى .. انها تمدنا بالخصب والنماء والرواء . وتجلل ربوع فينيقيا بهذا الجمال الذي يسمو بالنفس .. وينبض في كل مكان بألقه وشموخه ودعته

اجينور : قلت لك مرارا .. انني لا

اوربا

تمثيلية قصيرة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

احب هذه النغمة الشعرية .. المريضة . الواقع المرير قاس .. فلنتدبره بأناة وروية .

قدموس : عندي فكرة يا ابي .

اجينور : وما هي ؟

قدموس : لنعلن الحزن اسبوعا آخر في فينيقيا، تبكي في خلاله العذارى، ويترنمن بالاناشيد القدسية .. ولنقم مواسم دينية لآلهتنا آل ، ويم ، وبعل ، وانات ، وعشتروت، وادونيس .. لتعيد لنا اوربا.

اجينور : وهل اجدت الاحزان التي جللت فينيقيا ؟.. مضى علينا ثلاثون يوما ونحن في بكاء مرير .. العذارى يلدمن الصدور، والرجال يقدمون القرابين .. ومع هذا لم ترجع اوربا .

قدموس : لن تتخلى عنا آلهتنا .

(تدخل الملكة رامتا مشعثة الشعر دامية العينين تغمر زوجها وابنها بنظرات استكن فيها الالم)

رامتا : اجينور .. قدموس .. اعيدا الي فلذة كبدي .

اجينور : اهدئي قليلا .

رامتا : ان هذه العواصف التي تتناوح لا شيء بالنسبة للعاصفة التي تزمجر في قلبي .. طاش صوابي. اصابني الهول .. والموت احب الي من الحياة .

قدموس : تجلدي يا امي ..

رامتا : اسكت ايها البكيء .. لا تزال طفلا تلهو باغانيك .. انك عديم الرجولة .

قدموس : امي ..

رامتا : لست امك .. ايها الشاعر التائه وراء الضباب .

قدموس : رفقا بي يا امي .

رامتا : اما كان الاجدر بك ان تذهب للبحث عن اختك . انك تزعم ان الشعر لغة الآلهة ، وهمس الطبيعة، ونجوى القمر ، وخفق النجوم.. فلماذا لا تكلم الآلهة بلغتها لتعيد الينا اوربا ؟

قدموس : لا بد ان تعيدها ..

رامتا : انها عاجزة .

قدموس : احترمي آلهتنا يا امي .

رامتا : كيف احترمها .. وانا استيقظ مع الفجر الفتيق فلا اجد اوربا بقربي.. اعب منها الطمأنينة والرجاء .. اجينور لن اقرب فراشك حتى تعيد الي اوربا. قدموس لن اباركك الا اذا اتيت لي باوربا. ايتها الآلهة .. انني التمست منك العون ، فاوصدت ابوابك دوني . وها انا اضرع اليك ان ترجعي الي اوربا .

اجينور : رفقا بنفسك ايتها الملكة .

رامتا : ملكة ! واحسرتاه على هذه الملكة . ليتني كنت احدى نساء الشعب . انهن يتمتعن ببناتهن في الغدايا والعشايا. وانا الوحيدة المحرومة من حشاشتي اوربا .. انني محزونة القلب اتلمس اوربا

فى كل مكان فلا اجدها ..

اجينور : ستعود اوربا .

رامتا : لن اتعلل بهذه الاكاذيب المنمقة

قدموس : وما ادراك انها مرتاحة ؟

رامتا : قدموس .. لا تسمعني هذه النغمة السمجة . اوربـــا تعسة يهيضها فراقنا المرير .

اجينور : ولكن .. ماذا نستطيع ان نفعل ؟

رامتا : انك ملك تستطيع ان تفعل كل شيء .

اجينور : ايمكنني محاربة جوبيتـــر كبير آلهة اليونان ؟

قدموس : ان آلهتنا ستطيح به .

رامتا : هذا اللغو المعسول لا يرضيني (ترنو الى البحر) يم يا مثير المـد والجزر، يا محرك الانواء والعواصف اغرق الاولمب وجميع آلهته .

قدموس : يا آلهة فينيقيا .. اننـا نجثو فى هيكلك خاشعين انـت التي تهبين الموت والحياة ارحمينا . واعيدي الينا اوربا .

اجينور : قدموس .

قدموس : نعم يا ابي .

اجينور : خذ مركبا عظيما وجب بـه البحار حتى تصل الـى الاولمب لتعود باوربا .

رامتا : لا تتردد يا قدموس .

قدموس (ساهما) امي .

رامتا : نعم يا بني .

قدموس: هل نحن متأكدون ان جوبيتر خطفها

رامتا : تراءت لي فى المنام .. واخبرتني ان جوبيتر خطفها لانه تدله بحبها.

قدموس : وهل الحلم يكفي ؟

رامتا : ومن يجرؤ على اختطافها غيره؟ ان جمال اوربا كان حديث الطبيعة الامواج تهمس به، والانسام تتغنى بنداوته ، والعصافير تسبح له .. هذا الجمال صبا الدنيا حتى ترامى الى جوبيتر ..

قدموس : ولكن .. يا امى .

رامتا : ماذا ؟

قدموس : لا شيء .

اجينور : قل كل شيء يضطرب بـه فكرك .

قدموس : اذا كان جوبيتر هو الـذي انتزعها منا .. هل يمكنها ان تجد عريسا جديرا بها مثله ؟

رامتا : لا يا قدموس .. ان اوربا لن تجد سعادتها الا فى فينيقيا اننـي اعرف ابنتي .. التي كانت تردد دائما على مسمعي : ان فينيقيـا مثوى احلامها ، ومهجع آمالها .. ولهذا لن تكون سعيدة بزواجهـا من جوبيتر .. ان اوربا كانـت تطمح الى اكثر من هذا .. ومـن المؤكد انها ستصل الى ما تريد.. اتدري يا قدموس بماذا كانت تحلم؟

قدموس : لا . يا امي .

رامتا : كانت تريد ان تصبح الاهـة يعبدها الناس فى فينيقيا .

قدموس : (فاغرا فاه من الدهشة) يا آلهة فينيقيا .

رامتا : نعم يا قدموس ... كـان مجدها يتألق فى هـذه الدنيا . ولكنها كانت ترنو الى السماء .. وتتطلع الى الجبل المقدس بـوله وشغف . وذات يوم سألتها متى تتزوجين يا اوربا ؟.. وامتقـع وجهها ، وبدا رائعا فى امتقاعه .. ولدهشتي رايت سحابة بيضاء تنفذ من السماء وتظللها، وانقشعت بعد فترة .. وانتفضت امامـي قائلة : امي سأغدو الاهة لاسعـد الناس .. والحق انها الاهة فـي سمتها ووقارها وجمالها واختراقها لحجب الغيب .

قدموس : وهل رايت بعينيك السحابة المقدسة ؟

رامتا : كما اراك الان .

اجينور : ولماذا لم تخبرينا عن هـذه المعجزة عندما حدثت ؟

رامتا : لانني اردت ان تروها الاهـة مرة واحدة .

قدموس : امي .. سأذهب الى كـل مكان تظلله الشمس لارجع بها .

وفجأة يسمع هزيم رعد قاصـف حتى كادت جدران القصر المنيف تتداعى .. وتطايرت المقاعد فى كل مكان ، وهدأت الضجة بعد قليل.

وانبعثت انغام موسيقية حالمة فيها اتساق عجيب وعذوبة شادهة .

واذا بغمامة رقيقـة تتجلـى فى الحجرة .. وتنتفض منها اوربا ،

اجينور : ماذا ؟ انا فى حلم .

قدموس : ماذا ارى ؟

رامتا : ابنتي اوربا . (تفرك عينيها) شكرا يا آلهة فينيقيا على هـذا الحلم العذب .

اوربا : ابي .. امي .. اخي .. انـا اوربا بلحمها ودمها ..

رامتا (تحضنها بقوة) اوربا .. اكـاد لا اصدق عيني .. يا فرحتي بك يا منية النفس .

اجينور : الان استطيع ان اقابل الموت مطمئنا بعد ان اكتحلت عينـاي بمـــرآك .

قدموس : اوربا .. يا فرحة فينيقيا

رامتا : يا فرحتي بهذا اللقاء بعـد مضيض الفراق .

اوربا : ابتي .. انا الاهة ..

اجينور : الاهة ..

اوربا : نعم يا ابي .

رامتا : كيف حدث هذا يا حبيبتي ؟

اوربا : انت تعلمين يا اماه .. اننـي كنت دوما اعيش فى هياكل الآلهة اتجهد واتبتل .. وكل مناي ان اصبح «كانات» وذات يوم كنت مستغرقة فى صلاتي .. عندمـا خفق فى مسمعي صوت خفي .. فيه حنو وغموض .. وايقنـت يومها انني لم اخلق لهذه الارض.

قدموس : وماذا قال هذا الصـوت الخفي ؟

اوربا : قال لي : يا احب الناس الى نفسي .. اوربا ان جمالك قبس من السماء، وجذوة من الالوهية. انك سترتفعين الى الجبل المقدس لقد جئت الى الارض الفانية لفترة قليلة ... ليرى الناس روعـة الجمال ..

قدموس : ان هذا الصوت اجمـل شعر سمعته .

اوربا : ونذرت نفسي للآلهة .. وكنت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اهيم فى الليالي القمراء على شاطىء بحرنا اناجي الموج، واسامر النجوم واخترق ببصيرتي الغيب لاستشف كنه الوهيتي .. حتى خرجت ذات ليل ضحاك الاسارير ، الى الشاطىء .. وكان البدر يسلسل نوره المخملي على الرمال الناعمة. والبحر فى هدوء عجيب .. وعلقت نظراتي بالقمر .. اسأله متى تتحقق امنيتي .. وفجأة سمعت صوتا مدويا .. وادلهمت الدنيا ، واطبق علي ظلام راعب ، فرجفت ، وفرقت ، وهرولت اتعثر بالرمال ، وبعد هنيهات انجابت الظلمة ، وشعت الدنيا بنور وهاج اعشى بصري.. وخيل الي انني امتطي الليل الى عالم مجهول .. وفجأة بصرت امامي ثورا مخيفا كأنه قطعة من الليل تقدح عيناه نارا .. وفى راسه قرنان فظيعان .. وهرولت فزعة منه ، وادركني بسرعة ، وامسكني ، والقاني فوق ظهره ، وانتفض ، فنبت له جناحان كبيران ، وحلق فوق البحر مخترقا السماء ، وانا فى ذهول غريب .

اجينور : ايتها الآلهة ارحمينا .

قدموس : ما هذه المعجزة يا اوربا ؟

اوربا (ضاحكة) لا تخافوا ..

رامتا : وماذا حدث بعد ؟

اوربا : واخيرا حط بي على ذروة جبل مخضوضر لم تر عيناي مثله فى نضرته الزاهية ، واشجاره اللفاء الموقرة بالاثمار الغريبة ..وينابيعه الثرة التي تشدو بنغمات فيها حنين عجيب ، ولوعة شاكية ، تنتظمها موسيقى لم اسمع مثلها فى حياتي كأنها خفقة الانسام البليلة وغمرتني طمانينة رخية، وسرحت بصري فى هذا الافق الوضيء ... وفى كل لحظة تتجدد المناظر الساحرة امامي .. وذهلت عن الثور الذي طار بي .. واذا به يلامسني بقرنيه ... وينتفض انتفاضة جبارة ، فينجلي شاب باهر الرواء ، فيه جمال رائع تكتنفه سحابة من نور .. وحدق بي طويلا ، وهتف بصوت شجي : اوربا .. يا ساحرة فينيقيا ، يا حفيدة الآلهة التي سكبت فيها خلاصة الجمال الالهي .. اتعرفين من انا ؟.. انا جوبيتر سيد الاولمب .. ترامى الي نبأ جمالك الساحر، فعشقتك قبل ان اراك ، وجئت ذات يوم الى شاطىء فينيقيا لاتمتع بمنظرك الالهي .. ولما رايتك اصبح حبي لك هياما وعبادة .. ان جمالك يزري بجمال آلهة الاولمب .. وابت الى مقري وطيفك النديان لا يبرحني حتى فاض بي غرامي ، ولم اشتطع له احتمالا ، فطرت الى فينيقيا وخطفتك لاتزوجك .. وبهذا تصبحين الاهة لانه حرام ان يتمتع البشر بجمالك .

قدموس : وماذا بعد ؟..

اوربا : المسألة لا تحتاج الى تفكير .. كنت سعيدة بهذا الحب وانجذبت اليه بكليتي .. ورايتني افتح ذراعي ، واضمه الى صدري .. لقد تحققت امنيتي . واصبحت الاهة فى الاولمب .

رامتا : وهكذا تركتينا يا اوربا .

اوربا : سأزوركم بين الفينة والاخرى

قدموس : وهل الحياة هناك جميلة ؟

اوربا (ضاحكة) انها السحر والشعر والعطر والنور .. كلها احلام وجمال .. فيها متعة للروح .. ما اجمل حياة الآلهة فى تناكرهم وتناحرهم وتحاسدهم وتباغضهم وفى محبتهم وتواددهم وصفائهم. انها حياة جسدت الخلود باحلى معانيه ...

قدموس : وكيف استقبلوك هناك ؟

اوربا : اقامت لي الآلهة احتفالا عظيما اريقت فيه الخمور الذهبية ، وشدت الموسيقى العذبة ، وعمت الغبطة الجميع، وهنأوا جوبيتر بي. مطرين جمالي .. واجمعوا على انني كسب رائع لهم ، ونعمت بهذه السعادة فلقد وجدت مكاني الذي كنت احلم به.. منذ طفولتي

قدموس : كم اتوق الى رؤية هذا الجبل المقدس .

اوربا : يستحيل .

قدموس : لماذا ؟

اوربا : لانك بشر

قدموس : ولكني شاعر انطق بلغة الآلهة ..

اوربا : جادت عليك الآلهة بهذه الموهبة السحرية .. فانت تعيش على الارض بجسدك .. اما روحك فهي فى ظمأ ملح الى السماء ... وفى هذا نعيم عظيم .

قدموس : الا يمكن ان ازورك مرة واحدة ؟

اوربا : المخلوق لا يعيش مع الخالق .

قدموس : ما افظع هذا اليأس الذي يفتك بي .

اوربا : لا تيأس .. لان الآلهة نذرتك لعمل جليل تخدم به الانسان.

اجينور : ما هذا العمل يا اوربا ؟

اوربا : اهداني زوجي صبيحة عرسي قارة كاملة . ونصبني الاهة عليها اصرف شؤونها بحكمتي ، واطلق عليها اسمي فاصبحت حتى الابد تعرف باوربا . وهذه القارة يطبق عليها ظلام الجهل ، وتعيش في بربرية مخيفة .. واعتزمت ان اوقظها من جهلها .. ولهذا طلبت الى جوبيتر ان يأذن لك بالسفر اليها لتلقنها حضارتنا الزاهية . تعلمها الكتابة المقدسة ، وترشدها الى الصناعة والتجارة ، وتنهض بها من عثرتها.. وانها لمهمة سامية

قدموس : وكيف اغادر فينيقيا الخالدة ؟ هل استطيع ان افارق هذه الربوع الخضلة يوما واحدا ؟ انها مستقى شاعريتي ، وينبوع الهامي ، ومصب احلامي ..

اوربا (بحزم) قدموس .

قدموس : نعم يا اختاه الغالية .

اوربا : انك تنسى ان التي تكلمك الاهة .

قدموس : ولكنك قبل كل شيء اختي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطريق الى المستحيل

كأي طريق الى المستحيل
طريقك هذا طويل طويل
تموت عليه خطى الذاهبين
ويأكلها الظـل قبل الوصول
وانت اخضرار الحيـاة
ولون المنى وابتهاج الحقول
وشرفة قصرك بين السحاب
كأرجوحة للمساء العليل
كعين على الغيم لا ترتوي
تعلق فيها الاسى والذهول
بعثت اليها بوهم غرير
على مركب من عويـل
وابصرت دمعي على المنحنى
وفوق المسافة حلم قتيـل
وحدثت نفسي ماذا اريد
وماذا اقول
وانت رفضت انـال
ببابك فخر المثـول
خطابي لا شك تحمر منه
السطور فان خطابي خجول
وانت ايا ربـة الحسـن
رفقـا بهـذا الذليـل
فلا تقذفيه وقولي بربك
مـاذا اقول
اقول بأني فقير وان صحابي قليل
وان المسافـة لو تعلمين
يتيـه لديهـا ذكـاء العقول
وان الطريـق الى حبنـا
كأي طريق الى المستحيل

القاهرة — محمد ابراهيم ابو سنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوربا : ان رسالة منوطة بك لخدمـة الانسان البربري الذي يعيش فى قارتي . فكيف تمتنع عن الاصاخة لامري ؟

قدموس : (حالما) سأصدع بما تأمرين

اوربا : اختر نخبة من فتيان فينيقيا الاشداء الذين يتقنون الصناعات المختلفة التي اشتهرت بها بلادنـا الحبيبة . وخض بهم البحـار حتى تصلوا الى قارتي .. وعلموا اهلها الكتابة والصناعة انه امر .. وستحيق بـك اعظم الرزايا اذا تمردت على ارادتي .. سأسلط عليك كلاب البحر تمزق جلـدك اذا لم تسرع فى الذهاب .

رامتا : انه اخوك وقرة اعيننا .

اوربا : خلق الفينيقي لخدمة العالم . فكيف يتقاعس قدموس ؟

قدموس : لن اتقاعس يا اوربا وسأمتطي غوارب الموج لاصـل الى هذه القارة النائية لاعلم اهلها حضارتنا العظيمة .

اوربا : هـكذا عهدتك سيد شباب فينيقيا الخالدة .

(انغام موسيقى حالمـة . . تنعش الروح .. تتصاعد من افق بعيد اجينور وقدموس ورامتا يتطلعـون يمنة ويسرة ليعرفوا مصدرها .. وفجأة يرون سحابة بيضاء ترف عليهم ، وتظلل اوربا التي ترنـو الى ذويها باسمـة .. وتحلـق السحابة بعيدا بعيدا)

اجينور : واحسرتاه ذهبت اوربا .

رامتا : ليتها ظلت انسانة مثلنا .

قدموس : وداعا يا احب الناس الـى نفسي .

اجينور : متى تنفذ ارادة اختك يـا قدموس

قدموس : سأعد العدة للسفر منـذ اليوم

رامتا : حرستك اختك يا قدموس .

قدموس : ما اجمل ان يكون الانسان الها مع الآلهة

اجينور : واجمل منه ان يخـدم الانسانية .

طرطوس — محمد حاج حسين

الحنين الى بغداد !..

●

ابـدا احـن الى ربـوع ديـاري ... كحنيـن اعمى للسنـى المـوار
أشتـاق لثـم ترابهـا واود لـو ... احظـى بنشـق نسيمهـا المعطـار
وطنـي هـو الفردوس بسام الضحى ... حلـو الاصائـل فـاتن الاسحـار
يقتـادني شـوق اليـه مبـرح ... شـوق النـديم لرشف كـأس عقار
من لي بـأن افني الحيـاة موزعـا ... مـا بيـن اربعـة رهيـن اسـار
يـا كوثـر الصـادي وبلسم جرحه ... هـل مـن رحيقـك مـا يبـل اواري
قـد كنت امـرح فى ريـاضك ناعما ... وانـال مـا اهـوى مـن الاوطـار
كـم بـت مشبـوب الجوانـح صاديا ... ورجعـت نشوانـا مـع السمـار
آمنـت يـا وطنـي بـأنك جنـة ... فهتكـت فى حبيـك ثـوب وقـاري
وعبـدت حسنـك وهـو نبـع ملاحني ... ومشـار اشواقـي ووحـي فخـاري
وهتفـت باسمك فانتشيت كأنـه ... ترجيـع شاديـة وشـدو هـزار
قدسـت ذكـرك واطرحـت عواذلا ... ثمـلا بحبـي خالعـا لعـذاري
الذكريـات نكـان جرحـا داميـا ... فكرهت غـير مغبـة التذكـار
وذكـرت وادي السحـر يوم تطوحت ... بـي للنـوى أسبـاب عيش ضـار
وكـان دجلـة والنخيـل يحفهـا ... مـرآة غانيـة زهـت بأطـار
وكأنهـا والبـدر يلثـم ثغرهـا ... ينبـوع نـور او مسيـل نضـار

* * *

« بغـداد » مـا تركي ربوعـك عن قلى ... ادميـت كرهـا معصمـي بسـوار
فـاذا ذكرتـك اغرقتنـي ادمعـي ... حزنـا وفى قلبـي سعـار النـار
ان كـان لـي عتـب عليـك فانـه ... عتـب المحـب عـلى الحبيـب الزاري
لـم يصـف وردك لـي وانت عـلى المدى ... صفـو الهـوى لو قـر فيك قـراري
مـروا بشرقـي « الرصافة » وانشدوا ... قلبـي لـدى ظبياتـه الابكـار
واقـروا السلام عـلى مرابـع لهونـا ... « بـالكرخ » بيـن مـلاعب الاقمـار
لا تعجبـوا ان ذاع شعـري نغمـة ... انـا بلبـل قـد حـن للاوكـار
ادمتـه ايـدي الحادثـات مفـردا ... باللحـن ينشـد رائـع الاشعـار
فطوى عـلى الـم جـراح فـؤاده ... يشكـو مـن الاقـدار للاقـدار

* * *

الوحـدة النكـراء تلهـب خـاطري ... وفـراق احبـابي وبعـد الـدار
ونشيـج والـدة وحسرة والـد ... يتلـو التمـائم خيفـة النظـار
طـارت نفوسهـم شعاعـا حينمـا ... ازف الرحيـل كفتيـة اغـرار
وقفـا لتوديعـي وقـد ريعـا اسى ... والثغـر يضحـك والدمـوع جواري
فعرفـت معنـى الحـب عنـد وداعهم ... فحلفـت حبهمـا يكـون شعـاري
صـور تخايـل للجنـان فانثنـي ... دامـي الفـؤاد مقطـع الاوتـار

بغـداد

عبد القادر الناصري

رأيته في صبيحة يوم من صيف سنة ١٩٤٥ وكنت قد سافرت الى لبنان للاصطياف ، فكان غارقا في كرسيه . منهمكا في عمله تحت شجرة سنديان قديمة الايام ، تبسط ظلها فوق دكانه الصغير ، وامامه نضد مربع الشكل ، قد تآكلت حفافيه لقدمه ، وانتشرت فوقه بدون نظام وترتيب الادوات التي يستعملها في حرفته ، فوقفت امامه وقلت له :

ـ صباح الخير يا عم .

وحين سمع الرجل صوتي رفع راسه ، وحدج بنظره في وجهي ، من وراء نظارته الاثرية ، واشرقت على محياه ابتسامة حلوة عذبة ، اخفت التجاعيد التي احدثتها فيه السنون ، ورد التحية وقال :

ـ الف صباح الخير على عيونك ، اهلا وسهلا

ـ كيف حالك يا عمي ؟

ـ نعم الحال يا ابنتي ، ولله الحمد ، هل من خدمة ؟

ـ نعم اريد اصلاح كعب حذائي

ـ تكرمي ، اهلا وسهلا

وقدم لي كرسيا وقال : اتفضلي يا آنسة

واخذت الكرسي ، وجلست عليه، وخلعت حذائي ، وناولته للاسكافي بعد ان كنت قد وضعت قدمي على قطعة من الكرتون ، فشرع يتأمله بعينيه الواسعتين ، وكان بين الحين والحين يختلس النظرات الى ساقي الممدودتين ، والابتسامة الحلوة لا تفارق شفتيه ، وهو ينهال علي بسيل من الفاظ الترحيب المألوفة ، التي اعتاد اهل الجبل ان يكيلوها لكل غريب الى ان قال :

ـ اظن ان الانسة غريبة ،وتصطاف في الضيعة ؟

ـ اجل ، اني اصطاف في الضيعة ، هذا حقيقي ، ولكني لست بغريبة ما دمت عربية

اعجب الاسكافي بردي واجاب :

ـ صدقت ، تكرمي ، اهلا وسهلا فيك .

وكان وهو يتحدث الي ، لا يزال يقلب الحذاء بين يديه، وكان الكرسي الجالسة عليه ، يصدر انينا خافتا ، كلما صدرت مني حركة من غير قصد، فنهضت عنه اشفاقا عليه من الانهيار، لاحظ الاسكافي ذلك، فنظر الي وقال:

ـ الكرسي متين يا انسة، اتفضلي اقعدي ، ان الحذاء يحتاج الى وقت لاصلاحه ، وان نعل الكعب متآكل ، وهو من صنف رديء جدا ، يا سلام على الناس وغش الناس ، اهلا وسهلا فيك ومرحبا ، ان شاء الله تكوني مبسوطة عندنا في الضيعة .

ـ مبسوطة بوجودكم ، ان نزل شيء في ضيعتكم جميل ، واهلها كرماء وظرفاء ولكن ارجو يا ..

اسكافي الضيعة

بقلم ميشيل سليم يمين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاطعني الاسكافي والابتسامة لا تفارق محياه وقال :

ـ محسوبك عمك ابو خليل

فابتسمت من خفة روحه ومن لهجته وقلت :

ـ تشرفنا يا عم ابو خليل ،ارجوك ان تسرع قليلا في اصلاح الحذاء ،لاني مرتبطة بموعد

ـ مرتبطة بموعد !!! الدنيا ماطارت يا بنتي ، تكرمي والاسم الكريم

قلت : ليلي

ـ تكرم عيونك يا انسة ليلى

واخذ العم ابو خليل يعالج كعب الحذاء ، فنزع الجزء التالف منه ، وشرع في تسوية الفجوة التي فيه بمطرقته ، وانا جالسة امامه أستمع الى صوتها وانصت في الوقت ذاته الى زقزقة العصافير ، التي كانت تملأ اغصان شجرة السنديان ، واذا بالعم ابي خليل يترك الحذاء فجأة ، وينهض عن كرسيه وهو يقول :

ـ عن اذنك دقيقة واحدة يا انسة ليلى

ظننت لاول وهلة ان اباخليل ذاهب لقضاء شأن من شئونه ، ولكن ظني خاب ، عندما عاد ، وهو يحمل بين يديه طبقا كبيرا مملوءا بالعنب الشهي، والتين اللذيذ ، ويضعه امامي على النضد ويقول :

ـ اتفضلي يا انسة ليلى ، حلت البركة فيك ، اتفضلي ذوقي عنباتنا وتيناتنا

اما انا فنظرت الى الطبق ، فاذا منظره ينبيء عن مخبره ، فقد كانت العناقيد لا تزال مبللة بقطرات الماء الندي ، فاخذت عنقودا منها واكلته بشهية وقلت :

ـ شكرا يا عم ابو خليل ، حقيقة ان عنبكم لذيذ الطعم .

ـ تكرمي ، اتفضلي وذوقي التينات

ابتسمت ، واخذت بعضا منها واكلته وقلت :

ـ الف شكر

ـ حلت البركة فيك ، الى اين بالسلامة ؟

ـ الى شمال لبنان، ان شاء الله

ـ مصحوبة بالف سلامة يا انسة ليلى

ـ ارجو منك يا عم ابو خليل ان تشتغل وانت تتكلم لان الوقت ضيق

ـ يا سلام !!! انت تضايقني من كلامي ، ارجوك خذيني على قد عقلي

وبعد ان كنت منفعلة ابتسمت من خفة روحه وسذاجته وقلت :

ـ العفو ، ان عقلك يوازن الجبال يا عم ابو خليل ، ولكن الرحلة طويلة، والرفاق بالانتظار ، والوقت ضيق

ـ ربنا يطول لي عمرك ، يا ابنتي الدنيا ما طارت، انا عندي مبدأ ورثته عن اجدادي ، فقد كان والدي رحمه

الله يقول لي :

« يا ابني قليل من العناية فى عملك، يجعلك دائما موضع ثقة زبائنك ، وربنا يبارك لك بقرشك ،ويسعدك »

ـ ابوك رحمه الله معه حق ، ولكن ارجوك ان تسرع قليلا فى اصلاح الحذاء ، لان الرحلة طويلة كما قلت لك ، والرفاق بالانتظار

ـ تكرمي يا انسة ليلى ، الدنيا ما طارت ، اعملي معروف خذيني على قد عقلي ، وعلى راي المثل العجلة من الشيطان

واستانف العم ابو خليل العمل فى اصلاح الحذاء ، وهو يهز راسه علامة عدم الرضى عن صناعته ، الى ان قال:

ـ يا سلام على الناس، وغش الناس ، ان النعل الذي اضعه في حذائك من اجود اصناف النعل ، لانه عندي مبدا ، وعلى راي المثل ان من لا مبدأ له ، لا عهد له

تململت فى ضيق وتأوهت وقلت:

ـ طبعا طبعا ، آمنت بالمبدأ الذي ورثته عن اجدادك ، ولكن ارجوك الرحلة طويلة والرفاق بالانتظار

ـ تكرمي يا انسة ليلى،ارجو منك ان تأخذيني على قد عقلي ، وتنصتي الي ، ان حقارة دكاني لا تحول بيني وبين اتقان عملي ، كما ان الغربة لم تغرني على ترك ضيعتي ، واهمال حرفتي ، التي ورثتها عن اجدادي ، كما فعل غيري كثيرون من ابناء ضيعتنا الذين تركوا حرفهم ، وهاجروا الى اميركا وغيرها ، اما انا ولله الحمد ، قانع مع ام خليل بما قسمه الله لنا من رزق ، دون تذمر او شكوى ، قل هذا الرزق او كثر .

تأثرت من كلام العم ابي خليل ، حتى كاد ينسيني الرحلة ورفاق الرحلة ، فقد اعجبني منه تعلقه بحب ضيعته ، وتمسكه بالمبدأ الذي ورثه عن اجداده

وكان العم ابو خليل وهو يتحدث الي دامع العين ، ولما انتهى من اصلاح الحذاء التفت الي وقال :

ـ اتفضلي يا انسة ليلى ، ارجو ان يكون قد اعجبك شغلي

تناولت الحذاء منه ، وتأملته قليلا وقلت له :

ـ شكرا يا عم ابو خليل ،ان شغلك عال خالص

ـ تكرمي ، اهلا وسهلا فيك

ولبست الحذاء بسرعة ، ونقدته الاجر ، وقد قبله مني بعد ممانعة شديدة وقلت :

ـ استودعك الله يا عم ابو خليل، وعند عودتي من شمال لبنان ان شاء الله ، اريد ان تصنع لي حذاء جديدا

ـ تكرمي ، انا تحت امرك ، انا محسوبك

ومضيت بسرعة الى العين ، حيث ينتظرني رفاق الرحلة تحت شجرة الصفصاف

*

ومكثنا فى رحلتنا الى شمال لبنان نحوا من اسبوع ، زرنا خلاله مغارة قاديشا ، وهي تمتد الى مسافات بعيدة تحت الجبال ، ولما اوغلنا في داخلها ، ونحن نعتمد فى سيرنا على حاجز من الحديد وقف الدليل الذي يرافقنا فجاة وقال :

ـ انظروا الى الفجوة الغائرة في السقف ، وتأملوها جيدا ، ماذا تشبه يا ترى ؟

اما نحن فحدقنا النظر فيها ، وتأملناها جيدا ، ولكن الله لم يفتح علينا ان نعرف اكثر من انها فجوة كبيرة ، داخل مغارة شهيرة ، واخيرا التفت الدليل الينا وقال بلهجة لا يرتقي اليها الشك :

ـ ان هذه الفجوة يا حضرات السادة ، هي طربوش سيدنا نوح عليه السلام

ارتسمت على وجوهنا علامات الدهش من هذا الكلام ، الذي اراد الدليل ان يدخل به الغفلة الى عقولنا، فلاحظ علينا ذلك ، فاردف ما تقدم قائلا :

ـ لا تدهشوا ، انها حقيقة طربوش سيدنا نوح ، وقد نسيه فى هذا المكان يوم ان كان يقيم فى لبنان ، قبل ان يصنع فلكه استعدادا لاستقبال الطوفان ، الذي غمر الارض فى قديم الزمان ، ولكنه تحجر بمرور الايام

ضحكنا جميعا ضحكات قوية من خفة روح هذا الدليل ، ومن تعليله اللطيف الظريف ، لهذا التجويف .

وبينما كانت السيارة تدلف بنا فى طريقها الى الارز، وهو خاتمة المطاف، رأينا بجانب الطريق ، لافتة تشير الى المكان الذي يرقد فيه رقدته الاخيرة، فقيد العروبة جبران خليل جبران، فتركنا سيارتنا وسرنا فى دروب ضيقة وعرة ، وسط الاشجار الكثيفة الباسقة ، ولما بلغنا ربوة عالية ،شقت فى وسطها طريق ضيقة ، اجتزناها بحذر وخوف من السقوط فى الهوة العميقة التي تحتها ، الى دير صغير قديم ، قد نحت فى قلب صخر ، يشرف على الوادي المقدس « وادي قاديشا » المهيب ، فى السفح الشمالي الشرقي المطل على قرية بشري،مسقط رأس جبران ، وتكتنف هذا الدير ، الاشجار الباسقة من جميع نواحيه، فلم نر فيه رهبانا ، ولم نشاهد فيه نساكا ، فقد هجره جميع هؤلاء ، ما عدا ناسك واحد ، قد آثر الزهد فى الحياة ، فعاد من مكان قصي ليستقر فيه الى الابد .

ففي هذه البقعة الخلوية الساحرة، التي كانت مسرحا لطفولة جبران،والتي كان يمني نفسه فيها لو كتبت له الحياة وعاد الى لبنان ، كان يحلم ان يقيم جبران ، ولكن حلمه لم يتحقق ، فقد عاد اليها ميتا ليقيم الى الابد فى داخل تابوت رصاصي اللون ، هو اليوم مزار الناس من جميع الاجناس

وعدنا مع الجماهير من زيارة ضريح جبران ، وانحدرنا فى الوادي المقدس، وانحدرنا كثيرا الى اعماقه ، فرأينا فتحات الكهوف والمناسك التي احدثتها عوامل الطبيعة ، تطل علينا وهي فاغرة افواهها ، كأن الدهش قد استولى عليها من رؤيتنا ، بعد ان اقفرت من سكانها الذين كانت تطيب لهم الاقامة فيها ، وكانت اصداء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السكينة ونحن نهبط الى اسفل الوادي تهيمن على كل شيء حولنا ، ولم يكن يقطعها سوى زقزقة عصفور، او تغريد بلبل او خرير ماء منساب بين ثنايا الصخور والاعشاب وبعد ان طفنا في ارجاء وادي قاديشا ، عدنا نصعد في الطريق الصخري الى ان بلغنا اهدن في المساء

وفي الصباح الباكر ، ذهبنا الى غابة الارز المشهورة ، وقد احسسنا برهبة وخشوع ، ونحن نلج الى داخلها ، فكان النسيم العليل يداعب اغصان اشجارها الجبارة التي بلي الزمان وما بليت ، وهو يوسوس لها باحاديث كانه يذكرها فيها بالقوم الغابرين ، ويحدثها عن القادمين ، فكانت تلك الاغصان تعلو وتهبط برفق ولين ، اشبه شيء بفلك تؤرجحه الامواج ، فوق صفحات بحر تعبث بمائه الرياح .

وتركنا الغابة التاريخية وعيوننا لم تشبع من رؤية تماثيلها الحية ، وقصدنا منتزه « نبع مار سركيس » وقد اصطفت على طول حفافيه اشجار الحور البيض وبرزت من ثنايا صخوره اشجار السنديان والبلوط ، فاقيمت تحت ظلالها الوارفة المقاهي والمطاعم ، فاتخذنا لنا مكانا هادئا تناولنا فيه طعام الغداء ، تحت شجرة حور من تلك الاشجار السامقات ، وكانت الشمس الدافئة ، تضاحك ورقها الفضي ، وهو يرقص طربا على حفيف النسيم العليل ، وخرير الماء وزقزقة العصافير ، يا لها من سيمفونية عذبة، توقع الطبيعة انغامها على الآت طرب من الطبيعة !! فكان يخال الينا اننا نرتع في جنة الخلد ، لا في بقعة من ارض لبنان .

واقترب المساء ، وكانت ظلمات الليل قد بدات تزحف في اعقاب النهار، فزايلنا تلك الجنة الارضية ، وكان السائق يترنم بالاغاني اللبنانية ، في جو كله سكون ، لم نكن نسمع فيه الا همسات قلوبنا ، ولم نكن نحس الا بلمسات النسيم العليل المعطر التي كانت تملأ صدورنا ، الى ان بلغنا الضيعة في ساعة متأخرة من الليل ، وكنت في اشد الشوق الى رؤية العم ابي خليل ، لاحدثه عن رحلتي الى شمال لبنان .

وقصدت دكانه في صباح اليوم التالي ، فرايته جالسا كعادته على كرسيه التقليدي القديم ، ممعنا في عمله بجد ونشاط، فما ان رآني مقبلة عليه ، حتى رمى الحذاء ، واطلق ضحكة قوية تنم عن شدة فرحه بلقائي وبسط ذراعيه وقال :

ـ الحمد لله على سلامتك ، اهلا وسهلا ، ان شاء الله تكوني انبسطت في رحلتك ، وسوى ذلك من الفاظ الترحيب ، حتى انه لم يترك لي فرصة للرد عليه، فايقنت بان الصداقة قد نشأت بيني وبينه من هذه اللحظة، وكنت امر عليه ، كل صباح طيلة اقامتي في الضيعة ، واجلس امامه ، واستمع الى احاديثه الشائقة، وذكرياته الممتعة عن الضيعة ، واهل الضيعة ، المقيمين فيها والمغتربين عنها ، وكان لا يفوته في ختام حديثه في كل مرة ان يقول : « ان من لا مبدأ له لا عهد له » .

وفي ذات يوم بينما كنا نتجاذب اطراف الحديث كعادتنا ، وكان معنا جماعة من شبان الضيعة ، قد افترشوا الارض بالرغم من اناقة ملبسهم ، اشار العم ابو خليل بيده فجأة الى احد المارة ، وكان شابا نحيل الجسم ، غائر العينين ، مصفر الوجه ، على غير ما تعودت رؤيته بين اهل الضيعة ، فعراني الدهش من منظر هذا الشاب ، الذي ذوى شبابه قبل الاوان، فايقنت انه غريب، فدفعني فضولي الى ان اسأل ابا خليل عن امره ، فالتفت هذا الي واجاب :

ـ اسمعي يا ابنتي قاتل الله الغربة، التي ما فتئت تنتزع منا زهرة شبابنا فليس في لبنان قرية مهما يقل شأنها الا ويوجد مغتربون من اهلها ، ولكن بعضهم يعاوده الحنين الى لبنان ، فيعود اليه ، والبعض الاخر لا يعود، وهذا الشاب كان ينعم بخيرات ضيعته، ويرتع في بحبوحة عزها ، ويتمتع بجوها الساحر ، فاستهوته الغربة ، فترك اهله وضيعته وشد الرحال الى افريقيا ، وارتمى في احضانها . فلتقفته بشوق ، ثم ما لبثت ان كفرت به ، وتنكرت له ، فكاد يذهب ضحية مكرها لولا ان رجع الى نفسه ولم البقية الباقية من صحته وعاد الى لبنان ، ليكفر عن جحوده لضيعته .

ـ ان كل شيء في لبنان جميل واني اعجب كيف يترك اللبنانيون هذا الجمال

ـ اجل يا ابنتي ، نحن مع الاسف لا نحس بهذا الجمال

ـ قل لي يا عم ابو خليل بصراحة، اما فكرت في يوم من الايام وانت في صدر شبابك ان تهجر ضيعتك ؟

التفت الي العم ابو خليل لفتة ، تنطوي على الحنق والغيظ وقال :

ـ صدقيني يا ابنتي ، ان الغربة لم تستهوني قط ، فقد مكثت حتى هذا العمر مقيما على الوفاء لضيعتي مخلصا لمهنتي ، التي ورثتها عن اجدادي ، امينا على مبدأي ، ان كل جلسة تحت هذه السنديانة ، التي في كل غصن من غصونها قصة تروى، وكل نظرة الى كرم العنب وجلول التين ، وكل جرعة من نبع الضيعة ، تساوي الغربة باسرها .

كان العم ابو خليل شديد التأثر وهو يحدثني عن الضيعة ، فاكبرت قدره، وشعرت باحترام غريب له ، لربما لوفائه لضيعته وحبه للبنان ، واخلاصه للمبدأ الذي ورثه عن اجداده

انتهت مدة اقامتي في الضيعة ، فودعت اهلها ، وودعت العم ابا خليل الذي وان غاب عني جسمه لم يغب عني ظرفه ولطفه وكرمه وروحه المرحة .

*

عاودني الحنين الى لبنان ، بعد مضي سبعة اعوام ، فشددت الرحال بالطائرة ، فما انقضت ساعتان ، حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماذا دهاك ؟

ماذا دهاك.. لتحطمي عرش الهوى
قبل مجيء فتاك
هو ، من بعيد
من تربة بردى الحالمة
حن الى الحضن الشريد
وترنيمة المواعيد
وضمة الورود الهامسة
وعند طلوع الصباح الاشقر
قطف لك العنقود الاصفر
وحدث فى لياليه المقمرات
نجوم الفضاء المتلالئات
عن انشودته الساحرة
عنك انت بالذات

قسوت قبل تبعثر الامال
فاواه منك .. ما اقساك
واسفاه على لون الوصال
الذي طوته سويعات الهيام
ومشيتك فى الدروب السوداء
التي لم تنشد السلام
كم مرة سمع الليل

وقع خطواتنا على رصيف الشارع
شارع المنعطفات والاحلام
وكلامنا المتقطع الممزوج بالطيب والاقحوان
وكم حدثتك عن مصيري المجهول
قبل ان تحجبك عني ليلة حمراء
من ليالي ايلول

انا عشت معك الدقائق المتاوهات
وبعدها اخبرتني عن حفرة الوصال
عن حبيبك المغشوش
وابيك الفارق بـ « الكمال » وقريتك المترهلة
ودروسك فى الصيف المهملة
انا فكرت بالحب
بمفازلتك الباسمة فى المساء
وصب كؤوس الخمر
فى المقهى الدافىء حيث كان الميعاد
نخب هوانا الكبير
لكن هوانا مات .. مات هوانا
يا قاسية الفؤاد
يا العابثة بالاساطير

ابراهيم عبده الخوري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنا قد وصلنا الى مطار بيروت ، فاستأجرت سيارة دلفت بي الى الضيعة ، فوصلت اليها فى المساء ، وانتظرت حتى اذا شقشق فجر اليوم التالي ، قصدت دكان العم ابي خليل وكنت فى اشد الشوق الى رؤيته ، فوجدته مقفلا، قد علت بابه الخشبي البدائي الصنعة ، طبقا تكثيفة من التراب، تشير الى انه لم يفتح من زمن بعيد ، والتفت حولي فلم ار اي اثر للسنديانة التي كانت تظلله باغصانها الوارفة ، فساورتني افكار السوء التي تسرف فى التشاؤم ، وانقبض قلبي ، ووقفت مشدوهة، فى مكاني ، حائرة فى امري ، الى ان مر شاب فاوقفته ، وقلت له بلهفةبالغة:

ـ اليست هذه هي دكان العم ابو خليل ؟

وقف الشاب مبهوتا من هذا السؤال ، ونظر الي نظرة تنطوي على الاشفاق والحزن معا ، وقال :

ـ اظن ان الانسة غريبة عن الضيعة

قلت وانا اتلفت حولي : نعم

قال : ابو خليل قد مات

قلت بدهش : مات !!

ـ نعم يا انسة

ملأ سماع هذا الخبر نفسي حزنا، حتى كاد يغمى علي من شدة الصدمة، فلم استطع حبس دموعي ، فانفجرت بالبكاء ، وانا احاول ان اضبط الزفرات المتقطعة الهاربة من صدري، ولما تمالكت شعوري ، اظهرت للشاب رغبتي فى زيارة ضريحه ، فاستجاب لرغبتي فتوجهت اليه برفقته سيرا على الاقدام ، ولما بلغته ، ضفرت اكليلا جمعت زهوره من الجلول المجاورة ، ووضعته على ضريحه القائم عند سفح رابية تظللها شجرة سنديان، بجوار كنيسة الضيعة ، وبعد ان وقفت تحت ظل تلك السنديانة صامتة مدة استمطر على جدثه الطاهر شآبيب الرحمة والرضوان ، قررت ان اغادر الضيعة ، لاني لم اعد اطيق المكث فيها ، وبينما انا اهم بركوب السيارة ، رنت فى اذني كلمات العم ابي خليل :

« اسمعي يا ابنتي ، اذا ورث الانسان مبدأ يجب ان يحافظ عليه، ومن لم يكن عنده مبدأ فى الحياة فليجتهد ليتخذ له مبدأ » .

القاهرة — **ميشيل سليم يمين**



مكتبة الاديب

نساء متفوقات

للسيدة سلمى الحفار الكزبري ـ تقديم الدكتور قسطنطين زريق ـ ٢٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

اثنتا عشرة امرأة تروي لنا السيدة سلمى الحفار الكزبري سيرهن في كتابها الاخير « نساء متفوقات » ، فتمتعنا في هذا الكتاب بفن يجمع بين طلاوة القصص ومعرفة التاريخ ، وتنقلنا فيه بين الاجيال المتباعدة من الزمان والجوانب المختلفة من نشاط المرأة في العلوم والفنون والخدمات الانسانية ، وتبعث في نفوسنا ونحن نقرأ سير اولئك المتفوقات اشتاتا من العواطف كلها سام وجميل ، نكبر فيها جهود العبقريات منهن وتضحيات الانسانيات بينهن ، ونشفق فيها على قلوب من تعذبن منهن او شقين في حياتهن او في جهادهن لمثلهن العليا . ويثور في انفسنا الطموح الى ان نبلغ بالايمان والعمل ما بلغته هؤلاء اللواتي استمددن من ضعفهن قوة وتغلبن على الوان الصعوبات والعراقيل التي اعترضت سبلهن حتى اصبحن نساء متفوقات ...

والذي لا شك فيه ان التاريخ النسائي حافل باسماء نساء كثيرات بلغن من الشهرة والنجاح شأوا بعيدا في مختلف نواحي النشاط الانساني ، شأوا اكبر في بعض الاحيان مما بلغته بعض من ترجم لهن الكتاب الذي بين ايدينا . ولذا فان القارىء الفضولي ليتساءل هل للسيدة مؤلفة هذا الكتاب نظرة خاصة الى التفوق عند المرأة ، وهل لها شروط معينة لا يكون بدونها التفوق تفوقا ؟ في اعتقادي ان الجواب على هذا التساؤل سيكون بنعم ، وان السيدة سلمى الحفار الكزبري قد اخضعت التفوق ، سواء فعلت ذلك واعية او بصورة لاشعورية ، الى مقاييس معينة طبقتها في اختيارها لسير من ترجمت لهن في كتابها. والا لكان اجدر بها ان تترجم لمدام دوبومبادور بدلا من ترجمتها لمدام ريكاميه ، ولجورج صاند بدلا من سلمى لاجرلوف ، ولسارة برنار بدلا من ام كلثوم ابراهيم . ان مقياس التفوق عند مؤلفة « نساء متفوقات » ليس في النجاح المادي والشهرة وحدهما ، وليس في الابداع الفني او العبقرية العلمية وحدهما ، وليس في الحنكة السياسية او النزعة الانسانية وحدهما، بل هو في تمتع المتفوقة الى جانب كل هذا ، وان تتوسل الى بلوغ كل هذا ، بالسلوك المستقيم وبالفضيلة الخلقية . واذا كنت لم اجزم بان السيدة المؤلفةقد اخضعت التفوق الى هذه المقاييس بصورة واعية فذلك لانها لم تنص على هذه المقاييس صراحة في ما كتبته بل جاءت النفحة الفاضلة في سير من ترجمت لهن نفحة عفوية ، كان ذلك منها يشير ان التفوق الحقيقي هو التفوق الفاضل والتفوق الفاضل وحده . وان مؤلفة « نساء متفوقات » لتهدينا الى ان التفوق الفاضل في سيرة امرأة هي محط الانظار ومطمح النفوس لمواهبها وامكانياتها ليس بالامر الهين .. وتعطينا مثالا على ذلك ما تقصه علينا من قصة الصراع العاطفي الذي كانت نفس مدام ريكاميه معذبة به في ترددها بين هوى نفسها وبين ما يفرضه الخلق القويم . ان هذه الخاصة منخصائص التفوق كما تفهمه السيدة سلمى الحفار الكزبري قد ربط بين فصول كتابها برباط مشترك كأن هو القاع الموحد لصور النساء المتفوقات ، واعطى هذا الكتاب وحدة في المعنى والمغزى وان تباعدت ازمان فصوله وامكنتها وتباينت شخصياته واختلفت موضوعاته .

وثمة خاصة اخرى من خصائص التفوق النسائي تبرزها لنا السيدة سلمى الحفار الكزبري في اثناء روايتها لسيرة نسائها المترجمات ترفع اولئك المتفوقات في اعيننا ، هي القوة النفسية التي اتسمت بها كل بطلات هذا الكتاب وهن يصارعن الظروف القاسية التي تعرضن لها ويجتزن وعورات الطريق التي صادفنها . واذا كان كل متفوق في هذه الحياة ، وكل ساع في كل مجتمع الى تغيير الشروط التي يعيش فيها ذلك المجتمع، مكتوبا عليه ان يقهر الظروف القاسية والتقاليد الجامدة السائدة قبل ان يكتب له الظفر والانتصار ، فلا شك في ان نصيب المرأة التي تريد ان تتفوق ، من العراقيل والعقبات ، اكثر بكثير من نصيب الرجل . ولعل كون مؤلفة هذا الكتاب سيدة تعرف بطريق التجربة ، ما تدفعه المرأة الموهوبة ضريبة لتفوقها في المجتمع ، سواء كان هذا المجتمع منطلقا او متحفظا ، هو الذي مكنها من الابداع في وصف جهاد المتفوقات في سبيل غاياتهن السامية ومثلهن العليا . ولقد بدت لنا اغلب بطلات كتاب سلمى الحفار الكزبري ، من خلال صفحات هذا الكتاب ، بصورة الشهيدات اللواتي تحملن العذاب والالم حتى استطعن اجتياز طرقهن المحفوفة بالمصاعب والمهالك . واذا كانت المرأة القارئة لسير النساء المتفوقات جديرة بان تشعر بهزة الفخار لمتانة عصب هؤلاء اللواتي يمثلن زبدة بنات جنسها ولصلابة عزيمتهن ، فان الرجل القارىء لتلك السير جدير بان يشعر بنوع من الخزي لضروب العراقيل التي قام بها الرجال ، ابناء جنسه ، ليحول دون تفوقهن ونجاحهن . وهذا وتلك ، القارىء الرجل والقارئة المرأة ، جديران على كل حال بان يشكرا للسيدة سلمى الحفار الكزبري ما ساقت لهما من معرفة وما اتاحت لهما تذوقه من متعة جميلة .

على ان كون المؤلفة امرأة تكتب سيرة نساء يجعل المرء يتساءل عما اذا كانت المؤلفة غير مندفعة بتحمسها لجنسها الى التغاضي عن عيوب من تترجم لهن او الى الزيادة في محاسنهن عند الكلام على تلك المحاسن . والواقع ان السيدة سلمى الحفار الكزبري ، اذا كانت قد انساقت الى شيء من هذه المحاباة ، فان انسياقها لا بد انه كان خفيا قليل التظاهر ولا سيما بالنسبة لمن هو قليل المعرفة المسبقة بسير من ترجمت لهن من المتفوقات .. الا في مرة واحدة لم تستطع السيدة المؤلفة فيها ان تخفي التماس العذر لبطلة من بطلات كتابها ، ذلك وهي تترجم لشجرة الدر . ففيترجمة هذه المتفوقة التي كانت بنت عصرها فخاضت في دسائس القصور وفي مغامرات السياسة بل وفي جرائمها ، لم تملك المؤلفة هواها من ان تلتمس المعاذير في خوضها ما خاضته وحتى في قتلها زوجها الجاشنكير ... وبعد ، فاينا يسلم من نوازع الهوى ؟!

وغير هذا ... كنت احب لو ان السيدة الحفار الكزبري اعتمدت في اثبات اسم مكان في بلادها على احد المصادر العربية . فقد اشارت في سيرة زنوبيا الى قلعة تحمل اسمها واقعة بين الرقة ودير الزور وسمتها بالاسم الذي ذكرها بها الرحالة الفربي راوولف وهو « شيلبي » بينما ان اسمها المشهورة به في هذه الايام هو « زلبية » . كما كنت احب لو انها جلت لنا ابهاما ورد في ترجمتها لمدام ريكاميه ، اذ سمت ام مدام ريكاميه في موضعين مدام نيكر . ونحن نعرف ان مدام نيكر ، زوجة الوزير الفرنسي نيكر ، هي ام مدام دو ستايل صديقة مدام ريكاميه . الا ان هذه الهنات وما شابهها لا تنقص في شيء من القيمة الفنية ولا التاريخية لهذا الكتاب الممتع والمفيد . وانها لفرصة قليلة الحدوث ، في

هذه الايام التي ملأ فيها غث الكتابة سوق الكتب ، ان يظفر الانسان بكتاب يسمو بقارئه الى اجواء مثالية سامية في بيان مشرق واداء ممتع وامانة تاريخية مثل هذا الذي قدمته لنا السيدة سلمى الحفار الكزبري مؤلفة « نساء متفوقات » .

ألرقة — عبد السلام العجيلي

•

انجيل يسوع المسيح

الحاوي قصة حياته وتعاليمه ومعجزاته ـ تأليف الاب م. ج. لاكرانج الدومنكي ـ ترجمة الاب ا. س. مرمرجي الدومنكي ـ ٥٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونيه لبنان

نضع تحت انظار القارىء العربي الكريم اليوم ، تعريفا بكتاب ظهر حديثا بعنوان : « انجيل يسوع المسيح الحاوي قصة حياته وتعاليمه ومعجزاته» لا نظير له في المكتبة العربية ولاكفاء ، كما يبدو لنا ونعتقد . والكتاب المذكور هو من تأليف المرحوم الاب م. ج. لاكرانج الدومنكي ، بالفرنسية اصلا ، ومن تعريب اخ له في الرهبنة المذكورة وزميل له في المعهد العالي للدراسات الكتابية في القدس ، هو الاب العلامة اوغسطين مرمرجي .

فمن هو المؤلف الاب لاكرانج يا ترى ؟ ومن عسى ان يكون معرب الكتاب الاب مرمرجي ؟ وما قيمة هذا الكتاب وشأنه في المكتبة العربية وفي الدراسات الكتابية ؟ اسئلة ثلاثة تثير فضول القارىء العربي ترتقص امام عينيه ، سنحاول جاهدين الاجابة عنها بايجاز واقتضاب في هذه الكلمة العابرة التي اردناها اشباعا للعقل والقلب معا ، وطلعا للعلم المخزون في الصدور ، وتعريفا بالكتاب ومؤلفه ومترجمه .

الرهبنة الدومنكية

من الملاحظ المستحب والصدفة الطيبة المؤاتية ان يكون مؤلف الكتاب الاصلي ومعربه كلاهما من الرهبنة الدومنكية المعروفة برهبنة الاخوة الكارزين والرهبنة الدومنكية المذكورة ، اسسها عام ١٢٠٦ ، اي في مطلع القرن الثالث عشر للميلاد ، القديس عبد الاحد (١١٧٠-١٢٢١) في مدينة تولوز ، لمناهضة هرطقة الالبيجيين ومحاربة مقالتهم الضالة المضللة. والرهبنة المذكورة تعرف بين اخواتها وشقيقاتها من الرهبنات العديدة في الكنيسة « برهبنة العلام او الاعلام » لكثرة ما انجبت من الملافنة الكبار عبر الاجيال ممن خدموا الكنيسة والعلم والدراسات الكتابية واللاهوتية والاثرية والتاريخ وعلم الاستشراق في شتى مظاهره ، خدمات جلى تذكر لهم فتشكر ، ولوفرة ما يتمتع به اولادها من علم غزير ، ليزيدونه جلوا وتمحيصا وتحقيقا في كهانتهم لله وخدمة الكنيسة والعلم والحقيقة . ويكفي تنويها بمقام هذه الرهبنة العلمي والشأو البعيد الذي بلغته في حرث العلوم الفلسفية واللاهوتية والكتابية والتاريخية انها انجبت عددا من كبار الاحبار الرومانيين ، ولاهوتيين وفلاسفة لا يشق لهم غبار ، وملافنة ومرشدين ووعاظا وخطباء كانوا جميعا بعلومهم وفضائلهم ، منائر علم وهدي للاجيال التي عاصروها ولا يزالون قبلة انظار وابصار وافكار الاجيال المتعاقبة .وان كان لا بد من الاستشهاد ببعض الاسماء نوردها آية لقوم يعقلون ، فنذكر منهم الملفان العظيم واللاهوتي الكبير الدكتور الملائكي الخالد العظيم بين ملافنة الكنيسة شرقا وغربا ، القديس توما الاكويني (١٢٢٥-١٢٧٤) الذي يعد بحق من اعظم العقول التي طلعت على البشرية عبر الاجيال ، اذ كانت مؤلفاته العديدة الضخمة ، الناهضة على الفلسفة الارسطوطالية ، الاساس الركين للتعاليم اللاهوتية الرسمية في الكنيسة الكاثوليكية . ومنهم ايضا الخطيب المفوه الاب لاكورديير (١٨٠٢-١٨٦٢) بلبل المنابر واكبر خطيب عرفته المدرسة الرومنطيقية في فرنسا ، وخطيب كاتدرائية نوتردام في باريس لاكثر من ١٥ سنة . هذه هي الام التي انجبت كلا من مؤلف الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به ومترجمه . فقد قيل الابن سر ابيه .

مؤلف الكتاب

والاب لاكرانج سليل الرهبنة الدومنكية والناهض بتقاليدها العلمية في خدمة العلم والدين والكنيسة ، عالم من مشاهير العلام ، طبق صيته الخافقين في الكنيسة وخارجها ، لسعة معارفه وعلو كعبه في ميدان الاستشراق عموما ، وفي مجال السنة والسنية الشعوب السامية وتواريخ اديانها وحضاراتها وآدابها وثقافاتها خصوصا . فقد اصبح ، امامنا استاما لا بل ملفانا مجددا للعلوم الكتابية في هذا العصر . ويرى فيه كثيرون اكبر عالم في العلوم الكتابية ، طلع في سماء الكنيسة جمعاء في القرون الثلاثة الاخيرة .

وذاع صيت الاب لاكرانج بما وضع من التآليف الضخمة الكثيرة ، وبما حبر من الابحاث وعقد من المقالات العلمية والنقود في حقل الدراسات الكتابية والاستشراقية وبتأسيسه «المعهد الكتابي» في القدس، وهو معهد عال للدراسات الكتابية والآثار الاركيولوجية القديمة التي تتصل باحداث العهدين القديم والجديد وبالدانية الشرق الادنى في العصور الخوالي . كذلك كان الاب لاكرانج وراء تأسيس «المجلة الكتابية» التي قام بادارتها منذ تأسيسها ، وهي مجلة تنيف مجلداتها اليوم على الخمسين وتكون مجموعتها الثمينة بحق دائرة معارف كتابية واركيولوجية لا مثيل لها

وعمل في هذا المعهد العالي ولا يزال ، رهط جليل من كبار العلماء الاعلام ، والمحققين والمتتبعين الذين انقطعوا للدراسات الكتابية الخاصة بالعهدين القديم والجديد ، وفي علم التفسير والتخريج والآثار الشرقية ولا سيما الفلسطينية منها ، وجغرافية فلسطين وبلدانية الشرق الادنى من الوجهة الانثروبولوجية والعرقية السلالية والاجتماعية والآداب الشعبية القديمة في شتى مظاهرها . نذكر بينهم لمالا هنا الاباء : جوسن وسافنياك وآبل وفنسان ودورم ودوفو ولاكرانج مؤلف هذا الكتاب ومرمرجي مترجمه، وغيرهم كثيرون .

ويحرص اباء المعهد على اصدار سلسلة من المباحث في كتب خاصة تصدر تحت عنوان : « الدراسات الكتابية » ظهر منها للان مجموعة تبلغ ٣٠ مجلدا ونيفا قام بها افراد من جهابذة الاساتذة في المعهد المذكور .

ويتلقى الدروس في هذا المعهد طلاب علماء من رجال الدين والدنيا ، سوادهم اجنبي اعجمي ينوون التخصص في هذه المجالات والحقول الدراسية المشار اليها .

ويخدم هذه البحوث العلمية والدراسات الكتابية وما يتصل بها من موضوعات مكتبة مختصة هي احفى واحفل واحوى مكتبات الشرق بالاصول والمراجع المختصة بهذه الدراسات ، لا تبزها غنى سوى المكتبة الشرقية التابعة للجامعة اليسوعية في بيروت ، والمكتبة العبرية في القدس ، في اسرائيل ، هذه المكتبة التي ناهز عدد الكتب فيها اليوم المليون والتي تنمو بمعدل ٥٠٠٠ مجلد في الشهر .

ومن جملة تصانيف الاب لاكرانج تفاسير الانجيل الاربعة ، تقع في اربعة مجلدات ضخام ، اتبعها بتنظيم « ازائية » اولا باليونانية ، ثم بالفرنسية وقام تحت اشرافه بتطبيق هذه الثانية ، كما آزره في تنسيق الازائية الاولى ، الاب لا فين الدومنكي . وقفى الاب لاكرانج جهده هذا بتأليف الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به « انجيل يسوع المسيح» الذي ظهر في باريس لدى الصحاف الفرنسي غابالدا عام ١٩٢٨ .والكتاب هذا ينزل منزلة خلاصة لتفاسيره للاناجيل لا بل قد اعتده شرحا وتعليقا على « الازائية » .

اما كلمة « ايزائية » التي اوردناها هنا ، فقد عرف بها المعرب الكريم تعبيرا عن كتاب مطبوعة فيه الاناجيل في عواميد او حقول متوازية ، مما يسهل على الناظر الوقوع على الفقرات المتقابلة في وقت معا . والكلمة منحوتة من آزى يآزي ازاء ، وهي انما تدل على وضع او قيام شيئين او اشياء بعضها بآزاء بعض .

عرفت الاب لاكرانج الدومنكي ، مؤلف هذا الكتاب واستمعت الى الكثير من محاضراته ومجادلاته ، وقرأت العديد من ابحاثه المنشورة في

مجموعة « المجلة الكتابية » وانا طالب علم في اكليريكية القديسة حنة في القدس الشريف المعروفة بالصلاحية نسبة الى صلاح الدين الايوبي . فقد جمع الى العلم الواسع الغزير تقوى تأخذ بمجامع القلب وتواضعا يضارع علمه رسوخا واعرافاوخضوعا للكنيسة ولكلمتها الفصل فكان بهذا كله مضرب الامثال وعظة المتعظين .

هذا برد من عد عن مؤلف الكتاب وصاحبه ، فما عسى ان يكون معربه؟

مترجم الكتاب

اما مترجم الكتاب او بالاحرى معربه فهو العلامة الملفان الاب اغسطين مرمرجي الدومنكي ، احد اساتذة المعهد الكتابي في القدس ومعلم الالسنية السامية فيه ، وعضو المجمعين اللغويين في القاهرة ودمشق . والاب مرمرجي طويل الباع في علم اللغات ولا سيما السامية منها يحسن الى جانب العربية لغته الام العبرية واللغات السامية القديمة كالبابلية والشومرية والاكادية والحبشية والامهرية الى جانب وافر من اللغات الاوروبية الحديثة كالفرنسية والانكليزية والالمانية ، لغات العلم في هذا العصر .

والامر الذي لا يماري فيه احد ولا يتنطع للجدل فيه هو ان الاب مرمرجي يأتي اليوم في الطليعة من علماء اللغات السامية ،مشهود له عالميا في هذا المضمار شرقا وغربا . وهو استاذ العاملين في هذا الحقل ورائدهم الاكبر عندنا.فهو عراقي المولد والمنشأ نشأ في المدرسة الدومنكية في الموصل وبغداد ، وتتلذ على عالم العرا قوباحثته الكبير العلامةالمرحوم الاب انستاس ماري الكرملي . فجاء التلميذ يبز استاذه علما ونهجية واصولا كما بزه في حقول اخرى كالتواضع والمحبة والاستعداد للخدمة العامة .

وقد وضع الاب مرمرجي عددا من الكتب العربية في الالسنية السامية ولا سيما في الثنائية التي قال بها وعلم وناضل دونها وجادل ، فاثارت آراؤه ونظراته جدلا مع الدكتور انيس فريحة، استاذ علم اللغات القديمة في الجامعة الاميركية في بيروت ، المعروف بطول باعه في هذه المباحث . وهو الى هذا باحث مدقق حبر الكثير من المقالات والمباحث العلمية ، نشر العديد منها في مجلة « الاديب » الغراء ، وفي مجلة « المجمع العلمي العربي » بدمشق ، وبعضها في مجلة «الرسالة» للزيات في القاهرة . وقد استدرك في سلسلة من المباحث ، على بحث عقده غبطة البطريرك الملفان المرحوم مار افرام الثاني برصوم ، بطريرك السريان الارثوذكس ، حول المصطلحات السريانية في اللغات العربية ، نشره في مجلة «المجمع» في دمشق ، قوم بها الكثير من الهنات والهفوات والمزالق التي وردت تحت قلم غبطة البطريرك برصوم .

وللاب مرمرجي عدد محترم من المؤلفات العلمية ، صدر منها : المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنية السامية ـ ظهر مطبوعا في مطبعة الاباء الفرنسيين في القدس . و « هل العربية منطقية » صدر عن مطبعة المرسلين اللبنانيين ـ جونية ١٩٤٧ و «معجميات عربية سامية » و « محاضرات مختارات » سنة ١٩٤٧ و «الدياطسرون او الانجيل الرباعي لططيانوس ، مع نصه العربي مستخرجا الى الفرنسية » و « الازائية الانجيلية ، تأليف الابوين لاكرانج ولافيرن الدمنكيين ».

بين مؤلفاته غير المطبوعة : قواعد اللغة الاكدية الاشورية البابلية . وماهية الثنائية الالسنية والمعجم الثنائي الالسني .

عرفت الاب مرمرجي وانا طالب علم في القدس ، وهو استاذ مزاول في المعهد الكتاب الدمنكي ، وكنت انظر اليه نظرة القزم امام طود منتصب من العلم المذخور والمعرفة الشاملة وقد تجددت الصلاة بيننا ووثقت ايام اقامته في بيروت خلال الحرب العالمية الثانية وهو يتردد على دار الكتب اللبنانية ، بكل انتظام ، يقبع في زاويته المعهودة امامه « لسان العرب » ، في طبعته القديمة ، و«تاج العروس» وغيرهما من اصول متن اللغة . وكنت آتي احيانا مع صديقي وزميلي المرحوم نور الدين بيهم ، نعقد واياه حلقة علم لبضع دقائق نقطعها سراعا لئلا نضيع على الاب مرمرجي دقائقه الثمينة .

وكنت كلما زرت القدس فيما بعد ، أرى من أوجب الفروض علي زيارة الاب مرمرجي في دير الاباء الدومنكيين المعروف بدير القديس اسطفانس ، فنستعرض معا ، ولو لماما ، التطورات الفكرية والادبية التي طلعت في العالم العربي منذ لقائنا السابق . والقي منه التشجيع على البحث العلمي .

وقد قصدته في ديره خلال زيارتي الاخيرة للقدس ، منذ ثمانية ايام ، فقيل لي انه قيد المعالجة في المستشفى الفرنسي الجديد القائم في منطقة الشيخ جراح ، على طريق رام الله . فتوجهت للمستشفى أطمئن عن حالته الصحية . فالفيته طريح الفراش يتوجع من عصاب شديد (رومتزم) استبد به خلال فصل الشتاء البارد فجاء المستشفى انتجاعا للراحة وتفاديا للواذع البرد القارص . ثم خرجت من بين يديه مودعا متمنيا له مع الكثر من اصدقائه ومريديه وقادري فضله ، الشفاء العاجل والاستجمام الكامل ليعود الى عمله وقلمه بالنشاط الذي يتفق لشيخ تجاوز الثمانين .

الكتاب

وكتاب « انجيل يسوع المسيح » جعلهمؤلفه الاب لاكرانج بمثابةخلاصة لهذه التفاسير التي وضعها في اربعة مجلدات ضخمة . وقد وطد اساسه على عرض حوادث حياة السيد المسيح وتعاليمه ، وعجائبه ، حسب الترتيب الكرونولوجي او التوقيتي. فصدا منه اطلاع من يتعذر عليهم الدرس والتخصص للمشاكل الانجيلية ، وايقافهم على ما يتحامل بهالبعض على الكتبالمنزلة وما يتزندقونبه عليها وطريقةالرد على مزاعمالمعترضين.

والكتاب على جلاله وخطورة شانه ، مسبوق الى مثله بالفرنسية له نظائر من التآليف القيمة في اللغة الفرنسية في حياة يسوع المسيح منها على الاخص :

١ـ كتاب س. فوار الذي نشر هذه الحياة ، سنة ١٨٨٠ . ويمكن القول عنها انه لم يشبهاالقدم ، وذلك لما اتصفتبه من وضوح فيالتنسيق، ولذة في ايراد الاحاديث ، وصحة في الاسانيد مما حمل الكثيرين على انزالها المنزلة العليا .

٢ ـ المنسنيور له كاموس ـ الذي بذل عناية خاصة في كتابة من ناحية تفسير النص الانجيلي . وقد كتب لمؤلفه النجاح ، بفضل نقده النافذ وتحليله الدقيق .

٣ ـ كتاب «يسوع المسيح »للاب ديدون ، وضعه في الخلوة رسول واقف حق الوقوف على احوال زمانه ، فجاء صورة للوجدان العصري ، وهو قائم بازاء حادث قديم ما يزال حديثا ، مما يستخرج منه حقيقة المسيح .

٤ ـ كتاب السيد فيليون « حياة المسيح » وضعه بمثابة خاتمة لتآليفه في علم التفسير ، هي بسط تاريخي ، نقدي ، دفاعي . وهو سفر لا وسع للمرء ان يتطلب اكثر منه كمالا ولا اوسع منه اطلاعا في بابه .

بمعزل عن هذا يجب ان نذكر تآليف السيد لزتر ، والاب برث ، والاب سرتلانج ، وكثيرا غيرها من الاسفار الممتعة .

ومهما يكن من امر فان الانجيل بحر لا يدرك قعره . فقد رأى الاب لاكرانج ان يدلو بدلوه بين الدلاء اذ لا مجال للافراط في الكتابة عن يسوع المسيح ، متى كان في ذلك فائدة لبعض النفوس ، فوضع كتابه هذا « انجيل يسوع المسيح » الذي لقي من الرواج بلغته الاصلية ما جعله ينقل الى لغات كثيرة ، ومنها العربية على يد الاب مرمرجي .

من حسن طالع هذا الكتاب ان تصدى لترجمته وتعريبه عالم عربي كالاب مرمرجي الضليع بالعلوم الكتابية واللسانية واللغوية واللاهوتية ، وكلها عدة يجب ان تتوفر مسبقا في من يتصدى لترجمة هذا الكتاب . والاب مرمرجي واقف على المصطلحات والمفردات والتعابير والتراكيب المستعملة في المباحث الكتابية ، ضليع باطلاعه الواسع على الموضوعات اللسانية ، واللغوية ، خبير باللاهوت ومعجميته ، واقف على كل ما في هذه المصطلحات والتراكيب والتعابير من فوارق في القصد والدلالة والمعنى المحسوس او المرموز ، يتخير من هذه الحصيلة ما يلائم المعنى

المراد فى النص الاصيل دون زيادة او نقصان ، أو تعمل او افتعال . وقد حرص على كل ما يؤمن لهذه الترجمة الشاقة ، الدقة المتناهية ، منعا لتقول المتقولين ، وافادة لجمهوز المثقفين من ابناء اللغة العربية فى الربوع الشرقية ، ممن تهمهم الابحاث الدينية بطريقة علمية عصرية .

وقد قام بترجمته هذه نزولا عند رغبة رؤسائه على ما فى ترجمة مثل هذه الاصول الدقيقة من عنت وعناء ، وما تقتضيه من دقة وبصر وبصيرة وبالرغم مما تبعثه فى النفس حينا من سأم ونفرة لخروجها عن صدد التقصيات القائم بها ودائرة اختصاصه . والكتاب مقسم بعد كلمة المعرب ومقدمة المؤلف وفاتحة عامة فى الانجيل ، الى سبعة فصول وخاتمة.

وينتهي الكتاب بجدل عام للتصويبات فى صفحة واحدة على حقلين فى اربعة عواميد للحقل الواحد تشير تباعا الى الصفحة والسطر والغلط والصواب . وفى الكتاب صورة واحدة لا غير هي صورة للمؤلف الاب لاكرانج الكهل بثوبه الدومنكي . وقد اعتمر قبعته فبدا وجهه الصارم وعيناه تحاولان اختراق حجب الغيب والنفاذ منه الى المجهول .

فكما كان لكتاب « انجيل يسوع المسيح » فى اصله الفرنسي من رواج باهر ، عسى ان تلاقي ترجمته الى العربية الاقبال المنشود الذي نريده له مع المترجم ، لدى النفوس المتعطشة الى الحقائق الانجيلية مبسوطة بقلم كاتب اروع ومنقولة الى العربية بلسان مبين ، فتجني منه النفع الروحي والفائدة المرغوبة وبذلك تتحقق مقاصد كل من المؤلف والمترجم، رحم الله الاول واسكنه فسيح جنانه كما اخذ بيد الثاني وحرسه من كل مكروه .

يوسف اسعد داغر

•

الجوانب الانسانية لدى الشاعر الرصافي

تأليف عبد الوهاب السلوم ـ ٣٢ صفحة ـ مطابع دار الزمان ببغداد

هذا هو عنوان الكتاب الذي اصدره الاستاذ عبد الوهاب السلوم ، ولم يكن هذا الكتاب باكورة انتاج المؤلف اذ سبق وان اتحفنا بكتابه(النقابات فى العراق) الذي ساعدت وزارة المعارف على طبعه ، وكان دراسة مقارنة مع شرح لقانون النقابات وقد دل على الجهد الذي بذله المؤلف فى اخراجه والنصب الذي وجده بعدما استقصى مختلف المصادر العربية والانكليزية.

اما فى كتابه هذا فيصور لنا الجوانب الانسانية لدى الرصافي فيقول: ان الناحية الانسانية قد طغت على كافة اتجاهات الشاعر وميوله ووسمت شخصيته بهذا الطابع (لانه طبع لا تطبع) .

فالمؤلف اختصر صفحة من حياة شاعرنا الرصافي وهي (الطبع) بكلمتين مما يدل على حسن التصرف والافتنان فى الاختصار ، فالكذاب نلمس فى حديثه الكذب وان تعمد الصدق ، والانسان كثيرا ما يستعمل الغش ويبدي ما ليس فى سجيته ، فيظهر النزاهة والعفة، والمرؤة والصدق والاخلاص والتضحية وغيرها من محاسن الصفات ليتوصل الى مبتغاه ولكن تظاهره بما ليس من طبعه لا يجديه نفعا لان التطبع مغلوب ولو طال امده والطبع غالب ولو بعد حين .

فى صحيفة (٦) يتكلم المؤلف عن طبع الرصافي فى الانعتاق والتحرر وتكسير الاطواق ونبذ الرجعية البغيضة والتمرد على التقاليد البالية.. وثم يقول وهذه الصفة من خصائص المصلحين الاجتماعيين وحدهم الذين تعرضوا للتنكيل والاضطهاد بمختلف العهود والاجيال ويستشهد فى قوله :

وكيف يصبح من دنياه فى دعة ... من بات فى نفسه الآمال تزدحم

ويستمر المؤلف فى عرض ابيات غير قليلة من شعر الرصافي حتى يقول: وهنا يدركه الحماس فيجأر ويصيح :

انطمع هذي الناس ان تبلغ المنى ... ولم تور فى يوم الصدام زنودها
فهل لمعت فى الجو شعلة بارق ... وما ارتجست بين الغيوم رعودها
وادخنة النيران لولا اشتعالها ... لما تم فى هذا الفضاء صعودها
وان مياه الارض تعذب ما جرت ... ويفسدها فوق الصعيد ركودها

ولم يترك المؤلف شاردة ولا واردة تفوته دون ان يقف عليها وهنا نراه يقول : (والمعنى هنا ماخوذ من قول القائل) :

فالماء يعذب ما جرى وتلاطمت ... امواجه فاذا اقام تغيرا

ولكن فات المؤلف ان يذكر لنا اسم الشاعر الذي جاء بهذا المعنى ، اذ لكانت الفائدة اكثر ولكنه مع ذلك يظهر رايه فيقول : (ولكن شاعرنا عرف هنا كيف يستعمل معانيه ويصورها تصويرا لا يقل عن تصوير سلفه فيبدع ويجيد) .

والحقيقة فى هذا الكتاب اننا نلمس شخصية المؤلف نفسه ، فليس المطلوب من الاديب ان يرسل الكلم على عواهنه بل لا بد ان يكون له طابع خاص ، فانفعال شخصية الاديب والمعاناة التي يصادفها حين يكتب هي التي يتسم بها اسلوبه وطريقته فى التعبير اللفظي جزء من هذا الطابع ولكنه تابع لطريقة الشعور ، فالمؤلف وجد نفسه فى عالم خاص حينما كان مع الرصافي يجوب تلك المعالم الواضحة فى عالم كله صراع وكفاح.

ويستمر المؤلف فى عرض صوره ونماذج من اشعاره فيتكلم عن بهرجة العيد ويراها صورة باهتة الاضواء تخفي وراءها الما دفينا وكثيرا ما تسربلت برداء الكذب والرياء فيستشهد بقوله :

الا ليت يوم العيد لا كان انه ... يجدد للمحزون حزنا فيجزع
يرينا سرورا بين حزن وانما ... به الحزن جد والسرور تصنع
فمن بؤساء الناس فى يوم عيدهم ... نحوس بها وجه المسرة اسفع
قد ابيض وجه العيد لكن بؤسهم ... رمى نكتا سودا به فهو ابقع

ثم يتكلم المؤلف عن البؤس والفاقة وكيف صورها شاعرنا الرصافي اصدق تصوير فى قصيدته (الارملة المرضعة) التي تصور ظلم المجتمع بابشع صوره :

لقيتها ليتني ما كنت القاها ... تمشي وقد اثقل الاملاق ممشاها
اثوابها رثة والرجل حافية ... والدمع تذرفه فى الخد عيناها
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها ... واصفر كالورس من جوع محياها

وهكذا يمضي الى اخر القصيدة المملوءة بالبؤس المشحونة بالشقاء انها صورة حية لما تقاسيه الطبقة الفقيرة من ضنك العيش فهي تتغذى بالالم ، وتعانق البؤس ، فتفترش الارض وتلتحف السماء ، انها صورة حية لكل امراة بائسة شقية انها هذه المراة كانت حية بالامس ، وهي حية اليوم اننا نشاهدها كل يوم فى منعطفات الشوارع والازقة .

وفى صفحتي ٢٠ و ٢١ يتكلم المؤلف عن دماثة خلق الرصافي وسعة افقه وحلمه فيقول : (وتحضرني كلمته القيمة التي تنم عن ترفعه واعتداده بنفسه وقد وجهها الى الاستاذ خشبة على صفحات مجلة الرسالة آنذاك يوم احتدم الجدل وطغى الصراع) : « وليس بمعجزي الاستاذ خشبة من ان اكايله سبه وشتمه الصاع صاعين ولكني اكره النزال فى حومة لا يخرج منها الغالب الا وهو الأم من المغلوب » وكان على المؤلف ان يرشدنا الى عدد الرسالة فيكون ذلك اجدى نفعا ولكن المؤلف حتى لم يذكر لنا السنة التي صدر بها ذلك العدد الذي اشار اليه وعدت الى اعداد الرسالة من رقم ٥٧٠ الى ٥٧٤ و ٥٨١ وتصفحتها فلم اعثر سوى على نقد الاستاذ دريني خشبة واني احتفظ بهذه الاعداد ضمن اعداد اخرى كثيرة فقدت مني عبر الحوادث وفى زحام الايام ، وربما كان العدد الذي نشر الرصافي رده فيه هو ضمن الاعداد المفقودة .

وبعد فهذه لمحات او قطفات سراع من هذا البحث القيم الممتع تصور الناحية الانسانية فى شعر الرصافي وقد اجاد المؤلف الاستاذ عبد الوهاب السلوم فى تصويرها واحسن اختيار نماذج اشعارها ، انها صورة حية تترك للاجيال القادمة صورة واضحة المعالم جلية المعارف .

بغداد — عبد الخالق عبد الرحمن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● يحدثونك من القلب ـ تأليف قدري العمر ـ مصمم الغلاف هشام زمريق ـ ١٦٤ صفحة ـ الكتاب رقم ١ من السلسلة القصصية ـ منشورات مديرية التأليف والترجمة بوزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم السوري ـ مطابع دار الفكر بدمشق

● طموح نهد ـ تأليف فوزي كامل ـ تقديم سليم مكرزل ـ الغلاف بريشة المؤلف ـ ٧٢ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● صدى ونور ودموع ـ مجموعة شعرية ـ حسن كامل الصيرفي ـ ٣١٨ صفحة ـ اخراج انيق ـ منشورات الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة ـ مطابع كوستا توماس وشركاه بالقاهرة

● انجيل يسوع المسيح : الحاوي قصة حياته وتعاليمه ومعجزاته ـ تأليف الاب م. ح. لاكرانج الدومنكي ـ ترجمة الاب ا. س. مرمرجي الدومنكي ـ ٥٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونيه لبنان

● نظرات في الثقافة ـ تأليف هاري شابيرو ـ ترجمة الدكتور محمد علي العريان ـ تصدير الدكتور عبد الرحمن زكي ـ مصمم الغلاف محي الدين وهبه ـ ١٧٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات دار احياء الكتب العربية (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● دستور الام : طفلك والمرض ـ الجزء الثالث ـ تأليف الدكتور بنجامين سبوك ـ ترجمة الدكتور كمال سعيد ـ مراجعة الدكتور محمد نظيف ـ ٢٩٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطبعة مصر بالقاهرة

● ديوان ديك الجن الحمصي ـ جمعه وشرحه : عبد المعين الملوحي ومحي الدين درويش ـ ١٣٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الفجر الحديثة في حمص بالاقليم السوري

● الضاحكون ـ تأليف محمد قره علي ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار الكتب ببيروت

● سبط ابن التعاويذي : من شعراء العراق الفحول في القرن السادس للهجرة ـ بقلم يوسف يعقوب مسكوني ـ ٢١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره ـ مطبعة شفيق ببغداد

● ملحمة الانسان ـ شعر ـ ثريا ملحس ـ ٢١٦ صفحة ـ منشورات دار الكتاب اللبناني (؟) ـ مطابع دار الشمالي للطباعة في حريصا لبنان

● شجرة الحضارة : قصة الانسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث ـ تأليف الدكتور رالف لنتون استاذ الدراسات الانتروبولوجية بجامعة ييل ـ ترجمة الدكتور احمد فخري استاذ تاريخ مصر والشرق القديم بجامعة القاهرة ـ ٤٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة

● الموسيقى النظرية : يتضمن اصول الموسيقى العربية وقواعدها العامة ـ تأليف سليم الحلو مدرس قواعد الموسيقى والغناء في المعهد الموسيقي الوطني في بيروت ـ تقديم بولس سلامة ـ ٢٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ قررت وزارة التربية الوطنية تدريس هذا الكتاب في المعاهد اللبنانية ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ مطبعة فؤاد بيبان وشركاه في جونيه لبنان

● سيكولوجية الادارة ـ تأليف ماسون هير ـ ترجمة محمد فهمي احمد وثريا محمود ـ اشراف وتصدير الدكتور مختار حمزة ـ مصمم الغلاف اميل كامل ـ ٢٣٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ مطابع مؤسسة طباعة الالوان المتحدة بالقاهرة

● في الادب والنقد الادبي ـ تأليف مكسيم غوركي ـ ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة ـ ١٤٠ صفحة ـ ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه ـ مطبعة الوفاء ببغداد

● حكاية وجع ـ مجموعة شعرية ـ انطوان خباز ـ مع عدة لوحات بريشة نزيه لادقاني ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● البحث عن السعادة ـ تأليف ر. م. ماك آيفر ـ ترجمة الدكتور صفاء خلوصي ـ تقديم محمد توفيق حسين ـ مصمم الغلاف اسماعيل شموط ـ ١٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد نيويورك ـ منشورات مطبعة الجمهورية ببغداد

● الشهيد رفيق رزق سلوم ١٨٩١ـ١٩١٦ ـ تأليف هلال رزق سلوم ـ ٥٠ صفحة ـ مطابع جريدة الفجر (؟)

● الاتحاد السويسري ـ تأليف الدكتور مختار الوكيل نائب رئيس الوفد الدائم لجامعة الدول العربية بجنيف ـ ١٧ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الوفد الدائم لجامعة الدول العربية بجنيف ـ طبع على الالة الناسخة « ستانسيل »

● النجارة العامة ـ تأليف كريس هـ. جرونمان ـ ترجمة المهندس عباس عبد القادر ـ مراجعة حسن حسين فهمي ـ ٢٢٦ صفحة ـ مع صور ورسوم ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة

● الجوع ـ رواية ـ تأليف خضر نبوه ـ مصمم الغلاف عبد القادر ارناؤوط ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● The World of Eli Whitney — by Jeannette Mirsky & Allan Nevins — 346 pages — published by the Macmillan Company, New York — printed in U.S.A.

● The Autobiography of William Allen White — 670 pages — published by the Macmillan Company, New York — printed in U.S.A.

● The Ramparts We Guard — by R.M. MacIver — 152 pages — published by the Macmillan Company, New York — printed in U.S.A.

● The Making of An American — by Jacob A. Riis — 284 pages — published by the Macmillan Company, New York — printed in U.S.A.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كلمات ...

● اعلن عن اكتشاف طريقة جديدة تعد فتحا هاما في ابحاث السرطان تتعلق باحداث سرطان الثدي في الجرذان ثم القضاء عليه بسرعة . وهذه الطريقة التي شرحها الدكتور تشارلز هافينز التابع لمختبرات ابحاث السرطان في جامعة شيكاغو تشمل عدة اكتشافات جديدة . فلاول مرة وجدت طريقة لاحداث السرطان في جميع الحيوانات الاختبارية وهو شيء لم يكن ممكنا في السابق . واصبح الان توليد السرطان ثم القضاء عليه يحتاج الى اكثر من ثلاثة اشهر بقليل بينما كان ذلك يحتاج لدى الجرذان الى حوالي سنتين لاثباته . والاهم من ذلك كله فانه يعطي العلم اداة « حاضرة » لدراسة ماهية الادوية وتاثيراتها المعاكسة للسرطان ضد طلوعات الثدي في الآدميين حيث للوقت اهمية كبيرة.

وتحدث الدكتور هافينز خلال اجتماع عقدته الاكاديمية الوطنية للعلوم في وشنطن عن الطريقة التي اكتشفها فقال هي آلة بديعة لفحص الاشياء التي تسبب السرطان والعقاقير وقوتها في محاربة السرطان واضاف ان الابحاث المتعلقة بالادوية المضادة للسرطان قد تتقدم بسرعة تفوق تقدمها الحالي بمئات الاضعاف بواسطة الطريقة الجديدة .

● جرى الاطباء على استخدام نوع من الهورمونات المستخرج من الغدد النخامية في الحيوانات في طبابة بعض الالتهابات الحادة ، والاستهدافات الطارئة ، بما فيها النقرس والعصاب (الروماتزم) . فجاءت نتيجة التجارب التي اجريت على الوف المرضى مرضية للغاية . ويحاول العلماء اليوم استصناع هذا النوع من الهورمونات علميا وتدل العقاقير التي قدمها القائمون بهذه الابحاث على مدى النجاح الذي حققوه في هذا المجال. والهورمونات الصناعية الجديدة لها ذات المفعول الذي يحققه الهورمون الطبيعي. ولما كان هذا النوع من الهورمون لا يستخرج من مادة حيوانية فلا خوف قط ان يسبب حالات استهداف لمن يحقن به .

● ان الاملاح الموجودة بالاتربة يمكن ان تسبب متاعب للاشخاص المصابين بامراض القلب اذا انتقلت الى مياه الشرب . فقد جاء في مقال نشر بمجلة جمعية امراض القلب الاميركية ، انه اذا تسربت الاملاح التي لا مذاق لها الى مياه الشرب فانها قد تبطل مفعول وجبات الطعام التي يتناولها المريض والتي تحتوي على كميات ضئيلة من الصودا ومثل هذه الوجبات توصف احيانا لمعالجة ضغط الدم العالي ولمنع تجمع السوائل المتسببة عن بعض امراض القلب .

● تمكن الجراحون في مستشفى جامعة تكساس في مؤسسة التورمات من ابتكار طريقة جديدة لاصلاح الاوعية الدموية دون استعمال القطب . وتستند هذه الطريقة الى تغرية الاوعية بواسطة سائل بلاستيكي . وقد اجريت جميع التجارب حتى الان على الطلاب دون ان تظهر اية اعراض ضارة . وتبين ان الشرايين تلتئم خلال اسبوعين ثم يتلاشى الغراء البلاستيكي بصورة تدريجية .

● اكتشف طبيب اميركي جهازا علميا ينبيء عن احتمال تعرض قلب الانسان لنوبات وان لم يكن فيه ما يبرر الظن بحدوث مثل هذه الامراض . فقد حقن الدكتور فيليب جونسن من جامعة بايلر القلب بجرعة من النظائر المشعة ليكشف عن معدل الدم الذي يخرج منه ، اذ خروج الدم من قلب مريض يضعف ٥٠ في المائة عنه في سليم القلب من الناس . ويرى الدكتور فيليب في هذا الاسلوب طريقة بسيطة غير مؤذية ولا صعبة ، بينما الطريقة التي كانت متبعة من قبل كانت معقدة وتكلف غاليا .

● اكتشفت شركة بوتس البريطانية الشهيرة بصناعة الادوية والعقاقير الطبية، عقارا جديدا يساعد على بقاء المريض المصاب بحمى الخريف او امراض الحساسية يقظا في اثناء قيادته للسيارة او قيامه باعمال تتطلب الكثير من الحذر واليقظة . ويعرف هذا العقار باسم فبرامين . وقد اثبتت التجارب التي اجريت عليه عدم تعرض المريض للتاثيرات الخارجية، كرجفان القلب وغشاوة البصر والغيبوبة .

● نشرت مجلة تايم مقالا جاء فيه ان احد اسباب السرطان قد يكون الطعام المحروق ، كاللحمة المحمرة لدرجة الفحم . وقد قدم هذه النظرية الدكتور شارل برنتن هيجن وهو بحاث عالمي الشهرة وله من العمر ٥٩ سنة وذو ماض مجيد حافل بانقاذ ارواح عديدة من المصابين بسرطان الصدر والبروستات . ولكنه لم يتوصل الى الان الى براهين قاطعة لاثبات هذه النظرية التي تكونت لديه خلال تجاربه في توليد السرطان من انثى الفار . فعند تغذيتها بوجبة واحدة تحتوي على ٧،١٢ من ديمثيل بنز (٢) انتراسين ، كانت تصاب انثى الفار بمرض السرطان . وقد وردت في الوقت نفسه براهين مؤيدة لهذه النظرية من ايسلندا الى الاكاديمية الدولية للبثيولوجي في شيكاغو فقد صرح الدكتور نيلسن دنجال ان نسبة ضحايا سرطان المعدة في ايسلندا اعلى نسبيا من اي بلد اخر اذ ان سكان هذه البلاد ياكلون بكثرة السمك المدخن . وقد ثبت ان خلاصة الدخان ادت الى اصابة الفار بالسرطان المعدوي .

● سيعمل فريق من العلماء بلين وتؤدة على تفهم تركيب الاعصاب الكيميائي في الانسان اكثر فاكثر وذلك عن طريق استخدامهم، ميزانا للحرارة مرهف الحاسية يمكن ان يضبط تطور سير الحرارة ومعدلها بنسبة جزء من مليون من الدرجة الواحدة . ويقوم بهذه التجارب العلمية برنارد ابوت من جامعة كاليفورنيا ، ليتفهم اكثر فاكثر التفاعلات الكيميائية التي تمكن انتقال المشاعر والاحاسيس في الاعصاب والعضلات الحية ، عن طريق قياس درجة الحرارة التي تولدها هذه الانفعالات وهي حرارة يمكن قياسها في جزء من خمسين من الثانية . لاحظ العلماء ان الايونات او جزئيات الصوديوم والبوتاسيوم ، تنتقل بسرعة عبر غشاء حجيرة العصب خلال حدوث الاثارة بينما تخرج منها ايونات البوتاسيوم في بعض مراحل فترة انتقال الشعور في العصب . وهذا التفاعل يولد حرارة معدلها نصف معدل الحرارة التي تنشأ عند بدء الاثارة .

● تدل الابحاث التي تجري في جامعة ميتشجان على ان الفار المصاب بنقص عقلي الذي ينمو في بيئة منشطة للعقل قد يكون اكثر ذكاء من اخيه العادي الذي يربي في قفص قياس بالمعمل . فقد قام طالب جامعي يدرس علم النفس بتربية مجموعة من الفئران المصابة بنقص عقلي في بيئات مزودة بالموسيقى والالعاب . والجدران الملونة والعناية الفائقة وقال ان هذه الفئران تحل المشكلات بطريقة افضل من تلك التي تستخدمها اخوتها العادية التي تربى في اقفاص .

● اجرى طبيب سوفياتي عملية ناجحة لاستئصال الزائدة الدودية لنفسه مستعينا

الناجم عن عدم وصول الدم الى القلب ،لضيق يعتري هذه الشرايين او لتصلبها على اثر نوبة قلبية . وعلى ضوء هذه الامور كلها يستطيع الاطباء ان يتبينوا فعلا جدوى الوسائل المختلفة التي يستخدمونها في عملية تزويد القلب بالمزيد من الدم .

ويعقد الاطباء آمالا طيبة على هذه الطريقة الفنية في المستقبل اذ تساعدهم على ما قد يكون في شبكة الاوردة التاجية من امراض او شوائب تسبب متاعب للقلب قبل حدوثها بالفعل . ويعتقد الدكتور سونز ان هذه الطريقة تستطيع ان تكشف عن نسبة ١.-٢.٠ في المائة من حالات الانسداد في شريان القلب الكبير . ويجب ان تكون نسبة الانسداد ٥٠ في المائة على الاقل ليظهر الاضطراب في حركة الدم بصورة ميكانيكية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمرآة ، وساعده على اجرائها ميكانيكي واحد رجال الارصاد . وهذا الطبيب يدعى ليونيد روجوزوف ، ٢٦ سنة ، ويعمل في محطة الابحاث السوفياتية بالقطب الشمالي . وقد كان ليونيد يشعر بآلام التهاب الزائدة الدودية وساءت حالته واصيب بالحمى فقرر ان يجري لنفسه الجراحة على الفور وقد نجحت العملية

● اعلنت ادارة المحاربين القدماء في اميركا عن نجاح عظيم حققته حاسبات الكترونية عن طريق اختصار المباحث الخاصة بالطب الذري او استعمال النظائر الذرية في الطب . وهذه الحاسبة تستخدم في الابحاث العلمية التي تتخذ من نظائر الزنك والنحاس والتنك والكوبالت الذرية اداة للكشف عن بعض هذه العناصر في جسم الانسان وهي عناصر لها علاقة ماسة باسباب بعض الامراض التي تفتك بجسم الانسان ومن بينها السرطان . وعن طريق استخدام هذا الدماغ الالكتروني يصبح بالامكان امتحان مفعول اكثر من ٥٠٠٠ نوع من هذه النظائر المشعة في السنة الواحدة وهي تجارب واختبارات لو تمت على يد حاسبات عادية صغيرة لاقتضى لها ٢٠٠ رجل يعملون فيها طوال السنة .

● اكد رينه هربوفال من جامعة « نانسي » انه اكتشف وسيلة جديدة لتحديد الموضع المصاب بالسرطان وذلك بتحليل الدم الذي يمر على مقربة من العضو المصاب . واكد الدكتور فيكتور سيمون انه تمكن خلال الثلاثين سنة الماضية من شفاء ٦٧ مصاب بسرطان الرئة والثدي وذلك باستعمال بعض الزيوت المستخرجة من حبوب القنب . ولكن الدكتور سيمون يلفت النظر الى ان جهوده ما زالت في طور التجربة وانه لم يتوصل بعد الى قواعد ثابتة .

● قال الدكتور هوايت اخصائي القلب الاميركي المشهور ان العمر الوسط للحياة يبدأ في سن العشرين ويمتد الى الثمانين . واخطر مرحلة في الستين عاما الواقعة بين العشرين والثمانين ، ليست في العشرين الاخيرة، ولكنها في العشرين الاولى ، ففي هذه المرحلة يفرط الانسان في الاكل ، ويستسلم للكسل ، ويكتظ جسمه بالشحم . وليس ثمة غير وسيلة واحدة لتلافي نتائج هذا الخطر ، وهي التمرينات الرياضية ، لا الراحة كما يظن الناس . وقد سبق لهذا الطبيب ان نصح لايزنهاور ان يلعب الجولف بعد ان شفي قلبه . ويطبق الدكتور هوايت هذه القاعدة على نفسه ، فهو يسير عدة كيلومترات على قدميه كل يوم .

● توصل معهد الاوبئة والميكروبات في موسكو الى انتاج مصل جديد للوقاية من التيتانوس وغرغرينا الغاز . وبعد التطعيم ثلاث مرات بهذا المصل يكتسب الشخص مناعة دائمة ضد هذين المرضين .

● عثر الباحث الاميركي دافيد نوفللي على طريقة تبين كيف تعمل مواد التوريث المعروفة باسم جينات في اجسامنا وعقولنا فتجعلها ضعيفة او قوية ، وتبعا لها يتوقع العلماء ان يتمكن العلم قريبا من التحكم في الصفات التي يمكن ان يتحلى بها الانسان من ذكاء ومناعة جسمانية تقاوم الامراض . واستعان الدكتور نوفللي بالمواد المشعة على دراسة المركبات التي تؤلف مواد التوريث وكيف تعمل في الخلايا الحية لانتاج حشرات صغيرة او حيوانات راقية . ومن المعروف ان اجسامنا تشيد من المركبات المعروفة باسم الاحماض الامينية وعددها ٢٠، ولكنها تضاف بعضها الى بعض وتنتظم في جزيئات ضخمة معقدة التركيب فيخرج منها بلايين من انواع الانسجة والخلايا التي تؤدي كل منها وظيفة معينة . ومن هذه الانسجة والخلايا تصنع ايضا مواد التوريث التي تعذر على العلماء ان يعرفوا حتى الان كيف تعمل الى ان استعان الدكتور نوفللي بالنظائر المشعة ، وتتبعها في الخلية ، فكشف عن بعض الوسائل التي تستخدمها الجينات لتوريث الانسان والحيوان الصفات الجسمانية والعقلية الخاصة بنوعه .

● قامت احدى دور النشر في مدينة مونيخ باستخدام طريقة تعليم جديدة لطلاب الطب والاطباء المحدثين ، واخذت تسجل انواع ضربات القلب المختلفة طبقا للتشخيص المرضي مع الشروح المتعلقة بذلك على ثلاث اسطوانات كبيرة ، ويتخلل الشروح على هذه الاسطوانات الكثير من الامثال عن ضربات القلب المفيدة في التشخيص المرضي . وقد رحبت الجامعات الالمانية بهذه الفكرة المستحدثة ، لما فيها من فائدة كبيرة في التدريب الطبي .

● يجري الان في احد المستشفيات الاميركية استخدام عداد ايلاكتروني لقياس نبض المريض ودرجة حرارته . ويؤدي هذا العداد مهمته بصورة ادق بكثير من تلك التي يستطيع امهر الاطباء اداءها . وهناك اسلاك ملحقة بالجهاز يجري لصقها بمختلف اجزاء الجسم ومن الرسائل التي تنبعث بالاسلاك يقدر العداد نسبة التنفس وقوة القلب وضغط الشرايين ودرجة الحرارة . وفي الوقت نفسه يقدر درجة الحرارة في الغرفة ويسجلها . ويطبع العداد جميع هذه المعلومات على ورقة يمكن قراءتها بسهولة . وقد استخدم هذا العداد الموجود في مستشفى ارز لبنان لفحص حالة المرضى اثناء جراحات القلب .

● تفيد العيادات الطبية ومختبرات علم الاحياء في جميع انحاء العالم من استغلال مركز الابحاث الكيميائية الذرية في بريطانيا من نوعين من الغازات السامة التي كانت تستخدم للاغراض العسكرية، احدهما غاز «د. ف. ب» وهو غاز شديد الخطورة لدرجة ان نقطة واحدة منه اذا ما وضعت على جلد الانسان تكفي لشل جهاز التنفس ، والاخر هو غاز المستارد « او الخردل » . وقد اعلنت سلطة الطاقة الذرية في لندن ان الغاز الاول يساعد الان في دراسة الامراض التي يصاب بها الدم ويستخدم الثاني في بعض الابحاث الطبية والبيولوجية . وقالت ان مركز الابحاث الكيميائية الذرية وهو المركز الوحيد في العالم لتزويد هذين العنصرين الغازيين .

● اعلن الدكتور مصطفى كامل ، اخصائي المسالك البولية في مستشفى ام المصريين في القاهرة انه اكتشف ان دواء « البريلودين » له اثر حاسم في القضاء على حالات التبول الليلي عند الاطفال . وقال ان الاحصاءات اثبتت ان ٨٠ بالمائة من الحالات التي عولجت بهذا الدواء تم شفاؤها . وكان هذا الدواء يستخدم اصلا في علاج السمنة .

● تمكنت احدى المؤسسات الصناعية البريطانية من انتاج جهاز كهربائي صغير لتدليك الاقدام المتعبة ومعالجة بعض انواع الالام التي تصاب بها الاقدام . ويتالف هذا الجهاز من قطعة اهتزازية تمرر فوقها القدم في اثناء المعالجة . ويمكن ان توضع اجهزة كهذه في الفنادق والمخازن التجارية وغيرها . وذكر مدير المبيعات في المؤسسة التي تنتج هذه الاجهزة ان الدليل المرشد في السينما يسير ٩ اميال كل ٨ ساعات ، وتسير البائعة في المحلات التجارية ٩ اميال ايضا كل ٨ ساعات كما تسير الخادمة في المطعم ٨ اميال وربة البيت ٥ اميال .

● لمنع تلوث الجروح في اثناء العمليات الجراحية باي ميكروب ، زودت غرفة العمليات في مستشفى جبل سيناء بكاليفورنيا بجهاز ضخم يرسل الاشعة الفوق البنفسجية الى منضدة الجراحة ، فيقتل كل ما فيها من ميكروبات . وقد نجحت هذه الطريقة ، وفي كل ١٠٠ جراحة لا تتلوث الا جراحة واحدة . ويتالف الجهاز من ٧٢ انبوبة طول كل منها نحو متر ، وسعتها ٢٢ سنتيمترا وفي كل منها مصباح قوي يرسل الاشعة القاتلة للميكروبات.

● قال مراسل جريدة صنداي ديسباتش ان الروس يقومون الان بتجارب للكشف عن سر الحياة . ويقوم الدكتور فلاديمير بخوفسكي اخصائي القلب المعروف باجراء عدة تجارب تهدف الى حفظ الحياة عن طريق تجميد الجسد . فقد استطاع ان يعيد الحياة الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سائق سيارة تجمد جسده في جبال القوقاز اثر عاصفة ثلجية ، وتمكن العالم بخوفسكي من اعادته الى الحياة بعد ٣٠ ساعةمن وفاته. وقال مراسل الجريدة : ان الاخصائيين اخذوا يطرقون جسد السائق المتجمد بمطرقة ثم دلكوه بالزيت والكحول ، واخذوه الى المختبر حيث اعاده بخوفسكي للحياة. وقال المراسل: ان هذه التجارب دعت الى التفكير في احتمال ارسال متجمد الى الفضاء ، ليتحمل الصدمات في رحلته الطويلة الى الكواكب بحيث لا يتاثر جسمه خلال مراحل الخطر ، وبعد ذلك يعيده العلماء الى الحياة الطبيعية .

● تمكن الدكتور مصطفى صبري نور الدين بكلية علوم جامعة عين شمس في القاهرة من استخدام بعض الاحياء الدقيقة وانواع الفطريات في تحويل المولاس المصري الى حامض الليمونيك الذي يستخدم في صناعة المياه الغازية وانواع الشراب . وتستهلك منه الجمهورية العربية ما قيمته ١٠٠ الف جنيه سنويا من العملة الصعبة . وكان الخبراء الاجانب يقولون ان مولاس قصب السكر لا يصلح لانتاج هذا الحامض لانه لا يحوي المميزات الموجودة في مولاس البنجر،ولكن الباحث اثبت العكس،اذ حصل على ٦٥ جراما من حامض الليمون من كل ١٠٠ جرام مولاس قصب زيادة ٥ بالمائة عن انتاجه من مولاس البنجر في المانيا .وتقدر كمية المولاس الذي ينتج كفضلة من عمليات انتاج السكر بنحو ١٥٠ الف طن سنويا لم تعرف بعد وسائل استغلالها ويكفي منها نحو الفي طن لانتاج حاجة البلاد من حامض الليمونيك

● ستؤسس مدرسة طب البلدان الحارة في لندن مركزا خاصا في تنجانيقا للابحاث المتعلقة بداء البلهارسيا قصد توسيع نطاق الحملات المشنونة على صعيد عالمي للقضاء على هذا المرض الذي يعتبر بين الامراض الهامة المنتشرة في العالم والتي لم يتغلب عليها الانسان . وستمد المساعدات البريطانية والاميركية المركز المذكور بالمال . وجاء في تقرير منظمة الصحة الدولية ان عدد المصابين بداء البلهارسيا يقدر بما لا يقل عن ١٥٠ مليون نسمة . ويعيث هذا الداء فسادا في بعض مناطق الشرق الاوسط وخصوصا في الاقليم المصري حيث يقدر عدد الاصابات بـ ١٢مليون اصابة وفي السودان بمائتي الف اصابة .

● وصل الى القاهرة ٢٣ خبيرا عالميا في الحشرات ، للاشتراك في ابحاث مشروع استئصال الملاريا ، الذي تقرر تنفيذه في الاقليم المصري . وسيعقد هؤلاء الخبراءندوات علمية مع الخبراء العرب ، الذين يضطلعون باعباء المشروع في مركز تدريب الملاريا وقسم الحشرات في معامل الصحة .

● توصل العلماء البريطانيون المشتغلون في مركز الابحاث النووية الخاصة بالاسلحة الذرية في الدرماستن ، الى اكتشاف ذرة جديدة من فئة ذات الكربون، بالتعاون مع مختبر كلارندون في جامعة اكسفورد . فقد حدث حين كان العلماء يجرون اختبارا لتفكيك ذرات ايزوتوب كربوني ـ هو الايزوتوب او النظير رقم ١٤ ـ ان لاحظوا انه عندما يحدث اصطدام بين الجزيئات المطلقة وذرة واحدة من ايزوتوب الكربون رقم ١٤ ينشطر الجزيء المطلق الى عناصره الاساسية اي الى بروتون واحد وتيوترونين اثنين . ولاحظوا ان هذين النيوترونين تحسبهما ذرة من ايزوتوب الكربون رقم ١٤ وتتحد معهما لتكوين ايزوتوب جديد يعرف باسم النظير الكربوني رقم ١٦ . ولقد تنبأ العلماء بان هذه الذرة الكربونية الجديدة ستتحول من ناحية النشاط الاشعاعي اولا الى ايزوتوب نيتروجين او نظير رقم ١٦ ثم الى ايزوتوب نيتروجين اخر او نظير رقم ١٥ . هنا تجدر الاشارة الى ان التبدل في النشاط الاشعاعي للنظير الكربوني رقم ١٤ ـ وهو الهدف الذي تجري عليه الاختبارات في مركز الابحاث النووية في الدرماستن هو ذو خاصة تفاعلية يتفرد بها ، لذلك يستخدمه علماء الاثار لمعرفة تاريخ المكتشفات والمواجوات الاثرية . فذراته تنقص الى النصف خلال ٦٦٠٠ سنة . واما الذرة الكربونية الجديدة فيجري فيها مثل هذا التحول في مدة ٧٤ بالمائة من الثانية .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان التجارب الاولى التي اجرتها على محرك نووي يجري تطويره الان لدفع الصواريخ قد تكللت بالنجاح . وقد شغل المحرك لمدة ٤٥ ثانية في مركز التجارب بدرجة حرارة بلغت ٢٠٠٠ فهرنهايت . وينتظر ان يتمكن جهاز الدفع من قذف صاروخ لعدة ساعات بسرعة تبلغ ثلاثة اضعاف سرعة الصوت .

تعبئة ناقلة للنفط في ميناء الأحمدي



عملية وصل خراطيم تعبئة النفط بإحدى الناقلات في ميناء الاحمدي حيث يضرب معدل التعبئة ارقاما قياسية فقد تمت تعبئة احدى الناقلات بمعدل ٩٠٨٠ طنا في الساعة وبلغت الكمية المعبأة ٦٤,٣١٦ طنا .

شركة نفط الكويت المحدودة

● ربما اصبحت فضلات الوقود الذرية المستهلكة فى اجهزة وتوليد الكهرباء الذرية مصدرا للطاقة اللازمة لتحويل المياه المالحة الى مياه عذبة ، برأي الدكتور ميللر احد المسؤولين فى وزارة الداخلية الاميركية الذي صرح بان الطاقة الذرية الكامنة فى فضلات الوقود الذرية تستطيع تقديم حرارة وهذه تحول الى القوة اللازمة لادارة مصانع التقطير. ويقدر ميللر ان رزمة واحدة من رماد الوقود الذرية تستطيع تقديم الحرارة مدة ١٥ سنة. وان تكاليف الحرارة من هذا المصدر ستكون منافسة لتكاليف الحرارة المولدةعن المحروقات الاخرى كالزيوت او الكهرباء او الفحم . ان مسحوق الفضلات الذرية المشعة هي بقايا الفضلات الذرية السائلة المجففة والتي طردت منها الغازات وهي سهلة النقل . ويقول الدكتور ميللر ان وزارة الداخلية الاميركية ستبني قريبا مصنعا لتقطير المياه المالحة يستخدم الفضلات الذرية مصدرا للقوة التي يحتاج اليها .

● اطلقت اميركا فى ٥ مايو الماضي رجلا الى الفضاء الخارجي هو الكومندر الن شبرد واعادته الى الكرة الارضية بنجاح بعد ان وصل الى علو ١٨٥ كيلومترا وانطلق بسرعة ٨١٠٠ كيلومتر فى الساعة وهبط على المحيط الاطلسي بسرعة ٣٠ كيلومترا فى الساعة وقد استغرقت رحلته ١٦ دقيقة ونصف . وقد قاد شبرد الكبسولة التي اوصلها صاروخ ريدستون الى الفضاء الخارجي ، بنفسه لا من الارض . وقام بعدة دورات على نفسه واطلق صواريخ ومظلات لتخفيف سرعة هبوط الكبسولة التي يبلغ وزنها طنا . وكان طول الوقت على اتصال بالارض باللاسلكي يجيب على الاسئلة التي توجه اليه ويقدم المعلومات المطلوبة عما يراه وعما يحسه وعن احواله وصحته وافعاله . وكان فى الوقت ذاته على اتصال غير مباشر بملايين الاميركيين بواسطة التلفزيون الذي ربط بمركز التلفزيون المتصل بالكبسولة فى مركز الاطلاق وهو قاعدة رأس كانافيرال . ومما قاله شبرد فى اتصاله الاول بالارض : « ما اعظم هذا المنظر ! » وقد انتشل عند هبوطه من المحيط الاطلسي في طائرة هليكوبتر نقلته الى حاملة الطائرات « ليك تشامبلن » . ورفع شبرد غطاء الكبسولة بنفسه وخرج منها سالما وفى احسن اطواره .

● اعلنت وزارة الدفاع الايطالية انها اطلقت صاروخا من طراز نايك الى مسافة ١٥٥ ميلا فى الفضاء من قاعدة فى جزيرة سردينيا لدراسة الاحوال الجوية فى الفضاء .

● قالت صحيفة برمنجهام بوست ان بريطانيا توشك ان تضع نظاما للدفاع ضد الصواريخ الموجهة ، يكون من شانه اعادة هذه الصواريخ الى النقطة التي انطلقت منها او يفجرها وهي فى الجو . وتقول الصحيفة ان النظام الدفاعي الجديد ضد الصواريخ يقوم على صنع عقل الكتروني يعمل بالاشتراك مع اجهزة خاصة ، تفجر الصواريخ المعادية قبل وصولها الى بريطانيا وان نجاح النظام الدفاعي الجديد بات وشيكا .

● اطلقت اميركا صاروخا من طراز «جونيو ٢» من اربع مراحل يحمل فى مقدمته تلسكوبا يزن ٩٥ رطلا لدراسة اشعة جاما والسدم التي تبعد عن الارض الاف الملايين من الاميال . وسيدور هذا التلسكوب فى مدار حول الارض يتراوح ارتفاعه بين ٣٠٠ و ٧٥٠ ميلا وسيدور حول نفسه من ست الى عشر مرات فى الدقيقة وقد زود ببطاريات شمسية قادرة على تزويد اجهزته بالكهرباء لمدة نصف عام ، ومن المرجح ان يظل فى الفضاء حوالي ثلاثة اعوام . كما زود كذلك بجهازين للارسال اللاسلكي .

● يؤخذ من الدراسات التي اجريت على مناجم الفحم فى سيناء ان الكميات الموجودة منه قد تصل الى نحو ٨٠ مليون طن ، تكفي حاجة البلاد لمدة ٥٠ سنة . قال الدكتور رياض حجازي، وكيل الصناعة لشؤون التعدين فى القاهرة ، ان دراسة « العينات » التي جلبت من الابار المحفورة دلت على ان الفحم من نوع جيد ، ولا يزيد نسبة الرماد فيه على ٨ بالمائة . وانه يمكن استغلال المنطقة التي تم فحصها ، اذ ثبت ان كمية الفحم فيها تزيد على ٣٠ مليون طن ، مما يجعل استغلالها اقتصاديا لمدة تزيد على ٣٠ سنة ، تبعا لحاجة البلاد الحالية من الفحم .

● اعلنت ادارة الكهرباء والماء فى الكويت نبأ العثور على مصادر للمياه العذبة فى منطقة الروضتين بكميات وافرة يمكن جلبها لمدينة الكويت استنادا الى تقارير الخبراء العالميين اذ تبين امكانية ضخ كمية خمسة ملايين غالون يوميا لمدة تقرب من العشرين عاما ،بكلفة منخفضة جدا بالنسبة لكلفة المياه المقطرة ، ويؤمل الانتهاء من مد الخط وملحقاته خلال سنة ونصف . والمعروف ان هذه الادارة بعد ان عثرت على المياه العذبة اثناء حفر ابار للمياه المالحة لتزويد متعهد طريق البصرة قبل حوالي السنة قد رأت فى ذلك الحين الاستعانة بالخبراء العالميين لدراسة المنطقة وكانت النتيجة مشجعة .. وستقوم الادارة بالتوسع بالتنقيب على المياه العذبة فى جميع انحاء الكويت

● انتجت احدى الشركات البريطانية مادة بلاستيكية لزجة تتحول بسرعة الى « غشاء » غير قابل للتشقق ولا يتاثر بعوامل الطقس . ويمكن استخدام هذه المادة لتغطية سطوح المنازل او اصلاحها . وهي متينة جدا .

● انتجت شركة بورغ وارنر فى اميركا اول وحدات تجارية من اجهزة للتبريد فى البرادات تعمل على مبدأ الحرارة الكهربائية المعروفة فنيا باسم « ثرمو اليكتريك » . وتم انتاج ٥٠٠ وحدة منها لتوضع فى غرف فندق جديد فى شيكاغو. وباستخدام مبدأ الترمو اليكتريكي يمكن توليد الحرارة او البرودة مباشرة من التيار الكهربائي بدون استخدام اي نوع من انواع الغاز الخاص بالتبريد او القطع المتحركة . وليس لحجرة التبريد اجهزة ضغط (كومبيرسور) او اية قطع متحركة اخرى . وهذا يعني ان البرادات الجديدة تكاد لا تحتاج الى صيانة او اصلاح . وقالت الشركة ان البرادات الجديدة لن تصنع للبيوت قبل مرور ٣ او ٥ اعوام . ولكن صناعتها ستزداد لتستخدم فى الفنادق والمستشفيات وعيادات الاطباء والمنشآت الاخرى المشابهة.

● يجري العلماء البريطانيون الان الابحاث فى مختبر العلوم الطبيعية الوطني بالقرب من لندن لايجاد افضل شكل يمكن اعتماده فى طائرة الهوفركرافت « الطائرة الحوامة » البريطانية ، التي تطير على وسادة من الهواء.

● انتجت شركة كوداك نوعا جديدا من الافلام الملونة سرعتها سرعة الافلام السابقة بضعفين ونصف الضعف . اما اسم الفلم الجديد فهو كوداكروم-٢ . وتقول الشركة انه باستطاعة الفلم الجديد ان يصور صورا واضحة ودقيقة بكمية من النور اقل من الكمية التي تحتاج اليها الافلام القديمة .كما ان الالوان فى هذا الفلم اقرب الى الواقع منها فى الافلام القديمة .

● تنصرف الشركة الاميركية لصنع السيارات المجنحة الطيار ةومركزها فى تكساس الى صنع سيارات طيارة تستطيع ان تدرج لوحدها على الطريق بسرعة ٦٠ ميلا فى الساعة او ان تطير فى الجو وتقطع ١٠٠ ميل او اكثر فى الساعة.

● تمكنت شركة انديكوت جونس الاميركية من صنع نوع جديد من الجلد الناعم مغلف ببلاستيك مأخوذة مادته ن الاوريتاين . وهذا البلاستيك يضفي على الجلد متانة تزيد ٧٠٠ مرة على متانة الجلد العادي المستعمل فى صنع الاحذية . والبلاستيك الجديد من شانه ان يضع حدا لتفضن الجلد وتجعيده كذلك سيستخدم هذا البلاستيك ليزيد من متانة وقوة بعض المصنوعات الاخرى بعد ان دلت التجارب التي اجريت عليه انه قادر على حفظ المصنوعات من التآكل والاحتكاك ، والتفاعل الكيمائي والاتساخ ، ويضفي عليها لمانا ابقى واطول .

● اخترع يوليوس ريجر من مدينة مونيخ نوعا جديدا من البواخر يتكون من ثلاثة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اجسام عائمة ، ويؤكد بانها لا تغرق قط .وقد قضى ٣٠ عاما فى اخراج اختراعه هذا .وتتصل الاجسام الثلاثة التي تتكون منها الباخرة بمواسير فولاذية فيما بينها بحيث تكون هناك امكنة فى الداخل تخصص لاستيعاب قمرات الركاب، والمحروقاتوصهريج الماء ،والمحركات. اما « الجوندولات » التي افرد فيها امكنة لقمرات الركاب وصهريج الماء فقد تم تركيبها بصورة تدور فيه حول محور طولي . وبهذه الواسطة لا تنقلب الجندولات بما فيها وتعود الى الوضع الافقيأثناء حدوث انقلابالباخرة، ولا تؤثر حركتها هذه على من فيها منالركاب.

● اكتشفت طبقة من رذاذ الكبريت تبلغ سماكتها حوالي ٥ كيلومترات وتغلف الارض تماما على علو ١٨ كيلومترا هذا ما يقوله علماء الجيوفيزياء فى مختبرات كامبريدج . ويعتقد ان هذه الحبيبات الدقيقة تتجمع عندما تنطلق بعض الغازات التي تفيرت كيمائيا الى الستراتوسفير من المناطق الاوطى . وقد تكون الطبقة الكبريتية هي السبب فى القرصالاحمر المضيء الذي كثيرا ما يظهر فوق مركز غروب الشمس او شروقها .

● البراهين التي جاء بها علماء لجنة الطاقة الذرية تدل على انه ربما حدث اصطدام هائل بين عدة اشياء فى الفضاء الخارجي منذحوالي ٥٨٠ مليون سنة . وهذا الاستنتاج تدعمه دراسة عدة نيازك حديدية سقطت فوق اميركا والاتحاد السوفياتي خلال الـ ٤٣ سنة الماضية . واظهرت هذه الدراسات انالنيازك المعنية لها تقريبا نفس العمر الفضائي اي الوقت الذي مر بين انفصالها عن اجرام الفضاء ووصولها الى الارض مما حمل العلماء على الاعتقاد بانها جاءت نتيجة لاصطدام وقع بين جرمين كبيرين او عدة اجرام .

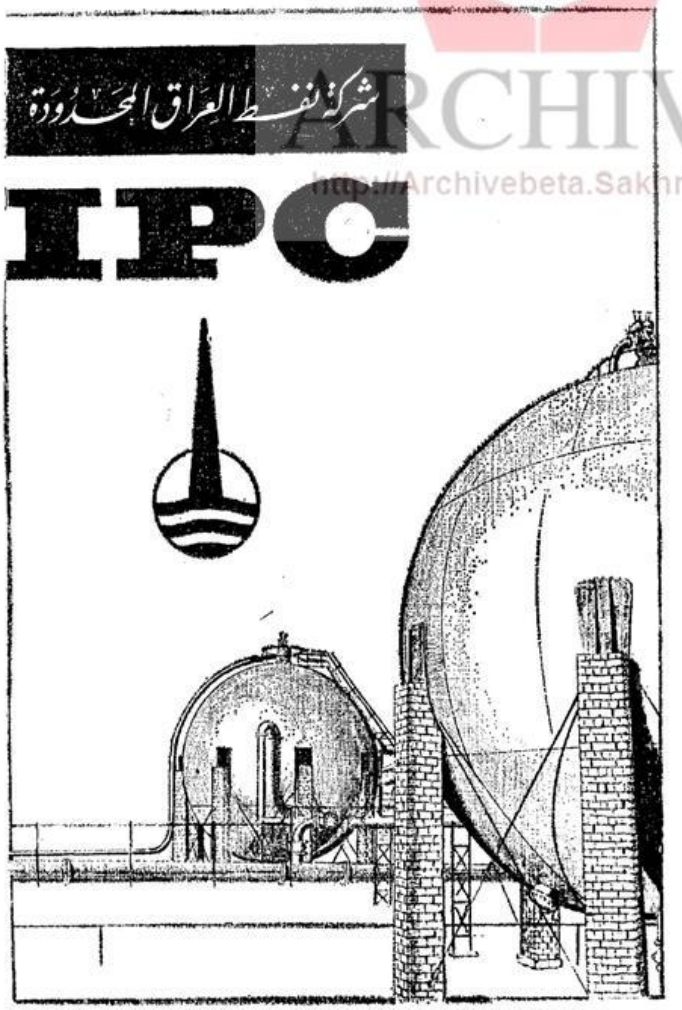
● اعلن العلماء الروس انهم اكتشفوا عن طريق موجات الرادار المنعكسة على كوكب الزهرة ان هذا الكوكب يدور على نفسه مرة كل ١٠ ايام ارضية ، وان اجزاء سطحهتعكس الموجات اللاسلكية بطرق مختلفة . وقد توصل العلماء الى هذه النتائج حين كان كوكب الزهرة على اقرب مسافة من الارض وهي ٤٠ مليون كيلومتر .

● اذا كانت سفينة فضائية تسير بسرعة ١٦ الف كيلومتر فى الساعة فانها تحتاج الى يوم كامل للوصول الى القمر والى ستة للوصول الى الشمس والى ٤٠ سنة للوصول الى بلاطون ، ابعد الكواكب السيارة في نظامنا الشمسي . وللوصولالى الفا سنتوري وهو اقرب النجوم تحتاج السفينة الفضائية الى ٢٧٠ الف سنة . وقد ذكر هذه الارقام مؤخرا الدكتور جورج آبل احد علماء الفلك فى جامعة كاليفورنيا .

● يبدو ان عمر الكون لا يقل عن الفمليار سنة ، بينما كان المظنون من قبل ان عمره لا يتجاوز ١٢ مليار سنة . ويؤكد الدكتور فرتز زوبكي احد علماء الفلك التابعين لمراصد مونت ولسن وبالمور فى كاليفورنيا ، ان مدى الف مليار سنة هو الحد الادنى من الوقت الذي يقتضيه ظهور المجرات وتاليفها . هذه المجرات التي يمكن للعلماء عد المليارات منها

● اكتشف الدكتور و. لويتن ، احد اساتذة جامعة مينزوتا نجما هو اخفت واضعف نجوم السماء المعروفة نورا للان ، اذ لا يزيد ضوؤه على واحد من مليونين من نور الشمس ،وهو نور لا يرى بالعين المجردة الا اذا انعكس على بعض الافلام الفوتوغرافية المعروفة بشدة حساسيتها ، يستعملها علماء الفلك .والنجمة الجديدة التي لم تعمد بعد باسم يميزها ،تبعد عنا نحو من ٣٠ سنة ضوئية ، مع العلم ان السنة الضوئية تساوي ٦ ملايين مليون ميل. ويؤكد الدكتور لويتن ان النجمة المذكورة تبدو حمراء . ولم يعرف بعد حجم هذه النجمة التي يتوجب على علماء الفلك ورصد الكواكب صرف سنة من الدرس والرصد المستمر ليتمكنوا من تحديده . اما موقعها ففي برج السمكة .

● هنالك نظرية علمية تقول ان القطب الشمالي اخذ بالتحول عن مركزه وئيدا الى جهة غرينلاند . وقد دلت التسجيلات التي اجريت بهذا الصدد ان التحول يتم بنسبة ٦ بوصات فى السنة ، منذ عام ١٩٠٠ ، كما يؤكد الدكتور وليم ماركوفتس من المرصد الجوي التابع للبحرية فى وشنطن . وقد ظهر من ابحاث سابقة ان القطب الشمالي ينزاح عن محوره غير انه لم يات دليل اكيد على صحة هذا القول يقنع العلماء الجيوفيزيقيين . وقد كان من العسير والشاق معا الوصول الى مثل هذا الدليل القاطع بالنظر لاستقبال الارض لمحورها الذي يجعل كلا القطبين الشمالي والجنوبي يقومان بحركة دائرية مقدارها ٣٠ قدما خلال ١٤ شهرا . وقد امكن الان قياس كل من ظاهرتي الانزياح والاستقبال بعد ان قام بهذه العملية الدقيقة خمسة مراكز للرصد الجوي مستعينين على ذلك بمواقع النجوم ووقوع الحركة الدائرية بالنسبة لمحور الارض .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الحركة الادبية في الاردن

بقلم راضي صدوق

●

الادب والعلم ، هاتان القوتان المبدعتان ، هما اللتان تتحكمان بالعالم اليوم ، وتجرانه الى طرق متشعبة واودية سحيقة مجهولة ، دون ان يبدي ادنى معارضة او حراك .

فالعلم يحاول ان يرتفع بالانسان ، او يحاول الانسان ان يرتفع به ، الى مراقي الاجواء ومعارج النجوم والسيارات ، تارة في صواريخ جهنمية ، واخرى في اقمار « ارضية » يطلقها لتدور في الاجواء .

والادب قوة خارقة تمسك بالبشرية من مقود مشاعرها واحاسيسها فتسمو بها الى ذرى شامخة من الصفاء ، والطهر ، والجمال .

فالعلم والادب قوتان خلاقتان مبدعتان ، فطرتا على التضامن ، منذ الازل . وليس صحيحا ما يقال من ان الادب مادة كمالية ، تنقرض شيئا فشيئا كلما اوغلت البشرية في طريق العلم ، ولكنه قوة خلاقة تقف مع العلم في جانب واحد ، وتعمل معه من اجل غاية واحدة هي تطوير البشرية واسعادها . ومهما حاول البعض التقليل من قيمة الادب وضروريته وفعاليته في مختلف مناحي الحياة، فستظل رايتهخفاقة ترفرف في مجالات النفس البشرية ، تحركها .. تزلزلها .. تدفعها على التطور والتجدد والانبثاق . وحسبنا ان يكون ادب كل مجتمع منذ ان نشأ الادب ووجدت المجتمعات ، صورة حية لذلك المجتمع ، ينقل لنا ملامحه وطويته ، ويبرز نتؤاته ومنخفضاته بكل دقة وامانة . حتى ان المؤرخين كثيرا ما يستكشفون عادات الامم واخلاقها وطرق معيشتها من خلال آداب تلك الامم .

ولعل الامة العربية ، من ابرز الامم التي جاءت آدابها سجلا لتاريخها الطويل ، لما تميزت به من صدق وامانة وصفاء طاهر كقلب الصحراء . ولقد حاولت عوامل الزمن ان تهرم الامة العربية ـ شانها مع باقي الامم ـ ولكن حيوية لغتها الزاهرة هرمت الاجيال . وها هي اليوم تستعيد قواها وتفيق من غفلتها ، وتسير مواكبها في النيل وبردى ودجلة والاردن وبلاد النفط وشمال افريقيا، وسيكون الادب ـ من شعر ونثر ـ اول عامل يسير بالامة العربية الى اللقيا على هداية مصباحه الوهاج .

وقد ابيح لنفسي ان اقيد هنا ، ان نكبة فلسطين فجرت الينابيع المطمورة فتدفقت شعرا ونثرا تنبعث منه رائحة الدم والدموع . هذه الرائحة التي ستحيلها المرارة الى زفير بركاني يلتهم ارجاس المعتدين والتي تنشق من بين حروفها ارجا اندلسيا جديدا ذا لذاذة ونكهة خاصة اظنها ستخلده ، كما خلد ادب الأندلس .

وما دام هذا شأن الادب ، وهذه مكانته ، فسنتحدث عنه بايجاز ، في بلد عربي جاور نكبة فلسطين وعايشها ، ذلكم هو الاردن .

ولقد اخترنا ادب الاردن لنتكلم عنه بالذات الى قراء « الاديب » لانه اقرب بلاد العروبة الى فلسطين العربية السليبة ، ولان جل ادبائه من شعراء وكتاب هم في الغالب فلسطينيون لجاوا الى ضفاف الاردن ليظلوا قريبين من اندلسهم الحبيبة ولان هذا الادب يتميز بصدق التجربة والاحساس اكثر من غيره من آداب الاقطار الشقيقة التي غالبا ما تقال او تنظم عن تاثر سماعي بالنكبة واهوالها .

كان الادب في الاردن الى وقت قريب يؤثر التهاويل على الحقائق والقيم المجردة من زخرف القول وبهرج المظهر . يلتزم اللاحقون بمحاكاة ما خلفه السابقون دون ان يحاول بعض فرسان هذا الميدان الخروج عن حدود التزاماته ، والخطوط التي رسمها الاولون . وليس يعنينا الاسهاب في الحديث عن هذه الحقبة ، اذ لا ضير على الاردن منها . فالمعروف ان المحاكاة والتقليد هما اول خطوة يخطوها ادب كل امة اذا ما استفاق من كبوته .

نستطيع الجزم ان اول يوم من نكبة فلسطين كان هو اول يوم من مولد ادب اردني يساير سائر آداب العربية ، فقد هاجر شباب فلسطين ومنهم الشاعر والكاتب الى الضفة الشرقية حيث اخذوا يتحلقون ويعقدون الندوات ، ومن شعراء وكتاب الهجرة : محمود سيف الدين الايراني ومحمود الافغاني نزيل عمان ومحمود الحوت نزيل الكويت « حاليا » ومصطفى درويش الدباغ وغيرهم، وكلهم من يافا عروس فلسطين.

وقد اجتاز الادب الاردني ، مرحلة المحاكاة والتقليد بعد الهجرة عندما وفد الادباء الفلسطينيون من الساحل المعرع ، وفي سحناتهم ملامح شعراء فلسطين وكتابها : ابراهيم طوقان وابو سلمى ومطلق عبد الخالق وعبد الرحيم محمود والشيخ الفاروقي وابراهيم الشنطي ويوسف حنا واكرم زعيتر وعادل وغيرهم .

وقد قصر الادباء المهاجرون انتاجهم في باديء الامر على بكاء الوطن السليب فكانوا ابلغ من صور النكبة ، لان معالمها تجثم في قلوبهم وفي شرايينهم . وقد جاء انتاجهم الادبي رائعا لوفرة حظه من الصدق ، وكما هو معروف : ان الاخلاص للفن والصدق الشعوري من اهم مقومات العمل الادبي الناجح ، ومن شعرهم الباكي قول الافغاني :

من دمي ابكيك لا من ادمعي ... موطني، ارضي، جناني، اربعي

وقول الحوت :

هذا الفراغ وما عاناه من الم ... قلب تمزقه الآهات في الظلم
امران قد حطما في النفس بهجتها ... واطبقاها على شر من العدم
بئس الحياة التي هان الزمان بها ... فلم تعد غير خفق صامت بدم

اما بالنسبة للآثار النثرية فقد ظهر اكثر من كتاب ومجموعة قصصية تصور النكبة وذيولها بصدق ، وحرارة واهمها « مع الناس » للاستاذ محمود سيف الدين الايراني و « حي الشاطيء » للقاضي الاستاذ مصطفى درويش الدباغ .

ثم تطور هذا الشعر الباكي الى ملاحم نارية تنضح بالاصرار وتفسح بالعزم ، اصرار اللاجئين على العودة لوطنهم ، وعزمهم على البذل والفداء ، فمن قصيدة لكاتب هذا المقال :

سنعود يا قومي الى التبر المخضب بالدم
سنعود للفدران ، للوطن الضحوك .. الباسم
للبرتقال ، وللحدائق ... للعبير الفاغم

ويكاد قارىء ادب هذه الفترة لا يرى مقطوعة وجدانية او غزلية واحدة، فقد كانت فلسطين الوتر الواحد الذي يعزف عليه الشعراء والكتاب ، وشاركهم في ذلك ابناء الضفة الشرقية من الموهوبين، وفي طليعتهم عرار « مصطفى وهبي التل » والصليبي وحسني زيد وحسني فريز ومحمد سليم الرشدان وعبد المنعم الرفاعي .

الا ان هؤلاء الادباء اطلقوا قرائحهم الى ابعد من ذلك ، فيما بعد ، ففنوا للعالم العربي في مناسبات كفاحه ونضاله ، كما ظهر ذلك جليا في العدوان الثلاثي على بور سعيد ، وتعدوا العالم العربي الى المجال الانساني الرحيب فمجدوا مؤتمر باندونغ ومؤتمر الشعوب الاسيوية الافريقية ، ونظموا الملاحم الانسانية الطوال . ومما يسجل بالاعتزاز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والفخار ان الادب في الاردن اليوم يظهر الى جانب النشاط الوطني ، ويسير معه جنبا الى جنب .

وفي الاونة الاخيرة ظهر جيل كامل من الشعراء والكتاب في فترة واحدة، او متقاربة ، واسهم بنصيب واحد في الرسالة الادبية السامية . وما يزال هذا الجيل يزف الى الادب العربي ، في كل حين ، معطيات جديدة جزيلة من الادب الوطني الرائق الفذ . اما شعراء هذا الجيل الذي ظهر فجأة مع اطلالة عام ١٩٥٢ فهم نخبة ممتازة من الشباب المتحفز الذي يملك من نفاذ الوعي ما يصرفه عن التهاويل الخادعة الى استشفاف اللباب واستكشاف الحقائق وهم : فدوى طوقان وعيسى الناعوري وكمال ناصر وراضي صدوق وبشير القبطي وناجي علوش وخالد نصرة وخليل زقطان . وقد استطاعوا الخروج بالشعر الاردني من قوقعته المظلمة واسلوبه الرتيب الى عالم نير يعرف وظيفة الشعر الحقة ، واتجهوا بمفهوم الشاعرية الى نزعة الخلق . لقد فهم هؤلاء الشعراء من هم واين هم ولمن هم ، فساروا على ضوء هذه المعرفة في طريقهم الشائك الطويل ، ويندر ان تجد بينهم من ينسج ادبا عنكبوتيا معتما .

اما بالنسبة للشق الاخر من الادب الاردني ، واعني النثر، فهناك ادباء كبار يشهد لهم سائر ادباء العروبة بطول الباع امثال الاساتذة : المرحوم عادل زعيتر وهو علم من اعلام الترجمة نقل اشهر مخلفات فلاسفة الغرب الى العربية باسلوب رصين ودقة متناهية ، وكذلك شقيقه اكرم وهو خطيب عربي مفوه ، والعلامة قدري حافظ طوقان ومحمد اديب العامري وفائزة عبد المجيد وغيرهم . غير ان ادباءنا هؤلاء يعيشون كما صرح لي معظمهم ، في قوقعات وشرانق معتمة ، واذكر ان الصديق اكرم زعيتر قد بعث الي يقول : « انني منذ طمت الطامة الفلسطينية اعيش بين جدران نفسي ... »

والحق ان ادباء الاردن يعيشون في شبه عزلة تامة بالنسبة لزملائهم في العالم العربي ، اللهم الا في القليل النادر، وهم لا يجدون من يأخذ بيدهم لاداء رسالتهم السامية ، بل انني لا اعدو الحقيقة اذا قيدت هنا ، ان الادباء انفسهم في الاردن لا تؤلف بينهم رابطة ، ولا يجمعهم هدف ، بينما نجد زملاءهم في الاقطار الاخرى اوفر حظا منهم ، اذ ترعى شؤونهم اكثر من رابطة او هيئة .

وقد جرت محاولات كثيرة لجمع شتات ادباء الاردن ، وتشكيل رابطة تنطق باسمهم وتنشر انتاجهم على الملأ ، وتعرف العالم العربي بهم وبعصارة افكارهم ، الا ان هذه المحاولات لم تصادف اي صدى، وتبددت الجهود كما تتبدد العصافة في مهب الرياح ، ثم ان هناك مشكلة اخرى يعاني منها ادباء الاردن ، تلك هي مشكلة دور النشر ..

فالاردن يكاد يكون مفقرا من وسائل النشر بما في ذلك المجلات الادبية التي لا تكاد ترى لها اثرا .

وقد حدثني الصديق الاديب الناعوري مرة انه « تاب » عن اصدار اية مجلة ادبية في الاردن بعد ان اكسبته مجلته « القلم الجديد » اكثر من تجربة مريرة ، ونصحني ان لا اغامر انا ايضا باصدار اية مجلة ادبية او تشكيل رابطة ...

اما بالنسبة للصحف اليومية فهي والادب على طرفي نقيض ... وقد نجد لها بعض العذر في ضيق صفحاتها التي لا تكاد تتسع للاخبار والاعلانات ، وكثيرا ما تحدثت الى اصحاب هذه الصحف عن مشكلة الادب ، وعاتبتهم على تقصيرهم في حق الادب وتشجيعه ، فكانت الاعذار تقفز بسرعة فائقة الى السنتهم !

واعتقد جازما ان الادب الاردني سيشق طريقه بثبات ليقف على صعيد واحد مع الادب العربي في الاقطار الشقيقة كلما توافرت له اسباب الحياة والنمو ، وتكاملت له الرعاية والاهتمام .

الكويت — راضي صدوق

حديث مع الشاعر جورج صيدح

السؤال الاول — نعلم انك لعبت دورا مرموقا في مجالات النهضة الادبية العربية اثناء اقامتك في اميركا اللاتينية . ويهمنا ان نعرف رأيك في حالتك النهضة اليوم . وفي مصيرها غدا .

ج — حالها اليوم جمود وهمود . ومصيرها غدا زوال واضمحلال . لقد انطوت اعلام ذلك الفتح الادبي المبني في اميركا الشمالية منذ عام ١٩٣٢ . وتنكصت في اميركا الجنوبية منذ عام ١٩٥٣ لان قواد النهضة انقرضوا ولم يحل محلهم فدائيون مثلهم .

« الرابطة القلمية » في نيويورك . عنوان النهضة . تأسست عام ١٩٢٠ . وفي ١٩٣١ فجعت بوفاة عميدها جبران خليل جبران . وبعد اعوام مات اركانها : رشيد ايوب وندره حداد ونسيب عريضة ووليم كاتسفليس وايليا ابو ماضي . وعاد امين الريحاني وميخائيل نعيمة الى لبنان . وحجب عبد المسيح حداد — اخر اعضائها — جريدتها «السائح»

و « العصبة الاندلسية » التي تأسست في سان باولو عام ١٩٣٢ لتقوم مقامها انحلت في عام ١٩٥٢ واحتجبت مجلتها التي رفعت لواء التجديد عشرين عاما فتوارت اخر بارقة عربية من سماء المهجر . مات من اركانها ميشال معلوف وعقل الجر وحسني غراب واسكندر كرباج وسعيد اليازجي ويوسف البعيني وعاد القروي ونظير زيتون الى الوطن . وتفرق الاعضاء الباقون تبعا لمصالحهم التجارية . وتلاشت حركات مماثلة لها في المكسيك وفي الاكوادور حيث لم يبق للادب العربي اثر . وفي الارجنتين حيث اسس جورج صيدح « الرابطة الادبية » عام ١٩٤٩ فانحلت بعد عامين غداة سفره من بونس ايرس عائدا الى الوطن .

الجيل الجديد ولد في المهاجر الاميركية ولم يتعلم اللغة العربية حتى ان كبار الادباء مثل ايليا ابو ماضي وشفيق معلوف والياس فرحات وعبد المسيح حداد ومحبوب الخوري الشرتوني وتوفيق قربان وتوفيق ضعون وجورج عساف وجورج صوايا لم يعلموا اولادهم اللغة العربية بل ارغموهم على «التامرك» تأمينا لمستقبلهم. بينما ادباء اخرون لم يتزوجوا . فلا ذرية لهم : الريحاني ، نعيمة ، عريضة ، الشاعر القروي ، عقل الجر ، نظير زيتون ، حبيب مسعود ، نصر سمعان ، الياس قنصل وغيرهم .

اما الفوج الجديد من المهاجرين فلم يخدم الادب العربي اية خدمة . شبان جياع لمتع الحياة . طموحهم وثقافتهم غربية سرعان ما اندمجوا في البيئة الاميركية حتى لا تفوتهم فرصة من فرص النجاح والاثراء . اما عبادة الحرف العربي فتجربة لم يقعوا فيها كما وقع سابقوهم المثاليون. لقد اصبح الادب المهجري ، رغم كثرة المهاجرين العرب يتيما لطيما لا يبقى منه عما قريب غير ذكرى للتاريخ كادب الاندلس .

السؤال الثاني : هل تعتقد ان حركة البعث والتجديد التي انطلقت من الاميركتين ما زالت نشيطة في العالم العربي ؟ وعلى من تعتمد ؟

ج — لم يزل الادب المهجري حيا يرزق باثاره لا برجاله وبمدرسته الادبية الجديدة التي تفرعت في الاقطار العربية . اما حركته المندفعة فتتفاوت فاعليتها بين قطر وقطر . وبوجه عام فقدت طلاوة الجدة والتماعة المفاجأة ولكنها احتفظت بقوة التأثير والتوجيه .

كان لبنان اول من اعتنق المذهب المهجري واول من خرج عليه . تحمس له بحكم القرابة الروحية والعرقية وقلده اعواما حبا منه بكل جديد الى ان ظهر ما هو اجد فمال اليه ثم اعرض عنه . وهكذا دواليك حتى اصبح لبنان بابل المذاهب الادبية . من الكلاسيكية الى الرومنسية الى الالتزام الى السريالية واخيرا اجتاحته الموجة الجديدة القادمة من الغرب تكاد تنسيه ادب ابنائه المغتربين .

وفي سوريا تبنى الادباء البدعة المهجرية بعد تردد طويل وما زالوا يدافعون عنها ويتأثرون بها الى اليوم . وحكومة سوريا كانت الوحيدة بين الحكومات العربية التي دعت الى ضيافتها ايليا ابو ماضي من نيويورك وجورج صيدح من الارجنتين والشاعر القروي وفرحات من البرازيل واغدقت عليهم الاوسمة والنعم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واكتسحت الحركة المهجرية العراق فصارت على لسان كل اديب وطالب علم في النجف وبغداد وكربلاء . وراحت دور النشر تصدر طبعات متوالية لدواوين ابو ماضي (دون استئذانه) الى ان ظهر التطور الجديد في شعر نازك الملائكة والسياب والبياتي واخذ يزاحم الشعر المهجري ويزحزحه عن مكان الصدارة .

اما في فلسطين والاردن حتى في الجزائر وخليج العجم فلم يزل الادب المهجري في اوجه . لم تؤثر فيه النزعات الحديثة .

وكانت مصر عصية عليه تأمر بامر الشعراء المحافظين (شوقي ورفاقه) وتحذل كل من عارضهم بالدعوة الى التجديد . جاءها الريحاني بالشعر المنثور فهزأت به . وتلاه نعيمة بكتابه « الغربال » عام ١٩٢٣ فلم يلاق صدى الا عند العقاد والمازني وشكري ، اصحاب « الديوان » الثائرين . الى ان وصلت «جداول» ابو ماضي عام ١٩٢٧ فاقبلت عليها الشبيبة المصرية تلتهمها التهاما حتى شعراء «جماعة ابولو» وعلى رأسهم ناجي والشابي ومحمود طه والصيرفي وابي شادي اخذوا يمجدونها ويستلهمونها . وقام خليل مطران ومعه كبار الكتاب والنقاد المصريين يرفعون راية الادب المهجري ويردون عنه هجمات المعارضين . ففتحت مصر بابها الواسع لكتب جبران . ثم عم رواج الكتب المهجرية الطبقات الشعبية بعد المعركة التي دارت بين المجددين والرجعيين على اثر المحاضرات التي القاها جورج صيدح في مصر بدعوة من جامعة الدول العربية . فالضجة التي شغلت الناس وملأت الصحف وقتئذ كانت بمثابة دعاية للادب المهجري . لفتت اليه انظار الجماهير وانظار الحكومة المصرية ايضا . فهذه اقرته مادة للتدريس في معاهد العلم وكرمت نفرا من ادباء المهجر المشهورين . وخصت الشاعر القروي بمرتب شهري مدى الحياة ثم اشترت منه في الشهر الفائت حق اصدار ديوانه الضخم في طبعة جديدة ونقدته الفي جنيه مقابل ذلك . واختارت الكاتب المهجري نظير زيتون لعضوية المجمع العلمي . وعكف وزير الثقافة والارشاد ثروت عكاشة على ترجمة آثار جبران الانكليزية الى العربية فنشر مؤخرا كتابي « النبي » و « حديقة النبي » . وبالنتيجة ان الادب المهجري يتعاظم شأنه الآن في الجمهورية العربية المتحدة بينما تتقلص ظلاله في الاقطار العربية الاخرى ويتنكر له والده الشرعي لبنان !

السؤال الثالث ـ هل ترى في الادب الحديث الذي تنشره « الموجة الجديدة » تطورا للحركة المهجرية ذاتها ام انتقاضا عليها وعلى كل ما سبقها من التقاليد ؟ وهل موقف المعارضين اليوم من ادباء الطليعة ناتج عن سوء تفاهم ؟

ج ـ لا ارى في « الموجة الجديدة » امتدادا او تطورا لاية حركة ادبية سبقتها . فهو خلق جديد مقطوع الصلة بالتراث القديم وبالنتاج المعاصر موصول بشعر الغرب ـ وعلى التخصيص ـ باحدث شعر ينظمه شعراء الغرب المعاصرون .

وقد يلتقي اتفاقا بالمذهب المهجري في ناحية التجديد ويوافق على دستور « الرابطة القلمية » الذي ينص ـ اربعين عاما ـ على الانتقال من الاتباع الى الابداع على الخروج من عبودية التقاليد الى الحرية في اساليب التعبير والى الاستقلال بالشخصية الادبية . ولكنه يخالفه في نواح كثيرة . اهمها :

ـ يرفض التراث العربي باصوله وفروعه بينما المهجري يقبل التقاليد المستحبة التي تلين لتجارب الشعر المعاصر وتفي بمراميه وتجمل فنه .

ـ يرفض الواقع الحقيقي موضوعا له فينفصل عن امته ومجتمعه ولا تبقى اية حساسية مشتركة بينه وبين القارىء العربي بينما المهجري يتصل شعوره بالشعور العربي مهما حلق في الخيال وتعمق في اغوار القضايا النفسية والمشكلات الحياتية . وهذا سر نجاحه .

ـ لا يحمل رسالة على الاطلاق ويأبى التعليق على الاحداث او ترجمة الانفعالات الناتجة عنها باعتبارها مناقضة للشعر (رأي بودلير ومالارميه) حال ان الادب المهجري ادى رسالته للشرق كاملة : في القومية وفي الاجتماع وفي اللغة وفي الدعاية خارج الوطن . وذلك باسلوب واضح مفهوم لان الرسالة التي لا تفهم ولا تنتشر كما هي حال الشعر الحديث ليست رسالة .

ـ في شعر الموجة الجديدة يبرز الوجه العربي تحت قناع اجنبي مستعار بينما شعر المهجر شخصية عربية ناصعة . لا تفقد احداقي الشرق او في الغرب .

ـ مواضيع الموجه الجديدة كلها رؤى ظلام ونشيج يأس واشباح فناء مما يزيدنا حرجا في حياتنا وقلقا على مصيرنا . بينما الشعر المهجري يطالعنا بابتسامات الامل والتفاؤل فنجد فيه المتعة والهداية معا .

ـ هدف الموجة الجديدة في نظرنا «كمالي» لا ضروري بالنسبة لاوضاعنا الحاضرة . فقبل الانتقال الى المسرح العالمي الراقي علينا ان نصلح شؤون بيتنا الخاص ونداوي عللنا الاجتماعية : الطائفية ، الاقليمية والاتكالية والنزعات والتقاليد المتعفنة وهذا ما يدعو اليه الادب المهجري

اما سوء التفاهم الواقع بين الموجة الجديدة ومعارضيها فهو نتيجة الجمود والتزمت من المعارضين كما هو نتيجة التطرف والتحدي من المجددين . فهؤلاء البوا عليهم الاعداء بتصريحات تصدم مختلف النزعات الادبية والقومية حتى الدينية . ولو سلكوا مسلك اللين والكياسة لما استفحل الخلف ولكان طريقهم ايسر وهدفهم اقرب . ان التعايش السلمي مستطاع بين الجانبين . والشعر بحر يتسع لكل جدول جديد ينصب فيه . شرط ان لا يعكر ماؤه .

ان نظرية « الموجة الجديدة » ثورة جذرية بعيدة المرمى تتجاوز ثورة شعراء المهجر في العمق والامتداد . شاء شعراؤنا الحديثون ان يوسعوا طاقة الكلمة الشعرية وان يكتفوا مضمونها الفكري . وهو مطلب عسير ولكنه نبيل . شأنهم شأن علماء العصر الذين نقضوا النواميس الطبيعية المعروفة واستخرجوا القوة الذرية الهائلة من الاتوم وتفجيره . فان لم تنجح تجاربهم الاولى قد تنجح التجارب التالية . ونحن نتمنى ان تتم المعجزة المنشودة في الادب العربي على يدهم دون انفجار قاتل مدمر . ونعتقد ان حركتهم بريئة من اي تحريض خارجي ومن اي غرض انتفاعي . والاعتراض على اسلوبهم لا يعني الاشتباه بحسن نواياهم . كما لا يعني استنكار كل ما ينظمونه من شعر . فلبعضهم حسنات تستثير اعجابنا . ولبعضهم مواهب صحيحة تؤهلهم لمهمة البعث والتجديد في الشعر الى حد لم يبلغه الاوائل هذا ان عدلوا واعتدلوا . وطاوعوا سجيتهم العربية الاصيلة كما كانوا يطاوعونها قبل ان تغمرهم « الموجة الجديدة » وتقذف بهم الى الشواطىء البعيدة طامحين الى خلق شيء اعجوبي من رفات الشعر العربي . (اضواء)

باريس — فرنسيس نور

الى كتاب القصة القصيرة

الى كتاب القصة القصيرة في الاقليم الشمالي، لبنان، الاردن، فلسطين

يقوم احد الدارسين باعداد رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في الادب الحديث تتناول نشأة القصة القصيرة في الاقليم الشمالي ، لبنان ، الاردن ، وفلسطين وتطورها وقالبها الفني وهو يرجو من حضرات الكتاب ان يرسلوا اليه مجموعاتهم القصصية بالثمن الذي يرونه وان يرشدوا الى عناوينهم حتى توجه اليهم الاستخبارات والاسئلة المعدة ، وبذلك كله يمكن للبحث ان يدنو من صفتي الدقة والشمول اللازمتين .

العنوان : نعيم حسن اليافي
جامعة القاهرة . كلية الآداب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ابريـــل ١٩٦١

١٩ ـ ادانت لجنةالهدنة المشتركة اسرائيل لمخالفتها اتفاقالهدنة بحشدها اسلحة ومعدات عسكرية فى القدس المحتلة .

ـ اعلن مجلس الثورة الكوبي ان قـــوات الغزو اتمت المرحلة الاولى من حملتها .

ـ اعلن كنيدي فى رده على خروشوف بان الولايات المتحدة لا تنوي التدخل فى كوبا وان اي تدخل سوفياتي سيقابل بالقوة .

ـ طلبت بريطانيا من روسيا الموافقة على اصدار امر مشترك بوقف اطلاق النار فـي لاوس غـدا .

ـ ابلغ همرشولد مجلس الامن ان اسرائيل رفضت قرار مجلس الامن بالغاء عرضهـــا العسكري فى القـدس .

ـ اصدر تيتو وعبد الناصر بيانا مشتركـا حول الوضع فى كوبا .

٢٠ ـ اعلن كاسترو سحق الغزاة . اصدر بلاغا يثبت فيه تدخل اميركا .

ـ اعلنت الجمعية العامة ان موريتانيـــا ومنغوليا الخارجية الشيوعية مؤهلتان لعضوية الامم المتحدة ويجب قبولهما .

ـ تحدت اسرائيل قرار مجلس الامـــن واجرت استعراضها العسكريفى القدس المحتلة

٢١ ـ وصل الىموسكو الامير سوفانو فونغ زعيم الحركة الثورية فى لاوس كما ان الامـير سوفانا فوما الرئيس السابق لحكومة لاوس ما يـزال فى موسكو .

ـ قال كنيدي ان الصراع مع الشيوعيـــة محتدم فى العالم ، واميركا تتشاور مع الـدول الاميركية الاخرى بشان كوبا . وعلى الولايات المتحدة ان توجه طاقتها للعثور على حـــل للمناورات الشيوعية، فىكوبا وباقي انحاء العالم

ـ قضية املاك اللاجئين العرب لم تنل كثرة الثلثين المطلوبة فى الجمعية العامة .

ـ اقرت الجمعيةالعامة تاليف لجنةللتحقيق فى وضع مستعمرة انغولا البرتغالية .

ـ بعث نهرو برسالة الى كنيدي يعرب عن اسفه لموقف اميركا من غزو كوبا .

٢٢ ـ نشبت ثورة عسكرية يمينية فىمدينة الجزائر بزعامةالجنرال شال والجنرالسالان. استولى الثوار على السلطة واعتقلوا انصـار ديغول ، اعلن المتمردون العمل لابقاء الجزائر فرنسية . اعلن ديغول حالة الطوارىء فـي فرنسا . دعا فرحـــات عباس الجزائريين للمساعدة على القضاء على المتمردين .

ـ تبنت الجمعية العامة قرارا يدعو جميع الدول الى اتخاذ التدابير السلمية لازالـــة التوتر بين اميركا وكوبا .

ـ رد خروشوف على رسالة كنيدي ودعاه لترك سياسة العدوان وقال ان غزو كوبـــا جريمة اثارت العالم واكد رغبة روسيا فـي اقامة علاقات وديـة مع اميركا .

٢٣ ـ اعلن ديغول تسلمه كافة السلطات الدستورية وقال انه لن يتخلى عن الحكـم الا بالموت ووصف المتمردين بانهم جماعة من المغامرين . قال ان فرنسا فى خطر وطلب من الفرنسيين والفرنسيات مساعدته . سيطـر الرعب على باريس خوفا من هجوم يشنـه المظليون من الجزائر .

٢٤ ـ وجهت بريطانيا والاتحاد السوفياتي نداء مشتركا لوقف اطلاق النار فى لاوسوفقا للمحادثات التي جرت فى موسكو .

ـ الفرقتان الفرنسيتان فى المانيا تؤيـــدان ديغول ٩ طائرات تهرب من الجزائر وتلتحـق بالحكومة،عبر الشعب عن تاييده لديغول . قوات فرنسية فى الجزائر باقية على ولائهـا لديغول . اكدت فرنسا لتونس ان حاميـة بنزرت موالية لديغول .

ـ بدا زعماء الكونغو مؤتمرهمفى كوكيلهاتفيل فى محاولة لايجاد حل لمشاكل الكونغو .

٢٥ ـ حاول المتمردون فى الجزائر انتـزاع قاعدة المرسى الكبير.اطلقت البحرية النار على المظليين وصدتهم . استعادت القوات الموالية لديغول مدينة وهران.ابحر الاسطول الفرنسي من طولون الى الجزائر . وصلت القـوات الفرنسية من المانيا الى باريس لمسانـــدة ديغول . اعتقل عدد من الجنرالات فى باريس. الفرقة الاجنبية فىسيدي العباس انضمتللثوار

ـ وافق الجانبان المتحاربان فى لاووس على النداء المشترك البريطاني السوفياتي لوقـف اطـــلاق النـــار .

ـ اعلنت وزارة الخارجية الاميركيـة ان اميركا ستصبح مسؤولة بصورة مباشرة اذا تـــحرك الجنرالات الفرنسيون المتمردون فى الجزائر باتجاه تونس او المغرب . وكان قد اشيع ان فى نية الثوار احتلالتونس والمغرب

٢٦ ـ انهارت ثورة الجنرالات فى الجزائر. انتهت حركة التمرد . فر بعض الجنرالية . واستسلم بعضهم . وصل الجنرال شـــال الى باريس جوا واستسلم . الغيت تدابـير الامن التي وضعت باريس فى حالة حصار .

ـ اعتقل جنود الحكومة المركزية تشومبي رئيس كاتانغا بامر من كاسافوبو لان تشومبي سخر منه ومن استسلامه للامم المتحدةفى مؤتمر كوكيلهاتفيل .

٢٧ ـ اعلن استقلال سيراليون التي ظلت ١٥٠ عاما مستعمرة بريطانية .

ـ عقد فى انقرة مؤتمر وزراء خارجية منظمة الحلف المركزي . وكان دور المساعـــدات الاقتصادية لمـــكافحة الشيوعية فى الشرق الاوسط موضوع المؤتمر الاساسي .

ـ اخرج المظليون وابعدوا من معسكرهم فى الجزائر ولكنهم نسفوه قبل ترحيلهم الـــى سيدي بشر .

ـ تجددت الاتصالات لبدء مفاوضات الجزائر

ـ وجهت حكومة لاوس نداء الـى قواتها بوقف اطلاق النار . ويواصل الشيوعيـــون هجومهم بعد ان استولوا على مونغسلي . وفى وشنطن ابـلغ كنيدي زعماء الكونغرس ان الوضع فى لاوس متفاقم لمماطلة الشيوعيين فى وقف اطلاق النار .

٢٨ ـ جرت معركة جوية مصرية اسرائيلية اشتركت فيها ٢٠ طائرة من الجانبين فى موقع منطقة العوجة ـ القصيمة .

ـ قام الجيش فى الكونغو باعتقال كاسافوبو وباقي المائتي زعيم سياسي المشتركين بالمؤتمر ليمنعهم من السفر ويفرض عليهم استئناف مؤتمرهم لمحاولة الوصول الى تسوية . ثم افرج عـن الجميع بما فيهم تشومبي ليعودوا الى المؤتمر

ـ حلت الحكومة الفرنسية خمس كتائبفى الجزائر واعتقلت ٥ جنرالات ومئات العصاة .

ـ اجتمعت لجنة الهدنة فى نيودلهي لمعالجة قضية لاوس وتنفيذ وقف اطلاق النار بنظام .

ـ اذاع دورتيكوس رئيس جمهورية كوبـا بيانا قال فيه ان الولايات المتحدة تضع خططا نهائية لمهاجمة كوبا . وقال ان كوبا ترغب فى بحث المشاكل المتبادلة مع اميركا . وفىوشنطن رفضت الولايات المتحدة الاقتراح معلنة ان الشيوعية فى نصف الكرة الغربي لا يمكـــن التفاوض معها .

٢٩ ـ فشلت مساعي اللجنة الدوليةلوقف اطلاق النار فى لاوس . الازمة تتحول الىنزاع دولي . كنيدي يجتمع الى كبار العسكريين والدبلوماسيين لبحث القضية .

ـ حكومة كاتانغا تهدد بحرب اهلية ،وقوات الكونغو تقتل وتاسر ٦٠دوليا . وعادتفاوقفت تشومبي لرفضه الاشتراك بالمؤتمر .

ـ وقعت غانا وغينيا ومالي ميثاق «الاتحاد الافريقي» الاتحاد يضم ١٠ ملايين نسمة ويهدف الى سياسة اقتصادية مشتركة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٠ ـ وصل بو رقيبة الى امستردام في طريقه الى كندا واميركا وبريطانيا .

مـــايو ١٩٦١

١ ـ اعلن كاسترو تحويل كوبا الـــى « جمهورية اشتراكية ديموقراطية » .

٢ ـ وافقت لجنة الموازنة في الكونغرس على تخصيص ٥٠٠ مليون دولار لمساعـــدة دول اميركا اللاتينية .

ـ توقف القتال في جبهة لاوس الرئيسية وتجري مفاوضات لتعميم وقف القتال .

ـ اعلنت كاتانغا رغبتها في بدء محادثـــات لتطبيق قرارات مجلس الامن بشان تجريـد جيش كاتانغا من السلاح وطلبت من همرشولد مساعدة الامم المتحدة لتنظيم مؤتمر لزعمـاء الكونغو وطالبت باطلاق سراح تشومبي .

ـ اعلنت الولايات المتحدة ان كوبا اصبحت عضوا في المعسكر الشيوعي .

ـ تم جلاء اخر جندي فرنسي عن قاعـدة اغادير الجوية البحرية في المغرب .

ـ وصلت الملكة اليزابيت وزوجـــها دوق ادنبره الى روما في زيارة رسمية .

ـ اعلن الملك حسين خطبته على الانسة منى الحسين ابنة المقدم غاردنر الخبير البريطاني والمستشار في سلاح الهندسة الاردني .

٣ ـ وصل بو رقيبة الى وشنطن . وصفه كنيدي بانه رجل دولة عالمي بارز كافح طويلا وسجن سنين عديدة في سبيل استقلال تونس. كان بو رقيبة قد صرح في مؤتمر صحفي في كندا ان مصير افريقيا كلها متوقف على الطريقة التي تجري بها معالجة قضية ازالة الاستعمار وحلهـــا .

ـ اعلن وزير الانباء الفرنسي ان موعـد مفاوضات الجزائر في ايفيان قد اقترب . وان ديغول سيحتفظ بسلطاته الاستثنائية حتـى التسوية . وتستمر حركة التطهير في الجزائر وفي فرنســا .

ـ اذاع حزب باتيت لاو الموالي للشيوعية في لاوس نداء الى وحداته بوقف اطلاق النار، ولكن بعض الهجمات مستمرة .

٤ ـ حذر نائب الرئيس الاميركي جونسون من ظروف عصيبة ستمر بها العلاقات الاميركية الروسية في الشهور المقبلة ودعـا الاميركيين الـى الاتحـاد .

ـ وقع اتفاق قرض بريطاني بـ ٢٠ مليون يمكن رفعه الى ٥٠ مليون جنيه من مؤسسات بريطانية الى الجمهورية العربية المتحدة .

ـ تشكلت وزارة ليبيـة جديدة برئـاسة محمد عثمان الصيد .

ـ تاكد وقف القتال في سائر مناطق لاوس بعد غدا مؤتمر لتنفيذ الهدنة .

٥ ـ اطلقت اميركا اول رجل الى الفضاء هو الكوماندر الن شبرد . عاد الى الارض بعد ارتفاعه ١٨٥ كلم في رحلة غير مدارية استغرقت ١٦ دقيقة .

ـ قدم شريف امامي رئيس حكومة ايـران استقالته بعد مظاهرات صاخبة وقعت فـي طهران . وقد عهد الشاه الى الدكتور علـي اميني تشكيل الحكومة الجديدة .

ـ استقبل البابا يوحنا الملكة اليزابيت وقرينها دوق ادنبره .

ـ اميركا تدرس امكانية التدخل العسكري في فيتنام على اثر التوسع الشيوعي فيها .

٦ ـ نصح خروشوف اميركا بالتفاوض مع كوبا لحل خلافاتهما على اساس « عش ودع غيرك يعيـش » .

ـ في بلاغ مشترك بو رقيبة وكندي يقران الحياد وحق الشعوب بتقرير مصيرها .والدول الافريقية المستقلة حرة في سياستها دون تدخـل خارجي .

ـ في البلاغ المشترك لمؤتمر وزراء خارجية الدار البيضاء الذي عقد في القاهرة تـاييد جيزنغا والجزائر وفلسطين ، انغولا ولاوس ووقف التجارب النوويـة .

٧ ـ حكومة ليوبلدفيل المركزية ستحـاكم تشومبي بتهمة الخيانة العظمى وتحملـــه مسؤولية قتل لومومبا ، اعلن ذلك بومبوكو وزير الخارجية بحضور الجنرال موبوتو .

٨ ـ طلب همرشولد الى كاسافوبو محاكمة جنود الكونغو المسؤولين عن قتل الجنـــود الدوليين في مرفا فرنكي .

ـ اذاع ديغول خطابا دعا فيه المستوطنين الفرنسيين في الجزائر الى التعقل والتفكـير في المستقبل وقال لا حل الا باستفتاء الجزائريين انفسهم وعرض المشاركة اساسا للعهد الجديد

ـ وصل احمد توري رئيس جمهورية غينيا الى القاهرة في زيارة رسمية .

ـ وصلت طليعة لجنة المراقبة الدولية الى لاوس . وحدثت بعض المناوشات المحدودة .

٩ ـ حل شاه ايران مجلسي النواب والشيوخ وقدم الدكتور اميني وزارته الجديدة .

ـ اعتقلت الحكومة التركية عددا من انصار مندريس بتهمة القيام بحركة مسلحة .

ـ اعلن راسك ان اميركا تعرض تخصيص خمس غواصات نووية لحلف الاطلنطي وارفق العرض بطلب اعادة النظر في وضع الحلـف العسكري . وطلبت تركيا واليونان مساعدات من الحلف . ودعا الحلف البورتغال للكف عن اراقة الدماء في انغولا .

ـ اصدرت حكومة الكونغو مذكرة توقيـف بحق تشومبي لستة اشهر وتقديمه للمحاكمة بعشر تهم منها تهمة الخيانة .

١٠ ـ اعلن الجنرال براباس تشاروسائيارا وزير داخلية سيام اكتشاف مؤامرة شيوعية للاستيلاء على السلطة في شمال شرق سيام.

١١ ـ امر الدكتور اميني بعدم سفر الوزراء والمسؤولين الحكوميين السابقين من ايران دون اذنه . وقال ان جميع العناصر الفاسدة ستعاقب . واعلن برنامجا من ١٥ نقطة لمكافحة الفساد وانقاذ البلاد من الفوضى .

١٢ ـ حاول المتطرفون من الفرنسيين في الجزائر القيام بحركات مقاومة واثارة شغب

ـ تقرر ارجاء افتتاح المؤتمر الدولي للاوس في جنيف بعد ان اجتمع وزيرا خارجيـــة بريطانيا وروسيا وعجزا عن الاتفاق على تمثيل لاوس في المؤتمر .

ـ تولت هيئة وزارية السلطات التي كـان يمارسها تشومبي في كاتانغا .

١٣ ـ اعتقلت الحكومة الايرانية خمسـة جنرالات بينهم وزيران في الحكومة السابقـة بتهمة الفساد وسوء التصرف بالاموال وبالسلطة

ـ دعا كاسافوبو البرلمان في الكونغو للاجتماع وطلب من الامم المتحدة حماية الاعضاء وتامين نقلهـــم .

ـ صرح بو رقيبة في نيويورك : ستنشـب الحرب في فلسطين عاجلا ام آجلا على غـرار النزاع الجزائري اذا لم يوضع «حل مناسب» لقضية اللاجئيـن .

١٤ ـ جرى تعديل في الحكومة العراقيـة اعفي معه وزيران من منصبيهما لاسباب صحية ونقل وزير ثالث الى منصب في وزارة الخارجية

١٥ ـ استولى الجيش في كوريا الجنوبية على الحكم بقيادة الجنرال شانغ يي يونغ .

ـ بمناسبة مرور ١٣ عاما على نكبة العرب في فلسطين قامت مظاهرات في الاقطار العربية واقيمت عدة مهرجانات خطابية .

ـ هدد الاتحاد السوفياتي بالانسحاب من مؤتمر جنيف لحظر التجارب النووية اذا لـم تنجح اميركا وبريطانيا في اقناع فرنسا بالتخلي عن برنامـج تجاربها .

ـ صرح عبد الناصر : لا نعارض اي وحدة تتم في البلاد العربية . لا انصار لي في حكومة الجزائر المؤقتة لقد رتبت اجتماعا سابقـــا للمفاوضات الفرنسية الجزائرية ولكـــن الفرنسيين غادروا الاجتماع فجاة . لسـت شيوعيا ولا خطر على افريقيا من الشيوعية . علاقاتنا مع بريطانيا مرهونة بفلسطين .

١٦ ـ قدم صائب سـلام رئيس الوزارة اللبنانيـة استقالته .

ـ وصل بو رقيبة الى لندن وبدا محادثات سياسية مع ماكميلان .

مطبعة الغريب

بيروت ، شارع هوفلان ، ت ٢٤٦١٨٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



المـــادة والخلـق

جنبـا الى جنب

بقلم محمد اديب العامري

من الاقوال التي نطالعها كثيرا في الصحف والمجلات وبعض الكتب ، وفي تصاريح بعض رجـال الفكر والسياسة ، قولهم ان العلم البشري والاسباب المادية تتقدم الى امام بخطوات واسعة سريعة في حين يسوء الخلق الانساني يوما عن يوم ، او هو لا يتطور عن حاله ، او لا يتقدم تقدم العلم والمـادة في اتساع خطواتهما وسرعتهـا .

يذكر القارىء الكريم ذلك ، لانه كثيرا ما يطالعه ويسمعه . وانا واثق من انه سيطالعه ويسمعه في المستقبل ايضا. وان كنت اعتقد ان مطالعته له واستماعه اليه سيقلان يوما عن يوم ، حتى يرى عدد كاف من الناس ان هذا القول غير صحيح ، بتة ، او انه غـير صحيح الى القدر الذي يصرحون به ، على اقل تقدير .

اجل ان العلم المادي قد تطور تطورا سريعا واسعا خلال القرنين الماضيين ، بل ان التطور الذي وقع خلال هذه الفترة القصيرة يفوق في اهميته وسرعته جميع ما توصل اليه الانسان خلال الحقب الطويلة التي عاشها ، منـذ ان اصبح «انسانا» يعرف نفسه ويفهم التاريخ .

ولكن الخلق البشري لم يتطور اقل من ذلك ، عـلى التحقيق .

ان مدى التطور العلمي « المادي » يقع في معظمه بـــين الثورة الصناعية والتفجيرات الذرية ، تلك التفجيرات التي رفعت انسانا في الشهر الاسبق (١٢ نيسان) الـى الفضاء ودارت به حول الارض . فنستطيع ان نقسم هذا المدى الى قسمين : ١ ــ قسم بين فجـر القوة الميكانيكية وفجر القوة الذرية ، ٢ ــ وقسم يقع بين فجر الذرة وبين ما بعده .هو مدى شاسع ولا ريب . ونحن هنا انما رمزنا له رمزا ولم نتقصه تقصيا ، فالمدى واسع ايضا بين اكتشاف الخلية والمحاولات الاخيرة التي تجري لتكوين هذه الخلية ــ الحية . وقس على ذلك في العلوم الاخرى التي ترنو ببصرها الى امام ــ الى خدمة الرفاهية المادية للبشر وتحرير نفوسهم وتدعيم قوتهم .

ولكن مدى التطور الخلقي يشبه ذلك سعة وسرعة كذلـك .

ففي اواخر القرن الماضي كانت البشرية مقيمة ما تزال على نظام الرق ــ استعبـــاد الانسان للانسان وبيعه اياه في سوق النخاسة. اما اليوم فان هذا «النظام» يلفظ اخر انفاسه .

وفي مطلع هذا القرن كانت عملية «حق الفتح» ــ الرق الجماعي ــ تلك التي تستعمر بهـا دولة بلادا اخرى بالقوة القاهرة ما تزال عملية سياسية « طبيعية » يخضع لها معظم البشر منكسين رؤوسهم غاضين ابصارهم ، يظنونها قضاء من القضاء او قدرا من القدر . امـا اليوم فيتحدث البشر انفسهم عن زوال الاستعمار وانتهاء عهده ، انتهاء لا يتحدثون بعده عـــن رجعة او ردة ، بل يتطلعون الى يوم من الحرية شامل ابلج ، يتمتع فيه كل انسان بكرامته

البشرية ، تلك الكرامة التي يتفتق معناها لاول مرة عن معنى ثابت لا يزول .

واذا تحدثنا بصورة مجملة عن تجارة الرقيق الابيض والمخدرات العالمية والتفسخ الخلقي والقرصنة التجارية وما شاكلها ، لاح للقارىء في سهولة ويسر كيف تتقلص مظاهر هـذه العبودية النفسية ، فرديـة وجماعية ، في وقت قصير . فهي بعد ان كانت مظاهر من تاريخ الانسان وخلقه منذ القدم اخذت تتقشع في سرعة كمثل السرعة التي انقشعت بها غيوم الجاهلية العلمية المادية خلال الفترة الاخيرة مـن الزمـن .

ويجب ان لا ننسى بعد ذلك تطور الخلـق الشخصي والجماعي التفصيلي . فنحن اليوم اعلم بأثر الصدق في التجارة والتعامل واكثر تقديرا لمقتضيات الحياة الاجتماعية واكثر احتراما لسيادة القانون ، الذي لم يكن له وجود يذكر في النواحي التطبيقية منذ قرون قليلة.

ولا تغرنك ظاهرات كظاهرة « الغريب » التي شرحها لنا الكاتب الانجليزي المعاصر كولن ولسن ، وهي ظاهرة الفشل والخواء الـذي يجد نفسه فيه احيانا الانسان المعاصر ، فما سبب هذه الظاهرة الا تقصير بعض الناس ، وقد يكونون عباقرة في بعض جوانبهم ، عن رؤية الهدف الايجابي الذي يهدف اليه ركب الحياة ،او يهدف له الناس الذين يحيون هذه الحياة.

واما ظاهرة اخرى كظاهرة « المراهقة » هذه التي تخلق شططا مثل شطط « الوجودية » او « فنا » مثل فن بريجيت باردو او فرانسواز ساغان، او رقصا مثل رقص الروك اندرول، فليست كل منها الا جائحة من جائحات الفراغ او الخواء الذي يجده الشباب في حياتهم ، وقد شرد منهم الهدف في هذه الحياة . لكنها جائحات لا تلبث ان تتحطم على صخرة الخلق العلمي الواعي للمدنية المعاصرة التي تقود الانسان من نصر الى نصر ومن حرية الى حرية .

بل انا اعتقد ان تطور الخلق البشري جزء من تطور المادة وانعكاس لـهـا . فالنهضـة الصناعية كانت ذات اثر كبير في ابراز قيمة الزمن وجدية الحياة . ولولا استقامة الخلق عند طليعة العلماء والمفكرين لما استقام سير العلم والمادة اللذين يسخرهما الانسان ويفتح مغلقاتهما.

عمـــان — محمد اديب العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيني وبينك ؟

* * *

حديثه السحر في كأس وقد سكبت — فيها المعاني باحلى ما جرى بنغم
وصوته الحلو يسري كالنسيم دجى — حتى يبـدد في مسراه كـل الم .
يقول : احببت من بدء اللقاء فهل — بالروح احببتني يا (روح)؟ قلت نعم!!
بيني وبينـك اسبـاب تحول فلا — تعلـن جواك فمن يكتم هواه سلم
برغم وجدي آثـرت النوى اترى — استطيع سلوى وفي طي الفؤاد ضرم؟!
أهوى وما لي في هذا الهوى امل — كأن حبيك ـيا كل الرجاء ـ حلم!!

مصر الجديدة — روحية القليني



الاخطل الصغير بريشة رشيد وهبي

السبك في شعر الاخطل الصغير

بقلم الدكتور علي شلق

المرحلة الاولى

الاصوات معاناة حياة ، تعبير عنها ، لذلك فهي صور لتلك الحياة ، تجيء في حالاتها الاولية غامضة الرمز ، خفية الدلالة .

بعد اكتشاف الحرف ، اصبحت تلك الحروف اصداء تحاكي الاصوات ، وعلى شيء من التهذيب ، والتطوير . فاذا بنا بعد مرحلة ، نكتشف امكانية هائلة عند الانسان ، تجلت في مكنة التعبير عن الوجدانيات والروحيات بتلك الحروف ، بعد مرحلة محاكاة الاصوات .

الاصوات في الاصل حالات ، رمز اليها بالاصوات ، فالصوت والمعنى لا ينفصلان في الكلمة .

والكلمة شخصية مستقلة بذاتها ، لها عالمها الخاص ، كالكوكب يدور حول نفسه بتناغم ذاتي يعشق حركته .

لكن هذه الذاتية لا تمنع ان يكون لها دوران اخر ، اوسع واشمل في مجتمعها ، اي في التركيب ، وذلك يشبه الدورة الكبرى حول المركز العام ، شمس الاثر الادبي . فهي لها معنيان ، واحد في الافراد ، واخر في التركيب . الكلمة بهذه المثابة وسيلة ، غايتها التركيب ، فهي مادة ما نسميه التجربة ، اما صورة التجربة الكاملة فهي في الاثر الذي يكتمل بما نسميه الطريقة .

للكلمات المفردة دلالات وهي ذات قوة ايحائية ، محدودة في رمزها للتجارب ، لكن الكلمات في التركيب الادبي تفسح لنا مجال الخيال ، والخيال لا حدود لتجاربه . لهذا كانت الحروف صناديق تخزن الاصوات ، والالفاظ صناديق التجارب ، اما الاسلوب فهو فن ،

فكل ادب هو في حد ذاته موصل لتجارب ذات قيمة ، وكل تجربة لا تصل الينا ليست ذات وجود . هنا ، لانقف عن حدود الالفاظ والجمل ، بل لا بد لنا من القول ان هذه الالفاظ والجمل ، تشكل ما نسميه الحالة الثانية ، الجو ، او العالم الذي نقلتنا اليه تلك الالفاظ والجمل .

واخيرا بمقدار ما يستطيع الاديب ان يوصل ، اي ان يكتشف الالفاظ ، ويوفق الى التعابير التي تثير الخيال ، وتقدر على النقل ، بمقدار ما يكون ذا موهبة ، وصاحب طريقة .

فهل تكون الطريقة اختصارا لشخصية الفنان ، ودلالة على امكانياته ؟

يجيبنا عن ذلك لونجينوس ، وهو صاحب رسالة عظيمة في الجلال الشعري بأن الاسلوب هو الرجل .

المرحلة الثانية

بعد هذه التوطئة من تراه يكون بشاره الخوري في اسلوبه الذي هو صورة عنه ؟

للاجابة على سؤال يعدل حياة الكائن البشري ذاته ، نتناول ديوانه « الهوى والشباب » الذي يقع في ما يقارب المايتي صفحة من القطع المتوسط ، قدم له الاستاذ عادل الغضبان ، ونشرته دار المعارف سنة ١٩٥٣

تصدرت الديوان قطعة من خمسة ابيات عنوانها « لبنان » تناول فيها الاخطل الصغير معارض الحسن في لبنان ، من مجالي الارض ، ومشارف النجوم ، بين تأوه الجداول ، وابتسام الروابي ، ورفيف الغصون ، ثم انتقل فجأة على طريقة القصيدة القديمة الى الحديث عن فاطمة ومريم ، اذ هما رمزان لوحدة الصف اللبناني ، ثم عاد الى اكماته البيضاء ، وسمائه الزرقاء ، وشبهها باطفال تنام وتحلم ، وتتصاعد قبلاتها كما تمر بالوادي فتلثم جوانبه .

لم يفعل بشاره الخوري اكثر من تعداد معارض الحسن في لبنان ، بأسلوب حلو ، وكلمات رقيقة ، وذلك يصورلنا لطافة روحه ، ونعومة ذوقه ، بيد ان الامر اقتصر بالشاعر عند هذا الحد من تسطيح الشاعرية ، فلا انغمار صوفيا في طبيعة لبنان ، ولا لهثة روح تنعقد بينها وبين الاشياء وحدة عناق حميم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندما تخطر المراة امام عينيه ، وجوانب قلبه ، تتمادى كانها تمشي فى دروب مكشوفة ، لا حنيات ، او اغوار فيها انها دروب معبدة ، معشوشبة من الهامشين ، لا يوحي لك اجتيازها ابعادا ، واسئلة ، وجلالات ، ولو قسناقصيدة من قصائده فى مقابلة المراة بالطبيعة ، مع ما عرفنا لابن الرومي فى بستان المغنية ، ووحيد ، لظهر فارق السماوية عند ابن الرومي ، والضحضاحية عند بشاره الخوري :

المهى اهدت اليهـا المقلتيـن والظبـا اهدت اليهـا العنقا
فهمـا فى الحسن احلى حليتين للعـذارى جـل من قد خلقـا

الى ان يقول :

فكسا بالورد منها الوجنتيـن وكسـا مبسمهـا بالاقحـوان

وقوله عن النهدين :

فهمـا فى صدرهـا كالموجتيـن اي صـب مـا تمنـى الغرقـا

ان فى ترديد فعل « كسا » لفتور ظاهر ، وفى تمني الصب ان يغرق فى امواج الصدر بساطة ، وضآلة ايحاء ، لكن فى قوله :

او همـا ، وليسلما ، كالتوامين كلمـا همـت بامـر قلقـا

غنجة فاتنة ، واعذبذابا مسكرا ، لا يقل عنه قولـه فى القبلة الاولى :

ان كـان احلى الحب اول قبلـة مـا ضره لو مـات اول عمره
كالزهـر مـات مكفنـا باريجـه ووسيـم نضرتـه ، ونشوة طهره

على ان البيتين على ما فيهما من ترقرق الكلمـات ، وحريرية الاجواء ، لا يوحيان بما مثله ميشال طـراد ، والموضوع واحد ، فحملنا على مخمل جناح الكلمة الى ليل من اطياف مسحورة ، تفتح لنا ابعادا ، وصورا :

يا صاحبي ما كان اسعد هالدني لو كـان متلي فيـك عمتتصورا
وتعيش عمرك مثل عمر السوسني عاكاس خمر ومجوز وضحكة مرا

فى بيتي ميشال ، هز موسيقى ، وصخب جو ، والتفاتات وجلة ، حزينة ، فرحة ، هنا نكهة صوفية ، وهي اقدس ما عند الشاعر ، من وسائل يصل بها الى حرم الهيكل . وان كنت لا انكر ان بيتي بشاره الخوري يشرحان صورا زغباء الريش عن ميتة الزهر مكفنا باريجه ، ووسيم نضرته ، ونشوة طهره ، غير متجاوز قيمة هذه الكلمات الموحيـة وسيم ، نضرة ، نشوة ، طهر .

والصوفية فى الشعر اخت الفلسفة ، اوهما جناحـا الشاعرية الحقة ، تلك التي بجلالها تمسح آفاق الانسانية ولا تقف او تنحسر بين حدود المكان ، والجنس . فـأي تساؤل طفل اولي فيما يلي :

من ترى يشرح لي ذنب الفقـير او ترى يظهر لي فضل الغنـي
برثان البؤس والعيش النضـير وبقيمـان معـا فى الكفـن

الى قوله :

مـا ترى يفعل مكتوف اليـدين اترى يقـدر ان لا يفرقـا؟

وفى قصيدتيه «آه ما احلى الحميا،ومن راى الشاعرتاب» قال الاولى سنة ١٩٣٩ والثانية مغفلة التاريخ ، يبـدو شاعرنا فيهما مراهق الحبكة ، وان كانت بعض توترات شعرية هنا وهنالك ، فى جو غير بعيدمن الوهن، والخروق التي لا تمنح الوفاق الجمالي ، الذي يجيء وليد الجـو البديع .

فأية صورة موحية كلمة القرب فى بيته القائل :

ما للشفاه الكسالى لا تـزودنا فقد حملنـا على افواهنا القربا؟

تصور قربة سوداء ، باهتة ، مشققة ، محمولة علـى شفتين ، وهي تطلب لفراغها امتلاءا من شفتين بخيلتين ، او كسولتين ، ذلك لا يعادل قوله :

رسالـة من فمـه لفمهـا كـذا رسالات الهـوى تختصر

واذا قال :

قلت اهواك يـا مـلاكي فردت مقلتـاه لكـن تلعثم فـوه

ليست لها ايحائية قولة امين نخلة :

والد تـاديـة وامتع منظـرا اغفـاء عينـك يومذاك وصمتها

اما الصورة الحلوة فى بيته التالي :

والنسيم الخفيف يلهـو بثوبينا كطفـل اهلوه مـا هذبـوه

فهي تستر ما تواهن من بعض صوره ، فى مطلع شبابه حيث يفوته حسن انتقاء الالفاظ كما تتواهن الجدلـة الشعرية فى ابياته التوشيحية، اذ يقل هنا عنه فى الاوزان المرتاحة ، الرتيبة ، شأن شعراء عصره ومن سبقوا عصره، فالتنويع فى القوافي ، والاوزان ، ظاهرة لم تستلن الا لاقلام المعاصرين ، وقرائحهم .

صـداح يـا مؤنـس الاراك
ومـا لـي لا ارى اراك ؟ تشـدو ، فسبحـان من قد براك

الوان باهتة ، تساؤل رخيص لا يدب فى النفس ، بـل تجفل منه الاذن ، فهل يسأل الكوكب لماذا يشع؟ والزهرة لماذا تفوح ؟

صفق كمـا شئت بهـذا الجناح فـلا جنـاح
وشـم خد الزهـرات الصبـاح فـهو مبـاح
فالروض لم يختر مليكا سواك ، فانشر لـواك ،فكلنـا فى هـواك

الاوزان والقوافي مستعجلة لحشر الكلمات فيها ردمـا للهوة التي تفزع من الفراغ الشعري .

وبعـد فافعل ما تشا فى فتـاك فشفتاك حسبي،فماذا تبتغي مقلتاك؟

شفتا الصداح ، ومقلتاه ، لاسر فيهما ، بـل السر فى منقريه ، وجناحيه ، فألصاق الفتنة فى عيني الصـداح وشفتيه ، عملية ردم لا دوزنة عمارة شعرية .

واين النحت ، والتحكيك فى رخام اللفظ والفلذةالشعرية عندما يقول :

آه يـا هنـد لوترين موقفي بيـن حائطيـن

فأية حائطية طينية فى هذين الحائطين ؟

وتفوته البراعة فى قصائده المقتبسة عن اللغات الاخرى كما تفوته البراعة فى معظم شعره قبل سنة ١٩١٤ نلاحظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفتور فى الصفحات ٤٤ ــ ٥٥ ــ ٦٤ تحت عنوان : قلب خافق ــ انا لو كنت يا سليمى ، وماذا اقول له ، سواها .

وفى قصيدته الطويلة « الريال المزيف » يدعو الى الملاحظة : فالابيات الاربعة الاولى ، تبدو منقطعة عن باقي المنظومة ، وان كان بارعا فى رصف مداميك الكلمات ، وتنسيقها .

على انني لا استثني من موشحاته التي لم يوفق بها الا موشحته « اسقنيها بابي انت وامي » والتي غنتها ذات الحنجرة الفضية اسمهان ، تلك التي تصور لنا صهيل حصان من نحاس ، يرقل على خدود القمر ، وان كانت هذه الموشحة مقتبسة الوزن ، والاجواء من قصيدة ابي العتاهية .

قل لمن لست اسمي بأبي انت وامي

اختم الحديث عن هذه المرحلة الثانية التي عرضت فيها لشعر الاخطل الصغير قبل سنة ١٩١٤ وما يليهابقليل فشعره فى هذه الفترة كان يجب ان يلغى ، وان كنا نلمح استلانة الالفاظ ، وطواعية القافية فى بعض قصائد هذه الفترة ، كقصيدة « هند وامها » ، الا اننا نفتقد الابعاد الشعرية ، كالعباب ، والذرى ، والاغوار ، وبقينا فى ضحضاح من الماء ، عذب ، صاف ، يترقرق على رخام املس ، ملون ، لا غير .

المرحلة الثالثة

هذه الفترة تعرض لنا شعر بشاره الخوري المتميز بخصائص الشاعر ، وتناغمه فى الشكل والمحتوى ، مع ما نسميه العمارة الشعرية . اذ نلتقي بالكلمة المختارة ، بالمكان الملائم ، بالجو الانيق المنغوم ، لنقابل ابا عبد الله رقيقا ، عذبا ، جليلا ، محلقا .

قبة من مكارم ، وجدار من فخار ، وعتبة من جباه

كلمات تترقرقعلى قلم ابي عبد الله، مشوقة الىاخواتها فاذا بثريا العناقيد تأتلق ، وبنسيج الطيلسان يهدل بجلال رب من الاولمب ، ورشاقة حورية على عشب مزهر، يومىء البحر الىعاج ساقيها فتنزلقفى الماء تتبرد ، ارتماءالهنيهة فى المطلق كما يقول اخونا سعيد عقل مهندس الكلمة الشعرية .

رقدت ترشف الكرى مقلتاها مثلما يرشف العطاش المياها
صاعدات انفاسها هادئات كصلاة الاطفال طهر شذاها
تحلم الحلم لؤلؤ يا فتمليه طهورا على الصبا شفتاها
وازاح النسيم عن صدرها الثوب فلاحا ، ولا تقل نهداها

كلمات ابراج ، صور معنبرة ، مقصوبة من تفتاالشمس ، من برفير القمر ، لكن الكلمة التي لا يقولها بشاره فى البيت الاخير ، اغدق نعمة ، وحركة ، ورمزا .

لنقف عند قصيدة « قد يغني الفتى » وقصيدة « عمر ونعم » حيث تقابلنا شواهق العمارات الشعرية، بقناطرها واعمدتها التي تشارف الفلك ، ولا تمنح الا فى نادر العطاء، وان كنت الاحظ كثرة حروف العطف التي يجنح بناتتابعها الى شيء من التساهل فى رصف حبات العقد، والتييخفف من اثرها التساؤل الحلو المستساغ :

تعرت الشمس على وجنتها وانشق لو تعلم اين القمر ؟

وقوله :

ما الحسن لولا الشعر الا زهرة يلهو بها فى ساعتين النظر
حتى اذا ما ادركتها رقة من شاعر او دمعة تنحدر
سالت دماء الخلد فى اوراقها ونام تحت قدميها القدر

وكلماته : راس ملاك اشعر ، وصدر حنون اشقر ، وشهدا تقطر ، هي من فلتات التوفيق فى جري السباق الشعري ، كما ان الشاعر هنا يعمد الى الاشارة المفصحة عن اصالة فى فهم الفن التي مؤداها ان الشاعر كفنان ، يعمد الى الصورة فيجسدها بالكلمة ، وعملية التجسيد هذه محاولة للتفوق على الزمان ، وامساك جريه فلا تنهمر شآبيب الفناء .

ان العمل الفني فى حقيقته تخط للفناء ، لانه موصول بالمطلق الذي يقف المكان والزمان عند شواطئه ، لهذا لا سبيل الى اخلاص اي كيان بشريالا بالفن، خلاصا يحمله الى مدار الغبطة والفرح والدوام .

غاية الفن التعبير عن الجمال ، الفن وسيلة ، الجمال نهائية ، الجمال وفاق مع النفس ، والوجود ، لانه عنوان الوحدة .

هنا نرى ان بشاره الخوري ادرك نسبة ما بين عمل الطبيعة المتغير ، وعمل الفن الخالد ، فزهرة الطبيعة غير زهرة الفن ، تلك تذبل ، وتفنى ، وتلك ينفخ فيها فنان خلاق من روحه فتتخطى دائرة التغير .

على ان عملية الخلق اذا امعنت فى خطوط الشكل ، وعالم الظواهر تنسيقا ، كان ذلك بمثابة تطريز دروب التغير ، بعيدة عن تجسيد الشوق ، وتشخيص الحنين النابعين من اعماق الكائن المبدع ، فى سبيل الاتحاد الكامل بالنهائي .

ان عمل الفنان يتم برفع الوسائل ، التي هي ظاهرية الى ان تنطلق ، وتتصل بعالم الكمال ، اما الاقتصار على التصنيع فهو عمل الهاء ، وخداع سرابي عن حقيقة الضمنيات .

بشاره الخوري قد يمعن فى التصنيع احيانا ، فيبعدنا عن سماء الخلق ، ويلهينا بقواقع لا حياة فيها ، وذلك ما يحصل لكل فنان ، فى بعض اعابيثه الطفلية ، حيث يروقه البهرج ويغفل عن درر القاع .

قتل الورد نفسه حسدا منك والقى دماه في وجنتيك

قتل ، حسد ، دم ، كل ذلك مسلط على وجه حسناء ، فيا لاصداء ابي تمام فى مقابلاته القوقعية وطباقاته ، التي بعدت به عن جوهر الفن !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وربما انفتحت ابواب الهنيهة الخلاقة ، والشاعر يعبث بأصدافه على الشاطىء ، فاذا به ينفض جناحي شراعه ، ثم يطفر فوق العباب ، ويمسح جوانب الافاق .

عيناه عالقتان في نفق كسراج كوخ نصف متقد

الكلمات في حد ذاتها موحية ، لكنها في التركيب ، فتحت امامنا بالخيال مدى رحبا على كثافة الصور ، ويا ليته خرج في قصيدته « خيال من دمر » هذه الرياض والغابات التي توطىء لدخول الشام ، عن تسطيحه التشابيه والاستعارات ، الى رفيف الشراع ، وخفق الريش .

ايها الدوح دوح دمر اني لست انسى تلك الليالي اليتامى

ولعله ان فعل ذلك يرضينا بمثل قوله :

لم يلبسا ريش الهوى لكنما هو ريش احلام وريش امان

وقوله :

فجرى يرقص عوده الشعري على صدر المروج ومعصم الغدران
فيصوغ هنيهة النسيم قصائدا ويرد زمزمة الغدير اغاني

ولا ادري هل وفق ابو عبد الله في جعله الشعر سببا من اسماء الكشوف العلمية الحديثة في مثل فريدته :

له على الافاق فتح زاهر وفي عباب الماء فتح ازهر
تعلق العلم على اسبابه فحلق الطود ، وقال الحجر

بشاره تأثر بالرومنطيقية اكثر من شعراء عصره ، وتلاقى بالاخرين الذين اتخذوها مثالا ينسج على غراره ، لكن الكلاسيكية ، والرومنطيقية ، والرمزية ، وخلافها من مدارس الشعر والرمز ، اذا كانت وسائل تعبيرية للنسج والتفصيل ، والهندمة ، فهي قبل كل شيء عمل فكر ينبع ، ومشاعر تفيض .

انا ادرى بالطير حين تغني كم جراح سالت على الاعواد

ومن هذا المقد قوله :

عذرتك يا قلب من للهوى اتتركه بعدنا يذبل
سكتنا فما غرد العندليب وتبنا فما صفق الجدول

هويناك يا ابا عبد الله ، كدت تفجر قلوبنا جراحا ونحن في مدارج الخمسين !

ولا يغيبن عن البال ان الجناح الحسوني في ساعة يرف من قوافي الاخطل الصغير على الاقحوان ، والغصون اللدنة ، يبقى على طراوته ، ورقته ساعة ترجف الاعاصير ، وتزار الازمات . انه مفن الكلمة الصناع ، فهو يختار لها البحور حسب الزخم الزاخر في قريحته واجوائه .

ضجت الصحراء تشكو عربها فكسوناها زئيرا ودخانا

وما كنت اظنه سيلبس بردة النؤاسي ، ويمد يده الى كيانه فيتناول قلبه ، ويعلقه الى جانب قلبه ، نابضا بمشاعره واحاسيسه ، ذاك الذي له سكرتان وللندمان واحدة ، ثم يلتفت الى الحسين بن الضحاك الاشقر الخليع ، فتعجبه ابعاد التجنيح في الكلمة ، كما تروقه صناجية الاعشى ، وخشاخش الاخطل الكبير ، فيطلع على آفاق الشعر العربي المعاصر بفريدة الفرائد :

فتن الجمال وثورة الاقداح صبغت اساطير الهوى بجناحي
ولد الهوى والخمر ليلة مولدي وسيحملان غدا على الواحي
اشتف روحهما واعطي مثلها روحا ، واسلم ليلتي لصباحي

وهو مثلما كان يمعن في المحسنات اللفظية ، عند مدارج شبابه ، اصبح يزهد فيها بعد اتكائه على عرش الشاعرية ، صنو المعري في مستهل امره ، واذا بدرت تصنيعية في شعره الوائق من ذاته ، فانما هي حيث وضعت ، ويبدو التميز عنده في لطف الكنايات والاستعارات ، ودقة المقابلات التشبيهية :

جمع الاحسنين في اوزانه روح حسانه ، ووجه حسانه

ولا ادري كيف تحضرني في البال صور من رومنطيقية لامارتين ، ووهمية ابن الرومي ساعة اقرأ هذه الابيات :

يحمل الابتسام في شفتيه والمنايا تسيل من اردانه
كسراج في جوف دير قديم هرقت روحه على جدرانه
كعليل على فراش من السل بعيد المزار عن اخوانه
كلما الحف السعال عليه اطعم الموت قطعة من جنانه
هكذا الشاعر الشقي يغني ليغذي الافراح من احزانه

اما براعته في التقطيع ، والتوزيع ، وهما غير الترصيع الشعري الذي يقابل السجع النثري ، الشيء الذي يريح في توزيع الفلذات الشعرية ، والموجات النغمية ، فهو فريد بها :

حسامهم ما نبا في وجه من ضربوا ومهرهم ما كبا في اثر من هربا

الى جانب الصور التي يشرح بها انفعالات الاعماق ، وتشوفات الخواطر :

او هضبة من خرافات مرفعة باعين من لظى او من رؤوس ظبى

وقوله :

ماذا نسميه ؟ قال البعض صاعقة فقال كلا ، فقالوا عاصفا فابى

الى قوله :

يرى السراب عبابا هاج زاخره والرمل يلتحف الازهار والعشبا

يلتفت الى ابن الرومي في قوله عن امواج دجلة :

كاني ارى فيهن فرسان بهمة يليحون نحوي بالسيوف القواضب

هنا ، اجدني فتحت الباب ، مدخلا لشعر الاخطل الصغير ، الحبيب ابي عبد الله ، متخذا من عبقريته في اكتشاف كنوز اللفظة ، واجواء التركيب ، وطريقة النسج ، والرصف ، والتنغيم ، كي اعود اليه مرة اخرى في منازع فكره ، واغراض شاعريته ، التي رفت وحدها في مجرى ثلاثين عاما على دنيا العرب ، تغني افراحهم ، وتبكي مآسيهم ، وتزرع اللهب ، والعصف في يقظاتهم وثوراتهم .

هنا ، قولوا لي ، اي شاعر عربي في مدى ربع قرن لم ينهمر على مائدة بشارة الخوري ، وينسج على طريقته ؟ اقول واثقا ولا استثني .

علي شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نيسان

* * *

اميـن نخلـة

نيسانُ حلوٌ ، غريرٌ ، على الشهور اميرُ .
في الارض زفة بشرى ، وفي الفضآء حبور .
وكلُّ شمٍ اريجٌ ، وكلُّ لمسٍ حرير .
كأن دفق حياةٍ في الكون ، او ذا نشور !
فالشوك نعم التثني ... والصخر نعم الشعور ...
والغصن يلبس ثوباً يا حبذا لو يعير !
وللنسيم كلام عن الحنان كثير .
والطير حطت ، ولولا احبابها لا تطير .
كأن ديوان شعرٍ على الجمال يدور .
الحبر يلمع فيه ، وتستشفُّ السطور .
طالت عليه الحواشي . انّ الكتاب كبير !
هل شاعر عبقريٌ في كلّ وادٍ يسير ،
منه الحنين ، ومنه تنفُّس ، وضمير ،
قد قال كلَّ جديد ما أُسمعته الدهور ؟ !
فاليوم حُبِّر وشيٌ ، واليوم صيغت شطور .
نيسانُ زار ، فأهلاً . فضل علينا ، وخير .
أمرَّة كلّ عام ؟ لو كل يومٍ يزور ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ... الفجار الثاني بين قريش وهوازن ، وكان الذي هاجه ان فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر بن صعصعة ، وضيئة وحسّانة ، بسوق عكاظ ، وعليها برقع وهي في درع فضل . فاعجبهم ما رأوا من هيئتها ، فسألوها ان تسفر عن وجهها فأبت عليهم . فأتى احدهم من خلفها فشد ذيل ثوبها بشوكة الى ظهرها . فلما قامت تقلص الدرع عن ظهرها فضحكوا ، فنادت المرأة يا آل عامر!.. فتحاور الناس ، وكان بينهم قتال ودماء .. »

(ايام العرب)

* * *

ـ هل تعرف البسطيق ؟

ـ هو طائر من الطيور القطبية..

ـ لا .. ذاك البطريق، طير ابيض جناحاه اسودان .. لبودلير قصيدة يشبه فيها الشعراء به . وانا اراها قصيدة باردة ...

ـ والبسطيق ؟

ـ رقائق تصنع من دبس العنب والنشاء ، تؤكل كما هي ، او ان يلف بها لب الجوز فتؤكل لقيمات .. اطفالنا يحبونه كثيرا ، وربما حشا واحدهم جيبه بصحائف منه كما يحشوه بصحائف خبزنا الرقيق ، يأكلها وهو يلعب او يمشي ، مزعة وراء مزعة ...

ـ وهذا الاسم الغريب ، البسطيق .. من اين جاء ؟

ـ احسن البسطيق ما جاء من الرها ، في تركيا .. فلا بد ان الاسم تركي جاء من هناك . ومن مادة البسطيق نفسه ، اعني من دبس العنب والنشاء، تصنع حلوى اخرى: تحشى عجينتها بلب الجوز ، وتلف على خيط قطني ، ثم تعصر قبل ان تجف وتجمد حتى تصبح قضيبا طريا مؤلفا من عقد مغزلية الشكل..

ـ تقصد الملبن ؟

ـ نعم هو الملبن ، كما تسمونه انتم . اما عندنا فان الناس يطلقون عليه اسما ... ماذا اقول .. اسما بذيء اللفظة ، ولكنه مضحك الدلالة.

ـ ماذا يسمونه ؟

ـ دعك من هذا ... سأروي لك حكاية جرت في عرس واحد من اعمامي ، بل من اعمام ابي ، وذلك منذ زمن بعيد ، وقبل ان اولد انا..

ـ تتعلق بالبسطيق ام بالملبن ؟

ـ بالبسطيق والملبن ، وبالتين المجفف ...

ـ وما هي الحكاية ؟

ـ قلت لك ان البسطيق يصنع على شكل رقائق تشبه رقائق الخبز . بل انه اذا كان جيد الصنف بدا كقطع من نسيج ناعم عسلية اللون . وقد تكون قطعة البسطيق من السعة بحيث انها تطوى طيات عديدة كما يطوى ثوب عريض من القماش ، فلا يدرك الغافل انها حلوى الا حين يقتطع صاحبه قطعة ويضعها في فمه . ومنذ سنين بعيدة ، حين كانت بلدتنا قرية ، اراد اعمام لابي

الوان من التعرية

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

ان يضحكوا الناس في عرس واحد منهم فجاؤوا بصديق لهم ، كان لهم كالنديم في مزاحه وخفة مزاجه ، والبسوه ثيابا من بسطيق ...

نعم ، صنعوا له ثيابا من بسطيق. انت تعلم ان الناس في بلدنا يلبسون ثيابا بدوية بسيطة ، وكانوا بالامس ابسط منهم اليوم ثيابا . لباسهم حينذاك كان ثوبا من قماش ابيض طويل الاردان حتى لتخط اكمامه الارض من فرط طولها، يلف واحدهم عليه حول خصره حزاما ويضع على الرأس كوفية يثبتها بعقال اسود رقيق . واذا لم يكن الانسان في بيته او في عمله وضع على كتفيه عباءة من صوف او وبر . وقد صنع اعمامي لاحمد البوحسين، نديمهم ذاك ،مثل تلك الثياب ، ولكن ليس من قماش الكتان او الصوف بل صنعوا الثوب باردانه الطويلة ، من البسطيق . وكذلك الكوفية على الراس . اما العقال فقد صنعوه من لفتين من الملبن. وعلى الخصر اداروا حزاما من احدى قلائد التين المجفف، كما يبيعونها في سوق البلدة ، اعني قلادة مصنوعة من عشرات من حبات التين المبسطة ينتظمها خيط غليظ . ودفعوا بأحمد هذا ، وهو يلبس ثياب البسطيق والملبن والتين ، الى ساحة الدبكة في عرس القرية ...

انت بلا شك لا تعرف الدبكة كما يرقصها الناس عندنا في الاعراس . عندنا ، في الاعراس ، يدبك الناس ، او انهم كانوا في تلك الايام التي جرت فيها هذه الحكاية ، يدبكون في كل عرس سبعة ايام تسبق يوم الزفاف. تبدأ الدبكة كل يوم من بعد صلاة العصر حتى قريبا من مغيب الشمس فيتهافت الى حلقتها الفتيان والكهول من كل صوب ، وكذلك تتهافت الفتيات والنساء من كل الاعمار ، للاشتراك في الدبكة او للنظر الى الدابكين . حركات دبكتنا حركات بطيئة ، ليس فيها حيوية الدبكات البلدية التي تعرفها ، فهي تقتصر على نقلات محدودة لاقدام الدابكين، يرفقها بعضهم بهزات عنيفة لعطفيه على نغمات مزمار ينفخ فيه ذاك الذي يتوسط حلقة الدبكة والذي نسميه الشاعر ، ولكنها مع ذلك تجذب كل الناس الى مشاهدتها وتأسرهم برتابة موسيقاها وتكرر حركاتها .. وبمنظر الفتيات المتبرجات اللواتي ينتشرن بين الرجال في صف الدبكة الطويل كأنهن حبات ذهبية براقة في عقد سائر حباته من الزجاج الكامد البريق. وقد كان اعمام ابي واصحابهم من الشيطنة بان قادوا احمد البوحسين في ثيابه البسطيقية ، مستعرضين به حلقة الدبكة وصفوف



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النظارة ، حتى انتقوا اجمل فتاتين في الحلقة فوضعوه بينهما . واشاروا بعد ذلك الى نافخ المزمار ان يستمر في اثارة حماس الدابكين بالحانه ، والى الدلال ، الذي كان يهتف في مركز الحلقة باسماء الفتيات اللواتي كان ابناء عمومتهن ، او عشاقهن يعطونه على اسمائهن الشوباش ، ان يرفع عقيرته بالهتاف والنداء ..

ربما تتساءل كيف استطاع احمد البوحسين ان يشترك بالدبكة اخذا بكل من يديه يد الفتاة التي تجاوره على تلك اليد،هازاعطفيه، داقاالارض بقدميه، متحركاعلى انغام المزمار الحركة الدائرية التي ينتقل بها صف الدابكين في ساحة الدبكة ، كيف استطاع احمد هذا ان يفعل كل ذلك دون ان يفطن احد ، حتى ولا الفتاتان اللتان كانتا على يمناه ويسراه ، الى انه كان يلبس ثيابا من بسطيق ويلف على راسه عقالا من ملبن وعلى وسطه حزاما من التين المجفف ؟.. الحق ان زي احمد البوحسين لم يصعد لاعين النظارة الا هنيهة ضئيلة من الزمن ، وحتى هذه الهنيهة لم تكن الا لانه كان يلبس فوق ثيابه الغريبة في نسيجها عباءة من الصوف الرفيع . وبعد هذه الهنيهة مالت احدى الفتاتين على هذا الطارىء شريكا لها في الدبكة وقد رابتها خشخشة ثيابه وملمسها الغريب على يدها الممسكة بها يده ، ولم تلبث حين تطلعت الى عقال الملبن على راسه ان صاحت برفيقتها :

ـ انظري ماذا على راسه !

ولا بد انها كفتاة ، خجلت من ان تذكر بلسانها الاسم البذيء الذي كان يعرف به الملبن عند الناس هناك . ولكن صيحتها جلبت انظار الجمهور واطلقت ضحكات اصحاب احمد البوحسين الذين جاؤوا به الى حلقة الدبكة ، وحركت فوق ذلك ايدي الدابكين الذين ادركهم الفضول فأرادوا التأكد من ظنون الفتاة الصارخة عن عقال احمد البوحسين ومن نوع النسيج الذي فصلت منه كوفيته وخيطت ثيابه ...

ماذا حدث بعد ذلك ؟ حدث ان اكل الجمهور من الفتيان والرجال عقال احمد البوحسين وحزامه، وان تناهبوا ثيابه لقيمات بسيطة صغيرة ، بينما كانت النساء يدرن ظهورهن مولولات وهن منهزمات من حلقة الدبكة لئلا تقع اعينهن على الرجل العاري الذي كان منثنيا على نفسه ليستر عريه ، والذي كان يشتم اصحابه الذين ورطوه هذه الورطة .. لا خجلا ، وانما لان ما اصابه من الغمز واللمز كان فوق ما قدر او ما انتظر ان يصيبه حين رضي ان يخوض غمرة هذه الدعابة ، فيلبس ثياب البسطيق وعقال الملبن وحزام التين . نعم ، لقد كانت مضحكة تلك الدعابة ..

ـ وغريبة كذلك .. غريب منظر الناس وهم يعرون رجلا ويلتهمون ثيابه قطعة وراء قطعة . اتدري انه اسلوب جديد في التعرية لم يخطر على بال لاولئك الذين يخرجون فصول الستريب تيز ، اعني فصول تعرية الراقصات، في ملاهي اوروبا واميركا؟ لقد رايت شخصيا من تلك الفصول غرائب وغرائب في البلاد التي زرتها ..

ـ مثلا ؟

ـ لا زلت اذكر قبوا من اقبية عاصمة بافاريا ، مونيخ ، كان النظارة فيه هم الذين يتولون تعرية الراقصة. كل متفرج يجد على مائدته قصبة طويلة من قصبات صيد السمك في اخرها سنارة ، فاذا قامت الراقصة تخطر على المسرح مد المتفرجون قصباتهم بسنانيرها يجهد كل واحد منهم ان يعلق سنارته بحلقات صغيرة مخيطة الى قطع ثياب الراقصة ... فاذا علقت وجرها اليه تهاوت القطع متهافتة عن الجسد الجميل . كان اكثر تزاحم النظارة وتطاحن قصباتهم على الرقائق الاخيرة من الشفوف التي تستر عري الراقصة التام . فماذا لو كانت تلك الشفوف من بسطيق ؟

ـ بل ماذا لو كانت تلك الراقصة مكان احمد البوحسين في دعابة اعمام ابي ؟.. ان عظام صاحبنا الجلف ذاك لتهتز الان في قبره لمجرد مقارنتك اياه بتلك الراقصة البافارية ، التي لا بد من انها شقراء وردية البشرة ، ولو كانت تلك المقارنة في قصة من قصص الستريب تيز ..

ـ لماذا لا ؟ ما احسب ان رواد ملهى مونيخ قد ضحكوا او طربوا لرؤية جسد راقصتهم باكثر من ضحك الناس في تلك الحلقة لرؤية جسد رجلك الذي سميته احمد .. اي احمد ؟

ـ احمد البوحسين. نعم ،ولكنك لا تدري ان فصول التعرية في حلقات الدبكة ليست كلها مضحكة. فبعضها شديد المرارة .

ـ هذا يعني ان عندك حكاية ثانية عن تعرية في حفلة عرس في بلدتك !

ـ انها تعرية في حفلة عرس ... الا انها لم تحدث في بلدتي بل في قرية مما حولها . كانت عواقبها ، كما قلت ، شديدة المرارة . انتظر قليلا فساروي لك حكايتها .

* * *

بلى ، هذه هي الحكاية التي جرت في قرية على شاطىء الفرات من ناحية الجزيرة . جرت في زمان ، ليس بالقريب ولكنه كذلك ليس بالبعيد ، كانت فيه كل قبائل هذا الشاطىء تخضع لنفوذ اسرة واحدة صلال من ابرز فتيانها . صلال هذا الذي كان مزهوا بشبابه وبمنزلة اسرته في قبائل الشاطىء وبمنزلته هو في تلك الاسرة، صلال هذا كان قد سمع من الفتى الذي اسمه هلال السالم كلمة لم تعجبه امتلأ منها صدره غيظا جارفا .. وبصورة خاصة لان هلال السالم لم يكن الا واحدا من افراد قبيلة تدين بالسيادة لاسرة صلال . لذلك فقد كان على هلال السالم ان يدفع غاليا ثمن تلك الكلمة التي لم تعجب صلال ، وان تذل نفسه ذلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشهودا يعرف فيها قدر نفسه وانه ليس ممن يحق له ان يرفع راسه امام سادته وسادة عشيرته او ان يدور له لسان امام فرد منهم بكلام.

وكان فى ذلك الحي من العشيرة انذاك عرس تعقد دبكته ، كالعادة ، فى كل يوم وقت الاصيل . وكان صلال يعرف ان هلال السالم سيتوجه الى الدبكة بعد ان يفرغ من سقاية حقله لان بين الفتيات اللواتي كن يشتركن بها خطيبته ، خطيبة هلال اعني . لذا فقد حمل صلال بندقيته ووضع لثامه على وجهه واعتلى تلعة كانت تشرف على الطريق بين حقل هلال السالم ومضارب العشيرة حيث تدور الدبكة ، وتربص هناك منتظرا اوبة غريمه من حقله . لقد عقد صلال نيته على انتقام بسيط، الا انه قاتل . فلما بدا هلال السالم قادما من بعيد ، فى مشيته سرعة كأنما كان يستعجل بلوغ الدبكة قبل ان تفوته منها دورة ، رفع صلال بندقيته مصوبا فوهتها الى النادم وصاح به:

ـ هلال ... هلال ... الى اين انت مستعجل هكذا ؟

فرفع اليه هلال راسه وتوقف مشدوها . لقد عرفه ... انه صلال، وهذا اللثام لا يقوى على ان يخفي من شخصه شيئا . كان يذكر الملاحاة التي دارت بينهما منذ ايام ، ويعلم انها هي التي دفعت صلال الى ان يشهر بندقيته فى وجهه . لا بد من ان هلال احس بضيق من هذا الموقف ولكنه ، على ما احسب ، لم يخف.. فانه كان اعزل ، لا سلاح بيده ، ولم يكن من المعقول ان يطلق هلال بندقيته عليه وهو اعزل . كان سؤال صلال لا يزال يرن فى سمعه ، فاجابه عليه بصوت حاول ان يجعله هادئا وان يرفقه بابتسامة :

ـ الى الدبكة.. اما تراني اوقفت السقاية قبل موعدها ؟

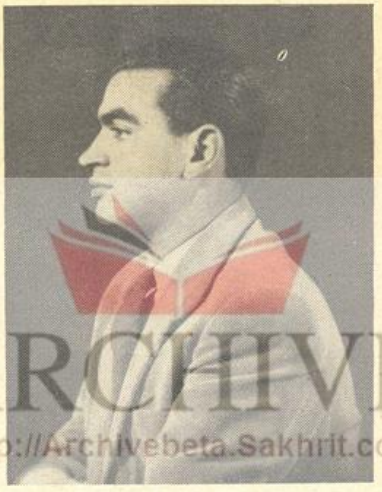
فصاح صلال :

ـ احب ان ارافقك ..ان نترافق الى الدبكة ... ما قولك ؟

فضحك هلال هنا ضحكة مرتفعة، جوفاء ، لا بد انها كانت تعني ان هيئة صلال وبندقيته المصوبة الى صدره لا تعنيان انه راغب حقا فى مرافقته الى حيث يرقص القوم ويمرحون . الا ان صلال اردف يقول بصوت حاد:

ـ نعم والله ، احب ان نترافق الى هناك ، على ان تسير انت امامي . ولكن اسمع مني كلمة قبل ان تمشي: القِ كوفيتك وعقالك عن رأسك ، ثم اطرح هذه العباءة عن كتفيك !

فبدا على هلال السالم انه لم يفهم



الدكتور عبد السلام العجيلي

•

شيئا مما قاله صاحبه ، لذا فقد ظل واقفا كالمشدوه . غير ان يد صلال تحركت باصبع البندقية حركة من يسوق الرصاصة الى موضع الاطلاق، كما تحرك جسده من مكانه على التلعة منحدرا الى الطريق مقتربا من موقف هلال السالم فيه . وقال:

ـ هل تحسبني امزح ؟ قلت لك ارم عقالك عن رأسك واطرح عباءتك!

ولاح لعيني هلال السالم فى عيني صلال بريق اشد مضاء من لهجة الامر فى كلامه . فمد يده الى رأسه ينزع عنه غطاءه وتخلص من عباءته فالقاها وراءه . وقال :

ـ ماذا تقصد من هذا يا صلال؟. وتقول اننا سنذهب الى الدبكة معا؟!

فقال صلال :

ـ لا زلت اقول ذلك .. ولكن ليس قبل ان تنزع عنك كل ثيابك وتتعرى ... تتعرى كما ولدتك امك!

فصاح هلال محنقا :

ـ صلال ؟!

دوى حينذاك صوت صلال بضحكة مجلجلة وقال :

ـ نعم تتعرى كما ولدتك أمك .. وتدخل الدبكة امامي عاريا ..

فصعد الدم حينذاك فائرا الى راس هلال السالم . ولكن عينيه كانتا تتطلعان الى فوهة البندقية التي اصبحت قريبة منه ، مصوبة الى صدره ، وصاحبها المحنق يشد باصبعه على زنادها . فانكسرت لهجته واكتسى صوته بنبرة عتاب وهو يقول :

ـ اهذا فعل رجال يا صلال ؟.. كيف ترضى ان أمشي بين النساء والرجال فى هذه الهيئة المخزية ؟!

فلم يجب صلال الا بكلمة واحدة:

ـ تعر !

فعاد هلال ، كالمتوسل ، يقول :

ـ الله الله بي يا رجل . ان شئت فلك كل ما املكه واعفني مما تطلبه. ان خود هناك ، بين النساء .. اتفضحني امامها ؟... الموت ولا هذا !

فقال صلال بلهجة باردة ولكنها تنطق بالتصميم :

ـ اذن ستموت والله . اخلع ثيابك كلها .. فانا اريد ان ترى خطيبتك بعينيها اي رجل سيضمها بيته . انت تتردد .. اذن خذ هذه!

وانطلقت رصاصة استقرت بين قدمي هلال السالم . وكان الوقت اصيلا ، وانغام مزمار الشاعر تصل واضحة الى مسامع هلال السالم ، وكذلك ضربات اقدام الدابكين وهي ترج الارض تحتها وتثير التراب حولها. وكان صوت المنادي يرتفع ،فى الدبكة، بالشوباش وتلعلع بين الحين والحين فى الجو اطلاقات رصاص لم تكن فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دويها كالرصاصة التي استقرت بين قدمي هلال والتي اخرس التراب صوتها . فخلع هلال السالم كل ثيابه حتى اصبح عاريا ... وسار ، فى ضياء الاصيل ، يمشي امام صلال حتى بلغا حلقة الدبكة . هناك كان الصبيان والصبايا ، والفتيان والفتيات، والكهول والشابات من النساء ، والشيوخ العجائز، كانوا كلهم بين دابك ومتطلع .. وكانت بينهم خود خطيبة هلال السالم الذي دخل ساحة الدبكة عاريا ، كما ولدته امه !..

وما جرى بعد ذلك جرى بعد بضعة ايام من يوم التعرية هذا . فى خلال تلك الايام القليلة قال هلال لاهله الادنين ان يبعدوا بانفسهم وبمضاربهم ومواشيهم عن هذه القرية التي فضح فيها فضيحته الشائنة . وان يلتمسوا فى القرى الاخرى جيرانا ذوي شأن وعزة. حتى اذا اصبح كل من يطلب بجريرته فى مأمن تسلل هو ، هلال السالم ، في ذات ليلة ، وفى احلك ساعات تلك الليلة ظلاما ، الى مضرب صلال والى جناح العيال من ذلك المضرب ، حتى بلغ من ذلك الجناح فراش صلال نفسه

كان صلال نائما فى فراشه ، والى جانبه زوجته الشابة . لا بد من انه كان نائما قرير العين بانتقامه الفريد، الذي تحدثت به الركبان، لكلمة السوء التي تلفظ بها ذات يوم امامه هلال السالم .. هلال الفلاح الذي لا شأن يذكر لعشيرته امام شأن اسرة صلال. لكزه هلال السالم بفوهة البندقية التي كان يحملها فتململ قليلا في الاول ، ثم ما لبث ان ادار راسه وفتح عينيه متلمسا الرؤية فى سواد الظل الذي كان يخيم فوقه . قال وكأن المباغتة قد بعثرت غيمة الرقاد الثقيلة عن ادراكه :

ـ من ؟.. من انت ؟

فحسر هلال السالم لثامه عن وجهه ، وكان ذلك عبثا فما كان صلال ليستطيع ان يميز تقاطيع وجهه في الظلمة الدامسة ، وقال :

ـ انا هلال !

ثم اطلق ، فى مكان القلب من صدر صلال ، رصاصة كان صوتها الكامد يشبه كثيرا صوت تلك التي اطلقت منذ ايام بين قدميه فى الطريق المترب الذي يمتد بين حقله وبين ساحة الدبكة ..

* * *

ـ هذا مخيف ، ولكنه .. ماذا اقول ؟ اكاد اقول ان فى هذا التصرف بعض العدل . حكاية قاسية ولكن مضمونها عادل . ان اذلالا مثل الذي اوقعه ذلك السيد بالفلاح يغتفر جرما مثل الذي اوقعه الفلاح بالسيد. لو كنت قاضيا لنال مني صاحبك هلال السالم كل الرافة .

ـ ولو كنت قاضيا ماذا كنت تفعل بفانوش ؟

ـ من هذا ؟

ـ فانوش بن علاص الخشمان..

ـ كنت حكمت عليه بالسجن مدى الحياة لانه ارتضى لنفسه مثل هذا الاسم . بل لعلي كنت حكمت اباه بهذا ، فهو الذي اصطنع لابنه اسمه ذاك

ـ واذا قلت لك ان فانوش قتل اباه ؟!

ـ يا لطيف !... ما اقساكم ايها الناس ! لا اظن ان استنكار فانوش لاسمه يصل به الى حد ارتكاب هذه الجريمة .. او لهذا دخل بقصص التعرية كذلك ؟

ـ نعم، الا انها تعرية من نوع اخر.

حين كنت صغيرا كا نيقال لي ان هذا الرجل ، فانوش ، وقد كنت اراه يراجع عمي فى قضية تتعلق بحدود ارض مشتركة بينهما ، كان يقال لي انه قتل اباه . تصور ماذا كان شعوري نحوه حينذاك . شعور بالكره الممزوج بالاحتقار ممزوج بالخوف .. انسان يقتل اباه ! ولكن اسمع حكاية قتل فانوش لابيه ، كما سمعتها انا بعد ان شببت وصرت قادرا على ان استفهم عن تلك الحكاية. ذلك اني حين كنت صغيرا كنت لا اجرؤ على السؤال عن ظروف تلك الحادثة المريعة الكريهة ..

فى الصيف بعد ان يؤوب فراد قبيلة فانوش من عرض البادية التي استنفدت مواشيهم ربيعها الى شاطىء النهر، يستبدل الناس اخبية الشعر باكواخ موقتة واسعة يسمونها سيابيط ، يصنعون حوائطها واسقفها من نبات السوس الاخضر . الثخين الظل ، الذي يرد الشمس ويسمح للريح ان تتخلله حاملة معها البرد والرطوبة . وقد عاد فانوش فى احد الايام من المدينة الى قريته المؤلفة من اكواخ السوس هذه ، فبلغها قبل مغيب الشمس . وحين اصبح فى اطراف القرية احس بأن الجو الذي يلفها غير عادي . كان للقرية فى كل مساء ضوضاء هي مزيج من تنادي الاطفال وصيحات النسوة واصوات الدواب فى اوبتها من الحقول ، ينتهرها الرجال من ورائها وتنبحها الكلاب من كل جانب، تلف كل ذلك غبرة تصطبغ بالسواد من ادخنة نار المخابز وبالشقرة من وهج اشعة اخر النهار .. ولكن كل ذلك كان غائبا فى هذا المساء عن عيني فانوش ومسامعه ، غائبا او متضائلا حتى الغياب . فوجف قلب فانوش، واسرع بالخطو الى سيباط اهله وهو لا يدري اهو سكون عارض هذا الذي يلف القرية ، قد جسمه له وهمه ، ام ان شيئا ما ، شيئا غير مألوف قد جمد كل حركة فى القرية.. حتى الكلاب اسكتها عن النباح . وارسل بصره متنقلا به بين السيابيط باحثا عن رجل من اقاربه ، وكل اهل القرية اقارب له، يطمئن بمجرد مرآه عن حال الناس فى القرية. ولكن عينه لم تثبت منهم رجلا واحد .. لا ولم تقع على صبي واحد . نعم لقد لاحت له بضعة شخوص ، شخوص قليلة ، ولكنها كلها من النساء !

وفجأة شقت السكون صرخة حادة من امرأة تلتها صرخة اخرى تتابعت بها الصرخات ، وكلها من حناجر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نسوية ، حتى اصبحت عويلا اهتاج نباح الكلاب ثم ثغاء الشاء وخوار البقر وصهيل الخيل ، من كل جانب من جوانب القرية . واستمرت هذه الاصوات المنذرة بالشؤم برهة تلاها دوي طلقتين ناريتين متتابعتين دوتا جوفاين في جو الغروب كأنما اطلقتا عاليا في الفضاء .. فسكتت لهما كل الاصوات المعولة عدا نباح كلب انقلب الى عواء مرعب، زاد من وجيب قلب فانوش ومن احساسه بالخطر . فخرط حينئذ بندقيته عن كتفه ، والقمها رصاصة ، وتقدم يتجاذبه الاندفاع والتخوف متسللا بين السيابيط الخارجية حتى اشرف من وراء احدها على ساحة القرية. ومن هناك لاح له ، في اقصى الساحة ، سيباط اهله حيث كان يقيم ابوه وزوجتاه ، الكبرى ام فانوش والصغرى التي لم تدخل في عصمته ، عصمة علاص الخشمان ابي فانوش، الا منذ اسابيع قليلة ..

كانت ساحة القرية ، حين ادار فانوش بصره يجوس به خلالها ، خالية . وامام اكواخ السوس التي كانت تحيط بتلك الساحة كانت جماعة من النساء يتدافعن ، يتقدمن نحو قلب الساحة ويتراجعن . نعم، لم يكن في كل القرية انسان مرئي الا النساء ، والا رجل واحد وقعت عين فانوش عليه واقفا امام سيباط اهله ، بل كان قاعدا امام ذلك السيباط ، ثانيا ركبته على الارض ممسكا ببندقيته في وضع التصويب واصبعه على زنادها ، هو ابوه . ابو فانوش نفسه .

وقف فانوش يتطلع من بعيد الى ابيه لا يدري ما الذي افرده من دون رجال القرية بالوجود بين النساء . وسمعه يصرخ بصوت مبحوح ما لم يفهمه من الكلام ، تلاه دوي انطلق من فوهة بندقيته تدافعت له النسوة الى زاوية من الساحة ، فانحسر جمعهن عن شبح برز من بينهن غريبا . كان شبحا عاريا . فأحس فانوش بمثل اللطمة تقع حادة على خده ، وبمثل النار يسفع لهبها فجاة وجهه . تحرك عنقه براسه ليشيح ببصره عن مراى ذلك الشبح . الا انه احس كأن يدا فولاذية الاصابع امسكت براسه فثبتته على عنقه وثبتت عينيه في محجريهما متطلعتين من اعماق وقبيهما الى تلك التي كانت تثب في قلب الساحة عارية ، تلك المراة العارية !... نعم ، لقد كانت امراة عارية ، عارية عري حواء في دارها الاولى! كلما توقفت عن الركض انطلقت رصاصة من بندقية ابي فانوش ففرقت عنها النساء التي تجمعن حولها محاولات ستر عريها ، وبعثت بها من جديد تعدو في ساحة القرية المقفرة ، الجرداء ، الواسعة ، التي تنصب عليها اشعة شمس المغيب فتجلو ملامح ذلك الجسد العاري لكل عين ناظرة ...

من كانت تلك العارية التي تدور كالمخبولة في ساحة القرية ؟! الرجال، الذين لم تقع عين فانوش على واحد منهم ، دخلوا سيابيطهم وادارروا رؤوسهم لئلا تقع ابصارهم على مراى تلك الفضوحة . اما النساء فكن بين ان يدرن رؤوسهن عن منظر العريانة وبين ان يتقدمن اليها يحاولن سترها باحتضانها او بالقاء الثياب عليها ، الا ان ايمان ابي فانوش كانت تلاحقهن بانه قاتل من يقترب منها ، وقاتل لها اذا لم تظل تركض في ساحة القرية ، تركض هكذا مجردة من كل رداء لها ، الى ان يكتفي هو ويشتفي هو من اذلالها .. لقد كان ذلك الرجل مجنونا، جديرا بأن يبر بأيمانه الفاجرة تلك ، ومن لم يصدق ارجعته الى الصواب الرصاصات المتلاحقة التي كان يطلقها من بندقيته . فما كان على تلك المسكينة الا ان تركض وتركض .. تركض وهي تنتحب .. وتركض وهي حائرة لا تعرف اين تضع يديها : اتستر بهما رقاع جسدها المفضوح ، اتمدهما الى ظالمها متوسلة اليه ان يرحم ذلها وعارها ، ارتفعهما الى الله تستجير به وتستعديه على هذا الوحش الفاجر ؟! لقد كانت تركض كأن سياطا تلهب جسدها . وحين عثرت قدمها فوقعت ارضا كانت اقرب ما تكون الى فانوش وهو في موقفه وراء السيباط الذي وصل اليه في اشرافه على ساحة القرية ..

راى فانوش ، في موقفه ذاك، المراة العارية تلوي بعنقها متطلعة الى جلادها الذي كان يريدها على ان تركض من جديد. ورآها تزيح ذوائب شعرها المحاول لتبين تقاطيع وجهها الذي كانت تتسايل عليه الدموع . ورآها بعدئذ تدير وجهها اليه ، اليه هو فانوش ، حتى لقد خيل اليه، على بعد ما بينهما ، انها اثبتت حدقتيها في حدقتيه . حينئذ ، حين تبين محياها واثبت نظرتها ، ثنى على الارض ركبته ، وسدد بندقيته واطلق من تلك البندقية الرصاصات الخمس التي كانت في مشطها ، والتي اصابت واحدة منها ، في المقتل ، اباه ابا فانوش بن علاص الخشمان!

قد تكون حدست لم فعل فانوش بأبيه ما فعل ... ذلك لان تلك المراة العارية كانت ام فانوش ...

.

— سألتك ماذا كنت تفعل بفانوش هذا لو كنت قاضيا ؟

.

الرقة **عبد السلام العجيلي**

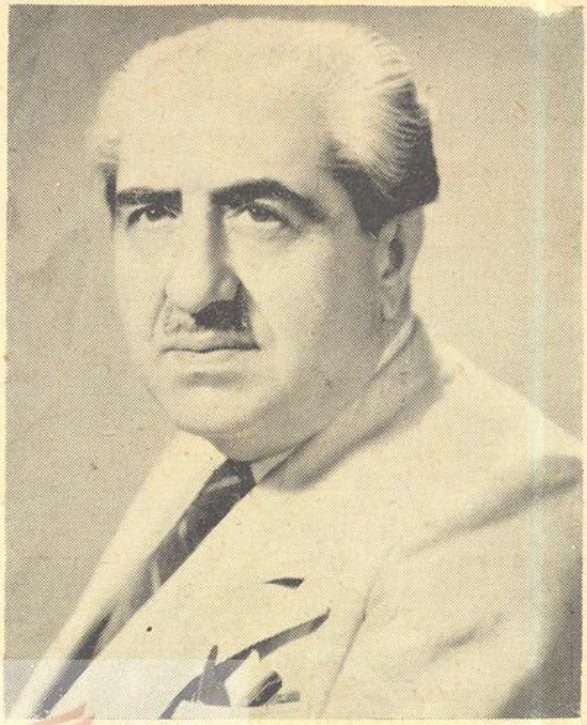
الاعلان في

الاديب

يبقى عرضة للانظار

شهرا كاملا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الفقيد خليل مردم بك

خليل مردم شاعرا ام مصورا؟

بقلم عبد الغني العطري

اجيال تمر وقرون تنطوي ، وشعر هذا الانسان باق في فم الزمن ، اغرودة يرددها الاباء ، ويهتف بها الابناء ، وينقل عنها الواحا ناطقة مفصحة ، كل رسام بارع ، وكل مصور مفن ، وكل مثال اتقن صناعته وخلق في عالم النحت.

وليس عجبا ان ينقل رسام صوره عن شاعر مضى ، وليس غريبا ان يصنع نحات تماثيله نقلا عن كلام موزون مقفى ، اتقن صاحبه رسمه على الورق ، فلم يدع زاوية الا صورها ، ولا ظلا تحتاجه الا اضفاه على صورته ، حتى غدت وهي على الورق ، صورة تكاد تراها العين او تمثالا توشك ان تلمسه اليد .

لقد اراد فقيد الشعر المرحوم خليل مردم بك ان يقول شعرا ، فكان مصورا وكان مثالا ، تحس بصوره تكاد تنطق ، وتماثيله توشك ان تلمسها اليد وتراها العين . واذا كانت عدسة المصور المفن تعجز عن نقل صور دقيقة للشمس والبحر، والبرق، والزنبق، والغوطة ،والفراشتين والطفل ، والسكران والسكرى ، والرقص وغيرها .. فان شاعرنا المجلي لم يعجزه نقل هذه الصور ، ولم يفته ان يسجل دقائقها وخفاياها ، وما لا تكاد العين ان تراه من حركاتها ، الا بعد تأمل طويل ، وامعان نظر ثاقب .

وجدير بنا ان نلاحظ ان شاعرنا الخليل لم يكن يقول الشعر ارتجالا . وكل قصيدة من قصائده ، بل كل بيت وكل شطر ، وكل لفظة تشهد وتنادي بان الشاعر قد صاغها ، وتعب في اختيار ارق لفظ ، واجمل معنى ،واحسن موضع لها . ان صوره تدل على انه عميق النظرة الى الاشياء ، شديد التأمل لما يحيط به من زهر وعطر ، ونهر وطير وربيع . ان الانسان العادي يمر بهذه الاشياء فلا يرى فيها ما يراه الشاعر . وشاعرنا الخالد كان يرى في هذه الاشياء اكثر مما يراه اي شاعر . ولو امعنا النظر ، واطلنا التأمل في صوره لرأينا ان الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك لم يكن مغاليا حين قال عن والده :

واذا وصفت اتيت شيئا معجزا ... في الخلق والابداع والاتقان
صور تكاد بسحر ما صورته ... لمشاهد تحكي بغير لسان

والصور الشعرية التي يطالعنا بها ديوان خليل مردم بك صور حسية لانفسية ، فقد صور البحر والنهر والغوطة والشمس ، ولم يصور نزعات النفس ولا خلجات الضمير. وقد سئل الشاعر عن ذلك فاجاب : « ان صوري الحسية رموز تعبر عن رؤى قلبي ، واحلام نفسي » .

قلت ان فقيد الشعر اراد ان يقول شعرا فكان مصورا وكان مثالا . ودليلي على ذلك ديوانه الكبير ، الذي جاوزت صفحاته الاربعمائة ، ولا سيما ما كان منه وصفا خالصا للطبيعة والفن ، ففي هذا القسم يحار الناقد في اختيار الدليل على ما ذكرت ، اذ يجد في كل قصيدة صورا والواحا يصح ان تكون دليلا على ان الشاعر مصور بارع ومثال علوي النفحة. ولنلق نظرة تأمل على وصفه للبحر حين يقول:

مع ما في صدره من سعة ... شرس الخلق اخو حمق حرون
هل عراه طائف من جنة ... ليت شعري ام به مس جنون
بينما التيار يعلو جبلا ... اذ به واد يهول المبصرين
اترى امواجه انفاسه ... رددت بين شهيق وانين
لم تكن الا كشعب ثائر ... شنها حربا على المستعمرين
جحفل يركب منها جحفلا ... يتعادى كجنود زاحفين
نفخت في وجهه ريح الصبا ... فعلاه مثل تفضين الجبين

ارايت كيف شبه البحر بانسان واسع الصدر ، ولكنه متناقض مع نفسه تناقضا غريبا ، لانه « شرس الخلق اخو حمق حرون » ، فتياره يعلو حتى يحاكي الجبل .. ولكنه يتحول فجأة الى واد يهول المبصرين . وبعد ان افاض الشاعر في وصف البحر ثائرا ، انتقل الى وصفه هادئا ساكنا ، فقال ان ريح الصبا نفخت في وجهه ، فبات ذلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوجه ذا غضون ، مثل جبين جاوز صاحبه سن الشباب.

واذا ما تركنا البحر هائجا او هادئا ، وانتقلنا الى قصيدة « الطفل » طالعتنا اروع صورة يمكن ان تسجلها ريشة رسام بارع . لنستمع اليه يقول فى وصف الطفل :

هش لما طفلته(١) امه ... ودنا من وجهها بالراحتين
حار ما بينهما شوقهما ... قبلة تجزيه عنها قبلتين
واذا ما عبست فى وجهه ... عبثا ، او دفعته باليدين
جمع الانف وضم الشفتين ... وزوى اللحظ وبين الحاجبين
وجرت مع نفسيه غنة ... ولوى الجيد وهز المنكبين
وبدا الفيظ ولو دافعه ... والحيا فى وجهه ممتزجين

ترى لو اراد رسام او مثال مهما سما فنه وعلا كعبه فى الرسم والنحت ، ان يصور هذه الانفعالات التي تبدو على وجه الطفل فى لحظات الانشراح ، وفترات الغضب اتراه يستطيع ؟. انا اجزم بان صورة هذا الطفل ، بعد ان عبست به امه دعابة له ولهوا ، ثم دفعته بعيدا بيديها ، فجمع انفه ، وضم شفتيه ، وزوى لحظه وحاجبيه ، ثم شهق شهقات صغيرة لها غنة خاصة ، ولوى عنقه وهز كتفيه ، انا اجزم بأن هذه الصورة فى قالبها الشعري ، تعجز كل رسام او مثال عن اخراجها رسما على الورق ، او نحتا على الحجر ، بل تعجز اي كاتب او شاعر عن محاكاتها . ان الصورة كما ترى مفرطة الدقة ، بالغة الروعة ، تثبت لنا ان عدسة الشاعر ، لا تدانيها عدسة مصور او شاعر اخر.

واذا طاب لنا ان ننتقل الى لون اخر من الوان الوصف عند خليل مردم بك ، طالعتنا تحفته الرائعة « الرقص » نفي هذه القصيدة صورة كاملة لحفلة راقصة شهدها الشاعر ، ولم يكن عنها راضيا ، لان الرقص لهو ولعب ، وكل صعب يهون فيه ، وعسير الامر فيه كاليسير ... بدا الشاعر قصيدته فقال :

نفخ الصور فهبوا مسرعين ... مثل ما نفرت طيرا بالصفير
وعلى الصهباء كانوا عاكفين ... من راى سرب مها حول غدير

فلما انتهى من وصف قيام الراقصين والراقصات الى الحلبة ، انثنى الى الفتاة الراقصة ، فوصف فتنة مقلتيها ، واعتدال قدها ، وجيدها التليع ، وتسريحة شعرها . ووصف بعد ذلك ثوبها الذي يستر من جسدها بقدر ما يفضح ... ثم وصف فتاها الراقص ، فاشار الى حسنه ، وغمز من تخنثه ، حتى كاد لا يميزه من النساء لولا ثيابه.. فلما انتهى من ذلك قال :

كل الفين انضوى شملهما ... اقبلا فاعتنقا اي اعتناق
لو صببت الماء ما بينهما ... لم يكد يخلص من فرط اعتلاق
علقت كف بكف منهما ... شركا واختلفت ساق وساق
ودنا الخدان من بعضهما ... حينما الجيدان هما بالتلاق

(١) طفلته بمعنى لاطفته

وعلى الانغام كانت لهما ... خطوات باتزان واتساق
رقصا شتى ضروب وفنون ... من دبيب خافت او ذي صرير
بينما عومهما عوم السفين ... اذ هما بالحجل كالطير الكسير

خلت ثدييها اليه انتقلا ... فرط الحاح بضم واقتراب
لم اجد صدر فتى قد حملا ... قبله فيما مضى نهدي كعاب
كيف ترجو صحو من قد ثملا ... بمدام وغرام وشباب ؟

هكذا وصف شاعرنا الراقصين ، وهكذا خلق وابدع واجاد . ولو اراد اي مصور او نحات ان يخرج هذه الصورة الكاملة فى لوحة او تمثال لما اعجزه ذلك ، دون ان يستعين بشيء من خياله ، او يستند الى قليل من معلوماته . ومن العبث ان نتكلم عن هذه الصورة او نعرض لها بتحليل ، فهي وحدها ابلغ من اي كلام ، واوفى من اي تحليل . على انه لابد من الاشارة الى ان الشعر هنا يسمو عن الوصف ، حتى يبلغ حد التصوير الكامل ، ولا سيما حين نتابع القصيدة ، ونشم امتزاج النفسين ، ونكاد نذوق طعمهما المعسول ، ونحس تباريح الهوى ، واشتعال الرغبة فى الصدور . ويمضي الشاعر بعد ذلك فى وصف الانوار الخافتة وبهرة الرقص التي « الفت ما بين ازواج الحمام » . فاذا ما انتهى الفصل ، اشتد التصفيق بحماسة والحاح كي يستانف العزف . ويمضي شاعرنا فى وصف حفلة الرقص ، حتى يلج الاعياء بالراقصين والراقصات ، ويصبح كل عضو بين راقصين مشاعا لهما ، فيستند الى نهدها ، وتعتمد على عاتقه . ويأبى الشاعر ان يختم قصيدته قبل ان يندد بالرقص ويتهكم برياضة الرقص ، التي تسهل كل صعب ، وتنقل الامر من هزل الى جد .

ولو اردنا ان نقف عند كل قصيدة وصفية رائعة من قصائد الخليل لطال بنا الوقوف ، وضاق الوقت . على انه لا بد من الاشارة الى ان قصائد البرق ، والشمس ، والزنبق ، والفراشتين ، والورقاء ، وسكران وسكرى ، وبردى ، والغوطة ، ودمشق ، تمتاز عن غيرها بصور بالغة الحسن ، ومعان تكاد تكون جديدة مبتكرة . ولا غنية لنا من اشارة قصيرة الى قصيدة « بردى » التي وصف بها نهردمشق ، فصوره واضفى على صورته هذه الوان موفورة الجمال ، بالغة الحسن ، حتى اكاد اجزم بان هذا النهر لم يوصف ولم يصور من قبل كما وصفه وصوره خليل مردم بك .

بقي ان نقف وقفة اخيرة عند غوطة دمشق ، هذه الغوطة التي احبها استاذنا الشاعر حبا ملك عليه نفسه . وكانت احب ساعة اليه ، تلك التي يستطيع فيها ان يذهب الى الغوطة ، ويمتع ناظريه بازهارها المفتحة ، واطيارها المغردة ، وجداولها المصفقة ، واشجارها المتعانقة ، فيجول بخطوات وئيدة هناك ، يستلهم صور الجمال ، ويروي ظمأه من الطبيعة الضاحكة . وصف شاعرنا الخليل غوطة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... غريب !

من ديوان « الموجة الزرقاء » يصدر قريبا

* * *

لا تظني انـي اغني .. انا ذكـرى لحون جفت بقلب الغدير
لا تظني اني اغني .. انـا رب هوى مـن عروشه للهجـير
مات ذاك الصبي .. قد شرب الليل .. والقى اكوابه فى البكور
غير اني وان تلفعت بالصمت .. واطرقت كالظـلام الضرير
وتغربت فى المجـاهل عمـري .. غربة الطير فى المساء الاخير
وتلفت .. !! والطريق حوالي .. مغارات عـالم مهجـور
فالخريف المرير يزحم آفاقي .. ويمتد فى صميم شعوري
لم تزل فوق ساعد النهر .. صفصافتي الحيرى بلا اغصن ولا عصفور
جلدتها الرياح .. زندية الغاب .. ودارت علـى بقايا العبير
بعثري يا ظلال .. اهدابك الزرق .. وغطي تابوت عمر قصير
فالستار الحزين ينسدل الان .. على قصة المساء الاخيـر

القـاهرة — محي الـدين فـارس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دمشق بقصيدة بلغت ابياتها اثنين واربعين بيتا ، وهي وان كانت موجزة بعض الشيء ، ولكنها تعتبر طرفة خـالدة فى وصفها وتشابيهها . قال رحمه الله فى مطلعها :

كـم فى ازاهـير الريـاض لناظر ... مـن مقلـة وسنى وخد ناضر
ماست اماليد الغصون بوشيها ... معطـارة وازينـت بجـواهر
لله ما صنعت ومـا جاءت بـه ... فى الفوطتيـن يد الربيع الباكر
بسطت وثير قطيفة فـوق الثرى ... خضراء فيهـا كل لـون زاهر
مـن احمر قان ، واصفر فاقـع ... او ازرق زاه ، وابيض سافـر
وكست وحلت سمحـة اشجارها ... فجلت عرائسها بوشي فـاخر
معقـودة الاكليـل زهراء الحلى ... خفاقـة الاقراط ذات اسـاور
ارخت مـن الظل الظليل غصونها ... طررا واذيـالا وفضـل مآزر

ويمضي شاعرنا بعد ذلك فى وصفه فيحلق ويحلق ، حتى يقف الى جانب البحتري ويضاهي ابن الرومي فى وصفهما ، وما هو فى نظر الناقد المنصف باقل منهما شانا ، ولا بادنى منهما كعبا . ان خليل مردم بك شاعر فاق الشعراء بصوره وتشابيهه ، فحق لنا ان نتساءل ونحن نرتل بعض قصائده: اتراه شاعر ام مصور ؟.. ولعل اجمل تشابيهه وابلغ صوره ما قاله فى الطبيعة ووصف دمشق ومعالمها من نهر وجبل وواد . ومن خلال هذا الشعر نستطيع ان نحكم بأن شاعرنا كان شاميا متعصبا لشاميته وعروبته . فقد زار كثيرا من بلدان اوروبا ، واقام فى بعضها سنوات ، فلم يهززه جمالها ، ولم يثر قريحته ، ولم يلهمه شيئا يقوله . ومن اجل ذلك نقول ان الفجيعة كانت جليلة بشاعرنا العظيم يوم فقدناه فى الحادي والعشرين من تموز سنة ١٩٥٩ وستظل كبيرة فادحة الى ان ينهض من دمشق شاعر يملأ مكانه ، ويسد الفراغ الذي تركـه .

دمشـق — عبـد الغني العطري

حـوار بـين حسناوين

بقلم مبـارك ابراهيم

اولى الحسناوين هي هيلين اليونانية التي قامت بسببهـا حروب طروادة والاخرى هي مدام دي مانتينون الزوجة الثانية للويس الرابع عشر ملك فرنسا . وقد بعثتهما من مرقدهما وادارت على لسانيهما ما سنذكره من حوار الكاتبة الانكليزية انّا ليتيتيا ايكين المتوفاة عام ١٨٢٥ وهـــذا هو الحوار :

هيلين : ان الجمال فى العصر الذي عشت انا فيه كـان قوي الاثر الى ابعد المدى فى مختلف النواحي فقولي بربك يا سيدتي ما الذي افقد الجمال سلطانه ؟

مانتينون : اريد اولا ان اقتنع بماتقولين اقتناعا لايعتريه الشك وذلك قبل ان اتقدم بأن اذكر لك سببا .

هيلين : ان هذا شيء يسير كل اليسر فليس علينا ــ انت وانا ــ الا ان نقرا تاريخنا ونستعيد ما مر بنا من تجارب حتى يستبين قولي . فقد كنت انت جميلة قـد اكتملت لك المحاسن والمحامد وكنت فوق ذلك قريبة الى كـل القلوب . وكنت من اجل هذا قديرة على امتلاك قلـب الرجل وعلى صبه فى القالب الذي تشائين . وكان السعد من خدامك ومواليك . ومن ثم فقد ارتفعت بنفسك من الحضيض الاوهد وارتقيت الى اعلى الـذرى فاصبحت واذا بك زوجة لملك عظيم .

ولكن ما هذا الاثر الذي احدثه جمالك اذا قيس بمـا كان لجمالي من اثر فى نفوس الملوك والامم . فقد اشتعلت بسببي نار حرب دامت عشر سنوات وكان وقودها رجال من اشهر ابطال التاريخ القديم . وكانت الممالك المتنازعة تتقاتل لتظفر احداها بشرف اجلاسي فوق العرش . وقد خلدقصتي ابو الشعراء كلهم وامامهم غير مدافع ، اما مفاتني فقـد انطبعت صورتها فى سجلات التاريخ يتوارثها الابناء عـن الاباء حتى يومنا هذا .

اما انت فقد كنت ــ ولا ريب ــ زوجة للويس الرابـع عشر وكنت مهيبة الجانب لدى رجال حاشيته ولكنك لم تشعلي حربا ولم تثيري قتالا . ولذلك فان تاريخ فرنسا لا يذكرك وان كانت لك من الذكريات ما يملأ يوميات بطانـة ملك من الملوك . فهل الحب والاعجاب اللذان ظفرت بهما كامرأة مليحة حسناء يمكن ان يقارنا بما كنت اثيره فـي نفوس المعجبين من حب القتال ليظفروا بي وبما كان لي من سلطان لا حد له على نفوس العظماء وذوي الجاه واصحاب الصيت البعيد فى العصر الذي عشت فيه ؟

مانتينون : كل هذا ايتها العزيزة الغالية هيلين له ما له من البريق واللألأ وله ما له من الاثر البالغ فى نظم قصيدة تصف البطولة والابطال . ولكنك لا شك تخادعين نفسك الى الغاية التي ليس وراءها غاية اذا عزوت كل هذا الـى جمال صورتك وحسب . فهل تحسبين ان نصف الزعماء الذين اكتووا بلظى الحرب كانوا مسحورين بجمالك ام انهم كانوا يشغلون انفسهم بما كنت وبما سوف تكونين لو لم تكن صور المجد تتراءى لهم من قريب او بعيد ؟ وارجـو ان تصدقيني يا سيدتي ان الحب فى قضيتك كان ضئيـل الاثر جدا . وارجو ان تعلمي ان منيلوس كـــان يريد ان يقتص لنفسه مما لحقه من اهانة . وان جاممنون كـــان مزهوا باسناد القيادة اليه . وان بعض من حاربوا معهم كانوا يشتهون المجد وان بعضهم كانوا يشتهون النهـب والسلب . وان بعضهم كانوا يذودون عن حمى زوجـاتهم اللاتي خلفوهن وراءهم . وان بعضهم كان الامل يداعبهـم بالظفر بالعذارى الجميلات من بنات طروادة . ثم جـــاء هوميروس فرأى ان القصة صالحة كل الصلاحية لينظمها قصيدة من احسن القصائد التي تترك فى سمع الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء انمله العشر . ومن هنا جـــاءت شهرتك ومن هنا ذاع اسمك وشاع . اما اختطافك فقـد اتخذ سببا فى احتدام الوغى ، واما العداوات بين الامتين فقد اججت نارها الحروب المتعاقبة . ولم يكن هـــدفها اعادة هيلين الى منيلوس ولكن كان هدفها تدمير طروادة على ايدي الاغريق .

اما انا فان انتصاراتي كانت مصادرها كلها ترجع الي والى الاثر الذي احدثته مواهبي ومفاتني وما كان لسحر تلك المواهب والمفاتن من اثر فى قلب رجل من الرجال .

اما مولدي فقد كان مولد فتاة مغمورة . واما المال فقد كنت لا املك منه الا النزر اليسير ، واما فترة الشباب فقد قضيتها ــ وحالي كما وصفت ــ ثم مشيت بخطى واسعة حتى بلغت تلك المرحلة من العمر التي تفتر فيها العلاقات بين الجنسين . وكان علي ان اقبل دورا مع رجل يعرف كيف يستبي قلوب النساء وكيف يخدعهن عن انفسهن . وكان هذا الرجل ملكا طالت خبرته بالجمال والجميلات . وكان قد اسام سرح اللهو فى ظل حاشية تعرف كيف تجيد صنع اللهو وكيف تحسن اختيار ادواته . وكأنما كان رجال تلك الحاشية قد استنفد الحب والجمال كل مقدرة لهم على ادخال السرور على قلب الملك فباتوا حيارى وبـاتوا غير قـادرين .

وهذا هو الرجل الذي خلبت لبه وجعلته لا يحيد ولا يميل . ولم اقنع بذلك كله ــ وشأني فى ذلك شأن اخواتي من بنات حواء ممن رزقن الفتنة واوتين اسباب الجمال ــ بل لم اقنع بأني اصبحت مالكة قلبه فزدت على ذلك ان جعلته يتخذني زوجة له وناهيك بما فى هذا اللقب مـن تشريـف وتكريـم ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما انت فان افتتان باريس بك لم يضف عليك من المجد الا الشيء القليل . وكان باريس هذا فتى طائشا نزقا محبا للهو . وقد افتتن بجمالك فأدى به هذا الافتتان الى الحيدة عن كل ما تفرضه قدسيات قوانين الضيافة . وقد اوحى اليه طيشه ونزقه بأن يختطفك وان يأبى ان يردك الى زوجك

وانت من ناحيتك قد خدعت باريس فالهيته عن واجبه. اما انا فقد انقذت لويس من مهاوي الرذيلة . ولقد كنت انت حظية الامير الطروادي . اما انا فقد كنت صديقة العاهل الفرنسي وصاحبته ..

هيلين : اني اسلم بانك كنت زوجة للويس ولكنك لم تكوني ملكة لفرنسا . اما هدفك الاكبر فكان ارتقاء سلم المجد . ولم تظفري في هذه الناحية الا بالكسب اليسير .

اما انا فان الحب كان المسيطر على حياتي وقد ضحيت في سبيل الحب بكل شيء . ولكن حدثيني بربك الم ابد من امارات السحر ما جعل مينيلوس يسعى جهده ليظفر بي مرة اخرى بعد تدمير طروادة ؟

مانتينون : هذا الظرف وحده كاف لان يبين لك انه لم يكن يحبك الا حبا خلا من الرقة والظرف . فقد اتخذ منك قينة يملكها ثم استرجعك وكأنك غنيمة من الغنائم قد استردها . ولم يكن يسيطر عليه ذلك الاحساس الذي يجعله يحسب حسابا لقلبك ايملكه ام يتركه .

وان الابطال في زمنك كانوا سواء في الافتتان بالجمال وكانوا كثيرا ما يقتتلون على امتلاك ذلك الجمال ولكن كانت تعوزهم الرقة الكافية التي تجعلهم قادرين على امتلاك ناصية العاطفة النقية او الهوى العذب .

وهل تحسبين ذلك العصر يعد من العصور التي كان ينتصر فيها الحب والتظرف الى النساء . وهو العصر الذي كان يجمع الناس فيه بين امراة جميلة وبين مائدة ذات ثلاثة ارجل على ان تكونا معا جائزة لمن يظفر في حلبة المصارعة . وكانت المائدة تحسب النصف الاغلى قيمة في الجائزة ؟

هيلين : اولى لك ان تقولي انك تجهلين الفرق بين الطبيعة والهوى من ناحية ، وبين اللعب بالالفاظ والغرور من ناحية اخرى والا فنبئيني ـ بحقي عليك ـ ايستطيع المزاج البارد الذي نشهده في فرنسا ان يعلم الاقوام اليونانيين كيف يعشقون ؟ ان البلاد اليونانية هي مهد الجمال ومسرحه . وهي التي الهمت الشعراء كيف ينظمون القصيد وذلك بفضل اعتدال هوائها وصفاء سمائها . تلك السماء التي تلتهم القلوب وتقودها الى طريق الحب المنسق الحلو النغم ! ونبئيني مرة اخرى ـ بحقي عليك ـ اكانت اليونان يوما موطنا للبرابرة الجناة الغلاظ القلوب ؟ واذكري ـ ان استطعت ـ حادثة واحدة تجلى فيها اثر الجمال في صورة ابهى وازهى مما بدا على وجوه الشيوخ اليونانيين يوم فتنتهم صورتي فملأت نفوسهم اعجابا حتى لم يستطيعوا ان يلوموا انفسهم على اشتعال نيران الحرب من اجلي وهي تلك الحرب التي كادت تودي ببلادهم . فقد رأيت مما قصصته عليك اني قد كنت فتنة للشيوخ كما قد كنت فتنة للشبان ..

مانتينون : ولكني انا فتنت الشباب يوم ولى شبابي . ولقد كنت معبودة القوم في عاصمة كبرى حيث البذخ والابهة والذوق الحسن كانت كلها قد اوفت على الغاية وقد كان يحتفي بي اذكى اذكياء عصري وحتى لقد انتقلت رسائلي التي دبجتها من الاباء الى الابناء الى الحفدة ..

هيلين : بعد هذا قولي واصدقيني القول اكنت جد سعيدة بما وصلت اليه من جاه عظيم ؟

مانتينون : الله يعلم اني كنت جد شقية . ولقد تمنيت الف مرة ومرة ان لو عدت الى العيش مرة اخرى مع زوجي السابق الشاعر سكارون. وهو وان كان ـ والحق لا ينكر ـ قبيح الشكل دميم الخلقة مع فقر في المال والجاه فانه كان ـ والحق لا ينكر ـ سمح الخلق ، رضي الطبع ، محمود السجايا ، وكان لصاحبه خير سمير وجليس . فقد كنا نرقص معا ، ونضحك معا ، ونغني معا . وكنت ابادله الحديث في غير خوف او حذر . اما مع لويس الملك فقد كان الجو مشبعا بالقتامة والكآبة ومليئا بالتحرز والخنوع . وقد ساءت طباع الملك في اخريات ايامه بما توالى عليه من الوان الفشل وكنت دائما ارى نفسي مجبرة على ان اجتلب له السرور اجتلابا . والسرور يومئذ عندي بضاعة لا املك لنفسي منها مثقال ذرة . ولويس هو ذلك الرجل الذي تعود من دهره كل الوان المداهنة والملق .

وانا وان كنت قد اوتيت حظا عظيما من الفطنة فان مواهبي كلها كانت وقفا على ادخال السرور الى نفس الملك . وهي حالة تجعل العقل بعيدا عن اسباب السعادة والطمأنينة . وكنت احذر دائما ان أمد يد المعونة لاصدقائي كما كنت احذر دائما ان ينال خصومي واعدائي العقاب . اما تلاميذي في مدرسة شان سير فقد كانوا اقل اعتزالا للناس مما كنت وانا في ظل الحاشية الملكية . وكنت لا ارى بريقا من الهناءة والسعادة الا في العمل والا في تلاوة الادعية ومدارسة كتب الصلوات .

هيلين : اني آسفة ان اقول انه من اجل ما قصصته علي ارى ان لا يتمنى المرء ابدا ان يتزوج ملكا من الملوك .

مانتينون : ولكن قولي لي يا هيلين ـ متفضلة مشكورة ـ اكنت حقا جميلة الى ذلك الحد الذي اشتهرت به ، ذلك لان الحق والحق اقول اني لست ارى في صورتك ذلك الجمال الذي اقام الدنيا واقعدها قتالا وحربا تسع سنوات كاملة

هيلين : اقسم لك غير حانثة اني ما كنت جميلة ابدا . بل لقد كنت من غير ذوات الحسب . وكنت ذات سحنة لوحتها الشمس ولكني اوتيت القدرة على الاسعاد . وهذا كل ما في الامر . واني لجد ممتنة للشاعر هوميروس .

مانتينون : وهل عشت حقا عيشا هانئا مع منيلوس بعد كل ما مر بك من مخاطرات ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حطام قلب

مات قلبي ، فلست ـ بعد ابـالي بهوانـا ، ولا بـذاك الـدلال
مـات قلبي ، فابكي عليـه دمـاء واندبي فتنـة العهـود الخوالي
كفنيـه بالورد ، بالامـل المذبـوح طفلا ، بالذكريـات الغوالـي
وانثـري فوقـه عواطفنا الحرى ، ورعشاتنا بطيـب الوصـال
ثـم طوفـي حـول الضريـح ، وناجي الحب فيـه ، بلهفـة وابتهـال
« يـا قتيـل الحرمان ، والغدر ، والاقدار ، تقسو عليـك بـالاغلال »
واركعـي قربه ، وصلـي لاجلي واسالـي الله عفـوه عـن ضلالي

قد قتلـت الحـب الطهور ، وقلبي بيـن كفيـك نـاضر الامـال
كـان حبـي ـ وارحمتاه لحبـي ـ حلمـا خـالدا ببال الليالي
كـان حبي طهـر الملائكـة الابـرار ، حـلى بـراءة الاطفـال
نفحـات مـن السمـاء ، وطوفـان شعـوري ، ورعشة الاوصـال
وانفسـاح الامـال فى روعة الفجر ، يشـع الفتـون فـوق التـلال
يغمـر الكـون بالضياء ، وبالحسن ، ويلقـي مذهبـات الظـلال
ويبـث الحيـاة فى كـل شيء والجمـال الفريـد فى كـل حال
وهـو اليـوم حشرجـات قتيـل ورؤى الشمـس جنحت للزوال
عبثـا تلهبيـن جـذوة حسـي وغرامـي ، او توقظيـن خيـالي
طبقـات الجليـد تغمر احساسي ، ونفسي ، والمـوت فى تمثـالي
لا ارى فيـك فتنـة تسحر القلب ، ولا صـورة لسامي الجمـال
والفتون المفتـاج ظـل ثقيـل والكـلام الرشيق آي الخبـال
كـل ما فيـك بـارد ، فقد الـروح ، دميـم ، لا يستثـير انفعـالي
يسخر الفكر مـن ضـلال شبابي كيـف الفـى لـديك رمز الكمـال
ويح وهمـي ، يـا للضـلال عليه افتـح العيـن ، يـا لـه السؤال
عالم السحـر قـد تكشف صحراء ، وفيهـا ضللت بيـن الرمـال
ليس الا الرمـاد من سورة الحب ، يكفـي ، بعـد السنيـن الطوال
لم يعـد للحياة عندي معنـى فافعلـي مـا اردت ، لست ابالي

حمص شكري هـلال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هيلين : كنت هانئة كما يمكن ان تكون الهناءة فى هـذه الدنيا . فقد كان منيلوس كريم السجايا وكـان رب بيت وكان يسره ان يجلس فى عقر داره وان يقضي ايامه هادىء البال . وقد ادخلت فى روعه ان الزهرة والاقدار كـانت السبب فيما انتابني من اضطراب فصدقني تصديـق المؤمنين . وفضلا عن ذلك فاني لم اكن آسفة على ان اعود الى موطني ذلك ـ وهذا كلام ارجو ان تجعليه فى موضـع السر منك ـ ذلك لان باريس قد كان يخونني قبل موتـه بزمن طويل وكان مغرما بفتاة طروادية سمراء كانت مهمتها ان تحمل ذيل فستاني . وكان مع ذلك يرى انه مما ينافي الشرف ان يتخلى عني . ولقد بدأت يومئذ ارى ان الحب هو شعبة من الجنون حقا ثم اصبحت ربة بيت من احسن ربات البيوت فكنت طوال حروب طروادة اقضي نهاري فى نسج الطنافس وكنت ومعي جواري نعمل ونحن الى جوار منيلوس وقد كان مطمئنا الى سلوكي وكان هو من ناحيته ذا خلق كريم . وكان يبدي لي من الوان المودة ما يثلـج الصدر ويبهج القلب . واني لارى حقا ان تلك الحقبـة كانت اسعد الحقب فى حياتي .

مانتينون : هذا اقرب الاشياء الى الواقع . ولكن اشد النساء خمول ذكر فى بلاد اليونان كانت تستطيع ان تنافسك فيما كنت تحسبينه عيشا رغيدا .

والان فاني استودعك الله وداعا لا لقاء بعده ، فلقـد اقنعتني كيف يكون القليل من الشهرة والقليل من العظمة سببين من الاسباب المؤدية الى السعادة ...

القـاهرة مبـارك ابراهيم

ووقفت يده امام عينيها ، وسمعته يقول وهو يحدق بها ساخرا :

ـ بداخل قبضتي يتحرك مكعبان صغيران ، منقوش على كل وجه منهما، نقاط سوداء ، اني احركهما داخل قبضتي بحماس ، وابتسم لهما قبل ان اقذفهما من جديد .

ـ

ـ لقد تبين لك بدون شك ، اني لاعب ماهر ، لم اقصد اول الامر ان اربحك ، انك فريسة سهلة ، ولكن فجأة ابتسم شيطان بداخلي ،جعلني احمس الزهر ، لانه صديقي ، لاننا نتفاهم ، وبدات اربح ، وبدات تشتعل فى وجنتيك حمرة الغضب ، فاشفقت عليك وها انا اتوقف ، لاصارحك بالامر، اطيلي النظر هكذا، انك جميلة اعني لا بأس بك ابدا ، ولكن الانظار تحدق بنا فى هذه الحديقة ، لقد كنا مجال اهتمام الجالسين ، تعجبوا من امرنا ، ثم الفونا ، وحين توقفنا ، توقفوا معنا ليشاهدونا ، لا تنظري اليهم ، انهم فى اشد الملل ، فلا الرجال منصرفون تماما الى اراكيلهم ولا النساء الى قطع التطريز ، لقد كنا مجالا للابتعاد بهم عن الملل ،فدعيهم .

ـ

ـ كنت اقول ماذا ؟ انك جميلة ، ولا يغرنك هذا ، فالزهور فى الحديقة اليوم جميلة ، فمن يعلم غدا ؟

ـ

ـ اغلب الظن انك لم تقابلي بمثل هذا الكلام من قبل ، ذلك ان اكثرهم جبان ، يخشى ان يتحدث بما يجول فى خاطره ، اما انا فلم اعد اخشى شيئا ، حتى الموت ، لا يخيفني .

ـ

ـ اتحدث الان امامك وكاني اواجه نفسي ، لكبريائي بعض العزاء فى انصاتك ، ولكني وان تكلمت هكذا امامك فذلك لا لاسحرك باقوال غريبة عنك ، لاني اعلم بان ما اقوله كلام يتبدد كما تتبدد السحابات الخفيفة من فم الاراكيل ، وان بقي منها لديك شيء ، فسرعان ما تألفين ويأتي يوم تتحدث بما قلته انا ، شفتاك ، اننا خليط ، كل هذه الانسانية خليط اؤكد لك .. الافكار التي تأتينا من طيات كتاب ، مات صاحبه من زمن بعيد ، هذه الافكار تدخل هنا فى راسنا وتجول فيه لتصبح بين عصر وامسية ، أفكارنا نحن ، اين صاحبها؟ لقد خلط معنا ، كلنا خليط فى هذه الانسانية ..

ـ

ـ انهم عادوا الى مللهم ، الرجال يدخنون والنساء منكبات على قطع التطريز ، لقد تعودوا حديثي ، لقد تعودوا صمتك ، لا تعيريهم التفاتا ، اننا منفردان الان وبقربنا نافورة ماء وفوقنا سماء صافية الزرقة وامامنا

حديقة ونرد

بقلم الانسة رينه عبودي

طاولة نرد وتحيط بنا الاشجار من كل ركن ، ان مرافقك اليوم كئيب ، لا يعرف النظر اليك بسكوت ، لا يعلم كيف يكافىء شبابك الغض ، مرافقك كئيب .

ـ حين باشرنا نتقاذف الزهر ، كنت تظنين اني شاب مفتون بك ، تتصرفين بمرح وغنج ، تتوقعين كلمات تؤكد لك وجود الربيع والفرح والحب ، تؤكد لك انتصارك بضم معجب جديد الى زمرة المعجبين بك، ولكن لا يترك الراعي دائما احلامه العذبة تنام قرب الذئب .. لا ، لا تجزعي ، فيوم واحد لا يكفي لانتزاع امالك فى الاوهام الخضر ، فانا راحل عنك ..

ـ



ـ كأني بك تودين ان لا ارحل ، تودين لي البقاء معك ، احدثك هذا الحديث الجاف ، الاجوف ، غرورك يخبرك انك قد تتمكنين مني ، ولكني بصراحة اندرك اني لا اعرف الوفاء ، ولذتي فى الحياة مشبعة بالالم ، فلو اني سالقاك غدا وغدا، ما كنت لاجلس اليك الان وكلي اعجاب يقول : انت اروع ما خلق الله .

ـ

ـ ان وجيز هذا اللقاء يقويه ، يغلفه بالسحر ، بالحماس ، لو كانت حياتنا خلودا لكان لقاؤنا معها ، لقاء فيه نفور ، من اول لحظة ، ولكن النهاية المحتومة تجعل لذة لكل شيء

ـ

ـ حين تعودين الى الحديقة بدوني ستفكرين بهذا الرجل المجنون ،الذي اضاع وقته فى بعث اسطر فى الهواء، ستذكرينه ، شعورك بفقدي وتفقدي غدا ، يؤلف لذتك الان ، لذتك اليوم وانا معك ، انها لذة مرة .

ـ

ـ ان شعرك بلون الكستناء ، كنت احب الكستناء فى صغري، كنت اعتلي الاشجار واجمع بيدي عشرات منها ، واعود لاوقد النار من الاغصان اليابسة ، واضع عليها غنيمتي ، شعرك بلون الكستناء ، كانت القشرة تئن فوق النار ولكن القلب كان يدفأ ويدفأ ، لا بد ان تمر الكستناء على النار ، لان لاطعم لها قبل ذلك ،يجب ان تعرف كيف تتحمل ، ان القشرة وحدها تحترق ، اما القلب فيصبح اهلا للحياة ، شعرك بلون الكستناء ، كنت اعتلي الاشجار لاجمع منها ،.. نسيت الزهر فى يدي ، اين كنا بالله من اللعبة ؟

ـ ايها الرجل المضحك .

ـ مضحك انا حقا ؟

ـ لاتنظر حولك، الناس منصرفة عنا ، لا احد يؤيدك او لا يؤيد

ـ كان القائي جميلا ، وتأثيري رائعا .

ـ هذا كان فيما مضى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ كيف ؟

ـ حديثك بات كاركيلة ذلك الرجل الذي يدخن بالعادة ، بات كقطعة النطريز التي تحيك بها المراة وهي تفكر بامر اخر .

ـ

ـ لقد نفذ وفاضك ، انا ذاهبة

ـ تتخلى عني .. لا احد يؤيد . لا احد يصغي .

*

اذا كانت تريد الذهاب فلتذهب، مللت بدوري المكوث في نفس هذه الحديقة ، مللت هذه الكؤوس الصماء الصامتة ، ارهقت اعصابي بالبحث عن الجديد ، مثلت لها الوف الادوار فتعبت هي وتعبت انا ، وظللنا مصرين مستمرين كان العادة التي احتقرناها باتت تحتكرنا ، سانصرف من هذا الربيع الاجوف ، ربما يلذ لغيري الجلوس على هذا المقعد ، اما انا فشعر وجهي قد اصبح لحية ، ارى صورتي في المياه ، فلا اعرف نفسي ، اتراني قديسا اتراني شيطانا ، كنت اتحدث منذ قليل وانا ارى نفسي بعينيها شابا وسيما معقدا رغم البساطة التي يدعيها ، كنت ارى نفسي بعينيها شابا فاتن التقاطيع ، ذكي الحديث ، ساحر البسمة ، وكان هذا احب الادوار الى نفسي ، لطالما عشقتني عشرات الساذجات حين رددته بنغم معين امامهن ، واتبعته بفترة صمت ونظرة حزن كلها دعوة الي ، وكن يقبلن كالفراشات المنورة لاضاءة ظلمة نفسي ، ولكم احببت نفسي ، ولكني وانا اتأمل المياه ، اجد اني كئيب فعلا ، كئيب بشكل مفزع، كآبة لا تحبها الساذجات ، لانها حقيقية ، كنت احب هذا الدور انجح به دائما ، ولكن هذا الكلام يلزمه وجه فاتن ، قوام ممشوق ، قبضة من حديد ، وفجاة ارى شعري رمادا ، ارى نفسي ، منتصبا كالابله في الحديقة .. مضت عني ، الى اين الجا ؟ لقد تعودت هذا المكان ، ربما العادة هي التي قتلتني ، صرعت مواهبي .

ولكن لا ، تلك الشجرة بدات معي بدون ان تعي واينعت مثلي وها هي ذاهلة تقف وكانها تنحني ، ولكن اتراها الشجرة ام ترى الذي اراه ظلي ؟

احلامي الان ، ماذا عن احلامي ؟ لا شيء .. في الافق اقرا صفحة من ماض ، صفحة من كتابي ، الانسان خليط ، قسم من ذاتي قد عانق هذه الانسانية الازلية .

لقد كانت حبيبتي جميلة ، ولكني نسيت شكل وجهها ، انهن كثيرات ، وربما كان هذا سبب ضياعي .. لقد كانت حبيبتي جميلة ، ذهبت للتو عني ، كانت اغنية حلوة اسميتها : سعادتي .

حلب — رينه عبودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصوات

مجلة تصدر أربع مرات في السنة

للثقافة والأدب والفن

مجلّة كلّ مثقّف

يمكن الحصول عليها من كبريات المكتبات في جميع أنحاء العالم العربي

تصدر عن :

ULP UNIVERSITY OF LONDON PRESS LIMITED
WARWICK SQUARE LONDON, E.C.4

الى ذات

الثوب الناري



فـؤاد الخشن

من اسرة الجبل الملهم

•

الشويفـات

لا تلبسي فستانك الناري
اخشى على زنديك من ناري
وجنون تيـاري !
يا وردة بيضاء طالعة
فى فجر ايـار
يا زنبقا متفتحا عاري
فى شرفة الجار
فى دار من تهفو له داري !

*

يـا ثوبها الناري يا لهبا
مترنحا بحروف اشعاري
يا لون قرميد بضيعتنا
سالت عليه دموع آذار
فرشت عليه الشمس مئزرها
متلمعا كالجـدول الجاري
مترقرقا شـــلال انوار !

*

يا رقة تغري بما تبدي
مـن بعض ازرار
يـا زهر رمان انتفه
بالبـوح ...
قد نتفت اسراري
وكشفت للابصار اغواري
فغدوت اغنيـة بضيعتنا
وحديث سمـار

*

يـا رائـــع الطيات ...
يصرعني هذا الحرير
بطيبـه الساري
بالنمنمات علـى شواطئه
يتلهف ، فى الخصر ، منهـار
فاترك يـدي للفلفلات هنـا
وهنـاك يـا ضوءا
يـؤرقني
يـا حوض ازهار
فى شرفة الجار
فى دار من تهفو له داري !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لحظات تأمل

بقلم فيكتور روزوف

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

يحسب احدنا دائما ان الدروس التي يتعلمها من «عملية» الكتابة تبقى شخصية تماما ، فهي بخصائصها الفردية وسماتها الخاصة ، تتنافى والتطبيق العام، ربما هذا صحيح، ولكنني مع ذلك مهتم كل الاهتمام بقراءة كل ما له صلة بعملية الكتابة ولا سيما بما يدبجه الكتاب انفسهم . وقد تثيرني هذه الكتابات اثارة عميقة احيانا ، واحيانا اجدها غريبة عن ذوقي ، وايا ما كان الامر ، فانني اطالعها باهتمام واجدا فيها ذخيرة للتأمل .

وسأحاول – فى هذه المقالة – ان اعرض ارائي الذاتية عن بعض المشكلات المنبثقة من عملنا آملا ان تكون ذات فائدة يسيرة او كبيرة . وعلى كل ، فانا اذ آخذ على عاتقي هذه المهمة المحتشمة اشعر منذ الان بانني لن انجح، كما يقال، فى التغلغل الى صميم القضايا ذات المساس بعملنا

انني اتكلم بصراحة فى المحافل على اختلاف ميولها واتجاهاتها (الفنية) وكلما كنت افعل ذلك كنت اتلقى اسئلة لا تخرج ع ن: كيف حدث لك ان كتبت هذه المسرحية او تلك ؟ ومما انطلقت ؟ وليس من السهل دائما الاجابة عن مثل هذه الاسئلة . فانت حين تكون قد انهيت كتابة مسرحية قد تكون نسيت الحافز الاولي الذي هو ولا شك علة الكتابة باسرها . لقد سمعت مرارا ان الكتاب يعدون هذا الحافز شخصية شاهدوها او محادثة استرقوا السمع اليها ، او عبارة عابرة او حتى كلمة تفوه بها (احدهم) .

اما انا شخصيا فاعتبر الحافز الاولي – فى مسرحياتي – فكرة تعلقت بذهني متأتية من بعض مظاهر الحياة . وكثيرا ما تسبب هذه الفكرة قلقا فى نفسي على اعتباري فردا من افراد المجتمع . فقد يسرني شيء مما اصادفه فى الحياة ، ويضيرني شيء اخر ، وعندئذ اشرع فى التعجب بما احب وابدأ العمل فى رفع شأنه والحث على الاسراع بانمائه ، اما الشيء الذي امقته فاعمل على اجتثاثه من الحياة جملة وتفصيلا . وهنا لا بد لي من تقديم مثل :

قبل كتابتي مسرحية (الحظ السعيد) بمدة ، لحظت ان الشبان الصغار الذين يكملون دراساتهم (الثانوية) يريدون الالتحاق بالكليات راسا . والعديد من هؤلاء الذين نالوا شهاداتهم حاولوا الاستمرار فى الدراسات العالية ونتيجة لذلك ظلوا عالة على غيرهم حتى اواخر العقد الثاني من اعمارهم . اما الصبيان والصبايا الذين اشتغلوا بعد (المرحلة الثانوية) فقد عدوا من الفاشلين او الكسالى. ومع اني ارى ان يتعلم الانسان طوال حياته وان يجرب اصلاح شأنه ، فى كل وجه من وجوه الحياة ، فانني لم ار عيبا او مثلبة او دلالة على الفقر الاخلاقي او العقلي في التعود على العمل مبكرا قصد الحفاظ على الاستقلال الذاتي ، واعني بذلك قدرة الانسان على تجهيز نفسه بالطعام واللباس والمأوى ، استنادا الى ما يحصله الشخص بنفسه . وهكذا فالشاب الذي يعيل نفسه وربما عائلته يبدو لي بطلا بعض الشيء .

اما الفكرة الثانية التي ساورتني فهذه هي : كم من الشبان والشابات اصبحوا مهندسين او عمالا علميين ، وطالما ، مع الاسف ، ظلت هذه الالقاب كلمات فارغة ، باطلة الاثر ، لان الذين نالوها من طريق القصور الذاتي وليس من طريق الرغبة العارمة فى العمل فى مجال من مجالات الحياة . ربما كنت شاعرا بحدة بهذه الحالة ، لانني بدأت الدراسة فى كلية صناعية ، ولم يكن ليحدوني الى ذلك سوى نوع م ن القصور الذاتي الذي هو ابعد شيء عن داع من دواعي الحياة . وبعد ذلك دخلت الى معهد ادبي ومدرسة من مدارس (الدراما) حيث اسرتني حماسة حقيقية ، وعلى ذلك اصبحت افهم الفرق بين تلك المشاعر والافكار التي جربتها حين كنت فى الكلية وبين تلك التي تمرست بها وانا ادرس الادب فى مدرسة (الدراما) . كان الفرق بين هذين الضربين من المشاعر كالفرق بين الارض والسماء . ففي المكان الذي كنت اعمل ما هو مطلوب مني، كنت احترق بدون لهب ، فى حين كنت شعلة تتأجج كلما دعيت الى محاضرة من المحاضرات (الادبية) وكانني على موعد مع فتاة من الفتيات .

ومن تقليبي لهذه الاشياء وامعان فكري فيها تمخضت فى ذهني فكرة كتابة مسرحية عنها ، فقررت ان ابعث الحياة فى (شخوصي) ببركتي . وطبيعي ان المسألة (الحساسة) لاتتعلق فى كيفية الشروع فى بناء المسرحية ولا باقتناص الحافز الاولي . لان هذا الحافز يقبل الى كل مؤلف بنفسه . انما المهم كل الاهمية تفسير هذا الحافز تفسيرا صحيحا ، بتصنيف مظاهر الحياة التي تعالجها والتعبير عن الفكرة التي تشغلك بكل ما تستطيع من جلاء وشمول وحرارة .

وقد يبدو مخطرا تناولي للعملية الاستهلالية فى كتابة المسرحية ، اذ ربما اتحول بذلك الى كاتب يعمل جهده للتبسيط العقلي فيلائم بين مشاعره والوانه وبين قضية خاصة م ن اختياره . وهنا ينبغي لي ان اقول كلمات قلائل حول (التبسيط العقلي) فى عملنا، وكثيرا ما يساء استعمال هذا الاصطلاح فيعتبر عارا يلصق بالمؤلف ، ومع ذلك فالتعبير يشمل شعورا يتألف من ذكاء وحكمة ، وهذا ما نراه فى تولستوي ورومان رولان . والحالة تنقلب الى الضد

اذا لم يكن للمؤلف فكرة واحدة يريد ايصالها ، او تكون لديه قبضة من آراء الاخرين . وهذا النوع من التبسط العقلي زهيد القيمة ، عقيم الفائدة ، باعث على الاشمئزاز، وكلا تولستوي ورولان كان يمكن ان يكونا خطيبين ومبشرين حسب بدلا من ان يكونا استاذي الكلمة المكتوبة ، لو لم تكن احكامهما عن الحياة مفعمة بالروح الحية واللحم والدم، وهي جزء لا يتجزأ من لحم المؤلفين ودمهما وروحهما

واكبر الظن ان المشكلة الرئيسية في مسرحياتنا تكمن بالضبط في حقيقة التبسط العقلي الجاف الذي لا يتحول الى لحم ودم وروح ، اي ان (الشخوص) لا تتحرك على وفق العواطف والمشاعر بل بدافع قرارات المؤلف المتعسفة، وبدافع ارادته التي لا تكون على انسجام مع الكائنات الحية التي تملك حياتها الخاصة في الفن، مستقلة عن ارادة الكاتب.

ومهما يكن من امر ، فانني لا ارغب ابدا في ان اعزو بعض الميزات السرية لـ (لبطل) الذي انبثق من ذاتي ومن ابداعي ، فهو يعمل على حسب ما تشاء اهواؤه ، لانه لم يعد في نطاق مراقبتي وسلطتي . وليس لي الا ان اذكر ذلك بسبب بعض البيانات الغريبة التي قد تعثر بها في بعض المقالات .

ان علاقات شخصية المؤلف مع شخصية (البطل) علاقات معقدة ، وهي تماثل شخصية الممثل بصلتها بما يمثله من شخصية . وشخصية المؤلف هي ولا شك القوة القائدة الرئيسية ، ولكن عليه ان يتذكر بل يشعر ان شخصية (البطل) مادة سهلة الكسر ، وعليه ، فاذا ما عالجها بعنف وفضول حطمها وحولها الى غبار. فـ(البطل) الذي ابدعه المؤلف قد يثير احيانا امورا كثيرة ينبغي ان تؤخذ بنظر الاعتبار وتصنف وتوضع في مواضعها الملائمة .

ومع ذلك فقد اسرعت قليلا في ذكر العلاقات بين المؤلف و (البطل) ، اذ كان يجب علي اولا ان اتكلم على ولادة البطل ولا سيما لحظة الولادة، ولحظة تنشقه نسمة الحياة، هذه اللحظة التي يصعب التقاطها لانها تحدث فجأة وبصورة غير متوقعة تماما . انها حقا لحظة سعيدة بالغة السعادة ، ولكنك قبل حدوثها كنت تتجرع عذابا لا بد انه دام طويلا. قد تبدو كأنك حصلت على الموضوع والفكرة والوضعية الملائمة والعبارات السديدة ايضا ، ولكنك حين تبدأ الكتابة تشعر بـ (الشخوص) تتكلم كالدمى لا كالبشر الاحياء . وفجأة ينطق احدهم بصوت انفرادي يبعثر الوضعية التي ابدعتها باسلوب غريب ، ويقلب مجرى الحديث راسا على عقب . وهذا يعني ان الامور اخذت تسري مسراها الصحيح : وعليك ان تبادر الى العمل فعلا نابذا ما ابدعته من قبل مما حسبته اصيلا ، غير اسف لان ذلك لم يكن سوى مادة تافهة . ونضرب لذلك مثلا :

اذا كنت في يوم ما قد فكرت بكل تفاصيل ما انوي كتابته في اليوم الثاني ، وحتى لو سطرت على الورق الشيء الكثير ، فهذا لا يعني بانني ساكتب بطريقة معينة . بل على الضد من ذلك ، فانا اذا جلست الى المائدة ذات صباح وليس في رأسي سوى ما كان فيه قبل يوم ، تطلب الامر الانتظار قبل الشروع في الكتابة . ذلك بان مادة الامس غدت مادة ميتة بالقياس الي ، لما فيها من سأم ، وهذا ما يجعلني انتظر شيئا جديدا كل الجدة ، شيئا تلقائيا انتظره بفارغ الصبر .. وبعدها يقبل ذلك الشيء ، فما ابهج قدومه ، وعندئذ ابدأ الكتابة !.. وربما تسألني لماذا شغلت نفسي بالتحضير امس من اجل اليوم الذي يليه ، مع العلم بانني لم استعمل ما حضرته . ان التحضير كان اعدادا وقاعدة واساسا لما يمكن الشروع فيه .

ومع ذلك فقد يحدث ان يظهر (بطل) حي في مستهل نتاج احدنا ، وقد يعد ذلك موهبة من الالهة ، ولو انه في اغلب الاحيان نتيجة مادة متجمعة متراكمة .. وثمة شيء اخر : ان الذي لا يجرب تلك اللحظة السعيدة ، لحظة ولادة (البطل) لن يفهمها ابدا . ولكن يكفي ان تكون قد شعرت بتلك اللحظة مرة واحدة في حياتك ، لتبقى في نتاجك نجما هاديا لك تسعى جهدك للوصول اليه . فانا ـ مثلا ـ احكم على مسرحياتي قياسا على (الابطال) الاحياء الذين ينخرطون فيها. ولاكن صريحا ان هؤلاء ليسوا من الكثرة الى الان . ان احبائي منهم هم : سفيتلانا (١) وكوستايا(٢) وفيرونيكا(٣) واندريه وانستاسيا(٤) ولابشين الاب والابن(٥) .

ومن اعمق الكتب التي قراتها عن ولادة (البطل) كتب ستانسلافسكي حيث يتناول المؤلف ولادة (البطل) المسرحي وحيث يتشابه عمل الممثل كل التشابه بعمل المؤلف. وبوجه عام ، اني اخير ما يعين (الكاتب) الدرامي هو طريقة ستانسلافسكي .. ولاعد الان الى اختيار الموضوع : طبيعي انني كأي من الناس مهتم بسلسلة واسعة من الاسئلة . ولكن اعظم العباقرة لا يمكن ان يكونوا من الشمول بحيث تتسع عبقريتهم لكل شيء ، ومن الملاحظ، اغلب الاحيان، ان مجال بصيرة هذا الدرامي او ذاك محدود بمنطقة خاصة من مناطق الحياة ، ومع انني احسب مدى بصيرة بوشكين او شكسبير مدى مثاليا ، الا ان تركيز الانتباه على قطاع صغير ينتج هو بدوره نتائج ايضا .

ومما يبدو لي دائما ان كل كتاب العالم يمرون خلال الحياة وكل منهم يحمل مشعلا به يضيء هذه الزاوية من زوايا الحياة او تلك . والنتيجة الحتمية لذلك تكون صورة واسعة (لهذا العالم) . اما مدى انارة الشعلة وعمقها فيعتمدان على قوة التيار ومعاييره .

فالى اي اتجاه يجب توجيه ضوء اي مشعل من مشاعلنا؟ وهذا امر يكتشفه كل منا على حسب ميوله الشخصية . فقد يحملك امر من الامور على هذا السبيل وليس على

(١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) هم ابطال مسرحيات الكاتب بالتسلسل : ١ (اصدقاؤها) ٢ ـ (صحفة من الحياة) ٣ ـ (الحي الخالد) ٤ ـ (الحظ السعيد) ٥ ـ (سعيا وراء السعادة) . المترجم

سواه . ومما لا شك فيه ان ذلك يعتمد على تجربة الحياة، ولكن الشيء المهم يستند الى الجاذبية الايمائية . فعلى اي منا ان يكتب حين يشعر بالحاح دافع على الكتابة ، وهذه مسالة معروفة . ولكن قد تتغير ولا تجري هذا المجرى . ومن ذلك انني لست خجلا اذا اعترفت بأنني حين امعنت فى التأمل فى كتابة مسرحيتي الثانية (صفحة من حياتي) وضعت لنفسي مهمة عملية محضة : فقلت لنفسي: انني ساكتب مسرحيةلا اعرف شيئا عن موضوعها، ومن طريق هذا الاختيار سأعرف عما اذا كنت قد اصبحت كاتبا مسرحيا (عظيما) ام لا ، وعلى الضد من ذلك ، اي لو اخفق هذا الاختبار ، تكون مسرحيتي قد اصبحت عملا فاشلا ، وهو ما يحدث فى الحياة الادبية كما نعرف .

نعلك تقول ان هناك شيئا ساذجا خاطئا طفوليا فى الطريقة التي استخدمتها حين عرضت المسالة بالقياس الى نفسي ،ولكنني حينئذ فقط فهمت ما لاهمية ارادة المؤلف من دور فى عملنا بالاضافة الى ميوله ورغباته .

وفى غضون عملي جذبني جانب معين من الحياة ،الجانب الذي اصبح قريبا الي عزيزا علي ، ولاقل جانبا «شخصيا» وحينئذ وجدت نفسي اكتب مسرحية فى موضوع محبب لي ، على حين انه كان غريبا علي فى البداية .

وفى صدد الجدل ، كثيرا ما نسال : هل من الممكن ان نكتب فى موضوع مدروس ؟ الا يعني ذلك تدنيسا لعملنا ؟ اعتقد ان ذلك ممكن ولكن بعد ان نتناول الموضوع المدروس، الذي كان لاول وهلة غريبا لديك ، ثم تتعمق فيه وتعده اعدادا يتمشى وذوقك (صابا فيه الحياة) .

ان اعظم شيء اهتم به فى الحياة هو المشكلات الادبية والاخلاقية : وحين افكر فى المستقبل .. فالقضية التي تجتذبني اكثر من غيرها هي موقف الناس بعضهم تجاه البعض الاخر .. (ذلك بأن التاريخ) يعلمنا ان الانسان لم يتحمل الما يقاس بها تحمله من اخيه الانسان . ومن هنا ، فان علم السلوك الانساني فى المجتمع هو اهم علم لانه يتضمن العلم والاخلاق والفن فى الوقت نفسه . وحين ادرس مآثر شعبي ليس فى العمل حسب بل فى الفضائل الاخلاقية العليا وما يتمتع به من قوة روحية اجد نفسي على حق فى تحمسي وايماني بأن مثل هذا الشعب سيكون اهلا بالمستقبل السعيد ...

ولما كان المجتمع (الفاضل) لا يعنى تنظيما رفيع الشان حسب بل تنظيما انسانيا ايضا ، فاول مطلب لهذا المجتمع لا يتحقق الا بتعلم الناس كيف يسيطرون على عواطفهم . وان المثل الاعلى الذي اشار اليه هاملت بقوله : « ان على الانسان الا يكون عبدا للعواطف » لا يزال صادقا كل الصدق . ومع ذلك ، فليس من السهل احيانا معالجة القضايا الاخلاقية والادبية ، ذلك بأن كل انسان هو عالم بحد ذاته ، وهو عالم دقيق كل الدقة ايضا كالكون نفسه ، ومن اجل التعرف عليه ينبغي قبل كل شيء التقرب اليه باعظم الحب واحسن النوايا .

وبعد ، فلي ان اقول بعض ما يتيسر من الكلمات عن الشكل فى الدراما . انني اتفق بكل قلبي مع الفكرة القائلة: ان الشكل والمضمون وحدة واحدة ، ولا ينبغي ان نفضل الشكل على المضمون بأي حال من الاحوال . ومع ذلك، لا بد لنا ان نفكر مليا فى مشكلة الشكل فى الفن وان ندرسها بجد . ومثال ذلك بالقياس الي ، انني ملزم ان اهتم ابلغ الاهتمام بكل مسرحية من مسرحياتي من البداية الى النهاية ، من النظرة الاولى الى انزال الستار ، وان الحظ بعين الدقة كيف تبدأ المسرحية وكيف تنتهي والشكل نفسه يجب ان يكون فرديا وشخصيا . وعلى كل ، فان كتابة المسرحية لا تشبه طبخ طبخة معينة بعد استدانة ادواتها من جارك، فهذه امور لا يصح فعلها ولا الركون اليها.

(ومن الجدير ذكره) ان الموضوعات المعاصرة بحاجة الى اشكال جديدة . ولا زلت اذكر كيف ان المشاهدين اثيروا بمسرحيات بوغودين الاولى او بمسرحيات فشنيفسكي التي حركت عواطف كل انسان لا بجدة موضوعاتها حسب بل بجدة شكلها ايضا ..

ثم لي ان اقول كلمات قلائل عن فكرة المعاصرة . لقد كتبت وارغب ان استمر فى الكتابة عن الموضوعات المعاصرة فقط ، وقد يتصور بعضهم الا داعي للقلق بشأن هذه المسالة ، ولكني على الضد من هذا التصور وهذا هو السبب. كثيرا ما تكون المسرحيات التي وضعناها عن عصرنا بشخوصها المعاصرة واضحة ، ويكون المؤلف قد وضع فى البرنامج الكلمات : الوقت الراهن ، ولكنك حين تشاهد هذه الشخوص او تطالعها (فى الكتب) تشم رائحة العث ، رائحة النفتالين . وذلك لا يحدث الا لانك قد اربكت انسجام عصرنا (وبعثرت وحدته الزمنية) . يبدو لي قبل كل شيء ان الانسجام ونبض الحياة الحديثة هما مانفتقده فى بعض مسرحياتنا . ان الانسجام هو الميزة التي تجعل المسرحية مفعمة الشعور بمصريتها وتدعونا الى البحث الدائب عن الاشكال الجديدة ، فينبغي لنا ان نلتقطها في الشارع وفى السيارة والمعمل والبيت وفى كل مكان . والى ان يفعل احدنا ذلك عليه ان يتانى فى كتابة المسرحيات عن الموضوعات العصرية ، والمسرحيات التي تفتقد الى هذه الميزة هي مجرد اطروحات فى هذه المسالة او تلك .

والنقطة الاخيرة التي اود التحدث عنها فيما يخص عملنا هي وضع الخطط والتصميمات . يقال ان الالهام شيء شديد الزوغان ، واذا كان الامر كذلك فعلينا الامساك به بكل ما عندنا من حول وقوة .. ان الكاتب هو منظم وقته ، فعليه ان يتحكم فى ارادته ، وعليه ان يعمل على وفق جدول وقتي خاص ، اذ ان هذه الوسيلة هي احسن وسيلة منتجة ، كما ان عليه ان يخصص من وقته مجالا للاستجمام التام لان كل ذلك يعينه على التصميم الصحيح.

اربيل ـ العراق **يوسف عبد المسيح ثروة**

رجـــل تـــاريخ وادب

المعـلم نقـولا الـتـرك

بقلـم نسيم نصـر

نحن في ما نهم به من تعريف مقتضب ، مع رجـل جاء ربيب الحقبة التي حفلت بطلائع الحركة التي ميزت لبنان بالنشاط الممهد لبروزه ، في العصور الحديثة ، وطن رسالة ثقافية لا يتخلى عنها ، وان خبا نورها ردحا من الزمن . وهذه الحقبة هي المرحلة من التاريخ الواقعة في النصف الثاني من القـــرن الثامن عشر . اما الرجل الذي نعرفه فهو نقولا بن يوسف بن ناصيف آغا الترك . وسنعتمد في معظم ما سنورده من معلومات على تحقيق للاستاذ فؤاد البستاني صدر بـــه مجموعة النصوص والوثائق والديوان ، وهي جملة مـــا خلف هذا المعلم المؤرخ الاديب .

ولد نقولا الترك في دير القمر سنة ١٧٦٣ من اســـرة يونانية الاصل ، نزحت الى لبنان من عاصمة بني عثمان ، في اوائل القرن الثامن عشر . وكان نزوحها لجوءا الى حمى الامير بشير الشهابي ، الملاذ الوحيد آنئذ للحرية فـــي الامبراطورية العثمانية . وتمييزا لهذه العائلة من العائلات الوطنية المولد عرفت بصفة « التركية » ، وغلب على نقولا لقب « الترك » .

وقد لازمت نقولا الترك صفة معلم من ممارسته تعليـم مبادىء القراءة والخط بعض ابناء الاسر الارستوقراطية .

واتصل بالشهابي الكبـير فمدحه ومضى يخدمـه فـي شؤون عامة واخرى خاصة ، وعرف بشاعر الامير . ولـم ينقطع عن معية اميره الا فترة قصيرة ، يرجح انه كان خلالها في حمى الشيخ بشير جنبلاط ، ريثما يزول اثر الصدمة التي تعرض لها بعد مقتل ابيه مع جرجس باز بأمر من صاحب قصر بيت الدين اذ شاء ان يقضي على حركة ابناء الامير يوسف

وكان نقولا الترك قد زار مصر واقام فيها مدة كانت كافية لتعرفه احوالها ووقوفه على مبلغ قواها الحربية ومواردها الاقتصادية . وقد ساعدته على ذلك صداقات وثقها ببعض المقيمين في وادي النيل من ابناء بلاد الشام . وقد افـاد الامير بشير من اطلاع شاعره على احوال القطر المصري ، فعهد اليه ان يراقب الاحتلال الفرنسوي ، الذي جاء في اعقاب حملة بونابرت على مصر ، اذ كان الامير يخشى ان يمتد الغزو الى فلسطين ومنها الى لبنان . ويبدو ان امانة الترك لسيده الامير قد كلفته جهدا كبيرا وعرضته لمخاطر كثيرة . وقيل انها كبدته خسارة احد انسبائه ، وربمـا كان اخاه ، اذ كان على ناقل المعلومات العسكرية السريـة التي حمله الترك اياها ان يمر في منطقة حكم الجزار . وصاحب هذا القول الكسندر كردن الذي كان مقيمـا آنئذ في عكـــا .

وهكذا يرجح ، في رأينا القول بأن نقولا الترك كان مؤرخ تلك الفترة اكثر منه شاعرها ، اذ يعتبر مرجعا لكثير مـن الناظرين في شؤون تلك المرحلة من تاريخ الحملة الفرنسوية على مصر . وقد ورد في تحقيق البستاني الذي استندنا اليه ان المستشرق ديفرانج قد عنى بنشر قسم من معلومات الترك التاريخية في باريس ، ويقال ايضا ان الامير حيـدر شهاب في تاريخه الكبير « الغرر الحسان في اخبار ابنـاء الزمان » قد اعتمد الترك مرجعا في بعض ما يتعلق بالمعلومات الخارجية ، لتلك الفترة الحافلة بالاحداث .

ولم يفت شاعرنا ان يجعل من شعره ايضا سجلا لعديد من الاحداث الخاصة الى جانب الحوادث العامة والمدائح الهامة وغير الهامـة .

وفي سنة ١٨٠٤ عاد المعلم نقولا الترك الى دير القمـر ليزاول من جديد مهمة التدريس . وان كان « قد عـاود التدريس بفضل مكايد ابليس » ، على حد قولـه في هذه السجعة ، فانه ما « خرج من القاهرة بثروة وافرة » على حد زعمه ايضا ، والا فلما كتب مقامته المعروفة بـ«الديرية» وقدمها الى مولاه الامير بشير ، تلك المقامة التي لولا براعة الاستجداء فيها وتحقيق الحلم الذي اشتملت عليه لما كانت له الدار الوسيعة التي ما تزال بعض جوانبها اثرا من اثار الهندسة المعمارية اللبنانية في القرن التاسع عشر .

واختلف في تعيين سنة وفاة نقولا الترك ، الا انها بوجه الترجيح كانت سنة ١٨٢٨ على ما يؤكده الاب لويس شيخو. وما يزال مدفن مترجمنا الاديب المؤرخ في ساحة كنيسة مار الياس للروم الكاثوليك في دير القمر ، وعلى احـدى بلاطاته ابيات من شعره اوصى ان تنقش على قبره .

وديوان الشاعر الترك حافل باوصاف حياته الخاصـة والحياة العامة في زمانه . فمنه نعرف ان شاعر الامير لـم يكن له مرتب خاص وانما كان رزقه يأتيه ، في قليله وكثيره ، عن طريق الشعر الذي تجود به قريحته وفـقا للظرف وقضاء للحاجة . ولا يجوز ان تفوتنا الاشارة الى ان الامير الشهابي الكبير له النصيب الاكبر من ديوان شاعره ، فلم يترك شاردة ولا واردة من حياة الامير وعنـها دون ان يسجلها شعرا . وللشيخ بشير جنبلاط النصيب الثـاني من هذا الديوان ، كما لقصر المختارة الحصة الثانية بعـد حصة قصر بيت الدين . واما بقية الديوان فمتوزعة على الكثير مما لا مجال الى عده وحسابه . فشعر الترك سجل خاص عام : فيه من مثل ارجوزته في وبـاء الطاعون ذات القيمتين الصحية واللغوية ، الى مثل ولادة حمارته ، وموت برذونته ، واطلاق لحيته . . . !!

وقد امتد حب النظم عند الترك الى مزامير داود فحول بعضها الى شعر . ولكن هذا المنظوم البالغ عدد صفحاته

الاربع مئة من القياس الكبير من الورق والذي حسب كله شعرا بمقياس الشعر فى تلك المرحلة من عمر الادب العربي، لا يرقى ، فى الكثير من ابياته الى مستوى يضمن له بقاءه لولا ما فيه من تاريخ لانجده فى مكان اخر ان اهملنا من هذه المجموعة ما لا يطيب لنا ان ندخره شعرا .

وقبل ان نقدم بعض المنتقيات من شعر الترك يجب ان نذكر انه شغل بالسجع فعرج به على فن المقامة ، فكتب فيه احدى عشرة مقامة نستطيع ان نسميها تبسيطا لهذا الفن ، اذ جاءت هذه المقامات سهلة العبارة واضحة الاشارة تنزل فى بعض سطورها الى الركاكة ، فى حين تميز اصحاب المقامات ، هو مشهور عنهم ، بصفة القدرة على اللغة : فى صلابة معادنها وغرائب معاجمها وشوارد امثالها واسمائها. والترك تعوزه ، بصورة عامة ، شدة الاسر فى انشائه ، وبصورة خاصة لا يسلم بيانه من سقطات القواعد واللغة احيانا .

واول ما يبدو لنا ان نقدمه فى هذا التعريف من المقاطع التي اخترناها من متفرق شعر الترك هي ابيات فيها من حلاوة النفس ولين الطبع ، وفيها تواضع الاعتذار عن الخطأ . قال :

يا اهل الكمال رفقا بشخص ... لالتماس السماح قد جاء يسعى
عز من قال : اغفروا بخلوص ... للقريب المسيء سبعا فسبعا
والذي قد اقر بالذنب جهرا ... يستحق السماح عدلا وشرعا
فهبوني اسأت فالعفو اولى ... بالذي قد غدا به العفو طبعا

ثم نقدم غزلا لطيفا يصلح نموذجا للاسلوب التقليدي فى وصف محاسن المرأة . وهو غزل صدر به مدحا فى عني بك الاسعد . قال :

كم من عسال ان خطرت ... يخجله ذياك القد
قسما بمحيا طلعته ... كم نذرى بدرا اذ تبدو
وجبين خط الحسن به ... نونا فيها حسن المد
وبماضي لحظ فتاك ... مهج العشاق له غمد
وشقيق فتح فى خد ... من حمرته غار الورد
نعمان الحسن به ملك ... ريحان الخال له عبد
وبثغر عذب حاز على ... شهد ما ماثله شهد
وبجيد نجم الصبح له ... طوق والبدر له عقد
وبصدر فياح لالي ... فى صحن لجينيه النهد
وبخصر ممشوق يحكي ... عن رقته ذاك البند
ما باهى الفخر ولا استعلى ... فى الدهر ولا اعتز المجد
الا بعلى الهمة من ... فى مدحته طاب النشد

وله من مدح فى الامير بشير ، وقد انشأ قناة اجرى فيها ماء نهر الصفا ، المعروف بنبع القاع ، الى قصر بيت الدين . قال :

فخر الموالي الذي دامت مآثره ... وعطر الكون زاكي طيب شذواها
انشى قناء روى منشاه عن همم ... علية عن ملوك قد رويناها
قد الصخور وهد الشامخات له ... ومهد الارض اعلاها واوطاها
وفيه اجرى من الامواه اغزرها ... نبعا واعذبها طعما واحلاها
فبادرت من اقاصي الارض ساعية ... الى حماها تفالي فى هداياها
واسقت العشب والاوعار عذب صفا ... زلالها فارتوت من شهد مسقاها
واخضل كل كثيب ذاق مشربها ... والبست كل غيض ثوب نعماها
والقفر اضحى فراديسا منورة ... تحي النفوس بباهي حسن رؤياها

شعر

البحر الغاضب لم ينم ..
الشاطىء من يأس يبكي عنف الموجه
فى البحر كنوز من حلم
فى القاع لئالىء .. تغفو فى القاع البهجه !
فى البحر طيوف من امل تغفو حيرى
تحلم فى دنيا اخرى
فى عين ترقب .. تتلظى خلف الموج
فى حبل يخرق فى عنف عمق اللج
ينقض باحلام حرى
ويذيب تلال الثلج عن الدنيا الاخرى .
يا عين الله تشع على ليلي الداجي
فى البحر تمطت لي افعى
انياب مزقت الشبكه
ولسان ينصب لي شركه
والحوت على حلمي اقعى
ليحطم فى البحر زجاجي
ويشد بقلبي فى عنف نحو القاع
يغرقني .. يجتاح شعاعي ..
يحرمني حتى من املي !
يا عين الله تطل على دربي القلق
وتلون حلمي بالشفق :
ان ظل الحبل يضيق .. يضيق على عنقي
يجذبه حوت .. يجذبني
ويشد بنا نحو الغرق
أتدب حياة فى قمري
أشع الجوهر بالالق ؟!

طولكرم

وليد محمد ابو بكر

ومعجلات الفلا اضحت مباسمها ... مفترة عن سنا زاهي سناياها
واقبلت بالربيع الغض مخصبة ... بكل مزهرة قد طاب مجناها

ولما كان الترك معرفا شاعرا فى هذه اللمحة ، كان لا بد لنا من الاشارة الى اكثاره من التاريخ الحسابي الابجدي فى مناسبات كبيرة واخرى صغيرة. وهذان بيتان منقوشان على لوحة رخامية فوق السبيل الذي انشأه الامير بشير سنة ١٨٢٤ :

انشى البشير الى البرايا موردا ... سلساله من جنة يتحدر
رضوان ارخه وجاء مناديا ... الكاس يطفح والمناهل كوثر

نكتفي بهذا القدر من التعريف بشعر الترك ، مذكرين بأن شاعر الامير ، كان ، على خفة شعره فى موازين النهضة الحديثة ، ذلك الصوت الامين الداوي فى جوانب لبنان ، فى العهد الشهابي الكبير ، كبيرا فى ما سد من حاجة ادبية تاريخية لاءمت عصرها خير ملاءمة .

نسيم نصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقوى من العذاب

تمثيلية

بقلم ناجية ثامر

المشهد الاول

الام : ماذا تصنعين يا بنيتي ؟ منذ اكثر من نصف ساعة اراك مشغولة بهذه الصورة ، تختارين لها مكانا ثم تبدلينه ، وكانك لم تجدي لها مكانا لائقا فيجميع اركان المنزل..

جميلة : في الحقيقة يا اماه لم اجد لها مكانا لائقا .. اريدها ان تكون في مكان قريب مني لتكون تحت انظاري .

الام : ضعيها في الصالة.. في الواجهة

جميلة : الصالة لا ندخلها دائما . فهي مجعولة لبعض الضيوف ..

الام : في غرفة الجلوس ، حيث نمضي غالب وقتنا، وحيثنستقبل اصدقاءنا واقاربنا .

جميلة : ننظفها صباحا ، ولا ندخلها الا بعد الانتهاء من جميع الاعمال ، للخياطة او للجلوس مع الزوار .

الام : والله لقد حيرتني معك يا ابنتي

جميلة : ما قولك لو اعلقها في المطبخ ؟

الام : في المطبخ ؟ اليس في هذا مهانة واحتقار ؟

جميلة : (حالمة) لا اظن .. اننا حين نحب انسانا نضعه في اقرب مكان لدينا ، ليكون دائما تحت انظارنا .. نقوم صباحا ، ننظف المنزل ، ثم نمكث في المطبخ للغسيل والكي والطهي .. وحين انتهي من عملي غالبا ما اجلس على المقعد وانتحي هذا الركن من المطبخ ، لاخيط او لاطالع ..

الام : ولكن الناس لم يألفوا تعليق صور الاقرباء والاصدقاء الا في اليق مكان، في الصالة، او في غرفة الجلوس اما المطبخ فهذا مكان لا يليق ابدا ..

جميلة : اننا دائما نتعلق بالمظاهر، هذه المظاهر التي قلما تفيد وتنفع . اليس هذا المطبخ الصغير النظيف هو الذي نمضي فيه غالب وقتنا، وبين جدرانه نهيء معاشنا وقوت يومنا ؟ اليس هو المعمل الذي نستورد منه نظافتنا وقوتنا وكياننا ؟ ما الفرق بينه وبين بقية الغرف الا ان الغرف الاخرى جامدة لا حركة فيها ولا نشاط . بينما هو يزخر بالعمل المستمر والحيوية .. اننا نخشى على الستائر والتحف من ان تتلوث ببخار الاطعمة ودخان النار فنضعها في الاماكن الاخرى ، ولا نضع فيه الا الادوات اللازمة التي تتحرك كل يوم تحت انامانا ، الغرف الاخرى تحوي الاشياء الجميلة الجامدة ، والمطبخ ذو الجدران العارية يحوي الاوعية المتنقلة المتحركة ، التي يوحي مرآها وحده بالعمل والنشاط

الام : والله يا ابنتي لا ادري ما اقول لك ، افعلي ما بدا لك .

جميلة : سأعلق هذه الصورة الحبيبة هنا ، لتكون على مقربة مني ، وسأسعى ليكون مطبخي ابهج مكان في المنزل.. اذا كانت المقاعد والستائر تجمل الغرف الاخرى، فستزين المطبخ هذه الصورة .. وانها لاغلى من كل تحفة ..

الام : هيا يا جميلة ، علقي الصورةاني تريدين وتعالي لاعمالك التي تنتظرك

جميلة : لا تخشي ، لن تتأخر اعمالي عن موعدها ، هذه الصورة ستشاهد نشاطي اليوم وتباركه ..

الام : ولكن هذه الصورة ليست لاختك؟

جميلة : انها لجميلة بوحيرد ، وهي عزيزة علي كأختي .

الام : جميلة بو حيرود ؟ لا يا ابنتي، لا تعلقيها هنا .. ان في ذلك مهانة لها ...

جميلة : لا يا اماه ، بل ان في ذلك اجلالا لها وتقديرا للمجهود والعمل . العظماء ، واعني بعظماء النفوس ، لا يغترون بالمظاهر ، ولا يحبون الافرشة والستائر ، بقدر ما يحبون الطبيعة العادية الخالية من كل زيف وتصنع .. مجهودنا اليومي نبذله هنا . فالمطبخ بالمثابة لنا كالحقل للفلاح وميدان القتال للمحارب ..

وما يمنعنا ان نزين مطبخنا ونجمله ونزخرف اركانه لنجعله ابهج مكان عندنا ؟

الام : (متنهدة) جميلة بو حيرد .. انها في السجن يا ابنتي .. ويا ليتها كانت هنا معنا .. عوض صورتها ..

جميلة : لقد عملت جميلة وجاهدت . ولذلك يجب ان اعلق صورتها في المكان الذي نعمل فيه ، لا في المكان الذي نستلقي فيه ونرتاح على الوسائد والمقاعد .. اريدها ان تكون دائما بقربي . وكأن عينيها مشدودتان لعيني بسلك سحري

الام : (تتنهد) افعلي ما يحلو لك يا بنية .. مسكينة ..

جميلة : لا ايا اماه ، لا تقولي هذه الكلمة ، فكلمة مسكين تطلق على العاجز والضعيف ، اما جميلة فهي شجاعة وقوية .

الام : هيا يا ابنتي . هيا ..

جميلة : حالا ، حالا يا امي .. هنا سأعلق الصورة ..

فاصل

جميلة : بالشفاء والهناء يا ابي .

الاب : الله يشفيك يا ابنتي من كل داء .. (يسعل)

جميلة : هل بدأت تحس بتحسن صحتك ، منذ تناولك الدواء ؟

الاب : احسن بقليل ..

جميلة : ولكن الطبيب منعك من شرب القهوة ، ورغم هذا لا تستطيع صبرا عنها .

الاب : والله يا ابنتي لا استطيع صبرا عن احتساء قهوتي في الصباح ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جميلة : ولكنها تضرك ..

الاب : اوف .. لا يضرني شيء بقدر ما يضرني مرور الاعوام والسنين. لقد اصبحت هرما يا ابنتي ،وبلغت السبعين من عمري ، وليس للادوية فعل الا التهدئة فقط .. صدقيني ، انها لن تؤخر ولن تسبق يوما واحدا فى عمري .. هل تظنين بأنني اذا امتنعت عن شرب القهوة فان ذلك سيطيل حياتي .. ابدا ، ابدا ..

جميلة : ليمد الله فى عمرك يا ابي .. هل انت مرتاح فى جلستك هذه ؟

الاب : اجل ان الجلسة فى هذه الشرفة تريحني ، رغم انها متصلة بالمطبخ .. لقد امرت ببنائها من اجلك حسب طلبك.. ولم اندم . فهذا المكان اصبح المكان المفضل لكل العائلة .. والمطبخ قد تبدل تماما، واضحى اجمل ركن فى المنزل .. انك تشترين الازهار لتضعيها خصيصا فيه .

جميلة : (حالمة) لا اضعها فى المطبخ من اجل المطبخ ، بل تمجيدا للعمل ، وتقديرا للمجاهدين في الحياة .

الام : (من الخارج)رشيد يطلب رؤيتك

الاب : مرحبا به .. (يدخل رشيد)

رشيد : صباح الخير يا عمي . صباح الخير يا جميلة ..

الاب : اسعد الله صباحك .

جميلة : اسعد الله صباحك . كيف حال اختي ؟

رشيد : بخير والحمد لله .

جميلة : تفضل ، اجلس هنا ..

رشيد : شكرا ..

جميلة : سأحضر لك فنجان قهوة .. (تخرج)

الاب : كيف الاحوال يا بني ؟

رشيد : كالعادة .. جهاد مستمر ، وتضحيات متواصلة اليوم بدأت بجمع الاعانات الشهرية ..

الاب : (يخرج محفظته ويدفع له اوراقا مالية) خذ يا ولدي.. هل الاكف منبسطة ؟

رشيد : لا بأس .. ولكننا لا نستطيع ان نطرق باب كل فرد من الافراد خشية من الخونة .

الاب : على مراد الله..اناس يفتدون اوطانهم بالمهج والارواح .. واخرون يقفون مع العدو صفا واحدا ضد اخوانهم .. هؤلاء الاخوان وبنو لاوطان الذين يجب ان نعاونهم ولو لم يكونوا ذوو حق، فكيف بهم وهم يدافعون عن الحق ضد الظلم ، وعن العدالة ضد الاضطهاد وعن الحرية ضد الاستعباد ، ويضحون بالغالي والرخيص لافتكاك سيادة اوطانهم وعزة اقوامهم من ايدي المستعمرين

رشيد : اي نعم .. قد يعاون الاخ اخاه ولو على غير حق . تعصبا منه وتحمسا ، فكيف به وهو يرى اخاه فى ضيق شديد وعسر اكيد ، يخابط الامواج وتخابطه ليفتك من افواهها الغاشمة حريته ومجده ؟

الاب : الا قبح الله الخائنين الذين يتعاونون مع العدو ضد قومهم ووطنهم ، لا لشيء الا لطمعهم فى مال يزول ومتاع يحول ، بدلا من ان يكونوا مع اخوانهم يدا واحدة ضد المستعمرين ، ان لم يكن جهرة فخفية . وان لم يكن في الظاهر ففي الباطن .

جميلة : هاك القهوة يا سي رشيد ..

رشيد : شكرا،ما اجمل هذه الشرفة، وما ابهج هذا المطبخ الذي تملأ الازهار نواحيه ..

الاب : هذا عمل جميلة .. بنيت لها هذه الشرفة حسب طلبها ووسعت لها فى المطبخ ، واصبح همها كله ان تجعل منه حديقة للازهار ، لا مكانا للطهي والغسيل والكي .. ماذا تريد ان افعل ؟ انها فتاتي المدللة ..

رشيد : والله ان هذا المكان ليسر القلب والنظر ..

الاب : اتعلم ماذا علقت فى صدر المطبخ؟ صورة جميلة بو حيرد ، وفى كل يوم تصنع لهذه الصورة اكليلا من الزهر ..

رشيد : اذن لقد بدلت هذا المكان كل هذا التبديل من اجل الصورة؟

جميلة : اجل .. لانني اريدها ان تكون قريبة مني .. ولكي يكون المكان لائقا بها .. انني هنا طيلة النهار، اغسل واكوي واطهي الطعام ، وفى المساء اخيط ، او اطالع ، ولا امضي الا وقتا قليلا فى المنزل لترتيب الغرف ..

رشيد : ان الصورة لاسعد حالا من صاحبتها، لانها تعيش بين جدران السجون المظلمة .. (يتنهد)

جميلة : ان الذين يكافحون ويجاهدون لا يأبهون ان يكون مصيرهم ظلام السجون بقدر ما يهمهم ان تنجح القضية التي يعملون من اجلها..

الاب : اجل يا جميلة ، كل ما يهمنا الان ان تنجح قضيتنا وان لاتذهب تضحياتنا هباء .

رشيد : ولا القتل ، ولا السجن ولا العذاب يستطيع ان يطفيء نيران الثورة المشتعلة فى افئدتنا ..لقد قاسينا ضغط الاستعمار عشرات السنين ، فنحن فى بلادنا ،وليست هذه البلاد لنا لانها محكومة من سوانا ، وهذه الارض ارضنا ، ولكن خيراتها تذهب لايدي غيرنا.. نحن غرباء فى وطننا، نحصد ونفلح ونطهي ، لتأكل الطعام الذي نهيئه بتعبنا وعرقنا افواه غير افواهنا.. لقد ثقل الضغط كثيرا ، وانفجر الان ، ولم يعد اي شيء يوقف قوة هذا الانفجار ونحن الان لسنا بحاجة للايدي التي تعمل فقط ، بل للفكر الذي ينتج ، والكف التي تنبسط .

الاب : وكذلك للقلوب التي تبتهل الى الله من اجل انتصارنا ، فهناك كثيرون يفرحون لانتصارنا ويبتئسون لانهزامنا .

رشيد : ان المستعمرين مستولون على جميع مرافق حياتنا، وهم يسوقون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخواننا وابناءنا سوقا لمحاربتنا والقضاء على ثورتنا .. ويدفعون الاخ لمحاربة اخيه ..

الاب : لست الوم الذين يخدمون المستعمرين تحت عامل الضغط والارهاق حين تكون قلوبهم معنا ولكنني الوم الخونة المحتقرين ؛ الذين يبيعون قلوبهم وضمائرهم للمستعمرين من اجل المال .

جميلة : لا بد ان ينال كل فرد جزاءه يا ابي ، في الدنيا او الاخرة ..

الاب : (يتلو) اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها ، وقال الانسان مالها ، يومئذ تحدث اخبارها ، بأن ربك اوحى لها ، يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

(صوت رصاص يلعلع فجاة في الفضاء .. صياح وركض ..)

رشيد : الاشرار ، انهم يهاجمون احد الثوار ..

جميلة : يا الله ، لقد امسكوه . انهم يجرونه على الارض جرا . دعني يا ابي اساعدك على الدخول لغرفتك ، ان هذا المشهد المريع يؤثر على صحتك .

الاب : وهل هذا اول مشهد نراه يا ابنتي ؟ هذه مشاهد اصبحت جزءا من حياتنا لا يتجزا منذ اندلاع الثورة .. ادخلي انت ، لانك لا تزالين شابة ، وقد تصيبك احدى الرصاصات .

الام : (آتية) ماذ اجرى ؟

رشيد : ما يجري كل يوم..مجاهدون يقعون بين ايدي الاعداء .. يجلدونهم ويعذبونهم بدون شفقة ولا رحمة . ظالمون ومظلومون ، مستعبدون ومستعبدون .. مستعمرون اعمى الطمع اعينهم واضل قلوبهم ، فاصبحوا يعاملون البشر ، كما يعامل السوام ..

الام : الويل لهم .. لا بد ان يأتيهم اليوم الذي يحيق فيه غضب الله بهم .

جميلة : ولذلك يجب ان تبقى نيران الثورة مندلعة حتى تبتلعهم ..

الام : ان شاء الله يا ابنتي، ان شاءالله

الاب : عين الله لا تنام .. ولا بد ان تدين الظلام اتخشين علي يا ابنتي من هذه المشاهد المؤلمة ان الالم الذي في القلب اشد وانكى ، مما تراه العين ويقع تحت البصر

رشيد : ان الامنا تمتد لعشرات السنين ، منذ اليوم الذي وطأت فيه ارضنا اقدام المستعمرين

(صوت رصاص .. وصياح)

الام : يا رب استرنا واحفظنا .. يا لطيف .. يا لطيف ..

فاصل

(يتعالى صوت وردة وهي تغني :كلنا جميلة كلنا فداها ..)

جميلة : (بعد ان تستمع للاغنية) لكم انا معجبة بجميلة يا ابي ..

الاب : انها تستحق كل اعجاب .. انها بطلة ..

جميلة : (بعد توقف) انا كذلك ادعى .. جميلة ..

الاب : انك جديرة بهذا الاسم كل الجدارة ، لانك فتاة مخلصة بارة

جميلة:الاسم يبقى جامدا بدون روح اذا لم يقترن بمعنى يجعل الحياة تدب فيه كما تنتعش الزهرة الذابلة تحت ندى الصباح .. (تتنهد) ليتني كنت مثلها ..

الاب : اسمك ينطبق عليك ، فلك من جمال الخلق ما يجعلك اهلا له .

جميلة:انني احس بثورة تضطرم في صدري كلما سمعت عن اغتيال احد المجاهدين واشعر بالدنيا تضيق في عيني كلما فكرت بهذا الظلم المحيق بنا .. اننا نعيش على هذه الارض وكأنها ليست لنا ، بل حدا الطغيان بالمستعمرين لنسبتنا الى بلاد اخرى لا نمت اليها بأية صلة لا باللغة ولا باللون ولا بالدين .. آه يا ابي .. احس بقلبي يكاد ينشق في صدري ..

الاب : ليلطف الله بك يا ابنتي ..هذه مشاعر نبيلة تشكرين عليها ..

جميلة : المشاعر الجميلة كالزهرة الصناعية التي لا تحوي اي اريج واية رائحة عطرية .

الاب : لا تستهيني بالمشاعر النبيلة ، فمنها يفوح العطر الزكي الذي يبعث بنا الى القيام بالاعمال الجليلة ، كل عمل كبير يبدا بالاحساس والشعور يا جميلة..

جميلة : اذن يا ابي ، ففي امكاني ان اقوم بعمل ما، لا اقول بعمل كبير، ولكن بأي عمل . .

الاب : حين تقومين بواجبك في المجتمع وتطيعين ابويك وتحبين وطنك ، تكونين قد قمت بعمل كبير ..

جميلة : او يا ابي ان لا يقتصر عملي داخل جدران هذا المنزل بعد انتهائي من دروسي ..اود ان اقوم بعمل اكبر لاشبع عاطفة الحب المضطرمة نحو الوطن .

الاب : ماذا تعنين يا بنية ؟

جميلة : اعني ، اعني ، بأني اريد ان اخدم مع المجاهدين .

الاب : تخدمين مع المجاهدين ؟

جميلة : اني لقادرة على ذلك .

الاب : اهذا صحيح ؟

جميلة : اود ان اكون فدى جميلة ..

الاب : (بلهفة) لا ، لن تكوني فدى لجميلة ، بل ستكونين فدى لهذا الوطن الذي تحبينه .

جميلة : ابي ، اود لو كان لي عشرون قلبا مكان هذا القلب ، لاستطيع التعبير عما اكنه لوطني العربي الكبير من حب وتقديس وتقدير.. وطني المعذب ، بودي ان اقاسمه عذابه واوصابه واعين المجاهدين ولو بتقديم شربة ماء ، او بتضميد جرح .

الاب : رعاك الله يا جميلة ..(بصوت مرتجف) ولكن هل سيكون في امكانك تحمل مثل هذا العبء ؟ جسمك النحيل ، هل سيطاوق مثل هذا الحمل الثقيل ..

جميلة : وهل توافقني على القيام بهذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العمل الجليل .

الاب : وهل هذا سؤال يلقى علي يا بنيتي ؟.. احمد الله على انه رزقني فتاة مثلك هي عندي خير من عشر فتيات ..

جيلة : شكرا يا ابي ، شكرا لك .. دعني اقبل يديك (تقبل يده)

الام : (آتية) ما بال حديثكما قد طال ؟ الا تفكرين بأمك التي كونها نار المطبخ والمواقد .

الاب : اسمعي يا خديجة ..

الام : لعله نبأ جديد يفرج قلوبنا المكلومة بعض الشيء ؟

الاب : هناك خبر جديد ستدهشين له كل الدهشة ؟

الام : اسرع ، لان الطعام سيحترق على النار .. بل اذهبي بالله يا جميلة للمطبخ ، ودعيني استمع لما سيقصه علي ابوك .

جيلة : حاضر يا اماه .. (تذهب)

الام : ارى السرور يطفح على وجه جميلة ، لا شك ان الخبر مفرح .

الاب : هذا يتوقف على الشعور الذي ستتقبلين بها هذا النبأ .. انه يتعلق بجميلة .

الام : لا شك انه قد تقدم لطلب يدها خاطب جديد .. وهذا الخاطب ذو مركز وجيه ، اليس كذلك ؟

الاب : لا ، انك لم تخمني جيدا ، ولم تتقدمي ولو شبرا واحدا من الخبر اليقين .

الام : لا شك انك رضيت ان تتسلم جميلة احدى الوظائف الحكومية بعد التعنت الشديد . فى وسعها ان تطلب وظيفة معلمة فى مدرسة البنات ، جميلة تتوق لذلك ويصعب عليها ان تمكث فى الدار لتمضي اوقاتها فى الطهي . وتنظيف المنزل .. فى امكانها ان تتوظف الان ، وبعد زواجها تكيف حياتها حسب رغبة زوجها ..

الاب : لقد اقتربت شيئا ما من حقيقة الخبر .. جميلة لن تبقى بعد الان قعيدة الدار ، ستخرج وتضطلع باحد الاعمال ، ولكن لا فى ادارة حكومية ولا فى مدرسة للاناث .

الام : لقد لنت اخيرا بعد ان تحققت من اخلاق جميلة الرصينة .. الفتاة العاقلة المهذبة كشجر الدوح لاتستطيع ان تقتلعه الرياح مهما قويت .. اين ستعمل جميلة ؟

الاب : ستخدم للـه ، وللوطن ، ستعمل طوعا واختيارا لاني لا اريدها ان تتقاضى ولو فرنكا واحدا ستعمل حبا فى العمل وفى سبيل الله ، ولهذا لنت مؤخرا ..

الام : اين ستعمل ؟

الاب : ستشترك فى الجهاد الاكبر ، وتقوم بوظيفتها مع المجاهدات والمجاهدين ..

الام : (بصوت مرتعش) ما هذا الكلام ؟ انت ترضى ان تخرج ابنتك من الدار لتعمل مع المجاهدين وهي التي ابيت عليها العمل والوظيفة ، بعد نيلها شهادتها المدرسية ، ومنعتها حتى من مخالطة الجيران ؟

الاب : جميلة نفسها طلبت مني ذلك

الام : وقبلت طلبها ؟

الاب : اجل ، لانها جديرة بهذا الاكرام لقد درست اخلاقها عن كثب ، انها شجاعة وفيها ميل للمخاطرة والاقدام ..

الام : رضيت ان تخرج ابنتك من المنزل لتعمل جنبا الى جنب مع الرجال ؟

الاب : فى ميدان الجهاد يصبح كلهم اخوانا واخوات . يذوبون فى بوتقة واحدة ولا يعلق فى افكارهم الا الهجوم والدفاع عن الاوطان .. لي ثقة كبرى بجميلة ، انها ابية النفس ، شجاعة ، ويحق لنا ان نفخر بها ..

الام : ولكنها ستتعرض للاخطار ، افلا تسمع بما يجري كل يوم من حوادث ، وبما يستعملونه من وسائل التعذيب مع الذين يلقون القبض عليهم ؟

الاب : انه الجهاد الاكبر فى سبيل الوطن ياخديجة ، حمدا لله على اني استطيع ان اكافح بواسطة ابنتي ، بعد ان تقدم بي العمر .. (يضرب الجرس) .

الام : ستفتح جميلة الباب .. لقد هد قولك هذا قواي .. اخشى على جميلة من جور المستعمرين وقسوتهم العمياء .

الاب : هذا الوطن لن نستطيع انقاذه الا بواسطة كفاحنا والامنا ودموعنا ودمائنا .

الام : (ترتمي على المقعد) لم يعد بامكاني القيام بأي عمل كان

(يدخل رشيد)

رشيد : صباح الخير ..

الام . الاب : صباح الخير .

الاب : تفضل اجلس ..

رشيد : مالك ؟ هل انت مريضة ؟ حين فتحت جميلة لي الباب قالت لي بانكما بخير .

الاب : اننا بخير والحمد لله . ان ما بها بعض الاضطراب فقط ، بعد ان اخبرتها برغبة جميلة فى المشاركة مع المجاهدين واعلنت لها عن رضائي بتحقيق هذه الرغبة النبيلة .. ما قولك يا رشيد ؟ اتكل عليك بتدريبها لهذه المهمة ، والسهر عليها وصيانتها ..

رشيد : هل هذا حق ؟ فى وسع جميلة ان تعاوننا ، لانها ذكية ومثقفة ..

الاب : وشجاعة ..

رشيد : اجل .

الاب : ارايت يا خديجة ؟

الام : انني لا اقل عنك اخلاصا للوطن ، ولا امانع فى مشاركة جميلة اخوانها المجاهدين ، ولكنني اخشى عليها من قسوة المستعمرين ..

رشيد : كلنا معرضون للخطر يا ام ، حتى الذين لا يقومون بأي عمل ، ولا يقدمون اية مساعدة للثوار اقل تهمة بسيطة تكفي لتعرض صاحبها للمذلة والهوان .. سأقدم جميلة للرئيس وللاخوان وسأسهر عليها عن كثب ..

الاب : هي بنفسها طلبت مني ذلك ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهل يحق لي ان اقطع يدا تجود بما عندها فى سبيل الاوطان ؟

الام : اعرف هذا ..

رشيد : لماذا تبتئسين اذن ؟

الام : اخاف عليها من شدة الاشرار.

رشيد : الله سيكون معنا ومعها .. اذا تفتحت عيون الشر فى الظلام، فان عين الله لا تنام ..

الام : (تتنهد) الله ينصركم يا ولدي. معزتك كمعزة جميلة عندي .

الاب : حمدا لك يا رب .. سعيت لغرس حب الفضيلة والشجاعة والتقوى وتقديس الوطن فى نفوس ابنائي وسقيت زرعي بصبر وحدب وها انذا ارى الغرس قد اينع وازهر ..

رشيد : اجل يا عم . ابنتك الثانية لا تنفك تبث في الحماسة لاستئناف جهادي ، رغم انها ذات اولاد . ولم ارها فى يوم من الايام تبدي جزعها وخوفها من الاعداء .

الاب : اتسمعين يا خديجة ؟ اشكري الله على انه ارسل لك اولادا نعتز بهم ونفخر . جميلة ستخوض بنفسها المعركة . ابنتي الثانية تدفع زوجها وتحمسه لمواصلة الكفاح ، ولا تهتم بنفسها واولادها كما تهتم بمستقبل اوطانها . ونحن هنا سنصلي وسنبتهل الى الله ليتوج هذا الكفاح المرير بالعز والنصر ..

الام : (متنهدة) ان شاء الله ..

رشيد : انت الذي اذكيت هذه النار المباركة يا عم فى صدور زوجتك واولادك .. بارك الله فيك .

الاب : آه يا ولدي . تمنيت لو رجعت الى الوراء . اربعين سنة .. انكم لسعداء بحمل مشعل الكفاح والجهاد لافتكاك حرية هذا الوطن العزيز ..

رشيد : اين جميلة ؟ ما لها لم تأت ؟

الام : جميلة مشغولة فى المطبخ ..

جميلة : (من بعيد) ها انذا آتية بالقهوة .. (تقترب)

الاب : هل حسبت حسابي ؟

جميلة : لا ، انت مريض . ولكن اليوم لا بأس بذلك احتفاء بالحدث الجديد .. انه لاسعد يوم في حياتي .

الام : (متمتمة) ليحرسك الله يا ابنتي

جميلة : ما رايك يا ام فى الخبر الذي اعلنه لك ابي ؟

الام : ليرضى الله عليك يا ابنتي .. وعلى كل المجاهدين ، وليحقق اعمالكم بالنصر المبين .

جميلة : ربي يديمك لنا يا امي .. دعيني اقبل يدك واطلب رضاءك عني (تقبل يدها) .

فاصل

رشيد : هذه هي قريبتي التي حدثتك عنها .. انها اخت زوجتي .

عمر : تشرفنا .. تفضلي يا اخت اجلسي ..

جميلة : شكرا ..

عمر : ما هي الاعمال التي باستطاعتها القيام بها ؟

رشيد : ستبدأ بالتنقل بين المراكز لايصال المعلومات . .فى وسعها ان تقوم ببعض اعمال التمريض لانها تمرنت مدة ثلاثة اشهر في احد المستشفيات ..

عمر : هل هي مثقفة ؟

رشيد : اجل ، عندها ثقافة عالية .

عمر : حسن جدا .. وشجاعتها ؟

رشيد : اعتقد انها شجاعة .. على اية حال ستظهر لنا التجارب مدى صمودها وتحملها .

عمر : اسمحي لي يا انسة ان اقدمك لبعض الاخوان الذين ستعملين معهم .. انهم يحملون اسماء مستعارة زيادة فى الحرص والحذر .. تفضلي من هنا . (يدخلون لغرفة ثانية) ايها الاخوان .. اقدم لكم اختا مجاهدة اتت لتنضم لصفوفكم .. الاخت جميلة بوباشا ، هذا الاخ احمد ، وهذا الطاهر ، وهذا قدور ، وهذا بشير ، والاخت آسية (يتصافح الجميع) .

عمر : افسحوا مكانا للاخت جميلة بجانبكم .. من الان فصاعدا ستقوم بواجب الكفاح معكم (يجلس الجميع على المائدة) .

رشيد : الاخت آسية ، متدربة على العمل . وستخرجان فى المدة الاولى معا للقيام بالمهمات .

عمر : ماذا فعلت يا احمد ؟

احمد : كنت على وشك انهاء التقرير .. لقد اضطررت لتأجيل المهمة الى الغد ، لان المعني بالامر قد لازم المنزل متعللا بالمرض ..

بشير : انه الخوف بدون شك .. لقد وصله الانذار .

آسية : انا التي اوصلته له .

قدور : الاخ احمد سينتظر الان ، حتى نرى النتيجة .. فقد يرتدع عن غيه ويعود الى رشده ..

احمد : نتمنى ان يتحقق ذلك.. فهل يسرنا ان نقضي على احد ابناء الوطن ، لولا انه يقف عقبة كأداء فى طريقنا ؟

بشير : لقد كثر الواشون ، وهذا من اخطرهم .. وشى باكثر من عشرة من اخواننا المجاهدين فكان نصيبهم ظلام السجون . وبذلك فقدنا بعض معاونينا المخلصين ، وهؤلاء سيحكم باعدامهم بدون شك ..

قدور : انه والله يستحق القتل ، فهل حياته الدنسة اغلى من حياة هؤلاء المجاهدين ؟

احمد : حياة اي واحد منهم تساوي الف حياة مثله انه يعيش فى القذارة ويحك انفه فى الرغام امام المستعمرين تملقا وطمعا .. لو خرج اليوم من المنزل لانهيت حياته وارتحنا منه ..

آسية : ولكن هذا لا يصح بعد ان اوصلنا له الانذار ..

عمر : اجل ، يجب ان نعطيه مهلة شهر وان نراقبه فاذا رأيناه مثابرا على الخيانة ، فحينذاك سنضع حدا لحياته المدنسة .

رشيد : يا للخونة . وددت لو انقلبت صاعقة تحرقهم عن اخرهم ، ولا تذر واحدا منهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قدور : الشيطان دائما يعمل لفتنة الانسان ، فأين ترى الخير ، تجد الشر مقاوما ومهاجما ، اناس يغرسون واخرون يفسدون .. اناس يجاهدون ويضحون ، واخرون فى الملذات غارقون اضل ابصارهم المال ، واعماهم الشيطان

بشير : الشيطان ؟ الشيطان ؟ الناس كلهم سواء .. الفرق بين الخير والشرير ، ان الاول ذو قلب وشعور ، والاخر، فاقد الاحساس والضمير .. كلنا ذوو عقول وادراك ، ولكن يرضى البعض منا بالرزق الحلال ليعيش ، واخرون يستهينون بجميع المعاني السامية ليجمعوا اكبر نصيب من المال ، الناس كلهم سواء .. ولا عذر لمن يخون ..

الجميع : لا عذر لمن يخون ..

رشيد : الخائنون مثواهم النار فى الدنيا والاخرة ..

احمد : انهم اشد علينا من الاعداء لاننا نثق بهم ولا نعمل خفية عنهم، بل نطلب احيانا معاونتهم ومساندتهم اطمئنانا منا الى جانبهم . ويحدو بهم الطمع الغاشم ليبيعونا بيعا الى الاعداء كما تباع السوام ببدرة من المال .

الجميع : يا للخونة الاشرار .

قدور : (باهتمام) تهون عليهم حياة اخوانهم ، ولا تهون عليهم مبالغ المال التي يتقاضونها من الاعداء جزاء وشاياتهم ، فيا لهم من عبيد اذلاء ..

عمر : هدوءا ، هدوءا ..

احمد : يجب ان نقضي على كل من نشتم فيه رائحة الخيانة . لانه يفسد زرعنا ، ويقوض بنياننا .

بشير : هؤلاء ، لا يجب ان يعيشوا فى موطننا، لانهم يملئون جوه بالعفونة والقذارة ، ويعيقون حركتنا التحريرية ويهدموننا ..

الجميع : (بصوت عال) الموت للخونة. الموت للخونة .

عمر : هدوءا من فضلكم .. من واجبنا ان نقضي على حياة الخائنين ولو كلفنا ذلك التضحية باحد المجاهدين . انها لتضحية منا ان نجازف بحياة طاهرة في سبيل حياة مدنسة ، وان نبيع روح ملاك للقضاء على روح ابليس، ولكننا نفعل ذلك ، لان الروح الشريرة ، لا تقف عند حد ، ولا تكتفي بفرد واحد ، بل تحاول ان تحصد الارواح حصدا ..

الجميع : هذا صحيح ..

عمر : وشفقة منا على ارواح مجاهدينا قررنا ان نرسل انذارا لكل من يقفون ضدنا ويحطمون اعمالنا لنمنحهم فرصة للتوبة والندم ..

رشيد : القليلون يندمون ويتوبون .

عمر : ارواح المجاهدين غالية علينا . ولذلك لا نستطيع ان نستهين بها ، الا بعد انعدام جميع الوسائل

قدور : اننا لنغفر للتائبين ، اما الذين يثابرون على الخيانة ، فنحطمهم باذن الله باقدامنا ..

الجميع : ليمت الخائنون . ليمت الخائنون ..

عمر : هدوءا ايها الاخوان .. هدوءا

فاصل

عمر : اخرجوا وتفرقوا فى المنطقة كلها . حين تسمعون صوت القنبلة كونوا على اهبة لانتشال اخيكم من الخطر ..

قدور : سننتشله من الخطر باذن الله ، ولو عرضنا نفوسنا كلنا ..

عمر : لا تقولوا هكذا .. يجب ان تنتبهوا جيدا حتى لا تعرضوا نفوسكم للخطر ، من الخير ان نفقد واحدا فقط ، من ان نفقد اثنين او ثلاثة .

رشيد : سيارتي ستكون فى الانتظار .. وسيبقى محركها دائرا ..

بشير : حين اسمع صوت القنبلة ، فسأنصب السلم حالا ليتسلقه احمد بمجرد مروره امام الجدار

رشيد : وانا سأكون على مبعدة عدة امتار ، وراء الجدار .

عمر : حسنا جدا . هل قمتم بتجربة المناورة امس ؟

رشيد : اجل.. وان شاء الله ستنجح

عمر : وانت يا جميلة ، هل وعيت دورك جيدا ؟

جميلة : سأكون على بعد عدة امتار من الحادث .. وسأتظاهر بأني جرحت لجلب اهتمام المارة .

عمر : وانت يا آسية ؟

آسيا : سأتقدم بثوبي هذا كسائلة نطلب صدقة من عدونا ، ثم ابتعد عنه مسرعة ، لاتيح لاحمد فرصة القاء القنبلة ..

عمر : حسن جدا .. مهمتكم ستبدا بعد نصف ساعة .

رشيد : لم يرتدع الخائن عن غيه ، وسيلقى اليوم جزاءه ..

عمر : ليكن الله فى عونكم .. ستجدونني فى المنزل بانتظاركم.. من حسن الحظ ان المنزل لايبعد كثيرا عن منزل الخائن.. ستجدون المائدة منصوبة . وسنتظاهر باننا نقيم حفلة صغيرة بمناسبة عيد ميلادي .

رشيد : ليكن الله فى عوننا .. من يدري ؟ فقد يقتحمون المنزل للتفتيش ، ولذلك يجب الاحتياط لكل شيء ..

فاصل

احمد : ما بالها ؟ الم تحضر لحد الان؟

عمر : لا : لقد تأخرت نصف ساعة عن الموعد ، وهذا يجعلني فى اشد اضطراب من اجلها .

احمد : لقد اتخذنا جميع الاحتياطات، ولا نظن بانها ستقع فى الفخ ..

بشير : لا سمح الله .. انها فتاة شجاعة من الحيف ان نخسرها .. (ينظر من النافذة)

عمر : الا تشاهدها مقبلة ؟

بشير : لا ..

عمر رشيد ينتظرها فى سيارته لينقلها لهنا . والمائدة منصوبة كالعادة ، حتى اذا دخل رجال الشرطة للتفتيش لا يشتبهون بشيء .. اننا نحتفل بعيد مولدي .. الناس يحتفلون بعيد ميلادهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرة فى العام . وانا احتفل به مرة فى كل شهر تقريبا ..

بشير : انه على كل حال احتفال بنجاح كل مؤامرة نقوم بها .. وحتى آسية لم تظهر ..

عمر : آسية لم تشترك هذه المرة، لان امها مريضة .. لقد اعلمتني ذلك فى الصباح .

احمد : هل تظن ان جميلة ستستطيع تحمل العذاب لو القي القبض عليها ؟ الا تخشى ان تشي بنا ؟ ما كان لك ان تكلفها بوضع القنبلة

عمر : هذه ثالث مرة تقوم بمثل هذه المهمة ، وقد اظهرت فى كل مرة رباطة جاش نادرة .

بشير : اخشى ان تعترف باسمائنا اذا القي القبض عليها ..

عمر : (بغيظ) شأننا لا يهمني بقدر ما تهمني هي. اذا القي القبض عليها لا سمح الله، فستلقى من العذاب والاهانة ما لا يقدر على تحمله ، اشجع الرجال .. انها والله لا تهون ..

احمد : اي والله، انها لا تهون ،وشأننا لا يهم بقدر ما يهمنا شأنها .. ما كان لك ان تكلفها بهذه المهمة ..

عمر : هي التي طلبت مني ذلك والحت بالطلب ..

بشير : (يهتف) ها هي سيارة رشيد مقبلة . .

عمر : اترى جميلة فيها ؟

بشير : لقد وقفت امام الباب .(يتقدم جميعهم من النافذة)

عمر : ها هي جميلة تنزل من السيارة .. حمدا لك يا رب وشكرا .. فى هذه الساعة تمنيت لو القي القبض علي بدلا منها خشية عليها من الاهانة والعذاب ..

احمد : انت قائدنا ، ولا غنى لنا عنك

عمر : هل الباب مفتوح ؟

بشير : اجل (يدخل رشيد وجميلة)

عمر : جميلة ؟ اهلا وسهلا .. اهلا وسهلا ..

بشير : هل تمت المهمة بخير ؟

رشيد : بخير والحمد لله .

عمر : تفضلا واجلسا .. ما لكما قد ابطأتما هكذا ؟ لم اضطرب فى حياتي ، كما اضطربت اليوم .

رشيد : لا تجزع .. الله معنا ..

عمر : هل وضعت القنبلة فى المكان المتفق عليه ؟

جميلة : اجل ، ويا لها من مهمة تستدعي اعصاب حديدية وعيون مغناطيسية لمراقبة جميع الجهات المكان مليء بالخلق .. والناس بين غدو ورواح ، وجلوس وقيام، ورجال الشرطة يراقبون القادمين والرائحين .. انكم لا تتصورون بأي حذر كان علي ان افتح المحفظة واخرج منها القنبلة ، واضعها على المقعد ، ثم اشعل الفتيلة وانهض للخروج فى الحال بين عشرات العيون المتطلعة التي تراقب الحركات والسكنات .. تلك العملية التي لا تستغرق اكثر من دقيقة خيل الي اني امضيت فى اعدادها سنة .. انه من الاسهل ان القي القنبلة فى مكان خال واهرب ، اما ان اضعها فى مكان يعج بالعباد، فهذا شيء فيه الكثير من الخطورة ..

رشيد : الحمد لله على نجاتك ونجاتنا

عمر : لكم ندمت على قبول طلبك .

جميلة : يجب من الان وصاعدا ان اقوم بمهمات خطيرة والا ما فائدة وجودي معكم ؟

بشير : ليحفظك الله يا جميلة ..

رشيد : هيا يا اخية ، تناولي شيئا.

جميلة : لست جائعة . اريد فقط فنجان قهوة .

عمر : سأعده لك بنفسي ..

جميلة : شكرا ..

الجميع : تحيا جميلة .

عمر : لا تصيحوا هكذا .

بشير : ولم لا ؟ السنا فى حفلة عيد ميلادك ؟

عمر : بل هو احتفال برجوع جميلة .

الجميع : تحيا جميلة ..

فاصل

الام : الم ترقدي بعد يا جميلة ؟

جميلة : لا يا اماه ، اني اطالع فى فراشي

الام : يجب ان تريحي نفسك يا ابنتي (صياح وضجة) ماذا هناك؟ لانظر من النافذة . ارى عددا كبيرا من رجال الشرطة يطوقون المنزل .. (يضرب الباب بعنف)

الاب : (من غرفته) ماذا هناك يا خديجه؟

الام : لست ادري .. سأرى .. (تخرج وتفتح الباب)

الضابط : (بلكنة افرنسية) اين جميلة بوباشا ؟

الام : جميلة بوباشا ؟ ليست هنا .

الضابط : ما هذا الكلام يا امراة ؟ هيا ابتعدي عن طريقنا ولا تقفي هكذا . سنفتش المنزل .

جميلة : (من الداخل) ها انذا آتية .

الضابط : لم انكرت وجودها ؟ تعسا لك

الام : ماذا تريدون منها فى هذا الليل؟

الضابط : ماذا نريد منها ؟ (يقهقه) سنلقي القبض عليها ونزج بها فى اعماق السجن .. هذا كل ما هنالك .

الاب : (يخرج من غرفته) ماذا هناك؟ ماذا جرى ؟ اذا كنتم فى حاجة لشيء ، فانا صاحب المنزل .

الضابط : اين جميلة ؟

جميلة :(خارجة) ها انذا ..

الام : لا ، دعوها ، خذوني انا ..

الاب : انا صاحب المنزل . وعلي التبعات كلها .

الضابط : لا تخف ، ستذهب انت كذلك معها .. هيا القوا القبض عليهما . على جميلة ، وعلى هذا الهرم ودعوا العجوز لحراسة المنزل

الام : يا مجرمون .. يا سفاكين .. اننا لا نعمل شيئا سوى اننا ندافع عن اوطاننا التي اغتصبتموها اغتصابا .. خذوني كذلك انا

الضابط : اخرسي ، والا فسيريبك هذا السوط .. (يلعلع سوطه فى الهواء)

جميلة : اماه ، صبرا جميلا ... الله معنا ..

الاب : اصبري يا خديجه .. الله مع المظلومين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضابط : هيا يا جميلتي .. هيا ..
جميلة : لا تلمس يدي . ها انا ذاهبة
(ضجة وصياح من الشارع)

فـــاصل

الضابط : هيا .. الم يرجع رشـدك اليك لتقري لنا بالحيقة ؟ انك اذا اعترفت لنا بكل شيء فسنعطي عهدا باطلاق سراحك .. نريد ان نسحق الراس ، حاجتنا بالراس، تحت امر من تخدمين .
جميلة : اننا لا نعرف بعضنا بعضا .. انا التي وضعت القنبلة ، فمـاذا يهمك من الاخرين ..
الضابط : الا تريدين ان تعترفـي وتنقذي نفسك من العذاب الاليم
جميلة : بماذا تريدون مني ان اعترف؟ لقد اعترفت لكم بأني انا الـتي وضعت القنبلة ، فماذا تريـدون اكثر من ذلك ؟ رفقائي لا اعرفهم. اسماؤنا كلها مستعارة .
الضابط : اين كنتم تجتمعون ؟
جميلة : لم تكن لدينـا امكنة معينـة للاجتماع،كان يأتينا احدهم لاعطاء التعليمات .
الضابط : لقد ضربناك بالسيـاط ، وشوينا جلدك بالنـار وحرقنـاك بالكهرباء. ومع هذا فانت لا تزالين عنيدة لا تلينين .. انظري لهذه الصور ، الا تعرفين واحدا منهم ؟
(يريها الصور)
جميلة : لا .. وجوههم كلها غريبة عني
الضابط : اذا اعترفت بأسماء رفقائك، فسنطلق سراح ابيك ، وكذلـك سراح صهركم رشيد .. واؤكد لك باننا لن نمسكم بسوء ..انت فتاة غريرة ، اثروا عليك وخدعوك ولم تلق القبض عليك الا للوصول اليهم بواسطتك انت ، وبعد ذلك سنطلق سراحك وسراح ابيك الذي لا يستطيع ان يتحمل عـذاب السجون وكذلك صهركم الـذي ترك اولاده الصغار مـن بعده . اقري بالحقيقة واريحي نفسـك واريحينا ..
جميلة : لقد اعترفت بكل شيء ..
الضابط : ويحك . خذوها من امامي وغطسوا راسها فى حوض الحمام حتى تختنق .. ان راسها اصلب من الحديد فلعله يلين .
جميلة : (تتمتم) اعني يا ربي .
(يشدها العسكر بحبل الى عمـود افقي ويغطسون راسها فى الماء .. فتصيح صيحات الالم والعذاب بصوت مختنق) .
الضابط: كفى ، الا تريدين ان تقري
جميلة : دعوني .. ارحموني .. انني لا اعرف اي شيء ..
الضابط : استانفوا ، راسها لا يزال صلبا .. هذا العذاب ، سيلاقيه ابوك انهرم وصهره .. انت التي ستحكمين على ابيك بالموت ..
جميلة : (تصيح بصوت مرتجف) لا اعرف اي شيء .. لقد اعترفت بكل شيء.. لن تخرج كلمة واحدة من فمي اكثر مما قلت مهمـا عذبتموني ...
الضابط : ويلك، استانفوا ، استانفوا (يغطس العسكر راسها فى الماء .. فتصيح بصوت مختنق)
الضابط : كفى .. الم يلن هذا الراس الصلب بعد ؟ لقد اغمي عليها . اعيدوها لصوابها واستانفوا ، لن تكون اقوى مني .. هذه الفتاة النحيلة الغرة لن تكون اقوى من العذاب ساعذبها. سأشوي لحمها شيا، سأغرس الزجاج فى لحمها حتى تعترف .. سأحطم هذا الراس تحطيما ان لزم الامر ..

فـــاصل

عمر : ما قولك يا احمد ؟ انها لـم تعترف ، وقد علمت بأنها قاست ولا تزال تقاسي من العذاب الوانا واصنافا .. ضميري فى اهتياج ، وكثيرا ما افكر بتسليم نفسـي لانقذها من مخالب الجلادين القساة
احمد : ويحك يا عمر .. اذا سلمت نفسك فسنفقد بذلك خلية نشطة من الخلايا التي تعمل فى سبيـل الوطن ..اتريد ان تضيف الى قائمة الضحايا ضحية اخرى ؟
عمر : اذا سلمت نفسي . فسيكفون عـن تعذيبها ..
احمد : اذا سلمت نفسك . فلـن يكتفوا بك ، بل سيعملون جميـع الوسائل لمعرفة اسماء رفقائـك ، وقد يلجئون لتعذيبها بقسـوة ووحشية امام عينيك لجبرك على الاعتراف ، انهم خداعون ماكرون ولا يرتدعون امام اية وسيلة كانت للوصول لغرضهم الدنيء . لـن يكتفوا بك وبي ، بل سيحاولون وضع ايديهم على جميع الرفاق . ولن يتقهقروا امام اية فظاعـة ووحشية .

عمر : انني اقاسي من العذاب ..وان عذاب الجسم ليهون ازاء ما الاقيه من الام نفسية لا تصور .. لقد اصبحت مكانة جميلة غالية جدا عندي ..
احمد : مكانتها غالية عندنا كـلنا . وانني مستعد ان اسلم نفسـي لاطلاق سراحها ، ولكن كن علـى يقين بانهم لن يكتفوا بنا ،ولا يحق لنا ان نستهين بارواح الاخرين..
عمر : معك حق .. مصيرنا فى يـد القدر .. وقد نلتقي فى هذه الدنيا او لا نلتقي . ولكن لا يحق لنا ان نفرط بنفوس الاخرين ولا بنفوسنا، وان نلجأ للاستسلام مهما قـوي عذابنا ..
احمد :نحن مجاهدون فى سبيـل الوطن .ولا يتم الجهاد الا بالتضحية والالام .. نحـن سلسلة متعددة الحلقات ، وكلما فقدت حلـقة ، علينا ان نسرع بتعويضها حتى لا تتضعضع . .لا ان نتركها فارغة .. اذا فقـدت انت جميلة .. فيجب ان تحتفظ بنفسك سالما. من اجل الوطن جميلة قـامت بواجبها على اكمل وجه ، ويجب ان تقوم انت بواجبك ، ووطنـك يطلب منك ان تكون شجاعا قويا
عمر : من الان فصاعدا سنضاعـف نشاطنا . ونقوم بالاغتيالات تلـو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شكوى

* * *

سأذيب روحي في هواك نشيدا ... واصوغ من حرق الفؤاد قصيدا
انا في هواك معذب فلاعتصر ... لك من شظايا قلبي التغريدا
مرغت اشجاني بنارك فاغتدت ... شعلا تدك كياني المهدودا
وطغى لهيب الوجد ملء جوانحي ... يجتث اشلائي دما ووريدا
ومضيت والالام تنهش مهجتي ... وتكاد تسحق حلمي المنشودا
وفؤادي المكلوم اضناه الاسى ... ورماه في اشراكه مصفودا
هيمان يلعق من جراحات الهوى ... غصصا تغل لسانه الغريدا

انا لم انل في الحب الا شقوة ... ابدت لقلبي حظه المنكودا
وعواصفا صخابة مسعورة ... اذوت ربيعي زنبقا وورودا
ومضت بأنغامي العذاب فلم اجد ... الا صدى منها يرن بعيدا
فغدوت والانات تلسع مبسمي ... ابكي صباي وحلمي المفقودا

انا في هواك معذب فمتى ارى ... قلبي يحلق في سماك سعيدا
يشدو مع الاطيار في راد الضحى ... هزجا يناغي حسنه المعبودا
ويصوغ الحان المنى ويرص في ... جيد الليالي درها المنضودا
ومتى ارى الدنيا تهش لناظري ... نشوى تداعب عمري المكدودا
وتجود ايامي علي ببسمة ... سحرية تذر الشقاء بديدا
فيرف للنعمى فؤادي هانئا ... لا تبقي بؤسا ولا تنكيدا
يشدو وقلب الكون في اصغائه ... ثمل يؤمل من غناه مزيدا
اشكو تباريح الهوى كي تمسحي ... دمعا اذاب محاجرا وخدودا
وتهدهدي صبا اضر به الجوى ... وتبددي الامه تبديدا

صنعاء ـ اليمن — **عبد الله بن علي الشرفي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاغتيالات ، لنقضي على انفاس جميع الخائنين .. لقد ذاقت جميلة اقسى الالام وتحملت العذاب ولم تفه باسمائنا . ونحن من اجل هذا الاسم العزيز يجب ان نتابع جهادنا بقوة وعزم ..

احمد : انهم الوشاة .. هم الذين اودوا بجميلة وهم يودون بالمجاهدين في كل يوم .

عمر : ونحن سنكون هنا آلة رعب وانتقام، من جميع الوشاة الغادرين .. اذا مت ، فستكون صورة جميلة اخر ما يرتسم من هذه الدنيا في عيني ..

احمد : سيكون لقاؤكما في العالم الثاني ..

عمر : هيا يا احمد ، ادع الرفاق لاجتماع هذه الليلة .. ستكون العمليات اكثر عنفا من قبل ..

احمد : الله معنا ..

عمر: وبعونه سيكون النصر رائدنا..

اعنها يا رب على تحمل العذاب..

احمد : ليعن الله كل من يقع بين براثن هؤلاء الوحوش القساة ..

عمر : اعنها يا رب واعنا .. واجعلنا اقوى من العذاب ..

تونس — **ناجية ثامر**



النـــاي والريـــح

شعر – خليل حاوي – ١٦٨ صفحة–منها ٥٨صفحة اقوال النقاد في شعر خليل حاوي–منشورات دار الطليعة ببيروت–مطابع دار الريحاني ببيروت

يمتاز ديوان الناي والريح بميزة خاصة هي الوحدة العضوية المتكاملة . فان القصائد الاربع يأخذ بعضها برقاب بعض وتتشابه من عدة وجوه . يعرض الشاعر في ديوانه لقضية حياتية اساسية استأثرت بتفكيره والفت بين مظاهر الحياة المختلفة . انه يسعى جاهدا ليرد كل دقيقة من دقائق الوجود الى موقف شمولي ، انساني، حضاري ، فني ، لذلك توحدت النعابير والتقت الاناشيد وتألفت الجزئيات .

لم يضع خليل حاوي ، عندما كتب « الناي والريح » ، القارىء العادي نصب عينيه ، فشعره يكاد يكون وقفا على القارىء الثقيف المتمرس في ضروب الفن . من هنا منشأ الصعوبة في شعره اذ انه بتوحيده بين عمق الفكرة والاخلاص للتجربة والاصالة في التعبير ، خلق جوا كثيفا غنيا . فالفيلسوف تسبيه الفكرة العميقة والفنان يتاثر ابعاد الصورة وشخوصها . هذا التنوع ضمن وحدة متكاملة لا يجعل الديوان مشاعا يلهو به القارىء ، انما هو موحد على تباين في مصادر التكوين . يطل الشاعر على الافاق الانسانية المترامية من خلال ذاتيته . فهو يطبع اشكال الوجود بطابع نفسه . اما الشعور الاساسي الذي يلازمنا عند قراءة الديوان هو ان الشاعر لم يتنكب قط لموقف ايجابي اراده فعلا ، هادما فبانيا . وسنعمد الان الى حصر الكلام في اهم نقاط الديوان وهي : اولا: تأرجح النفس في ازدواجية تتهادى بين العبث ودفق الخلق . ثانيا : الهدم . دفع الشاعر ايمانه بالقيم فرفض وبرفضه اراد تأكيد قيم جديدة هي مقياسيه في عملية التقييم للواقع . ثالثا : سنتناول التشييد ودور المرأة في الديوان ومن ثم بعض عناصر الديوان الفنية .

ازدواجية الشاعر : تلازم الشاعر في مجمل قصائد الديوان ازدواجية صارخة توقفنا على اضطرام نفسه وتوزعها . الا ان هذه الثنائية مشدودة باصل وهو معاناة ميتافيزيقية لمشكلة الوجود ذاته ، فتخطى الشاعر في ديوانه حدود القوميات وانطلق الى مستوى انساني شامل ينقب عن وجه جديد للحياة وعن مصير الانسان في كنفها فاصطدم بواقع مرير ، جمود نبضة الحياة في الحضارة الانسانية ، شرقية كانت ام غربية .راعه ما رأى وما وقف عليه فانتابه شعور ، وكانه حلم بعيد ، بضرورة اعادة الخلق من جديد ولكن واقع الحياة المتجمد باشكال مؤسسات دينية واجتماعية وسياسية واخلاقية وفنية يقتضي قوة جبارة لتزيله . حيال هذه كلها يتوقف الشاعر جزعا اذ يخامر نفسه العبث من اعادة الخلق . ويعصف تيار الضعف فيه ويثنيه عن ايجابية العمل ولكن سرعان ما يندحر ذلك الضعف امام جبروت القوة والتحدي وزخم العطاء . تتتالى في نفس الشاعر هذه الاصوات فاذا ما استرسل في ضعفه تهرب الى : البصارة » ، وبنى عالما وهميا ، فتستانس نفسه بالفكرة ، فكرة البناء، وما ان يكتشف جنون المحاولة ووهميتها حتى ينتفض ليعمل معوله في الهدم ، تمهيدا لبنيانه الجديد . في هذا الجو النفسي تسرح افكار الشاعر فيخضم الذكريات وتتداعى الافكار بتناسق سيكولوجي لـــه منطقه الخاص اذ يستدرج القارىء فيتبعه في جميع حالاته النفسية وايماءاته البعيدة التي تبرز اثناء الغوص في المشكلة. في هذه الارجاء الرحبة نجد تألقا كليا بـين جميع امكانيات الشاعر. فتتضافر الكلمة وموسيقاها ،والجملة وتركيبها ونغمها،والصور المختلفة، وتنسجم هذه كلها مع نبضات النفس في قلقها واضطرابها وتحديها وتحركها للخلق . فما صوت الجن ومغريات الناي والحنين الى الديار والاهل والمحبوبة ، هذه الجزئيات التي تمثل وجها من اوجه اثنينيته ، سوى جزئيـــات بالنسبة الى المشكلة الاساسية الكبرى. الا انها تمتاز بالقيام بوظيفتين: فنية ، اذ ترسم الافاق التي تضربها افكار الشاعر في تداعيها كما وانها تسبغ على المعاناة الكبرى حقيقتها وواقعيتها لدى تسامي الشاعر عنها الى الكليات الشاملة . كما وان هذه الرموز حسية وخاصة . الا ان الشاعر ينطلق من الخاص الى العام ومن الحسي الى التجريد دون ان يفصم العرى بينها فتبقى مترابطة متفاعلة وهذا التحقيق الرائـــع ، ربط جماح العام بالخاص والمجرد بالحسي ، خلق فني اذ ان القـارىء في تجواله بالافاق التي تخطها القصائد لا يفقد ارتباطه بالواقع فتبقى التجربة زاخمة بالحياة فاعلة في اعماق النفس على صعيد عال مـــن الفن . وهنالك عامل اخر يضفي الحياة على التعبير وهـــو تشخيص الرموز . فللريح « جوع مبارد الفولاذ » وللشمس حضن وللبيت حنوه والزوايا صامتة . وهذا التشخيص يحيي التجربة في نفس القـارىء فيتعاطف والشاعر فيتمثل تجربته .

مرحلة الهدم : ينفذ الشاعر الى هذه المرحلة مـن خـلال صوتـه الايجابي ، الصوت الذي وقف في وجه « البصارة » و « النـــاي » و « الصديق » . عندما ثار على البصارة وما تلفقه وضحى بالاهـــل وبالعائلة في سبيل الكلمة التي هي اشبه بالزوبعة في اقتلاع الرواسب وفي استثارة الرياح والعاصفة . من العبارة سوف تهب الريح الغضوب تهدم كل ما تحجر او ترسب من تقاليد وتفضح ما علق بدثارها من دنس وريـاء . كلمة الشاعر البناءة هي التي ستقتلع الاساليب المنمقة التي تستر العار والمهزلة في ثناياها . الريح التي ارادها هادمة تبعثها الكلمة الجديدة لتجهز بالكلية على الجماعة المتصدية للحقيقة المختالة داخل سياج ضيق الافق . ثم انه ينتقض على الزمن ايضا من حيث هو قيد يحد من جذوة النفس الفتية دائما ويحد من عملية الخلق المتواصل اذ ان الزمن يتضمن النهاية ، والشاعر يتوق الى الديمومة والسرمدية . وقد يكون هذا الموقف بالذات هو ما ادى بالشاعر الى التنويه عـــن الديمومة بوحدة الحياة والوجود والمتجددين . (ويبدو لي ، ولكني لست متاكدا بعد ، ان خليلا يشير بابهام الى فكرة التقمص) . فالتحجـــر والاقنعة المتجمدة والسياجات جميعها عوائق تحد من انطلاقة الحـــياة وعفويتها وبراءتها وتلقائيتها ، لذا اعمل بها معوله . شانها في ذلك شان كل من يموه ويزور ويداجي . لذا نراه يسلط عليها ريحا تمسح مـــا تحجر وتطهره ليمهد السبيل الى الخلق . ولا يستثنى في ذلك تاريخه باكمله . فتاريخه متكدس باروقة مليئة بالصور الدنسة القذرة .

ريح تهب كما تشير عبارتي
للريح موسمها الغضوب
للريح جوع مبـارد الفولاذ
تمسح مـــا تحجـر
مـــن سياجات عتيقـــه

ويعـود مـا كـانت عليـه
التربـة السمراء فى بدء الخليقـه
بكـرا لاول مـرة تشهى
بحضن الشمس ، ليـل الرعـد
يوجهـا ، وتستمري بروقـه

وكان الشاعر يبحث عن عدن جديدة لاعادة الخلق من جديد .

مرحلـة التشييد : ان الهدم الذي عرفه الشاعر يحتوي فى ذاتـه بناء ، فليس هو بالتخريب الهدام . فهو كالثائر يرفض ليؤكد. فالجديد سيمرع على انقاض هذا القديم . وتجمـل الشاعر بالصبر والبراءة والطفولة الثامية من ذاتها ساعدته على البناء . فى هذه المرحلة يخرس صوت الجن وتزول البصارة من الوجود ويلتزم المبادرة صوت الشاعـر المتفائل البناء . لقد نجا الانسان من العدم بديمومة تجدده فى الغـير الذي انجب . فاذا ما اغترى وجهه الغضون لم يحدث ذلك فى نفسـه نكسة فهو سيبعث ثانية من جديد باتحاده بالعناصر الطبيعية الحية . ان هذا الشعور بالذات ، اغرى الشاعر بالانتحار على جسر واترلو اذ لم يعد للموت رهبة واهمية فهو هنيهة انتقال من شكل عرضي فى الوجود الى شكل عرضي اخر .

ولكن عملية الخلق ليست بالامر اليسير . فالبدء بالمواد الخـام ، بالتراب البكر ، يقتضي فنانا مبشرا :

عدت اليكم شاعرا فى فمـه بشاره
يقـول مـا يقـول
بفطـرة تحس مـا فى رحـم الفصل
تراه قبـل ان يولد فى الفصول

المـرأة : فى كل قصيدة من قصائد الديوان ظل من امرأة ترفد الشاعر فى ساعات خلقه ، فى ساعات ضيقه وحرجه تدفع به شوطا الى الامـام ولكنها لا تحل له مشكلة . قد تزيد فى بعض الاحيان مشكلاته فيستنجد بفنه لحل هذه المشكلات . وخليل لم يفهم المرأة فى ديوانه على انهـا دمية يمحضها الحب فى الاقبية الوطيئة فحسب بل عرفها ايضا امـا تتحرق الى لقياه ، ومحبوبة بريئة جريئة. فالمرأة لم تكن مرحلة بالنسبة اليه . فاذا ما تساقى مع الفجرية الهوى ، أصابه شعور بالفراغ مقيت. فالمرأة هي عامل من عوامل الخصب والدفق والحياة . هـي ضرورة للانسان وبدونها لا تكامل لدورة الحياة .

الموسيقى : واما فميا يتعلق بالموسيقى فلقد جرى التقليد ان يتبـع الشاعر وزنا معينا وان يقفي ابياته . الا ان المعنى للموسيقى هو ذلك التناغم بين حالات الشاعر النفسية والتعابير والتراكيب التي ينتقيها ليعبر عن معاناته . فللانفعالات النفسية موسيقى تتقمصها اللفظـة والجملة متفاعلتين . فاذا ما تفجرت المشاعر والاحاسيس وتداعت الافكار بسرعة خاطفة ، او اذا استكانت النفس واطمانت تتالت التعابير واندفعت شلالات زاخرة او انسابت مترنحة هادئة. فى هذه الامداء يجب ان نبحث عن الموسيقى . الا ان هذه النظرة لا تعني بالضرورة التخلي عن اي وزن لذلك كان على الشاعر ، فى رأيي ، ان يبني موسيقاه من العنصر الاول ، التفعيلة ،فيخلق وزنه . وجل ما فى الامر الا يتبنى الشاعر وزنا معينـا ثم يسعى لسكب مادته فيه ، ففي ذلك حد لعفويته وتلقائيته يقضي على اصالة الشاعر وميزاته الخاصة . لذلك ، لما نظرنا الى القصيدة كوحدة عضوية ، اضطررنا الى تقصي تفاعل جميع عناصرها غير مفضلين واحدا على الاخر . فالتفاعل بين هذه العناصر من الفاظ وصور وتشابيـه وتراكيب ورموز يسبغ على القصيدة جوا لا يمكن ان يخلقـه العنصر المستقل بحد ذاته . وهذا التفاعل بالذات ليس عند الشاعر الاصيل ، سوى تجسيد لصدى انغامه النفسية . هذه هي موسيقى «نهر الرماد» و « الناي والريح » موسيقى سيمفونية . وعلى سبيل المـثال اورد المقاطع التالية :

بعضنا مات ادفنيه ، ولمـاذا
نعجن الوهم ونطلي الجمجمة ؟
اسنـدي الانقاض بالانقاض
شديها ... على صدري اطمئني
سـوف تخضر
غدا تخضر فى اعضـاء طفـل
عمـره منـك ومني
دمنـا فى دمه يسترجع الخصب المغني ،
حلمـه ذكـرى لنـا
رجـع لمـا كنـا وكـان
ويمـر العمر مهزومـا
ويعـوى عنـد رجليـه
ورجلينـا الزمـان

يأتي هذا المقطع بعد قطعة مشحونة بمرارة الوحشة والم الذكـرى وشدة العياء ، يختلجها خيط من اليأس خفي وفجاة ينتفض الشاعر من هذه الحالة ، يدفعه شعور بالتحدي مستمد من يقينه بالخلود فترتـاح نفسه فينشد « اسندي الانقاض ... شديها ... اطمئني ... سوف تخضر ... » فى هداة الطمانينة تنساب نفسه مرتاحة فى نعيم جو غنائي. فرت نفس الشاعر فى انتصاره فانجذب عن عجلة الزمان وتعالى عنها فهوى عنـد رجليـه الزمـان .

واني ، بالنظر لعمق التجربة واخلاص الشاعر فى معاناتها والفن الذي جسد هذه المعاناة ، مؤمن بان خليلا خالد فى شعـره خـلود الانسانيـة فمعاناته ، اذ تنطلق من واقع فكري خاص ، لا تلبث ان تفوص الى جوهر مشكلات حياتية يجابهها الانسان فى اي مكان وزمان ما دام الانسان انسانا. وسيبقى شعره ابدا تعبيرا متجددا عن خلجات النفس الانسانية .

فؤاد سعيد حداد

الجامعة الاميركية فى بيروت

•

نـار واصفـاد

ديوان ـ محمود حسن اسماعيل ـ ١٨٠ صفحة ـ منشورات مكتبـة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ (لم يذكر الدكتور المحاسني اسم المطبعة)

تهدهد الشعور اوتار القيثار فيرتاح بعد اضطرابه ، وتنسكب الالحـان فى النفوس فتحس روح الحياة بعد القلق والعناء . ولقد عاش القيثـار منذ اليوم الذي ابتكره المنشد الاسطوري (اورفه) الاغريقي وسيلـة للغناء ، وتمسيد العصب المهتاج ، ولكم رحت اعجب حين سميت هـذا الحديث بالقيثارة الملهبة وانا اقرأ ديوان الشاعر الكبير محمود حسـن اسماعيل ، الذي وسمه باسم (نار واصفاد) . فالنار المندلعة من شعره الوطني اللاهب سرت كالكهرباء فى اوتاره فانتفضت لـحونا حماسية ، واناشيد فدائيـة .

ولئن تكلم قبلي ادباء ونقاد على هذا الشعر القومي الحديث ، الـذي اطلعه الشاعر اسماعيل فى ديوانه الاخير ، فان لكل صاحب فـن زاوية ينظر منها الى الاشياء ، وما اجدر النقاد والدارسين لاثار الفكر والفن ، بان يكونوا كالمصورين الذين يقتعدون فى زواياهم التي تروقهم ، ومـن صوبها ينظرون الى الصور والاشكال لينقلوها الى الواحهم ، وقـد يجدون فى ذلك كثيرا من حرية الفكر والفن .

لقد جلست ارى الى النار المتوهجة فى شعر عربي رصين، واسمع تكسر الاصفاد فى وصف الجهاد ، والاستشهاد ، خلال قصائد هذا الديوان ، وقد جاءت فى وحدة موضوعية ، وكانها كتاب ذو مقدمة وفصول وخاتمة. بل لعل دارسي الادب الثائر ، فى العصر الحديث، يجدون فى هذا الديوان وثائق ومرايا لحركات الجهاد والانبعاث القومي ، فى ديار العرب، وبخاصة على ضفاف النيل .

وجدت الشعور الديني في صفائه وقنوته ممزوجاً في هذا الشعر ، بالشعور القومي ، والوطني ، فمن الفاظه الدالة على هذه المنازع الصافية استعمال الشاعر مياسم للقصائد كقوله : اذن الفجر واندلعت شرارة الانبعاث ، وقوله تكبيرة الحرية ونفخة الصور . وكنت ألوب لدى الشعراء المعاصرين على نبع من مثل هذا الفيض ، حيث يلتقي ايمان الوجدان ، بعقيدة الاوطان . وفي عود الشاعر الى تاريخ الرسول الاعظم، مشاهد رائعة في صدق ما كان يصنع الايمان في الجهاد والفتوح . فعلى صدى الابتهالة الصاعدة ، من قلب الشاعر محمود حسن اسماعيل ، وتمجيده الصادق للنبي الكريم ، تمر مواكب قصائده ، وكأنها رعيل اثر رعيل في ابطال مدججين بالسلاح ، تخفق فوقهم البنود ، وقد فغروا افواههم بالنشيد المجلجل ، الذي تحسه الصدور ، ويدوي في الاسماع.

سجلت هذه القصائد حركات الجهاد منذ عهد الرسول مضمخة بالحرية والامل في الهجرة وانبعاث الاسلام . ثم انتقل الشاعر بقصائده من افاق التاريخ ، التي ضفرت على جبين العروبة آيات التخليد ، الى اجواء العصر العربي الحديث ، فاذا الهبة الكبرى في امة الضاد ، واذا ارض الكنانة تغلي بالتحفز والانبعاث ، مثل بركان يريد ان يثور ، فعلى انتباهة الفؤاد الطافح بالايمان ، اخذ الشاعر اسماعيل قيثاره وانشد :

قيل : بشرى السماء .. قالت : محمد
فأكبت اوثانهم وهي تعبد
واستجارت نيرانهم وهي تخمد
وتهاوى ايوان كسرى الممرد

وتهادى من سدرة الله فرقد ... دك بالنور كل ليل وسارا..

وكان شاعرنا يرى العرب السابقين لعهد الرسول في ضلالة وسوء مصير . وهو مذهب من يجعل الاسلام بدءا للامة العربية منذ عهد الرسول . على ان للعرب فيما قبل ذلك حضارة فكرية في اللغة والادب وفي الشعر بخاصة ، وكان لهم بطولات تزاحم الاساطير باهوالها ،وكانت لهم مروءات لا تحصى . لكن الشاعر آثر ان يرى الشعاع الجديد ، وقد ملأ الدنيا بعد الجاهلية فأنشد :

رب هذي مضارب الجاهلية
خيمت فوقها العصور الشقية

وحين يتخذ المؤرخون شواهد الشعر ادلة في التاريخ سيجدون في ديوان الشاعر محمود حسن اسماعيل اصدق النصوص لانتفاضة العرب المحدثين .

صور الشاعر الثورة العربية في ارض النيل ، والدعوة الى الحرية والنضال من اجل الجلاء ، ومعركة الفداء في بور سعيد ، وانبثاق النور العربي الذي اخذ يعم العالم . كل ذلك اناشيد متوقدة من ملحمة العرب في العصر الحديث .

ويهز القلوب شاعر الوجدان والحماسة ، حين يصور لنا في ديوانه (نار واصفاد) بؤس اللاجئين والخيام فوقهم تهزها الرياح ، فيوقد شعلة الامل ، من اجل رجوعهم الى الوطن المغصوب . ويهتف بثوار الجزائر، ليدركوا يومهم الكبير في ظلال الحرية، ويطيف بامصار العرب فاذا هي على ضفاف الرافدين ، وفي اباطح الكويت ، ومواسم الذكرى لحرية الباكستان .

وقفت لهيفا على قصيدته التي سماها (عصا المعري) فتمثلت (معرة النعمان) حيث يرقد حكيم العرب وشاعرهم ابو العلاء ، واذا شاعرنا يقول له بين التمجيد والعتاب :

يا قابعا في ظلام فوق لجته ... اعصار فكر عتي البأس صخاب
سواده لاغاني النفس مسبحة ... وصمته لجنون الشك محراب
خل الحقيقة لا تخفل بموطنها ... ولا عليك اذا طلابها خابوا
ان الحياة حياة كيفما وجدت ... وسحرها لجميع الخلق جذاب
علام اشبعتها ذما ومن يدها ... نور بعقلك للازمان خلاب

وكان شاعرنا استحضر الفيلسوفين الاغريقين اللذين كانا اول الدعاة الى حب الحياة « أريستيب » و « أبيقور » لكي يلوم بهما فلسفة أبي العلاء في الانصراف عن الدنيا . وحين زار الشاعر محمود حسن اسماعيل « حلب الشهباء » عاصمة سيف الدولة الحمداني ، راعته ذكرى التائر العربي « عبد الرحمن الكواكبي » فصنع قصيدة متدفقة بالحرية والنور ، من اجل بطل وبلد ، تعتز بهما ديار الشام ، فراح يقول في اعقاب القصيدة :

شهباء قصي يقص الدهر واستمعي ... فكم بأرضك عز الشرق والعرب
اصغي لقبر صلاح الدين ان به ... لحنا يكاد من الايمان يلتهب
وعفو سمعك ان لم تشج قافية ... فان سحرك يبلى دونه العصب

وكنت اؤثر للشاعر ان يذكر في حلب بطلها الخالد سيف الدولة الذي كان حامي حدودها امام البيزنطيين ، من قبل عصر صلاح الدين .

وكان مطلع قصيدته الملهبة :

مشى الي خريف الوحي يقترب ... مدي يمينك بالالهام يا حلب

فعلى رسلك يا شاعري الموهوب ، فلئن قلت انك تدلف الى الخريف، فوحق الشعر ، اني لارى الهامك ما يزال في عنفوان الشباب .

القاهرة — زكي المحاسني

•

ملحمة الانسان

شعر ـ ثريا ملحس ـ ٢١٦ صفحة ـ منشورات دار الكتاب اللبناني(؟) ـ مطابع دار الشمالي للطباعة في حريصا لبنان

لايام خلت زودت الكاتبة الموهوبة ثريا ملحس الخزانة الادبية بديوان شعر جديد اسمته « ملحمة الانسان » وفي هذا الديوان نحت ثريا نحوا جديدا في نتاج جديد ...

وقبلا كانت ثريا دعامة من دعامات المدرسة الرمزية في الشرق العربي لكنها في ديوانها الجديد تناست ذلك اللون من الشعر الطمطماني الموسوم بهتانا بالرمزية !

لتعذرني ثريا على هذا «التقديم» فاني اود لها من الخير ما توده هي لنفسها وافخر بادبها فخرها بنتاج قلمها . وكم تمنيت لو انها اقلعت عن ذلك اللون من الشعر وجابهت الحياة سافرة بلا لثام ... وعالجت مشاكل الحياة ، وهي الاديبة التي استشرفت الصور اللماعة في شوامخ الكتب وعبت من معين الادبين العربي والغربي ، ما سلحها بثقافة ممرعة رتيبة لم تبلغها الا القلائل من اديباتنا العربيات !

حزمت الشاعرة ديوانها « ملحمة الانسان » على خمسة ابواب اولها « مع الله » وثانيها « مع الوطن » وثالثها « مع النفس » ورابعها « مع الماضي » وخامسها « مع البشر » وكم تمنيت لو ان صفحات مجلة « الاديب » الكبرى وهي المورد العذب الكثير الزحام تتسع لاكثر من هذه العجالة لتناولت (لوحات) هذا الديوان التي جاءت تتهادى باصباغ خلعتها ريشة شاعرتنا عليها وبتلاوين وشت بها تلك (الصور) لوحة لوحة ! ولئن حالت صفحات هذا الحقل دون الاسهاب والتطويل فانها تتسع بلا ريب لكلمة عاجلة اقولها في باب « مع الوطن » هذا الباب الذي عالجت فيه ثريا (قضية فلسطين) وهي اولى قضايا العالم العربي واخال شاعرتنا قد عالجت هذا الموضوع القومي الحساس لاول مرة وهذه ظاهرة طيبة تغبط عليها (ثريا) و (القضية) التي لم يرو التاريخ اظلم منها .. فكبت فلسطين بهذا التحول جبارا من جبابرة الفكر العربي

ولتعذرني ثريا اذا ما صارحتها بايثارها (الرمزية) على مشاكل وطننا الكبير المثقل بهمومه ، الراسف باغلاله . ولو انها اولت امتها المظلومة بعض نتاج قلمها لربحت الامة العربية وقضاياها بثريا ربحا لا احسبه بالقليل ولكسب اللاجئون المشردون باديبتنا قلما خصبا له قيمته في الادبين العربي والانكليزي .

وفي باب « مع الوطن » حزمت ثريا اثنتي عشرة (لوحة) كانت باكورتها

« نهر الاردن » ذلك النهر الذي غسل فيه السيد المسيح ناسوته وكانت ضفتاه مسرحا لعجائب السيد الذي قالت ثريا بلسانه :

لو عاد (عيسى) فى البشر
ماذا تراه يسأل ؟
لو قال : يا قومي الم
ترعوا بلادا قدست
فاصفر منا اوجه
رحنا بذكرى حالمه
قلنا : مكان المولد
فيها ، وذكرى المهتدي
فى بيعة (انجيله)
فى مسجد (قرآنه)
انشودة لن تصمتا
الا لحق ينتصر
هل نحفظ ، عهد القسم :
للنهر الا ينضبا
للشمس الا تغربا
للبيت الا ينهدم
للارض الا تسلبا ؟
هذي يدي ، خجلى بهم :
قومي ، يغدرهم قدر
تاهوا ولم يبق اثر

للحق ، للمجد الاغر
تاهوا ، وضلوا فى البشر
قومي !
هذي يدي
وامدها نحو العلاء
ترتد خائبة الرجاء
يهوى على اكليله
شوك يدمي راحتي
يا قومنا ، لا تتركوا
لصا يواري نهركم
نهر المحبة والسلام
ويئن من جرح العداة
نهر المحبة والصلاة
ماذا يقول (المصطفى)
عنا ،
ونهر الذكريات
يغنى ،
و (عيسى) المرتجى
منا ؟

وكانت « حيفا تنتظر » (اللوحة) الثانية وفيها صورت الشاعرة جارا حمى ديار الجدود ودفع عنها عوادي الايام وبدد اطماع العدو الغشوم:

فيما مضى ، جار قضى
يحمي ديارا سادره
فيما مضى ، جار قضى
فى الحقل ، يرعى ماشيه
بالناي يتلو سورة
قصصا والف حكاية
يتلو لنا ، جار لنا
يحمي ديار جدودنا
وحقولنا ،
فيما مضى ، لثم لنا
عشبا لنبني سورنا
حتى يفر المعتدي من ارضنا
فى صدرنا كان القسم :
سنعود يوما ننشد
سنعود فى ظل الشجر
سنعود مهما ننتظر
نعلو على عزم القدر
ومضى على قسم لنا
عشر سنين ،
نقتات من حقد البشر
يا ويلنا ، يا ويلهم
فى ثانيه ،
هدمت بيوت شامخه
سحقت الوف من بشر
وعلى رصيف نزحف
ونقامر ، ببلادنا

يا ويلنا ، يا ويلهم
أيموت فينا ساهر
وضميرنا ؟
ايعود اولادنا
يبنون صرحا عاليا
يحكون قصة ارضنا ؟
فيما مضى ، كنا بحيفا ارضنا
ننقل من امواجها
فى بحرنا ،
نرمي المدى بقطوفها ، من كدنا
من زرعنا ،
وبيوتها من صنعنا
يحكون عنا : كان آباء لنا
من جهلهم ، هدموا ديارا ساميه
يا ويلنا ، يا ويلهم
جهلاء كنا ، لا نرى
من ياخذ وترا لنا ؟
والطير صاد لا ينام
انا لقوم (لاجئون) !
ويعود فينا صوتنا
صوت الضمير ،
ونهب يوما ننشد :
سنعود فى ظل الشجر
سنعود مهما ننتظر
نعلو على عزم القدر
سنعود (حيفا) تنتظر !

ودارت الدائرة على اهل فلسطين فشردوا تم كل نجم وكوكب وهاموا على وجوههم اضيع من الايتام .. وبارحوا ديارا عزيزة كان يقول فيها كل منهم :

بلاد بها نيطت علي تمائمي

وفى تلك اللأواء صورت ثريا عويل (الفلسطيني التائه) ودعوته الله لينقذ زغب قطاه ، بعد ان عصفت بهم النكبة ، وتشتت الاهل والاحبة :

الحر كان لاهبا
والبحر جاش مزبدا

عويلهم يذوب فى امواجه
وقلبنا يدور الف دورة

ويركع :
يا ربنا ، انقذ لنا
اطفالنا ، يا ربنا !
وبعد ساعة سنلثم التراب
ونسجد :
يا ربنا ، احفظ لنا اطفالنا
والدمع يجري ثائرا
يا ويلهم من ربنا !
ونسرع
ونصرخ :
عجل بنا يا سائق ،
مجدف ،
رصاصهم مصوب فى ظهرنا
وتصرخ فى الزورق
اخت الوطن !
وينفر من اصبع لها دم
من وجهها ،
تصيح : يا ربان عد بنا الى
ارض الوطن ،
نسيت اصبعي مع الاعداء
يا ربان يا ...
يذوب صوتها بامواج عظام
يموت فى ضلوعها
يغمى عليها حانقه

يا ويلهم من ربنا
اخرى تشد طفلها
تشده ، تبكي ، تقبل العيون
تزغرد ،
واين الطفل ؟ وماذا تحمل ؟
والعين اين ؟.. تجهل !
تزغرد ، تبكي ، تشد لفة
لا شيء فيها ... تشهق
تردد ... نبكي معا
يا ويلهم من ربنا !
والموج كالمجنون يحدوه الامل
يصيح : يا صيدون، يا ارض الامل
استقبلي ابناء يافا اللاجئين
احدق ، احدق
يغيب فى اذني الوجود
احدق ، احدق
يغيب فى عيني القيود
واين امي فلذتي
ابي ، واخوتي .. وعدت اذكر :
فى ساحة ، فى حقلنا ، دفنتهم !
يا ويلهم من ربنا
متى نعود ننتقم
من غاشم
بلا ضمير ، يا فلسطين الجدود

كان من اعز اماني ان اتناول فى هذه العجالة (لوحات) هذا الديوان لوحة لوحة، لكن ضيق المجال ، وزحمة الاعمال يحولان دون المضي في هذا الغرض الماتع ، فلتتقبل الاخت المجددة اعجابي مضمخا بطيب مودتي ، مترعا بعطر تحيتي ، وليغمر الله ايامها بالاناشيد ولياليها بلذيذ الاحلام وليثقل الله كرمتها بالعناقيد ، وليملأ بيدرها بالغلال ، وليغمر جرانها بالزيت والعسل !

عمان — البدوي الملثم

•

استقاء الانباء فن : صحافة الخبر

تأليف ستانلي جونسون ، وجوليان هاريس — ترجمه بتصرف وصدر له وديع فلسطين — ٤٠٦ صفحة — حجم كبير — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين — منشورات وطبع دار المعارف بمصر

آية الكتاب الجيد ، ان يخلو من الحشو ، ومن التافه من الافكار ، والرخيص من الفن ، ولا يضطرك الى ان تقف ازاءه قائلا : ما كان اغناه عن هذا ؟ وما كان اجمله لو حذف ذاك ، ولكنك اذا عبرت الكتاب حتى انتهى بك المطاف الى النهاية ، ولم تهوم فى ذهنك امثال هذه الخواطر ، ولم تتردد على لسانك امثال هذه العبارات ، فهو كتاب جيد ، يستحق ما ينفق فيه من جهد ووقت .

وهذا الكتاب : استقاء الانباء فن ، من هذا الطراز الذي يستحوذ على لب القارىء له ، ويملك عليه حسه ، حتى لا يشعر بالوقت يمضي ، والصفحات تطوى دون ملل ، او شعور بسام ، كذلك الذي ياخذ المرء ، وهو يطالع كتابا ، ليس طوعا للنفس ، ولا حبيبا الى الفؤاد الذي يهفو الى الاثر ، ثم سرعان ما يرتد وقد اصابه الكلال ، لعجمة فى الفاظه ، او نبو فى عبارته ، او قلقلة بنبناياته التي تصدم القارىء الجاد ، والمطالع المتسلي على السواء .

على ان من ابرز مميزات هذا الكتاب ، ان فكرته واضحة ، وهدفه محدد ، واسلوبه عربي رصين . ومرد هذه المميزات الى ان مترجم هذا الكتاب : الاستاذ وديع فلسطين ، اديب يحسن التعبير فى كل فن ،

دار المعارف لبنان ش.م.ل.

بيروت - بناية العسيلي - شارع رياض الصلح - ص.ب ٢٦٧٦

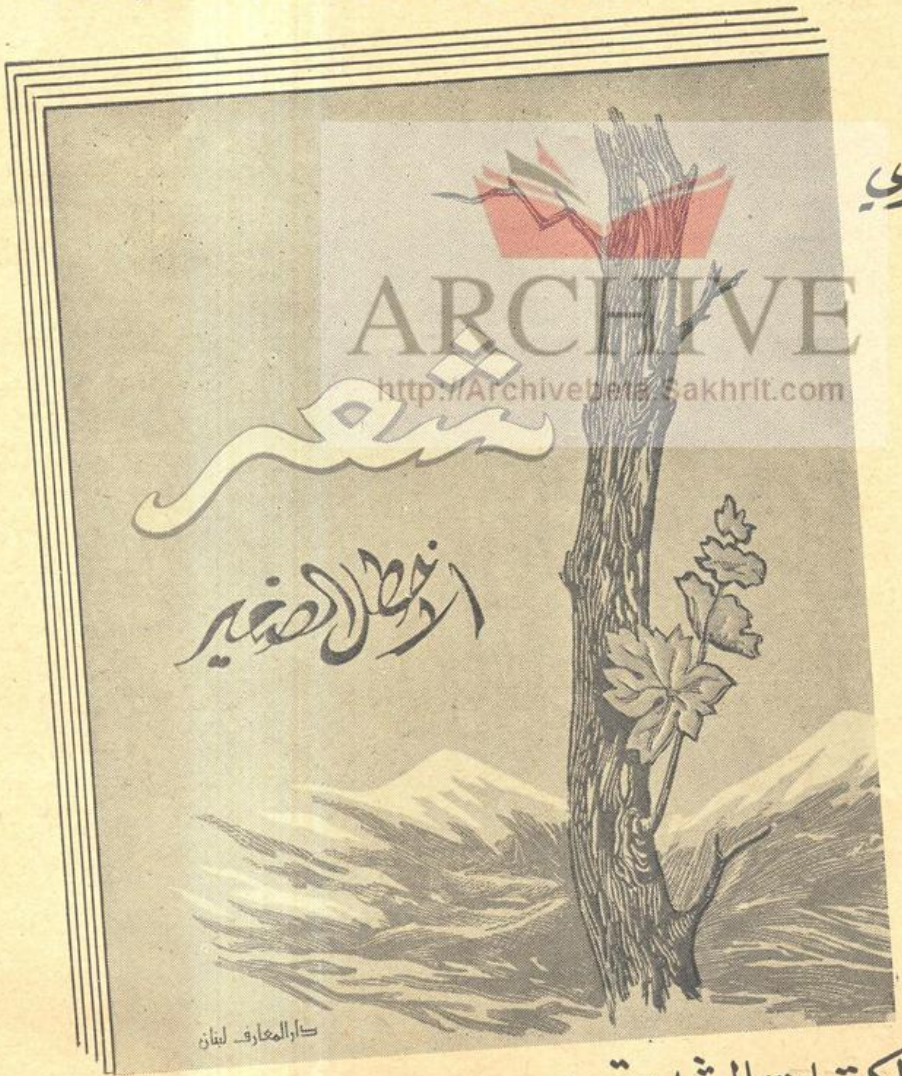
تقدم للقارىء الديوان الثاني لشاعر لبنان والعرب الاستاذ بشاره عبد الله الخوري

«الاخطل الصغير»

شعر الاخطل الصغير

في شعره ميزتان:

- موسيقى تبلغ حد الاعجاز
- اقحام الغزل في كل موضوع مما يجعل لشعره نكهة ما عرفها الادب العربي منذ كان.



تأليف

بشاره عبد الله الخوري

تطلب من جميع المكتبات الشهيرة

لا سيما فن الصحافة التي عمل في خضمها اكثر من عشر سنين ، كان فيها معلما وموجها ، ومرسلا للرأي السديد ، وباحثا عن الخبر الفريد .

والذين قرأوا « المقطم » وطالعوا « المقتطف » خلال تلك السنين ، يعرفون هذا الكاتب العربي الاصيل في افتتاحياته لهذه الجريدة اليومية الكبرى ، التي كانلها شأن واتجاه ، ورأي وقراء في الشرق والغرب ، ما انفكوا يذكرون هذا العبء الاكبر الذي اضطلع به الاستاذ وديع فلسطين ، وهو مؤمن برسالته ، حريص على السير بها بين المعمرين فيها ، المتفانين في الوصول الى الهدف ، والمخضرمين في ساحاتها الذين وقف هذا الكاتب واياهم على الدرب ، ووصل ، وهم بعد في عرض الطريق يتطلعون الى الغاية ، ويتوقون الى هذه الامجاد العريضة المتفيئة الظلال ، لكن في خضم هذا العديد من تيارات الفكر ، وتصارع الاتجاهات.

والاستاذ وديع فلسطين ، لم يأخذه الغرور بفنه المتمكن ، ولم تلعب بنفسه اهازيج الانتصارات . فما زال يرمي بنفسه في ميدان الصحافة ، ويغوص بقلمه في بحارها ، ويخرج بهذه القيم التي تتناول فنون الصحافة، وتعني بتعليمها وفهمها على وجهها الصحيح ، دون بهرج او زيف ، او التواء في الغرض ، او سوء فهم لهذه الناحية الجمالية .

ولقد اضاف الاستاذ وديع جديدا في فن الصحافة ، دون من ، او دل على الذين تفنيهم هذه الدراسة المنهجية السديدة . فكان العبء شاقا ، والحمل ثقيلا لا سيما على رجل يريد التوفيق بين القارىء بالانكليزية والقارىء بلغة الضاد ، الا ان الذي لمس حياة هذا المترجم عن كثب ، وسبر كنهه عن قرب ، لا يستغرب منه العجب الذي اتى به في تعقيباته الراشدة ، ومادته الغزيرة التي ازدان بها هذا الكتاب .

والاستاذ فلسطين نفسه ، يحدثنا عن منهجه في هذا الكتاب ، وعن مرماه في هذه الدراسة التي سلكها ، فيقول :

« وقد توخينا في ترجمة هذا الكتاب فائدة القارىء العربي ، فحذفنا منه ما لا جدوى له في كتاب يصدر بالضاد ، واضفنا اليه ما تراءت لنا اهميته في سفر يتحدث عن الصحافة واستقاء الانباء بلغة سيبويه . فاذا دعت ضرورة الى تحوير بسيط ، ولا سيما في النماذج الواردة ، اجريناه خدمة للقارىء العربي . وكنا نود ان نمضي في التعريب الى اقصى مداه، فنستبدل باسماء المواقع والشوارع الاجنبية اسماء عربية ، ونحل اشخاصا يحملون اسماء عربية محل تلك الاسماء الاعجمية الكثيرة الواردة في الامثلة ، ولكننا آثرنا ان نبقي كل شيء على ما هو عليه ، خشية ان تنطبق الاسماء والمواقع على اوضاعنا ، فيحدث ضرر من حيث قصدنا النفع ، ولا نخال ذلك يضر القارىء ما دام القصد من الامثلة والنماذج هو الارشاد العملي دون سواه » .

وما دام القصد في ترجمة هذا الكتاب ، كان واضحا ، والنية فيه متوفرة ، والسير على هدى ، كان رائد صاحب هذه الترجمة ، فقد مضى في غير تهيب الى تقسيم هذا الكتاب الى سبعة اقسام ، هي المضمون الشكلي ، او هي العناوين الرئيسية لما يحتويه هذا السفر الضخم الذي اشتمل على اثنين وثلاثين فصلا ، تضم المجموعة المتفرعة من هذه العناوين ، او القواعد المتضمنة لكل ما ورد في الكتاب من فنون وانماط ، هي قمينة بالدرس ، وامعان الفكر في كل لمسة من لمساتها ، او هي التكنيك الصحفي بكل مضامينه: من العنوان والافتتاحية والخبر والمراجعة وصف الحروف والابناط وطبع الجريدة الى ان تظهر مستوية في ايدي القراء

والذي لا شك فيه ، ان تأثر الاستاذ وديع فلسطين بالمقطم ، واتجاهه في العناية بالخبر ، وحرصه على ابرازه ، وتنسيقه ودقته ، واستقائه من مصادره ، قد جعله يؤمن بأن هذا الكتاب خير ما يقدم للصحفي : علما وعملا ، قولا وفعلا ، لذلك كان اقباله على هذه الترجمة ، وحافزه على هذا الجهد ، انطباعه على العناية بهذه الناحية التي عاشها «المقطم» اكثر من ستين عاما ، يحرص في امانة على الخبر ، ويوجه الى استقاء الانباء ، ويشجع على جلب الاخبار من مصادرها الموثوقة الدقيقة .

واغلب الظن ، ان الاستاذ وديع فلسطين عندما كان المحرر الاول لهذه الجريدة ، واسند اليه كتابة افتتاحيتها ، لم يجد ممانعة من نفسه من الانصهار في بوتقة هذه الجريدة ، ولم يصادف الا ميلا الى هذا الطابع الذي عرفت به « المقطم » طوال حياتها المديدة ، حتى كتب لها التفرد والسبق والبقاء ، حياتها التي عاشتها تصارع الاحداث ، وتحترب في سبيل الخلود .

على ان الدافع الاول ـ هو في يقيني ـ انه اول كتاب في العربية يرسم الحدود ، ويوضح المعالم لهذا الفن الذي عمل فيه كثير من بيئات مختلفة، وثقافات متباينة ، كلها كانت لا تهدف الا الى هدف ، الا البهرج الكاذب، والدعاية الرخيصة ، او ان هذا الكتاب على الاصح ، يجمع المبادىء العامة لاستقاء الانباء وروايتها وتحريرها ، والامثلة العملية اللازمةلايضاح كيفية تطبيق هذه المبادىء ... كل اولئك .. قد كان الدافع الى نقل هذا الكتاب من لغته الى لغة العرب الذين يحرصون على تناول هذه المبادىء سهلة ميسورة ، دون تعمل او غموض ، يخرج بها عن الفائدة المرجوة من هذه التطبيقات التي تضمنها هذا الكتاب ، وازدانت بها موازينه الشفافة . والذين يتناولون هذه الترجمة الاصيلة ، يجدون فيها شيئا جديدا ، خلت منه المباحث الهامة من كل الفنون : ذلك ان المترجم الحريص على نفع القارىء العربي ، لم يدخر وسعا في تضمين هذا الكتاب ، التجارب الشاملة ، والفائدة التي ابتغاها في العرض والتحليل ، فقد اردف كل فصل بتعليق موجز ، استفاده من خبرة في الصحافة زمنا ، ومن تدريسه لهذه المهنة في الجامعة الاميركية زمنا اخر تعميما للنفع ، وسخاء في العلم ، وايثارا منه على ابناء لغته الذين هم في حاجة الى رسم الطريق ، وتوضيح المعالم ، والسير على هدى وبصيرة في هذا الفن الجميل الاصيل .

وفي الحق ، ان الصحافة العربية ، لم تظفر على كثرة ما مر بها من حقب ودهور ، وما بلت من عهود واطوار بمثل هذا الكتاب الذي ارسى قواعد ، كانت الصحافة على تقدمها في هذا الزمان ، بحاجة اليها : علمية ، عملية ، تطبيقية ، حتى يكون هناك تقنين لها ، وقيم يحرص عليها المشتغلون في حقلها ، ومبادىء يترسم خطاها هذا الرعيل في كل آن وعصر .

وايا ما كان ، فهذا الكتاب : استقاء الانباء فن، الذي يعد فتحا جديدا في الصحافة ، ولمسات نابضة في هذا الفن ، ليس بحاجة الى تقديم او عرض ، او توضيح لغرض ، فالنية فيه حسنة، والتعاليم هادية ،والطريق واضحة المعالم مضيئة الجنبات ، غير ان هذا الكتاب كغيره من الكتب الواضحة المنهج ، لا يرفع من قدره ، ولا يعلي من شانه ، كتابة مقدمة لكاتب صحفي ، هو دون الكاتبين فهما لرسالته ، واقل من المترجم حبا في فنه ، وحرصا على رسالته التي تبلورت وهو يقدم لهذا الكتاب الذي ردد كثيرا من العبارات المبثوثة بين دفتي هذا الكتاب ، والرابطةبحروفها بين اسطر هذا السفر ، الذي كان يجب ان يكون بمنأى عن هذا التقديم المتهافت الذي اتجه الى العرض، دون التفنيد لقيمة الكتاب ، او الاشارة بهذا المجهود الضخم الذي احتمله ، في صبر يحسد عليه ، مترجم هذا الكتاب : الاستاذ وديع فلسطين ، الصحفي الاديب .

وما احسبني بموف هذا الكتاب حقه ، فهو اكبر من ان تلم به كلمة عابرة ، او نظرة عجلى ، وهو في غنى عن هذا العرض ، وذلك التقديم ما دام القارىء العربي على وعي متفتح ، وضمير حي ، ونفس صافية الى الاعلاء من شأن العاملين في كل الميادين في صبر وصمت وجلد ، وان كانت اعمالهم هي التي تتحدث ، وتعلي من شأن هذا التفكير الحر ، وترفع من قدر الوثبات التي عمل من اجلها ، وفي سبيلها هذا الكتاب الكاتب المتعمق : الاستاذ وديع فلسطين .

القاهرة — ابو طالب زيان



جولة الأديب في شهر

يحيى حقي المصور بالقلم

استمتعت بقراءة مجموعة قصص ولوحات يحيى حقي الاخيرة « عنتر وجولييت » فوجدت فيها نفس الفنان الذي عرفناه في«قنديل ام هاشم» وانا لا احب ان اسمي يحيى حقي اديبا او قصاصا ، بل افضل تسميته فنانا ومصورا بالقلم وهو يقسم هذه المجموعة الاخيرة قسمين يسمى اولهما قصصا ، والاخر لوحات،ولكني احس ان فنه هو هو في القسمين معا

صحيح ان الاداب العالمية ، بل وادبنا العربي الحديث ، قد عرفت لونا من تصوير الشخصيات او اللوحات البشرية منذ تيوفراست اليوناني الى لا بروبير الفرنسي ، ثم في ادبنا العربي الحديث من مجموعة « في المرآة » لاديبنا الفكه الخفيف الروح عبد العزيز البشري ، الى « ملامح وغضون » لكاتبنا الكبير محمود تيمور ولكنني مع ذلك احس ان ما فعله يحيى حقي بكتابة هذه المجموعة شيء فريد اصيل كل الاصالة ، حتى لاعتبره شيئا جديدا بالنسبة لكل ما قرأت من اداب الشرق والغرب ، فاذا كانت القصة القصيرة في خير تعريف لها تجسيدا لفكرة او احساس، فلوحات يحيى حقي كقصصه القصيرة لا تخلو اية واحدة منها من فكرة او احساس جسدها او على الاصح صورها بقلمه الذي لا يقل براعة واناقة عن ريشة المصور والوانه ، واما اذا كانت القصة القصيرة كما يقول البعض حكاية لها بداية ووسط ونهاية فيحيى حقي والحمد لله لا يخضع لهذا الرأي ، وخيرا يفعل . ويحيى حقي لا يلجأ في ادبه الى خيال جامح يفتعل احداثا مثيرة يرتبها ترتيبا ، بل يكتفي بملاحظة ما حوله وليس هذا بالشيء الهين المتاح لكل انسان فما كل مبصر بصير ، وقديما قال الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو « يلزمنا كثير من الفلسفة لكي نلاحظ ما نراه كل يوم » ومعنى الملاحظة هنا هو ان نستخلص مما نراه معناه الفكري او الاحساس السليم العميق الذي يوحي به ، ويحيي حقي يملك من اتساع الثقافة ورهافة الحس ما يمكنه من ملاحظة ما يراه او يسمعه بالمعنى الفلسفي الذي يتحدث عنه روسو ، وهو فضلا عن ذلك يملك موهبة التصوير بالقلم والتلوين بذوب القلب ، كما انه يعرف وسائل الفن المرهفة الادق من البداية والوسط والنهاية ، للنفاذ الى عقولنا وقلوبنا ، وقد يستطيع بلمسة قلم بسيطة او تبدو بسيطة ولكنها عسيرة كل العسر ان يشخص ما يصوره وان يضفي عليه من ذات نفسه ما يفتح له قلوبنا ، واضرب مثلا لذلك بوصفه لفرغلي صبي المكوجي الذي لا يصعد عمارة الارستقراطيين الا من السلم الخلفي اللولبي ، ولا يصيب من اللحم الا يوم يتأخر المعلم في الدكان فترسل له زوجته طبق طبيخ بلحم فيدعوه لمشاركته واما قناعة هذا الصبي المحروم وحياؤه واستحياؤه وكل تلك المعاني النفسية المؤثرة فيصورها يحيى حقي بهمسة قلم موجزة مركزة ، ولكنها ماضية كحد السيف وكاشفة كوهج الشمس حيث يقول بعد ذلك : « ليتك تراه وهو يغمس اللقمة بحياء من حافة الطبق،لا يهبط بها الا الى منتصفها»وهذا هو معنى الفلسفة في ملاحظة ما نراه ، ومعنى القدرة على اختيار اللمسة الدالة ثم القدرة على التعبير الملون بما سميناه ذوب القلب .

ويحيى حقي رغم رهافة حسه وشاعرية روحه ونفاذ سخريته التي يسميها نقاد الغرب « هيومر » لانها اكثر رهافة ودقة من السخرية او التهكم او النكتة لا يسرف في استخدام اي من هذه الملكات ، بل يوازن بينها ان لم نقل يمزج بينها مزجا دقيقا متوازنا فلا اسراف في عاطفة ولا غلظة في سخرية ولا شعشعة في شاعرية ، ومع ذلك يعرف مداخل النفوس وكيف ينفذ اليها من ايسر السبل واعمقها فنا وتعتبر قصة « عنتر وجولييت » من اروع الامثلة لهذا الفن الممتاز . فعنتر وجولييت كلبان احدهما وهو عنتر لاسرة فقيرة تسكن السطوح ولكنها سعيدة وبوصف حياتها وحياة عنتر معها او على الاصح تصويرها، استطاع يحيى حقي ان يحملنا على حبها والتعاطف معها وحب عنتر كلبها بقدر ما استطاع ان ينفرنا من حياة الاسرة الغنية المحبوسة في قصرها هي وكلبتها جولييت ، ثم اصطاد بوليس البلدية الكلبين في عربة الكلاب الضالة ، واستطاعت الاسرة الغنية في سهولة ان تسترد كلبتها جولييت واما الاسرة الفقيرة فلم تستطع . ويكتفي يحيى حقي في تصوير مشاعر ربة الاسرة الفقيرة بعد ان عجزت عن استرداد كلبها بقوله : « رفعت وجهها للسماء فرات الليل يطبق على الارض .. واغرورقت عيناها فاخرجت منديلها ووقفت تمسح دموعها » . واما الثورة التي كان من الممكن ان يشعلها الكاتب في قلب هذه السيدة ضد الظلم من المحاباة او الصراخ والعويل العاطفي على كلبها الحبيب عنتر فقد سكت عنه يحيى حقي الفنان المتوازن الملكات الذي يعرف ان الاشارة قد تكون ابلغ من الافصاح وان الدمعة الواحدة قد تكون انفذ الى القلوب من سيل من الدموع . ومن المؤكد ان يحيى حقي قد عرف مع ذلك كيف يحملنا نحن القراء على ان نشعل تلك الثورة في نفوسنا نحن ضد الظلم والمحاباة ، وبخاصة بعد ان عرف كيف يعطفنا على عنتر واسرته ، وكيف ينفرنا من جولييت واسرتها الغنية الكئيبة ، وهذا هو الفن الذي قد لا يعرف بداية ووسطا ونهاية ، ولكنه مع ذلك يعرف اسرار النفوس ومسارب القلوب ، ويصل باوجز الالفاظ او الخطوط والالوان الى اعماق نفوسنا .

وانا ازعم بعد ذلك ، وقبل كل ذلك ان يحيى حقي فنان مصور لا سارد حكايات ، بل وازعم انه عندما يجنح الى السرد يفلت الزمام من يده على نحو ما فعل في قصة « سوسو » اي الطفل الصغير محسن عندما ترك فنه التصويري الى السرد القصصي فاذا به يحكي لنا مغامرات الشباب بين الراوي ووالد محسن صديقه ، ليعود بنا بعد ذلك الى مأساة الطفل محسن الذي سقط من بين يدي الراوي من الدور الرابع يوم الاحتفال بعيد ميلاده فمات ، ولم اتبين الفكرة او الاحساس الذي اراد الكاتب تجسيده بهذه القصة . في حين احسست بقوة بفكرة الاطماع النفسية في اللوحة التي صور فيها المؤلف قصة موظف جاء الى رئيسه خائفا ملتاعا من ان يكون اسمه في القائمة السوداء التي تقرر فصلها من العمل . وهو يضرع لرئيسه ان ينقذه من هذه الكارثة معلنا انه موظف سعيد قانع كل امنيته ان يبقى في عمله وان يستمر في قبض راتبه الذي يعيش منه هو واسرته حتى اذا طمأن الرئيس موظفه الملتاع بانه ليس في القائمة السوداء ، واطمأن الموظف الى ذلك راينا اطماع النفس تطل برأسها فيطالب الموظف رئيسه بان يرقيه الى وظيفة مدير مصلحة بعد ان خلت هذه الوظيفة من شاغلها قائلا : « انها مسألة كرامة ، ثم انت لا تخفى عليك شدة الازمة ، وامرأتي تقرعني صباح مساء بقولها : متى تشتري لنا كبقية الناس ثلاجة ؟ »وانا ازعم ان هذه قصة لا لوحة لانها تجسد فكرة بل افكارا واحاسيس ، وهي عندي من وجهة النظر القصيصة الخالصة خير من قصة « سوسو » وهكذا يتضح معنى قولنا ان يحيى حقي فنان مصور لا اديب قصاص .

ونحن على اية حال نفتقر الى الفنان المصور بالقلم اكثر من افتقارنا الى الاديب القصاص ، فلدينا من هذا الصنف الاخير ـ الكثير . واما الفنان المصور بالقلم في مستوى يحيى حقي فاندر من النادر .

وكنت اريد ان اناقش اسلوب التعبير اللفوي عند يحيى حقيوطريقة استعارته لبعض الالفاظ والتراكيب العامية لغاية فنية خاصة فريدة في ادبنا العربي المعاصر ، ولكن اني لي بالحيز الذي يسمح بذلك وهـذه النقطة بالذات تحتاج الى مقال خاص ارجو ان اكتبه عن مشكلة التعبير اللفوي بوجه عام واهداف طرائق التعبير المختلفة عندكتابنا المعاصرين .

(الجمهورية)

القـاهرة — محمد منـدور

•

قصصنا بين الواقعية والشطحات

نشات مذاهب الادب تبعا لتطور المجتمعات وانتقالها من حال الى حال ، فكانت الواقعية في المجتمع الذي شعر بنفسه واراد ان يصنع حياته — ثورة على الرومانسية الموغلة في الهرب والبعد عن الحياة .

وعندما اتصلنا بالادب الغربي في نهضتنا الادبية الحديثة كان مجتمعنا تتحكم فيه قوى غريبة ظالمة ، فاخذ ادباؤنا بالرومانسية التـي كـان الغرب قد اجتازها الى الواقعية .

وخلال انتفاضاتنا التحررية بدا ادبنا في مواجهة الواقع شيئا فشيئا حتى بلغنا الان بعد الثورة قمة هذه المواجهة .

وكانت دعوة الواقعية الاولى ، ولا تـزال ، تتضمن مجانبة الايغال في الخيال البعيد ، والاتجاه الى تصوير الحياة الطبيعية بما فيها من الصراع في سبيل العيش ، وترجمة حقائق الحياة الجارية الىظواهر جمالية تحرك النفس وتلهمها وتدفعها الى التقدم .

وحتى عندما انحرفت الواقعية — في بعض الاوقات — الى الحـوادث الغريبة ووصف البشاعات والشذوذ ، فان رواد الواقعية السوية السليمة قاوموا هذا الاتجاه وساروا بها في مجرى الحياة العادية ، كتب تشيكوف يقول : « ان الناس لا تذهب الى القطب الشمالي وتسقط من فوق جبال الثلج ، انما هم يذهبون الى اماكن اعمالهم ويتناولون حساء الكرنب » .

وقاوم ذلك الاتجاه عندنا ابراهيم عبد القادر المازني اذ قال في كتابـه « حصاد الهشيـم » :

« ان القدرة الفنية ليست في الاغراب وتكلف المحال والاتيان بما لا يكون ، ، بل في حسن اختيار التفاصيل المميزة ، وانه من افحش الغلط ان يتوهم المرء ان الغه الشيء يجعل تناوله اسفافا ونبذه سموا » .

وانتاجنا القصصي الجديد ، وخاصة ما كتب بعد الثورة ، يجري على الواقعية السليمة المشكلة باهداف مجتمعنا الجديد ، فهو يعمل عـلى تصوير هذا المجتمع ويشخص امراضه ومشاكله ويبرز ملامحه الاصيلة .

واعتقد ان ذلك كله معروف ، وما كان يستحق الكتابة لولا ان قرأت اخيرا في مجلة الشهر مقالا للاستاذ يحيى حقي في نقد قصة «المستحيل» لمصطفى محمود ، قال فيه :

« المستحيل قصة جوانية ، عمودها الرئيسي النفس والشعور وهموم الروح ، وهذا نوع جديد نفتقر اليه رغمزعمنا اننا اهل الشرق امناء على تراث روحاني لا مادي . انه يفسح المجال الضيق الذي يحبس قصصنا فيه اقتصار على العالم الدنيوي اما برصد تطور انظمة اجتماعية واثـار تحولات اقتصادية ، وهذا هو سبب اتهام هذه القصص بانها غارقة في محلية منعزلة لها ظروفها الذاتية التي تفقد دلالتها عند الترجمة » .

وقد ردد الاستاذ يحيى حقي هذا المعنى في عدة مجالات . سمعتـه فيندوة بنادي القصةيناقش مجموعة «رسالة الىامراة» ليوسف الشاروني فياخذ عليها ان موضوعاتها كلها تدور حول المسائل المادية او « تقتصر على العـالم الدنيوي » .

وسمعته في حديث اذاعي يعيب اتجاه القصص الى تصوير احـوال المعيشة وضرورات الحياة العادية دون ان تتجه الى البحث عن نماذج روحيةوتهتم بمطالبالروحالبعيدة وصراعالانسانمعالقدر..وما الى ذلك.

ويحيى حقي استاذ كبير يتتبع الحركة الادبية المتجددة بعناية وعطف وحب ، ويقو مبدور عملي منتج في مجال النقد ، بعيدا عن الجدل العقيم الذي دار اخيرا بين النقاد ، ولم يخرج عن ترديد اراء ومذاهب قديمة .

ولا يمنعني تقديري للاستاذ حقي من مناقشة ما اخالفه فيه :

« هل يريد يحيى حقي ان نولي ظهرنا للواقعية ونعود الى الشطحات الرومانسية ؟ لقد اعلن ابو الواقعية « زولا» موت الانسان الميتافيزيقي وقال : « ان اهم ما اهتم به هو الجانب الفزيولوجي » .

العالم الدنيويوترصد انظمة اجتماعية وتحولات اقتصادية . ومع ذلـك

وكتب زولا ومن تلاه من الكتاب الواقعيين قصصا تدور حوادثها فـي العالم الدنيوي وترصد انظمة اجتماعية وتحولات اقتصادية ومع ذلـك بقيت خالدة منتشرة في العالم الواسع ، وترجمت الى مختلف اللغات ولم تفقد دلالتها . والتراث الانساني حافل بروائع القصص التي تصـور السمات المحلية وتنفذ من خلالها الى الشمول الانساني . والواقـع ان المحلية المنعزلة لا ياتي انعزالها من محليتها ، وانما ياتي من السطحية وضيق الافق في المعالجة وقد استطاع عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحية « جميلة » ان ينفذ الى الانسانية الشاملة بتصوير التعاطف بين افراد من الفرنسيين والجزائريين ، وذلك برغم ان المسرحية وطنية تقوم على تمجيد الكفاح العربي في الجزائر ضد الوحشية الفرنسية .

وبرغم ما يعيبه الاستاذ يحيى حقي على القصص الحديثة من اتجاهها الى احوال المعيشة ، وبرغم دعوته الى الاهتمام بالمسائل الروحية ، نراه في نقده لقصة المستحيل يكشف عن عيب في الاتجاه الروحاني ، اذ ياخذ على المؤلف انه اغرق البطل في الهموم والاحزان وبدا به يائسا شقيـا وانتهى به كذلك .. كان الانسان لا حيلة له في صنع مستقبله ولا فائدة لسعيه في الحياة .

ولو نظرنا الى بعض القصص الواقعية التي تعالج مثل هذا الموقف علاجا واقعيا ، فاننا نجد في قصة « لا تطفيء الشمس » لاحسان عبد القدوس بطلا يبدأ بحيرة تشبه حيرة بطل المستحيل ، ولكـن الاستاذ احسان اخذ بطله من يده وسار به في ضوء الشمس بعيدا عن الضبـاب حتى انتهى به الى حياة واقعيةوجد فيها نفسه ومثله وحياته ، ولـم تنطفيء الشمس .

وقريب من دعوة الاستاذ يحيى حقي ما عبر عنهتشيكوف بقوله في بعض كتاباته « دعني اذكرك بان الكتاب الخالدين ، او على الاقل ذوي الموهبة، الذين يهزون نفوسنا ، لديهم سمة مشتركة بالغة الاهمية ، هي انهـم يتجهون الى شيء ، وانهم يدعونك اليه ايضا ، وانت تحس — لا بعقلك وانما بكيانك كله — ان لديهم هدفا ، بعضهم لديه اهداف مباشرة كالقضاء على الاقطاع وكتحرير البلاد وكالسياسة او الجمال او مجرد الفودكا .. واخرون لديهم اهداف بعيدة كالله وكالحياة بـعد الموت وكسعادة البشرية ، وهكذا » .

ولكن تشيكوف لا يطالب — كما يفعل يحيى حقي — بالاهداف البعيدة عن مجرى الحياة الواقعية ، بل هو على العكس يجعل الاهداف القريبة في مقدمة ما يهز نفوسنا من الادب ، ومن شاء بعد ذلك ان يتجه الـى الامور البعيدة فليفعـل .

ومهما يكن من شيء فاننا امام حقيقة ماثلة لا يمكن التغاضي عنهـا ، وهي ان كتاب القصة الان يشعرون بما يضطرب في مجتمعنا من الرغبة في العيش الكريم والحياة الفضلى ، فهم يعبرون بصدق عن اهتمامات المجتمع . وليس مما يتفق مع صدق التعبير ان نحمل الكتاب عـلى ان يعبروا عن اشياء لا وجود لها في وجداننا ، وكل شيء في الحياة يصلح للتناول الادبي ما دام موضعا لانفعال الاديب وتاثره . وليس هنـاك موضوعات معينة تصلح واخرى لا تصلح . والاديب الصادق الذي يهـز نفوسنا — على حد تعبير تشيكوف — هو الذي يعبر عن اهتمامات عصره ويضيف اليها من نفسه وثقافته ما يقومها ويطورها ، لا الذي يبحث عن مجالات بعيدة طبقا لمواصفات معينة . (وطني)

القـاهرة — عبـاس خضـر

أنباء العالم في شهر

مايو ١٩٦١

١٦ ـ اقيل في ايران ٣٣ جنرالا و ٢٧٠ عقيدا.

ـ وصل الدكتور سوكارنو الى القاهرة وعقد اجتماع ثلاثي حضره عبد الناصر وسوكارنو واحمد توري .

ـ بدأ مؤتمر لاوس في جنيف واقترح اللورد هيوم اعلان حياد لاوس .

ـ المجلس العسكري يعتقل حكومة كوريا الجنوبية بعد الانقلاب ويعلن انه ضد الشيوعية وصديق لاميركا .

ـ اعتقل جيزينغا رئيس حكومة ستانلي فيل ٧ من الوزراء وضباط الجيش . طلب همرشولد من سلطات الكونغو اطلاق سراح جميع الزعماء السياسيين المعتقلين فورا .

١٧ ـ صدر بلاغ عن محادثات عبد الناصر وتوري بتأييد حرية افريقيا وكفاح فلسطين والجزائر .

ـ اعلنت حكومة الجزائر ان كريم بلقاسم سيرأس وفدها الى مفاوضات ايفيان .

ـ اتسعت حركة الاعتقالات في ايران . وسافر الشاه والامبراطورة الى نروج في زيارة رسمية .

ـ توصلت وفود لاوس اليمينية والحيادية والشيوعية الى اتفاق مبدئي على تشكيل حكومة ائتلافية .

١٨ ـ استقالت حكومة كوريا الجنوبية وتألفت لجنة عسكرية تدير دفة الحكم . اعترف الغرب بالنظام الجديد في كوريا نظرا لبقاء رئيس الجمهورية في منصبه .

ـ قدمت الجمهورية العربية الى غينيا قرضا بستة ملايين جنيه .

ـ عرض كاسترو على اميركا مبادلة الاسرى مقابل جرارات زراعية .

١٩ ـ صدر بلاغ في وشنطن وموسكو يعلن ان كنيدي وخروشوف سيجتمعان يومي ٣ و ٤ يونيو المقبل في فينا .

ـ استقال رئيس جمهورية كوريا الجنوبية بوصن يون . وقامت اللجنة الثورية بحملة تطهير واسعة واعتقلت الف شيوعي .

ـ اقر مؤتمر كوكيلها تفيل مقترحات دستورية بتحويل الكونغو الى جمهورية اتحادية .

٢٠ ـ بدأت في ايفيان المفاوضات الفرنسية الجزائرية . اعلنت فرنسا وقف اطلاق النار في الجزائر لمدة شهر . اعلنت حكومة الجزائر الاحتفاظ بحريتها .

ـ شكل صائب سلام الوزارة اللبنانية الجديدة

ـ سحب رئيس جمهورية كوريا الجنوبية استقالته وعين الجنرال شانغ دو يونغ زعيم الانقلاب نفسه رئيسا للوزراء .

٢١ ـ قال علي اميني ان ايران ستنفذ ارتباطاتها الدولية ولا تنوي الانسحاب من الحلف المركزي .

٢٢ ـ دعا الملك سعود السفراء العرب للاجتماع واطلعهم على مضمون الرسالة التي تلقاها من كنيدي بشأن فلسطين .

ـ وقعت اضطرابات بين البيض والزنوج في عاصمة ولاية الاباما .

ـ اعلن سيهانوك رئيس كمبوديا انه اخفق في مسعاه لتحقيق جمع زعماء الاطراف اللاوسية المتنافسة الثلاثة لاجراء محادثات لتشكيل حكومة ائتلافية .

٢٣ ـ قوة مضادة للطائرات تعزز حراسة ايفيان حيث تجري المحادثات الفرنسية الجزائرية .

ـ توصل زعماء الكونغو في مؤتمرهم الى اتفاق بشأن توزيع عائدات الناجم بالتساوي بين الحكومة المركزية والمقاطعات .

٢٤ ـ وصل بن غوريون الى كندا ، صرح ان التوتر خف في الشرق ولكننا ما نزال بحاجة الى مساعدة .

ـ وصل الملك بودوان والملكة فابيولا باريس

٢٥ ـ تم عقد قران الملك حسين والانسة منى الحسين .

ـ دعا اللواء قاسم العراقيين الى مقاطعة المنتجات الاجنبية واكد ان العراق سينتصر في معركة النفط ، وقال اننا لن ننحاز الى اية كتلة .

ـ قبلت بون تدريب قواتها في بريطانيا وعقد شتراوس وزير الدفاع صفقة اسلحة تشتري المانيا الغربية بموجبها مدافع بريطانية قيمتها ٥٦ مليون دولار .

ـ ردت اميركا طلب الجنرال دويونغ شانغ رئيس الوزارة العسكرية في كوريا الجنوبية ، لزيارة واشنطن بحجة سفر كنيدي الى فيينا.

ـ اكد نهرو استقالة راجشوار دايال من منصب ممثل الامم المتحدة الخاص في الكونغو وقال انها لن تؤثر على تأييد الهند للعمليات الدولية في الكونغو .

٢٦ ـ اعلن جوكس رئيس الوفد الفرنسي في محادثات الجزائر ان فرنسا لا تريد تقسيم الجزائر ، وقال ان الاستفتاء غير ممكن قبل وقف القتال .

ـ قصفت الطائرات الباكستانية مراكز المدفعية الافغانية لفتحها نيرانها على طائرات باكستانية قرب الحدود .

ـ وافق مجلس الثورة العسكري في كوريا الجنوبية على اعادة وضع القوات المسلحة تحت اشراف قائد قوات الامم المتحدة الجنرال ماغردر .

٢٧ ـ عاد وفد الاسرى من الولايات المتحدة الى كوبا يحمل تعهدا من لجنة اميركية مسؤولة بارسال ٥٠٠ جرارة زراعية الى كوبا للافراج عن اسرى الغزو .

ـ اذاعت اميركا في جنيف بيانا اعلنت فيه ان الشيوعيين خرقوا الهدنة ٣٠ مرة على الاقل في لاوس لاحراز مكاسب سياسية عن طريق العنف .

٢٨ ـ اعلن رسميا في فيلادفيا ان مجموع التبرعات عن طريق بيع السندات الاسرائيلية خلال العشر سنوات الماضية بلغ ٤٩٥ مليون دولار تقريبا .

٢٩ ـ جرى في لندن افتتاح الجمعية السابعة لاتحاد غرب اوروبا . قال ماكميلان نحن نؤمن بأن اوروبا يجب ان تكون متحدة .

ـ بدأت في باريس محاكمة الجنرالين شال وزيلر على دورهما في حركة التمرد التي وقعت في الجزائر .

ـ اعلن ادينار انه يريد اسلحة نووية للقوات الالمانية ولقوات حلف الاطلسي .

ـ نقل تشومبي الى ليوبولدفيل ووضع في معسكر حربي بالضواحي تمهيدا لمحاكمته .

٣٠ ـ اوصى اتحاد غرب اوروبا بتنظيم مؤتمر افريقي اوروبي على مستوى الحكومات

ـ قطعت الجمهورية العربية علاقاتها الدبلوماسية مع جنوب افريقيا .

ـ تم اجتماع كنيدي وبن غوريون في نيويورك .

٣١ ـ وصل كنيدي الى باريس وبدأ محادثاته مع ديغول التي تستغرق ثلاثة ايام.

ـ اغتيل الجنرال رافايل تروهيلو رئيس جمهورية الدومينيك .

ـ قضت المحكمة العسكرية الخاصة في باريس بسجن الجنرالين شال وزيلر ١٥ سنة.

ـ اكتشفت حكومة روميلو بيتانكور مؤامرة لقلب نظام الحكم في فنزويلا فسحقتها .

ـ على اثر زيارة اللورد هيوم لمدريد صدر بيان مشترك يعلن ان بريطانيا واسبانيا تودان تحسين علاقاتهما والمساهمة في تضامن اوروبا وسلام العالم .

يونيو ١٩٦١

١ ـ اعلنت القوات الدولية فى ليوبولدفيل ان جنود الكونغو فى اقليم كيفو صرعوا اكثر من ١٠٠ رجل من قبيلة باشي واحرقوا عدة قرى فى منطقة نياغيزي .

٢ ـ وصل بن غوريون الى لندن واجرى محادثات مع ماكميلان .

ـ شكل الملك حسن الوزارة المغربية ولم يمثل فيها الاتحاد الوطني للقوى الشعبية بسبب قراره بالبقاء فى المعارضة .

ـ اعلنت الخارجية الاميركية ان كنيدي وبن غوريون بحثا قضية اللاجئين الفلسطينيين

٣ ـ بدات فى فيينا المحادثات بين خروشوف وكنيدي وقد اعرب الرئيسان عن ارتياحهما للنتائج الاولى .

ـ وصل مكاريوس رئيس جمهورية قبرص الى القاهرة فى زيارة رسمية .

ـ فى مفاوضات ايفيان يطالب الجزائريون بالسيادة على الصحراء ويحصر الفرنسيون الاستفتاء فى الدوائر الجزائرية الـ ١٣ .

٤ ـ انتهت محادثات كنيدي وخروشوف وصدر بلاغ مشترك ذكر ان الرئيسين استعرضا العلاقات بين البلدين وبحثا حظر التجارب النووية ونزع السلاح ، والمانيا . واكدا تاييدهما للاوس محايدة مستقلة ووافقا على استمرار الاتصال بينهما .

ـ قال بيان اذاعه راديو القاهرة ان حملات الاتحاد السوفياتي ضد الجمهورية العربية لن تقابل بالصمت .

٥ ـ اعلنت الدومنيك ان الجنرال خوان توماس دياز المتهم بتدبير مؤامرة اغتيال الجنرال تروهيلو قتله رجال الامن .

ـ توفى فى القاهرة الزعيم الوطني مكرم عبيد رفيق سعد زغلول .

ـ عاد خروشوف الى موسكو واستقبل سوكارنو الذي يزور الاتحاد السوفياتي .

ـ افتتح فى القاهرة اجتماع اللجنة التحضيرية لمؤتمر الدول غير المنحازة .

ـ اعلن كنيدي وماكملان فى بلاغ صدر عقب محادثاتهما فى لندن اتفاقهما التام على ضرورة المحافظة على حقوق الغرب فى برلين .

٦ ـ رحب تيتو باجتماع كنيدي وخروشوف فى فيينا لكنه حذر قائلا : ان الدول الكبرى لا تستطيع ان تقرر مصير البشرية بمفردها.

ـ اعلنت امريكا ان قوات باتيت لاو الشيوعية شنت هجوما شديدا بالمدفعية على معقل الحكومة اليمينية فى بان بادونغ .

ـ عقد بن غوريون محادثات مع ديغول بعد وصوله الى باريس قادما من لندن .

٧ ـ تازم الموقف بين امريكا وروسيا . امريكا تعتبر الهجوم الشيوعي فى لاوس خطيرا بعد محادثات فيينا . احتل الشيوعيون بلدة بان بادونغ . الغرب يستنكر الخرق ويلقي جلسة مؤتمر جنيف .

ـ طلبت كاتانغا من الامم المتحدة تزويدها بـ ٣٠٠ ضابط يحلون محل الاوروبيين فى قيادة قواتها . وفى ستانلي فيل صرح جيزينغا انه مستعد لاجراء مفاوضات مع اعدائه لبحث عودة البرلمان وترك للامم المتحدة اختيار المكان

ـ قال كنيدي فى اذاعة للشعب الاميركي ان محادثاته مع خروشوف لم تسفر عن نتائج مهمة لكنها كانت مفيدة .

٨ ـ اعلنت حكومة بوليفيا انها اعتقلت ٦٠ زعيما نقابيا شيوعيا عندما فشلت محاولة للقيام بثورة شبيهة بثورة كاسترو .

ـ اعلن هاشم جواد وزير خارجية العراق ان رسائل كنيدي الى بعض رؤساء الدول العربية تتعلق بقضية اللاجئين . واكد الوزير ان العراق يرفض توطين اللاجئين الفلسطينيين

ـ وافقت حكومة المغرب على دستور مؤقت يعمل به الى ان يتم اعداد دستور دائم .

ـ تاجل مؤتمر جنيف . امريكا تنذر بالمقاطعة اذا لم يوقف القتال تماما فى لاوس .

٩ ـ دعا مجلس الامن البرتغال الى وضع نهاية عاجلة لاجراءات القمع فى انغولا .

ـ اعلنت اسرائيل ان ما صدرته من الاسلحة والاعتدة الحربية والطائرات بلغت قيمته فى العام الماضي ٨ ملايين دولار .

ـ ارسلت روسيا مذكرات الى الدول الغربية لمنع عقد اللجان البرلمانية الالمانية الغربية فى برلين . رد الغرب مصرا على عقد الاجتماعات .

ـ اعلن فى القاهرة ان مؤتمر رؤساء الدول غير المنحازة سيعقد فى اول سبتمبر المقبل فى يوغوسلافيا .

١٠ ـ عقد مجلس الدفاع العربي بالقاهرة ويحضره وزراء الخارجية والدفاع العرب .

ـ صدر بيان مشترك عن محادثات ناصر ومكاريوس ، يؤكد اتفاقهما على قضية فلسطين والجزائر والتعاون بين قبرص والمتحدة .

١٢ ـ وصل القاهرة محمد كيتا رئيس جمهورية مالي .

ـ استؤنفت المفاوضات بشان لاوس في جنيف . اعلن فى واشنطن ان القوات الشيوعية احتلت مراكز جديدة فى منطقة بان بادونغ ونقل الاسلحة السوفياتية الى تلك القوات ما زال مستمرا .

ـ اعلنت الامم المتحدة تقديم ١٨ مليون دولار لمساعدة الكونغو . ستقدم امريكا نصف المبلغ . اعلن همرشولد ان المرحلة الحرجة بالكونغو قد انتهت .

١٣ ـ اعلن فى ايفيان تعليق مفاوضات الجزائر مدة ١٠ او ١٥ يوما بعد ان اخفق الوفدان فى الوصول الى اي اتفاق . صرح الجزائريون ان الوفد الفرنسي علق المفاوضات من جانب واحد .

ـ انضم المغرب لمعاهدة الدفاع المشترك العربية

ـ وصل سوكارنو بكين فى زيارة رسمية للصين الشعبية . صدر بلاغ سوفياتي اندونيسي مشترك عن المحادثات التي اجراها سوكارنو فى موسكو .

ـ صدر بلاغ مشترك فى واشنطن عن المحادثات التي اجراها رئيس جمهورية ايطاليا فانفاني مع كنيدي ينص على تعزيز الاطلسي والوحدة الاوروبية .

١٤ ـ اذاعت الانباء الغربية عن محاولة فاشلة قام بها ٤ جنرالات لقلب نظام الحكم فى بلغاريا .

١٥ ـ القى خروشوف خطابا عن الوضع الدولي ومحادثاته مع كنيدي وطلب ان تحل مشاكل اوروبا هذا العام وعلى راسها مشكلة برلين .

ـ مددت فرنسا وقف الهجوم فى الجزائر الى اجل غير مسمى . وقررت مواصلة وتوسيع الاجراءات الخاصة باطلاق سراح المعتقلين السياسيين الجزائريين .

ـ اعلن هاريمان رئيس الوفد الاميركي الى مؤتمر لاوس فى جنيف ان السلاح الشيوعي يصل باستمرار الى لاوس وان قوات من فيتنام الشمالية اشتركت فى الهجوم الاخير.

ـ اعلن فى ليوبولدفيل ان المحادثات بين الحكومة المركزية وحكومة جيزينغا قد اسفرت عن الوصول الى اتفاق .

١٦ ـ قال اللورد هيوم الذي يزور امريكا ان الروس مستعدون لتعريض السلام العالمي للخطر باثارتهم قضية برلين .

ـ جدد الشيوعيون الهجوم فى لاوس وانسحب وفد الحكومة من مفاوضات جنيف.

ـ اتهم الجنرال موبوتو سفارة اجنبية بمحاولة اغتياله واعتقل ٤٠ جنديا اشتركوا بالمؤامرة .

١٧ ـ وصل تونس رئيس الوفد الجزائري فى مفاوضات ايفيان لاجراء مشاورات مع اعضاء الحكومة الجزائرية .

ـ كنيدي يقول فى مذكرة شديدة الى السوفيات . ستتحمل روسيا وحدها فشل محادثات حظر التجارب النووية .

ـ وجه ادينار نداء الى خروشوف لايجاد حل لمشكلة المانيا المجزأة عن طريق انتخابات حرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبعة الغريب
للطباعة الكتب والمجلات والجرائد ومختلف
اشغال الطباعة التجارية
ميدان الجامعة الكاترائية تليفون ٤٦١٨٥

بين الفصحى والعامية

بقلم الدكتور علي شلق

القي الانسان في حضن هذا الوجود ، بعد ان تدرج، وتطور. من الخلية البسيطة ، الى البشرية المركبة. من عفوية الحياة الى تفسيرها . من بدهيات الوجدان ، بالاحساس المباشر، الى روية العقل ، سؤاله ، حيرته ، تمزقه ، اطمئنانه ، وفي جميع الحالات قبول ، ايسر منه العدم لانه لما يدرك حتى اليوم ، ورغم خرقه حزام الارض ، واستشرافه الافلاك السوى ، لم يدرك ان يجيب على متى ، واين ، ولماذا ؟

ولكنه يمضي بين الاقتحام الذي في نفسه امر على مذهب ابي الطيب . وبين جدلية السأم ، والاشمئزاز واليأس عند ابي العلاء . بين استعلاء الانسان على نفسه وعلى الوجود عند نيتشه . وبين معاندة الارادة ، وتبرير الانتحار عقليا عند شوبنهور . بين الوجود المنطقي ، باسبابه ونتائجه ، السائر الى غاية حتمية مغتبطة عند كلوديل وجبريال مارسل ، وبين ذلك الوجود المغثي ، المقلق ، المبيد عند كامو وسارتر . وبين الف وبين والف .

هذا الانسان الذي مشى على درب الابانة عن مشاعره من الحركة ، فالصوت ، فاللفظة ، فالكلمة ، فالتركيب ، فالاثر الادبي البديع الذي يعكس الواقع ، ويستشرف الابعاد ، هو موضوعنا الساعة . انه الانسان . وما الحركة فالصوت فاللفظة ، فالكلمة ، فالتركيب ، فالاثر الادبي الا مظاهر انسانية .

لا يعقل ان تكون اللغة مجموعة اصوات تعبر عن مقاصد الكائن الحي البشري ، المنفعل العاقل فحسب . هذا تسطيح للموضوع . اما الحقيقة في الضمن والمحتوى ، فهي ان اللغة ظاهرة بسيكولوجية قبل كل شيء . ليس بابها الفم او الحنجرة ، او الرئتان فقط . بل ان الانسان باب لها . كله . والوجود المباشر غرف البيت . مشرق للمدى .

اللغة بالتالي ظاهرة اجتماعية تاريخية ، تعكس الوجوه، والدروب ، والحالات التي بدا بها ، وسار عليها ، وانفعل فيها الكائن الحي العاقل .

ورسم كما يقول العالم البرفون دن برندن ، خطوط الحياة الاجتماعية بالالفاظ ، طرق معيشته ، اسلوب نظرته الى الوجود ، سير العادات ، والصلات بين الفرد ونفسه ، وبينه وبين اسرته ومجتمعه ، ثم هو ازاء الكون .

كذلك فان اللغة ظاهرة ثقافية ، بها نطل على الاشياء باكتفاء عقلي ، من فوق . فالذي عرف احب . والذي احب ملك . والمالك مشرف على ما يملك .

والثقافة تعبير عن معطيات الحضارة في الذروة . والحضارة هي المقدار الذي استطاعت المعاناة الانسانية ان تصل اليه في سبيل الغاية . حيث يتناغم الواقع بمثله. والمحدود بالمطلق . فالذي يريد ان يكتفي من تعريف اللغة بانها مجرد اصوات تخرج من الفم لتعبر عن الافكار، فليس له الا ان يلجأ الى قاموس الفيروز ابادي او لسان العرب . وعندئذ لا فرق بين ان تبقى اللغة اصواتا ، او ان تتعندق في الفاظ . او ان تفوح في تراكيب .

اما اولئك الذين يعدون ان اللغة هي الانسان . اي انها الارادة والفكر كما يقول شوبنهور ، فليبحث اولا في بسيكولوجية الانسان . وشخصية المجتمع . واطلالة العقل على الكون . البحث في اللغة ، معادل للبحث في الفلسفة . في شتى شؤون الفكر والكون .

كيف تنشأ هذه اللغة ؟

يقول علماء الفيلولوجيا ان الكلمات المتقاربة في اكثر الحروف ، يتقارب في اكثر المعنى . فمن هذه الفصيلة لَغَطَ ، لَهَجَ ، فاللغط اصوات مصحوبة بالحركات ، واللهجة، هي مظهر من مظاهر الكيفية اللغوية . اي الطريقة التي تتفرع ، وتتنوع ، وتتشكل بها اللغة ، فاللغة ام . واللهجة ابنة . اللغة اصل واللهجة فرع .

بدأ الانسان يعبر عن انفعالاته بالحركة ، فبالصوت ، فيهما مجتمعين . فالحركة هي تنفيس عن غليان . هي تفجر ضمني ، يرمز الى اصطدام الانسان بالكون . وبالاحرى هي الاشارات الاولى التي تدل على ان الانسان اخترق حزام البله العدمي . اي انه بدأ يدرك . وبالادراك وحده حياة . قال آدم سميث ، وكولد ستيورت ، ان الانسان كان يعبر عن ضميره بالاشارات والحركات حتى تكاثرت ، فجعل يحكي الاصوات التي يسمعها .

ولما لم تفد الحركة وحدها في التنفيس عن انفعالات الانسان ، لجأ الى فمه . فاذا باعضائه جميعها تتحرك شكلا ، ليصاحب الشكل النغمة . وبهذا زاد الانسان افصاحا عن ذلك الاحتباس الداخلي وشؤونه . وباهتداء الانسان الى فمه ، الى الصوت الذي هو ثاني اكتشاف عقلي . دفع به جدول انفعالاته ، فطور ذلك الصوت . وشلبنه . فاذا بالصوت يلبس ثوبا مخيطا ، مفصلا على جسد النبرة . وهنا وصل الى مرحلة الحرف .

وبزيادة حاجات الانسان ، ونمو تجاربه بعد ان تعرف الى ما حوله اكثر فاكثر، واكتسب محصولا من الاكتشافات استفادت نفسه قدرة على الابانة عن تلك الخزائن التي ملأ بها كيانه . فاصبح عقله قادرا على ان يجمع النبرات ، في حروف . والحروف في الفاظ . ولنسم هذه المرحلة ، مرحلة العقل السمفوني. لان الحاجة الى التعبير قدزادت، عندما زادت مقادير العقل ، وبمقدار ما يطلب الكثير توحدا، بمقدار ما يجيء التعبير عن تلك الوحدة جميلا كاملا . الحروف في حقيقتها طور من اطوار اللغة ، واساس للفظة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وباللفظة اصبحنا نستطيع ان نقول عن الانسان بلسان المناطقة انه حيوان ناطق اي عاقل .

فمنذ ان بدا الانسان يرمز الى مختلف انفعالاته، وخواطره بالالفاظ، بدأ يقصب حجارة عمارة العقل من مقلع التجارب. وبهذه العمارة يحمي الانسان وجوده من الضياع . ومنها يشرف على الوجود . لذا قالوا ان الوجود للكلمة «اللوغوي» وانا اتكلم اي افكر ، فانا موجود اذن . والكلمة تكون لفظا مسموعا . وخاطرة لما تلبس ثوبها ، تنجلي في مجال النفس. هنا تتخطى اللغة دائرة ان تكون حركة ، فصوتا ، فحروفا ، فالفاظا . وتكون هذه الاشياء ، وشيئا اخر لا يظهر على الاعضاء ، ولا في نبرات الفم ، انه من البعيد الابعد ، انه حالة . والحالة جو ينساب من تفاعل الانسان مع الاكوان . لا يعبر عنه بسوى الفن من شعر ، ورسم ، ونحت ، وموسيقى ، ورقص ، ومعماريات . ولهذا كانت الفنون رموزا ، ووسائل تعرض جانبا من الوجود ، وتترك الجوانب الاخرى للخيال ان يتصورها . وللحنين ان يشتاق الى فردوسها ، الى وحدتها السعيدة . وبالاحرى تعرض لنا الفنون التي هي لغات للنفس مخطط الرحلة التي قامت بها من عالم الواقع ، المباشر ، المتهم ، الناقص، الى عالم الخلاص . الكمال . الوحدة .

وما بالنا لا نعمد الى الطفل لندرك كيف يكرر لنا صورا عن نشأة اللغة ؟

يبدأ الطفل بالحركة، ثم بالصوت ، ثم بالالفاظ المتقطعة. وعندما يصل الى سن من النمو معروفة ، يأخذ باطلاق جمل مفيدة ، واخيرا يمنطق كلامه . واذا تعلم ، وشب ، فان لجمله دلالة اخرى اكثرمما تعطي الالفاظ في التراكيب.

الالفاظ المفردة عند الطفل تقوم مقام الجمل عند الكبار. يشرحها ببعض الاشارات او يدعمها . واول ما يظهر على لسانه، او معجم حياته، اسماء **الذوات التي تعبر عن الاشخاص** والاشياء . ثم الافعال ، التي تعبر عن الحدث والزمان ، فالصفات التي تعبر عن الروابط بين الاشياء ، بين الضمائر. واخيرا الاسماء المبهمة كالشرطيات، والظروف، والتعجبيات

فالطور الحسي عند الطفل يتمثل في اوليات الحركة ، والصوت ، واللفظة المفردة .

والطور العقلي يتمثل بالجمل المفيدة . فوجوده كانسان يقوم على هاتين الدعامتين : الحس والعقل .

والانسان لا يعيش بدون ازدواجيتهما ، فالعامية هي لغة هذا الحس الذي لا يتخلى عن عكس عفوية الطفولة . والفصحى هي لغة الروية والمعاناة التي تفصح عن النشاط العقلي . العامية تقوم على الكلمة . والفصحى تقوم على الجملة . العامية لا اعراب فيها . لان المنطق لم يرسم لها مخططا ، والفصحى معربة . لانها وليدة الحصانة العقلية .

وليس معنا هذا ان العامية لغة البساطة وان الفصحى لغة التعقيد ، وان تبسيط الحياة يقضي بالتخلي عن الفصحى . ان التيسير غير التبديل . فالتيسير موافقة الحياة في جريها الى ابعادها . والتغيير ضد قانون هذه الحياة ونواميسها لانه لا ينبع من منطقها .

واللغة في اصولها ليست هذه الرموز اللفظية والكتابية ، بل هي موجة حياة تأتي من الوراء ، من الاختبار ، وتأتي من الامام ، من الاستشراق . وانت بين ان تقرأ قصيدة او ان تسمعها من ممثل على المسرح ، تشعر بفارق عظيم، لانها على المسرح اكتسبت ابعادا ، نقلتك الفاظها على اجنحة الخيال ، الى عالم الصور ، الى وجود ، حننت اليه ، ثم احتواك في احضانه ، ثم نسيت حنانك ، والروابط التي كانت تشدك الى عالم الحس ، وعانقت المصدر الذي منه جئت .

هل اللغة واحدة في الاصل ؟

معنى ذلك هل نبت الانسان بوعي من مكان واحد اولا؟ وهل ان الآدم الاول اهتدى الى اللغة في مرحلته البدائية فتعلم الاسماء كلها بالقوة ، ليتعلمها ابناؤه من بعده بالفعل ؟ وهل اللغة توقيف من الله ؟ ام انها اكتساب من الاصطدام بالوجود ؟

اسئلة كثيرة ، متلاحقة ، كأنها على موعد للسير الواحد تلو الاخر ، والاجوبة عليها كثيرة ايضا يرجع اليها محب الاطلاع في مظان كتب فقه اللغة .

غير اننا نشاهد في لغات العالم ، ان الكلمات الاولى التي احتاج الانسان الى ان يعبر عنها قبل سواها ، نشاهد انها ذات حروف واحدة ، كالادب، الام ، الاخت مثلا، وقد اثبت الماجور «كوندر» في مقال قراه بجمعية فيكتوريا الفلسفية ان الاصول في اللغات الآرية ، السامية ، المغولية ، الاكدية، المصرية كلها متشابهة تدل على اصل واحد ، واتى باربع آلاف كلمة من هذه اللغات لاظهار المشابهة (متن اللغة ـ احمد رضا ـ مجلد ١ ص ١٤ مكتبة الحياة ـ بيروت)

من هذه اللغة الاولى تفرعت لهجات ، تحمل اصول الحروف من اللغة الام . ولكنها تختلف عنها بطريقة لفظها حسب المخارج الصوتية . وهذا يخضع لعوامل بيئية ، مناخية ، وعوامل اجتماعية ، وثقافية ، والعامل النفسي قبل ذلك جميعه .

واذا كانت اللغة بدأت بما يسمونه محاكاة الاصوات بدليل انعكاس تلك الاصوات في الحروف ، في اسماء الاشياء، فانها عند تقدم الحضارة ، اي العقل المفسر ، والمكتشف ، تبتعد تلك اللغة عن محاكاة الاصوات، التي هي حالة اولية، وتبدأ بمحاكاة الحالات النفسية التي تنبع من الاغوار. والتي تستشرفها النفس خارج اطارها ، من الكون ، فتصبح المحاكاة انعكاسا ، وهنا مقامات يدركها الفن ، تدركها الصوفية . وتجلوها الفلسفة .

فالغراب ، والكوربو ، والجدول ، والارويسو ، والبلبل، والروسينيون ، والبقرة ، والفاش ، والحمار ، والآن ، والطنجرة ، والمغلاية ، والكسرول ، والبقبقة ، والسقسقة، والضجة ، والصخب ، والميرمير ، والريمار ، والبروي ،

وسواها من الكلمات في سائر لغات الانسان تعكس في معظمها اصواتها ، التي تتجلى اكثر ما تتجلى في حروف الغين ، الراء ، الباء ، السين ، التاء ، الفاء ، الميم ، لانها حروف لها شخصية اظهر وانمى ، تتشكل في اللفظ بوضوح اكثر. قال ابن جني « وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات كلها انما هو الاصوات المسموعة كحنين الريح ، ودوي الرعد ، وخرير الماء .. الخ .. »

كيف تتطور اللغة ؟

لا بد لنا من الافتراض ان اللغات جميعها من اصل واحد، فكيف تفرعت الى لغات تجاوزت المئات ؟ لذلك اسباب منهاما هو اجتماعي، فادبي ، فجغرافي ، فلغوي ، فسياسي. ولا اغالي اذا اضفت العنصر الشخصي .

لكل مجتمع شخصيته المميزة، كما للافراد حسب المرحلة التاريخية الحتمية التي يمر بها . ففي مجتمع ، تكثر كلمات الشرف ، والفضيلة ، والتسامي ، والنجدة . وفي اخر تكثر كلمات البيع ، الشراء، المقايضة. وفي ثالث نلاحظ نمو مفردات الحب ، التسامح ، التعاون . كل ذلك يشير الى ان حياة الكائن البشري ، تفرض عليه نوعا من التفاهم مخصوصا . من ذلك ايضا التزام سكان السواحل الفاظا تغاير ما يستعمله سكان الجبال . وابناء المناطق المعتدلة ، يستخدمون ما لا يستخدمه ابناء المناطق الحارة او الباردة. واصحاب الحرف ازاء اصحاب الزراعة ، ازاء التجار ، والموظفين . كل شجرة في بستان العالم لها ظل . ولها ثمر. ولها زهر . هو غير ظل وثمر وزهر باقي الاشجار كل بمفردها . ولا يخفى ان العامل الادبي هو من اهم عوامل التطور لاية لغة من اللغات . فهل يخفى ان لهجة ابناء باريس ، غلبت على اللهجات الفرنسية المختلفة المشتقة من اللاتينية ؟ كذلك لهجة لندن . كذلك لهجة فلورنسا الدانتية غلبت ووحدت لغة ايطاليا . كما وحدت لغة قريش بالقرآن لغة العرب جميعهم .

ذلك الاختلاف يصل بطريقة نطق الحروف ، بحسن اختيار المفردات ، بدقة الدلالة على الاشياء بخلو بعض اللغات من حروف ثقيلة ، بكثرة حروف من طراز خاص ، وقلة سواها .

ثم ان انتقال اللغة من جيل الى جيل يمنحها دما جديدا، ويجعلها تميت مفردات قديمة . كما ان اتصال امة بأخرى يلقح لغة الامتين بالفاظ لم تكن فيهما قبلا وقد تكون امة اقوى في تلقيح لغة امة اخرى .

وهنالك لغة قابلة للنمو ، مرنة ، متطورة . ولغة بدائية متخلفة .

فكل لهجة انفصلت عن امها اللغة الاصلية ، تصبح على التمادي لغة مستقلة . يقوى هذا الاستقلال بمقدار ما يبتعد الفرع عن الاصل . حتى اننا نلاحظ ان فئة من ابناء الوطن الواحد ، تنعزل بحكم موقفها الجغرافي عن باقي السكان ، فتختلف لغتها اختلافا بينا عن اللغة الاصلية ، فاذا قوي هذا البعد ، انفصلت ، وشكلت لنفسها كيانا خاصا اي اصبحت لغة . والامة التي يتلاقى ابناؤها باستمرار ، يخف بينهم تباعد اللهجات .

ثم ان الطبقات الاجتماعية في شعب من الشعوب ، يتداولون مصطلحات هي في حكم الميتة في مجرى طبقة من الطبقات الاخرى ، كما هي الحالة عند العلماء ، فالادباء ، فالعمال . كما هي الحالة بين سكان الشواطىء وبين سكان المزارع . كما هي الحالة بين لهجة النساء ولهجة الرجال.

والذي قرأ فرنسوا فيون في كتابيه العهد الصغير والكبير يدرك الى اي درجة يصعب معها فهم مصطلحات طبقة من الطبقات الاجتماعية . مثل طبقة اللصوص والمجرمين الذين عايشهم .

ميزة العربية

هنالك لغة تفضل لغات اخرى بالعذوبة والموسيقية كما قدمنا . كما تفضلها بالقابلية . والقابلية دليل مران طويل، وتجربة مصفاة ، وبالايجاز الرامز من جهة ، والمباشر الرشيق من جهة اخرى .

ففي العربية تقول كتاب خالد .

وفي الفرنسية تقول **Le livre de Kalid**

وفي الانكليزية تقول **The book of Kalid**

وفي الالمانية تقول **Das buk das Kalid**

ففي العربية جرت الاضافة دون وسيط ، بينما نراها في اللغات الثلاث وهي ارقى لغات العالم اليوم لم تتم بدون das, of, de

كذلك يظهر تميز العربية **بالاشتقاق، بالتوليد، بالتقريب، بالقياس ، بالتصعيد .**

فالاشتقاق يتمثل بصياغة المصدر المزيد ، والافعال ، واسماء الفاعل ، واسماء المفعول ، والتفضيل والمبالغة ، والصفة المشبهة ، واسماء الزمان والمكان ، ولا يخفى ما في زيادات الحرف والحرفين والثلاثة على المجرد من دقة ، واستيفاء شخصية .

وعندما يتعذر الاشتقاق فهنالك التوليد الذي يتم باضافة الياء المشددة والتاء في اخر الكلمة كالماهية، والحيثية، وسواها ، واما التصعيد وهو في نظري دليل على رقي اللغة التي يتوفر فيها ، وذلك يتم بالانتقال من محيط الحسيات الى آفاق المعنويات .

فالروح تصعيد لكلمة ريح ، والنفس تصعيد لكلمة نَفَس ، والعقل تصعيد لكلمة عِقَلَ الراحلة اذا ربطها . ومن اسباب غنى لغة من اللغات، اخذها عن اللغات الاخرى بالترجمة ، او بالقياس . او بارضاخ التسمية المأخوذة للغة الآخذة ، وهذا يدل على امانة الانسان ازاء الانسان . وانه لمن السخف الفاضح ان يعمد بعض المتحذلقين الى ترجمة المصطلحات العلمية او التقنية الميكانيكية التي ارضخها الاستعمال اليومي لمقاييس اللغة المحكية ، فتجري اللغة المحكية هادرة مع نهر الحياة ، وتبقى المحاولة المترجمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ميتة مستوحشة ، تساقط انفسا .

اخذت الشعوب عنا ابان حضارتنا القمة . فلنأخذعنهم في عهد تخلفنا ولنسرع قبل ان يفوتنا القطار .

بيـن الفصحى والعاميـة

ان من تفاوت الطبقات الاجتماعية ، ثقافة ، ومعانـاة وجود نشأت لغة محكية ، تنبع من الفم ، ومن معطيـات الوجدان بدهيا . ولغة كتابية ادبية ، تنبع من العقـل والروية . ولا تخلو لغة من لغات العالم من هذه الازدواجية. اي الفصحى والعامية . ان الانسان في حياته البيتية ، في صداقاته ، في دعاباته ، يترك نوافذ وجدانـه مفتوحـة ، فتنطلق او تتزحلق الكلمات عفوا، توا دون امعان او تكلف. دون تعقيد ، او ضبط . وهذا حق من حقوق الانسان ان ينطلق على سجيته . لكن حالات الانسان الخاصة تبقى في دائرة بيته ، في محيطة الذاتي ، ولا يصح ان تصدر الـى الخارج ، فهي ليست صالحة لذلك . يلزمـها المقياس ، والتنظيم . يلزمها المتعقلين .

الفصحى والعامية ، او اللغة واللهجة ، كل واحدة منهما لها شخصيتها ، ولكنهما غير منفصلتين كما يظن البعض ، وليستا شيئا واحدا كما يحلو للبعض الاخر ان يقول .

فكل لهجة بينها وبين اللغة الام عموم وخصوص وجهي كما يقرر المناطقة . هذه التي نسميها اللغة الدارجة او اللغة المحكية ، او لغة الفم .

كل لهجة تيسرت لها سلطة عليا ، من ارادات بشريـة شعبية ، كأن تكون لغة مكـان متجمع للناس كعاصمة او سوق عام ، او سياسة تفرضها على السوى لغاية مـن الغايات . او هيمنة ادبية ، تشع على الاخرين باضوائهـا فتقودهم الى محاكاتها ، او دين من الاديان جعل منهـا لغة مقدسة ، هـذه اللهجة تصبح شخصية مستقلة . تصبح لغـة .

فالعامل الشعبي يتجلى في مثل غلبة لهجة لندن وباريس على لهجات الاخرين من الانجليز او الفرنسيين ، والعامل الديني مثل لهجة قريش التي غلبت بالاسلام سائر اللهجات العربية . وكلفة لوثر ومن على طرازه من رجال اليقظات الروحية . واما الاثر الذي تغمر بـه لهجة مـا بسبب الابداع الادبي ، لهجات اخرى فهو يتمثل بلغة افلاطـون وارسطو في اثينا ، ولغة دانتي في فلورنسا ، ولهجة الرسول العظيم في مكة . اما العامل العسكري ، فهو يتجلى في مثل محاولة الاسكندر . وفي جذب العرب للاسبانيين وسواهم من لاتين ايطاليا وفرنسا . كما يتمثل في فرنسة لهجـة الجزائريين وبعض مناطق افريقيا . ولكن اللغة المفروضة لا بد وان تلقى تحريفا وتشويها على يد هؤلاء المنخرطين في جوها . نذكر ولا ريب كيف ذعر العرب الاقدمون مـن تفشي الرطانة ، والعجمة ، واللحن في السنـة المولدين ، والموالي ، وسواء تم هذا التحريف او لم يتم ، فلهجات كل شعب هي بمثابة اعلان عن هذه الظاهرة الحتمية فـي التاريخ ، لان اللغة هي الانسان ، وبدونه لا لغة .

الا يذكر لنا كتاب « الاشموني » كيف تنحرف السنـة ابناء اللغة الواحدة ، والتي اذا لم يصادفها مجمع موحـد فانها ستنفصل حتما في يوم من الايام .

ماذا كـان يصير في كشكشة اسـد ، وعنعنة تمـيم ، وطمطمانية حمير ، وعجعجة قضاعة ، وفحفحة هذيل ، ثم الكسكسة ، والتمتمة ، والفأفأة ، وسواها ، لو لم يتدارك القرآن هذه الانحرافات جميعها ، فيميتها، ويهذب الالسنة بلغة مدروسة مموسقة واحدة ؟

الم يقل عمرو بن العلاء : ما لسان حمير بلساننا ؟ الـم يشتط الفرزدق الاموي ؟ ويستصعب ابن خالويه النحوي؟ ويتبرم به مضاء ؟ وسواهم من كبار المفكرين ؟

ان مجتمعا يتكلم لهجة واحدة لا وجود له ، ان بستانا تتساوى اشجاره طولا وقصرا ، زهرا وثمرا ، لاوجود له. حبة قمح ليست كحبة قمح . حجر يختلف عن حجر . الطبيعة تنكر المماثلة ، ولكنها تنشد الوحدة في مدارهـا العام المطلق ، بما في نسيج الوجود من شبه ضمني لا بمـا فيه من شكل عابر .

وفي الارض قطع متجاورات ، وجنات من نخيل واعاب، ونفضل بعضها على بعض في الاكل . وهي جميعها تسقى من ماء واحـد .

هنا ، يبدو ان الوقت قـد حان لطرح السؤال التالي : هل هنالك مناص من الازدواجية ؟ الجواب على ذلك كلا، لانه امر طبيعي ، واجب الوجود .

والسؤال الثاني هل تشكل العامية خطرا على الفصحى؟ في رأيي كلا ، لا خطر لان العامية لغة العفويات . والفصحى لغة العقلانيات . ولكن ما بالي اجزم دون ان اوقف الاخرين على جملة من الاراء في هذا الصدد ؟

قال الاستاذ فؤاد افرام البستاني في احدى محاضراته ... « فنرى ان اللغة الحية ـ ويقصد بها المحكية ـ على تطور دائم ، فلا نخاف الخوف كله من وجود لغة محكيـة الى جنب لغة مكتوبة ، وهو امر طبيعي ، شرط ان لا تتسع الشقة بينهما » . وليست القضية بنت الساعة ، فالشيخ ابراهيم اليازجي يدق ناقوسا سمعه الكثيرون بقوله :

« ولا يخفى ان اللغة اليوم قد اصبحت كأنها لغة قـوم اخرين ، لذهابها من الالسنة من عهد عهيد ، وايداعها بين الواح المصاحف لا تبدي ولا تعيد .. الا وان اللفظ وضع ليكون مسموعا لا منظورا ، واشخاصه انما هي الاصوات الناطقة لا الرسوم الصامتة ، فكيف يتأتى لهذه المناجيات السرية ، ان تغلب تلك المناغيات الجهرية ، مع تواترها على حواسه في المعاشرات اليوميـة ، والمحادثات البيتية ، لا ينطلق لسانه الا بها ، ولا يجري في خاطره الا صورها ، ولا يرن في صماخه الا صداها ؟ »

ولاذهب ابعد من عصر اليازجي ، موغلا الى آفاق الخليل بن احمد الفراهيدي الازدي القائل : « ركن البلاغة **اللفظ**

وهو ثلاثة انواع » :

نوع لا تفهمه العامة ولا تتكلم به .

ونوع تفهمه العامة وتتكلم به

ونوع تفهمه العامة ولا تتكلم به ، وهو احمدها .

هذا كما نرى كلام عالم ، لا ينطق عن الهوى ، وهو يذكرني باسلوب ابن المقفع الذي اطلق عليه وصف السهل الممتنع ، وباسلوب الجرائد اليومية الذي اختاره الاستاذ فؤاد افرام البستاني فى بعض مجالسنا معه ليكون ملتقى العامية والفصحى . نرفع العامية . ونهبط بالفصحى من خصوصياتها . فاذا نحن مع الخليل بن احمد الفراهيدي بذلك النوع الذي تفهمه العامة ، ولا تتكلم به ، لانها لا تملك الثقافة التي تساعدها على ذلك .

ولو ان الخليل ابن احمد قرا الف ليلة وليلة ، لاعجب بها كما اعجب بها من بعده جون ويلز ، واندره جيد ولطلب منا شيئا واحدا هو رفع مستوى العاميات التي فيها .

وقد كاد يجمع المؤتمرون فى بيت مري على ضرورة تسهيل الفصحى ، ورفع شأن العامية . الا ان الاستاذ خليل هنداوي وجد صعوبة كبرى فى كتابة مسرحية بالعامية . لانها ليست ذات قابلية ، وامكانية ، لتمثل العقل والثقافة ، فكتب مسرحيته بالفصحى ، ثم عاد فترجمها الى العامية ...

على ان الاستاذ واصف بارودي احد مؤتمري بيتمري قال : اتركوا الحياة تجري فى مجراها الطبيعي ، تحل قضية اللغة .

والدكتور انيس فريحة فى كتابه نحو عربية ميسرة يقول ص ١٨٦ : مما لا شك فيه ان لغة العربي الذي لم يفيض له شيء من التعلم لغة سقيمة محدودة فى مفرداتها ركيكة فى اسلوبها ، قد تعبر عن الحياة العربية الضيقة . ولكنها تعجز عن ان تعبر عن الحياة الحضرية المعقدة ، او عن الفكر والسياسة والاجتماع . كما تستطيعه اللهجة العربية المشتركة التي يتكلم بها المثقفون ، ويسميها الفصحى الميسرة او المبسطة ، وهو بهذا يتلاقى مع الاستاذ البستاني والخليل ابن احمد .

اما الدكتور كمال الحاج ، فيلسوف لبنان العميق ، فهو يدرس قضية الفصحى والعامية فى كتابه القيم « فلسفة اللغة » ومن اقواله ص ٢٢٢ : « لا نستطيع ان نقضي على الفصحى فى سبيل العامية . ولا على العامية فى سبيل الفصحى . كلتاهما من معطيات الوجدان البديهية» . وعنده ان اللفظة والفكر شيء واحد ، الفكرة لغة لم تتقرطس ، واللغة فكرة مقرطسة . لا لغة بدون فكر ، ولا فكر الا وهو لغة مهما نأى التجريد . ان الازدواجية فى اللغة هي ذاتها امتداد الازدواجية فى الوجدان ، فالعامية دليل وجود فكر عامي ، والفصحى دليل وجود فكر فصيح » .

اذا كان الانسان مقياس كل شيء كما يقول بروطاغوراس، واذا كانت اللغة كائنا حيا له شخصه وملامحه ، كائنا حيا يعتريه ما يعتري كل كائن حي متطور ، صاعد فى تطوره ، فلماذا لا نسأل هذه الحياة ؟ ولماذا نميل عن نواميسها الى الاهواء والانحرافات ؟

الحياة ذاتها مزدوجة الاتجاه بين الايجاب والسلب ، بين البساطة والتركيب ، فيها العقل ، وفيها القلب ، لكل منهما لغة، ولكل منهما توافق مع الجانب الاخر ،واختلاف عنه

هنالك لغة العواطف القريبة المنال . وهنالك لغة الاغوار النفسية . والابعاد العقلية التي لا تستلين لعامة الناس . هنالك المبتذل . وهنالك الثمين النادر المستعلي بطبيعته.

هذا الازدواج شغل اللغة كما شغل الفلسفة ، كما شغل الدين ، فالناظر فى الترفانية الهندية ، والثنوية الفارسية ، يلمس وجهي الحياة المطلين بتلازم موصول .

قال « هيجل » : يجب علينا التسليم بوجود مبدأين يتنافى كل منهما مع الاخر ، وان تقدم البشرية مرتبط بتناقض القوانين الوجدانية . وقال « كانت » صاحب نقد العقل الخالص : « ان العقل لا يقوى بسبب هذه التراكيب الثنائية على ان يتجاوز حد الظواهر .

على ان مثلية افلاطون وواقعيته مظهر اخر ، قديم ، لهذه الازدواجية . ويا ليت ارسطو وقف عند حدود الازدواجية بعلله المعروفة .

ان هؤلاء الذين يحاولون ابدال الفصحى بالعامية ، منجرفين بحماس مشرقط ، لو انهم رووا ، والتفتوا حولهم ، لاهتدوا الى معرفة الاشياء التي تحيط بهم .

نسأل الصديق سعيد عقل ، هل كان راضيا عن نفسه عندما تحدث عن موضوعات جمالية باللغة العامية وذلك فى مقدمته الفلسفية الجمالية لديوان ميشال طراد «جلنار» ؟ الجواب كلا لم يكن مقتنعا ولا راضيا لانه لم يعد الى ذلك فقد كان غريبا مستوحشا ، ثم انه اعلن لي وعلى ملأ من الاصدقاء فى منزلي ، فى منزل الصديق ميشال عاصي انه سينزل الى السوق كتابا على طراز « يارا » كل اسبوع ، فلماذا لم يفعل ؟ ولماذا خنس وتوقف ؟

وفى قاعة المحاضرات بكلية المقاصد بصيدا، دعوت الصديق الاستاذ رشدي معلوف لالقاء محاضرته عن الذوق ، سنة ١٩٤٣ ، ظنا مني انه سيلقيها بالعامية كما فعل قبل ذلك بعام واحد فى كلية البطريركية ، وكان سعيد عقل هو الذي دعاني الى سماعها .

كنا اربعة فى الصف الامامي ، الاستاذ فؤاد بستاني ، الدكتور احمد مكي ، سعيد عقل ، وكاتب هذا البحث ، وكان سعيد يصفق بمناسبة وبدون مناسبة .

وكم كانت دهشتي عظيمة فى صيدا ، عندما القى رشدي محاضرته عن الذوق باللغة الفصحى !! كان معه فى الرحلة الاستاذ الصديق ادوار حنين ، ورجل من آل طرابلسي لا اذكر اسمه الاول . والحديث عن الذوق يقتضي معرفة بعلم الجمال ، بعلم النفس ، بالاخلاق ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالادب ، بالهندسة . فلماذا عدل رشدي معلوف عن العامية الى الفصحى ؟ الجواب معروف . وهو ان العامية لم تستطع ان تستوعب الذوق ، وكان رشدي صاحب ذوق بالعدول عنها .

وقال رشيد نخلة اب الحبيب امين ، وهما سيدان من اسياد الكلمة العربية ، فصحى وعامية ، في مقدمة ديوانه ، الذي اصدره نجله امين ـ سلم لنا ـ طبع بيروت سنة ١٩٤٥ صفحة ٨٢ :

« ما اخترت العامية بدلا من الفصحى . بل اراني اقبل على العامية حين اترك الفصحى . واقبل على الفصحى حين اترك العامية . ميلا مع الخاطر العارض او المناسبة الحاتمة » .

ويقول الدكتور طه حسين : « اما انا فاؤثر وحدة اللغة، واثق كل الثقة بأن النصر لها اخر الامر ، وارى غير متردد ان وحدة اللغة هذه ، خليقة ان يجاهد في سبيلها المؤمنون بها ، وان يضحوا في سبيلها بكل ما يملكون » .

وقال المفكر الفرنسي جوليان باندا في مقال كتبه سنة ١٩٤٦ « اذا كنا نريد ان نزود الغرب وحدة روحية ، علينا ان نجمد الحملات في سبيل انشاء لغة غربية . اعني ان تضاف لغة الى لغات مختلف القوميات الغربية ، بدون ان تحدث التخريب في هذه اللغات . يكون مثلها مثل الفرنسية التي اضيفت الى البيكاردية ، والبروفنسالية ، ومثل الانجليزية التي اضيفت الى الغالية والايكوسية . هذه اللغة يتقنها الاولاد جنبا الى جنب مع لغة بلادهم»

ولحسن حظنا نحن العرب ، نجد ان الفصحى قد وفرت علينا هذا الجهد المضني ، فما علينا الا الاستفادة من نعمة يحلم بالحصول عليها الاخرون .

ولكن مفكرا لبنانيا هو الاستاذ ميشال شيحا يريد في كتابه الفرنسي « لبنان اليوم » ان يكثر من اللغات الى جانب العربية ، لان لبنان مدعو الى الاطلالة على العالم بلغات متعددة،ولم يعلم رحمه‌الله ان الذي لا يملك بيتا يطل من نوافذه لا يملك شيئا . ان الغرب ليس في حاجة الى لبنان، والى ادب اللبنانيين بلغاته. فمهما بلغوا من العبقرية، فسيبقون غرباء او ما يسميهم الفرنسيون بـ « اكزوتيك » عن حرارة لغة من لغات الغرب . وهم لم يشتهروا لانهم كتبوا بالفرنسية او الانجليزية ، بل شهروا لانهم كتبوا بهما ، وعبروا عن روح بلادهم وطابعها ، وعطرها الشرقي ، كجبران، والريحاني ، ومي ، وجورج شحادة وسواهم .

ان اللبناني الذي يكتب بالفرنسية تجيء فرنسيته لبنانية ، لا فرنسية اصيلة .

يقول الدكتور كمال الحاج في كتابه فلسفة اللغة،ص ٢٤٣:

« ان الذين يبشرون بالعامية ، يهدفون من قريب او بعيد ، الى وضع البلاد العربية في مناخ سياسي متفسخ» .

وقال ص ٢٩٦ : « اذا اراد لبنان ان يلعب ثانية دور الاستاذ في العالم العربي ، وجب عليه ان يصون عفاف اللغة العربية»

وقال ص ٢٩٢ : « ان الاعتزاز الذي يوقظه فينا كوننا نتكلم بلغات كثيرة ، هو اعتزاز خاطىء ، هو اغترار فاسد، مثلنا كمثل من فقد ظله ، فمشى في ظل سواه » . ويقول ص ٣٠١ : « اهو دفاع عن اللغة العربية ؟ اجل واكثر من دفاع عن لغة ، انه تركيز لبنان في تاريخه الواجب ان يكون»

اما النظرة الماركسية الى الفصحى فتتجلى في قولة لينين من كتاب لجوزف ستالين موضوعه حول الماركسية في علم اللغة ص ١٩ : « كان ماركس يقر اذن بضرورة لغة وطنية واحدة ، باعتبارها شكلا اعلى ، تخضع له اللهجات من حيث هي اشكال دنيا » . وقال ستالين ص ٢٦ : « ووحدة اللغة وتطورها بغير عائق يشكلان شرطا من الشروط الاساسية للمبادلات التجارية فعلا ، والواسعة فعلا ، المطابقة للرأسمالية المعاصرة ، ولتجمع السكان في جميع الطبقات المختلفة تجمعا حرا واسعا » . وقال ص ٢٧ : « ان محتوى الثقافة يتغير في كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع ، في حين ان اللغة تبقى هي ذاتها من حيث الاساس، طوال سنين عديدة » . وقال ص ٣٥ : « ولكن من الخطأ الفادح الاعتقاد بأن تطور اللغة جرى بهدم الموجود ، وبناء الجديد . بل ان التطور حصل بتطوير العناصر الاساسية للغة موجودة ، واتقان هذه العناصر » . وقال ص ١٢ : «لا ضرورة لازالة اللغة ، والاتيان بلغة جديدة، ما دامت الاصلية تفي بحاجات الموجود » . وقال : « ولكن كيف تهدم اللغة الموجودة ، وتبنى لغة جديدة مكانها خلال بضع سنوات ، دون ادخال الفوضى في الحياة الاجتماعية ، ودون تهديد المجتمع بالتفكك والتفسخ ؟ من اذن غير الدونكيشوتيين يمكن ان يضعوا انفسهم هذه المهمة ؟ » وقال ص ١٨: اما الاعتقاد بأن اللهجات والالسنة الخاصة ، تستطيع ان تتطور الى لغات منتقلة ، قادرة على زحزحة اللغة الوطنية والحلول محلها ، فهو اضاعة للافق التاريخي ، وانحراف عن مواقع الماركسية » .

يقول الدكتور جوستاف لوبون في كتابه عن حضارة العرب نقلا عن بركهارد ص ٥٣٢ : « ونجد اختلافا كبيرا لا ريب في لهجات اللغة العربية العامية ، اكثر مما في اي لغة اخرى على ما يحتمل ، ولكنه يصعب عليك ان تفهمها جميعها اذا ما تعلمت احداها ، وذلك على الرغم من اتساع البلدان التي يتكلم اهلوها بها ، واعظم فرق كما اعلم هو ما بين لهجة المغاربة في مراكش ، وبين لهجة الاعراب في مكة والحجاز ، لكن هذا الفرق بين تينك اللهجتين ، لا يزيد على اختلاف لهجة جنوب المانيا عن لهجة فلاحي سكسونية في شماليها » .

وقال ستيوارت ضود في كتاب « العلاقات الاجتماعية في الشرق العربي » ترجمة فريد نجار ، طبع دار الكتاب ببيروت : « نعرف جيدا ان الشعب الذي ينطق بلغة واحدة، اذا ما فصلته حواجز كالبحار والصحارى ، وسلاسل الجبال او غيرها ، واستمر هذا الفاصل قرونا ، تنقسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغته الى لهجات مختلفة ، وقد تكون كتابتهم واحدة ، ولكن التلفظ بها يكون مختلفا كما هي الحال فى اللغةالصينية واللغة العربية . بيد ان هذه اللغات قد تمتزج ، وتكون لغة واحدة مرة ثانية اذا ما تم الاتصال بين الاقطار التي تسود فيها . وبالفعل فاننا نجد اليوم ان لهجات انجلترا آخذة فى الزوال ، كما ان الراديو يعد قوة جديدة فعالة فى توحيد اللهجات » .

وهكذا نرى ان الازدواجية بين الفصحى والعامية ، حتمية فى جميع اللغات الراقية ، وان الدعوة الى الكتابة باللغة المحلية ، مؤامرة ذوقية ، وعقلية ، وسياسية ، نعوذ بالهداية منها ، ومن دندناتها الشنشتية الاخزمية .

الاعراب والعربية

يختلف علماء اللغة كثيرا حول هذا الاعراب ، وما هو العامل المؤثر فى آخر الكلمة لتجيء منصوبة او مجرورة او مرفوعة . هل هو الفعل وما يشتق منه ؟ هل هو ملحوظ ضمنا ، مقدر ، او ظاهر ؟ وقد غفل هؤلاء الجهابذة عن ان العامل هو الانسان نفسه ، وان الاعراب ليس دليل تأخر فى لغة من اللغات ، بل هو علاقة دقة ، كما ان انتفاءه من لغة لا يوجب كونها متقدمة على سواها ، اذ ليست لغة باشرف من لغة ، بل ان انتفاء الاعراب دليل اختيار التبسيط على التقعيد ، واللغات اللاتينية غير معربة، بينما اللغة اللاتينية الام معربة ، وهي واليونانية تسميهما حضارة العصر لغتين انسانيتين ، فاذا قلنا فى العربية :

اقبل الربيع ، وشممت العطر، وكتبت بالقلم .

برفع الفاعل ، ونصب المفعول به ، وكسر المجرور بالحرف ، تقول اللاتينية ايضا :

للفاعل	dominus
للمنادى	dominé
للمفعول فيه ولاجله	domino
للمضاف اليه	domini
للمفعول به	dominun

كذلك تقول لاتينيا فى حالة الافراد والجمع :

Rosea, rosarun, rosas, rosis

واما السريانية وهي بنت الآرامية ، لغة الفكر فى الشرق الاوسط ، فى مدى سنين طوال ، فتقول فيها حسب مواقع الكلمة من الاعراب : بار الوهو ــ برو ذالوهو ــ بره ذالوهو

فالاضافة فى السريانية يتغير بها المقطع الاول فى الاضافة، بار ، برو، بره، اما آخر الكلمات فلا يتغير كالفرنسيةتقول:

راحم عليه الوهو : ارحمني يا الله

حزيت الوهو : رأيت الله

الوهو حايل ثونو : الله قوي

وحسبنا لغة غربية ولغة شرقية ، كلتاهما من ارقى لغات الانسان ، يشتركان مع اللغة العربية بالاعراب . هذا الاعراب هو عامل دقة ، وضبط ، كما هو عامل صعوبة وتعقيد ، فكيف نسهل امره ؟ هل نلجأ الى العامية التي نسكن آخر الفاظها ، وعلى التمادي نضطر لوضع القواعد لها ، ام نطور هذا الاعراب ؟ قبل ايجاد الحلول ، اجدني مجبرا على الالتفات الى قولتين ، واحدة للجاحظ ،واخرى للجرجاني بخصوص الاعراب .

الجاحظ يقول فى البيان والتبين جـ ١ ص ١٥٩ طبع المكتبة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٤٧ « متى سمعت،حفظك الله ، بنادرة من كلام العرب ، فاياك وان تحكيها الا مع اعرابها ، ومخارج الفاظها ، فانك ان غيرتها بأن تلحن فى اعرابها ، واخرجتها مخرج كلام المولدين ، والبلديين ، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة الطغام ، فاياك وان تستعمل فيها الاعراب ، وان تتخير لها لفظا حسنا ، او تجعل لها من فيك مخرجا سريا ، فانذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ، ومن الذي اريدت له ، ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها . »

وهذا عبدالقادر الجرجاني ، احد اقطاب النقد البياني يورد فى كتابه « دلائل الاعجاز » ص ٢٤ طبع القاهرة سنة ١٣٣١ هـ : « ان الالفاظ مغلقة على معانيها ، حتى يكون الاعراب هو الذي يفتحها . وان الاغراض كامنة فيها ،حتى يكون هو استخرج لها . وانه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض ، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه ، ولا ينكر ذلك الا من ينكر حسه ، والا من غالط فى العائق نفسه ، واذا كانالامر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون به ، وزهد فيه ، ولا يرى ان يستقيه من مصبه ، ويأخذه من معدنه ؟ »

هذا الكلام الذي هو فى جو الفصحى والعامية ، اكثر منه فى جو تسهيل الكتابة العربية ، هل يحل مشكلةالقراءة بالعربية؟ معترفا بان واحدا مثلي، يقرا العربية منذ اربعين عاما ، وهو يقر بان قراءتها صعبة . وان الشكل الذي هو نصف حرف وان كان عاملا جماليا، الا انه عامل اقتصادي هام يزيد فى كلفة الطباعة ، وهو كذلك عامل زمني يدعونا الى العمل على الاختصار . لان عصرنا عصر سرعة .وبعض الشعوب ابتعدت كثيرا عنا. فهل نلجأ الى الحرفاللاتيني، كما يقول سعيد عقل ، وميشال عاصي ، وانيس فريحة فى كتابه نحو عربية ميسرة ؟ وقبلهم عبدالعزيز فهمي باشا وسواه ؟ ام نطور الكتابة العربية لتصبح سهلة الكتابة ، سهلة القراءة ، مع دقة وانضباط ؟ ثم هل اللغة العربية وحدها تجد مشاكلها معقدة ، تختلف فيها اللفظة المحكية عن اللفظة المكتوبة ؟ للجواب على ذلك نقول ان لكل لغة مشاكلها ، واللغة العربية هي الانسان العربي ، فلتبقاللغة عربية ، وليبق الحرف عربيا ، ولكن ليكن التطوير،تبسيطا، وتصعيدا ، وتماديا ، عربيا ايضا .

اللغات جميعها لها مشاكلها ، ولكن واحدة منها تزيد على اخواتها صعوبات ، ومن الحمق تجاهلها ، المشكلة قائمة ، ونحن العرب المثقفين لا نسلك اسلوب النعامة فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نـائمـة

وغـفت يهدهـد جفنهـا حلـم ... افديـه مـا اشهى ومـا احـلا
الوجنتـان يـرف فوقهمـا ... سحران ، حيث تواريـا هـلا
وعقـائص مـن شعرهـا انتثرت ... فبـدا اثيثـا شعرهـا جثـلا
لعب الهـوى بشفيفـه فغـدا ... متشعـث الخصـلات منحـلا
واستسلمت لكـرى يجمشها ... فبـدت بـه وكأنهـا خجلـى
وتجمعـت شفتـان ، سلسلتـا ... شهدا ، وايقظتـا منى جذلـى
وانسـاح فـوق سريرهـا عبـق ... تـرك القلـوب هنـاك وانسلا
صلـى وسلم حـول مرقدهـا ... قلبـي ، فقل : اعلمت من صلى؟
هـذا الجمـال ، بكـل زاويـة ... مـن خـافقي اياتـه تتلـى
بصر المتيم اعـزلا ، فـرمـى ... ورأى الفؤاد لديـه ، فاحتـلا

غفيـا ، واي هـوى يراودهـا ... فتثاءبت ، وتحركـت كسلـى
غفيـا ، وفى العينيـن دمدمـة ... سكـرى ، تمـر طيوفهـا عجلى
سبحت بعـالم فتنـة وهـوى ... مثـل الفراشة ، لم تـدع ظـلا
يـا حسنهـا والطيب منفتـق ... مـن ثوبهـا ، ابطيبهـا ابتلا ؟
ورأى حيـا الخديـن منهـلا ... زهـرا لحقـول فمـاج واخضلا

نـامي ، فحولك خـافقي حرس ... يقـظ الهوى ، ما تاه ، ما ضلا
نـامي ، فانـك انـت طفلتـه ... والطفـل يألـف بالهوى الطفـلا

بانياس ـ اللاذقية **احمد علي حسن**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجاهل الواقع ، الا وهو الضرورة لتطوير الحرف العربي. لنحافظ على تقاليدنا اولا . لنطور لغتنا ثانيا بحرفها . باسلوب كتابتها . لنبقى عربا لا يختلف الضمن فينا عن القشرة ، ولا الشكل عن المحتوى. وانني لاصيح بملء كياني داعيا الى سرعة تطوير الحرف ، دون اللجوء مطلقا الى الحرف اللاتيني الذي هو فى الاصل حرف فينيقي ، والفينيقيون من هم ؟ اليسوا فصيلة عربية ؟

لكن الظروف السياسية التي نمر بها اليوم ، يجب اعتبارها لانها ظاهرة بسيكولوجية ، لا مناص من مراعاتها.

والان سأعرض الحلول الشكلية لكتابة الحرف العربي الجديد ، مشيرا الى طرائق ابتدعت منذ حركة عبدالعزيز فهمي باشا وهي تتلخص باساليب السادة الاتية اسماؤهم:

الياس عطاوي ، المرحوم علي الجارم ، سليمان محمد سليمان ، محمود تيمور ، ابرهيم الشاذلي ، مصطفى الشماع ، محمد شيت الحياوي ، حسين منصور ، عبد اللطيف عفيفي ونصري خطار .

وهل نكتفي الان بعرض الاراء دون ان نلح على حل ناجز؟

رأيي منسجم مع ما عرضه الدكتور انيس فريحه فى كتابه الاخير ، الطازج « الخط العربي ، نشأته ، ومشكلته» فقال : علينا ان ندخل فى صلب خطنا العربي ، الحروف الصوتية ، فنستغني عن الشكل ، وان نراعي مبدأين هامين ، عامين : « الضرر يزال » و « الضرورات تبيح المحظورات ». ولا بأس بايراد رأي المستشرق الايطالي غويدي ، المرقوم فى كتاب « فتاوى كبار الكتاب والادباء فى مستقبل اللغة العربية» ، نشر دار الهلال سنة ١٩٢٣ ص ٦ : « وفى رأيي انه يجب ان تتكون لغة كتابية سهلة ، يفهمها الجمهور العربي، وتكون مستقلة عن اللهجات العامية المختلفة ، ثم اني ارى من الممكن ادخال شيء من الاصلاح على طريقة الكتابة العربية » .

اخيرا ، نجد فى محاولة المفكرين، والمهندسين الجماليين، وعلماء اللغة والاجتماع ، نيات خير ، وتجارب حق وعلم ، فى سبيل تطوير ، وتصعيد هذه اللغة الحبيبة ، التي بها نقرأ ونكتب ، وبها نحيا ونموت .

علـي شلق

قصة

برازق

بقلم ماجد محمد ابو شرار

ان كنت من سكان الحي المتواضع الذي يقع عند اخر منحدر تصل اليه المدينة ، فلا شك انك تعرف تمام المعرفة (بكر) بائع (البرازق) فهو علم من اعلام الحي .. يبدو دوما بقامته الطويلة الممشوقة، وقد بدت هذه القامة في اطار مشوش من سروال بني كالح تلتصق بمؤخرته قطعة قماش خضراء خيطت به بقصد اطالة عمر هذا السروال ، يكمل تشويش هذا الاطار قميص له اكثر من لون كلها متنافرة ، ولا حذاء هناك وما حاجته له .. وقد اكتست قدماه بطبقة جلدية سميكة .. لا حيلة لقطع الزجاج والاحجار المسننة ولا حتى المسامير معهما .. ، ولكن كل هذا قد لا تلحظه منذ الوهلة الاولى . ستلاحظ ولا شك (الصينية) المستطيلة الشكل التي رصت عليها اقراص (البرازق) الصفراء المسمسمة على شكل هرمين كل يقابل الاخر .. ثم صوته الحلو القوي المفتاح .. وهو يمطه (برا...ز..ق) ، ونوادره الحلوة التي يتحف بها كل من يمر به فيثير موجة من الضحك تواكبه اينما توجه .. واخيرا يستقر به المقام امام صالون الحلاق المتواضع ، فيضع ركوة من الخشب ذات ارجل ثلاث على الارض ، ثم ينزل الصينية من على راسه لتقبع على الركوة ثم يعود الى مط صوته من جديد وبحيوية اكثر ...

ـ يا الله يا ولد... برازق ...، برازق بكر يا ولد ...

فيجتمع الصبية من حوله، وتمتد الايدي الصغيرة بقطع النقد الصفراء كل خمسة فلسات لها قرص ... ونكتة صغيرة حلوة .. وكان يلذ لي ان امر كل يوم ببكر اثناء عودتي من المدرسة فيقابلني بلهجته الحلوة ..

ـ برازق بكر يا استاذ ...!

ويناولني قرص الحلوى الهش المسمسم بعد ان اناوله الثمن ثم يردف قائلا :

ـ اسمع احدث نكتة يا استاذ.. واحد حرامي دخل بيت ..

ويكمل النكتة وجميع نوادره حلوة مستساغة .

وفي كل مساء ، وحين اعود الى البيت كنت لا اجده في اغلب الاحيان، فاعلم انه قد باع جميع اقراصه .. فاتصوره ... سعيدا .. هانئا .. يجلس مع زوجته ليطعمها الاقراص التي كسرت فلم تعد صالحة للبيع.. ثم يروي لها كل النوادر التي رواها في ذلك اليوم لزبائنه ..

وافتقدته يوما فما رايته حيث تعودت ان اراه ودام غيابه اربعة ايام ... فكنت كلما مررت من امام صالون الحلاقة انظر الى المكان المعهود .. فاتصور بكر ببرازقه .. وصوته المطوط ونوادره التي لا تنضب ..

فابتسم رغم شعور بانقباض يعتريني لعدم وجود بكر ، وعاد بعد اربعة ايام عددتها بقلق فاستقبلني الاستقبال الحافل المعهود .. قلت له :

ـ طالت غيبتك يا بكر .. فقلقت عليك ..

فيغمز بعينه ويقول والسعادة تكاد تقفز من عينيه :

ـ عقبال عندك يا استاذ .. لقد اصطحبت زوجتي لتضع في القرية قرب والدتها .. تصور يا استاذ ، بكر سيصبح ابا .. هذه ولا شك اخر نكتة ..!

واتركه وانا اتمنى له كل السعادة.

وفي يوم جمعة ، كنت اقضي بعض حوائج البيت .. فاذا صوت آتيا من راس الشارع ، فتراه يمد يده الى الصينية وبمهارة غريبة يسحب قرص البرازق فيسلمه للولد بعد ان يتسلم الفلسات الخمس ويتابع النداء من جديد .. وفجاة ..!! ، يسكت الصوت ، ويسود الشارع وجوم وصمت دام لحظات خلتها زمنا .. ، لقد داس بكر المسكين على قشرة موز القت به ارضا ونثرت كل اقراص البرازق على الارض فتكسر معظمها واتسخ الباقي .. ونهض المسكين.. ونظر الى الارض فتصورته قائدا مهزوما .. لمعركة فاشلة ... واشلاء القتلى تحيط به من كل جانب مذكرة بواقع مرير .. وتجسدت لي المأساة واضحة جلية .. اكثر من اربعماية قرص ثمنها اكثر من دينارين ، وهي كلها راس مال بكر.. وزوجته نفساء تحتاج الى غذاء جيد .. ثم ثمن الطحين والسكر والسمسم واجرة الفرن لصنع اقراص الغد .. ووحش قذر فاغر فاه .. يتراءى له .. في حطام كل قرص من الاقراص المنتثرة .. الجوع .. له .. ولزوجه وطفله.. وتحركت نحوه وانا اتحاشى ان اطأ حطام الاقراص واستقرت يدي على كتفه واخرجت من جيبي ورقة نقد فئة دينار مددتها له ..، فبوغت ، ثم هز راسه ، وهنا تقدم مني صاحب صالون الحلاقة وقال بصوت حاول ان يوصله جميع المحيطين بنا :

ـ عيب يا استاذ .. ، انت غريب وبكر واجبه علينا .. نشكرك .

وحاولت تسليم الدينار لبكر ولكنه رفض كما رفض الجميع واخرج صاحب الصالون من جيبه منديلا ملونا وضع فيه قطعة نقود فضية ، ودار على الجميع كل يضع في المنديل ما تجود به نفسه .. واحصيت النقود فاذا هي تقل عن الدينارين بقروش قليلة .. وضعتها في المنديل وانا اتمتم .. لا شك ان الفقر والطيبة جبلا في حوض واحد فصارا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مظهرا من مظاهر الانسانية .

وفى اليوم التالي مررت ببكـــر وسلمته الخمسة فلسات فسلمني قرص البرازق .. وانتظرت النكتة .. ولكنه لم ينبس ببنت شفة .. فغمزت له متسائلا .. فراعتني دمعتان تترقرقان فى جوانب عينيه .. فسألته:

ـ ما لي اراك مهموما يا بكر .. ؟

وافلتـت الدمعتان .. فاستقرت واحدة على ظاهر يـده المعروقـة واستقرت الاخرى على قرص من الاقراص المرتبة على الصينية ... وهمس ..

ـ زوجتي مريضة .. وابني الصغير يموت ...

وحـــاولت ان اساعده فرفض فالححت وامعن فى الرفض قائلا :

ـ شكرا يا استاذ .. لقد قبلت بالامس صدقة .. ولن اقبل اليوم أخرى !! .

وتركته وغصة الم تكاد تفجر حلقي

وفى اليوم التالي كنت استعجـل عقارب الساعة لاعود الى البيت مارا ببكر لاطمئن على زوجه وطفله ... وكان المكان الشاغر منه ومن برازقه ينبىء .. عن الحدث .. ورجوت فى سري ان يكون الفقيد الطفل لا الزوجة فالطفل يعوض، اما الزوجة فاقراص بكر لن تأتيه ابدا .. بأخرى ..

وغاب بكر عن الحي اكثر من سنة وحاولت ان اصل الى اخباره فما تمكنت، فبدا شكله يغيب من مخيلتي .. وصوتـه المطوط يتلاشى من ذاكرتي .. وان كنت كلـما سمعت نكتة حلوة .. اتذكر بكر ونوادره..

وفى بداية العام الدراسي الجديد نقلت الى مدرسة فى حي اخر من احياء المدينة .. لا فرق بينه وبين سابقه ، الا ان الحي الجديد تستطيع ان تلمس شقاء وبؤس سكانه بسرعة اكثر وسهولة ايسر ، ومضى اكثر من اسبوع وانا احاول ان اجد لي مسكنا ملائما ، فلم اجد واخيرا اضطررت الى استئجار بيت على الشارع يملؤه الضجيج ليل نهار .. ونقلت اثـاث بيتـي البسيط فى المساء .. ونمت الليلة الاولى .. والحشرات البغيضة يستثيرها حر خانق تهاجمني دون رحمة او شفقة .. وافلحت اخيرا فى استدراج النوم وانا العن مهنة التعليم التي تضطرني ان اسكن فى كل عام حيا جديدا .

وفى الصباح .. صحوت على صوت .. خلته يأتي من السماء .. او من مكان بعيد عله الزمـن .. ودعكت عيني بقبضة يـدي .. والصـوت يهاجمني .. (برازق بكر يـا ولد) الاسم نفس الاسم .. ولكن الصوت يختلف عن صوت بكر تماما .. ذاك صوت حلو .. ممطوط .. صاف .. وذا صوت اجوف مبحوح لا حيـاة فيه .. وقلت عله واحد لشخصين مختلفين .. ولكن البرازق .. نفس السلعة .. وبعد ترددقمت الى النافذة وفتحتها .. وخرجت بنصف جسدي من النافذة .. ورأيت ..!! رأيت بقية المأساة التي شاهدت بدايتها فى الحي الفقير القديم منذ عام .. رأيت بكر بلحمه وقد ذاب .. ودمه وقد جف .. يضع صينية البرازق على عربة ذات ثلاث عجلات ... وقد استقر فى قعر العربة .. طفل صغير يرضع اصابعه .. لا يزيد عمره عن عام واحد.

الخليل **ماجد محمد ابو شرار**

هـاتـف

من ديوان « شموع المعبـد » المعد للطبـع

* * *

عـودي لرشدك واطمئنـي ، انـي اخاف عليك مني ،
مـا زلت طـاهرة الجمال ، بريئـة الحلـم الاغن ،
لا تسألـي بالهـاتف المحمـوم ، عنـد الشوق ، عني ،
اخشى اذا جـن الهـوى ، مـن ان اجن وان تجني !!

دنيـاي وهـم ، مـا بهـا امـل لعمرك ، او تمـن ،
دنيـاي ملعب شاعـر يشـدو ويعشـق كـل فن ..
رحب الخيـال ، كما ترين ، انا ، اعيش بـروح جن ! !

شكرا اذا اعجبـت بـي ، وبشعـري الحلـو المرن ،
لكـن دعيني للسكـون اعيش فى الم وحزنـي ،
وتنعمـي بالحب فى دنيـا حبتك بكـل حسـن !!
عودي لرشدك .. لست اعرف ما الحنين ، فلا تحني ..
جربت حظي فى الغـرام ، فخيـب « التمثيل » ظني !!

ارجوك ، عـودي عن هواي ، لانتشي وحدي بلحني !!

فوزي خليل عطوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أَلفُ أَلفٍ

* * *

ثريا ملحس

●

يا الهي يا حياتي
بل ايا كل ابتهالي
كم قسمت
للعهود
ان اراكا
كم ركعت
في الزوايا
كي اذوب
في حماكا
عاد في قلبي سراكا
عاد فيه الوسوسات
في رباكا
انت لي منجى لروحي
ان شكوت
روحي الاعلى صداكا
ان بسمت
مجدي الاسمى يدور
في ذراكا
يا الهي يا حياتي
بل ايا كل ابتهالي
في عيوني ذرذرات
من هواكا
فيهما سر عنيد
من مناكا
انت حب لي يدوم
في علاكا
ان تعبت
ان كبوت
ان فشلت
انت ظل لي رحيم
يصعد النور القديم
من نداكا
يا الهي يا حياتي
بل ايا كل ابتهالي
يا احيلى الكائنات
في اصوات الحياة
عادني حلم لذاتي
انت في
الف الف
عندما ترنو دعاكا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دعبل الخزاعي لم ينصفه مؤرخوه

بقلم محمد رجب البيومي

ناسف كثيرا حين نجد بعض الشخصيات الادبية والسياسية قد وضعت في غير موضعها الصحيح ، فنقل عنها من الاخبار والحوادث ما فسر على غير وجهه ، ثم انطبع هذا التفسير الزائف في عقول الباحثين ، فهم يتناقلونه في كتبهم المتتابعة كانه حق صريح لا وجه لنقضه وتفنيده . وقد يكون الشاعر الثائر دعبل الخزاعي احد هؤلاء الذين ظهرت صورهم التاريخية في لوحات مشوهة ، فليس بها من الملامح والسمات ما يوقف القارىء على الحقيقة الصادقة ، وقد اجمع الاخباريون من الرواة والادباء من النقدة على ترديد ما اشتهر عن الرجل من انباء ، دون ان يخضعوا اخباره المتواترة الى نظر صائب يستشف الخوالج الكامنة ، ويفسر المتناقضات المضطربة ، وانما قصارى الاخباريين من الرواة ان يجمعوا على تأييد ما حكاه ابو الفرج الاصبهاني حين قال عن دعبل « هو دعبل بن علي بن رزين الازدي ويكنى ابا علي شاعر متقدم مطبوع ، هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه احد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا اولادهم ، ولا ذو نباهة احسن اليه ام لم يحسن ولا افلت منه كبير احد » ثم يسهب صاحب الاغاني في ذكر انباء مختلفة يتاملها من زاوية واحدة دون ان يعمق نظرته النافذة ، فيما تحمل من دلائل وايحاءات ، واذا كان ابو الفرج راوية اخباريا يسطر ما يسمع دون ان يتسع له المجال في اكثر اخباره للترجيح والتحليل ، فان ابا العلاء المعري الناقد الالمعي ينهج نهجه فيما تحدث به عن الشاعر ، وكنا نامل ان نجد عند الفيلسوف المتعمق ما افتقدناه في اسف والم عند الاصبهاني ، ولكننا وجدنا ابا العلاء يجري معه في مضمار واحد ، حين يتحدث عن دعبل في رده على ابن القارح فيقول(١) .

« وما يلحقني الشك في ان دعبل بن علي ، لم يكن له دين ، وكان يتظاهر بالتشيع وانما غرضه التكسب ، وما ارتاب في ان دعبلا كان على راي الحكمي وطبقته ، والزندقة فيهم فاشية ، ومن ديارهم ناشية » واذن فقد اربى المعري على ابي الفرج فجعل الرجل زنديقا متهما في دينه !! ودعبل امام هذه الاتهامات القاسية في حاجة قاسية الى من يجلو الضباب عن سيرته ليراه القارىء في وضعه الصحيح .

ويمكننا ان نلخص الاتهامات التي وجهها الكاتبون الى دعبل في ثلاث نقائص تشينه وترديه ، فهو اولا هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه احد ، احسن اليه ام لم يحسن ، وهو ثانيا منافق كذاب يظهر التشيع طمعا في الكسب ، ويخفي غير ما يعلن ، وهو ثالثا كما قال ابو الفرج مغامر فاتك عاش عيشة مريبة متهمة فعاشر اللصوص والاشرار ، وخالط الشطار والعيارين ممن جمعوا العصابات وشنوا الغارات !! وتلك ثالثة الاثافي كما يقولون ، ولا بد لنا ان نكشف اللثام عن سيرة الرجل ، لنرى اكانت هذه الاتهامات الثلاثة حقا لا شبهة فيه ام انها استنتاج مجحف ، اخطاه الصواب واحتاج الى من يعمد اليه بالتصحيح .

حقا لقد كان الرجل هجاء قاسي اللسان! ولكن اي هجاء كان يقوله دعبل ؟ اهو الهجاء الشخصي الذي يتجه الى الافراد فيسلبهم محاسنهم بالباطل الزائف طمعا في مالهم او عقابا على شحهم ، ام هو هجاء صاحب الراي الذي ينظر فيجد الامر قد وسد الى غير اصحابه ، ويرى المهيمنين من الرؤساء قد اساءوا سيرتهم في الناس فهم ظلمة فساق ، يقولون ما لا يفعلون ، وفيهم من يصادر الاموال بغير حق ، ويزهق الارواح دون موجب ، وطوائف المتملقين من الشعراء والكتاب يطيلون مدائحهم الكاذبة ، ويختلقون لهم من المكارم المزورة ما لم يهموا به فضلا عن ان يفعلوه ! لقد كان دعبل ، يرجو من بني العباس الا يكونوا اشرارا ظلمة كبني امية ، فهم اقرب نسبا الى الرسول ، وامتن صلة بالشريعة ، وما ازرهم المؤيدون في قتال بني امية ، واستئصال باطلهم الا طمعا اكيدا في حق يمحق الباطل ، وعدل يسحق الظلم ، ولكن المسرح السياسي لعهده قد اختلف ممثلوه فقط ، فراح فريق وجاء فريق !! اما الرواية نفسها فماساة حزينة تصور ابشع مناظر الارهاب والتنكيل ، والشاعر كحر ثائر لا يرضى ان يسير في ركاب الوصوليين من الشعراء ، والهتافين من الادعياء ، ولكنه يجهر بعداوته لذوي الظلم من خلفاء ووزراء ، ويصرح بخيبة امله في العباسيين اذ يقول في اسف ومرارة :

ارى امية معذورين ان غدروا ... ولا ارى لبني العباس من عذر
قتل واسر وتحريق ومنهبة ... فعل الغزاة بارض الروم والخزر

فهجاء دعبل عنصر هام من عناصر الشعر السياسي ، وهو بما تضمنه من نقد وتشهير يصور احزاب المعارضة ، ويهدف هدفها السياسي في الكشف عن مثالب الحاكمين ، واعلان ما يقترفون من منكرات ، ونحن نعد الهجاء رذيلة دنيئة اذا كان صاحبه ذا مأرب شخصي كالحطيئة فهو يهجو الاثرياء اذ منعوه ، ويمدح الادنياء ان اعطوه !! اما ان كان الهجاء تصويرا لنقائص اليمة يرتكبها الرؤساء فهو ناقوس مجلجل يرن في الاذان الغافلة ، ويفتح العيون النائمة فترى ما يرتكب حولها من اهوال ، وليت شعري ايهما اعظم في ميزان الرجولة ؟ شاعر كالبحتري يمدح الظلمة من الرؤساء فيحيل ظلامهم الدامس الى صباح وضيء مجانبا باب الحق وطريق الانصاف ، حتى يملأ يده من دنانيرهم الخادعة ، وضياعهم الواسعة ، ثم لا يمنعه تكسبه المهين ان يهجو في الغد من مدحه بالامس زلفى لرئيس جديد يحمل الضغينة على سابقه ! فاذا دالت دولة هذا الجديد ، وحل سواه طفق البحتري يكيل السبا بمن تقرب اليه في

عنفوان مجده ، ويربي المديح لمن جافاه وعاداه(١) ؟ ايهما اعظم فى ميزان الرجولة هذا المتكسب الخانع ام ذلك الابي الثائر الذي يوجه هجومه القارص الى من يتعبدون الناس بطغيانهم الاثيم ؟ ان دعبلا الشجاعلم يكتف بالهجاء الشعري بل ابى عليه اباؤه ان يقف عند القول ، فاندفع الى العمل مع الثائرين ، واعلن الحرب على الامين ورأى فى سلوكه الشخصي ، وضعفه الخلقي ما لا يرشحه لامارة المؤمنين عن جدارة واستحقاق !! وكأني به وقد استشرف الى عهد زاهر تصفو سماؤه فى خلافة المأمون فالب الجموع وقاد العصائب ! ثم نظر متلددا فوجد الخليفة الجديد يصب سياطه الظالمة على اناس ابرياء متخذا من فتنةخلق القرآن سلاحا يطعن به الآمنين ، ففي كل يومنفوس تزهق، وسياط تحرق ، وجسوم تقيد وتسجن !! اين الفجر الوضيء الذي استشرف له الشاعر وسعى الى بزوغه سعي المقاتل الجريء؟لقد تبددت اوهامه الحلوة ،واستشعر ندما مفيظا يدفعه الى ان يهدد المأمون فيقول :

ايسومني المأمون خطة عاجز ... او مارأى بالامس رأس محمد
اني من القوم الذين سيوفهم ... قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحضيض الاوهد

وكان المأمون على ضيقه بقوارص الشاعر يصفح عنه ويفسح له فى مجلسه حتى روى الرواة انه كان اول داخل من الشعراء عليه واخر خارج من عنده ، ولو بلغ هذه المرتبة شاعر وصولي متكسب لارسل مدائحه العريضة فى الخليفة ، وجعل ادبه مطية تسير به الى المال والضياع ، ولكن دعبلا الابي يستشعر غصة اليمة حين يجد آماله تخيب فى انصاف المأمون ، فيضحي غير مكترث بمكانته لديه ، ويرسل اليه اهاجيه القارصة ، هاربا بنفسه في مخارم الجبال وشعاب الفلوات ، متحملا مرارة التشرد وشظف الصحراء ، وقلق الاغتراب ، وحسبه ان اراحنفسه، فعبر عن مشاعره الساخطة دون ان يغره سلطان المال أو يجتذبه مجلس الخلافة ، ولتأت الايام اليه بما تدخر من الاهوال ، فلن يهتم بعد بعقاب او ارهاب ! ان رجلا يحتقر رغائب البشر فى سبيل مبدئه لجدير ان يأخذ اعتباره الصحيح دون تحيف وانتقاص .

ثم ماذا .. لقد ظل المنافقون من الرواة يعيبون دعبلا باهاجيه السياسية ويعدونها ثمرة مريرة لفساد الطوية وخبث الضمير ، وظل الشاعر وفيا لمبدئه الصريح ، فقد مات المأمون وجاء المعتصم ليسلك سبيله فى الارهاب والتعذيب ، ولم يكن له من الحلم والصفح ما يسع زلات الشاعر واهاجيه كما وسعها صدر المأمون فاخذ يطارده ويبعث خلفه الارصاد وينصب الفخاخ لاغتياله ، والشاعر الحذر ينتقل من كهف الى كهف ومن قرية الى قرية ثم لا ينقطع عن التنديد بذوي الامر ، فقد طغى الاتراك ارهب طغيان ، واعطى المعتصم قياد الدولة لوصيف واشناس وغيرهما من فسدة الترك فطمى السيل وعج الفساد ، ودعبل يسجل ذلك فيقول فى استفظاع :

وقالوا امام لم يكن ذا هداية ... فليس له دين وليس له لب
وما كانت الانباء تاتي بمثله ... يملك يوما او تدين له العرب
لقد ضاع ملكالناساذ ساسامرهم ... وصيف واشناسوقد عظم الكرب

وكأن القدر قد هادن الشاعر الثائر فمات المعتصم دون ان يتمكن منه ، واندفع المتملقون من اصحاب القصائد يرثون الخليفة الراحل ، ويستقبلون العاهل الجديد بمدائحهم الطنانة ، وقد بذل كل شاعر فى اختلاق الفضائل، وتزييف الحقائق ، وزركشة البيان ، ولكن جميع ماسجلوه قد صادف آذانا صماء من الناس، فقبع فى اوراق الدواوين مجفوا لا تهش له نفس ، ولا يلهج به لسان ، اما الكثرة الكاثرة من الناس فقد اندفعوا يرددون قول دعبل في تقدير واعجاب :

الحمد لله لا صبر ولا جلد ... ولا عزاء اذا اهل البلى رقدوا
خليفة مات لم يحزن له احد ... واخر قام لم يفرح له احد

ويا لهما من بيتين صادقين اظهرا الحقيقة الاصيلة دون خداع ، فاحس كل عربي انهما يعبران عن ذات نفسه ، فرواهما السامعو ن، واصبحا مضرب المثل فى كل مناسبة تتاح والمؤسف حقا ان هذا الشعر الرائع الذي تردد على الافواه سرا فى المجالس ، تهاداه السامرون خلسةفى الاندية، لم يجد من جامعي الشعر من يحرص على رصده وتسجيله، اذ أن كل راوية اديب قد خاف على نفسه ان يسجل في طيات كتبه بعض ما قيل فى ذوي الامر . فيعرض مستقبله لخطر محقق ، وبذلك ضاع ديوان الرجل المنكود فلم يحفل بروايته باحث ، او يجمع شوارده جامع ، وما وجد لدينا من ذلك قليل من كثير ظل يتردد على الافواه حقبا طويلة حتى امن المؤرخون على انفسهم بعد انقراض من قيل فى هجائهم ، فسجلوه وحفظوه ، وقد كان الشاعر يقول ما مؤداه « لقد مضى علي ستون عاما ما تصرم منها يوم الا وقلت فيه الشعر » (الاغاني) ومعنى ذلك ان ما قاله كثير حفيل ، وقد يكون الرجل مبالغا فى دعواه ولكن ذلك يدل على انه نظم قدرا حافلا لا يقلعما نظمه معاصروه كأبي تمام والبحتري وابن الرومي وسواهم من فطاحل الشعراء ، ولكن مسلكه العدائي قد جعل الادباء يتحاشون شعره ! فطوى الزمن منه اضعاف اضعاف ما ترك ، واشتهر عنه انه هجاء خبيث اللسان ، وما هجاؤه الا لون سياسي لا يصح ان يندرج تحت القدح المذموم ، اذ انه هجاء المبادىء لا الاشخاص ، ويخيل الينا ان ابواب الشعر العربي في حاجة ماسة الى تحديد دقيق، بحيث لا تفرج دائرة الهجاء حتى تسع كل ذم ، صائبا كان او غير صائب ، ومتى تم هذا التحديد المرتقب ، فاننا نعتبر قصائد دعبل مشاركة سياسية تصور وجهات نظر كثيرة ، ترجم عنها الشاعر

(١) رسالة الغفران ص ٢١٨ ط ثالثة .

(١) راجع بحثنا « من أخلاق البحتري » بالمجلد الثاني من السنة الرابعة عشرة من مجلة الرسالة .

فصدق واجاد ، ومن ثم فقد كان ثائرا ذا رسالة وهدف !! وقل من الشعراء ـ على عهده ـ من حمل الراية ، وحارب الطغـــاة .

ننتقل بعد ذلك الى المأخذ الثاني ، وقد حصره ابو العلاء فى زندقة الشاعر مع جنوحه الى التشيع رغبة فى المكسب المادي ، فنجزم اولا باننا لم نجد فيما لدينا من اخبار دعبل ما يشير الى زندقته والحاده ، وقد اهتم اعداؤه بتعداد مثالبه ، وتشريح نقائصه ، فلو عرف عنه شيء مما اشار اليه المعري لما نكص هؤلاء عن تسجيله وايراد شواهده ، وتعداد اسبابه ونتائجه ! وواضح ان تشيعه يمنع زندقته! لان الذي يؤمن باحقية آل محمد فى الخلافة ، لا بد مؤمن بمحمد وربه ،وما رأينا فى تاريخ الالحاد زنديقا يتشيع ،حتى نجرأ على رمي دعبل بالزندقة ! واعجب ما قرأناه للمعري دعواه ان تشيع دعبل للكسب لا للعقيدة !! اذ ان الشاعر لو اراد الكسب لاتجه بمدائحه الى اصحاب المال والسلطات من الخلفاء والوزراء ! ولكنه هاجم هؤلاء جميعا ، واتجه بامداحه الى فئة مستضعفة لا تملك القليل او الكـثير !! فكيف يكون تشيعه اذن للكسب والثراء !!

لقد كان الشاعر العباسي من طبقة دعبل يمدح الرشيد او المأمون او المعتصم ، فيغنم عن القصيدة الواحدة ضيعة واسعة ، وقد يأخذ من الجواري والقصور والبدر ماينقله من طبقة الرعاع الى مستوى العلية من المترفين ، ولكننا لم نجد شاعرا علويا غنم فى العصر العباسي من تشيعه مـا يكفل له الراحة والرغد ، ومن اين يأتيه الثراء ، واولياؤه فقراء تنفجهم هبات الخلافة بما لا يتسع لغير الضرورة من المتاع ، وتجحف بهم كثيرا فلا يجدون ما يبتغون ! فكيف يتجه مريد الكسب المادي الى مدائحهم السياسية ، وهو يرى الاموال تتدفق فى قصر الخلافة فتغرق بطوفانها من يريد ! حقا ان راي المعري فى تشيع دعبل لا يجد شبهـة ضئيلة توحي بتأييده ، بل تقوم كل الدلائل على توهينـه وتفنيده ، وقد قرأنا فى تاريخ الشاعر ان الامام موسى الرضا قد اعطاه هبة مرضية عن قصيدته التائية فى اهل البيت ، اذ بكى موسى حين سمعها احر البكاء !! ولكن سلطان الامام ارضا لم يدم غير امد محدود ، فقد رضي عـنه المأمون برهة يسيرة فاغرقه بنعمه ، ثم عوجلت حياته فجأة على نحو مجهول دون ان ينعم على احد غير ما جاد به مـرة واحدة على دعبل !! فهل كان الشاعر حين نظم القصيدة يعلم ـ مقدما ـ انه سيكافأ عليها ، حتى يقال انه سعى بتشيعه الى الكسب !! ان الرواة ليذكرون ان دعبلا قد الح على موسى الرضا ان يأخذ خلعة من ثوبه لتكون معـه في قبره ! وهذا الالحاح المتهالك يدل على اخلاص الشاعر ، ويكشف عن صدق تشيعه بما لا يحتمل ادنى التباس ، وقد كان الشاعر جريئا فى قصيدته ، فلم يكتف كالمعتـاد بالتوجع لاهل البيت ، فيذكر مصارع شهدائهم ومصائب اوليائهم ، بل دعا الى امامتهم وتمنى ان يجيء اليوم الذي ينقرض فيه حكم بني العباس ليرجع الامر الى ذويه ، اي جراة تلك التي لا تمنع الشاعر من الاحتياط لنفسه بـل تدفعه لان يقول :

مدارس آيات خلت مـن تلاوة ... ومنزل وحي مقفـر العرصات
لآل رسول اللـه بالخيف من منى ... وبالركـن والتعريف والجمـرات
قف نسأل الدار التي شط اهلها ... متى عهدها بالصـوم والصلوات
واين الالىشطت بهمغربة النوى ... افانين فى الافـاق مفترقـات
مـلامك فى آل النبـي فـانهم ... احبـاي مـا عاشوا واهل ثقاتي
بنفسي انتم مـن كهول وفتية ... لفـك عنـاة او لحمل ديـاة
احب قصي الرحم من اجل حبكم ... واهجـر فيكـم اسرتي وبنـاتي
لقد حفت الايام حولـي بشرهـا ... واني لارجو الامن بعـد وفـاتي
الم تـراني مـن ثلاثين حجـة ... اروح واغـدو دائم الحسرات
ارى فيئهـم فى غـيرهم متقسما ... وايديـهم مـن فيئهم صفـرات

الى ان يقـول :

فلولا الذي ارجوه فى اليوم او غد ... تقطـع قلبـي اثرهـم حسرات
خروج امـام لا محالة خـارج ... يقوم عـلى اسم الله والبركـات
يميـز فينا كل حق وبـاطل ... ويجزي عـلى النعمـاء والنقمات
فان قرب الرحمن من تلك مدتي ... واخـر مـن عمري لطول حياتي
شفيت ولـم اتـرك لنفسي رزية ... ورويت منهم مفصلـي وقنـاتي
قصاراي منهم ان اموت بغصـة ... تردد بيـن الصـدر والصهوات
كاني بالاضلاع قـد ضاق رحبها ... لمـا ضمنت من شدة الزفـرات

ان التشيع الذي يدفع صاحبه الى الحتوف فيظل تائها شريدا فى الفلوات ، وتحف الايام بشرها من حوله كما يقول فلا يرجو الامن الا بعد الوفاة .. هذا التشيع القلق المرهق لا يؤدي الى كسب وجاه ، بل الى اضطهاد وازعاج !! على أن الشاعر كان يأنف من الاتصال بالخلفاء ، وقد حـاول ابراهيم بن المدبر ان يصلح امره مع الخلافة فاعتذر الشاعر وامتنع ، وسلك سبيلا جلبت عليه الشرور حتى مات قتيلا فى قرية من قرى فارس فاراح واستراح !! ونخرج مـن جميع ذلك بنتيجة واضحة : هي ان دعوى ابي العـلاء وامثاله فى كذب تشيعه لا تجد مـا يمدها بالتأييد ، واذا عرفنا ان الشاعر قد نشأ بالكوفة وهي على عهده وكـر التشيع ومجمع آل علي،وفيها من الخطباء والرواة والفقهاء والشعراء من يضرمون الاحاسيس بالوقود فتشب ثائرة هائجة تتجه بهواها العنيف الى آل البيت من اسرة علي فاننا بعد استقصاء تاريخ الشاعر نرى ان مسلكه الشيعي فى حياته نتيجة طبيعية لمنشئه فى بيئة ثائرة ، ولو لم يتشيع تشيعه المشتهر لوجب علينا ان نسأل فى حيرة : لم لم تثمر البيئة ثمرها الطبيعي فى نفس هذا الالمعي المتفتح ولكنـه بتاريخه المضطرب كان منطقيا مع ظروفه وملابساته فكفانا مؤونـة السؤال ..

وننتقل ـ بعد هذين ـ الى الاتهام الثالث وهو اشتراك دعبل مع الاشرار وقطاع الطريق ومخالطة الشطار والعيارين: وهو اتهام شائن ان فهم مدلول اللصوصية وقطع الطريق كما نفهمه فى العصر الحديث ، ولكننا نجد هؤلاء الشطار فى العصر العباسي لم يكونوا جميعا من ذوي السفـك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التخريبي ، والسطو الاغتيالي لجمع المال وتكديس الذخائر، فاكثر هؤلاء كما ذكر المؤرخون قوم ذوو آراء في السياسة والمال تخالف ما عليه النظام العباسي من تحكم في الرقاب ، واصطفاء للافراد ، وتسليط للقلة القليلة من ابناء الاعيان على الكثرة الكاثرة من همل الرعية وسوام الناس ، وقد جهروا بآرائهم العادلة فاخذهم الارهاب من كل مكان ، وضاقت عليهم الارض بما رحبت ففروا الى الجبال والفلوات ينشدون الامن ويلتمسون بعض الهدوء ، وكان سلوكهم مع المارة عجبا أي عجب !! فاذا وجدوا فقيرا لا تفي امواله بغير حاجته تركوه وشأنه ، واذا وجدوا غنيا يجمع البدر الطائلة ويغرق في ذهبه ورياشه جردوه من اكثر نفائسه وتركوا له ما يعين على السفر والحياة !! وقوم هذا صنيعهم الاشتراكي من الناس لا يكمن ان يقاسوا بسفلة الاشرار ، وطغمة اللصوص ! واذا كان لا بد من الاعتراض على مسلكهم الارهابي فهو اعتراض المشفق الرحيم لا مواخذة القاهر اللجوج ! انك لتقرأ نوادر هؤلاء فتجد من الطرائف ما يبهرك ويروعك ، فهذا ابن الاثير في ج ٩ ص ١١٥ والقاضي التنوخي في الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ١٠٨ يرويان ان اعمال هؤلاء كانت موجهة الى اصحاب المال والاغنياء ممن يكدسون ثرواتهم ويخزنون اموالهم ويتركون العامة في عوز وفاقة لذلك لم يتعرضوا لاصحاب البضائع القليلة ، ولم يعرضوا لامرأة ولا لمن يستسلم اليهم !!

وكان لهؤلاء فلسفة في التعليل والاستنتاج لا تخلو من طرافة وابداع ، فقد ذكر التنوخي في الفرج بعد الشدة بعض ملحهم النادرة فكان مما قال على لسان بعض الادباء :

« كنت مسافرا ببعض الجبال فخرج علينا ابن سيار الكردي ، فقطع الطريق ، وكان بزي الامراء ، فقربت منه انظر اليه واسمع كلامه ، فوجدته يروي الشعر ويفهم النحو ، فطمعت فيه ، وعملت قصيدة مدحته بها ، فقال : لست اعلم ان هذا من شعرك ، ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه وانشدني بيتا ، فصفت ثلاثة ابيات اجازة له فقال لي : اي شيء اخذ منك لارده عليك ، فذكرت ما اخذ مني فرده الي . ثم اخذ من اكياس التجار التي نهبها كيسا فيه الف درهم فوهبه لي ، فجزيته خيرا ورددته اليه ، فقال لم لا تأخذه ؟ فوريت في كلامي فقال : احب ان تصدقني الحديث ، فقلت : وانا آمن ؟ فقال نعم، قلت لانك لا تملكه وهو من اموال الناس اخذته منهم انساعة ظلما ، فكيف يحل اخذه ؟ فقال لي : اما قرأت ما ذكر الجاحظ في كتاب اللصوص عن بعضهم قال : ان هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لانهم منعوها ، فصارت اموالهم بذلك مستهلكة، واللصوص فقراء اليها، فان اخذوا اموالهم كان ذلك مباحا ، لان عين المال مستهلكة بالزكاة».

هذه طرفة من طرفهم الغريبة نذكرها لا لنؤيد بها مسلك هؤلاء الثائرين ، ولكن لنقف على وجهة نظرهم الى اصحاب الاموال ، فهم اصحاب فلسفة مريضة دون نزاع وانما صورتهم التفكير المخطىء ما يجوز في صورة ما لا يجوز ، فهم مجتهدون اخطئوا طريق الاجتهاد ولو نظرنا اليهم من هذه الزاوية لاعفيناهم من حرج كثير ، ولك ان تقرأ معي القاضي التنوخي على لسان بعض هؤلاء : في كتاب الفرج بعد الشدة ج ٢ ص ٨ .

« قال اللص : لعن الله السلطان الذي احوجنا الى هذا، فانه اسقط ارزاقنا فاحتجنا الى هذا الفعل ، وليس فيما نفعل ارتكاب امر اعظم مما يرتكبه السلطان ، انت تعلم ان (ابن شيراز) في بغداد يصادر اموال الناس ويفقرهم حتى يأخذ الموسر الكثير فلا يخرج من حبسه ، وهو يهتدي الى شيء غير الصدقة ، وكذلك يفعل (البريدي) في واسط والبصرة والديلم ، ويتجاوز ذلك الى الحرم والاولاد فاحسبونا مثل هؤلاء » .

وبعد ، فاذا كان دعبل قد هاجم الخلفاء والوزراء وضاقت عليه الحواجز فتنقل هاربا في القرى والاصقاع النازحة ، فماذا كان يصنع لاجتلاب الرزق ؟ ايصبر حتى يأكله الجوع ام ينضم الى فريق من امثاله ممن ارهقهم جور السلطان ، وراعهم اغتصاب الاموال ، وانتهاك الحرم ، فاعتصموا بالكهوف والمخارم ، واقتدوا بصاحب الامر في السطو والاغتصاب ! مع فارق بين الاثنين فاكثر هؤلاء اللصوص يأثمون ويندمون ، ويقول قائلهم « لعن الله السلطان الذي احوجنا الى هذا » اما رجال الدولة فيأثمون ويفتخرون ويتعدون الاموال الى المحرمات من النساء !! ونحن لا نبرر خطأ بخطأ ولكننا نزن الشيء بالشيء ولا ننظر اليهما مفترقين لا يلتقيان .

على ان الظريف ان دعبلا نفسه وقع ذات مرة في ايدي زملائه من الشطار ، فجردوه من ماله ومتاعه ، ثم عرفوا شخصيته ، وكانوا يروون ادبه ، ويعتزون به فاكرموا مثواه ، وخلعوا عليه اكثر ما في حوزتهم من المتاع ، وردوه الى مأمنه غير خائف، والمقام لا يتسع لبسط هذه الحادثة الطريفة ، ولكننا نشير اليها فقط ، لنعلم ان ذوي المآرب الباطشة لا يسلم بعضهم من بعض ، فهم في صراع دائم بين الاصدقاء والاعداء ، ويا لها من حياة قاسية تكتنفها الاهوال

لقد كان الشاعر منطقيا مع نفسه حين هاجم خلفاء لا يقيمون شريعة الله بين الناس ، وحين انضم هاربا الى عصابات تؤيد مذهبه ، وترى ما ارتآه ، فاذا اشتط في مسلكه الارهابي فهو شطط المضطر الذي ضاقت حول عنقه حلقة الموت ، فافلت منها الى حلقة اخرى تمرض ولا تميت ! واذا كانت هذه العصابات ذات آراء واضحة في سياسة الحكم ، ولها اهداف معلومة في توزيع الثورة واصلاح الحاكم ، فبينها وبين عصابات السطو الفوضي بون اي بون بحيث لا يجوز لك ان تسلك الطائفتين معا في نطاق

لقد كان دعبل رجلا كالرجال له ارتفاع الانسان وهبوطه، وقد حاولنا ان نفسر اسباب الهبوط بما لا ينقص مميزات الارتفاع فننصف الشاعر من قوم اعدوا عليه كل نقيصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشين ، ولم يحاولوا ان يعترفوا ببطولته وابائه وذلك اجحاف شائن لا يقل عن اجحاف من اعرضوا عن رواية شعره فتلاشى بددا فى آفاق الزمان ، وخسر الادب العربي بفقده ثروة ثمينة لها وزنها الثقيل .

ونحن نعلم ان دعبلا تتلمذ على مسلم بن الوليد ،وصادقه وآخاه ، ولكنه لم ينهج نهجه فى مذهبه الشعري ، فمسلم صانع ماهر يحتفل باسلوبه احتفالا تلمح وراءه اثر الذهن اللاقط المهذب ، والروية المتئدة المميزة ، ولكن تلميذه شاعر يستسلم لطبعه فلا يكد الذهن فى تنسيق لفظي ، او تصوير مخترع ، وانما تنثال عاطفته انثيالا ، فتدفعه الى ضرب من القول يشتعل بحرارة الصدق ويتسم بطابع الاخلاص، فاذا قرأته فانما تقرأ وحيا يتحدر فى انفعال ، وهو بصدقه المؤثر يرجح كثيرا مما ينظمه المنقحون الحوليون ، فهو يصل الى النفس دون حجاب ، ويستمر الاعجاب به امدا طويلا لا يتيسر لشعر الصنعة فى اكثر الاحيان ! وقد تعرض البحتري الشاعر الى الموازنة بين التلميذ واستاذه فقال فى مهذب الاغاني ج ٧ ص ٢٦٧ : « دعبل بن علي اشعر من مسلم بن الوليد لان كلام دعبل ادخل فى كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه اشبه بمذهبهم »ولا شك ان البحتري يقصد بمذهب شعراء العرب ما اطرد عليه الجاهلي والاموي من اجراء القول على طبيعته دون التفات الى تنسيق لفظي او محسن صناعي او تثقيف ذهني ، وقد تكون الصور الادبية قليلة فى شعر دعبل وكثيرة فى شعر مسلم ، ولكن الاحتفال بالصورة وتلمس السبل اليها عند الاستاذ يجعلها فى كثير من اوضاعها ذهنية محضة ، تنبىء عن كدواعتمال، واصدق منها المعنى الحقيقي الذي يكشف عن خلجة مستترة ، او يعبر عن عاطفة ملموسة تعبيرا تجد فيه حرارة الصدق، وقوة الانفعال ، وليس معنى ذلك ان دعبلا الخزاعي لم يحفل بالصورة الخيالية فى شعره ، وانما معناه انه لا يتعمدها تعمدا متكلفا كما يفعل مسلم وابو تمام والبحتري فى بعض ما يقولون ! بل يرسم ما يجول بنفسه كما يجيء عفو الخاطر ، لا كما تنضجه الروية والامعان ، فاذا كثرت الصور الشعرية فى بعض قصائده فهي كثرة طبيعية غير متعمدة تدل على تأثره الانفعالي الثائر ولا تشي بكد ذهن متعمدة تدل على تأثره الانفعالي الثائر ولا تشي بكد ذهني يؤلف بين النظائر والاشباه كما جاء فى قوله معاتبا مسلم بن الوليد استاذه وصديقه :

ابا مخلد كنا عتيدي مودة	هوانا وقلبانا جميعا معا معا
فصيرتني بعد انتكاثك متهما	لنفسي عليها ارهب الخلق اجمعا
غششت الهوى حتى تداعت اصوله	بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا
وانزلت من بين الجوانح والحشا	ذخيرة ود طالما قد تمنعا
فلا تلحيني ليس لي فيك مطمع	تمزقت حتى لم اجد لك مرقعا
فهبك يميني استاكلت فقطعتها	وجشمت قلبي صبره فتسجعا

ولعلنا نستطيع ان نحكم فى ثقة بأن دعبلا شاعر الطبع الخالص ، والصدق الفطري الصريح ، فى عهد اخذ يبتعد قليلا عن الفطرة السمحة ، ويتعلق باهداب الصنعة والتنسيق . لقد طال عمر الشاعر حتى جاوز المائة فعاش قرنا طويل الامد ضجر النفس قلق الراحة لا يستقر به مكان ، وجعل يحمل كفنه معه اينما سار ثقة بما يستهدفه من اخطار ، فلقي حتفه قتيلا منبوذا، فلا اقل من ان نذكره الان فننصفه بعض الشيء ممن فهموه على غير حقيقته ، وحسبي ان اكون وجهت الانظار الى دراسته نفسيا وتاريخيا، لنصل فيه الى راي وطيد .

المنصورة — **محمد رجب البيومي**

وحيدة

كنت يا معصوبة العينين فى الدرب وحيده
كنت تمشين .. تدقين الثرى .. غضبى .. شروده
قلبك الثائر بالموعد يحلم
يا لثغر فيك : الوان جديده
غير ان الثغر بالموعد يحلم
يا لها عيناك : كالدر تبسم
غير ان العين بالموعد تحلم
ها انا جئتك فى قلبي اماني
وعلى الدرب اغاني
من ندى لقياك ، مما كنت فى الماضي اعاني
ها انا جئتك ، فانهلي ابتساما
وانا ـ معصوبة العينين ـ شاعر
املى بسمة الثغر ، فتنهال الخواطر
خاطر يتبع خاطر
فافتحي عينيك ، قد جئت اغني :
« آه ... قد صار التمني
موعدا يزهو على الدرب سعيدا
موعدا حلوا جديدا . »
فافتحي عينيك ، قد جئت اغني
وانا القي السلاما
وتمني .. وتمني
وانا جئت بانباء البشائر :
« سوف نمضي فى غد ، عبر الروابي
حيث يجلو قمر الحب النفوسا
ويضيء الحب فى القلب شموسا
حيث ننسى الهم ، فى وادي الشباب »
فافتحي عينيك يا غضبى شروده
انت ... يا من سرت فى الدرب وحيده

الحلة ـ العراق — **علي الحسيني**



مصارع الثيران

•

عدنان مردم بك

اعباب يجيش بالانواء ... ام سرايا مواكب الظلماء
كذب الظن لم يكن بعباب ... ما تبدى فى صفحة الغبراء
انه الشعب راح يزحف ريثا ... بازدهاء من نشوة الخيلاء
هب يسعى مكبرا ليؤدي ... ما عليه الى العلى من جزاء
ود لو تستعار اجنحة الطير ... وتطوى له مطاوي الفضاء
او لو ان الرياح تسلس يوما ... بزمام عن طاعة عمياء
والاماني ملء الصدور ترامت ... تتشظى عن غارة شعواء
ما على الشعب ان اشاد وغنى ... مستفيض البيان بالعلياء
والمرؤات ما تتابع دهر ... فى كتاب الزمان كالطغراء

هتف القوم للفتى حين وافى ... من بعيدٍ كالصعدة السمراء
شد خصرا بمحزم من حرير ... يتدلى كحية رقطاء
وارتدى ازرق الطيالس بردا ... فتبدى كثاقب فى سماء
وبيمناه باتر كمن الموت ... مغيظا بحده لبلاء
شف عن زرقة المنون غراراه ... كفيم فى قبة الجوزاء
من رآه ما شك ان قضاء ... فى غراريه كامن لقضاء
واتى النور صاخبا بعد لاي ... ينهب الارض محنقا من جفاء
وكأن الدجى استسر بفوديه ... وارخى عليه فضل رداء
خاله الناس فى السواد من اللون ... رجيما فى شملة سوداء

واذا بالفتى يشير الى الثور ... احتقارا بالشملة الحمراء
مستفزا اباءه بازدراء ... يعذب الموت دونه من اباء
انف الثور ان يغض على الهون ... بطرف لمطمع فى بقاء
واستشاطت كوامن تتنزى ... فى حنايا الاضلاع من ادواء
غصص كاللظى يضيق بها الصدر ... وتفري بمنسر فى الخفاء
فارتمى كالخضم غير جزوع ... من حمام او محجم عن لقاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتحدى الجزار طعنا بطعن ... وكفاحا بمثله عن جزاء
عفة النفس لم يخص بها ... الناس وكانت وقفا على العقلاء
ثم فتى ضاق صدره عن وفاء ... وتجلى الوفاء فى عجماء

اطبق اللاعب المدل على الثور ... لماما وارتد عن اغراء
مقدما محجما يصول كليث ... باعتداد ينم عن خيلاء
وتراه ينساب طورا كصل ... تحت جنح الظلماء فى بيداء
دار والنصل شعلة بيديه ... يتلظى عن لهبة حمراء
وتثنى فى كفه لنحول ... كنزيف يهتز للصهباء
او كما راح ظامىء فى الفيافي ... يتلوى شوقا لجرعة ماء
والفتى يرقب الفريسة عن مكر ... ليهوي بالطعنة النكراء
يزن الامر بالروية حتى ... تأمن الرجل غائل الارزاء
يقتضي الحزم فطنة واناة ... حين نسعى عدوا الى الهيجاء

هتف الشعب يستفز فتاه ... بسراب من كاذب الاسماء
ودعاه انى العلى مستثيرا ... بنداء نحيزة الاباء
ينعم الشعب بالضراوة والظلم ... لسوء في الطبع والاهواء
وتلذ النفوس بالدم ينهل ... ويجري من اضلع الشهداء
ظلم المجد فتية حين قالوا ... يمهر المجد والعلى بالدماء
يأنف المجد ان يسل حسام ... لاعتداء بغيا على الضعفاء
واثار الفتى دعاء رجال ... واستفزت نحيزة من دعاء
ورمى غير مشفق عنق الثور ... بنصل قد استقر كداء
ظنه الناس كوكبا عن سماء ... خر يهوي فى ليلة ظلماء

نفذ السهم مارقا كقضاء ... فى حنايا الاضلاع والاحشاء
فجرت بالدماء السنة الجرح ... تطيل العتاب من ادواء
وتعالى صوت الرجال يدوي ... بهتاف كعاصف فى شتاء
سكر القوم بالدماء ونادوا ... يطلبون المزيد من ايذاء
فانبرى الثور كالمريد ليجزي ... قاتلا عن ضراوة بجزاء
قفزة اثر وثبة وعراك ... مستجد يحير لب الرائي
شخصت اعين ورف فؤاد ... من شجون بجانحي ورقاء
واستمر العراك كرا وفرا ... يتوالى من دون ما ابطاء
واذا بالفتى تزل به الرجل ... ويهوي مشتت الاهواء

هم يبغي عن التراب نهوضا ... فثناه القضاء عن اشياء
عقل الداء مفصلا عن مراد ... حين شلت يمناه من برحاء
سدد الثور قرنه ثم اهوى ... مستميتا بالطعنة النجلاء
هلل الناس عن رضى وثناء ... واستفاضوا بالمدح والاطراء
ثملوا بالدم المراق على الارض ... وماجوا كشارب الصهباء
امسك الثور حين ابصر بالخصم ... كشلو ملقى على الغبراء
واستشار الدم المراق به الصفح ... فغضت عين على استحياء
عفة النفس لم يخص بها ... الناس وكانت وقفا على العقلاء
كم فتى ضاق صدره عن وفاء ... وتجلى الوفاء فى عجماء

دمشق — عدنان مردم بك

هذا التراب يذكرني بروحها . وكانت روحها تذكرني بكل شيء . حتى هذه النافذة الجديدة المطلة على الافق ، لا تزال تذكرني بالنافذة الصغيرة التي كانت تطل منها على الطريق .. فتشاهد المارة ودنيا الحياة والناس.

كانت هذه الصديقة ، ذات الاولاد والاحفاد ، تثير اعجابي المتزايد يوما بعد يوم ، وكذلك حبي ورغبتي في الاستماع اليها ، وتفهم الحياة معها باسلوب مشترك بين مثالية صرفة وواقعية مبصرة . فنشهد اضواء النجوم القصية ونحن نتحدث في طين الارض الذي لا يجف ، ونرقب تكالب الناس على توافه الحياة ، دون اغفال المصير الخالد الذي ينتظر البشرية في سعيها نحو الكمال المطلق .

كانت السماء مشبعة بالغيوم .. والشمس تشرق مرة ، وتغيب خلف السحب مرات . وكانت الارض مبتلة اثر سحابة ممطرة هطلت فوق هذا البساط الممتد من الارض ، وكانت المقبرة نظيفة ، اشبه بامراة جميلة خرجت توا من حمام منعش ، والقبور الانيقة ، تلمع حجارتها البيضاء ، حتى ليصل لمعانها هذا ، تلك الغيوم القريبة التي تملأ وجه السماء ، فتحسبها حينا برقا ، او ضوءا يصل اهل الارض ــ بسكان السماء ، معبرا عن ارواح طاهرة ، واجساد لم تدنسها الخطيئة بعد ... وكانت الطيور المغردة ، تعبر المقبرة في مختلف الاتجاهات ، حتى بدت الحياة في هذه المقبرة للحي ، شيئا من المتعة والبهاء ، لا يدركها سوى الاموات ، وكم يود الانسان في بعض اللحظات ، ولو من اجل ان يشعر بغبطة او نشوة ان يموت ليحيا من جديد في هذه الدفقة الخالدة من سنا الشعور بالجمال ، والراحة الابدية ، وهدوء المصير ، فلا ضجة ولا زحام !!

ولكن من قادني الى هنا .. لاقعد وسط حفل كل اهله اغراب ، ليس بينهم ابي الذي يرقد بعيدا .. حتى ولا اختي . ليس بينهم احد اعرفه. انا لم اعرفهم ، ولم القهم ذات يوم.. وليس بيننا من شيء .. يشبه تحية الصباح الرقيقة ، او تحية المساء الناعمة الحالمة . ان الجميع لا اعرفهم النساء والرجال ، وكذلك الاطفال . تلك الطيور البريئة ذات الاجنحة الملائكية . ان هذه المقبرة الكبيرة ليس لي فيها سوى هذه السيدة الصديقة التي ماتت .. تلك التي احاول الان الحديث معها .. علها تسمعني .. علها تجيبني ، فتعلم ان الجميع قد ماتوا بعدها . الجميع بدأوا يموتون منذ ان مرضت . فلما شيعوها .. شيعوا معها !!

والان يا صديقة .. هلا تريدين الاستماع الى قصتي ؟ لقد مضى شهران علي لم ارك فيهما. انني احس

النافذة الجديدة

بقلم علي بدور

بفقدانك حتى اعماقي القصية. ويزداد هذا الشعور يوما بعد يوم . فاتلفت فيما حولي فلا القاك وهذا دابي منذ ان رجعت من السفر. اتذكرين صباح الوداع .. لقد شربنا القهوة في الشرفة، وضحكنا كثيرا .. ومنيتني بحفلات المعرض الصاخبة. وسألتني رغم ذلك ان لا اتأخر ، فوعدتك وان كنت قد داعبتني بقولك :

ــ انها سفرة سعيدة . تلقى فيها الاصدقاء .. وتسهر حتى الصباح. ان الحياة للشباب يا بني فمتعها وتمتع بها !!

ولكنني ابان سفري ، اردت ان احدثك بالهاتف .. وعندما قصدت ذلك لم يجبني احد لقد رن الجرس طويلا ، فادركت انكم في المدينة تسهرون وتسمرون . وقضيت تلك الليلة مهموما . حتى انني رأيت في المنام باب هذه المقبرة .. وكذلك الطبيب يدخل اليها مع ابنك وحيد . فلما استيقظت صباحا ، شعرت ان حياتي في ذلك اليوم اضحت ناقصة. وان وجودي كله يهتز فتشاءمت ، خشيت ان يصيبك مكروه . لقد ذكرني باب المقبرة وطبيب العائلة يدخله ، باخر زيارة قمنا بها اناوانت قبيل العيد .. يوم زرنا المرحوم زوجك رب العائلة .. ويوم امطرت، ويوم بكينا كلانا .. انت من اجل الذين في بطن الارض.. وانا من اجل الذين على سطحها يواصلون الحياة بجد وابتسام .

كنت في حيرة بالغة. هذا الحلم. باب المقبرة وطبيب العائلة . وانت كان ذلك كله يثير في نفسي المؤرقة لواعج الذكريات السوداء ، ويدفعني في الحاح ثقيل لان اضطرب واتساءل في لهف مضن عن مصيرك . لقد تركتك عندما سافرت في صحة جيدة. صحيح انك قضيت في المستشفى اربعين يوما ، ولكنك عندما خرجت منه كنت مشرقة الوجه ، باسمة الثغر متفائلة ، واثقة من الحياة نفسها

وكان ان امضيت سحابة نهار الخميس وانا مضطرب حائر . يدفعني هاتف خفي للعودة ، ويشوق لي السفر في عتمة الليل ، فسافرت مساء ذلك اليوم عائدا . فلما وصلت مررت بداركم فلم اجد احدا ، كانت الانوار مضاءة كلها . ولكن الدار كان خاليا. سألت الحارس عنكم بحرارة قلب مخلص، فافادني انكم نزلتم الى المدينة. وان احتفالا يجري في الديار. فتفاءلت وقلت فيما بيني وبين نفسي :

ــ علهم يحتفلون بخطوبة سعاد .

نمت تلك الليلة في امان وطمأنينة. ولكنني في الصباح ، عندما اتخذت طريقي الى المدينة لم اجد اثرا لانسان في منزلكم .. حتى ولا سيارة وحيد. ولم تشعرني وقفة السيارة في الساعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العاشرة امام المستشفى بأي شيء. حسبت ان وحيد يزور صديقا له. او ان احدى سيدات العائلة تلد. وقضيت الوقت حتى الظهر وانا اسير الثقة بانك تحيين فى ابتهاج ، واسير الشك فى ان تكون هذه المعالم كلها : الحلم .. وباب المقبرة ،وطبيب العائلة .. وفراغ داركم ، غير معبرة عن شيء .. عن اي شيء يبعث على الحزن والغم والكدر .

عند العصر .. خرجت احاول استجلاء ما يحيط بكم . فوجدت سيارات تحضر واخرى تعود. وزهورا .. فظننت انه الاستعداد لحفلة الخطوبة والعقد . ولشد ما نغص علي انني لم ادع . فحدثت والدتي فصدقت على كلامي.. ولكنها الحت علي للذهاب فلم اذهب ، وعندما شاهدت السيارات تتحرك فى الموكب، ولمحت من بعيد صندوقا ملفوفا بالشال قد حمل على سيارة،احسست انك تغادرين البيت الى الابد ، وضحكت ضحكة الموت وخيبة الامل. وعاودني السأم والكرب ، بما لم اعهد لهما مثيلا فى حياتي . انا كنت افكر بحفلة الخطوبة . وانت مسجاة ميتة . المعذرة يا صديقة ..غفرانك اللهم . انها الحياة.اننا البشر لا غير. ولقد حاولت اللحاق بك .. فلم استطع . رأيت قافلة السيارات تغيب عن ناظري شيئا فشيئا .كانت القافلة تموت فى عيني واحس بموتها من خلل الدمعة الملتهبة الصافية حتى اوشك كل شيء عرفتك فيه ، ان يموت هو الاخر .. وكذلك البيت الذي كنت تعيشين فيه .. ما عدا النافذة التي كنا نقعد قبالتها..ونتحدث .اتذكرين الشتاء الاخير الذي قضيناه ؟ كنت اشعر انني بمثابة الولد ..والصديق، والانسان الذي فهمك جيدا فحدثتيه عن كل شيء .. وعرف كل شيء ، اتذكرين يا صديقة كيف كنت تحدثينني عن اولادك ، البنين والبنات ، عن حياتك وعن شجونك . ان هذه الاحاديث كلها كانت اشبه بازهار..

لا تزال تعيش حول الفراش وان ت اشك فى ان يكون من بقي فى البيت بعدك قد اخذ يتعهدها بالرعاية ، فيسقيها دون ان يدعها تجف وتذبل، لتموت كل مفاتنها ميتة الشهداء .

فى المساء حضرت للتعزية .ولكنني لم امكث طويلا.لقد غادرتكم بسرعة. كنت ارى الناس كلهم اغرابا . لقد امت بموتك اشياء كثيرة كنت اراها فى وجوههم . فبدا اقرب المقربين اليك بمثابة اناس القاهم لاول مرة . فاشتهي لو نسيتهم بسرعة ، دون ان يتركوا فى طريقي ما يشدني اليهم والى ذكريات التقائي بهم . كنت احاول ان القاك ، تبسمين امامي على الاريكة وتتحدثين فى طلاقة وثقة ، ولكنني لم اجدك . فتركت المعزين، وعدت الى منزلي وحيدا ، افكر فى هذه المصادفة السيئة التي تركتني افقدك دون ان اراك ، ولو لثوان قبل ان تفارقي الحياة . كانت السيارة واقفة امام المستشفى صباحا، وانت قد توفيت ظهرا .. فلو انني دخلت المستشفى للقيتك .. انني اتحرق ، اتلظى ، اشقى بحياتي ، ولعلك الان تسعدين بموتك ، وتأسين بما حولك من عوالم جديدة ، ودنيا فريدة ، اين منها دنيانا الكالحة البائسة ؟!

وظللت اكثر من اربعة ايام غير راغب فى زيارتكم . لم استطع دخول المنزل وانت غير موجودة فيه ولكنني ذهبت بعد ان تغلبت على ارادتي . فوجدت بناتك جالسات ، وعليهن ثياب الحداد ، لم امكث طويلا ، حتى احسست انني على وشك البكاء ، فقمت مسرعا الى غرفتك ، واغلقت على نفسي الباب واخذت اتأمل السرير الفارغ الذي كنت تملأينه بحياتك الرائقة وابتسامتك واشراقة جبينك الدافقة بالسمو والحنان ، فاجهشت بالبكاء . ان سريرك فارغ يا صديقة . فارغ تماما يا اماه . لن يشعر بعد اليوم انك تشاركينه وحدته ووجوده . وهذه الغرفة غرفتك ، جامدة خرساء ، تنطق بالملل والضجر والاكتئاب . لقد افقدت بذهابك الابدي كل موجوداتها معنى وجودها. الستائر والخزانة والمنضدة ،والساعة الصغيرة التي تدق باستمرار ، قد اضحت مجردة من معناها .. لقد عراها موتك من اسمائها ، ونحلت فبدت باهتة حائلة ، توشك ان تغدو ترابا .. ان هذه الغرفة وقد كانت من احب الغرف الى قلبي والقلوب جميعا ، لم تعد شيئا . ان افتقادها لمعاني الحياة يذكرني اكثر فاكثر بسلطانك على ما تحيطين به ، ومن يحيط بك ، وما يطبعه وجودك على الاشياء من اصالة الحياة التي كنت تعيشينها ، وتفهمك لهذا الوجود ، فهما دقيقا يصعب على كثير من الافهام المسترشدة بالفطنة والذكاء .

وخرجت دون ان يراني احد . وامضيت ليلي وانا اوطد نفسي على زيارتك فى الغد، لقد زرتك فى الصباح. كان قبرك هذا لا يزال تلة من تراب. وكنت لا تزالين غير مرتاحة فى رقدتك لعلك لم تألفي المقبرة بعد . ومن دون ان تأنسي بجيرانك . وكنت اهم بأن احدثك بعض هذا الحديث ، ولكن حضور بناتك والاصدقاء منعني من الكلام . لقد احسست بالوحشة والاغتراب معهم . واشعروني انني غريب بينهم . كما كانوا جميعا غرباء بعضهم عن بعض . ان الموت يا صديقة يحلل العرى جميعها ، ويصل الانسان بالعروة الاخيرة تلك التي لا يجد الانسان سواها فى حياته كلها .

وفى خلال الايام الطويلة التي قاربت الشهرين زرتكم مرتين او ثلاث مرات. دون ان القى ذلك الجو المفعم بالحنان والعطف الذي كنت تضفين منه الكثير على كل من يزوركم وفى اية ساعة كانت زيارته .

انني فى كل يوم ، عندما اغادر منزلي الى المدينة امر بالمنعطف فالمح البيت ، فارى نوافذه مغلقة واشهد، ولو من بعيد ، وحشة توشك ان تحتويه من جميع اطرافه ، واحدق جيدا فى النافذة المطلة على الطريق ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرثاة

○

للشاعرة مادلين ماسن مانهيم

مترجمة عن الانكليزية

•

اني اصطفيت لحبي كفنا
منسوجا من دموعي العصية ،
ومن ضباب فؤادي
الذي حولته السنون الطويلة
قطعة بلورية ،
قطع بلورية
باتت تحز صدري
بشفارها الناتئة
فيا لثقل الدموع الدفينة ،
ويا لعبء الحزن الخفي !
اني اصطفيت لحبي كفنا
منسوجا من دموعي العصية .

في ضريح دفنت حبي ،
شيدته الذكرى من الاحلام
ومن الرؤى التي لا تحد .
ان الزهور
التي غرسها الامل
تجمعت والقيت عند قدميه
والشوق ، الشوق الكئيب
السائر في العراء واجما
عند بابه يجثو

في ضريح دفنت حبي
ولكن حبي .. لم يمت .

اندرو غريب

فالقاها مغلقة ، واوشك ان اهم بالتقاط الاوراق المتساقطة من الاغراس التي كنا نغرسها على حوافيها .. اوراق تلك الاحاديث التي تحدثناها، والجلسات التي كنا نزركشها ونزينها بصافي مودتنا ورائق اقبالنا . كانت هذه الشجيرات الصغيرة تسمق .. وتسمق ، لتجعل من النافذة مطلا لنا على الجنة الحقيقية بكل روعتها ربيعها الدائم وكل خلودها .

واليوم يا صديقة احسست انني افتقد انسانا عرفته منذ ثلاث سنوات. لقد كنا مجرد جيران ، وفدنا على المنطقة . ولكننا لم نلبث ان اصبحنا اسرة واحدة . بل عائلة واحدة . يلقى بعضنا بعضا صباحا ومساء.. وحتى اخر الليل ، حين تمتد سهرات السمر وجلسات الشتاء الماتعة، فيفتح كل منا قلبه لقلب اخيه ، وتغدو المسرة البيضاء سهلة المنال ، والحياة سعيدة جميلة ، بفضل تآلفنا وتحابنا وتفهمنا لحياتنا البسيطة الخالية من التكلف والنفاق ، والقائمة على المودة والايثار .

انني اليوم افتقدتك بجانب النافذة. هذه النافذة التي لم تعد ظروفي تسمح لي بزيارتها لاجلس بجانبها فاشهدك قبالي ، واستريح لحديثك وبشاشتك وافترار ثغر الام الحانية عن اعز ابتسامة شهدتها عيناي واستضاءت بها روحي ، في حياتي كلها . وواتاني النوم العميق لانني افتقد الاصدقاء بالسرعة التي القاهم بها . فسعيت الى هذه الدنيا الجديدة .. لالقاك ، تنعمين بأول بشائر خلودها الابدي ، وهانذا ازورك هنا ، كما كنت ازورك هناك. انهم بهذا القبر الذي نصبوه على تلة التراب الصغيرة المتواضعة التي دفنوك في جوفها، قد البسوك ثيابك الجديدة، تلك الثياب البيض النظيفة . فالقبر ذو حجارة بيض ناصعة يا صديقة. ليس كبيرا ، ولكنه انيق . ان صانعه انسان ماهر وفنان . ان قبرك قطعة من روحك وخلقك . انهم لو طمسوا الاسطر التي حفروها على الحجارة وجاءوا بمن عرفك في الحياة جيدا.. وسألوه عن قبرك بين مئة مطموسة الاحرف لقال : « هذا قبر فاطمة ».

ويزيد هذا القبر رواء انه الى جانب الطريق . انه نافذة اخرى ، تطلين منها ، فاتخيلك جالسة بروحك على حافة القبر ، الى جانب هذه النافذة الخالدة ، كما كنت تجلسين هناك في المنزل بجانب النافذة الصغيرة ترقبين الناس الذين يمرون في كل ساعة من ساعات الليل والنهار .

كل ظني ايتها الصديقة . انه لم يتغير شيء . كنا نجلس هناك سوية ونتحدث. وها نحن الان ايضا نتحدث اننا قبالة النافذة المطلة على الطريق ، نعيد من جديد ما غبر من لقاءآتنا السابقة ولسوف اعدك بانني سوف اظل احضر اليك هنا .. واحدثك عن كل شيء ما دمت حيا .. وما دمت اشعر من اعماقي انك تسمعين كل ما احدثك به، وتشاركينني العزاء بوفاة احب صديق الى نفسي ، بوفاتك يا صديقة .

لشد ما غالبني الاسى ، عندما وصلت الى هذا الحد من الحديث معها ، وكان سكون المقبرة ، والافق الذي يوشك ان يغمض جفنيه على عينه المبصرة ، والظلمة التي اخذت تكسو القبور البيض بثياب حريرية ناعمة سوداء ، حتى ان الدنيا كلها اوشكت ان تصيخ لنداء المساء فقمت اتأمل هذا القبر الانيق ، وادور حوله عدة مرات ، وكذلك افتح قلبي لهذه النافذة الجديدة ، ولهذه الطريق الحافلة بضجيج المارة واتأمل في اكتئاب عميق، تلك النافذة التي تموت هناك وسط عالم الحياة ، وهذه النافذة التي تحيا هنا وسط عالم الموت ، وابتسم متجاوبا مع ابتسامة طيبة ، شعت من داخل هذا القبر الانيس ، ابتسامة عذبة احاطت النافذة بهالة من نور ، وسط الظلمة الحالكة والغيوم المتلبدة ، وملايين النجوم التي توشك تغتسل بينابيع السماء ..

حلب **علي بدور**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحضارة والجنس

بقلم عبد العزيز جادو



كان قليلا ذلك الذي فهمناه عن اللاشعور وصلته بالاحلام ، وعن الجنس وظواهره العقلية العجيبة قبل ان يبدأ سيجموند فرويد عمله العظيم . فلقد اوضحت دراسة التطور العلاقات التي بين كل المخلوقات الحية ، وتماثل البناء التشريحي بين كثير من الاجناس . ولا يزال علم السيكولوجيا يعوزه بعض استكشافات لتوطد اركانه نهائيا ، على اساس ثابت من قانون ، وليتتبع النمو التدريجي للعقل من بسيط الى مركب .

ومما يجدر بالذكر ان الدكتور بريور الذي عمل معه فرويد اول الامر فى « العلاجات بالتحدث » لاحظ بعض اعراض شاذة فى امراة شابة ، عزاها الى الهستيريا . وعجز عن ازالة هذه الاعراض باستخدام التنويم المغناطيسي ، الذي كان يزاول فيما مضى بتوسع اكثر من الان ، وكان شائعا اذ ذاك فى صناعة الطب ، واخذت حالتها تزداد سوءا . ولاحظ الدكتور بريور ان مريضته فى حالات « ذهولها » تغمغم مع نفسها . فجعلها تكرر الكلمات التي تفوهت بها ، وبهذه الطريقة علل الباعث على الفكر التي تسلطت على عقلها حتى توالدت . وكان الاثر لمنشأ هذه الاوهام والتخيلات التي تسلطت على الفتاة هو فى الواقع وجود « الدوافع المخبوءة » المشتركة فى مظاهر اللاشعور التي تفوق الحصر فى علاقاتها بالحياة اليومية وبالحالات العقلية المرضية .

وعاد فرويد ، الذي كان يدرس فى ذات الوقت على العالم الشهير شاركو الى فينا ليلتقي بالدكتور بريور ، الذي كان يستعمل حينذاك « طريقة التفريغ » . وظهر لفرويد ان بريور لم يفهم تماما علاقة هذه الطريقة بالسيكولوجيا العلاجية ، فاقنعه باتمام ابحاثهما فى الاجراءات التي ابتكرها حديثا . ومع ذلك فقد اضاع بريور بعض حماسته بخصوصها

ولم تتزعزع ثقة فرويد فى كشفه ولم تفتر همته . فواصلا الاستقصاء مدة من الزمن تراءى لهما فى نهايته اقامة الدليل على قيمة كشفهما وانتهيا الى النتيجة بان العاطفة المكبوتة فى مريض ، اذا ما عوقت فى طريقها الى الافلات الصريح ، فانها تتحول الى اعراض شاذة ، اما فيزيقية واما عقلية . وبملاحظة مرضاهما فى عيادتهما ، وجدا ان الاعراض كثيرا ما يكون لها صلة ببعض حادثات فى حياتهم . وقادهما هذا الى الاعتقاد بأن الاختبارات المرضية كانت تتعلق باخرى قبلها ، وتلك التي كانت قبلها ليست فى حاجة الى الباثولوجيا فى طبيعتها ، وان التجارب التي سبقتها زودت المصادفة الباتولوجية الاخيرة بخلق عقلي .

وبعد ان تعاون فرويد وبريور معا مدة من الزمن فى هذه الملاحظات والتجارب انفصل أحدهما عن الاخر ، فقد دب الخلاف بينهما اذ لعب الجنس دوره فى تكوين العصاب . وهكذا مضى فرويد قدما بمفرده ثم نشر تطبيقا عمليا من نتاج مجهوده . بسماحه لمريضه ان يتكلم بكل ما يدور بخلده ، وبعد ملاحظة بالغة منتهاها فى الدقة ، اقتنع بأن اي شيء يحدث للمريض له صلة مباشرة او غير مباشرة « بجرح » ما فى لاشعوره .

وفى عام ١٨٩٥ القى فرويد اولى محاضراته عن اكتشافاته ، التي قدر لها ان تكون بشيرا بميلاد التحليل النفساني . ولقد تبعه بادىء الراي ثلاثة نفر من الوسط الطبي هم . ادلر وستيكل وسادجر ، ولكن فى سنة ١٩٠٠ بدأ يانغ وثلة صغيرة من اتباعه الفيزيقيين ، يستعملون الطريقة الفرويدية بعيادة طب الامراض العقلية فى زيوريخ . وبعد ثمانية اعوام وبناء على دعوة يانغ قام اول مؤتمر لمدرسة الفيزيقيين هذه فى سالزبورج .

عند ذلك اخذ الطلبة الجادون ذوو الضمير الحي يدخلون الميدان افواجا . وظهرت المؤلفات الفكرية والانتقادية تحمل طابعي مقدرة المدرسة وحمية الرائد . ومن ميدان علم النفس العلاجي انتشر علم التحليل النفساني ، وامتد الى ميادين علم الاساطير و « الحواديث » . وبدات تظهر الشروح التي تعوزها التفسيرات السيكولوجية وبدات تطغى على اساطير الجنس البشري وخرافاته . واتضح ان رغبات السلالة البشرية التي كانت تتوق الى الرضى خلال العصور جاء وصفها فى الخرافات والاساطير ، وانه اذا فهم الشخص المفتاح السري الذي يمده به التحليل النفساني لامكنه ان يفسر معنى كل تلك القصص القديمة . فقد قال علماء التحليل النفساني ان عواطف البشر لونها فنان اعمى على لوحة من الفكر .

ومن المعروف قطعا لدى علماء الانتروبولوجيا ان الرمز لعب دورا هاما فى الانتاج البدائي لعقل الانسان . بل ان طريقتنا اليوم فى التعبير عن الفكر قائمة على اساس صورة من الرمزية ، فالمهندس الذي يتصور تجويف مدخنة ، والموسيقي الذي يوفق السيمفونيات السماوية ، والفنان الاديب الذي يصور مشاعر النفس ، كل اولئك يستعملون الرموز كثيرا . وقد اشار اندريه تريدون فى احد مؤلفاته الى ان : « لغة جميع الشعوب رمزية ، ودائما ما يفرض الانسان فى كلامه مقارنات بين مظاهر ثابتة فى الطبيعة واجزاء من جسم الانسان . فنحن نتكلم عن فم النهر او الكهف ، وعن مهاد الارض او جوفها او بطنها ، وعن قمة الجبل او سفحه . ونقول ان فى البطاطس عيونا ، وان اللون دافىء وان هناك حقائق جافة ، واننا نشم رائحة التعب ، وغير ذلك ... »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كيف دخلت هذه التعبيرات فى كلامنا ؟ وكيف سبر علماء التحليل النفساني صلتها بأسس تفكيرنا ؟.. لن نحتاج الى كبير عناء لنعرف ان هناك معنى عميقا وراء كل هذا اللف والدوران فى كلامنا . ان علاقة ما ، ليست معروفة الى الان ، كانت متوثقة بين عناصر ثابتة موجودة فى اللغة وفى الفكرة البدائية عند بني الانسان .

والانسان يملك فى داخل نفسه اتجاهين يوصف احدهما بالمتقارب او المائل نحو المركز ، والاخر بعيد او منحرف عن المركز . الاول يميل الى نقله الى الامام ، والاخر يظهر رغبة صريحة للرجوع الى حال بدائية . ونرى هذا الاتجاه، مثلا ، فى البناء التشريحي للانسان حيث تثابر احيانا بعض اعضاء جرثومية ثابتة على النمو ، يشيع التعب العظيم فى الانسان . ولقد سرد ميشنكوف فى مؤلفه القيم فى «طبيعة الانسان » (١) امثلة كثيرة عن النشاز الموجود فى تشريح الانسان ، وهل يمكننا ان نشير الى « النشاز » فى بنائه ايضا ؟ ان نيتشه ، الذي سبق علماء التحليل النفساني ، تنبأ بكثير من كشوفهم ، فذكر فى احد مؤلفاته : « فى نومنا وفى احلامنا نمر بجميع فكر البشرية القديمة . واعني بهذا ان الانسان يدرك فى احلامه ما ادركه اثناء حالات اليقظة منذ الاف السنين .. فالحلم يرجع بنا الى حالات قديمة من التهذيب الانساني ويقدم لنا الوسيلة لنفهمها بطريقة اجدى واحسن » . ابدى هذه الملاحظة اخيرا علماء النفس المشتغلين بالفروض الحديثة التي اظهرتها نظريات فرويد وحسنتها ، كما انها ـ الملاحظة ـ قررت ما لهذا الفيلسوف الشهير من بعد نظر ونفاذ بصيرة .

ولا يخفى ان لكل شخص طاقة جنسية يطالب بارضاء رغباتها . واذا لم يقدم لها هذا الارضاء بوسيلة سوية فان الميل الى الرغبة يكون فى حل من التسرب من اضعف نقطة فى خط التقييد . واذا لم يتم هذا ايضا ، فهناك تسليم من العقل لما يسميه علماء التحليل النفساني بالتعالي او التسامي. هذا لان الرغبة تتسرب من خلال قنوات لا يستعملها العقل لمنفعته حين تكون الرغبة قادرة على الارضاء بطريقة سوية. ومن قوانين الطبيعة ان القوة تميل الى قهر العوامل المكبوتة فى بيئتها بغض النظر عما تكون عليه هذه العوامل . وليس من قوة فى الطبيعة اعظم ولا اكثر اهمية ـ حسب الترتيب البيولوجي للاشياء ـ من الطاقة الجنسية .

يقول العالم النفساني المعروف كوريات : « ان الفكر اللاشعورية موجودة وفعالة فى الفرد العادي كما هي فى المريض بالاعصاب . والفكر اللاشعورية او الاراء غالبا ما تظل هكذا ، لان قوة يطلق عليها المقاومة تمنعها من ان تصير شعورية . وعمل الكبت كثيرا ما يلتقي بالفشل وعدم التوفيق ، لان الواقع المكبوت ـ الرغبات ـ والعقد النفسية تواصل البقاء فى اللاشعور ومن ثم تبعث الى الشعور بديلا متنكرا فى هيئة اعراض عصابية » (٢) .

حينما ينقضي النهار وما فيه من مؤثرات ، يدخل الفرد فى دولة النوم ، فتتسلل الرغبات اللاشعورية لتمثل دورها فى هيئة حلم . ولكن هنا ، كما فى حالة اليقظة، يكون الرقيب متنبها يقظا ، وبالتالي تسدل على المشهد ستار الرمزية لتخفي طبيعة الرغبات الواقعية التي تعلن عن نفسها .

وفى هذا الصدد كتب احد تلامذة فرويد التقرير الاتي : « ان الرقيب هو الذي يجبر الاحلام على اتخاذ لغة الرمزية الغامضة لكي يكفل امكان ترتيب رواية المادة الجنسية في الاحلام . فاذا اقنع الشخص نفسه بفائدة الرمزية العظيمة فى ترتيب رواية المادة الجنسية فى الاحلام ، لا بد ان يصطدم بالسؤال عما اذا كان كثير من هذه الرموز تبدو وكأنها حروف اختزال بمعنى ثابت لكل الحالات . ويجب ان نلاحظ بهذه المناسبة ان هذه الرمزية لا تتعلق بالاحلام فحسب ، ولكنها تتعلق ايضا بفكر لاشعورية لاناس ،وانها لكائنة فى (الحواديث) والاساطير وفى الامثال السائرة وفى الحكم المأثورة وفى النكات والفولكلور كوجودها فى الاحلام . ومن بين هذه الرموز المستعملة اشياء كثيرة تعني بانتظام او شبه انتظام الشيء ذاته ، وفوق هذا ، وفى الغالب ، فان الفهم العام والنشاط الجم انما يعتمد على عقلية هذه المخلوقات (٣) » .

ولكل جيل دستوره الخاص بمعاملاته، وعاداته، وفكره، وآدابه ، وقيمه ، الخ ... وهذه كلها تلقي قيودها على الفرد وعلى رغباته . واذن فكل جيل ، بنوع ما، يمكن ان يقال ان له مرتبته اللاشعورية . والجماعة لا تنفك تغير البيئة على الدوام لان الفرد يضطرها ان تختار وترتب لنفسها المقاييس التي لا يمكن عملها دائما له ليعيش لها . والفرد اذ يحاط بسور من القمع الذي تسببه الجماعة ، لا يسمح له بالتحدث فى هذا البحث الحيوي بالطريقة الصريحة التي يعالج بها اي موضوع اخر ذي اهمية لوجوده . ولا يخرج الامر كله عن كونه من المحظورات . ومن هنا ينشأ الاحساس بأنه لا بد من وجود شيء قبيح يختص به . وهكذا ترقى المرتبة فى اللاشعور ـ مرتبة الكبت . وقد تبدو كلها واضحة فى الظاهر . والفرد يدور حول واجبه اليومي ولا يظهر اي اعراض لطبيعته الجنسية . ولكن ، فى اعماق عقله توجد شخصية تختلف تمام الاختلاف عن التي تظهر سطحيا .

ولقد وضحت تقصيات علماء الامراض العقلية كل هذا بمهارة فائقة . ولوحظ مرة تلو مرة ان السيدات الفضليات اللائي يعانين هيئة معينة من الانحراف العقلي يتفوهن بسبا بعنيف وفحش شديد . والنساء الخليعات ، من جهة اخرى ، اللائي يعانين نفس هيئة المرض بالذات لا يمكنهن اظهار هذا العرض بالصيغة التي تظهرها اخواتهن

1 — The Nature of Man . 2 — Abnormal Psychology P. 18. 3 — Freud's Theories of the Neurosie, P. 105 : Dr. Hitchman. 4 — The Probable Begining of Human History, Published in 1786.

الاحسن منهن . والصورة الواضحة للكبت ونتيجته تؤثر على بعض الانواع .

ودراسة المذهب الروحاني تمدنا بالدليل الاول عن المادة. فالانسان القديم يعتقد ان له نفسا او روحا تحرك حياته على هذه البسيطة . وتنتقل هذه الروح بعد لمحات الى دائرة او بيئة اخرى لتبقى موجودة ككيان مستقل . وما كان الجسد الا مجرد مسكن للنفس ، وكان ينظر اليه كمخلوق ممتاز . ولم يكن هناك بالتأكيد اي فهم لتأثير الجسم على العقل كما هو معروف في هذا الزمن .

ويأتي الانسان بالتدريج ليكبر نفسه كي يحيط باشياء لا حياة لها . ويعتقد بأن لكل شيء روحا ، فالريح الصاخبة التي تثور في الغابات فتحطم كل ما يصادفها في طريقها لها روح ، والنسيم العليل الذي يسلم جسمه لنوم مريح فيه روح . ولكن الانسان في الوقت ذاته يعتقد ان هناك وراء الحياة جميعها تكمن قوة غامضة ـ هي التكوين ، الجنس ـ فمد رغباته الجنسية واحساساته الى اشيائه المؤلهة . والانفعالات البشرية في الطبيعة كيفما تكن ، كانت محجوبة فوق الآلهة . وبعد مدة من الزمن اصبح الجنس هو الصيغة الاصلية لعبادة الانسان وعقيدته . وكان هذا في حال من الشعور الاجتماعي في كثير او قليل من الصفاء . واصبح الجنس قبيحا بظهور الحياة المعقدة ، او كما اصطلح على تسميتها الحضارة . والانسان المجرد بالنسبة للطبيعة يبدو اقل الاجناس بالنسبة لانحطاط الفكر ، ولكنه اسماها في الوظيفة .

والانسان اللاشعوري يظل مخلوقا طبيعيا . فهو يعبر عن رغباته سواء سمح له بذلك ام لم يسمح . والطريقة التي يعبر بها عن ذلك تتوقف على مقدار التحديدات التي تفرضها عليه البيئة . وهو يرى جاذبية سرية لدافعه الجنسي في اشكال وفي تراكيب اشياء كثيرة في بيئته كما تعود ان يرى حين كان همجيا . وانه ليختبر صنفا من الارضاء الجنسي بتفرسه فيه وترك افكاره تجول كما تريد . وبعض عوامل البيئة كالقصص الفكهة والصور الفنية التي من طراز معين ، خلقت بصراحة لهذا الاتجاه الذي يميل اليه الانسان ، وانها تقدم المنفذ لبعض النماذج المكبوتة .

فالاعلان ، مثلا، له جاذبية على المشاهد اساسها الروابط الجنسية . واعلانات الحائط الكبيرة والرسوم التي تعلق عن المنتجات التجارية ، بمظهرها ذي الرونق الزاهي لنساء نصف عاريات ، يرسم بجلاء ووضوح ان الانسان سينظر الى شيء يفتنه جنسيا ، اسرع واطول مما ينظر الى اي شيء اخر ليست في هذه المزايا .

والانسان يرغب ، بوعي او بغير وعي ، في اطالة لذته الجنسية ، والدافع الجنسي بفطرته سيتمسك بأي شيء يساعده في هذه الناحية . فهو راقد في طبيعة الانسان ذاتها للسعي وراء اللذة والعمل على اجتذاب الالم .

واطالة الحب عن طريق العنصر الروحي اشار اليها الفيلسوف كانت بقوله(٤) : « وعلى قدر سرعة الذهن في النشاط ، فهو لا يتوانى عن بذل تأثيره ايضا في المحيط الجنسي . وسرعان ما اكتشف الانسان ان منبه الجنس الذي اعتمد في الحيوانات على مجرد دافع دوري غالبا ما يكون وقتيا ، كان في حالته الخاصة مقتدرا على الاطالة ، وفي الغالب ، على الزيادة والكثرة بوساطة قوة التخيل » .

ونجد ان الرغبة تتحقق في شكل رمزي لا في الاحلام فحسب ،سواء احلام النوم او احلام اليقظة ، ولكن في الشعر والموسيقى والفن والادب ، الخ ...

والحياة في طريقها السريع لتكون اكثر تعقيدا . وسرعة الحياة الحديثة تجبر الانسان على تنظيم نشاطه اليومي بالنسبة للزمن الذي تسمح به بيئته . فمركبات الترام المزدحمة ، والمطاعم ، والملاهي ، والمتاجر ، والشوارع ، تشهد كلها على ازدياد السرعة التي جلبتها الحضارة الحديثة التي جعلت ملايين الانفس تسير قطعانا ضمن الحدود الضيقة بالمدينة . وهذه الحاجة التي تتطلبها السرعة المجنونة ترقي في عقولنا هيولية غامضة . وبلاد اليونان لم تنجب مفكريها العظام الا لانها منحت سكانها وقتا للراحة (عطلة) ، هذا الوقت الذي يعد من المستلزمات التي لا تقدر قيمتها لكل نفس فنانة .

وفي اثناء كل هذه السرعة وكل هذا التزاحم ، كيفما يكن ، تعمل الجنسية صامتة على التأثير في الانسان والضغط عليه واقناعه ، وحقه طوال حياته . ولكن الانسان لا يعير كل هذا اي التفات فهو جد مشغول بالعوامل الموضوعية في بيئته ، وهذه العوامل التي هي ، بعد كل هذا ، اكثر وضوحا واكثر اهمية في نظره .

وفي بعض الاحيان تكشف الجنسية عن جنسها مع نسمات الصيف الرقيقة ، وفي احيان اخرى ،مع عواصف الشتاء الهوجاء . ولكننا في كل الحالات نتعامل مع المادة نفسها ـ اللبيدو . واعمال اللبيدو لا تخضع للتأثير مع مرور الزمن . هذا التأثير الذي اصبحنا نعرفه الان وندريه بواسطة استقصاءاتنا السيكولوجية .

الاسكندرية **عبد العزيز جادو**

اعلنوا في

الاديب

المجلة التي تتناولها الاوساط

الاكثر استهلاكا لجميع الحاجيات

لا اسميه

قصيدة لشخصية ليبية معروفة رات ان تحجب اسمها

يا مين هوس(١) يمينا لا اسميه ... من بالفؤاد ومن بالروح افديه
نفسي الفداء لمن فى القلب منزله ... ومن بصفو الوداد الكأس اسقيه
ومن على الهجر اهواه وان بعدت ... منا الديار فما بعد بمنسيه
واحفظ الود لا اعبث به ابدا ... واذكر العهد ما احلى لياليه
قضيتها وحبيب الروح تجمعنا ... مجالس الانس تأويني وتأويه
مر تعلى عجل يا ليتها بقيت ... وليت انا على حال من التيه
كم ذا سهرت مع الافلاك ارقبها ... اسامر البدر فى صمت اناجيه
اين الحبيب وهل يا بدر ننظره ... رحماك رحماك دع روحي تحييه
واسمع النغم المشجي ترددده ... تلك الشفاه فما قلبي بساليه
حتى اذا الليل ما ولت دجنته ... وفالق الصبح بالاضواء يطويه
عاد الفؤاد كئيبا ما يطاوعني ... وعاود القلب شوق كان يخفيه
فالليل يسأل عن سهدي وقد عصفت ... بنا العواصف اذ لاحت مغانيه
اسائل القلب ان يسلو محبته ... واسأل الروح نسيانا لماضيه
فالقلب اقسم الا يبتغي ابدا ... عنه بديلا ولو عادت عواديه
والروح تسري اليه لا تفارقه ... رغم النزوح وحسادا حواليه
ويسبح الفكر فى الاكوان يتبعه ... وتسرح النفس تيها في معانيه
يسبي العقول بجسم فى تمايله ... كغصن بان فحاذر من تثنيه
وجيد ريم على صدر يضيء سنا ... وعين ظبي وخصر ناحل فيه
لا تنح باللوم ان هام الفؤاد به ... او جن شوقا فما نصحي بمجديه
اني بلوت من الاجناس اغلبها ... فما عثرت على حسن يضاهيه
الله صورة يا حسن بهجتيه ... سبحان خالقه سبحان باريه
النوم جافى وطيف منه ارقني ... على التنائي فاشجاني ويشجيه
الذنب مني ومنه العفو اطلبه ... ما لم اسيء فما اشهى تجنيه
منه الصدود ومني الصبر يا عجبا ... يواصل القلب شخصا لا يراعيه
ويدعي الحب خالي القلب آونة ... وينكر الحب احيانا ويبديه
يا مالك القلب ان شئت الهوان له ... فافعل وان شئت احسانا فاحميه
وامنن بوصلك بعد الهجر مكرمة ... يا منية القلب بل اقصى امانيه
اكتبه بالغير تمويها وتعمية ... يكفي عذابا بأني لا اسميه

(١) « ميناهوس » فندق بضاحية الاهرام بالقاهرة .

القاهرة — **ليبي**
(لا اسميه)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



Maria Bellonci

مع السيدة ماريا بيللونشي

صاحبة « صالون الاحد » الادبي في روما

بقلم عيسى الناعوري

قبل ان اذهب الى ايطاليا عرفت اسم السيدة ماريا بيللونشي لاول مرة في صيف عام ١٩٦٠، على اثر فوز الروائي الايطالي كارلو كاسولا بجائزة « ستريغا » ، فقد كتبت عنها الصحف الايطالية اذ ذاك ، وذكرت ان كاسولا قد تسلم الجائزة من يدها ، وانها هي التي انشأت الجائزة ، وتحدثت عن ادبها وعن مكانتها المرموقة في المحيط الادبي الايطالي .

وفي ايطاليا سمعت عنها الكثير ممن عرفتهم من الادباء ، مما جعلني اهتم بالسعي الى زيارتها والتعرف الى حياتها وادبها عن كثب . وكان الاتصال الهاتفي بها عسيرا لانها كثيرة العمل والاسفار ، فهي حينا في ميلانو تشرف على اعادة طبع كتاب لها ، او في دار الاذاعة والتلفزيون تشرف على برنامج اذاعي ، او خارج روما في مهمة ما . وهكذا لم يتح لي ان اظفر بموعد لزيارتها الا في شهر يناير من هذا العام ١٩٦١ .

وفي مكتبتها الفخمة الحافلة بنفائس الاثار الادبية ، في رفوف وخزائن تتعالى وتنتظم الى سقف الغرفة الواسعة، استقبلتني السيدة بيللونشي ببشاشة وترحيب ، ودارت بيني وبينها احاديث متنوعة استغرقت ساعة ونصف الساعة من ذلك المساء .

لقد كنت حريصا على معرفة كل شيء عنها وعن حياتها الادبية وصالونها الادبي ، وجائزة « ستريغا » التي تمنحها كل سنة لكتاب ادبي جديد قيم ، وكانت هي بدورها راغبة في ان تعرف الشيء الكثير عن بلادي العربية ، وعن قومي ، وعن قضايا امتي ، وعن ادبنا المعاصر ومدى ازدهاره ،وعن انتاجي الادبي ومصادر استيحائه .

وحدثتها عن مأساة فلسطين واثرها في حياة الامة العربية الحاضرة وفي تفكير ادبائها ، وفي الانتاج الادبي المعاصر ، حدثتها عن مأساة فلسطين التي عشتها بنفسي ، واستوحيت منها شعري واقاصيصي ومقالاتي ، وكنت شديد الانفعال بالمأساة وانا احدثها عنها ، فتأثرت السيدة الرقيقة ، وسرت النقمة من نفسي الى نفسها ، واثارها ما ظننته من سكوتنا عن شرح حقيقة مأساتنا للعالم ، وعن افهامه مدى الظلم الذي عانيناه وما نزال نعانيه .

وافهمتها الحقيقة المرة : لقد قلنا وكتبنا كثيرا ، ولكن اذن الغرب صماء ، لا تسمع اصواتنا، وعيونه عمياء لا ترى ظلامتنا ، لانه يسمع ويرى باذان اعدائنا وعيونهم فقط .

وتألمت السيدة بيللونشي ، وكان المها عميقا مخلصا ، ودمعت عيناها من شدة التأثر . وعدت ادير الحديث عليها وعلى نشاطاتها الادبية المتعددة الوجوه .

ان السيدة بيللونشي بيمونتية الاصل ، من شمالي ايطاليا ، ولكنها ولدت في روما ، وهي زوجة الاديب الناقد جوفريدو بيللونشي عضو الهيئة الادارية لنقابة الادباء الايطاليين في روما ، وهي تقول بثقة واعتزاز ان زوجها هو استاذها في تفكيرها واتجاهها الادبي ، وهي تدين له بالفضل في ذلك .

ولم اعرف في ايطاليا اديبة اخرى غير السيدة بيللونشي تدير صالونا ادبيا ذا شهرة ، ويعرف صالونها الادبي الاسبوعي باسم « صالون الاحد » لانه ينعقد في منزلها يوم الاحد عادة . وقد نشأ هذا الصالون في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، على اثر تحرر ايطاليا من سيطرة الفاشستية والنازية . وقد ذكرت لي السيدة بيللونشي ان منزلها في اثناء الحرب كان مركزا للنشاط والاستعلامات للمشتركين في مقاومة الفاشستية والنازية ، فلما انتهت الحرب بتحرر ايطاليا من سيطرة الدكتاتورية المزدوجة انعقد الصالون الادبي في منزلها يوم الاحد الاول بعد التحرر ، عام ١٩٤٥ ثم اخذ نشاطه ينمو ويتسع . وكان في البداية يلتئم كل اسبوع ، وكان اصدقاؤه كلهم ممن اشتركوا في حركة المقاومة ، وقد بدأ عددهم في اول الامر بمئة وسبعين مشتركا ، ثم اخذ العدد يرتفع حتى وصل الى ٣٦٥ اديبا ، بعدد ايام السنة ، ويدعى الاعضاء باسم « اصدقاء الاحد »

وفي عام ١٩٤٧ انشأت السيدة بيللونشي جائزة سنوية ادبية ، بالاتفاق مع ممول ايطالي ثري يصنع الخمور المعروفة باسم « ستريغا » ومن اسم هذه الخمور اخذت الجائزة اسمها . اما الممول الايطالي فهو السيد البرتي دي بنيفنتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حرمان

اشتـاق لـك
فأسأل عنـك
وبكل جوارحي اسعى اليك
ولا ابـوح ..
وانت .. فى سفينـة احلامي
وفى جزائـر غـدي
يقظة شوق واختلاجة عذبة..
فى قربك وبعدك
تظل لـي
كمـا العطر للوردة
يـا للضياع ..
لحظات ويتلاشى الحلم ..

حلب **هناء طيبي**

وتبلغ قيمة الجائزة مليون ليرة ايطالية ـ اي نحو ستمئة دينار اردني ـ وتعطى كل سنة لاديب ايطالي على كتـاب قيم من انتاجه . وقد بلغ عدد الذين ظفروا بهذه الجائزة حتى عام ١٩٦٠ ثلاثة عشر اديبا ، كان اولهم اينيو فلايانو واخرهم كارلو كاسولا .

ولما كانت الجائزة تعطى تقديرا لكتاب ادبي يجمع اصدقاء الاحد على قيمته ، لا مكافأة لاديب ذي شهرة واسعة فقط، فقد ظفرت بها مؤلفات لادباء غير احياء، كرواية « البير » لتومازي دي لامبيدوزا ، التي صدرت بعد وفاة مؤلفهـا ، ولم يكن لمؤلفها اي اثر ادبي غيرها .

اما الطريقة التي تمنح بموجبها هذه الجائزة فهي : ان يرشح « اصدقاء الاحد » احد الكتب الجديدة التي يرونها جديرة بالجائزة ، فتوضع فى قائمة توزع على جميع اعضاء الصالون ، ويجري عليها الاقتراع فى منزل السيدة بيللونشي اولا ، ليختار من بينها خمسة كتب تفوز باغلبية الاصوات. وهذه الكتب الخمسة المختارة يجري عليها اقتراع ثـان بعد ذلك ، هو الاقتراع النهائي ، فى احتفال كبير يقام لهذا الغرض فى «فيلا دي بابا جوليو» ، وتتولى السيدة بيللونشي تقديم الجائزة للمؤلف الذي يفوز كتابه فى هذا الاقتراع ، بحضور الممول صاحب مصانع خمور «ستريغا» .ولا يراعى فى الاقتراع اسم الاديب مهما يكن كبيرا ، فقد حدث مرارا ان فاز كتاب لاديب جديد ، وفشل كتاب اخر لاديب ذائع الصيت ، فمورافيا ، مثلا ، لم يفز بهذه الجائزة الا فـي سنتها الرابعة، ، وكورادو الفارو ـ مؤسس نقابة الادبـاء الايطاليين ـ لم يفز بها الا فى سنتها العاشرة .

هذا عن الصالون الادبي ، وجائزة ستريغا ، اما فى حقل الانتاج الادبي فقد اصدرت السيدة بيللونشي حتى الان ثلاثة مؤلفات ، هـي « لوكريس بورجيـا » و « اسرار الفونزاغين » و « فيكونتية ميلانو » وهـي كتب تجلـو التاريخ باسلوب روائي فني يجعله اشبه برواية جذابة ، يجتمع فيها التاريخ والخيال والفن معا . وقد استغرق تأليف « لوكريس بورجيا » تسع سنوات ، واعيد طبعـه باللغة الايطالية عشر مرات ، وكان اخرها فى مطلع هـذا العام ١٩٦١ ، وترجم الى لغات غربية متعددة فى اثني عشر بلدا اوروبيا واميركيا . وقد رايت لدى السيدة بيللونشي اربع طبعات فرنسية مختلفة لهذا الكتاب، بين انيقة فاخرة، وشعبية بسيطة .

وتعتز السيدة بيللونشي بهذا الكتاب اعتزازا بالغا ، مع انه اول كتاب الفته ، فهو عندها بمنزلة اخر كتاب يمكن ان تصدره فى اخر مراحل نضجها الفكري ، وقد نال الكثير جدا من اهتمام النقاد فى ايطاليا والخارج ، ولا سيما فـي بريطانيا ، واعتبره النقاد الانكليز بين افضل الكتب التي تجلو تاريخ عصر النهضة الاوروبية . ومن اكبر مصـادر اعتزازها به انها تلقت عليه رسائل عديدة جدا من جنود ومساجين ومعتقلين ـ اذ صدرت طبعته الاولى فى اثناء الحرب الاخيرة ـ وكلهم يقولون ان هذا الكتاب كان مصدر تعزية لهم فى ميادين القتال، وفى ظلمة السجون والمعتقلات. ومن بين هذه الرسائل واحدة من ضابط كان معتقلا في بولندا ، يقول فيها انه حرم نفسه مـن شراء السجائـر ليشتري بثمنها هذا الكتاب الذي جعله يشعر بالتعزية فى حياة المعتقل المرة .

وقد نال هذا الكتاب جائزة « فيا ريجيو » وتقـول السيدة بيللونشي انها اول مؤلف ينال هذه الجائزة عـلى اول كتاب يصدره ، ولا تزال الوحيدة فى هذا الى الان ، لان جميع من نالوا هذه الجائزة ـ وهي اكبر جائزة ادبية ايطالية ـ كانت قد صدرت لهم مؤلفات اخرى قبل الوصول الى الجـائزة .

وتعكف الان السيدة بيللونشي على وضع ثلاثة كتب معا ستظهر فى وقت قريب ، وهي « جريمة دولة » و « حب مفرط» و « الدوقات الاربع » . وهي تكتب فى الصحف ، وتذيع مرة كل اسبوعين فى البرنامج الثالث فى الاذاعـة الايطالية ، وكانت قد تولت فى الاذاعة برنامج المراة مـدة ثلاث سنوات ، واسمه « المراة والعصر » .

لقد كان اعجابي بالسيدة بيللونشي كبيرا ، فهي اديبة كبيرة ذات نشاط ادبي واسع ومتعدد الوجوه ، وهي الى جانب ذلك لطيفة بشوشة ، تستقبل زائريها ببساطـة ، وتتحدث اليهم ببساطة ، فلا يزدهيها الغرور بما وصلت اليه من شهرة ومن مجد ادبي .

عمـان **عيسى الناعوري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أدب البطولة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

قال نابليون ، وهو ثمل بانتصاراته المتلاحقة : « ان فرنسا مدينة بقسط وافر من عظمتها لكورناي » . وهذا الشاعر سكب في مسرحياته اروع البطولات ، فقد وضع ابطاله في ازمات معقدة تتفاعل فيها مختلف العواطف ، ولكن الغلبة اخيرا للبطولة التي تنتظم المثل العليا .. فالوطنية تهصر رابطة الدم ، وشرف الاسرة يكتسح الحب ، والعفو يمزق الانتقام ، وحب الله يسمو على كل شيء ، وهكذا تجد في مسرحياته ادب البطولة تنبض ملامحها الحية في جميع الشخصيات التي ابدعها ، لانه صور كيف يجب ان يكون الانسان المثالي .

وادب البطولة يسمو بالنفس ، ويحلق بها في عالم يمور بالمثل النبيلة التي تربي الروح لترتفع عن الانانية ، وتنطلق في انسانية رائعة ، قوامها التضحية والفداء والايثار ،فادب البطولة مدرسة لتربية الروح ، والارتفاع بها الى الانطلاقة المحببة التي تدفع الانسان الى هذه العوالم السامية التي تنشدها الحياة لابنائها البررة ليصبحوا الهداة في هذه الدنيا التي تتناحر فيها الاهواء وتتناكر .

واذا رجعنا الى المعاجم وجدنا ان البطل سمي بطلا ،لانه تبطل عنده العظائم حتى لا يدرك ثأر لديه . فاصل هذه المادة يدل على التفوق في الشجاعة . ومن هنا جاءت الشجاعة السمة البارزة في البطل . ولهذا قدس الاقدمون ابطالهم ، بل عبدوهم ، حتى زعموا ان بعض اصنام العرب في الجاهلية كانت لابطال تفوقوا على اقرانهم ، ثم عبدهم الناس . ونحن ، في عصرنا الحديث ، لا نزال نمجد الشجاعة بالرغم من استبحار الحضارة ، والنزعة الانسانية التي تحاول ان تسودها ، وان كنا نوعناها ، فلا يقتصر اعجابنا على البطل لامتيازه بالقوة ، بل نمجده في شتى ميادين الانسانية . فكارليل عندما الف كتابه « البطل وعبادة الابطال » لم يقتصر على الفاتح العظيم ، بل مجد البطولة في مختلف هداة الانسانية الذين خضلوا مهجهم لينيروا الطريق الى عالم اسمى ، فنحن اليوم لا نستجيب لنيتشه الذي يدعو الى ارادة القوة ، لان بطولة السلام اندى على قلوبنا من بطولة الحرب ، وليست الانغام التي تفيض من المتنبي ممجدة الشجاعة والقوة اقوى اثرا في نفوسنا من قصيدة ابن الرومي التي يصف بها حمالا اعمى ينوء تحت وقر حمله ، ويتعثر به .

ومن الطبيعي ان تتغير مقاييس البطولة من عصر الى اخر لرقي الانسان وتطوره . ومع هذا لا تزال في نفوسنا رواسب الماضي التي تدفعنا الى تقديس البطولة التي تقوم على الشجاعة لاننا نجد فيها صورة شيقة لطفولة هاجعة في اعماقنا قامت على تقديس القوة .

مما لا مشاحة فيه ان اروع ادب البطولة شدت به الانسانية في طفولتها ، لان الامة في فجر حياتها نزاعة الى تقديس البطولة فهي باشد الحاجة الى الابطال ليذودوا عن حماها ، ويطيحوا باعدائها ، لتحفظ كيانها . وكانت الملاحم التي غناها الشعراء في طفولة شعوبهم ادب البطولة الذي وجدت فيه الامة خصائصها ، وانتفض فيه تقديسها للشجاعة والقوة ، وهيامها بكل جليل ونبيل .

وكانت ملحمة جيلجميش التي عرفت في عهد حمورابي اول ملحمة في العالم جسدت ادب البطولة في صرح شامخ مريد ، ولقد اتخذ الشعراء من بطلها صورا ماجدة لكل انبطولات التي مارت في اعماقهم . ولقد تصور الاقدمون البطل تحف به الخوارق دوما ويحقق المعجزات ، فقد ارتفعوا به عن الانسان ، وغالوا في بطولته حتى جعلوه شبيها بآلهتهم كما جعلوا جيلجميش نصف اله ...

واهدى الفينيقيون العالم ملاحم رائعة ، فقد ادت حفريات راس شمرا الى اكتشاف ملاحم في اوغريت ترقى الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ونلاحظ ان الفينيقيين وجدوا العدل اساس البطولة ، فالملك دانال يحكم شعبا من المزارعين السعداء لانه كان ابان الحصاد يجلس امام البيادر ينصف المظلومين ، ويكفكف دموع الايامى ،فجادت عليه الالهة بالخصب والنماء والمطر ، وتتنكر الالهة للملك كريت ، وتصب عليه الوصب والموت لانه تنكب جادة العدل ، فقسا وظلم . وهكذا وجدنا تفسيرا جديدا للبطل عند هذا الشعب المسالم .

ان الشعر الملحمي يسبق كل الوان الشعر الى الظهور ، فهو يتدفق في الفجر الادبي يرافق طفولة الانسان متوامضا في مطاوي نفسه. ومداره البطولة الخارقة متكأ على الاساطير وتهويل الواقع . انه مرآة مجلوة للامة ، يغني روائعها وبطولتها ، وتتراءى فيه قوتها ، وتتواثب فيه خصائصها المميزة ، فالالياذة والاوديسة عند اليونان ، والانيد عند الرومان ، والملاحم الهندية ، وانشودة رولان الفرنسية ، وغيرها من الملاحم ، تنتظم حياة شعوبها في شعر قصصي اخاذ يسري في تعابيره لهيب القوة ، وعرام البطولة ، لانها في الواقع تجسد البطولة في شموخها ، فتضخم الاحداث، وتشوه الوقائع لمصلحة شعبها ، فالحادث العادي يصبح مهولا ذا صليل ورنين ، يريق عليه الخيال امواجا من الخوارق تهدهده على اغاريد البطولة .

هذا هو الطور الاول لادب البطولة التي تسوده الخوارق، وتتجسم فيه الاحداث ، وتتصارع فيه الالهة ، وينقلب فيه البطل الى شبه اله . وجميع الامم تزهو بهذا الادب الملحمي لانه يمثل احاسيسها عندما كانت العواطف نقية ساذجة. لقد كتب فولتير ذات مرة يقول : « ان الشعب الفرنسي ما

عرف ، ولن يعرف الملاحم » . وكان هذا اثر سقوط ملحمته « الهزباد » كما سقطت من قبلها « الفرنسياد » التي نظمها « رونسار » . ومن الطبيعي ان يخيب هذان الشاعران فى ابداع الملحمة لان هذا اللون من الشعر لا يتأتى للامة الا فى فجرها الادبي . غير ان فولتير عندما كتب هذا كانت ملحمة الفرنسيين « انشودة رولان » راقدة فى احد الاديرة ، يطويها النسيان . وعندما اكتشفت بعد فولتير وجد فيها الفرنسيون ملحمتهم التي تنتظم مثلهم العليا فى البطولة والمجد .

وكان للعرب اكبر الفضل فى تعرية ادب البطولة من هذه الخوارق ، وجعل البطل انسانا . والذي اعتقده ان الملحمة العربية قد وجدت ، ولكنها لم تصل الينا . فليس من المعقول ان يولد الشعر الجاهلي غنائيا ، فلا بد ان يكون قد سبقه شعر ملحمي عدا عليه الزمن تمشيا مع سنة التطور الادبي . ونحن لا نعرف من تاريخ الادب العربي سوى هذه الحقبة الجاهلية التي تقدمت الاسلام ، وهي لا تعدو خمسين ومائة عام . ومن الطبيعي ان يكون العرب غنوا بطولاتهم قبل هذه الفترة فى ملاحم طمسها النسيان ، لان الساميين كانوا اول من عرف الملاحم . ولن يكون العرب الا مثلهم لانهم يصدرون عن اصل واحد . ولهذا ارجح ان الشعر الجاهلي كان قد تطور الى غنائي بعد ان عرف الملاحم . اما ما زعمه رينان وشايعه عليه كثير من المستشرقين بأن الخيال الصحراوي محدود ،وان دينهم ضيق الافق ،وان القصيدة مكبلة بقيود القافية . . هذه المزاعم لا تطمئن الباحث . فالشعر الجاهلي الذي وصل الينا يدل على شاعرية طليقة ، وخصب فى القرائح . ولهذا ، فالملامح لا يمكن ان تكون بعيدة عن شعب كالعرب امتاز بالحساسية ، وتدفق العاطفة ، والخيال المتقد ، والبطولات التي اصبحت اهم عناصر حياته . وآية ذلك ان الشعر الجاهلي انتظم ادب البطولة فى اقوى صورها ،وادق خلجاتها ، ففيه تبرق صورة متناسقة ساحرة للبطل العربي.

ان العربي فى صميمه بطل . فالصحراء املت عليه هذه البطولة حتى يستطيع الحياة لانه دوما فى حل وترحال ، ممتط جواده ليذود عن حماه . ولهذا كان شعر الحماسة يتفجر منه ، يردده عندما تنشب الحروب ، وتتصل الغزوات ، يسجل فيه مفاخره حتى اصبح الشعر الجاهلي مليئا بهذا اللون لا يكاد يخلو منه شاعر . ان نفحاته القوية لا تزال تهز مشاعرنا لجمالها وقوتها وصدقها . وفيه تجمعت الوان الفروسية . واكثره كان بداهة وارتجالا لم يتكلفه اصحابه ، فجاء قويا مؤثرا لانه مثل هذه العواطف الجياشة التي ماجت فى نفوس هؤلاء الشعراء الابطال الذين شيدوا امجاد قبائلهم .

والحق ان الشعر الجاهلي لم يقتصر على الوصف الخارجي للبطل ، من فروسية وشجاعة ، وبأس ،وسحق الاعداء ، بل طفر بالبطل طفرة جديدة ، فاضفى عليه خصائص نفسية لا بد ان يتحلى بها حتى يكون بطلا . . وقد عبر عنها العرب بالكامل . سئلت فاطمةبنت الخرشب الانمارية ، ام الكملة ،من العرب عن اكمل اولادها : الربيع، وعمارة ، وانس، وقيس ، فقالت: ثكلتهم كلهم ان كان يوجد فيهم واحد اكمل من الاخر . فالكامل هو الذي تجسدت فيه هذه الخصال التي تنتظمها كلمة المروءة التي ينضوي تحتها الكرم ، والنجدة والجوار ، واغاثة الملهوف ،والحفاظ على الذمام ، والوفاء بالعهد وبكلمة واحدة يجب ان تتجمع فيه الخصائف التي قدسها العرب مستلهمين صحراءهم التى ادبتهم ، فاحسنت تأديبهم . انه خفقة لادق معايشها لانك لن تجد فى شعرهم سوى هذه البطولات ، فاذا مدح شاعرهم جسم فى ممدوحه صورة رائعة للبطل فى انضر الخصال العربية من شجاعة وكرم واباء للضيم ، وغيرهامن المآثر ، حتى الهجاء كان تصويرا انعكاسيا للبطل ، فالشاعر لا يقنع ، ولا يفحش ، ولا يهاتر بل يجرد المهجو من اجمل الصفات التي قدسها العرب . وحتى فى الرثاء ، يذيعون محامد الفقيد ، ويتغنون ببطولته ، فالشعر الجاهلي مرآة للانسان الكامل الذي آمنوا به وسعى كل منهم ليصل اليه، ومن هنا كان الشعر الجاهلي ديوان العرب ، ففيه انموذج للبطل البعيد عن الاسطورة . انها بطولة تندفع عن ذاتية العربي ، وتشف عن كبريائه ، وتمثل مجتمعه .

ونزل القرآن الكريم يحمل صوراجديدة للبطل،فقد صهر القبائل المتنافرة فى ايمان بالله والانسان . وآمن العرب بعد لأي بالدين الجديد الذي لم يجتث كل عاداتهم ، بل ابقى على ما انسجم مع الاسلام منها . فالمروءة والشجاعة والكرم والنجدة تبلورت فى فضائل اضفى عليها الاسلام رفعة وسموا. وحدثت معجزةلا تزال مثار العجب الشديد. فالعرب قصفوا دولتي الاكاسرة والقياصرة . انها بطولات يقف العقل امامها حائرا . ولكن الشعر ــ لسوء الحظ ــ لم يساير هذه الاحداث ، ولم يرتق الى مستواها . وكان بالامكان لو استلهمها الشعراء ان يبدعوا ملاحم حية تنطلق الى عالم يموج بالبطولة التي تشده النفس ، لان هذا الفتح الجليل خليق بتغيير ينابيع الشعر البطل ، فشعراء العرب لم يحسنوا استغلالها . والمقطوعات التي قيلت فيها لا ترضينا لانها دون مستوى هذه الاحداث العظام .

وكان الخلفاء الراشدون ينغمون اوتار البطولة الجديدة فى خطبهم ، يقومون الاعوجاج ويدعون الى الحق . وخطبهم ترسم الخطوط العريضة لهذه البطولة الخيرة . فعمر بن الخطاب فى سيرته واعماله ، صورة ماجدة لها ، يطلب الى الناس تقويم اعوجاجه بحد السيف اذا حاد عن الطريق المستقيم .

واذا سايرنا خطب علي بن ابي طالب وجدنا فيها صورة للبطل الجديد، فقد تشعبت الفتن فى ايامه، فانطلقت عبقريته فى خطب مبطنة بالم دفين ، ورغبة عنيفة فى توجيه البطولة الى ينبوعها الاصيل . الى القرآن الكريم . انها خطب

تشجب الختل ، وتحارب النفاق والباطل ، وترسم صورة بارعة للحق .

واستتب الامر للبيت الاموي ، وتلهى الشعراء بالغزل ، وتنابذوا بالهجاء ، وشغلوا بالمديح . وتجلى ادب البطولة عند شعراء الخوارج الذين آمنوا بالعدالة المطلقة ، بديمقراطية حية . وكانت حروبهم لا هوادة فيها . ومثلوا بأدبهم ضروب الشجاعة النادرة ، لانها فى الحق ، صفة لازمتهم .وغنوا بطولتهم العاصفة التي قامت على البأس الشديد والعزم الحديد ، والفتوة الناضرة ، والايمان بعدالة قضيتهم .. ففي شعرهم ذلك الجرس المرنان الذي مثل كبرياءهم ، وتطلعهم الى المثل الاعلى للبطل الذي قبسوه من القرآن الكريم .

وكذلك فعل شعراء الشيعة الذين آمنوا بحقهم في الخلافة ، وثاروا ليستردوا حقهم السليب ، فمثلوا البطل الجديد من آل البيت كما فعل الكميت بن زيد الاسدي فى هاشمياته ، فبرز بصورة متناسقة الالوان : عدالة مطلقة ، وشجاعة تامة ، وكرم فياض ، وايمان بالله ، وانسياق مع تعاليم الاسلام . انه مزيج من المثل الاسلامية ، والخصال العربية التي ابقى عليها الاسلام ، فكان البطل الجديد الذي تلهف عليه الناس ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا .

وتطور ادب البطولة مع الزمن ، واصبح ذا خصائص جديدة تمشت مع الرقي البشري ، فالادب الذي يحارب الظلم ، ويثور على الاستبداد ، ويعمل لايجاد حياة كريمة اضحى ادب البطولة فى اسمى صورها . وليس اقوى من الادب فى تهيئة النفوس لتجديد الحياة التي هاضها الظلم ، وران عليها الذل . فالثورة الفرنسية ثمرة لكفاح مونتسكيو، وفولتير ، وديدرو ، وروسو ، وبومارشي ، واضرابهم الذين قاوموا الاستبداد، فهذا الادب من البطولة فى صميمها لانه عمد الى دعائم الظلم فدكها ، وافسح المجال للنور الجديد يضيء معالم الحياة . فاصحابه اتسموا بالجراة التي سارت الى غايتها النبيلة ، تعمل على تحقيق عدالة يرتع بها الناس لتنقذهم من الظلمات التي دجت حياتهم . اننا نلمس فى هذا الادب عقولا صافية ، ونفوسا كريمة ابدعت الروائع ، وقلوبا مشربة بحب الناس لجعل حياتهم افضل . فتولستوي ،وتشيخوف ، وغوركي ، وامثالهم هيئوا الاذهان للثورة التي اطاحت بالقيصرية الروسية ، فدكوا معاقل الظلم ليتيحوا للثورةالجديدة الحياة والنماء.

وواضح ان الادب العربي لم يخل من هذا اللون من البطولات ، فابن المقفع صمد للمنصور ، وهاجمه تارة بالرمز ، وتارة بالصراحة . ان ادبه يتسم بالبطولة لانه جابه قوة لا ترحم حتى دفع حياته ثمنا لجراته . فالشرق القديم قد مني بملوك طغاة اضطهدوا شعوبهم ، وذعر المفكرون والحكماء من هذا الاستبداد ، ففزعوا الى الحيوان يستغلونه قصصا وافاكيه لينفسوا عن كربهم ، وينتقدوا بالغمز واللمز والرمز . ونشأ هذا اللون من الادب فى الهند.

وترجم ابن المقفع كثيرا من الحكايات المتناثرة فى الكتب الفارسية المنقولة عن الهندية ، والف بين اجزائها ، وابدع كليلة ودمنة .. عسى ان يتعظ به المنصور ، ويعلم ان الحاشية تسبب اكبر ضرر للناس ان تعاورها الفساد . وكأني بدبشليم الملك المستبد هو نفسه المنصور الذي يخشى المفكرون ان يقوموه بالنصح ، فانبرى الفيلسوف بيدبا لهذه المهمة . وماذا يمنع ان يحلم ابن المقفع بمكانة بيدبا من المنصور ليرشده الى الحق والعدل . فكليلة ودمنة ينطق بالبطولة لانه يرمي الى تقويم ما اعوج من الحياةبتقديم المواعظ الحكيمةوالاراء الصائبة والامثلةالنيرة

ونرى ابن المقفع فى رسالته الصحابة خرج من التلميح الى التصريح . ويعني بالصحابة بطانة الخليفة التي تؤثر فى اعماله ان تجانف عن العدل . والحق ان هذه الرسالة تستهدف خلق نظام كله خير . وهو يقترح جملة اقتراحات ترمي الى تنضير الحياة ، وازاحة الظلم عن الناس ، فيطلب الى الخليفة انتقاء بطانته ، واعوانه من خيرة الناس لان الحاشية اذا فسدت فسد كل شيء وكذلك تحدث فيها عن مواضيع حساسة فالقضاء يسبح فى فوضى ، ويجب تنظيمه ، كما طالب بتنظيم الجند . وهكذا نجده يدس انفه فى هذه الامور التي تخص الخليفة ، ورائده فيها الاصلاح حتى رأيناه فى الادب الكبير يبحث عن السلطان والفضائل التي يجب ان يتصف بها ليؤمن العدل للناس .

ولا يسعني الا الاعجاب بهذا الادب الذي يتسم صاحبه بالجراة لمحاربة الظلم رغم الاخطار التي تهدده . انه لون من البطولة يعمل على تنقية الحياة من هذه الاشواكالسامة التي تعيق تقدمها .. مثل ابي العلاء المعري الذي حارب فى لزومياته النفاق الاجتماعي ، وشن الحملات على خداع الناس ، وجور الحكام ، وصفع الساسة الذين يسوسون الناس بغير عقل ، وتألم للفوضى التي تضرب الناس ، وندد بالامراء الذين ظلموا الرعية ، وامتصوا دمها ، بدلا من خدمتها . فلزوميات المعري تنبض بأسمى الوان البطولة لانها تومض بأنبل المشاعر الاجتماعية ، واقوى المبادىء السامية . وعندي ان هذا الادب لا يقل بطولة عن شعر المتنبي الذي عبد القوة ، ورآها النبراس الذي يجب ان يحتذيه الناس . ومما لا شك فيه ان شعر المتنبي مدرسة لتخريج الابطال ، وتربية ارواحهم تربية قويمة بعيدة عن كل ابتذال . ولكن ، اليس الادب الذي ينير الطريق ، ويزيح الظلم ، ويحارب الاضطهاد ، ويدعو الى العدالة لا يقل بطولة عنه ؟ ان هرقل بطل الاغريق يجذبنا بشجاعته ، وبأسه الشديد ، واشيل يثير اعجابنا ببطولته الخارقة .. ولكن الا ترون معي ان بروميثيوس الذي سرق النار من الالهة ، واعطاها للبشر ليفيدوا منها الحضارة حتى عاقبته الآلهة ، وصفدته بالسلاسل ، وطرحته على جبل تنهش كبده الطيور الجارحة .. اليس هذا البطل الانموذج الذي يجب ان نحتذيه لنقدم للناس ما ينفعهم فى حياتهم ، ويعبد

الصيف

* * *

الصيف الصيف ـ وموعدنا ... في الصيف تحوم الازهار
والشارع ينسى كآبته ... ويذوب الصمت وينهار
وبحيرة ضوء وانسكبت ... فنما .. وامتد نهار
وحمائم تلقي ستائرها ... فالشعر الوردي ستار
حبات عقود وانفرطت ... فالصيف الحالم مشوار
الابيض لون نعرفه ... واللون الاسود زنار
اللون العنبي بأوسطه ... وثلوج في الطرف واعصار
وعيون فيها محاورة ... وبها اخبار .. واخبار
ونهود فيها على صغر ... بوح وغرور .. واكبار
وروائح عطر وانبعثت ... فالجو خميلة .. معطار
ونسيمة صيف قد عبثت ... فالشعر .. المصفوف نثار
كل تنحاز لجارتها ... الركب حديثه اسرار
وتتمتم زنبقة وقفت ... الدرب تلوكه .. ابصار
طوعا .. وارتد على عجل ... سر بي فالدرب .. قفار
الصيف الصيف.. وموعدنا ... في الصيف تحوم الازهار

عمان — فوزي عوجان

امامهم الطريق ليرتعوا في التقدم والعدالة .

ولما تدهور الفكر العربي بعد سقوط بغداد على ايدي التتر خبا ذلك النور الوضاء الذي امتع الانسانية بأجمل مدنية طوال قرون ، وهمدت القرائح العربية ، وتفقد الناس ادب البطولة يترجم عن اشواقهم لها ، فما وجدوه مع ان الاحداث التي مرت عليهم تنطق الصخر كالحروب الصليبية .. حتى جاء العصر الحديث ، فزخر ادبنا بالبطولة لاننا انتفضنا بعد طول سبات على نهضة جبارة ، وسايرها ادبنا بقوة ، فمد الى الاستعمار فنازله ، والى الاستبداد فحاربه، والى الوطنية فشيد لها صروحا ممردة، ومجد قوميتنا ، وهلل لشهدائنا ، وساير النكبة ، والهب عزائمنا ، وهو في كل يوم يتفتق عن جديد مسايرة لذاتيتنا القوية ، واستجابة لوجداننا القومي . ومع هذا لا نزال نطلب المزيد لان ادب البطولة مدرسة لتربية الروح ، ودفع الانسان الى الامام ، فعلى ادبنا الحديث ان يرتفع الى مستوى الاحداث التي نعيش في صميمها ليمثل نفوسنا التي تتوهج على ضوء الحياة الجديدة التي نحياها ، وننشدها . ان على الادباء اكبر المسؤولية في حمل الرسالة التي يضطلع بها الشعب العربي ليصل الى اهدافه المرجوة. والادباء يجب ان يكونوا حملة هذا المشعل لنصل الى ما نصبو اليه من انطلاق في دنيا العروبة ، يضيء معالم الطريق الى عالم جديد تتألق فيه جذوة الحق ، والخير ، والعدالة، والانسانية .

طرطوس — محمد حاج حسين

شهاب الدين السهرودي

بقلم عيسى ميخائيل سابا

في السنة الـ ٥٨٧ هجرية حمل الهواء اخر زفرة صعدها انسان في الثامنة والثلاثين من عمره في مدينة حلب ، وقد وافق على قتله السلطان صلاح الدين الايوبي على ذمة افتاء الفقهاء .

ذلك هو شهاب الدين ابو الفتوح بن حبش السهروردي ولقبه المؤيد بالملكوت ، اخذ بدراسة الفلسفة العقلية فاستوعب منها ما استوعب وراح يجول في ميادينها جولات موفقة تكشفت له حقائقها بقدر ما امده العقل ووهبه التفكير ، فانقطع الى حياة التأمل والنظر ، فاستقر به المطاف العقلي الى الزهد والتصوف ، فزهد بالدنيا ومباهجها وانبرى يتأمل بخلق الله وما فيه من عجائب وغرائب ، اقمار ونجوم شموس وثوابت ، فراح يتقصى حل لغز الحياة والكون وما فيه ، فما راى غير الايمان والتسليم سبيلا ، فخلف لنا كتبا هي : التنقيحات في اصول الفقه ، والتلويحات واللمحات ، والمقاومات والالواح والهياكل حكمة الاشراق وكلمة التصوف ورسالة الغربة الغربية ، وفي هذه الاخيرة اشارة الى امر النفس وما يتعلق بها على اصطلاح الحكماء ، فعد على صغر سنه الاب الثاني للحكمة الاشراقية الذوقية . والناظر في كتابه حكمة الاشراق ، يرى فيه شيئا من تحرير العقل وتفلته من عقال التقاليد فقال في الخطبة : « ليس العلم وقفا على قوم لينغلق بعدهم باب الملكوت ويمنع المزيد عن العالمين ، بل واهب العلم الذي هو بالافق المبين ، ما هو على الغيب بضنين ، وشر القرون ما طوي فيه بساط الاجتهاد وانقطع فيه سر الافكار وانحسم باب المكاشفات وانسد طريق المشاهدات » .

وما يهمنا من هذه الخطبة ، انه لم يجعل العلم وقفا على اناس دون اخرين ، ولم يرض بالجمود في عصر كان كل ما فيه جمود وانحطاط وتقليد ، فتفتحت عيناه على تحرير العقول والعمل في فكر صائب على سبر غور الحقائق ، لا الوقوف عند اخر قول صدر عن عالم او فيلسوف وكل منهما انسان قد يخطىء ويصيب وكأني به اراد ان يتمثل قول احدهم :

انت مرء مثل زيد فلم انت في ضيق وزيد في هنا ؟

وهنا لا بد لنا من ان نقول : ان عصر الانحطاط على ما فيه من جمود واسفاف لم يحرم من مفكرين ، رغبوا في ان يهيبوا بالجيل الى البحث والتنقيب والدرس ومواصلة سلسلة ابحاث العلم ، ولكن ما العمل ؟ والحشويون كثر ، استمالوا السيف ، فحال دون العقل فاخرسه ، ولكل زمن حكامه وعلماؤه ، والتاريخ يسجل .

وما يعنينا هو اد ب الرجل وحكمته وهو القائل : «الفكرة في صورة قدسية يتلطف بها طالب الاريحية » وقوله : « نواحي القدس دار لا يطؤها القوم الجاهلون » واننا لنحس ونحن نقرأ مثل هذه الحكم بنفس وضاءة وروح اشف من ظل الظل تسمو على الهيولى وتترفع عن حطام الدنيا ، فتتصاعد بالخلق الرضي والفكر النير الى سماء الملكوت وقد قال : « حرام على الاجساد المظلمة ان تلج ملكوت السموات ، فوحد الله وانت من ملابس الاكوان عريان ، ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الاركان وابى النظام ان يكون على ما كان» ونراه في المثل فيحاكي قصيدة ابن سينا العينية فيقول :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى وصبت لمغناها القديم تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها ربع عفت اطلاله فتمزقا
وقفت تسائله فرد جوابها رجع الصدى الا سبيل الى اللقا
فكانما برق تألق بالحمى ثم انطوى فكانه ما ابرقا

وما اراه بذلك الشيخ المقتول ظلما، ان دراسته الفلسفية قد لطفت اخلاقه ورققت قلبه فافضت به الى الزهد ثم الى التصوف ، حيث تكشف له في شطحات « ما لاعين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » فرغب في ان يتلفت من سجن البدن فقال مناجيا العزة الالهية :

ابدا تحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب اهل وداده تشتاقكم والى لذيذ لقائكم ترتاح

فهو ولا ريب انه يشتهي بل يطلب الانفلات من عالم الجسد ، ليسعد بلقيا عالم الروح القدسي ، كما اشتهى من قبله بولس الرسول القائل « من ينقذني من جسدي هذا الفاني » .

ويرى الشيخ الصفاء الصوفي وفيه الراحة والطمأنينة فيقول :

صافاهم فصفوا له فقلوبهم في نورها المشكاة والمصباح
وتمتعوا فالوقت طاب لقربكم راق الشراب ورقت الاقداح

هذا هو الشيخ المقتول ، الذي قطع ثماني وثلاثين سنة من دنياه ، وهو فيها روحاني المشرب ، الهي المذهب ، سماوي المطلب ، ما تبسمت له الدنيا ولا افتر له ثغرها ، فلا هي خدعته ولا هو احبها ، وتفتحت عينا روحه الى الملأ الاعلى ، ومضى بقلب يغمره النور الاسمى وسريرته تردد « ايقظ اللهم الناعسات من النفوس في مراقد الغفلات ، ليذكروا اسمك ويقدسوا مجدك ، كمل حصتنا من العلم والصبر فانهما ابو الفضائل وارزقنا الرضا بالقضاء واجعل الفتوة حليفتنا والاشراف سبيلنا انك بالجود الاعم على العالمين منان » وهنا نرى انه كان له ما تمنى ، فقد ترك العالم فتى ، وحلل تراب حلب جسده ، وارتفعت روحه في مدارج الهواء تطوي الطول والعرض صعدا ، غير آسف على دنيالم ير مجدها الا سراباوكبرياءها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاطئ المهجور

ايهـــا الشاطىء الـذي كان للحـ ـــن حبيبـا فى يقظتـي وسبـاتي
وخيـالا مجنحـا يمـلأ الافـا ـــق سنـاء مبـــددا آهـاتي
وسلامـــا اذا تصادمت الاهـ واء ليلا او فـاض لحـن شكاتي
ومـــلاذا اذا تملكنـي الرعـــ ـــب منبعـا يضـم شمل شتاتي
وحيـاة الامـــال فى ظلمـة اليأ س ومـــأوى الافراح والنشوات
ونجيـــا والذكريـات حواليـ ـــه سكـاري فى معبـد الخلوات
وظـلالا ممتـدة فى هجـير الدهـ ـــر روحـا ومؤنسا بفلاتـــي
وصبابـات شاعـر هـام بالدنـ يـا ومـــاذا بعد الهوى من حياة

ايهـا الشاطىء الحبيـب الى النف س حنـانيك غـاض نبـع حياتي
لا تثر ان اتيت فى ظلمـة الليـ ـــل شريـــدا مبـــددا نغمـاتي
او تراءيت كـــافرا بالذي قـد كـان لحنـا يرن فـي خلجاتي
انت اعطيتني الحيـاة كمـا شئـ ـــت ومـاذا ان لـم تشأ صبواتي
خـافق لحنك الـذي هو فى الدنـ يـا صلاتي وان تمت خفقـــاتي
ايهـــا الشاطىء العـزيز على قلـ ـــبي حنانيـك ان اضعت صلاتـي
انت محرابـي المقـدس فى الدنـ يـا فعفوك لقد طفت ظلمـــاتي
انـا يـا شاطىء الغـرام اناجيـ ـــك بروحـي واللحن غير مواتي

ايهـا الشاطـىء الجميـل حنانيـ ـــك فذا زورقي يضـــم رفاتي
ان للبحـر ثـــورة انـــا اخشـا هـا واخشى عليـك من آهـاتي
فاجعـل السحر والغـرام حبيبيـ ـــن لذكـرى ايـامنـا النضرات
انمـا الذكريـات يحيـا بها القلـ ـــب ولـــو ظـل مغلـق الصبوات
هـوذا قلبـي المغلـق عـن مـــا ض وعـــن حـاضر وعـــن آت
ليس يهفـــو اذا يمـر نسيـــم طيـب النشر فاحبس النسمات

تـــونس

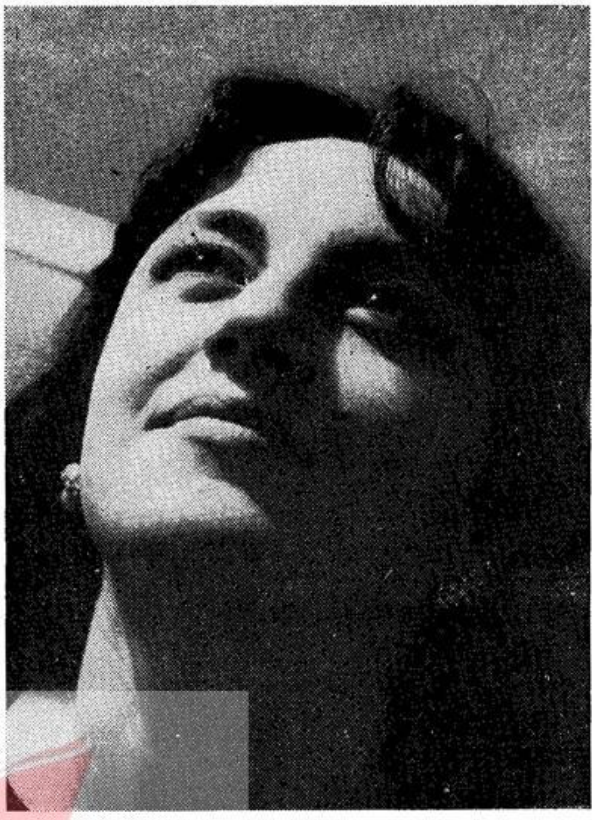
الهادي نعمـان

غرورا ، ولذاتها خداع البصر وسكرة القلب فخلفها وهو ينشد :

ركبوا عـلى سفن الوفا ودموعهم بحـر وشـدة شوقهـم مـلاح
والله مـا طلبوا الوقوف ببابه حتـى دعـوا واتـاهم المفتـاح

وهنا لا بد لنا من القول : ان مفكري البشرية قد رأوا قديما انه لمن الواجب ان يكون الحاكم فيلسوفـا ، يعيش فى عالم العقل وفى عالم المادة معا ، فلا يسرع ولا يتأخر ،ولا ريب ان اديم الارض قد استقبل قديما دما بريئا ما استل سيفا ولا اتى امرا فريا ، ولكن الجهل والحسد والادعاء والتشارف والتفاخر والتظاهر كان سببا فى سفك دمـاء بريئة . وقد فاتهم ان الله وحده قادر ان يدافع عن حقه فهو لا يرجو انسانا حقيرا ان يأخذ بيده ويدافع عنـه ، وهو الحب كله والعدل كله ، والانصاف كله بيده كل امر وهو على كل شيء قدير. سبحانك ربي رب العزة والقدرة ارنا ما فى خلقك من اسرار ، وفى هذه الكواكب من عجائب، انك انت القادر ، واهب العقل والمعرفة لك العزة والجبروت وانت على كل شيء قدير ، ارنا ما فى نجومك من اسرار ، وفى اكوانك من عقل وفكر ، وعقيدة وايمان ، وانت الالف والياء ، ولك الحمد .

عيسى ميخائيل سابا



مع كوليت سهيل الخوري

بقلم جميلة العلايلي

نقلتني الى دنياها فطاب لي المقام، وسلطت شعاع انتفاضاتها على وجداني فانتفضت مشاعري تتلقى معها الوحي والالهام .. فاذا بي اطوف معها حيث طافت كأني هي .. وكأنها انا .. كلما طاف بذهنها او خاطري قصيدة او مقال .. هي قالت :

« سأملأ كأسي برحيق الفن . فالفن نبع فياض ، دفق وجود لا ينضب مهما غرقنا منه يظل يغرقنا بالجمال .. ومهما نهلنا منه يظل يسكرنا بالامال والحب » وانا قلت :

سلني مليك عواطفي المحبوبا ... سلني عن الحب المذيب قلوبا
حب «المحال» اصاب معقل مهجتي ... ففرقت فيه الصفو والتعذيبا
يا حسرة تفني مناهل رغبتي ... يا نزعة تحيي الفؤاد طروبا
اني اراه مع الظلام كأنه ... طيف يلوح مع الحياة غريبا
ويطوف بي شجو الحنين كأنني ... افنيت عمر المغرمين نحيبا
لو ان احزاني تطيع مدامعي ... لرأيت دمعي في القريض صبيبا
لو ان بحر الحب يأخذ مسرفا ... ماء المدامع ما شكوت سكوبا
لو ان ذانك ما اروم وابتغي ... من كل قلب ما رجوت حبيبا
لكنني اهوى الفنون لانها ... تحيا بمشكاة الخلود لهيبا
واظل افتن بالمحال لانه ... روح الكمال فهل عشقت عجيبا ؟

لذلك لم يصعب علي تفهم ما حاولت ان تفهمنا اياه وهو ان الرجل يرى المراة على غير حقيقتها .. واذا بدا له ما لا يريد ردها عنه ليرى مايريد ..

وفي كتابيها « ليلة واحدة » و « ايام معه » . استطاعت الاديبة المبدعة كوليت خوري .. ان تحول عصارات قلب ابنة الشرق الى ينبوع تستقي منه الصراحة في انقى صورها والشجاعة في ابهى الوانها والحقيقة في اروع معانيها والعاطفة في انبل مغانيها .. متخذة من كل قطرة حرفا فيه ما في العصارة من حرارة وحياة .. حياة ابدية خالدة .. بدأت مع الهمسة الخافقة التي يهمس بها القلب في اول خفقة من خفقاته الطهورة .. حيث يتدفق ينبوع العاطفة اللامدركة .. اذ تحس الفتاة بانتفاضة غريبة لا تعرف مبعثها ، فيها بهجة وفيها نشوة ، فيها حيرة وفيها حنين .. ولكن كل ما تدريه انها مشوقة الى شيء .. لا تعرف ما هو . انما كوليت استطاعت ان تدري .. استطاعت ان تتلقف اليد السحرية من عل وتحرك اصابعها النورانية في رفق وهوادة لتنبش اعماق صدر الفتاة .. الفتاة التي تتكلم بقدر .. وتتنفس بقدر .. وتشعر بقدر .. لتكتشف ما وراء انتفاضاتها وما تكنه انفعالاتها غير عابئة بالجهد .. واللوم .. والسهر .. والضنى .. سعيدة برفع الغلالة عن العقل المقنع .. والقلب المغلف .. والوجه المحجب .. مستعينة بعقلها الكاشف الواعي على ضوء روحها المشع وقلبها الملهم .. محللة باحثة مستقصية لا تقنع بمرأى الدمعة الطافرة .. ولا تؤخذ بالبسمة العابرة او الهمسة الطائرة .. او الضحكة المنغمة الساحرة .. او الكلمة العذبة البادية .. بل تتخذ من البسمة طريقا تسير بها الى القلب لتعرف ما يخفي وراءه من شجو او شجن والى الروح الهابطة او الطائرة .. لتكشف خفايا أسرارها الخافية .. غير متحفزة للاخذ بالثأر او متواطئة للوصول لمأرب ما .. وانما لايضاح الغامض .. وكشف المستور .. وتصوير الواقع .. في حدود دنيا المراة الشرقية .. التي طاب لها الجنوح للاستسلام وقبول حياتها دون ملل .. ترى دنياها بعيني الرجل الذي هو املها في النور وقبسها في الظلام .

استطاعت ـ كوليت ـ ان تنقلنا الى دنيا المراة الشرقية مسلطة اشعاعات استكشافها الخارق على كل ما يجيش بصدر المراة من عواطف وما يدور بتلافيف رأسها من خواطر وافكار منذ حبستها الاوضاع المرعية في غياهب سجون العادات الغاشمة .. غير آبهة بما ينتظر اشعاعات اكتشافها من مقاومة الرجعيين وتفاهة تفكير المروجين لبضاعة حياء المراة المصطنع ووقارها الزائف لتبدو في عيني الرجل ذات احتشام وخجل فاذا احمر وجهها حيال كلمة غزل سافرة فسر تورد الوجه بالحياء ولا يدري انه انعكاس دم القلب الباكي من فرط ما يعاني من ظلم وتجني وكوليت .. لا تدعو المراة الشرقية للتمرد والعصيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جميلة العلايلي

بكشف وجيعتها وآلامها .. ولا تدعوها للعمل لمنافسة الرجل فى ميدان الحياة .. ولا تحاول ان تقيم بين الرجل والمراة حاجزا لا يمكن عبوره .. بل سلطت الاضواء على قلب المراة ونفسيتها وعقلها متسامية بالمراة الى مراتب القديسات الطاهرات اللاتي يشعرن لانفسهن ويفكرن لانفسهن فاذا طاف بخيال قديسة طيف رجل ارتفعت به الى مصافها الرفيع مطهرا من كل سوء ، بعيدا عن الافك والنفاق والضلال،وبعيدا عما تتناقله السنة تتاجر بقيل وقال

لقد كشفت كوليت النقاب عن واقع حياة الرجل الذي يحياها منذ تسلم زمام المراة فى الشرق ومنذ بدا يشعر بكيانه فى كل مكان وزمان ، فهيأت السبيل للتحرر الذهني وعبدت الطريق للانطلاق العاطفي دون ان تنافق او تكذب او تخون طبيعة الانثى او تشوه حقيقة وجودها ككائن حي له مطلق الحرية فى الحب والتفكير محطمة فى طريقها صخور العادات التي وضعت دستور الخوف والخور واسمته حشمة ووقارا ..

. ويقينا ـ كوليت ـ لا تدعو للاباحة حينما صورت خضوع المراة لعاطفتها خضوعا مطلقا مستسلمة لنزواتها احيانا ورغبات مشاعرها آنا .. ولكنها ارادت ـ كما افهم ـ تصوير اندفاع المراة السجينة .. المراة التي اتخذها الرجل امة وعبدة ولم يشأ ان يتخذها صديقة وشريكة. .لتتنفس كما يتنفس وتنظر الى الحياة بالعين التي ينظر بها ، ولم تحاول كوليت ان تدفع المراة فى طريق الطيش والرعونة .. فتحب دون وعي .. وتقاوم دون وعي .. وتسف دون وعي .. ولكنها عرضت علينا صورة واضحة المعالم للون من نساء الشرق اللاتي يتحررن بعد قيد .. لقد كانت مهمتها تسليط الاضواء ، على لون من الوان نساء الشرق .. وقد اتخذت ـ كوليت ـ من نفسها قنطرة تعبر عليها المراة المتحررة لتبلغ مرفأ الكرامة والعزة والشرف ..

ان كوليت فدائية .. تسللت خلف اسوار النفوس واجتازت الاشواك لتحرر النفوس الاسيرة وتطهر القلوب الموبوءة وتبعث الدفء والحب والحنان فى الارواح المغلفة بالضلال لترتفع وتسمو ..

ولتسمح لي ان اتوجها بتاج التضحية من اجل حياة للمراة افضل وانبل واكمل حياة تعاف الذل والعبودية وتعشق الحرية .. حرية الفكر لتنوير الجيل الصاعد وحرية القلب لاعتناق اسمى المثل.. وحرية النفس لتعرف اسرار الكون فتدرك ان الله محبة والحياة محبة والعمل محبة والكفاح محبة والتعاون محبة .. ذلك التاج المصاغ من ورود احلام العذارى المحبوسة خلف قضبان العادات التي خلطت بين العدل والجور .. بين الرحمة والقسوة .. بين الحب والبغض .. وبين الكفر والايمان .

فتحية لكوليت التي عرفت كيف ترسم انتفاضات ابنة الشرق بالحروف..وتجسم انفعالاتها وهواجسها وامانيها

تحية لليد البضة الناعمة حين تمسك بمبضع التحليل لتشرح وتفحص .. ثم تمعن وتدقق كأنها خلقت لكي تصون حرمة المراة وحقها فى الحياة .

تحية للروح الشفيف المجنح.. حين طاف بدنيا الرجال دون ان يجمح .. كاشفا خفايا الضمائر وطوايا الجوانح

وسلام .. على القدرة اللماحة .. المعبرة الوصافة .. الشاعرة الرسامة التي نقلت الينا اصدق صورة للرجل بعد ان لقحت ثقافة الغرب عروبته الكريمة الاصيلة فوضح جوهره وبان معدنه وراح يضرب خير مثل للرجولة الكاملة كما نقلت الينا صورة صادقة لمشاعر واحاسيس الرجل الشرقي الذي يتمسك بالمظهر دون الجوهر .. الرجل الذي يقنع بصوت النغم دون ان يدري هل مبعثه الشجو او الشجن .. الرجل الذي يصعب عليه تحرير نفسه من الانانية والغيرة السوداء .

وتحية للفكر البكر الاصيل الذي جمع الاديان تحت دين الوطن الواحد .

واخيرا تبارك الادب الذي يسمو بالمراة ويسمو بالرجل

القاهرة — جميلة العلايلي

الجزيرة الطيبة

* * *

جزيرتي .. رضعت رذاذ النجم .. من قدم الدهـور
عشرون ساقيـة تـدفق مـن « قواديس »(١) العبيـر
فتوزع الاصباح فى لثغ الجـداول .. خيـط نـــور
وتهب فوق جباهنـــا السمراء .. اطيـاف المصيـر

وبكـل فأس تصنـع الايـدي .. صبـــاحا يبسـم
وتخـــط سطـرا فى الثـــرى ، فيهـل فيها موسم
فكأنمـــا ـ اذار ـ افـرغ شحنـــة تترنـــم
حوض مـــن النـوار .. والنـور الـــذي يتبرعـم

« قيساب » (٢) قمح هـا هنـا ، وهناك تـل من شعير
جـدي يحوم حولـه ، فى الكـف مسبحـــة تـدور
وعـــلى الاصابـع تسقط « الحبـات » فى نغم خضير
.. الله يـا ربي .. كما انعمت .. زدنا .. يا قدير..

والنخـل يرفـع هامـة .. شمـاء .. تهـزأ بالحقب
كالحـارس الليلي .. او مثـل التحدي .. منتصب
فى الـــف عنقود ، مـن المأس الشهـي ، مـن الرطب
تمتـــد ايـــد « بالسبائط » (٣) مثقلات .. بالذهب

اجزيرتي .. يـــا منحة النهر .. العطوف .. الملهم
مـــا انت الا « سلـــة » قـــد اترعـت بالانجـــم
او كوم تبر .. مـــن خلال النهـــر .. لم ينهـزم
عـوذت فيـك السحر ، والاعجاز لي .. فلتسلمـي

يـــا لمحـة سكرى .. تهوم فى الصبـــا المخضوضر
انـــا مـن طيوف الذكريات .. تهـل مـلء خواطري
موسقت دنيـا بالحنيـن .. سخيـــة .. بالصـور
وجـدلت شعـرا .. يـا مهـادي .. كالربيع الاخضر

(١) قواديس يعني «جرار » (٢) قيساب بمعنى « كوم » (٣)سبائـط تعني « عناقيد البلح الرطب »

ام درمان ـ السودان **ابراهيم خير**

لكل فتاة اشياء صغيرة خاصة بها.. تفرحها .. وتدفع البهجة لاعماقها .. اشياء صغيرة ولكنها عظيمة .. كبيرة .. قوية تهز الكيان بالنسبة لها وانا كذلك املك هذا الشيء المثير .. واخاف واحافظ عليه كأنه عذري.. طبقة خفيفة من النمش تعلو صدري .. هي المفاجأة التي اخبئها لمن سيكون زوجي .. وحبيبي ..ولكن ليس كل ما نتمناه يسهل الحصول عليه .. ان سنين طويلة تمر بسرعة .. تسرق ايامنا .. تقتلها قتلا .. فتؤلمنا .. ونخفف من المنا وعذابنا بالصبر والدمع واشيائنا الصغيرة العظيمة .

*

لم اقابل رجلا في حياتي سوى والدي واخي نبيل وامي .. واولاد شقيقتي سعاد احيانا .. التي تكبرني بسنة واحدة .. ومع ذلك عندها خمسة اولاد .. عمري الان اربعة وعشرون عاما الا شهرين .. فلقد ولدت في شهر الصيام.. شهر الجوع .. حيث كا نالجميع صائمون ما عدا والدتي التي نصحها الطبيب بذلك .. ايامي كلها تمر بشكل واحد ولا تتغير حتى وان تغيرت فلا احسب نفسي شاعرة بتغييرها .. لانها بعيدة عن التلوين والمفاجآت .. الا مرة واحدة .. ثمة احساس غريب غلى في اعماقي وصدري..حينما اقترحت احدى العجائز التي لها صلة قرابة بوالدي .. ان يتزوجني ابن عمي سامي .. سامي .. انني اذكره الان تماما .. رغم ان سنين طويلة باعدت بينه وبيني .. حيث رحل ليكمل دراسته في بلاد اجنبية .. ثم عاد ومعه شهادة كبيرة .. لا بد وان كتفيه اتسعتا عرضا .. وشاربه الرمادي امتلأ وغدا انيقا .. ويديه اصبحتا قويتين تستطيعان عجن الحديد .. تستطيعان عجني ..انني اذكره الان واذكر لون عينيه .. رماديتان تميلان الى الصفرة .. اجل هما كذلك.. لون عيني خطيبي وابن عمي . رغم ان الامر كان مجرد فكرة لعجوز .. الا انه رسم خطا جديدا عريضا في حياتي وتصرفاتي.. ففدوت بلحظة واحدة وكأنني مخطوبة لسامي .. العريض الكتفين القوي اليدين.. تصرفاتي كلها تعني خطبتي.. دفاعي عنه في كل مجال .. وتلهفي لاخباره .. والانصات للحديث عنه.. وغيرتي وغضبي لمن يتكلم عنه بسوء .. ولكنني سرعان ما اتراجع وفي صدري تنفرط عقد الدموع .. حين تتلاقى عيناي بعيني امي الضيقتين وهما تفضحان امري .. وما تخبئه اعماقي .. فانفلت لغرفتي ابكي بصمت حتى انام .. ومرت الايام ..وتزوج سامي وفهمت عندها كم كنت واهمة .. وكفرت بالعجائز وكرهتهن ..ثم

النمش

بقلم شمس الدين شمسي

عدت لوحدتي المرعبة ارقب الجدران الاربعة في صمت حزين سرعان ما ينقلب الى غيظ وحنق وثورة .كنت اتمنى في لحظات ان اصرخ .. ان يدوي صوتي في صراخ ابدي ..انني اريد رجلا .. اكره ان اصبح عانسا .. فتاة تعيش على النسيان ..على هامش الحياة .. اريد اطفالا يملأون البيت فرحا وبهجة .. اريد رجلا يحوطني بعطفه وحنانه .. وانام تحت اغطيته وانا ابكي بسعادة .. ثم انشج بشدة مرددة اسم سامي القوي اليدين .. اطلب من وسادتي اعادته الي .. لاحدثه عن الليالي التي مرت وانا ساهمة بعينيه الرماديتين اللتين تميلان الى الصفرة .. الليالي المفعمة بالحنين لساعديه .. عن الشيء العظيم الذي احمله في صدري ..سري الذي احافظ عليه كعذري .. ساجعله يعد طبقة النمش .. يتسلى بها ويحنو عليها ويقبلها .. انني جميلة هكذا تقول امي ..املك عينين براقتين كقنديلين اخضرين في معبد وانف صغير كحبة فستق ناضجة، وينام على راسي بحنان شعر كشلال من عسل .. يعلو قامتي التي تميل للنحافة .. كنت اقف طويلا امام المرآة .. افحص اجزاء جسمي .. عنقي واستدارة صدري . ثم احدق بصدري وامرر اصابعي على نمشه بعطف وحنان .. ان سامي سيعده لا محالة ..وبالمقابل ساعد انا له شاربه .. سنتسابق . ماذا ؟ لو انه كان الان بجانبي ؟ .. يشدني اليه بقوة تعجنني عجنا .. ثم اصحو لاجد وجهي في المرآة حزينا ذابلا .. وتنتابني شبه رعشة تدفعني للصراخ. فانكفيء على سريري البارد اسكب الدمع على وسادة زخرفتها لسامي واظل في بكائي .. حتى تتسلل خيوط الصباح الاولى من نافذتي . الى ان كان يوم مات فيه والدي .. الرجل العبوس ابدا والذي يخاف على عرضه وسمعته وتجره .. وتسلم زمام الاسرة اخي نبيل الذي يشبهني بشعره الاشقر ويختلف عني بقامته الفارعة .. كانت له افكار يكرهها ابي وطالما اختلفا من اجلها .. اذ انه يحب السهر والاصدقاء والنزهات الطويلة .. وانتقلنا منذ اسبوع الى شقة انيقة في حي هادىء وارف الظلال .. أن نصيبي من هذه الشقة الفاخرة غرفة لها شرفة تطل على الشارع .. شعرت انني اطير من الفرح..ورقصت وغنيت طويلا .

ان احساسا دافقا يهزني ويدغدغ مشاعري.. مزيجا من النشوة العارمة والفرح العظيم .. ان قسما كبيرا من احلامي قد تحقق . مفتاح القدر اصبح الان في يدي .. كانت حدثا هائلا .. لقد شعرت بالحياة تتدفق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لو معي شمعه

لو كنت غرست
بجفن الليل ورود ضياء
ونثرت بكل ممر اسود
حقل نجوم
واتيت انوء بافراحي
وبأتراحي
لامر ، امر الى
معبد شوق ونعيم
لاجتزت المعبد وانداحت
سحب الظلماء ...

لكني جئت بلا شمعه
وحدي
اتخبط في الوادي الاسود
عيناي تحدق في الظلماء
تستفسر عن كنه الاشياء
عن اشباح صامتة صماء
تنحر في عتمة
ليل الموت رنين الاضواء ..
وانا وحدي
اشتاق ولوج ممري القاتل
لكني جئت بلا شمعه
والريح الاسود يلطمني
لا يرحم انسان
تنساب من الاعين دمعه
واظل اخبط واللوعه
تملأني .. تقتل اعصابي
تهزا بطموحي وشبابي
ويظل اليأس بشدقين كقبرين
اليأس بدربي كالثعبان
وانا في ضعفي انسان
اتمنى لو بيدي شمعه

اربد ـ الاردن **احمد حسن ابو عرقوب**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في شرايييني .. وكأنني طائر خفيف الجناح يتنزه في سماء من ربيع .. ان افقا جديدا من السعادة يلـوح لي . انني اليوم اكره سامي اكرهه تماما لقد وجدت الانسان الذي احلم به .. كنت اكذب على نفسي واصور من احلامي حقائق وهمية .. اظنني الان افهم اكثر مما يجب .

وانا اصعد الدرج بعد زيارتـــي للجيران .. شاهـدته امامي فجأة حلوا .. حلوا كتفاحة .. سألني ، اقصد سألتني عيناه ..

ـ انت ساكنة في الطابق الثـاني اليس كذلـك .

فاجبته : نعم .

ثم تكلم كثيرا وكأنه يعرفني منـذ مـدة طويلة ..

ـ في اي مدرسة انت ؟

قلت له وانا احاول عد شعـرات شاربه الانيق :

ـ في مدرسة البيت .

ـ ولم لا تزورونا ؟

ـ ان امي تفكر بزيارتكم غدا .

ـ انا في انتظاركم .. اقصـد اسرتي في انـتظار حضوركم .. ان سكان العمارة كلهم اسرة واحدة .

ان كتفيه عريضتان .. ويديه قويتان. كنت مجنونة حين سألته :

ـ هل تستطيع ان تعد للمائة

ـ اجاب ضاحكا من سذاجتي .. وللالف ايضا .

وانفلتت صاعدة الدرج .. ثـم دخلـت غرفتي واقفلت الباب .. نظرت في المرآة الى وجهي ثم ارتميت على سريري البارد اقص عليه حكاية جديدة .. انه يعد للالف .. سيعد النمش لا محالة .

حلب **شمس الدين شمسي**

اجنحة الشباب

حسبي ظلالك ضاق الكون او رحبا ... الست مغني الصبايا للصبا اربا
فكيف اكفر بالنعمى واجحدها ... يا خير من اوسع النعمى ومن وهبا
ما مثل دنياك دنيا في سماحتها ... فما اعزك ارضا ساحلا وربى
مهد الحضارة مذرف الجمال على ... هضابه وتهادى فوقها قببا
شراعه ما روت للجن عاصفة ... والركب ما حدثت غيلانها الكثبا
فاي ليل خلا من نار سامره ... واي صحراء لم يشدد بها طنبا
كم جابم بيدا وكم ارسى على ثبج ... وكم تغور غورا وارتقى هضبا
مجذافه روض الامواج جامحة ... فاسلست وجرت في كأسه حببا
لا يرتضي الورد اما هان مطلبا ... اعز احلامه ما عز مطلبا
عجبت من ظامىء والماء في يده ... يطير للشمس حتى يملأ القربا
وكلما امتدت الابعاد طاب له ... بلوغها وتمنى غيرها رغبا

سل الامازون من خاض الغمار الى ... سراه وتحدى غمره اللجبا
صخوره ناطقات بالذي شهدت ... فمن جلاها ومن اوحى ومن كتبا
ان كان كولومب جاز البحر من زمن ... فاننا قد عدونا شوطه حقبا
فهل يحاذر من يرمي الفضاء غدا ... من ان يلاقي على الجوزاء مغتربا
من لي « بصباحها » (1) والسبق محتدم ... يمد للزهر من اسبابه سببا
يا للخسارة في من لو اتيح له ... بعض الحياة لاحيا غابرا ذهبا
كبا الجواد به في زهو وثبته ... وفاته الفوز لما شارف القصبا

« فيحاء » ماذا وراء الليل من حلم ... فهل لمجذافك السحري ان يثبا
في الامس نهرك (2) هز الارض من غضب ... من حيث ضاقت على مواره رحبا
شأن الكريم اذا عزت مسالكه ... وجاش غاربه للجود واصطخبا
« فيحاء » هذا مجال السبق فانطلقي ... الى المعالي السنا سادة عربا
فلنطرح عبث الاهواء ناحية ... اما اردنا على اهوائنا الغلبا
فان من برج البحرين مرحمة ... ما ميز الناس لما ارسل السحبا
الدين ان نتسامى عن مظالمها ... فلا نتاجر باسم الانبيا كذبا
والخير ان نتفادى كل معصية ... سيان صمت لها شعبان او رجبا

شباب لبنان ان العلم مهلكة ... ما راح يحمل في طياته الحربا
دنياكم لم يزل حق القوي بها ... « فيتو » وحق ضعيف الراي مغتصبا
فمن تغافل يوما عن ثعالبها ... لم يلق في الكرم لا تينا ولا عنبا
اليس من غفلة الدنيا ونكبتها ... ان يدعي « القدس » من عاثوا بها شغبا
شباب لبنان انتم ركن نهضته ... وحصنه المرتجى والفجر مرتقبا
ما كالطموح جناح عز صاحبه ... البسته الريش او البسته الزغبا

ويا صبايا الحمى حسب الحمى وطرا ... اما طلعتن في آفاقه شهبا
فكل ارض خلت منكن بلقعة ... وان تهادت غراسا وازدهت عشبا
ربيبة الارز هل الاك من امل ... امنا تجهم وجه الدهر واضطربا
ما اعذب الصحو في عينيك مؤتلقا ... الست من آي ربي آية عجبا
عهد الجواري مضى افديك طالبة ... تأبى سوى العلم تاجا والحجى نسبا
لا يخدعنك داع في غوايته ... بئس التمدن غيا والهوى صخبا
فان اكرم عرش تنعمين به ... بيت من الطهر ضم الفتية النجبا
لبنان يكفيك من دنياك منزلة ... ان يبتغوا في ذراك المورد العذبا
فينهل الهدي من يسراك ذو ظمأ ... وينهل البر من يمناك من وصبا
رسالة انت اولى من يقوم بها ... لا خير في العلم ان لم يثمر الادبا

● القيت في حفلة توزيع الشهادات في الكلية الانجيلية بطرابلس ـ لبنان .

(1) المخترع اللبناني حسن كامل الصباح وقد توفي في المهجر . (2) اشارة الى طوفان نهر ابي علي منذ عهد قريب .

وديع ديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عمـر الخيـام

تاليف احمد حامد الصراف ـ ٣٨٤ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغـداد

هذا هو عنوان الكتاب القيم الذي الفه الاديب الكبير الاستاذ احمد حامد الصراف . يستهل الصراف كتابه هذا بمقدمةعن الادب الايراني واقاصيص عن الخيام فيذكر لنا عنايته بالفلك والرياضيات والهندسة والفلسفة ، ثم يتكلم عن عناية الخيام بالطب وقد تتلمذ على مشاهير عصره من كبـار الاطباء وقد مارسه فطبب ولم يحترفه مهنة وكيف ان السلطـان سنجر السلجوقي اصيب وهو صبي بالجدري فعالجه الخيام ويوضح لنا المؤلف كيف تخرج على الخيام جمهور من الفلاسفة والحكماء ويقول المؤلف ومن كان تلميذه ينعت بالفيلسوف والحكيم والعلامة فـهو بلا ريب الرأس الاعلى بل فى الذروة من الكمال .

ثم يذكر لنا المؤلف كيف ان الحكيم عمر الخيام اتهم بالزندقة كما اتهم قبله كثير من ذوي الفضل والافكار الحرة فقتلوا تقتيلا وهذه كانت سمة لكل حكيم عميق الفور واسع التفكير فى الافاق البعيدة . ويوضح لنـا المؤلف الفاضل كيف ان الخيام متمكن فى الادبين العربي والايرانيفيروي انه قرض الشعر بلغة دينه ولغة قومه .

ومما يدل على منزلة المؤلف وسعة اطلاعهو رجوعه الى طبقات الحكماء لابي الحسن البيهقي وكتاب نزهة الارواح وروضة الافراح لشمس الدين بن محمود الشهرزودي وكتاب اخبار الحكماء لجمال الدين يوسف القفطي وكل هؤلاء ثقة فى سرد حوادث التراجم .

ان التراجم الشخصية فن من فنون الادب فهو يدخل عالم الادب من باب الطاقة الشعورية التي يبثها الاديب فى موضوعه والقيم النفسية التي يضمنها فى تعابيره . وتشتمل التراجمعلى عنصرين اساسيينللعمل الادبي هما (التجربة الشعورية) و (العبارة الموحية عن هذه التجربة) اذ ان احساس المؤلف بحياة من يترجم له وبظروفه وحالاته النفسية وتطبيقها على تجاربه هو فى عالم الشعوروالحياة ، وعلى التجارب الانسانية التي خبرها بنفسه او فى قراءته . كل هذا يجعل عنصر (التجربة الشعورية) ذا وجود حقيقي فى ترجمة الشخصية ، اما القيم التعبيرية فهي بطبيعتها ستوجد بوجود التجربة الشعورية على هذا النحو من القوة والوضوح .

والاستاذ الصراف لم يسرد الحوادث بدقة وتفصيل وتحقيق فحسب بل انه وهو الاديب الموهوب نفخ فيها روحا وحياة ، والقارىء وهو يطالع هذا السفر القيم النفيس وكانه يشهد مرة اخرى يقوم بما قام بـه فى الحياة فهو يجسم الصور الخيالية لهذه الحياة المبعوثة .

وهذه صورة رائعة تثبت صحة ما ذهبنا اليه فلنستمع الى المؤلـف الفاضل ما يقول فى صحيفة (١٠) « ... وقد انفرد بالتعبير عن مشاعره واحاسيسه وحدها فكان من المبتلين بهواجسه ووساوسه ومخاوفه وقد عطرها بشذى حكمته ، وصبغها بازهى الوان معانيه ، وطرزها بـاروع مضامينه ، وكان اذا جاش فى صدره وجال فى خاطره ما يجيش فى صدر الشاعر ويجول فى خاطره صب هذه النفثات وهي نتاج انفعالاته النفسية .. فى قوالب جميلة يبرز منها ادبه الفض الريان عريانا كالشمس فيظهرفى مظانها اليقين والشك، والالم والسرور والنقد والسخرية، مشفوعة بالجرأة، مقرونةبالصراحة، فيتمثل بمجموعهاحاسه المرهف اصدق تمثيل»

ويستمر المؤلف فى كتابه هذا عن حياة الخيام وسيرته وعصره وعلماء عصره وادبه وفلسفته، ومصادر فلسفته ونظرائه ثم يترجم رباعياته نثرا ترجمة دقيقة امينة، ولقد احسن الاستاذ الصراف صنعا حينما ترجم رباعيات الخيـام نثرا اذ كثيرا ما يضع المعنىالاصلي حينتترجم الرباعية شعرا حيث يـكون الشاعر مضطرا للمحافظة على الوزن والقافية وبذا تضيـع المعاني فى زحمة النظم .

ومما اثار اعجاب المؤلف ان الخيام قد تتلمذ على ابن سينا ، اذ ذكر المؤلف الفاضل ان ابن سينا توفي سنة ٤٢٨ وتوفي الخيام سنة ٥٣٠ هجرية ، والحقيقة لاعجب فى ذلك وقد قطع علينا المؤلف القول فى هذا اذ ذكر فى صحيفة ١٠٩ ان الخيام قد اكب على مؤلفات ابن سينا القيمة وقتلهادرسا واحاطعلما بجميع آرائهونظرياته فىالفلسفة وعلمالكلاموالمنطق

ولكن مما يؤاخذ المؤلف عليه هو بعض المكرر المعاد ولا سيما فى فصول التراجم حيث تتزاحم الحوادث فقد جاء فى صفحة ٧ تلاوة بيت لابي العلاء المعري :

نبي من الغربان ليس بـذي شرع يخبرنـا ان الشعوب الى صـدع

وجاء نفس هذا البيت فى صحيفة ٢٨ وحادثةالصبي الذي اصابه الجدري وردت مكررة فى صفحتي ٣٢ و ٣٥ وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

على ان هذه الهنات الهينات لا تحط من قدر هذا السفر العظيم الذي اتحفنا به اديبنا العراقي الكبير الاستاذ احمد حامد الصراف الذي هو علم من اعلام الادب العربي فى العصر الحديث ، واديب من ادباء القمة ، فقد لفتت اليه الانظار والافكار ، وجمعت حوله القلوب والعقول .

بغـداد عبد الخالق عبد الرحمن

•

شعراء نجد المعاصرون

تاليف عبد الله بن ادريس ـ ٣٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطـابع دار الكتاب العربي بمصر القاهرة

انها الخيوط الاولى لفجر نهضة شعرية ، يطلع علينا من جزيرة العرب مضمخا بشميم عرار نجد ، والمبشر بهذه الاطلالة الواعدة قلم طيب من تلك الارض الطيبة التي كانت منبت الاقلام العربية الاولى و « منتدى الشعراء الفسيح ، ومنتجع الملهمين من عباقرة الفكر وقادة الفن العربي الرفيع ـ الشعر ـ العباقرة الذين خلفوا للامة العربية ثروة هائلة من سجلات تاريخهم الادبية الحافلة بكل الوان الحياة وظروفها واحـوال بيئاتهم ومجتمعاتهم » .

هذا القلم الطيب المتعمق الرصين ، هو قلم عبد الله بن ادريس ، مؤلف « شعراء نجد المعاصرون » اول صوت يرتفع لينبئنا بان بادية نجد الملهمة عادت بعد قرون مـن القحط الشعري تبشر بالخصب والمواسم الخيرة وطيب الجنى ، وهي المهد الذي هدهد بالامس امـرؤ القيس الشاعر الوجودي الضليل ، وعلقمة بن الفحل واعشى قيس ، صناجـة العرب ، وعمرو بن كلثوم صاحب النونية الشهيرة ذات الفنة والرنين .

يقسم المؤلف شعراء نجد المعاصرين الى ثلاث فئات :

الاولى وتضم اصحاب نظرية الشعر التعليمية ، وتتمثل بحمد الجاسر وخالد الفرج ، والثانية رومنطيقية ومن ممثليها الامير عبد الله الفيصل، محمد الفهد العيسى ، محمد الشبل ، حمد الحجى ، سعد ابو معطي ، عبد الله الجلهم ، ابراهيم الدافع ، عبد الله السناني ، محمد المسيطر ، وعبد الله القرعاوي . والثالثة المشارفة على الواقعية وتضم ناصر بو حيمد ، عبد الرحمن المنصور ، سعيد البواردي ، صالح العثيمين ، عبد الله العثيمين ، عثمان بن سيار ، وعبد الرحمن العبيد .

اكثر هذه الاسماء جديد علينا اذا استثنينا الامير عبد الله الفيصل وحمد الجاسر وعبد الله بن ادريس وناصر بو حيمد الذين طالما قرأنا لهم

لقد لفت نظري من بين هؤلاء الشعراء خالد الفرج بقصيدته «لا اريد» لما فيها من انسانية ، والامير عبد الله الفيصل بقصيدته « سؤال » ومحمد الفهد العيسى بقصيدته « تمرد » ومحمد العامر الرجيح بقصيدته « فى متحف موريس اوتريللو » ذات اللمحات الحلوة ، وعبد الله بن ادريس وصالح احمد العثيمين بشعرهما الوطني والاجتماعي . والشاعر الذي استوقفني طويلا هو ناصر بو حيمد لما فى شعره من عذوبة وتجديد ويعود ذلك لثقافته واسفاره الكثيرة وتجاربه الحية ، تدعمها موهبة غنية وشاعرية اصيلة .

اجمل قصائد ناصر هي : «بم تحلمون » و « ليلة فى دمر » و « يا اسمر » و « لا لي » والاخيرة رشيقة متانقة لعوب .

اتمنى على ناصر ان يتابع مسيره فى درب الكلمات المضيئة لاني اتوسم له مستقبلا شعريا حسنا ، واشكر الاخ عبد الله بن ادريس على ما قدم للمكتبة العربية من خدمة وفائدة ، فهو فى مؤلفه القيم هذا كاحمد ابي سعد فى كتابه « الشعر والشعراء فى السودان » نقاد رائد ومكتشف كنوز مخبئة .

فؤاد الخشن

•

الصحافة العربية ـ نشأتها وتطورها

تاليف اديب مروة ـ ٥٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دارمكتبة الحياة ببيروت ـ مطابع فضول الحديثة (؟)

الكتاب الذي اصدره اخيرا الزميل الصديق الاستاذ اديب مروة عن «الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها» يعتبر حدثا بارزا فى تاريخ الدراسات الادبية والعلمية الرصينة فى لبنان اخيرا . ذلك ان هذا الكتاب يعتبر بحق ادق بحث تاريخي عن الصحافة العربية قديمها وحديثها ، وهو اول تاريخ شامل للصحافة العربية يصدر فى ايامنا هذه بعد « تاريخ الصحافة العربية » الذي اصدره العلامة المرحوم الفيكونت دي طرازي منذ نيف وثلاثين سنة ، ويمتاز تاريخ « الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها » عن تاريخ دي طرازي بان الفيكونت قد ارخ الصحافة العربية حسب الطريقة القديمة ووقف عند عام ١٩٢٩ بينما جاء تاريخ الصحافة للاستاذ مروة عبارة عن تاريخ علمي دقيق للصحافة العربية منذ نشأتها حتى عام ١٩٦١، وقد جمع كتابه كل ما صدر من صحف عربية فى البلدان العربية وقارات العالم اجمع منذ صدور اول صحيفة عربية عام ١٨٠٠ حتى يومنا هذا ، وقد اتبع فه المؤلف الطريقة الحديثة فى الدراسات والاطروحات الجامعية فجاء بالفعل مرجعا عاما موثوقا يصح الاعتماد عليه فى كل ما يتعلق بالصحافة العربية وتطورها ولم يترك شاردة ولا واردة لها علاقة بالصحافة العربية وفروعها واساليبها الا وعالجها معالجة الباحث المتفرغ والعالم الحريص على الدقة والشمول .

واهم ما يتميز به كتاب الاستاذ مروة عن الصحافة العربية هو الفصل الذي كرسه لاستقصاء بذور الصحافة عند العرب منذ عصر الجاهلية حتى عصر الانحطاط ، وفى هذا الفصل توصل الى اكتشافات فريدة من نوعها عن وجود فريق كبير من ادباء وكتاب العرب الاقدمين كانوا بالفعل يقومون فى عصورهم بالدور الذي يقوم به الصحافيون فى عصرنا الحاضر ، وهذا ما يدل على ان الروح الصحافية كانت متغلغلة فى نفوس بعض ادباء العرب حتى قبل معرفة العرب للصحافة الحديثة .

والكتاب مقسم الى اربعة فصول ، وقد رتبت بطريقة منظمة تسهل على القارىء قراءتها والرجوع اليها بكل يسر وهي : الفصل الاول وهو يتعلق بفن الصحافة بصورة عامة ، ويتضمن هذا الفصل شرحا مسهبا لفنون الصحافة الحديثة واساليبها وفروعها واتجاهاتها وموادها التي تتكون منها وهو بالاجمال يشكل عرضا لاسرار مهنة الصحافة وكيفية العمل الصحافي من الالف الى الياء، وهذا الفصل وحده مع ما شمله من تاريخ الصحافة فى العالم ونشوء الطباعة يعتبر بنظرنا كافيا وحده لان يكون موضوع كتاب مستقل بحد ذاته .

اما الفصل الثاني فقد عالج فيه بذور الصحافة عند العرب وهو من اطرف فصول الكتاب وامتعها نظرا للاكتشافات الهامة التي توصل اليها المؤلف فى تاريخ الادب العربي القديم كما سبق ونوهنا عنه اعلاه .

ثم يتناول المؤلف فى الفصل الثالث نشاة الصحافة العربية الحديثة منذ صدور اول صحيفة عربية حتى الحرب العالمية الاولى ، وقد شدد فى هذا الفصل على الدور الكبير الذي قام به اللبنانيون فى لبنان ومصر والمهجر للنهوض بالصحافة العربية وترسيخ قواعدها ونشرها وتطويرها حتى اصبحت على ما هي عليه اليوم ، هذا فضلا عن بحث كيفية نشاة الصحف العربية فى كل بلد عربي على حدة وفى المهاجر الاوروبية والاسيوية والاميركية .

اما الفصل الرابع والاخير فقد خصصه المؤلف لبحث تطور الصحافة العربية منذ الحرب العالمية الى اليوم ، وقد استغرق هذا الفصل نصف صفحات الكتاب البالغ مجموعها ٥٠٠ صفحة بالقطع الكبير ، ولعل السبب فى ضخامة الفصل الاخير يعود الى ان المؤلف حرص على ذكر اسماء جميع الصحف العربية التي صدرت فى البلدان العربية والعالم على الاطلاق حسب تسلسل صدورها التاريخي مع نبذة تاريخية عن كل منها . وهذا العمل وحده يعتبر جهدا كبيرا تطلب ولا ريب تحقيقات مضنية يهنأ عليها المؤلف لانه ليس من السهل الحصول على تاريخ جميع الصحف التي صدرت فى الخارج ، مع العلم ان المؤلف كان حريصا جدا عند عرضه لكل صحيفة بان يذكر تاريخ صدورها وتوقفها مع اسم مؤسسها واصحابها وما تداولتها من الايدي ، وعما اذا كانت مستمرة فى الصدور أم لا .

وبالاضافة الى ذلك فان هذا الفصل يتضمن ابحاثا هامة عن تاثير الصحافة فى بعث النهضة الوطنية وتطور الاساليب الصحافية وتاريخ نقابات الصحافة فى البلدان العربية والصحافة الادبية والصحافة الكاريكاتورية الخ.

وفى الختام ان الصحافة فى عصرنا الحاضر اصبحت كما يقول المؤلف معجزة خارقة اذ بات قارىء الصحف اليوم يلم خلال دقائق معدودات بجميع اخبار العالم حيث تشكل الجريدة حلقة اتصال بينه وبين العالم اجمع لا يعرف كيف يعيش بدونها وهي تعكس آراءه واذواقه وتدافع عن مصالحه وحقوقه .

ان قصة الصحافة العربية بحد ذاتها هي ايضا معجزة خارقة لانها قطعت فى فترة قصيرة من الزمن اشواطا بعيدة فى مضمار التقدم، والمعجزة الاكبر هي صدور كتاب واحد يتضمن قصة هذه المعجزة .

احمد عويدات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



● دليل اصلاح السيارات ـ تأليف ادوارد ج. متسو ـ ترجمة الدكتور محمد مصطفى العلايلي ـ مراجعة الدكتور كامل اسكندر ـ ١٥٤ صفحة ـ مع صور ورسوم ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● الفرد والمجتمع ـ تفسير وتقريب لكتب مأثورةوافكار خالدة ـ ترجمة الدكتور كامل عطا ـ تقديم وتعريف عباسمحمود العقاد ـ ١٣٦ صفحة ـ الكتاب رقم ٢ من سلسلة : حول مائدة المجتمع ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية(؟) ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● موارد الطاقة البشرية فى الاقليم الجنوبي ـ تأليف فردريك هاربسون وابراهيم عبد القادر ابراهيم ـ ترجمة محمد عزيز رفعت ـ مراجعة الدكتور محمد علي رفعت ـ الغلاف تصميم احمد محمد منيب ـ ٣٤٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعرفة بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شاعر اللمحات المضيئة ـ دراسات نقدية عن الشاعر هلال ناجي ـ بقلم مصطفى السحرتي ويوسف السباعي والدكتور احمد كمال زكي والدكتور عبد القادر القط ومحمد عبد المنعم خفاجي وجميلة العلايلي وخليل الخوري وعلي الحلي ومحمد سعيد المسلم وغيرهم ـ١٤٤ صفحة ـ طبع الكتاب على نفقة دعيج علي الخليفة ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر فى القاهرة .

● لكي تكون سعيدا ـ تأليف عبد العزيز جادو ـ ٨٠ صفحة ـ الكتاب رقم ٢١٧ من سلسلة اقرأ ـ منشورات دار المعارف بمصر فى القاهرة ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● جبران خليل جبران والقومية العربية : صفحات من ادب جبران ـ قدم له نبيل كرامة ـ ١٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الرابطة الثقافية للطباعة والنشر (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● بائعة الغرام : قصة محام شاب وامراةحريدة ـ تأليف نبيل كرامة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الرابطة الثقافية للطباعة والنشر (؟) ـ مطبعة الراسي فى زحلة لبنان .

● اعشاب الصيف ـ مجموعة شعرية ـ عصام محفوظ ـ ٨٨ صفحة ـ منشورات دار مجلة شعر ببيروت ـ مطابع دار مجلة شعر ببيروت .

● ليلة واحدة ـ قصة ـ تأليف كوليت سهيل ـ مصمم الغلاف عبد القادر ارناؤوط ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري ببيروت ـ مطابع دار الكتب ببيروت .

● الاشتراكية الفابية ـ ابحاث برنارد شو ، سيدني وب ، جراهام ولاس ، وليم كلارك وغيرهم ـ ترجمة برهان الدجاني ـ ١٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطليعةبيروت ـ مطابع دار الفندور ببيروت

● جوستين ـ رواية ـ تاليف لورنس داريل ـ ترجمتها عن الانكليزية سلمى الخضراء الجيوسي ـ ٢٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطليعة فى بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تجارب علمية ـ تأليف اللا بودندورف ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم ـ مراجعة وتقديم احمد زكي محمد ـ ٤٨ صفحة ـ مع الصور ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ونيويورك ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ مطبعة مصر (؟) .

● رحلة بنتو ـ تأليف ويلفريد س. برونسون ـ ترجمة السيد حامد زعلوك ـ ٦٠ صفحة ـ مع الصور ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ مؤسسة طباعة الالوان المتحدة (؟) .

● سير ملهمة من الشرق والغرب ـ تأليف صمويل نيسنسون ووليام دي ويت ـ بقلم اسماعل مظهر ـ تقديم حسن جلال العروسي ـ ١٥٤ صفحة ـ مصورة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ونيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة مطبعةمصر(؟)

● البترول علم وصناعة ـ تأليف والتر بيور ـ ترجمة الدكتور حسن حسني ابو السعود ـ ٨٢ صفحة ـ مع صور ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعرفة (؟) ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● الوفاء : مختار من شعر ـ بولس غانم ـ تقديم احمد حسن الزيات ـ تعريف عادل الغضبان ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر ـ .

● التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٥٩ـ١٩٦٠ لوزارة التربية والتعليم الاردنية ـ ٢٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر باشراف قسم الاحصاء بوزارة التربية والتعليم فى عمان ـ مطبعة الشعب بعمان .

● نحو اقتصاد قويم ـ تأليف منير الشريف ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع ابن زيدون بدمشق .

● الهارب ـ رواية ـ تأليف انطوان معلوف ـ ١٢٦ صفحة ـ المؤلف من ابلح بلبنان ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● القديسة العارية ـ مجموعة قصص ـ تأليف عبد الله الشيتي ـ تقديم نظير زيتون ـ مصمم الغلاف شريف الراس ـ الخطوط لمحمد النابلسي ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم صغير ـ كتاب الشعلة (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● ستشرق الشمس زرقاء ـ مجموعة قصص ـ تأليف عدنان الداعوق ـ تقديم ماهر نسيم ـ ١٦٠ صفحة ـ الكتاب رقم ٢ سلسلة المكتبة القصصية ـ منشورات دار الكرنك بالقاهرة ـ مؤسسة الشرق للطباعة والنشر (؟) .

● سنابل راعوث ـ قصائد مختارة ـ شفيق معلوف ـ ٢٤٨ صفحة ـ منها ٦٤ صفحة آراء الكتاب فى شعر شفيق معلوف ـ حجم كبير ـ منشورات دار مجلة شعر ببيروت ـ مطابع دار مجلة شعر ببيروت .

● الليلة الاخيرة ـ مجموعة قصص ـ تأليف فاضل السباعي ـ ١٥٢ صفحة ـ منشورات دار المعرفة بالقاهرة ـ شركة مطابع الطنابي بالقاهرة

● الخط العربي : نشأته ، مشكلته ـ تأليف انيس فريحة الجامعة الاميركيةفىبيروت ـ ١٢٨صفحة ـ مطبعة فؤاد بيبانوشركاه بجونيه لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كلمات ...

● ستبدأ قريبا في لندن تجربة مطعوم جديد على بعض الاشخاص المتطوعين لمعرفة مفعوله في القضاء على داء التراخوما بعد ان حقق هذا المطعوم المناعة ضد الداء في انواع من القرود المعروفة باسم « بابون » جرت عليها التجارب بنجاح ، اذ تصاب القرود بالتهاب في عيونها مجانس لداء التراخوما في الانسان ومماثل له ويصعب تمييزه حتى في المختبرات احيانا . ولقد صدرت تفاصيل هذه التجارب في التقرير السنوي الذي وضعه السر ستيوارت ديوك الدر رئيس مستشفى القديس يوحنا الخاص بامراض العيون في لندن . واما السر ستيوارت فهو اختصاصي عالمي مشهور في طب العيون ومدير ابحاث معهد التراخوما في لندن . ويجري الان صنع المطعوم المذكور للحؤول دون انتشار داء التراخوما في القرود. ويعتبر هذا النجاح خطوة كبيرة ولا بد من اعداد مطعوم لتحقيق المناعة الكلية في الانسان ضد الداء بفضل هذا الاكتشاف . وقال السر ستيوارت في تقريره ان مستشفى امراض العيون في لندن سيلعب دورا رئيسيا في الحملة القائمة لمحاربة هذا المرض المتفشي بشكل ذريع في معظم بلدان الشرق الاوسط.

● اعلن الدكتور شوارتز الاستاذ بجامعة ميشيغن انه يمكن شفاء الخلل العقلي بالموسيقى والالوان ، وقد بدأ تجربته بالفيران ، فربى جماعة منها ، مصابة بنقص في المخ في معمل غطيت جدرانه بالالوان البهيجة ، وجعلها تسمع الموسيقى ، وبهذا شفي بعضها من بلاهتها ، واظهرت ذكاء اكثر من مثيلاتها اللاتي تعيش في معمل اخر عادي ، بدون الوان ولا موسيقى

● تفص اليوم عيادات الاطباء في البلدان الصناعية الكبرى بالمرضى الذين يشكون اضطراب الاعصاب او اختلال الدورة الدموية، وامراض الجلد ، وخلل الوظائف الجسمية التي تؤديها بعض الاعضاء ، او الازما الشعبية . غير ان القسم الاكبر منهم صار يشكو ايضا من شعور بالخوف والقلق المستديم . وقد تبين بان الطبيب النفساني هو الذي يصح استخدامه في هذه الحالة عوضا عن طبيب الجسم العادي. وقد افضى اطباء الاعصاب اثناء اجتماع عقدوه في مدينة لينداو في جنوب المانيا باهمية الدور الذي يلعبه الطب النفساني اليوم ، وهو الطب الذي وضع اسسه الاولى زيجموند فرويد في مطلع القرن الحالي . وذكروا بانه اصبح من الضروري استخدام التنويم المغناطيسي في معالجة بعض الامراض النفسية لما يلعبه من اهمية في هذا الاتجاه ، وقالوا انه من الخطأ ان يوصم التنويم المغناطيسي بالسحر والشعوذة بعدا ن اتضحت فوائده . واشير بهذه المناسبة الى انه امكن بواسطة التنويم المغناطيسي القضاء على الكثير من الالام المبرحة التي كان يشعر بها بعض المصابين بالجراح الثخينة ، كما تحسنت الاوضاع المرضية لدى الكثير من المرضى في الوقت الذي لم يكن ينفع فيه العلاج .

● جلوكان هو الهرمون الجديد المستخلص من افراز البنكرياس ، وهو يساعد على توازن سكر الدم ويحقن في العضل ، ويشفي المريض من الازمة في مدة تتراوح بين ٥ و ٢٠ دقيقة ويستطيع تناول غذاءه . ابيح استعماله في امريكا بعد تجارب اربعة اعوام في معامل « ليلى الكيماوية » .

● السكتة القلبية او « النقطة » من اسباب الوفاة الشائعة . وقد اطلق عليها اسم مرض رجال الاعمال لانهم يدأبون العمل بدون راحة ويعيشون عيشة غير مستوفية شروط الصحة ولا يبذلون جهدا جسديا ، فهم اكثر من غيرهم عرضة للوفاة المبكرة . واخيرا قام ٦٩ مستوصفا وعدد كبير من الاطباء في المانيا الغربية بدرس ١٨٠٠٠ حالة مرضية مختلفة فاحصين اسباب المرض واحواله . فاتضح لهم ان ٧٦ في المائة من الرجال و ٢٤ في المائة من النساء ممن جرى فحصهم هم عرضة ، للسكتة القلبية ، ولا سيما الرجال الذين ما بين الـ ٥٥ والـ ٥٩ من العمر والنساء اللواتي ما بين الـ ٦٥ والـ ٦٩ . اما عند من هم دون الاربعين فكان الخطر نادرا (١،٨ في المائة فقط) . والسكتة القلبية لا تدهم المريض من دون سابق انذار ، بل لها اعراض متعددة منها ارتفاع ضغط الدم . كما انه لوحظ ان لفصول السنة تأثيرا على ذلك فالسكتة القلبية في المانيا ، مثلا ، اكثر حدوثا في الشتاء منها في فصل الصيف . و ٨٥ في المائة من المرضى هم من المدمنين على التدخين. ولا تزال الابحاث العلمية على هذا الصعيد جارية بنشاط . هذا ، وتعود اسباب العجز عن العمل في كثير من الاحيان الى امراض القلب التي تبلغ في المانيا ١٩ بالمئة من حالات المرض المختلفة ، ويتلوها السرطان بنسبة ١٧ بالمئة تقريبا . كما ان اضطرابات القلب والدورة الدموية هي من اهم اسباب الوفاة اذ تبلغ نحو ٣٨ بالمئة .ومن مشاهير الاطباء الاخصائيين في امراض القلب بالمانيا الغربية البرفسور فيرنر فورسمان (٥٧ سنة) وهو من مواليد برلين ويعمل في دوسلدورف ونال جائزة نوبل للطب عام ١٩٥٦ .

● يجري الاطباء في امريكا تجارب على مخدر جديد يدعى ج-٢٩ . يمتاز هذا المخدر بانه ذو مفعول سريع ولا يترك مضاعفات الى درجة ان المريض لا يعرف اذا كان قد خدر ونام .

● توصل العلماء اخيرا الى العقار الذي يستطيع ان ينقذ كثيرين من الناس من الموت بسبب التجمع الكثيف للماء في انسجتهم وهذا العقار الذي انتجته احدى الشركات الاميركية ، اطلق عليه اسم « الداكتون » ، وهو يساعد ايضا على تصريف السوائل المتجمعة في حالات الاستسقاء التي تنتج عن اختلال في عمل الكبد او الكلي او القلب .. ويساعد هذا العقار على اخراج الماء من الجسم عن طريق تعطيل هرمون « الالدسترون » الذي يلعب دورا كيميائيا هاما في احتفاظ الجسم بكمية كبيرة من السوائل التي كان يجب ان تمر الى الكلي ومنها الى المثانة .

● اعلن الدكتور هولجار هايدن من جامعة جوتبرج في السويد سر دواء بفير التركيز في خلايا المخ . اسم الدواء الجديد « تريكيانو امنيو بروبين » ونشرت مجلة « امريكان دراجيست » بحثا للعالم السويدي قال فيه ان الدواء سيفيد في علاج الامراض العقلية . ولكن تجربته اثبتت ان الافراط فيه يجعل المخ قابلا للخضوع للايحاء فقد يغير فكرك الى الخير او الى الشر .

● تقوم احدى الشركات الاسكتلندية حاليا بصنع آلة تطلق موجات اعلى من الصوت ، يمكن استخدامها بديلا لجهاز اشعة اكس الذي يستخدم للكشف عن الامراض وتشخيصها . وهذه الالة هي نتيجة خمسة سنوات من التجارب بداها في مستشفى غلاسكو البروفسور دونالد من جامعة غلاسكو . والالة مزودة بكرة فضية تطلق موجات تخترق الجسم وتخرج منه كاصداء تتحول الى صورة تظهر على شاشة تحتوي على انبوب يطلق اشعة كاثود. وقد وصفت هذه الالة بانها خطوة تساعد على تقدم الاعمال الطبية وهي مفيدة بصورة خاصة لاجراء الفحوص على النساء الحوامل .

● تمكن احد العلماء من اكتشاف مادة من النظائر المشعة بكميات كبيرة لتستخدم على نطاق عالمي لاجراء تجارب وتحاليل في الكبد والغدة الدرقية . والمعلوم ان النظائر المشعة هي من المنتجات الذرية التي تستخدم في الاغراض السلمية . والمادة الجديدة هي اليود ـ ١٢٥ اكتشفها الدكتور بول هاربر احد اساتذة الجراحة في جامعة شيكاغو .وقد ابتدع الدكتور هاربر هذه الطريقة خلال ابحاثه في مؤسستين تابعتين للجنة الطاقة الذرية وهما مستشفى ارغون للابحاث السرطانية ومختبر ارغون الوطني . وستقوم لجنة الطاقة الذرية بانتاج اليود ـ ١٢٥ في مختبرات اوك ريدج بولاية تنسي . اما ميزة المادة الجديدة فهي انها تطلق اشعة سينية خفيفة لا تزيد عن ١٠ بالمئة فقط عما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ناعمة ولطيفة

كلينكس

(طبتين)

أشهر محارم ورق



تحتاج اليها في كل وقت وفي أي مكان

- في البيت
- في المكتب
- في السيارة

معبأة بطريقة تسهل لك استعمالها.



كلينكس ألوانها جذابة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينطلق من مادةاليود ـ ١٣١ المشعةوالمستخدمة حاليا كوسيلة للتتبع فى التحاليل والاختبارات الكبدية والدرقية .

● صرح الدكتور موراي وهو من اطبـاء تورونتو بانه تمكن من اعداد مصل مستخرج من دم الحصان استطاع بواسطته ان يساعد كثيرا المصابين بداء السرطان . وقدم الدكتور موراي الذي كان يتكلم امام الجمعية الاقليمية لكلية الصيادلة الاميركيةتأييدا لتصريحه احد مرضاه وهي امراة تدعى السيدة مارغاريت لزاتو من تورونتو كانت مصابة بسرطان المعدة وشفيت من الداء بواسطة هذا العلاج . وقد صرحت بانه قد قيل لها فى وقت من الاوقات انها لن تعيش اكثر من ثلاثة اسابيع .واكدت هذه الامراة ان حالتها قد تحسنت بعـد أن عالجها الدكتور موراي وان اشعاعات «اكس» لم تبين فيها اي اثر لداء السرطان . وذكـر الطبيب موراي حالة امراة اخرى مصابة بداء السرطان فى صدرها لم يكن لها من امل لان تعيش اكثر من اسبوعين واضاف بأن هذه الامراة عاشت سنتين بعد علاجها بالمصـل الذي اعده . ويعد الدكتور موراي مصله على الطريقة الاتية : تحقن الاحصنة بانسجةمصابة بداء السرطان . وعندما تبدي هذه الحيوانات

مقاومة للالم يستخرج الطبيب من دمائهـا الجرثومة المضادة التي يستخدمها فى اعداد مصله

● فى الولايات المتحدة قام الدكتور لانـد بتجربة احدثت ثورة فى الاوساط العلمية فى العالم ، فقد عرض على الشاشة صورتيـن بالاسود والابيض ، ووضع قطعة شفافة حمراء بين العدسة المرئية لمصباح العرض ، وبين الشاشة ، وكم كانت دهشة النظارة عندما راوا الصورة المعروضة على الشاشة تظهـر بالالوان ، مع تغليب اللونين الاخضر والازرق.

وهذه التجربة تهدم النظريات المعروفة حتى الان عن الابصار الثلاثي الالوان ،فالمعروف والمقرر ان شبكية العين مغطاة بمادة ملونة ذات حساسية للالوان الثلاثة الرئيسية : الاحمر ، والاخضر ،و الازرق . ويقوم المخ بتحليل هذه الالوان وخلطها ليحدث الابصار الطبيعي . ولكن الدكتور لاند حصل على صورة ملونـة من الاحمر فقط .

● يجري الان تركيب غرفة للعمليات الجراحية فى مستشفى هرسميث فى لندن مكونة مـن البلاستيك والمطاط الصناعي . وفى الامكـان تنظيفها على البخار وتعقيمها . ويعتقد ان مثل هذه الغرفة افضل من الغرفة العادية لان جدرانها وارضها لا تتشقق ولذا يسهـل تنظيفها وتعقيمها .

● صرحت الجمعية الالمانية لطب المواصلات قائلة ، بان كثرة تناول بعض العقاقير الطبية من شانه ان يؤثر على نشاط سائقي السيارات ويعوق حركاتهم ، ولهذا فانها تحذر مـن الاسراف فى استخدام بعض العقاقير الطبية « المنبهة » التي تلعب فى بلدان الشرق الادنى بعض الدور ايضا . ويظن من يتناول مثـل هذه العقاقير بانه يبقى محتفظا بنشاطه مدة السفر ، ولكن الحقيقة هي خلاف ذلك .وقد ثبت ضررها من تعدد حوادث السير الـذي يسببها المتناولون .

● ذكر الدكتور بول اوهلارين رئيس اطباء مستشفى شاديل فى سياتل انه احرز تقدما كبيرا نحو شفاء المدمنين على المخدرات دون تعريضهم لاية الام وذلك باستخدام مـادة طبيعيـة تعـرف باسم « ديشوسفوفريدين نوكليوتايد » وقال الدكتور فى تقرير له نشر فى مجلة طبية محلية ان هذه المادة الطبيعية من جسم الانسان قد ساعدت المدمنين على التعاون فى اجراء تجارب للتوقف عن استعمال المخدرات فورا وعلى الدوام دون التعـرض لتاثيرات غير ملائمة .

● يمكن استئصال داء شلل الاطفال استئصالا تاما فى بلد ما بواسطة لقاح سالك فيما لـو جرى تلقيح جميع السكان بذلك اللقاح تلقيحا علميا صحيحا . هذه هي النتيجة التي توصل اليها علماء الابحاث الطبية فى جامعة بايلور بعد ثلاث سنوات من الابحاث والدروس المركزة. وقد نشر هؤلاء العلماء نتائج ابحاثهم فى مجلة الجمعية الطبية الاميركية وقالوا ان سبـب استمرار ظهور هذا الداء الوبيل هو ان اللقاح لم يعم استعماله بعد على جميع الاشخاص الاكثر تعرضا مـن غيرهم لالتقاط المرض . ويستند التقرير على دراسة اجريت عـلى مصابين بداء الشلل فى مدينة هيوستن بولاية تكساس خلال الاعوام ١٩٥٨ و ١٩٥٩ و ١٩٦٠ وقد برهنت دراستهم الدقيقة على ان لقاح سالك يوفر مناعة قوية وفعالة ضد الـداء لدى الاشخاص الذين اخذوا سلسلة مـن اللقاحات هي عبارة عن ثلاثة حقن او اكثر . ومن مئة اصابة مؤكدة فى عامي ١٩٥٨ و١٩٥٩ كان ثلاث فقط بين اشخاص اخذوا ثلاث ابر من اللقاح او اكثر .

● فى بريطانيا اعيد البصر لمئات من العميان. فبعد تجارب عشرة اعوام ، قام بها فريق من الجراحين تمكنوا من صنع عدسة صغيـرة من البلاستيك ، اذا ما وضعت فوق القرنية، حلت محل بلورة العين المريضة ، وبذلـك استطاع الكثيرون من المرضى بالكتاراكت ان يستعيدوا بصرهم سليما ، بل ان شبانا تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٢٠ عاما ، ولدوا ببلورات معتمة ، جعلتهم يشكون العمى منذ ايامهـم الاولى ، واجريت لهم تلك العملية ،فابصروا، وتعلموا القراءة والكتابة . وقد قام بدراسة تكنيك هذه العملية بيتر شويس الجراح فى المستشفى العام لمدينـة سوثند فى اسكس ببريطانيا . وتسمى مادة البلاستيك المستعملة فى صناعة هذه البلورات البصرية الصناعيـة برسيبكس وتقوم بصناعتها شركة رينر للبصريات، وتمد بريطانيا كلها بهذه البلورات ، وتقـوم بتصديرها للعالم كله ، وثمن كل عدسة ١١ جنيها

● صنعت الجمهورية العربية المتحدة جهازا للكشف بمساعدة «المواد ذات الاشعاع الذري» عن اورام المخ .. ويظهر هذا الجهاز عـلى شاشة خاصة صورة حجم ووضع اي نسيج من انسجة الجسم . وقد ارسل الجهاز بعد اتمام صنعه الى قسم جراحـة الاعصاب بمستشفى قصر العيني بالقاهرة . وبـدأت الحكومة فى صنع ثلاثة اجهزة اخرى .

● صدر مؤخرا عن لجنة الطاقة الذريـة الاميركية تقرير يصف فرنا نوويا صغيرا يمكن تركيب قطعه على الارض ثم ارساله بواسطة صاروخ الى القمر حيث يكون جاهزا للعمل. وسيكون الفرن قادرا على العمـل المستمر مدة سنتين يولد الطاقة الكهربائية اللازمـة لتزويد محطة وقود فى القمر لخدمة المركبات الفضائية ومحطات تقوية تلفزيونية ومراصد فضائية . ويقول التقرير ايضا ان الفـرن يمكن صنعه حاليا بادخال تعديلات طفيفة على احد انواع الافران الموجودة حاليا ويمكن ايضا ان يكون نقطة انطلاق لتطوير انواع جديدة من الافران اكثر تقدما من الانواع الحالية .

* اعلنت وزارة الاقتصاد الاردنية فى تقرير لها ان قسم المناجم فى الوزارة بالتعاون مـع الخبراء الجيولوجيين الالمان تمكن من العثور على خامات النحاس فى منطقة وادي ابوخشيبة وقالت مصادر الوزارة ان التقرير ذكـر ان كمية خامات النحاس فى المنطقة تقدر مبدئيا بحوالي ٢٢ مليون طن .

* صنعت احدى الشركات البريطانية كاميرا جديدة يقال انها قد تحدث انقلابا فى التقاط الصور الملونة للتلفزيون . وباستطاعة الكاميرا ان تلتقط الصور الملونة داخل فرن لصهـر الفولاذ حتى عندما يكون المعدن مذابا وعندما تصل حرارته الى اقصاها . ويمكـن ادارة الكاميرا وهي على بعد ١٠٠٠ قدم من الفرن.

* سجل مهندس اليكتروني اميركي فـي دائرة تسجيل الاختراعات جهاز راديو بـاث يستمد كهرباءه من الصوت البشري . وقـد صرح مخترع هذا الجهاز جورج بريان بان هذا الجهاز الترانزيستوري يحول طاقة الصـوت الى طاقة كهربائية لها من القوة ما يكفي لبث كلمات المتحدث . وقد استطاعت النمـاذج الاختبارية الاولى من البث الـى مسافة ٩٢ مترا ويعتقد المخترع انه بادخال تحسينـات جديدة على الجهاز سيصبح بامكانه زيـادة مدى البث الى مسافة تتراوح بين الكيلومتر ونصف والثلاثة كيلومترات .

* ذكر راديو موسكو ان تجربة ناجحـة اجريت على قطار سير بتوجيه الكتروني ودون سائق . وقال الراديو ان التجارب فـاقت كل ما كان متوقعا .

* اوصت المنظمة الدولية للطيران المدنـي باستخدام جهاز جديد لسلامة الطائـرات فى جميع مطارات العالم . والجهاز عبارة عـن قناديل خاصة القسم الاعلى منها احمر اللون والاسفل ابيض يساعد الطيارين على الاقتراب من المطار والهبوط بالطائرة عليه بشكل سليم مناسب . وهو اختراع بريطاني استخـدم لاول مرة فى مطار لاغواردیا بنيويورك قد وضع اربعة صفوف من القناديل المزدوجة الالوان على كل من جانبي المدرج . فاذا حاول الطيار الهبوط بطائرته من علو كبير فلن يشاهد الا الانوار الحمراء . واذا حاول الهبوط من علو منخفض فانه سيشاهد الانوار البيضاء فقط. اما اذا كان هبوطه صحيحا فانه سيشاهـد الانوار البيضاء والحمراء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* استطاعت شركة باي البريطانية في كمبردج صنع محطة صغيرة جديدة للارسال التلفزيوني تعتبر زهيدة الثمن ويمكن ان تفيد منها البلدان المحتاجة اذ لا يتجاوز ثمن المحطة ١٧ الف جنيه استرليني . وفي الامكان ادارة هذه المحطات بواسطة عدد ضيئل جدا من الموظفين والخبراء المسؤولين . ولا شك في ان هذه النماذج من المحطات الزهيدة الثمن ستثير اهتماما بها في اوساط التربية والتعليم لاستخدامها في هذا المجال . وهي معدة للتصدير ويمكن اعتبارها ارخص محطات صنعت

● قال البروفسور الكسندر ليتوف من اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ورئيس الرابطة الدولية للقيادة الاوتوماتيكية: ـ غزو العلماء السوفياتيين للفضاء يتم بمساعدة اجهزة القيادة الاوتوماتيكية . وهذه الاجهزة الالكترونية التي تبلغ سرعتها الحسابية مئات الوف العلامات في الثانية ترد حالا على ادنى ابتعاد عن العلمية المطلوبة . وعلم القيادة الاوتوماتيكية لا يستخدم اليوم في التعدين والانشاءات الميكانيكية والنقليات فقط بل وللاستعاضة عن دماغ الانسان في بعض الحالات. وقد صنعت في الاتحاد السوفياتي ماكنة تشخص ٩٦ مرضا . هي اضبط من الطبيب اذ انها تراعي العلائم الموضوعية وليس احساس الانسان الذاتي . وتجري الان اعمال هامة في ميدان اجهزة القيادة البيوكهربائية . وبفضل هذه الاجهزة سيتمكن الانسان من قيادة السيارات والحافرات وماكنات اخرى ، عن بعد . وانشئت اذرع بديلية ، من الكتف حتى اليد يمكنها ان تقوم بالحركات الضرورية بواسطة منظومة محركات كهربائية وحجارة مغناطيسية صغيرة . الذراع الصناعية تمسك بالطبشورة وتكتب على اللوح. يقود هذه الذراع جهاز في جيب السترة . هذا الجهاز يلتقط تيارات الذراع ، البيولوجية ويحولها الى شحنات عمل . كل ذلك يبرهن على ان ماكنات القيادة الاوتوماتيكية تقترب في بعض الحالات من امكانية الدماغ البشري .

● ينتج الان في الولايات المتحدة جهاز جديد يدعى السكرتيرة الايلكترونية . فعندما يترك جهاز تلفوني دون اشخاص بجانبه ، يرد الجهاز على جميع المكالمات ويسجل الرسائل ثم يعيد قراءتها عندما يحضر الشخص الذي يستعمل التلفون . ويستطيع الجهاز الرد على المكالمات لمدة ساعتين ويمكن استعماله لتسجيل طلبات البيع وحجز اماكن السفر بالطائرات او غيرها وتسجيل المكالمات المستعملة او اي نوع اخر من المكالمات .وهناك عدد من الاجهزة المثبتة في مكتب لتوزيع المواد الغذائية ، تستطيع الرد على ٤٠٠٠ مكالمة هاتفية في اليوم .

● شهد نحو ٥٠٠ زائر من بلدان ما وراء البحار العرض الذي جرى في لندن عندماقام ستة عمال فنيين وآلة رافعة متنقلة باقامة بناء يتسع لنحو ٨٠ شخصا في ساعة واحدة. وبعد ان جال النظارة في انحاء المبنى وفحصوه عاد العمال وهدموه في ساعة واحدة وعشر دقائق . وقد قامت بهذا العرض شركة تيرابين المحدودة ، وهي شركة تصنع المنازل الجاهزة لكي تعرض اسرع الطرق والوسائل المعروفة في اقامة المباني . وقد اشتملت اجزاء البناء على الارضية والجدران والسقف والتجهيزات الكهربائية والنوافذ الزجاجية والستائر وغيرها . وتوضع جميع هذه الاشياء في صناديق يسهل نقلها من مكان الى اخر . اما البناء فمصنوع من الاسمنت .

● تعتبر الاليكترومينيسانس ، وهي الاسم العلمي لتحويل الطاقة الكهربائية مباشرة الى نور ، احد التطورات الكبرى في الانارة منذ اختراع المصباح الكهربائي الفلوريسان . والمصباح الجديد هو عبارة عن لوحة رقيقة من السيراميك مطلية بطبقة من الفسفور المضيء . ويوضع على ظهر اللوحة طبقة من مادة خاصة تسمح للتيار الكهربائي بالمرور . وعندما يمر عبر هذه المادة تيار كهربائي متناوب (التيرنانيف) يشع الفسفور بنور خافت مريح . وتتقد اللوحة بنور اخضر لطيف ينير مساحة صغيرة ويستخدم المصباح الجديد في غرف منامة الاطفال والكبار على السواء وكذلك في الحمامات والممرات وغرف المستشفيات والاختراع الجديد من تطوير شركة سيلفانيا الاميركية للمنتجات الكهربائية .

● ستستخدم قريبا طرقا جديدة اكتشفتها صناعة الفولاذ الاميركية لانتاج فولاذ متعدد الالوان ولانتاج انواع اخرى تبدو للنظر واللمس وكانها نوع من انواع القماش هذا ما قالته مجلة « ستيلوايز » المجلة الرسمية لمعهد الفولاذ والحديد . وتتنبأ المجلة انه قد يكون من الصعب في المستقبل معرفة هذه الانواع من الفولاذ من النظرة او اللمسة الاولى بسبب الصفات التي تضيفها عليها طريقة الانتاج الجديدة .

● سيستخدم جهاز جديد يمكن المشاة من قطع الشوارع بامان في بريطانيا لمدة ١٢ شهرا في عام ١٩٦٢ على سبيل التجربة . ويعمل الجهاز بواسطة الضغط على زر فيه . وعلى المشاة الراغبين في قطع الشارع من ناحية الى اخرى ان يضغطوا على الزر في الجهاز، فتضاء لوحة على جانب الطريق تطلب من سائقي السيارات الانتظار ثم تظهر على اللوحة اشارة بشكل صليب ابيض اللون تعني ان المشاة باستطاعتهم قطع الشارع .

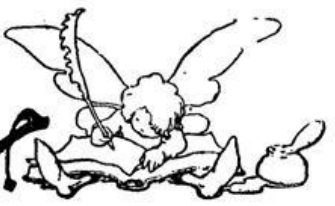
● تمكنت احدى الشركات الهندسية الاميركية من التوصل الى هدف كان العلم يسعى الى تحقيقه منذ زمن بعيد وهو صنع محرك للسيارة تتعادل قوته بالاحصنة البخارية مع وزنه بالارطال الانكليزية (اي الباوند) . هذا ما تقوله مجلة « ستيلوايز » المجلة الرسمية لمعهد الفولاذ والحديد الاميركي . وتقول المجلة ان شركة هندسية في كاليفورنيا قد صنعت محركا ذا اربع اسطوانات يبلغ وزنه ١٧٥ باوندا (اي ٧٩ كيلوغراما) يولد ١٧٥ حصانا من القوة . وقد امكن صنع مثل هذا المحرك بواسطة صنع القالب الرئيسي (البلوك) من صفائح رقيقة من الفولاذ غير القابل للصدأ .

● تمكن رجال الابحاث في المختبر الفيزيائي البريطاني من صنع حجارة الماس صغيرة بفعل الضغط الشديد والحرارة العالية . وكانت هذه النتيجة احدى النتائج الباهرة التي تم انجازها في مختلف فروع الابحاث الفيزيائية في المختبر وورد ذكرها في تقريره السنوي لعام ١٩٦٠ ، ويعلن التقرير كذلك البدء ببرنامجين جديدين للابحاث العلمية ، الاول يتعلق بتطوير الالات الحاسبة ذات السرعات الهائلة، والثاني يتعلق باعمال التصوير بالاشعة .

● ربما اصبح التحذير المسبق من الزلازل والهزات الارضية ممكنا بواسطة شبكة حديثة من اجهزة تسجيل الهزات الارضية توضع في جميع انحاء العالم من قبل هيئة المسح الساحلي والارضي الاميركية . وابتداء من اغسطس المقبل ستوضع اجهزة التسجيل هذه في ١٢٥ جامعة ومؤسسة علمية في القارات الست . ومن المتوقع ان تنتهي اعمال الشبكة في اواخر عام ١٩٦٢ . وستقدم هذه الشبكة معلومات لم تكن تتوفر سابقا عن طبيعة ومكان وذبذبة الهزات . وستحول جميع المعلومات الى اجهزة حاسبة في واشنطن حيث تصبح تحت تصرف علماء العالم .

● قامت مصلحة الرادار التابعة لوزارة الطيران المدني في بريطانيا بوضع جهاز جديد، هو الثاني من نوعه في العالم ، في مطار ديفورد من مقاطعة سترشاير يعرف باسم « راديو تليسكوب انترفيرومتر » اي الجهاز الذي يقوم بدراسة احوال الفضاء عن طريق قياس الامواج الصوتية الواردة من النجوم والشمس والقمر والكواكب السيارة او من الكواكب الصناعية او الطبيعية التي تدور حول الارض. وسيسهل اعمال بريطانيا في ابحاث الفضاء . وهو عبارة عن تليسكوبين جبارين يزن الواحد منهما ٢٥٠ طنا . ويمكن ان يوجها الى اي جزء من الفلك بسهولة كلية . وعرض السطوح العاكسة البيضاوية الشكل فيهما ٨٢ قدما . ويمكن ان تتبع هذه السطوح اية موجة راديوية عبر رحلتها في رحاب الفضاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

مسرحية ((جبهة الغيب)) لبشر فارس

يشق بشر فارس بمسرحيته ((جبهة الغيب)) افقا جديرا بالاهتمام والتحية من جانب مسرحنا العربي ، اذ تناول ماساة من اقدم مآسي الذهن البشري ، ولكنها مع قدمها تتجدد في كل عصر .. الانسان في فضوله ، في جوعه الى المعرفة ، وفي نضاله لاستطلاع المجهول ، وهو النضال الذي يستعر الان باسم محاولة غزو الفضاء ابتغاء ان يعلى الكائن الانساني ذاته ، وان يفرضها على الكون .

لعل اسطورة ((بروميثيوس)) اقدم ما انتهى الينا من قصص ادبية حول هذا المعنى ، ولعل ((جبهة الغيب)) احدث ما طالعته فيه .

واسطورة بروميثيوس معروفة في جملتها التي هدفها كما وردت في اساطير قدماء اليونان ، وكما عالجها ((اسكيلوسي)) اليوناني في احدى مسرحياته ، وكما جاءت بعد ذلك على اقلام شعراء وكتاب كثيرين .

(بروميثيوس) تجاوز السدود ، وسرق من السماء سر النار ، ليهديه الى البشر ، ليخطوا نحو التقدم والرفاهية ، فكان جزاؤه على جرأته وتمرده ، ان شدته الالهة الى صخرة ليلقى عذاب الشهداء من مناقير ((عقبان)) تنهش جسده .

وماذا في ((جبهة الغيب)) من هذا ؟

ان النار واسرارها ليست المعرفة التي يريد ان يسرقها من الغيب ويهديها الى الناس، بطل مسرحيتنا هذه، واسمه (فدا) .. انها شيء اخر

ان (فدا) يريد ان يعرف اسرار الخلود ، لانه بهذا يستكمل سيادته على نفسه .

جبل غامض .. ورجل متمرد !!

وتحكي المسرحية .. قصة جبل املس ضامر ، على راسه كهف منقور فيه عشب ، من اكل منه وهو في منبته حظي بالخلود وقهر الموت . وفي السفح تنبسط مساكن للناس .. يرمقون الجبل في خوف وخشوع !

فالجبل عندهم مثار قلق لا يهدأ ، ومكمن لغز يفري .

والجبل بما هو عليه ، البطل المستتر في المسرحية ، لانه ، على صمته، يولد احداث المسرحية ، ويحرك اشخاصها ، ويبعث فيهم شرارةالتفاعل بين ما يدور في ظاهر حياتهم ، وبين ما يسري في اعماقهم .

والناس امام هذا الجبل مستويات ، فمنهم من يقنع بالعيش في ظله مستسلما ، ومنهم من يفكر في هذا الكهف ، ثم يقف بفكره عند التمني.. ومنهم من يرى ان في الكشف عن هذا الكهف تجاوزا للحدود التي تفرضها التقاليد .

وبين هؤلاء الناس ايضا (فدا) البطل الظاهر للمسرحية ، وهو المتمرد على الاستسلام لما هو غامض ومجهول .. فهو يرى ان الكون مبذول للناس ، وليسوا مدفوعين اليه ليعبث بهم ويتحكم في امورهم .. ان القيود للعبيد ، والبشر ليسوا عبيدا .

(فدا) يريد ان يصعد الجبل لينتزع من كهفه سر الخلود ويبذله للناس ، ولكن الناس غير راضين .. فهم يحاولون ان يصدوه عن عزمه .. كما يحاول ان يصده عبثا حب يحمله للفتاة (زنيه)حسناء القرية

كذا تبدأ حوادث المسرحية .. نضال يجري ، وفي شكول مختلفة ، امام ارتياد مجهول ، وتخطي عتبة غيب ..

ويأخذ (فدا) في صعود الجبل ، والجمع حوله بين مشفق وزاجر ، ويعدهم الجريء المتمرد بانه سيلقي لهم كل يوم بحجر من اعلى الجبل ، ينبيء بسلامته .

وسرعان ما يجيء يوم لا يهبط فيه حجر من فوق .. فتجري حوادث بالقرية .

ولا ازيد في التفصيل حتى لا اسلب القصة مشوقاتها لدى القارىء ..

الاقدام قاتل

وتجيء النهاية .. وتجيء على الوجه الذي يحتمه احد نواميس الطبيعة ، وهو ان لكل حدث انعكاسا ، وفدية ، وضريبة .

هل الحياة تضيق بالمتطرفين والغلاة ؟

ان ذا الهمة والفطنة محسوب عليه فطنته وهمته ، وان من يريد التفوق واختراق السدود ـ ولو من اجل خير الجماعة ـ اذا لم يفلح فيما يحاوله ، فلن يلقى منهم غير الشماتة ، ليمضي بعد ذلك بين سخط ذوي الجهالة ، ورثاء اهل الرشاد !!

ولكننا لو استسلمنا بحيث نكف عن العمل ونقطع ما بيننا وبين الامل والطموح ، وقنعنا من العيش بالماكل والمشرب ، لما اختلفت حياتنا عن حياة البهم .. فالبهيمة تعيش ، ولكن الانسان (يحيا) ويوجد ، وهو سيد الكون بلا منازع ..

يقول (جبرييل مارسيل) احد ائمة المذهب الوجودي في مذكراته وقد رأى كلبا قابعا امام حانوت :

((هذا الكلب (يعيش) ولكن الانسان القائم الى جواره (يوجد) ويوجد معناه انه يصنع نفسه ويعلو بها وعليها.. وهذا هو معنى الوجود الانساني)) .

ومن هذا الطراز ، (فدا) بطل المسرحية ... لهذا يبدو لي ان مؤلف مسرحيتنا هذه ، دق با ب المذهب الوجودي ، من حيث يدري ولا يدري، وذلك باعتبار ان من جوهر هذا المذهب ، اعلاء الذات ، وصنعها ، وتوكيد وجودها قوة ذات فاعلية .

المعالجة .. وليس الموضوع

هذا هو المحور الرئيسي للمسرحية .. او بالاحرى العرض الموضوعي لها

على ان العرض الموضوعي لاية مسرحية ، لم يكن يوما موضع ثقل في تقييمها .. اهم منه المعالجة ، او العرض الذاتي في المسرحية يقوم اول ما يقوم ، على الصور التعبيرية التي يقدمها الكاتب ، ويضمنها اراءه واحاسيسه وانطباعاته .

ولكل كاتب مذهب في التصوير وله منواله ، بشرط ان يخضع للقانون لا مناص منه ، وهو ان تجيء هذه الصور بحيث لا تكون بذاتها ولذاتها ، بل تكمل الواحدة منها الاخرى حتى يتكامل القطاع الذي يريد الكاتب تقديمه من الحياة .

ومذهب (بشر فارس) ومنواله مقرران في بحث اجراه تمهيدا للمسرحية ، ان مذهبه رمزي صريح ، والرمز لا يعطى مباشرة ، بل هو يومىء ولا يفصح ، ويوحي ولا يفصل .. فالعبارات في اسلوبه دلالات لحركات نفسية تختلج بها اعماق النفس ومتاهاتها .

الا ان الايحاء والايماء، غير الغموض وكتم انفاس المعاني، والا استحال الرمز الى احاجي ومعميات .

الاغماض غير الغموض

وقارىء هذه المسرحية الرمزية قد يشكو عسرا في الماخذ .. انها لا تبذل كل ما فيها مسرفة متعجلة .

ومرجع ((الاغماض)) في مسرحيتنا ، ان صورها المتتابعة تجيء مثقلة بشحنات من المعاني ، تؤلف وشائج حول الصور ، وتنعقد في لحمتها

اشراقات ولمحات نفسية ووجدانية تلمس في تغلغل ما تختلج به النفس في مواقفها من الحب والارادة والدين .. هذه الوشائج المنمقة تطفى احيانا عـــلى الصور ..

من هنا ، فيما يلوح لي ، يأتي عسر الاستمتاع المباشر بصور هـذه المسرحية ، ولكنك اذا اخذت بالصبر اليقظ ، فان الامر يختلف .

الشعـــر المكتـــوم

وبشر فارس ، شاعر ، وفي مسرحيته قصائد ، لا اعرف لماذا وصفها (بالشعر المكتوم) ، وهو وصف يدفع القارىء الى ان يلتقط انفاسه وهو يطالعها ، خشية ان يصيبه شيء من كتم النفس !!

وقد اورد المؤلف هذه القصائد لتكون للغناء او العزف الموسيقي الذي قد تساوقه التشكيلات الراقصة ، ابتغاء الترفيه عن الجمهور الـذي قد يشاهد المسرحية فوق المسرح .

وهذه القصائد (المكتومة) من صميم الشعر الرمزي التاثري ،الفاظها دلالات لما هـو باطـن ..

وفي الشعر الذي لا يعطي الا بعد تمنع وتدلل يقول (الصابي) :

« احسن الشعر ما غمض معناه فلم يعطك الا بعد مماطلة » .

ويقول (سان بوف) : « ليس الشعر في ان تقول كل شيء ، وانمـا في ان تحلم النفس بكل شيء » .

ويبدو ان بشر فارس يحلم كثيرا ولا يأبه كثيرا بالواقع !!

ومن هنا انبسط للمؤلف اسلوب بياني فيالحوار ليسمالوفا فيمايرد على اقلام كتابنا المسرحيين .. وقد يراه البعض وعرا ، ولكنني اراه موجزا ومحكما .. ثم هو انيق . .حتى لاخشى ان اتهمه بالتانق ..

آراء ! !

وقد يرى بعض من قراء هذه المسرحية ، ممن لم يألفوا الادب الرمزي في نتاجه المسرحي ، ان الكاتب لم يمهد لشخصية بطل مسرحية (فـدا) التمهيد الذي يبرر ابعاده النفسية .. ان هذه الشخصية تنبثق دفعة واحدة وهي متمردة متبرمة .. ومن المعلوم ان لا شيء ينبثق تلقائيـا في تقويم شخوص المسرحية .. فمن هو هذا الرجل (فدا) ؟ وكيـف استوى على هذا النحو في بيئة من الجهلة والخانعين ، والانسان مهمـا سما فهو ابن بيئته !!

وقد يرى قارىء اخر ، ان السلبية تشمل جميع اشخاص المسرحية فيما عدا بطلها ، حتى لكانهم دمى لا تهتز الا بتاثير انعكاس صيحاته !!

وفي ظني ان بشر فارس اجاب على هذا وذاك ، حينما وصف « جبهة الغيب » بانها « احدوثة شرقية في خمس مراحل » كما اظن ان التزام الرمزية في التعبير والمنهج ، قد يجافي التفصيلية، والتحليلية والمنطقية، وكلها من اسس الواقعية .

ومهما يكن لهذه الاراء من وزن لدى اصحابها ، فان العنصر الاول الذي يشد هذه الاحدوثة الرمزية الى (الدراما) الحقة ، قائم على اتمه ، وهو النضال الذي يضطرم منذ البداية الى الخاتمة .

الا انه نضال معنوي يخلو من الحركة المادية ، شان اكثـر المسرحيات الذهنية ، لانه نضال يقوم بين اراء وانفعالات ، وليس نضالا مجسما بين حوادث واجسام ، ومثل هذا النضال يجري عادة في غير حلية ، مثـل اصطراع التيارات الموغلة في لجج البحار .

سـؤال وسـؤال

واخيرا يقوم تساؤل : وما نصيب هذا النوع الرمزي من اقبـال الجمهور ؟ وهل للمسرح ان يعني بهذا النوع ؟؟

والجواب على الشطر الاول : ان الاقبال على هذا النوع نسبي بقـدر ما عليه المسرح من نضج وتأصل في مفهومه لدى الجمهور . والجمهور في كل مكان ، مستويات ، وبينها من يقبل على هذا النوع ولا شك ، والا لما قامت له .. ان مسرحيات طاغور ، ومترلنـــك ، وابسن ، وبيرندللو وكلوديل ، ما زالت تمثل حتى اليوم في مختلفمسارح العالم .

هذا ومسرحية (جبهة الغيب) وان خلت من المشوقات العنيفة التـي تثير الجمهور ، فان لها حظا من الاثارة العاطفية التي تهز مشاعره . الا ان المرجع الاول في اقبال الجمهور على مثل هذه المسرحيات وتذوقها ، انما هو حدق المخرج ومهارة الممثلين الذين سيعملون لابراز مادة ادبية لها ابعاد عميقة ، ويكون واجبهم هو تقريب هذه الابعاد .

والجواب على الشطر الثاني : ان المسرح في مهمته ، ليس فقط لازجاء الوقت بتقديم مسرحيات لا تعالج الا ما يطفو على سطح الحياة .. ان المسرح في جوهره ، تعميق للحياة ، بهذا السر وحده نتدبر حياتنا ونحسن فهم انفسنا ، فما جاء من مسرحيات محققة لاعلاء هذا الجوهر ، انما هو الوجود والاهم والجدير بالرعاية (اخبار اليوم) .

القـاهرة **زكي طليمات**

●

((سومـر)) مهـد الانسانيـة

في الشرق تشكل اول مجتمع بشري عرفه التاريخ . هذا ما تشهد بـه اكتشافات « سومر » (العراق) الاخيرة ، وقد شغلت بها الصحافـة والاوساط العلمية الاوروبية ووضعت فيها المقالات والكتب (نخص بالذكر منها كتاب « سومر » لاندريه بارو ، مجلة « افرو ـ اسيا » في المانيـا الغربية) . ونقدم فيما يلي الى القراء تلخيصا لمطالعاتنا فيهذه الموضوع:

الى اوائل القرن الجاري لم يكن علم التاريخ يمتد في معارفه الى ابعد من اقاصي الحضارة الصينية العائدة الى ٣٠٠٠ سنة خلت . اما مـا قبل ذلك فظلمات اكتنفها الغيب ووقف التاريخ دونها صامتا حائرا . وكان العلم يتلفت الى مواطن الحضارات الاولى البائدة ، وهي مصر ومـا بين النهرين والصين ووادي الهندوس، ولم تكن الحضارة العصرية الاولى ترجع الى ما قبل ذلك . تلك عصور خلفت اهراما واثارا جبارة كـانت كلها ثمار حضارات انتهت الى ذروتها فاين مهدها ومستهلها ؟ متى جعل الانسان يبدل المادة اشكالا ؟ متى اجتاز المحنة التي خرجت به من طور « الانسي ـ الوحش » (هومينيد) الى طور الانسان ؟ ومتى تشكلت اولى مجموعة من القرى واخذت اولى الروادع الاجتماعية تتسلط على الحيوانية الفطرية ؟ ان ما تركه الانسي ـ الوحش في المغائر من هياكل عظمية وخطوط تصاوير انما ينضوي الى معجم الاشارات وعالم الرموز، لا عالم الزمن الذي تلفظت فيه الشفاه بالكلمات الاولى واهوت فيه اليد باول اداة طارت منها الشرارة الالهية التي ابدعت « الذات الثانية » .

مما لا شك فيه ان معجزة « الكلمة » بلغت من العالم عهدئذ اشد مما بلغت منه في عصرنا معجزة الذرة . ولا شك ان حدثا من هذا الوزن قد ترك اثارا لا بد من الوقوع عليها . ولقد نشط علماء الاثار في ذلك منـذ اوائل قرننا هذا حتى اكتشفوا اخيرا ان تاريخ الانسانية بدأ في «سومر» (العراق) منذ ٥٠٠٠ سنة . ففي سومر كشف رفش العلم تراب العصور عن مهد الانسانية واول مجتمع بشري عرفه التاريخ .

اول من اشار الى سومر ، بمجرد الحدس العلمي ، هو ج. ماسبيرو في كتابه « تاريخ الشعوب الشرقية » في مطلع القرن العشرين . وفي عام ١٩٤٨ انطلق اليها البحاثة الاميركيون بما يؤثر عنهم من نزوعهم الـى جريء المغامرات . وما زالت الرحلات العلمية تنقب في مـناطق اوروك ولقش وكيش وامه ونيبور واور ، وتستخرج الشواهد والوثائق حتـى اجتمع لها منها ما يقيم الدليل على حقيقة الحضارة السومرية (التي ولدت فيما بعد حضارات بابل واشور) وما يخبر عن اول نظام سياسي واجتماعي على الاطلاق . ولمس العلماء هذا « البدء » لمس اليد . بـدء الحياة الاجتماعية والزراعة والدولة والكتابة واللغة . ووجدوا لتلـك اللغة مقاطع من الشعر الرفيع وضعها السومريون بالفي سـنة قبل ان يدون العبرانيون التوراة. ومن الطريف فيالامر ان معظم المآسيوالاحداث الوارد خبرها في التوراة مستمد من الادب السومري ، فقصة الطوفان وغيرها منقصص الاسفار وجدت في كتابات غفلمن التوقيع فيآثار اروك.

لم يكن السومريون م نأصل سامي . وقد اطلق العلماء اسم « عهد

اوروك » على الحقبة التي دخل فيها السومريون التاريخ ، في جنوبي ما بين النهرين . وكان انه اوروك « رب الآلهة وملك السماء والارض » ، وهو جد »بعل وزفس وجوبيتير « فيما بعد . وداهت تلك الحقبة ٨٠٠ سنة حتى قضى عليها « الاكاديون » الساميون بقيادة سرجون . ولكن السومريون استعادوا شانهم في عهد سلالات اور الثالثة . ثم دهمتهم برابرة « الغوط » الذين اغاروا من الغرب على بلاد ما بين النهرين فازهقوا أول « خلية » انسانية نفذت من طباق انحلكات وحوائل المادة الغظة . ولكن روح سومر بسطت سلطانها على بؤر الثقافات البابلية والاشورية والحثية التي تطورت بعدها ، وبقيت اللغة السومرية لغة العلم والاحتفالات الدينية الشائعة ، شان اللاتينية في الغرب بعد زوال الحكم الروماني .

ما هي وجوه الشبه بين عالمنا اليوم وعالم السومريين ؟

« في البدء » كان الرجل والمراة ، شانهما اليوم . وكان يرمز الى ارتباطهما بخاتم من ذهب ، ويعقد قرانهما في حفلة زواج مقدس تشرف عليه آلهة الخصب والنماء . وكانت الحياة الزوجية بمثابة مذبح يدخله الزوجان لا مخيرين عن « حب » بل يسيرهما اليهسلطان الدين ويقربهما عليه . كانوا يتفنون بالجمال والابداع وفي راس كل سنة يتزوج السلطان من احدى كاهنات « اينانا » ربة الخصب. وقد ترجم البروفسور كرامر بعض قصائدهم الرائعة في الحب . وقد عرفوا النظام البرلماني وخاضوا حروب أعصاب وحروباً دامية . وكانت حفلات الزرع والغرس والحصاد الدينية تقام في اشد اوقات السنة ملاءمة لها . وفي « عهد اوروك » انتجوا البيرة واستعملوها لتخفيف اوجاع المرضى وللتخدير فيالعمليات الجراحية . وقد وجد البحاثة كتبا لهم في علم الطب (على لوحات من الطين) مسهبة الشرح في خصائص نباتات يعتمد الطب عليها اليوم الى حد بعيد . وعرفوا الكيمياء وتحضير الادوية . ورمزوا الى الشر بقتل التنين المهود. واحتل كتابهم وعلماؤهم واساتذة مدارسهمالمكانة الاولى في مجتمعهم . واحكموا نظم الامن . وابدعوافي النحت والرسم بالطباشير الملونة وبالاصباغ المركبة . وبرعوا في تحضير مواد التجميلواستعمالها. وضربوا في فنون من الادب . وامثالهم وحكمهم ذات قيمة ادبية رفيعة . وكانت حياتهم سلسلة متواصلة من الصراع بين قوات الخيروقوات الشر .

وهذه ، على سبيل المثال ، ترجمة لوحة وجدت في « لقش » (واسمها اليوم تلو) ويعود عهدها الى ٢٥٠٠ سنة قبل المسيح : « فليسبح الانسان بعظمة ربه ابداً ، فالانسان ولد من كلمة الله ، فقدسوه » . (اضواء)

بـــاريس — اليـــاس خياطة

•

حديث مع الشاعر الياس الفاضل

س ــ المعروف عنك انك ثائر على الشعر الحديث ما هي الاسباب،ورايك؟

ج ــ انا مع الشعر الحديث ، لاني مع التجديد ومع كل محاولة واعية تستهدف تطوير شعرنا شكلا ومضمونا ، شرط ان يكون هذا التجديد ، وهذه المحاولة مستمدة من واقع حياتنا ، وترمي الى اغناء ادبنا بالتعبير الصادق عن تجربة انسان مجتمعنا ..

ومن هنا تعلم اني لست ثائرا على الشعر الحديث ، وانما ثائر على الذين يتلطون وراء الشعر الحديث ، وهم في الحقيقة يتسكعون على دروب شعراء الغرب يقلدونهم في كل شيء ، في لباسهم في تجاربهم ثم يتبنون نظرتهم الى الحياة والكون والفن ، معتقدين انهم بهذا التقليد يصبحون شعراء عالميين . وقد فات هؤلاء ان الشاعر هو ابن بيئته .. ابن مجتمعه ، ومن لا يكون ابن بيئته ، ابن قضايا مجتمعه الانسانية النافذ عبرها الى القضايا الانسانية الدائمة ، فان هذا ، غير مؤهل في اعتقادي لان يخلق الادب الذي نستطيع ان نطل به على العالم ..

ان الشذوذ غير الابداع ، والغرابة المتاتية عنه ليست جدة وابتكارا ، وتقمص انسان الغرب او الشرق لا يخلق لنا الادب القومي الانساني .

وعلى الذين يريدون ان يجددوا .. ان يفيدوا ادبهم وفنهم ، عليهم ان يكونوا قبل كل شيء ابناء بيئتهم الطبيعية ، ابناء مجتمعهم وعند ذاكاذا صرخوا «يا رب يا رب» يدخلون ملكوت السماوات والشعر ..

س ــ كيف تنظر الى دور الشاعر في المجتمع ؟

ج ــ الادب تعبير عن الحياة . وترجمة للشعور الانساني والانطلاق الروحي ضمن نظرة شاملة جميع نواحي الوجود والكون والفن .. والاديب الاديب هو الذي يحيا تجارب شعبه بصدق، ويحس آماله والامه احساسا يتمكن معه ان يشق الطريق الى القيم والمثل العليا .

والنتاج الادبي ، ليس لعبة جامدة .. او دمية متحركة .. انه فعل حي فاعل .. ولذا يقاس النتاج الادبي ويفضل بمقدار ما يكون هذا النتاج معرفة ووعيا ، وبمقدار ما تفتح هذه المعرفة وهذا الوعي من آفاق

ومن هنا ارى ان الشاعر ينبوع يتفجر عطاء خيرا جميلا ، وليس وعاء يفرغ ما يعبأ به . وبقدر ما يكون الشاعر ينبوعا ، بقدر ما يكون له الدور الفعال في قيادة مجتمعه نحو الافضل والاجمل ..

س ــ تقصد ان على الشاعر ان يكون غنيا ، فهل الغموض شرط لغنى القصيدة ؟!

ج ــ حذار .. ان غنى الشعر ليس في الغموض والرؤيا السلبية والرفض . انما غناه في البساطة والعمق والتجربة الحية ..

س ــ يعني ؟

ج ــ يعني ان الحياةفي سيرها لا تبقي الا على الافضل..في الصراع الابدي بين الخير والشر .. بين القبح والجمال .. بين الباطل والحق..ينتصر ابدا الخير والجمال والحق ويندحر الشر والقبح والعدمية ..

س ــ هل لك موقف معين من التراث ؟

ج ــ انا لست ضد التراث ولكني لا احاول ان اكون امتدادا له .. ان تراثنا القديم هو نحن في جميع العصور التاريخية المنصرمة ، وشعرنا الحالي هو نحن في هذا العصر ، وتراثنا بعد الف عام اذا كتب له البقاء.

س ــ ما رايك بسعيد عقل ؟

ج ــ سعيد عقل كوكب متالق في سماء ملأى بالنجوم الصغيرة .

س ــ ونزار قباني ؟ ج ــ بائع نوفوته ناجح جدا .

س ــ وماذا عن القصيدة النثرية ؟

ج ــ الحقيقة اني لم افهم حتى الان ما هي القصيدة النثرية ، ولماذا كلهذه الضجةحولها..وما هو الدافعوراء ايجاد ما سميبالقصيدةالنثرية

فاذا كان الغرض هو التجديد فلا اعتقد انهم قد اصابوا المرمى .. ذلك لان ادبنا قد عرف الشعر المنثور او الشعر الطلق كما اسماه البير اديب، وهذا اللون قد حافظ على كلالخصائص الشعرية ما عدا التفعيلة والقافية وقد كان له اثره البين في تطوير المناهج والقواعد الكلاسيكية حينما فتح امام شعراء الوزن والقافية مجال التفكير بالتخلي عن هذه القواعد والمناهج والاتيان بالشعر الحر ، كما عند نازك الملائكة وفدوى طوقان والبياتي والسياب ونزار قباني وخليل حاوي وغيرهم .

كما كان له اثره البين ايضا حينما اوجد رواد هذا الشعر الطلق كالبير اديب ومحمد الماغوط وسليمان عواد وغيرهم القصيدة الحديثة التي تتوفر فيها الوحدة الفنية ، والكثافة والفكرة الجديدة المبتكرة .

اما اذا كان الغرض ، هو الرغبة في ابتكار شكل جديد لم يسبقهم اليه احد فاعتقد ايضا انهم لم يكونوا مبتكرين لهذا الشكل وهم انفسهم يعترفون انهم استمدوا اصول « القصيدة النثرية » من الغرب.بالاضافة الى ان مكتباتنا قد عرفت قبلهم مجموعتين من القصائد النثرية صدرتا عام ١٩٥٤ و ١٩٥٥ كما حددها الداعون اليها والمدعون ابتكارها

ان القصيدة النثرية في شكلها الحالي بدعة تسيء في رأيي الى الحركة الواعية العاملة على تطوير شعرنا تطويرا يتفق مع روحنا وروح العصر.. وهي ايضا في شكلها الحالي لا تفسح المجال امام احد ليميز بين كاتب الاخبار المحلية في اية جريدة يومية وبين الشاعر . (لسان الحال)



يونيـو ١٩٦١

١٩ ـ الغي الاتفاق المعقود سنة ١٨٩٩ بين بريطانيا والكويت. اكدت بريطانيا ان الكويت دولة مستقلة وحرة .

ـ بدأ زعماء لاوس الثلاثة في زوريخ مؤتمرهم لمحاولة تشكيل حكومة اتحاد وطني .

ـ اجرى ايكيدا رئيس الوزارة اليابانية محادثات هامة مع كنيدي في واشنطن .

٢٠ ـ اعربت حكومة الجزائر عن املها بان تستانف المفاوضات السلمية في ايفيان في الاسبوع المقبل . في الجزائر تتسع الغارات الفدائية والهجمات الوطنية .

ـ وصل باريس هنريخ لوبكه رئيس جمهورية المانيا الاتحادية في زيارة رسمية لفرنسا هي الاولى لرئيس دولة الماني منذ الحرب السبعينية .

ـ اعلنت اميركا في جنيف استعدادها لسحب مستشاريها العسكريين من لاوس وعددهم ٦٠٠ شريطة ان تنسحب القوات الاجنبية الاخرى .

ـ اعلنت حكومتا ليوبولدفيل وستانلي فيل توقيع اتفاق بدعوة البرلمان الكونغوي للانعقاد في ٢٥ الشهر الجاري في جامعة لوفانيوم قرب ليوبولدفيل .

٢١ ـ اعلن خروشوف ان روسيا ستوقع معاهدة صلح مع المانيا الشرقية في نهاية العام الحالي . وقال انه في اللحظة التي تستانف فيها اميركا التجارب النووية ستفعل روسيا ذلك ايضا .

ـ اعلن زعماء لاوس الثلاثة في محادثات جنيف انهم توصلوا الى اتفاق على دمج القوات اللاوسية المتحاربة وعلى سائر النقاط ما عدا مسالة تشكيل حكومة الاتحاد الوطني التي تم الاتفاق عليها .

ـ افرج عن تشومبي و١٨ عضوا من مرافقيه الى مؤتمر كوكيلهاتفيل كانت سلطات الكونغو قد اعتقلتهم .

٢٢ ـ طلبت الكويت الانضمام الى الجامعة العربية .

ـ جرت محاولة هجوم اسرائيلي على الدرداره صدتها القوات السورية .

ـ صرح موبوتو ان جيش كاتانغا سيوضع تحت قيادته وان ضباط الحكومة المركزية وكاتانغا سيتدربون وفقا لاتفاق وقعه مع تشومبي . وقال تشومبي انه اتفق مع موبوتو على تشكيل جبهة ضد الشيوعية .

ـ قال رسك وزير خارجية اميركا ان موقف خروشوف من قضية برلين احدث نكسة لقضية السلام. واكد ان الغرب سيصمد في برلين

٢٣ ـ صرح الامير سوفانا فونغ زعيم منظمة باتيت لاو الشيوعية ان مؤتمر امراء لاوس الثلاثة قد نجح واكد انه لن يقبل بغير سوفانا فوما المحايد رئيسا للوزارة .

ـ انتهت زيارة موديبو كيتا رئيس جمهورية مالي ليوغسلافيا . صدر بلاغ مشترك يدعو الى بذل الجهود للقضاء على السيطرة الاستعمارية

٢٤ ـ اختتم المجلس الاقتصادي العربي في دمشق الاجتماعات التكميلية لدورته السابعة التي كان قد بداها في بغداد في ابريل الماضي . وسيحال جدول الاعمال بكامله الى مجلس الجامعة العربية ليبحثه في اجتماعه المقبل بالدار البيضاء .

ـ اجرى راسك محادثات مع الدبلوماسيين الغربيين في واشنطن حول مشكلتي نزع السلاح والمانيا .

ـ اتهم كاسترو « لجنة الجرارات لاجل الحرية » بالتشويش على الثورة. اللجنة تعلن حل نفسها لرفض كاسترو المشروع الخاص بمبادلة الجرارات بالاسرى .

ـ قال الحاج احمد بللو رئيس وزراء نيجريا الشمالية انه سيبحث مع رؤساء الدول الاسلامية في انشاء اتحاد كونفدرالي بين الدول الاسلامية .

٢٥ ـ اعلن اللواء قاسم ان الكويت جزء لا يتجزأ من العراق وان العراق سيرسل مذكرات حول موقف العراق من الكويت الى الدول العربية ودول العالم .

٢٦ ـ رفضت الكويت مطالب اللواء قاسم في بيان رسمي واعلنت حالة الطوارىء بينما وجه العراق مذكرات رسمية الى الدبلوماسيين في بغداد بشأن مطالبة العراق بالكويت .

ـ احبطت محاولتان لقلب الحكم في فنزويلا ولكن القتال مستمر في بعض جيوب الانقلاب

ـ رفضت الصين الشعبية في جنيف الاقتراح الاميركي الفرنسي بجياد لاوس وسلطات لجنة المراقبة الدولية التي ستشرف على السلام هناك

ـ صرح ايليو رئيس وزراء ليوبولدفيل انه وقع مع تشومبي رئيس كاتانغا اتفاقا على توحيد البلاد .

٢٧ ـ اعلن ماكميلان ان بريطانيا لن تبيع حرية برلين ولن تتخلى عن التزاماتها او تنصاع للضغط السوفياتي، وان كانت مستعدة للمفاوضة

ـ اعلنت اميركا انها تعتبر الكويت قطرا مستقلا وان لم يكن بينهما تبادل دبلوماسي .

ـ بدأت الخطوات التمهيدية لاستئناف مفاوضات الصلح الجزائرية الفرنسية في ايفيان

٢٨ ـ استقال بهجت التلهوني رئيس الوزارة الاردنية ثم شكل الوزارة الجديدة بتكليف من الملك حسين .

ـ اعلن كنيدي ان روسيا هي المسؤولة عن اي تعكير للسلم بسبب برلين. وقال خروشوف ان عزم روسيا على عقد معاهدة صلح مع المانيا الشرقية وحل قضية برلين لن يتاثر بالتهديد الغربي .

ـ اكد ديغول موقف فرنسا الداعي الى تقسيم الجزائر اذا رفض الجزائريون الموافقة على حل سلمي للنزاع المزمن .

ـ تراجع تشومبي عن اتفاقيته مع ليوبولدفيل بعودة كاتانغا الى حظيرة الكونغو وتوحيد جيشهما . اعلن ان كاتانغا ستبقى مستقلة .

٢٩ ـ اعلنت تركيا اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم فيها .

ـ ردا على تصريحات اللواء قاسم اذاعت الكويت انها مستقلة ولم تكن خاضعة في يوم ما للحكم العثماني . واعلن الشيخ عبد الله السالم الصباح ان الكويت ستدافع عن استقلالها

ـ وضع كنيدي مشروع قانون لانشاء «وكالة نزع السلاح الاميركية للسلام العالمي والامن »

ـ اعلن تشومبي ان كاتانغا لن تشترك بدورة البرلمان قبل ان يعقد زعماء الكونغو مؤتمر ذروة

٣٠ ـ قدمت الكويت طلبا للانضمام الى الامم المتحدة . دخلت قضية الكويت ميدان السياسة الدولية . اذاعت بريطانيا انها اتخذت اجراءات عسكرية محذرة من احتمال هجوم عراقي على الكويت .

ـ اعلنت فيتنام الجنوبية تصفية الثوار الشيوعيين .

ـ سالازار رئيس البرتغال يحمل على اميركا لموقفها من المستعمرات البرتغالية . نهرو يقترح ان تفرض الامم المتحدة عقوبات اقتصادية على البرتغال بسبب الوضع السائد في مستعمرة انغولا .

يوليـو ١٩٦١

١ ـ انزلت قوات بريطانية الى الكويت ودخلت كذلك قوات سعودية الى الاراضي الكويتية اجابة لطلب حاكم الكويت . اعلنت بغداد رسميا انها لم تحشد قواتها في اية منطقة حدود ونفت انباء حشد قوات عراقية على حدود الكويت . طلب الكويت اجتماع مجلس الامن « للبحث بالتهديد العراقي لاستقلال الكويت » .

٢ ـ قابل حسونة امين الجامعة العربية اللواء قاسم في بغداد لبحث ازمة الكويت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ عقد مجلس الامن جلسة للنظر في شكوى الكويت وشكوى بريطانيا من « تهديد العراق لاستقلال ارض الكويت » وشكوى العراق من « تهديد بريطانيا لاستقلال العراق وامنه » .

٣ ـ يستمر نزول القوات البريطانية الى الكويت وانتشرت على جبهة طويلة بين الساحل الكويتي والحدود العراقية . اعلن العراق ان نزول القوات البريطانية يهدد سلامة العراق والبلاد العربية .

ـ على اثر المظاهرات التي قامت في الجزائر تلبية لطلب جبهة التحرير الوطني للمطالبة باستئناف محادثات السلام في ايفيان والاحتجاج على فكرة التقسيم سقط اكثر من ١٨ قتيلا و ١٥٠ جريحا .

ـ استقال الجنرال دو يونغ تشانغ الذي استولى على السلطة في كوريا الجنوبية وعين وزير الدفاع سونغ يوشان رئيسا للوزارة .

٤ ـ عرض نهرو وساطته لحل النزاع العراقي الكويتي .

ـ وصل بيروت الحاج احمد بللو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية قادما من طهران وكراتشي .

ـ وصل عبد الخالق حسونة الكويت لاجراء محادثات مع المسؤولين .

٥ ـ اصدرت الجمهورية العربية بيانا بطلب جلاء الانكليز عن الكويت .

ـ اضرب الجزائريون اضرابا عاما شاملا استجابة لتعليمات حكومة الجزائر المؤقتة احتجاجا على فكرة التقسيم وقامت مظاهرات وحدثت اشتباكات فقتل اكثر من ٨٠ وجرح ٢٧٠

ـ وصل حسونة الى الرياض لمتابعة مسعاه في قضية الكويت .

ـ اطلقت اسرائيل صاروخا مداه ٨٠ كم. قالت انه من النوع المستخدم في الابحاث العلمية

ـ وافق مجلس الامن على الاستماع لوفد الكويت .

٦ ـ اعلن البابا يوحنا ان انباء اعمال القتل التي وقعت في الجزائر سببت له حزنا عظيما وقلقا شديدا .

ـ تم توقيع الاتفاق الاقتصادي بين القاهرة وبون وينص على ان تقدم حكومة المانيا الغربية للجمهورية العربية قرضا مقداره بليون و ٥٠ مليون مارك (١٠٥ ملايين جنيه) .

ـ استقبلت ملكة بريطانيا في قصر بكنجهام الشيخ احمد بن علي بن عبد الله الثاني حاكم قطر

ـ هاجم خروشوف نظام الحكم في ايران وقال اصبحت ايران في حالة غليان .

ـ قدمت بريطانيا الى مجلس الامن مشروع قرار يدعو جميع الدول الى احترام استقلال الكويت ووحدتها الاقليمية والترحيب بأية خطوات انشائية قد تتخذها الجامعة العربية على اساس هذا المشروع . وابقاء الوضع قيد النظر في مجلس الامن .

٧ ـ استخدم الاتحاد السوفياتي حق الفيتو ضد المشروع البريطاني في مجلس الامن ورفض المجلس مشروع قرار الجمهورية العربية الذي يدعو لانسحاب القوات البريطانية فورا من الكويت

ـ اعلن قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط ان القوات البريطانية في الكويت ستحتصر الى حد يكفي مع الجيش الكويتي للدفاع عن الكويت فقط .

ـ وجهت الكويت نداء الى العراق لوضع حد للازمة بسحب مطالبتها بالكويت . عاد اللواء قاسم فاكد مطالبته بالكويت دون اللجوء الى القوة .

ـ صدر بلاغ مغربي جزائري عن المحادثات التي جرت في الرباط بشان القضية الجزائرية ومستقبل الصحراء الكبرى واتحاد المغرب العربي

ـ انتخب ادن عبد الله عثمان رئيسا للجمهورية الصومالية .

٨ ـ اعلن خروشوف ان الاتحاد السوفياتي اوقف التخفيضات التي كان مقررا اجراؤها في قواته المسلحة نظرا للاوضاع العالمية .

ـ عقد كنيدي سلسلة اجتماعات مع خبرائه حول قضية برلين والمانيا .

ـ سلم العراق الى حكومة الجزائر المؤقتة مليون دينار كدفعة اولى من المعونة المخصصة للجزائر في العام الحالي. بلغت تبرعات العراق للجزائر منذ ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ اكثر من ٨ ملايين دينار .

١٠ ـ نفى وزير النفط العراقي عزم العراق على تأميم شركات النفط او ابدال الفنيين الغربيين العاملين فيها .

ـ ايدت كثرة الناخبين الاتراك الدستور الجديد في استفتاء عام جرى امس .

ـ قامت مظاهرات في تونس تطالب بجلاء الفرنسيين عن قاعدة بنزرت البحرية .

دفعت بريطانيا مليون جنيه الى الاردن وهي الدفعة الثانية من المساعدة البالغة مليوني جنيه

ـ امريكا تعيد النظر في اجهزة دفاعها ردا على زيادة اعتمادات الدفاع السوفياتية .

ـ اتفاق حكومتي ليوبولدفيل وستانلي فيل على تشكيل حكومة اتحاد وطني وترك المجال مفتوحا لاشتراك اقليم كاتانغا .

ـ رفض الاتحاد السوفياتي اقتراحا بريطانيا لازالة الجمود عن مؤتمر لاوس في جنيف

١١ ـ اصدر المجلس الاعلى للقوات المسلحة السودانية امرا باعتقال ١٢ شخصا من اقطاب الاحزاب ورجال العهد السابق في السودان وقد تم ترحيلهم الى مديرية جوبا .

ـ وصل لندن رائد الفضاء السوفياتي غاغارين واستقبل استقبالا شعبيا ورسميا حافلا ودعته الملكة الى حفلة غداء .

ـ استقبل عبد الناصر رئيس وزراء نيجيريا الشمالية احمد بللو الذي يزور الجمهورية العربية

ـ وصل المارشال محمد ايوب خان الى وشنطن في زيارة رسمية .

ـ صدر في باريس حكم الاعدام غيابيا على الجنرالات سالان وجوهو وغاردي و ٥ ضباط اخرين من زعماء حركة التمرد العسكري في الجزائر في ابريل الماضي .

ـ اجتمع خروشوف بنكروما الذي يزور الاتحاد السوفياتي .

ـ وقعت معاهدة دفاع مشترك بين الصين الشعبية وكوريا الشمالية .

ـ قال خروشوف : سنقاوم بالقوة القرارات الدولية الموجهة ضدنا .

ـ اعلن نائب وزير الدفاع الاميركي انه من المحتمل تعبئة الحرس الوطني والوحدات الاحتياطية لمواجهة التهديد الروسي الجديد في قضية برلين وغيرها .

١٢ ـ انعقد مجلس الجامعة العربية في القاهرة لبحث موضوع انضمام الكويت للجامعة قدمت حكومة الكويت مذكرة تتضمن شرطين لكي تطلب سحب القوات البريطانية من اراضيها: ان يسحب اللواء قاسم تصريحاته بان الكويت جزء من العراق . او ان تقدم الدول العربية ضمانات وافية لحماية استقلال الكويت وان ترسل قوات عربية الى الكويت لتحل محل القوات البريطانية .

ـ وصل اديناور الى برلين الغربية واعلن ان حق الدول الغربية بالبقاء في المدينة لا يزال دون اي تغيير .

ـ شكلت بعثة عن القيادة البحرية الاميركية والاسطول السادس لدراسة اقامة ميناء جديد في « اسدود » باسرائيل .

ـ ابلغت المانيا الغربية الاتحاد السوفياتي ان عقد معاهدة الصلح مع المانيا يجب ان يسبقه تشكيل حكومة المانية شرعية واحدة ينتخبها الشعب الالماني كله .

١٣ ـ ارجأ مجلس الجامعة العربية اجتماعه اسبوعا ليتسنى للمندوبين الرجوع الى حكوماتهم

ـ على اثر زيارة وزير خارجية يوغسلافيا لموسكو صدر بلاغ اعلن فيه الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا تشابه مواقفهما من القضايا الدولية

ـ اعلنت غواتيمالا الاحكام العرفية في البلاد لمدة شهر بعد اكتشاف مؤامرة ثورية .

ـ فشل انعقاد برلمان الكونغو للمرة الرابعة

ـ افرج اللواء قاسم عن عدد من زعماء العهد الماضي في العراق بينهم الجمالي وبابان وباش اعيان وكنه والسويدي وابراهيم حسن كما افرج عن رشيد عالي الكيلاني .

١٤ ـ اعلن ابورقيبة ان معركة الجلاء عن بنزرت دخلت مرحلتها الحاسمة وان الشعب التونسي لم يعد يطيق بقاء قوات اجنبية في اراضيه.

مطبعة الغريب شارع هوفلين ـ بيروت ـ ت: ٢٤٦١٨٥

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حاجتنا الى تطور تربوي

بقلم نسيم نصر

*

حاجتنا الى تطور تربوي عنوان يستطيع الباحث فيه ان يؤلف عليه كتبا او ان يجزىء هذه الحاجة الكبرى الى حاجات كثيرة تتفاوت كما وتتفاوق نوعا . وها نحن فى هذه الكلمة ، نتناول من هذه الحاجة الجامعة جانبا هاما نسميه: « اثر البيئة فى نظام التعليم » .

لكي نتكلم على هذا الاثر علينا ان نستضيء ببزوغ الاسلوب العلمي ، الذي اعتبر وجوده عنصرا عميق الاثر فى تطور الفكر . ذلك لان النهج العلمي يعتمد على الفكر المدعوم بالاختبار الحسي لاثبات الحقائق اكثر من اعتماده على المعارف والاراء المتناقلة الموروثة ، التي لم يسبق ان اقرها اختبار او ايدها برهان. وبالتحول عن اعتبار التفكير محاولة نظرية فى التنظيم الى اعتباره فعل اكتشاف وخلق حدث ما حدث من تبديل فى طاقات الانسان واستعداداته سعيا وراء تأمين عيش انعم وحياة افضل . ومن هنا اصبحت التربية عملية فلسفة . فاين نحن فى واقعنا التنشيئي من هذا الاعتبار الفلسفي الحديث ؟

لعل تيسير الالمامة بما نحن فى صدد الكلام عليه يقتضي ، فى هذا المجال ان نعرف الفلسفة فى مفهوم علماء التربية . انها نقد علمي للقيم والمثل السائدة وتعديلها على ضوء الاختبار والعلم . وبما ان العوامل الطبيعية لا بد لها من ان تسهم فى التأثير على الناشئة مشاركة العوامل الاجتماعية والاقتصادية ، فى طريق التثقيف والتعليم ، فاذن لا بد لنا ايضا من ان نقدر قيمة اية فلسفة تربوية ندخلها علينا بالقدر الذي تتركه من الاثر الفاعل فى سبيل الاحسن والافضل والانفع . لذلك على كل مسؤول ممن يحملون اعباء التربية فى البيت او المدرسة او المجتمع ، ان يدرك ان مبادىء التربية وقواعدها لا تصلح ان توضع موضع العمل بها ، ان كانت مستوردة فى بطون الكتب او منقولة على شفاه المحاضرين والمتعلمين ، ما لم تخضع لفعل المؤثرات والعوامل البيئية . فرب مدرسة يرونها نموذجية فى الغرب ، لا يجوز ان تفرض كذلك فى الشرق ، بل ربما دعت الحاجة الى شيء من التعديل بالنسبة الى البيئة فى متباعد اجزائها ، او متنوع المناخ فيها او اسباب الحياة عليها . والاعتبار الفلسفي التربوي الحديث ، الذي نوهنا باعتماده الاسلوب العلمي وسيلة للتطبيق ، هو نفسه يفرض على المعلم الاختبار الموضعي الى جانب الاختبار المنقول والقواعد المدروسة . وبما اننا ، فى مجتمعاتنا العربية كلها ، ما زلنا نحيا مراحل انتقالية تكثر فيها الازمات النفسية والاجتماعية والسياسية احيانا وجب ان يكون الاختبار المحلي يشغل جانبا كبيرا من النحو الذي نسميه : « التربية الوطنية » .

فى التربية الوطنية يجب ان نعتمد عملية التربية تكييفا بين المتعلم وبيئته . وعلى هذا الاساس تصبح وظيفة المعلم ارشاد تلميذه الى تكييف نفسه وفقا لبيئته . ولكننا كثيرا ما نخطىء فى استعمال هذه الوظيفة التكييفية ، اذ نجمع ما بين اعتمادها فى بيئة تساعد على تفتح القابليات وتعين المعلم على حسن الاعداد للحياة الراقية وبين اعتمادها فى بيئة اخرى متأخرة محرومة من الوسائل التقدمية او معزولة عن المرافق الاجتماعية .

وهكذا يجد المعلم نفسه فى الوسط المتخلف عن ركب الحياة الحديثة ، مضطرا لان يحدث فى تلميذه طاقة لم تكن له من قبل ، ويجهزه باستعدادات لم تتهيأ له فى ما مضى . ولكن الذي يجري عندنا غالبا ، قائم على تقدير خاطىء يجب أن نعني باصلاحه عناية فائقة . وهذا التقدير الخاطىء يقع لنا فنقع فى سوء عاقبته عندما نكلف الدخلاء على مهنة التعليم او المرتزقين بها ان يقوموا بهذا الاصلاح العسير ، الذي يقتضي اختصاصا واختبارا يدعمهما صبر طويل وشعور بالمسؤولية صحيح .

اتمثل نفسي فى قرية نائية عن المدن محرومة من وسائل العمران والمواصلات . واذا بي ادخل غرفة قديمة العهد فقيرة الشكل والاثاث، يحتشد فيها ما يناهز الاربعين فلذة من صغار الجنسين ، يتصدر المجلس فيها شاب فى حدود العشرين . . تلك الغرفة مدرسة القرية ، واولئك احداثها الذين لا يصلحون لاعمال الحقل ، وهذا الفتى مرتزق بالحرف من ابناء المدينة ، جيء به ليقوم على اعداد جيل جديد . وينتابني عند هذا المشهد شعور يهز وجداني ويستنفر عاقلتي الى مناقشة الحساب عما يمكن ان يستفيد هؤلاء الاحداث ممن لم تنبت لهم بعد اية صلة بما نسميه تربية خلقية او ندعوه سلوكا اجتماعيا . وكيف يستطيع طالع على هامش الحياة المدرسية غريب عن الاساليب التربوية والعوائد المحلية ان يدخل بهؤلاء او ببعضهم معابير تربية تكفل لهم خروجهم من العاهات التي تغلب على صغار القرية وتنمو بنموهم ، غالبا ؟ من مثل الانطوائية، والشعور بالنقص ، والضعة المشوبة بحب الذات . وهذه كلها تزرع فيهم بذور الخشونة والجفاء وتبعدهم عن الاندفاع فى طريق المخالطة ، فلا تتولد فيهم الرغبة فى حسن المعاشرة ولا فى استعمال ما لان من اللفظ . وبفقدان الرغبة في المعاشرة يعبس جو المدرسة لعيني التلميذ فيضعف فيه الميل الى الاقبال عليها . ويعجز المعلم عن معالجة نفوس تلاميذه وعقولهم فيستعين بعقوبات المدرسة البائدة القاسية ، فتعظم الجفوة بين الصغير ومدرسته وكتابه حتى تمسي كراهية لا قبل له بالتغلب عليها . واذا اضفنا الى هذا التردي المدرسي فى القرية الشدة التي يستعملها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاهلون لاكراه صغارهم على الذهاب الى المدرسة ادركنا عمق الوهدة التي نحفرها بين صغارتلك البيئةومدرستهم، وعلمنا الى اي حد يستمر التخلف الم نخص مثل هذه القرية بمدرسة تنطبق عليها ولو بعض صفات المدرسة الحديثة .

واتمثل نفسي مرة ثانية ، فى المدينة ، داخل احدى المدارس الثانوية ، فى غرفة تضم بضع عشرات من الطلاب. ونفترض هذه المرة ، اننا فى مكان لا يجمع بين الجنسين ، لكي نبقي الكلام غير مزدوج المتناول . وجدتني والمعلم هناك نتشاكى ضروبا من الفشل فى الاعداد الابتدائي الذي نرثه ونتبادل النظر فى ما خلف لنا ذلك الاعداد الفاشل من رواسب خلقية وعقد نفسية واضطرابات مسلكية يصعب النجاح فى اكثرها ويستحيل فى بعضها . وفيما نحن ننظر فى مواضيع العلل المحمولة الى الثانوية عن مقاعد الابتدائية ونحاول معالجتها اذا بنا امام علل اخرىاجتماعية واقتصادية وسياسية ايضا . وكلها من مفروضات البيئة التي لا مناص من تأثيرها على المدرسة . فمهمة التربية الوطنية فى اساسها ، ان يجتمع البيت والمدرسة والمجتمع فى مؤالفة توحد المناهج وتقرب ما بين النزعات والاتجاهات فتصبح صالحة للوقوف فى وجه ما يمكن ان تصطدم به من الانانيات والعصبيات التي تكثر عادة فى المراحل الانتقالية فى كل بلاد . وعملا بهذه المهمة التربوية علينا ، بعد الهزات العنيفة التي عانيناها وما نزال نعمل جاهدين لمحو اثارها ، ان نعتمد فى بناء الجيل الجديد ابداعية تكييف جديد .

هذا الابداعية يجب ان تجعل من رسالة المعلم عملية تنظيم فى الحياة المدرسية واشاعة الذوق فيها ودفعها فى دروب المعرفة والثقافات الحديثة بشكل يرتفع دائما عن مستوى حياتنا العامة . وهكذا يصبح الجانب الرئيسي من وظيفة المعلم ان يساعدعلى خلق عقليات متقاربة ووجدانيات متشاركة وصفات اجتماعية متماسكة .

وهنا ، فى القدرة على هذا التكييف الحديث لخير المتعلم ولخلق روح المواطنة فيه ، يكون فضل المعلم . وبهذه القدرة يتميز المعلمون المربون عن زملائهم من المعلمين الحرفيين وسواهم من المرتزقين . وخير ما نفعله فى سبيل تربية وطنية ترتفع بأثر البيئة حيث يجب ان يرتفع ولا تنزل اليه ، هو ان نجعل من المدرسة الوسط المعلم والبيئة القدوة. فيكون المفروض فى معلم القرية ان يكون كفوءا لرفع متعلمي القرية او ما يدانيه لا النزول الى مستواهم او ما هو اليه ...!! ويكون المحتوم على معلم الثانوية ان يكون بناء فى النفوس خلاقا فى اسباب الابقاء على روابط الوطنية، والقدرة على تشذيب الصفات القومية فلا تبقى مشدودة الى عصبيات كأنها رياح قبلية ، ولا مشوبة باهواء مرتهنة لفردية لا صلة لها وثيقة بخير المجتمع .

اذن نحن مدعوون الى احداث طاقة خلقية تنمو فيها الامكانات العقلية الى درجة يصبح معها الناشىء قادراعلى تسيير دفة شخصيته مستطيعا ان يدفع عنه خطر الانجراف مع اول تيار جامح يتعرض له . ولكي تكون هذه الطاقة كذلك علينا ان نبعد عنها مثيرات الغرائز ومنبهات الاحقاد .

ونحن مدعوون الى العهدة بهذه المهمة الصعبة الخطيرة الى من لا يعرضون خطورتها فى البناء الى اي خطر . وسواء اكان ذلك التعريض عن عجز او عن سوء امانة .

ونحن مدعوون الى احلال رسالة المعلم فى مكانها من بناء الاوطان ، فهي منه فى الاساس ، وكل بناء لا يرسخ اساسه يبقى ساكنوه عرضة لمخاوف الانهيار .

نسيم نصر

شعرها

يا شعرها يا موجة فى دمي
يا شقرة تهزأ بالانجم
يا خمرة غفت على نرجس
يا رفة العبير فى البرعم
خصلاته البلهاء يا فتنتي
اغرودة من عالم مبهم
اناملي الرعشاء تهفو لها
في ظلها تود لو تحتمي
وخافقي ـ يا حلوتي ـ جن من
جديلة ترقص او ترتمي
والشال يا للشال كم هزني
كم شب نارا فى ربى اعظمي
يصرخ بي جوع ويندي اسى
وتغتلي الحرقة فوق الفم
فشعرها والشال ترنيمة
هام بها كأسي وغنى دمي

بغداد — **مزيد الظاهر**

الخليقة والحرية

* * *

ثريا ملحس

ان لم تكن انت انت
يا ربنا يا ابانا
فواجب ان تكون
انت الرحيم الرحيم
امامك

نحن واحد
لا فرق تغدو لانثى
ولا ذكر
لا حياة
ولا حجر
كلنا لك
«وخلقناكم انثى وذكر»
نحبك
لا نخافك
نرضى رضى فى القلوب
يا سيد الكون انت
يا ملجأ للضمير
ما هم قلب ربيب
قلب الرجال العنيد
هم الفوا الاسطورة
هم وحدهم بالحديد
من قال كنا نتوه
ضلعا ، غدا بالوجود
تلك الاساطير تلهو
بالورد لا بالقصيد

نحن الدنى لا نروم
الا انتزاع القيود
نحن الضيا لا نريد
الا مرامي الخلود

ان قلبنا راح ينشد
او عقلنا راح يملي
تروى الدنى من منانا
من شعرنا من غنانا

ان لم تكن انت انت
يا ربنا يا ابانا
فواجب ان تكون
في رحبنا في سمانا
خلقتنا دون فرق
باركتنا بالعطاء
يا امننا يا حمانا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زيبا النسا شاعرة من الهند

بقلم نقولا يوسف

كان يوما باسما من عام ١٦٤٦ .. وقد استيقظت « دلهي » ـ العاصمة الهندية العظيمة ، ذات الحدائق الزاهرة ، والمساجد العامرة ، والهياكل الفاخرة ـ على دق الطبول ، ومسير العساكر للاصطفاف فى الميدان الكبير .. واعدت فى القصر الملكي المحتضن لعرش الطاووس ، وليمة فخمة .. واحتشدت جموع الفقراء لينال كل نصيبه من الثلاثين الف « مهور » التي تبرع بها الامبراطور .. وعطلت المصالح والدواوين يومين كاملين ..

ذلك كانت اوامر « اورنجزيب » ـ امبراطور الهند المغولي ـ حفيد الطاغيين جنكيز خان وتيمورلنك ، حين زفوا اليه البشرى بان كبرى بناته : « زيبا النسا » ـ اي زين النساء ـ الطفلة التي لم تتخط السابعة من عمرها بعد ، اتمت حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ..

والحق ان « زيبا النسا » كانت منذ طفولتها على جانب كبير من الذكاء ، كلفة بالعلوم والاداب .. فاحضر لها ابوها معلمة اسمها « مياباي » ، لازمتها طويلا ، وعلمتها اللغة العربية الى جانب الفارسية .. كما اختار لها صفوة الاساتذة ، فبرعت على ايديهم فى الدين والفلك ، والرياضيات والادب .. ورات ان تكتب تفسيرا للقرآن ، فنهاها ابوها عن ذلك لصغر سنها ..

ولا شك ايضا انها ورثت ميولها الادبية والفنية عن اسلافها .. فلقد نشأت فى اسرة لم تلهها الحروب والغزوات عن الاهتمام بالفنون والاداب .. وندر فى اباطرة المغول واقطابهم ـ حتى الطغاة منهم ـ من لم يتعلق بفرع من فروع الفن او الادب ، او البحث فى الفقه والدين .. بل لقد ترك بعض افراد تلك الاسرة عددا من المؤلفات ودواوين الشعر ، باللغة الفارسية خاصة ، وكانت لغة الثقافة فى الهند آنذاك ..

فكان جدها الاكبر : « بابر » ـ الملقب بظهير الدين محمد ـ مؤسس تلك الامبراطورية المغولية فى الهند ، والقائد الحربي المغامر الذي زحف من تركستان ، واستولى على افغانستان ، ثم واصل الفتح حتى بلغ البنغال ، ولقب نفسه « بامبراطور هندستان » .. كان على الرغم من انهماكه فى الحرب وتنظيم الفتوحات حتى وفاته عام ١٥٣٠ ، شاعرا ينظم بالفارسية والتركية ، وترك مذكرات مكتوبة باسلوب رشيق ..

كذلك كان ابنه « ميرزا قمران » شاعرا ينظم بالفارسية ، وكانت ابنته « جول بادان » ـ اي زهرة البستان ـ كاتبة انشأت تاريخا لعصرها ، والفت كتابا شائقا عن ابيها « بابر » .

ولكن يبدو ان الشاعرة زيبا النسا انما ورثت الكثير من خلقها وصوفيتها الدينية وافقها الرحب ، عن جدها « اكبر » ـ ابو الفتح جلال الدين محمد ـ الذي حكم طويلا فيما بين عامي ١٥٥٦ و ١٦٠٥ وشملت دولته معظم ارجاء الهند .

وكان « اكبر » اعظم سلاطين الدولة المغولية ، وارجحهم عقلا وتفكيرا .. وكان اميا لا يكتب ، ولكنه كان يتثقف عن طريق السمع ، فيجالس الفلاسفة وعلماء الدين ، ويتباحث معهم ، ويقيم المساجلات والمناظرات فى المسائل الفلسفية والدينية .. وكان وزيره ابو الفضل يسجل اراءه وحكمه فى كتاب جمعه باسم « آين اكبري » ..

كما وهب « اكبر » ذوقا فنيا حسنا ، وتقديرا للفنون والاداب ، فازدهرت فى حكمه الطويل مدارس هندية ايرانية للتصوير والمعمار ..

وكان مفطورا على التسامح الديني والعنصري ، معروفا بالاعتدال والرحمة ، على النقيض فى ذلك مع اكثر اجداده المشهورين بالطغيان والجبروت ..

ومع انه كان من سلالة المغول المسلمين ، فقد عد نفسه مواطنا هنديا ، واتخذ له وزيرا هندوكيا ، واعوانا من مختلف العقائد ، وعين بعض الهندوس قوادا فى جيشه ، واجاز الزواج بين المسلمين والهندوكيين ، وتزوج من أميرة هندكية ، وظل يعمل على تقريب مسافة الخلف بين رعاياه المسلمين والهندوس ، مساويا بينهم فى الضرائب المفروضة وفى سائر المعاملات ..

ثم راى ان يدعو علماء المسلمين والهندوكيين والمسيحيين والبوذيين والزرادشتيين واليهود ، وغيرهم الى مؤتمر يتفقون فيه على جوهر « الدين الالهي » ، وينبذون بعده الاختلاف ، كي يعيش الملايين من رعاياه الهنود فى سلام واخاء ، لا تنشأ بينهم المنازعات وسفك الدماء .. وظل المؤتمر مجتمعا شهورا ، وكان « اكبر » يحضر مناقشاته ، ولكنه انفض على غير وفاق ..

وعندئذ وجه « اكبر » اهتمامه الى بناء امة متحدة عن طريق التمسك بالفضائل المشتركة بين جميع العقائد ، فحرم بعض التقاليد كاحراق الارملة عند الهندوس ، واجاز زواج الارامل ، وحبذ التزاوج بين المسلمين والهندوكيين ، ووضع اللغة الاردية ـ وهي الخليط من العربية والفارسية والتركية والهندية ـ زيادة فى التقرب والتفاهم .. كما شيد المعاهد والعمارات ، ومدرسة للنقش الهندي الايراني ، متأثرة بالطراز الايطالي ..

فكان لمبادئه السمحة اثر فى طول البلاد وعرضها ، واستتب السلم والعدل والتسامح ، كما حدث فى عهد « اشوكا » البوذي العظيم الذي حكم الهند فى القرن الثالث قبل الميلاد ، والذي سارت بعصره الذهبي الامثال ..

ولكن بوفاة « اكبر » انتهت سياسة التسامح ، وعاد خلفاؤه الى السياسة القديمة ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخلفه « جيهان جير » ، وكان ايضا محبـــا للفنون ، وكتب ذكريات خاصة ، كما فعل « بابـر » .. ودون فى القوانين كتابا سماه : « دستور العمل » .

وتلاه « شاه جيهان » الذي اشتهر بحبـه الرومانسي لزوجته « ممكاز » . فخلد ذكرها عندما فجع بموتها،بذلك الاثر المعماري المرمري الرائع « تاج محل » بمدينةآجرا .. تلك التحفة التي جمعت بين روعة الفن الهندي والفـن الاسلامي ..

واخيرا فقد كان ابوها الطاغية « اورنجزيب » ــ الذي حكم معظم الهند فيما بين ١٦٥٨ و ١٧٠٧ ــ ايضا ــ على شغف بالمسائل الدينية ، ووضع بعض الكتب فى الشريعة ، واشتهرت مجموعة رسائله المسماة : « رقعة عالم جيري » ــ اي الرسالة المنتشرة فى العالم ــ وذلك مع انهماكه جل حياته فى الحروب وفى مقاتلة عدوه « سيفاجي » حاكـم الهند الجنوبية .. كما شيد عام ١٦٥٩ : « مسجد اللؤلؤ » فى « القلعة الحمراء » بدلهي ، ورصفه كله بالمرمر البديع ، وكان على صغر حجمه يعد من روائع الفن المعماري .

وبقيت اسرة « اكبر » تحكم الهند او بعضها حتى عام ١٧٥٧ حين ثارت على الانجليز ، وقادت الشعب الهندي ــ هندوكيين ومسلمين ــ فى كفاح مر ، من اجل استقلال الهند .. ولكن الانجليز استطاعوا تحطيم الثورة، وسجنوا السلطان المغولي الى ان مات فى السجن ..

* * *

فى هذا الوسط الشرقي ، المهتم بالفنون والاداب ، وفى تلك البوتقة التي انصهرت فيها الحضارات والعقائد ولدت الشاعرة الحسناء زيبا النساءعام ١٦٣٩ لابيها اورنجزيب ملك الهند المغولي، ولامها (البيجوم) « بانو ديلراس » ابنة الشاه « نواز خان » .. ولقيت كل تشجيع ومعاونة على الدرس والمناقشة والبحث .. وفى قصور ابيها المتزمت الصارم ، الصامت العبوس ، الذي قضى حياته فى الحرب والغزو والسفك ، عاشت الشاعرة سني حياتها الخمسين ، متسامية بشاعريتها وصوفيتها على مطامع الحياة الدنيا .

كانت شاعرة قبل كل شيء .. تستشف العالم المنظور ، وتستكنه ما وراء المنظور ، بعين الشاعر المتأمل .. وكانت حياتها قصيدة من الشعر ، او ملحمة من ملاحم الاساطير .. ولم يستطع ترف القصور ، او سلطان المال ، او نعيم الدنيا كلها ، ان يفسد تلك النفس الشاعرة ، المتواضعـة ، المتصوفة .. او كما قالت : « انا ابنة ملك ، ولكني اتخذت طريق انكار الذات . وهذا فخري . كما ان اسمي ــ زيبا النسا ــ يعني زين النساء وفخرهن ! »

وبدات تنظم بواكير شعرها بالعربية .. غير ان اديبـا عربيا صارحها مرة بقوله : ان شعرها العربي ، وان كـان جيدا رصينا ، فهو هندي اللون . وقال : « ان ايا كان كاتب هذا الشعر فهو هندي »!.

فثبط هذا من همتها فى النظم بالعربية ، وانصرفت الى النظم بالفارسية .. وكانت الفارسية هي اللغة الرسميـة لبلاط المغول فى الهند ، كما كانت لغة الثقافة والمثقفين .. واليها ترجم الكثير من المؤلفات المكتوبة باللغة السنسكريتية ــ اللغة الهندية القديمة ــ ونشأ من امتزاج الفن الفارسي بالفن الهندي ، طراز فني جديد تجلى فى المباني العظيمـة التي اقامها المغول .. كما نشأ من انتشار الادب الفارسي فى الهند ، ادب تجتمع فيه الالوان العربية والفارسيـة والهندية ، كما تجتمع الازهار المختلفة الشكل والعطر في حديقة واحدة .. ترى ذلك واضحا فى شعر « كبيـر » الشاعر المسلم المتصوف الذي ولد فى بنارس (١٤٤٠ــ١٥١٨) وفى شعر زيبا النسا .. وغيرهما من الشعراء المسلميـن الهنود خاصة .

وكانت زيبا النسا تنظم الشعر خفية فى اول الامر .. حتى عثر استاذها شاه رستم غازي ذات يوم على بعـض قصائدها مخفية فى كراساتها .. فاعجبته ، وحثها عـلى المضي فى هذا الطريق .. وتنبأ لها بذيوع الصيت فى دنيا الشعر .. بل انه عرض على ابيها ان يدعو بعض شعراء الهند وايران الى دلهي ، لتجتمع منهم ندوة ادبية تحضرها الاميرة .. وكان عجيبا ان يقبل اورنجزيب المتزمت الصارم، هذا العرض ، وهو من حرم تلاوة اشعار حافظ الشيرازي ــ الشاعر الايراني المتصوف الكبير ــ على تلاميذ المدارس ونساء القصر ، لاسرافه فى الالفاظ الغزلية والخمرية ،واو كانت هذه الالفاظ رموزا وكنايات ومجازات يعرفها المتصوفة

وبذلك اصبح للشاعرة فى قصرها « صالون » ادبي ، يجتمع فيه الشعراء : ناصر علي ، وسياب ، وشمس والي الله ، وبراهمين ، وبهراز .. وغيرهم ..

وجاء الشاعر ناصر علي من سرهند ، وكان على فقره معروفا بالاباء والترفع عن حماية الامراء .. ولكن زيبـا النسا كانت معجبة بشعره ، وكان هو معجبا بها .

وفى تلك الندوة كانت تدور المساجلات الشعرية ،المعتمدة على البديهة الحاضرة . وكان يرتجل الشاعر بيتا ، وقـد يكون فى صيغة السؤال ، فيجيب عليه الاخر شعـرا او يعارضه فورا ، او يعقب عليه ببيت او بابيات من القافيـة نفسها .. وكانت شاعرتنا كوكب تلك الحلقة وملهمتها .. غير انها كانت طبقا لتقاليد عصرها،او لاوامر ابيها، ، لا ترفع القناع عن وجهها بين الرجال .. ولعلها كانت ترى فى ذلك معنى فى باب الرمز والخفاء ، وهي من اتخذت « المخفى » كناية لها ورمزا .. ودعت ديوان شعرها: «ديوان المخفى»!

ومرة داعبها الشاعر ناصر علي ببيت معناه : « يا مـن يحسدك القمر ، هلا رفعت قناعك ، لاتيه عجبا بجمالك»؟!

فاجابته نظما :

« لا .. لن ارفع قناعي ! وما ادراني .. اذا رفعته ! قد ينسى البلبل وردته !.

وقد يشيح الناسك البرهمي ، المتعبد لجمال «لكشمي»، بوجهه عنهـا ..

لينظر الي !..
الم تر الى الزهرة المحتجبة في الخميلة :
ينم عنها عطرها ، دون ان تراها العيون ..
وانا ـ ايضا ـ يستطيع العالم ان يراني خلال اشعاري دون ان ارفع قناعي !. »

* * *

ومع ذلك ، فقد اجمع كل من عرفها ، على انها كانت غادة حسناء ، طويلة القامة ، هيفاء العود ، ذات وجه ابيض مستدير ، به شامتان على الخد الايسر ، وعينين سوداوين ، وشعر حالك السواد ، وشفتين رقيقتين ، واسنان صغيرة ، وثغر باسم .. وانها كانت لا تتجمل بكحل الرموش ، لا « بالمسيا » لتسويد ما بين الاسنان ، كما جرت العادة بين نساء عصرها ..

وقالوا ايضا ان صوتها كان عذبا شجيا .. واذا ما رتلت القرآن ، ابكت سامعيها ..

وكانت بسيطة الملبس ، متحشمة ، قلما تتزين بغير عقد من اللؤلؤ حول عنقها .. وكانت تفضل الحلل البيضاء في سنيها الاخيرة .. وقيل انها ابتدعت زيا لنساء الهند ، عدلته عن زي نساء تركستان ، وانه ما زال يلبس في الهند الى اليوم ..

وهناك اليوم في متحف لاهور صورة لها تطابق تلك الاوصاف

اما في داخل القصر ، فكانت الشاعرة تستمتع بقدر وافر من الحرية .. وتكاتب الكثيرين من علماء عصرها ، وتناقشهم الرأي .. وتحظى بمحبة عمها « داراشيكوه » ـ وكان اديبا واسع الافق ، اعتادت ان تهدي اليه بواكير شعرها ، وكان بعض غزليات ديوانه من نظمها .. بل لقد خرجت الى البلاط واشتركت في مجالس ابيها ، والقناع دائما على وجهها

وكانت لها صوفيتها الخاصة في رحاب الدين .. وكثيرا ما كانت تنطلق على اجنحة الشعر في الافاق الشاسعة ، متحررة من القيود والسدود .. حدث ان كانت تتمشى يوما في الحديقة ، فسحرها ما حولها من جمال ، فراحت تتغنى كعادة الشعراء ببيت معناه : « اربعة يجلبن السعادة : الزهر والخمر ، ومجرى الماء ووجه الحبيب ! » . وما ان وقعت عيناها على ابيها جالسا تحت شجرة ، حتى تظاهرت بانها لم تره ، وانشدت : « اربعة ضروريات للسعادة : الصلاة والصوم والبكاء والتوبة » !

وكانت متضلعة في المسائل الدينية الجدلية .. سنية المذهب كابيها ـ ظاهريا ـ بينما كان اخوها محمد معظم ، شيعيا .. فاذا ما حدث في البلاط نقاش مذهبي ، دعيت الشاعرة للفصل في الموضوع .. حدث مرة ان كان رابها في احدى تلك المساجلات بارعا ، فدون وارسل الى ايران وطوران .. وقيل ان عشرات من السيدات تحولن الى المذهب السني في تلك المناسبة .

ولكنها ـ كما سلف القول ـ كانت تنزع مثل جدها العظيم « اكبر » الى التسامح الديني ، والتفاهم بين الاديان .. وقد درست الى جانب الاسلام ، سائر الديانات الكبرى ، ومذاهب المتصوفة .. بل لقد كانت في بعض شعرها تصف الشمس كرمز للقوة الالاهية .. وتجمع بين المسجد الاسلامي والمعبد الهندوكي بقولها ان الله فيهما معا على السواء ، كما كان يقول من قبل الشاعر الهندي المسلم المتصوف « كبير » ـ المتوفي عام ١٥١٨ ، تلميذ « براما ناترا » ـ المعلم الهندي العظيم الذي عاش في القرن الخامس عشر ـ ودعا الى وحدة الوجود ، ووحدة الاديان ، والى الاخاء العام في ظل اله واحد .

ولا شك ايضا ان الشاعرة زيبا النسا قد درست الى جانب الاسفار المقدسة لمختلف الاديان ، دواوين من سبقها من الشعراء لا سيما المتصوفة منهم ، وكثيرا ما تشير في بعض ابياتها الى بعض الاسماء الواردة في تلك الاسفار . كموسى وعيسى ويوسف .. او الى بعض الشعراء كمجنون ليلى ، ومنصور الحلاج .. ولا شك انها اطلعت على دواوين كبار الشعراء الايرانيين مثل سعدي ، وعمر الخيام ، وخاصة حافظ الشيرازي ، وجلال الدين الرومي وفريد الدين العطار ، وقد اشتهر الثلاثة الاخيرون منهم بالغزليات والخمريات الصوفية الرائعة .. ودواوين كبار المتصوفة العرب كرابعة العدوية ، ومعروف الكرمي ، وذي النون المصري ، ويحيى الرازي ، وابو حامد الغزالي ، وعمر بن الفارض ، ومحيي الدين العربي .. وهناك نحو اربعين اسما من مشاهير المتصوفة الذين ترك بعضهم الدواوين الرقيقة الشعر ، او المؤلفات ، او الشروح .. وكان بعض اولئك الشعراء قد بدأ حياته مع محبوب بشري عرفه وعشقه ، ثم تسامى بهذا الحب الى سماء الحب الالهي ، وخلص الى حياة روحية متجردة من دوافع الحس ونوازع الهوى ..

وقد حاكتهم زيبا النسا في غزلياتهم وخمرياتهم الصوفية الرمزية ، ولكنها تفردت بطابعها الحزين الذي يصبغ الكثير من شعرها بسبب مأساة حياتها وقصة حبها .. ولكنها ظلت شاعرة الحب في اروع صوره وانقى معدنه ـ الحب الشامل الذي يدمجها في ربها ـ ذلك « المحبوب » الذي تناجيه في عشق صوفي عميق ، جعل من قصائدها في اصلها الفارسي ، صلوات ومزامير ما برح يرتلها كثيرون من المتعبدين في الهند وايران ..

« الى حبك يتعطش روحي وجسدي ..
ومثل منصور الحلاج ، تصرخ في ذرات هذا الهيولي :
هي الجزئيات ، وانت الكل .. وهي هي الله !
وكما يحدث عند قدوم امطار الربيع ،
فتسري انهار من العصير في الاشجار النامية ،
كذلك يجري حبك في عروقي حتى الى الشعيرات الدقيقة من قلبي !
البلبل يترنم بحبك ..
وحبك هو ما جذب الفراشة نحو النار ،

فتحرق جناحيها الحريريين ..
وها ان خمرة اشتهائك ، بشفة كل كاس تلتصق ! »
وتنشـد :
« سواء افي حرم مكة المقدس ..
ام فى المعبد الذي تطاه اقدام الحجاج ..
فأنت لي هناك ..
وحيثما يعبد الله فهناك ربي !
فى المسجد ابحث عن مزار معبودي ..
وفى يوم الدينونة سوف نلقى الصعوبة الكبرى ..
لنبرهن على اننا كنا مؤمنين صادقين ..
ما لم نأت معنا بوثن معبودنا كشاهد علينا ! »

* * *

كان نعيم الدنيا وذهبها ، ومشتهياتها وبذخها .. كلها تحت قدميها !. كانت تنعم بالشباب والجمال ، والفراغ والمال .. وجنات الواقع والخيال .. كانت تعيش فى قصور آبائها ملوك المغول فى دلهي ـ تلك القصور التي عجـز انواصفون عن وصف فخامتها وكنوزها ، وكان بينهـا « عرش الطاووس » الذائع الصيت الذي يتحلى ذيلـه باليواقوت والزمرد والعقيق ، تتلألأ كالنجوم ، ولا تقدربثمن!

وكانت زيبا النسا اميرة الاحلام التي تهفو اليها قلوب العشاق ، وتصبو نحوها اخيلة الشعراء .. غير ان مناعم الحياة الدنيا لم تفسد نفسها ، فكانت متواضعة القلـب ، وديعة ، صبور .. تحب البساطة فى العيش والملـبس ، وتتحمل الالم فى تفلسف ، ولا تبدو الناس مقطبة الجبين .. وفى نفسها دائما ذلك « القلق المقدس » الذي يدعـو الى التفكير والتطلع ، والحنين الى ما هو اعظم من الماديات وكانت تنفق جل راتبها الخاص على تشجيع الادباء،واعانة الارامل والايتام ، وارسال الحجاج كل سنة الى مكةوالمدينة على نفقتها ..

واما هوايتها المفضلة عندها ، فكانت جـمع الكتب ومطالعتها .. فانشأت منها مكتبة عامرة ، وكلفت مهـرة النساخ فى نقل الكتب النادرة ، وعينت فى « كشمير »عددا منهـم لهـذا الغرض ، اذ كان لهذه البلدة صيت فى تفوق ورقها ونسخها . فكان عملهم متصلا ، واهتمامها بهـذا العمل بالغا .. وكانت تقضي ساعات الصباح فى تصفح ما يرد اليها فى اليوم السابق من مخطوطات ..

وكان لذيوع شهرتها بالادب ، ان راح الادباء يبعثـون اليها بمؤلفاتهم لتبدي فيها رايهـا .. وكانت تكافىء المجيديـن منهم ..

اما رياضتها فكانت فى الحدائق ..تحب غرسهـا وتنسيقها ، والتمشي فيها وحدها او مـع صديقاتها ولا سيما مع صاحبتها المقربة اليها « امامي » وكانت شاعرة مثلها .. هذا الى مهارتها فى اللعب بالسيف . .

وشاء مرة جدها « شاه جيهان » ـ صاحب « تـاج محل » ـ ان يخطبها الى سليمان شيكوه ابن عمها دارا شيكوه..ولكن اورنجزيب ـ اباها ـ كان يكره دارا ويخشاه .. فلم يشأ ان يتم هذا الزواج ، وتآمر على قتل الشاب بالسم خفيـة ! .

وتقدم لخطبتها الكثيرون .. ولكنها كانت تشترط رؤية الخاطب ، واختبار مواهبه قبل عقد الخطبة .. وكان بين هؤلاء شاب اسمه : « ميرزا فاروق » ابن الشاه عبـاس الثاني الايراني .. فطلبت ان يحضر الى دلهي لتراه . فحضر فى حاشية كبيرة . واولمت له الشاعرة فى خميلة بحديقتها وعلى وجهها قناعها !. وفى اثناء الوليمة ، سألها الشاب نوعا من الحلوى بكلمات مجازية تعني القبلة .. فلم يرقهامسلكه، واجابته : « سل ما تريد من مطبخنا .! » واخيرا رفضت يده مع وسامة وجهه .. ولم ييأس الامير العاشق . فبعث اليها بابيات من الشعر الساذج يقول فيها :

ـ « عزمت على الا اهجر هذا الهيكل . فها هنا سوف احني راسي ، وهنا سوف انبطح ، وهنا سوف اخـدم . وهنا فقط القى السعادة !! »

فاجابته الشاعرة :

ـ ايها الطفل ! ما اخف تقديرك للعبة الحب هذه ! ولكن .. انى لك ان تعرف ما لوعة الشوق ! وما نار الفراق .. وما شعلة الحب المحرقة !؟

.. وعاد الامير الى بلده بخفي حنين !..

* * *

وزيبا النسا التي عاشت للحب ، وامتزج كيانها باسمه ، ولم تخل قصيدة لها من ذكره .. ومن كانت حياتهـا انشودة من اناشيد الحب ـ حب الله ، وحب الجمـال ، وحب الهوى ، وحب الخليقة كلها ـ كانت تنتظر ايضـا فتى احلامها ـ الرجل الحبيب ـ وتتوقع قدومه يوما ..

واقبل الحب والمحبوب يسعيان اليها .. ولكن شاءت المقادير الا يأتي هذا الحب مقرونا بالسعادة والسلام !..

حدث هذا فى مستهل عام ١٦٦٢ . وكانت الشاعرة فى رونق العمر ، ونضرة الشباب .. كانت فى الثالثة والعشرين .. تملأ الدنيا حولها بهاء وعطرا وشعرا .. حين مـرض ابوها واشار عليه الاطباء بتبديل المكان والهواء .. فانتقل مع اسرته وحاشيته الى مدينة « لاهور » ـ حاضرة البنجاب الجميلة ، الجاثمة فى سهول السند ومراعيه ، عند اقدام الهيمالايا المطلة مـن الشمال .

وكان حاكم لاهور آنذاك شابا يدعى « عقيل خان » ابن وزير من وزراء اورنجزيب .. وكان فتى شجاعا وسيما، شاعرا .. سمع عن زيبا النسا واطلع على شعرها ، وتاق الى رؤيتها ..

فلما جاءت الى لاهور ، زاد شوقه ، وراح يتظاهـر بحراسة المدينة ، ويطوف بجواده حول اسوار القصر ، عله يحظى بنظرة اليها ..

وحالفه التوفيق مرة ، فلمحها واقفة على سطح القصر ساعة الفجر ، مرتدية بثوب فى لون زهرة الرمان القرمزية

.. فقال بيتا معناه :

أرؤيا تجلت فى عيوني نديـة على سطح بيتام تصاوير من شفق؟

واتصل بها ما قال فاجابت :

ترفعت عـن لمس فلست تنالني بمـال وملـك او تضرع محترق !

وبعد ايام علم « عقيل » بخروجها مع بعض صديقاتها لترى مظلة من الرخام شيدت فى الحديقة التي غرستهـا بلاهور ، فتخفى فى زي بناء ، وحمل وعاء التراب ، واحتال على اجتياز الباب ، ودخل الحديقة ..

وهناك رآها تلهو مع صديقاتها ، واقترب منها هامسا ببيت معناه :

أتيت اليـك والاشواق تحملني ترابـا طـاف بالدنيا ولـم ادر !

فعرفته ، واجابت فى دلال :

وان اصبحت مثل الريح ما لمست يداك جـديلة كالليل مـن شعري !

ولكن الحب سرعان ما ربط بين القلبين الشابين الشاعرين .. وراح الحبيبان يتقابلان بعد ذلك فى الحديقة .. وتكرر اللقاء .. غير ان الخبر ما لبث ان بلغ اورنجزيب ، وكان فى دلهي .. فبادر فى العودة الى لاهور ، ورأى ان يسكت الالسنة فيزوجها فورا من احد الخطاب .. ورجته ابنته ان يدع لها حرية الاختيار، وان ترسل اليها صور الخاطبين. فلما جاءتها الصور ، اختارت واحدة منها ـ وكانت صورة « عقيل خان » ..

وعندئذ بعث اورنجزيب يستدعي الفتى اليه .. ولكن منافسا حاسدا علم بالامر ، فكتب الى عقيل يقول : ليس حب السلطان لعبة من لعب الاطفال ! فان اورنجزيب مطلع على افعالك ، ولسوف تحصد الثمار يوم تاتي الى دلهي !

واعتقد « عقيل » ان اورنجزيب يدبر له مكيدة ـ وهو من عرف بالمكر والقسوة والجبروت .. وبينما كـانت الشاعرة تنتظر قدوم حبيبها ليتزوجها ، اذا به يكتب الى ابيها معتزلا وظيفته .. ويختفي !.

وصدمت الفتاة فى حبها .. وشعرت باحتقار شديـد لنفسها . وقالت : « لقد هجرنا عقيل بسبب بعـض الحماقة ! » .. واتصل به ما قالت فاجاب : « وكيف يقدم العاقل على ما سوف يندم عليه ! » .

ومع ذلك فلم يستطع عقيل الا ان يعود الى دلهي خفية ليرى حبيبته . ولعله ندم على ما بدر منه من خوف .. وتقابل الحبيبان فى الحديقة .. وطار النبأ الى اورنجزيب، فتملكه الغضب ، وهرع الى الحديقة بنفسه . وبوغتت الفتاة بقدومه .. ولم تجد وقتا لانقاذ عقيل فاخفته فـي لهفة داخل وعاء ماء كبير ..

ولم تفت اورنجزيب هذه الحيلة ، وسألها عما يحتوي الوعاء . فقالت : « ماء للتسخين » ! فقال : « ضعوه اذن على النار ليسخن ! »

ونفذ امر الملك !. ووقفت الفتاة فى صراع بين السمعة والحب .. ولم تستطع ازاء بطش ابيها ان تفعل شيئا .. وضحى عقيل بحياته من اجل سمعتها .. فكانت بعد ذلك تقول : « ما مصير العاشق الا ان يصلب من اجل مسرة العـالم ! »

وكان هذا الحادث بداية عهد للشاعرة ، كـله احزان ودموع ، وزهد وتفرد .. هو العهد الذي نظمت فيـه قصائدها الباكية ، وصلواتها الحزينة ، ولجأت فيـه الى احضـان الله ..

« خمر ابتهاجي فقدت مذاقها !
وارض وجودي تحولت الى يباب !
لا ينمو بها عشب صالح ، بل عوسج فحسب ..
امـا ربيع حياتي فقد خبت شعلته وذهبت ..
فتشت عن مسرة ، ولم يجد بحثي عن غاية ..
يداي الفارغتان الممتدتان ، لا تستطيعان تحية صديق !
واذا لم تتداركني رحمة السماء ، تحولت صلواتي الى هشيـم !. » (١)

* * *

ولم يقنع اورنجزيب باعدام حبيب ابنته على تلـك الصورة المغولية ، بل امر بسجنها فى قلعـة « سالمجار » بحجة تحيزها الى عمها « دارا » الذي ثار عليه ، وعطفها على عدوه زعيم الجنوب « سيفاجي » وكان يقاوم الزحف المغولي على « الدكن » ..

وهنا هجرها كل اصدقائها واقاربها خوفا على انفسهم من بطش ابيها .. بل لم يجسر احد فى البلاط ان يتحدث عنها ، او يجرأ على تسجيل سيرة حياتها وشعـرها .. وكان هذا سببا فى ضياع ترجمة تلك الحياة الحافلـة لهذه الشاعرة ..

وفى السجن قضت اعواما قاسية .. وفيه نظمت اشعارا كثيرة تفيض بالاسى والمرارة .. وكتبت مرة تقول :

« ما دامت هذه الاصفاد معلقة بقدمي ،
فقد تحول اصدقائي الى اعداء ، واهلي الى غرباء !
فما عساي ان افعل ، ليظل اسمي غير ملوث !.
بينما يداب صحابي على تلويثه !؟ »

وتخاطب نفسها ـ وكانت كما سلف تتخذ لقب «المخفي» او المحتجبة ـ كناية لها :

« عبثا تنشد العزاء فى سجن الحزن ، يا « مخفي » !
ولا امل هناك فى اطلاق سراحك.. والى يوم الدينونة..
وما كان امر تحررك بمسألة سياسية ..
وحتى من قبر «المجنون» يصل الى مسمعي صوت يهتف:
«ليلى! لا راحة لصريع الحب حتى فى القبر ! »
ما جنيت شيئا فى حياتي غير الاسى والندم
ودموع امنية لم تتحقق !. »

(١) عن ديوان « زيبا النسا » ـ خمسون قصيدة غزلية ترجمها الـى الانكليزية نظما عن الفارسية ـ ماجان لال وجسي دنكان وستبروك ـ طبع بلندن عام ١٩١٣

وفى سجنها تنشد :

« منفاك طويل يا « مخفي » وابدي حنينك !
طويل ما سوف تنتظر . وقلبك فى الداخل يحترق !
تتطلع الى عودتك لبيتك!. فأي بيت لك الان ايها التعس!
السنون ولت وتركته مهجورا ..
وغبار الزمن يهب من بابه ..
ولئن قال لك الله يوم الحساب :
سأجازيك وفاء ، وعن شقائك ساعوضك ..
فلن توازي افراح السماء كلها ، شقائي !
ولو صبت علي نعم الاله وبركاته ،
لظل مع ذلك مدينا لي !! »

ولكن ذكراها لم تتضاءل من قلب الشاعر ناصر علي ، كما تضاءلت فى قلوب غيره من اصدقائها . وبعث اليها مرة قصيدة يقول فيها : ان الدنيا لم تعد تبتهج بعد غيبتها ، وان عليه ان يطوف حول الارض تعسا لا يلقى من يقدر شعره غير نفسه !..

ولكنها لم تجب .. وظلت تنظم الشعر لنفسها ، والصلوات لربها :

« هوذا طريق الحب .. ما اظلم سبله الملتفة وما اطولها!
وما اكثر شراكه المنبثة فيها !
ومع ذلك فجموع حجاجه الوالهين يندفعون فيها قدما ويتساقطون كالحمام فى شبكة الصياد !
الا خبرني ما المحبة التي جذبت اليها الحمامة ؟
كأنها الشامة على خد الجميل !
خبرني مما نسجت شبكة الحب ؟
كأنما هي خصلات تائهة من شعر الحبيب !
هوذا عيد الحب قائم هنا .. والكأس تدور ..
فاشرب من هذه الخمر حتى الثمالة ..
ولا تخشى السكرة من خمر السماء !
ما اسهل ان تشكو وتتنهد !
فالعالم كله يبكي ليخفف من لوعته ..
فهلا اخفيت المك فى قلبك بكبرياء ؟
وتجرعت سم حزنك فى الخفاء ؟
انه ها هنا مصدر النور ــ الينبوع السماوي ..
هنا رؤيا البهاء السرمدي ..
ولانت اشد سطوعا من « موسى » لما نزل من الجبل .
وبهاء الله يشع على محياه ..
ولكن خبرني يا «مخفي» اين هو العيد واين هم المعيدون؟
اليس هنا فى نفسي يقوم عيد الله ..
فى الغرف المحجوبة من قلبي ؟!

* * *

وفى السجن تكالبت عليها العذابات ، واضطرمت فى قلبها الذكريات .. وشملتها الوحدة ، ونكران الناس للجميل.. والحب الضائع .. ومرارة النفس .. ورائحة الدماء التي يسفكها كل يوم ذلك الملك السفاح ــ سليل جنكيز خان وتيمورلنك ــ ومن شاء القدر ان يكون اباها .. الم يقتل من قبل اثنين من اخوته ، ويطرد الثالث من مملكته ،ويزج بوالده شاه جيهان فى السجن ، ليعلن نفسه امبراطورا على الهند ؟ ولا يكاد يستقر على « عرش الطاووس » حتى يجرد الجيش الجرار لاخضاع اقاليم الهند الجنوبية بالسيف ، ويطارد زعيمها سيفاجي .. ولا يكف طوال السنين عن القتال والغزو والتدمير حتى يتم له النصر ، ويأسر ملكها ــ ابن سيفاجي ــ ويخرب حصونها ، ويحرق مدائنها ..

ولم تحب الشاعرة القتل والتدمير ، فاتهمها ابوها بممالأة اعدائه .. ونفرت من ذلك الجو المسموم الذي يلفها من كل صوب .. ولم يعد لها عزاء ولا امل بقية حياتها غير ايمانها بربها ، والتسامي بالامها ، والتنفيس عن قلبها باشعارها.. فيحيل هذا مأساتها الى شعر عذب حزين

« الى متى تظل مخفيا ايها القلب المحترق ؟
الم تر كيف ينطلق اللهب ، وكيف يحجب بخار تنهداتك نجوم السماء ؟
مسوقة بحبي اطوف كما طاف « المجنون » حيث يتساقط عثير الصحراء على راسه المتعب ..
ومن اجل « ليلاه » يذرف الدمع مدرارا. لا يكف ابدا.
ولكن هل للنفس التي يضيئها الحب ان تخشى العالم الذي لا يبصر ؟
والذي يردد : « مجنون من يطأ سبل الحب ! »
بينما هو الحكيم السعيد، لان الحب منح عينيه بصيرة جديدة!
انظر يا « مخفي » كيف يطأ الحب القاسي فى تعاليه ،
قلوب الناس!
وكيف امسى سيفه احمر اللون من دم العشاق الذي اراقه!»

* * *

وهيهات ان تنسى الشاعرة حبيبها الفقيد :

« ايتها الذراعان الخاملتان !
انكما لم تدللا المحبوب الضائع !
وكان جديرا بكما ان تتحطما ولا تظلان هكذا خاويتين باردتين عاطلتين الى الابد !
ويا ايتها العينان العديمتا النفع ! انكما لم ترتا الحبيب الغائب طوال هذه السنين !
وكان خيرا لكما ان تصبحا ضريرتين عن ان تكونا هكذا مظلمتين بدموع لا جدوى منها !. ! »

ولكنها تعود الى التعالي بحزنها ، فتنشد :

« يا ايها القلب الاحمق !
حرت فى فهم تهورك !
اتجردت من كل قوة ومن كل ارادة ؟
فلم يعد فى مقدورك ان تحطم الحاجز الذي يحول بينك وبين اليفك ؟
الم تر كيف تنبثق الزهرة المبرعمة ، رائعة فى ثوبها الاخضر الممزق ؟
جميلة فى الحديقة مثل « يوسف » فى حسنه الشاب !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سرت في طريق الحب طويلا، وانحنيت تحت الاعباء الثقيلة
ثم نما قلبي المدان ، واشتد عوده ..
فهيهات للالم ان يحني اليوم روحي !
غسلت قلبي من النزوات والرغبات ..
وتطلعت وحيدة الى السلام ..
كي لايكون لي يوم الحساب نصيب في النعيم ولا في الجحيم!»

* * *

واخيرا صدر امر اورنجزيب بالافراج عن ابنته ..
وخرجت من السجن لتعيش بدلهي في وحدة وتنسك ..
وظلت اشعارها التي نظمتها بعد السجن، مصطبغة بالاسى:

« لماذا تشكين من الصحاب ومن الاعداء ؟
او لم يعبس لك القدر من مبدا الزمن ؟
الا فلتظل اسرار حبك مخفية .
وفي طريق الحب سر وحدك ايها « المخفي » !
ما عدت اليوم في حاجة الى رفيق ..
حتى ولو شاء المسيح ان يصحبك في الطريق !! »

* * *

وفي عام ١٦٨٩ بلغت زيبا النسا الخمسين من عمرها..
ومرضت اسبوعا واحدا ثم فاضت بعده روحها .
ودفنت في حديقة « نواكوت » على مقربة من « لاهور » — كما اوصت !
وشيدوا لها قبرا من المرمر تعلوه قبة ذات طرف من ذهب
وعاش ابوها بعد موتها ثمانية عشر عاما ..
وفي يوم من عام ١٧٠٧ وكان اورنجزيب في خيمته الواسعة الشبيهة بقصر اتخمه الترف والبذخ والنعيم، وملأه الحرس والخدم والجواري الحسان — في معسكره بمدينة احمد نوجور اذا به يمرض ويتلوى ويحتضر ..
وقد تراءت لعينيه اشباح المظالم والمذابح والحرائق ..
فراح يرسل صيحات الرعب واليأس وتأنيب الضمير ..
وتقلص وجهه الصارم العبوس ، وضاق صدره الذي لم يدخر عاطفة كريمة .. ثم مات ..

وبموته بدات تتفكك الامبراطورية الهندية الضخمة ، التي ظل يحافظ عليها بالسيف والارهاب ، ويوسع اطرافها بالغزو والدسائس ، وتتدهور ، وتنشب فيها الثورات ..
وخلفه عدد من الملوك الضعاف ، حتى زحف عليهم نادر شاه من ايران ، واعمل في دلهي النهب والسلب ، وعاث فيها حرقا وذبحا وتخريبا ..

ولقد اصاب ضريح الشاعرة ما اصاب غيره من آثار المغول في تلك الايام العاصفة التي اعقبت انحلال الامبراطورية المغولية في الهند ، وانتهت بسيطرة الانجليز .
والقبر اليوم متفرد متنسك مهجور .. ولم يزل بابه الكبير قائما يتسع ليدخله فيل عليه هودج .. وما زال يرى في الداخل برج ذو مآذن اربع ، مسقف بالاجر الاصفر والفيروز ..
واختفت الحديقة الزاهرة ، ويستدل عليها الان من بقايا اسوارها التي ترتفع من حقول القمح المتموج ..

اما الحديقة التي غرستها الشاعرة بمدينة لاهور ، وكانت مسرح شبابها وحبها واحلامها وكانت تسمى: «تشو برجي» — اي ذات الابراج الاربعة — فقد اندثرت ايضا .. ويمكن الاهتداء اليها اليوم من بقايا الاسوار والابواب الباقية ، ومن ابراج ثلاثة ما برحت قائمة فوق الباب الكبير، مزدانة بقرميد عليه رسوم لاشجار السرو وبعض الازهار . وعلى الابواب كتابات عربية وفارسية ، بينها عبارة تشير الى ان الشاعرة اهدت حديقتها الى معلمتها العجوز « مياباي ».

* * *

وفي عام ١٧٢٤ وكان قد مضى على وفاة الشاعرة خمس وثلاثون سنة ، بحث بعض الادباء عن اشعارها المبعثرة ، وجمعوها في مجلد باسم : « ديوان المخفي » ، مشتملا على اربعمائة واحدى وعشرين قصيدة ومقطوعة وبينها عدد وافر من الرباعيات ..

ثم اضيف اليه عام ١٧٣٠ ما عثروا عليه من غزليات اخرى للشاعرة ..

وظهرت نسخ كثيرة من مخطوطات الديوان في الهند وايران .. وكانت بينها نماذج ممتازة من ديوانها المخطوط يحتفظ به بعض محبيها ..

واخيرا ترجم خمسون من قصائدها الغزلية والصوفية ، من الفارسية الى الانجليزية نظما .. وقام بهذه الترجمة كل من « ماجان لال » والشاعرة «جسي دنكان وستبروك» وطبع الديوان بلندن عام ١٩١٣ في سلسلة :«حكمة المشرق».

وانتشر « ديوان المخفي » في الهند وايران .. وله هناك مقدروه ، وكثيرا ما تنشد منظوماته في الاجتماعات الدينية ، وفي اعياد المتصوفة .

رمل الاسكندرية — **نقولا يوسف**

شبح

لمحت شبحا من نور
فحولت وجهي عنه شطر الظلام
لكي لا يصادف نظره نظري الحزين
فيروعه المنظر ... ويصدعني ويغيب
لبثت مكاني
معلقا طرفي بالظلام عله يراني
فيعطف على نفسي الحزينة وقلبي الكسير
وما لبثت طويلا حتى رأيت ذلك النور
داخلا الى كوخي مشرقا في قلبي وروحي

حلب — **ابراهيم مجاهد الجزائري**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امي والغربة والبحار

من ادمع امي تغزل شمس
تغتسل .. تعرى اصباح
يا ملاح ...
عيناها تقتنص المجهول .. المغلق
تبحث عني
يأكلها من بعدي اليأس
بالحب تؤرق .. بالحزن
ويجف الفرس .. الافراح
وصقيع يلتهم الزنبق

من ادمع امي مركبة خضراء
ترود بها الدنيا
وعوالم لم تعرف بعد
لم تخطر فى بال الرؤيا
تغمزها .. ينفتح الرصد
يقترب الراحل .. والبعد
.. تسند راسي الواهي .. المرهق
بوسادة قلب يورق حبا
يرضع ارض بلادي الخصبا
يثقل بالخمر دواليا
يجدل شعر النجم الازرق
ارجوحة عشاق سمر
وبساط ربيع ورديا
يرتاح لوشوشة الزهر
لصغار تلثغ .. للفجر
ولبعض حكايا ماضينا
« للاوف » السكرى .. و « لليا »
من ادمع امي مرآة ،
تستمرىء فيها الاجيال
انهار الضوء .. الازمان
يا ربان
لا تقلع فى بحر الغربة
لا يغري شراعك ترحال
فبلادي طيبة .. خصبة
يعشقها القمح .. الرمان

من ديوان «مزامير الضياع» المعد للطبع

محمود السيد

دمشق

•

ويفدي صباها الريحان
وتغسل من جدب تربة
بدموع صبايا ابكار
عمدن بمعبد نوار
وبلهفة امي تنتظر
وتكشف روح الرغبات
الماضي منها والآتي
فى لحظة لقيا .. فى رغبة
يورق قحل .. يمطر صخر
يجدد فيها العمر .. العمر

من ادمع امي تلتئم الالام ،
الجرح الفوار
ويفمغم بالحرف الصمت
يبرا ابرص .. يخلع ميت
يا بحار
اما نقلع ...
اما نرسو فى ميناء
سنشرد دون الابواب
وبلا حب .. وبلا ماء
سندور .. ندور ولا ندري !
معنى الاصوات ، الاصداء
معنى ان نجري ولا نجري
كيباب نمضي كيباب
وعلينا وشم الغرباء
وشم يفزع
يزرقنا بالسأم المفجع
يا بحار
سنجوع ، نعرى ، نحترق
وستسدل .. تعبس استار
وتغوص .. تهاجر اقمار
ويصيح بنا الدرب .. الشوق
ـ لا جرة ماء مقروره
يفتر لها حر الصيف
لا كوخا يفرح بالضيف
لا اما عينيها صلبت فى المنعطف
تسمع همس الخطو المخفي
رعشات اللقيا .. المنتظره
تسأل هل عاد البحار ؟
يا سمار
هل طل شراع ذو ندبه
يجلده مجداف الغربه
لتكحل جفنيه التربه ،
الوطن الاخضر .. رغم الجدب
رغم اليبس
رغم الجوع ، القذر ، التعب
رغم الغربان ، البوم ، الحرب
رغم الرعب
.. للوطن الضاحك للشمس
للارض الطيبة .. الرحبة
هل طل شراع ، بحار ؟
يا سمار ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خيل اليه ان المسألة ستمر بسلام . ان اقتراب زوجته من احد الابواب لن يعني سوى طلب عمل ما . ولكنه، عندما فتح الباب الذي طرقته ،واطل منه وجه رجل طافحا بالبشور ، ايقن بان الموقف لا يوحي بالاطمئنان الى المستقبل .

وانتظر على مقربة من الباب الذي يتصدر البناء فى اول الشارع ، حتى انتهت زوجته من حديثها مع الرجل وعادت اليه . تردد قليلا قبل ان يقول لها :

ـ فى رايي ، يا سعدة ، ان نستغني عن خطتنا . ولنعد الى القرية فقد اوفق فى ايجاد عمل يناسب قوتي .

وقطع كلامه وراح يتطلع الى الدهشة التي ارتسمت فى عيني زوجته بعد قضاء اسبوع كامل فى المدينة بحثا عن عمل . واضاف :

ـ تعلمين بان الموقف ليس هينا بالنسبة الي . لقد كان وجه الرجل كريها ومقرفا ولاحظت فى عينيه وهو يتفحص وجهك ثم قامتك شوقا الى امراة . اية امراة يلتقي بها.

لم تدعه يكمل كلامه . قالت :

ـ سابدا عملي لديه منذ الصباح . واما القرية فلن نعود اليها . ومتى تتغلب على اوجاع صدرك وتعثر على عمل ، اترك لك عبء اعالتنا .

وكان عليه ان يتراجع امام تشبث سعده . قال :

ـ كما تريدين .

واحس بان الظروف قد هزمته تماما .

ومدت سعده ذراعيها نحوه ، وتناولت منه طفلها الصغير ، وشدته الى صدرها وهي تقول :

ـ ساترك لك امر العناية بحمزه. وفى المساء عندما نلتقي نتحدث عن شؤوننا .

وانهت كلامها بلهجة هادئة محببة. قال :

ـ علينا ، اذن ، ان نعثر على غرفة

وتمتم :

ـ وعندما يكبر حمزه لن يعرف انه من مواليد قرية نائية طرده الفقر منها وهو فى الثانية من عمره .

وتفحص قسمات وجهه الدقيق واضاف بصوت مسموع :

ـ ترى هل نجني عليه ؟

اكتفت سعده بان مدت يدها ودفعته بها لمتابعة السير :

ـ سيكون اسعد منا . ثق بهذا .

وقفز امام عينيه وجه الرجل طافحا بالبشور . والتمعت عيناه جائعتين الى لحوم النساء . قال :

ـ لست واثقا كل الثقة . لكنني ارجو ذلك .

وسارا جنبا الى جنب فى الطريق الخالية من السابلة .

الخ ، من جديد ، وجه الرجل

الكابوس

بقلم اسكندر لوقا

طافحا بالبشور ، على مخيلة الزوج :

ـ ماذا قلت له عندما فتح الباب؟

ـ سالته اذا كان بحاجة الى خادم

ـ لم يكن اول رجل وقعت عيناه عليك . لقد رفضوا جميعا. ما الذي دعاه الى القبول وحده ؟

وفطن الى عباراته المبطنة بالشك. حاول ان يوضح موقفه ، الا انها سبقته الى الكلام :

ـ لانهم لم يكونوا بحاجة الى خادم . وهذا خلاف ما هم عليه .

سكت قليلا ثم اضاف :

ـ وهل تظنين انه حقا بحاجة الى خادم ؟

عقدت سعده جبينها . وتراءى لها ما يخشاه زوجها بوضوح اكثر . قالت متجاهلة الظنون :

ـ اظن ذلك .

واردفت قائلة :

ـ واذا تبين لي عكس ذلك لن ابقى داخل البيت دقيقة واحدة .

شجعه كلامها على متابعة الحديث:

ـ وهل تناهت اليك اصوات من الداخل ؟ نساء مثلا ؟ زوجته ..امه .. ابنته ؟!

لم تستطع ان تجزم فى ذلك . كانت مهتمة بالعمل .

قال :

ـ تعلمين اننا ينبغي علينا ان نرفض لقمة الخبز الملوثة .

ووجدت سعده نفسها تؤكد له :

ـ انك محق . لن افرط بالرباط المقدس الذي بيننا .

فملأ صدره بالهواء .

*

عندما توارت سعده خلف الباب ، لم يبرح مكانه . بقي مستندا الى الجدار وبين ذراعيه ابنه . صورة الرجل الدميم لا تبرح مخيلته. عيناه الجائعتان الى لحوم النساء مفروستان فى عيني سعده . تتشبثان برقبتها ، بصدرها ، بشفتيها ، ثم تستقران فوق ردفيها .

الصورة مطبوعة امام ناظريه جيدا. والرجل الدميم ذو الوجه الطافح بالبشور يتفحص بكثير من الدقة قامة سعده وهي تخطر فى ارجاء البيت وتنحني لتمسح ارضه . ويزداد تشبثا بمكانه قرب الباب .

تنحنح حمزه بين ذراعيه فقلبه الى الجهة المعاكسة لوضعه الاول . ومسح قسمات وجهه الدقيق بحنان نظراته . عينا حمزه تتفحصان وجهه. لاول مرة يكتشف ان لونهما جميل للغاية ..

واما عينا ذلك الرجل ، فانهما تلاحقان سعده فى الصالون ،والمطبخ، وفى غرفة النوم . الجوع الى لحوم النساء ما زال مرتسما فيهما . الجوع يعلن عن نفسه من خلال نظراته الملتهبة

اقترب من الباب وراح يبحث عن ثقب ما فى محاولة يائسة لمراقبة ماذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يدور خلفه ..

الرجل يحاول اقتناص الخادم بوسيلة بارعة . يبدا بان يقنعها بانه انسان طيب لا غبار عليه . وكانه يسمعه يناديها :

ـ سعده ..

وتقترب سعده منه وتلاحظ جيدا انه ذو ساق من خشب .

ويرخي عصاه على المقعد المجاور :

ـ هل تخشين نظراتي ؟

تجيبه سعده بلباقة :

ـ ليس فيهما ما يخيف الاخرين

ويمضي الحوار بينهما :

ـ كنت احسبك تخافينها ..

ـ انت انسان وديع يا سيدي ..

ولا اظن انك حاولت الاساءة الى احد قبل الان !

ـ انك ذكية يا سعده . تحاولين كسب الجولة !!

ـ هل تسمح لي بمتابعة عملي يا سيدي ؟

ـ اقتربي مني يا سعده . العمر ينتهي ولا ينتهي العمل ..

ـ ماذا لديك لتقوله يا سيدي ؟

ـ انك جميلة .. وشهية ..

ويغرس عينيه الوحشيتين في عينيها محاولا سلب ارادتها. وتخفض سعده اجفانها من الخوف والحياء .

ـ هل انت متزوجة ؟

ـ منذ ثلاث سنوات .

ـ وهل لديك اطفال ؟

ـ اجل . عندي صبي عمره سنتان

ـ اسمه ؟

ـ حمزه .

ـ اين هو الان ؟

ـ مع ابيه .

ـ هل افهم من كلامك ان زوجك عاطل عن العمل .

ـ اجل يا سيدي .

ـ وما هو السبب ؟

ـ وقع في بئر وكسرت عدة عظام في صدره . العمل الذي يقوى عليه لا يجده .

ـ ولماذا لا تحضري حمزه معك وتدعي اباه يرتاح ؟

ـ اذا احضرته اعاقني عن اداء واجباتي .

يضحك الرجل ذو الوجه الطافح بالبشور وتهتز كتفاه وهو يميل الى الوراء .

ـ سوف تقابلك اوقات فراغ كثيرة

ـ لا اظن يا سيدي ..

ـ وكيف عرفت ؟

ـ العمل لا ينتهي . قلت ذلك بنفسك منذ قليل !!

ـ اظنك تعنين ، كما عنيت ، بانك ستقضين بعض اوقاتك معي. هنا .

ويشير الى ساقه الخشبية المدودة

تتراجع سعده الى الوراء عدة خطوات :

ـ اذا حاولت الاعتداء علي او الاقتراب مني صرخت ..

ـ الم اقل لك انك تخافين مني ؟ المراة التي عملت لدي قبلك صرحت بذلك منذ اول لحظة . وكذلك المراة التي سبقتها ، والتي سبقت هذه ايضا . ولكنك كنت اشجعهن !!

وينتصب واقفا على قدميه ويزداد اقترابا من سعده :

ـ لا تخافي . لن اقسو عليك . انك امراة طيبة وذكية .

تتراجع سعده الى الوراء عدة خطوات اخرى :

ـ ساصرخ اذا لمستني . سانادي زوجي .

ولكن الرجل ذو الوجه المقرف لا يعبأ بوعيدها . يزداد اقترابا منها وهو يضغط على اسنانه ويطرق عصاه على الجدار القريب منه :

ـ اذا صرخت قتلتك . كوني عاقلة واطمئني الي !

ويصرخ الجوع في عينيه ..

ويرمي بقدمه المشوهة الى الامام خطوة ، ويلتهب صدره باللهاث :

ـ ساعطيك ما تريدين ..

*

لماذا يبقى واقفا في ارضه كالمهزوم؟

لو ان اي زوج كان في وضعه لتقدم من الباب وحطم دفتيه ودافع ، كالرجال ، عن شرفه .

ولكنه اكتفى بالضغط على الجرس

فتح الباب ، واطل عليه وجه سعده . وجهها ينم عن هدوء . امتلأ ندما على ما فعل . حاول ان يقول شيئا ، اي شيء يبرر به موقفه ، ولكن جاءه صوت الرجل من الداخل فاسكته :

ـ من تحدثين يا سعده ؟

حولت سعده راسها الى الخلف :

ـ انه زوجي جاء يطمئنني عن حمزه

وينطلق صوت من الداخل قوي النبرات :

ـ اذن هو جاء في موعده !

واذا به امام الرجل وجها لوجه :

ـ انت زوج سعده ؟

لهجته صارمة ولكنها توحي ، الى حد ما ، بالثقة . اجاب :

نعم .

ـ حدثتني سعده عنك . تريد عملا لا يتطلب منك مشقة ؟

ـ اجل يا سيدي !

وانتقلت عينا الرجل ذي الساق الخشبية الى ذراعيه :

ـ وهذا هو حمزه ولدكما .

ـ هذا صحيح .

ـ حدثتني سعده عنه ايضا !

وتمنى من اعماقه ان يعتقه . انه لا يستطيع مواصلة النظر الى وجهه الدميم الطافح بالبشور .

حاولت سعده انقاذ الموقف :

ـ طلب السيد مقابلتك من اجل عمل لديه ..

لم يصدق سمعه حتى سمع الرجل يقول :

ـ سوف تعني بحديقة البيت . اعتبر نفسك منذ الان على راس عملك

وغاب في احدى الغرف القريبة وهو يردد :

ـ اتبعني .

عندما تقابلا ، لاحظ ان وجه الرجل لم يكن كريها جدا . كما لاحظ ان قدميه كانتا سليمتين وانه لم يكن يستخدم العصا التي تخيلها.

دمشق — اسكندر لوقا

من سيدة
الى مصارع ثيران

هذه القصيدة هي تجربة شعورية لمسها الشاعر عندما كان في اسبانيا ، بطلتها سيدة امريكية ، سكنت اسبانيا من اجل مصارع ثيران ، ساق القدر الشاعر ، ليتعرف اليها اذ كانت تسكن في نفس الفندق الذي نزل به في برشلونة .

•

حارث الوفي

•

بغداد

فسفور ساقي كله اليك
ان انت القيت الرداء من يديك
وعدت يا صديقي القديم ،
تنقط الحليب في دمي ..
وتزرع الاطفال يوما تحت محزمي ...

شوقي خليج بحره الحرمان ..
يكرعه التفكير كل آن
وانت يا صديقي الملون الانسان ،
تلوك في ..
حلوى من الاسمنت والزجاج
وتبصق المجد على امواجه ..
الصغيرة الامواج
مجدا يسيل من دماء كل ثور
خائر الايمان

بريدنا يموت من هواه
واذرعي تحيا على ذكراه
وخاتمي بأصبعي يبكي على ..
حبك في صباه
وعاشقي في حبنا ، ناح وصاح : آه
وانت يا صديقي القريب
وانت يا صديقي الحبيب
تخاف من ان ينهش الاموات
جهاتك الاربعة ، الكريهة الجهات
ويشدم الضمير من سحابة يعصرها سماه

اغفاءة الالوان والجليد
تعيد للقريب والبعيد ، ما تعيد ؟
احلام بنت حجرت آهاتها الرقاق
وعافت العشاق والرفاق
وذاقت الاشواق ثم طعم ،
فارغ المذاق
وقدست في قلبها حبا ، غريرا ،
ارعنا بليد

يا احمر الجلباب يا مصارع الثيران
يا احمر العيون يا مصارع الثيران
يا احمر الاشواق يا مصارع الثيران
فسفور ساقي كله اليك
ان انت القيت الرداء من يديك
وعدت يا صديقي القديم
تنقط الحليب في دمي
وتزرع الانسان بالانسان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوزي المعلوف والعصبة الاندلسية

بقلم نظير زيتون

في تموز المنصرم (١٩٦٠) تلقيت من رفيق لي في العصبة الاندلسية – سقى الله ذكراها بغيث هتون – مقيم في سان باولو البرازيل ، قصاصة من جريدة (الطيار) البيروتية ، تحمل في صفحتها الادبية مقالا مسهبا مستفيضا للاستاذ خليل باز بعنوان (فوزي المعلوف شاعر الانطلاق والحرية والخلود) تتلوه عناوين اخرى منها هذا العنوان (مات فوزي المعلوف فشلت حركة العصبة الاندلسية بعده الخ . .)

وشئت عند قراءة المقال ان اقف وقفة المستغرب المتعجب من وقوع الكاتب الفاضل في مثل هذا الخطأ التاريخي الفاضح ، فطويته بعدما اتضح لي انه لم يكن سيء النية، عندما قال ان وفاة فوزي المعلوف رحمه الله ، شلت حركة العصبة ، وكل ما في الامر ان الاستاذ خليل باز يجهل تاريخ فوزي ، كما يجهل تاريخ العصبة الاندلسية وسائر ما يتعلق باعضائها ومجلتها واعمالها . .

ولكن صديقي في سان باولو لم يرض عن سكوتي وعاد ليقول لي – ما بعثت بالقصاصة لتقراها وتطويها . بل لتفند ما اثبت فيها من اخطاء تاريخية وادبية الخ . . وانت الذي نافحت ودافعت عن الادب المهجري كلما استباح حرمته احد المتحاملين .

وامام هذا الالحاح لم ار بدا من الاستجابة جلاء لبعض الغوامض وتصحيحا للاخطاء التاريخية التي بنيت عليها استنتاجات باطلة مما لا يجوز التغاضي عنه ، والا ذاع الخطأ التاريخي،وشاع الاستنتاج المبني عليه وهو ان المرحوم فوزي المعلوف احسن الله اليه ، هو الذي انشأ العصبة الاندلسية وهو الذي كان روحها وجسدها ، وزادها وموردها . ولكن ما ان فاضت روحه الطاهرة حتى فاضت معها روح العصبة الاندلسية ودارت عليها الدائرة . واذا هي هدف الانتقادات العاثرة . ومرمى اليراعة الجائرة ، وفي هذا من الحيف على العصبة ما يأباه الحق والانصاف والتاريخ .

واغلب الظن انه التبس الامر على الكاتب الفاضل بين فوزي المعلوف وميشال المعلوف . وهو خاله ، رحم الله الاثنين . واغلب الظن ايضا انه التبس عليه الامر بين المنتدى الزحلي والعصبة الاندلسية ، فوقع في تلك الاخطاء عن حسن نية كما قلنا ، وكان باستطاعته ان يجتنبها ، لو حقق وراجع احد المصادر المهجرية ككتاب جورج صيدح (ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية) او سواه من المراجع الاخرى.

فالمغفور له فوزي المعلوف توفي في السنة ١٩٣٠ ،وكنت اول من رثاه بين كتاب المهجر ، على صفحات جريدة فتى لبنان اليومية التي كان يصدرها العلامة اللغوي رشيد عطية ، وقد توليت تحريرها نحو عشرين سنة ، وتناقلت الرثاء صحف شتى كما اثبته العلامة المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف والد فوزي في كتابه (ذكرى فوزي المعلوف) .

كانت حياة فوزي المهجرية قصيرة لا تجاوز عشر سنوات بيد انها اتسمت بالخصب والجودة ، في الميدانين الادبي والاجتماعي فما كاد يصل الى سان باولو حتى جمع صفوف الزحليين واسس لهم منتداهم الادبي الاجتماعي ،على غرار النادي الحمصي ، ودشن المنتدى الزحلي اعماله الادبية بتمثيل مسرحية « ابن حامد او سقوط غرناطة » الفها فوزي نفسه كما اشترك في التمثيل ايضا ، وكان لهذه المسرحية الرائعة وقعها العميق في النفوس . وقد دفعني آنئذ اعجابي بهذه التمثيلية المتسامية بروحها العربية الى تقريظها وتبيان محاسنها ومواهب مؤلفها . ولا يزال هذا المنتدى يتابع نشاطه الاجتماعي وينطق بفضل مؤسسه ورئيسه الاول فوزي المعلوف الذي علق في صدر بهوه الكبير اطارا يتلألأ فيه هذا البيت الخالد :

ان لم نكن كلنا في اصلنا عربا
فنحن تحت لواها كلنا عرب

اي تحت لواء اللغة العربية .

اما انتاجه الادبي فقد بلغ الذروة . وحديثي عنه من باب لغو القول ولذلك لا اتطرق اليه ، وان كنت آخذ على الاستاذ باز مغالاته واسرافه للدلالة على مكانة فوزي الرفيعة في دنيا الشعر كقوله « وتيتم بعده الادب العربي لانه اغناه شعرا فيما وجد فيه وحرره من الكسب والالتزام » وما تيتم الادب العربي بعده ، بل تابع انطلاقاته بصحة وعافية، وانما فجع بعلم من اعلامه ، وهرم من اهرامه .

وكقوله في مكان اخر « لان عميد الدوحة المعلوفية ونجمها المتألق البعيد ، اعتلى فوق هذه الارض وسما عن البشرية وفاقها قدرا وذاتية وروحا» وهذا الوصف قد يصح بشيء من الحذر على الانبياء والرسل وبعض ائمة المتصوفين العارفين بالله المتفانين فيه ، وفوزي رحمه الله لم يكن من هؤلاء . وان كان في قرارة نفسه انسانا اصيلا متساميا عميق الفكرة الانسانية مرهف الاحاسيس رائع الخيال .

ويقول الاستاذ باز « ان ملحمة فوزي الخالدة – على بساط الريح – ترجمت الى عشرين لسانا حيا » والذي نعلمه انها ترجمت الى لغتين الاسبانية والبرتغالية ، ولكننا نرجو ان تترجم في المستقبل الى لغات اخرى . وقد يكون ترجم شيء منها الى الفرنسية عن طريق الطلاب الذين اتخذوها موضوعا لرسائلهم في الصفوف العليا .

وعندنا انه يكفي لتعظيم فوزي المعلوف واثره الشعري الفني وخياله المجلجل ، ان نقول ان عددا كبيرا من الطلاب في المدارس العليا والجامعات دارت اطاريحهم ورسائلهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فـوزي المعلـوف

•

للفوز بالشهادة حول « بساط الريح » وهذا المجد الادبي لم يفز بمثله ايليا ابو ماضي ولا الشاعر القروي ولا شفيق المعلوف ، ولا جورج صيـدح ، ولا نسيب عريضة ، ولا فرحات او سواهم من فحول الشعراء المهجريين .

ومن روائع مبالغات الكاتب قوله « ويسبح الشاعر (اي فوزي) فيبحور الكنوز فيثب نحو الجوهر المكنون ويقتحم لينشله . وتترآى وتتضح اسرار الكون الخفية ، وحقائق يعجز العلم عن الوصول اليها ، فتكشفها قوافي ابياته ويجلي يراعه كنه غموضها » .

وفوزي ، احسن الله اليه ، لو سمع هذا الوصف حيا لاستغفر ربه ، فمن هو الشاعر الذي تكشفت لـه اسرار الكون الخفية ؟ ومن هو الشاعر الذي استجلى حقائق يعجز العلم عن الوصول اليها ؟ قد يتاح لبعض الشعراء ان تلتمع في خيالهم ومضات روحية وفكرية وفلسفية ورؤى تقرب من اشراقات النبوءة ، ولكن ومضاتهم ورؤاهم لا تعـدو شاطىء الاسرار الكونية الخفية مهما اقتحمت من مجاهل . ثم ان حقائق العلم التي هي نتيجة التجارب والدراسات العقلية والعملية ، تختلف كل الاختلاف عن الشعر الـذي هو نتيجة الانفعالات النفسية والتأملات الذهنية والانطلاقات الروحية مسبوكة في قالب من الفن والموسيقى ، وهـذا يعني ان ما يفتح على العالم لا يفتح على الشاعر مهما بلغ شأنه . وما يفتح على الشاعر لا يفتح على العالم مهما اتسع عقله . لكل منهما ميدانه . والميدانان غير متجاورين ، بل متباعدان اشد التباعد ..

فالشعر طار بدانتي فابدع في « الملهاة الالهية » كل الابداع ووصف لنا السماء والجحيم كما تخيلها او كما رسـخ في ذهنه بعد الدرس ، ولكن بصره الحي لم يقع عليـها ، ولا يده لمست شيئا منها .

وطار الشعر بفوزي المعلوف فطاف بخياله في الفضاء وارتاد النجوم وحادثها وعاد حاملا ملحمته البديعة « على بساط الريح » ولكنه لم يرتفع عن سطح الغبراء ، بل صور ما فاض في نفسه من انفعالات وتأملات سلبية وايجابية ، في شعر يقطر شهدا .

والعلم ، طار بغاغارين الروسي فدار بصاروخه في الفضاء حول الارض منطادا في اعالي السماء ، ورأى رأي عينه ما لا تراه عين الشاعر المحلق ، في خياله المتألق ، ثم عـاد بصاروخه الى الارض وهو الغازي المتفوق ..

فأي منهما كشف عن شيء من اسرار الكون ، اهـو الشاعر ام العالم ؟ العالم حتما ، لا الشاعر الـذي وقـف مدهوشا مشدوها امام فتوحات العقل البشري العملاق ، في السبع الطباق ..

شهد الله اننا نحب فوزي المعلوف انقى الحب ، ونعجب بمواهبه اصفى الاعجاب ، ولكن هذا الحب وهذا الاعجاب لا يسوغان لنا ان نشوه صورتـه الجميلـة بالاسراف في الاوصاف ، وفي الاسراف اجحاف لا انصاف .

* * *

قلنا انه التبس الامر علـى الاستاذ باز بين المرحومين فوزي المعلوف وخاله ميشال المعلوف عميد العصبة الاندلسية ، فقال « وآثر — اي فوزي — ان يضم جسده وادي زحلـه مصدر وحيه وغيث الهامه . فلعل نسيم واديهـا الرطب ينعشه الى الابد وتنفلت روحه حرة طليقة تجوب كل دنيا تاقت اليها »

والصحيح ان فوزي المعلوف توفاه الله في ريو دي جانيرو ودفن بسان باولو في ضريح فخم تجلت فيه آيات الجمـال الفني والمعاني الرمزية . وبعد وفاته احيت النزالة بمختلف هيئاتها ذكراه بحفلة اكرامية رائعة ، ثم بتمثال نصفي مـن الشبه او البرونز نصبوه على ضفاف البردوني في مدخـل الوادي .

اما المتوفي في زحله والمدفون فيها فهو المغفور له ميشال المعلوف ، وكان قد غادر البرازيل الى الوطن قبيل الحرب العالمية الثانية ، وما مضت بضع سنوات حتى وافته المنية مبكيا علـى خلقـه وادبه المتألق وقـد اقمـنا له نحـن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رفاقه اعضاء العصبة الاندلسية فى سان باولو حفلة تأبينية تضمخت بطيب ذكراه ، وازدهرت بسناء مناقبه ومزاياه . وتغنينا بادبه ونداه ، فاذا الشعر نفحة من شذاه ، والنثر زهر من رباه ، وكان الحرف الباكي الحنون اكليلا من الحب ضفرناه ، فى اطار من الوفاء صفناه .

* * *

ولننتقل الان الى العصبة الاندلسية يقول الاستاذ باز فى مقاله (والعصبة الاندلسية تجمد نشاطها وشلت حركة اعضائها وانطفأت شعلتها وماتت مع فوزي نضارتها وغابت بهجة لياليها الحافلة ، وتوقف نشاطهاوجف ينبوعها الدافق المعطاء ، فمن الذي يدير امورها بعد فوزي ، ومن يتحمل اعباء مسؤولياتها الجسام غيره . ومن يكون صاحب الحل والربط سواه . فلقد عاشت هذه الرابطة سنين طويلة من عمر الزمن وكان من اشهر اعضائها حبيب مسعود وعقل وشكرالله الجر. ورشيدالخوري الشاعر القروي ويوسف(؟) حسون المعلوف وشفيق المعلوفشاعر عبقر وشقيق فوزي وغيرهم .. لكنها تضاءلت رويدا رويدا حتى انفرطعقدها وتشتت اعضاؤها .. الخ »

والباطل فى هذا الحكم الجائر ، سافر والتجني ظاهر . والتحيف عامر . والتحامل هادر زاخر ، والافتئات على العصبة الاندلسية واعضائها ، عنيد مكابر . ولا ندري كيف سولت للاستاذ خليل باز نفسه ان يعبث بهم ويزدري ادبهم ويضع من قدرهم ويصورهم عيالا على مائدة فوزي المعلوف الادبية كاطفال قاصرين، وبينهم العمالقة المجلون، والاقطاب البارزون ، والاعلام المتجردون المتضلعون .

ونحن اذا اغتفرنا للكاتب اخطاءه التاريخية ، فكيفنغتفر له اخطاءه الادبية التي تورط فيها ؟

واذا كان فوزي المعلوف قد توفي فى ١٩٣٠ كما ذكرنا آنفا ، فكيف انطفأت شعلة العصبة الاندلسية وجف ينبوعها وهي التي تأسست فى ١٩٣٢ اي بعد وفاة فوزي بسنتين ؟ هذه النقطة التاريخية تكفي لتدمير كل ما رواه الكاتب وبناه حول العصبة الاندلسية وفوزي المعلوف . ان كل ما بناه الكاتب واحكم تشييده فى هذا الصدد ينهار انهيارا طبيعيا من الفه الى يائه ، ومن قبابه وجدرانه الى فسيفسائه وطلائه ، فلا يبقى اي ظل لهيكلهوحوبائه . فهو اذن لغو فى لغو ، وكبو فى كبو ..

اما تأسيس العصبة الاندلسية فيعود الفضل فيه الى الشاعر شكرالله الجر ، وكان يصدر آنئذ مجلته (الاندلس الجديدة) فهو صاحب الفكرة وهو الساعي الى تنفيذها ولكنه لم يشترك فى عضوية العصبة استبعادا لسائر الصحافيين ، وكان للوجيه ميشال المعلوف وهو الذي جمع بين الادب والنشب فضل رعاية العصبة ، وقد القيت على عاتقه رئاستها فما قبلهاالا بعد الحاح شديد ، وقداستمرت هذه الرئاسة الى ان لبى دعوة ربه فى زحله . اذكر من مؤسسيها الراحلين ميشال المعلوف وعقل الجر وانطون سليم سعد ويوسف البعيني وجسين غراب واسكندر كرباج ، ومن مؤسسيها الاحياء شفيق المعلوف وجورج حسون المعلوف ، (لا يوسف كما ذكر الكاتب خطا) وحبيب مسعود ونصر سمعان وتوفيق داود قربان وهذا انفصل عنها فىمراحلها الاولى، والشاعر القروي وكاتب هذا المقال، والاثنان الاخيران عادا الى الوطن فاقام الاول فى قريته البربارة ، والثاني فى مدينته حمص ، على امل الرجوع الى المهجر لقضاء بعض المهمات الادبية والتاريخية واللغوية (*)

وقد عاشت العصبة الاندلسية نحو احدىوعشرين سنة (١٩٣٢ – ١٩٥٣) وتوالى على رئاستها بعد وفاة عميدها فى زحلة ، الشاعر القروي وشفيق المعلوف وكان له فضل رعاية مجلة العصبة فى سنواتها الاخيرة . وهذا يعني انهالم تنحل بوفاة عميدها الاول ، كما انحلت الرابطة القلمية فى نيويورك بوفاة جبران ، بل تابعت سيرها واستمرت على تأدية رسالتها الادبية الرفيعة التي تجلت متألقة فى مجلتها « العصبة » الرصينة الراقية التي كان لها مكان الصدارة الى جانب المقتطف لولا ان هذه غلب عليها الطابع العلمي . تولى رئاسة تحريرها حبيب مسعود ، واسهم فى كتابة موادها نثرا وشعرا اعضاء العصبةفى الدرجة الاولى وفريق من اعلام الادب فى الوطن العربي فى الدرجة الثانية. ولاغلو اذا قلت انها كانت ارقى مجلة ادبية عرفتها الضاد فى تلك الحقبة . كما اني لا اظلم الرابطة القلمية اذا وضعنا آثارها الادبية فى كفة ميزانوالى جانبهافى الكفة الاخرى آثارالعصبة الاندلسية ، فرجحت هذه وشالت تلك . وربما كان لعمر الرابطةالقلمية القصير ، وعمر العصبة الاطول،اثر فى رجحان كفة العصبة التي اصدرت اكثرمن خمسة عشر مجلداضخما ضمت كنوزا فكرية ثمينة هي من انفس ما خلفه المهجر للمكتبة العربية ، وبالتالي للامة العربية ، بل هي خير ما اهداه المغتربون الىبلادهم، واخلد ما اعطوه للوطن الاصيل.

وصعب علينا ان نعد ادب العصبة الاندلسية امتدادا لادب الرابطة القلمية او سبكا علىغراره . فبين الادبينبون شاسع منهاجا وفكرة واتجاها واسلوبا وصياغة ، واذا كان فى ادب الرابطة القلمية على انطلاقه ونهاوته ، وحلاوته وطلاوته ، مكان للغمز كما يزعم نقاد اللغة المتزمتون ، فادب العصبة معصوم عن هذا الفخر ...

فالادب العربي فى المهجر البرازيلي ، لم يتيتم اذن بعد وفاة فوزي المعلوف ، بل انطلق واشرق ، وامرع وابدع ، وارتفع وامتنع وكان شمسا يوم احتجبت الشموس .وكان راسا يوم تهومت الرؤوس ، وكان كأسا مترعة حين غاضت الكؤوس ، وظمئت الاذهان والنفوس ..

وما كانت العصبة لتنامعن تأدية رسالتها الادبية الفكرية

(*) انتخب مؤتمر مجمع اللغة العربية المعقود بالقاهرة فى شهر شباط الاخير الاستاذ نظير زيتون عضوا فيه (الاديب)



نظير زيتون

•

لولا انه لم يبق من مؤسسيها وسائر اعضائها فى سان باولو سوى اربعة او خمسة ، ولكنهم على انحجاب مجلة العصبة تابعوا منفردين تقديم ذبائح الفكر والقلب فى معبد الادب العربي . لقد احبوا الحرف واخلصوا له وتفانوا ، وما انصرفوا عنه وهو يغرب بغروبهم ، فصح فى ادبهم وفيهم قول الشاعر : والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل..

ولقد صدق الاستاذ باز فى ناحية واخطأ فى اخرى حينما قال « وفضل هؤلاء الادباء انهم اسسوا وطنا ثانيا فى بلاد العم سام ورفعوا بيرق لبنان ثان بآدابه وثقافاته وعلومه وجرائده وجالياته ومؤسساته وبين هذه النخبة العظيمة التي رفعت شأن لبنان هناك ، شاعرنا فوزي .. »

ووجه الخطأ انه اطلق على الاميركتين اي السكسونية واللاتينية لقب بلاد العم سام ، بدليل ذكره لفوزي المعلوف الذي كان مقيمافى البرازيل اكبر جمهوريات اميركااللاتينية، فى حين ان لقب العم سام مقصور على الولايات المتحدة الاميركانية وحدها .

واصاب كل الاصابة عندما قال ان هؤلاء الادباء ـ اي ادباء الولايات المتحدة وادباء اميركا اللاتينية عموما والبرازيل خصوصا حملوا لواء لبنان فى المهاجر خفاقا مشرقا عليا غليا . هذا لا شك فيه ولا نقاش ، كما انه لا ريب ايضا فى ان ادباء سورية المهجريين اسهموا فى حمل هذا اللواء اللبناني الجميل ، الزاهي الناهي ، حملوه الى جانب اخوانهم ورصفائهم اللبنانيين المثاليين، ففي الرابطة القلمية النيويوركية ثلاثة اعلام من الادباء السوريين وبالتخصيص من حمص وهم نسيب عريضة وندرة حداد وشقيقه عبد المسيح حداد ، مد الله فى حياته ، صاحب جريدة «السائح» المحتجبة وقد كانت جريدة الرابطة القلمية الرسمية . وفى العصبة الاندلسية ثلاثة ايضامن الادباء السوريين وبالتخصيص من حمص ايضا وهم حسني غراب ونصر سمعان ونظير زيتون كاتب هذا المقال يضاف اليهم شاعران حمصيان آخران هما ميشال مغربي وموسى الحداد ، وفى فنزويلا جورج صيدح الدمشقي وحامل الرعوية اللبنانية مؤخرا . وفى الارجنتين الياس قنصل وشقيقه زكي قنصل (يبرود) والمرحوم حسني عبد المالك (حماه) ويوسف الصارمي صاحب مجلة « المواهب » التي تصدر فى بونس ايرس . وفى تشيلي بنديكتو شوحي (حمص) صاحب المؤلفات العربية والاسبانية ومترجم جبران الى لغة سرفنتس .

وهناك عملاق الصحافة العربية البرازيلية موسى كريم صاحب مجلة « الشرق» الشهيرة التي مضى على صدورها اكثر من ثلاثين سنة وقد ترجم جبران وسواه من اعلام الادباء العرب الى البرتغالية.

هؤلاء الادباء السوريون وسواهم كثيرون شاركوا اخوانهم الادباء اللبنانيين المهجرين فى نشر لواء لبنان ، وكانوا معتزين بمجد لبنان اعتزازهم بمجد سورية ، وبمجد كل بلد عربي ذلك بانهم يرون فى لبنان وسورية وطنا واحدا باسمين حبيبين ، كما يرون فى سائر بلدان العروبة الوطن الاكبر .

هذا ما عن لي ايضاحه وتصويبه نشرته خدمة للحقيقة التاريخية ، وتلافيا لما قد يقع فيه بعض الكتاب الباحثين فى الادب العربي المهجري ، من اخطاء تفسد عليهم بحوثهم ودراساتهم وتشوه جمالها ، فتبني مجدا لقوم وتهدم مجدا لاخرين وهيهات ان يشفع حسن النية وشرف القصد فى مثل هذه المواقف . ثم قد نعذر كاتبا فى المغرب او تونس أو الحجاز او بلدان الخليج العربي اذا اخطأ فى دراسة الادباء المهجريين، ولكن كيف نعذر كاتبا لبنانيا ومعظم هؤلاء لبنانيون وصلة لبنان بالمهاجر والمغتربين اوسع الصلات .

وعلى كل حال اشكر للاستاذ خليل باز كاتب المقال الذي حداني الى هذا التعليق ، ولصديقي ورفيقي فى سان باولو الذي الح واستحثني على الدفاع عن العصبة الاندلسية واعضائها ، اشكر لهما فضلهما اذ اتاحا لي هذه السانحة الماتعة التي اعادت الى الذهن ذكريات عذبة هنيئة عزيزة هي اغلى ما املكه من ثمار الكفاح الادبي فى المهجر ...

حمص — نظير زيتون

الاحصنة الاصيلة

* * *

حار كالدمعة
ذلك الذي تطقطق
على ارصفته اقدام الاغتراب والليل
ذلك الاكثر صفاء
من وردة حمراء على رابيه
ايها القلب
يا فردوس الاثم والخطايا
يا قارورة الشعر والنكبات القرمزيه
لا اعلام لك
للثيران ذات الجباه المنخفضه مجد الحياه
لحوافر البقر الوحشي ثمار الانسانيه

الجوع حاضنة تفرخ الدقائق والثواني
التسكع سرطان فى الدم
وانا اعدو كالارنب المذعور
فدعوني اعدو كالمهر الاصبح فى الباديه
دعوا اكتافي تلمع بين الاسنة المحاربه
دعوا شعلة قلبي تضيء العالم ..

وانا اتلوى كالافعى الجريح فىالشوارع
واهرب من امام الحوانيت
وباعة التبغ والجوارب
ومن خلال الصمت والمقاعد المهجوره
والتنهدات اليائسة التي تضيع بين الاشجار
المح عينيك اللتين
تتألق فيهما
اضواء سفينة مبحره فى الليل
فاذكر اني تحت سماء آسيا
تحت هذه اللوحة المدهونة بالخمر والمقابر
حيث فى بلد عجوز بلا ثدي

لمجتمع الحفر والمستنقعات الآسنه
لسوق الدلالين المغمور بعطر العواهر
تصنع الاكاليل وتحمل المباخر
ايها المجوس
ايتها الصناديق المحشوة بالتفاهة والجواهر
ماذا تعرفون
عن النوم العميق فى لطوات العمارات الفخمه
عن معنى اشتهاء حاجة ما
ان ملايين نوافير العطر
لن تقدر على محو روائحكم العفنه

اي مساء وحشي ؟!
اي سفر بلا حقائب ؟!
اي طريق تسلكه الروح المتمرده
العصر مقلاع يقذف الحجاره
الدم يسيل
ولا محرمه توضع على الجرح
آه .. يا قلاع البؤس الرهيبه
آه .. يا رماح اليأس القاتله
آه .. يا محارم الوداع الحزينه
ان نعاسا حلوا عذبا
يهوم على اجفاني
الساعة تدق الثانيه صباحا
الى اللقاء ايتها الارصفة الحبيبه
انا مثلك فى الريح
فى ظلال الخيبة استريح
الجراح احصنتي الاصيله
عليها اسافر وحيدا الى اخر العالم

الياس الفاضل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان من عادة صديقتي ان ترسل الحديث لتصل به الى فكرة ، احيانا كنت التقط هذه الفكرة واخرى اتحزرها بدون جدوى ، وحين جلسنا في ذلك اليوم استهلت صديقتي حديثها قائلة :

ـ كان البحر يمتد بعيدا ، بين ثنايا زرقته نجوم من فضة تلمع وتختفي .. والوقت يتنفس الظهيرة ، ظهيرة حارة رطبة .

ـ

ـ نهضت على سطيحة مطلة على البحر ، البحر الممتد بعيدا ، مناضد ملونة ، جمعت حولها افرادا يدخنون ومقاعد خالية .

ـ

ـ من يمين السطيحة : انبطحت مقاعد مستطيلة متجاورة ، استلقت عليها ، نساء اهدابهن مسبلة ، اجسامهن حمر .

ـ

ـ تحت اقدام المقاعد المنبطحة . جثت بركة ، رقراقة المياه ، يفصلها عن البحر ، حاجز حجري يشبه الجسر

ـ

ـ فجأة تعالت اصوات مرحة ، وتطايرت الى السلم الحجري ، السلم المؤدي الى بركة السباحة ، اقدام بضة حافية .

تفتحت من بين اهداب النساء المستلقيات على المقاعد المنبطحة ، نوافذ ضيقة .

واستدارت على السطيحة رؤوس الافراد ، عن النجوم ، نحو السلم ، الى البركة . ونظرت مستطلعة : « انهن طالبات ، عشرات ، كثيرات ، اتين للسباحة » . واغلقت النوافذ الضيقة بين الاهداب المتكاسلة ، واستدارت الرؤوس عائدة من البركة الى السلم الى نجوم الفضة « انهن طالبات ، عشرات ، كثيرات ، اتين للسباحة » .

ـ

ـ غصت البركة بهن ، قطع ملونة حية ، وتنقل المدرب : بستاني بين ازهار ، ازهار غمرها الندى ..

ـ

ـ بين البركة والبحر ، امتد حاجز حجري ، حاجز يشبه الجسر ، وقفت عليه بثيابهما القاتمة المتهدلة امراتان ، امراتان بوجه ذابل .

ـ

ـ الفتيات في مرح ، صاح المدرب بهن : « الى السباق ، خمسا ورأء خمس » فتلاطمت الضحكات وعلا الرذاذ وتضافرت ما بينها ، صيحات الفزع وصيحات النصر ، ودوى التصفيق الحاد ، ورنت بعده الفتيات الى المراتين ، منتظرات تأييدهما :

شد الفم على ذاته في كلا الوجهين ، منسحبا نحو الخد الضامر ، متقلصا

الغصون اليابسة

بقلم الانسة رينه عبودي

متكسرا متباعدا ، ليشكل اخيرا ، سحبة مستطيلة ، هامدة ، ثم استعاد الفم شكله الاول وبرز من جديد ، غصن رفيع يابس .

ـ

ـ الوقت ظهرا

الشمس للجالسين على السطيحة ، نجوم فضة ، وسقف من اعواد القصب يحميهم من الاشعة .

الشمس للمستلقيات باهداب مسبلة ، اغفاءة وحلم ، وسمرة لون وصحة .

ـ

ـ الوقت ظهرا

الشمس للمراتين ، اشعة ، اشعة تخترق ثيابهما ، تنخر خيوط النسيج ، اشعة ثقيلة مزعجة ، من بين نسيج ثيابهما يتصاعد بخور نتن الرائحة .



ان الاولى تلقي نظرة عجلى على ساعة معصمها ، لقد كانت امراة دقيقة الجسم ضامرة بوجه ضيق ، « الاشعة كالثواني ، ثقيلة « وتتحرك قدمها ، قدمها المغلفة بحذاء صارم الجلد ، راكلة القدم الثانية « الاشعة كالثواني .. كالثواني »

ـ

ـ المراة الثانية ترمي بكلمة مقتضبة ، مشيرة الى البركة ، لقد كانت ضخمة الهيكل فارعة الطول بوجه غير متناسق ، ترمي كلمتها المقتضبة ولا تنتظر عليها تعقيبا ..

ـ

ـ الوقت يتنفس الظهر ، الذهول طوق المراتين ، انهما على مؤخر الحاجز : شجرتان بدون جذور

ـ

ـ فجأة ، في البركة يسود السكون ، تستيقظ المراتان

« تجمع في البركة »

ان الافراد على السطيحة قد نهضوا ، ينظرون

النساء عن يمين السطيحة ، اعتدلن في جلستهن ، يراقبن بعيون واسعة « نقطة امامهن »

ـ تجمع في البركة ـ

اقتربت المراتان ، هناك فتاة لا تبدي حراكا ، المدرب يرفعها من الماء ، الماء يقطر من جسدها الممدد على الساعدين ، ساعدا المدرب قويتان ، الجسد يقطر ماء .. المدرب يخرج بحمله من البركة ، خطواته تجتاز الجسر ، واسعة مسرعة ، تلحق به المراتان ، انها « انها رانية مغمى عليها » وتتسابق حوله الفتيات « رانية اغمي عليها » .

المدرب يصل السلم الحجري ، يتوقف ينحني ، واضعا برفق حمله ، مسندا اياه على درجات السلم ، تمثال بديع ممدد ، الوجه فيه هائم ، لا يتكلم

ـ « رانية » اسمها يتردد ويتردد

المدرب يرفع ذراع الفتاة ويعيدها ، يرفعها ويعيدها

الجسم تمثال ، الوجه فيه هائم لا يتكلم . وقف المدرب وانحنى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انا شجرة

ما هو سر الريح الذي يهب
على شجرة حياتنا
بين الحين والاخر ،
يلعب باغصانها ووريقاتها
يرشقها بالامطار
يغطي حناياها بالغبار
يحاول ان يحني اغصانها
بل بالاحرى يحاول ان يقتلع جذورها؟!
كل انسان
له شجرة خاصة به .
اشعر احيانا
انني اشبه شجرة الفستق
في تفتحها ومرحها
انتظر نضج القمر
لكي امرح واضحك خلسة
في ليالي تموز .

واحيانا ،
ارى نفسي كشجرة السرو
التي زرعت على قبر
تحيط الكآبة بها
تحاول عظام الموتى ان تسحبها للقبر
وهي ترتفع وترتفع ،
كأنها مجموعة ارواح
لها اجنحة لامرئية
تستمد قوتها من الموت والدم
جذورها في الارض ،
واغصانها تتجه للسماء ..

من يسقي شجرتي ؟
لا احد !.

حلب — تيماء الناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رافعا حمله من جديد ، صاعدا به السلم ، مارا بالنساء .. ان الصمت بينهن مخيم ، ابتعد بحمله الى حيث الغرف هناك، افواج النظرات تلاحقه، افواج الفتيات ، والمراة الثانية .

—

ـ ويطول ويطول الوقت ، قبل ان ينفتح الباب وتظهر منه الفتاة المغمى عليها ، مستندة الى ساعد المدرب وذراع صديقة لها ، تسير بوهن لا وهن بعده ..

ان المراة الضامرة تخرج من الغرفة بعد الثلاثة ، تسير معهم ببطء الى باب المسبح ، وحين يغادر الثلاثة المكان ، تعود ادراجها ، خطواتها رشيقة ، خفيفة ، ظبية .

وما ان تلمح من بعيد المراة الضخمة الواقفة على الحاجز وقد كانت تراقب الفتيات العائدات الى البركة ، متفرقات ، حتى يتحرك الغصن، فمها، فيتحرك من على الحاجز، الغصن الاخر

—

الفتيات يسبحن بدون حماس ، بدون مرح ، في البركة

النساء غادرن مقاعدهن المريحة وقد غادرهن الحلم

الافراد على السطيحة يتأملون بشرود واسى ثنايا الزرقة

—

ـ وعلى الحاجز بعد ان طال وقصر بين المراتين الهمس ، انتصبتا ، شجرتين ، نبت لجذعهما فجأة في المكان جذور

—

ـ وتراكضت في عدوها الثواني ، وانتعش الغصن اليابس

حلب — رينه عبودي



Honore De Balzac

بلزاك والمجتمع الانساني

بقلم ملتن كرين

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

كان تاريخ الانسان الطبيعي ، من مدة طويلة ، الموضوع الاثير لدى الكتاب الفرنسيين القاصين والدراميين وارباب المقالات على حد سواء . ومنذ البداية يشعر احدنا بان هؤلاء كانوا يرقبون الجنس البشري فيحددون صفاته ويصنفون مراتبه في جميع مظاهرها متناولين الاشخاص حديثي النعمة والبخلاء والداعرين والناس الريفيين والنساء ذوات الحشمة المتصنعة وغير هاتيك وهؤلاء من البشر .

واشهر سجل قدمته فرنسا في هذا الصدد يتضمن اسماء مونتين وموليير ولابرويير وزولا ورومان وبراست . ولعل أونوريه دي بلزاك هو اشمل الادباء الاجتماعيين اطلاعا واوسعهم وعيا واصالة واطولهم باعا . وقد قدر لمجموعته الهائلة من الروايات والقصص والدراسات ، التي اطلق عليها العنوان الشامل (الكوميديا الانسانية) قدر لها أن تؤدي للمجتمع الانساني ما اداه العالم الطبيعي الفرنسي العظيم بوفون قبل قرابة قرن من عهد بلزاك لمملكة الحيوان بكتابه (التاريخ الطبيعي) . وقد اشار الى هذا التشابه بلزاك نفسه في مقدمته الرائعة الكوميديا الانسانية حين قال :

« في الطبيعة انواع (بشرية) اجتماعية كما فيها انواع حيوانية . فاذا كان بوفون قد تمكن ان يقدم للناس كتابا جليلا يتضمن علم الحيوان باسره افلا يصح القيام بمأثرة من هذا الضرب عن المجتمع (البشري) ؟ ومن الطبيعي ان يكون نطاق هذا المجتمع اوسع آفاقا من نطاق عالم الحيوان. فحين صور بوفون الاسد تصويرا مستفيضا اقتصر على جمل قلائل لما تناول اللبوءة ، بينما ان المرأة في المجتمع ليست دائما انثى الرجل حسب .. ذلك ان الوضعية الاجتماعية تحتضن احداثا لا قبل للطبيعة على احتضانها لانها تتكون من الطبيعة والمجتمع . وعليه فوصف الانواع الاجتماعية هو ضعف وصف الانواع الحيوانية اذا اخذنا بنظر الاعتبار الجنسين (الذكر والانثى) . ثم ان قليلا من الدراما يحدث بين الحيوانات ، كما يندر الاضطراب ،وكل ما هنالك هجوم بعضها على بعضها الاخر . ان الناس يهاجمون بعضهم بعضا ، ولكن الاختلاف بدرجة الذكاء يجعل النضال اكثر تعقدا . واذا لم يعترف قليل من العلماء بفيضان (الحيوانية) على الانسانية بتيار من الحياة عنيف بعد ، فقد يصبح اي من البقالين سيدا من سادات فرنسا ، كما قد ينحدر اي من النبلاء الى درك اجتماعي منحط . ثم ان بوفون وجد الحياة سهلة جدا بين الحيوانات . والحيوان لا يعرف الفنون ولا العلوم ، بينما الانسان ، على حسب القانون الذي ينبغي النظر فيه ، ميال الى عرض تقاليده وافكاره وحياته عرضا فنيا .

وعلى ذلك فالمؤلف الذي اعده ينبغي ان يكون ذا اوجه ثلاثة تمثل الرجال والنساء والاشياء ، وبكلمة مختصرة الاشخاص وما يعبرون به عن افكارهم بصورة مادية ، اي الانسان بالاضافة الى الحياة ، لان الحياة هي كساؤنا » .

وسواء اتفقنا مع سلامة نظرية بلزاك العلمية ام لا ، فليس من شك انه خلف لنا وصفا لا يجارى عن الحياة الفرنسية في النصف الاول من القرن التاسع عشر . فهو كترولوب في العهد الفكتوري الانجليزي ، وجول رومان في الجمهورية (الفرنسية) الثالثة ، عمل جاهدا على تزويدنا بمعلومات وفيرة عن شخصية الطبقة المتوسطة ، متفوقا بذلك على خيرة المؤرخين والعلماء الاجتماعيين . وهذا الامر قلما يساعدنا على تفسير ما يمتاز به بلزاك من جاذبية مستمرة لدى عامة القراء في طول الارض وعرضها .

ان عظمة بلزاك يمكن توكيدها بيسر اكثر من شرحها . فقد جاهدت عبقريته تحت (ظروف) مثبطة هائلة . ويكاد يجمع نقاد بلزاك على عدم اهتمامه باللغة . يقول بهذا الشأن، اميل فاغيه ، الناقد البارز وعضو الاكاديمية الفرنسية : «الكل متفقون على ان بلزاك كتب بصورة رديئة . وليس من حاجة لتصحيح الراي العام في هذه القضية . لانه في الواقع كاتب رديء » .

كان بلزاك جامعا عاطفيا لكل المعلومات الطريفة ، ولهذا السبب حمل نفسه حملا على تدوينها بغير التفات الى متطلبات عمله الامر الذي جعله يسيء الى الذوق الحديث. وذلك تبعا لما كان يحدثه في القارىء من ردود فعل تمشيا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع حوادث قصصه وبما كان يشير اليه من مغزى اخلاقي او نتيجة مرتقبة .

ومع ذلك ، فبلزاك يسمو على اخطائه الهينة والكبيرة بما عرف به من قوة ايمان بما يكتب ، وهذا ما لا يحتمله فنان اقل منه موهبة . ويعود ذلك الى ان عبقريته تطغى على كل نواقصه الاخرى .

لقد كتبت سيرة حياة بلزاك مرارا عديدة واحدث هذه السير هي ما كتبه ستيفان زفايج (١٩٤٢ واندريه بيلي (١٩٤٤) . ولد بلزاك في سنة ١٧٩٩ في تور وكان ابن موظف مدني غير اسمه من (بالسا) الى (بلزاك) ثم حوله ابنه الى اللقب النبيل (دي بلزاك) . اما طفولته فقد تكدرت بهجران والدته ونبذها له ، وقد تشكى عن تلك الاحوال بمرارة فيما بعد . ولذا فليس غريبا ان يصبح عالة على مدام لور دي بيرني على الرغم من شبابه وكبر عمرها . وقد ظلت هذه المراة خليلته ومرشدته وناقدته حتى نهاية حياتها . واول ما لمع نجمه الادبي في سنة ١٨٢٩ حين نشر قصته (ليه شوان) . ومنذئذ جمع مالا كثيرا وبذر اكثر مما جمع ، فكان عرضة لمضايقات الدائنين .

ومما يجدر ذكره انه لا مدام دي بيرني ولا مدام هانسكا(١) ولا اية من خليلات بلزاك استطاعت تنظيم حياته وضبط عاداته ومشاربه الغريبة . ومن ذلك انه كان يتمسك باشد النظام الاسبارطي عند العمل ، الذي كان يقارب يوميا الاثنتي عشرة ساعة او ثلاث عشرة ساعة ، لا يذوق فيها غير البيض المسلوق والقهوة .

ولكنه حينما كان ينتهي من عمله ، (يتناول ما يستطيع تناوله من الطعام بشراهة غريبة وبكميات هائلة لا يستطيع القارىء الكريم تصديقها بسهولة ، وقد اشار الى ذلك احد ناشري كتبه) (٢) .

عرفت شخصية بلزاك بفتنتها وجاذبيتها ، يشهد على ذلك كل من عرفه من معاصريه حتى ناشري كتبه الذين كانوا يأسفون لعاداته الغريبة ومماطلته في دفع المسودات اليهم ، وهؤلاء انفسهم لم يطيقوا مغالبة جاذبيته . ومما تنبغي الاشارة اليه انه كان الصديق الصدوق للعديد من عظماء كتاب عصره . ومن اصدقائه الحميمين فكتور هوغو ، الذي ادلى بصوته مؤيدا قبوله في الاكاديمية الفرنسية من مجموع صوتين فقط وذلك في المرتين اللتين تقدم بهما لقبوله عضوا في الاكاديمية .

ان شعور بلزاك برسالة الادب (المقدسة) وتركيز ذهنه الفريد على فنه يجعلانه يحتل مكانة مرموقة بين عظماء الرومانسيين . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان نتاجه لا يعالج الموضوعات المميزة للفن الرومانسي ، كاعلاء شأن الحب والطبيعة . اما موضوعاته فتتناول الهجاء الكلاسيكي و (الكوميديا) من اضراب : البخل والطموح والشهوانية والغرور والنفاق . ان بلزاك لا يعترف بالحب مسيرا للعالم وانما يعترف بالمال . ومن هنا يصعب على وردزورث اعتبار بلزاك رفيقا له في مجالات الرومانسية . اما موليير فيعتد به بكل سرور زميلا ملازما له . ثم ان بلزاك يختلف من وجه مهم اخر عن الرومانسيين العظام من امثال شيللي ولامارتين وهانيه ، لانه كان محافظا عنيفا في السياسة والدين ، معتقدا بان تضامن الكنيسة والدولة ، في شكل حكومة ذات سلطة شديدة موحدة ، هو وحده الضمان الرادع ضد الميول الفوضوية التي يبديها المجتمع البرجوازي . دع بايرون او كوليردج يسبحان بحمد الثورة الفرنسية ، فان بلزاك الملكي الكاثوليكي ، يعرف ان القمع مهما كان شديدا يهون بالقياس الى الرعب والاضطراب والبلبلة .

وفي سنة ١٨٤٢ ، وضع بلزاك ، مؤلف خمسين رواية ، خطة تتضمن ، شكل وفحوى نتاجه الادبي برمته . وما كانت هذه الخطة سوى (الكوميديا الانسانية) التي كان المفروض فيها ان تحلل المجتمع الفرنسي في عصره ، على ان تتوزع مؤلفاته المنشورة والتي يتوقع ان يكتبها تحت العناوين السبعة الاتية : مشاهد من الحياة الخاصة بالفرد ، مشاهد من حياة الاقاليم ، مشاهد من الحياة العسكرية ، مشاهد من الحياة الريفية ، مشاهد من الحياة السياسية ، دراسات فلسفية ، دراسات تحليلية . وفي غضون الثماني سنوات من اواخر حياته ، اعاد باستمرار تثبيت هذه المراتب ، كما حول كتبه من مجموعة الى اخرى

ولا مناص من القول : ان مشروع بلزاك هذا كان اميل شيء الى التكلف والتصنع ، فقد فرضه فرضا على كثير من الكتب بغير فكرة مدروسة . ولكنه قد يكون تحسس طريقه بصورة غريزية نحو هذا المشروع ، بيد ان طفراته في جمع شتات عناصر عمله تحول دون اثبات هذا الراي . ثم ان عناوين فصول كتبه تشير الى موضوعية « علمية » شاملة تنتقص من فنية كتبه كما هي في الواقع .

وككثير من الفنانين قبله ، كان كاتبا خيرا منه مفكرا ، وربما كان من حسن الحظ ان يفكر بمشروع « الكوميديا الانسانية » في اواخر حياته العملية ، حين يعجز تكلف العناوين من الوقوف حيال انجازاته الادبية بما امتازت به من اصالة وتلقائية . وهذا ما هو واقع بالقياس الى (اوجيني غراندیه) القصة التي نشرها بلزاك في سنة ١٨٣٤ قبل ثماني سنين من وضعها بين (مشاهد من حياة الاقاليم) في « الكوميديا الانسانية » .

ان هذه القصة هي قصيدة ريفية شعبية تمثل فتاة يافعة احبت لاول مرة ، ولكنها اعطيت لرجل لا يمكنه ان يدرك قدرها ، والقصة باجمعها خالية من النواقص التي تميز نتاج بلزاك المتأخر . والدليل على ذلك انها تنحني

(١) نبيلة بولندية تزوجها بلزاك بعد علاقات وصلات دامت عدة سنوات . ملتن كرين . (٢) من كلام المترجم . (٣) الاستاذ روجرز في كتابه النفيس « بلزاك والقصة » . ملتن كرين . (٤) درايزر من المع الكتاب الواقعيين في الولايات المتحدة في باكورة العشرين ، وقد شجب النظام الاجتماعي هناك بعنف . المترجم .

احتراما لعلم الاجتماع ، كما ان ثلاثة من فصولها الستة تحمل عناوين يقصد منها معان اجتماعية كبيرة . و(لنضرب لذلك امثلة) : « وجوه برجوازية » و « الحب فى الاقاليم » و «هكذا يسير العالم» . كما يقدم الكتاب شرحا مستفيضا لاتهام بلزاك الاساسي المنصب على المجتمع البرجوازي ، على انه مجتمع يسيطر عليه المال .

ان شخصية اوجيني هي التي تضع اهداف القصة وتكون شكلها ، اما شخصية ابيها فهي التي تعطيها نكهة ومغزى . واوجيني وحدها تنتقل من الطهارة التى التجربة ، على حين يبقى الاخرون دون تطور يذكر : ان شارل الشاب الجميل ، احد الاقارب ، شاب متفسخ ، كما تدل على ذلك ملاقته الباريسية ، وكما تشير الى ذلك خليلته الباريسية ايضا ، وما ان ينزل هذا الطارىء بدار اوجيني فى ساومر حتى تبدأ حوادث الكتاب فى الجريان . اما ام اوجيني فتتخاذل مولية الادبار تحت وطأة العقاب الذي ينزله غرانديه بابنته . وهذا الاخير الذي يقدم الينا فى مستهل الكتاب جملة وتفصيلا تخصص له مختلف المواقف من اجل عرض شخصيته عرضا جليا ، ولكن هذا البخيل لايستطيع ان يدهشنا باراءنا لجانب غير متوقع من جوانب نفسيته ، كما يفعل (بروست) بشخوصه عادة . ولكن شخوص بلزاك لا تتغير وانما تتوسع من مفهوم مركزي معين .

ولا شك فى ان خيال بلزاك قد وقع ضحية لغرانديه الذي سيطر على القصة كما سيطر هرستوود على قصة (الاخت كاري) او فالستاف على مسرحية (الملك هنري الرابع) . ان الفضيلة قد اثارت بلزاك ولكن الرذيلة قد سحرته كما تفعل بالقياس الينا . يشير (الناقد) هيبوليت تين من مدة الى ان بلزاك حين ابدع شخصية غرانديه انما ابدع نسخته الخاصة من شخصية هارباغون البخيل الكلاسيكي الذي ابدعه موليير فى مهزلته العظيمة (البخيل) . ولكن غرانديه ليس مجرد هارباغون متجسدا فى القرن التاسع عشر بل هو مخلوق اصيل كل الاصالة . ان بلزاك يختار سبيله بدقة : ففي خلال الثورة اشترى صانع البراميل العجوز احسن بساتين الكروم فى المنطقة ، كانت سابقا تعود الى بعض الكهنة . يشير بلزاك بمرارة الى ان غرانديه كان يعد شخصا ميالا الى الافكار الجديدة ، و « لكنه — فى الواقع — كان ميالا الى بساتين الكروم » ولهذا السبب فقد ارتفع شأنه فى ادارة (ساومر) وازدهر وضعه الاقتصادي كرئيس بلدية (براي) على عهد نابليون وبعد عودة الملكية. وعلى الرغم مما ساور ثروة غرانديه من شكوك ، فقد اشتهر بالحكمة والرصانة ، وقد اشار الاستاذ صموئيل روجرز الى هذه الحقيقة عدة مرات ومن ذلك قوله : « ان غرانديه رجل نزيه مع قساوته .. وان لم يكن كذلك ، فشعوره بالسرور لا بد له ان يضيع هباء (٢) » ...

ان غرانديه شخصية هزلية عظيمة من شخصيات الادب كمجانين هزليات بين جونسن ، التي تسيرها وتسيطر عليها رغبة واحدة او نازع واحد من الجنون . ان الصفحات الاولى من الكتاب تقدم لنا هذا المخلوق البارد الممسوس بقوة المال ، شخصا لا يرى خلافا له فى اي من الاشخاص . اما حياته فتجسد الفكرة القائلة : ان محبة المال هي اساس كل شر . انظر اليه كيف يخبر ابن اخيه شارل بان اباه قد ارتكب جريمة الانتحار « نعم ايها الولد ، لقد حزرت ، انه مات ، بيد ان هناك شيئا افظع من ذلك ، لقد حطمك . لانك لا تملك شيئا من المال » . ثم يتشكى غرانديه بعد ذلك من شدة الم شارل فيقول : « هذا الولد لا يصلح لشيء ، فهو يفكر فى الموتى اكثر من تفكيره بالمال » . ولما تاخذ غرانديه سورة من الفكر ، يعلق بلزاك قائلا : « ان البخلاء لا يؤمنون بحياة قابلة . فالحاضر هو كل شيء لديهم » . ثم يعاقب غرانديه ابنته اوجيني بان يجعلها تعيش على الخبز والماء ، لانها اعطت دراهمها الى شارل ، ويسبب وفاة زوجته لاصراره على عدم غفران البنت . ان هذا الشخص يبلغ حدا من البخل يجعله وهو على فراش الموت يحاول اغتصاب الصليب المذهب من القس الذي يمسك به ليقبله .

اما البيت الذي يسكنه آل غرانديه الثلاثة ويحيون فيه حياتهم الفارغة ، فهو نفسه ابداع لا ينسى اعتنى به بلزاك عناية خاصة ، شأنه بعالم خياله باسره . فترى فيه الوصف الدقيق والدراية الشاملة بدقائق الاشياء والاحوال شان كل نتاج من يد انسان عبقري . ذلك بان طريقة بلزاك تتلخص فى تخيل الناس والاماكن والحوادث كانهم جميعا من صلب التاريخ ثم تسجيل ما يراه ويسمعه بدقة واهتمام . وهذا هو السبب الذي يجعله غير قادر على التوقف غالبا كما نريده ان يفعل . فعندما يتسلم غرانديه رسالة من اخيه ، او يكتب شارل الى خليلته ، لا بد لنا ان نقرأ النص بكامله .وحين تعد اوجيني مجموعة نقودها الذهبية لشارل من اجل البحث عن عمل فى جزر الهند الغربية ، نرى غرانديه يغدو عالما من علماء النقود يتفحص كل عملة على حدة بعناية . ولما يصل شارل من باريس يعدد بلزاك بدلاته مضيفا اليها هذه الملاحظة المهمة: «لقد اشترى كل نوع من (الياقات) والاربطة الشائعة فى ذلك الوقت ».

ان بلزاك هو اعمق مؤرخ واع لعصره لما يثير بنامن انتباه بالتفاصيل كانه عالم من علماء العاديات يشرح عادات حضارة مندثرة .

(وفى هذا الصدد يمكن مقارنة تيودور درايزر ببلزاك بدقة، فهو — فى الحق — حفيده الروحي كما هو ابن زولا وذلك فى روايته « الاخت كاري ») .

وبلزاك اعظم ما يكون نجاحا كمؤرخ عندما يتعرض الى غرانديه وتصفيته لديون اخيه . « يعترف كل من اندريه جيد ومارتن تيرنل ان تفصيلات هذه القضية هي خارج نطاق تصورهما معانهما يقران بحنكة مضاربات غرانديه » .

وبعد ، فان اصرار بلزاك الساذج الاخاذ فى تسجيل ادق

صقيع ...

ايها الشتاء المجنون
يا سجن المزقين فى هذا العالم
يا ليلا امطاره من خناجر وحجارة
الا ، اسكب فى روحي نهرا
من نبيذك الجهنمي
اغرقني ببحر جنونك المتجمد
اضرب جبهتي بيدك الحديدية المتنمرة
واصلب قلبي شهيدا على صفحة السماء
اصلبه ... ليكافح الرياح ويقهر العاصفة !!..

انا اسطورة الاحتراق ، والبرودة
وغفوة القمر فى ليل من صخور
انني اشم فى احتراقي روائح احلام
مفعمة بالحنين الحار الى ارتياد المجهول ،
وعبير سمك .. وشذى تبغ مخمر بالنبيذ
واريج لحم آدمي
يحترق فى غابة الحياة المخيفة
غابة الشتاء ، فى صميم الابدية

الحطب يشتعل فى المواقد
ليستحيل الى لهب ازرق ، واحمر ، ووردي
بلون اعراف الديوك
وانا اشتعل فى مواقد الزمن
لاستحيل الى اغنية بلا لون ،
ودونما روائح موحية

لو كنت حطابا لجمعت من اشجار الغابة
جبالا هائلة من النيران ، واحرقت الشتاء
هذا السرطان الرهيب الذي يعسكر فى الحنايا
كجيش من الفيلان

خذ حريتي يا شتاء بربريا واعطني معطفا
وخمرا .. وتبغا
خذ حريتي وامنحني قليلا من الدراهم
ادفع بها قساوة المخالب
لكن اياك ان تدخل داري
وجيوبي تصرخ كثعالب جائعة
كقطار ... فى امسيات ماطرة حزينة

لو كنت ذئبا لاخترق رمحي جبهة الجوع
وجبهة الصقيع
لو كنت ارنبا لتدثرت بفروة تقيني شر الزمهرير
لو كنت خروفا لكنت احتمي بجلد دافىء
يكفيني عناء البحث عن معطف

الشتاء اللعين يسدد الى صدري
غابة كثيفة من الخناجر
وها انذا ضحية فى وليمة الحياة الجهنمية
يقتلني الزمن بنيران العذاب ..

خذ حريتي يا شتاء
واعطني معطفا .. ونهرا من نبيذ

دمشق — **سليمان عواد**

التفاصيل المتعلقة بعالمه يسحرنا سحرا ويقنعنا (وهذه المسألة تكون جوهر « واقعية » بلزاك المشهورة . التي كتب عنها الكثير والكثير جدا) . حتى ان اشد الحوادث غرابة وابعد الشخوص عن الواقع تبدو معقولة . اما استغراق بلزاك فى عالم خياله فتمثله اجمل تمثيل النكتة المشهورة : دعا الكاتب جول ساندو ، احد عشاق جورج ساند ، دعا بلزاك الى بيته وابلغه نبأ وفاة اخته . اصغى اليه الضيف وعبر له عن تعزيته وفى الختام قاطع صديقه قائلا « والان دعنا نعود الى الواقع . اتعلم من سيكون من نصيب اوجيني غراندیه ؟ »

اربيل ـ العراق — **يوسف عبدالمسيح ثروة**

مطحنة البرغل

بقلم الدكتور علي شلق

مطحنة البرغل كانت منذ كان الماء في لبنان ، اما تلك التي تئز ، فلم تكن معروفة لم نكن قد ولدت بعد ، المطحنة الالية ، هذه تدار بالمازوت ، وللمازوت رائحة غريبة . والاولى تدار بالماء، وللماء اثر اي اثر في حياة الانسان . الماء يمنح الحياة فهو مصدر لها من جهة ، وهو يعطي الجمال بخضرته ، ونضرة ريحانه وظلاله .

لمطحنة البرغل ، وما يحيط بها من قبل ، ومن بعد ، تاريخ في لبنان . فقبل مهرجاناتها لنا ننظر بفارغ الصبر الى ما بعد منتصف الليل ، حيث يهب اهلونا من رقادهم ليوقدوا تحت الدسوت ، التي فيها القمح ، ليسلقونه ، ثم يفلشونه على السطوح ليجف ، ليعود صالحا للطحن .

لم تكن اكداس البلان ، والقندول ، وغصون السنديان، شائكة في نظرنا ، انها حريرية ناعمة . فهي التي تساعد على سلق القمح . فما ان يضع الواقد اولى دفعات البلان بالكابش تحت الدست ، حتى تشتعل النار فتنعكس على وجوهنا ، ونحن مقوقزون قبالة الموقد ننتظر ان تلهم القمح المسلوق ممزوجا بالسكر وماء الزهر .

ما كان امجدها مشية الى بيوت الجيران ، نزف اليهم صحاف القمح المسلوق ، بركة واكتفاء ، واستطالة غلال .

كانت امنية لي اسابق عليها اخواتي واظفر غالبا تلك ان اصعد الى السطح ، واحرك القمح المتماثل للجفاف بالقاحوفة ، او بقدمي ، كي تتخلل الشمس بحرارتها جوانب حباته جميعها . وعندما تتم اليبوسة ، نجمع المحصول في عدلتين او اكثر ، ومعنى ذلك اقتراب موعد المهرجان . مهرجان المطحنة الموعودة .

ذات صبيحة ، من صبيحات ايلول او تشرين ، كان سكان ظهر المعصرة يشتغلون بعد منتصف الليل على تصايح، وتناد حبيب انيس ، يا الله يا حاج عوض كفى نوما ، قم يا عبد الكريم ناد على الخورية ام يوسف فقد حملنا .

ما ان تتحرك القافلة الى مطحنة نهر الجوز ، حتى يكون ابو محمود ، وطنوس موسى ، واحمد سلمان ، وناصيف الخوري ، وتوفيق نصر يندمجون بدوابهم مع القافلة . وهذه استير ، وتلك رنجه ، والثالثة ست اليمن ، والرابعة ام محمود ، جميعهن يتقدمن القافلة . وفي ايديهن بعض الزاد ، او شالات تتحرك بها تلك الايدي لتقيهن حر الشمس ، فهن اللواتي سيفركن البرغل ، وهن اللواتي سينخلنه ، ليفردن البرغل الخشنة عن الرفيعة .

وعند المفرق يتساءلون :

شو رايكم يا شباب ؟ نروح الزرافية او العسيرة ؟

جميعهم بصوت واحد : الزرافية اوفق ، فعلى الاقل نبل ريقنا بكام ليمونة حلوة ، فضاهر جحا صاحبنا ، وهو رجل كريم .

يصيح الحاج محمد عفارم ضاهر جحا قريبنا، ومعكم حق ناصيف الخوري يعقب ، منين قرايبكم يا حاج ، انتم من كفريا وهو من كفرحي ؟

اسكت يا صبي ، جدنا واحد ، جاء من اليمن وتوزعنا من العاقورة .

وما ان تطل القافلة على وادي نهر الجوز ، حتى ترقص قلوبنا نحن الصبية فرحا .

فهذا لهاث النهر الحريري يلمس بامواجه المخملية وجوهنا ، ورائحة الماء ، والاشجار والاثمار ، هذا الكوكتيل السحري ، يملأ صدورنا نشوة وحيوية . ويترامى الينا من بعيد هدير النهر ، وجلبة المياه ، فتأتلف تلك الاشياء الموحية مع تباشير الصباح ، فننغمر في فرحة لم تحلم النواقيس والمآذن ، ولا حرمات الهياكل باقدس وابهج منها .

احجار الطاحونة ساكنة ، لانه كان من العبث والبطلان ان يستطيع رجل في القرية مسابقة الحاج محمد في غدوه فكثيرا ما كان اخوه الخوري جرجس يخاطبه بقوله : نام ولا يا قرد ، اسنا ما حطينا راسنا على المخده ، ولكن الويل للخاملين من عصا الحاج محمد .

واذا صدف وكانت احجار المطحنة تدور ، وتملأ جوانب الوادي بضجيجها المتجاوب مع هدير النهر ، فانما كانت تدور لتلفيمة على الماشي لا على انواحدا سبق الحاج محمد ردات الفرادي ، هدرات الميجنا والبوزلف ، ومواويل المعنى والعتابا ، تتماوج ، فالذي يسمع يسمع ، والاطرش معذور . ونحن الصبية ، نبدأ نجوب البساتين . نغير على شجيرات الليمون الحلو ، وبقايا العنب الاسود في رؤوس المحامل الشاهقة العلو . كنت وحدي ذلك الصبي العفريت الذي يتسلق تلك الاشجار الباسقة مهما علت ، لا فرق بيني وبين العصفور . الا ان ذلك يطير ، وانا انعمشق باخر غصن في الذروة ، مهما لان وانحنى فلن تفلت يدي منه ، الى ان ارمي في الماء اخر خصلة سكرى بنضجها . وبريقها وحلاوتها ، فيلتقطها واحد من الصبية العفاريت من تحت .

اما حقول العبيد ، فقد كنا نغير عليها ، ونكثر من تفقيش حباتها الدسمة فنصاب في كثير من الاحيان بالدوخة . لكن تلك الدوخة ستزول سريعا عندما نخلع ثيابنا ونمرطس في الماء ، او نتسرب الى كهف الفراش، حيث يدور دولاب المطحنة بعنف ، ويقذف رشاه الابيض المزبد على اجسامنا ونحن نقترب او نبتعد حسب شجاعة كل منا . وما اطيبها ساعة ، حيث ينادى علينا لنشترك في حفلة الغداء وتكون مناقيش البواقون الطازجة تملأ خياشيمنا برائحتها المشهية ، فيسيل لها لعابنا ، وتكعكر امعاؤنا ، وننده حش بين المتحلقين لنمعن زلعا وبلعا .

ام محمود ماهرة في صنع اقراص العجة ، وتحضير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضياع

سفينتي تمخر في العباب
بلا شراع
الريح تطويها ويخفيها الضباب
وصدى يردد بلا انقطاع
ضياع ضياع
انا لا ادري الى اين ادير الدفه
يكاد قلبي يقفز
من موضعه بلهفه
كلما بدا لي في البعيد
مصباح يضيء ويختفي
هل وصلت الى مرفاي ؟
ولكن الى اين امضي
لست ادري
لا شيء هنا حولي سوى الضياع
والصدى الذي يتبعني
يردد بلا انقطاع
ضياع ضياع
اخشى الضياع في هذه اللجج العميقه
ساترك الامواج تقود سفينتي
الى اين .. لا ادري

القاهرة — سارة بوحيمد

سمك راس الشقعة المشهور واستير ، ست من عمل مرشوشة الشوما ، وست اليمن فلشت جاطا طافحا بمقلي المر ، هذا الحوت الذي يعشق اكله سكان الساحل من لبنان.

اشتراكية معبودة ، اهل القرية من افراد هذه القافلة ، عائلة واحدة في عيد البرغل الايدي تمتد الى الزواويد ، كل ياكل ما طاب له ، هذا من زوادة ذاك ، وتلك من زوادة تلك ، وكثيرا ما تخطف الحجية لقمة من يد الخورية ، وابو محمود يلقم طنوس موسى شرحة سمك ، وهكذا الى ان يكتفي الجميع ، وترتفع الايدي شكرا لله وحمدا على نعمته ، هذا يصلب ، وهذا يشقل جفونه للسماء بابتهال ، والجميع حامدون منشرحون قد اوصلوا محبتهم الى مصدر المحبة.

وعندما تجنح الشمس الى العصر ، ياخذون في جمع البرغل عن سطوح المطحنة ، فتجفل قلوبنا ، لاننا سنترك هذا الجو . السحري البيت ولن يحتوينا الا في العام المقبل. وعندما تحزم اكياس البرغل على ضهور الدواب يبدا ابو محمود بدقته يفتش على دابة الخوري ، والحاج ، ثم يسويهما ويقول مدندنا هازئا ، طول عمركما حملكما مايل ، فيصيح عليه الذين تقدموا القافلة ، يالله يا ابا محمود بلا حشرية اعمل حاجا او خوريا وبعدين تامر ، لو شلحها الحاج شلحا لجاءت جالسة .

وتصل القافلة الى كفريا ، ويذهب كل الى منزله . وتمتزج الاصوات بحنان وبركة واكتفاء :

الله يزيدها بين ايديك يا بونا الخوري — الله يديم لنا رفقتكم يا حجية — كل عام وانتم بخير يا بو محمود ، صار فيك هلق تعوم بصحون الكبة والمجدرة . فتصيح استير ، والله صحن تبولة او مرشوشة بيساوي كل ما تعمل ام محمود من صواني كبه .

اسكتي يا استير ، رندحة المدقة في ايد ام محمود على الجرن لها غناني .

ويسدل الستار ، وتنحسر الشاشة ، فاذا بعبد الرزاق يعود الينا اليوم بتنقيصة واحدة مملوءة بالبرغل طحنها عند يوسف حنا على مطحنة المازوت ، واجالنا نكتفي بالتنقيصة بعد للعدلتين الكبيرتين من البرغل. هذه لا رائحة لها ، لا نكهة ، وبرغل مطحنة النهر ، كانت ترافقنا اجواؤها من ظلال وطراوات ، وعطور ، وناكل صحن التبوله ، فتصيح ام الاولاد برغل النهر اطيب .

كاد برغل ذكرياتنا يتلاشى في التنقيضة، فخلايا الطحين، والصناديق الخيرة للبرغل والطحين ماتت من بيوتنا ، واجالنا ناكل الخبز من يد الفران يوميا ، وحل الرز محل البرغل ، ذاك نجلبه من الخارج ، والبرغل ابن بلادنا ، ابن لبنان ، سليل قرانا وحقولنا ، سلقناه وفركناه ، وطحناه، وشمسناه ، ونمشناه بايدينا بلهاث عيوننا وقلوبنا ، فعكس اجواء بلادنا ، وشهوة نفوسنا في كل حبة من حباته ، واما الرز فالايدي الغريبة ارسلته .

اصبحنا غرباء عن انفسنا عندما نتحلق حول المائدة ، بعد ان كنا نتحلق حول الطبلية ، وكلما تقدم العمر بنا ، نلتفت الى الظلال والرسوم ، فنجد ان بلادنا تلبس ثيابا غريبة ، موحشة، فلا نملك الا التلفت والتنهد ومسح الجفون

يا ابناء بلادي ، في لبنان ، تمتعوا بيسر المدنية ، واطلوا على العالم بمقادير الشخص اللبناني الحر، صاحب الامكانيات العامة ، ولكن على شريطة ان لا نفقد شخصيتنا الخاصة ، كلبنانيين اصحاب ميزة ، ان لا نتنكر لارضنا ، لحقولنا ، لذريتنا. فقد كاد ينسينا الرز وبرغل التنقيصة، من مطحنة المازوت ، نكهة برغل النهر ، واجواء لبناننا المعبود .

وانتم يا اولادي يا تلاميذي ، يا اصدقائي ، يا رفاق الصبا في القويطع ، وفي بقاع لبنان المتنوعة ، المعبودة . اشفقوا علينا نحن ، ولا تطفئوا شموع ذكرياتنا ، واعيدوا الى اجوائنا الوان لبناننا ، واصواته ، المنبعثة من حنجرته، من حقوله ، من اعماق ضميره فقد كنا نخشى في ضجيج الغربة الموحشة ان نفتقد حتى هذه الذكريات .

علي شلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصمت والريح والمقبرة

* * *

عبر افق الاصيل كانت بقايا الشمس تحمر من شظايا سناها
وسناها معصفر اللمح شحوبا على مدمى خطاها
وطيوف الغروب في الشفق المسفوح اشباح وحشة في مداها
ومداها جنائز النور ، اواه تهادت ، وكفنتها ... رؤاها
ورؤاها مدامع الليل ، والمحزون طيف من الاسى كم وعاها
حين القى همومه في ظلال القبر سهمان من مندى شذاها
والرمال العطاش نشت صديد الميت والدود تحتسي مثواها
سحره عرس شهوة من رؤاها وحناياه تنتشي من صداها
الف الوحدة الكئيبة والاشباح والصمت جنة من رناها
وفلول الغربان ندمانه الاحياء ، في ملعب المدى يرعاها
خلها تبعث النعيب المفنى ... يا لحلو الاصداء ، ما اشهاها
عذبات النئيم في قلبي المخمور ، يا ليت اضلعي مأواها
خلها تخصب العذاب لاروى انا اهوى حياتها ، اهواها

ثم القى على الرموس الحزانى من حواليه ... نظرة تتناهى
عبر جرف الغروب ، يلتف بالاقباس صرعى لدى عرايا مداها
ما لها ؟! ما بها ؟! اشلاء دروب تناثرت من ثراها
امس كانت يزينها الصخر المنحوت ، يا ويح نحسها ما دهاها ؟
اقفرت من مباهج السحر ، حتى الجن تلقاه سابحا في سراها
ها هنا كان مرفأ اللهو ، ما اشقى ضلالات صبوة تنساها

واطل المساء من كوة الغيب سدوفا ، تدثرت في دجاها
وهو يغفو على السكون المسجى فوق انقاض صخرة عراها
دهرها البكر ، قبل مرأى الخطاة البله ، والدهر صامدا يلقاها
كان في زحمة الظلام .. وحيدا بين جنبيه ذكريات طواها
همسات الهوام تخفق في اذنيه رجعا مسهدا من صداها
اين ملهى الصبا المندى ؟ ! تلاشى ؟ ! في ذرى السهو ما احيلى رؤاها
حين كنا ، وكانت الريح تعوي من اساها ، ورددت شفتاها
من تسابيحها ، وحلم الاساطير ، وشوق البلى عطايا جناها
في عروقي ، واضلعي ، يا تراها تشتكي حرقة السرى .. يا تراها ؟
كم تنزت من الضحايا ، وامست من سبات السراب تنعى كراها
سافيات الرمال عبر الفضاء الجهم بالويل ذرذرت من ثراها
ماتم للثبور خلف رباها ، وخيوط الصموت تنسل آها !!
وبها غصة الاسى سعرتها حشرجات اللهاث بين حشاها
وحشاها مناجم العقم ، والتنين يقتات في الدجى بلواها

ظل في صمته الحزين يسل الهمسة ، والريح تشتهي نجواها
ثم اغفى الظلام بين يديه وسرايا الخفاش ماتت خطاها
وحده ظل جامد الحس ، والاحلام تجتر من غشايا مداها
ودموع الاصيل تستل من جنبيه ذكرى مخضوبة من نداها
ليت دنياه ها هنا تشرب الآلام ، تقتات من خطايا صباها
كان بين القبور يحتاش عطر الورس سلوى تسللت من ثناها
غمغمات الصباح كانت نشيجا عبقريا ، ينّ عبر سراها
ثم جر الخطى مع الليل ، والدرب قبور تكورت في رباها
ينشر السر في الخطى الصفر دمعا ذاب في مقلة السهى من شجاها

بغداد — علي الحلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● في مقدور كل شخص يحسن القراءة ان يضاعف ما لديه من وسائل النشاط وان يضفي على حياته المليئة بالعمل المزيد من الكرامة والمعنى بواسطة المطالعة . فالمطالعة ليست من الكماليات . هي ليست مجرد طريقة لاملاء الفراغ . انها ضرورة حتمية. هي من حقوق الانسان الاساسية هذه الحقوق التي لا يمكن نقضها .

المكتبات العامة ورسالتها في المجتمع

بقلم اندريه موروا

ترجمة يوسف اسعد داغر

كراس بهذا العنوان يقع في ٣٣ صفحة محلى بالصور والرسوم المشوقة . وضعه الاكاديمي الفرنسي المشهور اندريه موروا بتكليف من اليونسكو ، ضمنه اهم ما يجب ان يعرفه القارىء العادي ، من هذا النوع من المكتبات، والدور الذي تلعبه في تغذية الثقافة . وقد راينا ان نقتبس منه بعض المقاطع لنشرها في مجلة «الاديب» لفائدة القارىء العربي

المطالعة

حضارتنا الانسانية مجموعة من المعلومات والذكريات خلفتها تباعا الاجيال التي تقدمتنا ولذا لا يمكن الاسهام بانمائها الا عن طريق الاتصال بالافكار التي بلغتنا على مر الدهور . ولكي يتم لنا ذلك ويصبح بالتالي الواحد منا مثقفا او مهذبا ، علينا ان نقرا ، اي ان نطالع . فليس ما يغنينا عن المطالعة او القراءة سبيلا . فليس للدرس الملقى ولا للصورة البارزة ما للمطالعة من قوة تهذيبية . فالصورة ضرورية لايضاح نص مكتوب الا انها اعجز من ان تبعث فينا افكارا عامة . فالشريط السينمائي كالخطاب المتلو ، يمر وينقضي . انه من العسير ان لم نقل من المستحيل الرجوع اليهما . اما الكتاب فيبقى هو ، رفيق الحياة . صرح مونتاني انه بحاجة لثلاثة لا رابع لها : الحب والصداقة والمطالعة . يكاد يكون هؤلاء الثلاثة من طينة واحدة . نستطيع ان نحب الكتاب فالكتاب صديق وفي صدوق . واستطيع ان اؤكد هنا ان الكتب اشد حكمة وابلغ عظة من واضعيها . فالمؤلف يودع كتابه خير ما عنده . فحديثه مهما كان براقا ، طليا ، جذابا ، يفر ويمضي لا يلوي على شيء . اما الكتاب فاستنطاقنا لخفاياه واستطلاعنا لاسراره لا حد لهما ولا قرار .

هذه المحبة للكتاب الواحد يمكن ان نتقاسمها وملايين من الناس دون ان نخشى فيها لومة لائم ، فبلزاك وديكنز وتولستوي وسرفانتس وغوتيه ودانته وملفيل يتحلق حولهم اناس كل ما فيهم يدعو للنفرة والتباعد والتقاطع . ارى في ياباني وروسي واميركي اجهل منهم كل شيء ، اصدقاء حميمين في « نتاشا الحرب والسلم » و « فبريس شارتروز ده بارم » و « ميكوبر دافيد كوبر » .

الكتاب وسيلة من وسائل التجاوز والانفلات . فما من رجل مهما له من التجربة الذاتية يستطيع فهم الاخرين ولا فهم ذاته الفهم الصحيح . كلنا نبدو وحيدين في هذا العالم الشاسع المطبق على نفسه . هذا بالذات يؤذينا كما يؤذينا مرأى الاشياء الظالمة ومنغصات الحياة . فالكتب تحدثنا حديث من هم فوقنا شانا ، حديث من تألموا وسعوا وبحثوا كما نتألم ونسعى ونبحث . فهي ابواب مشرعة نطل منها على الغير من النفوس والشعوب . وبفضل هذه الكتب يمكننا ان نخرج من عالمنا الشخصي الضيق وبفضلها نتفادى التأملات العقيمة . ان امسية نقضيها في المطالعة وقراءة الكتب الكبيرة ، هي للروح ، ما هي رياضة التصعيد في الجبال للجسم ، فيهبط الانسان من هذه الذرى انشط واقوى بعد ان تنقت رئته وتخلص دماغه من الادران العالقة بهما ، وهو على احسن ما يكون استعدادا لمتابعة الجهاد بشجاعة ضد ما يعترض سيره في معارج الحياة من عقبات.

فالكتب هي خير ما لدينا من ذرائع تعرفنا الى احداث الماضي السحيق كما انها امثل ما تملك من وسائل لنتفهم روح الجماعات البشرية التي لا طاقة لنا على الاتصال بها . ان اثر فادريكو غارسيا لوركا المسرحي يطلعني على روح اسبانيا الخفية اكثر مما تتيحه لي عشرون رحلة اليها . ويطلعني تشيخوف وتولستوي على دخائل النفس الروسية لا تزال فيها لليوم . ومذكرات سان سيمون تبعث امامي صورة لفرنسا مضت وانقضت ، تماما كما تفعل قراءة روايات هوثورن ومارك تواين التي تبعث فينا صورا لاميركا زالت من عهد بعيد . كل ذلك في جو من المتع الروحية بعد الكشف عن مشابهات كثيرة تقوم بين هذه العوالم التي تنأى عنا في الزمان والمكان ، وبين العالم الذي نعيش فيه الان . للناس خصائصهم المشتركة . فهؤلاء الملوك والقادة الذين يرسم لنا هوميروس صورا عنهم لا يختلفون كثيرا في مشاعرهم واحاسيسهم عن كبار القادة في حلف حربي معاصر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فبالرغم من هذه الاضداد وفوارق العرق والدم تظل علينا انسانية واحدة . فالسوبرمان لا يختلف عنا الا بمقاييسه لا بجوهره ، ولهذا كانت سير مشاهير الرجال مثيرة قراءتها للناس اجمع .

اذا نحن نقرا ونطالع لنسمو قليلا فوق واقع الحياة ولندرك ، اكثر فاكثر ، واقع الحياة فى الاخرين . ولكن للكتاب غير هذه من المتع واللذائذ . ان واقع حياتنا اليومية يجعلنا وجها لوجه مع احداث ووقائع يصعب علينا تفهمها حق الفهم ونحن فى غمرة من الشهوات والاهواء . كثيرون بيننا يحيون حياة خليقة بريشة ديكنز وبلزاك ، ومع ذلك فهي تبدو لهم تافهة لا بهجة لها ولا لذة . عمل الكاتب هو ان يقدم لنا عن الحياة صورة حقيقية ، يضعها منا على ابعاد نستطيع معها نا ننعم بها دونما خشية او مسؤولية .

ان من يطالع رواية طيبة او ترجمة لاحد العظماء يعيش حوادثها دون ان يلحق بصفائه ضر او اذى . ما احسن ما قاله بهذا الصدد سنتايانا ، عندما يؤكد ان الفن يمد الفكر بما لا يستطيع مثله العمل ، اذ يجمع بين الحياة والسلام ان قراءة كتاب فى التاريخ امر فيه صحة العقل والروح ، اذ فيه دروس وعظات فى الحكمة والتعقل والنسبية . فالكتب الجميلة لا تترك مطالعها كما كان قبل قراءته لها . فهي تسكب فيه من طابعها وتجعله احسن واكمل .

المكتبة

ليس اهم للبشرية جمعاء من ان نضع تحت تصرف الناس وسائل الانطلاق والتفلت والكشف التي من شانها ان تحدث فعلا ، تحولا فى حياة الفرد وتزيد من قيمته الاجتماعية . ولعل امثل هذه الوسائل طرا وابعدها اثرا فى المجتمع هي المكتبة العامة .

نحن فى عصر نجد فيه الناس فى كثير من البلدان يزدادون يوما بعد يوم ، استمتاعا بالمساواة فى الحقوق ، ويشاركون اكثر فاكثر بعملية الحكم ويؤلفون رايا له من الحول والشأن على الحكومات القائمة ، الكلمة الفصل ، فى حالتي السلم والحرب ، وتقسيط العدالة ورفع الظلم ، وبكلمة اخرى بحياة الشعوب فى العالم اجمع . وقوة الشعب هذه التي نعبر عنها بالديمقراطية تقتضي بان يتم للجماهير التي اصبحت مصدر السلطات ، الوقوف على المشكلات الكبرى التي تستبد بانتباه العالم . والذي اعنيه بذلك هو ان تنال هذه الجماهير ، اكثر فاكثر ، تعليما يبقى ابدا ناقصا مجزوءا ، ما لم تردف المكتبة عمل المدرسة وتتمه .

فالانصات والاصغاء الى معلم مهما سما قدرا وقيمة ، لا يكفي وحده لتهذيب العقل وصقله بل يجب دعم الدرس بالفكر والروية والتأمل . فدور المعلم يقوم بتزويد الطالب بما يلزم من الملاكات والقوالب المحددة التي يأتي العمل الشخصي ويملأ منها الفجوات الشواغر . فما من تلميذ او طالب علم ، مهما كان لامعا ان يحقق لوحده ، ما كونته البشرية وصاغته مدى الوف الاجيال . وكل تأمل نشيط فعال يتناول قبل كل شيء ، الفكر التي التمعت فى خلد عظماء البشرية . فالتاريخ يصبح شيئا تافها اذا ما اقتصر على الاحداث والافكار التي فى وسع المعلم ان يتدبر امر تلقينها وتقريبها للافهام فى بضع ساعات . ولن يلبث ان يصبح التاريخ درسا بليغا وعظة للطالب ، اذا ما راح يتسقط بناء لنصح معلمه دروس التاريخ فى الحوادث المسرودة والمذكرات الموضوعة والاحصاءات المروية التي تؤلف مادة التاريخ .

ليست المطالعة رياضة موصوفة قويمة للعقل فحسب . فهي تكشف للاذهان الغضة الفتية ، الخصائص الخفية للحقائق التي سيتلقنها الطالب لقمة سائغة ، بل يتحتم عليه تكوينها بنفسه على اساس من الجهد الشخصي والاسلوب الواضح والنية الحسنة . فالمكتبة هي تتمة لازمة للمدرسة او للجامعة . ولا اعدو الحقيقة اذا ما قلت هنا ان التعليم هو المفتاح الذي يفتح امامك باب هيكل العلم ممثلا بالمكتبة .

ويصح هذا بالاكثر على التلعم بعد المدرسة . ففي عهد الديمقراطية هذا يترتب على كل مواطن يرغب فى القيام بواجباته ومسؤولياته بتفهم وشعور ، ان ينمي معارفه طيلة ايام حياته . فالعالم لا يقف حيث تركناه يوم مغادرتنا المدرسة ، فالتاريخ فى صيرورة وكينونة لا تنقطع . فهو يضعنا امام مسؤوليات ويثير امامنا مشكلات يتوقف عليها مصير الانسانية جمعاء . فكيف يتسنى لنا . والحالة هذه ، ان نقف موقفا معللا ، وان ندافع عن قضايا راجحة الحجة معقولة ؟ وكيف يتاح لنا ان نقف فى وجه جهالات مجرمة ، قتالة ، اذا ما كنا نجهل كل شيء حول القضايا القائمة ؟ فاذا ما صح هذا عن التاريخ واحداثه ، صح كذلك عن الاقتصاد السياسي ، عن العلوم الاخرى ، والتكنيكيات الاخرى . فالسنوات الخمسون الاخيرة جددت معارفنا بعد ان قلبتها راسا على عقب وظهرا لبطن . فمن يا ترى يزود الناس ، رجالا ونساء ، بالمعلومات اللازمة حول هذه التغييرات والتطورات الاساسية التي يتوقف على معرفتها معرفة حقيقية ، مصائر سعادتهم وبؤسهم . من يساعدهم ، وهم يقومون يوميا باعباء الحياة على ان يحسبوا حسابا لمكتشفات العصر ؟ الكتاب والكتاب وحده .

على المكتبة العامة ان توفر للجميع ، شيبا وشبانا ، اولادا واحداثا ، فتيانا وفتيات ، رجالا ونساء ، وسائل الاطلاع على الحدثان المهمة التي هزت عصرهم ، من اي نوع او موضوع كانت . فاذا ما وضعت هذه الوسائل تحت تصرفهم ، دونما محاباة او غرض ، واتيح لهم ان يطالعوا المؤلفات التي تعرض للقضايا المتضاربة التي تستأثر بخواطرهم ، سهل لهم هذا الاتصال المباشر ان يكونوا عنها رايا معللا ، وان ينظروا اليها نظرة ناقدة ، محللة بناءة ، لا ظل للحرية على الارض بدونها ولا قوام . فهي تثير فيهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدعوات ، وتبعث فى كل من نفوسهم الرغبات والمنى، فعندما يقرأ الناس آثار المؤلفين الكبار ويطالعون مخلفاتهم الفكرية، تجد نفوس موهوبة ضلت سبيلها او عميت امامها معالم الطريق ، ابوابا ومخارج تفضي بها الى باحات العلم الوارفة ومراتع الاداب والفنون ، بحيث يتيسر لها بدورها ، ان تنمي هذا التراث البشري المذخور المتراكم .

بعد هذا ، وفوق هذا ، ان مكتبة عامة غنية بمجاميعها ومجموعاتها المتنوعة تفتح ابوابها على مصراعيها ، فتغني من حياة روادها الخاصة وتزيد من ثرائهم العقلي والفكري. ففي هذا العصر الذي لا تلبث ان تحل منه الالة ، الى حد بعيد ، محل العضل المفتول . وتزيد بالتالي من اوقات الفراغ امام العمال ، يتحتم علينا التفكير جديا ، باملاء هذا الفراغ ، على الوجه الاكمل ، لخير الافراد والمجتمع معا .

صحيح ان الملاهي والالعاب الرياضية والاسفار ستساعد على ذلك . ولكن ليس امثل على املاء هذا الفراغ من المطالعة والقراءة ، اذ من شأنها ان تغذي العقول وتنمي ما فيها من روح انسانية كريمة . فكما ان الكتب العلمية والتاريخية تغذي العقول ، تغذي مطالعة الروايات القلوب بالمشاعر والاحاسيس العالية وتبعث فيها عاطفة الحب ، فالقارىء الذي يعرف جيدا مشاهير الكتاب فى بلد ما وان لم يتح له زيارته او جهل منه اللغة واللسان ، لم يعد غريبا عنه . واذ ذاك تصبح المكتبة معهدا او مصنعا للتفاهم الدولي . وبذلك تكون المكتبة العامة ، بمجرد قيامها ، ودونما الحاجة الى دعاية خاصة او غرض خاص اومذهب خاص ، مؤسسة تعمل فى خدمة السلام كما تعمل فى خدمة الديموقراطية .

المكتبة العامة وخدماتها

المكتبة العامة فى العصر الحديث هي منظمة تنبض بالحياة وتجيش بالنشاط . فهي تتجه من القارىء وتسعى اليه ، وكلها رغبة بان تشبع نهمه الى المعرفة وتروي عطشه الى العلم ، فتجتذبه برفق بعد ان تزوده بكل ما يساعده على جمع المعلومات ، وعلى نمائها ، فيه ، وتسري عنه . ولذا يترتب على مجامع المكتبة العامة ان تحقق مثل هذا المنهج وان تنهض به . فمن الضرورة بمكان ان يستطيع الجميع ان يعولوا على ما فى المكتبة من كتب المراجع والارشاد ، كالمعاجم ودوائر المعارف والموسوعات العامة ، والفهارس الببليوغرافية ، والاطالس الجغرافية ، والروزنامات التاريخية . وعلم التاريخ يجب ان يكون ممثلا فى المكتبة بمؤلفات عامة فى التاريخ ، كالتاريخ العام ، وتاريخ بعض الدول الكبرى ، ولا سيما تاريخ البلاد التي تقوم المكتبة فيها ، وتاريخ الفنون والاداب والعلوم وبمجموعة من الكتب حول التاريخ المحلي او الاقليمي . ان رفا خاصا بالسير ورجال الطبقات له قراؤه ومريدوه . ثم ان كتب الجغرافية والرحلات والاسفار ، والكتب الفنية والتقنية هي ايضا من اهم مقتضيات مكتبة عامة تحترم نفسها كما تحترم قراءها .

اما مجموعة الكلاسيكيات ، فيتحتم عليها ان تضم منها اقله المؤلفين الذين لا يزالون يحتفظون بقراءتهم . ان شعراء الطبقة الاولى او الشعراء الشوامخ ، ليسوا من الكثرة بحيث يتعذر جمعهم فى مجموعة واحدة . اما الرواية والمسرحية فامرهما محير مربك لعمري . فهما من الكثرة والوفرة بحيث لا مندوحة هنا من الاقتصار على الامثل . ولو ادى هذا التحيز الى بعض الحيف . من المهم هنا ، ومن المطلوب قبل كل شيء ، ان يتوفر للمكتبة ويتوافر لها المجلون او الرواد من الكتاب من كلا الحقلين ، فى كل بلد او لسان . ثم على مجموعات المكتبة العامة ان تتمثل فيها بصورة بارزة ، الكتب التقنية والمهنية ، وكتب النصوص التي تبحث فى الحرف والمهن اليدوية ، ولا سيما ما كان سائدا منها فى مناطق البلاد على اختلافها . فعلى المكتبة ، ان تراعي قبل كل شيء حاجة قرائها ومطالب روادها ، وان تكون مجموعاتها تعبيرا عن البناء الاقتصادي القائم فى البلاد ، او مرآة تبدي صورة عامة لما بلغته البلاد القائمة فيها ، من مبلغ التطور فى مضمار الحضارة .

حرية الوصول للرفوف فى المكتبة مباحة للجميع ، اي ان للقارىء ملء الحرية فى ان يختار هو بنفسه من عيون الرفوف ، ما يرغب فى مطالعته وقراءته . والفهارس البطاقية يجب ان تكون تحت تصرف الجميع ، فترشد المطالع باسرع ما يكون ، الى ما ينشده وتدله على مطلبه ، وذلك بفضل نظام متجاوب من التصنيف والتنسيق ، يعرف القارىء بمحتويات المكتبة باهون واسرع سبيل . وقد صدق من قال: ان الفهارس البطاقية هي عين المكتبة واذنها

ونشاط المكتبة العامة الحديثة يجب ان يتكشف عن نشاطات ثقافية وتربوية متنوعة لم تكن المكتبة لتعرفها او لتعني بها من قبل ، كالمحاضرات ، والمناقشات حول قضايا ادبية وثقافية عامة ، وقضايا فنية واجتماعية ، كما يجب ان تتفتح عن معارض فنية وثقافية تنظم دوريا او وفقا لبعض الذكريات الوطنية او الادبية الطارئة ، وحفلات موسيقية او تمثيلية . وكلها نشاطات تعرف بالكتاب وتدعو اليه وتحببه الى النفوس ، وتقربه منها فيقبل الناس على مصاحبته ومعاشرته ، وعلى قراءته .

فهل من عجب ان تصبح المكتبة العامة، بعد هذا ،منتدى للثقافة ومنتجعا لرواد العلم والادب والفن ، ومحجة لطلاب البحث ، يرتادونها ليل نهار فتعمل على توزيع المعرفة بين الناس وتوفر لهم لذاذات فكرية لا تثمن . ولذا تكون المكتبة ذريعة مثلى لبث الافكار بين اعضاء المجتمع ووسيلة سائغة لاملاء اوقات الفراغ بين الناس بصورة منطقية معقولة . فنشاط المكتبة لا يقف عند المحلة او الحي او البلدة القائمة فيها ، بل يتعداها الى ابعد ، الى الجماعات الريفية التي كثيرا ما كانت ، الى عهد قريب مجحفة القسمة ، قليلة الحظ من هذا القبيل . قد تملك مدرسة القرية مكتبة صغيرة للطلبة ، تتمنع عن اعارة كتبها للكبار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمراهقين ، ومثل هذه المكتبات محدودة النطاق على الغالب ، لا يلبث عقل متفتح ظامىء للمعرفة ، ان يأتي على مذخوراتها فى برهة قصيرة . فى عدد من البلدان المتطورة يشرف على المكتبات العامة هيئات تحرص جيدا على توفير اسباب الاستفادة منها للجمهور . وقد بذلت بعض البلدان من هذا القبيل جهودا طيبة ستأتي بالقريب العاجل باحسن المحصول واطيب النتائج . فقد انشئت فى مراكز الاقضية مكتبات اقليمية تختار منها مكتبات نقالة حاجتها من الكتب يختار منها المطالعون من سكان الارياف ما يطيب لهم من كتب المطالعة ، وينتقون منها ما يجتذب منهم الافكار والانظار ، ويحرك فيهم الخيال . ففي كل ناحية تقوم خزانة او مخزن للكتاب هي عبارة عن مكتبة : محلية او مدرسية او بلدية ، يتولى امرها ويشرف على سيرها موظف فني مسؤول هو ، عادة ، المعلم او الاستاذ ، فيعمل مرشدا للطلاب ، هاديا لهم يأخذ بايديهم الغضة الى حياض العلم والفن والثقافة ، ويبعث فيهم الرغبة الى القراءة والمطالعة.

على مدير المكتبة المركزية ان يتولى بنفسه اعداد المكتبيين اعدادا فنيا مسلكيا بحيث يؤدون على الوجه الاكمل المهمة الموكولة اليهم . فالمطالعة فى الارياف عملية مركبة تقوم على اساس من التعاون الوثيق بين امين الدار والمعلم والطالب والكتاب .

هذا مثال حي من امثلة التعاون وحسن التنظيم ، وثمة غيره يمكن ان نستشهد به ، يجب ان نتأكد موقنين انه اينما امكن تنظيم المطالعة وتيسير اسبابها وتوفير وسائل النهوض بها ، كان تأثير هذا التنظيم عظيما على الاهلين. فليس اهم من تنظيم المطالعة فى العالم اجمع . فالقراءة والمطالعة ليست من الكماليات فى هذه الحياة . فهي ليست مجرد طريقة لاملاء الفراغ لدى سكان الريف واشغاله (وهذا وحده يؤلف نتيجة عظيمة بحد ذاته) . فهي ضرورة حتمية اذ ان الكتاب ، وبالتالي المطالعة ، هما السبيل الوحيد لنشر الحضارة فى العالم . كل حضارة قامت فى التاريخ ، قامت على الحرف ، على الكلمة ، على الكتاب وعلى من يتدبر هذا الكتاب بالروية والفكر والنظر . من الثابت الذي لا يواجهه البطل ان حق المرء فى القراءة والمطالعة هو من حقوق الانسان الاساسية هذه الحقوق التي لا يمكن نقضها او نسخها او التغاضي عنها . فلكل الناس حق مطلق فى الاستمتاع بالكتاب بكل حرية . فاذا ما توفر لهم هذا الحق ونعموا بهذا الحظ ، كان الكتاب عاملا اساسيا في تغيير الناس وجعلهم ورثة او نقلة لهذه الاختبارات البشرية وايصالها مصقولة ، مزيدة ، مجلوة ، للاجيال الطالعة .

مكتبة الاطفال

تذوق الكتاب واكتساب عادة المطالعة ملكة يسهل على الطفل اقتباسها وهو بعد فى مطلع الحياة . فعلى كل مكتبة عامة ان تنشىء زاوية للاطفال الذين لا يتوفر لمعظمهم وسائل اقتناء الكتب ، اذ يتعذر على ذويهم وسائل توفيرها لهم على الشكل الذي يرغبون . ففي المكتبة وحدها يجدون الكتب القيمة التي تهمهم او يحفلون بها فتحول بذلك بينهم وبين القراءات النافلة او الخطرة . ان مكتبة المدرسة ، مهما كان نفعها والخير الذي تؤمنه كبيرا ، لا تفي على الاجمال بحاجة الطلاب لقلة مواردها ولضعف مجموعاتها . فالرفوف العامرة بالكتب الطيبة الخيرة ، تؤلف للولد الاريب النبيه ، اذا ما تم له الوصول اليها والاستمتاع بمجاميعها ، روضة غناء وجنة نعيم ودار هناء يستمتع الولد بساعات المطالعة الطويلة الممتعة ، مساء فى منزله الوالدي او فى حديقة البيت خلال ايام الصيف الطويلة ، فيقبل على القراءة وقد عطشت نفسه الى المعرفة ، فيلتهم الكتب التهاما . قد يأتي للمكتبة ليدرس او ليهيء فروضه والواجبات المفروضة عليه ، وذلك لما توفره له من كتب المراجع العامة، هذه المراجع التي يجب ان يحسن استعمالها والرجوع اليها تحت اشراف امين الدار وتوجيهاته وارشاداته . وكثيرا ما يجد فى المكتبة منتدى ادبيا يستمتع فيه بما يتلى عليه من اقاصيص وحكايات او بما يقراه بالاشتراك مع غيره من الرفاق او بما يحضره من مناقشة بعض الموضوعات عندما يشتد ساعده .

وهذه الزاوية ، زاوية الاطفال ، يجب الا تشغل حيزا كبيرا من المكتبة . ولعل اهم من هذا هو ان يتعرف امين المكتبة الى روادها شخصيا ، من الولد المكبوت الذي يؤثر الانفراد ويميل الى العزلة ، الى الولد المتردد ، الوجل الذي يتوجب عليه توجيهه وارشاده وتسديد خطاه . فعلى هذه الزاوية ـ زاوية الاطفال ـ ان تكون محلاة بالرسوم ، مزوقة بالالوان المغرية الجذابة ، بحيث يقوم فى ذهن الولد للكتاب صورة زاهية ، زاهرة ، ضاحكة ، جذابة .

من الطبيعي ان يكون التعاون على اتمه بين المكتبة والمعلمين العاملين فى المدارس القريبة منها وبين الاهلين وارباب التلاميذ . وعندما يتولى الاستاذ تدريس تلاميذه موضوع ما يجمل به ان ينظم مع ادارة المكتبة معرضا توضيحيا للموضوع المطروح على بساط البحث . وعليه ان يقترح شراء كتب واضافتها الى مجاميع المكتبة لخير الجميع . والامهات اللواتي يرافقن صغارهن الى المكتبة قد يحملن معهن فى طريق العودة الى المنزل ، عدوى المطالعة ومكروب حب القراءة .

ومختصر مفيد ، على مكتبة الاطفال ان لا تقيد نفسها بحدود ضيقة وضمن حيز يضيق عن حيوية الولد ونشاطه. فهي تفضي ، فى نهاية الشوط ، الى مكتبة البالغين او الكبار . فليس اطرى على قلب امين المكتبة ، والذ عنده من ان يرى زبائن زاوية الاطفال فى مكتبته ، يصبحون قراء بالغين ومن زبائن المكتبة العامة . وليس ببعيد اليوم الذي يطلق الولد فيه كتب الصغار بعد ان نضج عقله وتهيأ تفكيره ، وسعى كقارىء بالغ، فى طلب كتب البالغين والكبار،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولذا يجب دفعه دفعا نحو المكتبة العامة وتوجيهه وجهة الكتب التي يرغب فيها ويحلو له مطالعتها . فى وسع امين مكتبة للاطفال ان يصبح موقظا لا مثيل له للافكار .

امين المكتبة

لامين المكتبة من الوجهة الاجتماعية شأن عظيم واثر بعيد . فهو المؤتمن على الثقافة الانسانية والوسيط الامثل بين مذخور الفكر الانساني الذي تراكم فى مكتباتنا على مر الاجيال ، وبين اجيال الناس الاحياء العاملين . فالكتب المذخورة فى خزائننا بلغت حدا من الوفرة كما بلغ نشاط الانسان وسرعته على التأليف والطباعة والنشر حدا يتعذر معه بل يستحيل على اي كان ان يتعرف الى عصارة الدماغ البشري ممثلا بمذخور الكتب جملة وتفصيلا او انيدرك ، اقله ، ما يتوجب عليه معرفته منه . فالخبير عرضة لان يفني حياته كلها بلا طائل فى اتيان اعمال اتاها غيره من قبل بزمان ، فهو يشبه من هذا القبيل زارعا القى فى الارض بذارا خصبا حتى اذا ما طلع وشال الزرع خنقه . فان لم يجر توجيه الانسان التوجيه الفني اللازم تعرض للموت غصا او اختناقا ، بما تم له من وفرة اسباب الثقافة العامة

فبوسع امين المكتبة لا بل من المحتم عليه ان يحول دون هذا المصير المشؤوم ويصون الانسان من الغصص والاختناق . ويتم له ذلك عن طريق قائمة ببليوغرافية منتقاة او عن طريق فهرس دقيق يتخذ منهما هو وغيره من الناس هديا له ولهم فى شعاب الفكر الملتوية ومسالك المعرفة المتشابكة التي يتعذر النفاذ منها .

فالانتاج السنوي ، مهما تعاظم وتضخم باستطاعة المكتبات العامة استيعابه ، وبالنظر لهذا العدد من الكتب الآخذة بالنمو والتي تدخل المكتبة باستمرار يتحتم عليها ان تجري فى الكتب تنسيقا يسهل تناولها الى درجة الكمال . وقضية التنسيق هذه وتنفيذها على اصول وعلم وفن امر يترتب على المكتبات الكبرى تحقيقه ، ومسؤولية الاضطلاع به تقع على امناء المكتبات الذين يترتب عليهم ان يقيموا المسالك فى غابة المعرفة وان ينصبوا على مداخلها وجنباتها المعالم والا تعذر النفاذ منها واليها ، ان لم نقل امتنع واستحال . كذلك من المسؤوليات المترتبة على امناء المكتبات الكبرى الحفاظ على عصارة الفكر الانساني ممثلا بمخزون الكتب المرصوفة فى عيون الرفوف .

والدور الذي يمثله حافظ مكتبة عامة ، مهما بلغ من صغر شأنها لا يقل اهمية مما ذكرنا . ففي حضارة جماهيرية كحضارتنا هذه ، كل تقدم ادبي او تطور تكنى يجري تسجيله ، لا يؤبه له ولا يؤخذ بعين الاعتبار ما لم يبلغ اثره جميع طبقات الشعب . فالمكتبي الذي يقوم بدوره على الوجه الاكمل ، يعرف ان يؤمن هذا الانتشار والامتداد . الم يشبهوه بحق بالراشح او الراووق الذي يؤمن التعادل المنسوب بين سيل الكتب المنهمر والجماهير العطشى الى المعرفة ؟ وهذا الكتبي الذي يقوم بهذا الدور يفترض فيه ان يجيد مهنته ويحسن اصولها كما يفترض فيه ان يكون ذا ثقافة عامة معرقة ، واسعة الاطراف .

وهو بحاجة الى مثل هذه الثقافة الواسعة الاطراف ، ليستطيع بنجاح تكوين مكتبته وانمائها بعلم واصول . لا اجهل قط انه عندما يتسلم مهام وظيفته ويباشر الاضطلاع بمسؤولياته يكون تحت تصرفه نواة من الكتب من المهم له ان يحسن من جهة الافادة من الاعتمادات المالية المخصصة له سنويا فيضيف الى رصيد المكتبة خير الكتب التي قذفت بها المطابع حديثا . كما عليه ان يستكمل من جهة ثانية نواقص وشواغر المجموعات التي لديه ، مستعينا على ذلك بخبرته وبالطلبات التي تترى عليه من قبل رواد المكتبة

فالمكتبي ، فى المكتبة هو المرشد والدليل الى مرابض العلم ومكامنه . فهو الذي يتولى توجيه القراء والمطالعين الى المرابع الخضراء ، ويلقنهم كيف يستعملون الفهارس البطاقية ويستفيدون من مجاميع المكتبة وما فيها من وفرة الكنوز الفكرية . ان وظيفة امين دار الكتب ، يقتضي لها الى جانب التخصص والمؤهلات المسلكية ، التحلي بصفات خلقية لا بد منها ولا ندحة عنها للنجاح فى مهمته منها التعلق الصادق بهذه الخدمة تعلقا لا حد له ، والانقطاع لها بكل جوارحه ، وارادة خيرة لا تفتر ولا تمل ورغبة شديدة فى بذل المساعدة والعون لمن اقبل على النفس يستكمل فضائلها بالعلم والعرفان .

اليونسكو والمكتبات

فى العمل التربوي الذي تضطلع به منظمة اليونسكو تحتل المكتبات محلا ملحوظا من عنايتها ورعايتها ، اذ ما الفائدة من محاربة الامية والقضاء عليها اذا لم يستطع من اكتحلت عيونهم حديثا بنور المعرفة ، ان يستمتعوا بنعمة المطالعة ؟ فالخدمة المثلى التي تؤمنها اليونسكو هي اشاعة السلام بين الناس عن طريق اشاعة الثقافة الدولية بينهم . فهل من عجب بعد هذا ، ان تكون المكتبة العامة ، المعول الاكبر لتحقيق هذا الغرض ؟ ولذا راحت اليونسكو ولا تزال ، تسهم بتطوير المكتبات عن طريق اعداد حلقات دورية تدعو اليها المكتبيين ، من مناطق مختلفة عديدة ، وتحسين المبادلات الثقافية وتوفير اسباب العمل وظروفه المؤاتية ، وانتداب الخبراء بعلم المكتبات ، واعطاء منح تخصص ، ولا سيما بانشاء مكتبات نموذجية تكون عوامل حية متفاعلة فى خدمة المجتمع .

ليس ابلغ عظة من المثل واوقع منه فى النفس ، فقد حققت اليونسكو عمليا وحيزت بالفعل ما نصحت الدول والمدن باعتماده فى هذا المجال ، وذلك بانشائها مكتبات نموذجية تكون معيارا ينسج على منوالها ومختبرات تطبيقية لما رسمت من خطوط وما اسدت به من نصح وارشاد . واولى هذه المكتبات النموذجية تفتحها اليونسكو مثالا يحتذى ، مكتبة دلهي العامة فى الهند ، سنة ١٩٥٠ بعد ان تعاون على اقامتها حكومة الهند واليونسكو ، هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المكتبة التي دشنها الرئيس نهرو عام ١٩٥١ . وكان الغرض الاكبر من اقامتها تزويد المتعلمين الجدد بكتب المطالعة التي يحتاجون اليها ، فتؤمن لروادها ولزبائنها من المطالعين ، حاجتهم من الكتب بلغات الهند الرئيسية : الهندية والاوردية والبنجابية والانجليزية .

وقد يسر انشاء مكتبة سيارة (بوك موبيل) تزويد ١٥ محلة مختلفة قريبة من المدينة او الريف ، بما تحتاج اليه من كتب المطالعة . فادى ذلك الى ازدياد عدد الكتب في المخازن اذ تجاوز عددها ١٦٥٠٠٠ مجلد ، كما تجاوز عدد الكتب المعارة للقراء ٧٠٠ الف كتاب. ويتضح من الاحصاءات الخاصة بزوار المكتبة وروادها بالنسبة الى اعمارهم ، ان الاحداث بينهم يؤلفون القسم الاكبر . فالكبار يقراون قليلا ، هذا ان قراوا ــ وهل من غرابة في الامر ؟ ــ بالنظر للتعليم الذي انتشر بين هذه الطلبة من ابناء الشعب .

بين القراء المسجلة اسماؤهم في المكتبة عدد كبير لم يكن الواحد منهم يملك كتابا او لم يكن في مكنته ان يشتري كتابا ، وتشاء العادة المرعية في تلك البلاد ان تقصر المراة زيارتها للمكتبة او ارتيادها لها ما امكن . ولذا كان عدد كبير من مستعيري الكتب يحملونها للاستعمال في الاسرة ، فتقرا امام اعضاء العائلة وعلى مسمع الجميع بصوت عال . فباستثناء الكتب الخيالية من قصص وروايات ، فالكتب المفضلة لدى القراء ، هي كتب التراجم التي تدور على سير مشاهير الرجال والنساء ، وتلك التي تدور على الفنون والصناعات وتاريخ الهند .

وهكذا جاءت التجربة النموذجية في دلهي دليلا قاطعا على اهتمام الناس بالمطالعة والقراءة ، واشباعا فيهم لنهم الكتاب وارواء للغليل . ففي الهند حاجات كامنات من جميع الصنوف والالوان ، لا حد لها ولا حصر . ولعل حاجتها الى تعليم القراءة تبزها جميعا . وعند اعداد كتب القراءة والمطالعة بلغات الهند الرئيسية ، يجب في الدرجة الاولى مراعات حاجات القراء الجدد . واسفر تحقيق قام به المكتبيون في دلهي حول اذواق المطالعين واهوائهم وموضوع عنايتهم الخاصة ، عن فوائد ومعلومات هامة حول هذا الموضوع بالذات .

كذلك قامت اليونسكو في هذا المجال ، بتأسيس مكتبة نموذجية ، في مدينة مديلين ، هذه المدينة الجامعية الجميلة في جمهورية كولومبيا الواقعة في الشمال الغربي من اميركا اللاتينية . وقد دشنت المكتبة الجديدة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٤ وتضم اليوم نحو من ٥٠٠٠٠ مجلد . وتؤمن المكتبة المركزية الخدمات التي تتطلبها فروعها المختلفة والمكتبات النقالة ، فتسد بذلك رغبات ١٠٠٠ مطالع في اليوم الواحد .

وقد جاءت التجربة النموذجية الجديدة دليلا قاطعا على فعالية المكتبة باعتبارها قوة حية في خدمة الطبقات الشعبية . ففي مديلين ، كما في دلهي ، يؤلف الاحداث القسم الاوفى من رواد الكتب والسواد الاعظم من القراء والمطالعين ، يضطرمون شوقا للمطالعة ويجيشون رغبة في الافادة من الخدمات التي توفرها الوسيلة الجديدة التي طلعت عليهم . فنسبة الاعارة للاحداث ، هي نفسها تقريبا للبالغين ، و « زاوية الاطفال » فيها تنبض دوما بالحياة اكثر من اي قسم اخر من اقسام المكتبة المذكورة . والمكتبة السيارة تؤمن الخدمات اللازمة ، ليس للقرى والجماعات الريفية فحسب ، بل ايضا للمعامل والمصانع اما المكتبة المركزية فقد اصبحت اليوم بؤرة للنشاط الثقافي في المدينة، وذلك بفضل برنامج غني متنوع من الاعمال والنشاطات الثقافية

وبذلت اليونسكو جهدا اخر من هذا النوع في بلدة ابنوغو في نيجيريا الشرقية فجاء نجاح هذه التجربة الجديدة يؤيد الى حد بعيد النجاح الذي صادفته التجربتان النموذجيتان السابقتان . وقد جرى الاحتفال بتدشين المكتبة الجديدة من نحو سنة . فهي تضم الان نحوا من ٢٠٠٠٠ مجلد وتؤمن الخدمات الخاصة بـ ٦٠٠٠ مطالع. وفي المكتبة المذكورة برنامج منوع من النشاطات التربوية والثقافية ، يردف ، الى حد بعيد ، عمل غرفة المطالعة الرئيسية كما ان المكتبة السيارة تؤمن خدمات النواحي المجاورة . وتتخذ الان التدابير اللازمة لشحن صناديق الكتب المعدة للاعارة ، الى اماكن نائية ، فترسل بالقطار الحديدي او بسيارات الشحن او بالقوارب النهرية المستعملة في تلك البلاد ، وبذلك يتاح لسكان المناطق الريفية النائية الافادة من مجاميع المكتبة الجديدة. وهكذا نرى ان الاهداف التي تضعها اليونسكو نصب عينيها من هذه الناحية ، تتفق تماما والاهداف التي تترسمها المكتبات العامة فيكمل الواحد منهما عمل الاخر ويتمه . وهكذا يعمل كل من جانبه ، في تنمية المعلومات العامة بين الافراد ، ويفتح رحابا جديدة في التربية الشعبية ، ويساعد في نشر وبث روح المساواة والاخاء عن طريق تيسير اسباب المطالعة للجميع، وتأمين صيانة التراث البشري المتوارث جيلا بعد جيل ووقايته واخيرا توفير الفرص وافساح المجال امام شعوب الارض طرا ليتعاونوا بعضا مع بعض لنشر تراثهم الادبي ومخلفاتهم الفكرية ويفيدوا منها ما امكن . وهذه المثل المشتركة هي الكفيل لطاوع عهد جديد من التعاون بين اليونسكو من جهة والمكتبات العامة ، من جهة اخرى ، يكون اوثق عرى واشد اتصالا من قبل .

مستقبل المكتبات العامة

تحتل المكتبات العامة اليوم مركزا بارزا في المجتمعات الحضرية العصرية القائمة ، وهو مركز يجب ان يزداد شانا ويتضاعف اثرا في السنوات الطالعة لاعتبارات واسباب عديدة.

يزداد عدد المتعلمين في العالم سنة فسنة ، وهي زيادة يقدر لها ان تسير باطراد والجهود المبذولة لمكافحة الامية واستئصال شأفتها في جميع انحاء العالم . فالامي لا يلبث ان يرى نفسه على هامش المجتمع والحياة . والتعليم لم

يعد وقفا على طبقة ممتازة . فلقد اصبح الزاميا للجميع. الامر الذي سيزيد بالتالي من جمهرة القراء والمطالعين . وفى سبيل هذه الجماهير العطشى الى القراءة ، تنزل الى الاسواق : كتب الجيب والطبعات الشعبية الرخيصة والكلاسيكيات الشعبية ، وكلها مجموعات تلقى الاقبال والترحيب الحار اينما ظهرت وحلت . ففي مثل هذا الاقبال على هذه الطبعات دليل ظاهر لحاجة الناس الماسة اليها . ويجب ان نلاحظ هنا بشيء من الغبطة والرضى ان تقدير هذه الكتب آخذ بالتحسن . فالقراء الجدد يسعون بلهفة ، وراء كتب لها قيمتها الاخلاقية والتربوية والادبية. غير ان السواد الاعظم من الناس لا يستطيعون شراء هذه الطبعات الرخيصة. فخير الطرق التي تقربها من الجماهير وامثل الوسائل التي تمكن من جعلها فى متناولهم هي المكتبة العامة ، هذه المكتبة التي يجب ان تقوم فى كل قرية ، جنبا الى جنب المدرسة التي يتم فيها العمل وتكمل الرسالة .

والرقي الاقتصادي والتطور التكني الذي حققه الانسان من شأنه ان يزيد النفس علوقا بالعلم وان يدفعها اليه دفعا وذلك لامرين بارزين . الاول لانه يتيح للناس توسيع مداركهم ودفعها الى ما وراء مهامهم اليومية . فالبائس المعدم الذي لا يؤمن غده الطالع والذي ليس له ما يقيه قوارص البرد وقضيض العاصفة المزمجرة ، لا يمكن ان يتحسس رغبة العلم ويشتهيه او ان يسعى فى طلبه . فكلما حسنت وجوه الحياة عند الانسان وسلسلت لديه اوضاعها ، اهتم اكثر فاكثر ، بما يصون كرامته وسعى صادقا الى ما ينمي من معارفه ومعلوماته . اما الامر الثاني يقوم فى ما صارت اليه حياة العصر من تعقيد وتشابك بعد طلوع عهد الالة والتقنية ، فيرى العامل نفسه معهما ان لا مندوحة له عن العلم لاتمام العمل الموكول اليه القيام به وفقا للمواصفات المطلوبة ، فيروح يحرث بتؤدة عقله وينمي محصوله من العلم والتقنية ليصبح فنيا او عاملا تكنيا . ولهذا نرى العمال يتوافدون ، زرافات ووحدانا ، على تاجر الكتب وبائعها وعلى دار الكتب ، بعد ان برح بهم العطش الى المعرفة والعلم . والزراعة التي اصبحت هي الاخرى ، فى يومنا هذا ، علما باصول ، تفرض على المزارع اختصاصا لا يتأتى له الا بالكتاب . وهكذا نرى ان ضرورة التعلم تولد الحاجة للكتاب .

شعوب كثيرة هي اليوم فى طريقها الى الاستقلال الناجز والسيادة التامة اي انها تنعم او فى سبيل ان تنعم بحكم ذاتها بذاتها . وهذا المصير حق شرعي لها اذا كان مقرونا ، ليس فقط بمعرفة كافية لماضيها وتقاليدها واعرافها وشخصيتها العرقية والتاريخية ، مدركة لما لها من طاقات وكفاءات منتجة وبالتالي بامكان تحقيق مستقبلها الاقتصادي بل ايضا تدرك الروابط التي تشدها للبلدان الاخرى ولما لها من تاريخ ولما تحتل من مركز فى العالم ولما تتصف به من اخلاق تطبع شخصيتها المفردة ، وعلى الاجمال بكل ما يتيح لها اقامة علاقات منطقية عادلة . كل بلد جديد يأخذ باسباب الاستقلال والسيادة يجب ان يشعر بذاتيته وشخصيته . والحال نرى فى ظروف كثيرة ان هؤلاء المواطنين الجدد الذين عاشوا للان دون رابط يشدهم بعضا الى بعض ، وكانوا فى اكثر الاحايين مسيرين بنظم سياسية مختلفة ، لا يمكن ان يتم لهم مثل هذا الشعور بالذات شعورا صحيحا عميقا يبعثه فى النفس معرفة الماضي وتحليل الوضع الحاضر ، فمن اين يتم لهؤلاء مثل هذا كله ؟ بالطبع من خلال الكتب التي تحدثهم حديث تقاليدهم واعرافهم الماضية . فالمكتبة والحالة هذه ليست اداة نافعة للامة وللوطن فحسب ، بل هي تساعد على تكوين هذه الامة وبوتقتها وطنيا .

تثير فينا الحضارة حاجات ومطالب جديدة . فالمرء لم يعد ليرضى بان يكون دمية او حجرا او بندقا تحركه على رقعة الشطرنج البشرية ، قوى يجهلها فتتجاوزه . فهو يسعى بكل ما استطاع من سبيل لان يكتسب ويتعلم ويزيد من معارفه . فقد كان باستطاعة فيلسوف او شاعر قديما ان يقول « انني انسان وليس ما يتعلق بصميم الانسان بغريب عني » . اما اليوم، فبمقدور اي رجل ان يتبنى هذا القول ويردده فى ذاته ، لانه يدرك جيدا ان مصيره مرتبط الى حد بعيد بمصير الاقوام البعيدة والشعوب المجهولة ، كما ان شعوره ازداد رهافة ويعلم العلم الاكيد ان ظلامة تقع على احدهم من اطراف الدنيا تمسه من قريب هوايضا. وهكذا نرى ان القضايا التي تشغل بال الانسانية وتهزها ، ليس امثل من المكتبة مصدرا ومرجعا للبحث عنها ولادراكها بعد هذا ان ازدياد الطاقة فى العالم وبروز الالية التلقائية اكثر فاكثر فى المصانع الحديثة ، من شأنها ان تجعل مدنيتنا هذه ، شئنا ام ابينا ، مدنية تتوفر فيها بازدياد اوقات الفراغ . ففي وضع من هذا النوع تنقص فيه ساعات العمل ويخف العناء عن الانسان هو وضع يدعو للرضى عنه وتهنئة النفس به . الا ان الافراط من الراحة والاسترسال في اوقات الفراغ ، يخفي فى مكامنه الخطر ان لم يرافقه شحذ فى الذوق . صحيح ان الالعاب الرياضية ، والمشاهد السينمائية ، والاستمتاع بالمناظر الطبيعية ، والتلفزيون ستسد جانبا من هذا الفراغ الذي ينعم به الانسان. ومدى هذا الترويح عن النفس مربوط الى حد بعيد بمدى مناهج هذه المسليات ، وهي مناهج لا يمكن لرجل يحترم نفسه ويعرف ، ان يرضى معها بدور سلبي هو دور المتفرج ، فالمكتبة وحدها من شأنها ان تجعل من الفراغ ومن الزمن مشهدا مسليا لا نهاية له يكون الانسان نفسه واضعه والمشرف على اعداده .

فى مقدور كل امرىء يحسن القراءة ، كما يؤكد الدوس هكسلي ، ان يتعاظم وان يضاعف ما لديه من وسائل النشاط ، وان يضفي على حياته المليئة بالعمل المزيد من

(التتمة فى صفحة ٤٢)

الربيع الاثم

عاد الربيع ولكن لا احس به ... كما يحس به غيري من البشر
مست يداه شفاه الطير فانطلقت ... بالشدو تستقبل الدنيا وبالسمر
تزف بكر اغانيها وتمنحها ... للماء ، للنور ، للانسام ، للزهر
لهاة كل هتوف في الربيع اذا ... شدت على دوحها اصفى من الوتر
تبارك الله لو ذات الجناح وعت ... سحر الاغاريد غنتنا على حذر
ينم رجع الصدى عن ساجع لبق ... كما ينم الشذى عن زهره العطر
ان كانت البوم في الاجواء طائرة ... فذى البلابل في الاقفاص لم تطر
اني افدي عروس الروض صادحة ... في وكرها بذوات الناب والظفر

* * *

عاد الربيع وعادت اثر مقدمه ... مواكب الطير من شتى ومن زمر
فالروض في حلل يبدو كفانية ... تبرجت لحبيب آب من سفر
شتى افانين من حلى واردية ... موشية تخلب الالباب بالنظر
حتى الربى وهي جرداء قد اتشحت ... من نسج اذار ثوب السندس العطر
في كل مطرح عشب وساقية ... تجيب بالشدو عصفورا على شجر
كأنما الارض في ابان جلوتها ... صحيفة نقشتها كف مقتدر
حتى البراعم قد غصت بادمعها ... مذ فتحتها يد الانسام في السحر
يا للطبيعة من شمطاء ما خجلت ... من عريها وهي تستلقي من الخور
اكلما مر اذار بخاطرها ... وعادها منه طيف كالشباب طري
احالها فتنة الرائي وزينها ... بالمغريين جمال الدل والخفر
فليت من سكبت كفاه في دمها ... عطر الشباب اراق الحب في وتري

* * *

عاد الربيع ومالي لا اهيم به ... كما يهيم به غيري من البشر
اكل هذا وقلبي لا يحس به ... هل قد قلبي ــ يا رباه ــ من حجر
مالي احس دبيب الموت في جسدي ... ووخزة الالم القتال في بصري
مالي احس الشتاء الجهم في خلدي ... اذا غفوت وصبح الثلج منتظري
اني التفت ارى دنياي حالكة ... كأنها صورة من ابشع الصور
ليل امامي ، وخلفي من حنادسه ... اشباح جن ترود الدرب في اثري
ان كان هذا ربيعي وهو من مللي ... اقسى من الثلج والانواء والمطر
فليحفر الضجر الممقوت في كبدي ... قبرا اواري به الموؤد من وطري
ربيع مثلي هوى في القلب متقد ... وصبوة اشرقت في النفس كالقمر
اذا خبت نارها او صد موقدها ... عاد الربيع شبيه القفر في نظري
سيان في نظر المهجور بادية ... او روضة حفلت بالري والثمر
ان الربيع ربيع المرء عاطفة ... مشبوبة وشباب جد مستعر

بغداد — عبد القادر الناصري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضياع الحزين

بقلم يوسف الحاج

طالبا ، احضر الشهادة الثانوية، احلم بمستقبل هادىء كسول ، كنت بلا مسؤولية ، اتمتع بحريتي ، كنت احلم بشباب وردي يتفتح ، بعيش ضبابي لا ظل للارهاق فيه .. كنت كطفل يلهو بزورقه الورقي على ضفاف الحياة.. وافلت الزورق فى غفلة منه ، فلم يسعه الا ان يتأمله فى دهشة وفتور حقيقيين .. منذ عشر سنوات طردني شبحها من المدرسة الى الابد ، وقادني عبر امتحان ناجح ليمنحني قرارا اصبحت بموجبه معلما . اصبح لي مرتب . استطعت منذ ذلك الحين ان اكسب حياتي ، واغتربت عن عالمي ، وذقت طعم الحياة دفعة واحدة .. الفراغ. المرض . الانطواء . تضافرت الوانها البلهاء واخذت تنفث سمومها فى الفضاء الذي لم أكن اراه فى يوم من الايام الا صافيا كالصبح . ككل شيء جميل. ولكن كل هذه الاشياء تتحول الى غيمات ضبابية ، ورعشات وجدانية خصبة حينما تطل عينان من البعيد وتتطلعان فى شبه ابتهال (من اجلي) بنى من اجلها تنازلت عن مسيرتي المرسومة .. تخليت بدون اختيار عن جزء كبيرمن كرامتي . (من اجلي) قالتها بصوت حنون فيه بعض التصنع والتهمتنا عيون الاطفال عبر براءة السنين ، الحاضر . المستقبل فى رهان دائم .. الحاضر . المستقبل .. انتظار لا ينتهي .

فى اغلب الليالي ، اغمضت عيني بنعومة على صورتها ، مدغدغا اياها بالوان دافئة ، كالموسيقى الالهية ، كالحب .. كثيرا ما اختلطت حروف الكتب وضاعت الاسطر شيئا فشيئا ليرتسم بهدوء وجهها الجميل ، بابتسامته المميزة وصفائه ابكر .. ذلك الوجه الذي ما انتهيت من مطالعته حتى الان ، لانه سفر الابدية المفتوح دائما لابناء الضياع والتشرد، ليطالعوا فيه ضياعهم وماضيهم الحزين .. ابدا سيظل القطار يستدعيني .. ستظل اجراس المحطة تقرع لحنها الوداعي الرتيب .. بينما المصلوب على الارصفة القطرانية السوداء .. المسمر ابدا بمسامير الوهم يجمع الاطياف المكسرة .. يحصد الهشيم .. يزرع الدرب من جديد اغنيات يتيمة .. ويستيقظ ،فاللفافة تلفظ انفاسها فى ملتقى اصبعيه ، وتتصاعد الابخرة من صفحات الكتاب وتتكاثف سطورا من جديد ، وتحل مكان الوجه معان وحركات . جملا وافكارا .

فى وحدتي الموحشة تخيلتها وقد كادت تصل الى حدود قريتي البعيدة .. وقد انهكها السفر . ضفائر مسترخية فى كسل على صدرها ، خصلة صغيرة ترتعش على جبينها اللؤلؤي ، وتتجسد بقوة خانقة، كلما استغرقت فى وحدتي .. وحينما كنت اعيش فى الداخل .. كنت اسمعها تكلمني عن الاشياء التي احببناها معا .. ويساورني شعور رهيب الا اكون فى حلم ! لكن شمس الظهيرة المرهقة ، كانت تعيدني الى الواقع .. الى السأم . فاخرج من احدى جيوبي رسائلها .. كلماتها القليلة .. صليب العزاء الكبير .. واغرق فى جو مدينتي الوادعة اتحسس اطيافها المسائية .. وتنساب الي غنوة جرس دير بعيد .. بعيد .

وتمر الامسيات لا لون لها لا اسماء .. يقتل بعض الملل مذياع مخلع توجه الغبار باكليل نسجته العاصفة وحملته اليه كما تحمل الثلوج الى صنين .. الى مروج بلادي الوادعة . كانت بعض هذه الاغبرة تتغلغل حتى اعماقي فتغلفها وتحجب عنها المتع البسيطة، وتتراكم على مر الزمن لتصبح سورا بيني وبين العالم ، او جدارا لقبر كبير .. واقبع فى زاوية غرفتي متلاشيا كسحائب الدخان .. وكل ما حولي طبيعة صامتة رهيبة .. لقد كنت حديث التجربة بالاغتراب .. يصعب علي ان اتلاءم بسرعة مع الاشياء التي تفرض نفسها علي بقساوة. لهذا السبب كنت اتمرد كالشيطان.. لان هذا الرفض كان يعذبني .. كنت اشعر بالتمزق حينما اكون وحيدا.. وحينما اجلس مع الاخرين . كانت لديهم اشياء يتكلمون عنها ، اما انا فليس لي شيء .. ليس لي نفس.. ليس لي حياة .. فعن اي شيء تريدني ان اتكلم . فالواني محترقة وينابيعي قد غاضت ، ولم يبق فيها غير الحصى والرمال . كثيرا ما انسللت من غرفتي المرعبة، وانتعلت الدرب الوحيد الذي يصل قريتي بالنهر .. كان هناك خيط رفيع بين حافة النهر وغرفتي ، يهتز بقوة فى ساعات الخطر ، يشدني بعنف نحو احضان الطبيعة الشاحبة المتعبة المتلاشية كبقايا نفسي. لولا خروجي من غرفتي فماذا يحدث .. انني اكذب عندما اقول لن يحدث شيء مطلقا . لقد كانت نفسي تحاورني لاقرر .. كان يصعب علي جدا ان اقرر .. فهنا كاشياء تمنعني من ان أفرر بصورة منفردة . ثمة انسان له الحق ان يقرر معي .. ان يدفعني الى القرار . ذلك الانسان الذي قال (من اجلي) . ومن اجله يجب ان اعيش ، ان اقاوم ، ان اتحدى .. وارتمي عند الضفة وانصت الى النهر فى صلاته الابدية ، اشاركه الصلاة لارتاح ..

لكن الاوراق الخريفية المسجاة على اكف المياه كانت تذكرني ابدا بزورقي الذي تاه وحمل معه نفسي وكل ما

املك .. واستمر في صلاتي الطويلة .. وتنتهي حينما يكنس الفجر اخر نجمة متحدية زرعها الليل في مسيرته اللامتناهية .. واسمع من البعيد قهقهات مجنونة صاخبة همجية .. تلطم مسامعي .. انسان اخر متعب .. فنان جديد يولد .. فارتعش وامد يدي في الفراغ لاخنق الصدى .. لاغتاله .. لاتخلص من سخريته ومن عبثه ولكن ..

وارجع مع الخيوط الاولى لفجر جديد .. ليوم يولد مع خطوات الفلاحين الذين احبوا في الاستيقاظ المبكر) كما احبوني لانني اعلم اولادهم ولانني كنت غريبا عن طينتهم الطيبة

وعلى الدرب ، درب عودتي يتصارع التفاؤل الصباحي مع السأم الاصيل الابله .. وكنت اراقب بجدية هذا الصراع كناقد له علاقة في الموضوع .. وليس له علاقة .. وامسح بلا مبالاة الندى المتكاثف على قصصي الطويلة المتمردة غير المهذبة .. واتلهى بسماع النشيد الازلي تعزفه انامل الطبيعة الكوكبية .. حقول جديدة خضراء واخرى جرداء بلقع . لا اعلم بالضبط ايهما احببت .. لان النشيد كان يتهادى من كل جهة وليس من جهة معينة .. واصل الى غرفتي الرمادية التي تغني لي اغنية الصمت ، كانها عالم كامل زاخر بالتجربة .

.. وارتمي على سريري يهدني الاعياء ، والخيط الرفيع قد بلغ غاية التوتر .. يتمدد ويستريح ، حينئذ كنت استغرق في غيبوبة طويلة ، اعيش في دنيا لا واعية يتفاعل في اجوائها البخور بالموسيقى ، بالعبادة ، بالايمان الطفولي الصافي ، بالحب الصوفي والاناشيد الوثنية .. فتنعم روحي بالراحة والسلام لانها لم تستطع رفض هذه الاشياء بل عشقتها واطاعتها لانها لم تعذبها . فالرفض وليد العذاب وهو نتائج لا اسباب .

* * *

الساعة الثامنة تقرع دقاتها الرتيبة معلنة بدء القيام بالواجب، هذا الوجه الثاني للعيش . وتدفعني مرغما الى العمل، الى التنكر لطبيعتي اللامجدية .. تقرع من جديد وتقرع .. وينتهي العام الدراسي الاول، والثاني، وتتعرى الغرفة الرمادية رغم عريها ، تتمرد على الصمت لتغني نشيد الوداع الاخير وتعزف بصخب سمفونية الفراغ المرعب باناملها النزقة ، بينما تتكدس معالمها في جوف حقائب السفر التي تتعجل الرحيل ..

على رصيف المحطة وقفت اتأمل الوجوه الغريبة ، وجوه اعرفها جيدا لانني واحد منها ، من المجموعة التي يتأملها انسان في الطرف الاخر من الرصيف . غرباء . وتبتلعني الكلمة القاسية فالتاشى للحظات من الوجود المحدود واشعر بالخيط الرفيع وقد تحول الى انشوطة حول عنقي المبلل بالعرق .. اما طرفه الاخر شد الى نافذة عربة من الدرجة الثالثة استوعبت منذ عامين حتى ادق ملامحها في جلاء النهار وهدأة الليل ! ولم تزل نهايات الثقافات المتناثرة على ارضها ماثلة في عيني ، وذلك الرجل الغريب الذي ما انفك يتطلع الى رأس حذائه طيلة ستة عشر ساعة ، وكأن الوجوه التي لا يعرفها لا تسليه ابدا ، لم تزل صورته بخطوطها المنكسرة ماثلة في مخيلتي ، قبعته مائلة الى امام ، لم ينهض طلبا للماء ، لم يأكل شيئا البتة ، كان يدخن ، كان يأكل ذاته بشراهة وعمق . كان ضائعا مثلي الان

كان ذلك في تشرين الاول ، في خريف منصرم ، ونحن الان في نهاية حزيران بدء صيف مرهق . تلاشت المسافات ببطء .. والقطار يتسلق بصعوبة نهاية دربه المألوف ويقترب من غاية شوطه كلما تراكمت الساعات المقتولة تحت عجلاته التي لا ترحم ، لم يبق سوى محطة واحدة ، ساعة تريد ان تقتل، ساعة واحدة هي ساعة الوصول !! لفائف اخرى تريد ان تزرع في صدري السعال اللعين . واخيرا توقف القطار ، لدى رصيف اخر عتيق لم يغترب ، ونزفت علبتي اخر لفافة فيها دخنتها ريثما تنتهي بعض الاجراءات الروتينية .

وفي طريقي الى البيت ، كنت احس باحساس حزين . لم يستقبلني احد في المحطة رغم اني كنت باشد الحاجة الى معونة انسان ، وكنت قد خلفت ورائي حينما رحلت مخلوقة جميلة يجب ان تستقبلني لتغمرني بحنان لقائها .. ولكن !!.

ها هو البيت الحبيب ، ابوابه مغلقة وقرميده يئن من وطأة الحر.

وقفت العربة فنزلت مع حقائبي وقرعت الباب ورحت اعد نفسي لاعظم لقاء بعد اغتراب طويل ، واستبطات الجواب فقرعت ثانية في الوقت الذي انشق فيه الباب عن وجه امي وقد هدمته السنون والوحشة، فعانقتني بحرارة وذرفت دموع الفرح الرصين .

ذهبت الى غرفتي لاتحسس وجودها . كان السرير مرتبا والمكتبة وادعة هانئة ، والستائر زرقاء جديدة وطاولتي وتمثال بيتهوفن النصفي ، عند التمثال لمحت بطاقة كبيرة ومغلفا صغيرا . فتحت البطاقة فاذا هي دعوة لحضور زفاف تاريخه مطلع حزيران ، بدء الصيف المرهق . واحسست بالخيط الرفيع ، بالانشوطة تضيق وتضيق وكان طرفها الاخر معلقا في اعلى السقف ، حركة واحدة وينتهي كل شيء ..

اما الرسالة الصغيرة فلم افضها حتى اليوم .. لانني لم اطالع فيها حروفا طبيعية ، لن اجد في داخلها سوى صفحة صفيرة سوداء لا تعني شيئا ..

كانت امي تقرأ في وجهي الانفعالات المخنوقة ، ورغم كل شيء ابتسمت لها ومضينا الى غرفة اخرى .

حمص **يوسف الحاج**

الشخص الثاني

* * *

ماذا لو كان على دربي
شخص ثان ..
ماذا لو كان
وبهتت على المقعد جنبي
وتعرت الاف الالوان
قافلة من سحب حيرى
مرت ..
تتعثر في نيسان
شخص ثان ؟!
ماذا لو كان
عيشي للحظة يا حبي
خلي الاحزان
سيمر علينا غدا ..
او بعد غد ..
ذيل النسيان
ويضيع هوانا في الدنيا
كصدى الالحان

ولما نبكي ؟
ماذا تجدينا ادمعنا
ماذا تجدي ..
غير النيران
تتراقص ..
تملأنا احزان
ما دامت تجمعنا الدنيا
لنعش في الفرحة ..
بعض ثوان
ولننس ابعاد الازمان
فغدا .. لو مر علينا غد
سنصير ضبابا ..
بعض دخان
ما دمت بقربك يا حبي ..
ساعيش لعينيك ..
للان .

لا تبكي امامي ..
لا تبكي ..
يا حبي .. يا اغلى انسان
فالغصة تجرح لي قلبي
والدمع يثير بي الاشجان
فادني مني
واريحي بين يديك ..
يدي
وتناسي اوهام النسيان
فانا ..
انت .. نحيا للان

لا تبكي ابدا ..
لا تبكي
خلي الاحزان
قصتنا اغرب ما نسجت
كف الازمان
اثنان نحب بحرقتنا
ولكل منا .. شخص ثان
اثنان نحب ولا ندري
انحب بعقل ..
ام وجدان

لنعش للحظة يا حبي
لنزح عن عينينا الاحزان
ماذا لو كان على دربي
شخص ثان ..
ماذا لو كان
ما دمت انا بين يديك
مسجونا .. يهواه السجان
لنعش للحظة يا حبي
لنعش للان
ما دامت تجمعنا الدنيا
لنزح عن جفنينا ..
الاحزان

دمشق — عصمت حمارنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



القـديسة العـارية

مجموعة اقاصيص ـ لعبد الله الشيتي ـ تقديم نظير زيتون عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ ١٩٢ صفحة سلسلة كتاب الشعلة ـ مطابع ابن زيدون بدمشق (مع العلم بانه لم يذكر اسم المطبعة على الكتاب)

عندما زراني الصديق الاستاذ عبد الله الشيتي حاملا الي كتابه القيم ، رجعت بي الذاكرة عشر سنوات الى الوراء ، يوم كـان عبدالله قارئا في مدينة ادلب ، يبعث الي كل اسبوع برسائله لانشر له في مجلة « الدنيا » محاولات في بعضها ومضات تبشر بالخير وفي معظمها محاولات اخرى لا تصلح الا للطي والذكرى. وقفز عبدالله بعدها قفزات سريعة، فاذا بآثاره تحتل الصفحات الرئيسية في « الدنيا » وفي كثير من الصحف والمجلات السورية واللبنانية . ثم اذا بالصحف تتسابق الى نشر نتاجـه الادبي الغزير .ذلكم هو الكاتب الذي عرفته برعما فتيا ، وشممت شذى عطره قبل ان يتفتح ، ثم صادقته اديبا له مكانته واحترامه بين الادباءالشبان.

قرات « القديسة العارية » وطيف صاحبها يجول بمخيلتي في شتى مراحل فتوته وشبابه . وكنت قد عزمت على ان اغضيعن اخطائها واكتب فيها كلمة تشجيع ، !كثر ما هي حق صريح ونقد جريء . ولكني عندمـا فرغت منها وجدت فيها روحا قصصيا يفوق اساليب شبابنا الاخرين ، الذين يثيرون الضجيج حول آثارهم ويصطنعون حملات الدعاية لكل قصة او رأي او مقال . وعندها فقط قررت ان اكون ناقدا للقديسة العـارية اكثر من مقرظ ومشجع ، لان صاحبها كاتب لا يضيره النقد بل يفيـده ، ولا يغض من مكانته بل يضاعفها :

تضم هذه المجموعة ثماني قصص هي : ابواب الله ، مجنونة لكنهاامي، الاب جبرائيل ، درس لا ينسى ، ورقة في شجرة ، القديسة العارية، حب في جهنم ، جسر النجاة . واول ما يلفت القارىء ان سبعا منها تنتهـي نهايات حزينة ، ويموت ابطالها ، ويكاد يجول الدمع في عينـي القارىء حزنا واسفا عليهم !.. واما الثامنة « درس لا ينسى » فتنتهي بخيـانة زوجية فيها كل التشفي والثار من الزوج العجوز المتهدم !

واحب هنا ان اسأل الصديق الاديب عن سبب هذا الطابع الحزين، الذي اسبغه على قصصه . كنت اوثر ان ينظر الى الحياة نظرة مرحة فيهـا تفاؤل وفيها امل ورضى ولكنه لامر ما فعل العكس .

اما اقاصيص المجموعة فهي بجملتها موفقة الى حد بعيد ، واسلوبها قصصي تصويري ، واحيانا تحليلي . وهو واقعي مبدع في واقعيتـه . وواقعية هذه الاقاصيص ترفعها في نظري الى مصاف القصص الجيد . فاذا ما بالغ المؤلف وابتعد عن الواقع وحلق في عالم الخيال، اسف وانحدر. لنأخذ مثالا على ذلك قصة « درس لا ينسى » . هذه القصة من الادب الواقعي التصويري ، ولكن المؤلف يجافي الواقع في عقدتها ويقفز عنه ، وذلك حين يعتقد ان طريقة « سلمى » بطلة القصة في الوشاية بخطيبها السابق « وصفي » وتحريض زوجها العجوز عليه بالطريقة التي سردهـا المؤلف كافية لضرب موعد غرامي لها مع وصفي واحضاره طائعا او غير طائع .. ليقضي معها ساعتين من اللذة .هذه «الحيلة» لم اقنع بصوابها انا ، ولم يقتنع بها الواقع . ولعل المؤلف وحده الذي قنع . وفي قصة « القديسة العارية » نفسها ، على روعتها ، خيال اكثر مما فيها من الواقع . قد تقول يا اخي عبد الله ان القصة نفسهـا خيال ، وانا اقول انها خيال ولكنه معقول ، لا يجافي المنطق ولا يتحداه . وكلمت دنـت القصة من الواقع كانت اعمق اثرا في النفس، واكثـر روعـة واخلـد عـلى الـدهر .

ومثال ثالث واخير على مجافاة المؤلف للواقع قصة « مجنونة لكنها امي» في هذه القصة تقف المجنونة امام المحكمة ، لتدافع عن نفسها ، بعد ان ارتكبت جريمة قتل لانسان «بيد الهاون» لانه سخر منها ونعتهابالمجنونة. فهل من المعقول ان يحاكم القضاء امراة يعرف الناس ، كل الناس ، انها مجنونة ؟.. ثم يطالب الادعاء باعدامها . ولكنها تدافع عن نفسها ... وبعد كلمات قلائل تلفظ المحكمة القرار ببراءتها !.. فهل هذا معقول ايضا؟ انها هنات تجافي الواقع ولكنها لا تنتقص من روعة القصة وجمالها .

وفي اقاصيص هذه المجموعة يحلق الكاتب ويحلق حتى يبلغ حد الفلسفة والتامل في الحياة والوجود ، كما هو الحال في « ورقة في شجرة » . انها تاملات فلسفية ونقاش لمعنى الوجود في اطار قصصي جذاب .

بقي ان اقول ان لغة المؤلف متينة موفقة ، ولكن اسلوبه لم يخل من هنات لغوية احب ان اذكر بعضها على سبيل المثال ، وانا واثق من انها ناتجة عن السرعة وعدم الحرص على تنقيح ما كتب وغربلته من الشوائب.

في الصفحة٢١ وردت هذه الجملة : «.. واجزلت له العطاء من (الردح) والشتائم» وكلمة «ردح» عامية مصرية لا وجود لها في اللغة . وفي صفحة ٤٨ «ايا لان تخرج على طاعتي او تعصاني». وهو بالطبع يقصد(تعصيني)» وفي صفحة ٥١ جملة « وعدت ارتجيها الكلام ... » والصواب ارجوها . وفي صفحة ٦٧ « وكانت تغذي حبي لها ببسماتها ونظراتها «المهموسة» . وانا لم اقتنع بصواب هذا التعبير ، رغم محاولة المؤلف جعل النظـرة تنطق بهمس !.. وفي صفحة ١٠٤ « يجلس بعيدا لوحده » . واللام لا يمكن ان تدخل على « وحده » الا في اغنية عبد الوهاب « طال انتظاري لوحدي !.. » وما شابهها من الاغاني !

وبعد هل تراني قسوت على المؤلف الذي احببته فتى ويافعا وشابا ، وساظل احبه حتى النهاية ؟ قد يكون في ذلك شيء من الصواب . ولكن ان فعلت حقا فلاني احبه بصدق ، وأومن بان مواهبه الادبية لا يفجرها الا النقد الصريح ، ولان هذا النقد لا يغض من مكانة اقاصيصه ، فهي رائعة جملة وتفصيلا . وقد بحثت عن العيب ونقبت عنه ، كيلا يقـال اني كلت له المديح، كما فعل الاستاذ نظير زيتون في تقديمه لهذه الاقاصيص وكما فعل الاستاذ وجيه بيضون في « كلمة الناشر » .

وبعد فانا اتمنى ان يتحفنا الاستاذ الشيتي دائما باقاصيصه ، ولكني ارجو ان يضاعف الرقابة على قصصه قبل ان ينشرها .

٢ ـ صفحـة ذكـرى

ديوان شعر ـ لعدنان مردم بك ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر

بين ايدينا اليوم الديوان الثاني للشاعر الاستاذ عدنان مردم بك .وكان ديوانه الاول قد صدر في العام ١٩٥٦ بعنوان « نجوى » عن دار المعارف بالقاهرة ايضا، ولقي كثيرامن الاستحسان، وكثيرا من الترحيب والاعجاب.

عندما حمل الي الاستاذ عدنان مردم بك ديوانه الجديد رحبت به كثيرا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفرحت بهديته الثمينة لسببين: الاول لان شاعرنا الشاب هو ابن استاذنا وشاعرنا الفحل الفقيد خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي السابق واخ الشاعر الراحل المرحوم هيثم بك. فهو شاعر وابن شاعر واخ لشاعر، رحم الله الفقيدين وامد في عمر عدنان . واما السبب الثاني الذي فرحت من اجله بالديوان ورحبت به ، فلانه صدر في فترة ذاع فيها « شعر » شبيه بالماء القراح : لا لون له ، ولا طعم ولا رائحة!.. واصحاب هذا « الشعر »تراهم مع ذلك منتفخة اوداجهم ، يحسبون انهم باتوا شعراء، وهم بعيدون كل البعد عن الشعر السليم الصحيح . لقد ذاعت العامية في شعرنا ، وتفشى ما يسمونه بالشعر الحر ، الذي لا معنى لمعظمه ولا وزن ولا قافية . وبات الشاعر الذي يستحق هذا اللقب اندر من الكبريت الاحمر في ايام الحرب !.. من اجل هذا وذاك رحبت بديوان الصديق الاستاذ عدنان مردم بك وتوقعت له ، كما توقعت لديوانه الاول ، رواجا ونجاحا كبيرين .

نعود بعد هذه المقدمة الى الديوان لنجده مقسما الى خمسة ابواب : الوطن ، الطبيعة ، تأملات ، صور فنية ، المراثي . وقد صدّر الاستاذ عدنان ديوانه بهذا الاهداء الجميل : « الى روح الرجل الكامل الفقيد خليل مردم بك مؤدبي .. ووالدي ، واعقب الاهداء باربعة ابيات رائعة هي تحية بردى :

بردى يزغرد في مساربه ... من نشوة وكأنه عزف
في كل مرحلة يسير بها ... لحن له ووساوس ترد
فيثارة بيديه عازفة ... ما كر دهر او اهل غد
يستصرخ الماضي بنأمته ... فيهب تاريخ ويحتشد

وكانت فاتحة الديوان بعد ذلك القصيدة الرائعة « ابي » وفيها يصور شاعرنا الملهم عاطفته الصادقة نحو ابيه العظيم ويناجيه بصدق وحب واخلاص . ولست اشك بان وزارة التربية والتعليم احسنت صنعا حين اختارت هذه القصيدة مع قصيدتي «دمشق» و «بردى» واقرت تدريسها في برامجها التعليمية ، لان الاولى تصور عاطفة الابن المشبوبة نحو ابيه، وما اجدرنا باذكاء هذه العاطفة لدى الجيل الصاعد . والثانية والثالثة فيهما وصف مجنح لنهر دمشق ولعاصمة الامويين . وكذلك احسن المجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون حين اختار قصيدتي «جبل قاسيون» و «الجدار المتصدع» بين المختارات التي تم انتقاؤها كأحسن ما قيل في الشعر المعاصر .

وفي باب الوطنيات نجد الشاعر مشبوب العاطفة ، واقعي الوصف ، متين القافية ، فهو يصورلنا «بردى» في اجمل حلة ، ويتغزل بـ «دمشق» تغزل عاشق متيم ، ويتعبد في «جبل قاسيون» تعبد ناسك وهب نفسه لله . وفي «سور دمشق » وصف اخاذ وتصوير بارع لهذا السور التاريخي القديم ، فهو يقول :

طالت ذراك وحلقت مختالة ... كالنسر حلق باختيال حالما
فكأنها انفت مجاورة الثرى ... فسمت بابصار تجوب معالما
وترفعت مختالة من تيهها ... تبغي لها بين السحائب عالما
وامتد ركنك كالمنارة عاليا ... يختال من صلف ويومي باسما
وعليه من غير الحوادث مئزر ... ضافي المهابة يستثير عزائما
ثوب عليه من الزمان جلاله ... وغدا من الايام اشمط قائما
نسجته ايدي الحادثات وطرزت ... بالفتح اذيالا له وعمائما
وتزيده الايام في احداثها ... شانا وتكسبه علا ومكارما

وفي الطبيعة وصف رائع للقر والثلج والسيل والربيع . واكثر ما يتجلى ابداع الشاعر في الوصف قصيدته في «وصف المغيب في غابة بولونيا » لانها لون جديد لم يصفه شاعر في العربية قبله على ما ارجح . وليس عجيبا ان يحلق عدنان مردم بك ويبدع في الوصف ، فقد كان والده الفقيد الغالي امام الشعر التصويري الواقعي في العصر الحاضر دون منازع . وفي عدد تموز الماضي من «الاديب» الاغر كتبت بحثا مستفيضا في ذلك .

فاذا ما انتقلنا الى باب «تأملات» لفت انتباهنا عدد من القصائد، منها قصيدة « ذلك الانسان » التي اضفى عليه شاعرنا الملهم لونا فلسفيا بهيا. فقد تامل الشاعر واطال التامل في اخلاق الانسان ووصف اطماعه واوطاره. ولعلها خير قصائد هذا الباب .

وفي باب « صور فنية » تطالعنا قصيدة « مصارع الثيران» وهي دون ريب من رائع الشعر ، ولم يسبق لشاعر عربي ان وصف مصارعة الثيران بهذه الدقة وذاك التامل . ان وصفه في هذه القصيدة يذكرني بوصف المرحوم خليل مردم بك بل هو يقف الى جانبه ، فهي تصوير وواقع بلا مبالغة ولا خيال ولا اجنحة . وما اجمل الشاعر حين يصف ويصدق في وصفه وينقل ما تراه العين شعرا بكثير من الامانة والاخلاص .

ويابى شاعرنا الملهم الا ان يختم ديوانه بباب «المراثي» فيرثي الشهيد العربي وشهداء فجر النهضة، وينشئ لرثاء اخيه الشاعر الذي فقدناه برعما لم يتفتح . ويختم الديوان بقصيدة « النجم الهاوي » التي قالها في رثاء والده شاعر الشام .

وبعد فشاعرنا الاستاذ عدنان مردم بك قد احسن في اخراج ديوانه في هذا الظرف ، لانه اعاد الطمانينة الى بقاء الشعر الرصين المتين وتفوقه على المتشاعرين وادعياء الشعر . والديوان متين اللغة ، سليم الاسلوب ، لا غلطة ولا هفوة ، بل اسلوب مشرق وديباجة ناصعة انيقة صافية . واذا كان الانفعال يعوز الشاعر في بعض قصائده فمرد ذلك الى صمته الطويل وهدوء نفسه وبعده عن مجالات الصخب والعنف .

واذا كنت ادعو القارىء العربي الى مطالعة هذا الديوان ، فلاني واثق من اني ادعوه الى مائدة شهية تلذ القلب ، وتروي العاطفة ، وتهز الفؤاد .

دمشق — عبدالغني العطري

(تتمة المنشور في صفحة ٣٦)

الكرامة والمعنى والمدلول . وهذه الحياة المليئة التي اغنتت بالحيوات الاخرى ، هي التي نتمنى صادقين ان يتوفر مثلها للجميع ، ان وسائل الاتصال والتبليغ المألوفة (كالسينما والتلفزيون والراديو والمسجلات الصوتية) سترتدي ولا شك ، في المستقبل الطالع، لبوسا جديدة، وستتسع حلقاتها الدائرية لتساعد على تذوق سحر الفنون ومفاتنها . ولكن ما من ذريعة من هذه الذرائع ، تذهب عميقا في تأثيرها وتستمر فيه كالقراءة والمطالعة ، وليس في هذه الذرائع كلها ما يوفر للانسان ، مثل هذه التشكيلة من العواطف والمشاعر والاحاسيس والمعلومات التي يوفرها الكتاب .

خطب السر جون هرشل عام ١٨٣٣ ، وهو يدشن مكتبة ايتن العامة فقال : « اذا ما نمينا في الانسان الذوق الى المطالعة وامنا له ما يشبع نهمه منها لا نلبث ان نجعل منه رجلا سعيدا هنيئا .. اذ نجعله دوما في كل عطفة من عطفات التاريخ، وجها لوجه مع حكماء البشرية وذوي الحجى واشجعهم قلبا واطيبهم نفسا ممن يزينون اليوم مفرق البشرية جمعاء ، وبذلك نجعل منه مواطنا في كل امة ومعاصرا لكل جيل » . وفي مقدورنا ان نقول بحق لكل مجتمع بشري : « قل لي ما الذي تقدمه زادا سائغا يقبل عليه شعب ما يقراه ويستمرئه ، اقل لك من انت » .

يوسف اسعد داغر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظهر حديثاً

● العلم والبداهة – تأليف ج. برونوفسكي – ترجمة الدكتور احمد عمادالدين ابوالنصر – مراجعة وتقديم الدكتور حسين سعيد – مصمم الغلاف منير اسكندر – ٢٦٠ صفحة – نشر بالاشتراك معمؤسسةفرانكلين القاهرة نيويورك – منشوراتدار النهضة العربية بالقاهرة – مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● بحوث ممتعة للعلماء الصغار – تأليف جورج بار – ترجمة الدكتور انور محمود عبدالواحد – مراجعة الدكتور محمد صابر سليم – مصممة الغلاف جانت رستم زكي – ١٣٦ صفحة – مع صور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة نهضة مصر (؟) مطبعة نهضة مصر بالفجالة (؟)

● دعنا نفهم مشكلات الشباب – تأليف هـ . هـ . ريمرز و س . ج. هاكيت – ترجمة الدكتور عطية محمود هنا – اشراف وتقديم الدكتور عبدالعزيز القوصي – الكتاب ٤٥ سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال – ١٢٤ صفحة – نشربالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشوراتمكتبة النهضة المصريةبالقاهرة – مطبعةمصربالقاهرة

● الطريق الى التفكير المنطقي تأليف وليم شانر – ترجمة الدكتورعطية محمود هنا – اشراف وتقديم الدكتور عبدالعزيز القوصي – الكتاب ٤٦ سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال – ١٢٠ صفحة – نشر بالاشتراكمع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك– منشورات مكتبةالنهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر بالقاهرة .

● عجائب الكيميا– تأليف ايرام م. فريمان – ترجمة عواطفعبدالجليل مراجعة الدكتور محمد صابر سليم – مصمم الغلاف ايهاب شاكر – ١٤٠ صفحة– مع صور – نشر بالاشتراك معمؤسسة فرانكلين القاهرةنيويورك– منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر .

● ماذا بداخل جسمي – تأليف روبرت زم – ترجمة الدكتور محمد صابر سليم – ٣٤ صفحة – حجم كبير – مع صور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة – مؤسسة طباعة الالوان المتحدة (؟)

● الدعوة الاسلامية الى وحدة اهل السنة والامامية – تأليف الامام ابوالحسن الخنيزي – الجزء الاول – تقديم الشيخ محمد جواد مغنية – ٥١٤ صفحة – حجم كبير – مطبعة الاقبال بيروت – الجزء الثاني – تقديم الشيخ سليمانظاهر – ٤٣٦ صفحة – حجم كبير – المطبعةالتجارية ببيروت – طبع الكتاب على نفقة نخبة من اهالي القطيف بالسعودية .

● المناظرات – يتناول بالبحث بعض المسائل الخلافية بين المذاهب الاسلامية – تأليف الامام ابوالحسن الخنيزي – تقديم الشيخ محمدامين زين‌الدين – ٢٨٨ صفحة – حجم صغير – الناشر محمد سعيد الخنيزي– مطبعة النعمان بالنجف العراق .

● تحت راية القرآن – تأليف الشيخ عبدالجبار الاعظمي ن تقديم ابراهيم حلمي الشواء من اسرة دار الثقافة الاسلامية – ٨٠ صفحة – حجم صغير – منشورات دار الثقافة الاسلامية ببغداد – مطبعة دار منشورات البصري ببغداد .

● صفحة ذكرى – مجموعة شعرية – عدنان مردم بك – ١٨٠ صفحة– حجم كبير – منشورات دار المعارف بمصر – مطابع دار المعارف بمصر.

● طوبى للودعاء – مجموعة قصص – تأليف فيليب عبد الحق –الغلاف والخطوط بريشة اسكندر لوقا – تقديم اسكندر لوقا – ٩٦ صفحة – حجم صغير – (لم يذكر اسم المطبعة)

● انشودة الطريق – مجموعة شعرية – كمال نشات – الغلاف تصميم مصطفى حسين – ١٤٤ صفحة – منشورات دار ممفيس للطباعةبالقاهرة– مطابع ممفيس بالقاهرة

● الانتصار على الشدائد – الجزء الاول – جمع ج. دونالد آدامز – ترجمة ابراهيم زكي خورشيد – تقديم الدكتور محمد عوض محمد – مصمم الغلاف اميل كامل – ٣٠٤ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة – مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (؟)

● تاريخ العلم والانسية الجديدة – تأليف جورج سارتون – ترجمة وتقديم اسماعيل مظهر – الغلاف تصميم منير اسكندر – ٣٠٤ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار النهضة العربية (؟) – مطابع مصر بالقاهرة

● المنازل – تأليف كاترين كارتر – ترجمة السيد حامد زعلوك–الكتاب ٢ سلسلة الف باء – ٤٨ صفحة – مصورة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك– منشورات دار النهضة العربية(؟) مطبعة مصر (؟)

● حب وبطولة : مختارات من الشعر العربي – لسليمان العيسى – مصمم الغلاف شريف الراس – ٢٥٦ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتبة الشرق بحلب – مطبعة الشرق بحلب .

● كتاب يوبيل البيان الذهبي ١٩١٠ – ١٩٦٠ وكتاب المشاعل – القسم الاول : ما قيل في حفلة اليوبيل الذهبي لجريدة البيان التي اقيمت في مدينة بروكلن نيويورك في ١٥ مايو ١٩٦٠ – القسم الثاني : تحايا اصدقاء «البيان» – القسم الثالث : المشاعل – وهو فصول من كتاب قيد الاعداد لصاحب جريدة البيان : راجي ظاهر – صفحات هذا القسم ٦٠ صفحة– حجم كبير – ورق مصقول فاخر – طباعة انيقة – مطابع جريدة البيان بنيويورك .

● المؤرخون وروح الشعر – تأليف ايمري نف – ترجمة الدكتورتوفيق اسكندر – مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال – مصمم الغلاف احمد محمد منيب – ٢٨٤ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشوراتمكتبة الانجلو المصرية (؟) – مطبعة مصر بالقاهرة .

● كل شيء عن الصحراء – تأليف سام وبريل ابشتين – ترجمة الدكتور مصطفى بدران – ١٣٢ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● صناعة تنجيد الاثاث – تأليف هربرت باست – ترجمة محمد حمدي احمد زكي – مراجعة حسن حسين فهمي – ٢٠٠ صفحة – حجم كبير– نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر (؟)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حديث مع عيسى الناعوري

•

عقد الاستاذ سليمان موسى هذه الحلقة لمجلة « هنا عمان » مع الاستاذ عيسى الناعوري الذي يعتبر من اخصب الكتاب الاردنيين انتاجا ، والذي يساهم في حمل رسالة القلم منذ اكثر من ٢٣ عاما .

س ـ استاذ ناعوري اود قبل كل شيء ان اصارحك بان البعض قد انتقد عنوان هذه الحلقات (مع اهل الفكر) بحجة انه لا يوجد في الاردن من نستطيع ان نطلق عليهم هذه الصفة . فهل عندك ما تقوله بهذا الشان ؟

ج ـ لا ارى في عنوان هذه الحلقات ما يدعو الى النقد . وماذا يكون الاديب ان لم يكن من (اهل الفكر) ؟ واعتقد ان مجلة (هنا عمان) تؤدي رسالة مهمة اذ تحاول ان تعرف بمختلف انواع النشاط والنهضة في الاردن ، ومن بينها نشاط الفكر ونهضة الادب .

س ـ المعروف انك انتجت في ابواب كثيرة من الادب فقد قرانا لك في النقد والقصة القصيرة والقصة الطويلة والسيرة الادبية كما قرانا لك شعرا .. واذكر ان فدوى طوقان قالت لي ذات مرة انك لو اقتصرت في انتاجك على فن واحد من فنون الادب لكان ذلك ادعى الى مزيد من التفوق والنجاح ... فما رايك في هذا ؟

ج ـ لكل انسان رايه ـ اديبا كان كالانسة فدوى او قارئا عاديا ـ ، وانا حينما اكتب لا اختار الاسلوب الذي اكتب به ، فقد يجيئني الموضوع اقصوصة ، او مقالا او قصيدة ، او بحثا ، فاسير فيه كما يجيء . اما الحكم في نجاح انتاجي او عدم نجاحه فهذا من حق قرائي لا من حقي انا ، فانا راضي عما كتبت حتى الان ، وقد كان في انتاجي الادبي الوان من التخصص ، كتخصصي في الادب المهجري ، وفي دراسات الادب العربي الحديث ، والان في الادب الايطالي ، ولكن هذا لم يمنعني في السابق ولا يمنعني اليوم وغدا من النظم وكتابة القصة .

س ـ لا شك ان الظروف الخاصة تؤثر في حياة كل انسان ، فهل لك ان تحدثنا عن نشاطك وظروف حياتك الاولى . وعما اذا كنت تعتقد ان تلك النشاة كان لها اي اثر في نهجك الادبي .

ج ـ حياتي الاولى كان فيها كثير من القسوة منذ ان ولدت في منزل كان يشارك الاسرة فيه عدد من البهائم ، الى ان تزوجت . ولم اشعر بسمات الرضا عن حياتي الا بعد الزواج ، فقد استقرت حياتي ، واستقر اسلوبي الكتابي ، ونضج انتاجي الادبي نتيجة لهذا الاستقرار ، ونتيجة لتطوري العقلي ووفرة مطالعاتي . كان انتاجي في بدايته يتميز بنزعتي المغرقة في التشاؤم والحزن ، وكنت من طبعي اميل الى كل ما هو محزن ، رواية كان ام شعر ام واقع حياة . ولكن هذه النزعة زالت من انتاجي ومن نفسي تدريجا بعد الزواج . واذا كان الانتاج الادبي مرآة لحياة صاحبه ـ وانا اؤمن بهذا ـ فانتاجي الادبي كذلك كان من قبل ، وهو اليوم ، صورة لحياتي وتفكيري وميولي .

س : يعتقد بعض المتشائمين ان باستطاعتهم ان يصبحوا ادباء كبارا اذا ما اتيح لهم ان ينشروا شيئا من انتاجهم في هذه الصحيفة او تلك المجلة ،وحيث انني اعلم مدى الجهود التي يتوجب على الكاتب ان يبذلها لتثقيف نفسه وتركيز اسلوبه والوصول بانتاجه الى نفوس القراء، فاني ارجو ان تحدثنا عن بداية جهادك الادبي او عن خطواتك الاولى في هذا المضمار وعما لقيت من مصاعب وعقبات .

ج : صحيح ان الادب والفن عمليتا «خلق» ولكن لا يستطيع الانسان ان يخلق من نفسه بعبارة (كن) فيكون .. ولا يكفي ان ينشر ناشيء جهدا ادبيا فيصبح بنشره اديبا كبيرا ، فكثيرا ما يكون العمل المنشور عاملا على فضح جهل صاحبه .. وبمعنى اخر « انتحارا » ، ولا يعني هذا ان النشر قد لا يكون ايضا عاملا على ابراز موهبة مستورة ، وعند ذلك يضع الاديب قدمه على الطريق السوي . قبل ان يعرفني الناس اديبا جاهدت جهادا طويلا مضنيا ، كثيرا ما كدت معه أيأس وابتعد عن طريقي ، لولا ان القلم كان يعود فيجذبني اليه جذبا . لقد قرأت كثيرا من الكتب الصفراء القديمة ، ومن المؤلفات الحديثة ، وكتبت في البداية في جرائد ومجلات عديدة غير ذات قيمة ادبية ، في مختلف الاقطار العربية ، فكانت كتاباتي تلك تمرينا لقلمي ، ثم انتقلت من تلك الصحف الى ما هو ارفع مستوى ادبيا واكبر قيمة . ومن هناك بدأت اسير على الطريق الصحيح . ويجب ان اذكر ههنا ان صلتي بمجلة (الاديب) منذ عام ١٩٤٦ كانت البداية التي عرفت فيها نفسي وعرفني فيها القراء . ولست بهذا انكر الصحف العديدة الاخرى في مختلف الاقطار العربية ، التي مارست الكتابة فيها طويلا ، فقد كانت كلها من العوامل التي ساعدت على وصول اسمي وانتاجي الادبي الى جميع الاقطار العربية والمهاجر . والادب يرتكز على الثقافة الواسعة والجهد الطويل والتجارب الكثيرة في الحياة ، انه حصيلة للثقافة والممارسة والتجربة معا . والذي يعتمد على الميل والرغبة وحدهما لا يكون اديبا ولو نشر مئة كتاب معا . وكم من الناس الذين نعرفهم نشروا كتبا متعددة ، بعضها صدر عن دور نشر معروفة ، ولكنهم لم يصبحوا مع ذلك حتى ادباء صغار ، لان القيمة لنوع الانتاج، لمستواه الفكري ، لا لاسم من ينتجه او الدار التي تصدره . قبل ان يكتب المرء يجب ان يقرا كثيرا ، وكذلك فعلت وما زلت افعل ، ولم اصبح كاتبا ولم يستقم لي اسلوب ادبي الا بعد معاناة طويلة وجهاد شاق

س : بهذه المناسبة ، اعرف انك كنت بسبيل اعداد دراسة عن الادب الحديث في الاردن ، فهل لك ان تدلي بخلاصة رأيك في صناعة القلم وحملة الاقلام عندنا ؟ وما هي الوسائل التي قد تؤدي ، في نظرك ، الى تشجيع الحركة الفكرية وترويج الكتاب الاردني ؟

ج : الدراسة التي تشير اليها كانت تسير نحو نهايتها لولا ان سفري الى ايطاليا جعلني اتوقف عنها ، وسأعود اليها قريبا لاتمها وادفع بها الى الناشر . لقد كنت ولا ازال اؤمن بان في هذا البلد الطيب نخبة ممتازة من الكتاب والشعراء ، وكتبت في ذلك مرارا وفي صحف متعددة ، منها الاديب ، والعربي ، والعرفان ، والقلم الجديد ، والمشرق الايطالية . ولم تمنع قلة الوسائل ـ او انعدامها في الاردن ـ من ان يبرز عدد غير قليل من هؤلاء الادباء بجهاد شاق ، وان يعرفوا في الاردن وفي الخارج. ووجود عدد من الادباء الاردنيين في اقطار عربية اخرى لا يمنع من نسبتهم الى بلدهم ،ولا يجرد بلدهم من الاعتزاز بهم واحتضان انتاجهم الادبي .وليس ادباء الاردن اقل مقدرة ومنزلة ووعيا من اخوانهم في الاقطار العربية الاخرى ، ولا سيما في مصر ولبنان ، غير ان ما يحد من اشتهار اغلبهم هو انعدام وسائل النشر والصحافة الادبية في هذا البلد ، ان الادب في حاجة الى الاستقرار والاجواء الهادئة التي تشجعه على البروز والنشاط . والظروف المؤسفة التي مرت على هذا البلد الصغير العزيز ، فلم تسمح له بالاستقرار الكافي والانصراف التام الى البناء والاعمال المثمرة ،كانت عاملا على اعاقة سير النهضة الادبية عندنا ! ومن ذلك مثلا انها لم تقدم للادباء فرصة للتعاون والتكتل في رابطة او نقابة ادبية ، ولم تعط الدولة فرصة للعناية بارباب القلم ووسائل النشاط الفكري . وانا اعتقد ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوسائل السريعة الفعالة لاعادة الحياة الى الاقلام، واشاعة الجو المناسب للانطلاق الفكري تتلخص في ما يلي : ١ ـ قيام رابطة او نقابة للادباء . ٢ ـ عناية الدولة بهذه الرابطة ، وتخصيصها جوائز مالية لتشجيع النشاط الفكري ، واحتضانها لما ينشر من النتاج الادبي القيم . ٣ ـ قيام شركة للنشر والتوزيع على مدى واسع . ٤ ـ انشاء مجلة ادبية اسبوعية يتعاون حملة الاقلام في الاردن على تحريرها ، وعلى ايصالها الى جميع الاقطار العربية . ٥ ـ قيام الشركات والممولين بتقديم جوائز مالية للاعمال الادبية ، على غرار ما يفعله الكثيرون في البلاد المتمدنة .

س : انت تعمل في الكتابة والتاليف منذ ٢٠ عاما او اكثر ، فهل لك ان تحدثنا عن مؤلفاتك !

ج : بدأت اكتب في الصحف منذ ٢٣ عاما ، اما مؤلفاتي الادبية فقد بدأت نشرها منذ عام ١٩٥٠ فقط ، وكان اولها كتابا مدرسيا هو «الجديد في الادب العربي» الذي اعيد طبعه مرتين في العام نفسه . ثم ظهر كتابي (ايليا ابو ماضي رسول الشعر الحديث) عام ١٩٥١ عن دار الطباعة والنشر في عمان ، وقد اعيد طبعه مع اضافات كثيرة في دار منشورات عويدات في لبنان عام ١٩٥٨ بعد وفاة ابي ماضي . وفي ما يلي بقية مؤلفاتي : ١ ـ طريق الشوك « مجموعة اقاصيص » عام ١٩٥٥ الناشر مكتبة الاستقلال عمان ، ٢ ـ مارس يحرق معداته « رواية » عام ١٩٥٥ في سلسلة « اقرأ » الناشر دار المعارف القاهرة ، ٣ ـ اناشيدي « ديوان شعر » عام ١٩٥٥ الناشر دار مجلة الرائد العربي حماة سوريا ، ٤ ـ خلي السبيل يقول « مجموعة اقاصيص » عام ١٩٥٦ الناشر مكتبة الاندلس القدس ، ٥ ـ الياس فرحات شاعر العروبة في المهجر «دراسة» عام ١٩٥٦ الناشر دار النشر والتوزيع والتعهدات عمان ، ٦ ـ بيت وراء الحدود « قصة طويلة » عام ١٩٥٦ الناشر : منشورات عويدات بيروت ، ٧ ـ ادب المهجر « دراسات » عام ١٩٥٩ الناشر دار المعارف القاهرة ، ٨ ـ اطفال وعجائز « اقاصيص مترجمة عن الايطالية » عام ١٩٦١ الناشر دار المعارف بيروت . اما مؤلفاتي المدرسية المطبوعة فهي ، عدا «الجديد في الادب العربي» : ١ ـ بطولات عربية من فلسطين بالاشتراك مع الشيخ ابراهيم القطان ، ٢ ـ ادبنا في مختلف العصور ٣ اجزاء ، بالاشتراك مع وهيب البيطار ومحمد العمد ، ٣ ـ نجمة الليالي السعيدة «قصة للاطفال» ٤ ـ العصفور الاخضر «قصة للاطفال» ، ٥ ـ الاغاريد «محفوظات للاطفال»

ولقد القيت عشرات المحاضرات في مواضيع ادبية مختلفة ، واذعت مئات الاحاديث من محطات اذاعية متعددة ، ونشرت عشرات الابحاث الادبية التي ستجمع في كتاب بعنوان « دراسات في الادب العربي الحديث » .

س : كانت مجلة القلم الجديد اول مجلة ادبية راقية تظهر في الاردن ، ولا شك انك بذلت جهودا مشكورة في اصدار هذه المجلة . فهل لك ان تحدثنا عنها وعن الاسباب التي حالت دون استمرار صدورها ؟

ج : كنت دائما اشعر بحاجة الاردن الى مجلة ادبية راقية تبرز نشاط الاقلام الاردنية وتعرف بها في العالم العربي كله والمهاجر . ولذلك اندفعت في اعقاب صيف عام ١٩٥٢ الى تحقيق هذه الفكرة بمجهودي الفردي وحده . وكانت الطريق التي سرت عليها ان اختار الاقلام الاردنية القوية لتقدم عن نهضة الادب العربي صورة حسنة ، وان اجمع الى جانبها في كل عدد من اعداد المجلة اقلاما اخرى قوية من جميع الاقطار العربية والمهاجر ، لتظهر الاقلام الاردنية الى جانبها مساوية لها ، وغير مقصرة عنها في مجالات الفكر العربي الحديث . وكنت حريصا على ان تصل المجلة الى كل مكان من دنيا العروبة ومن المهاجر الاميركية والافريقية ، والى جميع اوساط المستشرقين . واعتقد انني نجحت في هذا الى حد بعيد ، بفضل المؤازرة الكريمة التي لقيتها في كل مكان من اخوان ادباء حملوا معي العبء بهمة ونشاط واخلاص ، بعضهم من الاردنيين في مصر والسودان ، كالاساتذة ناصر الدين الاسد وكامل السوافيري ، واحسان عباس ، وبعضهم من الاصدقاء الطيبين في العراق ، والسعودية، والكويت، ولبنان ، وسوريا ، وافريقيا السوداء ، والاميركتين ، ومن رجال الاستشراق في اوروبا . على ان الجهد الفردي ، مهما يكن مخلصا



الأديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان والاقليم السوري : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في انولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان والاقليم السوري ١٢ ل.ل.
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Direc. :223819 — المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle. : 225139 — Tél.

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونشيطا ومستعدا للبذل والتضحية ، لا يستطيع ان يستمر طويلا . وقد كان من عوامل التثبيط اولا قانون المطبوعات الذي عدل في الشهر ١١ من حياة المجلة ، وكان يقضي بأن يكون المحرر المسؤول جامعيا وانا لست كذلك ، وان يدفع صاحب المجلة تأمينا ماليا ، ولم اكن املك المبلغ اللازم لذلك ويقضي كذلك بان يقتصر عمل المحرر المسؤول على الصحيفة وحدها ، ولم يكن هذا ممكنا بالنسبة الي ـ هذا القانون وحده ـ وقد نفذ قبل صدور العدد ١٢ من المجلة ، كان كافيا لهدم ذلك المشروع الناجح . وكان العامل الثاني انني اصدرت ثلاثة اعداد خاصة ضخمة من المجلة : احدها عن الاردن ، والثاني عن ليبيا ، والثالث عن المهجر ، ارهقت ميزانية المجلة ، اذ زادت تكاليف كل منها على مئتي دينار ، ولم الق اية مساعدة تستحق الذكر من الدوائر الرسمية ،اذ كان عدد اشتراكات وزارة التربية والتعليم اقل من عشرين اشتراكا ، واشتراكات وزارة الخارجية عشرة فقط ، ومجموع ثمنها كلها معا ثلاثون دينارا سنويا فقط ، ولم تكن هناك اية مساعدة اخرى على الاطلاق من الجهات الرسمية. وهكذا اضطررت برغمي الى وأد المجلة فلم تعش غير عام واحد .

س : اي اثارك الادبية احب اليك وادعى لاعتزازك ؟

ج : كل آثاري الادبية حبيبة الي دون تفريق ، غير ان « ادب المهجر » ادعاها الى الاعتزاز لانني قضيت في تأليفه ١٢ عاما حتى جاء اوفى مرجع

س: هل تأثرت بآثار كاتب معين؟ وما هي الكتب التي تؤثرها على سواها ؟

ج : تأثرت في البداية بكتّاب مجلة « الرسالة » المصرية التي كان يصدرها احمد حسن الزيات ، ولا سيما زكي مبارك ومحمد سعيد العريان ، فقد كنت شديد الاعجاب بهما وباسلوبيهما الكتابيين . اما الكتب التي اؤثرها فكثيرة ، وهي تزداد او تتبدل تبعا لتطوري الفكري ولمطالعاتي . واذكر منها كتب جبران وابي ماضي من العرب ، ودانتي وسيلفيو بيليكو من الايطاليين .

س : كنت مؤخرا في زيارة لايطاليا ، ولا بد انك اطلعت على التيارات الادبية الايطالية . فما هي الانطباعات التي تركتها تلك الرحلة في نفسك حول وضع الادب العربي الحديث بالنسبة لاداب الامم الراقية ؟

ج : زيارتي لايطاليا ـ وانا مدين بها لمنظمة اليونسكو ووزارة التربية والتعليم الاردنية معا ـ كانت فرصة ثمينة ، اتيح لي فيها ان اتعرف الى عدد كبير من قادة النهضة الادبية الحاضرة هناك والى كبار المستشرقين. وقد ساعدني على ذلك معرفتي للغة الايطالية ، واطلاعي من قبل على اشياء من الادب الايطالي ، والذي لمسته هناك ان الادب العربي الحديث غير معروف في غير اوساط المستشرقين ، اما الادباء والشعراء الايطاليون فلا يعرفون عنه شيئا ، بل كان الكثيرون منهم يبدون دهشتهم اذ احدثهم عنه وعن كبار رجاله وعن تياراته الحديثة . اما من حيث مستوى الانتاج الادبي الجيد عندنا ، فهو ـ دون شك ـ ليس اقل جودة من الانتاج الادبي الايطالي ، وليس اقل غنى وجودة من اغلب الانتاج الادبي الحالي في الاقطار الغربية . وليس في هذا غرابة ، فنحن والغربيون نستقي الان من مناهل فكرية واحدة . على انهم في القصة والرواية خاصة ارسخ منا قدما واعمق اصالة وفنا .

س : ما هي مشاريعك المقبلة ؟

ج : لدي الان كتابان معدان للنشر من اثر رحلتي الى ايطاليا ، وهما : ١ ـ ادباء ومستشرقون عرفتهم في ايطاليا ، ٢ ـ قصة طويلة بعنوان « ليلة القطار » ، وهناك قصة طويلة اخرى بعنوان « شريط اسود » ومجموعة اقاصيص بعنوان « عائد الى الميدان » ومجموعة شعرية بعنوان « اخي الانسان » ، وكتاب عن « النهضة الادبية في الاردن » ، وهذا الاخير سيتأخر نشره قليلا الى ان انتهي من نشر الكتب الاخرى . وقد اتوقف بعد الان عن التأليف مدة لانصرف الى مطالعة المؤلفات الايطالية العديدة التي عدت بها من ايطاليا ، ليكمل بها اطلاعي على الوان الادب الايطالي واتجاهاته الحديثة .

عمان — سليمان موسى

حديث مع الشاعر الفرنسي رينه تافرنيه

يعتبر الشاعر الفرنسي رينه تافرنيه في طليعة الشعراء في فرنسا . فقد نشر حتى الان ثلاثة دواوين عناوينها « منك الاعاجيب » ، «معنى الوحدة»، « اشارات » . وهو يعد الان ديوانا جديدا عنوانه « التوأمان » . وقد اغتنمنا زيارته لبيروت فطرحنا عليه الاسئلة التالية :

س : ما رأيك في الموجة الشعرية الجديدة في فرنسا ؟

ج : ليس في فرنسا اليوم موجة شعرية جديدة بل استمرار لموجة مجددة بدأت منذ اخر الحرب الكونية الثانية بل هنالك موجة جديدة في الرواية . فالشعر الفرنسي تتنازعه اليوم تيارات كثيرة . فالشعر الموزون المقفى يعيش متحابا مع الشعر الحر والشعر الانتقالي فاراغون مثلا ما زال حريصا الى حد ما على القوالب الكلاسيكية بينما ايف ده بون فوا يسير بالشعر المنثور على غير هوادة. وهنالك مثلا سان جان برس الذي ينظر الى الشعر نظرة خاصة ، فابياته هي آيات اكثر مما هي شعر مألوف . وهو ينهج فيها نهج كلوديل . ومهما يكن من امر فقضية الشكل الشعري لم تعد واردة بالنسبة الى الشعر في فرنسا . فلكل صيغته الخاصة والقارىء الفرنسي لا يهتم كذلك بالصيغة انما يوجه كل عنايته الى المضمون الشعري .

س : ما هي اهم التيارات الشعرية ؟

ج : هنالك نزعات لا مدارس . وبين هذه النزعات الطاغية نزعة الالتزام الشعري التي يسير فيها اراغون وهنري بيشيت . ونزعة الاستجلاء الداخلي ويتزعمها هنري ميشو ونزعة المغامرة الداخلية مع كل ما يعتورها من مزالق وهي لا تتورع عن التضحية في الشعر في سبيل السعي وراء الكشف عن الباطن . ونزعة الشعر « المعيوش » التي يرسلها بيار ايمانويل . وثمة نزعة اليائسين الذين يسعون الى وصف الاشياء الخارجية ويحاولون تجاوز واقع الحياة . ومن هؤلاء فرنسيس بونج وفولان وغيفيك . وثمة نزعة روحانية تستمر مع بتريس لاتور دي بان ، ونزعة نقدية اجتماعية فيها دعابة ظهر فيها نتاج ريمون كينو . وجاك بريفير . فضلا عن السريالية الجمالية التي يوجهها رينيه شار .

اما جان جوف فيعنى الان بقضايا الله والخلق والتحليل النفساني في جمالية رمزية تختلف عن رمزية بون فوا الميتافيزيقية . ويبقى اثر بليز ساندرا بليغا في التيارات الحديثة لانه في نظري الرائد الاكبر . ولولاه لما فهم الشعر الحديث فهو اول من ادخل الجاز في موسيقى الشعر المعاصر .

س : والرواية في فرنسا ؟

ج : الرواية الرائجة اليوم ليست الرواية الكلاسيكية التي ترتكز الى تحليل الانسان في وضع معين على طريقة بلزاك وموریاك ، ولا هي الرواية الفلسفية الملتزمة بل هي تلك التي تعالج مشكلات هذا الجيل القلق الساعي وراء جذور في عالم ضاعت مقاييسه وقيمه .

س : ما رأيك في الادباء اللبنانيين والعرب الذين يكتبون بالفرنسية ؟

ج : اني معجب بجورج شحادة شاعرا ومسرحيا . واحب روايات فرج الله حايك ولا سيما « وجه قايين » واحترم كثيرا نتاج الروائي المصري « قصيري » وكذلك قصصي اندره شديد ، واحب اشعار فؤاد جبران نفاع فهو شاعر كبير . (الجريدة)

الاعلان في الاديب

يبقى عرضة للانظار شهرا كاملا

أنباء العالم في شهر

يوليو ١٩٦١

١٤ ـ حذرت الهند بريطانيا من ان انضمامها الى السوق الاوروبية المشتركة قد يضعف الروابط بين دول الكومنولث .

١٥ ـ وصل احمد بيللو الى عمان في زيارة رسمية .

ـ عززت فرنسا حاميتها في بنزرت على اثر خطاب بو رقيبة .

ـ توالي فرنسا سحب قواتها من الجزائر لتعزيز القوات الفرنسية في اوروبا تحسبا لمفاجاءت ازمة برلين .

ـ احالت اميركا وبريطانيا الى الجمعية العامة النزاع حول عقد معاهدة لحظر التجارب النووية بين الشرق والغرب .

ـ اعلنت الصين الشيوعية وكوريا الشمالية في بلاغ مشترك انه يجب شن نضال حاسم ضد الرجعية الحديثة كما يمثلها زعماء يوغسلافيا

١٧ ـ اعلن بو رقيبة ان الحصار سيضرب على قاعدة بنزرت . كما اعلن ان قوات تونسية سترسل لاحتلال ابعد نقطة في الصحراء الغربية وان تونس ترفض الاعتراف بالحدود الصحراوية التي خططها الفرنسيون .

ـ وصل موسكو الفريق عبود رئيس مجلس القوات السودانية الاعلى في زيارة رسمية .

ـ تسلمت روسيا مذكرات الرد الغربي على مذكرات خروشوف الخاصة بالمانيا وبرلين . الغرب يترك الباب مفتوحا للمفاوضة .

١٨ ـ حكومة الجزائر المؤقتة تتحفظ تجاه مطالب تونس بجزء من الصحراء . وصل وفد الجزائر الى جنيف لاستئناف المفاوضات مع فرنسا .

١٩ ـ بدأ الحصار التونسي على بنزرت . قصفت الطائرات الفرنسية مواقع القوات التونسية رد التونسيون بقصف القاعدة بالمدافع

ـ كنيدي يعلن اتخاذ تدابير عسكرية لمواجهة خطر نشوب حرب في برلين .

٢٠ ـ استؤنفت في قصر لوغران قرب ايفيان مفاوضات الجزائر .

ـ قررت الجامعة العربية قبول الكويت في الجامعة وانسحب وفد العراق من الاجتماع .

ـ تفاقم النزاع المسلح بين التونسيين والفرنسيين في بنزرت . قطعت تونس علاقاتها بفرنسا ودعت مجلس الامن .

٢١ ـ بعد ان قصف الفرنسيون مدينة بنزرت قاموا بهجوم شامل عليها . اعلن بو رقيبة ان فرنسا بدأت هجوما لاحتلال تونس من جديد ، لذلك حولنا القتال الى حرب عصابات وقبول المتطوعين من العالم . وضعت تونس يدها على المؤسسات الفرنسية

ـ اجتمع مجلس الامن لمناقشة الشكوى التونسية .

ـ اعتقلت الحكومة الايرانية عددا كبيرا من زعماء الجبهة الوطنية على اثر مظاهرات قامت بها الجبهة في طهران .

٢٢ ـ دعا مجلس الامن الى وقف اطلاق النار فورا في تونس وعودة جميع القوات المسلحة الى مواقعها قبل نشوب النزاع حول بنزرت .

ـ اوقفت فرنسا جميع العمليات العسكرية في بنزرت وكذلك فعلت تونس .

ـ اعلن عبد الناصر تأييده المطلق لبو رقيبة في معركته ضد الاستعمار الفرنسي واستعداده لمد تونس بالمساعدة السياسية والعسكرية .

٢٤ ـ قوات الطرفين باقية في مراكزها في تونس . يخرق الفرنسيون الهدنة بين حين واخر . وصل هرشولد تونس تلبية لطلب بو رقيبة وبدأت المحادثات بينهما .

ـ اجتمع مجلس الجامعة العربية بناء على طلب تونس لبحث العدوان الفرنسي . قررت الجامعة ارسال متطوعين لتونس .

ـ صدر قانون في بغداد باعتبار رأس المال العربي كالعراقي يتمتع بنفس الامتيازات .

ـ حث نكروما الذي يزور موسكو حاليا ، الدول الافريقية على الاتحاد لمجابهة كل اعتداء على اية منها .

٢٥ ـ اعلن بو رقيبة : الحرب تنذر بان تتجدد . اريد طائرات ودبابات ومدافع مضادة، اما المتطوعون فليكونوا فدائيين مدربين

ـ قال وزير الدفاع الاميركي : حلفاؤنا ثابتون في العزم على القتال من اجل برلين .

ـ الحكومة البريطانية تعلن برنامجا للتقشف كمحاولة للتغلب على الازمة المالية .

٢٦ ـ طلب كنيدي من الكونجرس ثلاثة مليارات و ٢٤٧ مليون دولار اضافية لتعزيز القوات العسكرية وزيادة القوات المسلحة ربع مليون جندي لمواجهة التهديد السوفياتي في العالم

ـ اتخذت الحكومة الفرنسية قرارا ضد قيام هرشولد بزيارة رسمية الى باريس .

ـ على اثر سلسلة قوانين صدرت تتناول الملكية والضرائب والمؤسسات المالية اعلن عبد الناصر ان جميع الاجراءات الثورية من اجل خلق المجتمع الجديد في العربية المتحدة قد اخذت طريقها الى التنفيذ .

٢٧ ـ غادر هرشولد تونس الى نيويورك .

ـ اذاع العراق ان ثلاثة جنود بريطانيين اعتقلوا في منطقة صفوان منذ ٤ ايام كانوا في مهمة تخريبية ضد العراق .

ـ غادر الفريق عبود موسكو عائدا الى الخرطوم

ـ كاسافوبو يدعو البرلمان الكونغولي الى تشكيل حكومة اتحاد وطني ائتلافية تسبق وضع الدستور .

٢٨ ـ اعلنت فرنسا انها لن تتقيد باي قرار يتخذه مجلس الامن بشأن بنزرت .

ـ اعلن الوفد الجزائري في لوغران بانه يرفض الاستمرار في المفاوضات قبل ان تتحقق مطالب الجزائريين بالسيادة على الصحراء الكبرى . واعلن الوفد الفرنسي ان المفاوضات تعطلت للمرة الثانية .

٢٩ ـ فشل مجلس الامن بايجاد حل لقضية بنزرت .

ـ وصل الملك حسين يرافقه رئيس الوزراء التلهوني الى السعودية .

ـ اعلنت البحرية السوفياتية ان لديها عددا من الغواصات الذرية التي تطلق الصواريخ اكثر من الغواصات الاميركية .

ـ انذر خروشوف الغرب بانه اذا نشبت حرب عالمية نتيجة لازمة برلين فان ٢٠٠ مليون شخص يلاقون حتفهم .

٣١ ـ ماكميلان يعلن طلب انضمام بريطانيا للسوق الاوروبية ويقول لا اعتقد بان مساهمة بريطانيا في الكومنولث سيضعف اذا اتحدت دول اوروبا اقتصاديا .

ـ عاد الملك حسين الى عمان بعد محادثاته في الطائف مع الملك سعود في القضايا العربية والاسلامية وصدر بلاغ مشترك بهذا المعنى .

ـ وافق الكونغرس على مشروع كنيدي لتعزيز القوة العسكرية .

ـ فشل مؤتمر جنيف في التوصل الى اتفاق بشأن سحب القوات الاجنبية من لاوس

اغسطس ١٩٦١

١ ـ اشار الجنرال غورسال الى قضية برلين فقال ان تركيا مثل باقي الدول في حالة تأهب وطوارىء تحسبا للاحداث .

ـ وجه خروشوف انذارا الى « محبي المغامرات الحربية » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ استقبل خروشوف رئيس وزراء ايطاليا امنتوري فانفاني .

ـ اعلنت الامم المتحدة ان جنود كونغوبين اجتاحوا اقليم كاساي وقتلوا اكثر من ٦٠٠ رجل وامرأة وولد فيافظع مذبحةعرفها الكونغو

ـ وافق برلمان الكونغو على تعيين سيريل ادولا رئيسا لحكومة الكونغو الموحدة وانطوان جيزنغا نائبا لرئيس الحكومة .

٣ ـ صدر بيان في تونس والقاهرة يعلن اتفاق الراي على اعادة العلاقات الديبلوماسية بين البلدين .

ـ وجه الغرب تحذيرا الى روسيا من ازدياد الموقف خطرا بسبب الاجراءات التي تتخذها السلطات الشيوعية في برلين .

ـ وصل تونس من جنيف الوفد الجزائري المفاوض بعد ان توقفت المحادثات مع فرنسا وقد اعلن بلقاسم توحيد النضال الجزائري والتونسي .

ـ اتفق خروشوف وفانفاني على انه من المناسب اجراء مفاوضات بين الشرق والغرب لحل ازمة برلين الخطرة قبل اللجوء الى اي تصرففردي اوخطأفي الاستنتاج يؤدي الى الحرب

ـ تعهد ادولا رئيس وزراء الكونغو بالغاء انفصال اقليم كاتانغا وهاجم تشومبي ورجال الاعمال البلجيكيين . رحبت الامم المتحدة بحكومة الكونغو الجديدة .

ـ وصل نكروما الى بلغراد فيزيارةرسمية .

٤ ـ المانيا الغربية تعزز جيوشها بسبب ازمة برلين ستنفق ٥٥٠ مليون دولار على احدث الاعتدة الحربية من اميركا وبريطانيا.

ـ نشر نص الرد الروسي على مذكرات الغرب بشأن برلين . دعت المذكرات السوفياتية الغرب الى التفاوض لعقدمعاهدتي صلح مع المانيا الشرقية والغربية والنظر بوضع برلين . وتضمنت وعيدا بانه اذا لم تتم المفاوضة سيوقع السوفيات معاهدة صلح مع المانيا الشرقية .

٥ ـ منحت روسيا قرضا لتونس بعشرة ملايين استرليني .ووعد خروشوف بتلبية دعوة بو رقيبة لزيارة تونس .

ـ عقد وزراء خارجية الغرب اجتماعهم الاول في باريس لدرس قضية برلين .

ـ نشر في موسكو ميثاق جديد للحزب الشيوعي السوفياتي يستهدف المزيد من الديمقراطية ومنع اي محاولة لـ « عبادة الشخصية » .

٧ ـ انهى وزراء خارجية الغرب مؤتمرهم في باريس اتفقوا ان ازمة برلين موضوع قابل للتفاوض مع الاستعداد للطوارىء .

٨ ـ طلبت اميركا من حلفائها الغربيين تعزيز قواتهم العسكرية باسرع وقت لمجابهة التهديد السوفياتي في ازمة برلين .

ـ وصلت اللجنة العسكرية العربية الى الكويت واجتمعت بكبار الضباط لاعداد الترتيبات لاستقبال القوات العربية التي ستحل محل القوات البريطانية .

ـ تم جمع تواقيع ٥٠ دولة لدعوة الجمعية العامة للاجتماع لبحث قضية بنزرت .

ـ تكليف قوة دولية باقرار الامن في اقليم كاساي اعلن الجنرال موبوتو تأييده لجيش الكونغوي الوطني والحكومة المركزية التي يرأسها ادولا .

ـ اعلن خروشوف ان روسيا تستطيع صنع قنبلة لم يصنع اكبر منها وانها ستفعل ذلك اذا لم تتعزز احتمالات السلام .

١٠ ـ اعلن كنيدي ان خروشوف لم يعرض اي اقتراح جديد في خطابه لحل مشكلةبرلين وانه مستعد لعقد مؤتمر اقطاب بشرط ان يسبق ذلك ما يؤكد امكان الوصول الى بعض النجاح .

ـ اعلن نهرو بان ازمة برلين تنذر بانتؤدي الى جحيم حربعالميةتنزل الدمار في الانسانية

١١ ـ اعلن بو رقيبة يأسه من ديغول وقال ان تونس اختارت عدم الانحياز سياسة لها ، اما روسيا فلنا مصلحة بالتعاون معهاوتفاهمنا مع العربية المتحدة تم على اساس الاحترام .

ـ رحب خروشوف ببيان كنيدي الاخير لما تضمنه من دعوة الى تسوية سلمية للمشكلة الالمانية . وقد توعد دول حلف الاطلسي بالصواريخ ومئات ملايين القتلى .

ـ انهت فرنسا العمل بوقف اطلاق النار الذي اعلنته قبل شهرين عند بدء المفاوضات الفرنسية الجزائرية .

١٢ ـ وصل حسونة الى الكويت لتوقيع اتفاق لاحلال قوات عربية محل القوات البريطانية . طلب حاكم الكويت رسميا الى القوات البريطانية الانسحاب .

ـ بدأ الغرب يبحث عن موعد لمفاوضة الشرق حول برلين .

ـ ارسل عبد الناصر رده على رسالة كنيدي التي تلقاها في مايو الماضيحولفلسطين

١٣ ـ العراق يطلب رسميا الغاء انضمام الكويت للجامعة العربية ويحذر من العواقب.

ـ منعت حكومة المانيا الشرقية الخروجمنها الى برلين الغربية دون تصريح خاص .وامرت العمال الذين ينتقلون من الشرق الى برلين الغربية وعددهم ٨٠ الف عامل بالبحث عن اعمال جديدة .

١٤ ـ اغتيل صالح بن يوسف السكرتير العام السابق لحزب الدستور التونسي الجديد الحاكم فيأحد فنادق فرانكفورتبالمانيا

ـ عاد الى نيروبي عاصمة كينيا الزعيم جومو كينياتا بعد نفي استمر ٩ سنوات .

ـ اقترحت موسكوللقضاءعلى الجمودالمسيطر على مؤتمر حظر التجارب النووية في جنيف دمجها بمحادثات نزع السلاح .

ـ اعلن دين راسك ان على اميركا انتتوقع حدوث ازمات سياسية وعسكرية اكثر خطورة سوف تهز العالم .

ـ قطعت الاتصالات الهاتفية بين القطاعين الشرقي والغربي في برلين . الجانب الشرقي يتحول الى معسكر والدوريات مستمرة

ـ وصل نكروما الى بكين في زيارة رسمية

ـ انستاس ميكويان نائب رئيس الوزارة السوفياتية ، وصل اليابان بزيارة رسمية .

١٥ ـ احتج القادة الغربيونللقائد الروسي فيبرلين علىغلق الحدود وسائر القيودالمفروضة

ـ دعا ميكويان زعماء العالم الرأسمالي الى التنافس على المسرح الاقتصادي السلمي .

ـ تلقى نهرو رسالة خاصة من خروشوف تضمنت وجهة نظر السوفيات بمشكلة برلين

١٦ ـ رفض الاتحاد السوفياتي احتجاج الغربيين على اغلاق الحدود قال السوفيات ان لا سيطرة لهم على المانيا الشرقية وطلبوا من الغرب ان يكف عن التدخل في شؤونها .

١٧ ـ اعلن الدكتور اديناور ان الازمة الحقيقية لبرلين ستتبعفيما بعد نتيجة لمطالبة خروشوف بعقد معاهدة صلح مع الدولتين وتحويل القطاع الغربي الى مدينة حرة. واكد ان المانيا لن توقع معاهدة كهذه .

ـ اعلنت بريطانيا موافقتها على سحبقواتها من الكويت حال وصول القوات العربية .

ـ اتم عبد الناصر اعادة تشكيل نظام الحكم السياسي للدولةوقد اصبح للجمهوريةالعربية وزارة واحدة مركزها القاهرة بدلا من٣وزارات

١٨ ـ اوفد كنيدي نائبه جونسون الى برلين ، غاية الرحلة تهدئة مخاوف الالمان الغربيين . رسالتان من كنيدي الى اديناور وبراندت .

ـ اعلن الاتحاد السوفياتي ان نشاطا عسكريا مريبا ازداد في الاونة الاخيرة في ايران وتركيا

ـ اعلن اديناور ان المانيا الغربية ستزيد قواتها العسكرية ضمن نطاق الحلف الاطلسي

١٩ ـ رفضت موسكو الاحتجاجات الغربية حول برلين واعتبرتها تدخلا في شؤون المانيا الشرقية . طمأن جونسون سكان برلين واعلن ان اميركا لن تتراجع عن الدفاع عن الحرية في المانيا الغربية .

ـ ارسل كنيدي كتيبة محاربة لتعزيز الحامية الاميركية في برلين الغربية كما ان امدادات للحامية البريطانية ستصل اليها غدا.

ـ اذاعت موسكو ان الغرب ينشىء مناطق موت في ايران وتركيا وباكستان . اعلنت واشنطن ان وثائق موسكو مزورة لتغطية فشل الشيوعيين .

مطبعة الغريب شارع هوفلين ـ بيروت ـ ت: ٢٤٦١٨٥

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com